

نقوم شقير

مَجْغَرافِيَّة

و

تَبَايُح السُّوَدَانِ

تقديم

د. فوزي عبد الرحمن علي



دار اندلس للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى - ١٤٢٠ هـ

مَجْمُوعَةُ

و

نَسَائِجُ السُّوْكَانِ

نعم شقير

جغرافيه
و

نتائج السؤالات

تقديم

د. فزوى عبد الرحمن على طه

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر أسماء الهيئة العامة لدار الكتب والمكتبات القومية لإدارة الشؤون الفنية

شقيير، نعيم.

جغرافية وتاريخ السودان / تأليف نعيم شقيير . - ط ١ . - الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧.

١٤٠٠ ص : سم

١ - السودان - جغرافيا

٩١٦، ٤

أ - العنوان

الكتاب : جغرافية وتاريخ السودان

المؤلف : نعيم شقيير

رقم الإيداع : ٢٠٠٧/٣٥٦٨

تاريخ النشر : ٢٠٠٧

ردمك : ٩٢ - ٥٤ - ٩٩٩٤٢

حقوق الطبع والنشر والاقتباس محفوظة ولا يسمح بإعادة

نشر هذا العمل كاملاً أو أي قسم من أقسامه ، بأي شكل من

أشكال النشر إلا بإذن كتابي

الناشر : دار عزة للنشر والتوزيع

الإدارة : شارع الجامعة - الخرطوم - جنوب وزارة الصحة .

ت: ٨٣٧٨٧٢٠٠ فاكس: ٨٣٧٩٧٠٨٤ (١ - ٢٤٩ +)

التوزيع : دار عزة للنشر والتوزيع ت: ٨٣٧٨٧٢٠١

السودان - الخرطوم . ص.ب: ١٢٩٠٩

azzaph @ yahoo.com

بريد إلكتروني

الجزء الأول

جغرافيتا السودان

THE GEOGRAPHY OF SUDAN

الباب الأول

جغرافية السودان الطبيعية

مُقَدِّمَةٌ

يسعدنى ويطيب لى أن أقدم لهذه الطبعة من كتاب نعوم شقير «جغرافية وتاريخ السودان» التى تتولى أمرها دار عزة للنشر.

يعد كتاب نعوم شقير من أهم المراجع التى كتبت عن تاريخ السودان فى القرن التاسع عشر. ونعوم شقير لبناني عمل فى مصلحة المخابرات الحربية المصرية. كتب شقير كتاباً شاملاً باللغة العربية وصدرت أول طبعة منه عام ١٩٠٣ فى القاهرة بعنوان تاريخ السودان الحديث وجغرافيته. وصدرت الطبعة الثانية فى بيروت عام ١٩٦٧ بعنوان جغرافية وتاريخ السودان. وظل هذا الكتاب وحتى الخمسينيات من القرن العشرين أهم رواية شاملة عن المهديّة ترتكز على مصادر أولية. بالرغم من أن شقير لم يحصر نفسه فى القرن التاسع عشر، حيث تعرض لتاريخ السودان القديم فى خمسة أبواب وتاريخ السودان الوسيط وجزء يسير من العهد الأول للحكم الثنائى إلا أن الجزء الأطول والأصيل من دراسته كرس للتركية والمهديّة بل المهديّة حيث تناولت الصفحات من ص ٦٣١ إلى ١٣٩١ نشأة الدولة المهديّة إلى زوالها وقد وردت جملة من وثائق المهديّة والخليفة فى كتاب نعوم شقير. وتورد وثائق المخابرات المصرية التى عمل بها بيانات عن هذه الوثائق ترجمة ووصف وتحصيل.

اعتمد شقير أيضا في كتابه على الكم الروائي وهو ما رواه
المشتركون في الوقائع والحوادث والمعاصرون بشكل عام ومن ما سمعوا
عن هؤلاء من الأبناء والأحفاد وكان جل اعتماده على روايات الأمراء
والضباط والأعيان. ومن أهم مصادر الرواية ما دونته المخابرات الحربية
المصرية في دورياتها وتقاريرها التي ظلت متاحة للباحثين. والكم الروائي
هو بخلاف ما يعتقد، العنصر الغالب الذي كيف الصورة المهدية.

ظل كتاب نعم شقير المرجع الرئيس حتى ظهور كتابات أكاديمية عن
المهدية مثل كتابات بيتر هولت ومكي شيككة ومحمد إبراهيم أبو سليم
رواد الدراسات الأكاديمية عن المهدية. وأصبح مرجعا رئيسا لكتابات
هؤلاء وأصبحت تحليلاته لأسباب الثورة المهدية وعوامل نجاحها مرتكزا
استندوا عليه في إبراز ما اتفقوا عليه معه وما اختلفوا فيه. حيث انتقد
هولت في كتابه ١٨٩٨ - ١٨٨١ The Mahdist State in the Sudan «دولة
المهدية في السودان ١٨٨١ - ١٨٩٨» شقير لإبرازه جانباً واحداً هو أن
القهر التركي - المصري مثل السبب الرئيس لاندلاع الثورة المهدية.

يورد أبو سليم في مقدمة «الآثار الكاملة للإمام المهدي» المجلد
الأول أنه ذكر ما جاء بتاريخ نعم شقير «لأن هذا التاريخ مرجع مهم وما
نحسب أن أحداً يستغنى عنه. وأغلب ما نقله وارد في مصادرنا بشكل
مرض، وفي هذه الحالة فإننا لا نعارض به. وبعض ما نقله لا يرد إلا
فيه، وهذا ينقل كما هو، أو لا يرد إلا فيه ومصدر آخر، وهنا نقارن بين
هذا النص وذاك. ونعوم عموماً مرجع طيب لمعرفة ظروف صدور الوثائق
التي ينقلها لأنها تأتي في إطار الحوادث، ولكن لا ينبغي أن يؤخذ على

علاته لأنه اعتمد على المصدر الشفوي وعول عليه ووقع في بعض أخطاء، ولأن معلوماته عن مصنفات المهدي ونصوصها كانت ضعيفة، وقد نقل النصوص كما اتفقت دون مراجعة نسخة بأخرى».

ومما يؤخذ على المتقدين لكتابات شقير النظرة الأحادية دون التدقيق في الفائدة العلمية والارتكار في النقد على عموميات مثل أن شقير رجل مخابرات. فقد حوى هذا الكتاب معلومات مهمة لا غنى عنها لأي باحث في تاريخ السودان الحديث. إن ورود ألفاظ مثل «التمهدي» في وصفه للإمام المهدي وتحامله على المهدي في بعض المواضع لا تنفي أهمية الكتاب فقد أورد تفاصيل وقائع الثورة في شتى أنحاء السودان والمواقع العسكرية بصورة دقيقة. وأورد نصوصا كما هي مثل جواب أبي عنجا للملك يوحنا إمبراطور الحبشة وخطابات الخليفة عبد الله إلى السلطان عبد الحميد وإلى محمد السنوسي وسلطان وداي.

تبع الأهمية الثانية لكتاب نعوم شقير في ربطه بين الجغرافيا والتاريخ وهذا إدراك منه للارتباط الوثيق بين العلمين؛ والجغرافيا من العلوم المساعدة الضرورية لدراسة التاريخ. فالأرض هي المسرح الذي حدثت عليه وقائع التاريخ، وهي ذات أثر كبير في حياة الإنسان وتكوينه النفسي، وفي قوانينه وشرائعه، وفي نظمه السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وينبغي على المؤرخ أن يكون على دراية بالأحوال الجغرافية للمكان الذي سيتناوله بالدراسة، ولقد بلغ من أهمية الارتباط الوثيق بين الجغرافيا والتاريخ أن ظهرت نظرية لتفسير التاريخ عن طريق الجغرافيا. وقد تحكمت الجغرافيا في ظهور الحضارات في مواقع محددة كما منعته

من الظهور في مواقع أخرى وبدون المكان الجغرافي يقف التاريخ في الفراغ وليس من حدث «يجرى في فراغ». هذا ما فطن له نعوم شقير.

تناول الجزء الأول من مؤلف نعوم شقير جغرافية السودان وتحدث عن الحدود ونهر النيل وأراضي السودان ومعادنها وهوائها ونباتاتها وحيواناتها، وسكانها وجغرافية السودان الإدارية: مديريات السودان ومحافظاتها وأمورياتها. مدن السودان وآثارها. حضارة السودان، أديانه، معارفه السودانيون زراعتهم، تجارتهم، أخلاق أهل السودان وعاداتهم وخرافاتهم.

خاتمة القول إن كتاب نعوم شقير موسوعي شامل ومرجع للمؤرخ والجغرافي ودارس علم الإنسان والفولكلور. وبإعادة طبعه تسهم دار عزة في رفد المكتبة السودانية بالمفيد المثمر وهذا دأبها.

د. هادي عبد الرحمن علي طه

الفصل الأول

في

حدود السودان

السودان في اللغة السود ويطلق أيضاً على بلاد السود. وقد أطلقه العرب بعد الاسلام على الممالك الافريقية الاسلامية الواقعة في المنطقة المتوسطة التي الى جنوب الصحراء الكبرى وصحراء نوبيا فيما بين الحبشة وسنغيبيا. وتشمل ممالك سنار ودارفور ووداي وباجرمي وكانم وبرنو وسوكوتو وملبي من الشرق الى الغرب. اما السودان الذي فيه كلامنا فهو السودان المصري المعروف الآن بالسودان الانكليزي المصري. وحدته من الشمال خط ٢٢ من خطوط العرض الشمالي الى الشمال من حلفا. ومن الجنوب بلاد اوغندا التابعة لانكلترا على خط ٥ من خطوط العرض الشمالي تقريباً. ومن الشرق البحر الاحمر وبلاد الإريتريا وبلاد الحبشة. ومن الغرب والجنوب الغربي الصحراء الكبرى وبلاد وداي والجبال المتوسطة بين نهر الكونغو وجر الفزال. وهو على شكل غير منتظم طوله من الشمال الى الجنوب نحو ١٢٠٠ ميل ومعظم عرضه من الشرق الى الغرب نحو ١٠٠٠ ميل.

الفصل الثاني

في

نيلها

النيل الابيض: ويخترق هذه البلاد من الجنوب الى الشمال نهر النيل العظيم وله مصادر كثيرة اهمها مصدران النيل الابيض والنيل الازرق. اما النيل الابيض فيخرج من بحيرات ثلاث في اواسط القارة اكبرها بحيرة فكتوريا نياتزا عند خط الاستواء فيخرج منها نهرٌ ويمرّ الى الشمال الغربي متعرجاً نحو ٢٩٠ ميلاً فيصب في بحيرة ألبرت نياتزا في شمالها. ويصب في جنوبها نهرٌ آخر آتٍ من بحيرة ألبرت ادوارد نياتزا طوله ١٨٠ ميلاً. ثم يخرج النيل من بحيرة ألبرت نياتزا ويمرّ شمالاً في بلاد خط الاستواء باسم بحر الجبل أو بحر الرّجاف مسافة ٤٧٠ ميلاً فينتفّرع منه بحرٌ يُعرّف ببحر الزراف ويسير البهران شمالاً منفرجين الى ان يبلغا عرض ٩° ويكون الرّجاف على نحو ٣٠٠ ميل من نقطة انفراج الزراف عنه فيلتقي ببحر الغزال وهو بحر كبير آتٍ من الجنوب الغربي مؤلف من عدة ابحار اشهرها بحر العرب. ثم يسير النيل شرقاً مسافة ٤٥ ميلاً فيقتارن ببحر الزراف ويسير ٢٥ ميلاً اخرى فيقتارن ببحر سبت الآتي من الجنوب الشرقي. ثم يمرّ النيل الابيض شمالاً ٥٠٠ ميلاً ونيف من مصب نهر سبت و١٥٣٠ ميلاً اوحواليها من مخرجه الاول من بحيرة فكتوريا فيلتقي بالنيل الازرق عند مدينة الخرطوم.

النيل الأزرق : اما النيل الأزرق فيخرج من بحيرة تسانا في وسط الحبشة ويجري منها الى الجنوب حتى يكون على عرض ١٤٠° فينقلب نحو الشمال الغربي الى ان يدخل بلاد سنار ويكون على ١٦٠ ميلا من الخرطوم فيصب فيه نهر الدندر. ثم يسير ٢٠ ميلا فيصب فيه نهر الرهد. وكلاهما يأتيانه من جبال غربي الحبشة ويحضان في الصيف. ويسير النيل الأزرق الى ان يلتقي بالنيل الأبيض عند الخرطوم بعد مسيرة ٨٤٦ ميلا من بحيرة تسانا التي خرج منها .

النيل الكبير : ثم يسير النيل الكبير الى ان ينتهي الى قرية الدامر على ١٨٠ ميلا من الخرطوم فيلتقي بنهر الاتبرا وهو نهر غزير سريع الجري مؤلف من عدة نهيرات آتية من جبال الحبشة الشمالية ويحف بهبوط النيل مدة ستة اشهر. ومن هناك يجري النيل شمالا في بلاد لا يصيبها المطر الا نادرا فلا يصادف نهرا أو جدولاً معروفاً الى ان يصب في البحر المتوسط. وعند وصوله الى بلدة ابي حمد بعد مسيرة ١٤٠ ميلا او نحوها من مصب الاتبرا ينعطف نحو الجنوب الغربي الى جهة مغربه كأنه يحن الى اصله ويسير كذلك متعرجاً مسافة نحو ١٩٤ ميلا فيصل بلدة الدبة. ثم يستأنف السير شمالاً على تمرجه مسافة ٥٨٥ ميلا. من الدبة ويدخل مصر عند مدينة اسوان.

الدلتا : ويجري النيل في ارض مصر حتى ينتهي الى مكان يقال له بطن البقرة على بعد ١٥ ميلا من القاهرة و ٦٠٥ اميال من اسوان فينقسم شطرين احدهما يميل نحو الشرق فيصب في البحر المتوسط بقرب مدينة دمياط والآخر يميل نحو الغرب فيصب فيه عند مدينة رشيد. ويتكون من هذين الشطرين مع البحر مثلث سماه اليونان الدلتا لمشابهته لحرف الدال عندهم وسماه العرب روضة البحرين لكثرة خصبه . وطول قاعدة هذا المثلث نحو ٨٥ ميلا وعلوه ٩٠ ميلا وطول احد شطريه نحو ٩٩ ميلا . فيكون طول النيل على وجه التقريب من مصدره من بحيرة فكتوريا نيازا الى مصبه في البحر المتوسط ٣٣٣٣ ميلا وهو اطول انهار الدنيا الا نهر امازون في اميركا الجنوبية فانه اطول من النيل بنحو ٦٦٧ ميلا الا

ان النيل ألت تاريخاً وأقدم آثاراً وأعظم شأناً من نهر امازون بل من جميع انهار الدنيا. فيضان النيل : وفيض النيل ثم يهبط ثم يعود الى الفيض كل سنة في اوقات معلومة . وسبب فيضه نزول الامطار الغزيرة على الجبال المجاورة لمصادره. ويبدأ النيل الابيض بالفيض قبل النيل الازرق فيظهر الفيض فيه عند الخرطوم في اواخر مايو ولكن لا يبلغ معظمه الا في اوائل سبتمبر . واما النيل الازرق فيظهر الفيض فيه عند الخرطوم في اوائل يونيو وكذلك الاتبراو يبلغ معظم الفيض في اواخر اغسطس . واما النيل الكبير فيظهر الفيض فيه عند حلغا في اوائل يونيو ويصل الى معظم الفيض في اواخر سبتمبر ثم يعود الى النقصان فينقص تدريجاً كما ارتفع الى اوائل يونيو فيعود الى الزيادة وهكذا على توالي السنين. ومعدل زيادة النيل في السنة نحو ٢٦ قدماً فاذا زاد عن ذلك الى ٢٨ قدماً سبب غرقاً واذا قصر عنه الى ٢٢ قدماً سبب جوعاً. وعند آخر حده في النقصان يخضر ماؤه ويتغير طعمه فيقرب من طعم الماء المستنقع. وقد قدروا ان الباقي فيه من الماء اذ ذاك لا يزيد على $\frac{1}{3}$ مما يكون فيه عند معظم الفيض .

مقاييس النيل : وقد جعلوا للنيل منذ القديم مقاييس في اماكن خاصة في مجراه لمعرفة مقدار الزيادة والنقصان فيه على مدار السنة. واشهر هذه المقاييس : مقياس الروضة : في جزيرة الروضة تجاه مصر القديمة وهو مقياس قديم من عهد الخلفاء الامويين وانما رمم في هذا العهد .

ومقياس اسوان : في الجانب الشرقي من جزيرة ألفتين تجاه مدينة اسوان وهو قديم العهد ايضاً وينسب الى زمن البطالسة اي منذ الف سنة ونيف هجر مدة من الزمان ثم جدد سنة ١٢٧٨ هـ (١٨٧٠ م) في ايام المغفور له اسماعيل باشا الخديوي الأسبق بهمة المرحوم محمود باشا الفلكي. وقد رأيت هناك ابناً منقوشة على حجر في الحائط تدل على تاريخ هذا العمل وهي :

حقاً على اسوان تبدي شكرها	لملك مصر الداوري اسماعيل
أحيائها المقياس بعد ذهابه	بتجدد التقسيم والتفصيل
من بعد الف وهو في حجب الثرى	أبدى معاله بخير دليل

الماهر الفلكي محمود الذي
أبقى التقاسيم التي وجدت به
قالت له ' اسوان في تاريخها
جلت معارفه عن التمثيل
وبغيرها حلاه للتعديل
أرقت بالمقياس بحر النيل

ومقياس حلفاء : على شاطئ النيل الشرقي في ممكر حلفاء وهو حديث
النشأة بناء ودهوس باشا ، إذ كان محافظاً للحدود سنة ١٨٨٩م بإرشاد من المستر
ولكوكس من رجال الري بمصر . وقد رأيت حديثه فإذا هو عبارة عن سلم
عادي قائم بين حائطين من الحجارة المنحوتة وفي رأس السلم حجر من الرخام
منقوش عليه تاريخ انشاء المقياس واسم منشئه . وبعد الفتح الاخير للسودان
انشأت الحكومة عدة مقاييس وقتية في جهات مختلفة على النيل الكبير والنيلين
الابيض والازرق اهمها :

مقياس بربر : على النيل الكبير . ومقياس ام درمان : على النيل الابيض .
ومقياس الخرطوم : تحت سراي الخرطوم على النيل الازرق ولا بد من
إبدال هذه المقاييس بمقاييس ثابتة قريباً لشدة لزومها .

سرعة النيل : اما سرعة مجرى النيل فتختلف فيه وفي فرعيه بالنسبة الى
درجة الفيض . فهو يزداد سرعة كلما ازداد فيضاً . ففي الساعة الواحدة يجري
النيل الازرق ٣ اميال في زمن التعاريق وستة اميال او اكثر في زمن الفيض .
والنيل الابيض ميلاً واحداً أو اقل في التعاريق وميلين ونصف ميل في الفيض .
والنيل الكبير ميلاً ونصف ميل في التعاريق و٣ اميال او اكثر في الفيض .
فيكون النيل الازرق اسرع جرياً من النيل الابيض والنيل الكبير لان بحيرة
تساف التي يخرج منها النيل الازرق تعلو ٥٨٠ قدم عن سطح البحر مع ان اعلى
بحيرات النيل الابيض التي هي بحيرة فكتوريا نيازا لا يزيد علوها عن ٣٩٠٠ قدم عن
سطح البحر . والنيل الازرق يحرق في طريقه التراب الذي تتكون منه ارض مصر .

اتساع النيل : واما اتساع النيل في معظم الفيض فيختلف باختلاف
الاماكن ، فتوسط اتساع النيل الازرق ٥٥٠ يرداً ولا يزيد عن ٧٧٠ يرداً في

أي مكان كان. ومتوسط اتساع النيل الأبيض ١٨٦٠ يرداً وهو في أماكن كثيرة ٣٨٠٠ يرد ونيف فتراه أشبه بالبحيرة منه بالنهر. أما النيل الكبير فيختلف اتساعه من ٥٠٠ يرد (وهو اتساعه عند كوبري قصر النيل) إلى ١٠٠٠ يرد بل قد يضيق في بعض الأماكن حتى لا يزيد اتساعه عن ٢٠٠ يرد.

ضفتا النيل : وأما ضفتا النيل الأزرق فتوسط ارتفاعها من ٣٥:٣٠ قدماً عن سطح الماء في أبان التحاريق . والفرق بينه وهو في أعلى ارتفاعه وبينه وهو في أشد انخفاضه نحو ٢٢ قدماً حتى لقد يصبح في زمن التحاريق سلسلة من البرك متصلة بعضها ببعض بماء ضعيف لا تكاد أصغر المراكب تمر عليها. وأما ضفتا النيل الأبيض ولا سيما الغربية منها فعلى غاية الانخفاض إذ لا يزيد متوسط ارتفاعها على مترين ونصف متر إلى ٣ أمتار عن سطح الماء في أبان التحاريق ولذلك فمأواه في زمن الفيض يغمر ضفتيه إلى مسافة بعيدة يميناً وشمالاً في البر ولا يمكن ادعاء السفن في ضفتيه والنزول عليها إلا في أماكن معلومة تعرف بالمشارع لأن الماء ضعيف فيها والفرق بينه وهو في أعلى ارتفاعه وبينه وهو في أشد انخفاضه ٦ أقدام. وأما ضفتا النيل الكبير من الخرطوم إلى أسوان فمرتفعتان فلا يعلوهما النيل مها اشتد فيضه إلا في بعض المواضع في بلاد بربر ودنقلا لذلك لا يحتاج أهله إلى عمل السدود كما في مصر.

ماء النيل : وقاس لينان مقدار ما ينصب من مياه النيل عند الخرطوم في الثانية فوجد أنه ينصب من مياه النيل الأزرق ١٥٩ متراً مكعباً في أيام تحاريقه. و١٦٠٤ أمتار مكعبة في أيام فيضانه. وينصب من مياه النيل الأبيض ٢٧٩ متراً مكعباً في أيام تحاريقه. و٥٩٠٧ أمتار مكعبة في أيام فيضانه. وعليه تكون مياه النيل الأبيض أغزر في التحاريق وأقل في الفيضان من مياه النيل الأزرق وتكون أكثر مياه النيل الكبير من النيل الأبيض كما أن أكثر تربته التي تتكون منها أرض مصر هي من النيل الأزرق. وهذا لون ماء النيل قبل اقترانه بنهر سبت أخضر مائل إلى السمرة. ثم يقتدر بماء سبت الأصفر اللون فيصبح لونه من سبت فنانزلاً أبيض ضارب إلى الصفرة ولذلك سموه النيل

الابيض. واما ماء النيل الازرق فهو اسمر خمرى في زمن الفيض وازرق معاوي في زمن التعريق فلذلك سمى النيل الازرق. ثم ان ماء النيل الابيض غير صالح للشرب كما النيل الازرق بالنسبة لما فيه من المواد النباتية المستنقعة التي تسبب الديزنتاريا والحميات. ولذلك فان اهل النيل الابيض قلما يشربون منه فهم يحفرون الابار ويشربون منها.

شلالات النيل : ويمر النيل في سيرة من الجنوب الى اسوان بعدة جنادل تعرف بالشلالات وهي مجتمع صخور كبيرة وجزر صغيرة تعترض مجراه . والشلالات نوعان اما صغيرة يغمرها النيل عند فيضه فتسير السفن من فوقها مدة الفيض حتى اذا ما نزل النيل وانكشفت الشلالات مرت السفن من مضائق معلومة فيها تعرف بالأبواب . واما كبيرة لا يغمرها النيل كلها منها اشتد فيضه فتمر السفن في ابوابها وذلك في ايام معدودة في معظم الفيض فاذا انقضت تلك الايام انحصرت السفن بين الشلالات . والشلالات الكبيرة من اسوان الى الخرطوم ستة بينها عدة شلالات صغيرة وهي :

الاول : « شلال اسوان » عند مدينة اسوان طوله ستة اميال وربع ميل .
الثاني : « شلال حلفا » عند قرية حلفا على نحو ٢٢٦ ميلا من الشلال الاول . طوله ١٤ ميلا وهو اصعب شلالات النيل .

الثالث : « شلال حنك » عند قرية حنك وعلى بعد ٢٤١ ميلا من الشلال الثاني وطوله ٣ اميال . وبين الشلال الثاني والثالث عدة شلالات صغيرة وهي من الشمال الى الجنوب معتوقه وسمنة وامبقول وتنجور وعكه وعكاشه ودال وعماره وغيره . طول الواحد منها من ميل الى اربعة اميال والبعد بينها من ١٠ اميال الى ٦٠ ميلا .

الرابع : « شلال الادرمية » في بلاد الشايقية على بعد ٢٥٠ ميلا من الشلال الثالث .

الخامس : « شلال وادي الحمار » الواقع على بعد ١٦٧ ميلا من الشلال الرابع قبل سمي شلال وادي الحمار لأن في شرقيه وادياً يقتابه حمار الوحش.

وبين الشلال الرابع والخامس عدة شلالات صغيرة صعبة أهمها شلالات كعب العبد والمسحاني وأم حبوبة والرخة في آخر بلاد الشايقية . ورقبة الجبل وأبو سيال في بلاد المناصير . ومقرات وأبو هشم والباقي في بلاد الرباطاب . السادس : « شلال السبلوقة » بين شندي والخرطوم على بعد ١٩٤ ميلاً من الشلال الخامس وطوله عشرة أميال وهو متعذر للغاية واتساع النيل عند مدخله ٢٠٠ يرد ويتعذر الماء منه انحداراً ظاهراً كالانحدار من ميزاب كبير ومن ذلك اسمه إذ السبلوقة في لفظ عرب السودان بمعنى الميزاب .

ثم ان في النيل الازرق شلالاً كبيراً يعرف « بشلال الرصيصر » او بالشلال السابع يبدأ عند قرية الرصيصر على ٤٢٦ ميلاً من الخرطوم ويمتد جنوباً نحو ٤٠ ميلاً ، وفي اعالي النيل الابيض في بحر الرجاف سلسلة من الشلالات تمتد من بلدة الرجاف الى الجنوب نحو ١٠٠ ميل اصعبها شلال في آخرها يعرف « بشلال الفولة » او بالشلال الثامن ويبعد نحو ١١٠٠ ميل من الخرطوم .

جزائر النيل : وفي نيل السودان جزائر شتى متفاوتة في الكبر ، منها ما يغمرها النيل عند الفيض ومنها ما لا يغمرها مما اشدت فيضه وكلها صالحة للزراعة وتأتي بقلل كثيرة . وأشهر هذه الجزائر :

« جزيرة آبا » في النيل الابيض على ١٥٠ ميلاً من الخرطوم طولها ٢٨ ميلاً وقد اشتهرت بظهور محمد احمد المتمهدي فيها كما سيجيء .

« وجزيرة قوتي » تجاه الخرطوم وهي مشهورة بجودة تربتها وطيب هوائها . « وجزيرة مقرات » تجاه ابي حمد وهي جزيرة صغيرة تخترقها عدة تلال صخرية .

« وجزيرة ارقو » الى جنوبي شلال حنك وطولها ٢٠ ميلاً وهي أشهر جزائر النيل وفيها خرائب من زمن مملكة ايثيوبيا تدل على قدمها وعظم اهميتها . وفي ايام نزول النيل تجف ذراعه اليمنى فتتصل الجزيرة بالبر الشرقي وربما لم تكن اكبر من جزيرة مقرات لكنها اخصب منها .

« وجزيرة ساي » وهي ثاني جزيرة ارقو في الاتساع والشهرة وفيها

خرائب طلبية قديمة من أيام السلطان سليم الفاتح .
« جزيرة الفنتين » عند الشلال الاول تجاه اسوان وهي شهيرة في تاريخ مصر .

السفر في النيل : وهذه الجزر والشلالات مع ما يتكون في مجرى النيل من وقت الى آخر من « الذبور » الرملية تقف عوائق في وجه السفن وتزيد السفر في النيل مشقة وخطراً بخلاف نيل مصر من اسوان فنازلاً شمالاً فان الشلالات والجزر تقطع منه ويسهل السفر فيه بالسفن الشراعية والبغارية من اقصى البلاد الى اقصاها . وهذا الذي جعل مصر منذ القديم بلاداً واحدة حدها الطبيعي اسوان . وآخر حد السفن في النيل الازرق شلال الرصيرص وفي النيل الابيض شلال القولة . وفي بحر الغزال مشرع الريك على نحو ١٣٠ ميلاً من مصبه بالنيل الابيض و ٧٢٥ ميلاً من الخرطوم . وفي بحر « سبت » نقطة الناصر على ١٧٠ ميلاً من مصبه بالنيل الابيض . ثم ان النيل الازرق لا يصلح للملاحة إلا في زمن الفيض فاذا جاء زمن التعاريق قل ماؤه وانقطع سير السفن فيه بخلاف النيل الابيض فانه صالح لسير السفن على مدار السنة .

السد في النيل الابيض : إلا ان في النيل الابيض عائقاً آخر للسفن وهو السد . وذلك ان النيل الابيض من نقطة اختراق بحر الزراف عن بحر الجبل الى مصب نهر « سبت » يسير بطيئاً جداً ويتسع مجراه حتى لا يرى المسافر أحياناً الا الماء من كل الجهات . ولا سيما عند ملتقى بحر الرجاف ببحر الغزال اذ يتكون من التعلوها بحيرة واسعة تعرف ببخيرة « نو » فيتكون في مجراه سدود نباتية عظيمة تطفو على وجه الماء والنيل يسير من تحتها . وتباثقت هذه السدود على ثلاثة انواع نوع تبلغ جنوره الارض وغالبه من البردي والعشبي ونوع لا تبلغ جنوره الارض بل تبقى منتشرة في الماء ونوع يطفو كله على وجه الماء والسد الحقيقي مؤلف من هذه الانواع الثلاثة . فالاول يلبث في الرقارق حتى اذا غزر الماء وعلا عليه كثيراً اقتلعه من جنوره وجرى به الى ان يصل الى رقارق آخر او الى منعطف في النهر فيقف وتصل

اليه النباتات التي من النوع الثاني والثالث فتلتمع الانواع الثلاثة معا ويتكون من مجموعها سد متين يعترض النيل من الشاطئ الواحد الى الشاطئ الآخر ويزيد طولاً بإضافة نباتات جديدة اليه حتى يصير طوله عدة اميال وهو يسمك ويمتن حتى يُعبر عليه بالرجل فيبلغ سمكه الى متر ونصف متر او اكثر وتعلو نباتاته من ٥ اقدام الى ٣٠ قدماً فيحبس السفن عن السير . وقد ظلما منعت السدود المسافرين عن السير اياماً أو أشهراً الى ان يفتحوا طريقهم بالقفوس . ولا تتكون السدود من مصب نهر 'سبت' فنازلاً شمالاً لأن هذا النهر سريع الجري جداً فيندفع مائه بقوة في النيل الابيض ويصد النباتات الآتية من الجنوب الى يساره .

اكتشاف مصادر النيل : وهذه الصعوبات في سفر النيل مع بعده السحيق والاضطراب الجمة في الطريق من الفرق والجوع والحر والبرد والامراض ومن الشعوب المعادية الهمجية والحيوانات المفترسة والمفاوز البعيدة والصحارى المحرقة عن جانبي النيل هذه الصعوبات والاضطراب كلها وقفت في سبيل العالم المتمدن فصدته عن الوصول الى مصادر النيل مدة ألفي سنة مع انه لم تبق دولة من الدول التي ملكت مصر في تلك المدة الا اهتم ملوكها وعلمائها باكتشاف تلك المصادر ومعرفة اسباب الفيض فجردوا حملات عديدة وأمدوها بالمعدات القوية فذهبت اعمارهم سدى وعادت الحملات كلها بالعجز والتقصير حتى لقد يئس الاقدمون من النجاح وقالوا في الجاهل : ان الالهة تريد اخفاء هذه المصادر عن اعين الناس لغرض في نفسها ، وقال هوميروس الشاعر اليوناني المشهور : النيل سيل نازل من السماء ، اما المصريون القدماء فقد رفعوه الى مقام الالهة كما هو مشهور في تاريخهم .

وأشهر من كتب من العلماء الاقدمين في النيل نقلاً عن الرواة فاقترب من الحقيقة هيركس الفلكي اليوناني الذي عاش سنة ١٠٠ ق م فقال : النيل ينبع من ثلاث بحيرات في شمال خط الاستواء . وجاء بعده بطليموس الكبير الذي عاش سنة ١٥٠ ب م فجعل منابع النيل في جبال القمر في

جنوب خط الاستواء . ثم بعد ذلك بألف سنة ونيف أي سنة ١١٥٤ م قام الادريسي أشهر جغرافي العرب فجعل منابع النيل في جبال القمر في أواسط القارة وقال ان مياه الينابيع تجري من تلك الجبال الى بحيرتين واسمتين تصبان في بحيرة ثلاثة منها ينبع النيل وهو كلام يقرب جداً من الحقيقة . ولكن علماء الافرنج لم يعتمدوا كلام الادريسي بل لم يكتفوا به فما زالوا يحدّثون وراء الحقيقة ويمجدون بالنفوس والاموال الى ان فازوا بالفرص المقصود .

أما النيل الأزرق فقد اكتشف مصادره السائح الانكليزي بروس سنة ١٧٧٢ م ووصفها وصفاً دقيقاً وكان قد سبقه الى هذا الاكتشاف راهبات پرتوغاليان هما بايز ولوبو سنة ١٦١٨ م ولكنها لم يوضعا الحقيقة كما أوضاعها بروس فتفرد وحده بالشهرة . وأما النيل الأبيض فلم تُعلم مصادره إلا منذ عهد قريب جداً وذلك بمساعي الجمعية الجغرافية الانكليزية وهمة السياح الانكليز . اما فكتوريا نيازا فقد اكتشفها الرحلتان الانكليزيان سبيك وغرانت فانها سارا عن طريق زنجبار على نفقة الجمعية المذكورة فشاهدتا النيل خارجاً من شمالها في ٢٨ يوليو سنة ١٨٦٢ م وسماها فكتوريا باسم ملكتها . وأما ألبرت نيازا فقد اكتشفها السر صمويل باكر الانكليزي فإنه سار اليها عن طريق الخرطوم فوصلها في ١٤ مارس سنة ١٨٦٤ وسماها ألبرت نيازا باسم زوج ملكته . وأما ألبرت ادوارد نيازا فقد اكتشفها الرحالة ستلي الانكليزي سنة ١٨٧٦ وسماها ألبرت ادوارد باسم ولي عهد انكلترا في ذلك العهد وهو ملكها الحالي . وعليه فالفضل الاعظم في اكتشاف منابع النيل للانكليز وقد شاركهم في هذا الفضل خديوي مصر العظام الذين فتحوا البلاد ومهدوا للسير صمويل باكر وغيره سبل الاكتشاف .

اسماك النيل : وفي النيل انواع شتى من السمك إلا انها تفتقر الطعم وأشهرها او أعجبها « التمساح » و « فرس البحر » . اما التمساح فهو حيوان يهينه السمك إلا انه هائل الجثة قبيح المنظر وجلد ظهره شديد الصلابة لا

يكاد يخرقه الرصاص وهو يعيش في الهواء قتيض انشاء وتفرغ في جزر النهر فقطم البيض في الرمل وتحرسه الى انه تنقذت تحضنه وتنزل به الى النهر ويبلغ عده بيضها بضع عشرة بيضة وحجم الواحدة منها بقدر حجم البرتقالة، وقد يبلغ طول التمساح عشرة أذرع او اكثر ويعرف عندهم اذ ذاك بالمشاري، وأما فرس البحر او جاموس البحر فهو في الخلقة بين الجلموس والخنزير فان جسمه كجسم الجلموس إلا ان رأسه وذيله كراس الخنزير وذيله، ولما خفه كخف الجمل . وهو يعيش في الهواء كالتمساح فيخرج الى شاطئ النهر ويخرج في الزرع فباكل منه ويعيش فيه ثم يعود الى الماء ويعرف عندهم باسم الميسكتا وكان التمساح وفرس البحر كثيرين في نيل مصر كما في نيل السودان الى عهد غير بعيد ، إلا ان العمارة في مصر وكثرة خوض السفن في نيلها ففترتها الى السودان . اما فرس البحر فقد انقطع من مصر منذ القرن الثالث عشر للمسيح ولم يعد يرى الا في أعالي النيل ويكثر جداً في بلاد خط الاستواء . واما التمساح فلا يرى الآن في مصر الا نادراً ، واما في نيل السودان فلا يزال كثيراً في كل جهة .

وأهل السودان يصطادون التمساح وفرس البحر للارتفاع بها . فالتمساح لأجل مسكه وجلده ولحمه اذ في كل تمساح اربع كتل منكية كتلتان في أربيته الواحدة بقدر بيضة الدجاجة وكتلتان في ابطنه اصفر منها ومسك التمساح أجود المسك وأما جلده فيصنعون منه نوعاً من الدرق او الدروس ، ولحمه تفه جداً لا يأكله الا الصيادون . واما فرس البحر فيصاد لأجل لحمه وجلده فهم يأكلون لحمه ويصنعون من جلده السياط ، ويصطادونه بالبنادق وينوع من الحراب يسمى عندهم باديقه وهي حرية ماضية في رأسها شوكة على هيئة السنارة حتى اذا رشت في الجسم تنشب فيه فاذا أريد اخراجها منه لا تخرج الا اذا مزقته ويربطون في الحرية حبلاً متيناً وفي رأس الحبيل قارورة من القرع الأصم او العنبج حتى اذا غاص فرس البحر في الماء بعد نشب الحرية فيه تدل عليه القارورة التي تعوم على وجه الماء فيتبعه الصيادون

بمراكبهم ويحذونه بالحبل على قدر جهدهم وهو يحرم في النهر الى ان يكلّ فيدون منه ويرشقونه بالحرا ب حتى يقضوا عليه بعد جهاد طويل . وهم يصطادون التماسح ايضاً بهذه الآلة كما يصطادونه بالبنادق . على ان التماسح يصطاد الناس كما يصطادونه بل هو في صيدهم أبرع منهم في صيده فهو يلتاب موارد الناس ويتقرب انساناً حتى يرى منه غفلة فيثب عليه ويدفعه بذيله الى الماء ثم يحمله في فيه الى جهة بعيدة عن الناس فيخرج به الى الشاطئ ويمزقه بأنيابه لأرباً ويبتلعه . وكثيراً ما يرى الصيادون أساوراً وحججاً وغيرها من حلى النساء في جوف التماسيح التي اصطادوها . وقد طالما سمعت في اثناء الحملات النيلية بافتراس التماسح للعساكر والتبّع هذا اما لزمت الاشارة اليه في النيل .

الفصل الثالث

في

اراضيا

وادي النيل : ويمر النيل في واد ضيق لا يزيد عرضه عن اربعة اميال وقد يضيق في بعض الأماكن حتى لا يكون إلا مضيقاً بين جبلين يمر فيه النيل . إلا ان هذا الوادي على ضيقه خصب كوادي نيل مصر او اخصب ويزرع على السواقي والشواذيف .

الجزيرة : وتعرف البلاد الواقعة بين النيل الابيض والنيل الازرق بالجزيرة على الاطلاق . وتعرف ايضاً بجزيرة سنار وجزيرة الخرطوم نسبة الى سنار والخرطوم اللتين اشتهرتا فيها . وأما تسميتها بالجزيرة ففيه تساهل لأنها في الواقع شبه جزيرة وهي بلاد خصبة للغاية وتزرع على النيل والأمطار، وأكثر غلال السودان يأتي منها .

البطانة : وعرفت البلاد الواقعة بين النيل والانتبرا قديماً بجزيرة مروى لأنه قام فيها مملكة اشتهرت في التاريخ بمملكة مروى كما سيجيء . وأما الآن فتعرف بالبطانة ويعرف القسم الجنوبي منها ببلاد القصارف وهذه البلاد مشهورة بالجودة والخصب حتى لقد سماها بعضهم أهراء السودان . وهي تزرع على الأمطار .

صحاريا وجبالها ، ويكتنف وادي النيل من الخرطوم سلسلات من الجبال القاحلة ترافقانه الى مصر الواحدة الى الشرق وتليها الصحراء الشرقية التي تمتد الى البحر الاحمر والأخرى الى الغرب وتليها الصحراء الكبرى وصحراء كردوفان ودارفور . والصحارى الشمالية من خط بربر فنانزا شمالا رملية مجدبة لا نبت فيها ولا شجر إلا ما ندر بل أكثرها مفاظات طويلة لا ماء فيها تعرف « بالمقبات » وأما الصحارى الجنوبية فقابلة للزراعة ويكثر فيها النبات والأشجار حتى يكون منها في بعض الجهات غابات عظيمة . وسبب ذلك ان الصحارى الشمالية لا يقع فيها مطر إلا قليلا او نادراً بخلاف الجنوبية التي هي في منطقة الأمطار فانه يقع فيها مطر غزير . ويتخلل تلك الصحارى جبال أو تلال متفرقة لا ماء فيها ولا نبت ما عدا جبل مرة في وسط دارفور وبعض جبال النوبة في جنوبي كردوفان فان فيها الينابيع والأشجار .

خيراتها : ويجري من جبالها الجنوبية في زمن الامطار سيول عرمة تغور في الرمال او تصب في النيل او البحر الاحمر تعرف عندهم بالخيران وأشهرها : « خور بركة » يأتيها من جبال شمالي الحبشة ويصب في البحر الاحمر بعد ان يروي بلاد طوكر كلها فيزرع أهلها على ربه .

« وخور القاش » فانه يأتي ايضا من شمالي الحبشة ويجري في بلاد كمالا فيروها ويغور في الرمال قبل ان يصل نهر الاتبرا .

« وخور ابي جبل » يأتي من جبال النوبة الشمالية ويجري شرقا مسافة ١٩٠ ميلا فيغور في الرمال قريبا من النيل أو يصل النيل عند جزيرة أبا .

« وخور تندلي » وهو يخرج من جبال دارفور الشمالية ويجري جنوبا فيخترق مدينة الفاشر وتصدده تلال رملية في جنوبها عن الجري فيغور تدريجاً .

آبارها : وفي الصيف تجف هذه الخيران فيحفر في ارضها آبار صالحة للشرب على عمق قامة او اكثر ويصبح اعتماد اهل البادية في الشمال والجنوب

على الآبار . وأشهر هذه الآبار :

« آبار أحيمر » وأتقلت والطرفاوي وللتجم « في الطريق التي بين بسلون وبربر .
« وآبار للمرات » في طريق الصحراء التي بين أبي حد وكونوسكو . وهي
آبار نبغ إذا نزح للماء منها وتركزت نحو ساعة عادت فامتلات وماؤها صالح
للشرب إلا أنه مسهل لغير المتعود عليه لاحتوائه على املاح المائزده وهو مر
الطعم قليلا ولذلك سميت الآبار بللمرات .
« وآبار هندوب ولونار وهبوك ودمس ابل وهراتري وكونكريب وارباب
والبلك » في الطريق التي بين سواكن وبربر وفي هذه الآبار آثار تدل على
قدمها .

« وآبار منغاغة والجكسول وأبي طليح » في الطريق التي بين كورتى وللمتمة
« وآبار البيوضة » بين امبقول وللشلال السادس وتبلغ سبعين بشراً وماؤها
قريب من سطح الارض . وتسمى الصحراء بين ام درمان والديبة ولبي حد
باسمها .

« وآبار جبيه » وتبلغ نحو المئة بشر بين الديبة وام درمان على ٥٠ ميلا من
ام درمان و ٢٠٠ ميل من الديبة وماؤها غزير .
« وآبار كجمر والصادية والضباعي والشطير ومهتول » في الطريق بين
الابيض والديبة .

« آبار أم بدر وعين حامد » وغيرها في الطريق التي بين الفاشير ودنقلة .
« ويشتر النطرون » في شمالي دارفور « وواحة سليمة » تجاه العكاشة في
طريق الاربعين .

وير السودان كبر مصر في غاية الانبساط والاستواء ولا يزيد ارتفاعه على
٦٥٠ قدماً عن سطح البحر ما عدا صحراء كردوفان ودارفور وبعض سيواحل
البحر الأحمر فانها ترتفع الى ١٦٤٠ قدماً عن سطح البحر . ولذلك فان آبار
هذه الجهات أعمت جداً من ابار غيرها حتى لقد يبلغ عمق البشر في صحراء
كردوفان نحو ٣٠ قامة ..

الفصل الرابع

في

معادنها

وأشهر معادن السودان : « الذهب » وهو يوجد تباراً في جبال بني شنقول الى جنوبي سنّار ويعرف بالذهب السناري . ويوجد على قلة في بعض جبال النوبة كجبل تيرا وجبل شيبون في غرب جبل قدير ، ويقال ان الذهب الشيبوني افخر الذهب . وذكر المؤرخون القدماء وجود الذهب في وادي العلاقي بين كورسكو والبحر الاحمر ولكن انقطع وروده من هذه الجهة منذ زمان طويل .

« والزمرد » وقد ذكر المقرئزي وجوده في الصحراء الشرقية « في مكان يعرف بالحربة على سبعة ايام من قفط وقوص وغيرها من صعيد مصر » .

« والنحاس » ومعدنه في حفرة النحاس الشهيرة في الشمال الغربي من بحر الغزال . ويظن وجوده ايضاً في جبال سواكن على طريق بربر .

« والحديد » وهو كثير في كردوفان ودارفور وبحر الغزال ويوجد قطعاً في الرمال وهم يستخرجونه يجمع الرمال التي تشتمل عليه ووضعها في سوبّات من طين يوقدون تحتها النار حتى يظهر الحديد فيصفونه .

« والرصاص » ويوجد في جبل الكُثم مسيرة يوم الى الشمال من كوبي

بدارفور ولكن يقال ان الحصول عليه صعب .
« والتطرون » وهو يستخرج من بشر التطرون المشار اليه آنفاً على طريق
الاربعمين .

« والملح » ويوجد ممزوجاً بالتراب السبخ في جميع الجهات واكثره في
جهات الاتبرة والدامر والبويضة وفي مكان يعرف باسم شرشار شمالي باره
ويوجد قطعاً تحت الرمال في واحة سليمة وفي وادي الكعب غربي دنقلة .
« وملح البارود » ويستخرج أكثره في جهات الخرطوم والفاسر وضواحيها
« والشب » ويستخرج من واحة الشب في غرب حلفا على ثلاثة ايام منها .
« والتربية » وهي نوع من التراب يحتوي على كثير من المواد الملحية توجد
في محلات معلومة في السودان وأكثرها في جهات بربر ويستعملونها دواء
للزهرى والحمى .

« والأنثيمون » او الكحل ويوجد كثيراً في جبل مرة .
وفي جبالها « الحجر الرمي والفرانيت » وفي بعض جهاتها وعلى الخصوص
في الضفة الغربية للنيل الازرق « حجارة كلسية » تحرق جيداً . وقد رأيت
في جهة الدبة وغيرها من الجهات القريبة من النيل قطعاً كثيرة من « الأشجار
المتعجرة »

ومعلوم ان اراضي السودان لم تكشف بعد حق الاكتشاف فإذا استخدمت
فيها معدات هذا العصر فلا يبعد ان تظهر فيها معادن لم تعرف بعد . وقد
سلت حكومة السودان الجديدة قانوناً للبحث عن المعادن ونشرته سنة ١٨٩٩
وباشرت الشركات الأوروبية البحث عن المعادن في اكثر انحاء السودان ولاسيا
في الصحراء الشرقية والأمل بنجاحها كثير ان شاء الله .

الفصل الخامس

في

هوائها

فصولها : أما هوائها فيختلف باختلاف الجهات ولكنه بالاجمال جاف شديد الحر . وفي السودان ثلاثة فصول في كل فصل أربعة أشهر وهي :
« فصل الخريف » - من يوليو الى اكتوبر - وهو فصل الامطار وفيه يفيض النيل وتورق الاشجار ويظهر النبات وتزرع الاراضي البعيدة عن النيل على المطر وفيه تتسلط الرياح الجنوبية فيبطل سير المراكب الشراعية في النيل لاجتماع التيار والرياح ضدها . وأول هذا الفصل أي عند اول نزول الامطار يعرف عندهم « بالرشاش » ثم عند اخضرار الارض بالنبات يعرف « بالربيع » وآخره اي عندما يأخذ الزرع في النضج يعرف « بالدرت » وفيه يشتد الحر وتكثر الحميات والأمراض .

« وفصل الشتاء » - من نوفمبر الى فبراير - وهو فصل البرد ولا ينزل فيه مطر كما في مصر والشام إلا أنه اطيأ فصول السودان وأصحها هواء وفيه تهب الرياح الشمالية فتعود المراكب الشراعية الى سيرها صعوداً في النيل ويتلطف الهواء فيشتد البرد في الصباح والمساء وفيه ينضج زرع الخريف ويؤزرع غيره على ماء النيل . وهو أهم الفصول الزراعية الآتي بيانها .

« وفصل الصيف » - من مارس الى يونيو - وهو فصل الحر وفيه تهب ريح السموم ويثور الغبار كما في ايام الخمسين في مصر وتزرع ارض السواقي والجروف .

امطارها : هذه هي فصول السودان في المنطقة المتوسطة او المنطقة الواقعة بين بربر وفاشودا ، أما المنطقة الشمالية والمنطقة الجنوبية فتختلف فصولها عن فصول المنطقة المتوسطة . بسبب الامطار فحد المطر المنطقي الشمالي في السودان خط ١٥ ° من العرض الشمالي إلا ان المطر يمتد شمالاً الى بربر أو جواليها فالمنطقة الشمالية من بربر فتازلاً شمالاً قلما يقع فيها مطر ولذلك ليس فيها إلا فصلان : الصيف والشتاء ، وأما المنطقة الجنوبية وهي منطقة بلاد فاشودا فيبدأ فيها المطر في مايو ويدوم نحو ستة اشهر الى اكتوبر فيكون فيها فصلان : الصيف والخريف . ثم كلما صعدت جنوباً الى جهة خط الاستواء يمتد فصل الامطار ويكثر حتى يتعاقب المطر والصحو أو الصيف والخريف عند خط الاستواء كل ايام السنة . ولأما متوسط ما ينزل من المطر في السنة :

ففي المنطقة الشمالية من عرض اسوان الى عرض بربر اقل من ١٠ قراريط . وفي المنطقة المتوسطة من عرض بربر الى عرض فاشودا من ١٠ : ٢٠ قيراطاً .

وفي المنطقة الجنوبية من فاشودا الى خط الاستواء من ٢٠ : ٤٠ قيراطاً . وتنصب الأمطار في السودان صباً كأنها من افواه القرب فلا يرافقها برد لحرارة البلاد وإنما يرافقها بروق خاطفة ورعود قاصفة تسبقها رياح شديدة وقد تنقض الصواعق فتقتل وتلف كل ما تصيبه .

رياحها : وتعرف الرياح في السودان « بالهبوب » وهي تهب في الصيف بطف وشدة فتثير الغبار والحصى وترمي بها الوجوه فتلدعها كأنها شرار من نار . وتزيد جر الصيف عنكاً وشدة . ويتولد من الهبوب اعاصير شديدة تدور على نفسها وهي ترحف حلالة للارباب على شكل اسطوانة هائلة ذاهبة في الجو

ولا تزال تشتد في الزحف وهي تصور على نفسها حتى تضمحل فيأتي غيرها وتسمى عندهم « بالعصار ». وفي آخر الصيف وأول الخريف أي في زمن الرشاش تهب الرياح اللواقع فتثير الغبار امامها بهيئة هائلة فيظهر من بعيد كالسحاب للمطبق عليه حمرة أو سواد حتى اذا حلت السحابة في مكان حولت نوره الى ظلام واضطرت الذين داخل المنازل ان يقفلوا الابواب والنوافذ وينيروا المصابيح ولو في رابعة النهار حتى تنقشع عنهم . وتثور هذه الريح بشدة وعنف فتقتلع كل ما تمر عليه من الاشجار الشاخنة والأبلية الواهنة واذا هبت على النيل اغرقت ما تصادفه فيه من المراكب والوابورات ولذلك يتجوبط لها النوتية فاذا رأوا عجاجها من بعيد اسرعوا يسفهم الى الشاطئ ويربطوها حتى تمر وقد لا تمهلهم ان يتحوطوا لها فتغرقهم وسفهم في النيل . وتعرف هذه العواصف عند البحرية « بالتلاقيح » وعند اهل البر « بالمهايب » .

حوارتهما : وقد تبلغ درجة الحرارة في الخرطوم في اول الصيف فوق ١٠٠° ف في الظل ، وتهبط في اول الخريف الى نحو ٦٠° ف ، فيكون متوسط الحرارة السنوي فيها على التقريب ٨٠° ف ، وهو يزيد في الجنوب ويقل في الشمال . اما اسباب ارتفاع الحرارة في السودان فامها مجاورتها لخط الاستواء واستواء أرضها وقلة ارتفاعها عن سطح البحر مع قلة جبالها وكثرة صحاريها .

امراضها : ومع ذلك فهواء السودان لا بأس به ومن مزايله عدا أنه جاف ان القرع والرمد نادرا فيه وأمراضه قليلة بخلاف المشهور عنها وأهمها : « الحمى الملارية » وتعرف عندهم بالوردة وهي تنفش في الغالب في زمن الدّرت الذي هو آخر الخريف ويعالجونها بمنقوع القرظ ممزوجاً بشراب العسل او بمنقوع التمر الهندي او ثمر التبليدي .

« والديننتاريا » ويسمونها الميسرة ويعالجونها باللبن الرائب ممزوجاً بالحلبة او بمسحوق عروق السنط او بأقراص النبق .

« والزهري » ويعرف عندهم بالحلت أو الخقيسل ويعالجونه بالعشبة

المعروفة او بالتربة المتقدم ذكرها ويمنعون العليل عن اكل اللحم والملح الى ان يشفى .

« والسيلان المجري » ويعرف بالبجل ويعالجونه بالعشب المعروف عندهم بالرُّبع يدقون عروقه اليابسة ويمزجونها بالبوزة التي يستخرجونها من الذرة ويسقون العليل منها بدلاً من الماء الى ان يشفى ، وأنفع من ذلك شرب السمن البقري منقوعاً به الحنظل .

« والدودة الوحيدة » ويعالجونها بشرب الحشيشة الحبشية ممزوجة باللبن .
« والجدرى » وقد يصير وبائياً فيعم البلاد كلها وهو أفتك بالسود منه بالعرب ويعالجون المصاب به بطعام البلح واللبن والبصل مع الذرة ويدهنون عينيه بماء البصل ويمنعون عنه اللحم والاطعمة الحارة ويبعدون عنه الروائح الطيبة وربما دهنوا انفه بالقطران ليضعفوا فيه حاسة الشم .

« والفرنتيت » وهو من الامراض الخاصة بالسودان ولا سيما في دارفور وكردوفان وهو دودة معروفة عند الاطباء بدودة غينيا وهي تكون خراًجاً تحت الجلد وتظهر غالباً في ساق الرجل ويسبقها اكلان في الجسم كله يدوم ساعة او اكثر فاذا شق الخراج ظهر في وسطه عرق رفيع مرن صدفى اللون وهو الدودة فلا يشفى المصاب إلا اذا خرج هذا العرق من اصله. وسبب هذا المرض على ما رواه الاطباء حشرة ميكروسكوبية تتولد في فصل الامطار او بعده فتدخل في الجسم فتقيم تحت الجلد وتولد الفرنتيت والارجح انها تدخل الجلد من خوض الماء لا من شربه ويقال ان النظافة التامة تقي منها .

والكرو : ويعرف بقرحة اليمن وهو آفة عنفرينية تحدث غالباً من خدش أو جرح في الساق فتلتهب وتتورم ويظهر في وسط الالتهاب نقطة سوداء فيعالجونها بلبخ الدرة الفترية او التمر الهندي حتى تزول فيظهر غور قليل ويبدو اللحم الأحمر ثم يتعاطم الغور حتى يصير كراحة اليد فيشمر المصاب بالآلام شديدة لا تطاق ولا ينفكون عن معالجته باللبخ الى ان يلتئم

الغور ويشفى . وقد لا تزول النقطة السوداء بالبلخ بل تبقى حتى ينخر العظم وتخرج منه شظايا وفي هذه الحالة ينتهي الأمر غالباً بموت العليل ، وقد رأيت كثيرين ممن أصيبوا بهذه القرحة فقالوا ان الجرح الذي اصابهم اولاً انما كان من عود نبات سام .

« ومرض الدم » وهو مرض التهاب السحائي الشوكي الدماغى أعراضه الخارجية القىء وارتفاع حرارة الجسم وتصلب في العنق من انحاء الرأس الى الوراء وألم في الخيخ والسلسلة الفقارية وقد يشتد الألم فيمنع المريض عن النوم اياماً ويعتريه هذيان تختلف مدته من يوم الى ثلاثة وقد يمتد الالتهاب الى مراكز البصر والشم والنطق فيعطلها تعطيلاً كلياً او جزئياً وفي الغالب ينتهي الحال بموت العليل . وفتكه بالسود أشد من فتكه بالبيض وهو في الصيف أشد وطأة منه في باقي الفصول . وقد انتشر هذا المرض في ام درمان بعد الفتح الاخير فمات به خلق كثير . وفيه مات محمد احمد المتهمدي السوداني .

« والجرب » وهم يحكّون المصاب به يوماً بعد آخر بقطعة من الفخار حتى يسيل منه الدم فيفساونه بالماء ولا يعرفون له علاجاً .

« والبرص » : وهو شائع بين السود والعرب على السواء وهم لا يعالجونه بشيء .

« والكوليرا » : ويسمونها الشوطة والقذاف وهي تأتي السودان من الهند عن طريق الحجاز ففتك بأهله فتكاً ذريعاً لأنهم لا يتحفظون لها ولا يعتنون بالنظافة .

هذه هي اشهر العلل في السودان وأكثرها عامّاً في كل البلدان كما ترى . وأهم ما يصاب به الاجني : الحمى والديزنتاريا وضربة الشمس ووجع المعدة والكبد والاضراس . وأشهر أسبابها شدة الحر والقيح وكثرة التغيرات الجوية وتماقب الحر والبرد في فصل الشتاء مع كثرة المستنقعات وعدم مراعاة شروط النظافة في الأكل والشرب والملبس . وأهم التحوطات التي يجب على الاجني

اتخاذها للوقاية من هذه الملل ان يلف حول معدته حزام صوف لا ينزعه عنها ليلاً ولا نهاراً وان يرتب معيشته ويراعي شرائط الصعقة التي أهمها النظافة والنوم الباكر والقيام الباكر مع تجنب المسكرات والافراط في الشهوات فإذا فعل ذلك وبدل هواء البلاد صيفاً بعد آخر حتى يعتاده وجد السودان موطناً طيباً ومهجعاً رحيباً كثير الخيرات وافر البركات ، لا سيما بعدما صار اليه الآن من حسن الحال وانتظام الاحكام .

الفصل السادس

في

نباتاتها

اشجارها : اشهرها : « النخيل » وهي تكثر في بلاد النوبة بين الشلال الاول والرابع وتقل في جنوبي الشلال الرابع . وأجودها نخيل سكثوت بين الشلال الثاني وجبل دوشه ثم نخيل المحس بين جبل دوشه والشلال الثالث ثم نخيل الشايقية في جنوبي دنقلة . والبلح انواع اشهرها البتموده وهو أفخرها ويؤكل رطباً وتمرأ ويحفظ للهدايا . ثم القربانة ولا يؤكل إلا رطباً . والسلطاني وهو مشهور بكبر حجمه وحسن منظره لا بجلاوة طعمه . والدقنه ويؤكل رطباً وتمرأ ويباع للتداوي إذ يظن انه نافع وللروماتزم . ثم القنديله والمهزكاوي وهما يؤكلان تمرأ ويدخلان في المتجر . وهم يستخرجون من البلح النبيذ والعرق والخل والعسل وذلك بالغلي على النار والتصفية على نحو ما يستخرجونها من العنب . ويصنعون منه بالتخمير مشروباً غير مسكر يسمونه الشربوت ومشروباً مسكراً يسمونه الدكاتي . ويسقفون بيوتهم بجذوع اللخل وسعفاه ويصنعون من سعفه أسرة للنوم ومن ليفه الحبال ومن ورقه البروش والمقاطف وغيرها من آنية البيت .

« والدوم » وهو من أخص اشجار السودان ويفزر من حد للشلال الرابع

فصاعداً جنوباً كما يغزر النخيل من هذا الشلال فنازلاً شمالاً . وللدوم شبه بالنخيل ولثمره شبه بالكثري وهم يحفون ثمره ويدقونه ويستعملونه غذاء ويسمونه المكا ويستخرجون منه عسلاً طيباً بالغلي على النار والتصفية . ويسقفون بيوتهم يجذوعه ويعملون من خوصه حصراً وآنية لئلا يفسد كما من النخيل .

« والدكيب » ويشبه الدوم إلا أنه املس ساقاً وأكثر ارتفاعاً حتى لقد يبلغ ارتفاعه مئة قدم أو أكثر وساقه صلبة اذا شقت وجوفت تستعمل قناة للماء وله ثمر كثمر جوز الهند يؤكل وهو ذو رائحة طيبة .

« والمرديب » وهو شجر الثمر الهندي ويحلى في فصل الخريف فيوضع في حياض ويهرس ثم يترك مدة ويجعل اقراصاً مثقوبة او كتلاً ويدخل في المتجر ويستعمل في جميع انحاء السودان مشروباً ملطفاً في الحميات والامراض الالتهابية .

« والسدر » وهو شجر التبق يكثر في كل الجهات إلا في دنقلة فهو قليل وهم يصنعون من ثمره اقراصاً كاقراص التمر الهندي يتناولونها غذاء ويدخلونها في المتجر . وخشبه متين لا يسطو عليه النمل الأبيض، ويصنعون منه المراكب الصغيرة والأسرة ويسقفون المنازل بفروعه لمرونتها وصلابتها .

« والتبلدي » ويسمونه الحمر ايضاً وهو شجر هش عظيم الحجم يبلغ محيط جذعه من ٢٠ الى ٢٦ قدماً . وله ثمر بيضي الشكل كثمر جوز الهند يسمى « القنقليس » وهم يتناولونه غذاء ومشروباً ملطفاً بوضعه في الماء أو اللبن وهو مسهل مروي للظما ومبرد في الحر والحميات والامراض الالتهابية . ويكثر هذا الشجر في جهات كردوفان والبحر الأزرق ، وفي كردوفان يحفونه ويخزنون فيه ماء المطر فيكون عندهم اشبه بصهاريج يشربون منها في الصيف . وتعرف الشجرة الموحفة لهذه الغاية بالقلنة (ج قلكت) . وفي لحائها ألياف جيدة جداً تصنع منها الحبال المتينة . وحد التبلدي الشمالي خط ١٥ ° من العرض الشمالي وهو حد المرديب ايضاً .

« والجوغان » وله ثمر كالنبق اصفر اللون لذيق الطعم يقرب من طعم الزبيب وخشبه احمر متين لين كالخيزران يصنعون منه خشب الاسلحة النارية وأقفاصاً للأسود وأسرّة للنوم وقد يصنعون منه المراكب .

« والقضيم » وله زهر ابيض جميل وثمر يؤكل وهم يقددونه ويدخلونه في المشروبات المبردة ويزعمون انه نافع لمرض الدم .

« والطنذب » وهو نجم يشبه البلاء في هيئته إلا أنه يعظم حتى يكون محيطه عشرين متراً او اكثر ترعاه الجمال وله ثمر يؤكل وهو احمر اللون في حجم العنب يسمى الحُنْبُتِي وفروعه مستقيمة او معوجة فيصنعون من المستقيمة الفلايين ويدخلونها في المتجر ، وأما المعوجة فلا تصلح الا للوقود ولا تقوّم ولو كانت طرية ومن ذلك قولهم : « فلان عوّج الطنذب » أي أنه لا يقوّم .

« والإهليلج » ويسمونه المهجليج وثمره اللالوب وهو بهيئة ثمر النخيل إلا أنه مغلف بقشرة وطعمه حلو مر كطعم خيار الشنبر وأهل السودان يأكلونه ويستعملونه مسهلاً بنقعه في الماء وشربه على الريق وهو كثير جداً في جميع أنحاء السودان الجنوبية ويعظم حجمه في بلاد كردوفان حتى لقد يبلغ محيط الشجرة الواحدة منه ثمانى أقدام ويستظل بظلها مئة شخص او اكثر وخشبه متين لا ينخره النمل الابيض .

« والمحيط » وهو شجر عظيم الحجم كشجر الأهليلج وثمره يشبه البرقوق وله بزر كقلب اللوز يصنعون من خشبه سروجاً للدواب وأقداحاً للطعام وألواحاً للكتابة لكنه لا يقيم طويلاً .

« والجيز » وهو قليل وهم يأكلون ثمره يصنعون منه القوارب والآنية للبيوت ولكن خشبه لين قريب الفناء .

« وشجر اللاستك » وهو كثير في جهات خط الاستواء وبحر الغزال وفي جنوبي كردوفان وهو شجر كبير كشجر الجيز وله حب صغير لا يؤكل تجرح غصانه الكبيرة بفأس فيخرج منها عصير لزج اذا ترك لليوم التالي جف وهو

اللاستك ويدخل في المتجر .

« والمُشَاب » وهو من اشجار الصمغ ويكثر جداً في بادية كردوفان وصمغه اجود انواع الصمغ وخشبه يقيم طويلاً لا ينخره النمل الابيض ويستخرج من لحائه ألياف متينة تصنع منها الحبال .

« واللبان » ينمو في أعالي النيل الأزرق ويخرج منه صمغ كلابان (البخور) .

« والسُنت » وهو مشهور بمثانة خشبه وصلابته وثقله فنه تصنع المراكب الكبيرة وآلات السواقي وهو الخشب الوحيد الذي يصلح لعمل المراكب الكبيرة ويثبت على الزمان ، وفي شجر السنت بزر يعرف بالقرط يستعملونه للدباغ ويخلطونه باللبن الرائب فيتخذونه لمنع الاسهال او يخلطونه بالعجين المحمر ويدهنون به جسد المحموم لتخفيف الحرارة ، ويثبت في اصل الشجرة عروق تسمى للطرطوس يدقونها ويستعملونها دواء لمنع الاسهال وينقعون بها الأباريق الجلدية المعروفة عندهم بالكروي (مفرداً ركوة) لتقوية الجلد ووقايته من التشقق .

« والسلم » وهم يدبغون بقشره ويتخذون فروعه عصياً .

« والكِتر » وفي لحائه ألياف جيدة تصنع منها الحبال .

« والسيال » وهو والكتر والسلم والسنت من اشجار الصمغ ايضاً ولكن صمغها قليل رديء ولا يدخل في المتجر الا بقصد الفش .

« والحَرَاز » يشبه للسنت وله ثمر كثير الخروب لكنه قه الطعم يصلح علماً للحيوانات وهم يصنعون من خشبه المراكب الصغيرة وأقداح الطعام ولكنها سريع الزوال .

« والمَرَد » وله زهر طيب الرائحة وقشر يدبغ به .

« والمُدُس » وهو شجر كبير يتكون منه غابات عظيمة يؤخذ من قشره أحسن الدباغ وأحسن الجلود هي الجلود المدبغة بقشر المدُس .

« والأبنوس » وهو من أخص اشجار السودان ، ويكثر على النيل الأزرق

وخور ابي حبل وهم يصنعون من خشبه العصي والكراسي والموائد والوسائد والصناديق والسُّبُح ويدخلونه في المتجر ويستخرجون منه القطران فيداوون به البواسير ويقولون انه أنجع دواء لهذا الداء .

« الكاكوت » وهو شجر شامخ مستقيم الجذع شبه السرو تسقف به المنازل الفاخرة وخشبه صلب تصنع منه الآنية وغيرها واذا جف طفا على وجه الماء .

« والاندراب » وهو شجر عظيم الحجم شبيه بالسنتر ترعى ورقه الجمال ويصنع من خشبه الابواب والشبابيك ومن فروعه عصي الحراب وعصي الحل وخشبه جيد متين خفيف سهل النشر واذا جف يطفو على وجه الماء .

« والحليل » وهم يستعملون خشبه في البناء ويصنعون منه قوائم الأمرة والكراسي وعيدان القؤوس . والنساء تنبخر لطيب رائحته .

« والبشتم » وهو شجر البشام ساقه صقيلة ولون خشبه ابيض مصفر يصنعون من غليظ فروعه أنصبه للسكاكين ومن رقيقها النبال وعصي الحراب وعصياً للحمل معقوفة كالصولجان كثيرة الاستعمال في السودان .

« والعشّر » المعروف وهم يدخلون قشره في مواد البارود ويصنعون من خشبه أسرجة للحمير وألواحاً للكتابة وقوارب صغيرة وخشبه متين خفيف وفي سوقه ليف يصنعون منه الشباك وفي قشر ثمره زغب حريري يحشون به الوسائد .

« والأراك » المعروف يتسوّكون بفروعه طرية او يابسة ويأكلون ثمره المعروف عندهم بالشار ! ويؤتى من الحبشة بعشبة تعرف بشاو الحبشي تستعمل مسهلاً للدودة الوحيدة .

« واللغوت » يشبه شجر الليمون وشوكه حاد تتخذ اغصانه سوكا وأليافه حبلاً .

« والصباغ » وأكثره في بلاد كردوفان والنيل الأزرق وهو مستقيم الساق مخروطي الشكل كقالب السكر تسقف به البيوت ومق كبر قفوع

منه فروع مستقيمة ايضاً يسقف بها وخشبه يعرف بالشاف وهو افضل ما
تتبخر به اللساء .

« والكُلَيْت » وهو شجر كبير كالسنط تتبخر اللساء بخشبه كالشاف
ولكنه بعد الشاف في الجودة .

« وشجرة اللولو » وهي من اشجار بحر الفزال تشبه شجر الجوز ولها ثمر
في داخله نواة قدر الكستنا يدقونها ويقلونها على النار مع الماء فيستخرجون
منها دهنًا لطيفاً يستخدمونه في أطعمتهم بدل السمن .

« وشجرة الحمرة » وهي ايضاً من اشجار بحر الفزال وتشبه شجرة الجيز
تجرح فروعها بفأس فيخرج منها عصيرٌ اذا ترك الى اليوم التالي صار خراً
يشربونها .

« والروم » ويكثر في بحر الفزال وخط الاستواء وهو شجر كبير يحمل
ثمراً كسابل الذرة فيه مادة ناعمة بيضاء كالحرير يستعملونها حشواً للوسائد .

« والسنا » ويعرف ايضاً بالسنا المكبي وهو كثير في جهات البحر
الازرق والصحراء الشرقية يستعملون ورقه مسهلاً وحده او ممزوجاً بالتمر
الهندي ويدخلونه في المتجر .

« والحناء » المعروف وهو كثير ويدخل في المتجر

« والخروع » وهم يستخرجون منه زيتاً ويدهنون به رؤوسهم وأجسادهم

« والْحَكْنَيْت » وهو نبات ويريُّ كثير جداً في كردوفان وله
حبٌ كحب الرشاد يعرف بالكوريب يأكلونه في أيام المجاعات ممزوجاً
بالذرة او مجرداً عنها .

« والْحَيْكَيْت » ويكثر في الجنوب وهو نجم شائك معترش يقال انه
يسمُ الجمال .

« والحنظل » وهو معروف ويستخرجون منه زيتاً يدخلونه في عمل
القطران .

« وشجر السم » وهو نجم كشجر الصير تفرز فيه السهام وهي بحية فيسما .

« والسلعلع » من النباتات اللافة السامة المريضة الساق اذا التف على شجرة أييسا . ومن أمثالهم (فلان عرق سلعلع) أي انه شؤم على صاحبه .

« والمرخ » وهو نجم ينبت ويرتفع في الجو حتى يستظل به وليس له ورق ولا شوك وقضبانة دقيقة خضراء كأغصان البان وهو من شجر النار سريع الوري تأكله الجمال وينبت في الصحاري الرملية . ويستخرج منه ألياف دقيقة متينة جداً تصنع منها الشباك وقد يمكن استخراج ألياف منه صالحة للنسج فليستبه لذلك .

« والمخرب » وهو نبت الإذخر طيب الرائحة يستعملونه لبناء الاكواح ويغنون قشه مع البلح فيستعملونه طباً .

« والحلفاء » من اشهر نباتات السودان تأكله الجمال والدواب وهم يحففونه ويحذلونه حبلاً متينة يشدون بها السواقي والأشربة .

« والنجيلة والدفرة والسعدة والحُمرة » وهي من اجود الاعشاب التي ترعاها البهائم وأفضلها النجيلة .

« والطرفاء » يكثر على النيل الازرق وخشبه جيد يصنعون منه القوارب وأسرجه للحمير يستخدمونه في عمل البارود وله عقص يستعمل في الصباغة .

« والصفصاف » وهو ينبت على ضفاف النيل فيغمره الماء غالباً وقت الفيضان وهم يدخلونه في مواد البارود ويصنعون من اغصانه السلال ومن ورقه صباغاً يصبغون به خوص النخل الذي تصنع منه الحصر .

« والقنا » وهو قصب مصمت الساق يكثر في اعالي النيل الازرق وهم يأخذون منه عصي الحراب والدرق ويسقفون به ويصنعون منه مفازل القطن .

« وقصب البردي » المعروف بالببيروس وقد كان قديماً منتشراً في جميع وادي النيل وكان المصريون القدماء يستعملونه ورقاً للكتابة كما هو مشهور

ولكنه انقطع الآن من وادي النيل ولم يبق منه إلا في اعالي النيل الابيض من فاشودا فصاعداً جنوباً .

« والغنج » نبات كالقصب إلا أنه اخف من القلن وهو يكثر في جهات خط الاستواء وبحر الغزال ويصنعون من سوقه أطوافاً يسمونها الطرور ويستعملونها لشحن الحبوب على اسلوب بسيط جداً فانهم بعد شحنها يدفونها في وسط التيار فتسير بقوة حتى تصل الى المكان المقصود فيوقونها وهي آمن من المراكب .

وأكثر اشجار السودان وأعظمها في المنطقة الجنوبية التي هي منطقة الأمطار فيها غابات عظيمة وأحراج متسعة غاصة بالحيوان والطيور وأخص أشجارها الهشاب والطلع والسنط والسلم والكتر والتبليدي والأبنوس والسدر والمرديب والاندراپ والمدس والكاكوت والطرفاء والقنا وغيرها من الأشجار المتقدم ذكرها .

مزروعاتها : وأهم مزروعات أهل السودان :

« الذرة » وأكثر زراعتها في بلاد النيل والسودان الشرقي وهي عندم أنواع أشهرها الفتريته وتزرع في الجزيرة على المطر . والكرقي ويزرع في السودان الشرقي . وأم قرظ والصفرا وتزرعان على النيل الابيض . والمقْد يسمى عيش الجزائر لأنه يزرع فيها وهو من أجود أنواع الذرة ولا يقتنيه إلا المتعمون . وعيش الريف وهو المعروف في مصر بالذرة الشامي وزرعهم له قليل وهم يزرعونه على السواقي . وعيش الطيف وهو أعز أنواع الذرة وله فريك يعرف بالشعشم وهو لا يخصب إلا في القصارف وأهلها يخزنونه ويرسلون منه هدايا الى كل جهات السودان .

« والدخن » وهو اصفر حباً من الذرة ويزرع في الاراضي الرملية وأكثر زرعه في كردوفان ودارفور حيث يزرع على المطر وعليه اعتماد اهلهما .

ويستخرج من الذرة والدخن نوع من السكر يسمونه البوزة او الماريسه وهو مشروبهم الخاص ويصنعون منها نوعاً من الخبز الرقيق يسمونه الابريه

يلونه بالماء مع السكر ويستعملونه شراباً .

« والتيلبوت » وهو اصفر حبا من الدخن يزرع في بحر الغزال وخط الاستواء .

« والقمح » ويزرع على قلة لأن أكلهم له قليل .

« والشعير » ويزرع على قلة ايضاً لأنهم يملفون خيلهم الدخن او الذرة ولا يملفونها شعيراً إلا في دنقلة .

« والسسم » ويزرع بكثرة وأكثر زرعته على المطر في الجزيرة والقضارف وكردوفان وهم يستخرجون منه الزيت المعروف بالسيرج ويستعملونه غذاء ودهاناً .

« والقطن » وهو يوجد فيها . ويزرعون قطناً يسمونه قطن ممتاز نسبة الى ممتاز باشا الذي ادخل زراعته الى السودان ايام كان والياً عليها مدة الفتح الأول وبعد الفتح الاخير ادخل « السر رجينولد ونجت باشا والي السودان الحالي » زراعة القطن الاشعوي والميت عفيفي من مصر فلم تقض عليه مدة التجربة بعد . وهم يخلجون القطن بآلة تعرف بالفوغلنية شبيهة بدولاب الخلاجة في مصر ويحكون منه قماشاً خشناً شبيهاً بالخام يعرف بالدمشور وهو ليس عامتهم وقماشاً أرق منه يعرف بالقنجة وهو ليس خاصتهم .

« والدخان » ويسمونه التنباك وهو خشن رديء ولكن في الفتح الأول دخل بلاد القضارف نوع منه عرف بالتنباك السوري فجاد حتى كان افخر دخان مصر . وهم يشربون الدخان بالغليون المعروف عندهم بالكندوس وفي مصر بالشبك ولكن غالبهم يعضونه مضغاً بإضافة قليل من النطرون اليه وهو المعروف عندهم بالسفة . او يسحقون ورق الدخان ويضيفون اليه قليلاً من النطرون او الجرودة (نوع من التراب) فيستعملونه نشوقاً .

ويزرعون من انواع « القطاني » الفول العادي ، والفول الكردوفاني المعروف في مصر بالفول السوداني ومنبتة كردوفان وهم يدخلونه في الحلويات بدل اللوز ويستخرجون منه زيتاً يأكلونه ويدهنون به . والحمص ويسمونه

كبكيك ، والعدس ، والماش ويسمونه لوبيا عدس ، والبازلا والترمس .
 ويزرعون من « الحضرافات » : الباميا وقد تثبت لنفسها فتعرف عندهم
 بالويكه . واللوبيا ويسمونها في دنقلة كشرنقيق وأكثر ما كوتهم من هذين
 الصنفين ، والقرع يصنعون منه آنية للشرب ، والكومى ، والباذنجان ،
 والطماطم والملوخية ، والسلق ، والرجلة ، والكرنب ، واللفت ، والجزر ،
 والكزبرة ، والبقدونس ، والشمره ، والفجل ، والثوم ، والبصل ، إلا أن
 البصل غير معروف في بلاد السود ، والحلبة وهم يمزجون دقيقها بدقيق القمح
 واللبن والسمن ويتخذونها مقويات و يمزجون حبها باللبن ويستعملونها مضاداً
 للاسهال ، والبطاطا وهي تثبت لنفسها في السودان الجنوبي ، والشطة وهي
 نوع من الفلفل الاحمر وأجود التوابل عندهم .

ويزرعون من انواع « الفاكهة » : البطيخ ويعظم هناك حجمه جداً
 ولكنه لا يكون حلو كبطيخ يافا وفي بعض جهات كردوفان حيث تقل المياه
 في الصيف يستعيضون بأكله عن شرب الماء ، والجرم وهو نوع من البطيخ
 يأكلونه مسلوقاً ومشوياً ويأكلون بزره محمصاً بالملح ، والشام ، والخيار ،
 والقثا ، والمجتور ، وقصب السكر ويستخرجون منه في بعض الجهات عسلاً ،
 والعنكوليب وهو نوع من قصب السكر الا انه أقل حلاوة منه ويكثر في
 بلاد التاكا وكالقضارف وهم يستخرجون منه عسلاً ايضاً . والموز وهو كثير
 في فروع النيل الابيض خصوصاً في خط الاستواء وبحر الغزال ويكبر ثمره
 حتى تبلغ الموزة الواحدة قدر الساعد وهم يصنعون منه مشروبات روحية !
 وترى في مدن السودان جنائن فيها من انواع الفاكهة البرتقال ، والليمون ،
 والمان ، والعنب ، والتين ، والقشلة وغيرها .

الفصل السابع

في

حيواناتها

حيواناتها البرية : وفي السودان كثير من الحيوانات البرية والأليفة لكن البرية اكثر جداً من الأليفة لكثرة الصحاري والغابات وأشهرها :
« الأسد » ويسمونه الدابي ودود الخلا ويصطادونه صغيراً ويربونه او يصطادونه كبيراً فيجعله ملوكهم على ابواب منازلهم ليزيدوها مهابة ووقاراً .

« والفيل » وهم يصطادونه لأجل سنه وجلده فيدخلون سنه في المتجر ويصنعون منه أساور ومكاحل وأغطية للركاوي وكراسي للوسائد الخشبية ومقابض للمراوح والعصي . ويعملون من جلده الدترق . ولكنهم لا يدجنونه كما في الهند . وقد قدر الباحثون ان الفيل ينقطع من افريقية بعد ١٥٠ الى ٢٠٠ سنة .

« ووحيد القرن » او الكركدن ويسمونه العنزة ام قرن ويصطادونه لأجل قرنه المعروف بالخرتيت فيصنعون منه كاسات وفناجين وأنصبه للسكاكين .

« والزرافة » وهم يصنعون من جلدها نعالاً ودرقاً ومن ذيلها منشآت

ويستمرثون لحمها جداً ويقددونه كما يقددون لحم البقر .
« والجاموس البري وبقر الوحش » وهم يصطادونها ويصنعون من جلودهما الدرق .

« وحمار الوحش » ويسمونه حمار الحلا او حمار الوادي وأكثره في الصحراء الشرقية وهم يصطادونه ويدجنونه .

« والذئبة » وتعرف خطاهم عندهم بحمار الوحش .

« والضبع » وتعرف عندهم بالمرغيب او المرفعين وهي كثيرة جداً حتى لقد تدخل البلاد العامرة وتسطو على المواشي والأولاد .

« والذئب . والنمر . والفهد . والنمس . والقنفذ . والثعلب » ويسمونه البعشوم .

« والحزير البري » ويسمونه الحثوف وهم يأكلون لحمه .

« وابواظلاف » وهو شبه الحلوف لكن له اظلاًفاً كأظلاف الغنم يحفر بها وجاره ويميش تحت الأرض كالخلد .

« والمهر البري » ويسمونه كديس الحلا .

« وهر الزباد » ويسمونه كديس الزباد ويصطادونه لأجل زياده ويتجرون به .

« والثيتل » وهم يصنعون من قرونها عصياً لطيفة .

« والغزال » وهو انواع شتى تسرح في صحاريها اسراباً .

وفي غاباتها كثير من انواع « القروء » بينها : الاوران اوتان وهو أشبهها بالانسان ويعرف عندهم بالبيعام .

وهم يصطادون الكولمر بالبنادق والحيل والشرار . وأبسط شركهم حفرة يحفرونها في طريق الكوامر على عمق خمسة امتار او اكثر ويفوزون في قعرها اوتاداً متينة متعددة الرؤوس ويسقفونها بالعيدان والبروش (الحصر) ثم يثون فوقها التراب ويجعلونها كالارض التي حولها حتى لا يبقى ما يدل عليها إذ الكوامر ولا سوا الاقيال شديدة النكر تتحرز من اقل شيء يوجب

الاشتباه فاذا حُرَّ الكاسر بالشرك هوى به فيحاول التخلص فتشمه الاوتاد تهشياً ويموت قهراً في وسط الحفرة . ومن شراكهم شرك الماعز وذلك انهم يربطون ماعزاً الى وتد ويحفرون حوله خندقاً مستديراً بحيث يبقى الماعز قائماً على اسطوانة من الارض حول الخندق ثم يوارون الخندق بالعيدان والتراب على نحو ما تقدم فيأتي الكاسر لاختطاف الماعز فيهوي في الشرك ويبقى الى ان يأتي الصياد فيرميه بالحراش حتى يقتله . ومنها شرك الحبل وذلك انهم يربطون بطرف حبل خشبة كبيرة يطمرونها في طريق الكواسر ويحفرون حولها حفرة يعقدون فوقها الطرف الآخر من الحبل على شكل حباله ويطفونها فاذا جرَّ الكاسر بها نشبت الحبله في رجله فيحاول الفرار منها فيتعثر بالخشبة التي في الطرف الآخر من الحبل ويصير كلما ركض يتعثر بها حتى تخور قواه فيأتي للصياد ويرميه بالحراش حتى يقضي عليه .

حيواناتها الأليفة : وأما الحيوانات الأليفة فهي : الابل ، والحيل ، والحير ، والبنغال ، والبقر ، والضأن ، والمعزى ، والكلاب ، والهررة . أما « الابل » فهي كثيرة في جميع بوادي السودان وأهلها يؤجرونها لتجار الحضر ويقتاتون بلحومها وألبانها ويلتفعون بجلودها ويصنعون بعض خيامهم من اوبارها . وهي اما للحمل او للركوب . وأشهر ابل الحبل ابل الهدندوة فانها اصبر على الجوع والعطش من سائر الابل ويهون على الهدندوي بيع كل عزيز لديه إلا جله . وأما ابل الركوب أو الهجن فاشهرها ابل البشاريه فهي أسرع جرياً وأخف حركة وألين ظهراً من سائر الابل ، والابل اسهل مركباً من الحيل وغيرها من الدواب ولا سيما في الأنفار الطويلة والمفاوز البعيدة . وهم يحملون لها خزاماً في انفسها فيكون لها كالشكيمة للفرس .

وأما « الحيل » في السودان فتلاثة أجناس أعزها الدثقلويه وهي رشيقة اللد طويلة الشعر ممشوقة القوائم ظريفة الرأس سريعة الجري إلا أنها قبيحة الكفل . ومنها أصل من خيل جزيرة ارقو يُعرف بأصل (دوتا) لهم فيه خرافة لطيفة قالوا : خرج من النيل الى هذه الجزيرة حصان من خيل البحر

فعلا فرساً لملك الجزيرة فولدت منه اصل دونا وهو عزيز جداً في دنقله ولا يقتليه إلا كبرائهم . ثم الغرابوية أي خيل الغرب في كردوفان ودارفور وهي ليست ممشوقة كالخيل الدنقلوية إلا أنها أصبر منها على التعب والعطش . ثم المكادية أي خيل الحبشة وهي أردأ خيل السودان وتأتيها بطريق القلابات ولكن يأتي من بلاد القالا أصل كريم من الخيل يعرف بأصل (جنافنجان) وهو عزيز عندهم ولا يقتليه إلا ملوكهم . وأهل السودان يتفاخرون باقتناء الخيل ولا يعنون بشيء كمنائيتهم بها فهم لا يستعملونها إلا للركوب ولا يسقونها الماء الا بعد ترشيعه ويطلقونها الشخير والذرة وفي الخريف يملفونها النجيلة وقد يسقونها بعد الملف اللبن ممزوجاً بالسكر لتقويتها وتسميتها ، ولكنهم لا ينعلونها ولا يقصون شعرها . ولهم معرفة في طبها واعتبارات شتى من حيث كرامتها وقوتها وسعدها ونحسها كأهل مصر والشام إلا ان هؤلاء اوسع بها خبرة .

وأما « الحمير » فمنها بلدي ويعرف عندهم بالعربي ويستعمل لحمل الأثقال ومنها مجلوب من مصر او مولد ويستعمل للركوب ! وأما « البغال » فقير مألوفة عندهم ولا يوجد منها الا القليل المجلوب من الحبشة .

ومن الغريب ان الإبل والخيل لم تكن معروفة عند المصريين القدماء ولم يسمع عن الخيل في مصر قبل القرن الثالث عشر قبل المسيح وسمع عن الإبل بعد ذلك واما الآن فحدث الإبل في السودان عند خط ١٣° من العرض الشمالي تقريباً فإلى جنوبي هذا الخط لا تعيش الإبل ولا الخيل ولا الحمير اذ تتسلط عليها ذبابة سامة تعرف بالسروت فتقتلها .

وأما « البقر » فكثيرة في جميع جهات السودان الجنوبية وتدخل جلودها في المتاجر لكثرتها . وكانت الحكومة في الفتح الاول تجلب قطعاناً منها الى مصر كل سنة عن طريق دنقلة . وعرب السودان يستخدمون الثيران للركوب وحمل الأثقال فيجعلون لها سروجاً من قش وأحزمة كأحزمة الإبل ولكن غالب بقر السودان صغيرة الأبدان دقيقة الاعضاء طويلة القرون لا تصلح

للممل الشاق . وينتاب البقر وباء يفتك بها فتكا ذريعا كما حدث في
السنين الفائتة .

وأما « الغنم » فجماء طويلة الذيل والقوائم . « والمعزى » صغيرة الجسم
نحيفة .

وأما « الكلاب » فأفضلها جلس يعرف بالسوقي وهو من كلاب الصيد
المشهوره وقد رأيت كلبا منها في برية دنقلة يطارد أرنابا فلم يلبث ان قبض
عليه وأتى به الى صاحبه . والأرنب كثير في صحاري السودان وهم يأكلون
لحمه ولكن قل من يدجنه .

طيورها : وفي السودان أجناس شتى من الطير برية وأليفة . أما الأليفة
فهي الدجاج البلدي ويقولون له الجداد وهو كثير جداً ولا سيما في الجهات
الجنوبية . والدجاج الرومي ، والبط ، والأوز والحمام على أنواعه .

وأما « البرية » فأشهرها النعام ، وهو كثير في جميع بوادي السودان
ويصطادونه لأجل ريشه الذي هو من أهم المواد التجارية عندهم ويأكلون لحمه
وقد يريونه في زرائب خاصة للارتفاع به وأشهر من ربي النعام عربان حمر في
غرب كردوفان ! ويصطاد النعام بالبنادق والخيول أما صيده بالخيول فكما
رواه لي بعض صياده أن الفارس يطارد النعام في فلاته فلا يولي النعام ظهره
كما قد يتبادر الى الذهن بل يولي جنبه ويعدو في دائرة متسمة فيتصدى له
الفارس محاولاً قطع طريقه في دائرة أضيق منها حتى يكل النعام فيدركه
الفارس ويضربه بالسوط على رأسه فيجندله ويرجع به غائماً .

ومن الطيور البرية : النسور ، والعقاب ، والصقر ، والحدأة ، والرخم ،
والقطا ، والسماقي ، والحجل ، والقمرى ، والهدمد ، والدجاج البري أو
« جداد الوادي » .

ومنها « الدوري » الذي لا تخلو بلاد منه .

« والحباري » وهي شبه النعام وهم يصطادونها ويستمرئون لحما .

« والبيغاء » ويسمونه الخضاري ويحلب منه كثير الى مصر .

« والغراب » وهو دليل الشؤم . « واليوم » وهو أشأم منه .
 « وأبو منجل » (Ibis) سمي بذلك لأن هيئة عنقه ومنقاره تشبه
 للمنجل وهو الطائر الذي كان للمصريون القدماء يحلونه ويحترمون احتراماً
 يقرب من العبادة .

ومنها « البلبل » والهازار ، والكروان ، وغيرها من الطيور الجميلة المنظر
 الحسنة الصوت . ومن هذه الطيور طائر يقال له « أت تكبو » يشبه الببغاء
 في لونه وحجمه إلا انه اطل منقاراً وأقصر ساقاً وهو مشهور بغيرته على أنثاه
 قيل انه لا يفارقها ليلاً ولا نهاراً حتى تأتي أيام حضانتها فيسد عليها العش
 بالطين ويترك ثقباً صغيراً يناولها منه الغذاء وتبقى كذلك الى ان تفرخ فيفتح
 لها الباب ويلازمها . ومن أمثالهم « فلا حكمة حكم أب تكو على امرأته » .
 وأما « الطيور المائية » التي تعيش على الاسماك والنبات فأشهرها : جل
 البحر ، وأبو سمن ، وأبو مغازل ، والغطاس البحري ، والبسط ، والأوز ،
 والسقدة وهو يشبه الحمام ، والقلق ويسمونه السميرية ، والرهو وهو الكركي
 وهم يصطادونه ويستمرئون لحمه ، والعرونق وهو أطف الطيور المائية .

زحافاتا وهوامها : وفيها من الزحافات : « السلحفاة » وهم يأكلون لحمها
 ويبضها ويصنعون من محارها الدرق . « والورل والحرياء والوزغة » .
 وفيها انواع شتى من « الثعابين » السامة وغير السامة أشهرها « الأصلة »
 وهي من الثعابين غير السامة إلا انها هائلة الحجم تبلغ من الطول أربعة امتار
 او اكثر وجسمها كجسم الطفل مغطى بقشور سمكة . يكثر وجودها في
 الغابات فتسكن تجاويف الاشجار وتعيش على الحيوانات فتبتلعها ابتلاعاً ثم
 تهضمها هضمًا تدريجياً . وهم يصطادونها لأجل جلودها فإنهم يعملون منه أحزمة
 وأحذية وفي خرافاتهم أن الحامل اذا تمنطقت بجزام مصنوع من جلد الأصلة
 أمنت كل ضرر وان الحجاب الملقوف بجلد الأصلة يقي حامله فعل الرصاص
 والعين . وأما كيفية صيدها فهي أنهم يزربون لها في المكان الذي تقتابه زرباً
 متيناً ويعملون داخله حيواناً ضخماً فتأتي الأصلة وتبتلمه فتدزح في مكانها

فيوقدون النار اذ ذاك في الزَّوْب فتموت حرقاً واذا نجحت قتلت من تجده في طريقها شر قتلة لا باللدغ لأنها غير سامة كما مر بل بالتفافها عليه وضغطها له ضغطاً شديداً يزهق روحه .

وفيها « العقرب » وهي سامة جداً .

« وأبو شبت » وهو شبه الرتيلاء إلا انه سام كالعقرب .

وأمنح علاج عندهم للذع الحيات والمقارب الكي بالنار وشرب التمر الهندي مع الملح ونشارة الخريت مغلية بالماء .

« والجراد » وهو يتكوّن فيها او تقذفه الرياح من الحبشة او الحجاز ويحيي أسراباً كثيفة حتى اذا طار حجب عين الشمس أو حلّ غطى وجه الأرض وحيث حلّ لا يبغي ولا يذر فيتلف المزروعات والأشجار إتلافاً تاماً ويعمّ بسببه الجوع . وقد يبيض وينقف فيشند بلاؤه وهو شرّ الآفات على السودان من خط الاستواء الى سواكن .

« والفار » وقد يكثر جداً في بعض الجهات فيعمث في الزرع ويعظم شره .

« والأرّضة » وهي نوع من الذباب شبيهة بالنمل عظيمة الضرر تكره النور فتكن في التراب تحت وجه الأرض حتى اذا وضع عليه متاع من خشب او جلد او نسيج علقت به في الحال وقرضته من أسفله وهراته هراً . لذلك لا يترك اهل البلاد أمتعتهم على الأرض بل يعلقونها في السقوف او يضعونها على حجارة صلبة فإنها لا تنسلق عليها إلا بعد حين اذ تبني على نفسها أزجاً من التراب شبه دهليز تستر به وتدب الى المتاع فتشب فيه وتلفه . وهي تكثر في بلاد دنقلة وتقل في بربر .

« والسرّوت » وهي ذبابة سامة قدر النحلة لها حمة واحدة تلذع الانسان والحيوان وتقتل من الحيوان الابل والحيل والحير وتوجد في أعالي النيلين الابيض والازرق وتكثر في زمن الامطار .

« والذبّاب العادي » وهو كثير جداً وشديد الوطأة .

« والبعوض » أو الناموس وأكثره في أعالي النيلين الابيض والازرق ومنه

نوع مشهور بتقل جراثيم الحمى الملارية وغيرها من الحميات .
 « والبق » ويسمونه المرقوت او المرقون . « والقمل » ويكثر في عامتهم
 فيملأ ثيابهم وفرشهم لكثرة اوساخهم . وأما البرغوث فقير معروف عندهم .
 « والنحل » وهو كثير في كل جهة ولكنهم قلما يمتنون بتربيته بل يحنون
 الشهد من خلاياه التي يصنعها في الجبال والغابات .
 « والفراش » ويكثر جداً في زمن الامطار حتى يكون كالجراد المنتشر
 « والنامتة » وهو نوع صغير جداً من الهوام يكثر بعد الغروب حتى
 يكاد يطفئ الانوار من شدة تهافته عليها .
 هذا وفي السودان غير ما ذكر كثير من الطير والحيوان مما لا يعرف له
 اسم عندهم . او مما تختلف اسماءه باختلاف البلدان . وقد وضعت حكومة
 السودان الجديدة قانوناً منعت فيه صيد بعض الحيوان والطير وسمحت بصيد
 البعض الآخر برسم معلوم .



رجال المالك

الفصل الثامن

في

سكانها

أصولهم ، وقبائلهم ، ومواطنهم

أما سكان السودان فمن شعوب مختلفة وقبائل شتى تجمعهم خمسة اصول كبار وهي السود ، وشبه السود ، والبيجه ، والنوبة ، والعرب ، ما عدا الاجانب والمولدين .

السود : اما السود ويُعرفون ايضاً بالزنج والمبيد فهم سكان أفريقيا الاصليون ومن أصل قديم قبل التاريخ وهم في عُرف علماء الطبيعة من السلالة الثالثة التي هي أدنى السلائل البشرية . وقد انحسروا الآن في افريقيا الجنوبية وفي أعالي النيلين الابيض والازرق من بلاد السودان وهم منقسمون فيها الى قبائل شتى لكل قبيلة منهم لغة خاصة ومذهب خاص من الديانة الفلتشية او الطبيعية وعليها رئيس ديني وملك من جنسها . وكلهم حضر لا بادية فيهم ولكنهم ما زالوا على الفطرة الاصلية عراة الابدان لا مدنية لهم ولا علم ولا صناعة . ودأبهم الزراعة قدر كفايتهم وصيد السمك في النيل والحيوان في البر وغزو بعضهم لبعض . وهم يقتنون البقر والضأن والمعزى والدجاج

والكلاب ويعنون بتربية الأبقار عناية تقرب من العبادة . وأشهر قبائل السود في أعالي النيل الأبيض :

« الشلك » وبلادهم غربي النيل الأبيض بين جزيرة أبا وبجيرة نو وهي سلسلة من القرى متصلة بعضها ببعض على كل قرية شيخ وكل مجموع من القرى ناظر وعلى الكل ملك يقيم في فاشوده . وهم من أقوى قبائل السود وأطولهاقامة .

« والدنكا » ويسكنون شرقي النيل الأبيض تجاه الشلك وشمالى خط الاستواء وهم أشد قبائل السود سواداً ومن أجلها شكلاً .

« والنشور » وهم بين بحر سبت وبحر الغزال وفي بلادهم يتسع النيل وتكثر السدود والمستنقعات حتى ان بعضهم يسكنون الجزر فيعيشون على الأسماك والنباتات كالطيور المائية .

« والبور » والشير » في شمالى خط الاستواء .

« والباري » وهم أفرس قبائل السود وأحسنهم خلقاً وأبهام طلمة وأشهر محلاتهم كوندوكرو وباري .

« والمادي » في جنوبيهم وهم يشبهونهم في الهيئة والاخلاق والعادات « والشلي » في رأس بحر الجبل شمالى بحيرة نياتزا وبين لفتهم ولفة الشلك مشابهة كلية حتى ظن بعضهم انهم والشلك من اصل واحد .

« واللاتوكا » في شرق بحر الجبل وهم لا يشبهون جيرانهم السود في شيء ويختلفون عنهم في الهيئة والاخلاق والعادات كما يختلفون عنهم في اللغة وقد أجمع السياح الذين اجتأبوا بلادهم انهم هم والقالا الذين في جنوبي الحبشة من أصل واحد . وهم في حروب مستمرة بعضهم ضد بعض ولولا ذلك لكانوا أقوى امم افريقيا .

« والمكارك » وبلادهم غربي بحر الجبل في جوار المادي وهم فروع من النيام نيام ويمتازون عن الامم المحبطة ... بأنهم أقبل فطناً وخدودهم

أقل بروزاً وزاوية وجوههم أكثر انفرجاً وشعورهم أطول وأسطح . وهذه القبائل الخمس الأخيرة واقعة وراء الحد الجنوبي للسودان الحالي .

« والجانقي » وهم فرع عظيم من الدنكا وأكبر قبائل بحر الغزال وأشدّهم بأساً وأطولهم قامة وسكناتهم السهول الواطئة الشمالية .

« والبنقو » ويسكنون السهول المرتفعة جنوبيهم وهم أرقى قبائل بحر الغزال بل هم في رأي شوينفرت السائح الألماني الشهير أرقى عقلاً من سائر قبائل السود ويمتازون عنهم بالوداعة ولين الجانب وجب العمل . والفرق بينهم وبين جيرانهم الدنكا في اللون كنسبة الفرق بين تربة القنبلة الواحدة وتربة الأخرى فتربة البنقو حمراء فاتكة لما فيها من الحديد وتربة الدنكا سوداء اذ لا حديد فيها ولذلك ترى لون الدنكا اسود حالكاً ولون البنقو احمر فاتكاً وهم يستخرجون الحديد ويستغلون به .

« والقولو » وهم في غرب البنقو ويشبهونهم في هيئاتهم وأخلاقهم وعاداتهم . « والجور » وبلادهم بين الدنكا والبنقو وهم يرجعون في انسابهم الى الشلك ويتكلمون لغتهم ولا يعنون باقتناء الابقار كغيرهم من السود بل يعنون بالزراعة ويشغلون بالحديد ولهم معرفة بحفر الخشب وعمل التآثيل .

« والأجار » على نهر الرول من فروع بحر الغزال وهم فرع من الدنكا وقد اشتهروا بالفدر والخيانة .

« والمورو » على نهر ياي في جوار الأجار .

« والديور » في غرب الدنكا وهم فرع من الشلك .

« والشيري » وهم مجاورون للنيام نيام في اقصى بحر الغزال وقد اشتهروا بالقوة والنظافة والترتيب وحب العمل وسماحة الخلق مع القدرة على تحمل التعب والصبر على الجوع . وليس عندهم من الحيوانات والطيور الليفة الا الدجاج .

« والنيام نيام » الداخل بعضهم في كلامنا وقد اشتهروا بأكل لحوم البشر .

« والفراتيت » في شمال بحر الغزال الغربي وجنوبي دارفور وهم قبائل شق

يدخل منها في كلامنا سبع وهي دنقو اهل حفرة النعاس. وكارا . وثقُرو .
وبنه . وبياه . وثقروقي . وشالا .

« والنوبة » ويسكنون الجبال التي الى جنوبي كردوفان المنسوبة اليهم وهم
من انبه قبائل السود واقلها سواداً قامتهم متوسطة واجسامهم ممتلئة واخلاقهم
رضية . ويرتاد العرب بلادهم في زمن الصيف طلباً للماء والكلاً ولذلك ترى
الكثيرين منهم يتكلمون العربية . وقد قدر عددهم قبل الثورة المهدية بنحو
٥٠٠٠٠ مقاتل ولكن الثورة المهدية اضعفتهم حتى لم يبق منهم الآن نصف
هذا العدد .

واشهر قبائل السود في اعالي النيل الازرق في اقصى بلاد سنار وفازوغي:
« الثبرون » ويسكنون الجبال التي الى جنوب خور الدليب في اقصى
جزيرة سنار وهم في غاية الهمجية .

« والجبلايون » وهم سكان فامكه عاصمة فازوغي .

« والقُسُر » في شرق فامكه .

« واللائقْسَنَه » في غربيها وهم لصوص قطاع طرق .

« والبَرَه » وهم سكان بني شقول الى جنوب فامكه التابعة الآن للحبشة .

هذه هي أشهر قبائل السود في بلاد السودان وقد كان العرب يغزونهم
فيأتون منهم بالريقق فيأخذون منه كهائتهم ويرسلون ما فضل عنهم الى الجهات
للتجارة به ولكن الحكومة منعت ذلك منعاً قطعياً كما سيجيء .

شبه السود : وأما شبه السود (Negroid) فهم من اقدم الاصول في
البلاد بعد السود ويُظن انهم اولاد كوش بن حام الذين هاجروا الى السودان
بعد الطوفان وسكنوا الحضر . ومنهم معظم سكان دارفور من بلاد السودان
المصري ومعظم سكان وداي وكانم وباجرمي وبرنو وسوكوتو وملي من السودان
الغربي . وهم اقل سواداً وأوفر عقلاً وأرقى حضارة من السود بل هم في
الملامح والحضارة اقرب الى العرب منهم الى السود . وقد كانوا على الديانة
الفتشية كالسود فهاجر اليهم العرب بعد الاسلام وعلموهم الاسلام ففاقوهم في

الاثمار به والتمسك بفرائضه . وهم يقتنون البقر والضأن والمعزى والخييل والحمير ويشتغلون بالزراعة وصناعة الدرق وحياسة الدمشور ويحبون العلم وينقسمون الى قبائل مختلفة لكل قبيلة منهم لغة خاصة وملك من جنسها أشهرها :

« الفور » ومركزهم جبل مرة وقد اختلط العرب بهم فأسسوا معهم مملكة قوية في دارفور دامت من سنة ٨٤٨ هـ الى سنة ١٢٩١ هـ كما سيجيء في التاريخ . ومن فصائلهم الكنجارة وهم ملوكهم الاولون ويدعون النسبة الى بني العباس . والمسبغات وقد حكموا في كردوفان . والتشجر ومركزهم جبل حريز على يمين الى الشرق من جبل مرة وشارتهم العمامة السوداء قيل انهم كانوا يملكون البلاد قبل الكنجارة فاغتصب هؤلاء الملك منهم قلبسوا العمامة السوداء من ذلك الحين خداداً عليه . والجللاويون سكان جبل مول في غربي البلاد .

« والبرقد » ومركزهم جبل مسكو بين جبل حريزة وجبل مرة قيل ان عندهم الى الآن صنماً يعبدونه سراً . ومنهم فصيلة تعرف باب درق تعربت ونسيت لغتها .

« والميمة » ومركزهم فافا ومنهم فصيلة في كردوفان تعربت ونسيت لغتها . « والمراريت » ومركزهم جلتي بين كبكية وكلكل وهم ايضاً تعربوا ونسوا لغتهم .

« والموهر » وهم مجاورون للمراريت . « وكبقه » الى الشمال الغربي من جبل مرة .

« وكاجة البدو » ويلاذهم الى الشمال الشرقي من أم شنقة سموا بذلك تمييزاً لهم عن كاجة كتول في ارض كردوفان وقد اشتهروا جميعاً بصيد الزراف وصناعة الدرق .

« والداجو » ومركزهم جبل داجو مسيرة يومين الى الغرب من داره قيل

انهم ملكوا البلاد قبل التنجر وعندهم صنم من حجر يعبدونه سرّاً ويسمونه كَنَقَره .

« ورُتَق » الى الجنوبي من الداجو . « والبيقو » الى الجنوب من داره .
« والقيمر » وتُعرف بلادهم بدار قمر ومركزهم ابو عَشَر مسيرة ثلاثة ايام الى الشمال من كلكل وملكهم مصاهرين لسلطين القور .
« وقامة » وهم مجاورون للقمر من جهة الغرب وأضداد لهم .
« والمساليت » وهم مجاورون للقمر من جهة الجنوب .

« وسمييار » ومركزهم سمييار في جوار المساليت . قيل ولغات القير والمساليت وسمييار تقرب جداً بعضها من بعض حتى كأنها لغة واحدة بثلاث لهجات .

« والزغاوة » وهم فريقان زغاوة كُبا في شرق دار قمر وعندهم كثير من الخيل والحيد ، وزغاوة الدَّور مسيرة اربعة ايام الى الشمال من الفاسر . ومنهم فرج يُقال لهم الكَمَلت في بلاد دارا تعلموا اللغة العربية ونسوا لغتهم .

« والبرقي » وهم يتكلمون العربية مع لغتهم ، ومركزهم جبل تقابو مسيرة ثلاثة ايام الى الشمال من الفاسر وهم قبيلة جسيمة . « وأسمور » في أقصى الشمال الغربي .

« والميدوب » مركزهم جبل ميدوب على ٣ ايام الى الشمال الشرقي من تقابو وقنيتهم الإبل والخيل والضأن وهم في طريق الاربعين .

« والبُديّات » في غرب آبار النطرون وهم أهل بادية ولا زالوا على الفتشية ويعبدون الشجر مع أنهم محاطون بالمسلمين من كل جهة .

الهِجَة : وأما الهجة ويقال لهم النجاة والبيجة فهم بادية الصحراء الشرقية بين النيل والبحر الأحمر ومن بقايا الشعوب التي تألفت منها مملكة أيثيوبيا القديمة ويظن أنهم من سلالة اولاد كوش بن حام الذين هاجروا الى السودان بعد الطوفان ، كما ظن في شبه السود وسواء صح هذا الظن في هذين الشعبين

أو لم يصح ، فمن الثابت المقطوع به والمؤيد بالقرائن التاريخية والطبيعية انها من سلالة غير سلالة السود وانها أقدم الشعوب في افريقيا بعد السود ، ولم ينشأ فيها بل هاجرا إليها من آسيا عن طريق مصر او البحر الأحمر من عهد بعيد . وبقي البجة على الوثنية الى ان كان الاسلام في جزيرة العرب وهاجر إليهم العرب المسلمون في القرن الاول للهجرة فملوهم الاسلام فانتحلوه على ضعف لكنهم ما زالوا على لغتهم البيجاوية وحالهم الاولى من البداوة والهمجية وهم يشبهون عرب البادية في الملامح والعادات إلا انهم أشد سمرة وأشكس أخلاقاً ، وقنيتهم الابل والغنم والمعزى ، وهم منقسمون الى عدة قبائل جسيمة في كل قبيلة عدة عوائل وبطون وأفخاذ وفصائل وهي :

« المعابدة » وينقسمون الى اربع عوائل تعرف بالبدنات وهي العشبات وهم منتشرون في الصحراء بين قنا وكورسكو ومركز شيخهم أصوان ومن آبارهم الشهيرة أحيمر وأنقات وأبرق . والمليكاب بين دراو وبربر وأشهر آبارهم آبار المرات ومركز شيخهم دراو شمالي أصوان . والفقراء وهم متفرقون في شرقي النيل وغربه بين قنا وكورسكو ومركز شيخهم الرمادي قرب أدفو . والعُبودين مع الشنابر شرقي النيل بين قنا وكورسكو ومركز شيخهم السيلة شمالي كورسكو وأكثرهم تابع لمصر وهم يخالطون الحضرة على النيل فيأتون اسوان على الخصوص بما عندهم من الابل والفحم والسنا وغيرها ويرجعون الى صحرائهم بالفلال والبضائع . وفي تقاليدهم انهم قوم الزبير بن العوام وهو أحد القواد الأربعة الذين ارسلهم عمر بن الخطاب نجدة لعمرو ابن العاص اذ كان محاصراً للعقوص على جبل المقطم بمصر وأرسل معهم كتاباً يقول فيه « اني قد أنفذت إليك أربعة آلاف على كل ألف منهم رجل بمقام ألف » . ولعل قوم الزبير بن العوام اختلطوا بهم فكانوا رؤوسهم .

« والبشارين » او البشارية وهم ثلاث فرق فرقة على البحر الأحمر من القصير فصاعداً جنوباً الى حدود سواكن وفرقة على الأتبرة وفرقة في جزيرة عتباي بينها وفي كل فرقة عدة بدنات مشهورة .

« والأمرار » وهم قبيلة جسيمة في طريق بربر بين سواكن ويثر أرياب وينقسمون الى بدئات شق امها الموسياب وهم شيوخ القبيلة ومركزهم أرياب .
« والهندنوه » وهم اقوى قبائل البجة وأوفرهم عدداً قديماً انهم يبلغون نصف مليون نفس او اكثر ويسكنون الصحراء الواقعة بين خور بركة والابتدة وطريق بربر وسواكن وينقسمون الى بدئات شق ذكروا لي منها ٣٠ بدنة امها الويل الياب وهم شيوخ القبيلة ومركزهم فلك الى الشمال من كلا قيل ان اسمهم مشتق من هذا بمعنى اسود واندوه بمعنى القبيلة ومعناه القبيلة السوداء ومنهم من فسره بغير ذلك .

« والحلائقه » ومركزهم كلا وهم اضداد الهندنوه وموالون للحكومة .
« وبنو عامر » وهم في شرق خور بركة من عتيق الى سنهيت وقد قامت فيهم قديماً مملكة خضعت لسنار وهم أميل الى السكينة من كل قبائل البجة . وتمتاز ابلهم بطول سنماها حتى ان سنم البعير منها يبلغ طوله متراً او نحوه . وهم منقسمون الى ١٦ بدنة او اكثر اشهرها التابتاب وهم رؤوسهم وينتسبون للجعليين . ومنهم فصيلة تعرف بالبجة أي باسم الجنس كله واخرى تعرف بالخاصة وهما محتقرتان عند عرب السودان ومن امثالهم « البجة والخاص » ارخص الناس .

« والحسباب » وهم في شرق بني عامر ويمتدون من رأس قصار الى مصوع وهم وبنو عامر مشتركون الآن بين حكومة السودان وحكومة الإريثيا .

النوبة : وأما النوبة وهم المعروفون في مصر « بالبرابرة » فقد انحصروا في وادي النيل بين الشلال الاول والرابع وهم خليط من ثلاثة اجناس : النوبة الأصليون والعرب والأتراك . اما النوبة فهم كالبجة من بقايا الشعوب التي تألفت منها المملكة الاثيوبية القديمة وقد اختلف في اصلهم فمنهم من قال انهم والبجة من اصل واحد ومنهم من ألحقهم بالنوبة السود الذين الى جنوبي كردوفان ولكل من الفريقين اقوال تخمينية لا محل لذكرها هنا وهم الآن نفر قليل لا يزيد عددهم عن اربعمائة رجل وأما العرب فهم الذين استوطنوا

البلاد بعد الاسلام وهم القسم الاكبر . وأما الاتراك فهم الذين استوطنوها بعد ان فتحها السلطان سليم الفاتح سنة ١٥٢٠ م . وهم اقل من العرب وأكثر من النوبة . وقد كان النوبة الاصليون قديماً على الوثنية كالبحر فلمّا انتشرت النصرانية في مصر امتدت اليهم فاعتنقوها سنة ٥٤٥ م . وبقوا الى ان تغلب العرب المسلمون سنة ١٣١٨ م فاعتنقوا الاسلام مضطرين ولكنهم بقوا محافظين على لغتهم واتخذ العرب الفاتحون لغة النوبة ونسوا لغتهم وكذلك فعل الاتراك . ولم يزلوا جميعهم يتكلمون لغة النوبة بلهجتين مختلفتين فلأهل المحس وسكوت لهجة ولأهل دنقلة في جنوبيهم والكنوز في شماليهم لهجة اخرى . ومن مخالطتهم العرب ترى اكثرهم يتكلمون العربية لكن رطانة الاعجمية ظاهرة في كلامهم . وكل من هذه الاجناس الثلاثة يحافظ على جنسيته ويفتخر بالانتماء اليها وأما في داخلية السودان فهم يعرفون باسماء بلادهم اي :

« الدناقة » وهم سكان النيل بين الشلال الثالث والرابع وهم قبائل مختلفة أشهرها قبيلة الاشراف التي تدعى النسبة الى آل البيت ومنهم محمد احمد المتهمدي المشهور . وقام منهم قديماً ملوك في الدفار ودنقلة المعجوز والخنديق وجزيرة ارقو ولا تزال ذريتهم فيها الى اليوم .

« والمتحس » وبلادهم بين الشلال الثالث وجبل دوشه وهم يدعون النسبة الى عبيد بن كعب العباسي ويقولون انهم كانوا عند مجيئهم الى دار المحس سبعين الفاً . وقد كان لهم قبل الفتوح المصري ملك في جبل ساسي لا تزال ذريته مقيمة هناك الى اليوم .

« وأهل سكوت » ويسكنون بين جبل دوشه والشلال الثاني عند حلفاء .

« وأهل حلفاء والدر » وهم بين حلفاء والسبوع وأكثرهم من ذرية الاتراك .

« والكنوز » قيل جاؤا من نجد والعراق وسكنوا بين السبوع والشلال

الاول .

وقد يطلق عليهم جميعاً اسم الدناقة . وهم في بلادهم يتعاطون الزراعة وحياسة الدمور ويقتنون البقر والضأن والحيل فاذا خرجوا منها الى مصر

كان صفارم مساحي احذية وكبارهم بو^١ابن وخداما وسياسا واذا ذهبوا الى داخل السودان كانوا تجاراً وكتبة وفقهاء ونجارين يبنون المراكب . وقد اشتهروا في مصر بالنظافة وفي السودان بالمكر والحديعة . ومن امثال عرب السودان « الدنقلوي شيطان مجلد يجلد انسان » .

العرب : وأما العرب فهم معظم سكان السودان وأكرمهم أصلاً وأوفرهم عقلاً وأرقاهم حضارة وقد هاجروا إليها بعد الاسلام عن طريق مصر او البحر الاحمر فاستولوا عليها تدريجاً وسكنوا اطيب بلادها وأسسوا فيها عدة ممالك سياحي ذكرها . وهم اما حضر او بادية اما الحضر فأكثرهم على النيل الكبير والنيلين الأزرق والأبيض وفي الجزيرة بينها وهم يقتنون الخيل والبقر والحمر والضأن والمعزى والطيور الأليفة ويشغلون بالزراعة والصناعة والتجارة والعم على ما سنبينه بالتفصيل . وأما البادية فأكثرهم في البطانة وضعاوي البيوضة وكردوفان ودارفور وهم يقتنون الابل او البقر ومعها الخيل والحمر والضأن والمعزى ودأبهم الصيد والقتل ورعي المواشي وارتباد موقع الغيث ومناقب الكلا والغزو بعضهم لبعض شأن بادية العرب في كل مكان . واسم العرب في السودان انما يطلق على بادية العرب فقط وأما حضرهم فيعرفون بأسماء قبائلهم او بأسماء البلاد التي يسكنونها . وهم يرجعون في أنسابهم الى الصحابة وآل البيت وغيرهم من الأصول الشريفة كما سيجيء .

وأشهر قبائل العرب على النيل الكبير :

« الشايقية » وهم حضر وبادية وينقسمون الى عدة بدئات أشهرها : العادلاناب والسواراب والحنكياب والمغاراب ، وقد اشتهر لهم في أيام سلطنة الفونج مملكة قوية وحاربوا اسماعيل باشا وهو سائر لفتح سنار فقلبهم وجند نفرأ منهم في جيشه وهم موصوفون بالشجاعة والكرم والضيافة وحب العلم والفقهاء وفقهاؤهم فريقان : الدويحة والعونية ، أما الدويحة فمن ذرية عبد الرحمن ودحاج الذي جاء اليهم من مكة واشتهر بالصلاح والتقوى وله قبة في الدويم تزار بقرب مروي . وأما العونية فكبيرهم الآن محمد بك السيد

سر سوارى عساكر القلابات سابقاً ومعاون أول بمديرية الخرطوم في الوقت الحاضر .

« والمناصير » وهم يسكنون بين الشلال الرابع وأبي حمد . قيل أن أجدادهم قتلوا رجلاً في المنصورة بمصر ففروا الى هذه البلاد وذلك من عهد غير بعيد وهم ينقسمون الى خمس بدئات وهي الوهاباب والكبانة والسليانة والكجوباب والخبراء .

« والرباطاب » في جنوبي المناصير وهم ثلاث بدئات وهي البديرية والفرايب والضميفاب ، وقد اشتهروا بسرعة الخطر والجواب المفعم وهم في معرف أهل السودان اصحاب ككر وطاقيّة اي اصحاب ملك الككر عندهم الكرسي الذي يجلس عليها ملوكهم والطاقيّة عبارة عن التاج وهي لباس للرأس لها قرنان .

« والميرفاب » الى جنوبيهم ومركزهم بربور وينقسمون الى اربع بدئات وهي الصيتام والمصطفياب والليباب والرحاب وهم اهل ككر وطاقيّة .

« والجمعليون » الى جنوبيهم وهم اشهر قبائل العرب في السودان وقد عرفوا منذ اول عهدهم بالشجاعة واقتحام الاخطار وحب الاسفار فترام منتشرين في جميع اقطار السودان والحشة وحيث يذهبون يستوطنون ويتوالدون وينشئون حلة تنسب اليهم . وهم اهل ككر وطاقيّة وقد كان بينهم وبين الفونج وقائع معدودة وكانوا في حروب مستمرة مع الشايقية وأهل البادية المجاورين لهم كالشكرية والكواهلة . وقد انقسموا الى اكثر من ثلاثين بدنة اوخشم بيت منهم العمراب والمجاذيب والعباسة والرافية وهم فقهاؤهم . والسعداب وهم ملوكهم ومنهم الملك عمر الذي غدر اسماعيل باشا فاتح السودان فحرقه حياً والملك سعد أخوه الذي دفن ابن أخيه حياً في التراب لأنه اغتصب بنتاً من الاحرار . والعوصية وإسهم ينتسب الهمج وزراء الفونج . والنفعياب ومنهم عني ود سعد وعبدالله وسعد والباس باشا ام بربور

الذين اشتهروا في تاريخ المهدي . والنافعاب ومنهم ود النجومى المشهور .
والمكابراب وقد اشتهروا بالصوصية . والانقرياب وهم ينتسبون الى العابدلاب
الآتي ذكرهم وكبيرهم الآن ابراهيم ود حمزة الذي اشتهر في حلة ام درمان
الأخيرة . وقد اطلق اسم الجميلين في مصر على جميع سكان النيل بين ابي احمد
والخرطوم ولكنهم في الواقع بين الدامر وعقبة قري .

« والجميعاب » وهم يسكنون النيل بين عقبة قري والشيخ الطيب .
ومنهم الزبير باشا الذي اشتهر بحروبه في بحر الغزال ودارفور وهو اعظم
رجل قام في السودان الى اليوم ، وسيأتي تفصيل خبره .

« والسروراب » الى جنوبي الجميعاب بين الشيخ الطيب وكري شمالي
ام درمان .

« والعابدلاب » ومركزهم الحلفاية تجاه الخرطوم وهم فرع من القواسمة
الآتي ذكرهم وقد سمو بالعابدلاب نسبة الى كبيرهم عبد الله جماع الذي أسس
مملكة سنار مع الفونج وقاسمهم اياهنا فاتخذ مركزه قري ولقب بالشيخ .
ثم نقل خلفاؤه المشيخة الى الحلفاية فبقيت الى الفتوح المصري وسيأتي تفصيل
اخبارهم في التاريخ . وأما لفظ اب الذي ينتهي به اسم العابدلاب وغيرهم من
القبائل العربية فهو مأخوذ من البيجاوية ومعناه عائلة او قبيلة .

وأشهر قبائل العرب على النيلين الأبيض والأزرق والجزيرة بينها :

« الجموعية » وهم يسكنون غربي النيل الأبيض بين ام درمان والترعة
الحضراء وهم اهل ككر وطاكية ومن فروعهم الفتيحاب سكان ام درمان
والخرطوم الاصليون .

هذا ويقول عرب الجموعية والسروراب والجميعاب والجميلين والميرفاب
والرباطاب والشايكية المتقدم ذكرهم ان جدّهم واحد وهو ابو مرخة المتصل
نسبه بالعباس ولهم في ذلك رواية خرافية قالوا : حضر والد ابي مرخة وعمه
الى السودان في زمن مهاجرة العباسيين اليها وكان ابو مرخة وحيداً لأبيه
ولعمه سبع بنات وكان اهل السودان في ذلك الوقت من النوبة او البجة فلم

يكن فيهم من هو اهل لبنات عمه فتزوجهن الواحدة بعد الاخرى وولد من كل منهن ولداً أصبح جداً لكل من القبائل السبع المذكورة .

« والحُسُنَات » في جنوبي المجموعة شرقي النيل وغريبه ومركزهم القطينة .

« ودُعَيَم » ومنهم علي ود حلو ثاني خلفاء محمد احمد المتمهدي .

« وكنانة » ابناء عم دغيم ومركزهم جعمان . وكلاهما في جهة جزيرة ابا شرقي النيل الابيض وغريبه . « وُسَليم » في جنوبيهم .

« والرفاعيون » ومركزهم الكاملين على النيل الازرق وهم ينتسبون الى جهينة .

« والمسلمية » ومركزهم الحلة المعروفة باسمهم على النيل الازرق ومنهم الشيخ العبيد الذي اشتهر في بدء الثورة المهدية وكان مركزه ام ضبات في صحراء المسلمية .

« والحلاويون » ومركزهم في ظاهر المسلمية بالجزيرة وهم ينتسبون الى جهينة .

« والمدنيون » ومركزهم ود مدني المسماة باسم جدّهم المدفون هناك وله مقام يزار الى اليوم .

« والعراكيون » في بلاد ابي حراز وعبود وودمدني وهم يدعون النسبة الى جعفر الطيار من آل البيت .

« والحوالدة » وأكثرهم في جهة عبود في باطن الجزيرة وهم ينتسبون الى جهينة .

« والكواهلة » في جهتي عبود وود مدني وينتسبون الى الزبير بن العوام . ومنهم بادية يسكنون غربي الرهد مع الحدة الآتي ذكرهم . ومن فروعهم الشهيرة الحسنات المار ذكرهم والشنابلة وهم مشهورون بالفنى والتجارة وقد كان منهم مشيخة في زمن الفونج ومركزهم المسلمية .

« والشامباته » ومركزهم شمباته بين ود العباس وسنار وأكثرهم تجار .

« واليعقوباب » قيل يتصل نسبهم بالجميلين وهم يسكنون جنوبي سنار .
« وبقاره محارب » وهم منتشرون في الجزيرة بين سنار وجبلي سقدي ومويه .

« والمقلبون » وأكثرهم بادية ويسكنون بين الدندر والنيل الأزرق .
« والمحددة » وهم حضر وبادية وقيمون بين الدندر والرهد ولهم مشيختان
مشيخة في دبركي على الدندر ومشيخة في دُنْكَر في آخر حدود سنار من
جهة الحبشة .

« والقواسمه » وهم اشهر قبائل سنار ويسكنون شمالي سنار في شرقي
النيل وغربيه وباديتهم تسكن غابة التريره جنوبي سنار . ومنهم المابدلاب
المتقدم ذكرهم والكاتير ويسكنون شرقي النيل الأزرق بين رُبْنَقه والرصيوص
ومركزهم كركوج وقد قام منهم في زمن الفونج مشيخة كبيرة .

« والحويون » وأكثرهم بادية يسكنون في شرق النيل الابيض . بين
الكوه والجليلين ويمتدون في داخل الجزيرة الى جبلي سقدي ومويه .

« وبنو حسين » ويقال لهم اولاد ابو روف ومعظمهم بادية يمتدون من
جبلي سقدي ومويه الى خور الداليب آخر حدود سنار في الجزيرة . وأشهر
مراكزهم أبو حجار قرب سيرو على النيل الأزرق والمرقوم في باطن الجزيرة
وهم قبيلة جسيمة .

« والملاطيون » وأكثرهم بادية يسكنون غرب النيل الأزرق من
الحُدُديبات الى مشرع توله . هذا وجميع القبائل الست الاخيرة تنسب الى
جهينة ويقال للحمدة والمقلبين رفاعة الشرق او جهينة الشرق وللقواسمه
واللحويين وبنو حسين والملاطيين رفاعة الهوى او جهينة الغرب ويعنون
بالهوى شبه جزيرة سنار وأما رفاعة فهي اسم بلدة شهيرة على النيل الأزرق .

« والزبالة » يسكنون جزيرة سنار والبلاد التي بين الرهد والدندر
ويبلغون نحو تسعة آلاف رجل وهم كسائر العرب في أخلاقهم وعاداتهم إلا
انهم يمتازون عنهم بكونهم شيعة خاصة عرفت في السودان بالملة الخامسة

وعندهم ان مؤسس شيعتهم المسمى أبا جريد هو رسول الله فلا يعرفون نبياً آخر سواه وقد أقاموا رمزاً الى قبره في حلة بُنْزَقاً شرقي النيل الأزرق بين كركوج والرصيرص حيث يجتمعون للاذكار مساء كل احد وثلاثاء ويرددون قولهم « لا إله إلا الله ابو جريد نبي الله » وفي شهر صفر من كل سنة يعاقل مشائخهم الى الخلوات للرياضة فيقيم كل منهم في خلوة ويحمل عليها الحراس لكي لا يدخل عليه احد مدة سبعة ايام فاذا أنتهت خرج من الخلوة ودعى رهطه من الرجال والنساء وأقام حلقة للذكر . قيل انهم يستيحيون العرض في هذه الاجتماعات فانهم بعد نهاية الذكر يقبلون يد الشيخ رجلاً ونساء فيختار الشيخ امرأة لنفسه ثم يحدو كل منهم حذوه وينصرفون . ونساء الزبالة من اجل نساء السودان قيل ولون الكثيرات منهن ابيض مشرب حرة ، وكلهم اصحاب تنعم ورفاهة ، فترى الرجال يدهنون أجسادهم ويتطيبون بالروائح العطرية كالنساء . وهم يتجنبون مصاهرة العرب كما ان العرب يتجنبون مصاهرتهم ولكن العرب يستطبون منهم ويمتقدون فيهم السحر .

« والفونج » وهم الذين أسسوا مملكة سنار القديمة مع العابدلاب وكانت لهم أعظم الشأن في السودان كما مرّ . وقد اختلف في أصلهم فمنهم من قال أنهم عرب ومنهم انهم سود وقد تعربوا وهو الأرجح اما هم فيدعون النسبة الى بني أمية الذين نجوا من اضطهاد بني العباس كما سيجيء في تاريخهم . وفي أقصى جنوب الجزيرة جبال تعرف باسمهم ومنهم بقية الآن تسكن رنقة من أعمال سنار ودبة دنقلة .

« والهسج » وهم وزراء الفونج ايام دولتهم في سنار ويدعون النسبة الى العوضية الجعليين كما مر والأرجح انهم سود متعربون وقد عُرفت جبال الفونج المار ذكرها باسمهم ايضاً لأنهم حكموها بعد الفتوح المصري وكان اول من حكمها منهم الشيخ ادريس ولذلك سميت الجبال ايضاً بجبال ادريس ومركزهم جبل قلي على ثلاثة ايام الى الجنوب من كركوج .

وأشهر قبائل العرب البادية في البطانة :

« الشكرية » ، وهم قبيلة جسيمة من اكبر القبائل وأقواما وفيها تسعون عميرة ونيف تنتسب الى جهينة وقد كان بينهم وبين الفونج وقائع مشهورة في التاريخ ، فلما كان الفتح المصري خضعوا للحكومة مصر وأخلصوا لها . ثم كانت الثورة المهدية فلم يتلقوها كما شاء زعماءها فنكلوا بهم تنكيلا شديداً قيل كان عددهم قبل الثورة نحو نصف مليون نسمة وأما الآن فلا يبلغون ربع ذلك . ومن مراكزهم الشيرة رفاعة على النيل الأزرق والقاشر على الاتبرا والقضارف والقلمة ارنج وبيبريرة وشق الوالية وأبو دليق في البطانة . وهم أصدقاء المهندود والكواهلة .

« والبطاحين » ، وهم الى شمال الشكرية وخصوم لهم ينتسبون الى الجميلين . « والضباينة » ، وهم ينتسبون الى جهينة وينقسمون الى سبع عمائر كبيرة وقد كانوا في زمن الفونج في حرب دائمة مع الحمدة فلما جاءت الحكومة المصرية انقطعت تلك الحرب وازدادت القبيلة عزة ومناعة حتى بلغ عدد رجالها قبل الثورة نحو ٥٠ ألفاً ولكن جارت المهدية عليها فسحقها سحقاً . وهم ينزلون في الصيف بين بحر ستيت وباسلام من فروع الاتبرا وفي الخريف ينزحون الى البطانة . ومن أماكنهم الشيرة التومات على الاتبرا والجيرة على بحر ستيت ودوكة في البطانة .

« والحمران » ، وهم قليلو العدد لكنهم من أفرس قبائل العرب وأعزهم شأناً وأعظمهم جرأة واقداماً . ونساؤهم من اجل نساء السودان وأشدهن تحصناً وعفافاً ، خبر تاجوج وملثي ، ومنهن تاجوج بنت الشيخ أكند شيخ الحمران التي ظهرت في اواسط القرن الماضي وكانت ابرع نساء السودان قاطبة في الحسن والجمال حتى كان الناس يقدون من كل صوب للتفرج على جمالها . وقد تزوجها أولاً ابن عم لها يسمى محلقاً وكان يحبها محبة شديدة تقرب من العبادة فطلب اليها ذات يوم ان تتمشى امامه متجردة فأبت فألج عليها فتكدرت من الحاحه وقالت : اذا اجبت الى طلبك فماذا تقبل . قال : كل ما تريدن . قالت : اقسم لي انك تبر بقولك فاقسم لها فتجردت ومشت

امامه ذهاباً وإياباً الى ان قال : كفى ثم قال فاطلي الآن ما تريدن قالت :
 و ان تطلقني في الحال ، فطار صوابه من هذا الطلب ووقع على قدميهما
 ويسألها العفو ولما اصرت لم يربداً من البر بقسمه فطلقها وهاجم على وجهه ينشد
 في حبها الاشعار فحاكى فيها مجنون ليلي ومن اقواله المشهورة فيها :
 أنا الجنب^(١) التعميس سويت^(٢) بأيدي في كلمة مزاح قلت غمضي
 فواطر^(٣) ام قبيل^(٤) ملح الرشدي تاجوج ما اتلفت يا خله^(٥) زيدي
 ومنه :

أمسى الليل وانجم الشمل وتلم الحيوانات حق النمل
 راقد رقاد الديك فوق الحبل يوم بلا تاجوج ما بينحمل
 وقال :

بعد الدلكه مثل الملقح^(١) وبعد العنقريب^(٢) أب علقجه^(٣)
 قل للنبيقي أم قلقجه راقد فوق برش في الدلج^(٤)

ثم ان تاجوج بدد ما طلقها علق تزوجها شاب من وجهاء قبيلتها وكان
 محلق افرس منه فأخذ يتأثره وكان حيث يحده يسلبه ماله ثم يرجعه اليه
 اكراماً لتاجوج . وبقي يتغنى بذكرها ويتأسف على فقدما الى ان مات .
 قالوا : ولما اشتد عليه المرض اكثر من ذكر تاجوج وألح على اهله ان يكتنوه
 من رؤيتها قبل موته فذهبوا الى تاجوج وأخبروها بما صار اليه محلق فرقت
 له وجاءت معهم وكان المكان غاصاً بالنساء اللواتي كن ينددن بها ليصرفن قلب
 محلق عنها فلما أطلت لم يسمن إلا الوقوف احتراماً لها وإعجاباً بجمالها
 وأجلسنها الى جانب سرير محلق فلما رآته على تلك الحال وقد هزله المرض
 وأضناه الوجد تنهدت وقالت : و ألى هذه الحال صرت يا عشائي وأنا لا

(١) الجنب : المشوم . (٢) سويت بأيدي : جنيت على نفسي . (٣) الفواطر : الثنايا .
 (٤) ام قبيل : الجميلة . (٥) الحلة : الهم . والمعنى ظافر .
 (١) الملحبة : المسة الناعمة . (٢) العنقريب : السرير . (٣) اب علقجه : المفروش بالحرير .
 (٤) الدلج : الارض .

أدري ، ثم وضعت رأسه على ركبته وكان قد اغمي عليه فأفاق من اغمائه
وشخص إليها وأنشد :

أطايي ^(١) يا أم قبيل النفي ^(٢) عباده مسوحك بالطر والناس مراضه
حسيك ^(٣) في الضمير قاطع الكباده تقتلي الزول ^(٤) سريخ قبل الشهاده

ثم شق شقة وأسلم الروح فأخذت تاجوج والنساء حولها يبكين ويذرين
التراب على رؤوسهن ويندنه الى ان دفن ، وقد انشد بعضهم معترضاً بموته
جوى قال :

أديته (الهجين) علق كبيت له عيش مو مسلتي ^(١)
على شان القنص ^(٢) طلابه ^(٣) حلق حصاركم ^(٤) من قديم قاتل علق

قليل وبعد موته غزا المهندوة عرب الحمران فوقعت تاجوج أسيرة بين
أيديهم فاختلفوا فيها اختلافاً كاد يفضي الى سفك الدماء اذ كل فريق منهم
أراد ان تكون تاجوج نصيبه فنهض احد مشايخهم وتادى تاجوج من خباها
فلما أطلت طعننها بحربة في صدرها فقتلها وحسم الزراع وماتت تاجوج
مأسوفاً عليها من الجميع ، قالوا قد دفنت في مكان يقال له رأس الفيل بين
قوز رجب وكسلا وقبرها ظاهر يُزار . ولا يزال أهل السودان يضربون
المثل يميالها وعشق علق لها وينشدون اشعاره الى اليوم .

هذه هي قبائل العرب في البطانة ، وأما الصحراء الشرقية المعروفة أيضاً
بصحراء البجة فليس فيها من بادية العرب الا « الرشايدة » وهم قريبو عهد بها
وقد هاجروا اليها من الحجاز سنة ١٢٨٨ هـ ١٨٧١ م لقتال وقع بينهم وبين
بعض القبائل هناك فعبروا البحر الاحمر من جدة وتزلوا في ارض الحباب
وكانوا نحو الف رجل ومعهم اسلحتهم وأولادهم وإبلهم فاعترضهم الحباب

(١) أطايي : حقاً . (٢) النفي : العشق . (٣) الحيس : الحب . (٤) الزول : الرجل .

(١) مو مبلق : اي بلا كيل . (٢) القنص : يكنى به عن المهبوب . (٣) طلابه حلق :
حرموا عليه . (٤) الحصار : الجوى .

وجرت بين الفريقين وقائع أدت الى سفك الدماء . وهم الآن فريقان احدهما تابع لحكومة السودان والآخر لحكومة الارميا .

وأشهر قبائل العرب في صحراء النوبة :

« الحسانية » ومركزهم جبل الجلف في صحراء الجكدور وينتسبون الى الكواهلة .

« والهاوير » قيل ان اصلهم من عرب الهوارة بصعيد مصر ويسكنون صحراء جبرة .

« والخواوير » وهم مجاورون للحسانية والهاوير .

وأشهر قبائل العرب في بلاد كردوفان :

« الجوامعة » وهم فريقان الحمران ومركزهم بارة والجميعية وأكثرهم في الطيارة .

« والبديرية » ومن أماكنهم خورسي والطيارة قيل وفيهم نسب للجعلين .

« والتشام » وهم يسكنون مع البديرية .

« والغدييات » وأهم مراكزهم البركة .

وهذه القبائل الاربع حضر وبقية سكان كردوفان بادية وهؤلاء إما أبتالة وقنيتهم الابل وهم في الشمال وإما بقارة وقنيتهم البقر وهم في الجنوب فالإبالة :

« الكبابيش » وهم أقوى بادية كردوفان وإيلهم أشهر الابل ومن مراكزهم آبار الصافية وكجمر وعين حامد وقد انقسموا الى عدة عوائل وأقفاذ قيل كان يبلغ عددهم نحو ربع مليون نفس فجاءت الثورة المهدية فنكلت بهم حتى لم يبق ربع هذا العدد .

« ودار حامد » وهم مجاورون للكببابيش وأعداء لهم ، وأهم مراكزهم بارة وينقسمون الى عدة عوائل أشهرها الجليدات والمجانين والمساعد والمرامرة والنواحية والعريفية .

« وبنو جرار » شرقي كردوفان وفي بلادهم يكثر النعام والفلان .

« وحَمَر » عربي كردوفان ومن مراكزهم ابو حراز والنهود . وفي بلادهم يكثر شجر التبليدي المسار ذكره وهم يخزنون الماء فيه ويبيعونه للمسافرين بين كردوفان ودارفور .

البقارة : « الحوازمة » جنوبي كردوفان وأهم مراكزهم البركة وفي زمن الصيف يذهبون بماشيتهم الى جبال النوبة لارتياح الماء والكأ حتى اذا جاء أوان المطر تركوا تلك الجبال فراراً من ذباب السروت وعادوا الى بلادهم .

« والجمع » في الجنوب الشرقي ومركزهم شركية قيل سموا بالجمع لأنهم ليسوا أبناء رجل واحد بل هم أخلاط من قبائل شتى وأكثرهم من الجمعيين .

« والهبانية » بين الحوازمة والجمع وأهم مراكزهم شركية ويكثر في بلادهم السباع والفتيلة ومنهم الأدلاء لجبال النوبة لأنهم أعرف العرب بطرق تلك الجبال « وأولاد حميد » وهم مجاورون للهبانية وأصداد لهم .

« والأحامدة » وهم في جوار الجمع .

« والحُمر » ومركزهم الاضية بين البركة وشكا .

« والمسيرية » في جوارهم .

وأشهر قبائل العرب في دارفور من الأباله :

« الزيدانية » ومركزهم مليط وهم يتجرون في النطرون والملح وينتسبون

الى ابي زيد الهلالي من عرب نجد .

« والماهرية » ومركزهم الدُور قيل هم ينتسبون الى مهرة في جنوب اليمن

وقيل هم والرزيقات قبيلة واحدة فسكنوا هم في الشمال واقتنوا الابل وسكن الرزيقات في الجنوب فاقتنوا البقر وهم حلفاء الحمديد وأعداء الزيدانية والبديات .

« والعطيفات » ومركزهم انكا بالقرب من مليط بين الزيدانية والماهرية .

« والمعاليه » وأكثرهم حضر ومن مراكزهم كركود شمالي الطويشه وقوز

المعاليه المنسوب اليهم . حلفاؤهم الرزيقات وأخصامهم الحمير .

« والمريقات » مركزهم 'كشم' ويظن ان اصلهم من العليقات القاطنين على النيل في فم وادي العلاقي شمالي كوروسكو .

ومن البقارة : « الرزيقات » وهم اكبر قبائل دارفور ويسمون تراب الهين (أي ملء الكفين) لكثرتهم ومركزهم شكا وهم ثلاث عمائر الماهرية وأم احمد والعاميد وأقوامهم العاميد وحلفاؤهم الهبانية والمعالية وقد قاوموا سلاطين الفور ولم يخضعوا لهم الخضوع التام ووقع لهم مع الزبير وقائع مشهورة رفيعهم حضر قليل .

« والهبنانية » من اهم بادية دارفور ومركزهم الكلكتة ومنهم في كردوفان كما مر .

« والمسيرية » وقد ذكروا في كردوفان وهم اشداء مشهورون بالفروسية خصماؤهم بنو هلبه وحلفاؤهم « بنو منصور » الذين هم في رأي البعض فرع منهم .

« والتعايشة » الذين منهم عبد الله التعايشي خليفة المتهمدي الاول ومركزهم مندوة قرب الكلكتة وبلادهم مجاورة لبلاد الفراتيت وكان اكثر اشتغالهم في خطف الرقيق .

ثم ان التعايشة والهبنانية وأولاد حميد وسليم هم اولاد حاد بن جنيد . والحوازمة والحمر والمسيرية والرزيقات هم اولاد اخيه عطيه . والكل ينتسبون الى جهينة .

« وبنو هلبة » ومركزهم بلبل غرب داره وهم قبيلة جسيمة وقد اشتهروا بالمرَاوغة والتقلب واتباع الغالب ولذلك لم تضرم المهدية بشيء ، وكلوا اذا ضيقت عليهم رحلوا الى دار سلا . حلفاؤهم الهبانية والرزيقات وأضدادهم المسيرية وهم يدعون النسبة الى جهينة عن غير جنيد وقيل أنهم من الهوارة بمصر .

« وعرب البشير » ومركزهم عريدة وهم قبيلة جسيمة لكن المهدية أضعفتهم .

« وبنو فضل » وهم اهل زراعة وينتسبون للزيادة . ومن مراكزهم ساني
 كرو على يمين الى الجنوب الشرقي من الفاشر .
 « وبنو حسين والترجم وخزام والمهاري » وهم مجاورون للساليت .
 « والكروبات » في شرق كبكيية وأكثرهم تجار وفيهم علماء أجلاء .
 « والحوتية » في غرب كبكيية .
 « والبريآب » ومركزهم تولو وأكثرهم تجار .
 « والحواير » ومركزهم ودعه ، وقنيتهم الابل والبقر والحيل وهم
 حضر وبادية .

هذه هي اشهر قبائل العرب في السودان من حضر وبادية ، وقد تبين مما
 تقدم ان اهم الأصول التي يرجعون إليها في أنسابهم هي : بنو أمية وبنو
 العباس وجبينة والزبير بن العوام وجعفر الطيار ، وان معظمهم ينتسب الى
 جبينة وبني العباس إلا ان المنتسبين الى جبينة أكثر . والمشهور في نسب جبينة
 انهم بطن من قضاة وقيل في قضاة انهم لعدنان وقيل لحير وهو الأرجح .
 واسم جبينة مأخوذ من الجهن وهو غلظ الوجه . إلا ان انتساب العرب الى
 هذه الأصول لا ثبت له عندهم إلا ما حفظوه او لفقوه من القصص التقليدية
 او الخرافية .

الأجانب : أما الأجانب فيراد بهم الأقوام الذين هاجروا الى السودان
 من مصر وغيرها من زمان غير بعيد ولم يفقدوا جلسياتهم ولغاتهم بعد وأهمهم :
 « الحضور » وهم نفر قليل من المصريين الذين هاجروا مصر قبل الفتح
 الاول فسكنوا الحندق وشندي والمسلية وغيرها من مدن النيل ، واشتغلوا
 بالتجارة فاشتهروا في السودان بالوداعة ولين الجانب وحسب السلام .

« وأولاد الريف » ويكنى بهم عن البيض عموماً من مصريين وأتراك
 ومغاربة وشوام وأوروبيين وغيرهم وهم الذين دخلوا البلاد بعد الفتح الاول ،
 وقد أطلق عليهم هذا الاسم لأن أكثرهم او كلهم دخلوا السودان من
 ريف مصر .

«والمكادنة» وهم الأحباش النصارى «والجبرته» وهم الأحباش المسلمون .
«والتكارنة» وهم في التخصيص مهاجرو بلاد التكرور التي الى جنوبي
برنو المعروفة الآن بالكتكو وفي التعميم يشملون سائر مهاجري السودان الغربي
من فلاتة وبرنو وباجرمي وغيرهم وهم متفرقون في جميع جهات السودان
ولا سيما في دارفور وكردوفان وسنار وكسلا واكثرهم في القلايات من اعمال
كسلا حيث كان يجمع منهم في الرجبية نحو ٤٥٠٠٠ نسمة . وفي كردوفان
في جهة ابي حراز حلال معروف بحلال الفلاتة اتخذ اهلها العربية لغة لهم
ونسوا لغتهم وتخلقوا بأخلاق العرب وعاداتهم .

«والحلبية» وهم المعروفون في مصر بالفجر وفي الشام بالنور وهم في
السودان كما في مصر والشام قوم رُحَّل يشتغل رجالهم بالحداذة وألعاب القروء
ونسأؤهم بالوشم وتبصير البغث وخفض البنات وكلهم يتعاطون الشحاذة .

المولدون : أما المولدون فأعني بهم الفروع الخلاسية التي تولدت من
اختلاط هذه الاصول بعضها ببعض وهذا الاختلاط كثير جداً في السودان
لا سيما بين العرب والسود . ومما هو جدير بالاعتبار ان اكثر الممالك التي قامت
في السودان كان ملوكها من المولدين ، فملوك الفونج ووزراءهم المهج وسلطين
الغور المتقدم ذكرهم والوطاويط حكام البرقة في فازغلي في الوقت الحاضر كلهم
من مولدي العرب والسود . اما اسم المولدين في السودان فلا يشمل إلا المولدين
في هذا الجيل . وأما المولدون قبل هذا الجيل فيندرجون تحت اسماء القبائل
التي تولدوا منها .

وقد قدر عدد سكان السودان قبل الثورة المهدية في سنة ١٨٨١ بنحو
عشرة ملايين نسمة واما الآن فلا يزيدون عن اربعة ملايين نسمة لما قاسوه من
الحروب والمجاعات والأمراض والمظالم في اثناء الثورة المهدية . والجنس الغالب
فيهم العرب ثم السود ثم شبه السود ثم البجة ثم النوبة .

هذا ما اقتضى المقام ذكره من أصول السكان وقبائلهم ومواطنهم وسنأتي
على ذكر حضارتهم وعاداتهم إن شاء الله .

البابُ الثاني

في

جغرافية السودان الادارية

الفصل الاول

في

مديريات السودان ومحافظاتها ومأمورياتها

تمهيد تاريخي :

ايشيوبيا : اول مملكة قامت في هذه البلاد هي مملكة ايشيوبيا امتدت من الشلال الاول عند اسوان الى اقاصي الحبشة شمالاً وجنوباً وانقسمت قسمين: ايشيوبيا العليا المعروفة الآن بالحبشة وايشيوبيا السفلى في شمالها وعليها كلامنا . واشتهر لايشيوبيا السفلى عاصمتان : نبتة عند جبل البرقل قرب الشلال الرابع ومرّوي عند البحراوية في رأس جزيرة مروى قرب شندي . وكانت ايشيوبيا معاصرة للفراعنة والفرس والبطالس والرومان الذين ملكوا مصر على التوالي وبقيت الى آخر عهد الرومان في مصر سنة ٦٤٠ ب. م . فدالت دولتها ..

النوبة والبجة : وقام مكانها بملكتان مملكة النوبة على النيل بين الشلال الاول والحبشة ومملكة البجة في الصحراء الشرقية . وكان النوبة والبجة كما كان اهل ايشيوبيا وثنيين وديانتهم كديانة المصريين القدماء حتى ظهرت النصرانية في مصر فانتحلها النوبة في القرن السادس للمسيح وبقي البجة على

الوثنية الى ان كان الاسلام في جزيرة العرب وفتح العرب مصر سنة ١٨ هـ ٦٤٠ م فخالطوا البجة وعلوم الاسلام فاعتنقوه على ضعف كما مر . واشتهر النوبة في النصرانية مملكتان : النوبة السفلى امتدت من الشلال الاول الى الشلال الرابع وعاصمتها دنقلة المعجوز والنوبة العليا وتسمى ايضاً مملكة علوه امتدت من الشلال الرابع الى اعالي جزيرة سنار وعاصمتها سوبه عن يمين النيل الازرق على ١٥ ميلاً من الخرطوم .

مملكة سنار : وما زال العرب المسلمون في مصر يرالون غزواتهم على النوبة السفلى حتى فتحوها سنة ٧١٧ هـ ١٣١٨ م . وهاجر العرب افواجا من مصر والحجاز فاتحدوا مع الفونج في جنوبي سنار ففتحوا النوبة العليا سنة ٩١٠ هـ ١٥٠٥ م وأدخلوا اهلها في دين الاسلام وأسسوا مملكة في سنار امتدت شوكتها من الشلال الثالث الى جبال فازوغلي شمالاً وجنوباً ومن سواكن ومصوع على البحر الاحمر الى النيل الابيض شرقاً وغرباً .

مملكة دارفور : واختلط العرب بالفور فأسسوا مملكة في دارفور امتدت من بئر النترن في الصحراء الكبرى الى بحر الغزال شمالاً وجنوباً ومن النيل الابيض الى ترجة برقو شرقاً وغرباً .

الكشاف والدولة العلية : ثم ان السلطان سليم الفاتح لما فتح مصر ارسل سرية من العساكر التركية الى النوبة السفلى سنة ١٥٢٠ م فأسسوا حاميات في اسوان وابرم وجزيرة ساي وحكوا البلاد الى الشلال الثالث وعرفوا بالكشاف . ومد السلطان سليم فتوحاته في البحر الاحمر فاحتل سواكن ومصوع وزيلع وبربره وجعلها تحت حكم الحجاز . فأصبح في السودان الذي عليه كلامنا مملكتان قويتان: مملكة دارفور ومملكة سنار ومعها حكم الكشاف الاتراك في النوبة السفلى ثم حكم الدولة العلية في سواكن ومصوع وزيلع وبربره .

الفتوح المصري : وبقيت هذه القوات سائدة في السودان الى ان تولى مصر البطل المهام الطيب الذكر المنصور له محمد علي باشا جد العائلة الحديوية

الكرمية فأرسل ابنه اسماعيل باشا بجيش جرار الى السودان سنة ١٨٢٠ م ففتح النوبة الشمالية من الكشاف ومملكة سنار (وتشمل بلاد دنقلة وبربر والخرطوم وسنار وفازوغي) من الفونج وأرسل صهره الدفتدار الى كردوفان ففتحها وسلخها عن سلطنة دارفور سنة ١٨٢١ م ثم أتم خلفاؤه الفتح ففتحوا التاكا سنة ١٢٥٦ هـ ١٨٤٠ م ودارفور سنة ١٢٩١ هـ ١٨٧٤ م . ومسدوا فتوحاتهم الى بلاد السود ففتحوا فاشودة سنة ١٨٦٥ م وخط الاستواء سنة ١٨٧١ م وبحر الغزال سنة ١٢٩٠ هـ ١٨٧٣ م وأخذوا بلاد هرر بعد ان كان يحكمها عائلة من اهلها سنة ١٨٧٤ م . وكان الباب العالي قد تنازل عن سواكن ومصوع سنة ١٨٦٦ م . وتنازل عن زيلع وبربره سنة ١٨٧٥ م . مقابل زيادة على ضريبة مصر السنوية . وبذلك امتدت البلاد من الشلال الاول عند اسوان الى بحيرة فكتوريا نيانزا شمالاً وجنوباً ومن البحر الأحمر الى حدود وداي شرقاً وغرباً وانقسمت الى عشر مديريات وهي دنقلة وبربر والخرطوم وسنار (وتشمل فازوغي) وفاشودة وخط الاستواء وبحر الغزال ودارفور وكردوفان وكسلا وثلاث محافظات وهي سواكن ومصوع وهرر . وأطلق عليها اسم « السودان المصري » وجعلت عاصمتها الخرطوم وحدها الشمالي خور موسى باشا عند الشلال الثاني لا اسوان عند الشلال الاول كما كان قبل الفتح . وأما البلاد بين الشلال الاول والثاني فقد ضمت الى مديرية أسنا آخر مديريات مصر الجنوبية .

الثورة المهدية : وبقيت مصر سائدة على السودان الى ان كانت الثورة المهدية المشهورة سنة ١٨٨١ م فاضطرت أن تتقهقر سنة ١٨٨٥ الى حدها الشمالي عند الشلال الثاني وسقطت البلاد كلها بيد المهدي ثم بيد خليفته من بعده إلا « هرر » فانها أعيدت سنة ١٨٨٤ الى العائلة التي كانت تملكها قبل الفتح فأخذها الأحباش منها عنوة سنة ١٨٨٥ « وزيلع وبربره » فانها سلمتا للانكليز في تلك السنة « ومحافظة مصوع » فانها سلمت للتليان سنة ١٨٨٦ . « وسواكن » فإن الثورة لم تقوَ عليها . وقسم الخليفة السودان الى عمالات

بدل المديريات وجعل عاصمته أم درمان بدل الخرطوم وجعل مديريات الخرطوم وسنار وفاشوده عمالة واحدة تحت اسم عمالة الجزيرة وقسم كسلا الى عماليتين القلابات او (القصارف) وكسلا وجعل عمالة في طوكر فكانت عمالته تسماً وهي دنقلة وبربر وام درمان والجزيرة والقلابات ودارفور وكردوفان وبحر الغزال وخط الاستواء .

استرجاع السودان : وبقيت البلاد في يده الى ان عادت مصر فاسترجعتها بـلاداً بعد بلاد برأي الانكليز ومعونتهم فبدأت بفتح طوكر في ١٩ فبراير سنة ١٨٩١ م وانتهت بقتل الخليفة في ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٩٩ .

السودان الانكليزي المصري : وانتقل السودان المصري بعد الفتح الأخير الى طور جديد فرفعت فوقه الراية الانكليزية بجانب الراية المصرية وقُبل عن مصر فجعل له حكومة جديدة باسم السودان الانكليزي المصري ، يتولاه وال يختاره الانكليز ويؤيده الجناب العالي الحديوي ا وهو يشمل جميع بلاد السودان المصري إلا ما تركته مصر بسبب الثورة المهدية (وقد تقدم ذكره) « وبني شنقول » من اعمال فازوغلي التي آلت الى الحبشة في آخر حكم التماشي « والقسم الجنوبي من مديرية خط الاستواء » الذي ألحق بأوغندا التابعة للانكليز ومنه مقاطعة اللادو التي أعطيت للملك البلجيك مدة حياته على أن تعود للانكليز بعدها ، فأصبح الحد الجنوبي للسودان الجديد فامكه على النيل الأزرق بدل فداسي ، ومنجلا على النيل الأبيض عند خط ٥° من خطوط العرض تقريباً بدل بحيرة فكتوريا نيانزا .

مديرية أسوان والحد الفاصل بين مصر والسودان : وكانت مصر عند رجوعها الى الحدود سنة ١٨٨٥ قد فصلت البلاد التي بين اسوان وحلفا عن مديرية اسنا وجعلتها محافظة قائمة بذاتها تحت الاحكام العسكرية وسمتها محافظة الحدود . ثم أُلغيت مديرية اسنا ودمجت الى مديرية قنا فندت محافظة الحدود الى السباعية على ٨٠ اميال شمالي أدفو . وبعد فتح دنقلة سنة ١٨٩٦ بقيت هذه

المحافظة على حدودها وأحكامها ولكن بدل اسمها فسميت محافظة النوبة تساهلاً . ثم بعد فتح ام درمان وفصل السودان عن مصر في ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ جعل الحد الفاصل بين القطرين خط ٢٢° من خطوط العرض الشمالي وجعل الحد على النيل بركة قرص غرباً وبركة أدندان شرقاً بحيث صارت فرص تابعة للسودان وأدندان لمصر ووضع عند كل بركة علامة مكتوب على وجهها الشمالية مصر والجنوبية السودان وسميت البلاد التي بين أدندان والسبعية بمديرية اسوان وأصبحت وسطاً بين مصر والسودان فكانت تابعة للحربية في ادارة شؤونها وأحكامها وللداخلية في مالياتها الى يوم ٩ سبتمبر سنة ١٩٠٠ فألحقت بالداخلية . ومع ذلك فهي تدخل في كلامنا بالنظر الى علاقتها الماضية بالسودان وسنأتي على ذكر مدنها وآثارها الشهيرة في الفصل التالي .

وقسمت بلاد السودان الجديدة الى مديريات ومحافظات كما كانت في الفتح الاول مع بعض التحويل الذي اوجبه الاحوال في الحدود والمعاصم والمأموريات والمراكز اهمه قسمة كل من مديرتي دنقلة والخرطوم الى مديريتين . وهذه هي :

مديريات

السودان الانكليزي المصري

ومحافظاتها وعواصمها وحدودها ومأمورياتها ومراكزها الآن

اسم المديرية او المحافظة	حدودها	مأمورياتها مراكز المأموريات
محافظة حلفا	تمتد على النيل من بركة فرس قرب خط ٢٢ من العرض الشمالي الفاصل بين مصر والسودان الى عكاشة . ويمحدهما من الشرق طريق الصحراء التي بين كورسكو والمرات ومن الغرب طريق الاربعين . وهي مشهورة بنخيلها والشلال الثاني المنسوب اليها وسكة الحديد المتفرعة عنها وجميع سكانها من النوبة وقد احصى عددهم بعد الفتح الاخير فبلغ نحو ١٤ الف نسمة .	حلفا حلفا
مديرية دنقلة	تمتد على النيل من عكاشة الى حلة برقي عند الشلال الرابع . ويمحدهما من الشرق خط تمتد من حلة برقي الى آبار جبرة مار بآبار الجكدول ومن الجنوب خط يصل آبار جبرة بآبار عين حامد . وهي مشهورة بكثرة نخيلها وخصب ارضها وهي المديرية الوحيدة في السودان الآن التي تريد ايراداتها على مصروفاتها . وسكانها من النوبة والعرب وقد قدر عددهم قبل الثورة بنحو ٧٥ الف نسمة وبلغ بعد الفتح الاخير ٦٣ الف نسمة .	دلقو ارغو دنقلة الحندق الدبة كورتي صنم
عاصمتها دنقلة الاوردي		سكوت والمحس ارغو دنقلة الحندق الدبة كورتي مروي

اسم المديرية او المحافظة	حدودها	مأمورياتها	مراكز للمأموريات
مديرية بربر عاصمتها بربر	تتد على النيل من حلة برقي الى حجر المسل في رأس الشلال السادس ويمجدا شمالا في الصحراء عرض ٢٢ وشرقا آثار كوكريب في طريق سواكن وبربر وجنوبا ميتايب على الاثرا وابو دليق في البطانة وغربا دنقلة . وهي تتناز بكثرة الدم وعدد سكانها نحو ٥٥ الفاً من عرب وبجة .	الرباطاب بربر الذيداب شندي	ابو حمد بربر الدامر شندي
مديرية مدينة الخرطوم عاصمتها الخرطوم	وهي مدن الخرطوم وام درمان والحلفاية يحيط بها دائرة نصف قطرها ١٠ اميال . وهي مركز ادارة السودان وتجارتها . وسكانها عرب واخلاط من جميع الاجناس .	الخرطوم أم درمان الحلفاية	الخرطوم أم درمان الحلفاية
مديرية جزيرة الخرطوم عاصمتها الكاملين	وهي بالقرب مديرية الخرطوم القديمة ما عدا مديرية مدينة الخرطوم المتقدم ذكرها وتمتد على النيل الكبير من حجر المسل الى الحلفاية وعلى النيل الازرق من الخرطوم الى ابي حراز عند ملتقى الرهد بالنيل الازرق وعلى النيل الايض من ام درمان الى الجبلين . وتمتد شرقا في البطانة الى ابي دليق وغربا الى جبرة . وهي ام مديريات السودان وأخصبهاربة . وسكانها عرب من حضر وبادية وبلغ عددهم بمد الفتح الاخير نحو ٢٠٠ الف نفساً .	الكاملين المسلية عُبوود أبو حراز رفاعة الكوه	الكاملين المسلية عُبوود أبو حراز رفاعة الكوه
مديرية سنّار عاصمتها ودمدني	وهي تمتد على النيل الازرق من مصب الرهد الى ما وراء فامكه على حدود الحبشة ويمجدا من الشرق نهر الرهد والحبشة ومن الغرب جبل سجدى وجبل قلي . وسكانها عرب من حضر وبادية وبينهم قليل من السود وقد احصى عددهم بمد الفتح الاخير فكانوا نحو ١٤٠ الف نسمة . وام معادنها الذهب . وام تجارتها الصمغ والريش والسمن والذهب .	ودمدني ودالعباس سنار كر كوج الرصر دار الفونج	ودمدني ودالعباس سنار كر كوج الرصر دار الفونج

اسم المديرية او المحافظة	حدودها	مأموريها	مراكز المأموريات
محافظة فاشوده عاصمتها فاشوده	وهي تمتد على التيل الأبيض من الجبلين الى بحيرة نو ومنها على بحر الجبل الى قرب اللاذو على خط ه من العرض الشمالي تقريباً . ويحدها من الشرق مديرية سنار والحبيشة ومن الجنوب اوجندا ومن الغرب كردوفان وبحر الغزال . وهي بلاد خصبة الى الفاية وام حاصلاتها الذرة والبن والریش . ومعظم سكانها سود .	فشودة (مراكز بوليس) التوفيقية الناصر سبت	فشودة التوفيقية الناصر سبت
بحر الغزال عاصمتها واو	وهي البلاد التي يروها بحر الغزال وفروعه وحدها من الشمال بحر العرب وبحر الغزال الفاصلان بينها وبين دارفور وكردوفان ومن الشرق بحر الجبل الفاصل بينها وبين فشوده ومن الجنوب ولاية الكونغو الحرة ومن الغرب الجبال الفاصلة بينها وبين الكونغو الفرنسية . وهي تنقسم قسمين : شمالي وهو سهل خصبة صالحة للزراعة تكثر فيها الغابات والحراج ، وجنوبي وهو قليل الخصب يرتفع تدريجياً حتى ينتهي الى الجبال الفاصلة بينها وبين نهر الكونغو . وجميع سكانها من السود . وزراعتها الذرة والدخان والتيلبون والموز . وام معادنها النحاس والحديد . وعصولاتها التي تدخل في المتجر السن والخرتيت والریش والستك والعمل والشمع والتمر الهندي والنحاس . وام ما يروج عندهم الحز الملون وهم يتعاملون به بالنحاس والحديد .		
مديرية كسلا عاصمتها كسلا	يحدها من الشمال غور اللانقب وبئر تندرا ومن الجنوب حدود الحبيشة بقرب القلابات ومن الشرق الارثريا والحبيشة ومن الغرب مديرية الجزيرة وسنار . وسكانها نحو ٤٣ الف من عرب ويجه .	كسلا القضارف القلابات	كسلا القضارف القلابات

اسم المديرية أو المحافظة	حدودها	مأمورياتها	الدسوريات
محافظة سواكن عاصمتها سواكن	وهي تمتد على البحر الاحمر من رأس حلبة عند خط ٢٢ من العرض الشمالي الى رأس قصار . ويحدها من الجنوب الارثريا ومديرية كسلا ومن الغرب مديرية بربر . وقد قدر سكانها بمسد الفتح الاخير بنحو ١١٩ الف نسمة وكلهم من اصل البجة .	سواكن طوكر	سواكن طوكر
مديرية كردوفان عاصمتها الأبيض	يحدها من الشمال خط يمتد من جبره الى وادي الملح بقرب عين حامد ومن الجنوب بحر الغزال وبحر العزب ومن الشرق مديريتا الجزيرة وفاشودة ومن الغرب دارفور . وأهم حاصلاتها التجارية صنغ المشاب والسن والريش والجلود، وقد بلغ الوارد منها الى مصر سنة ١٨٧٨ نحو ١٣٢ الف وخمس مئة جنيه من الصنغ والريش والجلود غير المدبوغة ، وسكنها عرب من حضر وبادية أبالة وبقارة وقد قدر عددهم سنة ١٨٧٥ بنحو ٢٨٠ الف نسمة وأما الآن فالأرجح انهم لا يبلغون نصف ذلك وأم زراعتها الدخن يزرع على الامطار . ومن معادنها الحديد والذهب .	الأبيض بارة الطيارة	الأبيض بارة الطيارة
دارفور عاصمتها الفاشر	يحدها من الشمال بشر النزون في طريق الاربعين ومن الجنوب بحر العرب ومن الشرق كردوفان ومن الغرب وداي . وهذه البلاد لم تدخل بعد تحت التقسيم الاداري الجديد والقائم بأمرها الآن الأمير علي دينار بن الأمير زكريا بن السلطان محمد الفضل على جزيرة يدقمها لحكومة السودان . وسكانها ثلاثة اجناس : السود وشبه السود والعرب من حضر وبادية . وقد قدر عددهم سنة ١٨٨١ بنحو مليون ومئة وخمسة الف نسمة النصف من السود وشبه السود والباقى من العرب والباقي من التكاوية . وأهم تجارتها السن والريش والجلود والدخن . ومن معادنها الرصاص .	خورسي الدويم كدارو السنوط	خورسي الدويم كدارو السنوط

الفصل الثاني

في

مدن السودان وآثارها

مدن مديرية اسوان «التابعة الآن لمصر» وآثارها

«أسوان» (ش) هي عاصمة المديرية واسمها في القبطية سوان فزاد العرب الألف عليها لعدم الابتداء بالساكن وهي واقعة في رأس الشلال الاول على ٥٩٠ ميلا من القاهرة وفيها آثار كثيرة تدل على قدمها وعظم أهميتها منها خرائب هيكل من ايام البطالسة . وذكر المؤرخون ان قد كان فيها بشرٌ عجيبة تقع فيها أشعة الشمس عمودية في المنقلب الصيفي حتى تضيء جميع جوانبها من الداخل ولكن لم يُهتدَ الى مكان هذه البشر بعد . والى الجنوب الشرقي من اسوان مقلع الغرانيت الصافي المشهور الذي أخذت منه مسلات الأقصر والمطرية والاسكندرية وبعض الحجارة الكبيرة في بعلبك وتدمر وجهات اخرى في الشرق ولا يزال فيه مسلة ضخمة غير مفصولة عن الطبقة الاصلية كأن لم يعد لأصحابها فرصة لقلعها الى المكان المعد لها فبقيت بعدم تنادي بلسان حالها :

ما درى الناحتون من قبل نحتي قل من نال في الحياة مرامه
ان قصر الحياة يثليه عنه وعلى قصرها بقيت علامة

وطول هذه المسلة نحو ٩٥ قدماً وعرضها يزيد عن ١١ قدماً . وبين هذا المقلع وأسوان مقبرة كبيرة فيها أضرحة مشايخ وأولياء من المسلمين عليها كتابة بالقلم الكوفي . وقد أقامت الحكومة حامية حصينة في اسوان مدة الثورة المهدية فزهدت لازدحام الناس فيها من ذلك الوقت . وشيد لها المساكن رصيفاً متيناً سنة ١٨٨٧ فبنى عليه أهلها الابنية الفاخرة وفي جملتها نزل كبير للسياح بناه المرحوم بطرس بك سر كيس من كبار تجارها الأقباط . وقد كانت اسوان ولا تزال مركزاً مهماً للتجارة مع السودان ولها طريق مشهور منذ القديم في الصحراء الشرقية الى بربر طوله ٤٧٣ ميلاً . وبينها وبين قدم الشلال سكة حديد طولها ٩ أميال مدة سنة ١٨٧٤ . وقد كان يمر باسوان من البضائع في السنة قبل الثورة المهدية ما تقدر قيمته بنحو ٢٠٠٠٠٠٠ جنيه .

وعدد سكان اسوان الآن نحو ٩٠٠٠ نسمة وهم اخلاط من اجناس مختلفة من السود والنوبة والقبط والمصريين والأتراك (المتخلفين من عساكر السلطان سليم) وبينهم تجار من الأروام والشوام وغيرهم ويظهر انها كانت قديماً اكبر كثيراً مما هي الآن ، فقد ذكر مؤرخو العرب انها رزئت في بعض السنين بالطاعون فمات من أهلها ٢٠٠٠٠ نفس . وقد ظهر في هذه المدينة العالم المؤرخ الشهير سليم الاسواني صاحب تاريخ النوبة والبجة الذي نقل عنه المقرئ معظم اخباره عن النوبة والبجة ، وقد بحثت عن هذا التاريخ بحثاً دقيقاً فلم أقف له على اثر ويقول بورخارت السائح الالماني الشهير انه بحث عنه في مكاتب مصر كلها فلم يجده .

ونبغ من اسوان في هذا العصر العالم الفاضل والشاعر المطبوع الشيخ احمد الجداوي الأزهري الذي تولى بعض مراكز القضاء في السودان ومصر فنال فيها شهرة طيبة وقد ألف أرجوزة في الميراث طاعتها عليه فاذا هي اسهل

ارجوزة رأيتها في هذا الباب وله قصائد تاريخية شهيرة في مدح الحضرة الخديوية تشهد له بتوقد الذكاء وسلامة الذوق وكانت وفاته في شهر ابريل سنة ١٩٠٢ تقمده الله برحمته ورضوانه وأسكنه فسيح جناته .

وتجاه اسوان في البر الغربي أكمة مرتفعة على رأسها قبة غير بعيدة العهد تعرف « بقبة الهواء » ولعلها مدفن احد النساك . وتحت هذه القبة أطلال « دير » للأقباط على شكل قلعة من بقايا القرن السادس او السابع للميلاد . ويمجانبها في صدر الاكمة « مدافن قديمة » منقورة في الصخر من عهد الدولة السادسة والدولة الثانية عشرة المصرية وقد كانت مطمورة بالرمال التي تنسفها الرياح من الصحراء فكشفها السر فرنسيس غرنفيل باشا السردار الاسبق سنة ١٨٨٧ بهمة وهداية مصطفى بك شاعر وكيل قنصلاتو انكثرتا في ذلك الحين وأخرج منها موميات وتحفا شتى .

وتجاه اسوان في النيل جزيرة « الفنتين » المار ذكرها اتخذها ملوك الدولة الخامسة المصرية كرسياً لهم ، وبنى فيها الملك أمنوفيس الثالث هيكلًا لا تزال آثاره ظاهرة الى الآن . وفيها المقياس الذي تقدم ذكره في الكلام على النيل وآثار اخرى قديمة العهد .

وفي منتصف الشلال الاول الواقع في جنوبها جزيرة صغيرة تعرف « بجزيرة سهيل » وجد فيها سنة ١٨٨٩ حجر قديم مكتوب عليه بالهيوغليفيه ان قد حصل جوع شديد في مصر في أيام ملك من ملوك الدولة الثالثة المصرية دام سبع سنين .

وقد باشرت الحكومة المصرية منذ ثلاث سنين ونيف بناء « خزان » كبير عند منتصف هذا الشلال شبه القناطر الخيرية شمالي مصر والقصد منه خزن بعض مياه الفيض للأمن من الشرق وتوسيع نطاق الري في البلاد ولا سيما في الوجه القبلي . والبناء الآن على وشك الانتهاء ، وهو اعظم عمل أنشئ في عصر خديونا الحالي المعظم بل هو من اعظم الأعمال التي أنشئت في وادي النيل من اول عهد التاريخ الى انبوم . الفضل الأعظم فيه كما في غيره

من الاعمال الجليلة التي قامت في مصر منذ عشرين سنة الى الآن عائد الى دولة الوزير الخطير رجل اصلاح الشهير الفيكونت كزومر وكيل انكلترا السياسي وقنصلها الجنرال في مصر الذي يجدر بمصر ان تشكر له هذه المآثر الغراء أبد الدهر . اما واضح مشروع الحزان فهو المستر ويلكوكس من رجال الري العظيم .

ويتهيئ الشلال الاول عند جزيرة « فيلي » وهو الامم الذي اطلقه عليها اليونان والرومان ، وأما المصريون القدماء فقد سموها بما ترجمته « الحدود » وذلك لوقوعها في الطرف الجنوبي للشلال وهو الحد الطبيعي بين مصر والسودان . وأهم ما في هذه الجزيرة الآن آثار هيكل جيل الصنعة من بناء البطالسة والرومان يسمى قصر انس الوجود أقاموه لعبادة الإله أيسس . وكان المصريون القدماء والأثيوبيون يحترمون هذه الجزيرة ويعبدونها من أقدس محلاتهم حتى انهم لم يسمحوا لأحد ان يسكنها إلا الكهنة لأنه يقال انها احدى مدافن الإله أوسيرس الذي لم يحسر احد ان يحلف باسمه باطلا وقد استمرت عبادة هذا الإله في الجزيرة الى سنة ٤٥٣ م وذلك بعد منشور ثيودوسيوس (الذي أصدره ضد الديانة الوثنية) بسبعين سنة . ولما زارها سترابو وجد سكانها من أثيوبيين ومصريين يعبدون الصقر قال : « ولكن الصقر الذي يعبدونه اكبر من صقر بلادنا وصقر مصر يختلف عنها في لون ريشه وقد قيل لنا انه أثيوبي وانه عند موته بقليل يؤتى بغيره من ايثيوبيا والصقر الذي شاهدناه كان مريضاً في حالة النزاع » . وفي هذه الجزيرة مقياس قديم للنيل كالذي في جزيرة الفنتين . وفي الطرف الشمالي منها آثار كنيسة للأقباط الأقدمين .

اما البلاد التي من جنوبي الشلال الاول الى حلفا فليس فيها الآن ما يستحق الذكر سوى آثارها وأشهر هذه البلاد :

« دبود » (غ) على بعد ١٠ ١/٢ ميل من جزيرة فيلي وهي قرية صغيرة فيها خرائب هيكل للملك اذخرآمن من ملوك ايثيوبيا الذي حكم في أواسط

القرن الثالث قبل المسيح ويُظن أنها كانت في بعض العصور الحد الفاصل بين مصر وإثيوبيا . وإلى الغرب من دبود على يمين منها واحة « كركر » وهي واحة صغيرة فيها نخيل وآبار ولكنها غير مكمونة .

« وكلاشه » (غ) على بعد $28\frac{3}{4}$ ميل من دبود وهي بلدة صغيرة واقعة على خط السرطان تماماً وفيها هيكلان قديمان أحدهما أكبر الهياكل في بلاد النوبة أسسه طوطمس الثالث سنة ١٦٠٠ ق. م. فتهدم فبنى فوقه البطالسة والرومان الهيكل الباقي آثاره إلى الآن. ولما انتحل النوبيون الديانة النصرانية طلوا جدرانهم بالطين وحوّلوه كنيسة لهم والهيكل الآخر من آثار رمسيس الثاني ثاني ملوك الدولة التاسعة عشرة المصرية نحتته في الصخر وجعله تذكراً لنصرته على الإثيوبيين وسيأتي ذكره .

« ودكا » (غ) على بعد $32\frac{1}{4}$ ميل من كلاشه وفيها هيكل أسسه ارجينس أحد ملوك إثيوبيا وأتمه وزخرفه البطالسة والقيصرة .

« وكوبان » تجاه دكا في رأس وادي العلاقي وفيها آثار قلعة حصينة قيل أن رمسيس الثاني بناها لحماية الطريق المؤدية إلى معادن الذهب والزمرد في الصحراء الشرقية .

« والمحرقه » (غ) على بعد $7\frac{1}{4}$ ميل من دكا وقد كانت آخر حد اليونان والرومان الجنوبي في بلاد النوبة . وهناك هيكل من آثار البطالسة والقيصرة حوّلته النصارى الأولون إلى كنيسة كغيره من هياكل النوبة كما هو ظاهر إلى الآن .

« والسبوغ » (غ) على ٢٠ ميلاً من المحرقه وفيها هيكل جميل من بناء رمسيس الثاني وسيأتي ذكره في تاريخ إثيوبيا . قيل سميت الحلة بالسبوغ لأن الداخل إلى هيكلها كان يمشي بين صفين من تماثيل السباع الرابضة التي لا يزال بعضها باقياً إلى اليوم .

« وكورسكو » (ش) وهي بلدة صغيرة على $12\frac{1}{4}$ ميل من السبوغ وهي أقرب نقطة في نيل مصر إلى أبي حد وبينها طريق تجارية شهيرة طولها نحو

٢٤٠ ميلاً تمرُّ بآبار المرات المار ذكرها . وقد اتخذت الحكومة هذه البلدة مركزاً من المراكز العسكرية في الحدود مدة الثورة المهدية وبنت فيها ثكنات للساكر فزهت ولكن فقدت أهميتها الآن لا سيما بعد انشاء سكة الحديد من حلفا الى ابي حمد واصبحت مخزن فحم للوابورات التي بين اسوان وحلفا .

« عمدة » (غ) على ٧١/٢ ميل من كورسكو وفيها هيكل صغير من عهد الدولة الثانية عشرة المصرية وهو أقدم هياكل النوبة وأجملها .

« الدر » (ش) على ٤ اميال من عمدة وفيها هيكل صغير منحوت في الصخر أقامه رعمسيس الثاني لعبادة آمّن رع وكان اسمها في القديم ما ترجمته مدينة هيكل الشمس . وكانت مركز الكشاف الذين حكموا النوبة منذ ايام السلطان سليم وبقيت كذلك الى الفتح المصري سنة ١٨٢٠ فدخلت في حوزة مصر ولا يزيد عدد سكانها الآن عن الالف نسمة وأكثرهم من سلالة الكشاف .

« ابريم » (ش) على بعد ١٣ ميلاً من الدر وهي قرية صغيرة في مكان برعس القديمة وفيها آثار من ايام الدولة الحادية عشرة المصرية فما بعدها ومنها آثار قلعة من عهد الرومان مبنية بحجارة أقدم من ذلك العهد وعلى احد تلك الحجارة اسم طهراق الذي ملك ايثيوبيا ومصر سنة ٧٠٠ ق م . وهي احدى الحاميات الثلاث التي أقامها السلطان سليم في بلاد النوبة وبقيت ذرية عساكر السلطان سليم فيها الى ان طردهم الغزّ (المماليك) منها سنة ١٨١١ ومم فارّون من وجه محمد علي باشا الى سنار .

« وابو سمبل » (غ) على ٣٤ ميلاً من ابريم وفيها هيكل منحوت في الصخر في منحدر تلة تطل على النيل من بناء رعمسيس الثاني وهو اعظم الهياكل في بلاد النوبة وأجملها وسيأتي وصفه في تاريخ ايثيوبيا .

« وفريج » (ش) تجاه ابي سمبل وفيها هيكل صغير منحوت في الصخر لامنحوتب الثالث اتخذ نصراني النوبة كنيسة لهم في اول عهد النصرانية عندهم وفيه الى الآن صورة للمسيح وهناك كتابة ١٤ سطراً بأحرف قبطية

ولغة غير مفهومة سماها بعضهم اللغة الاثيوبية المسيحية. وفي التلة القائمة عليها قلعة ابريم حجر عليه كتابة بهذه اللغة .

« وطوشي » (غ) وقد اشتهرت حديثاً للواقعة التي حصلت فيها سنة ١٨٨٩ بين الجيش المصري بقيادة غرنفيل باشا السردار الأسبق وجيش الدراويش بقيادة عبدالرحمن النجومي المشهور وقد أقيم في مكان الواقعة حجر تذكراً لها .

مدن محافظة حلفا وآثارها

« فرص » وهي اول محافظة حلفا وحد السودان الشمالي على النيل كما مر وفيها أطلال مدينة قديمة يُظن انها من عهد الرومان وخرائب أقدم من هذا العهد وفي الشلال التي الى غربها ثلاثة أضرحة قديمة منحوتة في الصخر حول نصارى النوبة احدها الى كنيسة وغشوا جدرانها بكتابات قبطية بينها كثير من آيات التوراة والمواعظ . وتجاه فرص في الشرق « برية ادندن » التي هي آخر حد مصر الجنوبي .

« وحلفا » (ش) وهي قرية صغيرة على ٢٢٦ ميلاً من الشلال الاول وفي عرض شمالي ٥٥ ٢١ وطول شرقي ١٩ ٣١ . والى جانبها قشلاق حصين أقام فيه الجيش المصري ايام الثورة المهدية محافظاً على الحدود وبنى فيه اسبتيالية عسكرية وسجناً حريباً . ومنه تبتدىء السكة الحديد فتتفرع فرعين فرعاً يحاذي النيل الى الكرمة وفرعاً يقطع الصحراء الى ابي حد والحروطوم وسيأتي الكلام عليها . وفيه معمل لصبة الحديد والنحاس على شبه عنابر بولاق وغازن لأدوات سكة الحديد ووابورات النيل . وفيه مركز المحافظة والقومندانة وجامع قديم .

والى شماليه على نحو ميلين منه بلدة « التوفيقية » التي كانت تعرف قديماً بدبروسه فبنى فيها المقفور له توفيق باشا الحديري السابق جامعاً فسميت باسمه وقد اجتمع اليها التجار فأقاموا فيها بندراً من أهم البنادر التجارية في الحدود.

وبين التوفيقية وفرص آثار جمة من عهد الفراعنة والرومان ونصارى النوبة .

وتجاء حلفا في البر الغربي بقايا هيكلين قديمين احدهما من بناء اوسرتسن الاول من ملوك الدولة الثانية عشرة المصرية وقد وُجد في احدى غرفه المعروفة بقدس الاقداس حجر عليه صورته وصور رؤوس القبائل التي تغلب عليها فنقل الحجر الى فلورنسا بإيطاليا . وثانيها من بناء طوطمس الثاني والثالث من ملوك الدولة الثامنة عشرة المصرية وفيه اخبار انتصار طوطمس الثالث على الليبيين والفينقيين وغيرها وأسماء بعض أمراء كوش من ايام الدولة التاسعة عشرة والعشرين . والى الجنوب من حلفا على بعد ميلن منها يبتدىء الشلال الثاني الملسوب اليها .

والى الجانب الغربي منه على بعد خمسة أميال من حلفا حجر عظيم مشرف على الشلال يعرف « بحجر ابي صير » يقصده السياح للتفرج على الشلال من أعلاه وقد اعتادوا ان ينقشوا أسماءهم عليه تذكراً لزيارتهم الشلال فحبدأ هذه العادة لو اقتصر على مثل هذا الحجر فان نقش الأسماء على حجر « غشم » أثر تاريخي جميل لكنك قلما تزور أثراً من الآثار البديعة التي تركها لنا الأولون الا وتجد جدران مشوهة بأسماء السياح والزوار الذين يلتابونه وقد ترى في بعض الآثار كتابة تاريخية او نقشا بديعاً من اجل ما صنعت يد انسان ويحانب تلك الكتابة او النقش او في وسطها اسم شخص منقوش أقبح نقش بأحرف كبيرة كأن صاحبه يريد ان نعتاض اسم جنابه عن زخرف ذلك الأثر المفيد وبهائه . والله في خلقه آيات .

وتجاء ابي صير في البر الشرقي خور موسى باشا الذي تقدم انه كان الحد بين مصر والسودان مدة الفتح المصري الاول . اما موسى باشا المنتسب اليه هذا الخور فهو احد ولاة السودان الذي تولى سنة ١٢٨١ هـ ١٨٧٩ م وفي ايامه تمرد جماعة من عساكر الأتاتوط وفرأوا من الخرطوم وهو إذ ذاك في مصر فخرج للقائهم ببعض الجند فالتقام وقهرهم عند هذا الخور فسمي باسمه .

« وقلعة معتوقة » (غ) على بُعد ٣ أميال من أبي صير وهي مبينة بناء متيناً بالطوب التي والى جنوبها هيكل صغير وكلاهما من بناء اوسرتسن الثالث خامس ملوك الدولة الثانية عشرة المصرية . وهناك خرائب مدينة قديمة .

« وسمنه » (ش) وهي حلة صغيرة على ١٣ ميلاً من سرس جعلها اوسرتسن الثالث الحد الفاصل بين مصر والسودان ويجانبها الشلال المنسوب اليها . « وسرس » (ش) وهي قرية صغيرة على بُعد ٣٣ ميلاً من حلفا وقد مُدَّت اليها سكة الحديد من حلفا في الفتح الاول واشتهرت في الثورة السودانية إذ اتخذها الدراويش النقطة الأممية لهم في حملتهم المشهورة على مصر فطردهم الجيش المصري منها وبني طابية على رأس رابية هناك وعززها بالمدافع والعساكر وبقيت الحامية الى ان كانت الحملة لفتوح دنقلة سنة ١٨٩٦ فهجرت .

« وعكاشة » (ش) وهي بلدة صغيرة على بعد ٣٩ ميلاً من سمنه بطريق النيل وفيها قبة تزار للشيخ عكاشه الذي تسمت البلدة باسمه واهل هذه الجهة يعتقدون انه عكاشة الصحابي ولهم فيه رواية تقليدية لطيفة قالوا انه جاء مع جيش المسلمين في ايام عمرو ابن العاص لغزو دنقلة وفيما هو راجع التقاه اهل سكوت وكانوا اذ ذاك على النصرانية فحاربوه وقتلوه ثم قطعوا رأسه ورموه في النيل فطاف الرأس على وجه الماء حتى وصل تجاه هذه البلدة فصعد من نفسه الى البر الشرقي وحلّ على صخرة هناك فخرج منه نور رآه اهل الشرق والغرب فاجتمعوا حوله متعجبين منه واراد اهل كل جهة ان يأخذوه اليهم للتبرك به واشتد اللجاج بينهم حتى كاد يفضي الى سفك الدماء وفيما هم كذلك اذا بالصخرة قد انشقت واندفن الرأس فيها فبنوا فوقه قبة تزار الى اليوم . على ان مؤرخي الاسلام يثبتون ان عكاشة الصحابي قتل في حرب اليمامة يوم قتل مسيلة الكذاب في خلافة ابي بكر الصديق وعليه فاما ان تكون هذه القبة مجرد مقام لعكاشة الصحابي او ان تكون قبة شيخ آخر سمي بهذا الاسم . وتجاه عكاشة في الغرب بانحراف قليل الى الشمال نبع ماء حار قريب من

النيل يستحم به اهل البلاد ويعتقدون انه نافع للأمراض الجلدية والباطنية .
مدن مديرية دنقلة وآثارها :

« فرّكه » (ش) وهي قرية صغيرة بينها وبين عكاشه عقبة طولها نحو ١٥ ميلا وقد اتخذها الدراويش مركزاً لهم في حملتهم على مصر ووقفوا فيها لصد الجيش المصري عن التقدم الى دنقلة في ٧ يونيو سنة ١٨٩٦ فكانت هناك واقعة شهيرة عرفت بواقعة فركة ، وتعرف البلاد التي بينها وبين حلفا ببلاد بطن الحاجر لكثرة العقبات في برها والشلالات والجزر في نيلها .

« وكوشه » (ش) وتبعد نحو ٧ أميال عن فركة وقد اتخذها الجيش مركزاً له في حملته على دنقلة سنة ١٨٩٦ وهناك طابية من عهد الحملة النيلية .
« وجنيس » (ش) على نحو ٣ أميال من كوشه اشتهرت في الثورة المهدية بواقعة جرت فيها بين الدراويش والجيش الانكليزي المصري سنة ١٨٨٥ ونسبت اليها .

« وعمارة » (ش) جنوبي جنيس ويحاذيها هيكمل قديم من آثار الاثيوبيين
« وعبري » (ش) جنوبي عمارة على نحو ٥ أميال منها وقد كانت مركز بلاد سكوت مدة الفتح الاول وتجاهها في الغرب « ساقية العبد » وهي واقعة في قم مفازة طولها ٥٨ ميلا تؤدي الى « واحة سليمة » .

« وكويكه » (ش) على ٧ أميال من عبري وفيها قبة تزار للشيخ ادريس محجوب جد الشيخ ادريس محجوب كبير الطريقة المرغنية في بلاد سكوت الآن .
وتجاه كويكه في النيل « جزيرة ساي » المار ذكرها وهناك خرائب قلعة قديمة من عهد السلطان سليم الفاتح او من قبله .

« وسواردة » (ش) على ٨ أميال من كويكه اتخذها الدراويش النقطة الامامية لهم بعد ما طردهم الجيش من سرس فبقوا حتى أخرجهم منها ايضاً بعد واقعة فركة .

« وقبة سليم » (غ) تجاه سواردة وهي قبة تزار لولي من اولياءهم يعرف بهذا الاسم . وما يروى عن كراماته انه اخذ بيده رجلاً طويلاً وتزل في قارب

الى وسط النيل تجاه القبة فرکز الرمح في قعره وقال فليكن جزيرة فكانت « جزيرة قبة سليم » الى اليوم . ويحاذي القبة بلدة صغيرة تعرف باسمها . والى جنوبها جبل دوشه وهو آخر حدود بلاد سكوت . وبليها بلاد المحس الممتدة الى شلال حنك كما مر .

« وسلب » (غ) وهي حلة كبيرة على نحو ٨ اميال من قبة سليم . وبقرها آثار هيكل فخم من بناء الاثيوبيين .
« وكويه » (غ) على ١٢ ميلا منها .
« وتيرة » (ش) على نحو ٦ اميال من كويه وهي حلة كبيرة وفيها آثار قديمة .

« وابو صاري » (ش) على نحو ٥ اميال من تيرة وبينها وبين كوشه مفازة طولها ٣٦ ميلا تعرف بعقبة ابي صاري .

« ودلقو » (ش) على نحو ١٦ ميلا من ابي صاري وهي مركز المحس الآن . وقد رأيت فيها اطلال قلعة قديمة لها برج يصعد اليه بسلم لولي ويحيط بها سور متين عرضه من أسفله نحو ٨ أقدام . وتجاهاها « جبل ساسي » الذي كان عاصمة ملوك المحس قبل الفتح المصري وعلى رأسه الآن كرسي من حجر كالوا يجلسون عليه عند تنويعهم .

« وكوكي » (غ) جنوبي جبل ساسي وقد كانت مركز المحس مدة الفتح المصري .

« وكدين » (ش) وهي واقعة في رأس شلال خيبر وفيها خرائب قلعة قديمة .
« وفريج » (ش) وهي بلدة طويلة عامرة على ١٨ ميلا من دلقو .
« وجزيرة اردوان » وهي جزيرة كبيرة يخترقها تلال صغيرة . وفيها نخيل وأشجار . وبينها وبين كويه مفازة تعرف بعقبة كويه طولها نحو ٣٦ ميلا .
« وقبة ابي فاطمة » (ش) وهي قبة تزار لشيوخ معروف بهذا الاسم واقعة في قدم شلال حنك وفي قم عقبة تؤدي الى فريج طولها نحو ٢٠ ميلا .
وتجاه القبة في النيل « جزيرة طنبس » من جزائر شلال حنك التي

اشتهرت في تاريخ ايثيوبيا. وفيها آثار قديمة من ذلك العهد وقصر كبير للملك محمد ودطنبل من ملوك ارقو السابقين وهو مدفون فيه . وأما بلدة حنك التي يلسب اليها الشلال الثالث فهي بلدة كبيرة في رأس هذا الشلال غرب النيل .
« والكريمة » (ش) جنوبي ابي فاطمة وعندها ينتهي خط سكة الحديد الممتد من حلفا وطوله ٢٠٣ أميال . والنيل منها فصاعداً الى الشلال الرابع لا شلال فيه يصلح لسير السفن كل ايام السنة . وعلى ٦ أميال منها الى الجنوب جزيرة ارقو المار ذكرها وقد كانت قبل الفتح المصري مركز مملكة من أشهر ممالك دنقلة .

« والحفير » (غ) تجاه الكريمة وقد تحصنها الدراويش ايام زحف الجيش لفتح دنقلة سنة ١٨٩٦ وجرت فيها واقعة عرفت باسمها .

« ودنقلة » (غ) وهي عاصمة مديرية دنقلة على ٢٥٩ ميلا من حلفا وفي طول ٢٩ ٣٠ وعرض ١٠ ١٩ ويقال لها دنقلة الجديدة تمييزاً لها عن دنقلة المعجوز التي كانت عاصمة النوبة السفلى وتسمى ايضاً الاوردي او العرضي لأن اسماعيل باشا بعد فتح السودان اختارها عاصمة للبلاد بدل دنقلة المعجوز فوضع فيها اوردياً (أي قيفلاً من العساكر) فأطلق عليها اسم الاوردي وُحرف الى العرضي . وقد كان عدد سكانها في بدء الثورة المهدية نحو خمسة آلاف نسمة وكان فيها ديوان للمديرية وثكنة للعساكر ومكتب للتلفراف فأخلتها الحكومة المصرية بسبب الثورة في سنة ١٨٨٥ فسقطت بيد الدراويش فخربوها وعمرها « ديمًا » على بعد ٦ أميال منها وجعلوه مركز المديرية الى ان عادت الحكومة فاسترجعتها من الدراويش عنوة في ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٩٦ وخربته وعمرت المدينة ثانية في مكانها الاول . ومن دنقلة طريق تجارية الى الفاشر وطريق الى الابيض . وفي شمالها « حلة مراغة » وهي من بناء المالك الذين فروا من وجه محمد علي باشا كما سيجيء .

« والختاق » (غ) وهي حلة صغيرة على ١٢ ميلا من دنقلة وقد كانت قديماً مركز مملكة من ممالك دنقلة التي اشتهرت قبل الفتح المصري وبقرها آثار قصر

جميل يقال له قصر الملك ودغير وهو احد ملوكها الاقدمين ويحاذيها قبب للأشراف الدنقلة .

« وحلة الصحابة » (غ) على ٣ أميال من الخنق وهي حلة كبيرة في ظاهرها قبب قديمة قيل انها مدافن الصحابة الذين رافقوا جيش المسلمين لفتح دنقلة ولكن مؤرخي الاسلام لا يعتمدون ذلك .

« وحلة ساقى بشير » (غ) على نحو ٦ أميال منها وفيها قبة تزار لشيخ معروف بهذا الاسم . وتحاذيها في النيل مجموع جزائر ثلاث تسمى جزائر الاشراف أشهرها جزيرة ضرار التي ولد فيها محمد احمد المتهمدي .

« والخنديق » (غ) وتبعد ٤٤ ميلاً عن دنقلة الاوردي وهي بلدة عامرة مبنية على مرتفع يشرف على النيل وفيها ٣ جوامع احدها قائم على آثار ميكل قديم من عهد الاثيوبيين وقد كانت بعد الفتح الاسلامي للنوبة كرسي مملكة من ممالك دنقلة وهي الآن مركز مأمورية وفي وسطها قلعة قديمة مبنية بالاجر .

وفي الصحراء الغربية على محاذة البلاد التي بين دنقلة الجديدة والخنديق واد رملي طوله نحو ٦٣ ميلاً وعرضه نحو خمسة أميال يُسمى « وادي الكعب » يسكنه فصيلة من عرب الكبابيش وفيه نخيل وآبار كثيرة أشهرها بشر السواني على ٢٤ ميلاً من دنقلة وبشر المرقوم على ٢١ ميلاً من الخنديق . وهو طيب الهواء والماء واهل البلاد يقصدونه أفواجاً في كل صيف في شهر مسرى للتملل بهوائه والاستحمام برماله وذلك ان الواحد منهم يحفر حفرة في الرمال على قدره ويضطجع فيها ثم يحمى الرمال فوقه الى الرقبة ويحمل له خيمة من الجريد تظله من الشمس ويبقى كذلك من نصف ساعة الى ساعة حتى يسيل العرق منه صبيحاً فيخرج من الحفرة كأنه قد غسل بحمام ماء حار وهم يعتقدون انه نافع للأمراض العصبية والباطنية والحميات .

« وناوي » (ش) على نحو ٢٢ ميلاً من الخنديق وفي جوارها ترب قديمة وقبب تزار قيل انها قبور الصحابة .

« ودنقلة المعجوز » (ش) قائمة فوق تلة على شاطئ النيل الشرقي على نحو ٢٢ ميلاً من ناوي و ٨٨ ميلاً من دنقلة الجديدة وقد كانت قديماً كرسي مملكة النوبة السفلى في زمن النصرانية و بقيت بيدم الى ان فتحها المسلمون سنة ٥٧١٧ هـ كما مر ثم دخلت في حكم ملوك سنار وهاجها الشايقية في أواسط القرن الثامن عشر للمسيح فخرّبوها وقتلوا أهلها فانحطت أهميتها من ذلك الوقت . وهي الآن حلة صغيرة وفيها جامعان احدهما قائم على اطلال كنيسة قديمة للنصارى كان في صدره حجر منقوش عليه تاريخ الفتح الاسلامي لدنقلة. وفيها مقامات قيل انها للصحابه وان منها مقاماً لعبد الرحمن ابن ابي بكر الصديق . وفي طرف البلدة خرائب قلعة قديمة تدل آثارها على انها كانت حصينة جداً . وفي جنوبها جزيرة شهيرة تعرف بجزيرة « حثور » وهي في غاية الخصب .

« وابو قس » (غ) على ٤٢ ميلاً من الحندق وهي بلدة صغيرة فيها سوق عامة تفتح كل يوم خميس . ومنها طريق تجارية للابيض طولها ٣٥٠ ميلاً وطريق للفاشر طولها ٥٩٢ ميلاً . وفي جوارها قبة حاج سالا وهي قبة تزار .

« والدّبة » (ش) على نحو ١٦٠ ميلاً من ابي قس و ١٠٤ أميال من دنقلة وهي حلة صغيرة قائمة على تلة صغيرة في رأس كوع النيل وأقرب نقطة الى ام درمان بينها طريق شهيرة في الصحراء مارة بآبار جبرة طولها ٢١٤ ميلاً ومنها طريق تجارية الى الابيض والفاشر وسوقها يوم الاثنين والجمعة وقد جرت فيها في بدء الثورة المهدية واقعة شهيرة . وفيها بقايا طابية حصينة تسع نحو ألف رجل . وفي اراضيها كثير من الاخشاب المتحجرة . والى شمالها على بعد ميل منها بلدة تعرف بالكرّد عسكر فيها الانكليز مدة الحملة النيلية وبنوا فيها منازل من طوب باقية الى اليوم .

« ودبة الفقراء » على نحو ٤ أميال من الدّبة وفيها قصب تزار للدواليب الدناقلة .

وفي جنوبها « جزيرة تنقسي » يسكنها بقية من الفونج الذين أتوا من سنار . « وابو دوم قشاي » وهي بلدة كبيرة في اول بلاد الشايقية التي تمتد الى

الشلال الرابع وتبعد نحوها ٨ أميال من أبي دوم قشاي .
 « والدفتار » عن يمين النيل وتبعد نحو ٩ أميال عن أبي دوم قشاي ويزعم
 أهل دنقلة أنها بلدة نمرود ابن كنعان وإن الملك موسى سكنها بعد الاسلام
 وأسس فيها مملكة دامت الى ما قبل الفتح المصري فخرّتها الشايقية على ما
 سيجيء وهي الآن حلة صغيرة وفيها قلعة خربة قائمة على صخرة كبيرة .
 وبقرها جزيرة عامرة تسمى قانتقي يسكنها ذرية ملوك الدفار مع الشايقية
 وفيها آثار قديمة وجامعان ومسجدان .

« والحتاني » على $\frac{1}{4}$ ٣ ميل من الدفار وهي حلة صغيرة نزل في جوارها
 المساكر الانكليزية مدة الحملة النيلية وبنوا منازل من الطوب لا تزال قائمة الى
 اليوم . وبقرها خرائب قلعة قديمة متينة تلسب اليها وهي قائمة على صخرة
 بينها وبين النيل طريق حرجة الى الغاية . وبين الدفار والحتاني قبة تزار لاحد
 ودبيلي من فقهاء العونية الشايقية المتقدم ذكرهم . وهناك خرائب بناء قديم
 بعيد عن النيل يعرف « بجوش بابا » بناء بشاره قيله جد اسماعيل الولي
 الكردوفاني المشهور قيل انه كان ذا غنى فاحش فاستخدم في بنائه البنات
 الأ Bakar وأنفق عليه مالا لا يحصى .

« وامبقول » عن يسار النيل على ٣٢ ميلا من الدبة ومنها طريق تمر
 بآبار البيوضة الى وادي بشاره طولها ١٥٣ ميلا وطريق تمر بآبار الجكدول
 الى المتعة طولها ١٧٦ ميلا .

« وكورتي » عن يسار النيل على بعد $\frac{1}{4}$ ٣ من امبقول وهي حلة صغيرة
 اشتهرت في الفتح المصري لواقعة جرت في جوارها بين اسماعيل باشا والشايقية
 في بدء الفتح الاول وواقعة اخرى بين مصطفى باشا مدير دنقلة وال دراويش
 في بدء الثورة المهدية . وقد جعلها اللوردولسي قائد الحملة النيلية سنة ١٨٨٤
 و ١٨٨٥ مركز أركان حربه . ومنها طريق الى المتعة تمر بالجكدول طولها
 ١٧٦ ميلا .

« وحَنَك » وهي بلدة كبيرة عن يمين النيل تبعد ٢٠ ميلاً عن كورتى وهي مركز ملوك الشايقية الحنكياب والآن مركز مأمورية تعرف باسمها . وبين حنك وكورتى جزيرة مستوي وهي جزيرة عامرة سكن فيها المرحوم محمد عثمان المرغني الشهير فولد فيها ابنه السيد علي المرغني الآتي ذكره .

« وتنقاسي » عن يسار النيل وتبعد ٤ أميال عن حنك وهي بلدة كبيرة عامرة وفيها سوق من أشهر اسواق دنقلة تفتتح يوم الثلاثاء من كل اسبوع وتأتيها التجار من دنقلة وبربر والخرطوم ببضائع السودان ومصر . وهي في رأس عقبة تعرف بعقبة العريان فيها محل خرب يسمى الحوش الابيض قيل كان مركز ملوك الشايقية في اول سلطنة الفونج فجرت فيه بين الحنكياب والسوراب وقائع دموية فخرّب .

« ومروى » وهي من أشهر قرى دنقلة وأكبرها واقعة عن يمين النيل على ١١ ميلاً من حنك وهي مركز ملوك الشايقية العادلاناب . ومنها طريق في صحراء النوبة الى دنقلة الاوردي وهي معطشة وعرة طولها ١٠٣ أميال . « وصنم » تجاهها عن يسار النيل وهي حلة كبيرة وفيها آثار تدل على قدمها وأهميتها ومنها طريق الى بربر غرب بآبار السواني طولها نحو ١٦٠ ميلاً وطريق الى الممتة بآبار الجكدول طولها نحو ١٨٠ ميلاً . وعلى مسافة ٧ أميال منها في الصحراء بشر شهيرة معروفة ببشر الغزالي ماؤها عذب لا ينقطع . وهناك خرائب دير من عهد النصرانية في النوبة . وبقربه آثار مدافن عليها كتابات باليونانية والقبطية .

وكانت صنم في الفتح الاول مركزاً للتلغراف الذي يصلها ببربر بطريق الصحراء وبني الانكليز فيها سنة ١٨٨٥ طابية تهدمت . وأمر التعايشي بعدم بناء جامع فيها فبني وترك بلا سقف ثم اتخذها السردار سنة ١٨٩٧ مركزاً للعملة على بربر .

« والدويم » على ٣ أميال من صنم وفيها قبة كبيرة تزار للشيخ عبد الرحمن ودحاج كبير الدويحية المار ذكره وهي القبة الوحيدة المبيضة في السودان

ولذلك تسمى بالقبة البيضاء . وفيها جامع كبير ومسجد لتعليم القرآن تأتيه الطلبة من جهات بعيدة .

« والبرقل » وهي حلة عامرة عن يمين النيل على بعد ٧ ١/ ميل من مروي وهي في مكان نبتة القديمة عاصمة اثيوپيا ويحانها جبل البرقل المشهور وفيه آثار جليلة من الهياكل والامرام الآتي ذكرها في تاريخ اثيوپيا .

« ونوري » تجاه البرقل وهي حلة كبيرة ويحانها ١١ هرمباً من أهرام نبتة .

« والبلل » وهي حلة كبيرة عامرة بقرب نوري وبينها مقدم النبي عُزير على تلة فوق النيل يزوره اهل البلاد للتعزك به . قيل ولم يكن نبياً بل كان ولياً صالحاً .

« والدقايات » عن يسار النيل على نحو ٨ أميال من البرقل وهي حلة طويلة وفيها طريق شهيرة الى بربر تمر بآبار السواني طولها ١٤٦ ميلاً . وتكثر جداً الجزر والشلالات في النيل من البلل فصاعداً الى ابي حمد فقد عدوا الجزر منها الى الدقايات فقط فكانت نحواً من ٩٠ جزيرة . وعلى نحو ٢٠ ميلاً منها الشلال الرابع .

مدن مديرية بربر وأثارها :

« حلة برقي » على نحو ١٩ ميلاً من الشلال الرابع وهي حلة طويلة عن يسار النيل في اول حدود بربر النيلية .

« وحلة كريكان » على ١٦ ميلاً من برقي وقد اشتهرت للواقعة التي جرت فيها بين الجيش الانكليزي والدرأويش في الحملة النيلية سنة ١٨٨٥ .

« والسلامات » على ١٩ ميلاً من كريكان وهي مركز بلاد المناصير . وعمار هذه البلاد كله عن يسار النيل واما عن يمين النيل فخراب لا يسكنه إلا بعض العرب المتبدية . وفيها قلعة الكرميل وهي في ظن الموسيو كايثو انها القلعة التي التجأت اليها كنداكة عند فرارها من وجه بطليموس سنة ٣٣ ق.م .

« وحلة ابي حمد » وهي حلة صغيرة واقعة عن يمين النيل في رأس كوع له في عرض شمالي ٢١° ١٩' وطول شرقي ٢١° ٢٣' وعلى ٥٥ ميلاً من السلامة و ١٣١ ميلاً من بربر وقد اشتهرت لوقوعها في اول الطريق التجارية المؤدية الى كورسكو المتقدم ذكرها وهي متسوية الى شيخ مدفون فيها وقبره يزار وقد اعتاد التجار ان يودعوه ما لا يحتاجونه من أمتعتهم في سفر الصحراء قالوا فبقى هناك بحماية الشيخ لا يسها احد حتى يعودوا من السفر . وقد اشتهرت ابو حمد مدة الثورة المهدية فاتخذها الدراويش حامية لهم وعززوها بالطواشي والمدافع وبقوا الى ان اخرجهم الجيش المصري منها سنة ١٨٩٧ بعد واقعة عنيفة عرفت باسمها م وتجاها جزيرة مقرات المار ذكرها .

« وبربر » وهي عاصمة مديرية بربر على ٤٣٧ ميلاً من دنقلة الاوردي و ١٩٦ ميلاً من الخرطوم في عرض ١٦° ١٨' وطول شرقي ٤° ٣٤' . قيل سميت بربر لانه كان يحكمها في القديم امرأة تسمى بربرة . وتسمى الخريف ايضاً قالوا وهي مشتقة من الخريف لأنها من اطيب بلاد السودان هواء . وقد كانت بربر في عهد مملكة سنار كرسي مملكة الميرقاب وسلمت لاسماعيل باشا فاتح السودان بلا قتال وزادت شهرتها بعد الفتح المصري حتى فاقت شهرة شندي وأخذت مركزها في التجارة . فصارت ترد اليها البضائع من مصر والحجاز والهند عن طريق النيل والبحر الاحمر وأشهر طرقها التجارية: طريق الى اسوان طولها ٤٧٣ ميلاً وقد مر ذكرها وطريق الى كورسكو تمر بأبي حمد طولها ٣٦٦ ميلاً وطريق الى سواكن طولها ٢٤٥ ميلاً وطريق الى مصوع تمر بكسلة طولها ٥٤٣ ميلاً . ووقعت بربر بيد الدراويش في سنة ١٨٨٤ فخرّبوها وبنوا ديماً في شماليها فلما عادت الحكومة اليها بعد الفتح الاخير سنة ١٨٩٧ جعلت هذا الدير مركزاً مؤقتاً لها ولكنها ستعود قريباً الى المركز القديم .

وفي بربر قبة تزار للشيخ زين العابدين المنتسب الى بني أمية قيل انه جاءها من شقيط ببلاد المغرب وتوفي فيها سنة ١٢٨٣ هـ وكان على الطريقة الجيلانية

الكتيبة ؟ وبين بربر وأبي حمد عدة بلاد لليرفاب واليراطاب منها « الفرينة » على ١٢ ميلاً من بربر قيل سميت بذلك لأنه كان يحكمها فرينة او جارية صغيرة تحت يد بربرة التي حكمت بربر. ويحاذيها اطلال بلدة قديمة تعرف الآن بالدانقيل .

« والعبيدية » على ١٨ ميلاً من بربر وقد اتخذها الجيش مركزاً له في واقعة الاتبرة وبني فيها ثلاث بواخر حربية .
« والباوقة » في شمالي العبيدية غربي النيل وقد كانت مركز ملك من ملوك الميرفاب .

« والغبش » (غ) تجاه بربر وقد كان فيها عند فتح اسماعيل باشا لسنار مدرسة شهيرة لتعليم القرآن وآداب العربية وهي المدرسة التي تفقه فيها محمد احمد المتمهدي قبل ادعائه المهدي . والى جنوبي الغبش على نحو ٣ اميال منها جبل شاهق بنى عليه عثوبك احد ولاة السودان قصراً فخرّب .

« والدامز » (ش) وهي بلدة عامرة على ٧ اميال من مصب الاتبرة بالنيل و ٣١ ميلاً من بربر وهي مركز المجاذيب فقهاء الجعليين المار ذكرهم ولهم فيها مدرسة قديمة مشهورة لتعليم القرآن . وسوقها يوم الجمعة .

« والبجراوية » (ش) وهي حلة صغيرة على ٤٨ ميلاً من مصب الاتبرة قائمة على اطلال مدينة مروية القديمة . وعلى التلال المجاورة لها مجموعان من الاهرام في احدهما ١١ هرمًا وفي الآخر ثلاث اهرام. والى شمالها جبل صغير يعرف « بجبيل ام علي » سمي بذلك نسبة الى امرأة دفنت في رأسه تعرف بهذا الاسم وقد صعدت الى أعلى الجبل فلم أجد للقبر أثراً سوى حجرين قيل انها دفنت هناك بحسب وصيتها . ويحاذي الجبل حلة صغيرة فيها اربع قبب للشيخ حامد ابو عصاية من العمراب الجعليين ؟ وأولاده . وتجاهاه في النيل جزيرة الشيلية وهي من اكبر جزر النيل .

« وشندي » (ش) على نحو ٢٣ ميلاً من البجراوية ١٠٤ اميال من الخرطوم وقد كانت مركز مملكة الجعليين في عهد مملكة سنار وكانت إذ ذاك

من أهم مراكز التجارة في السودان فخريها الدفتردار في بدء الفتح الاول لغدر ملكها الملك نمر باسمايل باشا ثم عمرت ولكنها لم تعد الى اهميتها التجارية بعد سوقها يومي الاثنين والخميس .

« والمتمة » (غ) تجاه شندي وقد اشتهرت في آخر مملكة سنار والثورة المهدية وخرها الامير محمود احمد امراء التعايشي في ١٠ يوليو سنة ١٨٩٧ تخريباً تاماً ولكنها عادت بعد الفتح الاخير فعمرت . وقد كانت مشهورة قديماً في حياكة الدمشور ولا سيما لنوع المعروف بالمرفعات وهو نسيج « رفيع » له حاشية من حرير ملون تلبسه النساء . والى جنوبها حلة صغيرة تسمى « أبا خروق » باسم شيخ مدفون هناك منذ عهد مملكة سنار وله مقام يزار وقد عسكر فيها الانكليز مدة الحملة النيلية سنة ١٨٨٥ كما سيجيء .

مدن مديرية الخرطوم وأثارها :

« الخرطوم » هي عاصمة المديرية المنسوبة اليها وعاصمة السودان عموماً وهي واقعة على يسار النيل الازرق عند التقائه بالنيل الابيض في عرض شمالي ٣٨° ٣٦' ١٥" وطول شرقي ٤٠° ٣١' ٣٢" وعلى بعد ١٠٧٥ ميلاً من اسوان بطريق النيل وعلو ١٢٧٠ قدماً عن سطح البحر : وقد سميت بالخرطوم لأنها واقعة على لسان داخل بين النيلين يشبه خرطوم الفيل . وكانت قبل الفتح المصري حلة صغيرة فاتخذها عثمان بك اول ولاية الفتح الاول مركزاً عاماً للسودان لحسن موقعها فنمت حتى بلغ عدد سكانها سنة ١٨٨٢ نحو ٧٠,٠٠٠ نسمة من جميع اجناس السودان والاجانب من افرنج ومصريين وسوريين وأحباش ويهود وغيرهم . وكان فيها أبنية عظيمة مبنية بالحجر او بالطوب المشوى او التي وأهمها سراي حكدار السودان أسسها ممتاز باشا تاسع عشر ولاية السودان في الفتح الاول ودار الحكومة واسبتالية واشوان ووكالات وزوايا وقبب ومقامات تزار وجامع بمأذنة عظيمة ومدرسة لتعليم القرآن والعلوم العربية وكنيسة فخيمة متينة البناء للرسالة الكاثوليكية النمساوية

ومسانة لاصلاح الواورات وبناء المراكب يتغلغلها حدائق غناء من النخيل وأشجار الفاكه . وكانت مركز تجارة السودان وفي اسواقها جميع اصناف البضائع السودانية والافرنجية والحجازية والهندية والمصرية حتى جرى على ألسنتهم قولهم « ايش معدوم في سوق الخرطوم » إلا ان اثنان الملبوسات والمفروشات كانت اضعاف اثنائها في مصر . وكان فيها من قنصل الدول قنصل لدولة انكلترا وقنصل لدولة النمسا وقنصل لدولة اليونان . وبقيت الى ان كانت الثورة المهدية فسقطت بيد المهدي في ٢٦ يناير سنة ١٨٨٥ فخر بها هو وخليفته من بعده تخريباً تاماً وبنياً بأخشابها مدينة ام درمان ولم يبق فيها قائماً إلا ترسانتها وجنائنها . وما زالت الى ان استرجعها السر هربرت كتشنر باشا سردار الجيوش المصرية والانكليزية في ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ بعد واقعة عنيفة في البر والبحر فشرع في بنائها توأ بعد الفتح وما كان إلا قليلاً حتى نذبهته حكومته الى حرب الترنسفال وخلفه في مركزه سرداراً على الجيش وحاكماً عاماً على السودان « الفريق السر رجينولد ونجت باشا » فشرع بهمة العالية المعهودة في تنظيم المدينة وتوسيع نطاقها فسارت في اقل من ستين شوطاً لم يكن ينتظر لها في عدة سنين . ولما ذهبت الى الخرطوم ايام تشریف الجناب العالي الحديوي لها في الشتاء الغابر دهمشت إذ رأيت في مكان تلك الاطلال الدارسة التي شهدتها بعد واقعة ام درمان قصوراً شائعة وأبنية فخيمة وثكنات حصينة وشوارع متسعة وحدائق غناء وأسواقاً تجارية غنية بجميع اصناف المضائع والمأكولات . وأهم ما رأيت فيها سراي الحاكم العام التي تضاهي اجل السرايات في مصر وهي قائمة على اطلال السراي القديمة مع زيادة في بنائها وتحسين في زخرفها . ودار الحكومة بجانب السراي وفيها جميع اقسام الحكومة السودانية ورئاسة الجيش . ومدرسة غوردون وهي بناء عظيم في الطرف الشرقي من البلدة اقامها المحسنون الانكليز تذكراً لغوردون باشا الذي قتل في سقوط الخرطوم وسأتي ذكرها . وجامع فخيم جميل البناء في وسط المدينة . ولوكندة للسياح في غربها . وأما شوارعها الكبرى فسمي احدها

باسم فكتوريا وآخر باسم محمد علي وآخر باسم الخديوي وآخر باسم السردار . وقد شرعت الحكومة حديثاً في بناء رصيف متسع متين على النيل فزاد في بهاء المدينة ورونقها . والبناء الآن قائم فيها على قدم وساق . وموقعها الطبيعي الجميل يساعد على انماؤها وقد انتهت اليها سكة الحديد من حلفا في اول يناير سنة ١٩٠٠ فنمت تجارتها نمواً سريعاً وبلغ عدد سكانها الآن نحو ٧٠٠٠ نسمة ما عدا العساكر ولكن هذا العدد في ازدياد كل يوم والدلائل كثيرة على انه لا يطول الوقت حتى تعود الى عزها القديم قبل الثورة ثم تتدرج في سلم الارتقاء حتى تصبح جنة من جنات الأرض ان شاء الله .

« وام درمان » تجاه الخرطوم وغرب النيل الابيض في عرض شمالي ٣٨° ١٥' وطول شرقي ٢٩° ٣٢' وقد كانت قبلاً حلة صغيرة قائمة في سهل فسيح رملي لا شجر فيه وكانت محطاً لرحال تجار الغرب قبل دخولهم الخرطوم فبنت الحكومة فيها مدة الثورة المهدية طابية استولى عليها المهدي في ٥ يناير سنة ١٨٨٥ واحتل البلدة بأنصاره الى ان مات فدفن فيها فبنى خليفته التعايشي قبة عظيمة فوق قبره جعلها مزاراً وجعل ام درمان عاصمة للملكه وسماها بقعة المهدي وفرض على كل امير من امرائه وكل وجيه من وجهاء السودان بناء منزل فيها فاتسعت اتساعاً عظيماً حتى اصبح طولها ستة اميال او أكثر وعرضها ميلاً الى ٣ اميال . وبلغ عدد سكانها نحو اربعمائة الف نسمة من جميع شعوب السودان وقبائلها وفيهم جيش الخليفة الذي بلغ خسين الف رجل . وأبنية المدينة بالطوب التي أو بالحجارة الغشيمة والطين وبعضها بالطوب الاحمر وجميع دورها طبقة واحدة الا منزل الخليفة الذي يحوار قبة المهدي فان فيه عليّة فوق احدى غرفه . والأبنية اما مربعة مستوية السطوح او مستديرة مخروطية السقوف . وآبار المدينة تختلف في العمق من ٣٠ : ٩٠ قدماً وهي أصلح للشرب من ماء النيل الأبيض . وأكثر شوارعها ضيقة قذرة ولكن فتح التعايشي فيها أربعة شوارع متسعة ، شارعاً ينتهي الى ساحة العرضة في غرب المدينة وشارعاً الى الهجرة الشمالية وشارعاً

الى الهجرة الجنوبية وشارعاً الى المشرع الذي يعبر منه الى الخرطوم . وفتح سوقاً عظيمة بقرب القبة حيث كانت تباع جميع البضائع الاروبية والمصرية والهندية والحجازية التي كانت تأتياها عن طريق اسوان وسواكن ومصوع . وأقام بجانب منزله الى جهة الغرب جامعاً للصلاة وهو « حوش » كبير يحاط بسور مربع مستطيل من الطوب الاحمر طوله ٤٦٠ يرداً وعرضه ٣٥٠ يرداً وله اربعة ابواب ومحراب يحيط به ذرابزون من الحديد ويليه صف من « الرواكيب » (المظال) قائمة على عمد من خشب ومسقوفة بالحصر وباقي ارض الجامع مكشوف غير مسقوف . وبني في وسط المدينة سوراً عظيماً منيعاً أحاط به منزله ومنازل عساكره الجهادية والسنجن . وجعل الطابية القديمة ثكنة لعساكر الحكومة السود الذين وقعوا في اسره وسمّاها الكاره . وجعل ذخائره الحربية في بيت كبير بقرب منزله أحاطه بسور من الحجر سمّاه بيت الأمانة . وبني بناء كبيراً غير مسور لبيت المال على شاطئ النيل جعل فيه مخازن للذرة والصمغ والسن وأماكن للضربخانة ومطبعة الحجر والعدايات والدفاتر والأوراق . ومد خط التلغراف بينها وبين الخرطوم للتخاطبة مع عمال الترسانة . وبقي حتى كانت واقعة ام درمان ففر جنوباً فاحتلها الجيش مؤقتاً وجعل فيها مركز حكومة السودان ثم نقله الى الخرطوم . ورجع الكثير من سكان ام درمان الى اوطانهم وقتل منهم جم غفير في الواقعة فلم يبق الآن سوى ٢٥٠٠٠٠ نسمة . أما قبة المهدي فقد هدمتها القنابل في اثناء الواقعة وبعدها .

وبين الخرطوم وام درمان « جزيرة توتي » المار ذكرها في الكلام عن النيل وهي جزيرة كبيرة جيدة التربة حسنة الهواء يحيط بها النيل الازرق من الجنوب والشرق جعل فيها غودرون أيام حصار الخرطوم حامية وجعلها التماشي مخزناً للبارود .

وتجاه توتي والخرطوم عن يمين النيل الازرق « قبة الشيخ خوجلي » وهي قبة تزار لفضله من فقهاء المهس هجر بلاده في اوائل القرن الماضي وسكن

جزيرة توتي حيث اشتهر بالصلاح والتقوى ومات في الجزيرة فنقل الى البر الشرقي ودفن هناك . وبقرها قبة اخرى للشيخ حمد ودام مريم .

« والحلفاية » على نحو ٧ اميال من قبة الشيخ خوجلي وهي مركز مشايخ البدلاء الذين اشتهروا في مملكة سنار وكان لهم المقام الاول بعد ملوك الفونج وقد انتقلوا اليها من جبل « قري » في شمالها وهو جبل مشهور فيه ضريح عبد الله ودعجيب المانجلوك مؤسس هذه المشيخة يزوره الهمج وغيره ويقدمون له النذور .

وفي البطانة على ٦٠ ميلا شرق الحلفاية قبة تزار « للشيخ حسن ودحسونة » الذي ظهر في ايام الملك عبيد القادر سابع ملوك سنار وسيأتي ذكره . والى شمالي الحلفاية « قبة الشيخ ابراهيم الكباشي » قيل وهو من الاولياء الصالحين وليس من الكباشيش كما يستفاد من اسمه بل هو من المحس توفي سنة ١٢٨٢ م وكان على الطريقة السمانية القادرية . والى شمالي هذه القبة « التانيات » وفيها أبعدية للحكومة زرعت في الفتح الاول بالنيلة فنجحت زراعتها . وتجاه التانيات في غرب النيل « قبة الشيخ الطيب » مؤسس الطريقة السمانية في السودان وهي قبة تزار واقعة في سفح جبل صغير يعرف بجبل ام مرّحي الملقب بجبل السلطان نسبة اليه . والى شمالي التانيات « حلة الجايلي » وفيها منزل فخيم للوزير بناء بعد الفتح الاخير . والى شمالي هذه الحلة جزيرة واوسي وهي مسقط رأس الزبير .

مدن مديرية الجزيرة وآثارها :

« حلة سوبه » (ش) وهي حلة صفيذة على ١٥ ميلا من الخرطوم وفي جوارها أطلال سوبه القديمة عاصمة مملكة علوه المار ذكرها وقد كانت فيها قصور شائخة وكنائس فخيمة وبساتين زاهرة . وهم يزعمون انها من بنا سبا ابن نوح .

« والميلفون » (ش) وهي حلة عامرة على ٦ اميال من سوبه . وفيها

قبة تزار. « للشيخ إدريس » الذي ظهر في أيام الملك عدلان ودأبه ثامن ملوك سنار وسيأتي ذكره وإلى الجنوب منها « حلة مسجد ودعيسى » وفي مسجدتها تلقى محمد احمد المتشهدي بعض دروسه .

« والكاملين » (غ) وهي حلة كبيرة على نحو ٤٠ ميلا من العيلفون وقد جربت فيها زراعة النيلة سابقاً فنجحت ولا يزال فيها آثار حياض النيلة إلى اليوم . وأكثر سكان المدينة أخلاط من الدناقلة والجمليين . وفي النية الآن جعلها مركزاً لمديرية الجزيرة .

وبينها وبين العيلفون في الجزيرة قبة تزار « للشيخ حدود الترابي » الذي ظهر في أيام الملك بادي الثالث وهو الثالث عشر من ملوك سنار وسيأتي تفصيل خبره .

« ورفاعه » (ش) بلدة كبيرة على نحو ٣٥ ميلا من الكاملين ولأهلها زراعة واسعة .

« والمسلمية » (غ) على ١١ ميلا من رفاعه و ٣ اميال من ضفة النيل إلى داخل الجزيرة . وعدد سكانها نحو ٨٠٠٠ نسمة وأراضيها الزراعية واسعة تمتد إلى قرب النيل الأبيض . ومنها طريق إلى الكوة على النيل الأبيض تمر « بعبود ومعتوق » وهما أهم مدن الجزيرة . وإلى شمالها خرائب « أريحي » الشهيرة التي خربت في عهد الملك عدلان الثاني تاسع عشر ملوك سنار كما سيأتي . وإلى جنوبها « حلة فداامي » التي حوصرت فيها الملك صالح الملك الشايقي في بدء الثورة المهدية .

« وأبو حراز » (ش) وهي بلدة كبيرة على ١٤ ميلا من المسلمية وفي جنوبها يصب نهر الرهد بالنيل الأزرق . ومنها طريق شهيرة تؤدي إلى القضارف والقلابات وكسلة . وهذه المديرية مدن على النيل الأبيض يأتي ذكرها بعد الفراغ من النيل الأزرق .

مدن مديرية سنار وآثارها :

« ودمدني » (غ) على نحو ٣ اميال من أبي حراز و ١٢٤ ميلا من

الخرطوم قائمة على هضبة عالية من الرمل والحصى تحتها صخور جيرية وهي أصح مدن الجزيرة هواء وقد اتخذها اسماعيل باشا فاتح سنار مركزاً لمساكره بعد سنار وبنى فيها طابية منيعة لا يزال آثارها الى اليوم . وهي الآن مركز مديرية سنار واكبر مدن النيل الازرق وعدد سكانها نحو ٢٠ ألفاً اكثرهم من المدنيين والكواهلة وبينهم اخلاط من الجعليين والشايكية والدناقلة والمصريين وغيرهم . وسوقها يومي الاثنين والخميس يتقاطر اليها الناس من كل صوب ويبيع فيها انواع الحبوب والخضر والصمغ والمنسوجات القطنية من وارد منشتر والسكر والتبغ والخرز وأدوات القطع . ويصنع فيها الصابون والسيرج ولأهلها مهارة في صناعة الجلد . والى شمالها خرائب جامع بنىه باني المدينة وخربته المهدي .

« وسنار » (غ) على ٨٣ ميلاً من ود مدني و ٢٠٧ اميال من الخرطوم وهي من اشهر مدن السودان وأقدمها أسسها الفونج سنة ٩١٠ هـ وأقاموا فيها مملكة دامت الى سنة ١٢٣٦ هـ فاستولت عليها مصر كما مرّ وجعلتها مركزاً لمديرية سنار وبنت فيها ديواناً للمديرية وثكنة للمساكر وجامعاً للصلاة . وقد بلغ عدد سكانها سنة ١٨٨٢ نحو ٧٠٠٠ نسمة من اخلاط العرب والفونج والهمج وغيرهم . وكانت مركز تجارة الجزيرة وفازوغي وسوقها يومي الاثنين والخميس . وقد جعلتها حكومة مصر في بدء الفتح الاول منفى . واليها نفى ابراهيم باشا سنة ١٨٤٠ م سبعة واربعين رجلاً من أمراء لبنان ومثائله ووجهائه من النصاري والدروز الذين حافظوا على ولاء الدولة العلية عند دخوله سوريا منهم ٤ من الأمراء الشهابيين و ٤ من الأمراء اللعيين و ٣ من المشايخ . التكديين والشيخ نقولا من المشايخ الخازنيين والباقون من وجهاء البلاد بينهم اربعة من وجهاء الشويقات وهم : « حنا الخوري » جد الشاعر المشهور خليل افندي الخوري مدير الامور الاجنبية في ولاية سوريا ، « ولحود شقير » جد الثابفة الشهير أسير افندي شقير كئشليز قنصلاتو انكلترا الجزائالية في بيروت ، « ومقامس شقير » ابو الشاعر الألعي فارس بك شقير قائمقام قضاء الكورة

يجبل لبنان ، « وعوكر شقير » ابو سعاده افندي شقير . فطلبت الدولة الانكليزية ارجاعهم في الحال ورت عمارتها في الاسكندرية تنتظرهم الى ان رجعوا من سنار فأوصلتهم الى بلادهم ، وكانت مدة إقامتهم في سنار ثلاثة أشهر .

وبقيت سنار بيد مصر الى ان كانت الثورة المهدية فسقطت بيد الدراويش سنة ١٨٨٥ بعد حصار شديد دام عدة شهور فأمر التماسي فخرت خراباً تاماً وهجرت الى ان عاد الجيش اليها بعد الفتح الأخير سنة ١٨٩٨ قلم يجد فيها قائماً الا مأذنة جامعها وقد كتب على الحشبة التي فوق بابها هذه العبارة : « بسم الله الرحمن الرحيم نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين يا محمد بالجنة . باني هذا الجامع خورشيد بك بأمر حضرة الحاج محمد علي باشا والي مصر تاريخ عام ١٢٥٠ هـ . فجددت الحكومة السودانية بنائها وجعلتها مركزاً لمديرية سنار مدة ثم رأت ما رآه اسماعيل باشا فاتحها الاول ان هواء ود مدني أصبح من هوائها فنقلت مركز المديرية الى ود مدني .

ومن سنار الى النيل الابيض طريقان مشهورتان : طريق الى مشرع ابي زيد في جنوبي جزيرة أبا ، وطريق الى الكوة طولها ١٠٠ ميل تمر بجبلي سجلي ومويه وهما جبلان مشهوران بالفرائيت الجيد بل الفرائيت الاحمر في جبل سجلي هو من أجل انواع الفرائيت وأجود من حجر اسوان . ويبعد جبل مويه ٢٣ ميلاً عن سنار ويملا ١٢٠٠ قدماً عن سطح الارض التي حوله واما جبل سجلي فأقل منه علواً ويبعد ٣٨ ميلاً عن سنار . وفي سنار قباب ومقامات كثيرة للذين اشتهروا بالصلاح والتقوى منها الى الشمال قبة ود العباس ومقام هجو ومقام عابدين .

« ورئقته » (ش) على نحو ٤٠ ميلاً من سنار وهي حلة الملك تاي الدين من بقية الفونج وقد قتل في حصار سنار سنة ١٨٨٥ .

« وسينجه » (غ) جنوبيها وفيها منجرة للراكب .

« وكر كوج » (غ) على ٦٩ ميلاً من سنار وهي مركز تجاري بعد سنار

في الامة . والى غربها على نهر الدندر « حلة دبركي » مركز الحتمدة . ومن كركوج فصاعداً يكثر ذباب السروت وتقوم الحير والبقر مقام الابل والحيل .
 « والرصيرص » (ش) على ١٠٤ أميال من كركوج في رأس شلال الرصيرص . والى غربي البلاد التي بين كركوج والرصيرص « جبال الفونج » المار ذكرها وهي تشمل جبال البرون التي اشتهرت في تاريخ سنار .
 « وفامكه » (غ) على ٥٥ ميلا من الرصيرص و ٤٣٥ ميلا من الخرطوم بناها محمد علي باشا سنة ١٨٤٠ وجعلها عاصمة ادارة فازوغي . وبني على نحو خمسة أميال منها جنوباً قصراً جميلاً ومعملاً لاستخراج الذهب ما زالت آثارها باقية الى الآن وسكان فامكه الجبلانيون من افضل السود خلقاً وأشهرهم في النظافة والطبخ .

وفازوغي بلاد جبلية قيل ان فيها ٩٩ جبلاً أشهرها :
 « جبل فازوغي » على ضفة النيل الغربية تجاه فامكه وهو يعلو ٢٦٥٧ قدماً عن سطح النيل : وفي سفحه حلة منسوبة اليه كانت عاصمة البلاد قبل الفتح المصري وعليها الآن ملك من ذرية ملوكها الاقدمين .
 « وجبل تاي » غربيها وهو موطن للنقسنه .
 « وجبل قبا » شرقي فامكه وأهل القمزمهارة في صنع الأسرة والكراسي وأساور العاج وعليهم ملك يدعي النسبة الى الفونج .
 « وجبل أبو رمله » شماليه وعليه ملك يدعي هذه النسبة وأهلهم مج وعرب وعبيد .

« وجبال بنو شقول » على ٧٥ ميلا من جبل تاي وفيها الذهب وهي جبال البرقة والطاويط المار ذكرهم وقد استقلوا بها مدة الثورة المهدية الى ما قبل الفتح الاخير بقليل فآلت الى الاحباش ولا تزال بيدهم الى الآن . وفي أقصى هذه الجبال « جبل فدامي » المشهور . وفي سفحه بلدة تجارية تسمى باسمه تباع فيها بضائع السودان والحبشة وقد كانت آخر حد السودان المصري الجنوبي على النيل الأزرق كما مر .

مدن النيل الأبيض التابعة الى مديرية الجزيرة :

« قيزان الملك ابرهيم » (غ) على نحو ١٨ ميلا من الخرطوم وهي مركز مملكة الجموعية التي اشتهرت في زمن الفونج .

« وود جار النبي » (ش) على ٢٥ ميلا من الخرطوم . والى شمالها على أربعة اميال منها « جبل أولي » المشهور . والى جنوبها على مثل ذلك « حلة المحمودية » احد مراكز الاستاذ محمد شريف ابن الشيخ الطيب . استاذ المهدي .

« والقطنية » (ش) وهي بلدة حسنة الموقع قائمة على تلة مرتفعة على ٢٤ ميلا من وود جار النبي وهي أكبر بلاد النيل الأبيض وفيها مسجد ومرسى للسفن واتساع النيل عندها ٦٠٠ يرداً فقط .

« وود شلمي » (ش) على ١٨ ميلا من القطنية وهي مرسى جيد للسفن .

« والدويم » (غ) على ٤٣ ميلا من وود شلمي وفيها احسن مرسى للسفن .

ومنها الى الأبيض طريقان شهيرتان طريق تمر ببارة وهي معطشة طولها ١٧٦

ميلا وطريق تمر بخور ابي حبل طولها ٢٦٨ ميلا وهي الطريق التي سلكها

هكس باشا في حملته على المهدي في كردوفان . وقد كان فيها مدة الفتح

الاول شونة كبيرة . وأكثر سكانها جعافرة ومصريون وحسانية .

والى شمالها التربة الخضراء والى غربيها على نحو ١٥ ميلا منهل شات

وهو مركز مهم لتجارة الصمغ والريش والجلود . على ان شات والدويم تابعتان

الآن في ادارتهما لكردوفان .

مدن محافظة قاشودة وآثارها :

« الكوة » (غ) وهي حلة كبيرة على ٢١ ميلا من الدويم وسكانها اخلاط

من الحسانية والجمعين والناقلة وفيها طابية من ايام الثورة المهدية . والى

جنوبها على بضعة اميال منها تبتدى جزيرة أبا المار ذكرها . وجنوبي هذه

الجزيرة على ١٧٥ ميلا من الخرطوم « قوز ابرهيم » وهي الآن مركز

مأمورية في مديرية الجزيرة . والى ١٤ ميلا منها نخاضة ابي زيد وهي النخاضة الوحيدة التي يُعبر بها النيل الابيض خوفاً بالرجل في زمن التعاريق . ومنها تبندىء بلاد الشلك ويُرى قصب البايروس وتبدو الاعشاب الآتية من السد طافية على وجه الماء وتكثر الأجسام والمستنقعات على ضفتي النيل فيصعب النزول الى البر بسببها .

« والجبلين » (ش) على ٩١ ميلا من الكوة . وهناك جبلان متجاوران يطلان على النيل شبه قلعة ومنها اسمها . ومنها فصاعداً يظهر ذباب السروت ويكثر البعوض حتى لا يكاد يطاق .

« وحلة الرنق » (ش) على نحو ٥٩ ميلا من الجبلين و ٣ اميال من ضفة النيل .

« وجبل احمد اغا » (ش) وهو أكمة كسنام البعير على ٥٩ ميلا من الرنق علوه ٤٠٠ قدم وهو منسوب الى احمد اغا العنتلي من مشاهير الفتح الاول .

« وكاكا » (غ) وهي مجموع من قرى الشلك على ٥٦ ميلا من جبل احمد اغا . « وفاشوده » (غ) عاصمة ملك الشلك ومركز المديرية على ٧٣ ميلا من كاكا و ٤٦٩ ميلا من الخرطوم وفي عرض شمالي ٢٠° ٥٥° ٩' وطول شرقي ٣٢° ٦' احتلتها مصر رسمياً سنة ١٨٧١ م فأقامت فيها طابية بأربعة أبراج وعززتها بالعاكر والمدافع وبقيت الى سنة ١٨٨٣ . اذ اضطرت ان تخرج منها بسبب الثورة المهدية فعادت الى ملاوكها الاصليين فاستقلوا على جزيرة يدفعونها للدراويش او لا يدفعونها . وسنة ١٨٩٨ جاءها مرشان عن طريق الكونغو وبحر الفزال فمقد مع ملكها بحالفة وقتية وبني فيها طابية حصينة فهاجمه الدراويش فيها فردم خاسرين وبقي حتى أقبل السردار بفصيلة من جيشه بعد فتح ام درمان فخرج منها بأمر دولته سنة ١٨٩٩ .

« والتوفيقية » (غ) قرب مصب نهر سبت بالنيل الابيض على ١٦ ميلا من فاشوده وهي نقطة عسكرية أنشأها غوردون باشا لمقاومة تجار الرقيق . « وسبت » نقطة على ضفة نهر سبت الغربية عند مصبه في النيل الأبيض .

« والناصر » (ش) على ١٧٠ ميلاً من مصب نهر سبت وهي آخر نقطة تصل إليها السفن . وفي كل من النقط الثلاث الأخيرة نفر من البوليس لحفظ النظام . ومن سبت فصاعداً جنوباً يبدأ السد فيمتد الى مفرق بحر الزراف عن بحر الجبل كما مرّ وليس هناك ما يستحق الذكر سوى بعض المرافق التي ترسو فيها السفن لجع الوقود .

« وشامي » على بحر الجبل وهي مرفأ حسن للسفن على ٢٣٠ ميلاً من بحيرة نو و ٨٤٢ ميلاً من الخرطوم .
« وبور » على ١٣٠ ميلاً من شامي .

« والكنيسة » بينها بناها المرسلون الكاثوليك النمساويون في اواسطالقرن الماضي وهي الآن خراب .

« ومنجالا » (ش) وهي آخر حصد السودان الجديد الجنوبي كما مرّ وعلى نحو ١٠٥٧ ميلاً من الخرطوم .

هذا ومن بلاد خط الاستواء التي كانت تابعة قبلاً للسودان المصري فألحقت بمقاطعتي اللادو واوغنده :

« اللادو » (غ) على ١٠٧٢ ميلاً من الخرطوم وهي مركز مقاطعة اللادو التابعة للملك البلجيكي وقد كانت مركز حكومة خط الاستواء قبل الثورة المهدية .

« وكوندوكرو » (ش) على ٩ اميال من اللادو أسسها السر صمويل باكر سنة ١٨٧١ وسماها بالإسماعيلية على اسم الحديوي الأسبق وجعلها عاصمة البلاد .

« وجبل الرجاف » (غ) على ١٠ اميال من كوندوكرو و ١٠٩١ ميلاً من الخرطوم . وفي سفحه مدينة كانت مركز حكومة خط الاستواء مدة الفتح الأول واتخذها الدراويش مركز حكومتهم مدة احتلالهم لتلك البلاد وبقوا الى ان طردهم البلجيكي منها في ١٧ فبراير سنة ١٨٩٧ . قيل وقد سمي الجبل بالرجاف لأن قته ترتجف احياناً ولعل سبب ارتجافه الزلازل التي تحدث في تلك الجهات ومنه يسمى النيل الذي يجري في خط الاستواء بحر الرجاف

وبحر الجبل . ومن تلك البلاد : بادين وكيري وموجي واللابوريه والدفتلاي وودلاي ومهاجي الواقعة على بحيرة البرت نيازا وفي جميعها آثار طواب وغيرها من عهد الاحتلال المصري .

مدن بحر الغزال وآثارها :

« واو » على نحو ١١٤ ميلا من مشرع الريك وهي عاصمة البلاد بعد الفتح الأخير .

« وديم الزبير » او ديم سليان على نحو ١٠٠ ميل من واو وهي عاصمة البلاد في الفتح الاول وقد كانت مركز الزبير باشا في عهد استيلائه على بحر الغزال ثم مركز ابنه سليان من بعده ولذلك سميت باسمها . ومن أماكن بحر الغزال الشهيرة : لفي الذي فيه حفرة النحاس وبككو وقننه وجور غطاس وجوق الحسن وصبي وفوه .

مدن مديرية كسلا وآثارها :

« كسلا » عاصمة المديرية وهي شرقي خور القاش في طول شرقي ٢٤ ٣٦ وعرض شمالي ٢٨ ١٥ وفي سفح جبال الحبشة الشمالية الداخلة الآب في الارثريا ومنها يمتد السهل شمالا وغربا الى مسافة بعيدة ولذلك فهي من أهم مراكز السودان الحربية . وقد احتلتها حكومة مصر سنة ١٨٤٠ م كما مرة وأقامت فيها حامية قوية أحاطتها بخندق وسور عظيمين فاجتمع اليها التجار والمتسببون من كل الجهات وزهت حتى صارت من أشهر مدن السودان وأكبرها وبلغ عدد سكانها سنة ١٨٨٣ نحو ٢٠٠٠٠ نسمة من الجعليين والدناقلة والتكارنة وغيرهم وبينهم نفر من تجار الافرنج والشوام والمصريين والهنود والحجازيين . وفي سنة ١٨٨٥ سلت للرداويش بعد حصار شديد فخرىها تخريبا وكان في شرقيها علجة قطن بخارية لتاجر ارناؤطي يسمى عمر أغا فاتخذوها « دينا » لهم وأقاموا فيه الى ان أخرجهم التليان منه واحتلوه بعدم

سنة ١٨٩٤ فستوره وحصونه بالطواحي وبقوافيه حتى ملوه لحكومة السودان سنة ١٨٩٧ فشرعت في تعمير المدينة داخل السور القديم فبنت فيه داراً للمديرية ومنازل للمدير والمفتشين واستتالية ملكية . والبناء قائم هناك الآن على قدم وساق داخل السور وخارجه وقد اجتمع اليها اهلها الاولون وغيرهم فبلغ عدد سكانها الآن نحو ١٠٠٠٠ نسمة .

والى الجنوب الشرقي من كسلا جبل شهير منسوب اليها يعلو ٢٣٠٠ قدماً عنها و ٣٩٦٠ قدماً عن سطح البحر . وفي سفحه « حلة الخاتمية » وهي حلة السيد حسن المرغني كبير الطريقة المرغنية في السودان وقد مات ودفن فيها سنة ١٢٨٦ هـ فبنى فوق قبره قبة هدمها الدراويش . وبعد الفتح الاخير شرع في ترميمها حفيده السيد علي المرغني كبير المرغنية في السودان الآن وبنى لنفسه منزلاً في كسلا ومنزلاً في الخرطوم .

ولكسلا عدة طرق شهيرة منها : طريق تجارية الى مصوع تمر بسبدرات واغوردت وسنيت طولها ٢٣٧ ميلاً وهي طريق سهلة متوفرة فيها الماء . وطريق الى سواكن تمر بفلك وخور بركة وطوكر طولها ٢٧٤ ميلاً . وطريق الى بربر تمر بقوز رجب وأدرأمة طولها ٢٧٢ ميلاً . وطريق الى الخرطوم تمر بقوز رجب وآبار زيره وابو دليق وود حسونة طولها ٣٨٠ ميلاً .

« والقضارف » وتطلق على القسم الشمالي من البلاد التي بين الرهد والابرا وهي مشهورة بالخصب وجودة الحاصلات كما مرّ ومركزها « سوق ابي سن » على نحو ١٤٦ ميلاً من ابي حراز و ١٤٢ من كسلا و ٩٤ ميلاً من القلابات وتعرف ايضاً بالقضارف أي باسم البلاد كلها وفيها سوق من أشهر أسواق السودان تأوي اليها التجار من اهل السودان ومصر والحجاز والهند والحبشة واوروبا ويبيع فيها جميع اصناف الحبوب والماشية والصمغ والريش . وابو سن المنتسبة اليه السوق هو كبير الشكرية في أوائل القرن الماضي . وقد كانت القضارف في الفتح الاول تابعة للخرطوم فاستولى عليها الدراويش في بدء الثورة المهدية فكانت من أهم مراكزهم في السودان الشرقي وبقوا الى ان اخرجهم

الجيش منها عنوة سنة ١٨٩٨ ومن مراكز القضارف الشهيرة القلعة أرانج على ٤٠ ميلاً إلى الشمال الغربي من سوق أبي سن . وحلة الشيخ شريف قرب النيل الأزرق .

«والقلايات» وهي القسم الجنوبي من البلاد التي بين الرهد والاتبرا ومركزها «التمتة» المعروفة أيضاً بالقلايات وهي قائمة على خور أبي نخيرة في سفح جبال الحبشة الشمالية الشرقية ولذلك فهي بوغاز مهم على حدود الحبشة . واول من سكن هذه البلاد الكنجارة وهم العبيد الآبقون من أسيادهم . ثم سكنها التكرانة ومعظمهم من متخلفي حجاج الغرب . وقد تكاثروا فيها حتى بلغوا ٤٥٠٠٠ نسمة . واحتلت مصر القلايات رسمياً سنة ١٨٦٢ ثم اضطرت إلى إخلاءها سنة ١٨٨٥ بسبب الثورة المهدية فسقطت بيد الدراويش فأقاموا فيها حامية كبيرة وكان بينهم وبين الاحباش وقائع مشهورة قتل في احداها النجاشي يوحنا سنة ١٨٨٩ وظلت بيد الدراويش إلى ان استرجعتها مصر بعد فتح أم درمان سنة ١٨٩٨ . وفيها الآن كما كان قبل الفتح سوق شهيرة تفتح يومي الثلاثاء والاربعاء وتعرض فيها جميع بضائع السودان والحبشة . ومن أماكن القلايات المشهورة : قَدَبِي وَصَرْف عَرْدِيه ومريود ودوكة وزُرْقَه .

مدن: محافظة سواكن وأثارها :

«سواكن» عاصمة المحافظة وهي واقعة على البحر الاحمر في عرض شمالي ١٩°٧' وطول شرقي ٣٧°٢٠' وعلى نحو ٣٧°٢٠' وعلى نحو ٧٢٠ ميلاً من السويس و ٢٨٥ ميلاً من مصوع و ٢٠٠ ميلاً من جدة بئر الحجاز . وهي عبارة عن جزيرة يحيطها ميل ونصف ميل وبندر أمامها يقال له القيف بينها في البحر مسافة ٤٠ متراً كان الناس يحتازونها بالزوارق حتى جاء غوردوت باشا سنة ١٨٧٩ فوصل بينها بجسر (كوبري) عرضه نحو ٨ أمتار وبني عند طرفه مماليك الجزيرة قنطرة حسنة . وأبنية المدينة من الحجر المرجاني الكلسي المستخرج من قعر البحر وهي مبنية على الاسلوب الشرقي المشهور

برنج وثمرات خشبية وأكثرها ذو طبعتين أو ثلاث بخلاف الابلية في داخلية السودان كما سيجيء . وفي الجزيرة دار للمحافظة وجرمك ومحكمة شرعية ومكتب للتلفراف وجامعان . وفي القيف جامعان آخران ومدرسة أميرية وسجن ومحل للضابطة وقران كأقران مصر . وهي محاطة بسور منيع معزز بالطواحي من عهد الثورة المهدية . ومينائها أمين للسفن لكنه ضيق قليل الغور وتستشرع حكومة السودان قريباً في توسيعه . وفي مياه هذا الميناء مواد فصفورية وفيه انواع من السمك ثقبه الطعم ومنها نوع يقال له الإرش يصطادون صغيره واما كبيرهم فيصطادهم . وهواء سواكن حار في الصيف ورطب في الشتاء وظهرها قبل ظهر مصر بمشرق دقيقة . ويطل عليها من بعيد جبال سنكات واركويت التي تملأ ٤٠٠٠ قدم عن سطح البحر . وليس في سواكن نبع ولا نهر وانما يشرب أهلها ماء المطر . وقد كانوا قديماً يخزّنونه في صهريج كبير في مكان جنوبي القيف يعرف بالفولة فبنى لهم ممتاز باشا سدّاً من التراب على ميل من القيف لحبس مياه الأمطار من الجبال المطلة على سواكن فاستغنوا به عن الفولة وعرف مكان السد بالشاطه . ولما كثرت العساكر في سواكن مدة الثورة المهدية لم تعد مياه الشاطه تكفيهم فأتت حكومتها بآلة بخارية لتقطير مياه البحر تعرف بالكندسة وجعلت توزع منها الماء على الجيش والاهالي حتى انتهت الثورة المهدية وبرح الجيش سواكن فأبطلتها واقتصرت الاهالي على الاستقاء من الشاطه . وكانت الكندسة موضوعة في شبه جزيرة شمالي سواكن تعرف بجزيرة الشيخ عبد الله وهو من أولياء سواكن المدفونين فيها وله قبة تزار . وفي هذه الجزيرة مستشفى يديره من عهد طويل الحاذق الشيخ الدكتور يوسف بك شدياق . وإلى شمالها مقام شهير للشيخ برغوث اعتاد البحارة كلما مروا بمقامه ان يلقوا دلوّاً من ماءهم في البحر « سلاماً » له واذا لم يفعلوا ذلك تشاءموا من سفر البحر .

وسواكن مدينة تجارية قديمة العهد فهي تربط السودان بالحجاز والهند ومصر ويربطها بالسودان طريق بربر المار ذكرها . وعما قليل تشرع الحكومة

في مدّة خط حديدي منها الى بربر فتنمو بذلك تجارتها نمواً عظيماً . وفيها الآن سوق تجارية كبيرة تباع فيها جميع بضائع السودان ومصر والحجاز والهند واوروبا . وما يزيد اهمية انها في طريق الحجاج المسلمين من جميع بلاد السودان الى مكة وقد شرعت الحكومة حديثاً في بناء معبر صعي فيها ليلجأ اليه الحجاج السودانيون اذا دهمهم الوباء بدل ذهابهم الى معبر الطور المنصرف جداً عن طريقهم كما هي الحال الآن .

ولأهل سواكن خرافة في اصل تأسيسها قالوا : كان لبعض ملوك الحبشة الاقدمين مودة واتصال بأحد قياصرة الرومان فأرسل اليه سبعة من الابكار الحسان هدية فأقلعن في زورق وجئن الى سواكن وكان فيها سبعة من الجن فتصدوا لهن ومنعهن عن السفر ثم تزوجوا بهن وأولدوهن أولاداً عمرت بهم المدينة فسميت سبع جن ثم حُرقت الى سواكن ثم الى سواكن . وفي الواقع لا يعلم زمن تأسيسها ولكن التاريخ يدلنا انها كانت مركزاً تجارياً مهماً منذ عهد البطالسة على مصر وان بطليموس فيلادلفوس جعلها مخزناً لسن الفيل . وقد ذكرها ابو الحسن المسعودي في تاريخه قال « وجزيرة سواكن أقل من ميل في ميل وبينها وبين البر الحبشي بحير قصير يخاض وأهلها طائفة من البجة تسمى الحاسة وهم مسلمون ولهم بها ملك » .

وافتح السلطان سليم العثماني سواكن سنة ١٥٢٠ م فظلت تابعة للدولة العلية يتولاها حكام من قبل والي الحجاز الى ان تنازل الباب العالي عنها لمصر سنة ١٨٦٦ كما مر .

وفي أثناء الثورة المهدية خرج رجل من أهلها يسمى عثمان دقنه وانضم الى المهدي فكان نصيره في السودان الشرقي وكان له مع الجيوش المصرية والانكليزية من الشأن ما سنذكره بالتفصيل إن شاء الله .

اما سكان سواكن فيبلغون الآن نحو ٥٠٠٠ نسمة الربع من اهل البلاد الأصليين والباقيون من الأجانب . والسكان الأصليون أخلاط من البجة الحاسة

والأرتيقة والأشراف وأقوام الأرتيقة وقد كانوا الى عهد غير بعيد أمراء المدينة وأسيادها ولا تضرب النقارة (الطبل) لفرح او لاحتفال الا بأمرهم وكبيرهم الآن الشيخ محمود بك أرتيقة وهو من خيار الرجال . وكلهم يتكلمون البيجاوية في منازلهم وبجالسهم الخاصة ولكنهم في المجالس العامة يتكلمون العربية . وأما الأجانب فأكثرهم من الأتراك الذين تخلفوا فيها بعد الفتح العثماني ثم من المصريين والهنود والحجازيين الذين دخلوا البلاد بقصد الاتجار . والهنود فريقان : مسلمون ووثنيون وهؤلاء من طائفة مشهورة في الهند يقال لها البنيان ولهم اعتقادات وثنية حسنة منها انهم يحرمون أكل اللحوم وقتل أية نفس حية فاذا رأوا احداً يذبح طائراً أسرعوا اليه وبذلوا الجهد في تخليصه ولو بفدية باهظة . وهم يلبسون مئزرأ يشدونه حول أحقابهم وهو كل ما يلبسونه رجالاً ونساء وناؤم يتزين بالأساور والخلاخل الضخمة والأقراط من الذهب والفضة .

ومن أماكن سواكن الشهيرة على البحر الأحمر :

« نقطة حلايب » عند حد السودان الشمالي على البحر الأحمر .

« ونقطة محمد قول » على نحو ١٣٠ ميلاً شمالي سواكن . وبقرها ملاحه شهيرة تعرف بملاحه روية ويظن انها في مكان عيذاب المشهورة في تواريخ العرب .

« ومأمورية عتيق » على نحو ٨٥ ميلاً من سواكن وهي تمتد جنوباً الى رأس قصار الفاصل بين سواكن ومصوع واكثر أهلها من الحاسة التابعين لبني عامر . والغرض من هذه النقطة ضم كلمة البادية ومنع تهريب الرقيق من داخلية البلاد الى الحجاز .

« ومأمورية طوكر » ومركزها طوكر على ٥٦ ميلاً الى الجنوب من سواكن ومينائها الترنكتات بين سواكن وعتيق . وقد بنت الحكومة قديماً في طوكر داراً للمأمورية بطبقتين فسقطت بيد الدراويش سنة ١٨٨٤ فهدمها

الى الارض وعمرها ديمًا على ٧ اميال جنوبها 'عرف بديم عفافيت ثم استرجعتها الحكومة بعد واقعة شديدة في ١٩ فبراير سنة ١٨٩١ واحتلت عفافيت فسمتها طوكر وبلت فيها طابية حصينة .

وبين طوكر وتمرنكات « آبار التيب » التي اشتهرت في الثورة السودانية لما حصل فيها من الممارك الشديدة بين الدراويش والجيوش المصرية والانكليزية .

والى غربي سواكن على ٤٠ ميلا منها بلاد سنكات وقد كانت في الفتح الاول مركز مأمورية وكان فيها حديقة زاهية وأما الآن فقد هجرت وانصرفت العناية الى تعمير جبال اركويت التي جعلت مصيفاً لمركز المحافظة العام .

محافظة مصوع : وأما محافظة مصوع التي كانت قبلاً تابعة للسودان وأصبحت الآن بيد التليان فقد امتدت على البحر الاحمر من رأس قصار حيث تلتقي محافظة سواكن الى حلة رهيطه عند بوغاز باب المنسب وامتدت غرباً في البر الى سنهيت . وقد سميت الآن « بالارثيا » وامتدت غرباً الى سبدرات قرب كسلا . ومركزها مصوع في عرض شمالي ٣٧° ١٥' وطول شرقي ٢٧° ٣٩' وهي جزيرة في البحر طولها نحو ميل وعرضها زهاء ٤٠٠ يرد . وبينها وبين البر جزيرة صغيرة تعرف بطالوت كان الناس يعبرون منها الى البر بالزوارق الى سنة ١٢٩٠ هـ فشيد لهم مونسجر باشا جسراً ضيقاً من خشب أقامه على عمد من حجر جاعلاً طالوت وصلة فيه .

وقرب مصوع « جزائر دهلك » التي يستخرج منها اللؤلؤ والصدف والظفر وفيها آثار قديمة عليها كتابة قيل انها من عهد الفرس . وتجاه مصوع في البر ثلاث قرى صغيرة : حريققو وحطملو وام كلثو وهي لها كالقيت لسواكن . ومنها طريق تجارية الى عدوه في الحبشة وطريق الى كسلا في السودان وقد مرّ ذكرها . والى جنوبها مينا زولا المشهور قديماً باسم أدولس وفيه آثار من عهد البطالسة . ويقال في هواء مصوع ومياها وأبليتها ومينائها وتجارتها ما

قيل في سواكن . وقد أقام التليان فيها أبلية فاخرة فزهت حتى صارت من أفخر مدن البحر الأحمر .

محافظة هرر : وأما محافظة هرر التي انسلخت أيضاً عن السودان فألت عاصمتها هرر الى الأحباش وفرضتها زيلع وبربره الى الانكليز فسيأتي الكلام عليها في تاريخ الحبشة .

مدن مديرية كردوفان وآثارها :

« الأبيض » عاصمة المديرية ومن أشهر مدن السودان التجارية وأقدمها وهي واقعة في سهل فيصح على ٢٩٢ ميلاً من الخرطوم و ٤٤٦ ميلاً من الفاشر وعلوه ١٩٢٠ قدماً عن سطح البحر . وقد كانت زاهية في عهد سلطنة الفور فزادت بعد الفتح المصري زهاءً وبلت الحكومة فيها داراً للمديرية وثكنة للمساكن وشونة ومستشفى وكان فيها جامع ومدرسة ابتدائية وسوق تجارية شهيرة تباع فيها جميع اصناف البضائع التي تباع في السودان . وقد بلغ عدد سكانها قبل الثورة نحو ٥٠.٠٠٠ نسمة بينهم كثير من تجار الجعليين والدناقلة والبعض من تجار الشام ومصر والحجاز والهند وأوربا . وسقطت بيد المهدي في ١٩ يناير سنة ١٨٨٣ بعد حصار طويل فخربها وبني «ديماً» بجانبها وبقيت الى ان عادت الحكومة اليها بعد واقعة أم درمان فشرعت في تجديد بنائها وستعود الى سابق عزها عن قريب ان شاء الله .

«وباره» على ٤٠ ميلاً الى الشمال من الأبيض وهي بلدة حسنة البناء جيدة التربة غزيرة المياه وفيها نبع ماء لا ينقطع يسمى العاديك يخرج منه العلق . وكان فيها حدائق غناء تضاهي حدائق مصر زاهية بأنواع الفاكهة . وقد سقطت بيد المهدي قبل الأبيض بقليل وعادت الحكومة اليها عند عودها الى الأبيض وهي الآن تتدرج في النماء كغيرها من مدن السودان .

«والطياره» على ٣٥ ميلاً الى الشرق من الأبيض وهي من أهم المراكز

التي يجمع فيها الصنع ولها سوق عظيمة يباع فيها الصنع والدخن . وأكثر أهلها جوامعة .

« وابو حراز » على ٣٠ ميلاً الى الجنوب الغربي من الابيض وهي بلدة متسعة قائمة على خور عظيم تحفر فيه الآبار في زمن الصيف . وفي فلاتها كثير من النعام .

« وخورسي » الى الشمال الغربي من الابيض مسيرة يوم منها وفي بعض جهاتها فلاة يقال لها العطاش ينقطع منها الماء في الصيف ولكن يكثر البطيخ فمن مائه يشربون ويسقون غنهم فترام في تلك المدة هزلي ضعافاً كأنهم قريبو عهد بمرض ولكنهم انما يقيمون على هذا الضيق ابتغاء جمع الهشاب الذي يكثر هناك عند انحباس المطر .

« والسنوط » وهي حلة صغيرة في طريق الطويش من اعمال دارفور اتخذتها حكومة السودان مركزاً للأمورية في أقصى غرب الابيض .

جبال النوبة : هي عدة جبال الى جنوبي كردوفان قيل ان عددها ٩٩ جبلاً وهي تمتد جنوباً وشرقاً الى النيل الابيض وغرباً الى دارفور وفي كثير منها ينابيع وأشجار يتخللها سهول خصيبة تقوم فيها الغابات من أشجار السنط والعرييب والتبلدي وغيرها . وسكانها قبائل شتى من النوبة وفي الصيف يرتاد سهلها كثير من بادية العرب كما مرّ وعلى كل جبل او مجموعة جبال منها ملك . ومن هذه الجبال ما دخل في طاعة مصر في الفتح الاول ومنها ما لم يدخل وأشهر الجبال التي دخلت في الطاعة :

« جبل الداير » او جبل الضباب وهو جبل حصين شامخ كثير الأشجار والنباتات مسيرة يومين من الابيض . وقد عصى المهدي وكانت بينه وبين رجاله وقائع مشهورة .

« وجبل كدارو » الى الجنوب الغربي من الدائر وعلى مسيرة يوم منه وقد اتخذته الحكومة الجديدة مركزاً للأمورية جبال النوبة .

« وجبل الدن » وهو جبل صغير مسيرة ثلاثة ايام من الابيض اشتهر في لفتح الاول وكان فيه للرسالة النسائية الكاثوليكية مدرسة علمية صناعية بإدارة الورد النبيل الاب اوهر ولدر المشهور الذي وقع في أمر المهدي كما سيجيء .

« وجبال تقلي » وهي مجموع جبال منيعة يحكمها عائلة تدعي النسبة الى ملوك الفونج ومن ملوكها الملك ناصر الذي اشتهر في الفتح الاول وكان مركزه جبل طاسين . والملك آدم ودام دباله الذي اشتهر في زمن المهدي وكان مركزه جبل كرايه . ومن تلك الجبال جبل الدوري وهو مركز قبيلة الشام .

« وجبل قدير » على نحو ١٦٠ ميلا من الابيض و ٨٠ ميلا من فاشوده وهو الجبل الذي هاجر اليه محمد إحد المتحمدي من جزيرة أبا عند اول ظهوره بالمهدية . قيل وبلصقه جبل صغير يسمى جبل ماسه ولعل محمد احدث أطلق عليه هذا الاسم ليم له ما قيل في بعض الاحاديث من ان المهدي يخرج من جبل ماسه بالغرب .

وقد اختلف المحققون في أصل تسمية تلك الجبال بجبال النوبة فمن قائل انه اسمها القديم وان النوبة الذين يسكنونها هم أصل للنوبة الذين على نيل دفلة بدليل ما وجدوه من التشابه بين لغة القومين وعدم اشتقاق لغة النوبة الذين على النيل من لغات الساميين الذين هاجروا الى افريقية من آسيا . ومن قائل انها سميت كذلك لأن النوبة الذين على النيل ملكوها وأدخلوا اليها لغتهم كما جرى لأهل النوبة العليا مع المسلمين . ورأى البعض الآخر انها سميت باسم النوبة الذين قرّوا اليها من دنقلا وسويه بعد خرابها كما مر . وقد حدثني تاجر من الأقباط الذين كانوا يترددون الى جبال النوبة قال ان اهل تلك الجبال اذا ولد لهم ولد وكان عمره اربعين يوماً أخذته أمه الى الكجور وهو رئيس ديانتهم وسألته ان يخرج منه الأرواح النجسة فيقطسه بالماء ويدفعه الى أمه قال وذلك من التقاليد المحفوظة عن النصرانية والله أعلم .

مدن دارفور وأثارها :

« الفاشر » بلدة متسعة قائمة على تلين عظيمين يعلاوات ٢٣٥٠ قدماً عن سطح البحر ويخترقها خور تندلتي المار ذكره . أسسها السلطان عبد الرحمن الذي تولى دارفور سنة ١٢٠١ : ١٢١٥ هـ وجعلها عاصمة ملكه فصارت كرسي سلطنة الفور الى اليوم . وقد دخلت في حوزة الحكومة المصرية عن يد الزبير سنة ١٢٩١ هـ قبلت فيها داراً للديرية واستحكماً منيعاً للعساكر ثم سقطت بيد الدراويش سنة ١٨٨٤م وبقيت الى ان كانت واقعة ام درمان سنة ١٨٩٨ فرجع اليها من الواقعة الامير علي دينار من سلاله سلاطين الفور فتولاهما على جزية يدفعها الحكومة السودان .

« وجبل مرّة » في وسط دارفور وهو جبل مرتفع حصين طوله من الشمال الى الجنوب نحو ١٠٠ ميل وعرضه من الشرق الى الغرب نحو ٦٠ ميلاً وارتفاع أعلى قمه نحو ١٥٠٠ قدم عن الارض المجاورة له ونحو ٦٠٠٠ قدم عن سطح البحر وهو وافر الخصب والينابيع وفيه كثير من أشجار الفاكه والحبوب مما ليس في غيره من اعمال دارفور . ومن أشهر قمه « جبل طرّه » الذي كان مركز سلاطين الفور قبل انتقالهم الى الفاشر وفيه مدفن السلاطين الخاص وجامع كبير قديم .

ومن جبال دارفور الشهيرة الميدوب وتقابو وحريز المار ذكرها . ومن مدنها :

« داره » وقد كانت مركز دار الصعيد وهي ثانية الفاشر في الأهمية وفيها استحكام منيع من عهد الفتح الاول . وقد اضطرت ان تسلم الى المهديين سنة ١٨٨٤ بعد كفاح شديد وحرب عوان أثارها عليهم الشهم الهام السر رودلف سلاطين باشا حكدار دارفور في ذلك الحين والمفتش العام للسودان الآن .

« وكوبى » وهي أشهر مراكزها التجارية ومنها تقوم القوافل في طريق

الاربعين الى مصر. وهي موطن محمد امام الخبير سر تجار دارفور سابقاً وعلي بك الخبير المشهور .

« ومتواشي » وهي بعد كوبي في أهميتها التجارية وقد اشتهرت للواقعة التي كانت بين الزبير باشا والسلطان ابراهيم آخِر سلاطين الفور فانجلت عن قتل السلطان ابراهيم ودخول سلطنة الفور في حوزة الحكومة المصرية .

« وام شنقة » وهي في طريق القوافل الآتية من كردوفان ودنقلة .

« والطويشة » وهي في ملتقى الطرق بين شكا والفاشر وداره والأبيض .

« وشكا » وقد كانت قبلاً من أهم مراكز تجارة الرقيق .

« وتولو » وهي مركز تجارة البرياب .

« وكريو » وقد كانت قديماً مركز دار الصباح .

« ومليط » وقد كانت قديماً مركز دار الريح « الشمال » وفيها نخيل

كثير .

« وكلكل » وقد كانت مركز إدارة في الفتح الاول .

« وكبكيته » بينها وبين الفاشر وقد كانت مركز الإدارة قبلها .

« وأب بشر » من مراكز المسيرية .

« وودعه وبلبل وكتم والدور وفافا والكلكة » وقد مرّ ذكرها .

« وجعمان » من مراكز البديرية .

« ورأس الفيل وشميرية » بين داره والفاشر .

هذا ولا بدّ من تنبيه القارئ الكريم الى ان المسافات التي أتينا عليها في هذا الفصل والفصول التي تقدمته اكثرها تقريبية لا يمكن القطع بصحتها الآن إذ البلاد لم تسمح كلها مسحاً علمياً صحيحاً بعد وربما استغرق مسحها هذا عدة سنين نظراً لاتساعها ووعورة مسالكها وطول مفازاتها . وقد تولى هذا العمل الخطير الآن الشريف الكولونيل ثلثوت من مهندسي الانكليز العظام وعلمائهم الأجلاء فشرع في عمل خريطة عامة صحيحة للبلاد وهو باذل الجهد في إنجازها بأقرب وقت ممكن . وفقه الله .

الباب الثالث

في

حضارة السودان

الفصل الاول

في

لغات أهل السودان

اللغة العربية : يعلم القارئ مما تقدم ان في السودان لغات شتى أشهرها العربية وهي اللغة الغالبة وليس في السودان لغة تكتب غيرها وهم يتكلمونها بلهجة حسنة تختلف قليلا عن لهجات مصر والشام ولكنهم يلفظون أحرفهم كأهل الشام فيلفظون الجيم خفيفة والذال زايًا والشاء تاءً أو سينًا إلا الغاف فانهم يلفظونها كالجيم المصرية. ثم إن لكل قبيلة من العرب لهجة خاصة أفصحها لهجات الحضرة على النيل فلهجات البادية في جنوبي السودان الشرقي فلهجات البقارة في جنوبي السودان الغربي .

ولعرب السودان ألفاظ كثيرة غير مألوفة عند أهل مصر والشام وبعضها مأخوذ عن الأعاجم المجاورين لهم كالنوبة والبهجة والسود وشبه السود والحبشة ففي « أسماء الجهات » يسمون الشمال بالسافل أو بالريح والجنوب بالصعيد والشرق بالصباح أو الشرق. وأما أسماء « الشهور القمرية » فهي عندهم هكذا على الترتيب : الضحية، العقابية الوحيد، الكرامة الاولانية، الكرامة الثانية، الكرامة الثالثة، سابق الكرامات، رجب، قصير، رمضان، الفطر الاول، الفطر الثاني، الضحية الاولانية . وهذه بغض الالفاظ الكثيرة الدوران في ألسنتهم .

العربي السوداني	العربي الفصحى	العربي السوداني	العربي الفصحى
اسمك منو	ما اسمك	سمح بالحيل	طيب جداً
ارجاني	انتظري	ثال المكان	ذهب اليه
الأضينة	الجبان	الصريف	مكان مسور بالحوص
البقعة	العاصمة	الطرايل	الاهرام
البكا	المآثم	العمور - المفازة	المد - البئر
بري	حاشا	العوين	الاولاد
البوغاز	الثغر	المنكرب	السري
التكل	الكيوخ	المرضه . الطر	الاستمراض
تدورشنو	ماذا تريد	القلمة	الهضبة
الجلابة	التجار ، القافلة	الكهريئات	العاديئات
جت براها	جاءت من نفسها	الكاره	الثكنة
جنب ساكت	استرح	كصب	بطلال
الجنى	الولد	كورك	رفع صوته
الحلة	القرية	كيقنك	كيف انت
الحوش	المكان المسور بحجروطين	الملقة	مسيرة ساعة
الحبوبة	الجددة	المشرع	المرفأ
حبابك عشره	مرحباً بك	متين عرست	مقى تزوجت
الدبة	التة	ما بمنجر	لا اعلم
الديم	المسكر	نظم	تكلم
الزول	الرجل	مصح	هذه الساعة
الزريبة	المكان المسور يشوك	الهوي	شبه الجزيرة
السرف	نبح ماء جازر	هواي - اداة نداء . ود - ابن	
سوط المطر	قوس القزح	الوطا	الارض

وما يحسن ذكره مثالا للغة العامية السودانية كتاب أرسله عبدالله التعايشي الى الامير عبد الرؤوف من أمراء الجانقي بتاريخ ٣ ذي القعدة سنة ١٣٠٤ هـ يدعو فيه الى ام درمان وهذه صورته :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم . وبعد ، فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق الى الامير عبد الرؤوف ولد بيوق هداه الله آمين . بعد اسلام عليك كان انت حضرت عند المهدي وعندنا في الرهد بقيت سمح بالحيل . بعدين كنت ... قة اليك تمشي تجيب جانقي ووليداتك ونجني قوام لي بكان المهدي ... رمشي في الجنة بكان الهدوم السمعات والحريز والراحة والأكل السمح الحلو . انا بسأل منك كثير انت ما جبت الكلام الليلك واما سمح اسمع الكلام الليل الورقه دي احضر قوام مع أهلك ووليداتك ونسوانك ما تقعد في دار جانقي القعاد بطال كثير . الكلام الليل العرب ما تسمعه بلباصين يسووك اراج ما تقعد في الدار انت طيب . الكلام الليل محمد الهاشمي أسمعه احضر قوام ما تقعد تبقوا من اهل النار بكان ابليس والشيطان والكفار . النار حاره بالحيل التعب فيها كثير الجزير كثير القيد كثير الجوع والعطش كثير . ان حضرت عندنا بعدين وكنت تموت تمشي بكان النبي بكان المهدي أخيرليك نجني ما تقعد في الدار القعاد وكعب . اسمع كلامي تعال قوام قوام . تحشية جانقي ان كان جيتوا سمعوا الكلام الليلنا تمشوا الجنة بكان الخير الكثير واللباس كثير والنسوان السمعات كشار أخير من نسوانكم ديل هدمون سمعات الأكل كثير العسل كثير اللبن كثير العطش ما فيش الجوع ما فيش الورده ما فيش الموت ما فيش البيوت كبار سمعات احضروا قوام قوام أخير لكم » .

ومن ذلك ما كتبه التعايشي للملك الجبوري احد ملوك النوبة يحثه على الجهاد : « الزوال اكان شاف الشغل الـ في الآخرة يوم واحد ما يخلي الجهاد في شان الله والرسول والمهدي . الزول اكان جنب في البيت ساكت يموت

ساكت مثل موت العمين. واما اكان مات في الجهاد الله يرضى عليه والرسول والمهدي ويلقى الخير الكثير .

الأمثال : وعند عرب السودان أمثال حسنة اكثرها مرادف لأمثال مصر والشام منها :

اللي ما يستحمل الشر ما يستحمل الخير
اللي وراه المشي أخير له الجري
امسك في الكذب لما يوصلك الصح
ان شاء الله ما يحينا من الريف الا
القماش

إن كثرت عليك الهموم ارقد نوم
إن لقيت راجل رخيص اشتريه يمكن
بعدن ما تلقاه

إيد الميري طوبة
بيت الشوره ما خرب
بيت عمال ولا بيت مال
البيت يشيل مئة راجل ما يشيل
امراتين

بركة الكلام في قلته
بعد امك وأبوك الأهل جيران
البلد ما يقتلها الا ولدها
تاجران لا يربحان تاجر الهف (الحنطة)
وتاجر الكف (الرقيق)
تربي هزيل الجبال ينفعك تربي هزيل
الرجال يقلمك

الابره ما بتشيل خيطين والقلب ما
بيسع اثنين

احترام النسب عند اللثام اربعين سنه
وعند الكرام الى يوم القيامة

الأخ واحد من اليدن
أخذ النار ينفي العار

اربط اصبعك صحيح لا يدمي ولا
يقيح

ارقد دافي تقوم متعافي
الاصبع الواحد ما يغطي الوجه

أصل الجود جهينه وأصل الملك ستار
وأصل العز جمل

اعمل معروف وأديه البحر
اللي تقوم ذقنه قبل شواربه شاور المره

ولا تشاوره
اللي عنده الدقيق ما بيعدم النار

اللي ما فيها شق ما بتقول طق
اللي ما بيلع ريق على ريق ما بيمسك

رفيق
اللي ما يحب ثاره الحمار خاله

تزوجوا فقرا يفتيكم الله وسافروا
 مرضى يشفيكم الله
 الحنّة العفنة في اللحم تعفنه كله
 الحسنات في الرجال قرّض
 الحق مرّ
 الحمار شكروه رقد
 خصام الرجل الذّكر ولا صحبة الرجل
 الأضينة
 الخيل ظهورها عزّ وبطنها كنز
 الدين ولو درهمين يسودّ الحدين
 رفيق اثنين كذاب وركّاب مرجين
 وقتاع وماسك دربين دهب
 زي الحمار الي مات في السمسم ان
 تركوه عفّش وان جرّوه كسر
 شراب الماء على الرقيق يقصر العمر الوثيق
 السوق شاكره راجحه
 صاحبك ان اباك قتل عليه الحوم .
 وباطنك ان وجعك كثر عليه الصوم .
 ضاعت قوم لا سفيه فيها
 الطبع جبل لا يتحول
 الطول فاقه والقصر عاقه
 ظلم البهائم حرام
 العثرة تسمّح المشي
 الغايب ورا شجره . الغرض مرض
 عصاية العزّ لا تضرب بها تنكسر
 الغنى في القناعة والحرب صبر ساعة
 الفاس ما بتقطع عودها
 فكّة الرقيق أخير من راس رقيق
 فنجان قهوة يقضي الشهوة
 القلب يرى قبل العين
 القمر ان ضوءي لا فايده في النجوم
 كثرة الطلبة ترخص أعزّ خلق الله
 كل وسط ونم طرف
 الكلب لما يسمر اول ما يعض اهل بيته
 الماء ما بتروب والفاجره ما بتتوب
 مائة صاحب ولا عدو واحد
 مثيلك من الريف يأتي لك
 المجنون يضعحك على طبيبه
 المرء مكسوره بخناج
 المرض ما بيقتل يقتل الاجل
 مر عفيبين قتلوا الاسد
 المريض يكره دواء
 من جرّب المجرّب حاطت به الندامة
 لمن خلص دينه نامت عينه
 ناسب احسن منك وعاشر احسن منك
 الميتة ولا شماعة الاعدا
 وجوه الرجال خناجر
 لاقيني ولا تقديني
 يا حافر حفرة السوء وسّع مراقدها
 يد الحرّ ميزان

ومن أقوالهم « اطلب الشيء بثلاثة : بالعين فاذا لم تظهر به فبالمال . فاذا لم تفلح فبالحرب . فاذا لم تستطع الحرب . وعدمت المال فعد الى العين فانه ميسور لكل انسان . فاذا لم تنجح فعد ما انت طالبه » .
ومن أراد المزيد من أمثالهم فعليه بكتابنا « امثال العوام في مصر والسودان والشام » .

الأحاجي والألفاظ : هذا وفي كلامهم من الاحاجي والالغاز ما في كلام اهل مصر والشام منها :

ازرق كحيل راكب على ثلاثة خيل	ج القدير (موضوعة على ثلاث اثافي)
ترن ترن عند البحر حرّ	ج الحذاء (فانه 'يخلع قبل الخوض في الماء)
دخل في القشّ ما قال كشّ	ج الظل
سوط الملك وقع مين يشيله	ج الشعبان
ضله في بطنه	ج الحفرة
ظريف وطفيلي	ج ظل الانسان
عنيّزته ماسكها من دينيها وهي ترعى	ج الموصى
في البلاد خضراء وفي البيت حمراء	ج البطيخ
فيلا ميت في الحلا ميت	ج البيت
مطمورة ابو زيد ملانة بيض	ج الفم والاسنان
ممسحه بلا مسح وتمشي بلا روح	ج السفينة
هو بارك وفي السماء يعارك	ج المدخنة

الشعر والقناء : أما الشعر عندهم فهو « كالمعنى » عند اهل لبنان « والزجل » عند اهل مصر إلاّ انه دونها فصاحة ولا ينظمونه إلاّ للقناء .
والقناء عندهم انواع وهي :

« غناء النّم » وهو غناؤهم على ظهور الإبل وأكثره تشييب بالنساء وحدها للإبل لأنها تحمل الحب الى حبيته . وقد تعودت ابل السودان هذا الحداء حتى

صار يروق لها ويحسن به سيرها . من ذلك ما قاله عبد الله ابو سن احد كبار
الشكرية في محبته « نجوم » :

اسم ام شلخ نجوم نزلته في اليوميه
كل من جاب سلامك يلقي عندي هديه
معدومة النظير في الدنيا بالكلية
الستات بلاك يا مهرة العونية
ومنه : دردر في الفقر وحاني قط ما اعيش
اهلي ما يفتقدوني ان بقيت ما فيش
ومنه : ال بريدك ما جفاك
بالزينة يرقع في قفاك
بتحصن به في الاوقات صباح وعشي
لكون الجمال عند الله له مزته
بيتك لي جنه وحضرتك حورته
بقيا لي مساح ما عندي فيهن نية
وخلاقي مثل جعفر الجمال طميش
أخير مني الرخمة غزيرة الريش
ان اكلت ما بقول كفاك
يا اخواني اصل الرايدة هاك

« وغناء المطرق » سمي بذلك لأن المغني به ويعرف باللييب او الغشاي
يضرب الارض بالمطرق (أي بمصا صغيرة) وهو يغني وقد خص هذا الغناء
بمدح الملوك وأكابر القوم او رثائهم . ولكل رجل شهير في السودان لييب ينظم
له القول في المدح والفخر والحماة .

ومن هذا الغناء ما قالته بنت مسيس المسلية في مدح الزبير باشا :

العيال يحالسوا المعزى معزا الدرا وانت تجالس بقر الليوث في الخلا
وقت الشوف يشوف ما هو الاضينة جري يحرن في العقاب ويشيل النبا

ومنه ما قالته في محمد المقدم ابن احمد شرقي احد رجال المهدي :

محمد المقدم حافره قط ما جاك الفارس المقيم بالالف واللك
وقت الشوف يشوف والحديث ينلك دور خشمه كك ومقبوضه ما ينفك

ومنه لبعض العبايدة :

ما بيطارد كلام الزلة وفوق البشاوات هو معلى
بأمر بالشتق والحلة وما شوف كيفه حاشا وكلا

« وغناء الدلثوكه » وهو خاص بالنساء يغنينه على آلة شبكة الدربةكة (يأتي وصفها) مدحاً للرجال بالشجاعة والفروسية والكرم وما أشبه ووصفاً للنساء بالجمال والصيانة وكرم الاصل وعلو الحسب . ومن هذا الغناء :

ليبيكن ديماس حاس بحماس يا لصافيات تبر مونحاس
اذاي ال في الضلع غواص دواي غلب الحكيم يا ناس
ومنه : الله ليه الهزء كلانا بالحسار والشوق شوانا
يا ام ضمير النوم جفانا 'دونا شوف العين كفانا

« وغناء الجرذقة » وهو خاص بالبجارة ويغنونه على ظهور الخيل وكله أغاني حماسية ومنه :

أكلنا بليه ورقادنا قش من خشش لحشش لمن الفقر ينقش
« وغناء الطنبورة » وهي من أشهر آلاتهم الموسيقية وسيأتي وصفها . ومن هذا الغناء :

الحكيم عاين لي وراح قال لي يا زول ما فيك جراح
آفتك التلثينة شلاخ مسكة الكثن مع الباح

« وغناء الرابية » المعروفة وهو خاص ببلاد النوبة .

« وغناء الطار » ويقال له ايضاً « غناء المديح » أما نسبه الى الطار (الدف) فلأنه يغنى به على الطار وأما نسبه الى المديح فلأنه في مدح النبي ﷺ . ففي السودان شعراء يعرفون بالمديحين ينظمون القصائد في مدح النبي ﷺ ويعطونها لتلامذتهم المعروفين بالزمال فيطوفون في البلاد اثنين اثنين او أكثر وبأيديهم الطارات ينشدون تلك القصائد في الافراح وبيوت الكبراء فيجتمع الناس حولهم حلقة فيأخذ احدهم طاراً يعرف بالام وآخر طاراً اصغر منه يعرف بالشم ويشرع حامل الام بالغناء مبتدأً بالشيله (اللازمة) فيعيدها الجمهور بعده وهو يكررها لهم حتى يحفظونها ثم يشرع في القصيدة فيلقياها هو وحامل الشم بيتاً بيتاً على ضرب الطار والحضور يعيدون الشيله بعد كل بيت

وهكذا الى ان تلتهي القصيدة. واهل السودان يكرمون هؤلاء المداح اكراماً للممدوح ويذبجون لهم الذبائح ويجزلون لهم العطاء . ولا ينخرط في هذا السلك إلا اصحاب الصوت الجليل وهم في الغالب حسان الصورة نظيفو الثياب. ومن هذا الغناء ما قاله المادح ود تميم من اهل الجزيرة :

الشيلة : قبراً بُناه في المدينة لامتين أراه (متى أراه)
ومنه الشيلة : شاشت (اشتقت) لنور الله الساد (الذي ساد) رسل الله
القصيدة : يا ليلي ست الجنة من الجحيم الجنة (السر)
مشغونك حن وجن وعوديه لينك جن (اظلم)

ومنه ما قاله في رثاء المتمهدي شاعره احمد ود التويم من الجمعين العوضيه :

يا الطاهر دمك انا برجز نمك يا مهدي الله دوب لي قول نمك
عبدك يتهمك مشغول بهمك قال يا سيد عمك متى ألمك
يا الـ ما يتموت أنا ليك متشوق جـاهك يموت نعمة المتطوق
قول من الـ علقوا فيك من يوم خلقوا دربك لا يطلقوا بري من الـ زلقوا
سريرتك صافيه مع رب العافيه بطنك مي جافيه للحسد نافيه
يا طيب الاسما ويا سمح البسمه في العمل ابورسمه لا تكون لي قسمه
صل يا خالقنا على أب حباً حارقنا سيد عثمان دقنا الـ عليه اشتقنا
عبدك عافيه من علله الـ فيه ابن تويم اشفيه لا تهمل فيه

هذا واكثر أغاني المديح والمطرق والدلوكة والطنبورة على النبل بين الشايقية والجمعيين . واكثر غناء النـم في البادية الشرقية والجزيرة بين الشكرية ورفاعة الهوي .

ومن لغات السودان المشهورة :

« لغة النوبة » او لغة البرابرة في بلاد دنقلة واسوان .

« ولغة البجة » وهي لغة بادية الصحراء الشرقية .

« ولغات السود » في فاشودة وبحر الغزال .

« ولغات شبه السود » في دارفور وقد سبقت الإشارة إليها كلها . وبحث علماء الافرنج في كثير منها . وألف بعضهم كتباً في صرفها ونحوها ومفرداتها فمن أراد التوسع فليطالعها .

هذا والكثير من النوبة والبجة والسود وشبه السود الممتزجين بالعرب يتكلمون العربية على لحن ظاهر في رطانتهم كما ان العرب الممتزجين بهؤلاء الأجناس يتكلمون لغاتهم على لحن ايضاً .

ولأهل كل لغة من هذه اللغات أغاني كالعرب . وقد سمعت بعض أهالي النوبة يغني أغنية بلحن شجي مزعج فسألته عما يقول فترجعه لي هكذا :

هلا هـيلا انتِ لا تخرجي من البيت هلا هـيلا انتِ لا تذهبي الاوردي
هلا هـيلا اسهر الليل كله على شانك هلا هـيلا وانتِ لا تخرجي من البيت

الفصل الثاني

في

أديانهم

الاسلام :

تقدم ان جميع اهل السودان على اختلاف أجناسهم يدينون بالاسلام ما عدا السود فانهم يدينون بالفتشية. وقد كان للاسلام الشأن الاعظم في السودان حتى انه ليعتذر فهم تاريخ هذه البلاد فهما صحيحاً إلا بفهم الاسلام نفسه . ولذلك رأيت ان آتي هنا على مجمل سهل جلي في ماهية الاسلام ومذاهب المسلمين وعقائدهم وأعيادهم وحكوماتهم وفي ما عليه اهل السودان من ذلك كله ليكون تمهيداً لما سيجيء في تاريخ السودان بعد الاسلام وعلى الخصوص في تاريخ المهديه فأقول :

الاسلام والايان : الدين عند المسلمين الاسلام والايان اما « الاسلام » فأركانه خمسة وهي شهادة ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله واقامة الصلاة (وهي الصلوات الخمس اليومية في اوقاتها فذاً او جماعة) وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلاً .
واما « الايمان » فهو ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر

والقدر حيره وشره . فمن أنكر شيئاً منها فهو كافر ومن استجمعها وأنكر غيرها كانكاره للمهدية مثلاً لم يعد كافراً ومن أظهر الاسلام وأخفى الكفر فهو منافق .

الشيعة وأهل السنة : ثم ان المسلمين من حيث المذهب طائفتان كبيرتان الشيعة وأهل السنة . اما « الشيعة » فهم القائلون بأن الامام علياً هو وصي النبي على الأمة وهو الأولى بالخلافة بعده مباشرة ولذلك فهم يرفضون الخلفاء الثلاثة الذين تقدموه وهم : ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ويعتبرونهم متعديين على حقوق علي في الخلافة ويعتقدون ان الامام علياً وإن لم يكن الخليفة ظاهراً فهو الخليفة باطناً منذ وفاة النبي وهم يعتبرون هذه الخلافة الباطنية في ذريته من بعده الى الامام الثاني عشر الذي يزعمون انه لا يزال حياً وانه المهدي المنتظر على ما سيجيء . وهم مذاهب شتى لا حاجة بنا الى تفصيلها لأن ليس لهم أثر في السودان الذي أصل كلامنا فيه وانما معظمهم في بلاد العجم ومنهم قليل في الهند وفي شمالي سوريا .

وأما « أهل السنة » وهم السواد الأعظم من المسلمين فيقولون ان ترتيب الخلافة الذي حصل هو الصواب وعندهم ان الخلفاء خمسة لأن النبي ﷺ قال : « الخلافة بعدي ثلاثون ثم تصير ملكاً عضوداً » فالذين حكموا في الثلاثين سنة بعد وفاته هم : ابو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب ويلقب بالفاروق، وعثمان ابن عفان ويلقب بذي النورين، وعلي بن ابي طالب ويلقب بالكرار، والحسن ابنه قبل تنازله لمعاوية .

المهدية في الاسلام :

واعلم ان المشهور بين الكافة من اهل الاسلام على ممر الأعصار انه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من اهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الاسلامية ويسمى بالمهدي ويكون خروج الدجال (وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح) على أثره وان

عيسى ينزل بعده فيقتل الدجال او ينزل معه فيساعده على قتله ويأتى بالمهدي في صلاته (اه عن ابن خلدون) .

مهدي أهل السنة : ويحتج أهل السنة في الباب بأحاديث خرجها بعض أئمتهم منهم : الترمذي وابو داود والبزار وابن ماجه ، وأسندوها الى جماعة من الصحابة مثل علي وابن عباس وابن عمر وطلحة وابن مسعود وابي هريرة وأنس وابي سعد الخدري وابي جعفر وام سلمة وغيرهم .

فمن ذلك ما جاء في كتاب الامام القرطبي : وفي حديث ابي داود ، لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله تعالى ذلك اليوم حتى يبعث الله تعالى فيه رجلاً مني . او من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي . وفي رواية له أيضاً : لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يليهم رجل من أهل بيتي تكون الملائكة بين يديه ويظهر الاسلام ويكثر فيه المال ويأتيه الرجل فيقول : يا مهدي اعطني فيحشي له في ثوبه ما استطاع ان يحمله .

وعن ابي سعد الخدري ان رسول الله ﷺ قال : « ليصين هذه الأمة بلاء حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ اليه من الظلم فيبعث الله تعالى رجلاً من عترتي (أهل بيتي) يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض لا تدع السماء من قطرها شيئاً الا صبته مدراراً ولا تدع الأرض من نباتها شيئاً الا أخرجته حتى يتمنى الأحياء العيش . يمكث على ذلك سبع سنين او ثمان سنين او تسع سنين . ورؤي انه يخرج من أقصى المغرب يشي النصر بين يديه اربعين ميلاً رايته بيض وصفر فيها رقوم وفيها اسم الله الأعظم مكتوب فيها فلا تهزم له راية . وقيام هذه الرايات وانبعاثها من ساحل البحر بموضع يقال له ماسه من جبل المغرب فيبعث هذه الرايات مع قوم قد أخذ الله تعالى لهم ميثاق النصر والظفر .

وقال صاحب « نور الأبصار » : ان السنة من سني المهدي مقدار عشر سنين ثم لاخير في العيش بعده . وقال ان سلطانه يبلغ المشرق والمغرب وتظهر

له الكنوز ولا يبقى في الارض خراب الا عمره . وهذه علامات قيام القائم مروية عن ابي جعفر (رضه) قال : اذا تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال وركبت النساء السروج وأمات الناس الصلوات واتبعوا الشهوات واستخفوا بالدماء وتعاملوا بالربا وتظاهروا بالزنا وشيدوا البناء واستحلوا الكذب وأخذوا الرثى واتبعوا الهوى وباعوا الدين بالدنيا وقطعوا الأرحام وضنوا بالطعام وكان الحلم ضعفاً والظلم فخرأ والأمرأ فجرة والوزراء كذبة والأمناء خونة والأعوان ظلمة والقرءاء فسقة وظهر الجور وكثر الطلاق وبدا الفجور وقبلت شهادة الزور وشرب الخمر واتخذ الفريء مغنياً والصدقة مغرمأ واتقي الأشرار غشافة ألسنتهم وخرج السفيلاني من الشام والياني من اليمن وخسف بالبيداء بين مكة والمدينة وقتل غلام من آل محمد ﷺ بين الركن والمقام وصاح صائح من السماء بأن الحق معه ومع أتباعه . قال : فاذا خرج أسند ظهره الى الكعبة واجتمع اليه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أتباعه فأول ما ينطق به هذه الآية : « بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين » ، ثم يقول : انا بقية الله وخليفته وحجته عليكم فلا يسلم عليه احد الا قال : السلام عليك يا بقية الله في الارض ، فاذا اجتمع عنده العقد عشرة آلاف رجل فلا يبقى يهودي ولا نصراني ولا احد ممن يعبد غير الله تعالى الا آمن به وصدقه وتكون الملة واحدة ملة الاسلام ، وكل من كان في الارض من معبود سوى الله تعالى تنزل عليه نار من السماء فتحرقه والله أعلم اه .

هذه هي بعض أحاديث القائلين بالمهدية من السنة وعندهم ان المهدي يميء من بني فاطمة (قلت ولذلك يعرف ايضاً في كتبهم بالفاطمي) وانه يولد بالمدينة المنورة لأنه من أهلها . وقالوا في صفته انه شاب أفرق الثنايا واسع الجبهة أكحل العينين أزج الحاجبين أقي الأنف كث اللحية على خده الأيمن خال . وجهه كالكوكب الدرري اللون لون عربي والجسم جسم اسرائيلي (أي طويل) .

مهدي الشيعة : وأما الشيعة من المسلمين فيعتقدون ان المهدي قد ظهر في

وأواخر القرن الثالث للهجرة في شخص محمد بن الحسن الخالص بن علي الهادي ابن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب وهو آخر أئمتهم الاثني عشر. وكنيته ابو القاسم ولقبه الامامية بالحجة والمهدي والحلف الصالح والقائم والمتنظر وصاحب الزمان وأشهرها المهدي . قالوا . وكان شاباً مرفوع القامة حسن الوجه والشعر . يسيل شعره على منكبيه ألقى الأنف أجلى الجبهة .

وفي تاريخ ابن الوردي : ولد محمد بن الحسن الخالص سنة خمس وخمسين ومائتين . وتزعم الشيعة انه دخل السرداب في دار ابيه « بسر » من رأى « وأمه تنظر اليه فلم يمد اليها وكان عمره تسع سنين وذلك في سنة مئتين وخمس وستين على خلاف فيه . وهم يعتقدون انه لا يزال حياً وانه لا بد من ظهوره بعلامات خاصة في آخر الزمان . وكان على هذا المذهب السيد المحمدي وله من أبيات :

إمام الهدى قل لي متى انت آيبٌ فمُنْ علينا يا إمام برجة
ملنا وطال الانتظار فجد لنا بحقك يا قطب الوجود بزورة
فأنت هذا الأمر قدماً معينٌ كذلك قال الله انت خليفتي اه

ويظهر ان الشيعة كلهم متفقون على الاعتقاد بالمهدي واما اهل السنة فملاؤهم على خلاف في شأنه وذلك لأن الأحاديث التي خرجها علماءهم والتي تقدم لنا ذكر بعضها على شهرتها وكثرتها لم يرد منها شيء في الصحيحين (اي صحيح الامام البخاري الذي ولد في بخارى سنة ١٩٤ هـ وتوفي في بغداد سنة ٢٥٦ هـ . وصحيح الامام مسلم الذي توفي في نيسابور سنة ٢٦١ هـ) . والمعلوم ان الصحيحين عند اهل السنة سقمان على سائر كتب الأحاديث فكل ما جاء فيها لزمهم قبوله والعمل به بخلاف الأحاديث التي لم ترد فيها فانه لا يلزمهم قبولها بل هم يخبرون بين القبول والرد لذلك . ولما كانت جميع الأحاديث المروية بشأن المهدي مروية في غير الصحيحين اختلف علماء السنة فيه فمنهم من اعتمد تلك الأحاديث فانتظر ظهور المهدي ومنهم من لم يعتمد ذلك فلم ينتظر

ظهوره . وفي هذا الباب بحث طويل في مقدمة ابن خلدون في كلامه عن الفاطمي وما يذهب اليه الناس فمن أراد الإسهاب فليراجعه هناك .

على ان هذا الخلاف بين علماء السنة لم يؤثر شيئاً في اعتقاد الجمهور في ظهور المهدي وقد ظهر بين المسلمين من اهل السنة والشيعة في كل العصور رجال ادعوا المهدي فعمات حولهم الانصار فمنهم من ساعدتهم الاقدار والاحوال فأسسوا دولة عظيمة دامت زماناً طويلاً ومنهم وهم الاكثر لم يكادوا يظهرون بدعواهم حتى طوى الزمان ذكرهم لأن الاحوال لم تكن ممدّة لنجاحهم .

مدعو المهدي في الاسلام : وأشهر الذين ادعوا المهدي من اول الاسلام الى الآن :

« محمد بن عبد الله » الملقب بالنفس الزكية ظهر في المدينة سنة ١٤٥ هـ في عهد الخليفة المنصور ثاني الخلفاء العباسيين فدعا الناس اليه وكان له أخ اسمه ابراهيم فنصره ففتح البصرة والاهواز وفارس ومكة والمدينة وبعث عماله الى اليمن وغيرها وكان ذلك في زمن الامام مالك فأفقى له وشدة أزره فكثرت دعائه حتى كاد يذهب بالدولة العباسية لو لم يستدرك المنصور أمره ويتغلب عليه ويقتله .

« وعبيد الله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر الصادق » مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب التي فتحت في الديار المصرية في أواسط القرن الرابع للهجرة وبنت مدينة القاهرة على يد القائد جوهر وقد اتسعت دولة الفاطميين وامتدت سلطتهم وطالت أيام حكمهم كما هو مشهور .

« ومحمد بن عبد الله بن تومرت » المعروف بالمهدي المرعي ويكنى أبا عبد الله أصله من جبل السوس في أقصى بلاد المغرب رحل الى المشرق حتى انتهى الى العراق واجتمع بأبي حسان الغزالي وغيره فأخذ العلم عنهم واشتهر بالصلاح والتقوى وساح في الحجاز وجاء مصر ثم سار الى المغرب وأقام بمراكش وغيرها وتأسست على يده دولة عظيمة في أوائل القرن السادس للهجرة هي دولة بني عبد المؤمن .

« والعباس الفاطمي » ظهر بالمغرب في آخر المائة السابعة للهجرة وادعى المهدي فتكاتف الناس حوله وعظمت شوكته حتى دخل مدينة فاس عنوة وأحرق اسواقها وبيث العمال الى الأنحاء لكنه قتل غيلة فانقضى أجله وسقطت دعوته .

« والسيد احمد » ظهر في أوائل القرن التاسع عشر للميلاد في جهات الهند وحارب الاسياخ على حدود بنجاب الشمالية الغربية سنة ١٨٢٦ م ولم تقم له قائمة .

« ومحمد احمد الدنقلوي » الذي ظهر في سنة ١٨٨١ م واضطر الحكومة المصرية الى الخروج من السودان كما هو مشهور عند جميع القراء وسأني على تاريخه وأسباب ظهوره بالتفصيل إن شاء الله .

« ومهدي السومل » المعروف بالملأ المفتون الذي قام بعد محمد احمد في بلاد السومال فجرد عليه الانكليز الحملة بعد الحملة حتى مزقوا شمله وفلثوا شوكته وهم الآن يطاردونه في المفاوز والقفار ولا يرجعون عنه حتى يقضوا عليه وعهد ذلك قريب .

ومن أراد التوسع في هذا البحث او في اي بحث من أبحاث التاريخ الاسلامي فعليه بالكاتب المتفنن والمؤرخ الذكي « جورج اقمدي زيدان » صاحب تاريخ مصر الحديث ومجلة الهلال القراء وتاريخ التمدن الاسلامي فانه يعد للطلع كتاباً وافياً في « تاريخ الاسلام العام » على اسلوب جديد جلي قريب المأخذ سهل المتال .

محمد المهدي السنوسي : ومنهم من يعد محمد المهدي السنوسي الذي يحارب الفرنسيين الآن في بلاد كانم في مصاف المدعين المهدي ولهذا الرجل صيت واسع في الشرق والغرب وقد كان له شأن في تاريخ المهدي ويتوقع ان يكون له شأن عظيم في مستقبل الايام لذلك رأيت ان آتي على تاريخه ببعض الإسهاب فأقول : « ان محمداً المهدي السنوسي هذا هو نجل الأستاذ الشهير محمد بن علي

السنوسي من ذرية الحسن بن الامام علي بن ابي طالب (رضه) . ولد أبوه سنة اربع او خمس بعد المئتين والألف بصعراء مستغانم من أعمال الجزائر ونشأ فيها وطلب العلم بمدينة قاس واشتغل بالطريقة الدرقاوية . ثم رحل الى مكة المشرفة فلقي بها الاستاذ احمد بن ادريس الشريف القاسي المشهور بالعلم والصلاح وأخذ عنه الطريقة الصوفية من فرع الشاذلية فبرع فيها فأجبه استاذهُ المذكور وخلقته وأذن له في إعطاء اليهود وتلقين الذكر فبنى زاوية بجبل ابي قبيس بمكة . ثم رحل الى الجبل الاخضر من ارض طرابلس الغرب سنة ١٢٥٥ هـ وبني في تلك الجهات عدة زوايا وأقام حتى رزق ولديه السيد محمداً المهدي الذي فيه كلامنا سنة ١٢٦١ هـ والسيد محمداً الشريف سنة ١٢٦٣ هـ . وفي تلك السنة عاد الى جبل ابي قبيس بمكة فأقام فيه نحو سبع سنين مشغلاً بإقراء الحديث والفقه فشاغ صيته وهرع اليه الناس للتلقي عنه . وتوفي الاستاذ السيد احمد بن ادريس في اليمن وله هناك قبة تُزار وكان السنوسي قد صحبه الى اليمن فعاد بعد وفاته الى مكة . وحدث في تلك الأثناء ان الشريف عبد المطلب شريف مكة عصى الدولة فاتهم السنوسي بمشايعته على ذلك سرّاً فخاف من الإقامة بمكة بعد هذه التهمة فرحل منها عائداً الى الجبل الاخضر عن طريق مصر وكان على مصر المفقور له عباس ياشا فأكرم وفادته وبني له زاوية بخارج القاهرة عند الشيخ القللي بحجة باب الحديد فلم ينزل بها وانما نزل في ناحية كرداسة بالجيزة فهرع الناس لزيارته والتبرك به . ثم سار الى الجبل الاخضر فنزل بمحل عرف بالفزيات وهو قصر قديم فرممه وأصلحه وسماه العزيات وأقام به سنتين يبث طريقته فلما كثر مريدوه في صحراء ليبيا أراد ان يسكن بينهم ويعتزل عن مواطن الحكومات فسألهم عن مكان فيه ماء قدلوه على الجفوب وهي على مسافة عشرة ايام من العزيات وثلاثة ايام من سيوه فرحل اليها سنة ١٢٧٣ هـ وبني زاوية وأقام فيها ينشر طريقته بين عرب البادية الى ان توفي في ٩ صفر سنة ١٢٧٦ هـ ودفن هناك . وله مؤلفات كثيرة منها إيقاظ الوسنان في العمل بالسنة والقرآن . والسلسيل المعين في الطريق

الاربعين . والمنهل الرائق في الأسانيد والطرائق . والشموس الشارقة في سماء
مشايع المغاربة والمشاركة .

وقام بعده بثشر طريقته وحرية مريديه ولده وخليفته الاستاذ السيد
محمد المهدي السنوسي الذي فيه كلامنا بعضه أخوه السيد محمد الشريف
السنوسي فازداد عدد المريدين للسنوسية في عهده اضعافاً كثيرة وزادت طريقته
انتشاراً في الصحراء الكبرى وامتدت الى بلاد وداي وكانم وباجرمي
ودارفور . وله الآن في تلك البلاد كلها وفي مصر والحجاز نحو ٣٠٠ زاوية
وفي كل زاوية خليفة من قبلة يدير شؤونها ويبيع الناس فيها بدلاً عنه
ومدرسة لتعليم القرآن ومبادئ العلوم . وكل خليفة ينشئ له زرعاً بمساعدة
السالكين عنه الطريق ويقتني الماشية فينفق من ريعها على الزاوية وما فضل
يرسله الى شيخه السنوسي حتى اصبح السنوسي أشبه بملك 'يجبى اليه الخراج
ومقامه عند اهل طريقته أعظم من مقام الملوك وأهل الصحراء الكبرى لا
يعرفون حاكماً غيره ولا يخضعون للحكام إلا بواسطة بل هم يعتقدون انه
المهدي المنتظر وقد قاموا معه في الحرب الحاضرة على الفرنسيين حاسبين ان
هذا وقت ظهوره وانهم الآن يحاهدون في سبيل الله ومهديه .

ولما قام محمد احمد بدعوى المهدي في السودان بعث الى السنوسي بكتاب
يدعوه فيه ان يكون خليفته الثالث أي في مقام الخليفة عثمان بن عفان فرفض
الدعوة باحتقار ولم يرد الكتاب وقيل انه قال للرسول اخبروا محمد احمد اننا
لا نساوي التراب الذي كان يطأه عثمان . وقد أوعز الى ملك وداي ان لا
يحرك ساكناً مع محمد احمد فلا ينصره ولا يحاربه إلا اذا جاءه محارباً فليحاربه .
قيل وقد أرادت الدولة العلية منذ بضع سنين ان تستدعي السنوسي الى الاستانة
ليقيم في حماها فلما شعر بذلك رحل من جغبوب ونزل في واحة الكفرة وبقي
له هناك زاوية سماها زاوية التاج فاجتمع اليه الطلبة من تونس ومصر والشام
وبادية الغرب . ثم ارتحل منها الى قرو وهي واحة بين الكفرة وعاصمة وداي
ولم يزل مقيماً فيها يدير الحرب التي أشهرها قريباً على الفرنسيين لأنهم دخلوا

البلاد التي يعدها ضمن سلطانه . والمشهور عنه انه يريد تقويم الدين الاسلامي واعادته الى أصله القديم ومقاومة كل ما جد من زخرف الملك وزينة الدنيا . ومن عادته ان لا يكتب احداً من غير طريقته ولا يجاوب احداً على خطابه إلا اذا كان الخطاب من مسند رسمي فانه يجيب عليه جواباً رسمياً وهو لا يحب ان يداخل احد من الاجانب في شأنه ولا يسمح للنصارى ان يطأوا زاويته بل يكره تجولهم في الصحراء بين زواياه . وله الآن بين الحجاز وواحة قرو مراكز للبريد في جده والسويس وكرداسه وسيوه وجفوب والكفرة وله في كل مركز وكيل مسئول عن اتصال الكتب من مركزه الى المركز الذي يليه وهو يوصي مريديه بالمبالغة في حفظ الأسرار وضم الكلمة . هذا ما وصل الينا من أمر السنوسي والله أعلم .

أئمة المسلمين :

ثم ان أئمة الدين عند أهل السنة ثلاث فرق وهي :

أئمة علم التوحيد : وهم الذين بحثوا عن وجود الحق جل جلاله وصفاته وأسمائه وأفعاله وعن ملائكته وأنبيائه وكتبه ورسله واليوم الآخر وهم كثيرون وانما الذين اشتهر مذهبهم واستمر الى الآن اثنان وهما الامام ابو الحسن الاشعري والامام منصور الماتريدي وبينهما اختلاف طفيف في مسائل منها مسألة عدد صفات الله وحدوث صفات الافعال او قدمها . فالامام الاشعري يعتبر صفات الله سبحانه سبعا وهي القدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام . والامام الماتريدي يعتبرها ثمانية بزيادة صفة التكوين . واما من قبيل صفات الافعال مثل الخلق والرزق والاحياء والامانة ونحو ذلك فالذي عليه الاشعري انها حادثة عند حدوث متعلقها المخلوق . واما الماتريدي فيقول انها قديمة لأنها تفاصيل الصفة القديمة عنده التي هي التكوين ، فانقسم المسلمون بهذين الامامين في عقائدهم التوحيدية الى قسمين : قسم اتبع الماتريدي وهم الحنفية والباقيون على مذهب الاشعري .

وأئمة الفقه : وهم يبحثون في الاحكام الشرعية التي تتعلق بالمعاملات كالبيع والشراء والعبادات البدنية كالصلاة والزكاة والحج . ومأخذ هذه الاحكام عندهم اربعة هي أصول الفقه وهي : الكتاب والسنة والاجماع والقياس المستنبط منها . وذلك انهم كانوا اذا وقعت لهم حادثة شرعية من حلال او حرام فزعوا الى الاجتهاد وابتدأوا بالكتاب فان وجدوا فيه نصاً تمسكوا به وإلا فزعوا الى السنة ابي الحديث فان رأوا في ذلك خبراً نزلوا على حكمه وإلا فزعوا الى إجماع الصحابة لأنهم راشدون فلا يجتمعون على ضلال فان عثروا على ما يناسب مطالبهم حكموا بالحادثة على مقتضاه وإلا فزعوا الى القياس لأن الحوادث والوقائع غير متناهية والنصوص متناهية فلا يتطابقان فقالوا قطعاً ان القياس واجب الاعتبار ليكون بصدد كل حادثة شرعية اجتهاد قياسي فالاجتهاد عندهم هو استنباط الاحكام الفرعية من الاصول الاربعة المتقدم ذكرها . وكان الأئمة المجتهدون في صدر الاسلام كثاراً ولكن الذين تدونت مذاهبهم وبقيت الى الآن ففقل بعدم باب الاجتهاد اربعة وهم :

« الامام ابو حنيفة النعمان بن ثابت » ولد بالكوفة سنة ٨٠ هـ وتوفي ببغداد سنة ١٥٠ هـ على الأصح .

« الامام ابو عبد الله مالك بن أنس بن مالك » ولد بالمدينة سنة ٩٥ هـ وتوفي فيها سنة ١٩٧ هـ تقريباً .

« الامام ابو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي » ولد بغزة سنة ١٥٠ هـ وتوفي في مصر سنة ٢٠٤ هـ .

« الامام ابو عبد الله احمد بن حنبل » ولد في بغداد في الأرجح سنة ١٦٤ هـ وتوفي فيها سنة ٢٤١ هـ .

فانقسم المسلمون هؤلاء الأئمة الى اربعة مذاهب : الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي فتغلب الحنفي في سوريا والعراق والشافعي في مصر والمالكي في المغرب والسودان والحنبلي في الكوفة ونجد وهو أقلها انتشاراً .
وأساس الاختلاف بين هؤلاء الأئمة هو اختلافهم في النظر الى أصول الفقه

الاربعة والأخذ عنها . فالامام ابو حنيفة شديد التمسك بالقياس وربما يقدم القياس الجلي على أخبار الاحاد . اما الأئمة مالك والشافعي وابن حنبل فانهم لا يرجعون الى القياس الجلي او الحنفي ما وجدوا خبراً او أمراً حتى لقد سمى الشهرستاني الحنفية بأصحاب الرأي وسمى المذاهب الاخرى بأصحاب الحديث . ثم ان الشافعي أشد تمسكاً بالحديث الصحيح من الجميع وقد قال : « ما صح من الحديث فهو مذهبي » . وأما مالك فانه شديد التمسك بعمل اهل المدينة لأن اهل المدينة رأوا النبي وأعماله في آخر عمره وهم مقلدون فأعمالهم مؤسسة على رؤية وهي عنده مقدمة على خبر الواحد . ثم ان أحد هؤلاء الأئمة قد يضح عنده من الأحاديث ما لا يصح عند الآخر فيحكم به فيخالف غيره . وفوق ذلك فان العربية لغة الكتاب والسنة قابلة التأويل في ألفاظها فكان كل منهم يحملها على ما يراه أولى عنده ومن ذلك كله حصل الخلاف . وكلهم يبحثون في أفعال المكلفين وأقوالهم وقد قسموها الى خمسة أقسام وهي :

« الواجب » وهو الذي يثاب على فعله ويُعاقب على تركه كالصلاة .

« والحرام » وهو الذي يعاقب على فعله ويثاب على تركه كالسرقة .

« والمندوب » وهو الذي يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه كالصيام في غير رمضان .

« والمكروه » وهو الذي يثاب على تركه ولا يعاقب على فعله .

« والمباح » وهو الذي لا يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه .

وأئمة الصوفية : وهم يشتغلون بالتخلي عن العالم الدنيوي والاشتغال بما يقرب من الحق عز وجل ويؤدي الى مشاهدته ولذا قيل : التصوف هو الجهد في السلوك الى ملك الملوك وان يكون العبد في كل وقت مشغولاً بما هو أولى في الوقت . وأساس طريقتهم ستة امور : تقليل الطعام وتقليل الكلام وتقليل المنام واعتزال الأثام والذكر المدام والفكر التام اي التفكير في مصنوعات الله تعالى بصفاء قلب . وعندما ان ذلك يؤدي الى نفي مساوئ الاخلاق والتخلي بكارمها وانجلاء الظلمات الدنيوية عن القلب وتجلي الحق فيه .

الذكر : والمراد بالذكر المدام ترديد اسم من أسماء الله تعالى مراراً عديدة بخصر او بلا حصر حتى يستولي معنى الاسم على ضمير الذاكر وهو واجسه بحيث لا يكون له شعور بالعالم الحسي . وهم يستعينون على العدّ بالمسابع المعروفة . وقد حدد الصوفية درجة الكثرة في الذكر المشار اليها بالآية « واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » فقالوا ان تكرار الاسم ٣٠٠ مرة هو اول حد الكثرة . وأسماء الله سبحانه كثيرة وجاء في الحديث ان الله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة . ثم ان الذكر عند اهل الطرائق على نوعين فاما ان يردد الذاكر اسماً من أسماء الله تعالى وحده مرأً او جهرأً او ان يردده كذلك مع جمهور من الناس في مجلس خاص يسمى حلقة الذكر . هذا ولكل حلقة شيخ يرئسها او نقيب يفتتح الذكر فيفتتح النقيب الذكر بكلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله فيكرر الجمهور معه هذه الكلمة مراراً . معلومة حتى لقد يقتصرون عليها في الجلسة او يلتقلون منها الى اسم من أسماء الله كقولهم الله حي قيوم أو غير ذلك . وبما جرت به العادة عند اهل الطرائق ان يكون للحلقة منشد ايضاً يسمعون من كلام الصوفية ما ينشطهم فيلقي المنشد والناس يذكرون مقاطيع منها قول الشيخ علي وفا عن لسان الحق عز وجل " يخاطب السالك (المريد) :

أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبنا فانما خصصنا بالرضى من أحبنا
وسلم اليك الأمر في كل ما جرى فما القرب والأبعاد إلا بأمرنا
ولا تعترضنا في الأمور فكل من أردناه أحببناه حتى أحبنا
وسر نحونا لا نخش في الليل وحشة وكن ذاكرأً فالانس في طيب ذكرنا
وعن ذكرنا لا يشغلنك شاغل ولا تنسنا واقصد بفعلك وجهنا
ولا تنس ميثاقاً أخذناه أولاً عليك باقرار كتبنا عندنا

وللذكر المشروع عند اهل الطرائق شروط أهمها ان يكون بخشية وحضور أي ان يعبد الله كأنه يراه وان لا يأتي بحركة في حالة الذكر إلا ان يهز رأسه هزأً لطيفاً . وأما ما نراه من فعل بعض المتصوفين في حلقات الذكر من الرقص

والتصفيق وهز الرأس والمنتق فانه مخالف للصوفية وينكره جميع علماء المسلمين وقد قال الاخضري في منظومته في آداب الذكر يندد على المتطفلين على الصوفية :

والرقص والصراخ والتصفيق عداً بذكر الله لا يليق

الراتب : ثم ان لكل طريقة ادعية مأخوذة من الاحاديث او من كلام بعض الأولياء تتضمن الاستعاذة من كل شر والسؤال لكل خير وقد يكون مع تلك الادعية بعض آيات قرآنية وأذكار في التسبيح والتحميد والتهليل والصلوة على النبي والاستغفار تجمع في كتاب خاص يسمونه « الراتب » وذلك لأن شيخ الطريقة يرتب قراءته على تلامذته صباحاً ومساءً على انفراد او اجتماع. والمادة عندهم بعد قراءة هذا الراتب في الاجتماع انهم يقرأون الفاتحة ويهدون ثوابها للنبي ﷺ ومشايخ طريقتهم على الترتيب فيقول النقيب بعد الفراغ من الراتب الفاتحة لروح النبي ويرفع كفيه ونظره الى السماء فيقرأ الفاتحة ويقرأ الجلوس معه ثم يقول الفاتحة لشيخ الطريقة الاكبر ثم من بعده على الترتيب الاكبر فالاكبر ثم يتصافحون وينصرفون .

ولمشائخ الطرق اعتبار عند مريدتهم يقرب من العبادة وكلما اشتهر شيخ طريقة في جهة واستقل من هذه الدنيا بنوا له قبة ومزاراً وزاروه في المواسم والاعياد تبركاً وقرأوا الفاتحة لروحه وأهدوه ثوابها .

وأما « أئمة الصوفية » فكثيرون لا عد لهم والمشهور منهم سبعة وهم :
« الامام عبد القادر الجيلاني » ولد سنة ٤٧٠ هـ وتوفي ٥٦١ هـ وله مقام في بغداد .

« والسيد احمد الرفاعي » توفي سنة ٥٧٨ هـ وله مقام في ام عبيدة بالعراق .
« والسيد ابراهيم الدسوقي » ولد ٦٣٣ هـ وتوفي ٦٧٦ هـ وله مقام في دسوق بمصر .

« والسيد احمد البدوي » ولد ٥٩٦ هـ وتوفي ٦٧٥ هـ وله مقام مشهور في طنطا بمصر .

« والشيخ ابو حسن الشاذلي » توفي سنة ٦٥٦ هـ وله مقام بصحراء عذاب .
 « والشيخ محمد الخلوتي » ، « والشيخ عبد الله النقشبندي » وله مقام في
 الهند ورئيسهم الاعظم « الامام الجنيد البغدادي » توفي سنة ٢٩٧ هـ وله مقام
 في بغداد .

فأشهر الطرق المنتشرة الآن في العالم الاسلامي تلتسب الى هؤلاء الرؤوس
 إما الى واحد منهم او الى أكثر من واحد . ولكل شيخ طريقة خرقه او
 عمامة خاصة يعرف بها هو وخلفاؤه يلبسونها على الرأس وهذه الخرق هي
 بحسب ألوانها أربع :

- « الخضراء » وهي خرقه الشيخ عبد القادر الجيلاني
- « والسوداء » وهي خرقه السيد احمد الرفاعي .
- « والصفراء » وهي خرقه السيد ابراهيم الدسوقي .
- « والحمراء » وهي خرقه السيد احمد البدوي .

ولكل منهم راية من لون الخرقه وأما اصحاب الطرق الاخرى فهم مقلدون
 هؤلاء في لون الخرق والرايات . ويكتبون على الراية هكذا : « لا إله إلا الله
 محمد رسول الله » وهذه الجملة لا بد منها على كل راية ثم تزيد كل طريقة عليها
 ما يحسن لها من آية قرآنية أو شيء من الحديث أو اسم شيخ الطريقة
 ونحو ذلك .

وقد اختلف الباحثون في أصل الصوفية فمنهم من قال انها مأخوذة عن
 نساك الهند ومنهم من قال انها عن نساك اليونان والمشهور انها مأثورة عن
 رئيسهم الأعظم الامام الجنيد البغدادي الذي أخذها عن خاله السري السقطي
 عن معروف الكرخي عن داود بن نصير الطائي عن حبيب المعجمي عن الحسن
 البصري عن علي بن ابي طالب عن النبي ﷺ .

واختلفوا في سبب تسميتهم بالصوفية فغال بعضهم سمو بذلك للبسم
 الصوف وقيل لصفاء قلوبهم . وقيل لأن أول من ظهر بمثل حالهم هم أهل
 الصفّة وهي بناء في آخريات المسجد النبوي بالمدينة كان يسكنه الزهاد من

المسلمين للعبادة . وقيل هي بأخوذة من صوفية باليونانية ومعناها الحكمة والله أعلم .

أعياد المسلمين ومواسمهم :

وأما أعياد المسلمين فهي :

« عيد رمضان » يمتدونه بعد صيام رمضان ويسمونه عيد الفطر وهو اليوم الأول من شهر شوال وفي صبحته يخرج الناس زكاة الفطر ويصاوت صلاة العيد . وقد جرت العادة على جعل هذا العيد ثلاثة أيام .

« وعيد الضحية » وهو يبدأ من عاشر الحجة من كل سنة ويدوم اربعة أيام ويسمونه عيد النحر وعيد الحج . أما تسميته بعيد الحج فلأنه يكون في موسم الحج ، وأما تسميته بعيد النحر فلأنهم ينحرون فيه الضحايا . وقد يسمونه العيد الكبير . ويسمون عيد رمضان العيد الصغير وليس للمسلمين إلا هذان العيدان .

وأما مواسمهم التي اعتادوها بعد الصدر الأول في الاسلام وليست مما أوجبه الشرع فهي :

« يوم عاشوراء » وهو اليوم العاشر من شهر محرم من كل سنة . قيل هو اليوم الذي استوت فيه السفينة على جبل الجودي بالهند .

« مولد النبي » ليلة ١٢ ربيع أول وهي الليلة التي ولد فيها النبي ﷺ على المشهور وهم يحتفلون بها احتفالاً عاماً ويتخذونها عيداً ويجمعون لقراءة المولد الشريف .

« وليلة المعراج » وهي ليلة السابع والعشرين من شهر رجب في الأرجح كان فيها الإسراء بالنبي من مكة الى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس والمعراج الى السما وفيها يحتفلون بالاجتماع في المساجد الشهيرة لقراءة قصة المعراج .

« وليلة نصف شعبان » وهي الليلة التي يحتفلون فيها بالاجتماع في المساجد للعبادة كاللعماء وقراءة القرآن ويصومون نهارها .

« وليلة القدر » وهي في المشهور ليلة ٢٧ رمضان وتعرف عندهم أيضاً بالليلة المباركة وهم يحذونها بقراءة الأدعية الى الصباح أملاً بأن يتجلى لهم الحق سبحانه وتعالى ويحيب دعاءهم . ومما جاء في فضل هذه الليلة في القرآن الكريم « ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر » .

« ويوم الجمعة » عندهم كيوم الأحد عند النصارى والنسبت عند اليهود لكن الشغل فيه غير محظور عليهم إلا مدة الصلاة وهذا نص الآية القرآنية في هذا اليوم : « يا أيها الذين آمنوا اذا لودى للصلاة من يوم الجمعة فاسموا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعملون فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » .

الزواج في الاسلام :

والرجل ان يتزوج بواحدة أو اثنتين أو ثلاث أو أربع من النساء وان خاف ان لا يعدل فواحدة . وله ان يطلق زوجته فان طلقها وهو كاره لها لزمه المهر كاملاً ان دخل بها وان لم يدخل بها فنصفه يدفعه لها أو لوليها . وإن كانت الكزامة من المرأة وأرادت فراقه فلها ان تقتدى منه بمال ترضيه به ويوضع الطلاق على ذلك ويسمى في الشرع خلعاً . وان طلق امرأته ثلاثاً لا تحل له حق تنكح زوجاً غيره .

وعقد النكاح المستوفي الشروط يكون بولي وصدائق (أي مهر) وشاهدي عدل . فانولي من قبل الزوجة وهو من له ولاية عليها بملك أو ابوة أو ابصاء أو تعصيب أو كفالة أو سلطنة أو اسلام . واما الصداق فادناه ربع دينار من الذهب أو ثلاثة دراهم من الفضة أو ما هو قيمة أحدهما من المروض وأكثره لا حد له فلا يصح النكاح شرعاً بدونه لأن هذا القدر عندهم حق لله تعالى وللادمي فلا بد منه وما زاد على ذلك حق للمرأة فلها ان ترضى باسقاطه .

وشرط الرجل ان يكون منلاً ذكراً مميزاً عاقلاً . وشرط المرأة ان تكون خلية من الموانع التي تقتضي تحريمها من نسب وصهارة ورضاع وهذا نص الآية « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وإخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللائي أرضعنكم وإخواتكم من الرضاعة وأمهات نساكم وربائبكم اللائي في حجوركم من نسائكم اللائي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وان تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف ان الله كان غفوراً رحيماً » .

ولا يجوز نكاح المعتدة إلا ان تستوفي أيام العدة وعدة الطلاق لذات الحيض ثلاثة قروم وللأيسة ثلاثة أشهر وللحامل وضع حملها . وعدة الوفاة أربعة أشهر وعشرة أيام .

الميراث : ومما جاء في الميراث : « إن امرؤ هلك وليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كاتبنا اثنتين فلها الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين » الآية .

حكومة الاسلام :

الوظائف الدينية : والحكومة الاسلامية في زمن الخلفاء الراشدين هي الخلافة عن النبي ﷺ فيلقبون أبا بكر بخليفة رسول الله ويقتدون به في جميع شعائهم والاسلامية يأخذون عنه أحكامهم الدينية فهو الامام والمفتي والقاضي والمنفذ للأحكام وكذلك عمر وهو اول من لقب بأمر المؤمنين ثم عثمان ثم علي وانتهت الخلافة بتنازل الحسن السبط لمعاوية فصارت ملكاً عضوداً وتقلب الملك في بني أمية فالعباسيين فالفاطميين فالسلطانيين حتى انتهى الى سلطاني آل عثمان منذ القرن الثالث عشر للمسيح . ويلقب السلطان بخليفة رسول الله وأمر المؤمنين فهو الحاكم السياسي الديني فيتولى بنفسه الأحكام السياسية والادارية ويندب العلماء الصالحين للنيابة عنه في النظر في القضايا

الدينية فيولي عالماً يفصل القضايا بين المسلمين في المحاكم الشرعية ويسمى « قاضي الاسلام » . وعالماً يُستفتى في مسائلهم الحالية فيفتي حسباً تدون في كتبهم الشرعية ويسمى « مفتي الاسلام » . وعالماً يراعي شأن العلماء بحسب درجاتهم واستحقاقهم ولياقتهم وينظر في جميع المسائل المتعلقة بهم كالعزل والتولية والإيقاف ويسمى « شيخ الاسلام » . وعالماً يراعي مشائخ الطرق الصوفية بحسب درجاتهم واستحقاقهم ولياقتهم وغير ذلك من الأمور المتعلقة بهم كالعزل والتولية والإيقاف ويسمى « شيخ مشائخ الطرق » او شيخ السجادات. وعالماً شريفاً يراعي شأن الأشراف المتصل نسبهم بآل البيت من جهة لإثبات نسبهم او نفيه ويسمى « نقيب الأشراف » . ويشترط في هذا ان يكون شريفاً من ذرية فاطمة بنت النبي ﷺ او من ذرية عمه الحزمة والعباس وفي الحديث : « انشرف لي ولعمي الحزمة والعباس » .

والآن ففي كل حكومة اسلامية منظمة قاضٍ ومفتٍ وشيخ للاسلام وشيخ للطرق ونقيب للأشراف عام او خاص . ويشترط في الجميع اللياقة والأهلية والمعرفة والتفطن لدقائق الأمور شرعاً وسياسة . وأهم هذه الوظائف القضاء والإفتاء وهما لا يجتمعان في رجل واحد إذ لا يجوز الإفتاء سياسة للقاضي ولا القضاء للمفتي .

الزكاة : ويؤخذ من المسلمين بحسب الشرع زكاة الأموال عينياً او حرثاً أو ماشية اذا بلغت النصاب . أما « نصاب العين » فذهباً عشرون ديناراً أو فضة مثلاً درهم وأما « نصاب الحرث » فهو العشر اذا زرع على المطر ونصف العشر اذا زرع بآلة وأما « نصاب الماشية » فأوله في الإبل خمس وعليه شاة وقمامة خمس وعشرون وقمامة في البقر ثلاثون وفي الغنم أربعون . وكذلك زكاة الأبدان وهي زكاة الفطر التي تؤخذ بعد صيام رمضان وأما غير المسلمين فتؤخذ منهم الجزية .

بيت المال : وكان جميع ما يحصل من الزكاة والجزية يجمع في بيت مال المسلمين فينفق منه على الجند والفقراء واحتياجات المسلمين كافة .

الفقيمة : ثم ما يؤخذ في الحرب من الفنائم فخمسه لأهل بيت النبي والباقي يوزع على المحاربين بدليل قوله « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول » الآية .

الفقيه : وأما الفقيه فهو ما كسبه من أموال من خالفهم في الدين بلا قتال اما بالجلاء أو بالمصالحة على جزية أو غيرها وهذا نص الآية بشأنه : « وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

العقوبات : ومما جاء في عقاب السارق « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله » الآية . وفي عقاب الزاني « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » الآية هذا اذا كان عزبا وأما المتزوج فمقابله الرجم . وعقاب كل من القاذف وشارب الخمر ثمانون جلدة . وأما عقاب القاتل فالقتل . و « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يُقتلوا أو يُصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو من الارض » الآية .

ولكل من زكاة الأموال وزكاة الأبدان والجزية من غير المسلمين والفنائم والفقيه والعقوبات باب في كتب الفقه مفصل فيه شروطها وكيفيةها ومقدارها فلتراجع .

هذا الذي كان عليه أهل الاسلام في مبدأ أمرهم وهو لا يزال متبعا في الممالك الاسلامية التي لم يتسع فيها نطاق الحضارة بعد . أما بممالك الدولة العلية التي اتسع فيها نطاق الحضارة فقد تركت مادة الزكاة لأربابها يؤدونها حسبما تقتضيه ذمتهم وسنت قانونا للضرائب تجمعها من الرعية لحفظ الجند وحماية البلاد وقانونا للتجارة وقانونا للمعاملات وغيرها من القوانين التي استلزمها تغير الزمان والأحوال وهي مؤسسة على كتب الفقه الأربعة وموافقة لها في الكليات والمبادئ وأساسها كلها العدل .

هذه هي خلاصة مذاهب المسلمين وعقائدهم وأئمتهم وطرايقهم وأعيادهم وحكومتهم لخصتها عن أشهر كتبهم وأجل علماءهم وعرضتها على سيادة الأستاذ الاعظم والعلامة الشهم . « الشيخ محمد عبده » مفتي أفندي الديار المصرية فصداً .

فأهل السودان المسلمون عموماً من سواكن ومصوح على سواحل البحر الأحمر الى سليغال على شطوط الأوقيانوس الأتلاتيكي هم في المذهب سنيون وفي العقائد التوحيدية على مذهب الإمام الأشعري . وفي الفقه على مذهب الإمام مالك . وهم يشتركون مع العالم الإسلامي في الاعتقاد بالمهدية بل لم يغم بينهم شيخ اشتهر بالعبادة والتقوى إلا ظنوه المهدي المنتظر . وأما في الصوفية فلمهم طرق مختلفة أشهرها :

الطريقة القادرية او الجيلانية : وهي أول طريقة اشتهرت في السودان علمها تاج الدين البهاري في أوائل سلطنة الفونج فسلك على يده الكثير من الوجهاء وعت جميع بلاد سنار . ومن اشتهر من مشايخ هذه الطريقة قديماً الشيخ ادريس ود أرباب في الميلفون والشيخ عبد الله العركي في أبي حراز واشتهر حديثاً في أواخر الفتح المصري الشيخ المبيد ود بدر في أم ضبان (ذبان) والشيخ المضوي عبد الرحمن من ذرية الشيخ ادريس وكلهم على النبل الأزرق .

والطريقة القادرية الممانية : وهي الطريقة الجيلانية القادرية عن فرع الشيخ محمد الساماني المدفون بالمدينة وقد دخلت بلاد سنار في آخر سلطنة الفونج عن يد السيد احمد الطيب ود البشير من اهل المدينة المنورة الذي توفي في ٢٧ رجب سنة ١٢٣٩ هـ ودفن في سفح جبل أم مروح كما مر . فصارت القادرية الجيلانية في السودان فرعين فرعاً ينتسب الى عبد القادر الجيلاني بواسطة تاج الدين البهاري المتقدم ذكره وفرعاً ينتسب اليه بواسطة الساماني . وكان محمد أحمد المتهدي على هذه الطريقة وقد أخذها عن الأستاذ محمد شريف نور الدائم ابن الشيخ الطيب المذكور كما سيجيء .

والطريقة الشاذلية : دخلت بعد الطريقة القادرية فاشتهرت عند المجاذيب
الجميلين في بربر وكبيرها الشيخ محمد المجذوب بن قمر الدين بن الشيخ احمد بن
المجذوب الذي توفي ودفن بالدامر سنة ١٢٤٧ هـ .

والطريقة المرغنية : وهي مأخوذة عن النقشبندية والشاذلية معاً وقد
دخلت السودان في آخر سلطنة القونج على يد السيد محمد عثمان المرغني فاشتهرت
في التاكا بين الحلائقة وبني عامر والحباب وفي دنقلة بين البرابرة والشايقية
وبعض الكبابيش والبشارين والعبادة . وكان منها في كل بلاد في السودان
نفر قليل . أما مؤسس هذه الطريقة فقد ولد ودفن في مكة وله فيها قبة
تزار وهو يرجع في نسبه الى النبي ﷺ .

والطريقة الاسماعيليه : وهي فرع من الطريقة المرغنية وقد انتشرت في
كردوفان على يد مؤسسها الشيخ اسماعيل الولي ابن عبد الله الكردوفاني حفيد
الغرباوي صاحب الحوش الذي ذكرناه بدنقلة وقد جاء أبوه عبد الله بتجارة الى
كردوفان فتوطن فيها فرزق ابنه اسماعيل هناك فنشأ مشتغلاً بالديانة فدرس
القرآن صغيراً قبل البلوغ وتلقى العلوم الاسلامية وأخذ يعلمها لأولاد المسلمين
الى ان حضر السيد محمد عثمان المرغني بكردوفان فأخذ عنه الطريق فصار من
أكابر الأولياء وتفرّد منها بفرع خاص عرف بالطريقة الاسماعيليه وهو لا
يختلف عن الطريقة الأصلية بشيء إلا باختصار بعض الاذكار وتطويل بعضها .
قليل وقد دون الشيخ اسماعيل نحو خمسة واربعين كتاباً في فنون الشريعة
والحقيقة أودعها علوماً جليلة لم يسبقه اليها احد وقد نوّه بذلك قاضي مديرية
كردوفان في قصيدة مدحه بها فقال :

فاذا سطوت فلا معارض ينتمي واذا رحمت فأنت اسماعيل
«أبديت ما لم يبدّه من قد مضى» يا من يزين لكفك التقييل

وتوفي بالأيّض في ١٦ رجب سنة ١٢٨٠ هـ فدفن بمجده هناك وبني
فوق قبره قبة تزار الى الآن .

والطريقة التيجانية : وهي فرع من الحلوتية ومؤسسها الشيخ احمد التيجاني المشهور المدفون بفاس من أعمال مراكش وطريقته ممتدة في وادي وبرتو وغيرها من غرب السودان الأقصى وقد دخلت سودان النيل في أواخر الفتح المصري ومن خلفائها الشيخ عبد الماجد ابن أخ محمد الحخير المقيم الآن في بربر ؟

والطريقة الاحمدية والطريقة الرفاعية : وهما حديثتان في السودان وأتباعها قليلون .

ولأهل السودان في الديانة كثير من الأوهام الفاسدة والاعتقادات الباطلة كالتمكّن والتطهير والمزائم السحرية والطلاسم ونحو ذلك مما لا ينطبق على الكتاب والسنة ولا يعلم به المسلمون الاحرار وسيأتي الكلام عليه في غرافاتهم .

الفصل الثالث

في

معارفهم

أما المعارف في السودان فقليلة جداً ويندر وجود المدارس في غير المدن والقرى الكبيرة . والمدارس إما أهلية او أميرية والاهلية نوعان : مدارس القرآن ومدارس العلم .

أما « مدارس القرآن » فيدرس فيها القرآن فقط وهي إما ان ينشئها رجل من حفظة القرآن في بيته فيدرس فيها بنفسه وينفق عليه من عنده لوجه الله تعالى ، وإما ان ينشئها رجل من أهل اليسار في بيته فيؤجر فقيهاً براتب معلوم وينفق عليه وعلى التلامذة ، وإما ان يشترك في إنشائها والإنفاق عليها أهل البلدة جميعاً فيجملون المدرسة إذ ذاك في غرفة بلمصق الجامع . ويسمى المدرس في مدارس القرآن الفقي (تحريف فقيه) والتلميذ حواراً (ج. حيران) والمدرسة خلوة . ويدرس الفقيه القرآن بأن يكتبه لتلامذته أجزاء على ألواح من خشب العُشُر وغيره حتى اذا استظهروا جزءاً معاه وكتب لهم غيره مما يليه . وهو يقسم القرآن أنساباً فكلما أتقن التلميذ قسماً زوّق لوحه وكتب عليه الآية الأولى من القسم الثاني فيحمله التلميذ الى أهله

دلالة على انه حفظ قسماً من القرآن فيرسلون معه الى الفقيه هدية تسمى «حق الشرافة» . وفي كل اربعاء يأتي كل تلميذ بقليل من الذرة فيسلقونها بالماء ويأكلونها مع الفقيه ويأخذون شيئاً منها الى بيوتهم تبركاً وتسمى كرامة الاربعاء . وهم ينقطعون عن المدرسة يومي الخميس والجمعة بإجازة من الفقيه تعرف بالمساحة ولهم في كل عيد او موسم مساحة يدعوم العريف قبل ابتدائها ويطلب «حق المساحة» للفقيه فيأتي كل منهم بشيء من الدرام على قدر طاقته ودرجته في حفظ القرآن . وهم يحفظون القرآن ويرتلونه على القراءة المشهورة بالورث في دققة والسودان الغربي وعلى رواية ابي عمر في باقي السودان . ومتى ختم التلميذ القرآن صنع له أهله في الخلوة حذاقاً أي وليمة سروراً به وأعطوا الفقيه كساء من الدمور او الدبلان وجانباً من النقود .

ويبدأ التدريس عندهم من الثالث الاخير من الليل فيدرس التلامذة على نار الحطب الى ما بعد الضحى ثم ينصرفون الى بيوتهم للغداء ويرجعون عند الظهر فيدرسون الى ما بعد العصر فينصرفون للعشاء ويعودون الى الخلوة فيدرسون على نار الحطب الى العشاء ثم ينامون الى الثالث الاخير من الليل فيعودون الى الدرس وهكذا . وأما الحطب فهم يأتون به من بيوتهم او يخرجون يوماً كل اسبوع فيحتطبون كفايتهم ويسمون يوم بالفزعة .

وأما «مدارس العلم» فتنشأ كمدارس القرآن ولا تكون إلا في المدن الكبيرة فيعلم فيها أجلّ علمائهم العلوم العربية كبادئ الصرف والنحو وعلم التوحيد وعلم التفسير وعلم الفقه على مذهب الامام مالك وشيء من علم التصوف .

ولأهل السودان رغبة شديدة في تحصيل العلوم العربية حتى لقد يقصد بعضهم الازهر الشريف في مصر ويقضي السنين الطوال في تحصيلها وقد أنشئ لهم رواق في الازهر منذ عهد طويل يعرف برواق السناريين وأشهر من تخرج منهم في الازهر : الشيخ احمد ود عيسى صاحب مسجد ود عيسى المشهور بالجزيرة . والسيد احمد الازهري بن الشيخ اسماعيل الولي الكردفاني المار ذكره .

والشيخ اسماعيل القادر ابن اخته . والشيخ عبد الرحمن المضوي . والشيخ الحسين ابراهيم الزهراء من أهل الجزيرة .

وكلمهم عادوا الى السودان فأنشأوا فيها مدارس للعلم . وعاد السيد احمد الازهري سنة ١٢٨٩هـ الى الأبيض وبنى فيها جامعاً ومنازل لطلبة العلم وخلوة للقرآن فوفد اليه الطلبة من كل الأقطار فتخرج على يده عدة تلامذة انتشروا في السودان يبثون ما تلقوه عليه من العلوم وهذه هي العلوم التي علمها تلامذته على الترتيب : النحو والصرف فالتلخيص فجمع الجوامع لفردات اللغة فالمعاني والبيان والبديع فالمعروض والقوافي بمقتضى الكافي والحزرجية فالمنطق فعمل التوحيد فعمل التفسير والحديث فعمل الفقه فعمل التصوف فعمل الجبر والمقابلة . ومن تلامذته الذين تلقوا عليه هذه العلوم كلها ابنه السيد اسماعيل وقد حضر الى مصر سنة ١٩٠٠ م واطلع شيخ الازهر على معارفه فشهد له بفزارة التحصيل وأجازه بالفتوى والتعليم لأحكام الشرع وقد عينته حكومة السودان الجديدة قاضياً على كردوفان فكان من أجل قضايتها .

هذا وأهل السودان يهتمون بنسخ الكتب العربية لمعدم وجود المطابع عندهم فأكثر كتبهم خطية وخطهم جميل نظيف . وهم يكتبون بمداد من « السجم » (الكتّن) والصمغ في دويات من فخار وأقلام من البوص .
هذا بشأن المدارس الأهلية في السودان وأما المدارس الاميرية فسيأتي الكلام عليها .

الفصل الرابع

في

زراعتهم

الأراضي الزراعية : تقدم لنا في باب الجغرافية الوصفية ذكر أنواع المزروعات في السودان وغرضنا الآن الكلام على الأراضي الزراعية وكيفيتها زرعها . اما الأراضي الزراعية فنوعان : مطرية وبحرية .

أما « المطرية » فهي الأراضي التي تروىها الامطار وتشمل جزيرة سنار والقضارف وكردوفان ودارفور وأكثر اعتماد اهل السودان في زراعتهم عليها إذ فيها يزرع الدخن والذرة الكرجي والذرة الفغريته والسمسم والنعنوليب والقطن والتبغ وهي أشهر مزروعات السودان . وعليه فالسنة التي يقل فيها المطر تكون سنة جدد وغلاء .

وأما « البحرية » فهي الأراضي التي يروىها النيل وهي اربعة أنواع :

« ارض السواقي » وهي البرّ الثابت عن ضفتي النيل والجزائر التي لا يغمرها النيل مهما اشتد فيضه وهي تسقى بالسواقي والشواذيف .

« وارض الجروف » وهي جروف الجزائر وجرفا النيل شرقاً وغرباً .

« وارض الكروّة » وهي منخفضات في البرّ الثابت أشبه بترع يغمرها النيل عند اشتداد فيضه . وارض الكروّة وارض الجروف لا تحتاجان الى سقي وتزرعان بالسوكة الآتي بيانها .

« وارض المترة » وهي الارض التي تسقى بماء المترة وهي حفرة واسعة تحفر بعيداً عن النيل فيرشح اليها ماءه وتركب عليها السواقي فتدوى بها الارض التي حولها ولكن هذه الامتار لا تحفر إلا في بلادتي دنقلة وبربر حيث يقل نزول الأمطار .

الفصول الزراعية : أما الفصول الزراعية فالاراضي المطرية ليس لها إلا فصل واحد وهو فصل الأمطار . وأما البحرية فلها ثلاثة فصول تحسب بالأشهر القبطية وهي :

« الدميرة » وهو فصل الفيض ويبدأ من أواسط بؤنه ويدوم ٣ أشهر وتزرع فيه ارض السواقي فقط ومن زراعته الذرة الشامي والذرة المقد والقطن والعنكوليب .

« والشتوي » وهو فصل نزول النيل فيبدأ من أواسط توت ويدوم ستة أشهر وهو أهم الفصول الزراعية وفيه تزرع ارض السواقي بعد حصد زراعة الدميرة وتزرع الجروف والجزائر التي يغمرها النيل وارض الكروّة وارض الأمتار . ومن مزروعاته الذرة الشامي والمقد والعنكوليب وقصب السكر والدخن والبقول السوداني والقمح والتمس وجميع أنواع الحضر والفاكهة المتقدم ذكرها .

« والصيفي » وهو فصل التحريق ومدته ثلاثة أشهر من أواسط برمبات الى أواسط بؤنة وتزرع فيه ارض السواقي والجروف ببعض أنواع الحضر والفاكهة وبالذرة ايضاً ولكنها تحصد قبل أوانها فيجعلونها علفاً للبهائم وذلك لكي يعدّوا الارض لزراعة الدميرة .

ثم ان لكل نوع من الزرع ارضاً يحود فيها فالدخن يحود في الارض الرملية

والذرة في الارض التي يكثر فيها الماء والبطيخ في ارض الجروف الرملية والحضر في ارض الجروف غير الرملية .

الآلات الزراعية: أما الآلات الزراعية عندهم فبسيطة جداً وقليلة وهي: « السواقي والشواذيف » وهي كما في صعيد مصر إلا أنها أضخم حجماً وأبطأ حركة . وقد استعملوا بعد الفتح الأخير السواقي الحديدية الجديدة من اختراع الذكي النشيط الخواجه اسكندر نصره فنجحت نجاحاً عظيماً . « والمحراث » واستعمله قليل بل لم يكن معروفاً عندهم قبل الفتح المصري . « والطورية » وهي كالطورية المصرية وهم يستعملونها لقلب الارض التي تسقى بالسواقي والشواذيف .

« والسلوكة » وهي آلة خاصة بالسودان وتزرع بها الحبوب في الاراضي اللينة أي في الجروف والاراضي الرملية وهي عصا طويلة معقوفة كالصولجان ولها رأس عريض محدب فيه وتد طوله نحو شبر . وأما كيفية استعمالها فهي ان الزارع يفرزها في الارض ويدوس برجله على التود ثم يرفعها فيصنع بها صفوفاً من الحفر الصغيرة بعضها بجانب بعض ويتبعه آخر فيبدر الحب المعروف عندهم بالثياب وفي مصر بالتقاوي . وفي السودان الغربي آلة تشبه السلوكة تعرف بالكدفقة .

« والواسوق » وهي عصا طويلة في رأسها لوح عريض مثقوب من طرفيه وفي كل ثقب حبل تستخدم لشد الأتلام والجداول بعد حرث الارض ويعمل بها رجلان او ثلاثة معاً فرجل يفرز اللوح في الارض وواحد او اثنان يشدان بالحبلين تجاهه .

« والملودة » وهي عصا معقوفة لها في رأسها حديدة كحديدة الفأس تستعمل للحراث في جهات خط الاستواء . وهذه هي آلات الزراعة وأما آلات الحصاد فهي :

« النورج » وهو كالتورج المصري المعروف .

« والمنجل » وهو مسنن كالمئشار يستعمل لقطع سنابل الذرة وغيرها .

« والمنتباب » وهي آلة كالفأس إلا ان حديدتها داخل في النصاب وليس النصاب داخل في الحديد كما في الفأس وهي تستعمل لحصد سوق الذرة بعد قطف سنابلها .

« والحشاشة » وهي تشبه الفأس ايضاً إلا ان حديدتها مركب في رأسها عامودياً لا أفقياً كما في الفأس وهي من آلات السودان الغربي وتستعمل للحش ذهاباً وإياباً .

مخازن الحبوب : وهم يخزنون الذرة او الدخن في أزيار كبيرة مصنوعة من طين تعرف بالسويبات او في مطامير تحت الارض وهي حفر واسعة يفرشون أرضها وجوانبها بالتبن ويملاونها حبوباً ثم يحنون التراب فوقها على شكل قبة حتى اذا أصابتها الامطار سالت عن جوانبها ولم تنفذ اليها وهي شبيهة بالآبار التي تخزن فيها الفلال في بلاد حوران وشمالى سورية .

مسح الأراضي : وفي السودان لا تقاس الاطيان بالفدان كما في مصر بل بالسواقي والجدعات . اما الساقية فهي عبارة عن ثمانية أفدنة في الجزر وعشرة في البرّ الثابت . وأما الجدعة فسيأتي بيانها .

تربية المواشي : وهم يربون الخيل والإبل والبقر والغنم والمعزى كما قدمنا ويلتفعون بلتاجها وسمنها وصوفها وجلودها ويدخلونها في المتجر .

الفصل الخامس

في

صنائعهم

وعند اهل السودان من الصنائع ما يكفي لسد حاجاتهم الضرورية فمن صنائعهم :

المحدافون : وهم يستخرجون الحديد من الارض ويصنعون منه الحراش والسكاكين والفؤوس والآلات الزراعية . وأما سيوفهم وبنادقهم ورماسهم فيجلبونها من الخارج وسيأتي الكلام عليها

والصاغة : وهم يصوغون الحلى والآنية من الذهب والفضة على الطراز المعروف بالشفشي والسناري وأشهر ما يصنعونه من الحلى الأقراط والخزائم والأساور والحجول ومن الآنية الصواني والمباخر وظروف الفناجين . ومنهم من يحسن غرط العاج والخزيت فيصنع منها الاسورة والفناجين ومن الخزيت الأقداح التي يعتقدون ان الشرب بها نافع للسمومين .

والحاقة : ويمزقون بالنساجين او القزازين وهم يحوكون نسيجاً ثخيناً من القطن يشبه الخام يسمونه « الدثور » وهو لباس عامتهم ويصنعون منه ايضاً

نسيجاً دقيقاً له حاشية حرير ملونة تلبسه النساء ويعرف بالمرقعات. والحياكة خاصة بالرجال اما الغزل فعمل النساء وقد يشاركن فيه الرجال وذلك من أقبح علامات الكسل . وهم يحوكون من الصوف شملات طول الواحدة منها خمسة أذرع الى ستة وعرضها ثلاثة أذرع الى اربع يتدثرون بها ولا سيما عند التدخين وهي عادة يأتي ذكرها. ويصنع النساء العراقي والناديل المطرزة. وبعد الفتح المصري تعلمن التطريز على المنسج بالحرير والقصب . ويصنع الجواري والنساء المعوزات البروش والاطباق والمقاطف والمكبات وغيرها من آنية البيت ملونة او غير ملونة يصنعنها من سعف الدوم والنخيل وسوق القمح .

والدباغون : وهم يدبغون جلود البقر والغنم والإبل لصنع الاحذية والاجرية وغيرها . وأحسن الجلود عندهم المدبوغة بالمدس والمرمد .

والبناقون : وهم يبنون المنازل من طوب او حجر وطين ولهم معرفة بصنع الجير وعمل الطوب الاحمر ولكنهم قلما يستعملونها في سوى المدن الكبيرة .

والنجارون : وهم يصنعون الأبواب والشبابيك والكراسي الضخمة وخشب سروج الجير والإبل والخيول والمعروفة بالمكرينات وأقداح الطعام والسواقي . ولبعضهم مهارة في بناء المراكب وعندهم أخشاب كثيرة تصلح لعمل المراكب أصلحها كلها خشب السنط كما مر . ومراكبهم ثلاثة انواع : النقورة (م تفر) وهي أكبرها ويستخدمونها لنقل الغلال والبضائع، والمعديات وهي أصغرهما ، والقياسات (م . قياسية) وهي وسط بين النقورة والمعديات وتستعمل لنقل البضائع عند نزول النيل . وبعد الفتح المصري تعلموا صنع الذهبيات . هذا ومراكب السودان أضخم من مراكب مصر إلا انها أشد وأمتن وقد رأيت في بلاد النوبة مراكب لها قمرع مستطيلة الشكل لا مثلثته كما في مصر والسودان الجنوبي فسألتهم عن ذلك فقالوا انها هكذا أصلح للسير بين الشلالات من السفن المثلثة الشرع .

والسكافون : وهم يصنعون الأحذية على قوالب تشبه القوالب المصرية إلا أنها معقوفة الرؤوس كذنب العقرب . ويحلدون أغصان السيوف والسكاكين مسروج الحير والابل والحيل ويصنعون الدرق من جلود الجاموس والزرافة وبرس البحر والفيل والسياط من جلد فرس البحر . ويصنعون من لحى الشجر الحبال والشباك والقفاف « اللحاوي » التي تستعمل لنقل الصمغ .

والخرفافون : وهم يصنعون الأزيار والقلل والبرام وهي قدور للطبخ ونقل الماء والدوكلات (على شكل الصيجان) للخبز . وفي أكثر المدن يستخرجون الشيرج من السمسم بمعاصر كمعاصر أهل الشام ومصر . ويمد الفتح المصري تعلموا عمل الصابون قصنوه على ضعف . ولهم معرفة بصنع الفحم والبارود . هؤلاء هم صنّاع السودان وهذا كل ما يصنعه . وأما التجارون والحدادون والمهندسون وغيرهم من الصنّاع الذين تحتاج اليهم حكومة السودان الآن لأشغالها الخاصة فتأتي بهم من مصر أو من بلاد الإنكليز .

الفصل السادس

في

تجارتهم

- الوارد من السودان : أهم ما في السودان تجارتها وأهم ما يرد منها :
- « الصمغ » وهو أنواع أجوده صمغ المشاب وأكثره من كردوفان وصمغ الطلح وأكثره من الجزيرة .
- « وسن الفيل » وأكثر وروده من بحر الفزال وخط الاستواء وهو يختلف في الجودة بحسب كبره وسلامته من التشقق . وسن الأنثى أطرى وأجود من سن الذكر .
- « وریش النعام » وأكثره من اواسط السودان وهو أنواع أجودها الریش الأبيض ثم الاسود وكلاهما ریش الذكر ثم الریده ولونه رمادي وهو ریش الأنثى .
- « والبلح » يأتي من مديرية دنقلة من بلاد سكوت والمحس والشايقية .
- « والتمر الهندي » ويسمونه المريدب وأكثره من دارفور وكردوفان .
- « والسنا » وأكثره من جزيرة سنار .
- « والخرتيت » وأكثره من بحر الفزال .

« واللاستك » ويرد من بحر الغزال وخط الاستواء . « وجلود البقر »
وأكثر ورودها من كردوفان . « وجلود فرس البحر » التي تصنع منها السياط .
« والسياط » .

« والذهب السناري » ، « والابنوس والنعام الحلي والقرود والبيغاء »
ووازدما قليل .

« والششم » ويعرف هناك بالحبة السوداء او حبة العين وهو بقدر حب
العدس وشكله . ولونه اسود لامع يرد من دارفور فيسحقونه ويستعملونه
كحلا للرمد .

« والصل والشمع » ويؤتى بهما من خلايا النحل البرية .
« وكان » الرقيق ، من أهم واردات السودان فمنعت الحكومة تجارته قطعياً
منذ الفتح الاول ولكن النخاسين لا يزالون يهربونه (على قلة) بطريق سواحل
البحر الاحمر رغماً عن التحولات الشديدة التي تتخذها الحكومة لمنع .

الصادر الى السودان : ويصدر الى السودان كثير من بضائع اوربا ومصر
والحجاز والهند والشام عن طريق النيل وسواكن ومصوع .

فن « اوربا » الدبلان الابيض والمصبوغ اسود وأزرق ، والحمام الابيض
والمصبوغ اسود وأزرق ، والشاش الابيض والاحمر ، والشيت والغزل ،
والصوف المحلول الاحمر والاسود لصنع حواشي المنسوجات ، والحرير والقبطان ،
والشمسيات ، وورق الكاير ، والابر ، والمبارد ، والصفيح ، والزجاج ،
والفناجين ، والقشاذر والقصدير والقفونية ، وأنواع الخرز والسوميت والمرجان
والكهرمان ، وورق الكتابة وأكثره من المعروف « بأبو شيك » وهو الشخين
الأسمر يستعملونه لنسخ الكتب ، وسلك النحاس الاصفر الشخين ، والكحل ،
وأساور النحاس والاقراط ، والسبل وارد ترياسته ترش به أكفان الموتى
ويتخذ أيضاً للدهان ، والأجراس الصغيرة تعلق في أرسنة الابل والبقر والحيل ،
والمرايا الصغيرة المربعة والمستديرة ، وزيت النفط يغشون به العطور ، وأزرار
الصدف وقد تتخذها النساء حلي ، والريال النمساوي .

ومن « الهند » عنكريبات صاج ، وثياب سرقى ، وقرون خمري حرير ، والجلاد (صرة المسك) وعطر الصندل . وعطر فنتة محلية المعروف بعطر الشاه بيضاء ، وعطر فنتة سرّتيه أحمر ، وعطر قرنفل ويسمى بمجموع ، والقرنفل ، والظفر وهو نوع من الصدف يذق ويُعمل في الروائح العطرية ، والمحلب ، وخشب الصندل .

ومن « الحجاز » وغيرها من بلاد تركيا في آسيا: عناكريب حُق ، واللبان (البخور) ، واحقاقق للروائح العطرية ، والمحلب الاسلامبولي ، والشبية الازميرية ، والمرسين وهو حب الآس يستعمل في الطبخ والدلكة ، وجلود « المرعز » واردة الأناضول يستعمله الخاصة فراء لحيرم وجاهم ، وسبح الصدف من القدس ، وسبح الكوك من الاستانة ، وسبح اليسر من جدة تتحلّى بها النساء ، والشاي ، والسجاجيد من بلاد المعجم ، والطرايش الإفريقية تقليد المغربي والطرايش الاسلامبولية .

ومن « مصر » المسار البلدي اللازم لبناء المراكب والسواقي . وقروث فوط عاده خيط وسبح بقص وبرصه ملاية حرير والسكر والصابون على أجناسه والعدس والنحاس والسيوف والبنادق . ومن « بلاد الشام » عن طريق مصر قمر الدين واللوز والبندق والجوز والتين والخروب والزبيب والزيتون .

الاسواق التجارية: ثم ان لكل بلدة شهيرة في السودان سوقاً تجارية عامة تفتح في يوم معين من الاسبوع فيجتمع اليها التجار والمتسبون لبيع ما عندهم من السلع والمواشي والحبوب وشراء ما يحتاجون اليه وذلك على مثال الاسواق في مصر والشام والمعارض في اوروبا واميركا . وأشهر أسواق السودان التجارية: أسواق الاوردي واي. قسّ والدبه وتنقاسي وبربر وشندي والخرطوم والمسلمية وود مدني وسنر والابيض وبأره والغاشر والقلايات والقضارف وكسلا وسواكن .

الاسواق العادية: وأما أسواق البلاد العادية فيبيع فيها: لحم البقر والابل وقليل من لحم الغنم ، واللبن الحليب والرائب والزبدة والسمن والشيرج ،

وأنواع القطاني كالذرة والحمص والبقول والتمر ، والخضر كالسبانخ والخضراء والمقددة والملوخية والبصل ، والفاكهة كالدوم والبلح والنبق وأقراصه والعريش (التمر الهندي) واللابل (ثمر الإهليلج) . والعكا (ثمر الدوم مدقوقاً) ، وهبهارات كالشطة والفلفل الأحمر والقرقة ، والروائح العطرية ، والنطرون والملح والحنة والشحم والتربة والنعال والجربان وغيرها .

الدوآرون : ومن المتسبين من يحمل بضاعته من عطور و بهارات وغيرها في خرج كبير على حمار ويطوف بها في القرى والساكن متقلداً من سوق إلى سوق . وبعض النساء يحملن الثمار والبقول وغيرها من المأكولات في مقاطف على رؤوسهن ويطفن على البيوت وهن ينادين إلى شراها بتكرار اسمها هكذا : « الدوم يا شاري الدوم » ، « الملوخية يا شاري الملوخية » .

وتباع الأشياء في السودان كما في مصر والشام بالمساومة إلا أن البائع في السودان قلما يعين ثمنًا لسلعته بل يقول للشاري عند سؤاله عن الثمن « تكلم » فإذا دفع له ثمنًا لم يعجبه قال له « يفتح الله » ولا يزال يكرر قوله هذا حتى يرضيه الثمن المدفوع فيقول « مبارك » .

الطرق التجارية : وللسودان طرق تجارية داخلية وخارجية أما الخارجية فأشهرها :

طريق بربر إلى سواكن ٢٤٥ ميلاً . وطريق كسلا إلى مصوع ٢٣٧ ميلاً . وطريق بربر إلى اسوان ٤٧٣ ميلاً . وطريق أبي حنبل إلى كورسكو ٢٣٠ ميلاً .

وطريق الفاشر إلى اسويط المعروفة بطريق الأربعين لأنها مسيرة أربعين يوماً . وقد تقدم ذكرها مع ذكر الطريق الداخلية في الكلام على المدن والمواضع فلترأى .

أما « طريق النيل » فقلما استعملت في التجارة الخارجية لطولها وكثرة نفقاتها . والتجارة بالطبع تتخير أخصر الطرق وأقلها نفقة .

أدلاء الطرق ، والنيسل منذ القديم أدلاء يقودون السفن فيه للنجاة من أخطاره التي أهمها الجزر والدبور الرملية والشلالات والمواصف . وأكثرهم من البرابرة .

وكذلك لكل طريق من طرق البر أدلاء لا تسير القوافل إلا بهم وقد كان لبعضهم عادة غريبة مع المسافرين يقتضون بها الجمالة فوق الأجرة المعتادة وذلك أنهم كانوا اذا وصلوا الى معطشة أوقفوا القافلة وشرعوا في البكاء منادين « الدائم الله في أمر الله في سبيل الله » كأنهم يندبون ميتاً ويعززون الى رئيس القافلة ان يعطيهم الجمالة المعروفة عندهم « بالمادة » فان أبى رسماً له قبراً في الرمل ويكوا فوقه الى ان يدفعها لهم روى بور خارت انه لما كان مسافراً في عقبة البنات في بلاد سكوت طلب دليله منه المادة فدفعها ثم أتى الى عقبة أخرى فطلبها منه فأبى فرسم له قبراً وأخذ يبكي عليه هو ورفاقه فنزل بورخارت إذ ذلك عن دابته ورسم قبراً للدليل وطلق يبكي عليه فضحك الجميع وعادوا الى المسير . وكان شيخ الطرق بين بربر والنيسل في الفتح الاول حسين باشا خليفة كبير العبادة المليكاب .

وسائط النقل : أما وسائط النقل « في البر » فهي الإبل والحمار والبقر ولكن لا يستعمل منها في التجارة إلا الإبل او الحمار مع الإبل . وحمل الحمل المعتاد ٣٦٠ رطلاً مصرياً يحزم في عدلين وسيره في اليوم من ١٢ : ١٨ ساعة بحسب كثرة المياه او قلتها في الطريق . وأكثر سير القوافل ليلاً فهي تقوم في الغالب في الثلث الاخير من الليل فتسير الى الضحى وتقف للمقبل الى العصر ثم تستطرد المسير الى العشاء فتقف للمبيت وهكذا تكفى شدة الحر والعطش . وأما وسائط النقل « في البحر » فهي المراكب الشراعية والاطواف المصنوعة من العنيج المتقدم وصفها . ومن وسائط عبور النيل عندهم القرب المنفوخة والقرع اليابس وجذوع النخل والدوم والارماث الشبيهة بأرماث المصريين القدماء ونحو ذلك .

ومن وسائل النقل المستعذنة « السفن البخارية » وقد دخلت السودان

منذ الفتح الاول . « والسكك الحديدية » التي أنشئت في الفتح الاخير فأبطلت
اكثر طرق الصحراء القديمة . وسيأتي الكلام عليها بالتفصيل .

النقود : وأهم أصناف النقود الرائجة في السودان الآن :

« ريال ابو طيره » وهو ريال ماريّا تاريّا النمساوي المشهور وقد سمي
بذلك لأن على احد وجبيه صورة نسرين . ويقال له القوشلي ايضاً وهي لفظة
تركية بمعنى ابو طيره . ويسمى ابو نقطة لأن على وجهه الثاني نجمة . وهو
رائج في جميع بلاد السودان الشرقي والحبشة . وقد دخل السودان قبل الفتح
المصري .

« والريال المجيدي » وهو رائج في السودان الغربي منذ الفتح المصري .

« والمقاطع » وهي قطع من الخام طول الواحدة منها ٢٤ يرداً ووزنها
رطلان مصريان وقد دخلت بلاد دارفور بعد الفتح المصري فاستعملت مع
قطع الدمور التي كانت رائجة قبلاً في جميع بلاد السودان كما سيجيء .

« وأسلاك النحاس والخرز الملون والاجراس » وهي رائجة في بلاد العبيد .
« والنقود المصرية الجديدة » التي دخلت بعد الفتح الاخير فراجت في
جميع بلاد النيل والمدن الكبيرة وستعم بلاد السودان كلها . هذا وفي الفتح
الاول راجت العملة المصرية القديمة . وفي زمن المهدي راجت النقود التي ضربها
لمهدي وخليفته وكان اكثرها مزيفاً فأبطلت هذه وتلك كلها .

التاريخ : وأما التاريخ المستعمل في التجارة منذ القديم فهو التاريخ القمري
الهجري ثم استعمل بعد الفتح الاول التاريخ الشمسي المسيحي . وهناك معادلة
بسيطة تحول بها سنة التاريخ الهجري الى المسيحي وبالعكس :

$$م = ٦٢٢ + \frac{هـ}{٣٣} \quad هـ = \frac{٦٢٢ - م}{٣٣}$$

وهم يمينون الظهر بوقوع الشمس فوق سمت الرأس . والعصر بوقوعها تجاه
الجبهة إذ يكون ظل الانسان بطول قامته . والعشاء بغياب الشفق الاحمر .

المقاييس والمكاييل والأوزان : وأما المقاييس والمكاييل والأوزان

المستعملة في السودان الآن فهي المقاييس والمكايل والاوزان المصرية بعينها .
أما « المقاييس القديمة » فهي : الذراع ، والقبضة ، والمهامة وهي القبضة
برفع الإبهام ويقال لها قبضة وشنب ، والخبطة وهي الساعد من رأس السبابة
الى الكوع ، والعود وهو ٣ خبطات ، والحبل وهو ٣ أذرع وقبضة وعمامة ،
والجدعة المشار اليها آنفاً وهي ثلاثة حبال ونصف حبل وهم يستعملونها في
قياس الاراضي الزراعية .

وأما « المكايل القديمة » فهي : السلقة وهي ملء الكف الواحدة ، والهن
وهو الخفنة ، والطاسة وهي سلقتان ، والمد وهو أربع طاسات ، والربع
او البرمه وهو أربعة أمداد ، والوية وهي ريمان او برمتان ، والاردب وهو
أربع وبيات ونصف ، والرحل وهو حل جل او نحو اردبين .

وأما « الاوزان القديمة » فأوزان الذهب : الاوقية ، ونصفها ، والمثقال
وهو ربعها ، والقسمه وهي نصف المثقال ، والقيراط وهو نصف القسمه ،
والحبة وهي جزء من عشرين جزء من القيراط ، والمتميصة وهي نصف الحبة ،
والخرشوبة وهي نصف المتميصة .

تجار السودان ، وأشهر تجار السودان الآن في « سواكن » :

عوض الكريم بك شناوي (حجازي) سر تجار . ومحمد أفندي الكابلي (سوداني)
وعبد الله أفندي مسلم () () والشيخ عبدالعزير احمد يحيى (حجازي)
وعلي أفندي جاويش () () والسيد محمد دين (وطني)
ومصطفى أفندي جيلاني () () والخواجه لوسن (هندي بلناني)
وفي « ابوان » :

مصطفى بك منصور حماده سر تجار والشيخ عبد السلام الشامي
ومحمد بك خليل ومدي أفندي بن احمد بك جلاب
والخواجه اراكيل سركيس (قبطي) اخو المرحوم بطرس بك سركيس
وفي « حلفا » :

عمر افندي فخري سر تجار
والشيخ علي الشامي
والسيد خالد باشات
وفي « بربر » :

السيد محمود علي الضوي سر تجار
وفي « الخرطوم » :

محمد بك حسن سر تجار (مصري)
والحاج احمد الدابي . ويوسف كورتي
والحاج محمد مكينة . ومعد صالح البغدادي
وسيد احمد سوار الذهب
وعبد الله جيلي . والبلال ود الاميدة
والخوaja خضر داود
وجرجي بك بغدادي . وابراهيم بك خليل وبولس بك صليب وعثمان بك مكوار
والخوaja جرجس استمبولية (حلي)
والخوaja نعم عجي
والخوajaات لوزو ، وكباتو ، وكفادياس ، وجريفاء ، ولوقا ، وسنجر ،
ونظارت ، وكسترو ، وجلبنج خنيان ، وثان . وهم من التجار الافرنج العظام .
ومن تجار « الخرطوم » السابقين المشهورين :

المرحوم الجزولي بك بن الحاج محمد التلب (من المسمية) والمرحوم اخوه حمد بك
والشيخ سليمان بك الدراوي الذي عين سر تجار الخرطوم في حصار الخرطوم
والمرحوم محمد باشا حسن الذي عين مأموراً لمالية السودان في حصار الخرطوم
والمرحوم النخيلي فخري (مصري) والمرحوم سليمان عويس (مصري)
وقناوي بك ابو عموري (مصري) وحسن بك عبد المنعم (مصري)
المرحوم عبد المسيح حبشي
والخوaja عبد المسيح جرجس سعد
ومحمد ابو حسان (جعفري)
ومحبوب الصيلي

ومحمد عبد الرحمن البشير

وزنوبة النياوية

والمرحوم ابو بكر الجركوك

والخواجا بطرس بولس

وفي « الخرطوم » الآن فرع من البنك المصري وفرع من البنك الاهلي .

وفي « الابيض » :

الشيخ تقي أحد سر تجار

والخواجا حسيب ادلي (لبناني)

ومن أشهر تجار « الابيض » السابقين :

المرحوم الياس باشا ام برير (جملي) والمرحوم محمد بن ود المريق (جملي)

والمرحوم محمد الحاج بان النقاد ومحمد (رازقي) المرحوم احمد بك دفع الله (جملي)

وفي « كسلا » :

وفي « ود مدني » :

عثمان الزين سر تجار

الشيخ فتح الرحمن محمد عثمان سر تجار

هذا وفي مصر الآن تجار كثيرون يتجرون مع السودان وقد أسسوا فيه

محلات تجارية وأشهرهم :

الخواجا جرجس براهيمشا (حلبي) والخواجا الياس دباس (سوري)

والخواجا شمعون اريبب (اسرائيلي) والخواجا الياس عجوري (حلبي)

والحاج ابراهيم بك وفا (شامي) والخواجات اخوان باحكم (حضارمة)

والحاج عبد المجيد حسن غريب والخواجات اخوان يغمور (حلبي)

والسيد محمد زين (جملي) وسوريال أفندي سعد (قبضي)

والسيد عبدالله الكحال (شامي) وله أيضاً تجارة واسعة مع ودائي والسودان الغربي

ومن تجار مصر الذين لهم محلات مشهورة في بيروت ويتجرون مع السودان :

الخواجات فرعون وعيسى وشركام والخواجات صهيون ومنسى وشركام

والخواجا حسيب غبريل وشركاه

هذا ومن اشتهر من تجار مصر في الفتح الاول بالتجارة مع السودان وكان

لاكثرهم « مشارع » في بحر الغزال :

الخواجا حبيب لطف الله من اعيان تجار بيروت وكبير طائفة الروم الارثوذكس

في مصر

والمرحوم فرج الله الموصلي (حلبي) والمرحوم رزق الله الجدّ (حلبي)
والخواجا نعمون سكر (د) والخواجا جرجي الجويحاني (د)
والخواجات سيافو عدس (د) والخواجات كبريت وغاصين (د)
والمرحوم السيد محمد باشات (حمصي) والسيد عبد القادر طه (شامي)
والمرحوم الحاج سعد الله حلاّبه (شامي) والسيد رضوان القرني (حلبي)
والحاج عمر وعثمان اغا الارناؤوط والحاج محمد الحبّابي (مغربي)
والحاج محمد الحلو (مغربي) والمرحوم السيد عبد القوي التنازي (مغربي)
والمرحومون السيد محمود السيوفي وأخواه محمد باشا واحمد باشا السيوفي (مصريون)
والمرحوم السيد موسى العقاد وهو أقدم التجار المصريين الذين اتجروا مع السودان
والسيد حسن موسى العقاد ابنه والمرحوم السيد احمد العقاد شريكه في الخرطوم
وهذه هي قيمة الصادح الى السودان والوارد منه من سنة ١٨٩٢ الى غاية

: ١٨٩٩

والوارد : ٤٥١ ٣٩٧ ج م

الصادر : ٤٧٧ ٨٩٦ ج م

الفصل السابع

في

حكومة السودان

قبل الفتح الاول :

كانت حكومة السودان في عهد مملكتي سنار ودارفور على مثال الحكومات
الاسلامية في صدر الاسلام .

حكومتها في الفتح الاول :

ثم كان الفتح المصري فأصبحت حكومتها في يد ولاية الامور في مصر
وكثيراً ما غيروا تقسيمها الاداري فجعلوها تارة حكدارية واحدة وتارة أقاليم
كل منها تابع مباشرة لمصر حتى اتفقوا أخيراً على جعلها حكدارية واحدة
تحت حاكم عام يرجع في أحكامه الى نظارة الداخلية بمصر ويقيم في الخرطوم
حيث بنوا له قصرأ جميلاً خاصاً به .

وقد جعلوا في كل مديرية مديراً يحكمها تحت ادارة الحاكم العام وكانت
الحكام والمديرون يرسلون اليها من مصر فيديرون أحكامها على منوال ادارة

الحكومة المصرية . وقد جعلوا مع كل مدير وكيلا له وعدة معاونين وكتاب وقاضيا ووكيل قاض ومفتيا ومجلسا أهليا وضابطة . وجعلوا في كل قسم ناظرا ومعاون ناظر وكاتبين وصرافا . وعهدوا في تحصيل الضرائب الى الناظر ومشايخ البلاد والجند . وكان في كل مديرية حامية عسكرية . وكان الجند على نوعين جهادية وباشبورق . اما الجهادية فهم العساكر المنظمة من البيادة والطويحية فالبيادة مصريون وسود والطويحية مصريون فقط . وأما الباشبورق فهم العساكر غير المنظمة وهم اما مشاة او فرسان يركبون الخيل او الهجن وأكثرهم من الشايقية من اهل البلاد والأتراك والمغاربة أو مواليدهم .

وكان دخل السودان في أواخر الفتح الاول نحو ٧٠ ألف كيس ونفقاته مثل ذلك أو أزيد . وكان أكثر دخلة من الضرائب والجمارك والملاحات التي على البحر الاحمر وابار النطرون والوبركو على التجار وأرباب الصنائع والعقب على المراكب . أما الضرائب فعلى العرب البادية بحسب عدد ماشيتهم من الابل والبقر والغنم وعلى الحضرم بحسب عدد سواقيهم ونخيلهم . وأما الجمارك البحرية فعلى حسب العهود الدولية .

حكومتها في المهديّة :

ثم لما سقطت البلاد بيد المتهمدي ويد خليفته التعايشي من بعده جعلها حكومتها على مثال الحكومة الاسلامية في صدر الاسلام فألغى الضرائب وجما الزكاة والفطرة وأقاما بيت مال المسلمين ولما انتهى الحكم الى التعايشي حكمها حكما عسكريا فقسمها الى عمالات كما مر وأقام على كل عمالة عاملا فوض اليه السلطة العسكرية والادارية وجعل معه وكيلا له وقاضيا ونائب قاض وكتابا . وجعل ام درمان عاصمة ملكه ولكنه أساء الادارة وغلط بين الملك والخلافة فطنى وبغى وظلم الرعية وعظمت منه البلية .

حكومة السودان الحاضرة :

فنهضت مصر برأي الانكليز ومعونتهم واسترجعت البلاد منه مديرية بعد

مديرية وكانت كلها استرجعت مديرية ولت عليها مديراً عسكرياً الى ان كانت واقعة لم درمان وأصبح السودان كله في قبضة يدها فعدت وفاقاً مع الحكومة الانكليزية في ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ هذا نصه :

وفاق

بين حكومة جلالة ملكة الانكليز وحكومة الجنب العالي خديو مصر
بشان ادارة السودان في المستقبل

حيث ان بعض أقاليم السودان التي خرجت عن طاعة الحضرة الفخيمة الخديوية قد صار افتتاحها بالوسائل الحربية والمالية التي يذلتها بالاتحاد حكومتها جلالة ملكة الانكليز والجنب العالي الخديوي . وحيث قد اصبح من الضروري وضع نظام مخصوص لأجل ادارة الأقاليم المفتتحة المذكورة وسن القوانين اللازمة لها بمراعاة ما هو عليه الجانب العظيم من تلك الأقاليم من التأخر وعدم الاستقرار على حال الى الآن وما تستلزمه حالة كل جهة من الاحتياجات المتنوعة . وحيث انه من المقتضى التصريح بمطالب حكومة جلالة الملكة المترتبة على ما لها من حق الفتح وذلك بأن تشترك في وضع النظام الاداري والقانوني الأنف ذكره وفي اجراء تنفيذ مفعوله وتوسيع نطاقه في المستقبل . وحيث انه ترامى من جملة وجوه أصوبية الحاق وادي حلفا وسواكن ادارياً بالأقاليم المفتتحة المجاورة لها . فلذلك قد صار الاتفاق والاقرار فيما بين الموقعين على هذا بما لها من التقويض اللازم بهذا الشأن على ما يأتي وهو :

(المادة الاولى) : تطلق لفظة السودان في هذا الوفاق على جميع الاراضي الكائنة الى جنوبي الدرجة الثانية والمشرين من خطوط العرض وهي :
أولاً : الاراضي التي لم تخلها قط الجنود المصرية منذ سنة ١٨٨٢ أو .
ثانياً : الاراضي التي كانت تحت ادارة الحكومة المصرية قبل ثورة السودان

الاخيرة وفقدت منها وقتياً ثم افتتحتها الآن حكومة جلالة الملكة والحكومة المصرية بالاتحاد أو

ثالثاً : الاراضي التي قد تفتتحها بالاتحاد الحكومتان المذكورتان من الآن فصاعداً .

(المادة الثانية) : يستعمل العلم البريطاني والعلم المصري معاً في البر والبحر بجميع أنحاء السودان ماعدا مدينة سواكن فلا يستعمل فيها إلا العلم المصري فقط .

(المادة الثالثة) : تفوض الرئاسة العليا العسكرية والمدنية في السودان الى موظف واحد يلقب (حاكم عموم السودان) ويكون تعيينه بأمر عال خديوي بناء على طلب حكومة جلالة الملكة ولا يفصل عن وظيفته إلا بأمر عال خديوي يصدر برضاء الحكومة البريطانية .

(المادة الرابعة) : القوانين وكافة الاوامر واللوائح التي يكون لها قوة القانون المعمول به والتي من شأنها تحسين ادارة حكومة السودان او تقرير حقوق الملكية فيه بجميع انواعها وكيفية ايلولتها والتصرف فيها يجوز سنها او تحريرها او نسخها من وقت الى آخر بمنشور من الحاكم العام وهذه القوانين والاورام واللوائح يجوز ان يسري مفعولها على جميع أنحاء السودان او على جزء معلوم منه ويجوز ان يتروك عليها صراحة او ضمناً تحوير او نسخ أي قانون او أية لائحة من القوانين او اللوائح الموجودة .

وعلى الحاكم العام ان يبلغ على الفور جميع المنشورات التي يصدرها من هذا القبيل الى وكيل وقنصل جنرال الحكومة البريطانية بالقاهرة والى رئيس مجلس نظار الجناب العالي الخديوي .

(المادة الخامسة) : لا يسري على السودان او على جزء منه شيء ما من القوانين او الاوامر المالية او القراوات الوزارية المصرية التي تصدر من الآن فصاعداً إلا ما يصدر بإجرائه منشور من الحاكم العام بالكيفية للسالف بيانها

(المادة السادسة) : المنشور الذي يصدر من حاكم عموم السودان ببيان الشروط التي بموجبها يصرح للاوروبيين من أية جنسية كانت بحرية المتاجرة

او السكني بالسودان او تملك ملك كائن ضمن حدوده لا يشمل امتيازات خصوصية لرعايا أية دولة او دول .

(المادة السابعة) : لا تدفع رسوم الواردات على البضائع الآتية من الأراضي المصرية حين دخولها الى السودان ولكنه يجوز مع ذلك تحصيل الرسوم المذكورة على البضائع القادمة من غير الأراضي المصرية . إلا انه في حالة ما اذا كانت تلك البضائع آتية الى السودان عن طريق سواكن او أية ميناء اخرى من موانئ ساحل البحر الاحمر لا يجوز ان تزيد الرسوم التي تحصل عليها عن القيمة الجارية تحصيلها حينئذ على مثلها من البضائع الواردة الى البلاد المصرية من الخارج . ويجوز ان تقرر عوائد على البضائع التي تخرج من السودان بحسب ما يقدره الحاكم العام من وقت الى آخر بالملشورات التي يصدرها بهذا الشأن .

(المادة الثامنة) : فيلإعدا مدينة سواكن لا تمتد سلطة المحاكم المختلطة على أية جهة من جهات السودان ولا يعترف بها فيه بوجه من الوجوه .

(المادة التاسعة) : يعتبر السودان بأجمعه ماعدا مدينة سواكن تحت الاحكام العرفية ويبقى كذلك الى ان يتقرر خلاف ذلك بملشور من الحاكم العام .

(المادة العاشرة) : لا يجوز تعيين قناصل او وكلاء قناصل او مأموري قنصلات بالسودان ولا يصرح لهم بالإقامة قبل المصادقة على ذلك من الحكومة البريطانية .

(المادة الحادية عشرة) : ممنوع منعاً مطلقاً إدخال الرقيق الى السودان او تصديره منه وسيصدر منشور بالاجراءات اللازمة اتخاذها لتنفيذ بهذا الشأن .

(المادة الثانية عشرة) : قد حصل الاتفاق بين الحكومتين على وجوب المحافظة منها على تنفيذ مفعول معاهدة بروكسل المبرمة بتاريخ ٢ يولييه سنة ١٨٩٠ فيما يتعلق بإدخال الأسلحة النارية والذخائر الحربية والأشربة المقطرة او الروحية وبمعها او تشغيلها .

تحريراً بالقاهرة في ١٩ يناير سنة ١٨٩٩

الامضاءات : (كرومر) (بطرس غالي)

وفي يوم تاريخ هذا الزقاق عُين اللورد كلتشر اوف خرطوم سردار الجيش المصري حاكماً عاماً للسودان مع بقاء وظيفة السردارية في يده وأعلن فتح السودان للتجارة في ١٢ ديسمبر سنة ١٨٩٩ ولم يكن إلا أيام معدودة حتى ندب لحرب الترنسفال .

ولاية

الفريق السر رجينلد ونجت باشا

ياور جلالة الملك

سرداراً على الجيش المصري وحاكماً على السودان

وفي ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٩٩ عُهد في وظيفة سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام الى رب السيف والقلم « الفريق السر رجينلد ونجت باشا » الذي ضرب الضربة الاخيرة القاضية على التعايشي والمهدية وقد كان من قبل مديراً عاماً لقلم مخبرات الجيش المصري ثم ادجواتنت جنرال وكان له اليد الطولى في استرجاع السودان فاستبشر الجيش المصري وأهل السودان كافة بهذا التعيين الذي لقي أهله وحلّ محله لأنهم عرفوا في حاكمهم الجديد همه شماء لا تعرف الملل وقلباً كبيراً محباً لا يعرف الأذى وعقلاً نيراً ورأياً صائباً ولطفاً ودعة وإنساناً وأتمل الجميع انه لا يطول الزمان حتى تصبح حكومة السودان من أصلح حكومات الدنيا وأرقاها ويرتج أهلها في بحبوحة الأمن والراحة والسلام الى ما شاء الله .

وكان فاتحة أعماله في السودان انه أذاع المنشور الآتي معرباً فيه عن سياسته وشدة رغبته في خير العباد وإصلاح البلاد .

منشور

لخاصة السودان وعامتهم

الحمد لله المحيط علماً بكل شيء وبعد ، فان سمو الامير تشارلي مصر

« عباس باشا حلي الثاني » حرسه الله قد اختارني لأن أكون سرداراً لجيشه وحاكماً عاماً للأقطار السودانية بعد اتفاقه مع دولة بريطانيا العظمى على ذلك فعهد إليّ في رئاسة الجيش وإدارة شؤون السودان وساكنيه فلبّيت الدعوة الشريفة وحمدت الله على حسن عنايته والامير على حسن ظنه وجبيل ثقته وعاهدت الخالق الذي بيده نفسي ونفوسكم ان أراقبه فيكم وأنصح في خدمة الامير ولا أترك باباً يأتيكم منه الخير إلا فتحتة ولا منفذاً يأتيكم منه الشر إلا سدته وان أشيد بيدي أركان العدل بينكم وأنشر لواء الانصاف فوق رؤوسكم وأسأل الله ان يلهمني الصواب في أعمالي ويمصني من الخطأ والزلل ويرشدني الى انتقاء الأمناء من العمال والحكام لتم رغائبي في الاصلاح ورغائبكم في النجاح .

ولما كان من الفروض الأولية ان أبلغكم إرادتي وأنشر بينكم رغبتى عدت الى إذاعة هذا المنشور فجعلته باكورة أعمالي لتعلموا منه الفرض الذي أرمي اليه والطريق التي أريد ان تسلكوا فيها .

اعلموا ان أساس الملك هو العدل ولهذا لم تقم للسودان قائمة لأن ملكه تأسس على الجور والاعتصاف واغتصاب الحقوق وظلم الرعية والمخرفات للحكام عن جادة العدل واتباعهم طرق الفوايه والضلال وعدم مراقبة الله وترك الفرق بالعمل .

فأراد الله ان يسبغ عليكم رحمته بعد ذلك العذاب فأزال اولئك الظلام وعما أفرم وقرض ملكهم فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم وخلفهم بدم رجالاً ملأ قلوبهم رفقاً وعدلاً وهم حكامهم الآن . فأخلصوا لهم الطاعة ليخلصوا لكم العمل وتيقنوا انكم كالجسد وهم كالرأس فلا يصلح الجسد إلا بصلاح الرأس ولا يصلح الرأس إلا بصلاح الجسد .

ولقد صرفت عنايتي الى انتخاب الحكام الأكفاء وأمرتهم بالرفق وتنفيذ الاوامر العادلة التي أصدرها لخيركم وخير بلادكم فعليكم بطاعتهم لأن طاعتهم هي طاعتي ومن عصاهم فقد عصاني ومن عصاني فقد عصى أولي الامر ومن

فعل ذلك فقد أغضب الله .

واني أشهد الله ان من رأيت به اعوجاجاً من هؤلاء الحكام قوته بسيف العدل كما اني أشهد الله ان من رأيته منكم مخالفاً او غاصماً من غير حق رميت به الى أقصى درجات العقاب ليصلح الرأس والجسد معاً .

ولقد بذأت بتشديد مساجدكم وإقامة شعائر دينكم المقدسة وتسهيل طريق الحج الى بيت الله الحرام بعد ان حال بينكم وبينه أولئك الطغاة العصاة الذين استأصل الله شأفتهم .

فاذا تم ذلك عمدت الى التجارة فأوسعت لكم ميدانها وأجريت لكم سيول خيراتها وأرضعتكم لبان رجبها وفعلت كل ما تسمح به حالة الحكومة من تعديل ضرائبها وضرائب الاطيان وأجر النقل في السكك الحديدية والمراسلات البريدية والتلغرافية هذا مع السمي في توسيع نطاق ثروتكم لثروتموا في بمجوحة الراحة والأمن وتذوقوا حلوة العدل وتنسوا مرارة الظلم السابق . فإياكم ومخالفتي ومخالفة حكامكم واعلموا اني بقدر ما أكون شفوفاً ليناً مع ذي الاستقامة منكم أكون صارماً شديداً على من يخالف أوامري ويعمل على إبطائها .

فطهروا قلوبكم واخلصوا سرائركم وضعوا ثقتكم بي والحكام الذين وليتهم عليكم وانزعوا من نفوسكم الغل والضغائن وانبدوا كل من كان مفسداً للعقائد عاملاً على خراب البلاد مثيراً للفتن مسبباً للقلقل فلقد بئلت لكم طريق الهدى .

والله المسؤول ان يكون لي عوناً على تنفيذ ارادة سمو الخديوي العظيم وان يتمتعكم بالراحة والامن والسعادة في ظل سموه . هذا وقد صفحت الحكومتان المصرية والانكليزية وصفح سموه وصفحت عن سالف أعمالكم فلا نؤاخذكم بما فات ولي الامل الوطيد ان لا يفرط منكم بعد ما فرط من قبل والسلام .
الحتم (ونجت)

تحريراً في ام درمان في ٢٨ فبراير سنة ١٩٠٠ سر دار الجيش المصري
الموافق ٢٨ شوال سنة ١٣١٧ وحاكم السودان العام

الادارة المركزية : ثم شرع في تنظيم حكومة البلاد وسن قوانينها فجعل مركز حكومة الخرطوم كما كانت في الفتح الاول وعهد برناسة مصالحها الى كبار رجاله العسكريين الانكليز فعين رئيساً للادارة العمومية وسماه «السكرتير الملكي» ورئيساً للادارة المالية وسماه «السكرتير المالي» ورئيساً للادارة القضائية وسماه «السكرتير القضائي». ورئيساً لكل من مصالح المساحة وسكة الحديد والتلغراف والبوسطة والواپورات والمخازن والمعارف والسجون والغابات وصيد الحيوانات. وهذه هي مصالح الادارة المركزية وأسماء رؤسائها الحاليين ١٩٠٢ بجردين عن الألقاب إلا الألقاب العسكرية :

حاكم السودان العام	« الفريق السرف. ف. رجيندك ونجت باشا السردار »
السكرتير الملكي	اللواء ف. ج. تاسون باشا
مساعد السكرتير الملكي	الشريف البكباشي ث. جيمس
« »	البكباشي ا. س. باركر
السكرتير المالي	الميرالاي ا. ا. برنارد بك
مساعد السكرتير المالي	القائمقام و. س. ر. ماي بك
مفتش في المالية	المستر و. درمندهاي
السكرتير القضائي	المستر ا. بونهام كارتر
قاضي مدني	المستر ج. ف. كارشو
« »	المستر ويسى ستاري
مدير المساحة	الشريف اللواء ح. تلبوت باشا
مساعد	القائمقام ث. و. جوين بك
مدير السكة الحديد	الميرالاي ج. ب. مكولي بك
مساعدوه :	القائمقام ا. ك. مدونتر بك
البكباشي و. ا. لونجفيلد *	البكباشي م. ا. م. سوري
« س. ف. نيوكومب *	البكباشي ب. ث. لورد
مدير التلغراف والبوسطة	القائمقام ج. س. ليدل بك

مساعد مدير التلغراف والبوسطة	البكباشي ا. ج. ميرك
ملاحظ التلغراف والبوسطة	الصاغ و. ا. دال
مدير الواوورات والمراكب	القائمقام ا. ا. يوند بك
مراقب المخازن	الميرالاي و. ه. دريج بك
مساعد	البكباشي م. كوتس
مدير المعارف	المستر جيمس كري
مدير الأحراش والغابات	المستر ا. س. بتلر

المديريات : وجعل في كل مديرية مديراً عسكرياً انكليزياً ومفتشاً او اكثر من الانكليز العسكرية او الملكية ومأمورين من الضباط المصريين الأكفاء وقضاة وكتاباً وضابطة من المصريين. وهؤلاء هم المديرون والمحافظون الحاليون في السودان :

محافظ حلفا	القائمقام هايس سبلر بك
مدير دنقلة	اللواء جاكسون باشا
مدير بربر	الميرالاي مكرل بك
مدير الخرطوم	الميرالاي ستانتون بك
مدير الجزيرة	الميرالاي بلوت بك
مدير سنار	الميرالاي جورنج بك
محافظ فاشوده	القائمقام ماثيوس بك
مدير كسلا	اللواء هنري باشا
محافظ سواكن	القائمقام بلايفير بك
مدير كردوفان	اللواء ماهون باشا
قومندان قوة احتلال بحر الغزال	اللواء سباركس باشا

مفتش السودان العام : وجعل على المفتشين الملكيين والعسكريين مفتشاً عسكرياً عاماً وهو السر رودلف سلاطين باشا الشهير .
وكلمهم من خيرة الرجال المشهود لهم بحسن الإدارة وحب العدل والحرية .

وقد وفقوا الى نخبة من الموظفين المصريين والسوريين الذين خدموا الجيش في السلم والحرب قبل انتقالهم الى حكومة السودان خدمات جليلة أخص بالذكر منهم :

« سعيد بك شقير » مدير حسابات السودان (حامل الممايزة)
 وشاهين بك جرجس سكرتير عربي سعادة افندم السردار

وحاكم السودان العام
 وطنوس بك شحاده كبير موظفي ادارة المخابرات في الخرطوم

« سكرتير عربي مفتش السودان العام »
 وروفاثيل افندي خليل باشكاتب مراقب الخازن في الخرطوم

« مديرية الخرطوم »
 وامين افندي حداد

« مديرية سنار »
 وفرج افندي شحادة

« مديرية دنقلة »
 ووليم افندي زلزل

ومنهم : حسين بك رفعت ، ونخلة افندي تادرس ، وواصف افندي جرجس ،
 وسليم افندي شميل من موظفي السكرتير المالي ، واحد افندي توفيق من
 موظفي وكالة حكومة السودان بمصر .

ومن موظفي الادارة المركزية الذين دخلوا الخدمة حديثاً فامتازوا فيها :
 الشيخ محمد شاكر قاضي قضاة السودان

والشيخ محمد هارون مفتش المحاكم الشرعية في السودان

واحمد افندي هدايت سكرتير مدير المعارف في الخرطوم

ونسيب افندي فيليبديس سكرتير السكرتير القضائي في الخرطوم

ويعقوب افندي بلاتير باشكاتب مصلحتي البوسطة والتلغراف

ونسيب افندي بدر باشكاتب مديرية حلفا

ونجيب افندي كاتبة سكرتير مدير السكة الحديد السودانية

وسليم افندي مشعلاني باشمفتش سكة الحديد

وصموئيل افندي عطيه من موظفي المخابرات



الكونت كليغن

وكالة حكومة السودان : هذا وقد جعل لحكومة السودان في مصر وكالة عامة ولج ادارتها الى حضرة الامير الخطير صاحب الشرف الباذخ والمجد الاثيل الكولونيل الكونت جلايخن من سلالة العائلة المالوكية الانكليزية . وقد ولجه معها ادارة المخابرات في مصر والسودان وعين لمساعدته ضابطين من أجمل الضباط الانكليز علماً وأعلام شأناً ومهما :

الكبتن هـ. هـ. س. مورانت في مخابرات الخرطوم
والكبتن هـ. ف. س. امري في مخابرات مصر

الجيش المصري : هذا وقد نظم الجيش المصري ووزعه على مصر والسودان حسباً اقتضته حالة البلدين فجعل مركز رئاسته مصر القاهرة وقسم البلدين الى أقسام عسكرية جعل في كل قسم منها حامية او اكثر وجعل في مدينة الخرطوم حامية من العساكر الانكليزية ايضاً وهذه هي الاقسام : المحروسة وحلفا ودنقلة وبربر والخرطوم وسنار وكسلا وسواكن وكردوفان .
وأما أقسام الجيش نفسه ومصالحه ورؤاؤه في الوقت الحاضر فكما يأتي :

الحضرة الفخيمة الخديوية :

سـر ياور الحضرة الفخيمة الخديوية الفريق احمد باشا زكي
ياور اول خديوي اللواء يوسف باشا ضيا
ياور خديوي الميرالاي حسين بك محرم
» القانظام السيد بك ماجد
» حسن بك صادق
رئيس أركان حرب المية السنية الميرالاي حسين بك رمزي
اركان حرب القانظام محمد بك ياور
قومندان الحرس الخديوي والموسيقى الخديوية الميرالاي ابراهيم بك رفعت .

نظارة الحربية :

عطوفتلا نظر الحربية	محمد باشا العباني
ياور	الصاغقول اغامي محمد افندي خسرو
سماعة وكيل الحربية	اللوا سير ادوارد زهرا باشا

أركان حرب رئاسة الجيش

السردار

« الفريق السير ف. رجينلد ونجت باشا . حاكم السودان العام »

البكباشي ر. ا. ماركا	ياوران
اليوزباشي حسين افندي وهي	
اليوزباشي امين افندي هيمن	
الميرالاي اللورد ا. ه. سسل بك	كاتم أسرار حربية ادجوتانت جنرال
اللوا ش. فرغوسن باشا	
اللوا محمد باشا زهري	مساعدوا ادجوتانت جنرال
الميرالاي ج. ج. أسر بك	
القائمقام ج. ك. وطسن بك	
» ب. ر. قيبس بك	
» ل. ا. فترم . ستاك باك	
القائمقام احمد بك زكي	نواب مساعدي ادجوتانت جنرال
البكباشي و. ا. بيلي. وهو ايضا السكرتير	
الخاص لحاكم السودان العام	
» ا. س. جاكسون	

أورط الجيش :

الميرالاي و. ه. برسي بك	قومندان السواري
الميرالاي م. بيك بك	قومندان ومدير الطوبجية
القائمقام ا. ب. ولكسون بك	د الهجانة
ج. ت. بيكوك بك	د الاورطة الاولى
ب. ر. وود بك	د الثانية
ه. روس جونسون بك	د الثالثة
ك. نوربري بك	د الرابعة
محمد بك عاطف	د الخامسة
ابراهيم بك صبري	د السادسة
محمد بك رأفت	د السابعة
عمود بك حسني	د الثامنة
ا. س. هربرت بك	د التاسعة
س. ج. هوكر بك	د العاشرة
ه. د. بلير بك	د الحادية عشرة
ا. ا. ديكلسن بك	د الثانية عشرة
ا. ب. ستركلند بك	د الثالثة عشرة
السير ه. ب. هل بارونت بك	د الخامسة عشرة
الميرالاي ه. ف. ريفنسكرونت بك	د السادسة عشرة

مصالح الجيش :

القائمقام ب. ج. الجود بك	السكرتير المالي
البكباشي ث. س. ه. ويموث	مساعد السكرتير المالي
الميرالاي ر. ه. بلتون بك	حكيمباشي الجيش
د سليم بك موصللي	أقدم أطباء الجيش

الميرالاي ج. ر. جرفث بك	حكيمباثي بيطري الجيش
ل. ب. فرند بك	مدير الأشغال والمهات
ك. ا. ج. بلنت بك	مدير التعمينات
اللواء اسماعيل باشا سرهنك	ناظر المدرسة الحربية
الميرالاي ر. ج. متشت بك	قومندان المدرسة الحربية
الميرالاي ابرهيم بك فتحي قومندان	القرعة العسكرية
الأورطة السابعة سابقاً	
الميرالاي عبد الغني بك فؤاد قومندان	رئيس المجلس العسكري المستديم
الأورطة الثامنة سابقاً	
القائمقام حامد بك مختار اركان حرب	قومندان شبه جزيرة سينا
الطوبجية سابقاً	
ومجموع الجيش الآن ٧٦٣ ضابطاً و ١٧٦٠٩ جنود اشتهر كثيرون منهم	
بقائع الثورة المهدية والفتح الاخير على ما سيحيى . وفيه نحو ٤٠٠ موظف	
ملكي امتاز فريق منهم بالخدم الجلية في السلم والحرب اخص بالذكر .	
سكرتير عربي سعادة السردار	« ملحم بك شكور »
ناظر لإدارة السكرتير المالي	مارك بك بيالوينس
سكرتير عطوفة ناظر الحربية	عبدالله بك عازوري
رئيس قلم في مكتب الادجوات جندال	سليمان بك ناصيف
وكيل قلم في مكتب سكرتير مالي الحربية	سيزار بك روزنسوايك
باشكاتب إدارة التعمينات	يوسف بك حسب الله
باشكاتب قسم رابع في مكتب الادجوات	حسن بك فخري
وكيل قلم في إدارة المهات	إمحمد بك مصطفى
سكرتير حكيمباثي الجيش	عبد المال افندي حلي
ناظر ورش الحربية بالقلمة	جورج افندي مشعلاني
	قوانين حكومة السودان :
ثم وجهه اهتمامه الى القضاء وسن القوانين فعيّن لكل مديرية قاضياً عاماً	

شرعياً وعين. الشيخ محمد شاكر من متخرجي الازهر النابغين قاضياً لقضاة السودان والشيخ محمد هارون من نوابغ الازهر ايضاً مفتشاً عاماً للمحاكم الشرعية. والشيخ الطيب الهاشمي مفتياً للسودان وأمرم بأن يحكموا في المسائل الشرعية بما يقضي به الشرع الشريف. وشرع في سن القوانين المدنية والجنائية والتجارية الملائمة لحال البلاد مستعيناً بسكرتيره القضائي الأصولي المستر بونهام كارتز فتم من القوانين الى الآن ما يأتي :

قانون حجب الاراضي سنة ١٨٩٩ م	قانونين صدرا قبله سنة ١٩٠٠ و ١٩٠١
د ضرائب الاراضي سنة ١٨٩٩	قانون المعديات العمومية سنة ١٩٠٠
ويناير سنة ١٩٠١	ويلفي قانون سنة ١٨٩٩
د عوائد الصنع والريش والماج واللاستيك سنة ١٨٩٩ و ١٩٠١	د أراضي مدن الخرطوم وبربر ودنقلة سنة ١٩٠١ ويلفي قانون سنة ١٨٩٩
د حمل الاسلحة النارية سنة ١٨٩٩	مشروع القانون التعلق بتنفيذ الأحكام المصرية في السودان سنة ١٩٠١
د رخص المشروبات الروحية ١٨٩٩	قانون الجزية (على القبائل) سنة ١٩٠١
د عوائد الأملاك سنة ١٨٩٩	د عوائد الحيوانات سنة ١٩٠١ ويلفي قانون عوائد القطعان سنة ١٨٩٩
د عوائد الأبغية سنة ١٨٩٩	د الاحراش والغابات سنة ١٩٠١
د عوائد المراكب سنة ١٨٩٩	د القضاة المدنيين سنة ١٩٠١
د رخص الدلائل والدوائر ١٨٩٩	د تلافى الطاعون البقري سنة ١٩٠١
القانون العام لوادي حلفا وسواكن ١٨٩٩	د المجالس البلدية في السودان ١٩٠١
قانون رخص البحث عن المعادن ١٨٩٩	د البضائع المهربة الى السودان ١٩٠١
د العقوبات السوداني اوكتوبر سنة ١٨٩٩	د المحاكم الشرعية السودانية ١٩٠٢
د السودان المدني ابريل سنة ١٩٠٠	
د وفبراير سنة ١٩٠١	
قانون وقاية الحيوانات البرية ويلفي	

وقد عرضت هذه القوانين كلها على جناب الفيكونت كرومر وكيل دولة بريطانيا العظمى وقنصلها الجنرال في مصر وعلى مجلس نظار الجناب العالي الخديوي بموجب الرفاق العام المار ذكره فصدقوها ونشرت تباعاً في الغازيتة السودانية. فأصبحت قوانين نافذة مرعية الاجراء يتولى تنفيذها قضاة عسكريون وملكيون من الانكليز والمصريين . وهناك لجنة من العلماء برئاسة الشيخ محمد البدوي عينها الحاكم العام للنظر فيما يُعرض عليها من المسائل الاجتماعية الأهلية .

المدارس الاميرية في السودان :

المدارس الاميرية القديمة : اهتمت الحكومة المصرية مدة الفتح الاول بنشر المعارف في السودان فأنشأت مدرسة ابتدائية في الخرطوم برئاسة رفاعة بك وذلك في ايام عبد اللطيف باشا فدامت الى ان قامت الثورة المهدية فتعطلت وأمر المهدي فأقفلت مدارس العلم كلها وأحرقت جميع الكتب إلا القرآن وجمع خليفته التعايشي العلماء في ام درمان فحظر عليهم تدريس العلم فلم يبق في السودان إلا خلوات القرآن . وكان في الخرطوم مطبعة حجر للحكومة فاستخدمها المهدي لطبع مناشيره ثم استخدمها خليفته من بعده لهذه الغاية وبقيت حتى استرجعتها الحكومة بفتح ام درمان .

كلية غوردون : ولما عاد اللورد كاتشر اوف خرطوم من الفتح الأخير الى بلاد الانكليز اقترح على قومه انشاء مدرسة كلية في الخرطوم باسم غوردون تعلم فيها العلوم واللغة العربية تخليداً لذكر غوردون في السودان وفتح اكتتاباً لجميع المال اللازم لبناء المدرسة والقيام بنفقاتها فتلقى الشعب الانكليزي هذا الاقتراح بمزبد الارتياح وأقبلوا على الاكتتاب فيه من جميع اطراف الممالك البريطانية من انكلترا واستراليا وكندا ونيوزيلند ورأس الرجا الصالح ومصر والهند فجمع الى الآن ١٢٣ الف جنيه ونيف. واقترح اللورد كرومر ان يُقرن اسم الكولونيل ستيورت باسم غوردون لأنه رفيقه في حصار الخرطوم

وذلك بأن يحمل في المدرسة . تلمذة خاصة باسم ستيورت فأجيب اقتراحه وجمع الى الآن ٥٠٠ جنيه لهذه الغاية . وقد وضع الحجر الاساسي لكلية غوردون في ٥ يناير سنة ١٨٩٩ باحتفال باهر حضره اللورد كتشتر وجمهور كبير من اعيان السودان . رأسه اللورد كرومر فصرح بمبدأ المدرسة فقال : ستكون هذه المدرسة مدرسة عمومية اصلاحية غير مختصة بطائفة دون اخرى ويكون التدريس فيها على قدر الامكان باللغة العربية . والمدرسة الآن على وشك الانتهاء ويؤمل ان يبدأ التدريس فيها اواخر سنة ١٩٠٣ . وتقدر نفقات بنائها وفرشها بنحو ٣٠ الف جنيه . وقد أهدي اليها معمل كجاوي ومرصد فلكي وأدوات فاخرة متنوعة لتعليم الصنائع اليدوية . هذا وقد ألفت لها لجنة من كبار الانكليز وأعيانهم لادارة شؤونها العامة ومراقبة حساباتها وهم :

الشريف اللورد كتشتر	أوف خرطوم
الفريق السر رجينلد ونجت	باشا
حاكم السودان العام	
المستر اوغسطس بريفوست	
مدير البنك الانكليزي	
الشريف اللورد كرومر	
الشريف اللورد روتشيلد	
الشريف اللورد هنلدون	
الشريف اللورد فلستوك	
السر ارنست كسل	
المستر هنغ كولن سمث	
المستر هنري ت. نرتون مستشار شرف	
المستر جيرار فان ده لند وابنه	
مراقبا شرف للحسابات	

المدارس الاميرية الجديدة : ولما تولى الفريق السير رجينلد ونجت باشا منصبة الاحكام في السودان سنة ١٨٩٩ وجهه الكثير من عنايته الى المعارف فعين المستر جيمس كيري من فضلاء الانكليز مديراً عاماً للمعارف في السودان ورئيساً لكلية غوردون فشرح في الأعمال بما يُعهد فيه من التربية والنشاط فأتم في سنتين ما لم يكن يؤمل إتمامه في عدة سنين وأنشأ عدة مدارس منها اعدادية لمدرسة غوردون ومنها لحساب حكومة السودان وهي هذه :

- مدرسة ابتدائية في الخرطوم وهي اعدادية لمدرسة غوردون وفيها ١٠٠ تلميذ .
- د ابتدائية في ام درمان وفيها ٢٠٠ تلميذ .
- د في ام درمان للمعلمين المراد تمرينهم على التعليم وفيها ١٤ تلميذاً .
- د صناعية في ام درمان اعدادية لمدرسة غوردون فيها ٦٠ تلميذاً .
- د مدرسة ابتدائية في حلفا فيها ٨٠ تلميذاً . ومدرسة ابتدائية في سواكن فيها ٥٠ تلميذاً .
- د وطنية في دنقلة . ومدرسة وطنية في بربر .

اما مدرستا حلفا وسواكن فقد أنشأتهما نظارة المعارف المصرية في زمن الثورة المهدية وانتقلتا الى ادارة معارف السودان في بدء هذه السنة . وستنشأ الحكومة مدارس وطنية في كسلا والقضارف والابيض وفاشوده وغيرها من المدن الكبيرة اذ النية منعقدة على تعمير المعارف في السودان كله لتتویر أذهان الشبان في مبادئ العلوم والصنائع واعدادهم الى وظائف الحكومة الابتدائية .

وفي ام درمان والخرطوم غير المدارس الاميرية : مدرسة صبيان وبنات للأقباط . ومدرسة صبيان وبنات للمسلمين التمسوايين . ومدرسة صبيان للانجلييين الامريكان .

وابورات السودان :

في السودان الآن عشرون وابوراً بعضها من عهد الفتح الاول وبعضها بُني في الخرطوم في أثناء الحصار سنة ١٨٨٤ والباقي جدد في الحملة النيلية سنة ١٨٨٥ والفتح الاخير سنة ١٨٩٦ - ١٨٩٨ . وهي من حيث بناؤها وعمولها وسرعتها على أنواع :

١ - « السلطان » ، « الملك » ، « الشيخ » ، وهي مدرعات قوية بنيت في أثناء الحملة على الخرطوم سنة ١٨٩٨ . ومتوسط سيرها نحو ستة أميال في الساعة وتقوم على قديمين من الماء .

- ٢ - « الظافر » ، « الناصر » ، « الفاتح » ، وهي المدرعات التي بقيت في أثناء الحملة على دنقلة سنة ١٨٩٦ ومتوسط سيرها عشرة أميال في الساعة .
- ٣ - « طهاي » ، « الحفير » ، « أبو طليح » ، « المثمة » ، وهي على شكل وابورات النوع الثاني إلا أنها أصغر حجماً وتسير ٨ أميال في الساعة وهي من عهد الحملة النيلية .
- ٤ - « دال » ، « وخير » ، « وعكة » ، « وعارة » ، وهي من النوع الثالث إلا أنها أصغر حجماً واقل سرعة .
- ٥ - « الجديد » ، وهي وابور صغير بُني بعد الفتح الأخير وسرعته ٦ أميال في الساعة .
- ٦ - « بوردين » ، « والصفية » ، وهما من الطرز القديم جداً من عهد الفتح الأول وسرعتهما نحو ٦ أميال في الساعة .
- ٧ - « ألفن » ، « الطاهرة » ، « والتوفيقية » ، وهي وابورات صغيرة . أما الطاهرة فقد بناه غوردون في حصار الخرطوم وسماه الزبير فركب فيه المتمهدي بعد فتح المدينة وسماه الطاهرة . وأما التوفيقية فمن عهد الفتح الأول أخذته إلى الخرطوم عبد الحليم باشا عند ذهابه إلى السودان سنة ١٢٧١ هـ . وأما ألفن فإنه من وابورات الفتح الأول ولكنه رُمى بعد الفتح الأخير .
- هذا ومن الوابورات المشهورة التي دخلت في الفتح الأول قتمطلت أو غرقت :
- « تل حوين » ، غرق في شلال السبلوكة مع السر تشارلس ولسن في أثناء الحملة النيلية .
- « وشين » ، « المسلية » ، تعطلا في عهد الدرايش لقدمها وعدم الاعتناء بهما .
- « وامباب » ، غرق في شلال السبلوكة قبل ظهور المتمهدي بقليل .
- « والمنصورة » ، أرسله غوردون مع نصحي باشا لملاقاة الإنكليز الآتين لانقاذه من حصار الخرطوم فغرق في المسكتاب شمالي شندي .
- « والفاشر » ، وسماه الدرايش المنصورة غرق معهم في السد .

« والاسماعيلية » غرق معهم في خور شمبات قبل فتح ام درمان بثلاثة أيام .
« ونيانزة » غرق في بحر الجبل في أثناء الثورة المهدية .
« والحديوي » وهو وابور صغير غرق في بحيرة البرت نيانزة في أثناء الثورة المهدية .

« والجيزة » دخل في الحملة النيلية فغرق في شلال تنجور .
ومن الواپورات التي بنيت في الخرطوم من الحصار فتمطلت أو غرقت .
« عباس » غرق مع ستيورت باشا في ود قر وهو يحاول الوصول الى مصر في أثناء حصار الخرطوم .
« وحسن زهران » أو الحسينية غرقه الدراويش بقنابلهم أثناء محاصرتهم للخرطوم .

« ومحمد علي » وقد ممي كالكو بالنسبة الى صوته غرق مع الدراويش في السد

هذا والحكومة السودانية ساعية الآن في زيادة عدد الواپورات وتوسيع نطاق الملاحة في النيل ما امكن .. ولها في ام درمان ورشة عظيمة لبناء الواپورات والمراكب واصلاح ما تعطل منها . وعندها عذا الواپورات المار ذكرها عدة نقورة وقياسات ومراكب . وقد اصبحت مصلحة الواپورات والمراكب في السودان بهمة مديرها الحاذق القائم بوند بك من أهم المصالح وأفضلها انتظاماً فانه أصلح شؤونها ورتب أعمالها ووزع الواپورات بين الشلالات فجعل بعضها في حلفا بين الشلال الاول والثاني وبعضها في دنقلة بين الشلال الثالث والرابع والباقي في الخرطوم للاشتغال في النيلين الابيض والازرق وهو يستخدمها لنقل الركاب والبوسطة وشحن البضائع والمهمات .
وفي عهده أيضاً وابور « غبر » في البحر الاحمر بين السويس وسواكن .

مسكة الحديد في السودان :

ان صعوبات النقل وأخطاره برأ وبحراً كانتناها في الفصل السابق حلت

الحكومة المصرية منذ الفتح الاول على الاهتمام بإنشاء سكة حديدية الى داخل السودان لتسهيل طرق المواصلات بينها وبين مصر وإغناء تجارتها . وكان اول من اهتم في ذلك المغفور له سعيد باشا ولكنه ما درس المشروع حتى عدل عنه لكثرة نفقاته . واهتم بذلك بعده اسماعيل باشا وأرسل المهندسين فرادوا البلاد من اسوان الى الخرطوم سنة ١٨٦٥ ثم في سنة ١٨٧١ أرسل مهندسين آخرين فدرسوا الطريق من حلفا الى شندي فالخرطوم ولكن لم تلتج هذه الاهتمامات كلها الا سكة حديد من اسوان الى قدم الشلال الاول سنة ١٨٧٤م طولها ٩ اميال ، وسكة حديد اخرى من حلفا الى سرس طولها ٣٣ ميلا .

هذا وفي أثناء الحملة النيلية مد الجيش الانكليزي خط حلفا وسرس الى عكاشة فخر به الدراويش بعد إخلاء السودان . وبقي طريق الصحراء هو الممول عليه .

وكانت الحربية المصرية قد باشرت مد خط حديدي من كورسكو الى المرات سنة ١٨٩٥ وذلك قبل تصميم الحكومة على استرجاع السودان فلما صممت على استرجاعه أوقفت العمل في هذه الجهة وشرع الجيش في مد خط من سرس جنوباً الى الكرمة قائمه في سنة ١٨٩٧ وكان طوله ٢٠٣ اميال وهذه هي محطات الرئيسية : حلفا ، سرس ، عكاشة ، كوشه ، ابي صاري ، دلقو ، الكرمة .

وقبل ان يتم هذا الخط بدأ الجيش بمد خط حديدي يخترق الصحراء من حلفا الى ابي حمد ثم مدّه على محاذاة النيل الى الاتبره فبني عليه جسراً من حديد على يد شركة امريكية كان افتتاحه في ٢٦ اوجسطس سنة ١٨٩٩ . ثم مدّ الخط جنوباً فوصل الخرطوم في ١ يناير سنة ١٩٠٠ وكان طوله ٥٧٥ ميلا وهذه هي محطات الرئيسية : حلفا ، غرة ٦ ، ابو حمد ، العبيدية ، بربر ، الاتبره ، الدامر ، الذيداب ، الكبوشية ، شندي ، ود رملي ، الحلفانة

هذا وكان خط سكة الحديد من اسبوط الى اسوان قد تم قبل ذلك بقليل

فأصبحت سكة الحديد ممتدة من الاسكندرية الى الخرطوم بلا فاصل الا بين اسوان وخلفاء. وقد صممت حكومة السودان الحاضرة على إنشاء خط حديدي من بربر الى سواكن وستشرع فيه قريباً . وهي تفكر الآن في إنشاء خط بين الدويم والأبيض وخط بين الخرطوم والقضارف عن طريق ابي حراز . وقد ولتجت إدارة السكك الحديدية كلها الى رجلها الهام القائمم مكولي بك وأعوانه الأكفاء والأمل بالنجاح على يدهم وطيد .

تلفراف السودان :

مُدَّت خطوط التلفراف في السودان المصري في الفتح الاول كما يأتي :

١ - مصر ، دنقلة ، بربر ، الخرطوم	٥ - ابو حراز ، القضارف ، كسلا ،
٢ - الخرطوم ، ابو قراد ، الأبيض ،	سنهت ، مصوع
فوجه	٦ - كسلا ، قوز رجب ، بربر
٣ - الخرطوم ، ابو حراز ، المسلية ،	٧ - سواكن ، كسلا
سنار ، فازوغلي	٨ - القضارف ، دوكة ، القلابات
٤ - المسلية ، الكوة	٩ - القضارف ، الجيرة على نهر ستيت

ومركزها العام الخرطوم . فعطلت الثورة المهدية هذه الخطوط كلها ولم يبقَ إلا خط أقامه التعايشي بين ام درمان والخرطوم كما مرّ .

ثم لما بُدِء باسترجاع السودان بوشر مدّة تلفراف مع الحملة وكان كسلا تقدمت الحملة يتقدم معها حتى وصل الى الخرطوم بعد فتحها بقليل ثم مدّت جنوباً على النيل الابيض الى الدويم فالرنق ومن الدويم الى الأبيض ومدّت على النيل الازرق الى الرصيصر وسيمدّت على النيل الازرق الى فامكه وعلى النيل الابيض الى آخر حدود السودان .

وهذه هي خطوط التلغراف التي مدت الى الآن :

١ - حلفاء ، كوش ، الكرمة ، دنقلة ، الدبة ، مروي	التضاريف ، ود مدني
٢ - حلفاء ، ابو حمد (بطريق الصحراء) العبيدية ، بربر ، شندي ، الحلفاية ، الخرطوم ، ام درمان	٤ - الخرطوم ، ود مدني ، سنار ، سنجه ، الرصيرص
٣ - بربر ، سواكن ، طوكر ، كسلا ،	٥ - ام درمان ، الدويم ، الابيض
	٦ - سنار ، قوز ابو جمه (بطريق الجزيرة) الرنق

ومركزها العام الخرطوم والاساس حلفاء .

وكان التليان بعد فتح كسلا قد مدوا الخط اليها من مضوع فلم يزل هذا الخط باقياً الى الآن .

بريد السودان :

كان في السودان مدة الفتح الاول بريد منظم يحمل على الهجن ومركزه الخرطوم فيرسل مرة في الاسبوع الى مصر وجميع المديرات . وكان له في كل طريق محطات معلومة لراحة الهجن او ابدالها .

وعلى نحو ذلك كان نظام البريد في زمن الدراويش وكان التعايشي يتم كثيراً بسرعه وانتظام سيره وقد انتقى جماعة من أمثاله الأشخاص فجعلهم رسلاً للبريد بينه وبين أمرائه في الجهات . وكان يقاص من يتعرض لهم بسوء أو يعوقهم عن الميعاد بقطع يده ورجله من خلاف ولكنه حضر البريد في نفسه فلم يحمل للرعية فيه أقل نصيب .

أما الحكومة الحاضرة فقد نظمت للبريد مصلحة عامة تحاكي في انتظامها برود أوربا وجعلت مركزها العام الحلفاية ثم الخرطوم وفتحت له مكاتب في جميع العواصم والمدن الشهيرة وهي الآن هكذا :

« على النيل الكبير » : حلفا ، مرس ، كوش ، دلقو ، التكرمة ، دنقلة ، الدبة ، كورتى ، ابو حمد ، بربر ، الدامر ، شندي .

« وعلى النيل الازرق » : الخرطوم ، رفاعه ، ود مدني ، سنار ، كركوج ، سنجة ، الرصيرص .

« وعلى النيل الابيض » : ام درمان ، القطينة ، الدويم ، قوز ابو جمعه ، الكوة ، الرنتق ، فاشوده ، سبت .

« وفي السودان الشرقي » : سواكن ، طوكر ، كلا ، قوز رجب على الانبهر .

« وفي السودان الغربي » : الابيض ، بارة .

وأكثر هذه المكاتب تقبل الأجوبة والرزم والدرام مسجلة الى أية جهة في السودان وخارجه بل المكاتب التي في العواصم تقبل الدرام وترسلها حوالات تلغرافية .

ويحمل البريد الآن على الواحورات في جميع بلاد النيل وأما في السودان الشرقي والغربي فلا يزال يحمل على الهجن الى ان يتم ما عقدت النية عليه من انشاء خطوط السكك الحديدية في جميع أنحاء السودان . ويحمل البريد بين سواكن والسويس في واهورات الشركة الحديدية مرة في كل اسبوعين كما كان قبل الفتح .

وقد اتخذت هذه المصلحة في بدء الفتح طوابع البريد المصرية مبصوماً عليها كلمة « السودان » فاستعملتها الى اول مارس سنة ١٨٩٨ ثم أبدلتها بأوراق خاصة أكبر منها وعليها صورة هجان راكباً هجيناً في الصحراء . على ان في النية ابدالها بصورة أخرى ألطف منها .

هنا وقد جعلت الحكومة السودانية مصلحة التلغراف والبريد مصلحة واحدة . وولجتها الى رجلها المهام القائم مقام لِدَل بك الذي لا يزال يدأب في تحسينها . وتوسيع نطاقها الى الحد المقصود .

مالية السودان :

أما مالية السودان فلا تزال تشكو العجز ومالية مصر تتحمله حتى يقوى السودان على سده . على ان السودان لم يكن في عصر من عصور التاريخ قادراً على القيام بأود حكومة منظمة مرتقية مثل الحكومة الحاضرة وربما كانت عصر المهدي الأخير أشام عصر مرّ عليه فجرعه كؤوس المظالم وأثقل كاهله بأرزاء الحروب فاستنزف منابع ثروته وأودى بنحو ثلثي أهله وصير أراضيه قفاراً ودياره بلاقع . وعلى هذه الحالة المشومة والأزمة الهزينة دخلت الحكومة الحاضرة . لذلك كان أهم ما وجه اليه الحاكم العام اهتمامه اصلاح حالة البلاد العمومية بتقليل ضرائبها . وتكثير منابع ثروتها وتوطيد أركان العدل والأمن في جميع أنحاء حتى اذا ما نهضت من عسرها المالي واصبحت كفؤاً للقيام بأود حكومتها تدرّج بها في معارج التقدم والنجاح الى الحد المستطاع .

وهذه هي غاية جميع رجاله ورؤساء مصالحه وعلى الخصوص سكرتيره المالي المهام « الميرالاي برتارد بك » الذي يشاطره المسؤولية في ماليتها ويدأب

الليل والنهار في تعديل دخلها وخرجها حتى لا يتفق درهماً إلا كان إتفاقه لازماً مفيداً ولا يفوته درهم كان من الممكن اقتصاده أو اكتسابه إلا اقتصده أو اكتسبه .

وقد وفق الى رجال أكفاء أولى دربة وذكاء يقاسمونه السعي وراء هذه الغاية الجميلة وفي مقدمتهم مساعده الشهم النبيل « القاقام ماي بك » . والحاذاق النشيط « المستر درموندهاي » نجل السيامي المحنك المستر درموندهاي قنصل أنكلترا الجنرال في سوريا الذي تفرّغ على التجارة النظرية والعملية في أشهر بيوت مرسيليا التجارية ثم دخلا قنصلتاو أنكلترا فيها فعين نائب قنصل وتدرّب على الاشغال السياسية والادارية .

وعنده الشاب الاديب المتوقد الذهن الذكي الفؤاد « سعيد بك شقير » من نوابغ المدرسة الكلية السورية في بيروت ومن أفراد اللبنانيين المعدودين في مصر وقد مارس الأشغال المالية والادارية في سواكن حيث قضى تسع سنين متوالية سكرتيراً للمحافظة أظهر فيها من الدربة والنشاط وحسن الادارة ما استوجب أجمل الثناء من جميع المحافظين الذين حكموا سواكن في عهده . لذلك لما أرادت حكومة السودان تشكيل قلم الحسابات لماليتها لم ترّ بداً من من نقله من سواكن وإلقاء عهدة القلم اليه فأظهر فيه من التفنن والبراعة والهمة ما كان يؤمل منه وأزيد وقد رقي الى رتبة الممتاز ولقب « بمدير حسابات السودان » . وبذلك كله تمكن السكرتير المالي على حدّاته عهد الفتحة واضطراب أحوال الدخل والخرج من عمل ميزانية تضامى في نظامها وترتيبها ميزانية مصر . وهاك خلاصتها غن سنة ١٩٠١ كما نشرت بالأمن :

المصروفات (المخرج)

جنيه مصري	مليم	
١٧٨٦٠	١٧٦	المصلحة الملكية
٨٧٤٥	٣٠٣	المصلحة المالية
٥٧٧٩	٦٤٠	المصلحة القضائية
٢٣٦٥٢	٠٠٠	قلم مراقب المخازن
١٤٢١	٤٠٢	مصلحة المعارف العمومية
١١٨١	٥٧١	مصلحة الغابات والاحراش
١٠٨٩٧	٢٥٥	السجون
٥١٧٥	٥٠٧	الاستباليات
٨٦٠	٩٧١	مصلحة وقاية الحيوانات البرية
٥١٤٩٧	٠٥٩	المديرية (مراكز الرئاسة) والاموريات
١٩٤٦٨	٣٦٩	البوليس
٣٩٩٥	٩٨٥	الزواجرات والمراكب
١١١٩	٠٠٠	الجاراك
١٠١١٤	٥٣٤	تعمينات وعلائق
٢٦٩٤٦	٩٥٩	الاشغال العمومية في الخرطوم والمديرية
٤٠٧٧	٤٠٥	بدل سفرية وتقليبات ومعاشات ومكافآت
٣٢١	٢٥٢	مصروفات الجوامع
٥٠٢٠	٩٢٦	مصروفات صحية وملافاة وباء المواشي
١٩٩	٩٩٣	مصروفات لجان الاراضي
٦٨٤	٣٢٦	مصروفات الطبعة الاميرية
٣٢٧٦	٠٤٢	مصروفات مصلحة المساحة
٤٣٨٦	١٠١	مصروفات اسرى الدرايش ونقط الصحراء
٣٨١٠١	٢١٢	مصروفات نثرية وسرية ومهاجرين
٨٥٨٦	٨٦٦	البورسة
١٥٩٦٤	٧٤٠	التلفرافات
١٤٨٥٠٠٠	٠٠٠	السكة الحديد
٤٠٧٣٣٤	٥٩٤	الجملة
٢٩٥١٩	١٤٧	زيادة في الإيرادات عن الوارد بالميزانية
٤٣٦٨٥٣	٧٤١	المجموع العمومي

بأمر الحاكم العام

الامضاء ا. ا. برنارد -- ميرالاي

مكسرتير مالي حكومة السودان

مصر في ٢١ ابريل سنة ١٩٠٣

الارادات (الدخل)

مليم	جنيه مصري	
٨٣١	٢٨٢٨٧	اموال اطيان
٠٧٥	١٣٨٥٤	عوائد نخيل
٧٣٦	٣٧٢	عوائد ابلية
١٢٢	٩٣٣	عوائد مراكب
٩٤٨	٦٤٣١	عوائد حيوانات
٥٩١	٥١٦٣	جزية من القبائل
٦٠٠	٣٢٧٦٣	دخوليات الصنغ
١٣٣	١٧٥٤	» الريش
٥٨٠	١٩٩٥	» العاج (سن الفيل)
٣٦٣	٢٢٩١	» الاصناف الاخرى
١٧٠	٦١٠١	جارك
٣٢٣	٥١٩٨٧	بيع املاك وأراض اميرية وخلافها وإيرادات مختلفة
٤٤٥	١٦٩٩	إيرادات المحاكم الشرعية
٨٧١	٣٧١٦	إيراد المعديات
١١٣	٦١٢	» صيد الاحياء
٠٠٣	١٧٠٧	» ورق التمغه
٥٦٦	٣٧٨٢	تصاريح المشروبات الروحية والاسلحة النارية والدلالة والتسبيين والصيد والبحث عن المعادن
٣٣٦	٥٩٨٨	عوائد السلخانات والأسواق
٩٢٦	٢٦٠٩	رسوم مجالس وتسجيل اراض وغرامات
٧٧٦	٣٢٤	إيرادات الاستباليات
٩٥٠	٧٥	إيرادات الواودرات والمراكب الاميرية
٥٢٣	٩٧٥	إيجارات اطيان الحكومة
٤٩٣	٢٥٢	إيرادات الخوالات التلغرافية
١١٦	١٢٢١	مستقطع لأجل المعاش
٨٨٠	١٥٤٩٢	عشور نقدية
٧١٤	٤٣٢٩	مبيع طوابيع پوستة ورسوم حوالات
٨٣٢	٤٦٨٤	مبيع طوابيع تلغراف
٧٢٥	٧٥٨٠٨	سكة الحديد
٧٤١	٢٤٢٣٠٨	مجموع الارادات
٠٠٠	١٩٤٥٤٥	اعتماد الحكومة المصرية لسد عجز السودان
٧٤١	٤٣٦٨٥٣	المجموع العمومي

وهالك بيان مصروفات هذه السنة أي سنة ١٩٠١ وإيراداتها على صورة أخرى:

المصروفات	مبلغ	جنيه مصري	الإيرادات	مبلغ	جنيه مصري
الخزطوم	٩٩٣	٢٣٥٩٧	الخزطوم	٥٩	٥٣٣٥٩
بربر	١٤	١٢٨١٩	بربر	٢٧٩	١١٧٠١
دثقة	٢٣٤	١٤٥٦٥	دثقة	٣٤٠	٢٩٦٤٦
سنار	٩٧	١٢١٠٣	سنار	١٧٢	١١٠٤٠
كسلا	٩٦	٩٩٦٤	كسلا	٤٧٧	٥٢١٧
سواكن	٣١٤	١٤٥٢٢	سواكن	٨٩٨	١١٣٤١
حلفا	٤٠٦	١٦٨٢	حلفا	٩٨٨	٥١٧٧
فاشوده	٧٨٩	٣٣٨٥	فاشوده	٣٢٤	٢٤٥
كردوفان	٨٦٤	٩٨١٣	كردوفان	١٧	١٩٢٠
الإدارة العمومية	١٨١	٩٨٦٧٧	الإدارة العمومية	٣٣٥	١٧٢٦٤
الخازن	٠٠٠	١٣٦٥٢	الخازن	١٧٣	٨٩٩٠
البوستة	٨٦٦	٨٥٨٦	البوستة	٥٢٣	٥١٣١
التلغرافات	٧٤٠	٥١٩٦٤	التلغرافات	٦٧	٤٧٦٨
سكة الحديد	٠٠٠	١٤٨٠٠٠	سكة الحديد	٨٩	٧٦٥٠٥
الاشغال العمومية	٠٠٠	٢٠٠٠٠			
جدة المصروفات	٥٩٤	٤٠٧٣٣٤	جدة الإيرادات	٧٤١	٢٤٢٣٠٨
زيادة في الإيراد عن	١٤٧	٢٩٥١٩	اعتماد الحكومة المصرية		١٩٤٥٤٥
الاراد في الميزانية			لدى حجاز السودان		
المجموع العمومي	٧٤١	٤٣٦٨٥٣	المجموع العمومي	٧٤١	٤٣٦٨٥٣

بأمر الحاكم العام (الامضاء) ا. ا. برنارد - ميرالاي

سكرتير مالي حكومة السودان

مصر في ٢١ ابريل سنة ١٩٠٢

استعمار السودان :

هذا والحكومة السودانية الآن بإذلة الجهد في استعمار السودان وتسهيل طرق الاستيطان لجميع الناس على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم وحرفهم . وقد بدأت بالرفق بالسودانيين الذين هجروا البلاد بسبب الثورة فأرجعهم الى أوطانهم مجاناً وأعانتهم على زراعة ارضهم وتعمير بلادهم .

ورفق سعادة السردار وحاكم السودان العام الجديد برجال الفتح الاول الذين كانوا في أسر الدراويش من ملكيين وعسكريين وسودانيين ومصريين فسمى لهم لدى الحكومة المصرية فوزعت عليهم ٢٥ ألف جنيه . وأوصى ببعض الذين امتازوا في الخدمة واشتهروا بالولاء فأجرت لهم معاشات تتقدم إياها شهرياً مدى الحياة .

ورفق بالموظفين الملكيين فجعل رواتبهم في السودان أرقى منها في مصر بدرجة كاملة فالكاتب في مصر من الدرجة الثانية مثلاً يُنقد في السودان راتب كاتب من الدرجة الاولى وهكذا . ولم يحرم رجال العسكرية هذا الالتفات بل رقى أيضاً رواتبهم بنسبة عادلة . وجدد زيادة معلومة سماها « بدل مناخ » تمنح في الصيف لمن يتخديم في جهات السودان البعيدة كفاشوده وبحر الغزال وكردوفان وكلا وسنار. وبذلك هوّن الخدمة في السودان حتى صار الكثيرون ولا سيما العزّاب يفضلونها على الخدمة في مصر. وقد انتقى المساكين الذين لم تعد القوانين العسكرية تسمح ببقائهم في الجيش فأقطعهم أراضي على النيل الأزرق جنوبي منار وعلى النيل الأبيض جنوبي الجبلين وأعطاهم أدوات وتقايي للزراعة فأسوا عدة مستعمرات جميلة وعاشوا فيها بأرغد عيش وأنعم بال .

وأهم ما تعنى به الحكومة الآن تنشيط اهل الزراعة من مصر وغيرها الى الاستيطان في السودان فانها تنقلهم على نفقتها الخاصة وتعطيهم الارض مجاناً او بشمن بخس جداً وتساعدهم على نقل ادواتهم الزراعية مجاناً او بأجرة زهيدة وقد تعطيهم التقايي لزراع الارض في بادىء الرأي . ولكنها انما تخص بهذه العناية من وثقت بكفاءته وحسن اخلاقه وصدق عزمه على الاستيطان . وطالب الزراعة في السودان يجد من فقراء السكان والعيبد الآبقين من أسياهم من يساعده على الزرع ولكن لا بد له من ان يأتي بمن يعتمد عليه في الأعمال الزراعية لأن فلاحي السودان قليلو الخبرة جداً بها كما مر .

هذا ويمجد التجار والصناع وأرباب المشروعات مجالاً واسعاً في السودان لتقدم أشغالهم اذ البلاد في أشد الحاجة اليهم والحكومة مستعدة لتثقيتهم وتسهيل طرق الرزق لهم واذا أرادوا البناء أعطتهم الارض بثمان زهيد على ان يعمروها لا ان يتجروا بها .

وبذلك أصبحت السودان من أهم البلاد التي يجدر بطالبي الرزق والساعين وراء المستقبل ان يحلوا محل النظر والاعتبار . وقد تقدم لنا ان هواءها لا بأس به والعيش فيها ميسور قليل النفقة والسفر اليها أصبح الآن بعد انشاء سكة الحديد وانتظام مصلحة الواپورات من أسهل الامور وأيسرها . وهذه هي أجرة النقل من شلال اسوان الى الكرمة والخروطوم وآخر حد النيلين الأزرق والأبيض حسب التعريفة الحاضرة :

الطريق	المسافة بالأميال	درجة اولى غ . ص	درجة ثانية غ . ص	درجة ثالثة غ . ص
من الشلال الى حلفا	٢٢٦	٢٠٠	١٠٠	٢٠
من حلفا الى الكرمة	٢٠٣		٢٠٥	٦١
من حلفا الى الخرطوم	٥٧٥	٥٥٢	٣٦٨	١٨٤
من الخرطوم الى الرصيرص	٣٨٠	٦٠٨	٣٠٤	٧٦
من الخرطوم الى مشرع الروك ببحر الغزال	٧٤٠	١١٨٤	٥٩٢	١٤٨
من الخرطوم الى كوندوكر ببحر الجبل	١٠٨١	١٧٣٠	٨٦٥	٢١٦

وفي فصل السياح الذي هو فصل الشتاء تضيف مصلحة سكة الحديد عربات خاصة الى قطاراتها للنوم وتجعل الاجرة على الشخص الواحد من حلفا الى الخرطوم ١٦ جنياً ذهباً وإياباً ما عدا الأكل وبين اسوان وحلفا ١٧ جنياً ذهباً وإياباً مع الأكل . ويمجد المسافرون في كل من مدن اسوان وحلفا والخرطوم لوكدتة جميلة للأكل والمنام . ومن رام السفر في شرقي السودان وغريبه يجد قدر ما يشاء من الإبل والحديد الجبل بأجرة ثمانية الى اثني عشر غرشاً والحمار بخمسة غروش في اليوم . ويمجد المسافر الى سواكن محلاً على

وابورات الشركة الهندية التي تسافر من السويس موتين في الشهر أي في الاول والخامس عشر وتعود في نحو العاشر والرابع والعشرين من كل شهر بالاجرة الآتية : ٨ جنيهات و ٢٥٠ مليماً في الدرجة الاولى و ٦ جنيهات و ٢٥٠ مليماً من الدرجة الثانية و ٣ جنيهات بلا طعام في الدرجة الثالثة .

ويمكن استئجار السفن الشراعية لويثق البضائع التجارية في النيل على نسبة خمسة جنيهات في الشهر لكل سفينة ومقها تسعة طننات .. وأما السفن البخارية فكلها للحكومة كما مر ولا تنقل البضائع التجارية إلا اذا سمحت حالة البضائع والذخائر الاميرية ..

وأما بشأن سفر السودانين الى خارج مصر والسودان فقد تقرر انه اذا كان السفر من احد موانئ السودان فعلى المسافر ان يأخذ جوازاً من الحكومة المحلية واذا كان من احد الموانئ المصرية فالحكومة المصرية لا تعطيه جواز السفر إلا اذا كان مصحوباً بجواز من المديرية أو المحافظة التابع لها او من غارات مصر او الخرطوم .

الباب الرابع

في

أخلاق أهل السودان وعاداتهم وخرافاتهم

الفصل الاول

في

أخلاق أهل السودان وعاداتهم وخرافاتهم

تقدم ان الاصول التي يتألف منها أهل السودان تنحصر في خمسة وهي السود وشبه السود والنوبة أو البرابرة والبجة والعرب . وغرضنا الآن الكلام على أخلاق كل شعب وعاداته مبتدئين بأقدمهم وهم السود .

أوصافهم الخلقية : يختصّ السود بسواد اللون وقطط الشعر وفطس الانف وضخم خنثابتيه واتساع الشدق وبرطمة الشفتين وبروز الفك وضيق الإحشف وصلابة عظامه وطول اليدين بالنسبة إليها في البيض واعوجاج الساقين وقلة لحمها . وهم في الغالب طوال القامة ولكن قد يوجد بينهم أقزام كقبيلة قروقرو في الجنوب الغربي من بلاد خط الاستواء . وأما قواهم العقلية فقاصرة جداً وترقيهم محدود وهيئتهم تؤذن بالهجيّة . ولا قدرة لهم على تحمل المرض فإذا مرض اُحدم رزح تحت مرضه الى ان يموت وأكثر أمراضهم الحمى والجذري والجذام والزهري

هذا وليس في بلادهم حيوان للحمل اذ الابل والحمير والبغال والخيول لا تعيش فيها بسبب ذباب السروت كما مر وبقمرم عزيزة جداً لديهم فلا يمينونها .

بحمل الأثقال وأفيالهم كلها برية فلا يدجنونها كما في الهند ولذلك فعمل الأثقال كله منوط بالرجل ويحمل الواحد منهم من ٤٥ : ٥٠ أقة يحملها على رأسه فيسير ١٤ ميلا في اليوم او ميلين الى ثلاثة أميال في الساعة .

أخلاقهم : وأسوأ ما في أخلاقهم العناد وجفاء الطبع وقلة التدبر والحزم . وأفضل ما فيها حب الطرب والحرية وبساطة القلب وعدم حب الذات . وهم أصلح البشر للجندية لما فيهم من ثبات الجأش وعدم المبالاة بالموت . وقد أدركت مصر ذلك منذ القديم فلم يمر عليها عصر من أيام الفراعنة الى اليوم إلا جنّدت بعضهم في جيشها . وفي الجيش المصري الآن عدة أورط منهم أي من الأورطة التاسعة فصاعداً وأكثرهم من النوبة والشك والدنكا . وهم ينضمون تحت كل لواء ويصدقونه ما دام يحسن سياستهم ويراعي أميالهم اذ هم شديداً الشهوات الجسدية ومولعون جداً بالنساء وشرب الخمر وليس لهم صبر على الجوع فأبى سلطان أجرى لهم الزاد وأطلق حرية الزواج وشرب الخمر انفضوا تحت لوائه وحاربوا له فاذا انكسر ووقعوا في أسر عدوه فأحسن العدو سياستهم صدقوه وحاربوا سلطانهم الأول .

رقيقهم : هذا بشأن السود الأحرار واما الرقيق فقد اشتهر رقيق الدنكا بالصدق والولاء وتحمل التعب ورقيق الفور بالكذب والسرقة والنهم ورقيق النوبة بالعدو والخيانة والحقد مع تحمل المشاق ورقيق الشك بالكسل والتواني وضعف الهمة فهو لذلك أخطأ أجناس الرقيق وأعلاما رقيق الحبشة الذي لا يدخل في كلامنا هنا . ويسوس العرب الرقيق بالقسوة والشدة لزمهم انه لا يصلح إلا بها ومن أقوالهم : « لا تأمن العبد اضربه واطعمه ترى الحاجة مقضية » . « والعبد اشقه وأملاً كرشه يطلع خيره » . ومنه قول المتنبي :

لا تشتتر العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس مناكيد

عاداتهم : والسود في بلادهم عراة الأبدان او يسترون عوراتهم بمئزر من ورق الشجر او جلد الحيوان ويتزينون بمعقود من الخرز الملون او الصدف

وأساور وحجول من النحاس والعاج والحديد رجالاً ونساء . ومن خصائصهم ان رجالهم يحبون اللزني أكثر من نسائهم . وبعض السود لا سيما الشلك تفتان غريب في لبس الشعر وضره على أشكال شتى تشبه قنبرة الديك أو البرنيطة الافرنجية أو المروحة أو الاكليل وهم يعالجونه بطلاء من الرماد وروث البقر ويوله مزوجاً بالفراء ويزينونه بالخرز والريش . ويدهلون أجسادهم بالشحم والزيت ويشرتون جباههم وأجسادهم ويلوتونها ببعض الألوان قصد الزينة . وبعض النساء يثقبن الشفة السفلى أو الأنف ويدخلن في الثقب خشبة يكبرنها تدريجاً حتى لقد تبلغ حجم الجنيه أو تزيد وذلك من أنواع الزين عندهم . وقد امتاز الشلك وبعض الدنكا بهم أسنانهم السفلى . والشلي والشيري بتعدد ثناياهم بمبرد حتى تشبه المنشار . وبعض السود يبرد الثليتين حتى يشبهان رقم السبعة الهندي . وامتاز المكارك بالختان ولذلك فالعرب المسلمون يفضلونهم على جميع السود .

ملاحيم : ولا يخرج السود من منازلهم في الحرب أو في السلم إلا مسلحين . وسلاحهم الحراب والسكاكين والفؤوس والنبابت والقسي والدق . ودرقم اما مريعة الشكل مستطيلته كدق المومبوت أو بيضوته كدق المكارك .

مساكنهم : وهم يسكنون القرى في طقلات أو أكواخ اسطوانية من الطين عليها قبب مخروطية من القصب والقش ويمتسونها للفاية بحيث تتحمل المطر الشديد الذي يكثر وقوعه في بلادهم . ولكل قبيلة منهم شكل خاص تبني عليه أكواخها . وفي بعض الجهات يرفعون الاكواخ عن الارض بشعب متينة لمنع الرطوبة وتوق الفيضان والزحافات . وهم يبلطون أرضها بتراب اذا عولج بالماء وروث البقر وعصير بعض الشجر اصبح كاللجر . ويفرشونها بجلود البقر او الصيد ويصفرون أبوابها حتى لا يزيد علوها على قدمين ونصف قدم إلا نادراً ولا يمكن الدخول منها إلا زحفاً . ويتألف المنزل الواحد من طقل واحد أو عدة طقلات محاطة بزرع متين . وفي بعض الجهات يحيطون القرية كلها بسور

مرتفع ويضيعون شوارعها جداً بحيث لا تسع إلا شخصاً واحداً يمر فيها في وقت واحد . ولكنهم يعملون في وسطها ساحة كبيرة يجتمعون اليها للرقص والغناء .

أثاثهم : وأشهر أثاثهم : غدات صغيرة . من خشب على شكل هلال قائم على قاعدة . وقصع للطعام من خشب كالفصص المصرية . وآنية للشرب من القرع . وآلة لطحن الحب مؤلفة من حجرين أحدهما أكبر من الآخر تعرف بالمرحكة وسيأتي وصفها . وأوعية خزفية للطبخ . وغلايين لشرب الدخان . وسلال ومقاطف .

طعامهم : وطعامهم الذرة أو التيلبون يأكلونها مسلوقة أو يطحنونها بالمرحكة ويصنعون من دقيقها عصيدة على النار ثم يجعلونها في قدح ويضعون فوقها الآدام من اللبن أو المرق واللحم ويجلسون القرقصاء حول القدح نساء ورجالاً ويأكلون بأصابعهم . وهم يقدّون اللحم ويخزّنونه ويصطادون السمك من النيل في الصيف ويقدّونه للشواء . ويجمعون العسل من خلايا النحل الكثير جداً في بلادهم . ومن ما كلهم الفول السوداني والبامية واللوبياء والملوخية والبطاطا الحلوة والاهليلج . ومنهم من يأكل الضفادع والحيات والمقارب . وكلهم يفضلون لحم القروود والكلاب على لحم الضأن فإذا ضافهم شخص وأرادوا إكرامه ذبحوا له قرداً أو كلباً ولأتباعه رأساً من الضأن أو الماعز . وهم يعتاضون الرماد عن الملح لعدم وجود الملح في بلادهم .

شرابهم : وشرابهم البوزة مستخرجة من الذرة وهم مولعون بها ولما شديداً حتى لقد تراه في غالب الأحيان سكارى . ويشربون الدخان بفلايين كبيرة شبه «الجوزة» وقد يخلطون الدخان برماد زبل البقر ويمضغونه مضغاً .

أفراحهم : وسن الزواج عندهم من ١٥ سنة فصاعداً مع ابن سن البلوغ قبل ذلك . ويتزوج الرجل قدر ما يشاء من النساء أو قدر ما تسمح له حاله المالية . ولا بد له أولاً من استرضاء الفتاة التي يقع اختياره عليها فإذا رضيت

تقد أباه مهرأ من البقر والحراب والحرز على قدر طاقته وأخذها . وإذا رفض الاب اختطفها وقر بها إلى بلاد بعيدة . وعند بعض القبائل يسكن العريس مع عروسه في بيت أبيها فلا يأتي بها إلى بيته إلا إذا ولدت وإذا لم تحمل منه في مدة سنة حق له أن يطلقها ويسترد المهر . والعروس قبل أن تلد تتمتع براحة تامة ويقوم كل من في البيت بخدمتها فتى ولدت بطل كل ذلك وأصبحت كالأمه تسمى في جلب الماء والحطب وتقوم بتدبير المنزل والفلاحة والحصاد . وهي ترضع طفلها سنتين في الغالب إذا لم تقبل وتضنع له أرجوحة تعلقها بمنكبيها فإذا ذهبت لعملها علقها في شجرة .

وبعض السود ولا سيما المورو يكرمون نساءهم ويشركوهن في الرأي ويعنون بتربية اولادهم فلا يسمحون للولد أن يتكلم في حضرة من هو أكبر منه أو أن يجلس امامه بغير احترام . ويعلمونهم الرقص واستعمال الاسلحة منذ الصغر وقد يأخذ الأب ابنه إلى غابة ويتركه فيها وحده ليهتدي إلى البيت من نفسه . ويرث الرجل نساء أبيه كما يرث أمته وأملاكه بل له أن يتخذهن زوجات إذا شاء .

آلاتهم الموسيقية : وأشهر آلاتهم الموسيقية :

« الطنبورة » وهي قده بيضوي من خشب مفشئ يجلد غزال له خسة وقار تضرب بعود فتوقع بها ألحان بسيطة جداً وهم يعلقون بها أشياء شتى من الحرز والودع وحواقر الغنم ونحوها بقصد الزينة . ومن آلاتهم الموسيقية الخاصة بملوكهم :

« النقارة » وهي طبل الحرب والرقص بل هي طبلان الواحد أصغر من الآخر يصنمان من قطع مجوفة من الشجر على شكل مخروطي مقطوع ويجلدان من الطرفين يجلد بقر فينقرهما رجل واحد بقضيبين في يديه .

« والامباية » وهي سن فيل صغير طولها نحو متر تثقب ثقباً واحداً من رأسها وتضرب للدلالة على خروج الملك من منزله لفزوا أو لحرب أو نحوها .

« والقرن » وهو قرن الوعل مثقوباً ثقباً واحداً من رأسه كالامباية يضرب في زمن الحرب والرقص وله صوت مزعج قوي .

« والمندكولة » وهي جرسان من النحاس او الحديد يُقرعان امام الجنود في ساحة القتال على ألحان يتحمس لها السود كثيراً .

« والبيدي » وهي قطعة مجوفة من الشجر ومجلاة من الطرفين كأصغر طبلي النقارة تعلق بحبل في العنق وتضرب بالكفين من الجانبين .

« والبُخْسة » وهي قرعة يابسة توضع فيها الحصى وتضرب بهزها رواحاً ومجياً .

« والصفارة » وهي قرن الوعل مثقوباً خمسة ثقوب ثقب في رأسه واربعة في اسفله يُصَفَّرُ بها كالفلوات مع البيدي والبخسة . ومن اربع صفارات وبخسة وبيدي يتألف « طاقم » كامل يضرب في زمن الحرب او الأفراح بأمر الملك .

ورقصهم : وهم مولعون بالرقص ولماً شديداً ولكل قبيلة منهم رقصة خاصة يرقصها الرجال والنساء على أصوات الآلات الموسيقية . وقد رأيت جماعة من رجال الشلك يرقصون رقصة حربية في الخرطوم أيام تشریف الجناب العالي الخديوي لها وقد لبسوا شعورهم على أشكال غريبة شتى كما تقدم الوصف وزينوها بالريش والخرز وصبغوا جفونهم بصباغ ابيض مشرب حمرة ولبسوا أساور العاج والنحاس في أيديهم والجلود او الخرق في أصلابهم وجعلوا الخراب والنباييت . فمشلوا في رقصهم واقعة حربية وقفوا فيها صفين يهاجم احدهما الآخر وكانوا يقفزون كالقروود ويصيحون كالذئاب وهم يهزون رماحهم ونباييتهم فوق رؤوسهم ويفنون أغاني لا تلحن فيها ويصوتون بالقرون أصواتاً مزعجة تصم لها الأذان . وبالأجمال لم يكن في رقصهم شيء من الطرب بل دلاً على تمام الهمجية ومنتهى الخشونة .

ملأهم : ولما غمض ضجة عظيمة واحتفالات تدوم عدة أسابيع يذبجون

فيها الذبائح. ويشربون الحرة ويرقصون حول القبر نساء ورجالاً رقصاً محزناً . قيل ان بعضهم كالنوبة والجناقي والباري والشلي يدفنون الميت امام منزله وهو قاعد القرفصاء ويداه مطبقتان ومضمومتان الى صدره ويدفنون معه غليونه ودرقته وحرايه ويدلون على قبره بحجر فوق رأسه . وبعضهم كالجور والبنقو يدفنون الميت وهو واقف على خشبة بين فخذيه ويرفمون إبطيه بخشبين آخرين تحت كل إبط خشبة وكلهم يصنعون طعماً على ايام معدودة ويضعونه عند القبر لئلا كلة الطير او المارة .

سلامهم : وسلامهم المصافحة باليد ولكن بعضهم كالاجار والدنكا يسلمون بدفع اليد مبسوطة في وجه المسلم عليه . وبعضهم كالشلي يظهرن ودعهم لضيفهم بالبصق في كفه او بعمل إشارة البصق .

جلوسهم : وقد اعتادوا كلهم جلوس القرفصاء كما اعتاد العرب الاحتباء والتربيع . وبعضهم كالباري لا يجلسون إلا على كراسي صغيرة خشبية واطئة جداً . ومن عادة الدنكا في الوقوف ان يتكئ الواحد على حريته ويقف على رجله اليسرى واضعاً عليها اليمنى وضماً أفقياً .

عهودهم : وأشهر علائم التمهيد عندهم مص السم فاذا تماهد اثنان على أمر قصد كل منهما يده ومص من دم رفيقه . وبعض السود كالجناقي يحلفون بوضع أيديهم فوق النار . وبعضهم بلعس حريته . وبعضهم يأخذ شيء من تراب الأرض ووضعه في فيه او مسه بلسانه . وبعضهم بضرب فخذيه بكفه وقوله . وحياة كراعي لأفعلن كذا وهو من أعظم الاقسام عندهم .

ملكهم : وملكهم وراثي إلا اذا كان الوارث ضعيفاً غير كفوء للأحكام فيملك الأقوى من رجال العائلة المالكة . ولكل ملك منهم نقازة يضربها وقت الحرب او الرقص فاذا فاجأه عدو يضربها وأوقد النيران على رؤوس التلال وأرسل الرسل الى قومه بسرعة البرق . وفي بعض البلاد يقيمون في العاصمة بربحاً تحرسه الحراس للانذار اذا فاجأهم العدو .

ويتخذ الملك شارة الملك بين قومه بريشة يجعلها في رأسه ويجعل في يده رمساً وعلى عنقه جلد ثور وفي ساقيه وذراعيه عدة أسورة من النحاس والمعالج ولا يدنو أحد منه إلا احتشاً على الركب ولا يكلمه إلا وهو مطرق . وهو مطلق التصرف في قومه يحكمهم بالعرف والعادة . ومن أحكامهم في قصاص السارق والزاني والقاتل القتل أو طلب الدية من القاتل من بقر وسن ونحوهما . قيودهم : وأشهر أنواع القيود المستعملة عندهم : الشعبة والمكية والعصا . اما «الشعبة» فهي عود طويل له في أحد طرفيه شبتان يوضع عنق الجاني بينهما بحيث تبرزان من مؤخر العنق ثم يوصل بين طرفيهما بحبل متين فيصبح العنق محصوراً في الوسط وعصا الشعبة على ثقلها بارزة أمام وجهه . وقد يربطون يده اليمنى بها لزيادة التحفظ عليه . وهذا القيد انما يشغل به الجاني عند نقله من مكان الى آخر .

واما «المككية» فهي ساق من حديد طولها نحو شبر ونصف شبر ولها في كل طرف حلقة تقيد بها الرجلان وذلك بأن تفتح الحلقة فتوضع كل رجل في حلقة بحيث تكون ساق القيد بين الرجلين ثم تغلق الحلقة فلا يمكن التقيد المشي إلا بكل صعوبة وبطيء وقد يقيدون الجاني بمكيتين أو أكثر لتعذيبه وزيادة التحفظ عليه .

خرافاتهم وأديانهم : تقدم ان السود لا دين لهم او يدينون بالفتشية فيقتربون الى بعض انواع الحيوان او الشجر او الجاد او الظواهر الجوية التي تتخذ رمزاً الى القوة او العظمة او الحكمة او غير ذلك من الصفات التي تخص بها الخالق جل جلاله ويحترمونها بذاتها الى درجة العبادة على نحو ما كان عليه عامة المصريين القدماء . فالدنكا مثلاً يتخذون البقر رمزاً الى القوة والغنى ويعبدونها أقدم الخلوقات فيعبدونها بها عناية تقرب من العبادة ويفضلونها على نساءهم وأولادهم ولا يذبحونها إلا نادراً وهم يأتون بها الى ساحات الرقص فيملقون بقرونها وأعناقها الاجراس ويرقصونها معهم وترى الرجل يلعب بالثور والمرأة

بالبقرة (قلت وقد كان الثور اعظم لقب للملوك مصر وايتيوبيا الاقدمين)
وأكثر حديثهم وغنائهم يدور على ذكر البقر وافضل مقيبل لهم مرابضها
وأذكي الروائح رائحة أرواثها وهم يحفونها ويحرقونها في المرباض لطرد
البعوض ويتمرغون برمادها ويزعمون ان لها قوة سحرية على شفاء الجروح .
وأما بولها فيفضلونه على الماء الزلال وبه يفتسلون وينسلون آنتيتهم ويمطرون
سمنهم . قيل والباري يتعبدون للحية ويقدمون لها القرابين من لبن وأطعمة
ويعدون قتلها جريمة كبيرة وهم يربونها في منازلهم ويسمونها بأسماء تعرفها كما
نربي القطط في بلادنا ويعتقدون ان اجدادهم كانوا يصعدون الى السماء بمجبل
معمود بالنجوم واما الآن فقد انقطع الجبل لكثرة الشر في العالم . وقد سمعت
بعض السود من اهل بحر الغزال القاطنين مصر يغني أغنية شجية حزنة فسألته
عما يغنيه فدلّ من الترجمة ان قومه يتعبدون للردع ويشكرون له انزال المطر
في بلادهم واحياء مزروعاتهم وهم في حيرة وغم لانهم لا يعلمون من أين يجيء .
ويظهر ان الشلك يقدسون النيل ويتوسلون اليه قبل ولا يتكلمون عن أرواح
الموتى إلا بكل خوف ويعتقدون انها متطايرة في الهواء فتسكن تجاويف
الاشجار وتتمص اجسام الحيوانات . ويعتقد البنقو ان أرواح الفواجر تلتقل
الى الضباع ولذلك لا يقتلونها خوفاً من ان تكون فيها أرواح قرائبهم وهم
يصنعون حول مقابرهم تماثيل خشبية تشبه آلهة جزائر اوستراليا قيل وهي
ليست بآلهة بل هي رموز عن الموتى قائمين من قبورهم .

ولكل قبيلة رئيس ديني كما مرّ يُعرف عند النوبة « بالكجور » وعند
الشلك والدنكا « بنيوكاما » ولهذا الرئيس احترام عظيم عندهم حتى ان الملك
لا يقدم على حرب او يحجم عنها الا بمشورته ورأيه وهم يعتقدون فيه السحر
والقدرة على إنزال المطر او حبسه حسب مقتضيات أحوالهم ويدعى هؤلاء
الرؤساء ان السلاح لا يؤثر في أجسامهم وانهم يرقون الواحد حتى لا يؤثر
السلاح في جسمه وهم يتعاطون علم الرمل فيتنبؤون به عن المستقبل ويستخدمونه

لكشف الخبائث ومعرفة ما يصيب الانسان من خير او شر . ولبعضهم مهارة في الجراحة وطب الاعشاب .

هذا ما اقتضى المقام ذكره من اخلاق السود وعاداتهم وخرافاتهم على وجه الاجمال ومن اراد التفصيل فعليه بكتب سبتاح الافرنج الذين جاءوا بلادهم وخبروا أحوالهم وكتبوا عنهم المجلدات الكبار وأهمهم السائحان الالمانيان شونفرت وينبكر .

الفصل الثاني

في

أخلاق شبه السود وعاداتهم وخرافاتهم

أخلاقهم : أما شبه السود فلا يشبهون السود إلا في اللون وفيما سوى ذلك فهم أقرب إلى العرب البدو منهم إلى السود . وأشهر ما في أخلاقهم التدين أو التعصب في الدين .

ملابسهم : وهم يلبسون قميصاً واسع الخوذان مقفول الصدر . على سراويل ضيق قصير ويلبسون نعلات في أرجلهم وطواق على رؤوسهم أو يحشون حفاة عراة الرأس وهم يخلقون شعور رؤوسهم ويرخون لحام وشواربهم ويتختمون بخواتم من المعائن أو الفضة بفصوص من العقيق أو الفيروز . وتلبس النساء « القرباب » (لباس للحقوين) تحت « شقة » من الدمور يشتملن بها أشمال الصماء فيجللن الأكتاف والأبدان . وهن « يشطن شعورهن » جدائل دقيقة جداً على أشكال شتى إذ للنساء كل قبيلة جدلة خاصة ويتحلين بالأساور والحجول والأقراط والأخزمة والخواتم من النحاس والفضة والذهب والحديد .

سلاحهم : وسلاحهم الحراب والسيوف المستقيمة والفؤوس والسكاكين والنباييت والدرق ودرقهم إما مستديرة أو بيضوية كدوق السود . وسلاح

فارسهم في الحرب « السيف » يعلقه في مقدم السرج تحت فخذة اليسرى بحيث تكون قبضته على عنق الفرس « والفرارة » (الفأس) في مقدم السرج الى الجانب الأيمن « والكبس » (حربة كبيرة) يحمله بيده اليمنى ويلقيه على كتفه « والتركاش » (الجمعة) وفيه الطبائق (الحراب) من ٣ : ١٢ حربة في مؤخر السرج . وسلاح راجلهم الطبائق في التركاش يعلقه في رقبته فيتدلى من تحت إبطه الأيسر والدرقة في يده اليسرى وكبس او فرار او نبوت في يده اليمنى ومنهم من يحمل القوس والنشاب بدل الحراب يحمل النشاب في الجمعة ويحمل القوس باليد اليمنى مع الكبس او يعلقه في عنقه .

مساكنهم : وهم يسكنون في أكواخ هرمية كأكواخ السود او في اخصاص كظهر الثور يبنونها بالבوص وأغصان الشجر . وفي بعض المدن يبنون بيوتا مربعة السقوف من الطوب الني أو المحرق .

طعامهم : وطعامهم الدخن يطحنونه بالمرحاة ويمولون منه المصيدة ويمولون عليها الإدام من اللبن او السمسم بالسمن او البامية باللحم المقدد او الطري ونحو ذلك . وهم يصطادون الأرنب والفزلان والنجاج البري ويستمرئون لحما .

شرابهم : وشرابهم ماء الآبار او ماء الناييح وهم مولعون بشرب البوزة كالسود إلا ان فقهاءهم يحرمونها تحريماً شديداً فيمتنع الكثيرون منهم عن شربها تديناً .

أفراحهم : وهم يحبون الزواج الباكر ويتزوجون امرأة الى اربع نساء على حد الشرع . قيل ومن عادة بعض القبائل المتطرفة في غرب دارفور كالقمر والتامة والمساليت الذين لم يتمكنوا من الاسلام ان يسرح شبانهم وشاباتهم بمواشيهم في الحلا فيبنون قرى صغيرة ويعيشون بها أزواجاً سنة او حواليها فمن حلت زوجته منه كتبوا عليها كتابه وإلا فصلوها عنه ليقترن بغيرها في

سنة ظلية . ومما ذكره سلاطين باشا في كتابه « السيف والنار في السودان » عن عادات البدائيين الذين لا يزالون على الفئشية ويمبدون الشجر انه عند موته واليوفيهم يحمله أولاده وأهله الى المقبرة خارج البلدة . وبعد دفنه يقف أولاده صفاً ثم تمنى لهم اشارة فينطلقون نحو البيت عدواً فمن وصله وغرز وعشه فيه اولاً ورث والده واستولى على جميع أمواله حتى على نسائه . واذا أرادوا الحلف أتوا برمح وسرج فرس ونار في وعاء فيتقدم صاحب القسم ويرفع يده فوقها ويقول لا تمس فعذي السرج العمر كله ويطن جسمي بالحرايب واحرق بالنار ان حنثت بحلفي هذا . وهم يحتفلون بالأفراح بذبح الذبائح وشرب البوزة والغناء والرقص على الآلات الموسيقية .

آلاتهم الموسيقية : اما آلاتهم الموسيقية فهي آلات السود بعينها .

رقصهم : ولكل قبيلة منهم رقصة خاصة وللبرقد رقصة تسمى «التنديقة» يشترك فيها النساء والرجال على مثال رقص الافرنج فيرقصون زوجاً زوجاً شاباً وشابة فيطوق الشاب ظهر الشابة بيده اليسرى ويأخذ في يده اليمنى سيفاً يلعب به وتطوق الشابة ظهر الشاب بيدها اليمنى وتطلق يدها اليسرى ويسير الاثنان رويداً وما يرقصان على صوت الطبل الى أن يتعبا فينضبان الى حلقة المتفرجين وقد رأيت هذا الرقص في الخرطوم فوجدته رقصاً لا بأس به بل وجدته أوفر حشمة من كثير من انواع الرقص في البلاد المتعدنة .

مآتمهم : ولما تم جلب عظيمة لا سيما عند النساء فانهن يحشن التراب على رؤوسهن ويسودن وجوههن « بالسجم » والرماد ويندين الميت بالصراخ ولطم الحدود . واذا كان الميت فارساً تركب احدى جواريه فرسه وتقلد عدة حربه ويركب معها بعض الجوارى فتجتمع النساء حولهن ويطنن البلدة بالزراغيت والتندب . وتدوم مآتمهم من ثلاثة ايام الى اربعين يوماً وحداهم سنة كاملة يتمتعون فيها عن التطيب ولبس فاخر الثياب والحلى . وملوكهم تحكمهم بالعرف والعادة كما سيجيء في التاريخ .

ملائمتهم : وسلامتهم المصالحة بالبدن . وهم يركبون الابل والحمار والثيران ويحملونها الاثقال واما الخيل فلا يستعملونها إلا للركوب كما مر .
 جلفهم : وحلقهم على المصحف والتشريف هوهم يحفظونه غيباً مع انهم أعاجم .
 خرافاتهم : وهم يعتقدون السحر ويلادهم ملوذة بالرجالين وخرافاتهم شتى .

الفصل الثالث

في

أخلاق البرابرة وعاداتهم وخرافاتهم

أوصافهم الخلقية : تقدم ان البرابرة القاطنين بين الشلال الاول والرابع هم خليط من ثلاثة أجناس وهي النوبة الاصليون والعرب والاثراك . اما النوبة الاصليون فهم مذبذبون القامة شديداً السمرة جداً واما العرب فهم اطول قامه وأقل سمرة واما الاثراك فهم اطول قامه وقل سمرة من الجميع .

أخلاقهم : وهم يختلفون في الاخلاق اختلافاً في الاصول ولكنهم فقدوا ايجل الصفات التي امتازت بها اصولهم فما يرى فيهم شجاعة النوبي ولا مروءة العربي ولا شجاعة التركي بل هم من الجبن والكذب والكل والجهل وشكاسة الاخلاق على جانب عظيم . واذا اجتمعوا للحديث قامت لهم جلبة عظيمة حتى ضرب بهم المثل : « عشرة يتكلمون وواحد يسمع » . وقد قيل ان البرابرة الذين اخذهم ابراهيم باشا في جيشه الى سوريا لما احسوا بالبرد احرقوا اخشاب بنادقهم وقد قاروا بها . على ان للبرابرة لم يزالوا حافظين من اخلاقهم الأصلية حب الضيافة وصيانة للعرض . وقد اشتهر للذين اتوا منهم للخدمة في مصر بالنظافة والامانة وأما الذين توغلوا في السودان فقد اشتهروا بال المكر

والخديفة كما مر . وهم أمهر سكان السودان في ملاحه للنيل وخبرة الشلالات ومنهم معظم رؤساء المراكب والواهورات في مصر والسودان .

ملاصيمهم : وهم ينسجون الدمور ويتخذون منه سراويل «وشقة» يرتدون بها فوقه ويعشون حفاة عراة الرأس إلا كبارهم فانهم يلبسون طواقي من الدمور وأحذية من جلد البقر ويعلقون شعور رؤوسهم ويرخون لحامهم وعوارضهم . ويشتمل نساؤهم بشقة من الدمور ويحذلن الشعر ضفائر دقيقة جداً يرخينها الى الرءاء وعلى الاصداع ونساء البلاد بين الشلال الاول والثاني يرخين الجداول ايضاً على الجباه ويدهن أطرافها وأطراف الجداول المرخية على الاصداع بمعجون أحمر فاتح كالدلفان فتظهر كأن قد علق فيها مواسير من القصب الدقيق .

سلاحهم : وسلاحهم القديم الحراب والسيوف والنبابيت والقسي . واما الآن فقد تركوا الحراب والقسي واعتاضوا عنها الاسلحة النارية .

ساكنتهم : وهم يسكنون في بيوت جديرة من الطوبى التي أو الحجر والطين ويسقفونها بخشب النخل وكانوا قديماً يضيقون أبوابها جداً ولا يعملون لها شبابيك اما الآن فقد وسعوا أبوابها وجعلوا لها الشبابيك وكل منازلهم طبقة واحدة .

طعامهم : وطعامهم الذرة يطبخونها « بالجاروش » المعروف أو المرحاكة ويخبزونها على « الدوكة » وهي شبه الصاج فيصنعون منها أقراصاً من الخبز رقيقة أو سميكه . وعندهم من الخضر البامية واللوبياء والبصل يطبخونها بلحم البقر أو الماعز في قدور من الفخار ويحملونها في اقداح من الخشب ويأكلون بأصابعهم .

شربهم : وشربهم ماء النيل بلا تقطير فاذا قطر لا يستمدبونه . وهم مولعون بشرب البوزة ويصنعونها من الذرة والقمح ويصنعون من البلح النبيذ والعرق والدكاي المار ذكره .

أفراحهم : وهم يحبون الزواج الباكر ولا بد للشاب من رؤية الفتاة التي يروم خطبتها واسترضاء امها قبل ان يخطبها من أبيها فاذا تم الاتفاق على انصداق او المهر دعى اهل العريس والعروس أقاربهم ومن راموا حضوره من الباءة فيحضر المدعوون فرساناً ومشاة رجالاً ونساء ويزفون العريس الى بيت العروس راكباً فرساً فيسير الفرسان امامه والنساء ورائه وهن يزرقن ويفننن حتى يصل الموكب الى بيت العروس فيولم لهم اهلها وليمة ويكتبون الكتاب. ثم يأتون بالعريس الى غرفة العروس فيجد الباب مقفلاً وامامه رجل ممسك بقفله فلا يدعه يدخل حتى ينقده شيئاً من المال (قلت وقد رأيت مثل ذلك في بعض أفراح القاهرة) وعند فتح الباب يدخل العريس ورفاقه فترشهم امرأة من اهل العروسة بقرعة ماء . ويصلي العريس ركعتين ثم يتقدم الى العروس فيمس جبهتها بيده ويقبل يده ويجلس بجانبها نحو ربع ساعة . ثم تأخذ النساء العروس الى غرفة اخرى ويبعث العريس وحده الى الفجر فينزل الى النيل مصباحاً إياه ويعود ومعه غصن اخضر من الذرة أو نحوها فيدخل الى غرفة العروس ويضربها به ثم يرجع الى غرفته حيث يجتمع اليه بعض أقاربه من نساء ورجال ويستمر على ذلك سبعة أيام إلا انه بعد الليلة الثانية يستدعي بعض أقارب العروس فيأتون بها الى غرفته ليلاً ثم يرجعونها الى غرفتها حتى تلتهي السبعة أيام فيولم اهل العروس وليمة لأهل البلدة ثم يزفون العروس ويأتون بها رسمياً الى غرفة العريس وعند وصولها يناولها العريس شيئاً من الفضة او الذهب في يدها وهو مما يسمى «فتح اليد» ثم يأتون بشيء من الحب فيضعونه في كف احدهما فيضعه في كف الآخر وهكذا يتناوبان اعطائه أحدهما للآخر سبع مرات فمن حازه في يده آخر مرة رمى به وجه الآخر وهم في الغالب يعطونه العروس أولاً حتى ينتهي اخيراً الى يدها فتضرب به العريس . هذا في جهة سكوت والمحس واما في جهة حلفا فانه بمسد دخول العريس الى غرفة العروس يمكث معها نحو ثلاث ساعات ثم يذهبان مع أهلها الى النيل فيغسلان وجهيهما ثم يرش احدهما الآخر بالماء ويرجعان الى البيت .

ويبقى العريس في بيت عروسته شهراً أو أكثر حسب الاتفاق ثم يسمى في النعاب مع عروسته الى بيته . والزوجة لا تنطق باسم زوجها الى ان تموت . وهم يختنون صبيانهم الحسن الشروع في الاسلام ويحتفلون به احتفالهم بالاعراس . ويختنون بناتهم ختان فرعون وهو من أقطع العادات البربرية وسيأتي الكلام عليه .

آلاتهم الموسيقية : وأشهر آلاتهم الموسيقية :

« الراببة » وهي تشبه طنبورة السود إلا ان قنح ربابتهم مستدير الشكل وتحرك أوتارها بقدة من جلد . « والطبلة » وهي طبل صغير تضربه النساء واما الراببة فتضربها الرجال والنساء ولكن من الطبلة والراببة رقص معلوم .
ورقصهم : والرقص عندهم خاص بالنساء الفتيات فاذا برزن للرقص وقف الشبان حولهن حلقة يصفقون لهن ويضربون الارض بأرجلهم على ضرب الراببة او الطبلة واما كبارهم وشيوخهم فقد يحضرون حفلات الرقص ولكنهم لا يشاركون الشبان فيه لأن ذلك عار عندهم .

مآتمهم : ولما تم ضجة عظيمة فاذا مات احدهم دعوا اهل بلده والبلاد المجاورة لها وأقاموا المآتم بالبكاء والصراخ والرقص المهن ثم يجهزون الميت ويدفنونه ويرجعون الى منزله فيجدون النصب والبكاء ويقيمون على ذلك اربعين يوماً فيأتينهم المعزون من جهات بعيدة فمنهم من يعود في الحال ومنهم من يقيم يوماً او اكثر بحسب درجة القرابة ويقوم اهل بلدة الميت بتقديم الطعام للمعزين حتى ينتهي المآتم ويحد أقارب الميت سنة يمتنعون فيها عن الافراح والتطيب ولبس فاخر الثياب والحلي .

سلامتهم : وأما سلامهم فالرجال يتعانقون ثم يتصافحون والنساء يتصافحن بالوجه ثم باليد وأما سلام النساء على الرجال قبل المصافحة باليد واذا سلمت المرأة على قريب لها دون البلوغ قبلته في جيبته .

خرافاتهم : واما خرافاتهم فكثيرة لا طائل تحتها وعندهم السحرة والسحرة والسحرة .

الفصل الرابع

في

أخلاق البجة وعاداتهم وخرافاتهم

أخلاقهم : اما البجة فلونهم بشي قاتم ويشبهون بدو العرب جداً في الملامح والاخلاق إلا أنهم أشكس اخلاقاً وأفظ طبعاً وهم في قتال دائم بعضهم مع بعض ومع العرب المجاورين لهم بل المرأة في خصام مستمر مع رجلها وجاراتها. ولكن روى العارفون عنهم أخباراً تدل على كرم الاخلاق وطيب النفس منها : ان رجلاً من الهدندوة من بدنة الباشكاب يدعى محمداً عبد الله جاء الى بدنة القلابيب الهدندوة يسألهم الصفع عن قتيل قتله أهله من رجالها فطمعنه واحد منهم بحربة في جنبه ليمنعه التوسط في الصلح فلم يلتفت الى الطاعن بل لم يزل يرجو العفو والكف عن طلب الثأر والدم يسيل من جنبه فلما رأى القلابيب انه صابر على الضيم الى هذا الحد حباً بمحقن الدماء تنازلوا عن ثأرهم إكراماً له وأحلوه عندهم اياماً على الرحب والسعة . وأمثال ذلك كثيرة .

وكلمهم بادية لا حضر فيهم لكن بعضهم يخالطون الحضر فيأتون سواكن ومصوع وكسلا وبربر بالبقر والغنم والإبل والسمن واللبن والجلود والدوم

والسنا ويعودون بالذرة والدمور والديبلان والأنسجة المصرية والهندية للبسم
ولبس نسائهم .

ملابسهم : ولبسهم شقة من الدمور او الديبلان يرتدون بها بلا سراويل
وم أرشق من العرب في لبسها واكثر تشميراً والذين لم يزالوا على الحال
القطرية يلبسون الفراء في أصلاهم ويمشون حفاة او يلبسون نعلاً وكلهم عراة
الرأس ولكنهم يتركون « كشة » في أعلاه على هيئة الطاقية ويدهنونها بالشحم
او زيت الخروع ويمشطونها بمسواك من السن او الخشب فاذا فرغوا من التمشيط
غرزوه في الكشة . وكلهم يرخون لحام وبعضهم لا سيما البشارين يخلقون
عوارضهم وعشانينهم . وهم يتختمون بخواتم من الفضة او الذهب بفصوص من
« حجارة الدم » او العقيق او الفيروز . ونسأؤهم يلبسون الشقة وحدها او
مع « القرباب » او يلبسون الفراء في اصلاهم . ويمجدلن شعورهم جداول
دقيقة جداً ويرخينها على الصدغين والعنق ويتحلين بالأخزمة والأسورة
والحجول والخلخال والعقود والأقراس من الفضة والذهب كسائر نساء السودان.

مسلحهم : ولا يخرج الواحد منهم إلا وفي يده قطعة او اكثر من السلاح.
وسلاحهم الحراب والسيوف المستقيمة والسكاكين المنجلية ذات الحدين والدرق
المستديرة . وسلاح فارسهم السيف يعلقه في مقدم السرج ويحمله تحت فخذ
اليسرى . وسلاح راجلهم الحربة والسيف والدركة والسكين يعلقها في وسطه
يسير من جلد .

مساكنهم : وهم يكتنون خياماً يصنعونها من البروش (الحصر) على
هيئة ظهر الثور والبروش تصنعها نسأؤهم من سعف الدوم الكثير جداً في
بلادهم . وهم يقتنون الأسرة وهي شعب قصيرة تفرز في الارض على شكل
مربع مستطيل وتوصل بقضبان دقيقة متقاربة وتفرش بحصر غليظة من ورق
الدوم وتستعمل للجلوس والنسائم . وهم يقسمون خيامهم قسمين يسكنون
من الصوف تنسجها نسأؤهم على مثال نسج الحصر في مصر فيضعون السرير

في قسم منها ويعملونه خبَاء . ويعملون القسم الثاني لاستقبال الضيوف وجلبهم
الرجاليين .

طعامهم : وطعامهم الذرة يطحنونها بالمرحاة ويعجنونها بها ويصنعون منها
عصيدة بقدر من الفخار فيأكلونها باللبن الحليب أو الرائب ويأكلون اللحم
مسلوقاً أو مشوياً والدوم طرياً أو ناشفاً مذوقاً وه . لذا جل طعامهم وأما
مشايخهم الذين يخاطون الحضر فيصنعون أطعمة كأطعمة الحضر

شرايهم : وشرايهم ماء الآبار أو الخيران . والبوزة يصنعونها من الذرة .
والدخان يشربونه في غلايين صغيرة من الطين وهم يتكلمون ويمصقون والغلايين
في أفواههم .

أفراحهم : وعادة البجة كمادة بعض السود في ان العريس يسكن مع اهل
عروسه حتى تلد فيأتي بها الى أهله . ومن عاداتهم ان يخص أبو العريس ابنه
بشيء من ماله فيخص أبو العروس بثلثه على الأقل . والمرأة تلسج الحصر
وتحوك شملات الصوف وترعى الابل ولكن يعاب عليها غسل الثياب ولا سيما
ثياب زوجها فالزوج يفضل ثيابه وثياب زوجته او يستأجر من يغسلها له .
وهم انما يقيمون النساء إحياناً على رعاية الابل قصد حمايتها لأن الفزاة لا
يهاجمونها ما دامت في عهدة النساء خوفاً من التعيير .

آلاتهم الموسيقية : ولكل قبيلة منهم نقارة تضرب في الأفراح والمآتم كما
تضرب في وقت الحرب وليس عندهم من الآلات الموسيقية إلا « الرابابة »
ولكن لكل قبيلة نغمة خاصة توقعها عليها وتتحمس لها وعندهم الشعراء
ينظمون لهم القصائد في مدح النساء والرجال فيغنونها على الرابابة أو على
ظهور الابل .

مآتمهم : ومآتمهم جلبة عظيمة إلا ان رجالهم لا يستسلمون للمواطف
استسلام النساء بل يضع الرجل طرف ثوبه في فيه ويعدّد الميت بما ترجمته :

واخلاي ، واتمي بمدك ، وواحدتي ، واخلو ظهري ، الليلة يا ضوبيتي ، الليلة
يا جلي ، الليلة يا ذخرينا يا خريفتنا يا ظلنا يا حبيب قسانا ونحو ذلك . وما تمهم
تدوم من ٣ : ٤٠ يوماً وحدادهم سنة كاملة يتمتعون فيها عن التطيب ولبس الحلي .
سلامهم : وسلامهم المصافحة باليد . « وخرافاتهم » شق .

الفصل الخامس

في

أخلاق عرب السودان وعاداتهم وخرافاتهم

أوصافهم الخلقية : لعرب السودان الأوصاف الخلقية المشهورة للعرب في كل زمان ومكان إلا أنهم أشدّ سمرة وأقسى شعراً من عرب الشام ومصر لشدة حرارة بلادهم وكثرة تسريهم من النوبة والسود. وأما نساؤهم فيغلب فيهنّ اللون القمحي أو اللون الضارب إلى الصفرة كلون شمال الملكة « آمن ريتس » الاثيوبي في متحف الآثار المصرية بالجيزة .

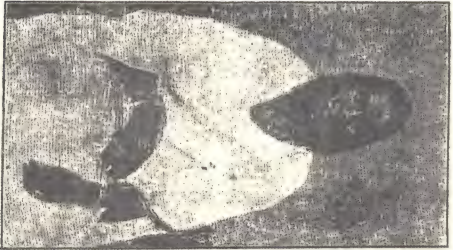
التشليخ : ثم إن الشايقية والجميلين والعابدلاب من حضرة العرب يشلخون وجوههم بقصد الزينة ولكل قبيلة منهم شلوخ معلومة فللشايقية ثلاثة شلوخ أفقية على كل خد وللجميلين ثلاثة شلوخ عمودية على كل خد وللعابدلاب على كل خد ثلاثة شلوخ عمودية تحبها شلخ أفقي يسمى بالعارض . ومن كان وجهه عريضاً جعلوا له على كل خد أربعة شلوخ بدل الثلاثة والمرأة التي لا يمش لها أولاد تشلخ وجناتهن أيضاً شلوخاً دقيقة كرجل الطير . ومن القبائل التي تتبع هذه العادة فتقلد بها القبائل الثلاث المذكورة : النوبة البرابرة وأهل بربر من الحضرة والشكرية والضبانية والكبابيش من البادية . أما زمن التشليخ

فهو زمن الطفولية للذكور والإناث غير ان الذكور قد لا تشلخ وجوهمهم واما الإناث فلا بد من تشلخ وجوهمهن إذ الشلخ في الوجه والوشم في الفم معدودان عندهم من الجمال .

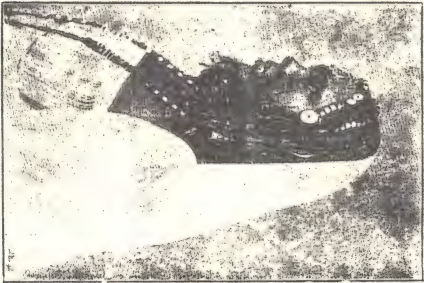
« فالشاب الجميل » في عرفهم هو من كان مربوع القامة قمحي اللون واسع الصدر مجدول الخصر والذراعين طويل العنق منخفض الكتفين مشلخ الحدين صقيل الأنف أفلج الشايبا أدعج العينين مفتوح الحاجبين باسم الثغر نير الوجه شريف الخصال .

« والمرأة الجميلة » هي من كانت مربوعة القامة مع الميل الى الطول صفراء اللون طويلة الشعر غزيرة واسعة الجبين زجاء الحاجبين دعجاء العينين سادة الأهداب قنياء الأنف مع الميل الى التحدب لا كبيرة الفم ولا صغيرته عريضة الشفة السفلى موشومتها وموشومة اللثة مقلجة الاسنان بيضاءها مشلخة الحدين محفوفة الذقن طويلة العنق منخفضة الكتفين واسعة الصدر ناهدة الثديين رقيقة الخصر قصيرة الظهر مجدولة الساعد والساق رقيقة الاصابع بارزة الردفين مجموعتها صغيرة القدم رشيقة الحركة لينة الأعطاف اذا رقصت انثنت الى الوراء حتى يصل رأسها الى قدميها واذا مشت تمايلت كالغصن اذ حره السم خفيفة الروح باسمه الثغر طلقة الهيا مصونة الحجاب جميلة الحركة أقبلت أو أدبرت .

وأجل نساء السودان نساء الجزيرة روى لي بعض الأدباء ان فقيها من اهل كردوفان يسمى عبد العزيز سمع بكرم الزبير في بحر الغزال فقصده يريد منه نوالاً فأمر له الزبير بجمارية فلم تعجبه وقال « اني قصدتك لجارية عنقها طويل وردفها ثقيل وشعرها غزير وبطنها ضمير وسننها كالجير وعينها ككتب الغدير اذا مشت كأنها امير واذا وقفت تعجب هذا الفقير » وأشار الى نفسه . فقال له الزبير « عليّ الطلاق ان هذه الصفات لا توجد حتى في بنات الجزيرة » ثم نادى احد غلمانه وقال ائتوه بزيوتونة فأثوه بها وكانت جمالية فأعجبته فقال : « قبلت زيتونة الصادقة المأمونة اللهم اجعلها كزليخة الفتونة » فقال



حلي السودان



جمال السودان

الزبير أخذها وخذ الأولى جارية لها فازداد عبد العزيز طمعاً بكرم الزبير وكان بيده ركوة (ابريق ماء من جلد) فقال وهذه الركوة من يحملها لي فدعا الزبير احد عبيده وقال احمل هذه الركوة لسيدك فحملها وذهب الفقيه بالثلاثة شاكرًا مسروراً .

اخلاقهم : اما اخلاق عرب السودان فهي ايضا الاخلاق المشهورة للعرب في كل زمان ومكان وهي حب الضيافة والكرم والمروءة والشهامة وحب الغزو والنجدة والأخذ بالثأر ومراعاة الجار واحترام العرض والافتخار بالنسب ولكنهم اكتسبوا من جيرانهم السود العناد واحتقار الموت والصبر على مضض الأيام مع شيء من بلادة الطبع .

ومن غريب اخلاقهم : انه اذا أتى الجذب واشتد الجوع اغلق الواحد منهم بابه على نفسه وأولاده وانتظر الموت جوعاً ولم يسأل احداً خوفاً من التعبير بذل السؤال . والمريض منها اشتد ألمه لا ينطق بكلمة تدل على تأله . وكذلك المضروب لا يبدي أقل توجع منها اشتد عليه الضرب . والمسوق الى القتل لا يبدي أقل جزع او خوف . واذا أظهر المريض اقل تألم أو المضروب اقل توجع او المسوق الى القتل اقل جزع او خوف عيروه وعيروا أولاده من بعده الى منتهى الذرية . ومن هذا القبيل انه اذا كان احدهم سائراً في الطريق وحدثت خلفه غوغاء فلا يلتفت برأسه الى الوراء كمن 'ذعر ليرى ما الخبر بل يتحول بجميع جسمه دفعة واحدة واذا تعرض له كلب فنهشه من الوراء فلا يرده عن نفسه بل يصبر على نهشه حتى تراه المارة فترده عنه .

ومن أكبر العيوب عندهم الفرار من القتل فاذا ارتكب احدهم جناية تستوجب القتل وقف في مكانه ينتظره بالتسليم وكامل الصبر . من ذلك ما روي ان رجلاً من الضباينة يدعى عبد الرسول كان متزوجاً بامرأة يحبها جداً وهي تكره احد أخواله فأوغرت صدره عليه فأخذ خنجره وقصد خاله فوجده يحلب بقرته فشرع في طمئه بالخنجر حتى قتله فأمسك برجله اذ ذاك ومكث ينتظر القتل فحضر اخوة القتل وبكوه ولم يتعرضوا لابن اختهم اذ

من العار عندهم ان يثار الرجل من ابن اخته او يمسه بسوء . فلما حضرت
اختهم والدة عبد الرسول صاحت وولولت وحشت التراب على رأسها حزناً
على أخيها . ونادت بابنها قائلة ان كنت ابني . وابن ابيك فلا تعش بعد قتل خالك
فقال عبد الرسول لأخواله اقتلوني يثار أخيكم ولما أبو اخذ خنجره . وطعن به
نفسه فوق مِيتاً الى جانب خاله فهزّت امه يدها فوقه ارتياحاً وقالت حقاً
انك ابني وابن ابيك ثم حملوا القتيلين ودفنوهما في حفرة واحدة . قلت وهذا
الخلق أي عدم الفرار من القتل مروى عن الإيثيوبيين القدماء كما سيحيى في
التاريخ .

هذا ومن المعاييب عندهم الفرار من ساحة القتال جبناً . او خوفاً فاذا دخل
فارسم ساحة القتال فقتل فرسه . وانكسر قومه فهو لا يقاتل مستقلاً . كمن وقع
في قشل او دعر من الجوف بل يفترش فروته . ويجلس عليها الى ان يأتي العدو
فيقتله او يأمره وهذا الخلق انما نراه في عرب النيل وشرق السودان وأمثله في
التاريخ كثيرة اما عرب غربي السودان فقازسم . يقاتل حتى يقتل او يفر .

ومما هو مشهور من اخلاقهم فيدل على النجدة واحترام العرض انه اذا
قصدت امرأة سيداً منهم فكشفت عن رأسها وتشفعت له بأمر وحبب عليه
قضاء ذلك الامر او بذل أقصى الجهد في قضائه مهما كلفه ذلك من المشقة والعناء .

ومما يدل على حبهم للضيافة ان لهم في كل بلدة منزلاً خاصاً بالضيوف
يسمونه « الخلوة » فاذا نزل فيها ضيوف طبخت كل ربة بيت طعاماً وأرسلته
اليهم وذهب الرجال للترحيب بهم وتناول الطعام معهم . ذلك في الجزيرة
وشرق السودان واما في غرب السودان فكل منزل معد لقبول الضيوف
وإقراهم من طعامه الخاص كثروا او قلوا .

وم يتبنون في أفراحهم على الخيل او الهجن ويرفع السيف بالأصابع
الثلاث الأولى وذلك بوضع قبضته بين السبابة والوسطى والضغط على رأسها
بالإبهام ورفع السيف أفقياً . وترى لهم في ساحة كل بلد حجراً يعزف بحجر

الصبيان يتناظر الشبان في رفعه بكلي اليدين الى الصدر او الكتف او فوق الرأس ونحو ذلك من المناظرات الرائجة في مصر والشام .

البُطْطَان : ومن أشهر عاداتهم التي اصبحت خلقاً لهم عادة « البطان » وهي من نوع الدوالو عند الافرنج فاذا تناظر شaban لسبب من الاسباب طلب احدهما الآخر للبطان فان أبى «عد» جباناً ورفضت البنات زواجه واذا رضي أخذ كل منها سوطاً وعمدا الى عنقريب (سرير) جعلوه بينها ووقف الواحد تجاه الآخر ثم خلع كل منها ثوبه وتجرد الى وسطه واجتمع الناس للشهادة فيبدأ احدهما يجلد الآخر سوطاً على ظهره ثم يصبر فيجلده رفيقه سوطاً وهكذا يتناوبان ضرب السياط وهما لا يتحركان من مكانيهما بل لا يحركان كتفاً او جفناً الى ان يقع احدهما من شدة الضرب فيحمله أقرابه الى بيته فيزوره مصارعه ويصاغله . وهي من عوائد العامة فلا تشترك فيها الخاصة ثم هي محصورة في اولاد ابى مرخة دون غيرهم من عرب السودان ولكن تناول رقيقهم هذه العادة ففاقهم فيها . وأهم أسبابها النساء فاذا أحب شاب فتاة فزاحه آخر عليها طلبه للبطان وأخذها الغالب .

وقد يكون البطان لمجرد المباهاة بالقوة والجلد على الضرب فيدخل فيه اذ ذاك اكثر من اثنين ويكون على ضرب الدلوكة فكل من أراد البطان يأتي الى النساء اللواتي يضربن الدلوكة فيهرس سوطه فوق رؤوسهن ويقول : « ابشرن بالخير انا اخو البنات عشرة » ويقف الكل صفاً واحداً ثم يبرز احدهم فيضرب كل من في الصف سوطاً ويرمي السوط ويعود الى الصف فيبرز آخر فيتناول السوط ويفعل فعل الاول وهكذا حتى يأخذ كل منهم نصيبه ضارباً ومضروباً . واذا أعجبت فتاة بشاب من الحضور ووقع حبه في قلبها تزعت من معصمها سواراً وألبسته إياه فيأخذ الشاب اذ ذاك سوطه ويهرسه فوق رأسها ويقول : « ابشري بالخير انا اخو البنات عشرة » فاذا كان له بين الحضور مناظر في حب الفتاة ورأى سوارها في يده انبرى له وطلب مبارزته فيقف له حامل السوار واضعاً يده اليمنى فوق رأسه فيجلده بسوطه الى ان يكمل

فيرمي السوط فيجلده حامل السوار في نوبته بما أعطي من القوة ويقف المضروب في حالة الضرب جامداً لا يتحرك ولا يطرف له جفن كأنه صخر أصمّ ومن بدت عليه ظواهر التألم بل من بدت منه أقل حركة كهز الكنف أو طرف الجفن لبس العار ولم يعد له من البنات نصيب .

وإذا أحب شاب فتاة ولحظ من أحد الحضور ميلا إليها تأخذه الفيرة فيستل سكينه من ذراعه ويأتي إلى حبييته ويهز السكين فوق رأسها وينادي : « ابشري بالخير أنا أخو البنات عشرة » ثم يشرع في تشريط ساعده وصدره إلى أن يقطع رأسها ويثايبها بالدم فيأتي أحد الحضور وينعه من ذلك ويأخذ النساء من دمه فيلطخن به جبين حبييته وهي تتأيل تيهاً ودلاً معجبة باستهلاك حبيبتها في حبها فتصدقها الحب ولا تعود تلتفت إلى أحد سواء . وقد رأيت الكثيرين من الشبان مجرحي السواعد والصدور بسبب هذا الحب البربري . قيل وعشاق البادية لا يأكلون لحم الغزلان لأنهم يشبهون حبيباتهم بها فلا يطبقون ذبحها أو تعذيبها وإذا رأوا غزالة في يد صياد افتدوها بالمال وأطلقوا سراحها . وفارسهم يتكفى بامم حبييته ويتباهى بحبها وعند اللقاء في الحرب يقتحم غمرات الموت يحواده وسيفه مسلول في يده وهو ينادي : « لعينتي فلانة » على ما هو مشهور عند أهل بادية الشام .

وعرب السودان شجعان في الحرب أشداء لا يهابون الموت ولكن شجاعتهم مهيبة قل فيها التدبر والحكمة كأسلافهم الاثيوبيين . ومن جملة أغانيهم التي تدل على شجاعتهم واحتقارهم الموت :

غني : شكره يا جدي بوحات بلال ود علي اسد الحلا القنات
وقت الموت يحىء الفوق السرير موات مرحوم اليموت فوق كوكب الدركات
ومن قول بعض نهبائهم :

واشه انت شردتوا يا رفاقنا ادونا الدرق وهام زهاطتنا

هذه هي أشهر اخلاق العرب في السودان وقد أثرت فيها المظالم التي قاسوها في زمن المهدي وقبله فتخلق الكثير منهم بالمركر والخداع والتمليق والكذب

والنميمة والفدر والخيانة والانشقاق وغيرها من الصفات المشينة التي لا بد من تركها الآن في حكم العذالة والشرع . هذا والعرب والسود متضادان في الطباع لا يمتزجان كالحل والزيت . وقد اشتهر عن العرب الخلل احتقار الصناعة والزراعة وعن السود عدم العمل إلا عند الاضطرار وعن الخلاسين المولدين بينها الكسل وكره العمل .

ملابسهم : وهم يلبسون سراويل ضيقة ويشتملون فوقه بثوب من الدمور او الدبلان اشتال الصماء او يلبسون قميصاً طويل الأكمام يعرف بالعري . وفي الافراح والأعياد يلبس كبارهم القفاطين والجلب كأهل مصر . وهم يحلقون شعور رؤوسهم ويدورون لحاهم ويحففون شعور عوارضهم ويتعممون بعمامة بيضاء فوق طاقية من الدبلان او يلبسون الطاقية بلا عمامة وأما كبارهم فيلقون العمامة على طربوش مغربي او مكاوية . ويلبسون احذية من جلد أسود او احمر على قالب خاص شبيه بالقالب المصري كما مر . ويتختمون بخواتم من الفضة او الذهب بفصوص من العقيق او الفيروز . او « حجر الدم » ويفضلون العقيق على الفيروز لأنهم يعتقدون انه يقطع الرعاف ولبسهم للذهب نادر . وقلما يخرج الواحد منهم إلا وفي يده عصاً وسكين وأشهر عصيم عصي قصيرة دقيقة معقوفة كالصولجان تؤخذ من السلم او البشم او غيرها كما مر . وقد تشعب من طرفها المستقيم وتعلقت باليد اليمنى . وأما سكاكينهم فهي قصيرة مستقيمة ذات حدين تعلقت في الساعد يسير من الجلد .

هذا لبس الحضر واما اهل البادية فبادية الشرق عموماً يلبسون الثوب بسراويل من تحتة أو بلا سراويل وهو الاغلب ويلبسون نعلاً في أرجلهم أو يشون حفاة عراة الرأس ولا يحلقون شعور رؤوسهم بل يحدلون بها صفائر ثخينة ويرمونها الى الوراء ويتركون شعر الناصية منقوشاً كاللثة فيغرزون فيها عوداً من العاج او الخشب لأجل مشطها وحك الرأس . ويدهنون شعور رؤوسهم بالشحم والزيت ويحملون العصي في أيديهم والسكاكين في أوساطهم وسكاكينهم معقوفة من وسطها كالنجل . وأما بادية الغرب فالبقارة يلبسون أقمصاً واسعة

الأكمام جداً مقفلة الصدر بلا سراويلات ويتحزمون بسيور من جلد ويمشون حفاة عراة الرأس او يلبسون نعالاً في أرجلهم ويحدلون شعور رؤوسهم صفائر كصفائر النساء إلا انها أنخن ولا يتركون كشة كبادية الشرق لكنهم يدهنون شعور رؤوسهم بالشحم والزيت مثلهم . ولا يخرج الواحد منهم إلا وفي يده حربة كبيرة تسمى كبساً أو أم كرشة يلقيها على كتفه وقد يحمل معها بعض الحراب الصغيرة المعروفة « بالطبايق » يضعها في كيس من جلد يسمى « بالتركاش » ويملقها في كتفه . وأما الأبتالة فيلبسون الثوب بسراويل أو بلا سراويل ويلبس مشائخهم القمصان الواسعة إلا ان قصانهم أقل اتساعاً من قصان البقارة وأنظف . وهم يحدلون شعور رؤوسهم صغيرتين فقط ولا يتركون لها كشة في الناصية . أما مشائخ البادية الذين يخاطون الحضر في الشرق والغرب فانهم يخلقون شعور رؤوسهم ويلبسون القفاطين والجيب والعائم ويتختمون بخواتم من الفضة بفصوص من العقيق أو الفيروز أو «حجر الدم» .

هذا لبس الرجال وأما الأطفال ذكوراً وأثناً فانهم يبقون عرايا لا يسترهم شيء الى نحو سن الحمة فتستر البنات اذ ذاك نفساً « بالرهط » . وهو سير من جلد يعقد حول الحضر تتدلى منه قدد دقيقة الى ما فوق الركبتين . وقد تلبس فوقه « شقة » من الدمور أو تبقى عارية لا يسترها إلا الرهط الى ان تزوج فتخلعه وتلبس بدلاً منه فوطه كفوطه الحمام تعرف « بالقراب » وفوقها شقة اكبر منها قليلاً بجواش من حرير تعرف « بالقرن » وفوقها « ثوب » من الدمور أو الديلان او الشاش تشتمل به اشتال الصاء وتستتر رأسها حتى لا يظهر منها الا عيناها . والمقتدرات منهن يلبسن فوق الثوب « فركة » او « برصة » من الحرير الملون .

ونساء العزب من حضر وبادية يصفرون الشعر صفائر دقيقة ترخى على الصدغين والعنق كسائر نساء السودان ولكن للفتيات المتبرجات . من نساء الحضر عادة في لبس الشعر تعرف « بالرشة » . وذلك بأن يرسلن أطراف الصفائر ويدهنها بالصمغ والشحم ويتركنها الى ان تجف فتقف حول رؤوسهن

« كاللثة »، وهنَّ يمدنَّ لبسها في كل شهر . والنساء القصيرات الشعر يلبسن شعراً مستعاراً من شعر الماعز أو غيره .

وتلبس النساء الاخذية والنعال كالرجال الا ان نعال النساء أدق وأجل ومنها نعال تسمى بالمدنس أو المحبوكة وقد سميت بالمدنس لأنها تضبغ بقشره وهي عبارة عن سبع نعال مطرزة الحواشي مرصوفة بعضها فوق بعض ولها سيور من جلد منقوشة نقشاً جيلاً تشدها بها .

وأشهر حلى النساء : الخواتم والأساور والحجول والعقود والأقراص والخزائن والمصائب والأقراط من الذهب والفضة والخرز . اما خواتمن فأكثرها من الذهب أو الفضة بحبوب عدسية أو غروطية وأما أساورهن فمن الفضة أو العاج أو المرجان أو السوميت والأساور الفضية أو العاجية عريضة جداً وعليها نقوش بسيطة ولبعض الفضية منها حبوب غروطية الشكل تزيد في ضخامتها . واما حجولهن فأكثرها من المرجان أو الفضة اما الفضية فضخمة للغاية وهي إما مجوفة توضع فيها الحصى ليسمع لها رنين عند المشي أو مصمتة وقد يبلغ وزن الواحدة منها نحو ٢٠ ريال فضة أو أكثر . وزين أساورهن وحجولهن كزينة الأساور والحجول في تمثل الملكة « آمن ريتس » الاثيوبية في متحف الآثار المصرية بالجيزة بل هنَّ في لبس الشعر بزى الرشة ولبس الحجول والأساور ونعال المدنس على ما تقدم وصفها يمثلن لبس نساء المصريين القدماء قلم التمثيل . واما عقودهن فمن الذهب وحده تصاع من قطع مربعة صغيرة أو من السوميت والذهب أو من الخرز الملون أو اليسر أو المرجان . وأقراصهن طاسات صغيرة من الذهب تلبس في قمة الرأس وتتدلى منها خيوط ذهبية على الصدغين . وخزائهن حلقات كبيرة من الذهب يلبسها في الخنابة اليمنى وقد يحملن لها أزمة من الذهب تشدها إلى الأذن لرفع ثقل الخزامة عن الأنف . واما عصائبهن وهي حلى الجباه فأشهرها نوعان : الشريف والارملي . اما الشريف فهو عبارة عن ست قطع مستديرة محببة من الذهب الواحدة منها في حجم الجنيه الافرنجي منظومة في سلك وفي وسطها « ودعة » من الذهب

هيئة رجل الطائر تتدلّى بين الحاجبين . واما الارملي فهو سلسلة من خيوط ذهبية في وسطها قطعة محببة من الذهب كالتى في الشريفي . واما أقراطهن فمن الذهب والفضة ومنها نوع يعرف بالسكسي مؤلف من حلقة كبيرة وأربع حلقات صغيرة .

ومن حلّى النساء : « الحقو » وهو سير دقيق من جلد منظوم فيه خرز من الكهرياء والعقيق الاحمر والسوميت يلبس تحت القرباب حول الحقوين وفي كل حقو كرتان مجوفتان من الفضة او الذهب توضع فيها حصى صغيرة لسمع لها رنين عند الحركة وهو الغرض الاول من لبس الحقو الذي لا بد منه لكل امرأة متمتعة « والحجاب » وهو عود مجوف من العُشر يوضع فيه حجاب ويُشدّ من طرفيه سير من جلد ويعلق في الرقبة فيتدلّى الى ما فوق الركبتين . ونساء الخاصة يحلبنه بالذهب والفضة ويحملن له سلسلة من فضة فيسمى إذ ذاك بالحجاب الهيكلي . والغرض الاصلي منه منع الثوب من الالتصاق بالجسم اذا هبّت الريح . واما تعليق الأحجبة فيه فللتبرك ودرء العين . ونساء الجزيرة يستغنين عن عود العشر فيعلقن في رقابهن مجموعة من الأحجبة شبه العنقود تسمى الرميحة تتدلّى الى ما فوق الركبتين . هذا ويحظر على البنات لبس الاخزمة ووشم الشفاه حتى يتزوّجن .

الروائح العطرية : وعرب السودان عموماً نساء ورجالا حضراً وبادية يدهنون رؤوسهم وأجسادهم بالشحم والسيرج لتخفيف وطأة الحرّ ويتطيبون بالروائح العطرية وأشهر هذه الروائح عندهم : المسك والزباد والجلاد والهلل والظفر والسنبل والقرنفل والصندل . وأحب المركبات العطرية اليهم مركب سائل يسمى الخُمرة مؤلف من مقادير معينة من المسك والجلاد والزباد والقرنفل تذاب بماء خشب الصندل وتخمر وتحفظ في أحقاق هندية محكمة النطاء . أما الصابون فقلّ من يستعمله ولا سيما من أهل البادية فان أهل البادية الشرقية يغسلون ثيابهم ببول البقر وأهل البادية الغربية يغسلونها بقر

الاهليلج .

الدلكة : ومن أشهر عاداتهم « الدلكة » وهي بمثابة الدلك في الحمامات التركية فهم يأخذون شيئاً من عجينة الذرة فيدوفونه بالماء حتى يصير كالصعيدة ويحمدونه قليلاً يوضعه على الدوكة فوق النار ثم يجعلونه في قدر ويوقدون ناراً من خشب الطلح والشاف والكليت في قدر آخر ويكفأون القدر التي فيها العصيدة على القدر الموقدة فيها النار حتى تجف العصيدة وتتدخن برائحة الأخشاب المذكورة فيعجنونها بمعجون الدلكة ثم يقرصونها كتلاً ويدلكون بها . أما معجون الدلكة فتؤلف من دقيق القرنفل والمخلب وخشب الصندل والظفر ويعرف بالمربع ويضيفون اليه اللبان أو السبل فيسمى بالخموس . ويضيف الخاصة اليه الجلاذ والزباد والمسك ويعرف بمعجون الخاصة . وهم يدلكون أجسادهم في كل صبح ومساء قبل النوم وبعده ثم يتطيبون « بالخمرة » .

وذكر بعض الأطباء عدة فوائد صحية للدلكة منها انها تقوي الأعصاب وتقلل الإفراز الجلدي وتزيل شعر الجسم وتكسبه ملامسة وبالنتيجة ترطبه وتخفف حرارته لأن الأجسام السوداء شديدة القابلية لامتصاص الحرارة فتقى ملست عكست أشعة الشمس وقلت قابليتها لامتصاص الحرارة .

ومن قبيل الدلكة « التعصير » وهو غرز الجسم باليدن بلا ذلك فهو مختصر الدلكة . أما عمل الدلك والتعصير للنساء والرجال فنمط بالجواري .

التدخين : وما اختص بالنساء دون الرجال « التدخين » وهو بمثابة الحمام لمن وهذا الحمام عبارة عن غرفة كثيرة النوافذ في وسطها حفرة صغيرة والى احد جوانبها دكة عالية فاذا أرادت المرأة التدخين أوقدت في الحفرة ناراً من خشب الطلح أو الشاف أو الكليت أو غيره من الأخشاب الطيبة الرائحة وسدت نوافذ الغرفة إلا نافذة واحدة لخروج الدخان ثم تتجرد من ثيابها وتمسح جسمها بالسرج وتشتمل بشملة من الصوف وتجلس على حافة الحفرة ورجلاها ممدودتان على عود فوق الحفرة وتبقى على ذلك الى ان تطفئ النار فيحمى جسمها ويتحلب العرق منه صيباً فتقوم وهي لا تزال مشتملة بشملتها

فتستلقي على الدكة وتفتح النوافذ واحدة بعد الاخرى حتى يخرج الدخان ويحرق العرق تدريجياً فتأتي احدى الجوارى وتدلّكها وتطيبها بالخرقة . ومن خصائص التدخين انه يكسب المتدخنة لوناً اصفر ورائحة عطرية مستحبين جداً عند عرب السودان وهو نافع بنوع خاص لمرض المفاصل والأمراض العصبية .

سلاحهم : وسلاحهم السيوف والحراب والفؤوس والدرق وبعض أنواع الأسلحة النارية . أما سيوفهم فمستقيمة ذات حدين وكلها جلب من الخارج وعلى بعضها أبيات من الشعر أكثرها من البردة . وقد ظفرت في واقعة أم درمان بسيفين جيليين مكتوب على احدهما البيت الآتي :

وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطمـ

وعلى الآخر هذان البيتان :

طارت قلوب العدا من بأسهم فرقا فما تفرق بين الهبم والبهم
ومن تك' برسول الله نصرته ان تلقه الأسد في آجامها تجمـ

أما تاريخ السيف الاول فهو سنة ١٣٠٣هـ . وعليه اسم احد حسين الفيل وأما تاريخ الثاني فظاهر الكتابة يدل على انه سنة ١٢٣هـ ولكن الأرجح انه سنة ١٢٠٣هـ على ان في السودان سيوفاً كثيرة يدعي أصحابها انها من أيام الصحابة او أقدم ومنها سيف للملك آدم احد ملوك جبال تقلي الأقدمين ادعى انه سيف الزبير بن العوام . وعند أولاد حمور من أهالي دنقلة المعجوز سيف ادعوا انه من زمن المسيح . وقد رأيت بين غنائم الجيش في فرقة سنة ١٨٩٧ سيفاً مكتوباً عليه هذان البيتان :

دهر ذم الحالتين فما به حر' سوى هذا ابن بادي محمد
دفع الخطوب عن الأنام بعزمه ورعى العباد بمقلة لا ترقد'

وتاريخه سنة ١٢٠٥هـ واما بادي المذكور فهو احد ملوك سنار الأقدمين الذي ملك في سنة ١٢٠٥هـ كما سيجيء .

اما « حراهم » فهي عصي طويلة من خشب القنا او السلم او الاندراپ او البشم ذات نصال حادة تصنع في جميع البنادر على اشكال شتى يجمعها شكلان المسطح البيضوي والمستدير المسنن ومنها الكبير ويسمى الكبس والصغير ويسمى الطباثق وهي تحمل في جمعة تسمى التراکش وكلها من سلاح البادية .

« ودرقم » إما مستديرة وتستعمل في السودان الشرقي او بيضوية وتستعمل في السودان الغربي وهي تصنع من جلد فرس البحر او جلد الفيل او الزراف او الجاموس البري .

وأما « الاسلحة النارية » فلم يكن منها في السودان قبل الفتح المصري الا القليل وأكثره من الطرز القديم « بزناد وشطفة » المعروف بالارشليك . وبعد الفتح المصري اقتنى العرب البنادق « البيادة » من طرز بنادق ابرهم باشا . والبنادق « الحشخان » الكبيرة التي عرفت عندهم برفع مدفع وقد استخدموها لصيد الافعال . وفي الثورة المهدية وقع في يدهم كثير من المدافع والسواربخ والبنادق الرمنتون وبعض بنادق مرتين ولكن الحكومة الجديدة استرجعتها منهم .

اما « القسي والنبال » فلا يستعملها العرب لكنهم يصنعونها في بنادرم للتجار بها فيصنعون القسي من خشب الزان او الحديد المرن والنبال من أغصان السلم او البشم لصلابتها ومرونتها ويعملون لها نصالاً يسمونها بعصير بعض النباتات السامة المار ذكرها .

وهم في الحرب يركبون الخيل والهجن بسروج تختلف عن سروج الخيل والهجن في مصر والشام وسياحي وصفها . وسلاح هجائهم السيف يعلقه في مقدم السرج عن الشمال والدرقة عن اليمين . وسلاح فارسهم السيف يعلقه في مقدم السرج عن الشمال والفرار عن اليمين والكبس يلقيه على كتفه والطباثق في التراکش يعلقها في مؤخر السرج ويلبس درعاً او قيصاً من الزرد المنضد فوق أثوابه وفوقه « شاية » اي « مضربية » محشوة قطناً وخوذة من الحديد على رأسه لها « تلي » اي عذبة من الزواء تستر العنق « وسن » من الامام

يقي الوجه . وجريدتين (قفازين) من الجلد والزرذ يلبسها بيديه ويلبس فرسه اللبوس وهو مضرية عشوة قطعاً تستره من رأسه الى ركبته حتى لا يظهر من وجهه الا عيناه ومن قوائمه الا ما بين الركب والحوافر . وسلاح راجلهم السيف والدرقة في الحضر والحراب والدرقة في البادية .

مساكنهم : وأكثر أبنية الحضر بالطوب التي او بالطين المعروف عندهم بالخالوس وقل من يبني بالطوب المحرق وغالب بيوتهم مربعة الشكل مسطحة السقف يسقفونها بخشب النخل او الدوم او السنط او الطرقا او الصباغ ويحعلون فوقها شبكة من حبال الشعر او الحبال المصنوعة من دقيق الدوم مصبوغة اسود ثم يغطونها بالبروش ويضعون فوقها « المطارق » اي العصي والبييس ثم الطين المصنوع من الزيل والتراب على نسبة الثلثين من الزيل والثلث من التراب يوضع فيه الماء عدة ايام حتى يخمر فيطينون به السقف والجدران الاربعة لمنع الوكف ووقايته من الامطار . وفي دنقلة حيث يقل وقوع المطر لا يطينون السقف ولا الجدران ولكنهم يرفعون السقف برمتها على حجارة نحو شبر لوقايتها من الار . وكلهم يطينون أراضي منازلهم بالطين والرمل او لا يطينونها ويبيضون جدرانها او لا يبيضونها وهو الغالب . وجميع منازلهم سفلية فلا يبنون دوراً عالية ولا مآذن لجوامعهم الا في النادر ولا يتخذون كنفاً الا في المدن الكبيرة . ولكنهم يحيطون بيوتهم في الغالب بمحدار من شوك فيسمونه زربية او من خوص فيسمونه صريفاً او من طين او طوب في فيسمونه حوشاً والحوش لا يكون الا مربعاً او مربعاً مستطيلاً . فاذا أراد أحدهم من ذوي اليسار ان يبني منزلاً تاماً لنفسه يعمد الى قطعة مربعة من الارض فيحيطها بحوش علوه نحو قامة ويحعل له باباً واحداً ثم يقم في وسطه حائطاً فيجعل حوشين حوشاً للنساء وهو الحوش الداخلي وحوشاً للرجال وهو الحوش الخارجي ويفتح في الحائط باباً صغيراً يدخل منه الحوش للنساء حيث يبني منازل لسنانه وجواربه واسطبل لركائبه ومخزن للجبوب ومطبخاً وبيت خلاء ويبني عند الباب غرفة لجلوس الحشيان تسمى بالدليلز الدخلافي وغرفة

بالقرب منها لجلوسه مع نسائه . ويبني في حوش الرجال عند الباب غرفة لجلوس العميد الخدم تسمى بالدهليز البراني وفي صدر الحوش ديواناً لجلوسه مع زائريه له دكة من طين يفرشها بالبرش والسجاد وعن جانبي الديوان غرفاً يضع فيها بضائعه ان كان تاجراً ويجعل امام الديوان « راكوبة » لجلوسه مع زائريه في الصيف وعلى جوانب الحوش من داخل منازل للضيوف وبيت خلاء وعلى دائره من الخارج غرفاً لعميده . وقد يبني صفّاً من الغرف بقرب المنزل فيجعلها خلوة للضيوف . وهذا غاية ما يبلغه منزل الحضري العربي في السودان .

هذا بشأن المنازل المربعة السقوف المبنية من طوب او من حجر وطين وكلها على النيل الكبير وأما اهل النيل الأعلى ومعظم اهل السودان الشرقي والغربي فان أكثر منازلهم أكواخ : دروطية الشكل كأكواخ السود لأنها هكذا أمتن وأقدر على تحمل المطر الذي يكثر وقوعه في بلادهم وهم يصنعونها من اليبس والطين فمنها ما دائره من طين وقبته من ييبس وهو الدردر ومنها ما دائره من ييبس وقبته من ييبس وهو القبطية ومنها ما يستخدم للطبخ ويسمى طقل وقد يطلق الطقل على كل كوخ . ومن أكواخهم ما يسمى ظهر الثور أو الكرنك بينونه من اليبس والبروش على شبه ظهر الثور أو القبوة . ومنها ما يسمى الراكوبة وهي بناء مربع مستطيل من اليبس والخطب له سقف مسطح وثلاثة حيطان . أما اليبس الذي يستعملونه للبناء فهو ييبس الذرة والحريب والحلفا المتقدم ذكرها . والنال وهو شبه الحريب إلا انه أشد بياضاً ولا رائحة له . والتشام والتبس وهما يشبهان سوق القمح . والصميعة وهي تشبه الحلفا .

هذا كله في مساكن الحضر وأما اهل البادية فانهم يسكنون خياماً من الشعر والبروش أكثرها على هيئة ظهر الثور .

أثاثهم : أما أثاثهم فأشهره :

« المنكربات » مفردها عنكريب وهي اسرة من خشب مشدودة قوائمها

الاربع يسير من جلد البقر او بحبال من سعف النخل او الدوم تفرش بالسجاد أو البروش وتستعمل للجلوس والنام وقد يصنع لها كلة من نسيج الخوص لاتقاء البعوض تعرف « بالكُجرة » .

« والبنابر » مفردها بنبر وهي كراسي صغيرة واطشة تشبه الكراسي المستعملة في قهاوي مصر والشام .

« والكراسي » وهي بنابر بمسندين لليدين ومسند للظهر على نحو الكراسي الافرنجية تصنع من خشب الجوغان او السنط .

« والككر » وهو الكرسي الذي يجلس عليه ملوكهم أخذوه عن السود وهو عبارة عن قطعة من جذع شجرة متينة الخشب محفورة من أعلى ومن أسفل بحيث يكون لها مسندان لليدين من أعلى وقاعدتان من أسفل .

« والاجرية » من جلود الماعز والضأن والابقار والغزلان تحفظ فيها الحبوب ولا سيا في الاسفار ويعرف الجراب الصغير بالقفل ويستعمل للثياب والدرام .

« والقرب » من جلود الماعز تستعمل لنقل الماء كما في مصر . وقد تصنع من جلود البقر وتعرف بالسقا او الراوية اما القرية الصغيرة فتعرف بالسعن .

« والرحاية » وهي رحي اليد ولكنها قلما تستعمل في غير بلاد دنقله .

« والمرحاة » وهي آلة للطحن خاصة بالسودان وقد تقدمت الاشارة اليها وهي سحجر اسود مسطح طوله نحو ذراع وعرضه نصف ذلك ومعه حجران بيضاويا الشكل يقال للواحد الجراش وللآخر الرداد طول الواحد منها نحو شبر اما الرداد فتخنه بشخن الساعد والجراش أثخن منه قليلا . واما كيفية الطحن بها فهي ان يوضع الحجر الكبير على سطح مائل وفي اسفله قدح فتركب الجارية عند طرفه الأعلى وعن يمينها الحب المراد طحنه وفي يدها الجراش فتأخذ من الحب شيئا فشيئا وتلقيه على الحجر الكبير وتسحقه بالجراش صعدا وتزلا فيسقط في القدح دقيقا فتبله بالماء وتعود فتطحنه بالرداد الى ان ينعم جيدا فتجعله على النار وتعمله عصيدة كما سيجيء .

« والدوكة » وهي آلة للخبز شبه الصاج تصنع من حجر الأحمر الكثير الوجود في السودان وهو حجر هش كالحفان يسحقونه دقيقا ثم ينعجنونه بالماء ويعملون منه أقراصا مستديرة شبه الصاج ويتركونها حتى تجف ثم يعملون في كل قرص قطعة من الدهن ويضعونه على النار نحو ساعة حتى يتشرب الدهن كله فيتركونه يبرد ثم يعيدون ذلك ثلاث مرات فيمتن الحجر ويمس ويصبح صالحا للخبز فيخبز عليه كما يخبز على الصاج .

« والاقداح » الخشبية وهي آنية للطعام والمعجن ونحوهما وقد تقدم ذكرها .

« والمكبات » وهي أغطية الاقداح تصنع من سوق القمح على شكل مخروطي وتلون وتزين بالجلود المدبوغة .

« والاطباق » تصنع من سعف الدوم ويوضع عليها الخبز وألوان الأطعمة :

« والبروش » تصنع من سعف النخل والدوم وتستعمل بدل الحصر عندنا .

« والفئدق » وهو هاون كبير من خشب بيدر من خشب تدق به الحبوب

لاخراج نخالتها . « وحجر الرائحة » أو « حجر الدلكة » وهو هاون صغير

من حجر بيدر من حجر تدق به الروائح العطرية ومركبات الدلكة . « والمدق »

وهو هاون من خشب بيدر من حجر يدق به البن .

« والجبنة » وهي ابريق من فخار تغلى به القهوة « والشرعرع » وهو

فنجان مربع من خشب يرافق الجبنة له يد يمسك بها وهم تصب منه القهوة .

أما قهوة الجبنة فتصنع هكذا : يحمص البن بتحريكه في قدح مع الحجر

ويُدق في هاون الى ان ينعم وفي أثناء ذلك يغلى الماء في الجبنة فيوضع البن

فيها الى ان يفور فيسكب في الشرعرع ثم يعاد إليها ويوضع على النار مع قليل

من الماء حتى يفور ثانية وهكذا على ثلاث مرات فتسكب في فناجين كبيرة

تعرف بالبیشه وهي من ألذ أنواع القهوة .

« والكبايات والفناجين » من قرن الخريت وهم يزعمون ان الفنجان المصنوع

منه كاشف للسم فاذا سكبت القهوة فيه طفى السم على وجهه .

« والقرع اليابس » تقطع القرعة فلتتين بعد قطع عنقها فتجعل كل فلتعة منها اثناء الشرب . او تترك على حالها ويثقب عنقها من أعلاه فتستعمل آنية للسمن أو اللبن وتسمى « البُخْضة » .

« والبردم » مفردا بُرمة وتشبه البلاص المصري إلا ان فيها أوسع .

« والكتوش » أو دوكة الملاح وهو قدر من فخار للطبخ وهم يستعملون أيضاً قدور النحاس المصرية .

« والجر » وهو الزير ومنه نوع كبير يخزن فيه الذرة يسمى « القوسبية » .

« وغلايين الدخان » وقد تكون كلها من حجر او تصنع رؤوسها من حجر وعيدانها من فروع بعض الشجر .

« والسروج » أي سروج الخيل والابل والمخير وهي تختلف قليلا عن السروج المصرية والشامية . أما سروج المخير فلكل منها قريوسان عريضات أو مسندان في شكل واحد يوضع على وسادة من يبيس النبال مما يلي ظهر الدابة وتشد اليه وسادة من قطن وفوقها فروة من جلد الضأن . وأما سروج الخيل فتصنع من خشب الجوغان أو الاندراپ ويجعل لها قريوس من أمام ومسند من وراء وتلبس بحلج العرد وتزين بالفضة والذهب وتجعل لها رُكْب ضيقة حتى لا يدخل فيها إلا ايهام الرجل وسبابتها . وأما سروج الابل فسروج الحمل منها كالسروج المصرية وأما سروج الركوب فيعرف واحدها بالخلوقة وله مقعد مقعر من خشب الجوغان أو الاندراپ وقريوسان في مقدم ومؤخره وله وسادتان مما يلي ظهر الحمل وفروة من جلد الضأن توصع عليه عند الركوب . أما سروج الثيران فهي عبارة عن أكياس محشوة باليبيس مصنوعة على هيئة السرج .

طعامهم : وطعامهم الذرة والدخن وقلما يأكلون الرز والقمح أما الدخن فهو طعام أهل السودان الغربي وأما الذرة فالفقرته طعام أهل الجزيرة والكرجي طعام أهل السودان الشرقي والمُتْعَد او عيش السواقي طعام أهل بربر وكل قوم

يطعمون بها ثم الحب الذي يأكلونه إلا في دنقلة فانهم يأكلون القمح ويطعمون خيلهم الشعير .

وهم يطحنون الحبوب بالمرحاة او يبلونها ويعجنونها بها ويصنعون من دقيقها « العصيدة » ومن عجيناها « اللقمة » هكذا : يغاون الماء في قدر على النار ويلقون الدقيق فيه شيئاً فشيئاً ويحركونه بمسواط حتى ينضج فيكون منه العصيدة . ويدفون العجين بالماء ويصبونه في الدوكة فوق النار ويحركونه حتى يحمى فيكون منه اللقمة . او يدقون الحبوب بالفتدق ويلقونها في الماء فتطفو النخالة ويرسب الدقيق فيعملون منه عصيدة على النار تعرف « باللقمة الجيرية » .

وهم يخزنون عجين المرحاة على الدوكة أرغفة سمكة تعرف « بالقراصة » وقد يطعمونها في الرماد بعد خبزها فتعرف « بالمطالة » . وفي الاسفار والافراح يخزنون أرغفة كبيرة يقال لها « الرضاف » : يحملون مقداراً كبيراً من الدقيق في قدح ويسكبون عليه الماء شيئاً فشيئاً وهم يدفونه بمسواط حتى « يخرج عرقه » ثم يرقدون حطباً كثيراً في بقعة رملية ويتركونه حتى يصير جراً فيفصلون بين الجمر والرماد ويضعون العجين في الوسط ثم يغطونه بالرماد ويغطون الرماد بالجرم ويتركونه قليلاً فيخرج رغيفاً نظيفاً يستمرثون أكله وهم يكبرونه او يصفرونه حسب المطلوب وقد يكفي الرغيف الواحد من الرضاف مئة نفس او اكثر . وهم يصنعون الشعيرة من عجين المرحاة فيجيدون صنعها جداً ويستعملونها بدل الرز .

واكثر أكلهم من الحضر البامية والوركة واللوبيا والبصل والملوخية ومن اللحم لحم البقر ثم لحم الإبل وأكلهم للحم الضأن قليل ومنهم من يأكل لحم المهرزة ويعتقد انه يبطل عمل السحر . وهم يشترحون اللحم شرائح طويلة رقيقة ويقعدونها ويخزنونها للطبخ ويسمون « الشرموط » . ويستخدمون للطبخ السمن والسيرج او زيت السمسم . ويأكلون اللحم نيئاً ومشوياً وأشهر ما فيه عندهم الكبدة ولا سيما كبدة الإبل . قال موسى باشا احد ولاة السودان

السابقين : « فواكه السودان ثلاث : الدلكة والمصيصة الجيرية وكبد الابل ، واشهر بهاراتهم وأشهاها اليهم « الشطة » وهي قرون صغيرة حمراء تشبه قرون الفليفلة الحمراء في اللون والطعم وتزرع في كل جهات السودان . والشيبة وهي نبات الافستين يؤتى بها من بلاد الهند والحجاز ممزوجة بورق كورك الريحان يعرف بالمرسين . ومن بهاراتهم الكون والكزبرة والشمر وهي تزرع عندهم والفلفل والقرقة والزنجبيل وجوز الطيب والحولنجان وكلها جلب من الخارج . وعندهم مركب من البهارات كثير الاستعمال يعرف بالدوا مؤلف من الشيبة والمرسين والكون والكزبرة .

واشهر انواع الادم عندهم : « ملاح الثقيلة » او « ملاح ام دقوقة » وهو طعام من لحم طري او مقدد وبامية مقددة وبصل مقليه بالسمن او السيرج . « وملاح الثرموط » وهو طعام من لحم مقدد وبامية مقددة وبصل مقليه بالدمن .

« والسلات » وهي لحمة محمرة على الدوكة بالملح والشطة والدوا على شبه الكباب المصري وهي من أشهى الأطعمة اليهم ولا سيما الى شاربى الحجر . « وطبيخ البامية او اللوبيا او البصل » وهو لحمة طرية بالبامية او اللوبيا او البصل مقليه بالسمن . ومن أدامهم اللبن حليبا او رائبا والسمن وحده او ممزوجا بالسكر .

وهم يعملون المصيصة او اللقمة او الكسرة او القراص في قذح من خشب ويسكبون فوقها نوعا من الادم ويضعون القذح على برش في الارض ويمسكون حوله القرفصاء او مربعين او على ركبة واحدة ويأكلون بالاصابع الثلاث الاولى ويدعون المارة في الطريق الى الطعام إذ يعاب على الرجل ان يأكل طعامه وحده كما يعاب على من يأكل في الشارع او في السوق .

ووجبات الأكل عندهم ثلاث : « الفطور » يتناولونه عند شروق الشمس « والغداء » من الضحى الاعلى الى الظهر « والعشاء » عند الغروب . وأهم ما يتناولونه في الفطور المصيصة او اللقمة عليها اللبن حليبا او رائبا او السمن

والعسل او السمن والسكر او الشعيرية مطبوخة بالحليب او بالسمن والسكر ومنهم من لا يتناول في الصباح الا طعاماً لم تمسه النار كالبطح والحليب ومن أقوالهم « من فطر طعاماً بلا نار كفاه الله شر ذاك النهار » على ان غالبهم لا يعتني بأكل الصباح بل يأكل في الضحى الاعلى ثم في الغروب . وأهم ما يتناولونه في الغداء العصيدة او اللقمة او الكسرة او القراصنة وعليها الادام . وفي العشاء الكسرة مع الادام .

وم يقدحون النار بحك خشبة على خشبة أخرى او بضرب قطعة من الفولاذ على حجر او بضرب حجر عليها ويتلقونها في الأحوال الثلاث بقطعة من الصوفان او لب الخوص او خرقة ملوثة بالرماد او البارود .

شرايبهم : وم يشربون ماء النيل والآبار كما هي بلا تصفية ويشربون الشاي والقهوة وفضلها قهوة الجبنة المتقدم وصفها .

ويشربون الدخان بقلايين طويلة او قصيرة او يمضغونه مضغاً بعد إضافة قليل من النطرون اليه وهو المعروف عندهم « بالسفّة » فيضع الواحد منهم سفة تحت لسانه ويشرع في البصاق حتى يملأ الارض من حوله . ويسحقون ورق الدخان ويضيفون اليه شيئاً من النطرون او الجردقة ويستعملونه نشوقاً . وم كسائر اهل السودان مغمون بشرب الخمرة إلا ان الكثير منهم يمتنع من شربها تديناً . وهي تستخرج من البلح والذرة والدخن وتخمّر بواسطة الزراع . أما الزراع فهو الذرة تلتشر على برش في الشمس وترش بالماء حتى يعلو نبتتها عن الارض نحو شبر فيمتنع عنه الماء الى ان يجف فيطحنونه بالمرحاة ويدخلونه في جميع المشروبات التي أشهرها ام بلبل والمريسة او البوزة والابرية والسورج والحلومر والحسوة . اما أم بلبل فهي عصيدة مائعة من دقيق الذراع . واما البوزة او المريسة فهي عصيدة من الذرة يضاف اليها شيء من الزراع وتوضع في زير نحو يومين حتى تخمر وهي أشهر مشروباتهم وأشهاها اليهم وتعرف في بربر ودنقلة بالبوزة وفي بلاد النيل الأزرق بالمريسة . وأهم الاطعمة التي تؤكل مع البوزة الكبدة والكرشة والفشة والبصل تغمس بدقيق

الشطة والملح مذاباً بالليمون الحامض . أما الأبرية فهو خبز رفيف من دقيق الذرة يبل بالماء او بمذوب السكر وهو شراب لطيف مبرد الى الغاية . وكيفية عمله ان يذاب جزء من دقيق الذرة المنخول في جزئين من الماء ويضاف الى المزيج قليل من الكون والزرع . ويترك يوماً كاملاً الى ان يختمر فينبز رقاقاً على الدوكة ويفتت ويخزن لوقت الحاجة واكثر استعماله في زمن الحر والأسفار . وأهم المشروبات المستخرجة من البلح : العرق يستخرجونه بالانبيق كما يستخرج العرق من العنب في بلادنا . والنبيل يستخرجونه هكذا : يبلون البلح في اثناء من فغار ويصفونه ويضيفون اليه مزيجاً من بهارات الفلفل والزنجبيل والقرفة والحريب وحب الهان ويطمرونه في الارض من ٢٠ : ٢٥ يوماً حتى يختمر فيشربونه نبيذاً ولا يعمل إلا في بلاد ود قر والرباطاب . والشربوت وهو النبيذ مخمراً بزراع الذرة وهو شراب مسكر إلا انه من ألذ مشروباتهم . ثم ان الخاصة من أهل السودان يستخرجون مشروباً لطيفاً من الرز يسمونه « شراب السوية » وذلك بأن يغلي دقيق الرز او القمح ويمزج بمنقوع التمر الهندي على نسبة معلومة ثم يصفى ويذاب فيه السكر او عسل النحل ويحفظ في آنية من فخار وهو شراب لذيد مبرد الى الغاية .

ولعرب السودان صبر على الجوع والعطش فقد يسير العربي مسافة يوم في الصحراء على حفنة من الذرة وجرعة من الماء واذا جاع ولم يجد طعاماً شت حزامه على وسطه ووضع حجراً على معدته واحتمل الجوع بصبر غريب . لكنه اذا وجد الأكل أكل ما يكفي ثلاثة رجال . وهم في السفر يأكلون التمر والذرة مسلوقة او نيئة والابرية غذاء ومشروباً يضعونها في أجرية ويحملونها على الجمل او الحمير . ولهم عناية خصوصية بنظافة أسنانهم نساء ورجالاً فهم يحملون في جيوبهم عيداناً من الأراك او من اللعوت او جريد النخل للاستياك بها وذلك من احسن خصالهم التي تدل على نظافتهم .

أفراحهم : وسن الزواج عندهم من خمسة عشرة سنة فما فوق للرجال ومن العشر سنين فما فوق للنساء . ولا بد للطلاب من رؤية البنت التي يروم خطبتها

ولو بالحيلة فإذا حسنت في حيله سعى في استرضاء أهلها خصوصاً والدتها وعقد الخطبة بالقول . ثم يذهب أقاربه الى بيت أبيها في يوم معين لكتب الكتاب وتعيين المهر وهم في الغالب يغفلون المهر حتى لقد يبلغ خمسمائة ريال وعشر أبقار وعشرة جمال وأربعين رأساً من الغنم يقدمه الخطيب الثلاثين على الفور والثالث الباقي أقساطاً بعد الزواج . وهم على عادة البجة في أن أباً البنت لا بد له أن يخصصها بشيء من ماله وإلا عيرت به وربما خصها بما يساوي مهر الخطيب أو أكثر ولذلك ترى الكثير من النساء يتركن عذارى لعدم اقتدار الرجال على صداقهن . وقد سعى بعض ولاة الفتح الاول مثل احمد باشا أبو ودان وخورشيد باشا وعبد اللطيف باشا في تخفيض مهر البنات فجعلوه من ٧٥ : ١٥٠ غرشاً وحضوا على الزواج وكذلك فعل محمد احمد المتهمدي فجعل مهر الشيب خمسة ريالات ومهر البكر عشرة ولكن الأهالي ما لمبثوا ان عادوا الى عاداتهم للقدمة وعاد البنات الى الكساد . وعرب السودان يحترمون النسب جداً وينزلونه المنزلة الاولى في تزويج بناتهم فلقد يزوجون رجلاً ذا نسب لا يملك شيئاً ولا يزوجون رجلاً مثيراً لا نسب له . وإذا حل بأرضهم رجل شريف يرجع بنسبه الى النبي ﷺ أو الصحابة بالغوا في إكرامه وزوجوه بناتهم بلا مهر رغبة في التقرب منه . وهم أيضاً يتبركون برجال العلم والصلاح ويزوجونهم بلا مهر .

هذا وعند اتفاق الفريقين على المهر يكتبون للكتاب ويعينون المدخلة في يوم يتفاهلون به . وقد جمع الشيخ زروق أيام السعد والنحسن عند العرب في بيتين وهما :

عجبك يرعى هواك فهل تعد ليالي بضد الأمل
فدو النقط منها بدا لمحسه ومهله فاجر فيه العمل

وقبل حلول اليوم المعين بأسبوع يعد العريس الذبائح وشيئاً من الذرة والروائح العطرية والكحل والحناء والأكسية للمروس وماشطتها ووزيرتها ولكل من أقاربها الاخصاء ويدعو بنات البلدة فيحملنها على رؤوسهن في

أطباق مغطاة بالكببات ويسرن وأمامهن النساء يضربن الدفوف ويرقصن ويفتنين ووراءهن الشبان يرقصون ويتباطنون بالسياط إلى أن يبلغوا بيت العروس فيستقبلهم أهلها بالترحيب ويقدمون لهم الطعام والشراب فيأكلون ويشربون ثم ينصرفون .

ومن ثم يشرع أهل العروس في الاستعداد للفرح فيعزلون العروس إلى مكان منفرد مع بعض قريباتها ويسلمونها إلى الماشطة فتمشط شعرها وتصفه بزي الرشة وتطيبه وتلبسها أغلى الثياب من وسطها فتزلا وأما صدرها ورأسها فلا يسترهما إلا الحللي . أما العريس فيلبس ثوباً بسيطاً بجاشية من حرير يعرف بطرف السماء ويلبس في يده سواراً من الحرير فيه خرزة خضراء تسمى الحرشاية وسواراً عريضاً من الفضة أو الذهب يسمى بجبيرة وفي عنقه طوقاً من السوميت والذهب وهو اللبس المعروف عندهم بالجرتك يلبسه على يد امرأة حظيطة ذات حشم ومال وأولاد ويبقى عليه سبعة أيام إلى أربعين يوماً بعد الزواج وذلك لمنع الإصابة بالعين .

وفي اليوم المعين للدخلة يجتمع أهل العريس وخلانه - نساء ورجالاً في منزله فيزفونه على فرس إلى بيت العروس فيقود الفرس بلتان بلت عن اليمين وبلت عن الشمال وتسير النساء أمامه يفتنن ويتقرن الدفوف والطبول والرجال ورائه يتباطنون والبنات يرقصن الرقص المعروف عندهم بالشكلي وهو الرقص بخفة ورشاقة والعريس يهز سوطه في الهواء استحضاناً للراقصات والمفتيات . ويسير الموكب الموهنساء إلى أن يصل إلى بيت العروس فيستقبلهم أهلها بالترحيب والأكرام ويقدمون لهم الطعام والشراب . ثم يزفون العروس في منزلها وهو القالب أو يزفونها في شوارع البلدة تحف بها البنات وبأيديهن الشموع ثم يعدن بها إلى المنزل فيجلسنها على عنكريب في مكان أعد لها ويجلس حولها البنات والنساء والماشطة ووزيراتهما .

وبعد العشاء يدخل العريس عليهن ومعه شابان من أصحابه يعرفان بالوزيرين فيصفق له النساء ترحيباً به ويجلسنه مع وزيره على عنكريب أعد لهم . ثم

يقوم العريس فيتحف الماشطة والوزيرتين بهدية من المال ويأتي الى عروسه فيقطع رملها ويلبسها القرباب وهو « قرن عالج » ثم يشرع في مداعبتها وترقيصها رقصاً يعرف عندهم بالجلتج والدلع وذلك بأن يفمز خنصرها ويخز خنصرتها بظفر يريسه ويحدده لهذه الغاية فتتلوى العروس اذ ذاك وتتحرك حركات خفيفة رشيقة بحيث انها اذا كانت مواجهة له ووخزها بظفره تنقلب بخفة ورشاقة فتوليه ظهرها وتصبح صياحاً عالياً قائلة واي واي متبعة ذلك بأنات رخيمة وشهيق مستعذب. وفي أثناء ذلك تغني النساء غناء يسمى البلينة يصفن فيه العريس بالسخاء والمروءة والعروس بالجمال ورفعة النسب . ويبقى اهل العريس في بيت العروس من ثلاثة الى سبعة واما العريس فيبقى مع عروسه في بيت ابيها الى ان تلد فيذهب بها الى اهل .

هذا وفي أثناء الاربعين يوماً الاولى لا تكلم العروس عريسها ولا تجيبه على خطاب بل اذا حسن كلامه في عينيها أجابته بابتسامة وإشارة في الرأس واذا لم يكتف بذلك وأحب الجواب باللسان نقدها شيئاً من الدراهم فأجابه بما قلّ ودلّ ويسمى ذلك عندهم « كروة الكلام » .

وبعد تمام الاربعين يوماً يخرج العريس الى السوق ويرسل الى عروسه أفخر ما يحده فيه من اللحوم والخضرة والفاكهة فتدعو العروس صديقاتها وتقول لهنّ « وليمة من هدايا العريس ويعرف هذا اليوم عندهم « بيوم البشة » ومن أقوالهم «العريس يعرف من بشته» أي يعرف كرمه وذوقه من نوع هداياه ومقدارها يوم البشة .

ومضى سبعة أشهر على العروس وهي حامل يولم العريس وليمة للأهل والخلان لنجاة العروس والجنين من الخطر . وهم يفرحون للصبي ويتكبدون للبتن ويطلقون على الولد اسماً في الاسبوع الاول من ولادته فيختارون في الغالب الأسماء الاسلامية مثل محمد واحمد وعلي وبكر وعثمان وعمر ومصطفى وعبد الله ولكن لهم أسماء خاصة بهم منها عند الجعليين : الزبير والريح والعاقب ومدثر ومزمل ومساعد ومردس . وعند الشايكية : خشم الموس

وطنبل وعقشود وشقلبان والكندو . وعند البقارة : حلة وبليلة وكننوش وملاح وشطة وجثاع ورباخ والنيل ومزمار والزاي والدكيم . وقد يصدرون أسماءهم بمحمد تبركا فن كان اسمه حسن دعوه محمد حسن ومن كان اسمه احمد دعوه محمد احمد وهكذا . وأما أرقناؤهم فيلقبونهم في الغالب باللقاب جميلة يقصد بها أسيادهم منها للذكور : مرّ الجواب وعبد الأسد ودكّام (شجاع) وعجب سيدة ومفتاح الخير وصباح الخير والله جابه وشطة وعبدالرجال وسعيد وسعد الله وبختيت وهلال وألماظ وفيروز وسوميت . وللإناث : تاج الملوك والصبر جميل وسميح حبيب ودرية قاسية وثقيل ميزانه وبحر النيل وبيت الأمان ولبن دامت وفوق قلوبهم والعزّ وهاط ونام النفاسيل والحى يشوف والله معانا والله وكيل وجنته ويعلمه وبختيته ومن قدره والساتر لله وكعب الغزال وبكى الحاسد ..

ويكفى الأب والام باسم ابنتها البكر كما في مصر والشام فإذا لم يكن لها ابن كُنّيّا باسم بنتها البكر كقولهم ابو سميدة وأم كلثومة وابو النيسة وهم يكونون الأماكن بأب وام على السواء فيقولون بشر ابو طليح او بشر ام طليح . وعندهم كما في مصر والشام كُنّيّ معلومة لأسماء معلومة حلا على كُنّاها القديمة المشهورة في التاريخ فكُنّيّ ابراهيم ابو خليل وحسن ابو علي واسماعيل ابو السباع ومصطفى ابو درويش وعلي ابو سرحان وداود ابو سليمان وعثمان ابو عفان .

وهم مولعون باللقاب يلقبون بعضهم بعضاً لقصد المدح او الذمّ فن ألقاب المدح صقر الجور وتور الجاموس وكرّار وحقّار ورحل الكحل ودود بنقه اي أسد الحلا وبولاد الحديد وتمساح وجمل الحامل والمعزة أم قرن وكاسر قيده . ومن ألقاب الذمّ الأضيئة والفارغ والتعيس والضبعة والرخة وسجّم الرماد والهوين .

هذا ومتى بلغ الطفل سن السنة حلقوا شعره يومئذ وتصدقوا بوزنه ذهباً

او فضة وأولوا وليمة للفقراء ثم صفروا شعره صغيرة واحدة وعلقوها بعنقه عدة ايام ثم نزعوها عنه وخبئوها

وهم يطهرون اولادهم ذكورا وإناثا ولكنهم لا يحبون الطهور الباكر فقلما يطهرونهم قبل السنة السابعة . أما تطهير البنات فعلى نوعين : تطهير فرعون وعليه عرب النيل من دنقلة الى سنار وتطهير سنّة وعليه بادية اهل الغرب . اما تطهير فرعون فمن أقطع العادات البربرية المتخلفة عن عصور الجهل والخشونة وهي تقضي على البنات بالعذاب المرّ وقت الطهور والزواج وكل ولادة . وقد اجتهد عبد اللطيف باشا احد ولاة الفتح الاول ان يبطل هذه العادة البربرية وقاص كثيرا من النساء اللواتي يتولين أمرها ولكنه لم يفلح.

ويحوز لمن توفيت امرأته ان يتزوج أختها بمهرها ولكن لا بد له من أخذ القول في ذلك من أبيها قبل دفنها فهو يمسك قائمة النعش الذي تحمل عليه امرأته ويلج على أبيها بأن يعطيه أختها عوضا فيجيبه أبوها الى ذلك خصوصا اذا كان له اولاد . حكى ان رجلا من الرباطاب تزوج بنتا من بنات أهله فعاشت معه عامين وماتت فلما حلوها الى الدفن امسك بقائمة النعش وشرع في البكاء وهو يطلب أختها عوضا فزوجه بها فلم تقص على هذه اربع سنوات حتى ماتت ففعل زوجها أشد مما فعل في المرة الاولى من البكاء والنحيب وهو يطلب ان يعرض عليه بأختها فشفق الجمهور عليه وأثوا يتشفعون فيه الى أبيها فصاح أبوها وقال : دعوني من هذا الرجل فلقد كاد يؤدي ببناتي فمن كان يشفق عليه فليزوجه بابنته اما انا فقد كفاني ما نابني منه .

وعرب السودان يرفهون نساءهم ويدللوهن الى الغاية فقلما تخدم المرأة في بيتها فالطحن والخبز والطبخ والغسل كله منوط بالجوارى وعلى الخصوص الغسل فان من اكبر المصائب على المرأة ان تضطرها الحال الى غسل الثياب ولا سيما ثياب رجلها واذا دخل رجلها وكانت جالسة او مضطجعة لا تتحرك من مكانها واذا أعوزته حاجة قضاها بنفسه او طلبها من الخدم وبذلك تعود

نساء السودان الترف والرفاهة حتى صرنَ إذا مشينَ تهادينَ في مشينَ على حدِّ قول الشاعر :

قلتُ إذا أقبلتَ كزُهر تهادى كنمِاج الفلا تعسفنَ رملا

وقد تسير المرأة ساعة فلا تقطع مئة خطوة ولا يتغير نعلها. وهي تحلف برأس أبيها لا برأس زوجها ولا تنطق باسم زوجها ولا تدعوه به بل تكتبه باسم ولده البكر بأن تقول يا أبا فلان أو يا أبا فلانة وإذا لم يكن له ولد كنته باسم أبيه بقولها يا ود فلان . وهي قلما تقابل حماتها أو تكلمه إلا بعد الولادة كما أن الزوج لا يقابل حماته ولا يكلمها إلا بعد الزواج ببرهة وذلك من باب الحياء . والمرأة لا تأكل طعاماً على مائدة مع زوجها حياء كما أن الزوج لا يأكل مع حميه أو حماته احتراماً وهو لا يجلس في حضرة حميه على كرسي أو سرير بل يجلس على الأرض احتراماً . وأما حماته ويسمونها بالنسيبة فاحترامه لها فوق كل احترام وأعظم حلف عنده الحلف بحماته فإذا قالوا لرجل ونسيتك تقضي لي حاجتي وجب عليه بذل كل ما في وسعه لقضائها وكذلك إذا قالوا للمرأة ونسيتك تفعلين كذا وجب عليها بذل الجهد في إجابة الطلب احتراماً للقسمة . والذنب الذي لا يغفر للرجل عند المرأة أن يسب أباه أو أمها أو يذكرهما بسوء وقد تندفع إلى ضربه بالنعال وتذهب إلى بيت أبيها ويندر بعد ذلك أن تعود إليه .

وكما أن الرجل يحترم حميه وحماته كذلك الجو والحماة يحبان صهرهما ويماملانه كأحد أبنائهما ويبالغان في مداراته فلا يسيثان إليه مهما كان شأنه معها . ومن أمثالهم : « النسيب واحد من اليدين والنسيبة قشة في العين » . وابن الاخت عندهم عزيز كالولد فالخال يعتني بابن اخته ويربيه كما يربي أولاده حتى لقد يزوجه على نفقته .

هذا وعرب السودان كمرب مصر والشام يحترمون العرض فوق كل احترام وليس للزانية عندهم من قصاص سوى القتل . ولكن عند عرب البقارة في غرب السودان عادة تعرف « بالخصن » وهي أن المرأة تسمح لمن أعجبها من

الرجال ان يحضنها أي ان ينام معها على طهارة حتى يتزوجها او تتزوج لغيره وأهل المرأة لا يعترضونها إلا اذا وطئها فترذل هي ومعشوقها . ويقال ان للجوامعة عادة ذنينة جداً وهي ان البنت لا تتزوج إلا اذا ولدت سفاحاً فتعطي أخاها الولد لاعتائه ويعرف « بعانة خاله » .

وقد رمى بعضهم الجميلين واهل الجزيرة باقتناء الجوارى للفحشاء والانتفاع بكسبن وتعليل ذلك ان بعض حضر النسل كانوا اذا زاد عبيدهم وجواريرهم عن خدمتهم أرسلواهم لطلب الرزق في أي عمل شاؤوا وفرضوا على كل منهم جعلاً معلوماً يقتضونه كل يوم كأن يفرضوا على العبد مثلاً من غرش واحد الى ثلاثة غروش والجارية من غرشين الى خمسة غروش في اليوم فيشتغل الجوارى بما هو من شأنهن كالطحن والحبز والطبخ في السوق ولكن يتغلب على بعضهن الكسل ودناءة الطبع فيتعاطين الفحشاء ويدفعن لآسيادهن من كسبن الجمل المفروض .

آلاتهم الموسيقية ، وأشهر آلاتهم الموسيقية :

« النقارة » وهي طبل الحرب الخاص بملازمهم ومشائخهم تصنع من خشب متين كتنقاير السود او تصنع من نحاس فتسمى « بالنحاس » ولم يكن يقتني النحاس إلا الملوك او من سمح لهم الملوك باقتنائه من كبار المشايخ ثم أصبح كبار المشايخ يسمعون للمشايخ الذين دونهم رتبة باقتنائه . والنقارة والنحاس يضربان في المآتم والافراح كما يضربان في زمن الحرب .

« والدوكة » وهي آلة الرقص عند جميع الحضر على شبه الدربكة إلا انها زوج كالنقارة اي امّ وشبّتم يضرب كلا منها امرأة بقضيب او باليد على نغم معلوم .

« والدربكة » وتعرف عندهم بالذهلة ولكن لا يستعملها إلا المولدون . « والزمارة » على شبه الزمارة المصرية تصنع من قصب وقلم تستعمل في غير البادية .

« والطار » وهو الطار المصري المعروف الا انه في السودان يستعمل زوجاً ثانياً .

« وام فصيل » وهي آلة تشبه الطنبورة إلا انها أصغر منها وتضرب بقوس صغير له وتر من شعر على نحو قوس الكنتجة .

« الطنبيل » وهو طبل صغير من خشب على هيئة الطست مجلد بجلد ماعز وله مقبض من جلد يُمسك بالشمال ويضرب باليمين وهو خاص بالثكارنة الذين يأتون للحج من السودان الغربي يضربونه للشحاذة به فيتبعهم ضيائن العرب قائلين : الطنبيل طنبيل جدنا . كيولنا مدنا . يعشينا ويغدينا . يحاكين بهذه السجعات صوت الطنبيل .

رقصهم : وهم مولعون بالرقص والطرب كسائر أهل السودان ويجمعون للرقص رجالاً ونساء إلا ان الرقص خاص بالنساء ولا يرقص الرجال الا إتماماً لرقصهن والرقص عندهم انواع اشهرها :

« رقص النقارة » وهو الرقص على ضرب النقارة وخاص بعرب البادية وفيه تضرب امرأتان النقارة وتغنيان وامرأة ترقص وقد يرقص معها رجل وباقي الحضور يصفقون .

« ورقص الدلوكة » وهو الرقص على ضرب الدلوكة وفيه تضرب امرأتان الدلوكة وتغنيان وامرأة ترقص وقد يرقص معها رجل . وهذا الرقص شائع في جميع حضر السودان وهو أرشق وأعم من رقص النقارة .

« ورقص الطنبورة » وهو الرقص على صوت الطنبورة وخاص بعرب الشايقية والباطاب . والطنبورة عند هؤلاء كالللوكة عند سائر حضرة السودان : وضارب الطنبورة هو الذي يغني .

« ورقص الطنبور » وهو الرقص على غناء الطنبور اما غناء الطنبور فهو أصوات كسجع القمرى يخرجها الرجال من حلقهم وصدرهم والرقص عليه خاص بعلية القوم وتشترك فيه المخدرات من النساء وفيه تجتمع النساء والرجال حلقة فيبدأ احدهم بإنشاد الاشعار فيقول الشيلة « اللازمة » فيكررها بعده

جماعة منهم ثم يشرع آخرون في غناء الطنبور والكل يصفقون بأصابعهم ويضربون الأرض بأرجلهم وعند توقيع النشيد والطنبور وفرقة الأصابع وضرب الأرجل على نغم واحد تبرز إحدى المخدرات إلى وسط الحلقة فترقص على هذا النغم رقصة لطيفة فتز رأسها إلى كل جهة وتحني جسمها إلى الوراء أحياناً حتى تمس الأرض بجبهتها وهي في كل آونة وأخرى تقرب من الحلقة فترمي أحد الشبان « بشبالها » أي بصفائرها تحبباً وإذا أرادت الانصراف رمت بشبالها إحدى النساء دلالة على أنها تدعوها إلى الرقص . وقد يرقص اثنان أو ثلاث من النساء معاً . ويعرف هذا الرقص عند أهل النيل أيضاً بالزوزي وعند أهل كردوفان بالجراري .

ومن أنواع الرقص عندهم « رقص الجلع » ورقص الشكلي ، وقد تقدم ذكرهما . ومنها رقص الدميلة وهو الرقص على ضرب الدميلة ويسمى رقص أم صليب لأن الراقصة تهز صلبها وهي ترقص وهذا الرقص مأخوذ عن مصر ولا يعرفه إلا المولدون .

سلامهم : وسلامهم المصافحة باليد . وإذا اجتمع صاحبان بعد فراق طويل تعانقا بالاكشاف وذلك بأن يحمل كل منهما يديه على كتف الآخر ويضمه إلى صدره وينقل رأسه من كتف إلى كتف مرتين أو أكثر ثم يأخذ يد رفيقه ويقبلها . وإذا كان أحدهما قد فقد حبيباً في أثناء فراقها فعند اللقاء يبسط كل منهما يديه رافعاً إياهما نحو السماء ويقرأ الفاتحة بصوت منخفض ثم يتصافحان . هذا في سلام الرجال أما النساء فسلامهن التقبيل في الوجه كنساء مصر والشام وأما سلام النساء على الرجال فبين الأقارب تحني المرأة رأسها للرجل فيقبله وهي تقبل يده وإذا كانت المرأة مسنة قبلت رأسه وهو لا يقبلها . ومن كلامهم في اللقاء : كيف حالك - الله يبارك فيك . طيبين مك طيب - طيبين الحمد لله الله يملك . كيف انكم - تربي الحبيبتين دردر يقع ويقوم . الحمد لله بالسلامة - الله يقبل حمدك ، العويلة والبهيات كيف حالهم لعل ما عندهم عوَجَه - الحمد لله تراهم هسج الله يكفيهم شر المن هنا وجاي .

زريعاتكم كيف أنهن - والله عاد محمد الله ابن ختين أي سمن من الدودة والجراد ما عندهم عوجه . الدنيا كيف انها معاكم - الحمد لله السنة دي زينين . وعند الوداع يقول الواحد للآخر سلم على الي قدامك .

مجالسهم : وغالب مجالسهم في فناء منازلهم في ظل الاشجار يجلسون على عنكريات مريمين او يجلسون القرفصاء او مريمين على ابراش في الارض وقلما يجلسون على الكراسي . وجلوسهم مع ملوكهم آداب يأتي ذكرها في باب التاريخ . والمقام الاول عندهم بعد مقام الملوك للعلماء ثم للشيخ فاذا حضر العامة مجالس هؤلاء جلسوا في الارض على ركبهم تأدباً لهم . ولا يتكلم الشاب في حضرة ابيه او اخيه الاكبر ولو كان افصح منه لساناً وأجلى بياناً . وحكم الجماعة عندهم مرعي كحكم الشرع .

هذا والمخدرات من النساء لا يجلسن مع الرجال إلا اذا كان الرجال من أقاربهن الاذنين واذا نذبت امرأة الى مجلس رجال تلمت بثوبها حتى لا يظهر من وجهها إلا عيناها وجلست مطرقة في الارض وتكلمت بصوت منخفض واذا زارها رجل في منزلها كلمته من وراء جدار . واذا مرت بمجلس رجال خلعت ثعلبها وسترت وجهها اما الجارية فتخلع نعلها وتكشف رأسها . واذا جلس الرجال على جانبي الطريق فهي لا تمر في الوسط بل تنتظر حتى يقوم فريق منهم الى الجانب الآخر او ترجع . واذا كانت راكبة ترجلت عن دابتها ومرت ماشية . ونساء السودان يركبن وجنبن الأيمن نحو رأس الدابة على نحو ركوب نساء الافرنج .

ومن آداب الشارع عندهم عدم الاستعجال في المشي والامتناع عن الأكل والصفير والضحك بصوت عالٍ والفناء والمشاجرة والبول الى جانب الطريق وعدم المطالبة بدين قالدائن لا يطالب بدينه في الشارع كما لا يطالبه عند الفجر او بعد الغروب .

عهودهم : واذا أراد اثنان المعاهدة على امر هام جمعا المصحف الشريف

بينها مفتوحاً على سورة براء ووضع كل منها يده اليمنى عليه وبعد قراءة الفاتحة والصلاة على النبي ينطق كل منها بهذا القسم : « بالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة المنتقم الجبار وحق هذا المصحف الشريف اني أكون صادقاً في عهدي » وأهل البادية الغربية يقولون : « كتاب الله في عيني في بقي في اهلي كتاب الله يطمسني طمة القرد اذا نكثت بعهدي هذا » واذا ضاع لهم شيء عزيز حلوا المصحف على عود طويل وطافوا به الجهات منادين : « كتاب الله جاكم من رأى الشيء الفلاني يرجعه لصاحبه » . هذا وتحلف الام بحياة ولدها والاخت بحياة أخيها وبحياة الله والنبي والأولياء وحياة كل عزيز . ومن أقسامهم قولهم « حرم الكلام دا صحيح » أي عليّ الطلاق هذا الكلام صحيح .

وعندهم الرتبة للذكرى وهم في الغالب يعمدون معصم اليد بخيط او منديلا او يضعون خاتماً في احد أصابعهم ونحو ذلك .

طبهم : وطبهم عرفي يتوارثه الخلف عن السلف فاذا مرض احدهم زاره أهله وجيرانه ووصف له كل منهم علاجاً فيتخذ المريض العلاج الذي يظنه أنفع له وقد تقدم لنا ذكر أشهر الأمراض الخاصة بالسودان وطرق معالجتها عندهم ونذكر تحت هذا الباب : « علاجهم للجروح » وذلك انهم يصبون عليها السمن مغلياً ثم يغمسون قطنه في السمن البارد ويضعونها عليه ويربطونها ويكررون ذلك كل يوم مع مراعاة النظافة التامة الى ان تبرا ، هذا في الجروح البليغة وأما الجروح الخفيفة فيعالجونها برشها بالملح او البارود او البن ثم بالقطنه والسمن البارد . وتشفى الجروح في السودان بسرعة لا تكاد تصدق . واذا شكى غليلهم ثقلاً في رأسه وعينيه طلب الحجام فحجمه في نقرته وفي قبة رأسه . وأهم شراباتهم : شربة السمن وهي مقدار رطل مصري من السمن يسخن ويشرب على الزيت ومنهم من يكرر ذلك خمسة أيام متوالية ولا يشربون ماء بارداً معها لئلا تولد زحيراً . وشرية السنامكي يشرب منقوعها مع منقوع التمر الهندي والسكر . وفي جزيرة مغرات تراب معدني يعرف بالجرديقة

يعالجون بمنقوعه المفص ووجع المعدة والأمعاء ويمزجون التربة بالبوزة والمقويات ويعالجون بها داء الزهري . وأشهر مقوياتهم مزيج مركب من العسل والسمن والثوم والبلح على هذه الصورة : تغلى ثلاثة أرطال عسل إلى أن ترغو فيضاف إليها ثلاثة أرطال سمناً بقرياً ويغلى المزيج ثم يجعل فيه نصف رطل توماً بعد تقشيره ويغلى إلى أن يحمر الثوم فيخرج منه ويعوض عنه بنحو ١٥٠ بلحة من البلح الابريمي بعد نزع نواه ويؤكل منه كل يوم على الريق وقبل النوم ولا يؤكل معه المغلطات ولا اللحم البقري فيكون منه عافية وقوة . وهم يعالجون النسل والبواسير بهذا المركب : رطل فلفل اسود وابيض ونصف رطل زنجبيل وربع رطل خولنجان وسدس رطل قرفة ورطلان سكرأ تدق جميعاً وتتخل وتؤخذ مع الشاي أو تؤخذ سفوقاً على الريق . ويعالجون السل بالشطة وحدها بأخذها مع كل طعام بدل الفلفل . ويعالجون الحنازيري (التهاب الغدد الليمفاوية) بشقها وذر الزرنخ على الجرح .

وعندهم كثير من الدجالين يعالجونهم بالتعزيم وكتابة الاحجبه فهي علاج لكل داء عياء وقلماً تجسد احداً من أهل السودان ولا سيما النساء إلا حاملاً حجاباً أو أكثر . ومن علاجاتهم ان يكتبوا سوراً من القرآن على لوح ثم يفسلون الكتابة بماء ويشربون الماء للاستشفاء به .

ويهتم بالمرضى امه وزوجته واخته وعمته وخالته . وفي سؤالهم عنه يقولون عسى طيب النهار دا . المولى يعفو عنه ان شاء الله . وعند تقشعي أمراض وبائية يذبحون الذبائح ويوزعونها على الفقراء والمساكين رجاء رفع الأوبئة عنهم والذين لا قدرة لهم على ذبح الذبائح يسلقون الذرة ويوزعونها ويعتقدون ان الوباء يذهب مع البخار الذي يتصاعد منها ولا يسلقونها إلا عند طلوع الشمس وغروبها . وبعد أكل الذرة يطوف الأولاد في الشوارع منادين : « يا لطيف لم تزل ألطف بنا فما نزل » او ينادون « يا خالقنا نحن ضقتنا » .

ومن عاداتهم عند رؤية الهلال ان يقولوا « اللهم اعطنا خيره واكفنا شره » ثم يوقدون النار امام منازلهم ويهتفون بعضهم بعضاً فيقول الواحد « الشهر

مبارك عليكم ، فيجيبه الآخر « علينا وعليكم » ثم يقول الاول « اعفوا عنا ، فيجيبه الثاني « عافين عنكم » وهذه عاداتهم في أيام المواسم والاعبياد وهي من أجل عاداتهم .

وقد اقتبسوا عادة الاحتفال « بشم النسيم » من المصريين وتقلدوهم في سحق رؤوس البصل وصنع البيض والاستحمام في النيل والخروج للتنزه في البساتين . ومن عاداتهم في الحروب انهم يأخذون كبار قتلى أعدائهم فيقطعون رؤوسهم ويعلقونها في الشوارع العمومية اشهاراً للنصر . وأما السود فيقطعون أيدي قتلى الأعداء ويضربون بها النقارة الى تنن فيرمونها .

ومن قتل وحشاً مفترساً جرّوه من ثيابه وألبسوه ثياب النساء وحلاهن من عقود الجزر وغيرها وضمفروا شعره صفائر دقيقة كصفائر النساء وحبسوه في بيت مظلم سبعة أيام ثم أخرجوه الى النيل للاستحمام به ووسموه في جبهته أو كتفه علامة لقتله الوحش المفترس وتغييراً لسحنته ثم أولوا وليمة فاخرة فرحاً بسلامته .

« وقيودهم » الشعبة والمكية أخذوهما عن السود والإنجليز المعروف والقيود وهو على صورة المكية إلا انه اخف منها ولا يقفل بمفتاح .

« وألعابهم » الخاصة بهم : السبجة وهي تشبه الداما والطاب وغيرهما وعندهم من ألعابنا الداما والمنقلة والتزد (الطاولة) والدومنو والورق .

مآتمهم : ولما تم ضجة عظيمة وجلبة كسائر أهل السودان ، فإذا احتضر عليهم اجتمع أهل الرجال فأبعدوا عنه النساء وأحاطوا به يعللونه حتى تفارقه الروح فيضعونه على عنكريب ويفطونه بثوب نظيف ثم يرفعون أصوات البكاء والتعديد فتعلم النساء انه فارق الروح فيصحن ويتحنن ويحثن التراب على رؤوسهن ويلطخن وجوههن « بالسجتم » والرماد ثم يدخلن غرفة الميت ويجلسن حوله للبكاء والنحيب ويخرج الرجال فينعنونه الى البلاد المجاورة ويجلسون في فناء المنزل لاستقبال المعزين . وعند مجيء الجيران يخرج النساء بالميت الى حوش الدار لعمل المناحة وتأخذ النادبات النحاس للضرب عليه أو

ياخذن قرعة يابسة فيضعنها في طست فيه ماء ويجانبه طست آخر لا ماء فيه فيضرن على الطستين ضرباً عجزاً ويشعرن في نذب الميت وتعدد مناقبه وإذا حضر المأتم نساء حديثات عهد بالحزن نذب النادات موتاهن أيضاً وعددن مناقبهم كعادة النادات في مصر والشام . وفي أثناء ذلك ترقص الحزاني بالسيوف والعصي ويصحن صيحات مزعجة ققت الأكباد .

ومن أقوالهن في التعدد : واسجته ، واحزاه ، وامصيته ، يا حليلك هاي ، يا شديد الحيل ، يا جمل الشيل ، يا مقنع الكاشفات ، يا التفرج الضيقات ، يا راجل الحكم ، يا أب فهم كثير في المجالس ونحو ذلك . ومن أقوال النادات في المناحة :

بقطع يحمر الدم دقر (ثعبان) الهيشة حارقه السم
من أبواته هو مقدم ديماً خصيمه لاغي الدم
ومنها : شدوا لك الهجين دقوا لك السنين (السيف)
اخوي خواجه مو مسكين يا الخير ميتك هجيمه (مصيبة)

أما الرجال فبعد استقرارهم في فناء المنزل يشرعون في التهليل وهو قولهم :
« لا إله إلا الله محمد رسول الله » فيكرره كل منهم على السبعة مراراً معلومة
حتى يكون مجموع تهليل الكل ٧٠ ألف مرة . أو يقرأون سورة الاخلاص
وهي : « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد »
مئة ألف مرة .

وفي أثناء ذلك ينساون الميت ويكفونونه ويحملونه بالمناوية على الاكتاف
الى التربة وتلبسهم النساء كاشفات الرؤوس لا يسترها الا التراب او الرماد
وبينهن قريبات المتوفى واحدة متقلدة سيفه واخرى ثوبه واخرى جبته او
عمامته وبعضهن يلبسن الفراء في أصلاهن ويتحزنن بالحبال السود وهن يندبن
ويبكين حتى يصلن التربة فيجتمعن حلقة كما كنن في حوش المنزل ويحددن
النذب والبكاء والرقص على أصوات التصفيق بدل النحاس وهو المعروف عند
سكان النيل « بالمدى » .

اما التربة فهي حفرة واسعة في جنبها حفرة ضيقة فيدفنون الميت في الحفرة الضيقة بوضعه على جنبه الأيمن متجهاً نحو مكة المشرقة ثم يسقفونها بطوب وطن. ويأخذ كل من الحضور شيئاً من التراب فيرميها به ثم يردمون الحفرة الكبرى ردماً محذباً كسنام البعير . ويدلون على القبر بحجر فوق رأس الميت وحجر فوق قدميه وطبقة من الحصى الفرانيتية بينها . ويضعون عند القبر طعاماً في قدر وماء في قدر أخرى تصدقاً عن روح الميت ويكررون ذلك في كل قليل من الايام . وربما وضع بعضهم في اليوم الاول قليلاً من الذرة في قدر مبلولاً بالماء فينبث ثم يذبل ويحف فيمثلون بذلك حياة الانسان على الارض. واذا كان المتوفى فقيراً او عالماً او شريفاً نصبوا عند قبره راية بيضاء او ملونة تنويهاً به واذا كان من الأولياء الصالحين بنوا فوق قبره كوخاً من حجر وطن او بنوا قبة ومزاراً وزاروه في المواسم والاعیاد .

وبعد الدفن يعود اهل المأتم الى منزل الميت فتعود النساء الى الندب والبكاء ويجلس الرجال لاستقبال المعزين الذين يأتون من الجهات البعيدة افواجا رجالاً ونساء مشاة وركبانا ومعهم زادهم من الذبائح والذرة والسمن ومحاسم محمول على جمل وعند وصولهم البلدة يضربون النحاس وتزغرد النساء زغاريد الحزن فيخرج اهل الميت رجالاً ونساء لاستقبالهم فيصطف الفريقان صفين خارج البلدة النساء قبالة النساء والرجال قبالة الرجال ثم يشرعون في البكاء فيضع الرجل ثوبه على فمه ويبكي بكاء عالياً وهم يسرون الهوينا حتى يلتقي الصفان فيشتد البكاء ثم يقوم اهل الميت بمقام المعزين في تعزيتهم وتهوين المصاب عليهم بقولهم : « هذا امر الله وارد على الجميع والمصيبة واحدة وعظم الله أجرنا وأجركم » ثم يقولون استغفروا استغفروا ويدخلون البلدة لتجديد المأتم . وعند الجمعين عادة تعرف « بالشوقار » وذلك انهم عند التقاء الصفين خارج البلدة يتسابق الفرسان على خيولهم او هجنهم ويتصارع المشاة بالسيف والدرق وترقص النساء بالسيف الى ان يكلل الجميع فيذهبون الى منزل الفقيد لتناول طعام الظهر ثم يعودون الى « العرضة » عند العصر ويبقون على ذلك ثلاثة

ايام ثم ينصرفون الى بلادهم . واما اهل البلدة فانهم يبقون مع اهل الميت يشاركونهم في النوم على الارض الى نهاية السبعة الايام الاولى . واما اقارب الفقيد فانهم يشاركون اهل الاخضاء في النوم على الارض الى نهاية الاربعين يوماً . وفي أثناء ذلك يرسل اهل البلدة الطعام من بيوتهم للمأتَم مساعدة لأهل الميت . ثم في مدة السبعة الايام الاولى يتصدق اهل الميت عن روح فقيدهم فيخرجون الطعام للساكين كل يوم صباحاً ومساءً ويقرأون القرآن كل ليلة . وفي اليوم السابع يخرجون الى التربة فيقرأون القرآن ويتصدقون عن روح الفقيد ثم يضعون ذلك كل جمعة الى نهاية الاربعين يوماً فيعملون صدقة تسمى صدقة الاربعين وهي خاتمة المأتَم . وبعد ذلك يعود اهل الفقيد الى النوم على الأسرة وتغسل النساء ثيابهن لنزع المسوح والرماد وحدا دم سنة كاملة يمتنعون فيها عن التطيب ولبس فاخر الثياب والحلى رجالاً ونساءً . وأما زوجة المتوفي وأخواته فانهم يقصصن شعورهن حداداً عليه وتقضي الزوجة عدة الوفاة لا تخرج من منزلها . ويركب الرجال الدواب بفراء مقلوبة وأما الشايقية فيلبسون طرابيشهم بلا أزرار علامة للحداد .

خرافاتهم : وأما خرافاتهم فعلى نحو خرافات العرب في مصر والشام إلا أنهم أشد تمسكاً بالخرافات من العرب في كل زمان ومكان . فعندهم السحرة والنجالون والمشعوذون من الرجال والنساء . ومن معتقداتهم السحر والزار والمندل والرمل وضرب الودع والعقدة وكشف الدفائن وتفسير الاجلام والخيرة وكتابة الأحجية والاصابة بالعين والتشاؤم والتفاؤل ووجود الجن والعفاريت ونحو ذلك من الترهات التي لا طائل تحتها .

أما الزار فقد دخل السودان من مصر وكثر استعماله في بلاد سواكن وبربر والخرطوم . وأكثر اعتمادهم في تفسير الاحلام على كتاب ابن سيرين . وفي الخيرة على كتاب محي الدين بن العربي . وأما الرمل والمندل وضرب الودع وكشف الدفائن وعلم التنجيم فأكثر المشتغلين فيه هم السحرة والمشعوذون من التكاثر وغيرهم .

وأما العقدة فيشتغل بها فرع من بشاري الأتربة يعرف بالقرب فإذا أرادوا عقد انسان في مكان عزّموا عليه فبقي في مكانه لا يبرحه حتى يحلوه وإذا وضع أمامه طعام وعقدوه لم يستطيع ان يمد الى الطعام يداً . قيل وإذا سخر لهم جل عقدوه فيبرك ولا يقوم .

أما سحرهم فتدعي القدرة على مسح الاجسام أي مسح الانسان حيواناً والذكر أنثى وبالعكس . وقد أكند لي بعضهم انه رأى بعينه الباصرة خروفين صارا ثعلبين ورجلاً تحول مرعفياً واختطيف ولداً . قالوا وانما يتمكن السحرة من مثل هذه الافعال السحرية باستعمال عروق نباتية تعرف « بعروق السحرة » وكثيراً ما يشكو احدهم من ألم في الامعاء فيقول أهله ان ساحراً خرج وفي فمه عرق من عروق السحر فسحره أو أدخل فيه جنأ أو عفريتاً فسحب أمعاءه فيستدعون شيخ السحرة فيعزّم له ويسقيه ماء عرق من عروقه النباتية فيخرج العفريت منه ويبرأ .

ومن هذا القبيل اعتقادهم بشجرة الاكسیر قالوا هي شجرة ذات فرعين في كل فرع ورقتان فإذا وضع منها شيء على قصدير صيرته فضة أو على فضة صيرها ذهباً إلا انها مجهولة المكان فمن عثر عليها جمع غنى الدهر وقد تعثر الغنم عليها في مرعاها فيدبر لبنها فمن شرب منه انفتح ذهنه .

ومن أنواع الجن التي يخوفون بها أولادهم : الشكلوة والدودو وام بعلو فالدودو وأم بعلو بمثابة التبعع عندنا والشكلوة بمثابة الغول وهي في عرفهم حيوان ناطق بعين واحدة ورجل واحدة ويد واحدة تعرف اسم كل شخص فتدعوه باسمه ولها أظافر حادة فإذا هاجت انساناً هشت وجهه لأنها تكره الخلقة البشرية . وأما الغول فهو معروف في حكاياتهم بأنه جن بسبعة رؤوس وشوشة كبيرة ينام سنة ويستيقظ سنة ولأنشاء ثديان كبيران تردّي أعلى جسمها بشدي وأسفله بأخر وتعرف بالسعلوة . وهم لا يتركون الطفل وحده حتى يصير عمره فوق السنة خوفاً عليه من « القرينة » فإذا حصل له تشنج

عصي بما يحصل للأطفال ولم يسلم منه قالوا قريبته قتلته ويعرف هذا التشنج عندهم « بأم الصبيان او حبوبة العيال » .

واذا شكى طفل لهم من وجع على حين غفلة ولم يروا السبب قالوا أصيب بالعين . ولمعرفة المصيب يسيلون قطعة من الشب مع قليل من الملح والقرص والكون على النار ويبغرون بها المصاب ثم يرشون الماء عليه فيجمد ويتكيف بصورة يستدلون بها على المصيب فاذا اشتبهوا بأحد أخذوا قطعة من ثوبه وأحرقوها وبخروا بها الطفل ثم رموا الشب من وراء ظهورهم في قارعة الطريق . قالوا وفي سنار يبيس يبغرون به المصاب فينطق باسم من أصابه .

وهم يكثرّون من لبس الاحجية يعملونها في علب صغيرة من الذهب أو الفضة أو الجلد أو الحرير ويلبسونها في زنودهم او يعلقونها في رقابهم فيدلونها الى ما تحت الآباط او الركب وبعض النساء يعلقنها بشعر الرأس او بالحجاب الهيكلي كما مرّ وذلك لدرء العين والجن والرصاص والأمراض وبالأجمال لجلب كل نافع ودفع كل ضار . بل هم يعلقون حرزاً لكل شيء يخافون عليه من العين فتري في كل منزل جديد فوق عتبة الدار صحناً من الصيني وفي كل بستان زاهر تمثالاً من الخشب او هيكلًا من العظام . وفي عنق كل دابة سمينة حذاء صغيراً او خرقة زرقاء لدرء العين .

وهم يتشاءمون من الأعور والأعرج وكل ذي عاهة . ومن تناول الصابون بباطن الكف خوفاً من انه يورث البغضة فيتناولونها بظاهر الكف . ومن رش الماء على شخص فانه دليل على فراقه . ومن مسح اليد بثوب آخر او مكب ماء على يد آخر من وعاء مفتوح كالقرعة او شرب اثنين في قنجان واحد او مسح اثنين يديهما في منديل واحد فانها أدلة على البغض . ومن عواء الكلب من صدره فانه دليل على موت واحد من الاهل . ومن لبس الرجل اللباس وهو واقف فانه دليل على الفقر فلا بد من لبسه جالساً وربطه واقفاً . ومن استعمال المقص ليلا فانه مجلب للشقاق . ومن استعمال الابرة ليلا فانه مجلب للمعى . ومن الكناسة ليلا فانه مجلب للموت فاذا اضطروا الى الكنس

أحرقوا طرف المكتسة وكنسوا بها . ومن صباح الاجرد فانه دليل على الفشل ومن أمثالهم « صباح القروء ولا صباح الاجرود » . ومن ضرب الكلب او القط ليلاً خوفاً من شلل اليد . ومن هز الرجل عند الجلوس فانه دليل على الفقر . ومن الصغير ليلاً فانه مجلب للآفات والحيات . ومن العطاس فوق رأس المريض خوفاً من موته او ازدياد مرضه فاذا عطس فوق مريض أخذوا عوداً وقطعوه نصفين ورموا قطعة الى جنبه الأيمن وقطعة الى جنبه الأيسر . ومن كنس الدار يوم الخميس خوفاً من طرد الخير إذ الخير في اعتقادهم يجيء يوم الخميس . ومن رؤية الغراب والبومة والارنب فانها دليل على الخراب . ومن الخيل اذا كانت « جبراس » فان راكبها لا ينجح كيف سار . ومن خياطة الثوب وهو ملبوس خوفاً من الفقر . ومن رؤية الوعاء الفارغ فانه دليل على الفشل فمن خرج لقضاء حاجة فالتقى بإنسان حامل إناء فارغاً تشام منه وقد يقف في مكانه حتى يعود حامله به ملأناً .

وهم يتفعلون بفلج الأسنان ورؤية طائر الجباري . واذا سافر لهم حبيب أخذوا تراباً من اثر قدمه اليمنى وجعلوه في كيس وحفظوه الى حين رجوعه وقد يكتبون على يد المسافر « لا إله إلا الله » وعلى يد المقيم « محمد رسول الله » تقاولاً بالاجتماع . واذا خرجوا للغزو وصاح « طائر الخير » (وهو طائر صغير شبه الحمامة) فإن كان عن يمينهم تقاءلوا به خيراً وإن كان عن شمالهم تشاموا منه ورجعوا عن الغزو وإن كان أمامهم استدلوا على انه سيكون قتال شديد بينهم وبين أعدائهم وإن كان وراءهم علموا ان العدو يطاردهم من خلف . وعندما طنين الأذن اليمنى شؤم وطنين الأذن اليسرى فال . واختلاج الجفن الاسفل شؤم واختلاج الجفن الاعلى فال . واندفاق الماء من وعاء في الارض شؤم واندفاق القهوة في الارض فال . وحوم الفراش الاسود على السراج شؤم وحوم الفراش الابيض على السراج فال . وغسل الثياب يوم السبت شؤم وأكل اللبن يوم السبت او أكل البصل والسملك يوم الاربعاء فال . ومن أمثالهم « من سبت بلبن سر بمثله » .

وإذا أقبل عليهم شخص يكرهون محضره كرّروا قولهم : « ستة في ستة ستة وثلاثون » وكرّروه أيضاً إذا تأخر رسولهم وتوقموا من تأخيرته شراً . وإذا فارقهم رجل ثقیل رموا وراءه عوداً وقالوا : « جدعناك بعود ان شاء ما تعود » . وإذا تعددت أسباب انبساطهم توقموا شراً كما انهم إذا تراكت عليهم المصائب توسموا فرجاً على حد قول الشاعر :

ضاقنا ولما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج

ومن شرق بريقه قال : احد الناس يفتابني . ومن سقطت اللقمة من يده وهو يأكل كان أحد أقاربه يذكره فإذا سقطت على صدره كان له حبيب جائع . ومن أصابه فواق اتهموه بسرقة او فاجأوه بنجر يروعه فيذهب الفواق عنه . وإذا نطق احدهم بكلام سبق به فكر من يخاطبه قال له : « عمرك أطول من عمري » . وإذا عطس بجانبه اتخذ العطاس مصداقاً لكلامه ومن أقوالهم : « ان أصدق الحديث ما عطس فيه » . وإذا لعبت القطة بيديها في الحصر انتظروا قدوم ضيوف . وإذا وقع وعاء من خزف فانكسر قالوا « انكسر الشر » . وإذا وقعت شرارة من النار على ثوب جديد فأحرقته حرقاً مستديراً قالوا « خير ان شاء الله » . وإذا وقع للولد سن وهو يبذل أسنانه جمع اليه فحمة وسبع حبات من الذرة ورمى بها الشمس وقال « يا عين الشمس خذي سن الحمار واعطني سن الغزال » . وإذا خسف القمر عمدوا الى النحاس وضربوه بالعصي الى ان ينجلي الخسوف . وإذا رأوا الشهب في السماء لم يكللوا بعضهم بعضاً بل كبر كل منهم وقال لنفسه « وجعلناه رجوماً للشياطين » وإذا فقدوا شيئاً فقتلوا عنه وهم يكررون قولهم « يا بليس يا بليس لك الكيس ولي كيس ابليس اديني وأديك اذبح لك دجاجة وديك » . وإذا رأوا حب الذرة منشوراً في الطريق التقطوا منه سبع حبات وأكلوها احتراماً « للعيش » وإذا رأوا لقمة التقطوها وقبلوها وأكلوها وهم يمتقدون انها تضيء في الجوف كالشمعة ومن أمثالهم « لقمة الفنا تورث الفنى » .

وقد رأيت البعض يمتقدون الى أكياسهم قطعة من النقود القديمة لكي تبقي

بركة فيها لأنهم يتشاهمون من فراغها . وإذا كانت الدجاجة تبيض في غير قنبا شكوا في أنفها ريشة لتبيض في قنبا . وإذا مر على شجرة سنة ولم تحمل ثمراً اخذ صاحبها فأساً وشرع يلاوصها فيأتيه صاحب له فيمنعه عن قطعها ويمد به بأنها تحمل ثمراً في السنة المقبلة وبذلك تثمر الشجرة ان شاء الله . ومن أقوالهم « خذوا فالك من صفارك » ولذلك فإذا اجتمع الأولاد للعب فأخذوا طبله يضربون بها وحملوا سيوفاً من جريد وخيولاً من قصب قالوا ان حرباً آتية عليهم . وإذا رأوا طائراً محلقاً في الجو فوق بلدة تشاهموا وخافوا موت شيخ او حاكم او رجل عظيم . وهم لا يسمعون للحائض ان تعلق شجرة لثلاً تيسها ولا ان تركب دابة لثلاً تميتها ولا ان تقرأ فوق طفل لثلاً تمنع نموه فإذا فعلت أخذوا الولد وأجازوه فوقها سبع مرات ليدفعوا عنه الضرر . وزوج الحامل لا يذبح طائراً ولا يضرب حيواناً وإذا كان جزراً استأجر من يذبح له . ومن لم يعيش لها أولاد سميتهم بأسماء الأرقاء وشحذت لهم الأكسية وألبستهم إياها . والنوم على جلد الضبع يمنع وجع الظهر . والركوب على جلد النمر يمنع البواسير . وعندهم ان الثعلب قاض للحيوان .

والأيام في اعتقادهم إما نجسة او سعيدة فهم يعدون أيام الأشهر على الأصابع فالأيام التي ينتهي عددها بالأصبع الوسطى نجسة والباقية سعيدة وعليه تكون أيام النحس الـ ٣ و ٨ و ١٣ و ١٨ و ٢٣ و ٢٨ من كل شهر فلا يتزوجون فيها ولا يسافرون ولا يزعمون ولا يبنون ولا يفصلون ثياباً . وقد مرّ ضابط أيام النحس والسعد في شعر زروق . وأما أيام الأسبوع فعندهم السبت للصيد والاحد للبناء والاثنين للسفر والثلاثاء للحجامة والاربعاء للشراب والخميس لقضاء الحاجات والجمعة للزواج .

القيافة : هذا ولأهل البادية نباهة طبيعية عجيبة في « القيافة » وهي قص الاثر او الاستدلال بالأقدام والحوافر فإذا هرب منهم هارب او دخل عليهم سارق او طرقتهم طارق تلبعوا آثار قدمه او قدم دابته حتى يظفروا به . ومن العجيب انهم يعرفون قدم الشيخ من الشاب والمرأة من الرجل والبكر

من الثيب والغريب من المستوطن والحر من العبد والحامل من غير الحامل والاعور من السليم والاسود من الابيض بل لو عرفوا ناقة ورأوا أثر ولدها في مكان عرفوه انه ولدها وذلك منتهى النباة .

العرب في الغزو : واذا أراد عرب السودان الغزو تزودوا دقيق الذرة والابرية والسورج والبلح واللحم الناشف المدقوق والباميا الناشفة والبهارات والملح فوضعوها في أجرية ووضعوا الماء في القرب وحملوها كلها على الجمال والمخير وساروا مشاة وركباناً تصحبهم الجوارى ومعهن الصيجان والحلل للغزب والطبخ . فاذا أرادوا الهجوم تركوا الحملة والنساء بعيداً عن مرمى الرصاص وعليها الخقراء ووقفوا صفاً واحداً كل ربع على حدته في مقدمتهم البنداقية وفي ساقتهم القائد العام مع المدد والفرسان في الجناحين وهاجوا العدو بقلب لا يهاب الموت وهم يهللون ويكبرون حتى اذا ما رأوا العدو بدأ البنداقية برمي الرصاص فاذا امتلأ الجو دخاناً اقتحم الحراية النيران تتقدمهم أمراؤهم على الخيل فاختاروا جهة قل فيها الرصاص واخترقوا صفوف الاعداء وأعملوا فيهم السيف والحرية واقتنى الفرسان أثر المنهزمين فقتلوا وأسروا .

واذا أرادوا الدفاع حفروا للبنداقية خندقاً جعلوا من ترابه متراً بالمزاحيل ووقفوا وراءهم ارباعاً والفرسان من الجناحين والقائد العام في الورا في قلعة من المدد .

هذا ما تسنى لنا جمعه عن اخلاق اهل السودان وعاداتهم وخرافاتهم . ويقال بالاجمال في جميع اجناس السودان ان لونهم اسود او مائل الى السواد . وسكنهم في أكواخ مستديرة هرمية الرؤوس في الجنوب ومربعة مسطحة السقوف في الشمال . وأكلهم الذرة والدخن والعصيدة بأدام من اللبن او اللحم في قصاع من خشب . وشربهم البوزة . وهم يتفقون على عدم لبس الخيط او لبسه في الشمال على قلة . وعلى ضفر النساء شعورهن صفائر دقيقة جداً ودهن الرأس بالشحم والزيت . وعدم خروج الرجال من منازلهم بلا سلاح وحجهم الغزو والحرب والقيد بالشعبة والمكية . واستعمال النقارة والحرا . واحترام

المرض . والضجة في المآتم . وحب الرقص والطرب والضرب على الرابطة .
والسلام باليد . واعتقاد السحر والخرافات .

وقد زار بعض الشعراء الخرطوم في الفتح الاول ماراً بشلال « دال »
وقامى في سفره المشاق فنظم قصيدة مجونية بالغ بها في ذم السودان وأهله
قال فيها :

أقضي الليالي بالسر	والقلب ذاب من الفكر
والصدر ضاق من الفرا	ق ومن مشقات السفر
سفر الى السودان وال	خرطوم لم يكُ منتظر
شاهدت أهوالاً به	ووجدت في « دال » العبر
تلك البلاد بأسرها	كجهم ذات الشرر
أمراضها قتالة	وهواؤها يعمي البصر
فكأنما ريح السم	م تهب فيها من سقر
ريح تهب بلا انقطا	ع في المساء وفي السحر
ألوانهم كصخورم	سود كألوان الحبر
ومن العجائب لم تجد	فيها اللحم ولا الخضر
حق ولا من موثس	يشفي العليل اذا حضر
فيها الأفاعي والعقا	رب مثل تعداد الشجر
وجميع أنواع الوحو	ش الضاريات لها أثر
وبها البعوض مع التا	سيح التي منها الحذر
من كل قماش ترى	بالاغتيال له خبر
ما حل في ساحاتها	من سائح إلا اندعر
فاقت فيها مدة	وأنا أبيت على خطر
لما رأيت الحال طا	ل ولم يعد لي مصطر
فارقتها متللاً	وأنت مصر على الأثر

ولو ذهب هذا الشاعر اليوم الى الخرطوم ورأى ما فيها وفي الطريق اليها
من دلائل الاصلاح لبدل شعره بما هو أليق بالسودان وأهله وتمنى عيشة
الخرطوم .



عادات السود

★

(انتهى الجزء الاول ويليه الجزء الثاني)

الجزء الثاني

في

تاريخ السودان

القديم

(وفيه خمسة أبواب)

★

THE ANCIENT HISTORY OF THE SUDAN

الباب الأول

في

تاريخ ايثيوبيا

« وهو تاريخ البلاد منذ عهد الدولة المصرية السادسة سنة ٣٧٠٣ ق م الى دخول
التصراعية لبلاد النوبة سنة ٥٤٥ ب م »

الفصل الاول

في

تاريخ ايثيوبيا قبل انتظام ملكها

« وذلك منذ عهد الدولة المصرية السادسة سنة ٣٧٠٣ ق . م . الى بدء الدولة الثامنة عشرة سنة ١٦٠٠ ق . م . »

حدودها : امتدت مملكة ايثيوبيا قديماً من الشلال الاول عند اسوان الى اقاصي الحبشة شمالاً وجنوباً ومن سواكن ومصوع على البحر الاحمر الى صحراء ليبيا شرقاً وغرباً وهي تشمل بلاد الحبشة ومعظم بلاد السودان .

اسمها : وقد عرفت ايثيوبيا في الآثار المصرية كما عرفت في التوراة باسم « كوش » . اما ايثيوبيا فهو الاسم الذي أطلقه اليونان على جميع بلاد السود والشديدي السمرة ومعناه الوجه الاسود او المحترق فهو على اطلاقه يشمل بلاد السودان والحبشة والعرب إلا انه «مُخصر» بالبلاد التي فيها كلامنا .

سكانها : واول من سكن هذه البلاد فيما نعلم « السود » وقد اختلفت العلماء في أصلهم فمن قائل انهم نشأوا في القارة وتشعبوا فيها قبائل شتى على ما نراهم اليوم ومن قائل انهم هاجروا اليها من آسيا عن طريق البحر الاحمر

قالوا وما كانوا سوداً بل كانوا بيضاً فسودتهم حرارة الشمس وطبيعة القارة
على توالي الأجيال كما قال ابن نينا في ارجوزته الطبية :

في الزنج حرّ غير الاجساد حتى كسا جلودها سوادا
والصقلب اكتسبت البياضا حتى غدت جلودها بياضا

وأصحاب هذا الرأي لا يمتنون تاريخ مهاجرة السود الى افريقية او ربما
اضطروا الى القول بمهاجرتهم اليها من عهد بعيد قبل التاريخ لأنهم يختلفون في
أصلهم اختلافاً كلياً عن جميع السكان الذين هاجروا الى افريقية بعد التاريخ .
ثم ان اولاد « كوش » بن حام هاجروا الى افريقية بعد الطوفان فاستولوا
عليها فسميت باسمهم كما مر . ومهما يكن من اصل الايثيوبيين الاولين فالثابت
المقطوع به في التاريخ ان سكان البلاد التي جنوبي الشلال الاول كانوا منذ اول
عهد التاريخ كما هو اليوم مختلفي الاجناس عن سكان البلاد التي الى شماليه .
وكانت الايثيوبيون في اول امرهم قبائل شتى لا تجمعهم كلمة ولا تربطهم
جامعة دأبهم الانشقاق وشن الغارات بعضهم على بعض كبادية هذه الايام .
ومن هذه القبائل المدونة أسماءها على الآثار المصرية .

« الأوايو » « Uauaiu » وقد سكنوا الصحراء الشرقية حيث العبادة الآن .
« والمزاير » « Mazaiu » وقد سكنوا جنوبيهم الى طريق بربر فسواكن .
« والبوانيت » « Puanit » وقد أقاموا بين طريق بربر فسواكن وجبال
الحبشة .

« والدنقس » « Dangas » وهم أقزام الى جنوبي البوانيت وقد سميت
بلادهم ببر الاظلال « Land of the Shades » التي « عدت » حينئذ آخر المعمور
حيث الأحياء تلامس الأنفس المفارقة الاجسام وهي البلاد المعروفة باسم
« نجباي » بين الحبشة وزنجبار وقد كانوا في حرب دائمة مع الأحباش ولا
يزالون كذلك الى اليوم .

هذا ويستدل من الآثار ان قبائل الصحراء المجاورة لمصر كانوا كما هم في
هذا المهد يخاطون الحضرة على النيل فيأتون من صحرائهم بالمواشي وخشب

السنط والفحم والصنع والصيد وجلود الحيوانات والحجارة الكريمة ويقايضون منها الأقوات والأنسجة. وكان المصريون يسألونهم لمنع تعدياتهم والانتفاع بتجارعتهم ويعملون لمشايخهم جعلاً معلوماً يحرونه عليهم في كل سنة فيتمهدون بحماية الطرق وحفظ الأمن ولكنهم ما كانوا يقيمون طويلاً على العهد إذ كان خصب وادي النيل يفرهم فيغزونهم من وقت إلى آخر فينهبون ويسلبون ويعودون بالنهب والاسلاب إلى صحرائهم . وكان المصريون أيضاً كلما فرغوا من حروبهم في الشمال يبعثون بالسرايا إلى تلك الصحراء وغيرها من بلاد إثيوبيا فيسبون ويفغنمون من خيراتها ومعادنها ويعودون إلى مصر فيدون أخبار غزواتهم على جدران هياكلهم ومدافنهم كما يشاهد في الآثار المصرية الباقية إلى الآن :

بدء تاريخها : وأول من غزا إثيوبيا فيما نعلم الملك بي الأول ثاني ملوك الدولة المصرية السادسة (سنة ٣٧٠٣ : ٣٥٠٠ ق . م) فإنه أرسل قائده أوتا « Una » إلى جهات كورسكو ليجمع بعض أنواع الخشب فساعدته قبائل تلك الجهات على جمعه وأقروا للملك بي بالطاعة .

وأرسل الملك متوسوفيس وهو الملك الثاني عشر من ملوك هذه الدولة القائد هرخف لغزو بلاد البوانيت قعاد بغنائم البخور والابنوس والعاج والجلود حثها على ٣٠٠ حمار وأحضر معه قزماً من الدنقس أتى به من بر الاطلاق وكان الملوك المصريون يُسرُّون بقنية الأقزام في قصورهم لأنهم كانوا على زعمهم يحسنون رقص الآلهة فلما وصل هرخف بالقزم إلى أرض مصر كان الملك متوسوفيس قد مات وخلفه أخوه بي الثاني فسُرَّ بخبر القزم وكتب إلى هرخف يأمره بإحضاره إلى ممفيس وهذا نص الكتاب : « واصعب معك في المركب بعض الحفراء لحراسته لئلا يقع في الماء أو يفلت في الليل لأنني أسرُّ برؤية القزم أكثر من سائر الغنائم التي أتيت بها من بلاد البوانيت » . فحفر هرخف هذا الكتاب مع خبر غزوته على واجهة قبره في جزيرة الفنتين تجاه اسوان .

ثم لا نعلم شيئاً يُذكر بين مصر وإثيوبيا إلى أيام الدولة المصرية الثانية

عشرة (٣٠٦٤ : ٢٨٥١ ق . م) إذ نرى اوسرتسن الاول ثاني ملوك هذه الدولة قد عقد لقائده هونو « Huno » وأرسله الى بلاد البوانيت بطريق فقط والقصير لجمع الجزية من أمراء تلك البلاد. فعند وصوله الى القصير بنى مراكب كبيرة وسار بها في البحر الاحمر حتى وصل بلاد البوانيت فجمع الجزية من البغور وغيره من محاصيل تلك البلاد وعاد الى مصر .

وجزء هذا الملك حملة على ايتيوبيا بطريق النيل فمدّ حدود مصر جنوباً الى الشلال الثاني . وقد وُجد حجر في هيكَل تجاه حلفا نُقل الى فلورنسا بإيطاليا وعليه صورة هذا الملك ويحانها صور مشايخ القبائل الثمانية الذين تغلب عليهم في هذه الحملة ومشايخ السود الذين تغلب عليهم في بداءة ملكه .

ثم جاء اوسرتسن الثالث خامس ملوك هذه الدولة فمدّ حدود مصر جنوباً الى شلال سمنه وبنى عنده هيكلاً لا تزال آثاره باقية الى اليوم . وقد وُجد هناك حجراً نُجعلاً الحد الجنوبي لمصر مكتوباً على الواحد منها ما نصّه : « هذا حد مصر الجنوبي الذي عُيِّن في السنة الثامنة من حكم الملك اوسرتسن الثالث المخلد الذكر فلا يجوز لأحد من السود ان يتعداه إلا في سفن تقلّ أنقر والمعزى والحير من بلاده » وعلى الحجر الثاني ما يُفهم منه ان الملك المذكور وضع هذا الحجر في السنة السادسة عشرة من ملكه فجعله حداً فاصلاً بين مصر وايتيوبيا وانه أمر ان ينصب تمثاله في تلك الجهة فكان كما أمر . وترى في معتوقه في جنوب الشلال الثاني طابية من آثاره .

وفي جزيرة ارقو تمثايل وخرائب من ايام الدولة المصرية الثالثة عشرة (سنة ٢٨٥١ : ٢٣٩٨ ق . م) .

واما الدولة الرابعة عشرة (سنة ٢٣٩٨ : ٢٢١٤ ق . م) فلا نعلم شيئاً من أمر ايتيوبيا في أيامها .

وفي بدء الدولة الخامسة عشرة هاجم مصر الرعاة المائلة من آسيا الجنوبية فتغلبوا عليها وملكوها ستاية سنة ونيفاً فكان منهم الدول المصرية ١٥ و ١٦

و ١٧ (٢٢١٤ : ١٦٠٠ ق . م) وكان المصريون يكرهونهم لأنهم غرباء فلم
ينفك أبناء الملوك القدماء عن إثارة الفتن فشنلوم عن ايتيوبيا . وهاجر في
سدهم كثير من المصريين الى ايتيوبيا فراراً من ظلمهم فأشعوا عدة مهاجر
أها مها مهاجر ارقو الذي لا تزال آثاره ظاهرة الى اليوم .

الفصل الثاني

في

ملكة نبتة

« وهو تاريخ إثيوبيا منذ بدء الدولة الثامنة عشرة سنة ١٦٠٠ ق. م. الى نهاية الدولة الخامسة والعشرين من الدول المصرية سنة ٦٦٤ ق. م. »

ثم ان هؤلاء المصريين الذين هاجروا الى ايثيوبيا أخذوا معهم من جميع أنواع الفنون والصنائع المصرية فحسن بذلك حال الايثيوبيين وتدرجوا في سلم المدنية والعمران حتى انه لم تكن الدولة المصرية الثامنة عشرة (١٦٠٠ : ١٣٨٠ ق. م.) إلا رأيتهم مملكة منظمة وعليهم ملك منهم بل لم يتم الملك لأحمس اول ملوك الدولة الثامنة عشرة المذكورة إلا بجمونة ملك ايثيوبيا الذي زوجته ابنته وظافره على طرد الرعاة من مصر وإعادة الاستقلال اليها . ويظهر ان هذا الملك الذي انتظم للايثيوبيين كانت عاصمته منذ نشأته مدينة نبتة عند جبل البرقل بقرب مروي المعروف في الهيروغليف بالجبل المقدس . ودامت العلاقات الودية بين مصر وايثيوبيا الى حكم تحوتبس الاول ثالث ملوك هذه الدولة فانه غزا الايثيوبيين وانتصر عليهم وولى على البلاد التي فتحها امراء مصريين لادارة شؤونها وضبط أحكامها ولقب كل منهم بأمر ايثيوبيا

الملوكي وقد دون خبر انتصاره هذا على صخرة في جزيرة طنبس عند الشلال الثاني .

وخرج السود في شاطئ النيل الأعلى على تحوqus الثالث (سادس ملوك هذه الدولة) فحصل عليهم يحيش ففر أكثرهم إلى الجبال فأمر بنهب مواشيهم وأموالهم من ذهب وآنية معدنية وريش نعام وغير ذلك وهدم مساكنهم وأحرقها وعاد بالغنائم إلى مصر . ولهذا الملك هيكل قائم إلى الآن تجاه حلغا نقش على جدران تاريخ انتصاراته على الليبيين والفينيقيين وغيرهم . وكان قد شرع في بناء هيكل بمعدّة فأتمه خلفه المنحبت الثاني ولا تزال آثاره إلى اليوم وعليه كتابة تدل على أن هذا الملك أسر سبعة من ملوك الاموريين في تاخيس « Takis » من بلاد الشام فأرسلهم في الذهبية الملوكية إلى ثيبة (الأقصر) فعلق ستة منهم على سور المدينة وأرسل السابع إلى نبتة عاصمة إيثيوبيا فعلقه هناك ليوقع الرعب في قلوب قبائل السود كافة . وهذا أول عهدنا بمدينة نبتة .

وغزا المنحبت الثالث (المعروف ، أيضاً بأمنوفيس الثالث تاسع ملوك هذه الدولة) إيثيوبيا في السنة الخامسة من ملكه فانتصر عليها انتصاراً عظيماً ودون ذلك على صخرة بقرب جزيرة فيلي في جنوب الشلال الأول المعروف الآن بجزيرة أنس الوجود . وعلى بعض الصخور بسمنه كتابة تدل على أنه توغل يحيوش في إيثيوبيا وأسر من أهلها ٧٤٠ نفساً من ذكور وإناث وأطفال وقطع ٣١٢ يداً أحضرها معه بعد الغزوة . وبني هيكلًا في عاصمة نبتة وضع أمام بابه صفيين من الكباش الرابضة على هيئة أبي الهول . وفي صلب آثار هيكل من بناء هذا الملك وخلفه الملك المنحبت الرابع .

وغزا حورعرب آخر ملوك هذه الدولة الإثيوبيين فانتصر عليهم ورجع بالغنائم والأسرى ودون خبر انتصاره على الغار الكبير في جبل السلسلة شمالي اسوان حيث ترى صورته على شكل مقاتل حامل على كتفه فأساً كأنه يلتبس من الاله « آمّن رع » دوام حياته وتأييد نصرته على أهل الجنوب وكان « آمّن رع » قد انجاب دعوته فانتصر وعاد من غزوته راكباً هودجاً نفيساً

ومعه بعض رجاله وامامه الخدم يهدون له الطريق وخلفه الفرسان يقودون الأسارى ويليهم العساكر حاملين التروس والموسيقى العسكرية تصدح أمامهم ثم يأتي بعدهم جم غفير من الكهنة وأرباب المناصب الملكية لاستقبال الملك قائلين في مدحه : لقد قدم المقدس الفاضل بعد ان قهر كبار الامم أجمع وقوسه تلعب في يده فحبذا هذا الملك القادر الفخيم الذي جاء برؤساء ايثيوبيا الأذلاء الأذنياء الأصل وجلب الغنائم بقوته العالية كما أمره أمن رع فنعمت هذه النصره الباهرة ، وترى الأسارى يصيحون قائلين : يا ملك مصر وجه نظرك الينا وأعنا فأنت شمس الشعوب التسعة وقد اشتهر اسمك وبلغ أقصى ايثيوبيا فزع حربك وملأ قلوب الامم رعبك وانت في مكانك مقيم فانك شمسنا .

وكان هذا الملك يأخذ الجزية من السود من فضة وذهب وأبنوس كما تشهد بذلك نقوش مقبرة الكرنك . هذا ما كان من العائلة الثامنة عشرة المصرية مع ايثيوبيا .

وقد رأيت في بعض التواريخ القديمة ان الايثيوبيين غزوا مصر في ايام موسى النبي واكتسعوا البلاد الى ممفيس فاستشار المصريون آلهتهم في شأن الايثيوبيين فأوحى اليهم ان يحنطوا جيشاً ويعقدوا لواءه لرجل من العبرانيين فاختراروا موسى قائداً على جيشهم وأطلقوا له الحرية ليفعل ما يشاء لردع الايثيوبيين فزحف موسى بالجيش على عاصمة ايثيوبيا ولم يتخذ طريق النيل كما انتظر الايثيوبيون بل سار بطريق الصحراء قليل وكان في طريقه ارض تموج بالحيات فأخذ معه في أقفاص من البيروس عدداً من طيور « ابي منجل » المصرية التي تصيد الحيات فلما وصل الى تلك الارض أفلتها من الاقفاص فأهلك جميع الحيات وفتحت الطريق للجيش فأطبق موسى على الايثيوبيين مفاجئاً لهم فانهمزوا شر انهزام الى عاصمتهم الحصينة فحصرهم فيها وكانوا يخرجون اليه ويناجزونه فيردهم على أعقابهم خاسرين وكانت ابنة ملك ايثيوبيا في قصرها تشاهد القتال فأعجبته بسالة موسى فوقع حبه في قلبها وعشقتة

فأسرت بذلك الى بعض رجالها الذين كانت تثق بهم وقالت لهم : اذهبوا الى موسى واخبروه بأنني أسلمه المدينة بشرط انه يتخذني زوجة له فأجاب موسى الى طلبها ودخل المدينة وتزوج بها. قلت وهذه من القصص التقليدية الخرافية التي لا دليل على صحتها .

ثم كانت الدولة المصرية التاسعة عشرة (سنة ١٣٨٠ : ١٢٣٠ ق . م) فكان لها من الشأن مع ايثيوبيا ما كان للعائلة التي قبلها وأعظم ففزا ملوكها ايثيوبيا وتغلبوا عليها وأقاموا الحكم لإدارتها وبنوا فيها الهياكل التي لا تزال شاهدة بسلطتهم الى اليوم .

وأشهر ملوك هذه الدولة الذي كان له أعظم الشأن مع ايثيوبيا رعسيس الثاني ثاني ملوكها (١٣٤٨ : ١٢٨١ ق . م) فانه غزا الايثيوبيين وانتصر عليهم وأقام في تلس (كلابشة) هيكلاً صغيراً نادر المثال حفره في الصخر تذكراً لنصرته ولا يزال باقياً الى اليوم ويعرف عند اهل كلابشة ببيت الولي وهو من أثمن الآثار القديمة في مصر وايثيوبيا وعلى جدرانه نقوش صور وكتابات من أبدع صنع فترى فيها رعسيس الثاني راكباً عربية تجرها جياد الخيل وهي تنهب الارض نهبا وهو يطلق سهامه على جيوش العدو غير المنظمة فينهمزون امامه الى الفابات . ثم ترى رئيساً من الايثيوبيين مجروحاً يحمله رجاله الى بيته وواحداً من اولاده يحثو التراب على رأسه حزناً عليه وآخر يركض ليخبر والدته وهي تطبخ على نار موقدة في الارض . ثم ترى رعسيس جالساً تحت مظلته الملوكية والايثيوبيين الذين تغلب عليهم وفي مقدمتهم أمير كوش (المسمى امينبات) يقدمون له الهدايا من خواتم وأكياس الذهب وجلود الفهد وعروش فخيمة ومراوح وسن الفيل وبيض النعام وغيرها : ثم يتقدم وفد من الايثيوبيين ومعهم أسد وثيران وغزلان ثم ترى جماعة من الرؤساء المصريين يتبعهم أمير كوش وبعض الايثيوبيين آتين بهدايا من النبات والجلود والقرود وظريف المعاني Camelopard وغيرها من الحيوانات . ولرعسيس الثاني هيكل آخر منحوت في صخر في الدر أقامه لعبادة

الاله آمن رع ذكر فيه ايضاً انتصاره على الايثيوبيين . وله هيكل من الحجر الرملي الصلب في السبوع وعليه . صورته يقدم البخور للاله آمن وهو يقول له « لك اعطي كل القوة واعطيك العالم بسلام » وفي اسفل جدران بعض الغرف أسماء اولاد رعيس وعددهم ١٧٨ نفساً . ومن أعماله انه جدد استخراج الذهب والزمرد من معدنيها في وادي الملاقي المعروف قديماً باسم اكيٲا Akita الذي ينتهي عند النيل بكوبان تجاه دَكَا . وهناك آثار قلعة يظن انها من عهد رعيس الثاني وان القدماء كانوا يذهبون منها الى ذلك الوادي .

ومن بناء رعيس الثاني هيكل « ابو سمبل » على ١٧٠ ميلاً من الشلال الاول وهو هيكل عظيم منحوت في الصخر في منحدر أكمة مرتفعة فوق النيل اقامه تذكاراً لانتصاره على الحثيين في الشمال الشرقي من سورية وهو اعظم الهياكل في ايثيوبية الشمالية واجلها بل في صنعه ونحته من العظمة مع البساطة ما لا يوجد في غيره من هياكل وادي النيل كلها . وفي واجهته ثلاثة تماثيل هائلة لرعيسين الثاني تمثله جالساً ويداه على ركبتيه والتاج على رأسه وعلو الواحد منها ٦٦ قدماً وطول قدمه ١٥ قدماً وطول اذنه ٣ اقدام وه قراريط وكلها منحوتة في الصخر . وفي داخل الهيكل أعمدة من الصخر نفسه علو الواحد منها ١٧ قدماً . وفي صدره مذبح فيه تمثال هرغيس « Son God » ورعيس الثاني امامه يقدم له الطاعة وهناك صورة آمن رع وثوث وغيرهما من الالهة وأسماء اولاد رعيس . وعلى جدران الغرف كتابات بالهيروغليفة تبين تاريخ انتصاره على الحثيين والكوشيين اي الايثيوبيين وهناك صور الأمم الافريقية والآسيوية التي تغلب عليها وأمير كوش واقف امامه . ولرعيس الثاني هيكل في نبتة باقية آثاره الى الآن وهو أقدم هياكل تلك المدينة .

هذا وفي جزيرة ساي خرائب من عهد هذه الدولة والدولة التي تقدمتها . ودامت سلطة مصر على ايثيوبيا الى عهد الدولة العشرين (١٢٣٠ : ١١١٠ ق.م) فقد وجد ماريوت سنة ١٨٧٦ حجراً في شونة الزيبب بالمرابة المدفونة بمصر مكتوباً عليه با نصه : « ان الملك رعيس الثاني عشر (وهو

آخر ملوك هذه الدولة) أصدر أمره الى « بيانخاس » حاكم الاثيوبيا ورئيس الأمم الاجنبية التابعة للدولة المصرية يقول له فيه : « أنفذت إليك مستشاري الرئيس ياني بكتاب ضمنتته أوامري فعند وصوله إليك ساعده على إنجازها بالحسن لأنه هو المكلف بإقامتها عليك ان تلاحظ توابيت «المعبودة» وتضعها في سفينة وتأتي بها معه الى المكان الذي أعد لها واحضر معك الحجارة النفيسة للصناع واحذر من التأخير في إنجاز هذه الأوامر وإلا خلعتك وعاملتك بحسب ما يصل إلي من أخبارك » .

وبعد هذا العهد اشتغلت مصر عن إثيوبيا بالفتن الداخلية والحروب مع آسيا . وحدث ان احد ملوك الدولة الحادية والعشرين (١١١٠ : ٩٨٠ ق.م) المسمى سمنتوميامون نفى بعض الكهنة المصريين الى اثيوبيا فأدخلوا عبادة الإله « آمين » الى نبتة وقوتوا الاثيوبيين فخرجوا عن طاعة مصر واستقلوا تحت حكم كاهن منهم . ومن ذلك الوقت أخذ نجم اثيوبيا في الظهور والارتفاع حتى علا على نجم مصر . ففي آخر أيام الدولة الثانية والعشرين (٩٨٠ : ٨١٠ ق.م) هاجم الاثيوبيون مصر وفي آخر أيام الدولة الثالثة والعشرين (٨١٠ : ٧٢١ ق . م) استولوا على صعيدها .

وكانت مصر في هذه الأثناء قد انقسمت الى عشرين ولاية بعضها مستقل عن بعض وعلى كل ولاية أمير فتغلب الملك تغنخت اول ملوك العائلة الرابعة والعشرين (٧٢١ : ٧١٥ ق . م) عليها كلها وجعلها مملكة واحدة وزحف على الوجه القبلي يحاول استرجاعه من الاثيوبيين حتى وصل الى اهناس الجنوبية .

الملك بعنخي : وكان على الاثيوبيين في ذلك العهد ملك قادر يسمى بعنخي مقيم في نبتة عاصمة إثيوبيا فجرد عليه جيشاً جراراً وقائله في عدة وقائع حتى انتصر عليه ونقش خبر نصرته هذه على حجر «وجد في نبتة ونقل منها الى متحف الجيزة بمصر وهذا ملخص ترجمته عن المقد الفريد عن ده روجه ببعض التصرف :

« في غرة توت من السنة الجبادية والعشرين من حكم ملك الوجه القبلي والبحري «بمنغى ميامون» خلد ذكره صدر أمره بما نصه : اسمعوا ما فعلته زيادة عن أجدادي انا الملك الخارج من سلالة مقدسة النائب عن المعبود «توم» المميز بشارة الملك منذ الصغر انا المقدس الطيب حبيب المعبودات ابن الشمس «بمنغى ميامون» بلغني ان الامير تفتنخت استولى على مدينة منف وغيرها من المدن المصرية الشمالية وسار نحو الجنوب بجيش جرار فأطاعته الأمراء وأعيان البلاد وصاروا تحت رجليه أذلة كالكلاب حتى وصل الى انناس الجنوبية فحصرها حصاراً شديداً ومنع أهلها من الدخول والخروج ودام على قتالها حتى فتحها. وكان الأمراء يبعثون إليّ بالرسائل يسألون عن سبب قعودي عن تفتنخت وعدم المدافعة عن الوجه القبلي وقالوا ان النمرود رئيس الاشمونيين هدم حصون نفروس ودمرها مخافة ان يأخذها تفتنخت والتجأ الى مدينة اخرى فاقتفى تفتنخت أثره فاضطر الى الخروج عن حزبي والانضمام اليه فغمره بأنعامه وأعطاه انناس الجنوبية . فعند ذلك أرسلت الى قواضي الذين في ثيبة وغيرها من بلاد مصر ان يستعدوا لقتاله ويسلبوا مواشيه وسفته التي في النيل ويمنعوا العمال من الخروج الى الحقول ويحاصروا مدينة ارمنت ففعلوا وأمددتهم بالجيوش وقلت لهم : لا تهاجموه لئلا هجوم الخادعين بل هاجموا حتى رأيتم انه أعدت جيوشه وخيوله وسار لقتالكم واذا قيل لكم انه يجمع مشاته وفزسانه في مدينة اخرى ويستعد للهجوم عليكم فاثبتوا في مكانكم الى ان يأتيكم فحاربوه مستبسلين واعلموا ان المعبود «آمن» هو الذي أرسلنا اليهم ولا بد ان ينصروا عليهم . واذا وصلتم الى ثيبة فانزلوا في النيل وطهروا أنفسكم بمائه وألبسوا ملابس الأعياد وضعوا عنكم القسي والسهام ولا يتعرض احد منكم «لآمن» صاحب الحقول والبطول اذ بدونه لا يكون لفارسكم قوة وهو يجبر العظم الكسير ويفني العدد الكثير وينصر الواحد على الالف فاغتسلوا بماء معابده واسجدوا له وقولوا ثبتت أفئدتنا على الحق لنحارب في ظل سيفك لأن المقاتلين الذين ترسلهم يبددون الألوف . فعند ذلك خروا قائلين اسمك سيفنا

وعملك مرشد لجيوشنا وخبرك في أجسامنا ومشروبائك تطفئ ظمأنا وشجاعتك
 سلاحنا والنصر مقرون باسمك وما يثبت جيش رئيسه معتد باغ فمن يشابهك
 أيها الملك المنصور الفعّال الأمر بالحرب . ثم انحدروا في النيل الى ان وصلوا
 ثيبة ففعلوا ما أمرهم به ملكهم . واستأنفوا السير في النيل فقابلتهم سفن
 حربية مشحونة بالملاحين والجنود والضباط الماهرين المدربين وقد جاءت من
 الوجه البحري لمحاربتهم فانتشب القتال بين الفريقين وكان النصر لجنود الملك
 بمنحى فقتلوا من الأعداء وأسروا وأرسلوا أسراهم أحياء الى بمنحى . ثم
 زحفوا على مدينة اهناس الجنوبية فاجتمع أعيان الأقسام الغربية والشرقية
 والبلاد الوسطى وحكامها واتفقوا على محاربتهم فأطبق عليهم رجال بمنحى
 وأوقعوا بهم وأخذوا سفنهم وأكروهوا من سلم منهم على الفرار فعبروا النيل
 الى الغرب فأقاموا في محل يدعى « باييك » . وفي صباح اليوم الثاني اجتاز
 رجال بمنحى النهر مقتفين أثرهم فأدركهم واختلطوا بهم وقتلوا كثيراً من
 رجالهم وخيولهم ووقع الرعب قimen بقي ففروا الى الوجه البحري منهزمين
 شر هزيمة . ثم زحف جيش بمنحى على ارمنت فلما بلغ النمرود خبرهم جمع
 رجاله وخيوله وسبقهم اليها فحصره فيها من الجهات الاربع ومنعوا أهلها من
 الدخول والخروج وأرسلوا كتاباً الى الملك بمنحى يعلموه بما كان فلما قرأ كتابهم
 اغتاظ وتلون كالنمر وقال لئن ا بقي جنودي على بقية جيوش الوجه البحري
 او مكثوا احداً منهم من الفرار ولم يفنوه على بكرة أبيهم فبحياتي وبحق
 المعبود « رع » وبحق ابي « آمن » لأقاتلن بنفسي وأهدمن جميع حصونهم
 وأحرمنهم القتال ولكن يلزمني قبل ذلك ان احتفل بموسم رأس السنة في
 جبل البرقل وأقدم القربان لأبي « آمن » يوم تجلّيته في ذلك العيد ثم أتوجه الى
 ثيبة لأشاهده هناك في موسم العظم وبعد ذلك أفرغ للوجه البحري فأذيقه
 طعم سطوتي . ولما بلغ جنوده الذين في مصر انه لم يكتف بما فعلوا تقدموا
 الى مدينة « واپ » واقتنحوها وأرسلوا يخبرونه فلم يسكن غضبه . ثم هاجوا
 « تنى » وكانت مدينة حصينة غاصة برجال الوجه البحري فأقاموا المتاريس

حولها وهدموا أسوارها وأوقموا بأهلها وكان في جملة القتلى ابن تقنخت أمير المشاشين فأرسلوا يخبرون ملكهم بذلك فلم يسكن غضبه . فهجموا على « حينو » وفتحوها عنوة وأرسلوا يبشرونه بذلك فلم يسكن غضبه .

ولما كان اليوم التاسع من شهر توت وصل بمنخى يحيوش الى ثيبة واحتفل فيها بموسم « أمن » السنوي ثم توجه توأ الى ارمنت التي كانت لا تزال تحت الحصار وخرج من سفيلته فوضع النير على خيوله وركب عرباته فانكسر العزع في قلوب الناس الى أقصى بلاد آسيا ثم برز كالأسد وهجم على الأعداء وقال لهم اذا أقمتم على القتال أخرت أوامري بالعفو عنكم فيما بعد وأذقتكم مرارة سطوتي فلم يسمعوا له فوضع معسكره في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة وشدد عليها الحصار وأقام متاريس من تراب لتقيه مقذوفات أسوارها ونصب سلام للارتقاء اليها وصوب رجاله عليها السهام ورموها بحجارة المقاتق ووالى الهجوم عليها ثلاثة ايام حتى أفسد هواؤها وحرم أهلها استنشاق الهواء النقي فسلمت فأرسل النمرود رسلاً حاملين الذهب والحجارة النفيسة والأنسجة الفاخرة وقائلين لقد ظهر الملك وتاج الثعبان على رأسه وغيظه مكتوم ولم تلبث حتى أطينا تاجه ثم أرسل النمرود امرأته لترجم حرم الملك بمنخى وجواريه وبناته واخواته في العفو عنهم فسجدت امام حرم الملك في القصر قائلة أيتها النساء الكريمات حرم الملك وبناته واخواته اغثنى وسكن غضب الملك صاحب القصر فما أشد سطوته واعظم عدالته ... ولما مثل النمرود بين يدي الملك بمنخى قال له الملك: لقد سددت طريق الحياة عن نفسك فقال النمرود: لو صعدت الى السماء كالسهم لأدركتني كيف لا وقد أخضعت بلاد الجنوب وأطاعتك بلاد الشمال فهل لنا ان نستظل بظلك فقد أفنى بأسك جميع رجالنا فلا أب يرى مع ابنه وامتلأت بلادنا بالاطفال ثم خر ساجداً امام جلالة الملك وقال : انا احد عبيدك الذين يدفعون الجزية لخزيتك فاحسب ما تجمع من عبيدك كلهم وأخذ مني جزية تزيد على مجموع جزيتهم ثم شرع في تقديم جزيته فكانت شيئاً وافراً من الفضة والذهب واللازورد والزبرجد والحديد

والاحجار النفيسة حتى ملأ خزانة الملك وجاء بحصان في يده اليمنى وآلة موسيقية تشبه «الرابية» مصوغة من الذهب واللازورد في يده اليسرى وقدمها للملك. فخرج الملك اذ ذاك من قصره وتوجه الى معبد «هرمس» إله ارمينت فقابلها عساكرها بالفرح وقال له الكهنة ما أعظم الملك بمنحى سلالة الشمس لقد جئت الى مدينتك يا حامي حمى ارمينت فاعمل لنا عيداً لقدومك. ثم جاء المدينة ودخل قصر النمرود وظاف في غرفه وشاهد جميع خزائنه وأمر بإحضار زوجاته وبناته فأتين خاضعات لجلالته فلم يلتفت اليهن. وبعد ذلك تفقد اصطبلات القصر فوجد الخيول بلا علف فأقسم بحياته وبالإله «رع» وقال ان اجاعة خيولي هي أقبح ذنب جنيته ايها النمرود فقال النمرود: لا تغير ذنبك بالغضب ايها الملك فاني سأخبر سيد الخدم بفضبك وأعد العلف لخيولك. هذا وقد أهدى الملك بمنحى أموال ارمينت كلها الى خزانة آمن رع ساكن ثيبة.

وجاءه ملك اهناس يهدايا من ذهب وفضة ونحجارة كريمة وجياد من خيوله وسجد أمامه وقال السلام عليك ايها الملك الحاكم المنصور الثور الذي لا يبطش بالثيران لقد كنت في اعنى هاوية محاطاً بالظلمة فأخرجتني من الهاوية وقشمت عني الظلام انا عبدك ولك جميع ما أملك وها هي جزية اهل اهناس التي يقدمونها للملكم فقبلها منه.

ثم سار يجنوده شمالاً وكان كلما مر بمدينة وقد اقبلت دونه ابوابها يدعوها للتسليم فتسلم له فيدخلها ويأخذ منها الجزية ولا يقتل من اهلها احداً حتى اشرف على مدينة منف (تجاه القاهرة) فأرسل الى اهلها يقول لا تغفلوا أبوابكم دوني ولا تحاربوني فساني سأدخل مدينتكم وأخرج ولا أسيء الى احد منكم بل أقدم القرابين الى «بتاح» ومعبودات منف كلها وأقيم في معبد «شيق» الصلوة الى «سوكاري» فاعتبروا بأهل الوجه القبلي فاني لم أعاقب منهم الا من طغى ولم أقتل الا من أغضب المعبود فلم يسمعوا لقوله وأغلقوا دونه أبوابهم. وجاء تفنخت من «صا الحجر» ليلا الى منف وقال لقواده

وجنوده البرية والبحرية وكانوا ٨٠٠٠ و ١٠٠٠ رجل ان منف غاصّة بأعظم جنود
الوجه البحري وأشوانها ملأى بالقمح والشعير وأنواع الحبوب وفيها جميع
العدّد وسورها متين وطايبتها متسعة حصينة مبليّة حسب قواعد الدفاع
والنهر يحيط بشرقي المدينة فلا يجد العدو مكاناً يهاجمك منه وانتم تعملون ان
مراعينا غاصّة بالمواشي وخزانتى ملأنة من الفضة والذهب والنحاس والملبوسات
والمطور والعسل فسادهم وأعطي جميع ذلك لأمرأ الوجه البحري فاثبتوا
في حاميتكم ودافعوا عن انفسكم الى ان أعود اليكم ولما أتم كلامه ركب حصانه
لأنه أسرع من عريته وقفل راجعاً الى الوجه البحري خوفاً من الملك بمنغى .
وفي صباح اليوم الثاني اقترب الملك بمنغى من منف بقصد كشفها فوجد الماء
مرتفعاً الى اسوارها وسفنها راسية على شاطئها وتأملها فرآها حصينة منيعة
لها استحكام قوي وسور مرتفع حديث البناء ولم يجد فيها موضعاً يهاجمها منه
فاستشار رجاله في شأنها فقالوا لجمع كثراناً من التراب مساوية لسورها ونصب
عليها سلام ونقيم المناريس من حولها فلما سمع الملك بمنغى هذا الرأي تلون
كالنمر وقال حياتي وحياة المعبود « رع ، واي « آمن ، لأهاجن هذه المدينة
في الحال وأخذتها كريح عاصف ثم أمر قواده فادنوا السفن والارماث
ومراكب النقل من الشاطئ فلم يشعر بهم احد وأمر رجاله فأحدقوا بسورها
ودخلوها من جهة النهر وكان قد أوصاهم قائلاً اذا تورّ احدكم السور فلا
يقف في مكانه واذا سلم لكم احد الرؤساء فلا تقتلوه لأن هذا مذموم ففعلوا
برصيته وبذلك دخل المدينة وقتل من اهلها خلقاً كثيراً وأحصى أسراها بين
يديه . وفي ثاني يوم الواقعة ارسل جماعة من رجاله للمحافظة على المعابد ثم
توجه بنفسه الى هيكل معبودات منف وقدم لها قرباناً من المشروبات وطهر
المدينة بالنطرون والبخور وأرجع الكهنة الى أماكنهم ثم توجه الى معبد
« بتاح » وتطهر في بابه ولما دخله قدّم لأبيه « بتاح رستيف » قرباناً عظيماً
من ثيران وعجول واوزّ وغير ذلك من الاشياء النفيسة . ثم دخل قصرها
الملوكي فأناه بعض رؤساء الوجه البحري يحزنتهم راجين ان يأذن لهم في مشاهدة

أنوار وجهه فقبل منهم الجزية . وأهدى جميع خزائن منف وأشوانها الى هياكل « آمن » و « بتاح » وباقي معبودات « حكا بتاح » . وفي اليوم التالي عبر النيل الى الشرق وتقرّب الى « توم » ، ومعبودات مدينة « أماح » بقربان من ثيران وعجول واوزّ راجياً ان يمنحوه السعادة . ثم توجه نحو المطرية فمرّ بمدينة مرتى ، وقدم قرباناً لمعبوداتها وتطهر في المنبع الرطب . وغسل وجهه بماء « نو » ، حيثاً تغسل الشمس وجهها . ثم قصد « شيوكامان » ، وتقرّب للشمس وقت شروقها بقربان من ثيران بيض ولبن وعطور وغير ذلك من الاخشاب ذات الرائحة الذكية . ثم دخل معبد الشمس (في المطرية) وصلى مرتين وطلب له كبير الكهنة من المعبود ان يهزم أعداءه وبعد ذلك صلى الملك صلاة الباب وهي صلاة خصوصية غندم وكسا الضريح وتبخّر بالبخور وتقرّب للمعبود بالشروب وازهار « الحبّنين » وهي من ازهار المعبد المطرية . ثم صعد في السلم الى الطاق الكبير فرأى الشمس في ضريحها وعظّم السفينة المقدسة المعلقة في مقام « رع » و « توم » ، ثم أقفل الابواب وطيّبها بالابليز وختمها بالختم الملوكي وقال للكهنة لا يسمح لأحد ان يفتح ختمي ويدخل هذا المحل فخرّ الكهنة امامه ساجدين وقالوا سيبقى هذا الختم محفوظاً مباركاً ولا يصيبه أقل ضرر ايها الملك القادر المعظم محب المطرية . ثم دخل معبد « توم » وصلى فيه .

وفي اليوم التالي عاد الى الشاطئ الذي فيه سفنه وسار الى مدن كهاني واتريب وكامور وغيرها من مدن الوجه البحري فقدم القرابين لآلهتها وأناه ملوكها ورؤسائها وأعيانها المتنازون بوضع الريش والمظلات فوق رؤوسهم فسلموا له وقدموا الجزية من الذهب والفضة والحجارة الكريمة والحيول والعطور والتفائيس .

فلما بلغت هذه الأخبار مسامع الملك تفنّخت امير المشواشين ارسل الى بمنخى رسولا يقول له : اكظم غيظك أيها الملك الظافر قاني وسجل من رؤيتك ولا طاقة لي على حربك وقد امتلأ قلبي رعباً منك لأنك كمعبود

الجنوب. « نبتا » وكمبود الشمال « مونت » وانت الموصوف بالثور المنصور ان أردت شيئاً لا يمارضك فيه احد وقد بلغت الآن جزائر البحر وأقت في حى المعبودة « نيت » فراراً من سطوتك وخشية من تعنيفك الموجه وتوبيخك المؤلم فأنا الخادم وانت السيد أفلا يعفو السيد عن خادمه . خذ لحزانتك كل ما أملكه من ذهب وحجارة نفيسة وخذ أجود ما عندي من الخيول والسروج وابعت برسول من قبلك ليزيل الرعب من قلبي فأذهب معه الى المعبود واحلف بين الطاعة امامه . فأرسل الملك اليه الكاهن الاعظم ورئيس الجيوش فأعطاهما قلنسخت فضة وذهباً وملابس وحجارة نفيسة متنوعة ثم ذهب معها الى المعبود وقاب اليه وحلف بيناً مقدسة بأنه لا يخالف للملك أمراً ولا يتعدى له قولاً ولا يسوي الى احد من الرؤساء بغير رضاه فقبل الملك توبته واخذ الجزية منه وعفى عنه .

ولما كان صباح اليوم الثاني أتى ملكا الوجه القبلي وملكاً الوجه البحري ليقدما تحتهم للملك بعنقى ويتشرفوا بالثول لديه وكانت فرائصهم ترتعد كفرائص النساء فلم يأذن لهم في الدخول عليه لأنهم كانوا مدنيين بالسك المحرم أكله في قصور الملوك ولكنه أذن للنمرود في الدخول عليه لأنه كان طاهراً ولم يأكل السمك المنهي عنه ولبث الباقي واقفين خارجاً على أرجلهم .

وبعد ذلك أراد الملك بعنقى الرجوع الى بلاده فشحن سفنه بما أهدي اليه من الذهب والنحاس والملابس والخيرات الواردة من الوجه البحري وبلاد الشام والعرب وسار في النيل وقلبه مغمم سروراً واهل مملكته في الشرق والغرب يستقبلونه بمزيد التجلة والتعظيم وكلما حلّ ببلاد رفع أهلها هتاف الفرح قائلين أيها الملك المنصور بعنقى لقد أتيت وحكمت الوجه البحري وصيرت رجاله أذلة كالنساء وحل الفرح في قلب امك التي ولدتك فصرت شهماً وأعطاك « آمن » جوهره فيشرى لك أيتها البقرة التي ولدت ثوراً كان له على عمر الأدهار ذكر بخلد وملك مؤيد ألا وهو الملك بعنقى الملك المحب لقسم ثبته اه .

ولما تمت للملك بعنخي الغلبة على مصر ألحقها ببلادها وأبقى لأمرائها الامتياز الذي كان لهم من قبل وجعل تفنخت ملكاً بالنيابة عنه فأقام في تانيس (صا الحجر) مركز حكومته القديم وعاد بعنخي الى نبتة فجعلها تحت الملك لمصر وايشيوبيا .

الملك كانشا : ولكن لم يلبث ان مات وخلفه الملك كاتشا او كاشتا ولم يكن من عائلة ملوكية بل كان متزوجاً بابنة كاهن مصري. فنقض عليه تفنخت المذكور واضطره الى اخراج جنوده من مصر ثم توفي تفنخت فخلفه ابنه باكوريس وكان قوي الادراك فقيهاً عادلاً فاتخذ خطة والده وشرع في تزع مصر الوسطى والوجه البحري من الأمراء فنجح في ذلك وجعل مصر كلها تحت سلطانه .

الملك سباقون : وفي اثناء ذلك مات كاتشا ملك الايشوبيين عن ولدين فخلفه احدهما المسمى سباقون وتوجه الى مصر لقتال باكوريس واستعان عليه بأمرائها الذين كانوا يكرهونه لنزعه الملك منهم فوقع باكوريس في قبضته بمدينة تانيس فألقاه حياً في النار واستقل بايشيوبيا ومصر وكان رأس دولة عرفت في تاريخ مصر بالدولة الخامسة والعشرين الايشوبية (سنة ٧١٥ : ٦٦٤ ق.م) . وكان سباقون رجلاً عادلاً فخوراً محباً للتقدم والاصلاح فلما تولى سرير الملك تلقب بألقاب الفراعنة وشرع في تنظيم مصر وضبط إدارتها فأبقى كل رئيس على اقليته مع حفظ نفوذه على الرؤساء بمراقبة أمراء ايشوبيين وجعل شقيقته آمن ريتس ملكة على الوجه القبلي في ثيبة . ولهذا الملكة في متحف الجيزة تمثال من حجر الغرانيت الاصفر بقدر اهيف وقوام رشيق ووجه صبور جميل يزينه التاج على رأسها والاساور العريضة في معصمها والحجول الكبيرة في رصفيها على مثال اساور السودانيات وحجولهن في هذه الايام والتمثال قائم على قاعدة من الغرانيت الاسود منقوش عليها اسمها واسم اخيها سباقون وابيها كاتشا .

وشاد سباقون في مصر الجسور واحتفر الترع حرصاً على البلاد من ان يمسها غرق أو شرق ورمم كثيراً من المعابد واستبدل عقوبة القتل بالاشغال الشاقة واشتهر بحسن التدبير وجودة السياسة فتمتعت مصر في اول ايامه بالراحة ولكن لم تدم لها لأن مملكة اشور كانت في ذلك العهد في معظم سطوتها وقد كدرت صفاء الفيلقيين والاسرائيليين والفلسطينيين فأجمعوا على ان يستنصروا ملك مصر لينقذهم من جورها فأرسل « هوشع » ملك اسرائيل هدايا فاخرة الى سباقون (وفي التوراة سوا) وسأله التحالف معهم على شنصر ملك اشور فأجابهم سباقون الى ذلك آملاً انه يتماهده معهم يتذرّع الى اخذ ممالكهم وإضافتها الى ملكه كما اضافها اسلافه الفراعنة فقبل الهدايا واعتبرها جزية كما اعتبر مساعدته لهم من قبيل مساعدة الرئيس للرؤوس وقد بالغ في هذا الاعتبار حتى انه نقش على حائط هيكل الكرنك (بالاقصر) انه اخذ الجزية من بلاد الشام كما اخذها مشاهير ملوك مصر الذين تقدموه . فلما شاع خبر هذه المعاهدة وبلغ مسامع شنصر سار الى « هوشع » ملك اسرائيل فأمره وأخضع قومه ثم سار الى مدينة السامرة وحصرها فمات قبل افتتاحها وكان آخر ابناء العائلة الملوكية الاشورية فخلفه رئيس قواده اسزحدون فسار على خطته وفتح السامرة ثم تقدم الى فلسطين وقتل الملك « يهوئيد » احد المتحالفين مع سباقون فخاف سباقون على بلاده وذهب يجنوده الى الشام فانضم الى حانون ملك غزه احد المتحالفين وسار الملكان معاً لقتال الاشوريين فالتقيا بهم في مدينة رافيا وانتشبت الحرب بين الفريقين وانجلت عن انهزام الجيوش المصرية والشامية ووقع حانون اسيراً في يد سرجون ونجا سباقون فضلاً في الصحراء الى ان دلت راع من فلسطين على طريق مصر . وبعد رجوعه ثار عليه سكان الوجه البحري تحت رئاسة اسطيغانيس احد اقرباء الملك باكوريس المتقدم الذكر فانهمز سباقون الى الصعيد .

الملك سبيخون : وبعد قليل مات سباقون وحرك حكم الاثيوبيين وصعيد مصر لابنه سبيخون وبقي الوجه البحري تتنازعه فئتان من المصريين فاغتم

سيبغون فرصة الانشقاق وحارب الوجه البحري واسترجعه الى ايثيوبيا .

الملك طهراق : ولكن ما ثبتت قدمه حتى نقض عليه طهراق احد الامراء الايثيوبيين فقتله وتولى مكانه وكان اسطيفانيس لا يزال محاصراً في مدينة منف فرحف عليه ونزع المدينة منه وطهر مصر من العصابة ثم دعا امه من ايثيوبيا ولقبها بجائمة الوجه البحري والقبلي وسيدة الامم وكتب على جدران هيكل جبل البرقل اسم مصر بين أسماء البلاد التي خضعت لصولته وبقي متنعماً في مصر الى ان جاءه « اشور اخي الدين » ملك اشور فاتحاً فمجز عن ردة فقهقر مع جيشه الى مدينة نبتة واستولى ملك اشور على منف وثيبة ونهب أمتعة هياكلها وارسلها الى بلاده فوضعها في المعابد تذكراً لنصرته . ثم اشتغل في تنظيم ادارة مصر فأرجع الحكم لأمرائها العشرين وأقام كل امير على اقليمه وضرب عليهم الجزية وعاد الى نينوى تاركاً بعض جنوده حامية في قلاع مصر خوفاً من غائلة الايثيوبيين وقد مرّ في طريقه بنهر الكلب عند مدينة بيروت فنقش على حجر هناك بقرب الحجر الذي نصبه رمسيس الثاني نقوشاً كبيرة بين فيها فتكهم بالمصريين والايثيوبيين وادّعى السيادة عليهم .

وفي سنة ٦٦٩ ق.م مرض اشور اخي الدين فاغتم طهراق الفرصة وزحف على الاشوريين في منف فهزمهم منها واستولى عليها بمد محاصرتها حصاراً شديداً فلما علم اشور اخي الدين بذلك ورأى عجزه عن الدفاع تنازل عن الملك لابنه الاكبر اشور بانبال فتقدم يجنوده الى مصر فنكل بالايثيوبيين وأخرجهم منها وأرجع الحكم الى أمراء مصر العشرين مرة ثانية وعاد الى بلاده ظاناً ان الايثيوبيين لا يعودون الى مصر فما وصل الى نينوى حتى عاد طهراق فاسترجع مدينة ثيبة وأبطل عبادة العجل « ابيس » منها ثم عاد الى بلاده لرؤيا رآها في المنام وكانت مدة حكمه على مصر عشرين سنة وعلى ايثيوبيا خمسين سنة . وفي المتحف المصري في الجيزة رأس تمثال من الحجر الغرانيت الاسود قالوا انه رأس طهراق لمشابهته لصورة المزسومة على الآثار وهو مستدير

الوجه واسخ العيين ممتلئ الخدين بارز الشفتين مع انقلاب خفيف فيها وفطس قليل في الانف وبالجملة فان ملامحه تحاكي ملامح النبوة الحاليين .

الملك أورد أمن : وخلفه على عرش اثيوبيا صهره أورد أمن وكانت مصر بعد ذهاب طهراق منها قد عادت للاشوريين وأعادوا الحكم الى أمراثا العشرين مرة ثالثة وبقيت تابعة لمملكة اشور الى ان رأى اشور بانبال ان في حكمها عناء ومشقة بالنظر الى بُعدها عن بلاده فأغضى عنها وبقيت تحت حكم أمراثا العشرين .

الملك نوات ميامون : وفي اثناء ذلك توفي اورد امن ملك اثيوبيا وخلفه « نوات ميامون » فرأى في الحلم انه سيملك الوجه القبلي والبحري فاستبشر بهذه الرؤيا وغزا الوجه القبلي وكان فيه طائفة من الاثيوبيين قد أسوا حزبا قويا في ثيبة وضواحيها وأقاموا فيها زمانا حائزين لرتبة الكهانة في معبد آمن رع فلما رأوا « نوات ميامون » وهو من جلسهم طامعا بمصر ساعده على عزمه فاستولى على الوجه القبلي بلا قتال ثم اخذ في فتح الوجه البحري فعارضه أمراؤه فردم القهقري فتحصنوا في قلاعهم ولم يبرزوا لتتله فل من الانتظار وعاد الى منف متحيراً في امره ولكن اجتمع الأمراء برئاسة واحد منهم يسمى بكرو للنظر فيما يفعلونه فأشار عليهم بالطاعة لنوات ميامون فوافقوه وأتوا الى منف مقدمين له الطاعة فانشرح صدره لإتمام حله في السيادة على مصر ونقش هذه القصة في حجر وجده ماريوت باشا في اطلال مدينة نبتة يجبل البرقل سنة ١٨٦٣ م وهو محفوظ الآن بمتحف الجيزة وهذا ما جاء فيه ملخصاً عن المقد الفريد ببعض التصرف :

« على الملك العظيم المنصور والحكيم القاهر نوات ميامون ملك الوجه القبلي والبحري بيكارع سلاة الشمس محبوب « آمن » ساكن نبتة ... سلام .

في احدى الليالي رأى الملك في الحلم ثمانين الواحد عن يمينه والآخر عن يساره فلما استيقظ ولم يرها دعا المفسرين وسألهم تفسير هذا الحلم فقالوا له

انك ستملك الوجهين القبلي والبحري من ارض مصر ويطيها تاجامها على رأسك ويكون «آمن» مساعداً لك على الامر . ففي تلك السنة ارتقى الى عرش الملك وخرج من مكانه كالباشق اذا انطلق من أجنته فصحبه خلق كثير وتوجه الى نبتة عاصمة ايشوريا فتمتع بمشاهدة معبودها «آمن» في الجبل المقدس واهدى اليه الازهار ثم اخبره من معبده وقدم له القرابين وهي ٣٦ ثوراً و ٤٠ كأساً من المشروبات ومعها ١٠٠ حمار . ثم سار نحو مصر فلما اقترب من جزيرة اسوان عبر النيل اليها ودخل هيكل «خنوم رع» معبود الشلالات واخرج تمثاله من مكانه وقدم له القرابين ثم توجه الى ثيبة (الاقصر) ودخل هيكل معبودها «آمن رع» فرحّب به الكهنة والخدم وكلّوه بالازهار فاخرج تمثال «آمن رع» من مقدسه وعمل له موسماً كبيراً في أرجاء المدينة . ثم ركب النيل وسار نحو الوجه البحري فكان السكان عن الشاطئين الشرقي والغربي يرحبون به ويهتفون سر مصحوباً بالسلامة والامن ورمّم الهيكل التي دُمّرت وانصب قنايل المعبودات وثبّت الكهنة في وظائفهم وأقم شعائر الدين . وبقي سائراً بلا معارض حتى وصل الى منف فخرج اليه اهله محاربين فحاربهم حرباً شديداً وقتل منهم خلقاً كثيراً ودخل منف عنوة فزار معبد «بتاح رستيف» وتقرب الى «بتاح سوكر» والمعبودة «سوخيت» إلهة المحبة وانشرح فؤاده من مساعدة المعبودات له إكراماً لمعبوده «آمن» ساكن نبتة . وأمر بتوسيع معبد «بتاح» وأنشأ فيه إيواناً جديداً بناه بالحجر وكساه بخشب السنت وطلاه بالذهب وملأه بالبخور العربي وجعل له ابواباً من النحاس بإطار من الحديد وبني وراءه حظيرة لحيوّات المعبد وكانت ١١٦ رأساً من المزمى وكثير من البقر . ثم تقدم لمحاربة أمراء الوجه البحري فالتجأوا الى اسوارهم وتركوا له البلاد فحصرهم وانتظر لعلهم يخرجون لقتاله فلم يفعلوا فعاد الى منف واقام بقصره وعزم على ان يرسل اليهم فرسانه ليرقبوا حركاتهم وقبل قيامهم جاء الحجاب واخبروه ان الأمراء وقوف بالباب فقال أسألهم هل أتوا محاربين او طائعين فقالوا أتينا طائعين لمولانا الملك فقال الملك

وجب عليّ شكر « آمن » معبود ثيبة العظيم الذي حقق لي الآن ما أرايه في الحلم ثم خرج من قصره لمشاهدة الأجراء وكانوا من عبدة الشمس فلما رآوه خرّوا على جباههم احتراماً لهيبته فقال لقد تأكدت ان الشمس المعبودة تحبني وان « آمن » جعلني مباركاً فساقل كل ما يأمرني به فقال الأجراء نسأل هذا المعبود ان يرشدك الى الخير ويؤيدك بالنصر فأنت ملكنا ومولانا. ثم قام بكرو امير مدينة بسانبو وقال مخاطباً الملك : انت تمت من تشاء وتحب من تشاء ولا يلومك احد وقال بقية الأجراء : أئينا ايها الملك للمستشرق منك روح المحبة فنحن نريد ان نخدم « آمن » ونكون في جملة اتباعك فهل لك ان تقبل رجاءنا ؟ فانشرح صدر الملك من كلامهم وأمر لهم بالخبز والشراب وابقاهم عنده اياماً كثيرة وهو يفرهم بالمعطايا والاحسان على كثرتهم ثم استأذنه في الرجوع الى بلاده للقيام بواجب رعاياه فأذن لهم . ثم أتاه وجوه البلاد القبلية والبحرية مقدمين له الجزية والمهدايا فاطمأن بذلك قلب الملك بيكارع سلالة الشمس نوات ميامون دام بصحة وعافية وعيشة راضية ودام له الملك أبداً الدهر .

وفي آخر ايام هذا الملك اعتصب وجهاء بلاد مصر واعيانها وثاروا على الإثيوبيين فطردوهم من الوجه البحري وتقاسموا الملك فيما بينهم وكانوا اثني عشر حاكماً فسميت حكومتهم بالمقاسمة الاثني عشرية وداموا على ذلك ١٥ سنة الى ان قام احداهم بسامتيك من سلالة العائلة الصاوية فطمع بالاستقلال واستعان بمساكر يونانية متطوعة فتغلب عليهم واستبد بالملك . ثم سار الى الوجه القبلي ففتح من الإثيوبيين وأعاد الحدود المصرية الى اسوان . وهكذا انتهى حكم الإثيوبيين على مصر بعد ان حكموها ٤٩ سنة وكان حكمهم عادلاً ومع ذلك لم يكن مقبولاً لأنهم غزبوا .

الفصل الثالث

في

مملكة مروى

« وهو تاريخ اثيوبيا منذ بدء الدولة المصرية السادسة والعشرين سنة ٦٤٤ ق. م
الى دخول الديانة المسيحية لبلاد النوبة سنة ٥٤٥ هـ ب. م »

١ - تاريخ مروى في عهد الفرس وآخر عهد القراعنة على مصر
(٦٤٤ : ٣٣٢ ق. م)

ما انقضت الدولة المصرية الخامسة والعشرون حتى انقضت معها مملكة نبتة
في اثيوبيا وقام في مكانها مملكة مروى فنالت في التاريخ شهرة لم تغلبها نبتة
و امتدت من الشلال الاول الى أعالي النيل الازرق وكانت عاصمتها مدينة
مروى على النيل الكبير في مكان يعرف الآن بالبجراوية على ٢٣ ميلا شمالي
شندي .

واول من ذكر مروى في التاريخ هيرودوتس المؤرخ اليوناني الشهير الذي
عاش في القرن الخامس للمسيح قال : « وفوق جزيرة الفنتين تبتدىء بلاد
الايثيوبيا فيتعذر السفر في المراكب مسيرة اربعين يوما بسبب كثرة الصخور

في طريق النيل وبعد ذلك تركب قارباً وتسافر مسيرة اثني عشر يوماً فتصل إلى مدينة كبيرة اسمها مروى قيل إنها عاصمة إثيوبيا . ثم ذكرها كثيرون غيره من مؤرخي اليونان والرومان .

فرار العساكر المصرية إلى إثيوبيا : وأهم ما ذكره هيرودوتس من أخبارها فرار العساكر المصرية إليها في عهد الملك بسامتيك المارّ ذكره الذي أسس الدولة المصرية السادسة والعشرين (٦٤٤ : ٥٢٥ ق . م) قال : « ان بسامتيك لما تولى الملك كانت مصر تئنّ عجزاً وضعفاً مما قاسته من الحروب مع آشور في عهد الإثيوبيين فأخذ في تقويتها وإحياء ربوع العلم والصناعة فيها . ثم التفت إلى مناعتها فجعل حامية في دفنة البليوسية المعروفة الآن بالفرمه بقرب بورت سعيد ليدفعوا غارات العرب والسوريين . وحامية في ماريه أي بحيرة مريوط لوقايتها من الليبيين . وحامية عند جزيرة الفنتين لحمايتها من الإثيوبيين وكانت عساكر هذه الحاميات من المصريين .

وكان لبسامتيك جيش قوي من اليونان حارب به حرباً طويلة في سورية وفتح مدينة أشدود وكان يمهز ويكرمه فأعطاها ذلك المصريين المقيمين في الحاميات المذكورة وكانوا قد قضوا فيها مدة الثلاث سنوات المفروضة عليهم فسألوه ان يبدلهم بغيرهم فرفض ففروا إلى إثيوبيا وكانوا نحواً من ٢٤ ألفاً (والاقرب إلى التصديق ان الذين فروا إلى إثيوبيا هم رجال حامية الفنتين فقط وهو رأي المؤرخ شارب الانكليزي) فلما بلغ الخبر لبسامتيك تبعهم حتى أدركهم فتوسل اليهم كثيراً ان يعدلوا عن هجر آلهة بلادهم وترك نسائهم واولادهم فما صفوا له وأجابوه بما معناه :

تلقى بكل بلاد إن حلت بها أهلاً بأهل وإخواناً بإخوان ولما وصلوا إلى إثيوبيا قدموا انفسهم إلى ملكها فرحب بهم ووهبهم بلاد أعداء له من الإثيوبيين وقال لهم اطردهم من بلادهم واسكنوها ففعلوا فازداد الإثيوبيون تمعدناً باستيطان هؤلاء العساكر بينهم وتعلموا آداب المصريين . وقد نشأ من ذريتهم في إثيوبيا طائفة كبيرة عرفت بطائفة الاسماخ أي

الجالسون عن يسار الملك اه . هذا وقد سماهم هيرودوتس « الاتومولي » فمرفوا بهذا الاسم الى القرن الاول للميلاد . واختلف المؤرخون في تعيين البلاد التي سكنوها فذهب البعض انهم سكنوا بلاد الجزيرة بين النيل الازرق والنيل الابيض وذهب البعض الآخر انهم سكنوا جنوبي جزيرة مروى بين النيل الكبير والابرة ولعل الأقرب الى الصواب ان ملك مروى انتقى أشدم وضمهم الى جيشه وارسل الباقي لقهر أعدائه كما مر .

وتولت ملوك الدولة السادسة والعشرين على مصر ولم يكن بينهم وبين إثيوبيا ما يذكر سوى ان بسامتيك الثاني ثالث ملوك هذه الدولة ثار عليه اهل إثيوبيا فتوجه لقتالهم سنة ٥٩١ ق . م ومات بعد رجوعه بقليل .

خبر كميز مع إثيوبيا : وفي آخر مدة هذه الدولة كان الفرس قد صاروا في عز ومنعة وعليهم الملك كميز قطع في مصر فجرد لها وفتحها عنوة وأسس الدولة السابعة والعشرين (سنة ٥٢٥ : ٤١٥ ق . م) ثم طمع في إثيوبيا وحاول فتحها فلم يفلح . وقد روى هيرودوتس الذي زار مصر في عهد خلف كميز اخباراً لطيفة عما كان لكميز مع إثيوبيا قال :

« قر رأي كميز على غزو الإثيوبيين فرأى ان يرسل لهم الجواسيس اولاً ليستطلعوا طلمهم ويتحققوا خبر مائدة الشمس التي كان يسمع بها في بلادهم فأحضر جماعة من جزيرة الفنتين يحسنون لغة الإثيوبيين وارسلهم الى ملك إثيوبيا بهدايا فاخرة وهي ثوب من الأرجوان وطوق من الذهب واساور وصندوق من الرخام مملوء اطياباً وبرميل من نبيذ البلح وعلمهم ما يقولونه للملك . قيل وكان الإثيوبيون الذين ارسل اليهم كميز هذه الرسالة أطول الناس قامة وأكلمهم خلقاً وكان لهم عادات تختلف عن عادات سائر الأمم اشتهر انهم يولون الملك لمن كان له اكبر جثة وكانت له قوة عظيمة بنسبة جثته . فلما وصل رسل كميز الى ملك هذا الشعب قدموا له الهدايا وقالوا : « ان كميز ملك الفرس أراد ان يكون بينك وبينه مودة وإخاء فأرسلنا اليك بهذه الهدايا التي هو نفسه يسر بها كثيراً » . ولكن لم يخف على الملك

قصد كميز فقال لهم ليس حب المحالفة هو الذي حل ملك الفرس على إرسالكم إلي هذه الهدايا ولا انتم تقولون الحق ولكن الصحيح انه طمع في بلادي فأرسلكم لتتجسوا اخبارها فهو ليس بعادل ولو عدل لما طمع في غير بلاده ولا حاول استعباد امة لم تسيء اليه بشيء ثم تناول قوساً كبيرة ووترها وقال خذوا هذه القوس الى ملككم وقولوا له ان ملك الايشوبيين ينصح للملك الفرس بأنه متى صار الفرس قادرين على وتر قوس هذا حجمها بهذه السهولة فليأت لحرب الايشوبيين المكروبيين ولكن يحوش اعظم عدداً من جيوشهم وفي اثناء ذلك فليقدم الشكر للآلهة لأنها لم تلهم الايشوبيين الرغبة في توسيع نطاق بلادهم بفتوحات جديدة . ولما قال هذا حل القوس ودفعها الى الرسل ثم أخذ الثوب الارجواني بيده وسألهم ما هو وكيف يصنع فلما أجابوه قال هؤلاء الناس خداعون واثابهم خداعة . ثم سألهم عن الطوق والاساور فأجابوا انها حلى وأوضحوا له كيفية لبسها فضحك وظن انها سلاسل وقال عندنا سلاسل أقوى منها . ثم سألهم عن الطيوب ولما اعلموه بتركيبها وكيفية استعمالها أبدى الملاحظة التي أبدىها عند كلامه عن الثوب الارجواني . ثم سألهم عن الخمر وكيفية استخراجها ومسر بشرها سروراً عظيماً . وسأل عن الاطعمة التي يأكلها الملك وعن اطول حياة عند الفرس فأجابه الرسل ان طعام الملك الخبز وأوضحوا له ماهية الخنطة وقالوا ان اطول حياة عند الفرس ثمانون سنة فقال الملك اذا لا عجب من أناس طعامهم الزيل ان تكون سني حياتهم قليلة ثم قال مشيراً الى الخمر وبهذا الشراب يمتاز الفرس على الايشوبيين ولولا لما عاشوا كل هذه المدة .

ثم ان الرسل سألوا الملك في نوبتهم عن حياة الايشوبيين وطعامهم فأجابهم ان اكثرهم يدرك سن المئة والعشرين وبعضهم يفوق هذا السن وان طعامهم اللحم المسلوق وشرابهم اللبن . ولما أظهر الرسل دهشتهم من طول حياة الايشوبيين أتى بهم الى نبع ماء عجيب اذا اغتسل به احد اصبح جلده ناعماً لامعاً كأنه ممرخ بالزيت وفاحت منه رائحة كرائحة البنفسج وقال الرسل

ان ماء تلك العين كان خفيفاً جداً حتى لا يطفو عليه شيء لا الحشب ولا منا هو أخف منه بل كل ما يلقي فيه يفرق الى قعره (قال هيرودوتس) : فان كان هذا الماء كما قالوا لم يبعد ان يكون طول حياتهم من كثرة استعمالهم إياه . ثم سار الملك بالرسل الى السجن فرأوا المسجونين مقيدون بقيود ذهبية لأن النحاس عند هؤلاء الإثيوبيين كان أندر المعادن وأغنىها . ثم أتى بهم الى ما يسمونه « مائدة الشمس » وهي مرج في ظاهر المدينة يلاً ليلاً بأنواع الأطعمة من لحوم الحيوانات ذوات الأربع التي يرسلها كبراء المدينة لأغراض في انفسهم فيأتي من شاء نهاراً ويتناول غذاءه منها وهم يعتقدون ان الارض نفسها تلبث لهم هذه اللحوم من وقت الى آخر .

واخيراً زاروا قبور الإثيوبيين وهي مصنوعة من البلور على الطريقة الآتية : يحففون الجسد أولاً على طريقة المصريين او طريقة اخرى ثم يطولونه بالجص (Gypsum) ويدهنونه حتى يشبه منظره الحي ما امكن ثم يضعونه في اسطوانة مجوفة من البلور الذي يصنعون منه كثيراً بسهولة وبذلك يرى الميت ولا تلبث منه رائحة كريهة فيحفظ أدنى أقارب الميت هذه الاسطوانة في بيوتهم مدة سنة فيقدمون لها الذبائح وبأكورة كل شيء وفي نهاية السنة يخرجونها خارجاً ويضعونها في مكان قرب المدينة .

ولما رأى الجواسيس كل شيء عادوا الى بلادهم وقصوا على الملك كمين جميع ما رأوه وسمعه فغضب من كلام ملك إثيوبيا غضباً شديداً وأمر جيشه بالزحف على الإثيوبيين في الحال ولكنه لم يدبر له الاقوات ولا قدر انه غازر بلاداً بعيدة في أقصى المعمور بل سلك مسلك التزق والحق كمن أضاع رشده وزحف بجميع جيوشه البرية فلم يبق في مصر الا اليونانيين ولما وصل ثيبة ارسل نحو خمسين ألفاً الى الامونيين (واحة سيوه) وأمرهم باستعبادهم وحرق هيكل جوبيتر بالنار فذهبوا ولم يعودوا ولا عاد منهم خبر ويظن انه ثارت عليهم عاصفة من الرمال في الطريق فأهلكتهم . وسار هو بباقي جيوشه الى الإثيوبيين ولكنه لم يقطع خمس الطريق حتى نفذت منه الاقوات فشرع

المساكر في أكل حيوانات الحمل حتى نفدت. فلو عدل كبيز عن عزمه اذ ذاك وعاد يبيشه لعدد حكيماً وغفرت زلته الاولى ولكنه بقي مستمراً في السير حتى صارت المساكر تأكل العشب فلما وصلوا الى الرمال اضطرهم الجوع الى اعمال فظيعة فصاروا يجتمعون عشرة عشرة ويلقون القرعة فمن أصابته أكلوه فلما رأى كبيز ما حل يبيشه عدل مرغوماً عن غزو الايثيوبيين وقفل راجعاً الى ثيبه بعد ان فقد جانباً عظيماً من جيشه ثم أتى الى منف وسمح لليونانيين بالرجوع بحراً الى بلادهم وهكذا انتهت غزوة كبيز للايثيوبيين ، اه . ومن ملوك ايثيوبيا الذين عاصروا كبيز فاشتهروا بالسطوة والاقطار ودانت لهم كل قبائل ايثيوبيا شرقاً وغرباً حورسياتف ونستوسن .

ثم نرى المصريين قد استقلوا عن الفرس وقام منهم الدول الثامنة والعشرون والتاسعة والعشرون والثلاثون (سنة ٤١٥ : ٣٤٠ ق.م) . ولكن لم يكف الفرس عن مناوأتهم كل هذه المدة فشغلوم عن ايثيوبيا ودامت الحرب سجلاً بين الفريقين حتى فاز الفرس وكانت مصر اذ ذاك بيد الملك نكتانيبس فانهزم الى ايثيوبيا السفلى وملك الفرس مصر المرة الثانية فأسوا الدولة الحادية والثلاثين (سنة ٤٣٠ : ٣٣٢ ق.م) . وكان آخر ملوكها الملك دارا الثالث الذي كان معاصراً لاسكندر المكدوني الشهير .

٢ - تاريخ مروى في عهد اليونان على مصر

(٣٣٢ : ٣٠ ق.م)

وفي ايام الملك دارا اخذت دولة الفرس تتقهقر وبدأ نجم اليونان في الارتفاع فشرع الاسكندر في مد فتوحاته وتوسيع نطاق مملكته ابعد ففتح الهند وفارس ثم التفت الى مصر فأخذها من الفرس وبني الاسكندرية فجعلها عاصمة البلاد . وتولاها بعد وفاته (سنة ٣٢٣ ق.م) البطالسة اليونان فمدوا حدودهم في ايثيوبيا الى المحرقة على نحو ثمانين ميلاً من الشلال الاول حيث بنوا

هيكلا لا تزال آثاره باقية الى الآن . ومن آثارهم هياكل كلابشة والدكة وغيرهما من بلاد ايشيوبيا السفلى وهيكلا جزيرة فيلي المعروف الآن « بقصر أنس الوجود » شرع في بنائه بطليموس فيلادلفوس وهو بطليموس الثاني (سنة ٢٨٥ : ٢٤٧ ق.م) ثم اشتغل فيه كل من جاء بعده من البطالسة حتى أمّوه فاذا هو من أجمل الهياكل التي بناها القدماء والباقي منه الى الآن يدل على انه كان من الجمال وحسن الهندام على جانب عظيم .

الملك ارجينس : وقام على ايشيوبيا في أيام بطليموس الثاني المتقدم الذكر « الملك ارجينس » وكان للكهنة الايشوبيين الى ايامه سلطة عجيبة على الشعب والملك معاً حتى كان من عادة كهنة مروى انهم اذا غضبوا على ملك ارسلوا اليه رسلاً يأمرونه بقتل نفسه بحجة ان ذلك يسرّ الالهة . قبل وكان الامر يسعره فيخضع له صاغراً حتى قام ارجينس هذا وكان ملكاً حريصاً مثقفاً بأداب اليونان وعلومهم وكان يكره الكهنة ولا يطيق غطرتهم فأرسلوا اليه امراً ليقتل نفسه فهاجه الامر وحمل عليهم في الهيكل الذهبي الذي كانوا يقيمون فيه وقتلهم عن آخرهم . وسنّ قوانين جديدة لمملكته وحوّر كثيراً في ديانة الايشوبيين . ومن آثاره الباقية الى الآن هيكل في دكا المعروفة قديماً باسم سلقينس بناه على أطلال هيكل من بناء الدولة المصرية الثانية عشرة .

الملك ازخر آمن : وقام بعده على ايشيوبيا الملك ازخر آمن فبنى هيكلًا في دبود المعروفة قديماً باسم تاهت ولا تزال آثاره ظاهرة الى اليوم . ولم يشتهر من ملوك مروى في عهد البطالسة على مصر غير هذين الملكين .

ملكة اكسوم وملكة سويه : ومن ممالك ايشيوبيا التي اشتهرت في هذا العهد ملكة اكسوم في شمالي الحبشة على بضعة اميال من عدوه . وملكة سويه على النيل الازرق على ١٥ ميلاً من الخرطوم . وقد ذكر المؤرخون ان بطليموس يورجيتس الثاني ثامن البطالسة (سنة ١٤٦ : ١١٧ ق.م) زحف على ملكة مروى ففتحها ثم سار جنوباً ففتح مدينة اكسوم ودون خبر فتوحاته باللفة

اليونانية على حجب من الرخام في ميناء ادولس المعروفة الآن بميناء زولا على عشرين ميلا الى الجنوب من مصوع وهي ميناء اكسوم. وقد وصف المؤرخون ايثيوبي تلك الايام بالشجاعة الوحشية وعدم النظام كأهل السودان في هذه الايام. اما جيش بطليموس فكان على أتم النظام وكان معه في هذه الغزوة خمماية فارس من اليونانيين فألبس مئة فارس منهم نسيجا ثخيناً من الكتان وألبس خيلهم ايضاً من هذا النسيج لكي لا تؤثر فيهم سهام الاثيوبيين. ولم يسبق ان ملكاً من ملوك مصر مدّ فتوحاته جنوباً الى الحد الذي وصل اليه بطليموس ولكنه لم يستطع حفظ سلطته على البلاد التي فتحها فمادت لأهلها كما كانت وعادت حدود اليونان الى المحرقة.

٣ - تاريخ مروي في عهد الرومان على مصر

(٣٠ ق م : ٦٤٠ ب م)

وكان آخر من ملك مصر من البطالسة كليوبترا ابنة بطليموس اوليتس وبعد وفاتها آل ملك مصر الى الرومان في عهد الامبراطور اوغسطس قيصر فجعلها ولاية من ولاياته يتولاها وال او نائب روماني ويحكمها بموجب الشرائع الرومانية. وكان اول من تولاها من الرومان « كرنيليوس جالوس » وقد ظهر من كتابته على بعض الآثار ان « الملك توياكوتاس خوانوس » (ويظن انه ملك سوبه) ارسل رسلا في ايام هذا الوالي الى فيلي ودخل في حاية الرومان.

الملكة كنداكة : وفي سنة ٢٣ ق م اخراج الامبراطور اوغسطس قيصر معظم عساكره من مصر لغزو بلاد العرب وكان على مروي حينئذ ملكة تلقب بكنداكة تحب الحرب والفتوح فاغتنمت الفرصة وسارت بجيش مؤلف من ٣٠ الف مقاتل الى مصر تريد افتتاحها ففتحت حامية فيلي وحامية اصوان اللتين على حدود مصر ودخلت مصر العليا وكان النائب الروماني اذ ذاك

رجلا شديد البأس يسمى بترونيوس فعمل على كنداكة بجيش منظم مؤلف من عشرة آلاف راجل وثمانية فارس فلما سمعت كنداكة باستمداده رجعت الى ايشيوبيا السفلى فتأثروا حتى أدركها بقرب سلقيس (دكا) وطلب منها ردّ الاسرى والفنائم التي أخذتها من مصر ولما لم تجبه جواباً مرضياً حمل عليها وكان معظم جيشها غير منظم ولا سلاح له الا الفؤوس والنباييت فانتصر عليها انتصاراً عظيماً وشنت جيشها كل مشقت ثم تقدم الى ابريم وكان فيها حامية قوية للايشوبيين فاستولى عليها ثم سار الى نبتة فخرّبها. وفرت الملكة كنداكة من وجهه فامتنعت في قلعة في الشلال الرابع ولما رأت ان لا طاقة لها على حربه بمشت اليه في طلب الصلح وكان بترونيوس قد نقد منه الزاد وأضنى جيشه الحرّ فاضطر ان يرجع الى الاسكندرية قبل نهاية الصلح وفي طريقه أقام حامية في ابريم مؤلفة من ٤٠٠ رجل وحامية في دكا. فلما رأت كنداكة ان بترونيوس رجع عنها مضطراً جمعت شتات جيشها وسارت حتى وصلت ابريم فحصرتها ولكنّها لم تلبث ان رأت عجزها عن استمرار الحصار فرفقته وأرسلت سفراءها المرة الثانية الى بترونيوس في طلب الصلح فأرسل بترونيوس السفراء الى الامبراطور اوغسطس قيصر وكان اذ ذاك في جزيرة ساموس في الارخبيل الرومي فصالحهم على الشروط التي قدمتها كنداكة . ولهذا الامبراطور هيكل قائم الى الآن في دندور على ٥٢ ميلاً من الشلال .

ثم لم يكن بين الرومان وايشيوبيا ما يُذكر الى ايام الامبراطور نيروت وهو الامبراطور الخامس من أباطرة الرومان على مصر فانه في سنة ٦٠ ب.م ارسل حملة الى ايشيوبيا بقصد اكتشاف منابع النيل فكان من اخبارها انها سارت فيه حتى وصلت الى مستنقع لا يمكن سلوكه فعدادت بالخبية الى مصر ولعلّ هذا المستنقع هو « السد » . قالوا وكان الحاكم على مروي في عهد هذه الرسالة ملكة تلقب بكنداكة . وهذا آخر عهدنا بملكة مروي .

اما « ملكة اكسوم » فيؤخذ مما كتبه المؤرخون عن هذا العهد انه كان بينها وبين الرومان علائق تجارية دامت طويلاً وان الرومان لم يسمحوا لأهلها

ببناء المراكب او الملاحة في البحر الاحمر. ثم كانت النصرانية فاعتنقتها مملكة اكسوم في القرن الرابع وعُرفت البلاد بعد ذلك باسم الحبشة ولا تزال تعرف بهذا الاسم الى اليوم. وقد أفردنا للحبشة تاريخاً خاصاً قائماً بذاته . اما مملكة سوبه ، فلم يحفظ لنا التاريخ شيئاً من اخبارها في الجاهلية الا ان آثارها الباقية الى الآن تدل على انها كانت على درجة سامية من الحضارة وال عمران . ويظن البعض انها كرسى مملكة سبأ التي جاءت لتختبر حكمة سليمان . وبقيت سوبه على الوثنية الى ان امتدت النصرانية اليها من مصر فقامت فيها مملكة نصرانية عُرفت عند مؤرخي الاسلام بمملكة علوة وسنأتي على ذكر تاريخها .

النوبة والبجة : هذا وقد ذكر استرابو (٥٤ ق . م : ٢٤ ب . م) ان الايشوبيين فوق اصوان كانوا في ايامه اربع قبائل مختلفة : التروقلوديته ، والبلادس (والمشهور انهم البجة) ، والنوبة ، والمقباري . فسكن البلادس والمقباري في الصحراء الشرقية شمالي مروي الى جهة حدود مصر في مكات الأوايو والمازايو المتقدم ذكرهم وكانوا تحت حكم الايشوبيين. وسكن التروقلوديته في الصحراء الشرقية فكان حدهم الشمالي يدرينيس (راس بناس) والغربي النيل وظن بعضهم انهم هاجروا الى هذه الجهة من جزيرة العرب بعد افتتاح بطليموس يورجيتس لايشوبيا . وسكن النوبة على النيل . وذكر غير استرابو من المؤرخين وجود قبيلة الاشثيفاجي على شطوط البحر الاحمر .

ولكن لم يشتهر في تاريخ ايشوبيا بعد ان دالت دولة مروي الا النوبة والبجة الذين ما زالوا الى الآن مقيمين في الاماكن المارة ذكرها .

وقد انتظم للنوبة ملك في تلسن (كلاشة) وكان بينهم وبين البجة وقائع ممدودة فترى عن جدران هيكل كلاشة المتقدم الذكر كتابة باليونانية مفادها: ان الملك سلكو ملك النوبة وكل الايشوبيين انتصر على البجة في عدة وقائع . وذكر فوبسكوس ان بروبس النائب الروماني الذي تولى مصر من سنة ٢٧٦ : سنة ٢٨٤ ب . م غزا البجة في صحراء ثيبة فقهروهم وأرسل منهم اسرى الى

رومية . وذكر بعض المؤرخين ان البجة ما زالوا يغزون الحدود المصرية كلما سنحت لهم الفرصة .

هذا وكانت المحرقة آخر حدود مصر الجنوبية في ايام الرومان كما كانت في ايام اليونان . فرأى الامبراطور ديوقليسيان (٢٨٤ : ٣٢٣ ب . م) ان خراج البلاد التي بين المحرقة واصوان لا يفي بنفقات العساكر اللازمة لجمعه فلا فائدة من حفظها فأقطعها للنوبة وأعاد الحدود المصرية الى اصوان فقوى حماية الفنتين وعقد مع النوبة معاهدة جديدة وجعل للنوبة وللبجة جملاً معلوماً من المال يدفع لهم كل سنة على شرط ان البجة يكفون عن غزو الحدود المصرية وانهم اذا لم يتمتعوا عنه من انفسهم منعتهن النوبة بالقوة . وقد أسكن بعضهم في جزيرة الفنتين وسمح لهم بالصلاة في الهياكل مع الرومانيين وسمح لكهننتهم بالاقامة في الهياكل مع كهنة الرومانيين فوفوا بالعهود الى ايام الامبراطور مارشيان ثم نكثوا بها وغزوا بلاد مصر العليا فغنموا وأسروا وعادوا الى بلادهم فهاجمهم الجنرال مكسيمينوس الروماني قائد ثيبة فقهرهم جميعاً اي النوبة والبجة معاً وذلك سنة ٤٥١ ب . م فطلبوا الصلح على ان لا يدخلوا مصر ما دام هذا القائد على ثيبة اما مكسيمينوس فلم يرض ان يكون بينه وبينهم صلح حتى يرجعوا الاسرى ويدفعوا قيمة ما غنموه من مصر ويجعلوا بعض كبارهم رهناً ففعلوا فمعد معهم صلحاً لمدة سنة .

وكان من عادة النوبيين منذ القديم ان يذهبوا كل سنة الى هيكل أيسس في جزيرة الفنتين ويأخذوا احد التائيل الى بلادهم فيستخبرونه في شؤونهم ثم يرجعون الى الهيكل فلما فرض عليهم في هذا الصلح ان لا يدخلوا مصر سألوا مكسيمينوس ان يأذن لهم في زيارة الهيكل كل سنة لئلا يعترضهم خفراء الرومان فأذن لهم وكتبت المعاهدة على ورق البيبروس وعلقت في هذا الهيكل ولكن لم يكن الا القليل حتى مات مكسيمينوس فنقض النوبيون المعاهدة ودخلوا بلاد ثيبة فاكتسحوها واسترجعوا رهائهم بالقوة وأعادوا عبادة ايسس وسرابيس الى بلاد ثيبة وذلك بعد ان بطلت عبادة الاوثان تماماً من تلك البلاد

بأمر ثيودوسيوس الاول بسبعين سنة وما زالت مصر تعاملهم بالرفق الى ان قام الامبراطور جوستينيان (سنة ٥٢٧ : ٥٦٦ ب . م) فأغلظ معاملتهم وأمر نرفس قائد حامية فيلي فخرّب هياكلهم وسجن كهنتهم وارسل تمائيل آلهتهم الى اليزانتيوم (الآستانة) وكان هذا آخر عهد الوثنية في بلاد مصر.

النصرانية في مصر وايشوبيا : اما تاريخ دخول النصرانية الى مصر فقد كان في عهد الامبراطور نديون (سنة ٤٥ : ٦٨ ب . م) وفي المشهور انها دخلتها عن يد القديس مرقس فلاقت اضطهادات شديدة من أباطرة الرومان وكان أشدهم اضطهاداً لها ديوقليشان (سنة ٢٨٤ : ٣٢٣ ب . م) فانه نكل بالمسيحيين وقتل في يوم ١٣ يونيو سنة ٢٨٤ ب . م ما يعد بالآلاف فصار المسيحيون يؤرخون سنيهم من هذا اليوم وهو تاريخ الاقباط المعروف بتاريخ الشهداء الى هذا العهد . ولكن اضطهاد ديوقليشان لم يضعف النصرانية بل زادها قوة وانتشاراً حتى اعتنقها الامبراطور قسطنطين الكبير (سنة ٣٢٣ : ٣٣٧ ب . م) الذي جعل سرير ملكه في القسطنطينية وجعل الديانة المسيحية ديانة مملكته في اوروبا وآسيا ومصر . ومع ذلك لم تبطل الوثنية بل بقيت متبعة في وادي النيل وبقي لها أنصار الى ايام الامبراطور ثيودوسيوس الاول (سنة ٣٧٩ : ٣٩٤ ب . م) الذي نهى المصريين عن عبادة الاصنام في اول سنة من حكمه وأمرهم باتباع الديانة المسيحية وانفاذاً لأمره أسرع فهدم الهياكل وأزال الانصاب وأبطل جميع التقاليد التي كان المصريون يعتبرونها من ضروريات التدين وساعده على ذلك ثيوفيلس بطريرك الاسكندرية إلا ان الديانة الوثنية لم تقتف من جزيرة فيلي حتى أواسط القرن السادس كما مرّ .

ومن هذا العهد (سنة ٥٤٥ م) أخذت النصرانية تمتد جنوباً في وادي النيل حتى عمت كل بلاد النوبة . وقد تقدم لنا ان الحبشة اعتنقوا النصرانية في القرن الرابع فأصبحت بلاد ايشوبيا كلها تدين بالنصرانية إلا البجة في الصحراء الشرقية فانهم بقوا على الوثنية .

ثم لم تكد النصرانية تنتشر في بلاد ايشوبيا حتى كان الاسلام في جزيرة العرب وافتتح المسلمون مصر سنة ١٨ هـ ٦٤٠ م واحتاطوا ايشوبيا من الشمال والشرق فكان لهم مع نصاري الحبشة والنوبة ووثني البجة من الشان ما سنيته في محله إن شاء الله .

الفصل الرابع

في

آثار اثيوبيا ولغاتها وديانتها وتمذنها وحكومتها وشرائعها
وأخلاق أهلها وعاداتهم

آثار نبتة : واما آثار اثيوبيا الباقية الى الآن فتدل انها كانت على جانب
عظيم من المدنية والعمران . وأشهر هذه الآثار وأقدمها آثار نبتة عند جبل
البرقل وهي خرائب هياكل وأهرام . اما الهياكل فمن عهد الملك رعسيس
الكبير المصري ومن بنائه او من بناء طهراق الاثيوبي وخلفائه واما الاهرام
فكلها من بناء طهراق وخلفائه . وقد رأيت هذه الاهرام من النيل سنة
١٨٩٦ ولم أوفق الى زيارتها ولكن الذين زاروها قالوا ان في جبل البرقل ١٣
هرما وفي بلدة نوري تجامه ٢٥ هرما وكلها مبنية بالحجر الرملي على شكل
اهرام مصر إلا انها تختلف عن هذه في كونها اصفر وفي واجهة كل هرم منها
إبروان كإبروانات الهياكل المصرية . واما مدينة نبتة نفسها فقد تخرّبت تخرّبا
تاماً ولم يبقَ ما يدل عليها سوى أطلال بالية قرب جبل البرقل .

آثار مروى : وبلي آثار نبتة في القدم والأهمية آثار مروى ومعظمها قائم

حيث كانت عاصمتها بقرب جبل أم علي على ٢٦ ميلاً الى الشمال الشرقي من شندي وبضعة أميال من النيل وهي خرائب هياكل (بينها هيكل امون) وأهرام تبلغ الثمانين هرماً في ثلاثة مجاميع . وقد رأيت هذه الأهرام سنة ١٨٩٨ فاذا هي قائمة في مرتفعات على مسافة ساعة او اكثر من النيل وقد وصفها الذين زاروها فقالوا ان اضلاع قاعدتها تختلف من ١٢ : ٦٠ قدماً وارتفاع أعلاها ١٦٠ قدماً وهي على شبه اهرام مصر إلا ان نسبة قاعدة الهرم الى علوه فيها أعظم منها في اهرام مصر . هذا وفي جزيرة مروى على نحو ٣٢ ميلاً الى الجنوب الشرقي من شندي بركة تجتمع اليها مياه الامطار تعرف بالنقع حولها آثار هياكل فخيمة . وبين النقع وشندي جدران وأعمدة هيكل يبلغ محيطه الف يرد . وقد ذكر الباحثون ان في نبتة نفسها آثار ملوك مروى وان الهيكل القائم الآن في بلدة عمارة على ١٠٠ ميل من الشلال الثاني هو من بناء ملوك مروى . وقال بعض المؤرخين ان مروى كانت تجهز للحرب جيشاً مؤلفاً من ٢٥٠ الف مقاتل وكان فيها ٤٠٠ الف من أرباب الصنائع وان قد حكمها ٤٥ ملكاً وملكة اكثرهم من الملكات وتروى على الآثار رسوم بعض هذه الملكات يقدر من القرايين للآلهة او يمثلن أبطالاً منتصرين وقد لُقب الملكات بكنداكة كما لُقب ملوك مصر بالفراعنة والفرس بالقياصرة .

وبما هو جدير بالذكر ان اسم مروى غير معروف في الجزيرة الآن بل البلدة المعروفة بهذا الاسم واقعة قرب البرقل عند موقع مدينة نبتة وبين مروى هذه ومروى القديمة قرب شندي طريق في الصحراء تمر بآبار الجكدول طولها نحو ١٨٠ ميلاً .

وقد اختلف العلماء في مؤسسي مروى والذي عليه البعض انهم الكهنة الذين طردوا من ثيبة سنة ٩٠٠ ق . م .

آثار اكسوم : ثم يلي آثار مروى في الشهرة والقدم آثار اكسوم وسيأتي ذكرها .

آثار سوبه : أما سوبه فلم يبق من آثارها إلى الآن إلا خرائب قديمة . وكان قد بقي فيها إلى زمن الفتوح المصري بعض التماثيل والأنصبه فنقلت منها آثار إثيوبيا السفلى : هذا في آثار إثيوبيا العليا وهي مصرية إثيوبية أي أنها من بناء المصريين . أما آثار إثيوبيا السفلى المتقدم ذكرها في فيلي ودبود ونددور وكلايشة ودكا والمهرقة وكوبان والسبوع وعمدة والدر وأبريم وأبو ممبل وحلفا وسمنه وطنبس وارقو فكلها أو أكثرها مصرية أي من بناء الملوك المصريين .

لغات إثيوبيا : أما لغة الآثار في إثيوبيا فهي اللغة الهيروغليفية المصرية بعينها لكن الهيروغليف الذي على آثار إثيوبيا غير متقن الصنع كالهيروغليف الذي على آثار مصر . هذا ونرى على الآثار أيضاً بعض كتابات باللغة اليونانية من زمن البطالسة وباللغة اللاتينية من زمن الرومان وباللغة القبطية من عهد النصرانية . وعلى بعض الهياكل كتابة أحرفها قبطية ولكن رموزها لم تحل بعد وقد سميت باللغة الإثيوبية المسيحية .

وأما لغات الإثيوبيين أنفسهم فمعلوم أنها كانت تختلف عن لغة المصريين والباقي منها إلى الآن : لغة النوبة وهي لغة سكان النوبة السفلى وقد قال فيها بعض علماء اللغات أنها من أصل إفريقي لأنها لا توافق اللغات السامية وقد تقدم الكلام عليها . ولغة البجة وهي من اللغات الحامية ويظن لبسيوس أنها لغة مروي القديمة وأما الدكتور هيس الألماني المقيم في مصر لدرس لغة النوبة فيقول أن هذه اللغة هي لغة مروي القديمة بدليل أن بعض كلماتها الاسامية كالماء والنور والأرض تشابه ما ورد من الأسماء في تاريخ مروي . ولغة الجيز وهي لغة اكسوم القديمة وما زالت لغة بلاد التيفري إلى هذا اليوم وسيأتي ذكرها في تاريخ الحبشة .

ديانة الإثيوبيين : أما ديانة الإثيوبيين فعلى مثال ديانة المصريين القدماء وكانت أعظم معبود لهم جوبيتر آمون . ومن معبوداتهم الرئيسية ايسس

والصقر (Hawk) والتمساح الذي كانوا يعبدونه باسم سبق (Sebak) .
 تمدن الإثيوبيا : هذا وقد اختلف علماء الآثار أي تمدن أقدم تمدن
 إثيوبيا أم تمدن مصر وأي البلادين أخذت تمدنها عن الأخرى والرأي الأظهر
 أن تمدن مصر هو الأقدم وأن إثيوبينا أخذت الصنایع والفنون بل الديانة
 وشرائعها عن مصر بدليل أن النصب والهيكل بما عليها من الرسوم والهيروغليف
 تراها كأنها نسخ عاطلة عن الأصل القديم المصري . وقد كانت بين مصر
 وإثيوبيا اتصال دائم وطرق الاتصال عدا النيل؛ طريق المرات بين كورسكو
 وأبي حمد ، وطريق قفط إلى القصير ثم في البحر الأحمر إلى بلاد البوانيت ،
 وطريق قفط إلى بيريليس (راس بناس) مسيرة ١٢ يوماً . وأول من فتح
 بيريليس بطليموس فيلادلفوس وسماها باسم اخته وفي آخر طريقها جبل
 الزمرّد المعروف الآن باسم جبل زبارة . قيل وجنوب هذا الميناء قرب سواكن
 معادن ذهب . هذا وفي الطرق الداخلية التي بين شندي وكلّة من سواكن
 ومروى وسوبه والتي بين الدبة وام درمان آبار قديمة العهد تدل صريحاً على
 أنها كانت مطروقة منذ عهد بعيد .

حكومتها وشرائعها : أما حكومة إثيوبيا فكانت من النوع الملكي المطلق
 وكانت البلاد على ما رواه بليني مقسومة إلى ٥٠ مملكة أقواها وأزهاها مملكة
 مروى إلا أن بليني لم يذكر أمستقلة كانت هذه الممالك بعضها عن بعض أم
 تحت سلطان واحد ولا يبعد أنها كانت في ذلك العصر على نحو ما كانت عليه
 مملكة سنار قبيل الفتح للمصري . ويفهم مما كتبه ديودورس الصقلي أن بعض
 ممالك إثيوبيا كانت انتخابية وملوكها يلتخبون من الكهنة ويؤثرون بعد
 تليكهم لذلك كان حكمهم من النوع المطلق ولكن كان لا بدّ لهم من مراعاة
 شرائع البلاد وعرفها وعاداتها في أكثر أحكامهم . وقد كان من قوانين الخلافة
 عند بعض القبائل أنه بعد موت ملكهم يخلفه ابن اخته فإذا لم يكن لأخواته
 ذرية ملكوا عليهم رجلاً من أجل رجال العائلة المالكة وأقوامهم . وإذا أصيب
 الملك يجرح أو تعطلت وظيفة عضو من أعضاء جسده اضطر رجال حاشيته

ان يمحروا انفسهم مثل جرحه او يعطوا في جسمهم نظير العضو المعطل في جسمه . واذا مات الملك اضطر جميع خدمه اتباعاً لقانون او عادة مستحكة فيهم ان يقتلوا انفسهم وكانوا يعدون ذلك أقوى شاهد على تمام اخلاصهم له . وكانت هذه الشرائع مرعية في جزيرة مروى والبلاد التي الى شمالها وأما البلاد التي الى جنوبها على شاطئ النيل فقد كان بعضهم يملكون عليهم راعياً من أشد الرعاة إقداماً واجتهاداً وبعضهم يملكون أغنى رجل فيهم لاعتقادهم ان الأغنياء هم أقدر الناس على إدارة البلاد وسد حاجات العباد .

أخلاق الايثيوبيين وعاداتهم : اما سكان ايثيوبيا فظاهر من رسومهم التي على الآثار انهم من أصلين كبيرين وهما السود وبنو كوش ثم نشأ عن اختلاط بعضها ببعض جنس ثالث سميناه شبه السود كما مر وقد رأيت انه هاجر الى ايثيوبيا الكثير من المصريين في مدّات مختلفة فسكنوا مع الايثيوبيين وتجنسوا بهم فنتج من هذا الاختلاط قبائل شتى تختلف في الهيات والعادات كما تختلف في اللغات والاحكام .

وذكر المؤرخون القدماء تنقياً من عادات الايثيوبيين وأخلاقهم فاذا هي متأصلة في عادات اهل السودان وأخلاقهم اليوم على بعد العهد وتغير الأحوال . فقد وصف الايثيوبيون بحب الحرب والشجاعة الوحشية واشتهر بعضهم بالكرم والوداعة وحب العدل والصفح عن الزلات . وكان اكبر العيوب على من ارتكب ذنباً يستحق القتل ان يفر من وجه القصاص الى بلاد أجنبية . قال ديودورس : وكان اذا صدر أمر الملك بقتل رجل فخيّل له الفرار من ايثيوبيا قيّده أمه نفسها بوثاق متين ومنعته من الفرار ولم يبد أقل مقاومة لها وإلا جلب على نفسه وعلى أهله وذريته من بعده عاراً لا يمحى . وكانت التروقلوديته يحترمون المسنّات من النساء كل الاحترام حتى انهم اذا كانوا في أشدّ قتاهم ودخلت بينهم امرأة مسنة تركوا سلاحهم وكفّوا عن القتال وكان من عاداتهم ان يدفنوا موتاهم على رؤوس التلال وينطوا قبورهم بالحجارة ويعملوا فوق كل قبر قرن ماعز علامة عليه . وكان بعض قبائل ايثيوبيا

يدفنون موتاهم قرب هياكلهم في توابيت من خزف وبعضهم يرمونهم في النيل ويحسبون ذلك أفضل أنواع الدفن.

وقد وصف هيرودوتس الرجال الإثيوبيين بأنهم كبار الأبدان حسان الصور ويمعمرون طويلا وأما نساء الإثيوبيين فيظهر من تمثال الملكة آمن ريتس السالف ذكرها ان المهدرات منهن كن صقر الألوان كمهدرات العرب في هذه الأيام.

وكان الإثيوبيون يلبسون ثيابا من جلد النمر والأسد. ومن أسلحتهم القوس والنشاب والحراب والنبابت والدرق. قال هيرودتس ولهم قسي طويلة من جريد النخل طول الواحدة أربع أذرع على الأقل وسهامهم قصيرة وهي من القنا وفي رؤوسها حجارة محدة يعملون فيها السم. ويستخدمونها لحفر أخنسامهم وكان لهم حراب برؤوس من قرون الغزلان ودبابيس كثيرة المعبر ومتى ساروا الى الحرب فركوا نصف أبدانهم بالخص والنصف الآخر بالزنجفر.

وكان العساكر يعقدون نباهم حول رؤوسهم فيشكلون أطرافها في الشعر حتى تبرز رؤوسها فوق جباههم كالأشعة ويكون منها اكليل. وكان للإثيوبيين ولا سيما سكان الصحراء الشرقية مهارة في رمي النبال فقلما كانوا يخطئون الغرض وكانوا يمرنون اولادهم منذ الصغر على ذلك حتى كانوا لا يسمعون لهم بتناول الطعام إلا اذا أصابوا الغرض. وكانوا اذا اصطفوا للقتال أظلم الجو من كثرة السهام. وذكر استرابو ان نساء الإثيوبيين كن يحملن السلاح. وكانوا يكرهون الفيران كرها شديدا وبريون الكلاب للصيد ويضطادون الأنفال والنعام بطرق مختلفة ويأكلون لحومها. وكان غالب طعامهم اللحم المقدد وشرايهم اللبن والذين سكنوا سواحل البحر الاحمر كان أكثر قوتهم السمك. ومنهم قبيلة تعرف باسم انثريوفاجي تأكل لحوم البشر كالنيام في هذه الأيام. وكان للاكريدوفاجي واد عميق طوله عدة غلات فكانوا يملثونه حطباً وينتظرون الريح الجنوبية حتى تقذف رجل الجراد الى ذلك الوادي فيشعلون النار بالحطب فيحترق الجراد ويقع الى الارض فيغطيها على بعد غلات فيجمعونه

ويقدّمونه ويخزلونه للتغوث به . وكان هؤلاء القوم في أسوأ حال من العيش ولذلك لم يكن فيهم من يزيد عمره على الأربعين سنة . وكان أئمن المعدن عند الايتوبيين النحاس فكانوا يفضلونه على الذهب الذي كان عندهم بجمام الحديد عندها حتى كانوا يجعلون منه سلاسل للمجرمين . وكانوا يمارسون الحتان كالمصريين إلا ان هيرودتس لم يستطع الحكم في أي الفريقين اخذه عن الآخر .

هذا ما كان من اخبار ايتيوبيا او السودان في الجاهلية فلنتقدم الآن الى ما صارت اليه في النصرانية ثم في الاسلام .

الباب الثاني

في

تاريخ النوبة في عهد النصرانية

١ - تمهيد جغرافي

تقدم انه بعد ان دالت دولة مروى لم يشتهر في ايثيوبيا إلا أمتان: النوبة على النيل والبجة في الصحراء الشرقية وان النوبة اعتنقوا النصرانية في القرن السادس للمسيح وبقي البجة على الوثنية . ثم كان الاسلام ففتحو مصر وكان لهم مع النوبة والبجة ما نبينه هنا نقلاً عن مؤرخي الاسلام الذين كتبوا عن هذا العهد دون غيرهم من المؤرخين . ويؤخذ مما كتبوه انه كان للنوبة في عهد النصرانية مملكتان قويتان : مملكة النوبة السفلى امتدت من الشلال الاول الى الشلال الرابع وكانت عاصمتها دنقلة 'سجوز' . ومملكة النوبة العليا وعرفت ايضاً بمملكة علوة . امتدت من الشلال الرابع الى أعالي جزيرة سنار وكانت عاصمتها سوبه عن يمين النيل الازرق على ١٥ ميلاً من الخرطوم .

قال المسعودي: « وأما النوبة فافتقرت فرقتين فرقة في شرق النيل وغربه وأتاحت على شاطئه فاتصلت ديارها بديار القبط من ارض مصر والصعيد من بلاد اسوان وغيرها . واتسعت مساكن النوبة على شاطئ النيل مصعدة ولحقوا بقرى من أعاليه وبنوا دار مملكة عظيمة تدعى دنقلة والفريق الآخر من النوبة يقال لهم علوة وبنوا مدينة عظيمة وسموها سوبه » . وقال ابن دأب : « ثم سألتني الهادي (الذي عاش في أواسط القرن الثاني للهجرة) عن مدينة دنقلة وهي دار مملكة النوبة كم المسافة بينها وبين اسوان قلت قد قيل اربعمائة يوماً على شاطئ النيل عمار متصلة » . وقال ابو الفدا عن ابن سعيد : « ومن أمم السودان النوبة وهم يحاورون الحبشة من جهة الشمال والغرب . والنوبة في جنوب حدود مصر وكثيراً ما يغزوهم عسكر مصر . ويقال ان

لقمان الحكيم الذي كان مع داود النبي عليه السلام من النوبة وانه ولد بإياله . ومنهم ذو النون المصري وبلال بن حماسة . وهم نصارى . وقال المقرئ نقلًا عن كتاب « أخبار النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل » لعبد الله بن أحمد بن سليم الاسواني : كان يسكن في بلاد النوبة (السفلى) قوم يقال لهم المقرة وأول ارض المقرة قرية تعرف بنافقة على مرحلة من اسوان ومدينة ملكهم يقال لها مجراش على أقل من عشر مراحل من اسوان ويقال ان موسى صلوات الله عليه غزاهم قبل مبعثه في أيام فرعون فأخرب نافقة . فالنوبة والمقرة جنسان بلسانين كلاهما على النيل فالنوبة هم المجاورون لأرض الاسلام وبين اول بلدهم وبين اسوان خمسة أميال ويقال ان سلها جد النوبة ومقرئ جد المقرة من اليمن وقيل النوبة والمقرة من حير واكثر اهل الانساب على انهم جميعاً من ولد حام ابن نوح . وكان بين النوبة والمقرة حروب قبل النصرانية وكانوا صابئة يعبدون الكواكب وينصبون التماثيل لها ثم تنصروا جميعاً النوبة والمقرة . ومدينة دنقلة هي دار مملكتهم .

وقال المقرئ في علوة نقلًا عن كتاب عبد الله الاسواني السالف الذكر « قال بلغني ان بعض متلمي بلد علوة سار فيها يريد أقصاها فلم يأت عليه بعد سنين وان في طرفها القبلي جلساً يسكنون ودوايهم في بيوت تحت الارض مثل السرايب بالنهار من شدة حر الشمس ويسرحون في الليل وفيهم قوم عراة . قال وسوبه مدينة العبلوي شرقي الجزيرة الكبرى التي بين البحرين الابيض والاخضر المعروف الآن بالازرق الطرف الشمالي منها عند مجتمعها وشرقيها النهر الذي يحف ويسكن بطنه (ويشير الى نهر أتبرة) وفيها أبنية حسان ودور واسعة وكنائس كثيرة الذهب وبساتين ولها رباط فيه جماعة من المسلمين وممتلك علوة اكثر مالا من ممتلك المقرة وأعظم جيشاً وعنده من الخيل ما ليس عند المقرئ وبلده أخصب وأوسع والنخل والكرم عندهم يسير واكثر حبوبهم الذرة البيضاء التي مثل الارز منها خبزهم ومزهم . واللحم عندهم كثير لكثرة المواشي والمروج الواسعة حتى انه لا يوصل الى الجبل إلا في

أيام . وعندهم خيل عتاق وجمال صهب عراب . ودينهم النصرانية يعاقبة . وأساقفتهم من قبل صاحب الاسكندرية كالنبوة . وكتبهم بالرومية (اليونانية) يفسرونها بلسانهم وهم اقل فهماً من النبوة وملكهم يسترق من شاء من رعيته يجرم وبغير جرم ولا ينكرون ذلك عليه يسجدون له ولا يعصون أمره على المكروه الواقع بهم وينادون الملك يعيش فليكن أمره وهو يتتوج بالذهب والذهب كثير في بلده .

وَمَا فِي بِلَدِهِ مِنَ الْعَجَائِبِ إِنَّ فِي الْجَزِيرَةِ الْكُبْرَى الَّتِي بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ جَنْسًا يَعْرِفُ بِالْكُرْمَا أَوْ الْقُرْمَا لَهُمْ أَرْضٌ وَاسِعَةٌ مَزْرُوعَةٌ مِنَ النَّيْلِ وَالْمَطَرِ فَإِذَا كَانَ وَقْتُ الزَّرْعِ خَرَجَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِمَا عِنْدَهُ مِنَ الْبَذْرِ وَاخْتَطَّ عَلَى مَقْدَارِ مَا مَعَهُ وَزَرَعَ فِي أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ الْخُطَّةَ يَسِيرًا وَجَعَلَ الْبَذْرَ فِي وَسْطِ الْخُطَّةِ وَشَيْئًا مِنَ الْمَزْرِ وَانْصَرَفَ عَنْهُ فَإِذَا أَصْبَحَ وَجَدَ مَا اخْتَطَّ قَدْ زَرَعَ وَشَرَبَ الْمَزْرَ فَإِذَا كَانَ وَقْتُ الْحَصَادِ حَصَدَ يَسِيرًا مِنْهُ وَوَضَعَهُ فِي مَوْضِعٍ أَرَادَهُ وَمَعَهُ مَزْرٌ وَيَنْصَرَفُ فَيَجِدُ الزَّرْعَ قَدْ حَصَدَ بِأَمْرِهِ وَجَرَّتْ . فَإِذَا أَرَادَ دِرَاسَهُ وَتَذْرِيبَتَهُ فَعَلَ بِهِ كَذَلِكَ . وَرَبَّمَا أَرَادَ أَحَدُهُمْ أَنْ يَنْقِيَ زَرْعَهُ مِنَ الْحَشِيشِ فَيَلْفِظُ بَقْلِعَ شَيْءٍ مِنَ الزَّرْعِ فَيَصْبِغُ وَقَدْ قُلِعَ جَمِيعُ الزَّرْعِ . وَهَذِهِ النَّاحِيَةُ الَّتِي فِيهَا مَا ذَكَرْتَهُ بِلْدَانٌ وَاسِعَةٌ مَسِيرَةُ شَهْرَيْنِ فِي شَهْرَيْنِ يَزْرَعُ جَمِيعُهَا فِي وَقْتُ وَاحِدٍ . وَمِيزَةُ بِلَدِ عُلُوَّةٍ وَمَتَمَلِّكُهُمْ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ فَيُوجِهُونَ الْمَرَائِبَ فَتُوسَقُ وَرَبَّمَا وَقَعَ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ . قَالَ وَهَذِهِ الْحِكَايَةُ صَحِيحَةٌ مَعْرُوفَةٌ مَشْهُورَةٌ عِنْدَ جَمِيعِ النَّبَوَةِ وَالْأُمَلَةِ وَكُلِّ مَنْ يَطْرُقُ ذَلِكَ الْبَلَدَ مِنْ تِجَارِ الْمُسْلِمِينَ لَا يَشْكُونَ فِيهِ وَلَا يَرْتَابُونَ بِهِ وَلَوْلَا ائْتِ شَتَاهُ وَاتْتَشَاظُهُ مِمَّا لَا يَحُوزُ التَّوَاطُّؤُ عَلَى مِثْلِهِ لَمَا ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ شَتَاةِ أَهْلِ النَّاحِيَةِ فَيَزْعُمُونَ أَنَّ الْجَنِّ تَفْعَلُ ذَلِكَ وَإِنَّمَا تَظْهَرُ لِبَعْضِهِمْ وَتُخْدَمُهُمْ بِحِجَارَةٍ يَنْطَاعُونَ لَهَا بِهَا وَتَعْمَلُ لَهُمْ عَجَائِبَ وَإِنَّ السَّحَابَ يَطْعِمُهُمْ قَالَ وَمِنْ عَجَائِبَ مَا حَدَّثَنِي بِهِ مَتَمَلِّكُ الْمَقَرَّةِ لِلْنَّبَوَةِ أَنَّهُمْ يَمْطَرُونَ فِي الْجِبَالِ وَيَلْتَقِطُونَ مِنْهُ لِلْوَقْتِ مِمَّا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَسَأَلْتُهُمْ عَنْ جَنْسِهِ فَذَكَرُوا أَنَّهُ صَغِيرٌ الْقَدَرِ بِأَذْيَابٍ حَرٍّ .

« قال وقد رأيت جماعة وأجناساً ممن تقدم ذكر أكثرهم يعترفون بالباري سبحانه وتعالى ويتقربون اليه بالشمس والقمر والكواكب ومنهم من لا يعرف الباري ويعبد الشمس والنار ومنهم من يعبد كل ما استحسنته من شجرة او بهيمة وذكر انه رأى رجلاً في مجلس عظيم المقرء سأله عن بلده فقال مسافته الى النيل ثلاثة أهلة وسأله عن دينه فقال ربي وربك الله ورب الملك ورب الناس كلهم واحد وانه قال له فأين يكون قال في السماء وحده . وقال انه اذا أبطأ عنهم المطر او اصابهم الوباء أو وقع بدوايهم آفة صعدوا الجبل ودعوا الله فيجابهون للوقت وتقضى حاجتهم قبل ان ينزلوا . وسأله هل أرسل فيكم رسول قال لا فذكر له بعثة موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه وما أبدوا من المعجزات فقال اذا كانوا فعلوا هذا فقد صدقوا ثم قال قد صدقتهم ان كانوا فعلوا اه . »

الفصل الاول

في

تاريخ النوبة السفلى

منذ دخول النصرانية اليها سنة ٥٤٥ م الى انقراضها منها سنة ١٣٧٨ م .

ان جل ما نعلمه عن دخول النصرانية الى بلاد النوبة ان قد جاءها رسل من الاسكندرية سنة ٥٤٥ م فبشروا اهلها بالنصرانية فاعتنقوها وتركوا عبادة الأوثان . ثم لا نعلم شيئاً من اخبارهم حتى كان الاسلام واقتنع المسلمون مصر سنة ١٨ هـ ٦٤٠ م قال ابن الاثير « فغزا المسلمون النوبة فرجعوا بالجراحات وذهب الحدق لجودة رميهم قسموم رماة الحدق » .

وقال المقرئ « وفي سنة ٢١ هـ بعث عمرو بن العاص عبد الله بن سعد ابن أبي سرح في عشرين ألف الى النوبة فمكت بها عبد الله بن سعد زماناً وصالحهم وقرّر عليهم شيئاً معلوماً من المال . ثم ان عمرو بن العاص كتب الى عبد الله بن سعد يأمره بالرجوع اليه فرجع . وسنة ٢٣ هـ ٦٤٤ م قتل الامام عمر بن الخطاب وتولى بعده عثمان وكان عبد الله بن سعد من أقاربه فعزل عمرو ابن العاص عن ولاية مصر وولى عليها عبد الله بن سعد . وفي اول ولايته نقض النوبة الصلح الذي جرى بينهم وبينه وأرسلوا سراياهم الى صعيد مصر فأخربوا

وأفسدوا فغزاهم مرة ثانية عبد الله بن سعد بن أبي السرح المذكور وهو على إمارة مصر في خلافة عثمان (رضه) سنة ٣١ هـ . ٦٥٢ م وحاصره بمدينة دنقلة حصاراً شديداً ورماهم بالمنجنيق ولم تكن النوبة تعرفه وخسف بهم كنيتهم بجحر فبهزم ذلك وطلب ملكهم قليدورون الصلح وخرج الى عبدالله وأبدى ضعفاً ومسكنة وتواضعاً فتلقاءه عبد الله ورفعهم وقرّبه ثم قرّر الصلح معه على ثلاثمائة وستين رأساً من الرقيق في كل سنة ووعد عبد الله محبوب يهديها اليه لما شكا له قلة الطعام ببلده وكتب لهم كتاباً نسخته بعد البسملة :

« عهد من الأمير عبد الله بن سعد بن أبي السرح لعظيم النوبة ولجميع اهل مملكته . عهد عقده على الكبير والصغير من النوبة من حد ارض اسوان الى حد ارض علوة . ان عبدالله بن سعد جعل لهم أماناً وصدة جارية بينهم وبين المسلمين من جاوروهم من اهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين واهل الذمة انكم معاشر النوبة آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد النبي ﷺ ان لا تحاربكم ولا ننصب لكم حرباً ولا نفزوكم ما أقمتم على الشرائط التي بيننا وبينكم على ان تدخلوا بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه . وعليكم حفظ من نزل بلدكم او بطرفه من مسلم او معاهد حتى يخرج عنكم وان عليكم رد كل أبقى خرج اليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه الى ارض الاسلام ولا تستولوا عليه ولا تمنعوا منه ولا تعرضوا المسلم قصده وجاوزه الى ان ينصرف عنه . وعليكم حفظ المسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم ولا تمنعوا منه مصلياً . وعليكم كنسه وإسراجه وتكريمه . وعليكم في كل سنة ثلاثمائة وستون رأساً تدفعونها الى إمام المسلمين من أوسط رقيق بلدكم غير المعيب يكون فيها ذكران وأثاث ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم تدفعون ذلك الى والي اسوان . وليس على مسلم دفع عدو عرض لكم ولا منعه عنكم من حد ارض علوة الى ارض اسوان . فإن انتم أويتم عبد المسلم او قتلتم مسلماً او معاهداً او تعرضتم للمسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم يهدم او منعم شيئاً من الثلاثمائة رأس والستين رأساً فقد برئت منكم

هذه الهدنة والأمان وعدنا نحن وانتم على سواء . حق يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين . بذلك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله محمد ﷺ ولنا عليكم بذلك اعظم ما تدينون به من ذمة المسيح وذمة الحواريين وذمة من تعظمونه من اهل دينكم وملتكم الله الشاهد بيننا وبينكم على ذلك . كتبه عمرو بن شرحبيل في رمضان سنة ٣١ هـ ١١ هـ . وهذه الجزية التي تدفعها النوبة تسمى بقطا .

« وكانت النوبة رفعت الى عمرو بن العاص ما صولحوا عليه من البقط قبل نكت عهدهم وأهدوا الى عمرو اربعين رأساً من الرقيق فلم يقبلها وردت الهدية الى كبير البقط ويقال له سمقوس فاشترى له بذلك جهازاً وخرأً ووجهه اليه وبعت اليهم عبد الله بن سعد ما وعدم به من الحبوب قمحاً وشعيراً وعدساً وثياباً وخيلاً ثم تناول الرسم على ذلك فصار رسماً يأخذونه عند دفع البقط في كل سنة وصارت الاربعون رأساً التي أهديت الى عمرو يأخذها والي مصر . وعن ابي خليفة حميد بن هشام البحتري ان الذي صولح عليه النوبة ثلاثمائة وستون رأساً لفيء المسلمين ولصاحب مصر اربعون رأساً ويدفع اليهم ألف اربق قمحاً ولرسله ثلاثمائة اربق ومن الشعير كذلك ومن الحر الف اربق للمتملك ورسله ثلاثمائة اربق وفرسين من نتاج خيل الامارة ومن أصناف الثياب مائة ثوب ومن القباطي اربعة أثواب للمتملك ولرسله ثلاثة ومن البقطرية ثمانية أثواب ومن المعلة خمسة أثواب وجبة بجملة للملك ومن قص ابي بقطر عشرة أثواب ومن احاص عشرة أثواب وهذه ثياب غلاظ ... »

قال ابن وصيف شاه : لما انتقلت الخلافة الى بني العباس وولي عبد الله السفاح سنة ١٣٢ هـ . ٧٥٠ م توجه عبدالله بن علي العباسي الى الشام في طلب من بقي من بني أمية ثم ارسل بالقبض على الامير عبيد الله بن مروان الحمار امير مصر فلما ان بلغ الامير عبيد الله ذلك دخل الى خزائن أهواله وأخذ منها عشرة آلاف دينار ذهباً ثم احضر اثني عشر بفلاً وحملها ذلك المال وشيئاً من القماش والفرش وغير ذلك وأخذ معه جماعة من العبيد والغلمان ثم شد على وسطه خرطة

فيها جواهر فاخرة مثمرة وخرج من مضر هارباً فتوجه الى نحو بلاد النوبة. فلما وصل هناك وجد مدائن خراباً وبها قصور محكمة البناء فنزل في بعض تلك القصور وأمر غلمانه بكنسها فكنست وفرش فيها ما كان معه من تلك الفرش الفاخرة ثم قال لبعض غلمانه وكان ممن يثق بعقله أمض الى ملك النوبة وخذ لي منه أماناً على نفسي من القتل فخرج الغلام وتوجه الى ملك النوبة فغاب ساعة ثم عاد ومعه قاصد من عند ملك النوبة فلما دخل عليه قال له ان الملك يقرئك السلام ويقول لك أحارباً جئت اليه ام مستجيراً فقال له الامير عبيد الله ردّ عليه مني السلام وقل له قد جاء اليك ليستجير بك من عدو يريد قتله ففضى ذلك القاصد بالجواب فغاب ساعة ورجع وقال له ان الملك قادم عليك في هذه الساعة فقال عبيد الله لغلمانه افرشوا ما معنا من الفرش الفاخرة وجعل مرتبة في صدر المكان برسم ملك النوبة وجلس يرتقب مجيئه فبينما هو على ذلك اذ دخل عليه غلامه وقال له ان ملك النوبة قد أقبل فقام الامير عبيد الله وصعد على أعلى القصر ونظر الى ملك النوبة فاذا هو رجل اسود طويل القامة نحيف الجسم وعليه بردان قد ائتزر بأحدهما وارتندي بالآخر ومعه عشرة من السودان حوله ومعهم حراب بأسنة تلعب فلما رآه عبيد الله استصغر امره واحتقره فلما قرب من المكان الذي فيه عبيد الله أراه من عسكره نحو عشرة آلاف رجل من السودان في أيديهم الحراب فلما وصل ملك النوبة على عبيد الله وأحاط ذلك العسكر بالمكان الذي فيه عبيد الله ووقعت عين ملك النوبة على الامير عبيد الله بادر الى يد الامير عبيد الله وقبلها فأشار اليه عبيد الله بأن يجلس على تلك المرتبة التي وضعها اليه فأبى وصار يدفع تلك الفرش الفاخرة برجله فقال عبيد الله للترجان لم لا يقعد الملك على تلك المرتبة التي وضعناها له فقال له الترجان في ذلك فقال ملك النوبة قل للامير كل ملك لا يكون متواضعاً لله فهو جبار عنيد متكبر ثم انه جلس بين يدي الامير عبيد الله وجعل ينكت في الارض باصبعه طويلاً ثم انه رفع رأسه الى الامير عبيد الله وقال له كيف سلبت ملككم وأخذ منكم وأنتم أقرب الناس الى نبيكم فقال له عبيد الله

ان الذي سلطنا ملكنا أقرب الى نيينا منا فقال له ملك النوبة فكيف أنتم تلوذون الى نبيكم بقرابة وأنتم تشربون ما حرّم عليكم من الخمر وتلبسون الديباج وهو حرّم عليكم وتركبون في سروج الذهب والفضة وهي حرمة عليكم ولم يفعل نبيكم شيئاً من هذا وبلغنا انك لما وليت على مصر كنت تخرج الى الصعيد وتكلف اهل القرى ما لا يطيقون وتفسد الزرع على الناس وتروم الهدايا والتتقادم من اهل القرى وكل هذا لأجل كركي تصيده قيمته سبعة انصاف او ثمانية فصار ملك النوبة يعدد على الامير عبيد الله جملة ذنوب والامير عبيد الله ساكت لا يتكلم بحرف واحداً ثم قال له ملك النوبة فلما استحلتم ما حرّمه الله عليكم سلتم ملككم وأخذ منكم وأوقع الله بكم نقمة لم تبلغ غايتها منكم وانا أخاف على نفسي ان أزلتك عندي ان تحمل بي تلك النقمة التي أحلت بكم والبلاء عام والرحمة مخصوصة ثم قال له ارحل من ارضي بعد ثلاثة أيام وإلا اخذت جميع ما معك وقتلتك ثم قتلة فلما سمع الامير عبيد الله ذلك خرج من ارض النوبة من يومه ورجع الى مصر فقبض عليه عمال الخليفة المنصور العباسي وبعثوا به الى بغداد فسجنه المنصور حتى مات في السجن اه عن ابن أبياس .

وذكر القزويني هذه القصة فعزاها الى محمد بن مروان قال وجرى ذكر ملك النوبة في مجلس المهدي (محمد بن ابي جعفر المنصور العباسي سنة ١٥٨هـ : ١٦٩ هـ أي سنة ٧٧٥ م : ٧٨٥ م) فقال بعض الحاضرين ان له مع محمد بن مروان قصة عجيبة فأمر المهدي باحضار محمد بن مروان وسأله عما جرى بينه وبين ملك النوبة فقال لما التقينا ابا مسلم بمصر وانهزمتا وتشقت جمعنا وقعت بأرض النوبة فأحببت ان يمكثني ملكهم من المقام عندهم زماناً فجاءني زائراً وهو رجل طويل اسود اللون فخرجت اليه من قبتي وسألته ان يدخلها فأبى ان يجلس إلا خارج القبة على التراب فسألته عن ذلك فقال ان الله تعالى أعطاني الملك فحق علي ان أقابله بالتواضع ثم قال لي ما بالكم تشربون النبيذ وانها حرمة في ملتكم قلت نحن ما نفعل ذلك وانما يفعله بعض فساق

أهل ملتنا فقال كيف لبست الديباج ولبسه حرام في ملتكم قلت ان الملوك الذين كانوا قبلنا وهم الأكاسرة كانوا يلبسون الديباج فقتبهننا بهم لئلا تنقص هيبتنا في عين الرعايا فقال كيف تستحلون اخذ أموال الرعايا من غير استحقاق قلت هذا شيء لا نفعله ولا نرضى به وانما يفعله بعض عمالنا السوء فأطرق وجعل يردد مع نفسه « يفعله بعض عمالنا السوء » ثم رفع رأسه وقال ان الله تعالى جعل فيكم نعمة ما بلغت غايتها اخرج من ارضي حتى لا يدركني شؤمك ثم قام ووكل بي حتى ارتحلت من أرضه والله تعالى الموفق اه .

وقال القزويني : « بلاد النوبة ارض واسعة في جنوبي مصر وشرقي النيل وغربيه وأهلها أمة عظيمة نصارى يعاقبة ولهم ملك اسمه كابيل يزعمون انه من نسل ملوك حمير قال عليه السلام : خير سبيكم النوبة وقال ايضاً : من لم يكن له أخ فليتخذ أخاً نوبياً . ومن عاداتهم تعظيم الملك الذي اسمه كابيل وهو يوم انه لا يأكل ويدخل الطعام عليه سراً . فإن عرف ذلك احد من الرعية قتلوه لوقته ويشرب شراباً من الذرة مقوى بالعلسل ولبسه الثياب الرفيعة من الصوف والخز والديباج وحكه نافذ في رعيته ويده مطلقة يسترق من شاء ويتصرف في أموالهم وهم يعتقدون انه يحيى ويميت ويصح ويمرض .

وقال اليلاذري في كتاب الفتوحات في كلامه عن البقط : « ان المقرّر على النوبة اربعمائة رأس يأخذون بها طعاماً اي غلة وألزمهم امير المؤمنين المهدي محمد بن ابي جعفر المنصور (العباسي المار ذكره) ثلاثمائة وستين رأساً وزرافة اه . »

وقال الليث بن سعد وهو من الثقات في اخبار النوبة : ولم يزل النوبة يؤدون البقط في كل سنة ويدفع اليهم ما تقدم ذكره الى ايام امير المؤمنين المعتصم بالله أبي اسحق بن الرشيد العباسي (سنة ٢١٨ هـ : ٢٢٧ هـ - ٨٣٣ م : ٨٤٢ م) وكبير النوبة يومئذ زكرياء بن مجنس وكانت النوبة ربما عجزت عن دفع البقط فشن الغارة عليهم ولاة المسلمين القريبون من بلادهم ومنعوا اخراج الجهاز اليهم فانكر فيرقى ولد كبيرم زكريا على أبيه ذلك الطاعة لغيره

واستعجزه فيما يدفع فقال له ابوه : فما تشاء ؟ قال : عصيانهم وعمايتهم قال
 ابوه : هذا شيء رآه السلف من آباءنا صواباً وأخشى ان يفضي هذا الامر
 اليك فتقدم على محاربة المسلمين غير اني أوجهك الى ملكهم رسولا فأنت ترى
 حالنا وحالهم فإن رأيت لنا بهم طاقة حاربناهم على خبرة وإلا سألتهم الاحسان
 الينا فشخص فيرقى الى بغداد وكانت البلدان تزين له وهو يسير على المدن
 والمحدر بالمحدره رئيس البجة ولقيها المعتصم فنظرا الى ما بهرهما من حال
 العراق في كثرة الجيوش وعظم العمارة مع ما شاهدها في طريقها فقرب المعتصم
 فيرقى وأدناه وأحسن اليه إحساناً تاماً وقبل هديته وكافاه بأضعافها وقال له
 تمنّ ما شئت فسأله في اطلاق المحبوسين فأجابته الى ذلك وكبر في عين المعتصم
 ووهب له الدار التي نزلها بالعراق وأمر ان يشتري له في كل منزل من طريقه
 دار تكون لرسلمهم فانه امتنع من دخول دار لأحد في طريقه فأخذ له بمصر
 دار بالجيزة واخرى ببني وائل وأجرى لهم في ديون مصر سبعمائة دينار
 وفرساً وسرجاً ولجاماً وسيفاً على وثوباً مثقلاً وعمامة من الخبز وقبص شرب
 ورداء شرب وثياباً لرسله غير محدودة عند وصول البقط الى مصر ولهم حملان.
 وخلع على المتولي قبض البقط وعليهم رسوم معلومة لقابض البقط والمتصرفين
 معه وما يهدى اليهم بعد ذلك فغير محدود وهو عندهم هدية يحازون عليها .
 ونظر المعتصم الى ما كان يدفعه المسلمون فوجدته اكثر من البقط وأنكر عطية
 الحر وأجرى الجبوب والثياب التي تقدم ذكرها وقرّر دفع البقط بعد انقضاء
 كل ثلاث سنين وكتب لهم كتاباً بذلك بقي بيد النوبة . وطلب ملك النوبة
 من المعتصم إزالة المسلحة المعروفة بالقصر عن موضعها الى الحد الذي بينهم
 وبين المسلمين لأن المسلحة على أرضهم فلم يحبه الى ذلك . ولم يزل الرسم جارياً
 بدفع البقط على هذا التقرير ويدفع اليهم ما أجراه المعتصم الى ان قدمت
 الدولة الفاطمية الى مصر اه. عن المقرئ .

وقال المسعودي في كلامه عن البقط : « وعدد ذلك ثلاثمائة رأس وخمسة
 وستون رأساً وأراه رسم على عدد ايام السنة هذا لبيت مال المسلمين بشرط

الهدنة بينهم وبين النوبة وللأمير في مصر غير ما ذكرنا من عدد السي اربعون رأساً وخليفته المقيم في بلاد اسوان المجاورة لأرض النوبة وهو المتولي لقبض هذا البقط وهو السي عشرون رأساً غير الأربعين وللحاكم المقيم في اسوان الذي يحضر مع أمير اسوان لقبض البقط خمسة رؤوس غير العشرين التي يقبضها الأمير وللثاني عشر شاهداً عدولاً مع أهل اسوان يحضرون مع الحاكم حين قبض البقط اثنا عشر رأساً من السي على حسب ما جرى به الرسم في صدر الاسلام في بدء إيقاع الهدنة بين المسلمين والنوبة . والموضع الذي يتسلم فيه هذا البقط ويحضره من سميناه وغيرهم من النوبة من ثقة الملك يعرف بالقصر وهو على ستة أميال من مدينة اسوان بالقرب من جزيرة بلاق اه .

وقال (المسعودي) عند كلامه عن اسوان : « ومدينة اسوان يسكنها خلق كثير من العرب من قحطان وزار بن معد من ربيعة ومضر وخلق من قريش واكثرهم ناقلة من الحجاز وغيره . والبلد كثير النخل خصيب كثير الخير . تودع النواة الأرض فتلبت نخلة ويؤكل من ثمرها بعد سنتين . ولن بأسوان من المسلمين ضياع كثيرة داخلية بأرض النوبة يؤدون خراجها الى ملك النوبة وابتيعت هذه الضياع من النوبة في صدر الزمان في دولة بني أمية وبني العباس . وقد كان ملك النوبة استمدى المأمون حين دخل مصر على هؤلاء القوم بوفد أوفدهم الى القسطنطينية ذكروا عنه ان ثاباً من أهل مملكته وعبيده باعوا ضياعاً من ضياعهم ممن جاورهم من أهل اسوان وانها ضياعه والقوم عبيد لا أملاك لهم وانما تملكهم على هذه الضياع تملك العبيد العاملين فيها فرد المأمون امرهم الى الحاكم بمدينة اسوان ومن بها من أهل العلم والشيوخ وعلم من ابتاع هذه الضياع من أهل اسوان انها ستزعم من أيديهم فاحتالوا على ملك النوبة بأن تقدموا الى من ابتيع منهم من أهل النوبة انهم اذا حضروا حضرة الحاكم ان لا يقرؤوا للوكم بالعبودية وان يقولوا سيبلنا معاشر المسلمين سيبلكم مع ملككم تحب علينا طاعته وترك مخالفته فإن كنتم انتم عبيداً للكم وأموالكم له فنحن كذلك ولما جمع الحاكم بينهم وبين صاحب الملك أتوا بهذا الكلام

للحاكم ونحوه مما أوقفوا عليه من هذا المعنى فمضى البيع لعدم إقرارهم بالرق
للملكهم الى هذا الوقت وتوارث الناس تلك الضياع بأرض النوبة من بلاد
مريس المجاورة لأسوان . وصار النوبة اهل مملكة هذا الملك نوعين : نوعاً من
وصفنا احراراً غير عبيد والنوع الآخر من اهل مملكته عبيد وهم من سكن
من النوبة في غير بلاد مريس اه . كلام المسعودي ملخصاً .

وفي سنة ٢٥٥ هـ . ٨٧٠ م ذهب ابو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد
المصري الى محاربة النوبة (ورجع غلثاً) اه عن المقرئ .

وقال المسعودي : « وانتهيت في تصنيفي الى هذا الموضع من كتابنا هذا
في شهر ربيع الآخر سنة ٣٣٢ هـ . ٩٤٤ م فأخبرت ان الملك في مدينة دنقلة
الى النوبة ليرثي بن سدر وهو ملك ابن ملك ابن ملك فصاعداً وملكه يحتوي
على ام قرية وعلوة » .

وفي ذي الحجة سنة ٣٤٤ هـ . ٩٥٦ م أغار ملك النوبة على اسوان وقتل
جمعاً من المسلمين فخرج اليه محمد بن عبد الله الخازن على عسكر مصر من قبل
انوجور بن الاخشيد في محرم سنة ٣٤٥ هـ . ٩٥٧ م فساروا في البر والبحر
وبعثوا بعدة من النوبة أسروهم فضربت أعناقهم بعد ما أوقع بملك النوبة .
وسار الخازن حتى فتح مدينة ابريم وسبى اهلها وقدم الى مصر في نصف
جادي الاولى سنة ٣٤٥ هـ بمائة وخمسين أسيراً وعدة رؤوس اه عن المقرئ .
وقال المتلي من قصيدة مشهورة يمدح بها كافور الاخشيد الذي تولى مصر
من سنة ٣٥٥ : ٣٥٧ هـ - ٩٦٦ : ٩٦٨ م :

« يصرف الامر من مصر الى عدن الى الحجاز فأرسل الزنج فالنوب »

وهو يدل على اتساع ملك مصر في ذلك الزمان وخضوع النوبة لها .
وقال ابن الاثير : « وفي سنة ٣٩٧ هـ . ١٠٠٧ م سار ابو ركوة الى بلد
النوبة فلما بلغ الى حصن يعرف بحصن الجبل للنوبة أظهر انه رسول من
« الحاكم » الى ملكهم فقال له صاحب الحصن الملك عليل ولا بد من استخراج

امره في مسيرك اليه وبلغ الفضل الخبر فأرسل الى صاحب القلعة بالخبر على حقيقته فوكل به من يحفظه وارسل الى الملك بالحال وكان ملك التوبة قد توفي وملك ولده فأمر ان يسلم الى نائب الحاكم فتسلمه رسول الفضل وسار به فلقبه الفضل وأكرمه وأنزله في مضاربه وحمله الى مصر فأشهر بها وطيف به . وكتب ابو ركة الى الحاكم رقعة يقول فيها : يا مولانا ذنوبي عظيمة وأعظم منها عفوك والدماء حرام ما لم يحلها سخطك وقد أحسنت وأسأت وما ظلمت إلا نفسي وسوء عملي أوبقني وأقول :

فررت فلم يغفر الفرار ومن يكن مع الله لم يعجزه في الارض هارب
ووالله ما كان الفرار لحاجة سوى فرغ الموت الذي انا شارب
وقد قادني جرمي اليك برمتي كما خر ميت في رجا الموت سارب
وأجمع كل الناس انك قاتلي فيا رب ظن ربه فيك كاذب
وما هو إلا الانتقام ويتهني وأخذك منه واجبا لك واجب

ولما طيف به ألبس طرطوراً وجعل خلفه قرد يصفعه كان معلماً بذلك ثم حل الى ظاهر القاهرة ليقتل ويصلب فتوفي قبل وصوله فقطع رأسه وُصلب . وبالغ الحاكم في إكرام الفضل الى حد انه عاده في مرضه مرضها فدعبت فاستعظم الناس ذلك ثم انه عمل في قتل الفضل لما عوفي فقتله .

وفي جهادى الاولى سنة ٥٦٨ هـ . ١١٧٣ م سار شمس الدولة ثوران شاه ابن ايوب اخو صلاح الدين الاكبر من مصر الى بلد التوبة فوصل الى اول بلادهم ليتغلب عليه ويملكه وكان سبب ذلك ان صلاح الدين وأهله كانوا يعلمون ان نور الدين كان على عزم الدخول الى مصر فاستقر الرأي بينهم انهم يتملكون إما بلاد التوبة او بلاد اليمن حتى اذا وصل اليهم نور الدين لقوه وصدوه عن البلاد فإن قووا على منعه أقاموا بمصر وإن عجزوا عن منعه ركبوا البحر ولحقوا بالبلاد التي قد افتتحوها فجهز شمس الدولة وسار الى اسوان ومنها الى بلد التوبة فآزال قلعة اسمها ابريم فحصرها وقاتله اهلها فلم يكن لهم طاقة بقتال المعسكر الاسلامي لأنهم ليس لهم جنة تقيهم السهام وغيرها من آلة

الحرب فسلموها فملكها وأقام بها ولم يرَ للبلاد دخلاً يُرغب فيه وتحتمل المشقة لأجله وقوتهم الذرة فلما رأى عدم الحاصل وقشف العيش مع مباشرة الحروب ومعاناة التعب والمشقة تركها وعاد إلى مصر بما غنم وكان عامة غنيبتهم العبيد والجواري .

وقال المقرئ في كلامه عن ثوران شاه هذا : « وأعطاه صلاح الدين قوص واسوان وعيذاب وجعلها له اقطاعاً فكانت عبرتها في تلك السنة مائتي ألف وستة وستين ألف دينار . ثم خرج إلى غزو بلاد النوبة في سنة ٥٦٩ هـ . ١١٧٤ م وفتح قلعة ابريم وسبى وغنم ثم عاد بعد ما اقطع ابريم بعض اصحابه . »

« وقد غلب اولاد كنز الدولة على النوبة وملكوها من سنة وبنى بدنقلة جامعاً يأوي إليه الغرباء . »

« وفي سنة ٦٧٤ هـ . ١٢٧٦ م كثرت خيبت داود متملك النوبة وأقبل إلى ان قرب من مدينة اسوان وحرق عدة سواق بعد ما افسد بعيذاب فمضى إليه وإلى قوص فلم يدركه وقبض على صاحب الخيل في عدة من النوبة وحملهم إلى السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري بقلعة الجبل فوسطهم (أي قطعهم بالسيف من الوسط) . »

وقدم مكندة ابن اخت متملك النوبة متظلماً من حاله داود فجزه السلطان الملك الظاهر معه الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقاني استاذ داره والأمير عز الدين أيبك الأقرم أمير جاندار في جماعة كثيرة من المسكر ومن أجناد الولايات عربان الوجه القبلي والزرقين والرماة ورجال الحراريق فساروا في أول شعبان سنة ٦٧٤ هـ من القاهرة حتى وصلوا إلى أرض النوبة فخرجوا إلى لقاءهم على النجب (الأبل) بأيديهم الحراب وعليهم دكادك سود فاقتتل الفريقان قتلاً كبيراً انهزم فيه النوبة وأغار الأقرم على قلعة الدر وقتل وسبى وأوغل الفارقاني ومعه الأقرم في أرض النوبة برأ وبحراً يقتل ويأسر

فعاذ من المواشي ما لا يمد وتزل يحزيرة ميكائيل برأس الجنادل ونقر المراكب من الجنادل ففر النوبة الى الجزاير . وكتب الفارقاني لقمم الدولة نائب داود متملك النوبة أماناً فعلف قمر الدولة لسكنة على الطاعة وأحضر رجال المريس ومن فر . وخاض الاقزم الى برج في الماء وكان فيه داود وأسرته وحصره حتى أخذه وقتل به مائتين وأسر أخاً لداود فهرب داود والمسكر في أثره مدة ثلاثة أيام وهم يقتلون ويأسرون حتى أذعن القوم وأسرت ام داود وأخته ولم يقدر على داود لأنه تخلص الى النوبة العليا فلقبه هناك ملكها فقاتله وهزمه وأسرته وبعث به مقيداً الى السلطان بمصر فاعتقل بالقلعة الى ان مات وتقرر سكنة عوضه وقرر على نفسه القطيعة في كل سنة ثلاث فيلة وثلاث زرافات وخمس فهود من أقاتها ومائة نجيب أصهب وأربعماية رأس من البقر المنتجة على ان تكون بلاد النوبة نصفين نصفها للسلطان ونصفها لعمارة البلاد وحفظها ما خلا بلاد الجنادل فانها كلها للسلطان لقرها من اسوان وهي نحو الربع من بلاد النوبة وأن يحمل ما بها من التمر والقطن والحقوق الجارية بها العادة من قديم الزمان وان يقوموا بالجزية ما بقوا على النصرانية فيدفع كل بالغ منهم في السنة ديناراً عيناً . وكتب نسخة يمين بذلك حلف عليها الملك سكنة ونسخة يمين اخرى حلفت عليها الرعية . وغرب الاميران كنائس النوبة وأخذوا ما فيها وقبضوا على نحو عشرين أميراً من أمراء النوبة وأفرجوا عن كان بأيدي النوبة من اهل اسوان وعيذاب من المسلمين في أسرم وألبسوا سكنة تاج الملك وأقعداه على سرير المملكة . بعد ما حلف والتزم ان يحمل جميع ما لداود ولكل من قتل وأسر من مال ودواب الى السلطان مع البقط القديم وهو أربعماية رأس من الرقيق وزرافة في كل سنة من ذلك ما كانت للخليفة ثلثاية وستون رأساً ولنائبه بمصر اربعون رأساً على ان يطلق لهم اذا وصلوا بالبقط تاماً من القمح ألف اردب لمملكتهم وثلثاية أردب لرسله اه عن المقريري . وقال ابن خلدون :

ثم مات الظاهر بيبرس وانقرضت دولته ودولة بنيه وانتقل الملك الى

المنصور قلاون فبعث سنة ٦٨٦ هـ ١٢٨٨ م العساكر الى النوبة مع علم الدين
 سنجر الحياط وعز الدين الكوراني وسار معهم نائب قوص عز الدين ايدمر
 السيفي بعد ان استنفر العربان اولاد ابي بكر واولاد عمر واولاد شريف
 واولاد شيبان واولاد كنز الدولة وجساعة من الغرب ... وبني هلال
 وساروا على العدو الغربية والشرقية الى دنقلة وملكهم في ذلك الحين بيت
 مأمون هكذا سماه النوبي وأظنه أخا مرتشكين (سكنده) وبرزوا للعساكر
 فهزمتهم وأتبعتهم خمسة عشر يوماً وراء دنقلة ورُتب ابن اخت بيت مأمون
 في الملك ورجعت العساكر فرجع بيت مأمون الى دنقلة فاستولى على البلاد
 ولحق ابن اخته بمصر صريحاً بالسلطان فبعث معه عز الدين ابيك الاقرم في
 العساكر ومعه ثلاثة من الامراء وعز الدين نائب قوص وذلك سنة ٦٨٨ هـ
 وبمشوا المراكب في البحر بالازودة والسلاح ومات ملك النوبة (ابن اخت
 بيت مأمون) المستنجد بهم بأسوان ودفن بها وجاء نائب جريس (أي نائب
 ابن اخت بيت مأمون) صريحاً الى السلطان فبعث معه داود ابن اخي
 مرتشكين الذي كان أسيراً بالقلعة وتقدم جريس بين يدي العساكر حتى وصلوا
 الى دنقلة فهرب بيت مأمون وامتنع بجزيرة وسط النيل على خمسة عشر مرحلة
 وراء دنقلة ووقفت العساكر على ساحل البحر وتعذر وصول المراكب الى
 الجزيرة من كثرة الحجر وخرج بيت مأمون منها فلحق بالابواب (أي النوبة
 العليا) ورجع عن أصحابه (أي أصحاب بيت مأمون) ورجعت العساكر
 الى دنقلة فلتكوا داود ابن اخي مرتشكين المتقدم الذكر ورجعوا الى مصر
 سنة ٦٨٩ هـ ١٢٩١ م لتسعة أشهر من مسيرهم بعد ان تركوا اميراً منهم مع
 الملك داود ورجعوا الى مصر ورجع بيت مأمون الى دنقلة وقتل داود وبعث
 الامير الذي كان معه الى السلطان وحله رغبة في الصلح على ان يؤدي الضريبة
 المعلومة فاسعف لذلك واستقر في ملكه .

وقال ابن أياس « ثم دخلت سنة ٧٠٤ هـ ١٣٠٥ م وفيها حضر الى الابواب
 الشريفة صاحب دنقلة من اعمال الصعيد وكان صحبتة هدايا جميلة من رقيق

وجمال وأبقار حبشية وغير ذلك فخلع عليه السلطان خلعة وأنزله بدار الضيافة .

وقال ابن خلدون في اخبار النوبة واسلامهم : « قد تقدم لنا غزو الترك الى النوبة أيام الظاهر بيبرس والمنصور قلاون لما كان عليهم من الجزية التي فرضها عمرو بن العاص عليهم وقررها الملوك بعد ذلك وربما كانوا يماطلون بها او يتمنون من إداها فتغزوم عساكر المسلمين من مصر حتى يستقيموا وكان ملكهم بدنتلة أيام سارت العساكر من عند قلاون اليها سنة ٨٦٠ هـ ١٢٨٢ م واسمه بيت مأمون ثم كان ملكهم لهذا العهد اسمه آي لا أدري أكان معاقباً لبيت مأمون او توسط بينهما متوسط وتوفي آي سنة ٧١٦ هـ ١٣١٧ م وملك بعده في دنتلة أخوه كرييس . ثم نزح من بيت ملوكهم رجل الى مصر اسمه نشلي وأسلم فحسن اسلامه وأجرى له السلطان الناصر بن قلاون رزقاً وأقام عنده فلما بلغ كانت سنة ٧١٦ هـ امتنع كرييس من اداء الجزية فجهز السلطان اليه العساكر وبعث معها عبد الله نشلي المهاجر الى الاسلام من بيت ملكهم فخاف كرييس عن لقاءهم وفر الى بلاد الابواب ورجعت العساكر الى مصر واستقر نشلي في ملك النوبة على حاله من الاسلام وبعث السلطان الى ملك الابواب في كرييس فبعث به وأقام بباب السلطان. ثم ان اهل النوبة اجتمعوا على نشلي وقتلوه بمائة جماعة من العرب سنة ٧١٩ هـ وبعثوا الى كرييس ببسلة الابواب فالفوه بمصر وبلغ الخبر الى السلطان فبعثه الى النوبة فملكها وكان قد اعتنق الاسلام فأسلت جميع رعيته وانقطعت الجزية باسلامهم اه كلام ابن خلدون .

وقال لبيسوس : « وفي دنتلة المعجوز جامع قائم على خرائب كنيسة كبيرة وفي واجهة الجامع حجر من الرخام مكتوب عليه بالعربية ما معناه : كانت افتتاح دنتلة المعجوز التي هي كرسي النوبة في ٢٠ ربيع اول سنة ٧١٧ هـ - ٩ يونيو سنة ١٣١٨ م وذلك عن يد سيف الدين عبد الله الناصر اه . قلت

وقد رأيت من رأى الحجر في الفتح الاول وأخبرني به قبل اطلاعي على رحلة لبيوس .

وقال ابن خلدون : « ثم انتشر أحياء العرب من جهينة في بلاد النوبة واستوطنوها وملكوها وملأوها عبيداً وفساداً وذهب ملوك النوبة الى مدافعتهم (العرب) فمعجزوا ثم صاروا الى مصانعتهم بالصهر فافترق ملكهم وصار لبعض أبناء جهينة من أمهاتهم (لأن أمهاتهم من بنات ملوك النوبة) على عادة الأعاجم في غليك الاخت وابن الاخت فتمزق ملكهم واستولى اعراب جهينة على بلادهم وليس في طريقة استيلائهم شيء من السياسة الملوكية للآفة التي تمنع من انقياد بعضهم الى بعض فصاروا شيعاً لهذا العهد » اي الى أواخر القرن الثامن للهجرة .

وبقوا كذلك شيعاً على كل شعبة منهم رئيس او ملك الى ان قام الفونج في سنار سنة ٩١٠ هـ . ١٥٠٥ م فملكوها الى الشلال الثالث . ثم كان الفتح العثماني لمصر بيد السلطان سليم الفاتح سنة ١٥٢٠ م فأرسل سرية من عساكره الى النوبة السفلى فملكوها من اسوان الى الشلال الثالث وعرفوا بالفرز وعُرف حكمهم بالكشاف . وهكذا انقسمت بلاد النوبة السفلى بين ملوك الفونج والكشاف الى ان كان الفتح المصري للسودان سنة ١٢٣٦ هـ . ١٨٢٠ م فخضعت لمصر كما سيجيء مفصلاً في تاريخ سنار .

الفصل الثاني

في

تاريخ النوبة العليا

منذ دخول النصرانية اليها في القرن السادس للمسيح الى انقراضها منها
وخراب سوبة سنة ٨٩١٠ م ١٥٠٥ م

اما النوبة العليا المعروفة عند مؤرخي الاسلام بمملكة علوة وفي السودان بمملكة المنج فظاهر ان النصرانية امتدت اليها من النوبة السفلى ولكن لم يحفظ لنا التاريخ شيئاً من اخبارها في النصرانية غير ما تقدم ذكره عن المقريري عن كتاب ابن سليم الاسواني .

وقد أخذ العرب المسلمون بعد فتح مصر يهاجرون الى السودان من مصر وبلاد العرب إما فراراً من الحكم او طلباً للرزق فلما فتحت النوبة السفلى زاد عدد المهاجرين منهم الى بلاد النوبة العليا حتى ملأوها وكان اكثرهم من جهنة وبني العباس وتقلب العنصر العربي على النوبة ومع ذلك بقوا خاضعين لحكم البنج حتى قام الفونج في جزيرة سنار فاتحدوا مع العرب وهاجوا العنج فقتلهم شر قتلة وخبروا سوبه خراباً تاماً حتى صاروا يضربون المثل في خرابها فيقولون : « فلان خرب خراب سوبه » . ثم ساروا الى قرى عند جبل

الرويان شمالي الخرطوم فقتلوا ملكها واستولوا عليها وأسسوا مملكة في سنار أقام فيها الفونج ومشيخة في قرى أقام فيها كبير العرب على ما سيجيء بالتفصيل .

وقد انقرض النوبة من تلك البلاد وانقرضت لغتهم ولم يبقَ منهم إلا نفر قليل في نواحي شندي وجريف ود قرى بقرب سوبه فاعتنقوا الاسلام واتخذوا لغة العرب لغة لهم ولم يزلوا يميزون عن العرب في الملامح والاخلاق تمييزاً لا يراه إلا الوطني . وهم على اسلامهم يحترقون واسم نوبوي من ألفاظ الشتم عند العرب تأنف من مصارعتهم إلا أنهم قد يتزوجون الجميلة من نساءهم ويتزوجون كبارهم غير الجميلة من نساء العرب .

آثار النصرانية في بلاد النوبة : وهكذا انقضت النصرانية من بلاد النوبة العليا كما انقضت من بلاد النوبة السفلى ولم يبقَ هناك ما يدل عليها سوى آثار بعض الأديرة والكنائس . ففي جزيرة فيلي آثار كنيسة جميلة . وفي الدفاتر آثار كنيسة أخرى . وفي بنو الغزالي قرب اهرام نوري وخرائب دير ويحانبه حجارة مدافن عليها كتابات باليونانية والقبطية . وأما كنائس دنقلة المعجوز وسوبه فقد خربت خراباً تاماً كما مرّ . وقد تقدم ان النوبة حوّلوا أكثر أهيكل الوثنية الى كنائس فطوا النقوش الهيروغليفية والصور القديمة بالطين وصوروا على الطلاء صور المسيح وبعض القديسين وقد رأيت سنة ١٨٨٤ م صور بولس الرسول في هيكل السبوع وصورة المسيح في هيكل فرّيج . وفي هذا الهيكل كتابة ١٤ سطراً من عهد النصرانية مكتوبة بأحرف قبطية ولغة غير مفهومة سميت باللغة الاثيوبية المسيحية . وعلى حجر في التلة القائمة عليها قلعة ابريم كتابة بهذه اللغة أيضاً . وترى على جدران قدس الاقداس في هيكل دندور قرب كلابشة كتابة باللغة القبطية مفادها ان الراهب « ابراهيم » غرس الصليب هناك في عهد الملك اريثومي ملك النوبة وكان « يوسف » نائباً في تلس (كلابشة) « وثيودوروس » مطراناً في فيلي (سنة ٥٧٧ م) . وفي سقف عمدة كتابة باللغة القبطية بشأن حجاج نصارى في اول عهد النصرانية .

وكانت مطاردة النوبة تُرسل إليها من قبل بطريرك الاقباط الى ان زالت النصرانية منها . وقال المقريري في كلامه عن اليعاقبة في مصر في خلافة هشام ابن عبد الملك (سنة ٢٠٥ : ١٢٥ هـ - ٧٢٤ : ٧٤٣ م) : « وبعث اليهم اهل النوبة في طلب أساقفة فبعثوا اليهم من أساقفة اليعاقبة فصارت النوبة من ذلك العهد يعاقبة » .

ويظهر ان لغة كنائس النوبة كانت القبطية واليونانية كما كلنت لغة كنائس الاقباط في مصر . اما لغة النوبة انفسهم فقد انقرضت من بلاد النوبة العليا بلنقراص اهلها وحلت العربية محلها ولكنها ثبتت في بلاد النوبة السفلى حتى الآن . والظاهر ان العرب الذين بقوا في النوبة السفلى بعد فتحها كانوا قليلين فاضطروا ان يتعلموا لغة النوبة وكلما هاجر اليهم جماعة من العرب تعلموا لغة النوبة ونسوا لغتهم . وهكذا فعل الاتراك .

الباب الثالث

في

تاريخ البجة في صدر الاسلام

وقال المقرئ : « البجة بادية يتبعون الكلاً حيثما كان الرعي بأخبية من جلود وشعر وليس لهم مدن ولا قرى ولا مزارع إلا ما سيأتي ذكره ومعيشتهم مما يُنقل إليهم من أرض الحبشة وأرض مصر والنوبة . وقيل في أصلهم انهم قبيلة من الحبشة إلا انهم أشد سواداً من هؤلاء ويتزيون بزي العرب . وهم كالعرب قبائل وأفخاذ لكل فخذ رئيس . وكان لهم قديماً رئيس يرجع جميع رؤسائهم الى حكمه يسكن قرية تعرف بهجر هي أقصى جزيرة البجة . وفي أوديتهم شجر المقل والاهليلج والاذخر والشيح والسنا والخنظل وشجر البان وغير ذلك . وبأقصى بلدهم النخل وشجر الكرم والرياحين وغير ذلك مما لم يزرعه احد . وبها سائر الوحش من السباع والفتيلة والنمور والفهود والقردة وعناق الارض وعط الزباد وذابة تشبه الغزال حسنة المنظر لها قرنان على لون الذهب قليلة البقاء اذا صيدت . ومن الطيور البيغاء والنقيط والنوبي والقمرى او دجاج الحبش وحمام بازين وغير ذلك . وتظم الحيات ببلدهم وتكثر أصنافها ورثيت حية في غدير ماء قد أخرجت ذنبها والتفت على امرأة وردت فقتلتها من شدة الضنطة . وبها حية ليس لها رأس وطرفاها سواء منقشة ليست بالكبيرة اذا مشى الانسان على أثرها مات . واذا قتلت وأمسك القاتل ما قتلها به من عود او حربة في يده ولم يلقه من ساعته مات . وقتلت حية منها بمخسبة فانشقت الخسبة . واذا تأمل هذه الحية احد وهي ميتة او حية أصابه ضررها ! واول بلد البجة في قرية تعرف بالحربة معدن الزمرّد في صحراء قوص . وبين هذا الموضع وبين قوص نحو من ثلاث مراحل . والزمرّد في هذا الموضع في مغائر بعيدة مظلمة يدخل اليها بالمصاييح وبجمال يستدل بها على الرجوع خوفاً الضلال ويحفّر عليه بالماول فيوجد في وسط الحجارة وحوله غشيم دونه في الصبغ والجوهر . وفيها عدا عن الزمرّد السالف . الذكر الذهب في وادي الملاقي وكلما تصاعدت كان أجود ذهباً وأكثر . وفيها معادن الفضة والنحاس والحديد والرصاص وحجر المنطيس والمرقيش والجمست وحجارة شطبا . فاذا بليت الشطبة منها بريت واشتعلت ووقدت مثل الفتيلة وغير ذلك

ما شغلهم طلب معادن الذهب عما سواه . والبجة لا تتعرض لعمل شيء من هذه المعادن .

« وكانت قراعنة مصر تغزوم وتوادعهم احياناً لحاجتهم الى المعادن وكذلك الروم لما ان ملكوا مصر . ولهم في المعادن آثار مشهورة وكان اصحابهم بها وقد فتحت مصر . ثم لما جاء المسلمون الى مصر سمعوا بخبر هذه المعادن فكثرت سراياهم الى الصحراء وانتفعوا بها انتفاعاً عظيماً على ما سيجيء .

« وأنساب البجة من جهة النساء وهم يورثون ابن البنت وابن الأخت دون ولد الصلب ويقولون ان ولادة ابن الأخت وابن البنت أصح فانه ان كان من زوجها او من غيره فهو ولدها على كل حال .

« وهم اصحاب ذمة فاذا غدر احدهم رفع المندور به ثوباً على حرية وقال هذا عرش فلان يعني أبا الغادر فتصير سيئة عليه الى ان يترضاه . وهم يبالغون في الضيافة فاذا طرق احدهم الضيف ذبح له . فاذا تجاوز ثلاثة نفر نحر لهم من أقرب الانعام اليه سواء كانت له او لغيره . وان لم يكن شيء نحر راحلة الضيف وعوضه ما هو خير منها . وهم يركبون النجب الصهب وتلتج عندهم . وكذلك الجمال العربية كثيرة عندهم ايضاً . والمواشي من البقر والغنم والضأن غاية في الكثرة عندهم ويقرم حسان ملعة بقرون عظام ومنها جم . وكباشهم كذلك منمرة ولها ألبان وغذاؤهم اللحم وشرب اللبن وأكلهم للخبز قليل وفيهم من يأكله . ويشربون دم الضأن سخناً ويأكلون مخ الجمال نياً وأبدانهم صحاح وبطنهم خصاص وألوانهم مشرقة الصفرة وتقاطيعهم غليظة ووجوههم طويلة عريضة وأنوفهم بارزة قليلاً وشعورهم فلفلية غير متلبدة وذلك دليل اختلاط وسحتهم غاية الشناعة ولهم سرعة في الجري يباينون بها الناس وكذلك جمالهم شديدة العدو صبرة عليه وعلى العطش يسابقون عليها الخيل ويقاثلون عليها وتدور بهم كما يشتهون ويقطعون عليها من البلاد ما يتفاوت ذكره ويتطاردون عليها في الحرب فيرسي الواحد منهم الحربة فان وقعت في الرمية طار إليها الجمل فأخذها صاحبها وان وقعت في الأرض ضرب الجمل

يحرانه الارض فأخذها صاحبها . وسلاحهم الحراب السباعية مقدار طول الحديد ثلاثه أذرع والعود اربعة أذرع ومن ذلك اسمها والحديده في عرض السيف لا يخرجونها من أيديهم إلا في بعض الاوقات لأن في آخر العود شيئاً شبيهاً بالفلكة يمنع خروجها من أيديهم . وصنّاع هذه الحراب نساء في موضع لا يختلط بهن رجل إلا المشتري منهن فاذا ولدت احداهن من الطارقين لهن جارية استحيتهن وان ولدت غلاماً قتلته ويقلن ان الرجال بلام وحرب . ودرقهم من جلود البقر مشعرة ودرق مقلوبة تعرف بالاكسومة من جلود الجواميس . وكذلك الدهلكية من دابة في البحر . وقسيمهم عربية كبار غلاظ من الصدر والشوخط يرمون عليها بنبل مسموم وهذا السم يعمل من عروق شجر الغلف يطبخ على النار حتى يصير مثل الفراء فاذا أرادوا تجريته شرط احداهم جسده وسيل الدم ثم شمه هذا السم فاذا تراجع الدم علم أنه جيد ومسح الدم لثلا يرجع الى جسده فيقتله فاذا أصاب الانسان قتل لوقتته ولو مثل شرط الجحام وليس له عمل في غير الجرح والدم وان شرب منه لم يضر . وفي البجة جلس يقطعون ثيابهم ويقولون لا تشبه بالخير . وفيهم جلس آخر في آخر بلاد البجة على نهر اتبرة يقال لهم البازة تسمى نساؤهم باسم واحد وكذلك الرجال فطرقهم في وقت رجل مسلم له جمال فدعا بعضهم بعضاً وقالوا هذا الله قد نزل من السماء فجعلوا ينظرون اليه عن بعد . واشتهر عن البجة ختان النساء (ختان فرعون) .

وكان البجة قبل دخول الاسلام الى أرض مصر صائبة يعبدون الاصنام وكان لكل بطن كاهن يضرب له قبة من آدم مبدهم فيها فاذا رأوا استخباره عما يحتاجون اليه تمرى ودخل القبة مستدبراً ويخرج اليهم وبه أثر جنون وصرع يقول الشيطان يقرئكم السلام ويقول لكم ارحبوا عن هذه الحلة فان الرهط الفلاني يقع بكم وسألتهم عن الغزو الى بلد كذا فسيروا فانكم تظفرون وتغنمون كذا وكذا والجمال التي تأخذونها من موضع كذا هي لي والجارية الفلانية التي تجدونها في الخباء الفلاني والغنم التي من صنفها كذا ونحو هذا

نتائج الاستكشاف

القول فيزعمون انه يصدقهم في أكثر من ذلك فاذا غنموا أخرجوا من الغنمية ما ذكر ودفعوه الى الكاهن يتموله . ويحرمون ألبان نوقها على من لم يقبل فاذا أرادوا الرحيل حمل الكاهن هذه القبة على جبل مفرد فيزعمون ان ذلك الجبل لا يشور إلا يجهد وكذلك سيره ويتصبب عرقاً والحكمة فارغة لا شيء فيها اه . وقال ابن الوردي في تاريخه « وبين البجة والنوبة قوم يقال لهم البليون أهل عزم وشجاعة يهابهم كل من حولهم من الامم ويهادونهم وهم نصارى خوارج على مذهب اليعقوبية » .

الفصل الاول

في

تاريخ البجة

قال المقرئزي : قال عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم : وتجمع لعبد الله بن سعد بن أبي سرح في انصرافه من النوبة على شاطئ النيل البجة فسألهم عن شأنهم فأخبر ان ليس لهم ملك يرجعون اليه فها ان عليه أمرهم وتركهم فلم يكن لهم عقد ولا صلح وكان اول من هادنهم عبيد الله بن الحبجاب السلولي في أواخر القرن الاول للهجرة ويذكر انه وجد في كتاب ابن الحبجاب لهم ثلاثمائة بكر في كل عام حين ينزلون الريف مجتازين تجاراً غير مقيمين على ان لا يقتلوا مسلماً ولا ذمياً فإن قتلوه فلا عهد لهم وان لا يأووا عبيد المسلمين وان يردوا آبقيهم اذا وقعوا اليهم ويقال انهم كانوا يؤخذون بهذا وبكل شاة أخذها البيجاوي فعليه اربعة دنانير وللبقرة عشرة وكان وكيلهم مقيماً بالريف رهينة بيد المسلمين .

ثم كثرت أذيتهم على المسلمين وكان ولاية اسوان من العراق فرفع الى امير المؤمنين المأمون خبرهم فأخرج اليهم عبد الله بن الجهم سنة ٢١٦ هـ ٨٣١ م فكانت له معهم وقائع ثم وادعهم وكتب بينهم وبين كون رئيسهم

الكبير الذي يكون بقريتهم هجز (المار ذكرها) كتاباً نسخته : وهذا الكتاب كتبه عبد الله بن الجهم مولى امير المؤمنين صاحب جيش الغزاة عامل الامير ابن اسحق ابن امير المؤمنين الرشيد أبقاه الله في شهر ربيع الاول سنة ست عشرة ومايتين لكنون بن عبد العظيم عظيم البجة بأسوان انك سألتني وطلبت إلي ان أؤمّنك وأهل بلدك من البجة وأعقد لك ولهم أماناً علي وعلى جميع المسلمين فأجبتك الى ان عقدت لك وعلى جميع المسلمين أماناً ما استقمت واستقاموا على ما أعطيتني وشرطت لي في كتابي هذا وذلك ان يكون سهل بلدك وجبلها من منتهى حد اسوان من ارض مصر الى حد ما بين دهلك وباضع ملكاً للأموون عبد الله بن هرون امير المؤمنين أعزه الله تعالى وانت وجميع اهل بلدك عبيد لأمير المؤمنين الا انك تكون في بلدك ملكاً على ما انت عليه في البجة . وعلى ان تؤدي اليه الخراج في كل عام على ما كان عليه سلف البجة وذلك مائة من الإبل او ثلاثماية دينار وازنة داخلة في بيت المال والخبير في ذلك لأمير المؤمنين ولولاته وليس لك ان تحرم شيئاً عليك من الخراج . وعلى ان كل أحد منكم ان ذكر محمد رسول الله ﷺ وكتاب الله او دينه بما لا ينبغي ان يذكره به او قتل احداً من المسلمين حراً او عبداً فقد برئت منه الذمة ذمة الله وذمة رسوله ﷺ وذمة امير المؤمنين أعزه الله وذمة جماعة من المسلمين وحلّ دمه كما يحلّ دم اهل الحرب وذرائعهم . وعلى ان احداً منكم ان أعان المحاربين على اهل الاسلام بمال او دله على عورة من عورات المسلمين او أُر لعزتهم فقد نقض ذمة عهده وحلّ دمه . وعلى ان احداً منكم ان قتل احداً من المسلمين عمداً او سهواً او خطأ حراً او عبداً او احداً من ذمة المسلمين او أصاب لأحد من المسلمين او اهل ذمتهم مالا ببلد البجة او ببلاد الاسلام او ببلاد النوبة او من شيء من البلدان برأ او بجرأ فعليه في قتل المسلم عشر ديات وفي قتل العبد المسلم عشرين وفي قتل الذي عشر ديات من دياتهم وفي كل مال أصبتموه للمسلمين واهل الذمة عشرة اضعاف . وإن دخل احد من المسلمين بلاد البجة تاجراً او مقيماً او مجتازاً

او حاجبا فهو آمن فيكم كأحدكم حتى يخرج من بلادكم ولا تؤووا احداً من
 آبقي المسلمين فإن أتاكم آتٍ فعليكم ان تردوه الى المسلمين . وعلى ان تردوا
 أموال المسلمين اذا صارت في بلادكم بلا مؤونة تلزمهم في ذلك . وعلى انكم
 اذا نزلتم ريف صعيد مصر لتجارة او مجتازين لا تظهرون سلاحاً ولا تدخلون
 المداين والقرى بحال ولا تمنعوا احداً من المسلمين الدخول في بلادكم والتجارة
 فيها براً ولا بحراً ولا تخيفوا السبيل ولا تقطعوا الطريق على احد من المسلمين
 ولا اهل الذمة ولا تسرقوا لمسلم ولا ذمي مالا . وعلى ان لا تهدسوا شيئاً من
 المساجد التي ابتناها المسلمون بصيحة وهجر وسائر بلادكم طولاً وعرضاً فإن
 فعلتم ذلك فلا عهد لكم ولا ذمة . وعلى ان كنون بن عبد العزيز يقيم بريف
 صعيد مصر وكيلاً يفي للمسلمين بما شرط للمسلمين من دفع الخراج ورد ما
 أصابه البجة للمسلمين من دم ومال . وعلى ان احداً من البجة لا يعترض حد
 القصر الى قرية يقال لها قبان من النوبة حداً لاعمدة . عقد عبد الله بن الجهم
 مولى امير المؤمنين لكتون بن عبد العزيز كبير البجة الامان على ما سمعنا
 وشرطنا في كتابنا هذا وعلى ان يوافي امير المؤمنين فإن زاغ كنون او عاث
 فلا عهد له ولا ذمة . وعلى كنون ان يدخل عمال امير المؤمنين بلاد البجة
 لقبض صدقات من اسلم من البجة . وعلى كنون الوفاء بما شرط لعبد الله بن
 الجهم وأخذ بذلك عهد الله عليه بأعظم ما أخذ على خلفه من الوفاء والميثاق .
 ولكنون بن عبد العزيز ولجميع البجة عهد الله وميثاقه وذمة امير المؤمنين
 وذمة الامير ابي اسحق بن امير المؤمنين الرشيد وذمة عبد الله بن الجهم وذمة
 المسلمين بريئة منهم . وترجم جميع ما في هذا الكتاب حرفاً حرفاً زكريا بن
 صالح الخزومي من سكان جده وعبد الله بن اسماعيل القرشي ثم نسق بجماعة
 من شهود اسوان .

و فاقام البجة على ذلك برهة ثم عادوا الى غزو الريف من صعيد مصر
 وقتلوا من وجدوه بالمعدن من المسلمين وكان ذلك في ايام جعفر المتوكل على الله
 ابن المعتصم (سنة ٢٣٢ : ٢٤٧ هـ - ٨٤٧ : ٨٦١ م) فكتب له صاحب

البريد بمصر بخبرهم فأنكر المتوكل ذلك وشاور الناس في غزوه فأخبروه انه
 اهل بادية اصحاب إبل وماشية وان الوصول الى بلادهم صعب لأنها مفاوز وان
 بين بلادهم وبلاد المسلمين مسيرة شهر في ارض قفر وجبال وعرة وان كل من
 يدخلها من الجيوش يحتاج ان يتزود لمدة يتوهم ان يقيمها الى ان يخرج الى بلاد
 الاسلام فإن جاوز تلك المدة هلك وأخذتهم البجة باليد فأمسك المتوكل عنهم
 فطمعوا وزاد شرهم حتى خاف اهل الصعيد على انفسهم منهم فولى المتوكل
 محمد بن عبدالله القمي على اسوان وقفت والا قصر واسنا وارمنت وأمره بحرب
 البجة وكتب الى عنبسة بن اسحق الضبي عامل مصر بتجهيز العساكر معه
 وإعطائه من الجند ما يحتاج اليه ففعل ذلك وسار محمد الى ارض البجة في
 عشرين الفا بين فارس وراجل وبينهم من المتطوعة ومن كان يعمل بالمعادن
 عالم كثير ووجه الى القهلازم (البحر الاحمر) سبعة مراكب موقورة بالدقيق
 والزيت والتمر والشعير والسويق وأمر أصحابها ان يوافوه بها الى ساحل البحر
 مما يلي بلاد البجة وسار حتى جاوز المعادن التي يعمل فيها الذهب فانتهى الى
 حصونهم وقلاعهم فخرج اليه ملكهم واسمه علي بابا في اضعاف جيشه وكانت
 البجة على إبل قمره تشبه المهارى فتحاربوا اياماً ولم يصدقهم علي البابا القتال
 لتطول الايام وتنفى أزواد المسلمين وعلوفاتهم فآخذهم بغير حرب فجاءت
 المراكب التي فيها الاقوات في البحر ففرق القمي ما كان فيها على اصحابه
 ففاجزهم البجة الحرب إذ ذاك وصدقوا في القتال وكانت إبلهم تقورة فأمر
 القمي جنده باتخاذ الاجراس بخيلهم ثم حملوا عليهم فنفرت إبلهم لأصوات
 الاجراس فحملتهم على الجبال والأودية وتبعهم المسلمون قتلاً وأمسراً حتى أدركهم
 الليل وقد قتل من جيش البجة في تلك الوقعة عدد لا يحصى وكان ذلك سنة
 ٢٤١ هـ - ٨٥٦ م . ثم ان ملكهم علي بابا طلب الأمان من القمي فأمنه على
 أداء الخراج لما سلف وهي اربع سنين كان قد منعها ولما يأتي وعلى ان يطأ
 بساط المتوكل في بغداد ولا يمنع المسلمين من العمل في المعدن وسار معه الى
 المتوكل بعد ان استخلف على مملكة ابنه فيمس سنة ٢٤١ هـ فرحب المتوكل به

وخلع عليه وعلى اصحابه وكسا جله رجلاً مليحاً وجلال ديباج وولى المتوكل
البجة طريق ما بين مصر ومكة وولى عليهم سعد الاتياخي الخادم فولى سعد
محمداً القمي فرجع اليها ومعه علي بابا وهو على دينه وكان معه صم من حجارة
كهنة الصبي يسجد له . وأقام القمي بأصوان مدة ومرك في خزانها ما كان
معه من السلاح وآلة الغزو فلم تزل الولا تأخذ منه حتى لم يبقوا منه شيئاً .
و لما كثرو المسلمون في المعدن واختلطوا بالبجة قل " شرهم وظهر التبر
لكثرة طلابه وتسامع الناس به فوفدوا من البلدان .

و وفي سنة ٢٥٥ هـ ٨٦٩ م قدم عليهم ابو عبد الرحمن ابن عبد الله بن
عبد الحميد العمري بعد محاربته النوبة ومعه ربيعة وجيئة . وغيرهم من العرب
فكثرت بهم العمارة في البجة حتى صارت الرواحل التي تحمل الميرة اليهم من
اسوان ستين الف راحلة غير الجلاب التي تحمل من القازم الى عيذاب (رأس
رواية) . ومالت البجة الى ربيعة وتزوجوا منهم . وقيل ان كهان البجة قبل
اسلام من أسلم منهم ذكرت عن معبودهم الطاعة لربيعة ولكنون معاً فهم على
ذلك . فلما قتل العمري واستولت ربيعة على الجزائر والامم البجة على ذلك
وأخرجوا من خالفهم من العرب وتصارفوا الى رؤساء البجة وبذلك كف
ضررهم عن المسلمين :

و وفي سنة ٢٥٩ هـ ٨٧٣ م يوم العيد أقبل البجة فنهبوا وعادوا غانمين
وفعلوا ذلك مرّات وكان على مصر اذ ذاك عبد الحميد بن عبد العزيز بن
عبد الله بن عمر بن الخطاب فخرج غضباً لله وللمسلمين وكن لهم في طريقهم
فلما عادوا خرج عليهم وقتل مقدمهم ومن معه ودخل بلادهم فنهبها وقتل
فيهم فأكثر ونهب وسبى ما لا يحصى وتابع عليهم الغارات حتى أدوا اليه
الجزية ولم يفعلوها قبل ذلك اه ، ملخصاً .

وقال ابو حسن المسعودي : و قد كانت النوبة أشد من البجة الى ان
قوي الاسلام وظهر وسكن جماعة من المسلمين معدن الذهب وبلاد الملاقي

وعذاب وسكن في تلك الديار خلق من العرب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان فاشتدت شوكتهم وتزوجوا من البجة فقويت البجة بمن صاهرها من ربيعة وقويت ربيعة بالبجة على من ثاؤها وجاورها من قحطان وغيرهم من مضر بن نزار ممن سكن تلك الديار . وصاحب المعدن في وقتنا هذا . وهو سنة ٣٣٢ هـ ٩٤٤ م بشر بن مروان بن اسحاق وهو من ربيعة . يركب في ثلاثة آلاف من ربيعة وأحلافها من مضر واليمن وثلاثين ألف حراب على النجب من البجة بالحجف البجاوية وهم الحدارب وهم مسلمون من بين مائر البجة والداخلية من البجة كفتار يعبدون صنماً لهم اه .

قال المقرئ : « ثم كثر المسلمون في المعدن فخالطوهم وتزوجوا فيهم وأسلم كثير من الجنس المعروف بالحدارب اسلاماً ضعيفاً وهم شوكة القوم وجوهمهم وهم مما يلي مصر من اول حدم الى العلاقي وعذاب المبر منه الى جدة وما وراء ذلك ومنهم جنس آخر يعرفون بالرافج هم أكثر عدداً من الحدارب غير انهم تبع لهم وخفراؤهم يحمونهم ويحبونهم المواشي ولكل رئيس من الحدارب قوم من الرافج في حملته منهم كالعبيد يتوارثونهم بعد ان كانت الرافج قديماً أظهر عليهم اه . وقيل أسلموا قبل ذلك في امارة عبد الله بن أبي سرح ولما كثرت اذيتهم على المسلمين أرسل اليهم المأمون عبد الله بن الجهم . وما زال الاسلام يمتد حتى عم صحراء البجة كلها وأزال منها عبادة الأوثان .

ويظهر ان اول من خالط البجة من العرب عرب بلي فانك اذا سألت البيجاوي الآن أتعرف العربية يحييك « بلوياً كاك » أي لا اعرف العربية . وقال ابن خلدون في كلامه عن مواطن جبهة : « هي ما بين اليلبع ويثرب الى الآن في متسع من برية الحجاز وفي شماليهم الى عقبة ايله مواطن بلي وكلاهما على العدة الشرقية من بحر القلزم . واجتاز منهم أمم الى العدة الغربية وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة فأرهبوهم الى هذا العهد اه » أي أواخر القرن الثامن للهجرة .

وقد انقسم البجة الآن الى عدة قبائل جسيمة وهم العباددة والبشارين والامارار والهندودة والحلانقة والحباب وبني عامر وكلهم يدينون بالاسلام ويدعون النسبة الى العرب وما هم بعرب بل ربما كان في بعض خاصتهم دم عربي وأما عامتهم فلا مشاحة في انهم يحجة وكلهم يتكلمون اللغة البيجاوية ولا يعرفون لغة غيرها إلا مشايخهم والذين يخاطبون العرب منهم على النيل فانهم يتكلمون العربية ايضاً .

هذا ولم يبق الآن في الصحراء الشرقية من يتسمى باسم البجة إلا طائفة صغيرة في قبيلة بني عامر وهم محقررون . ومن أمثال اهل السودان « البجة والحاس أرخص الناس » .

أما الحاس المشار اليهم في هذا المثل فهم ايضاً طائفة صغيرة منتمية الى بني عامر على حدود الحبشة .

قال ابر الفداء في جغرافيته المسماة تقويم البلدان : « وفي شمالي بلاد سحرته (سهاقي) من النيل الى البحر الحاس وهم مذمومون بين أجناس الحبشة وقد اشتهر عنهم انهم يخلصون من يقسع في ايديهم ويفتخرون بذلك » اه . قلت وما زالت هذه العادة جارية في الحبشة الى اليوم .

الفصل الثاني

في

مدن البجة

عيزاب : اشتهر للبجة في الاسلام مدينتان على ساحل البحر الاحمر وهما عيزاب وسواكن . أما عيزاب فيؤخذ من اجمال ما ذكره المؤرخون العرب انها في المكان المعروف الآن برأس روية . قال ابن خلكان : « عيزاب بليدة على شاطئ بحر جدة يعدتي منها الركب المصري المتوجه الى الحجاز على طريق قوص في ليلة واحدة في اغلب الاوقات فيصل الى جدة » . وقال ياقوت في معجم البلدان : « عيزاب بليدة على ضفة بحر القازم هي مرمى المراكب التي تقدم من عدن الى الصعيد » . وقال ابن خلدون : « وفي وسط الحجاز مكة شرفها الله وفي ساحلها مدينة جدة تقابل بلد عيزاب في المدوة الغربية من هذا البحر » . وقال ابن الوردي في تاريخه : « عيزاب مدينة حسنة وهي مجمع التجار برأ وبحراً واهلها يتعاملون بالدرهم عدداً ولا يعرفون الوزن وبها والى من قبل البجة والى من قبل سلطان مصر يقسمان جباياتها نصفين وعلى عامل مصر القيام بطلب الارزاق وعلى عامل البجة حمايتها من الحبشة واللبن والمسل والسمن بها كثير وبينها وبين الحجاز عرض البحر » .

وقال ابو الفداء في جغرافيته : « وقد اختلف في عيذاب فبعضهم يحدد ديار مصر على وجه تدخل فيه وهو الأشبه لأن الولاية فيها من مصر وهي من أعمال مصر حقيقة وبعضهم يجعلها من بلاد البجة وبعضهم يجعلها من بلاد الحبشة وهي فرضة لتجار اليمن وللحجاج الذين يتوجهون من مصر في البحر فيركبون عيذاب الى جدة . قال ابن سعيد وعرض البحر بين عيذاب وجدة درجتان وهي أشبه بالضيعة منها بالمدن » .

وقال المقرئ : « عيذاب مدينة على ساحل بحر جدة وهي غير مسورة وأكثر بيوتها أخصاص وكانت من أعظم مراسي الدنيا بسبب ان مراكب الهند واليمن تحط فيها البضائع وتقلع منها مع مراكب الحجاج الصادرة والواردة . وأهل عيذاب الساكنون بها طائفة من البجاة ولهم سلطان من أنفسهم يسكن معهم في الجبال المتصلة بها وربما جاء في بعض الاحيان وقابل الوالي من جانب الغز اظهاراً للطاعة . وطائفة البجاة اضل من الانعام سيلاً واقل عقولاً لا دين لهم سوى كلمة التوحيد ووراء ذلك من مذاهبهم الفاسدة ما لا ينخسر وهم عراة يسترون عوراتهم بخرق . وعيش اهل عيذاب عيش البهائم وهم أقرب الى الوحش في اخلاقهم منهم الى الانس » .

« وكان الحجاج من مصر والمغرب لا يتوجهون الى مكة المشرفة إلا من صحراء عيذاب يركبون النيسل من ساحل مدينة مصر الفسطاط الى قوص ثم يركبون الابل من قوص ويعبرون هذه الصحراء الى عيذاب ثم يركبون البحر في الجلاب (قوارب) الى جدة ساحل مكة . وكذلك تجار الهند واليمن والحبشة يردون في البحر الى عيذاب ثم يسلكون هذه الصحراء الى قوص ومنها يردون مدينة مصر ومسافة هذه الصحراء من قوص الى عيذاب ١٧ يوماً ويفقد فيها الماء ثلاثة ايام متوالية وتارة يفقد اربعة ايام فكانت هذه الصحراء لا تزال عامرة أهلة بما يصدر او يرد من قوافل التجار والحجاج حتى انه كانت احوال البهار كالقرقة والفلفل ونحو ذلك لتوجد ملقاة بها والقفول صاعدة وهابطة لا يتعرض لها احد الى ان يأخذها صاحبها .

• وعيذاب في صحراء لا نبات فيها وكل ما يؤكل بها مجلوب إليها حتى الماء وكان لهم من الحجاج والتجار فوائد لا تحصى وكان لهم على كل حمل يحملونه للحجاج ضريبة مقررة وكانوا يكارون الحجاج الجلاب التي تحملهم في البحر الى جدة ومنها الى عيذاب فتجمع لهم من ذلك مال عظيم ولم يكن في اهل عيذاب إلا من له جلبة فأكثر على قدر يساره وجلاب هذا البحر لا يستعمل بها مسار البتة انما هي غيطة بأمراس من قشر جوز الهند المسمى بالنرجيل ويخللونها بدُسُر من عود النخل فاذا فرغوا من انشاء الجلبة على هذه الصفة سقوها بالسمن او بدهن الخروع وبدهن القرش وهو احسنها . والقرش حوت عظيم في البحر يبتلع القرقي . وانما يدهنون الجلاب لتلين عددها وترطيبها لكثرة الشعاب المترضة في هذا البحر . وأخشاب هذه الجلاب مجلوبة من الهند واليمن وشرعها حصر منسوجة من خوص شجر القبل .

• ولأهل عيذاب في الحجاج أحكام الطواغيت فانهم يبالغون في شحن الجلبة بالناس حتى يبقى بعضهم فوق بعض حرصاً على الاجرة ولا يبالون بما يصيب الناس في البحر بل يقولون دائماً علينا بالألواح وعلى الحجاج بالأرواح وكان الحجاج يحدون في ركوبهم الجلاب على البحر أهوالاً عظيمة لأن الرياح تلقىهم في الغالب بمراس في صحارى بعيدة مما يلي الجنوب فينزل اليهم التجار من جبالهم فيكأرونهم الجمال ويسلكون بهم على غير ماء قريباً هلك أكثرهم عطشاً وأخذ التجار مما كان معهم ومنهم من يضل ويهلك عطشاً والذي يسل منهم يدخل الى عيذاب كأنه نُشر من كفن قد استحالت هيئاتهم وتغيرت صفاتهم ومنهم من يساعده الريح فتحطه بمرمى عيذاب وهو الاقل .

• ولم تزل عيذاب مسلماً للحجاج من اهل مصر والجنوب في ذهابهم وإيابهم زيادة على مئتين سنة من اعوام بضع سنة ٤٥٠ هـ ١٠٥٩ م الى أعوام بضع سنة ٦٦٠ هـ ١٢٦٢ م وذلك في ايام الخليفة المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر وانقطع الحج في البر الى ان كسا السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقياري الكعبة وعملى لها مفتاحاً ثم اخرج قفلة الحجاج من البر في سنة

٦٦٦ هـ ١٢٦٨ م فقلّ سلوك الحجاج لهذه الصحراء . واستمرت بضائع التجار تحمل من عذاب الى قوص حتى بطل ذلك بعد سنة ٨٧٦٦ هـ ١٣٦٥ م وتلاثى أمر قوص من حيثئذ . ولما انقطع ورود مراكب الهند واليمن اليها صارت المرمى العظيمة عدن من بلاد اليمن الى ان كانت أعوام بضع وعشرين وثمانماية فصارت جدة أعظم مراسي الدنيا ، اه .

سواكن : أما سواكن فقد قال فيها ابو الحسن السمودي : « وجزيرة سواكن أقل من ميل في ميل وبينها وبين البحر الحبشي بحر قصير يخاض وأهلها طائفة من البجا تسمى الحفاسة وهم مسلمون ولهم بها ملك . وقال أبو الفداء في جغرافيته : « قال ابن سعيد وصاحب سواكن من البجا المسلمين وله ضرائب على التجار وسواكن صغيرة جداً . وبين سواكن وبين عذاب نحو سبع مراحل وحكى لي بعض المسافرين اليها قال وسواكن بقدر ضيعة صغيرة في جزيرة صغيرة قريبة من الساحل ويخاض اليها من البر وهي وما حولها للبجا . وأما ما وراء سواكن والى المنذب فهو لجنس من السودان يقال لهم دككل ومن وراءات المنذب لزليع .

المباني الرابع

في

تاريخ مملكة سنار

منذ خراب نوبه سنة ٩١٠ هـ ١٥٠٥ م الى الفتح المصري لسنار
سنة ١٢٣٦ هـ ١٨٢٠ م

تمهيد

يؤخذ من التواريخ التقليدية ان جزيرة سنار الواقعة بين النيل الابيض والنيل الازرق هي بلاد المكروبيين الذين ذكرهم هيرودوتس انهم في أقصى جنوب ايثيوبيا . وقد تقدم لنا حلاً على الظن ان الجنود المصريين الذين فروا الى السودان في ايام الملك بسامتيك سنة ٦٤٤ ق. م. أقاموا في جزيرة سنار. وارتأى البعض ان الملك الذي طمع كبيز ببلاده فعجز عن الوصول اليه سنة ٥٢٥ ق. م. كما مرّ هو ملك هذه الجزيرة . وفي بعض التقاليد القديمة انه قام في هذه الجزيرة بعد كبيز ١٢ ملكة و ١٠ ملوك . وقد رأينا انه قام في شرقها مملكة عرفت بمملكة علوة او مملكة السنج وذلك من قبل النصرانية وبقيت على النصرانية نحو ألف سنة حتى قام الفرنج فالتحدوا مع العرب فخربوها وأسبوا مملكة سنار سنة ١٥٠٥ م في مكانها .

اما الفونج فقد اختلف المؤرخون في اصلهم فمن قائل انهم فرع من الشلك ومن قائل انهم من سكان دارفور الاصليين . والذي عليه التقاليد السودانية وتدعيه سلاتهم انهم من بني امية قالوا : ان العباسيين لما تغلبوا على الأمويين في الشام ونزعوا الملك من ايديهم سنة ١٣٢ هـ ٧٥٠ م اخذ من بقي من الامويين ومن والام بالفرار ففرقوا في أنحاء العالم فذهبت جماعة منهم الى اسبانيا فأسسوا مملكة الاندلس على ما هو مشهور وذهب آخرون الى السودان فأسسوا مملكة سنار قبل لجأوا أولاً الى الحبشة فعلم بنو العباس بهم فأرسلوا الى النجاشي يريدون منه تسليمهم وإلا أقاموا عليه حرباً عواناً واخذوهم عنوة فحار

النجاشي في امره لأنه لم يشأ ان يسلم قوماً دخلوا في حماه الى اعدائهم ولا ان يتحمل عناء حرب طويلة لأجلهم فأرسل هدية فاحرة الى العباسيين وأمر الامويين فخرجوا من بلاده وسكنوا الجبال التي في أعالي جزيرة سنار وكان سكانها من السود (وبينهم الفونج) فملكوهم بالسهل نظراً لما تعودوه من السلطة والنفوذ في سورية والعراق وكثر تسريحهم منهم فغير ذلك من لونهم ولكنه لم يضع اصلهم فهم لم يزالوا عرباً ممتازين .

هذه هي رواية القائلين ان الفونج من بني امية وفي جلنتهم الشيخ عبدالدافع صاحب تاريخ الفونج ولكن ما من قبيلة اشتهرت في السودان إلا ادعت لنفسها نسباً يتصل بآل البيت ولعل الفونج لم يخرجوا عن هذا الحكم والأقرب الى الصواب انهم قوم خلاسيون أي خليط من كبراء العرب وملوك الفونج السود .

قال الشيخ عبد الدافع : « وانتقل الفونج من جبال الجنوب الى جبل مويه المجاور لجبل سجدي على مقربة من سنار وكان كبيرهم عمارة ود دنقس وفي جوارهم قبيلة من عرب جهينة تعرف بالقواسمة وعليها شيخ شديد البأس يقال له عبد الله جماع فاتحد عمارة وعبد الله المذكوران على ضم كلمة المسلمين وعارية النوبة ونزع الملك من ايدي العنج فحشدا الجيوش وهاجما العنج في سوية فقتلواهم شر قتلة وأخربا سوية ثم سارا الى قرّي فقتلوا ملكها واستولوا على البلاد كلها وذلك سنة ٩١٠ هـ ١٥٠٥ م كما مر . قيل وقد ساعدهما على النصر نشوب فتن داخلية أدت الى سفك الدماء .

ولما تم النصر لعمارة وعبد الله على النوبة اتفق رأيها بأن يكون عمارة هو الملك الاعظم في مكان ملك سوية لأنه الكبير والمقدم ويكون عبد الله بعده في مكان ملك قرّي ويلقب شيخاً فجلس عبد الله في قرّي وذهب عمارة فاخترت مدينة سنار وجعلها كرسي مملكته . قيل وكان هناك جارية تسمى سنار فسيت المدينة باسمها . وكان عمارة وعبد الله كالاخرين إلا ان رتبة عمارة أعلى من رتبة عبد الله فكانا اذا حضرا معاً يتقدم عمارة على عبد الله واذا

غاب عمارة قام عبدالله مقامه ولم تزل هذه العادة متبعة في أسلافها الى انقضاء المملكة اه .

وقد امتدت مملكة سنار من الشلال الثالث الى أقصى جبال فازوغلي شمالاً وجنوباً ومن سواكن على البحر الاحمر الى النيل الابيض شرقاً وغرباً . وكان الحد بين مملكة سنار ومشيفة قرّي مدينة اريجي بقرب المسلمية التي قيل انها اختطت قبل سنار بثلاثين سنة اختطها رجل يسمى حجازي . فمن اريجي فصاعداً جنوباً كان تابعاً للوك الفونج رأساً لا دخل لمشايخ قرّي فيه ومنها شمالاً الى الشلال الثالث كان تابعاً لإدارة مشيفة قرّي تحت سيادة ملوك الفونج . وقد كانت المملكة منقسمة الى عدة ممالك ومشيفات من سود ولوبة وعرب حضر وبادية وكان كل ملك او شيخ يدفع الجزية للملك سنار إلا ان له نوعاً من الاستقلال واما البلاد الواقعة بين الشلال الثالث والشلال الاول فقد كانت بيد الكشاف والامراك كما أشرنا آنفاً . وسأتي على تاريخ هذه الممالك كلها مبتدئين بتاريخ الفونج ملخصاً عن تاريخ الشيخ عبد الدافع وتاريخ الزبير ودعوة من علماء الخرطوم السابقين وعن بعض كبارها الحاليين :

الفصل الاول

في

تاريخ ملوك الفونج في سنار

من سنة ٩١٠ : ١٢٣٦ هـ - ١٥٠٥ : ١٨٢١ م

١ - الملك عماره دُنُقَس ملك من سنة ٩١٠ : ٨٩٤ هـ - ١٥٠٥ : ١٥٣٤ م

هو رأس سلسلة ملوك الفونج وقد تقدم لنا ذكر قيامه وتأسيسه المملكة في سنار . قيل وفي أيامه قدم السلطان سليم الى سواكن ومصوع فامتلكها ودخل الحبشة بقصد الزحف على سنار فخطب ملكها يدعوه الى الطاعة فأجابه بما مفاده : « اني لا أعلم ما الذي يملكك على حربي وامتلاك بلادتي فإن كان لأجل تأييد دين الاسلام فاني انا وأهل مملكتي عرب مسلمون ندين بدين رسول الله وإن كان لغرض مادي فاعلم ان اكثر اهل مملكتي عرب باادية وقد هاجروا الى هذه البلاد في طلب الرزق ولا شيء عندهم تجمع منه جزية سنوية » . وأرسل له مع الكتاب كتاب أنساب قبائل العرب الذين في مملكته جمعه له الامام السمرقندي احد علماء سنار فلما وصل الكتابان الى السلطان سليم أعجبه ما فيها وعدل عن حرب سنار . قيل وأخذ كتاب الأنساب معه الى الآستانة

وهو لا يزال في خزانة كتبها الى اليوم . قلت وقد طالما سمعت عن هذا كتاب وعن وجوده في السودان قبل الفتح الاخير فلما 'فتح السودان بذلت' الجهد في التفتيش عنه فلم أقف له على أثر .

٢ - الملك عبد القادر ابنه سنة ٩٤٠ : ٩٥٠ هـ - ١٥٣٤ : ١٥٤٤ م

٣ - الملك نائل أخوه سنة ٩٥٠ : ٩٦٢ هـ - ١٥٤٤ : ١٥٥٥ م

٤ - الملك عمارة ابوسكاكين أخوه سنة ٩٦٢ : ٩٧٠ هـ - ١٥٥٥ : ١٥٦٣ م

وفي أيامه توفي عبد الله جماع شيخ قرّي المتقدم الذكر فعهد بالمشيخة الى ابنه الشيخ عجيب كافوت .

٥ - الملك دكين بن نائل الملقب بالعدل سنة ٩٧٠ : ٩٨٥ هـ - ١٥٦٣ : ١٥٧٨ م

قيل 'لقب بالعدل لأنه كان محباً للعدل وقد رتب دواوين حكومته أحسن ترتيب ونظم البلاد فأقام على كل جهة رئيساً وضرب عليه جملاً معلوماً وجعل دخول الرؤساء عليه حسب رتبهم الأعلى فالأعلى .

٦ - الملك طبل سنة ٩٨٥ : ٩٩٧ هـ - ١٥٧٨ : ١٥٨٩ م

٧ - الملك أنسه سنة ٩٩٧ : ١٠٠٧ هـ - ١٥٨٩ : ١٥٩٩ م

٨ - الملك عبد القادر الثاني سنة ١٠٠٧ : ١٠١٣ هـ - ١٥٩٩ : ١٦٠٥ م

٩ - الملك عدلان ابنه أبه سنة ١٠١٣ : ١٠٢٠ هـ - ١٦٠٥ : ١٦١٢ م

وفي أيامه خرج الشيخ عجيب شيخ قرّي المتقدم الذكر عن طاعته فأرسل اليه عساكر بكثرة والتقى العسكران بالقرب من كلكول بين العيلفوت والخروطوم فقتل الشيخ عجيب وفر أولاده الى دنقلة فأرسل لهم الملك عدلان أماناً مع الشيخ أدريس بن محمد الارباب فرجعوا معه الى الملك فبالغ في اكرامهم وولى أحدهم العجيل مشيخة قرّي .

أما الشيخ ادريس المشار اليه فهو من رجال الدين الذين اشتهروا في السودان بالصلاح والتقوى وقد لقب بسلطان الاولياء وكان له ولذريته من بعده مكانة رفيعة عند ملوك سنار فكانوا يصلحون بينهم وبين كبار رعيتهم اذا اختصموا ويتشفعون عندهم في الامور الخطيرة بل كانوا اذا طارد ملك أحد الرعية فلجأ الى حاكم رجع الملك عنه . وقيل في نسب الشيخ ادريس ان أباه قرشي تميمي وأمه من نسل الحسين بن علي بن أبي طالب هاجر جدّه من الشام فأقام مدة في بلاد الحبش ثم بلفه ان في الحلفاية شريقاً من نسل الحسين يسمى الشريف جداً فرحل اليه وكان له ابن فزوجه بابنة الشريف فولد له الشيخ ادريس المذكور وذلك سنة ٩١٣ هـ فعمّر الى سنة ١٠٦٠ هـ ودفن في العيلفون جنوبي الخرطوم وبني فوق قبره قبة تزار وما زالت ذريته في العيلفون الى اليوم . وقد أخذ الصوفية على الطريقة الجيلانية عن الشيخ تاج الدين البهاري الذي قدم الى سنار من بغداد وعنها اشتهرت هذه الطريقة فعمت جميع بلاد سنار وهي اول الطرق الصوفية في السودان .

ويروى عن الشيخ ادريس كرامات كثيرة منها انه ظهر في جنوب النيل الازرق يد بشرية مرفوعة فوق الماء وهي تسير مع التيار وأصابعها الخمس مفتوحة ولم يُر معها شخص فحار الناس في أمرها وتشوّقوا الى معرفة سرها فلما وصلت تجاه العيلفون خرج الشيخ ادريس من مسجده فرفع لها أصبعين ففاصت للحال في الماء ولم تعد ترى فسأله الناس في ذلك فقال هذه اليد تدلّ على ان الاتفاق قوة وانه اذا كان خمسة من الناس بقلب واحد لم يقدر عليهم أحد فرفعت لها اصبعين مشيراً الى انه اذا كان اثنان فقط بقلب واحد فلا يقدر عليها احد فانصرفت خجلاً .

هذا ومن عادة بائعات المريسة في العيلفون ان ترفع كل منهن راية فوق منزلها وتجلس عندها تتأدي بأعلى صوتها : « يا شيخ ادريس يا راجل الفدة والدّة تلحقنا وتفرعنا وتبيع لي مريستي » فيجتمع الناس عندها فتخرج من

المريسة ملء قدر فلتسقيهم آياه مجاناً تصدقاً عن روح الشيخ ادريس ثم تشرع في بيع الباقي بالثمن .

واشتهر بعد الشيخ ادريس بالصلاح والتقوى في سنار الشيخ حسن ود حسونة ، جاء أبوه من الأندلس وسكن كركوج فولد الشيخ حسن المذكور فيها فسلك طريق القوم وحجّ الى بيت الله الحرام وساح الى مصر والشام وغيرهما وكانت مدة سياحته نحو ١٢ عاماً ثم رجع الى البلاد واشتهر صلاحه فسكن البادية وأكثر فيها من المواشي والحيل والعبيد . وكان مع كثرة غناه يتقشف في أكله ولبسه ويطعم الناس لذيق الاطعمة وكان بينه وبين الشيخ ادريس محبة عظيمة الا انه لم يشتهر الا بعد وفاة الشيخ ادريس ولم يختلف ذرية وتوفي سنة ١٠٥٩ هـ ١٦٤٩ م فعاش احدى وتسعين سنة ودفن في قبته التي بنىها قبل وفاته في وسط البطانة بين النيل والابرة واصبحت مزاراً يجتمع فيها في كل خريف خلق كثير .

وفي أيام الملك عدلان قدم الى سنار الشيخ ابراهيم بن جابر البولادي من مصر وهو اول من درس مختصر الشيخ خليل المالكي في بلاد القونج فنفع الله به خلقاً كثيراً . وقدم ايضاً رجل مغربي تلمساني على الشيخ محمد عيسى سوار الذهب فأخذ عنه طريق القوم ودرس عليه علوماً كثيرة .

وفي نحو هذا العهد قدم الشيخ محمود المري من مصر وعلم الناس بعض أركان الشريعة وبنى له رباطاً على البحر الابيض بين أليس والحسانية وبه مدفنه الآن . وكان قبله في بلاد سنار اولاد ضيف الله المعروفة مقابرهم في ابي حليلة شرق النيل الازرق . قيل وكان اول دخول الاسلام الى بلاد سنار في خلافة هارون الرشيد سنة ٧٨٦ م .

١٠- الملك بادي المعروف بسيد القوم سنة ١٠٢٠: ١٠٢٣ هـ - ١٦١٢: ١٦١٥ م

١١- الملك رباط ابنه سنة ١٠٢٣: ١٠٥٢ هـ - ١٦١٥: ١٦٤٣ م

١٢- الملك بادي ابو ذقن سنة ١٠٥٢ : ١٠٨٨ هـ - ١٦٤٣ : ١٦٧٨ م

ومن أعماله انه غزا الشلك وفتك بهم . ثم غزا جبال تقلي فدبوخها. قيل والسبب في غزوه تلك الجبال ان احد أصدقائه ذهب اليها بتجارة فسلبه ملكها جميع ما كان معه وطرده فقيل للملك ان هذا الرجل صديق للملك سنار فقال وماذا يعني ملك سنار فإن قصدي وجاوز باجة (غابة) أم لماع فليفعل ما يشاء وباجة أم لماع مفازة صعبة لا ماء فيها بين النيل الابيض وجبال تقلي. فأتى التاجر الى ملك سنار وأخبره بما جرى له مع ملك تقلي فجهز عساكره وسار قاصداً جبال تقلي وقال لصاحبه اذا وصلنا الى غابة ام لماع فأخبرني فلما وصلوا اليها أخبره فنزل الملك عن جواده وأمر عساكره فنزلوا عن ركائبهم واجتازوا الغابة ماشين على الأقدام أراد بذلك احتقار العقبة التي ظن ملك تقلي انها تعجزه ولما اجتازها ركب وركبت عساكره وساروا في جبال النوبة يقتلون ويأسرون ويسبون حتى وصلوا الى جبال تقلي فحاصروها فتمنع ملكها بالحصون قيل وكان يقاتل عساكر ملك سنار نهاراً ويرسل اليهم « الضيافة » ليلاً . فلما رأى ملك سنار مكارم أخلاقه صالحه على جعل معلوم يدفعه له في كل عام ورجع الى سنار ومعه سبايا النوبة وتقلي فجعل لكل جنس منهم حلة معلومة حول سنار وأسكنهم بها وصاروا من جملة جنوده وقد تناسلوا بتلك الحلل فسميت كل حلة باسم الجنس الذي سكنها مثل تقلي والكدررو والكنبك والكاركو وغيرها وبقيت ذرايرهم بها الى انقضاء دولة الفونج .

وقد اشتهر هذا الملك بالشجاعة والكرم والعفة والتعبد وكان معظماً لأهل العلم والدين مكرماً لهم. وكان بينه وبين علماء مصر اتصال حسن فكان يرسل اليهم الهدايا مع خبيره احد علوان وقد اشتهرت مناقبه عندهم حتى انهم مدحوه بقصائد عديدة منها قصيدة للشيخ عمر المغربي قال فيها :

أيا راكباً يسري على متن ضامر
الى صاحب العلياء والجود والبر
ويطوي اليه شقة البعد والنوى
ويقتحم الأوعار في المهمة القفر

وينهض من مصر وشاطئ نيلها
 لك الخير إن وافيت سنار قف بها
 وألق عصا التسيار في صرح أنسها
 وأهد سلاماً عطر الكون نشره
 وأحلى وأهنا من وصال بلا جفا
 إلى حضرة السلطان والملك الذي
 هو الملك المنصور «بادي» الذي له
 حمى حرمة الدين الحنيفي بالقنا
 وجرد للإسلام والملك صارماً
 له في صميم الملك مجد مؤثلاً
 ملوك تساموا للمدلى وخلائف
 هم العقيد من أبهى الآلى أنظمة
 وفيهم مولانا المليك فريدة
 هو البر والبحر المحيط حقيقة
 عماد يلوذ المسلمون بظله
 سليل ملوك الفونج والسادة الأولى
 بما أثر الفجار بالسيف فاغتدت
 أياد له بالنصر كاسرة العدى
 به أصبحت سنار في الأنس والصفاء
 تبارك من أنشاه للخلق راحة
 وصير أمري في يديه فإن يشأ
 فاني فقير والفضائل حرفتي
 وقد جاءني منكم كتاب معظم
 فقبلته ألفاً وحققاً جعلته
 تسلمت عبداً واحداً من سلاتكم

وأزهرها المعمور بالعلم والذكر
 وقوف محبٍ وانتهاز فرصة الدهر
 تجد كل ما تهوى النفوس من البشر
 ألد من الماء المسلسل والقطر
 وأعلى وأغلى من عقود من الدر
 حمى بيضة الاسلام بالبيض والسمر
 مدائح قد جلّت عن العبد والحصر
 وعزّز فيه راية الفتح والنصر
 أباد به أهل الغواية والكفر
 تلقاه عن أسلافه السادة الغر
 أولو العزم في أزمانهم وأولو الأمر
 مناقبهم كالمسك طيبة النشر
 لذا العقد رب العز والمجد والفخر
 فناهيك من برّ وناهيك من بحر
 وسد منيع للأتام من الضر
 علا مجدهم فوق السماكين والنسر
 بهم حوزة الاسلام سامية القدر
 ولكنها بالجود جابرة الكسر
 وثأمت على البلدان حتى على مصر
 وزان به الأزمان كالعقد في النحر
 أزال برغم الدهر ما بي من الضر
 وفي مصر أرباب الفضائل في فقر
 وفي سلكه نظم الجواهر والدر
 على الرأس تعظيماً وأودعته صدري
 وثلت به فخراً وناهيك من فخر

فخذها من العبد الفقير قصيدة منظمة كالدرّ في خالص التبر
هو المغربي المالكي وانه يسمّى ابن خطاب ومثلك من يدري
فنوا عليها بالقبول وأنعموا عليه بما ينتجيه من غصص الدهر
فلا زلت في أوج السعادة رافلا وراجيك «بادي» عن عطاء وعن شكر

وهو الملك الذي بنى الجامع بسنار وجعل في نوافذه شباكاً من نحاس
وبنى قصرأ لحكومته فجعله خمس طبقات بعضها فوق بعض وبني مخازن
للأسلحة والذخائر وديواناً لجلوسه وديوانين آخرين أحدهما خارج القصر والآخر
داخله وأحاط جميع ذلك بسور له تسعة أبواب جعل ثمانية منها لأمرأ دولته
لكل أمير باباً يدخل منه الى ديوانه الخاص للنظر في الشؤون المتعلقة به وجعل
الباب التاسع له ولولد عجيب شيخ مشيخة قرّي . وهذه الابواب التسعة تفتح
في حائط واحد وأمام كلّ منها رواق له دكة عالية تعرف «بدكة من ناداك»
قبل سميت بذلك لأنها ملجأ للمتظلمين فيأتونها الناس من انفسهم بدون ان
يناديهم احد . واذا أراد احد كهراء الدولة الدخول الى ديوان الملك لزمه ان
يدخل وحده . ولما تضعض حال الفونج وتقلب المصع على ما سيجيء تهدم
كثير من تلك البيوت وتداعى القصر الكبير ولكن بقيت آثاره الى الفتوح
المصري .

١٣ - الملك أنه الثاني ابن اخيه سنة ١٠٨٨ : ١١٠٠ هـ - ١٦٧٨ : ١٦٨٩ م
وفي أيامه سنة ١٠٩٥ هـ وقيل ١٠٨٩ هـ حصل غلاء شديد واشتد الجوع
حتى أكلت الناس الكلاب فسميت هذه السنة بسنة أم لحم . وفيها تفشى
مرض الجدري ومات منه ومن الجوع خلق كثير .

١٤ - الملك بادى الاحمر ابنه سنة ١١٠٠ : ١١٢٧ هـ - ١٦٨٩ : ١٧١٥ م
وتد خرج أهله الفونج عن طاعته ونصرهم الشيخ ارداب ولد عجيب شيخ
قرّي فأقاموا عليهم ملكاً اسمه « أوكل » وجمعوا لمحاربته نحو ألف فارس ولم
يكن مع الملك بادى إلا خمسة واربعمون فارساً فقاتلهم ونصره الله عليهم فقتل

الشيخ ارداب وطرد الباقيين الى محل يقال له العطشان ورجع سالماً منصوراً .
وفي أيامه ظهر الولي الشيخ حمد ولد الترابي من عرب رفاة الهوي فاشتهر
في السودان بالصلاح والتقوى ودُفن في جزيرة سنار بين الكاملين ومسجد ود
عيسى وبني فوق قبره قبة تزار الى اليوم .

١٥ - الملك أنسه الثالث سنة ١١٢٧ : ١١٣٠ هـ - ١٧١٥ : ١٧١٨ م

وقد انهزمك باللهو واللعب وارتكاب الفحشاء حتى بلغت أخباره الفونج
بالصعيد وهم جنود « لولو » فصمموا على عزله لأنهم هم الذين يعزلون ويولّون
من يريدون من الملوك فجاءوا الى حلال الكبوش قرب سنار وعينوا ملكاً
وأرسلوا للملك أنسه قائلين ان قتلنا وزيرك نفرناك على الملك ولا نتعرض لك
فاغتر بكلامهم وقتل وزيره بعد تردد ثم أرسل لهم الخطيب وبعض عمد
سنار ليوفوا له بشرطهم فلم يسموا له بل لم يزالوا مصممين على عزله فلما يئس
منهم استأمنهم على نفسه وعائلته فأمنوه وخرج من محل الملك وذلك في سنة
١١٣٠ هـ ١٧١٨ م وكان هو آخر ملوك من تولّى من نسل عمارة دنقس وولى
الفونج بعده :

١٦ - الملك نول سنة ١١٣٠ : ١١٣٦ هـ - ١٧١٨ : ١٧٢٤ م

وكانت له نسب من جهة الرحم يتصل بسلسلة الملوك المتقدمين وقد اتفقوا
على توليته لأنه كان رجلاً عاقلاً حسناً في الاسلام فحكم في الرعية بالعدل وحسن
التدبير فارتاحوا الى حكمه وسموه بالنوم لشدة عدله .

١٧ - الملك بادي ابو شلوخ ابنه سنة ١١٣٦ : ١١٧٥ هـ - ١٧٢٤ : ١٧٦٢ م

وهو أشهر ملوك سنار وقد امتاز بالشهرة لحربه مع الحبشة وانتصاره على
ملكها ياسو . وقد ذكر بعضهم سبباً لهذه الحرب قال : أن لويس الرابع
عشر ملك فرنسا أرسل سنة ١٧٠٣ م هدايا فاخرة الى ياسو ملك الحبشة مع
الموسيو لانوار دي رول (M. le noir du Roule) فقام رول من مصر في

١٩ يوليو سنة ١٧٠٤ م وسار قاصداً الحبشة بطريق النيل فوصل سنار في آخر مايو سنة ١٧٠٥ ومعه سبعة أتباع وخادم ومترجم وستون رجلاً محملة هدايا فاخرة للملك الحبشة فقابلته ملك سنار بالترحاب وكان الميسو رول قد أحضر له هدية فسرّ الملك بها وأهدى له هدية نفيسة عوضاً ولكن لم يمض إلا القليل حتى ورد على ملك سنار رسائل من مصر أوغرث صدره على الميسو رول وقيل إن الرسائل التي جاءته حذّرت من الميسو رول وأنذرت بأنه ذاهب إلى الحبشة لتحويل مجرى النيل الأزرق عن سنار وتعليم الاحباش صناعة الحرب وتقويتهم بالمدايع عليه فلما كان آخر شهر أغسطس سنة ١٧٠٥ م استأذن الميسو رول الملك في استئناف السفر إلى الحبشة فأذن له ولكن ما سار عن سنار بضعة أميال حتى أدركه ٣٠٠ رجل من قبل الملك فقتلوه هو وأتباعه وأخذوا جميع ما كان معه من الهدايا والأمتعة وانقلبوا راجعين إلى سنار . فلما بلغ ياسو ملك الحبشة ما كان من الملك بادي جرّد جيشاً جراراً عدته ٣٠ ألفاً وقيل ١٠٠ ألف وسار في طلبه قاصداً سنار . فجمع الملك بادي جيوشه من المشاة والفرسان وجعل عليها الامين ود مسبار ود عجيب شيخ مشيخة قرّي قائداً عاماً وجعل على الفرسان خاصة الشيخ محمداً أبا الكلبيك كبير الهمج (والهمج قوم خلاسيون من النوبة والغرب وقيل هم فرع من الموضية الجعليين) وقد تسلح المشاة بالسيوف والحراب ولبس الفرسان دروع الزرد وألبسوا خيلهم اللبس ، واجتازوا النيل فاجتمعوا على خميس امير فور ، وانضموا جيشاً واحداً وساروا للاقاة جيش الحبشة فالتقوا به في محل يقال له الزكيّات شرق الدندر واقتتلوا قتالاً شديداً قتل فيه من الجيشين خلق كثير وكانت النصر لجيش سنار فغنم غنائم عظيمة من أسلحة ومدافع وخيام وخيول وغير ذلك وثالث سنار بهذا النصر شهرة طبقت الافاق حتى بلغت مصر والشام والحجاز والاسنانة وتونس والهند فتقاطر الناس إليها أفواجا من كل الجهات وأقاموا فيها . قيل وكان تاريخ هذه الواقعة صفر الخير سنة ١١٤٧ هـ يوليو ١٧٣٥ م . قلت وهو لا ينطبق على تاريخ الرواية المتقدم ذكرها

في بيان سبب الحرب .

وقوت شوكة الملك بادى بعد حرب الحبشة وطمعت نفسه بامتداد ملكه غرباً فأرسل جيشاً لفتح كردوفان وولى عليه ود تومه ومعه الشيخ عبد الله ود عجيب شيخ قرى واخوه تمام والشيخ محمد ابو اللكيلك كبير الهمج وكان على كردوفان طائفة المسبعات أقرباء سلاطين الفور الآتي ذكرهم فالتقوم في مكان يقال له قحيف وهزموم وقتلوا قائدهم ود تومه والشيخ عبد الله ود عجيب فجمع الشيخ محمد ابو اللكيلك المساكر ثانية وأعاد الكرة على المسبعات فاقتتلوا في مكان يقال له شمقت من أعمال الطيارة بكردوفان فقتل الشيخ تمام ود عجيب والمجبل ابنه .

وبلغ ملك سنار خبر القتال الاول والثاني وما أظهره الشيخ محمد ابو اللكيلك من البسالة وحسن التدبير فأرسل اليه يعينه قائداً عاماً في الجيش في مكان ود تومه فسر بهذا الالتفات وأعاد الكرة بعزم جديد على المسبعات فانصر عليهم وأخرجهم من كردوفان وكان ذلك في سنة ١١٦٠ هـ ١٧٤٧ م فأقام فيها الى سنة ١١٧٤ هـ ١٧٦١ م . ثم أخلاها للمسبعات وعاد الى سنار لعزل الملك بادى وسبب ذلك ان الملك بادى كان له وزير صاحب عزم وتدبير وهو الذي قام بتدبير الملكة وأكسبها تلك الشهرة فمات الوزير واستبد الملك بادى برأيه فغير كثيراً من النظمات والقوانين واستعان بالنوبة الذين أتى بهم من جبال كردوفان فجعلهم رؤساء بدلاً عن رؤساء البلاد أصحاب الرتب القديمة . وفي سنة ١١٧٠ هـ قتل الخطيب عبد اللطيف البغدادي من مشاهير علماء السودان . وكان له أولاد كبار فتناولوا على الرعية وبغوا وأفسدوا ولم ينهم فنفرت منه قلوب رعيته . وكان مع الشيخ محمد ابي اللكيلك في كردوفان جماعة من أكابر القونج فأساء الملك الى أتباعهم في سنار فاغتاظوا منه واتفقوا مع الشيخ محمد ابي اللكيلك على عزله وتولية ابنه ناصر في مكانه فخرجوا من كردوفان وعبروا النيل الأبيض ونزلوا باليس فأرسلوا الى ناصر وأخبروه بنفور قلوب الناس من أبيه وعزمهم على توليته ملكاً عوضاً عنه فخرج من

سنار متكرراً واجتمع بالشيخ محمد وأكابر الفونج في أليس فأخذوا عليه العهد والمواثيق وساروا به قاصدين سنار ثم أرسلوا إلى الملك بادي يقولون له إن خرجت فلك الأمان فخرج في قلة وذلة واجتاز البحر وذهب إلى سواكن ومات فيها وكانت مدة حكمه ٣٩ سنة . وهو آخر من تمتع بعر الملك من ملوك الفونج فانهم بعد ذلك صاروا يتولونه رسماً لا حقيقة وأصبحت السلطة الحقيقية وقولية ملوك الفونج وعزلهم بيد وزراءهم الهمج الذين أولهم « الشيخ محمد أبو الكليلك » المتقدم الذكر .

١٨ - الملك ناصر سنة ١١٧٥ : ١١٨٢ هـ - ١٧٦٢ : ١٧٦٩ م

حكم ٧ سنين ثم انقلب عليه الشيخ محمد فنفساه إلى حلة البقرة قرب سنار فأخذ يسمى بالعود إلى كرسي الملك والفتك بالشيخ محمد فبعث الشيخ محمد ابن أخيه بادي بن رجب يجانب من عساكره فدخلوا عليه في منزله وقتلوه وكان المصحف الشريف عن يمينه والموطأ (وهو كتاب للإمام مالك) عن شماله لأنه كان من أهل العلم وله خط جميل . وولى الشيخ محمد أخاه .

١٩ - الملك اسماعيل سنة ١١٨٢ : ١١٩١ هـ - ١٧٦٩ : ١٧٧٨ م

وكان رجلاً دينياً عدلاً أزال المظالم وأحسن إلى الفقراء والفقهاء . وفي أول سنة من ملكه أي سنة ١١٨٢ هـ حصل غلاء شديد . وفي سنة ١١٨٥ هـ زاد النيل زيادة عظيمة . وزاد أيضاً زيادة فاحشة في السنة التي تلتها . وفي سنة ١١٩٠ هـ ١٧٧٧ م توفي الشيخ عدلان ود صباحي شيخ خشم البحر وكان بينه وبين الشيخ محمد مودة عظيمة وكان رجلاً نزيهاً عفيفاً صاحب كرم وديانة . وفيها توفي الوزير (١ - الشيخ محمد أبو الكليلك ، وكان له سبعة أولاد وهم رجب وناصر وادريس وعدلان وإبراهيم وعلي وحسين ولكن لم يكن بينهم مرشد يخلفه فخلفه ابن أخيه (٢ - الشيخ بادي بن رجب ، فاجتمع الفونج عند الملك اسماعيل يريدون خلعه والتخلص من سطوة الهمج فلم الشيخ بادي بذلك فعزل الملك اسماعيل ونفاه إلى سواكن وولّى بدله :

٢٠ - الملك عدلان الثاني سنة ١١٩١ : ١٢٠٣ هـ - ١٧٧٨ : ١٧٨٩ م

واستقامت للشيخ بادي الوزارة وعدل في الرعية وقهر جميع خصومه وفاء على عمه الشيخ محمد في الشجاعة والقهر وقوة البطش . وفي ايامه خرج الشكرية عن طاعته فخرج بعساكره من سنار ونزل بحلة رفاعة الشرق وأرسل جيوشه على الشكرية في البطانة فواقعهم عدة وقائع وقتلوا شيخهم الشيخ أبا علي وأجبروه على الطاعة ولكنهم بقوا على نزع من الاستقلال الى ان دخلت الحكومة المصرية بلاد السودان فخضعوا لها . وأرسل بادي الشيخ عجيب ود عند الله وعيسوي والشيخ قنديلاري الى التاكة لمحاربة الخلائقة فعاربهم فقتل الشيخ عجيب وعيسوي ورجع قنديلاري فاعترضه في الطريق فارس مر: فرسان الشكرية يسمى عبد الله القطيني وقتله قبل انه ألقاه عن جواده الى الارض ثم جثا على صدره واستل الخنجر ليذبحه فقال له عبد الله لا تحسب ان تحتك بقرة فأحسن الذبح ولا تملى تلك الخوذة دماً فذبحه كما طلب وكان ذلك سنة ١١٩٣ هـ ١٧٨٠ م .

وفي أثناء إقامة الشيخ بادي في رفاعة عزل الشيخ محمد الأمين من مشيخة قرّي وأرسله الى القربين . وعزل الشيخ محمد ود علي شيخ ديار خشم البحر وولى « صباحي ود عدلان » مكانه . وضرب ناصر ابن اخيه الشيخ محمد ابي الكلبيك ضرباً مبرحاً لذنوب آتاه فاستاء اخوته من ذلك جداً وحلوه الى سنار وأخذوا في تهيج الاحزاب المضادة لبعضهم وضم كلتهم لمحاربتهم فوافقهم على ذلك الملك عدلان وبعض كبراء الفونج والشيخ محمد الامين شيخ قرّي والشيخ محمد ود علي شيخ ديار خشم البحر المعزولين فجمعوا جيوشهم وساروا لقتاله في رفاعة وكان الشيخ بادي عند سماعة بعزم اولاد اخيه على محاربتهم لم يتم للخبر ولكنه لما سمع ان الشيخ محمد الامين شيخ قرّي وافقهم على ذلك قال: « الآن تحققت وقوع محاربة صحيحة » قال ذلك لأن الشيخ محمد الامين كان من الفرسان الممدودين فقام لساعته واجتاز النيل الى الجزيرة وسار نحو سنار فالتقاء جموع أعدائه في الطريق فقاتلهم قتالاً شديداً وصار كلما مرّ بفارس

يسأله من انت فيقول له فلان فيتركه ويأبى محاربته حتى قابله الشيخ محمد الامين فسأله من انت فقال « محمد الامين » فضربه بالسيف ثلاث ضربات فلم تؤثر فيه لأن درعه كان حصيناً ولأن ضرب الشيخ بادي كان طائشاً ممزوجاً بالفضب . ثم ان الشيخ الامين ضربه ضربة أثخنه فوقع على الارض مجنحاً فطلب اولاد اخيه ليوصيهم فقال له الشيخ احمد ود علي شيخ خشم البحر المعزول أننت في قيد الحياة بعد وضربه بالسيف على فمه فقضى عليه وكان ذلك سنة ١١٩٤ هـ ١٧٨٠ م فلما حضر اولاد اخيه وعلّموا بضرب الشيخ احمد له وهو على الارض غضبوا ومن ذلك الحين تأسست العداوة بينهم وبين الشيخ احمد وأولاده .

وخلف الشيخ بادي في الوزارة « ٣ - الشيخ رجب » اكبر اولاد اخيه الشيخ محمد ابي التكميلك فلما استقامت الاحوال بسنار جعل أخاه ابراهيم وكيلاً عنه مع الملك عدلان وتوجه بعساكره الى كردوفان فأقام فيها محاصراً للجبال وفيها هو هناك أشهر محمد الامين شيخ قرّي المعزول العدا للهمج فأرسل من كردوفان أخاه ناصر الى الجزيرة ومعه نحو ٧٠٠ فارس لمحاربة الشيخ الامين الذي كان مقيماً بالهلالية شرق النيل الازرق بين رفاعة والكاملين ولم يكن مع الشيخ الامين حين مقابلتهم له إلا ١٦ فارساً من اولاده وعبيده فهزمه ناصر وولى أخاه « بادي بن مسار » مشيخة قرّي بدله وذلك سنة ١١٩٨ هـ ١٧٨٤ م . وكان أهالي اريجي هم الذين سعوا في تشييع بادي فأضمر لهم الشيخ الامين سوء فاتفق مع الشكرية وهجم على مدينة اريجي فخرّبها وشتت شمل أهلها وتركها قاعاً صفصفاً ولم تزل كذلك الى الآن . وكانت مدينة حسنة البنيان كثيرة العمارة ولأهلها ثائق عظيم في تحسين الاطعمة وكان بها مدارس للعلم والقرآن . قيل وقبل خرابها كان فيها رجل يتلو الآية « وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنمون . » ثم ان الملك عدلان تفكر في ما فعله الهمج في ابيه الملك اسماعيل وجده

الملك بادي فلما جاهر الشيخ الامين بعداوة الهمج كتب يدعوه اليه ودعى اليه ايضا بعض مشايخ البلاد الذين كانوا من حزبه فاتفقت كلمتهم على الفتك بالهمج فقبصوا على ابراهيم وكيل الشيخ رجب الوزير وقتلوه في السوق وأخرج الملك عدلان بنات الشيخ محمد أبي اللكيلك واسترقهن وفرقهن على رؤساء عساكره وذلك سنة ١١٩٩ هـ ١٧٨٥ م . وكان في سنار في ذلك الوقت شاعر مشهور يعرف بالنعمان فأراد الملك قتله بسبب ميله لأولاد أبي اللكيلك ففرّ هارباً الى الشيخ رجب ولما دخل عليه بكى وانتحب وارتجى برائي محزنة أشار فيها الى قتل ابراهيم واسترقاق بنات محمد فقام الشيخ رجب لساعته الى سنار وكان معه الملك سعد بن الملك ادريس ود الفحل من ملوك الجعلين بشندي الآتي ذكرهم والحاج محمود المجدوب من الأولياء الصالحين اصحاب الكرامات وجد المجاذيب الذين في الدامر قيل وكان في أثناء المسير يقول « يا سنار جاءك النار » وأحياناً يقول « النار أطفأها السيل » . ثم لما قربوا من سنار كان يقول « انا وانت » يعرض بقتله وقتل الشيخ رجب فقابلهم الملك عدلان يمحوشه في مكان يقال له الترّس شمالي سنار واقتتلوا قتلاً شديداً قتل فيه الشيخ رجب والحاج محمود وذلك سنة ١٢٠٢ هـ ١٧٨٨ م . وكان للحاج محمود ابن يسمى الفقيه علي فنقله الى حلة الدبة شمالي الحلفاية ودفنه وقبره ظاهر يزار الى اليوم . قيل انه بعد دفنه كان يُسمع الأذان عند قبره كل ليلة لأنه كان مؤذناً في حياته !

وانهزمت عساكر الهمج ولحقوا بمبُود في وسط الجزيرة ومثوا بالتفرق في الجهات فأرسل اليه الفقيه حجازي ابن ابي زيد من ذرية الشيخ ادريس ود الارباب المتقدم ذكره وأمرهم بالثبات وبشرم بالنصر فاطمأنوا وثبتوا وجعلوا الشيخ ناصر أخا رجب المقتول شيخاً عليهم . فجهز عليه الملك عدلان جيشاً وعقد لواءه للامين رحه ود كنفراوي ومعه محمد ود خيس ابو ريده ونفر من كبار الفونج وسيرهم لقتاله فالتقام بمحل يسمى « انطرحنا » فاقتتلوا قتلاً شديداً فقتل علي اخو الشيخ ناصر وكان فارساً وكثر القتل في عسكر الملك

وانهزموا ففرق بعضهم في البحر وتبعتهم عساكر الشيخ ناصر قتلاً حتى أدخلوا سنار وتأسف الملك لعدم خروجه للحرب بنفسه فمات قهراً . وزحف الشيخ ناصر على سنار وحاصر عساكر الملك حصاراً شديداً حتى ضاقت نفوسهم فخرجوا اليه واصطفوا لقتاله ولكنهم انهزموا بلا قتال ودخل ناصر سنار بمساركه فأفسدوا فيها وذلك سنة ١٢٠٣ هـ - ١٧٨٩ م ومن ذلك الوقت انكسرت شوكة الفونج ولم تقم لهم قلعة بعد . وولى الشيخ ناصر :

٢٠ - الملك أوكل سنة ١٢٠٣ هـ - ١٧٨٩ م فملك بضعة أشهر ثم هرب ليلاً فولى ناصر مكانه :

٢١ - الملك طبل سنة ١٢٠٣ هـ - ١٧٨٩ م وكان الشيخ محمد الأمين شيخ قرتي المزعول ومحمد ود خميس أبو ريده المار ذكرهما قد وليا على سنار « الملك رباط » فذهب ناصر ومعه الملك طبل لقتالهما فالتقوا في الحفاية وقيل في محل قرب شندي وهناك اشتعلت الحرب فقتل الملك طبل وانهزم الشيخ ناصر شر هزيمة فسعى ملكاً على سنار :

٢٢ - الملك بادي الخامس سنة ١٢٠٣ هـ - ١٧٨٩ م وسار به لاستئناف الحرب ضد الشيخ محمد الأمين فقتل الملك بادي والملك رباط معاً فولى ناصر على سنار :

٢٣ - الملك حسب ربه سنة ١٢٠٤ هـ - ١٧٩٠ م فمات أيضاً ورجع الشيخ ناصر الى سنار . وفي سنة ١٢٠٥ هـ ١٧٩١ حدث ان الشيخ محمد الأمين ود مسار ضرب الشيخ عبد الله بن عجيب (ابن عمه) لذنوب آتاه فالتجأ الشيخ عبد الله الى محمد خميس ابي ريده وذهبا بمن معها من الرجال الى الشيخ محمد الأمين بحلة بان النقا بين قرتي وشندي فوجدوه في منزله وحده فاحتالوا الى ان صعدوا على سطح البيت وأزالوا سقفه وصاروا يرجونه بالحجارة من بعيد حتى قتلوه . وتولى المشيخة بعده « عبد الله ود عجيب » وولى الشيخ ناصر على سنار :

٢٤ - الملك نور سنة ١٢٠٤ : ١٢٠٥ هـ - ١٨٩٠ : ١٨٩١ م وكانت صاحب شهامة وسطوة فلما ظهرت صفاته للشيخ ناصر قتله وولى مكانه :

٢٥ - الملك بادى السادس بن طبل سنة ١٢٠٥ : ١٢٣٦ هـ - ١٨٢١ : ١٧٩١ م وكان لا يزال فتي فاستمر ملكه الى الفتح المصري وتقلب عليه عدة وزراء من الهمج اولهم د ٤ - الشيخ ناصر ، الذي فيه كلامنا وهو الوزير الرابع . وفي ايامه توفي الفقيه حجازي في سجنه عطشا . وتوفي ايضا الفقيه عبد الرحمن ود ابو زيد العالم العامل الولي الصالح . والعالم الفقيه محمد نور صبر . وقتل جماعة من الحضارمة على يد اخيه حسين .

وفي سنة ١٢١١ هـ ١٧٩٧ م اجتاز ناصر البحر بمساكره ومعه اخوه عدلان وحارب ابا ريده وقتله ونهب أمواله واتحد عليه هاشم بن الملك عيساوي وأولاد الشيخ الامين ومعهم فزاره وبنو جرار ودخلوا الجزيرة فخرج في طلبهم فلحقهم بنواحي سيرو وهناك اصطلحوا ورجعوا الى سنار ما عدا بني جرار فانهم رجعوا من حيث أتوا بعد ان أكرمهم الشيخ ناصر وخلع على كبارهم .

وكان في الشرق في هذا العصر اربعة ملوك اشتهروا بالكرم وهم : الشيخ ناصر في سنار والسلطان عبد الرحمن في دارفور ومراد بك في مصر واجد باشا الجزائر في الشام .

ومما يحكى من نوادر كرم الشيخ ناصر ان رجلا كان قاصداً الحجاز فدخل عليه يلتبس منه صدقة وكان على مقربة منه إناء مملوء ذهباً فلما كفيه مريداً ان يبسط الرجل طرف ثوبه لينملأه له فمد الرجل يديه فأعطاه ما في كفيه من الذهب ولم يزد .

وكان الشيخ ناصر يحب الألعاب والمطربات فلما راقته الاحوال فوض تدبير المملكة الى وزيره الارباب دفع الله بن احمد المشهور بود الزقلوته من الجميلين واشتغل باللهو والطرب وأعجب ببعيده فاشتدت أيديهم على الظلم ولم ينعمهم لأنهم كانوا عضده . وأمر اخوته وكبراء دولته ان لا يدخل عليه احد

منهم الا بعد الاستئذان من وزيره دفع الله فنفرت نفوسهم منه وخرجوا عن طاعته واجتمعوا في عبود في باطن الجزيرة لمحاربته ووافقهم على ذلك كل من له غرض في إزالة دولة ناصر فلما بلغه خبرهم خرج الى حلة السبيل وأرسل اليهم كبار الفقهاء يترضونهم ثم أرسل اليهم اخوانهم وبنات الشيخ محمد ابي الكلبيك فأبوا الا الحرب او يتنازل لهم عن الوزارة فلما يئس من رجوعهم الى الطاعة عاد الى سنار. فخرج اخوته من عبود ونزلوا في حلة البقرة قرب سنار وباتوا على حربه فأخذ ما يحتاج اليه وفرّ الى الجنوب ليلا مع وزيره دفع الله فنزل في دبركي على الدندر فدخل اخوته سنار وتولى احدهم « ه - ادريس » كرسي الوزارة في مكانه .

وبقي ناصر في دبركي زماناً ثم ارتحل شمالاً فاحتفى بالشيخ عبد الله بن عجيب شيخ مشيخة قرّتي مدة ثم رحل عنه وأتى الى عبود ولما علم به ادريس خرج من سنار ببعض عساكره ونزل في ابي حراز وارسل لمحاربته أخاه عدلان وعبيده وبغضاً من العساكر ولم يرسل احداً من الهمج ولا من الفونج خشية من الخيانة ولما أدركه عدلان وتراعى العساكران خرج الوزير دفع الله ود ارباب من جيش ناصر ورمى الخودة عن رأسه ودخل في عساكر عدلان طالباً الأمان لنفسه فانهزم ناصر وعساكره فقتبهم عدلان وقبض على ناصر أسيراً وأتى به الى ادريس في ابي حراز فسله الى حياص ابن الملك بادي فقتله بشار ابيه ودفن قريباً من الشيخ دفع الله العري وكان ذلك في آخر سنة ١٢١٢ هـ وقيل أوائل سنة ١٢١٣ هـ .

اما الشيخ دفع الله العري المشار اليه فقد كان من رجال الدين الصالحين وهو تلميذ الشيخ ادريس ود الارباب المار ذكره وكان مقيماً في ابي حراز ولم تزل ذريته مقيمة فيها الى اليوم . وكان مقامهم مكرم عند ملوك الفونج كمقام ذرية الشيخ ادريس .

وتفرد « ه - الشيخ ادريس » بالوزارة وكان رجلاً مهاباً عادلاً أكره شيء لديه السرقة فتعقب للصوص في كل مكان وعاقبهم بكل صرامة حتى انه لم

يبقى سارق ولا لص في كل بلاد سنار. وشدّد الوطأة على العرب الرحالة فكفى أهل القرى شرهم وكان له من الأعوان عدا أخيه عدلان الارباب القرشي والارباب زين العابدين ود السيد والفقير عبد الجليل ود عامر والفقير الأمين ود المشا ولم يفوض اليهم تدبير مملكته كما فوض اخوه الشيخ ناصر الى وزيره الارباب دفع الله بل كان يتولى أمور مملكته بنفسه وبذلك استقامت له الاحوال . ثم بدا من الملك بادي ما ساءه فاتفق مع الشيخ كتور شيخ خشم البحر وعزله وولى مكانه :

٢٧ - الملك رانفي فحكم بضع سنين ثم عاد الملك الى الملك بادي . وفي أيام رانفي أتى الشيخ عبد الله بن عجيب بما اغضب الشيخ ادريس فجرد عليه جيوشه وكان العابدلاب قد نقلوا مركز المشيخة من قرني الى الحلفاية فالتشب القتال في الحلفاية في اول محرم سنة ١٢١٥ هـ ٢٤ مايو ١٨٠١ م فقتل الشيخ عبد الله وانهزمت جيوشه فأمنهم الشيخ ادريس وولى عليهم « الشيخ ناصر الامين » الذي بقي في المشيخة الى الفتح المصري .

وكان الشيخ عبد الله المذكور عادلاً متديناً مولعاً بسماع القرآن محباً للرعية وقد أمر بتقليل مهر النساء فكثرت بذلك زواجهن وازداد النسل وأمر أهل السوق بحضور الصلاة في المساجد وقطع دابر اللصوص وأمن السابلة وكانت مدته ثلاث سنوات .

وأقام الشيخ ادريس في الحلفاية وأرسل أخاه عدلان بجانب من العساكر الى شندي كرسي مملكة الجعليين وكان ملكها الملك سعد قد توفي فلما وصل عدلان الى حلة بأن النقا كتب الى الملك محمد ود نمر يعده قصد نخاعته بأن يقره ملكاً على الجعليين فاغتر بوعده وحضره اليه مع نفر من اهله وابنه ادريس وكان اذ ذاك فتى وأما أخواه الملك نمر والملك سعد فقد أبيا الحضور لأنها لم يصدقاه فلما وصل الملك محمد ومن معه أمر عدلان بسجنهم وغلّتهم فمات الملك محمد من ثقل الاغلال وأما ابنه ادريس فقد اقتدته أمه بثلاثية أوقية من

الذهب . ثم ان عدلان حاصر الملك نمر وضيق عليه فلما جن الليل فرّ بين معه فولى المساعد ملكاً على شندي ورجع بالاسارى الى اخيه الشيخ ادريس في الحلفاية فعادا معاً الى سنار وهناك ضربت رقاب اولاد الملك نمر . قيل كان الواحد منهم يأخذ رأسه بين يديه حتى اذا قطع جذبه الى عبّ ثلثا يسقط الى الارض فيندلع لسانه .

وفي سنة ١٢١٦ هـ ١٨٠٢ م انتشب قتال عرف بقتال العواليب بين الملك نمر والملك مساعد الذي ولاّه عدلان فانتصر الملك نمر وأخرج المساعد من شندي ولما كان المساعد لا يزال قوياً سعى رؤسائه الجعليين بالصلح بينها فتصالحا على ان يكون نمر ملكاً في شندي والمساعد ملكاً في التمة تجاهها وبقياً كذلك الى الفتح المصري .

وفي تلك السنة أي سنة ١٢١٦ هـ توجه عدلان أخ الوزير ادريس الى جهة الغرب وقاتل الملك عيسوي فانتصر عليه . وأتى به اسيراً الى سنار فمات فيها .

وفي سنة ١٢١٧ هـ ١٨٠٣ م حصلت حرب بين البطاحين والشكرية فقتل الشيخ عوض الكريم ابو سن شيخ الشكرية . وفي النصف الأخير من جمادى الثانية سنة ١٢١٨ هـ اوائل اكتوبر ١٨٠٤ م توفي الشيخ ادريس وتولى الوزارة اخوه ٦ - عدلان ، فاشتغل بالماهي والملاذات وأهمل امور المملكة وكان محمد بن اخيه رجب صاحب دهاء وتدبير فاتفق مع الفونج والشيخ كمتور شيخ خشم البحر والملك رانفي على الفتك بعدلان . وكان في حلة الكبر جنوبى سنار رجل شديد البأس يسمى محمد ود ناصر المشهور بأبي ريش وهو من خاصة رجال عدلان فاتفق مع المتآمرين على الفتك به وسبب ذلك ان عدلان سم أخاه علياً فمات فاجتمع المتآمرون بسنار وكان الشيخ عدلان ليلة اتفاقهم عريساً على بلت خارج سنار فقصده ابو ريش مع جماعة من رجاله ليلاً . قيل وكان عنده رجل عاقل علم بالمكيدة فأنشد للشيخ عدلان هذين البيتين :

يا راقد الليل مسروراً بأوله ان المكاره قد يطرقن اسحارا
لا تفرحن بليل طاب اوله قرب آخر ليله أجمع النارا

فما شعر عدلان إلا والأعداء قد أطبقوا عليه من كل جانب فأسرع الى
جواده فامتطاه وفرّ هارباً نحو سنار فرماه أحدم بحرية أدمته ولكنه لم يزل
مجداً على جواده حتى دخل سنار فوقع على الارض ميتاً وكان ذلك في ١٦
رمضان ١٢١٨ هـ ٢٩ ديسمبر ١٨٠٤ م . وفي هذه السنة توفي العالم الرباني
الفقيه علي بقاري المشهور .

وقول الوزارة بعد عدلان ٧٤ - محمد ابن اخيه رجب المتقدم الذكر لكن
بقيت الكلمة لمحمد ابي ريش . ويمض شهر رمضان حتى وقع الخلاف بين
الشيخ كتور نصير الملك وبين محمد ابي ريش نصير الوزير فأدعى الخلاف الى
القتال وكان مقدم رجال ابي ريش فارساً مشهوراً يسمى فاما فبرز الى الكاتير
فابتدره الشيخ كتور بضربة سيف أطاحت رأسه وانهمز ابو ريش مصاباً يجرح
بليغ في يده فنزل في حلة الكبر ووقع محمد ود رجب الوزير أسيراً في يد
الشيخ كتور فأودعه السجن وأراد الشيخ كتور ان يخرج من سنار ويتحصن
من ابي ريش فلم يرافقه رجاله على ذلك بل أقاموا في سنار وأطلقوا أيديهم
في سلب أموال الناس . فلما شفيت جراح ابي ريش جمع عساكره ونزل بطيبة
حلة ولد قندلاوي وأقام بها يتأهب لقتال الشيخ كتور الى ان انقضت سنة
١٢١٨ هـ فتوسط العلماء والأعيان في الصلح بينها على ان الشيخ كتور يرد جميع
ما سلبه ويطلق سبيل الوزير فأظهر ابو الريش الرضى بذلك وأخضر الغدر فلما
رد الشيخ كتور ما سلبه وأطلق سبيل الوزير ود رجب زحف ابو ريش برجاله
عليه فالتقاء في أم صوينينه قرب سنار وانتشب بينها قتال شديد قتل فيه
١٢ أخاً للشيخ كتور وجماعة من كبار الفونج وانهمز الملك رانقي فدخل
قصره واجتاز الشيخ كتور النيل الى بلاده . وكان تاريخ هذه الواقعة محرم

سنة ١٢١٩ هـ ابريل ١٨٠٥ م وقد ذهبت في السودان مثلاً للتحذير من الخداع
فمن أمثالهم : « بين لك الي بان للكاتير في أم صوبيينه » .

عود الى ٢٦ - الملك بادى ثم ان محمداً أبا ريش دخل سنار فقتل رانقي
وأعاد الملك بادى بن طبل المزعول الى منصبه وفي سنة ١٢٢٠ هـ ١٨٠٦ م لحق
بالشيخ كمتور الذي كان قد جاء الى ام درمان فتوسط اهلها والناس الصاخون
في الصلح حقناً للدماء فقبلا وساطتهم وعاد الشيخ كمتور الى مركزه في رنقه .
ونزل محمد ود رجب في ود مدني وابو ريش في كساب بين رنقه وسنار .

وفي سنة ١٢٢١ هـ ١٨٠٧ م وقع الخلاف بين محمد ابي ريش ومحمد رجب
فتقاتلا في مكان يدعى المهرية فانهزم محمد رجب الى الميلفون والتجأ الى اولاد
الشيخ ادريس وأخذ يرسل الشيخ كمتور والشنابلة مشائخ ود مدني واولاد
سليمان السعداب ملوك شندي فاجتمعوا على محاربة ابي ريش وجعلوا عليهم
ملكاً يسمى « عجبان » من بقية ملوك الفونج وجاءوا الى عبود متهبئين للقتال
كل ذلك وابو ريش لا يهتمهم الى ان أتاه هادم اللذات في نصف تلك السنة
فتوفي مع أخ له في ليلة واحدة وترك ابناً صغيراً دون البلوغ فوقع عساكره في
حيرة ودهشة . وطمع عبيد الوزير عدلان المقتول في تولية ابنه محمد فحاربهم
عبيد ابي ريش وأخذوا محمد بن عدلان اسيراً وهزمهم فانضموا الى محمد رجب
وخلفائه في عبود وساروا كلهم لقتال عبيد ابي ريش في طيبة فاقتتلوا قتالاً
شديداً كان النصر فيه لعبيد ابي ريش والهزيمة لمحمد رجب والشيخ كمتور
فالتجأ الاول الى اولاد الشيخ ادريس في الميلفون والثاني الى العراقيين في ابي
حراز فرجع عبيد ابي ريش عنهم لاحترام مقام اولاد الشيخ ادريس والعراقيين
كما مرّ وأقاموا في كساب فجعلوا تيفره ود أبي ريش رئيساً عليهم في مكان
ابيه وكان معهم محمد ود ابراهيم بن محمد ابو الكيلك فلم يرق له تعيين تيفره
رئيساً فانفصل عنهم واتحد مع فزاره وتقدم بهم الى الخرطوم فنهبوا ما أرادوا
وقتلوا ابراهيم بن الفقيه محمد علي خليفة الفقيه أرباب وتزلوا في عبود . أما

الفتية أرياب المشار اليه فهو غير أرياب وإلد الشيخ ادريس ويعرف بأرياب
المقائد لأنه ألف كتاباً في عقائد التوحيد وله ضريح يزار في البشاقرة في جنوبي
التي في باطن الجزيرة .

ويقي عبيد أبي ريش وعليهم تيغره بكساب يعيشون في البلاد والحل
والعقد في أيديهم مدة ثمانية أشهر أسروا في خلالها أولاد رجب وكان محمد ولد
ابراهيم لا ينفك عن حشد الرجال في عبود حتى قويت كلمته فزحف على
كساب فقتل عبيد أبي ريش وأسر تيغره فأبقى عليه لأنه كان أديباً عاقلاً
ولما انتظم له الامر قام في طيبة حلة قندلاوي مدة ثم انتقل منها الى حلة
ام ضريبه .

وفي أثناء ذلك خرج « محمد رجب » من الميلفون على عزبان الفادنية في
البطانة فنهب أموالهم فأناه المراكبون وأخبروه بأن هذه الاموال أموالهم
فردّها لهم فلم يكتفوا بذلك بل أغلظوا له في الكلام حتى أخرجوه الى القتال
فقاتلوه وهزموه فاستجد بالشيخ كتور فلم ينجده بل قبض عليه وأرسله الى
محمد ود ابراهيم فأرسله الى محمد ود عدلان في حلة برقو فقتله اخذاً بثأر أبيه
وهكذا كانت نهاية « محمد رجب » سابع وزراء الهمج .

ثم أخذ محمد ود عدلان يسعى سرّاً في محاربة محمد ود ابراهيم وتولي الوزارة
مكانه فلما نفي الخبر الى محمد ود ابراهيم بعث في طلب محمد ود عدلان الى حلة
ولد بهاء الدين فحضر فأدخله في خلوة بهاء الدين وأخذ في توبيخه وشتمه بأفظع
الألفاظ ومحمد عدلان يعتذر ويتلطف له في الرد وهو لا يقبل عذراً ثم أمر
بذبحه فسمع بذلك بعض انصار محمد ود عدلان الواقفين خارج الخلوة فنادوا بمحمد
ابراهيم يطلبون اليه اطلاق سبيل محمد عدلان وإلا أشعلوا النار في الخلوة فأخلى
سبيله فخرج وهو مهلوع الفؤاد فالتفت اليه احد عبيده المسمى ابا سليمة ودله
على جواد محمد ود ابراهيم الذي كان مسرجاً بجانبه وقال له: « ما هذه الدهشة
التي اعترتك فذهبت بك اركب هذا الجواد وحكّم السيف في رقاب هؤلاء

الكلاب الذين أرادوا قتلك ، فتحمس ود عدلان من كلام عبده وركب الجواد واستل السيف فاجتمع عليه « عبید ناصر » فاشتد ظهره وأخرج ابراهيم من الخلوّة عنوة فقبض عليه وأخذه الى سنار فحبسه مدة في حوش عمته مهيرة ثم قتله . وكان ذلك في آخر جمادى الاخرى سنة ١٢٢٣ هـ ١٨٠٩ م . ومن ذلك الوقت انتظم الامر « لمحمد عدلان » فكان الوزير الثامن والاخير من وزراء الهمج وقد قبض على جميع أعدائه في البلاد فقتلهم وفي جملتهم اولاد رجب ولم يترك منهم سوى سوى حسن ولما استتب له الامر وخلا باله من المتاعب انتقل الى ود مدني فأقام فيها مدة .

وفي ايامه سنة ١٢٢٤ هـ ١٨١٠ م انتشرت الحمى الصفراء المعروفة عندهم بالكك مات فيها خلق كثير . ومن مات بها العالم الفاضل محمد نورين الفقيه ضيف الله بالخلفاية وهو صاحب كتاب طبقات الأولياء بالسودان وقد رثاه الشيخ ابراهيم عبد الدافع المكي صاحب تاريخ سنار بأبيات منها :

دع العين تبكي دهرها بتوجد على غيض بحر كان بالعلم مزيدا
هو الخبر نجل الخبر ضيف الهنا لقد حاز فخراً في الأثام وسوددا

وفي أواخر سنة ١٢٢٥ هـ ١٨١١ م فعل « الشيخ ناصر ود الامين » شيخ الخلفاية ما أغضب محمد ود عدلان فسافر ومعه الملك بادي لمحاربته ففر من وجهه الى شندي فأقام محمد عدلان بالخلفاية مدة ثم عاد الى سنار بدون حرب وعاد ود الامين الى الخلفاية .

وفي سنة ١٢٢٦ هـ ١٨١٢ م نشب قتال بين السعداب والجميعاب قتل فيه الارباب باب النقا وكان رجلاً شجاعاً عفيفاً نقياً وقتل معه جماعة من بني عمه وانتصر الجميعاب وقويت شوكتهم فارتفعت رؤوسهم على ملوك الجوعية وأولاد عجيب مشايخ الخلفاية وأنشد بعض شعرائهم يقول :

« يا جميل وقعت عليكم قضية وفي ادريس ود سعد وبان النقا أب عرضة .
وفي حدة السبال رقدت عيال مشرقة » وكلهم من السعداب .

وفي سنة ١٢٢٧ هـ ١٨١٣ م توجه ود عدلان لجمع الجزية من عربان رفاعة بنواحي جبل مويه فجمع الجزية وهرب منهم البيح فأرسل خلفه العباس فأدركوه وقتلوا بعضاً من جماعته ونهبوا منهم أموالاً كثيرة . وفي سنة ١٢٢٨ هـ انتقل الى الطرافية فجاءه الشيخ خليفه ومعه رجل يلقب بالافندي . وفي هذه السنة ظهر نجم ذو ذنب وحصل علاء شديد فسميت سنة حيص .

وفي سنة ١٢٢٩ هـ ١٨١٤ م خرج الملك بادي من سنار واتفق مع الكاتير على محاربة ود عدلان وكان ود عدلان اذ ذاك مقيماً في عبود يتأهب للزحف على الشيخ ناصر . ولد الامين فلما بلغه خروج الملك بادي عليه رجع عن عزمه وأقام بجزيرة ام راكويه وأقام الملك والكاتير بحلة الكبر فعاصروهم فيها ثم اصطلمحوا وعاد الملك بادي الى سنار . وفي هذه السنة توفي الورع الحاج دفع الله ود ضيف الله بالحلفاية .

وفي سنة ١٢٣٠ هـ ١٨١٥ م توفي الفاضل الشيخ حسن بن الشيخ عبد الرحمن ود بان النقا وكان عنده خزانة كتب ضاعت كلها في فتنة الملك عمر بعد الفتح المصري .

وفي سنة ١٢٣١ هـ ١٨١٦ م رحف ود عدلان بمساكره على الحلفاية لقتال الشيخ ناصر ود عجيب « ففر الشيخ ناصر الى شندي وأقام بها الى ان رجع ود عدلان الى سنار فعاد الى الحلفاية وبقي فيها الى الفتح المصري كما سيجيء .

وفي سنة ١٢٣٢ هـ ١٨١٧ م حضر الى سنار الشريف السيد محمد عثمان المرغني مؤسس الطريقة المرغنية في السودان وقابل حكامها ودعا الناس الى اخذ الطريق فلم يأخذها عنه إلا القليل . وأرسل حكام سنار الى الفقيه ابراهيم ابن بقادي لينظر السيد المذكور ويختبره فمرض حال وصوله الى سنار وتوفي

فيها قبل ان يجمع به ثم خرج السيد المرغفي من سنار وكان عمره اذ ذاك ٢٥ سنة .

وفي آخر سنة ١٢٣٣ هـ ١٨١٨ م زاد النيل زيادة عظيمة حتى هدم حلة البشاقرة شرق سنار وعرف ذلك النيل بنيل ود ابي سن لأن احمد ود الشيخ عوض الكريم ابي سن قتل في تلك السنة قتله البطاحين وانحازوا الى الملك نمر فجمع الشكرية رجالهم بقيادة محمد ابي سن وقصدوا محاربة البطاحين والملك نمر معاً فتوسط العلماء ومشايخ السجايد بينهم ومنعهم من المحاربة فرجعوا الى بلادهم .

وسنة ١٢٣٤ هـ ١٨١٩ م قتل الارباب محمد دفع الله ود سليمان غيلة قيل كان قتله بدسيسة من محمد ود عدلان ليتزوج بزوجه لأنها كانت بارعة في الجمال .

وفي سنة ١٢٣٥ هـ ١٨٢٠ م ارسل الشيخ محمد كتور عساكره لقتال التكارنة الذين في القلابات على حدود الحبشة وبقي في قلة من العساكر فاغتم محمد ود عدلان الفرصة فسار اليه وقتله اخذاً بثأر ابيه وكان الشيخ كتور حليماً بعيد الغضب لا يتكلم بالنفخ ولا يشتم احداً واذا اشتد غضبه يلعن الشيطان وقتل معه العالم المحقق الشهير الفقيه احمد بن الطيب عبد السلام ونهبت كتبه النفيسة ورجع ود عدلان الى سنار فرحاً مسروراً بأخذ ثأره لأنه قتل كل من سعى بقتل ابيه . ثم انت الكماتير جعلوا عليهم « ضاراً » اخاه محمد كتور شيخاً وزحفوا لمحاربة محمد ود عدلان اخذاً للثأر فوجدوه متفياً عند عرب البادية بالرابة جنوبي سنار فلحقوا به ولم يكن له علم بهم قدموه ليلاً على حين غفلة في منزله فتصدى لهم نفر من العساكر الملازمة لركابه وقاتلهم قتالاً شديداً الى ان قتل رئيسهم تيفره ففروا هاربين وأما ود عدلان فانه لما شاهد ما حل بقومه ثمر حائط منزله وفرّ هارباً هو ونساؤه ومعه الهادي ود عجيب . ثم ان الشيخ ضاراً لما رأى شدة بأس عساكر ود عدلان فر هارباً يجرودة من الفرسان ولم يبق من الفنتين إلا القليل فلما أصبح الصباح تراءى الجمعان قام

بقية عساكر ود عدلان على بقية عساكر الكماثير فهزموهم وقتلوا رؤوسهم وأرسلوا البشري بالنصر الى محمد ود عدلان فلم يحفل بها لأنه خجل من انهزامه فقال له الارباب دفع الله وهو احد المتخلفين الذين أتوا بالنصر : « لم يكن قتال يا مولاي غير الذي كان بحضورك ولم ينهزم الأعداء إلا بهيبتك » فزال عنه الغم وعاد بالعساكر الى سنار . وبقي فيها مع الملك بادي ملك الفونج الى ان قدم اسماعيل باشا فاتحاً لسنار على ما سيحيى في الفتوح المصري .

هذا ما كان من تاريخ ملوك الفونج نقلاً عن عبد الدافع والزبير ودضوه ولكن يظهر ان ودضوه اختصر تاريخ عبد الدافع وأضاف اليه بعض الحواشي . ثم ان الموسيو كايو السائح الفرنسي الشهير الذي رافق حملة اسماعيل باشا لفتح سنار جاء في تاريخه على سلسلة ملوك الفونج قال انه اخذها عن اهلها وعلق عليها بعض الحواشي فخالف فيها عبد الدافع في بعض المواضع وأشهر ما خالفه فيه :

اولاً : ان الفونج هم طائفة من الزنج جاءوا بلاد سنار من غرب النيل الابيض ولا نسب لهم ببني أمية كما ذكر عبد الدافع .

ثانياً : ان الفونج أتوا أولاً الى أريحي وكانت مدينة عامرة وعليها ملك من أهلها فتصدى لهم ملكها وناجزها الحرب فحدثت واقعة عظيمة كان النصر فيها لهم فقتلوا الملك وخرجوا اريحي وملكوا البلاد واستقلوا بها لا كما قال عبد الدافع من ان اريحي خربت في أيام « ٢٠ - الملك عدلان الثاني » .

ثالثاً : ان بدائة ملوك الفونج هي سنة ٨٩٠ هـ لا سنة ٩١٠ كما ذكر عبد الدافع .

رابعاً : ان ملوك الفونج هم ٢٨ ملكاً لا ٢٧ كما جعلهم عبد الدافع والزبير ودضوه وقد خالفها كايو ايضاً في ترتيب سلسلة الملوك ومدد ملكهم .

وهذه هي سلسلة ملوك الفونج ومدد ملكهم حسب رواية كل من عبد الدافع وكايو مع ذكر الحواشي التي علقها عليها الموسيو كايو :

سلسلة ملوك القونج

حسب رواية الموسوي كايو			حسب رواية الشيخ عبد الدافع		
حواشي كايو	أسماء الملوك بداية ملكهم سنة ١٤٨٦ ٨ ٨٩٠ م	أسماء الملوك بداية ملكهم سنة ١٥٠٥ ٨ ٩١٠ م	حواشي كايو	أسماء الملوك بداية ملكهم سنة ١٥٠٥ ٨ ٩١٠ م	أسماء الملوك بداية ملكهم سنة ١٥٠٥ ٨ ٩١٠ م
	٤٢	١ عماره دنقس	٣٠	١ عماره دنقس	١ عماره دنقس
	١٢	٢ ثايل	١٠	٢ عبد القادر ابنه	٢ عبد القادر ابنه
	١٠	٣ عبد القادر	١٢	٣ ثايل اخوه	٣ ثايل اخوه
الملقب بأبي سكاكين	٨	٤ عماره الثاني اخوه	٨	٤ عماره ابو سكاكين اخوه	٤ عماره ابو سكاكين اخوه
	١٧	٥ دكين صاحب المادة	١٥	٥ دكين بن ثايل	٥ دكين بن ثايل
	٨	٦ ضرار ابنه	١٢	٦ طبل الاول	٦ طبل الاول
قتله اولاد ملك شندي	٤	٧ طبل بن عبد القادر	١٠	٧ ابنه الاول	٧ ابنه الاول
امه بنت عجيب	١٢	٨ ابنه	٦	٨ عبد القادر الثاني	٨ عبد القادر الثاني
طرده من الملك	٣	٩ عبد القادر الثاني	٧	٩ عدلان بن ابيه	٩ عدلان بن ابيه
قتله الشيخ عجيب	٤	١٠ عدلان اخوه	٣	١٠ بادي سيد القوم	١٠ بادي سيد القوم
	٧	١١ بادي ابو رباط	٢٩	١١ رباط ابنه	١١ رباط ابنه
	٢٧	١٢ رباط ابنه	٣٦	١٢ بادي ابو ذقن	١٢ بادي ابو ذقن
مد ملكه الى فازوغلي	٣٧	١٣ بادي الثاني ابو ذقن	١٢	١٣ ابنه الثاني ابن اخيه	١٣ ابنه الثاني ابن اخيه
لم يعد راحة للقونج بعده	١٢	١٤ ابنه الثاني بن ناصر	٢٧	١٤ بادي الاحمر ابنه	١٤ بادي الاحمر ابنه
	٢٧	١٥ بادي الثالث الاحمر ابنه	٦	١٥ ابنه الثالث	١٥ ابنه الثالث
مات في سنار بالجدرى	٣	١٦ ابنه الثالث ابنه	٣٩	١٦ بادي ابو شروخ	١٦ بادي ابو شروخ
	٤	١٧ ثول	٧	١٧ ناصر	١٧ ناصر
مات في سواكن	٤٠	١٨ بادي الرابع ابنه	٩	١٨ اسماعيل اخوه	١٨ اسماعيل اخوه
قتله بادي في البقرة	٨	١٩ ناصر ابنه	١٢	١٩ عدلان الثاني	١٩ عدلان الثاني
مات في سواكن	٧	٢٠ اسماعيل اخوه		٢٠ اركل	٢٠ اركل
	١٢	٢١ عدلان الثاني		٢١ طبل الثاني	٢١ طبل الثاني
قتله ناصر في سنار	٣٠	٢٢ رباط ابنه		٢٢ بادي الخامس	٢٢ بادي الخامس
قتله ناصر في الدامر	١	٢٣ اركل بن ابنه	١	٢٣ حسب ربه	٢٣ حسب ربه
قتله اولاد عجيب	٢	٢٤ طبل	١	٢٤ ثوار	٢٤ ثوار
	١	٢٥ بادي الخامس بن دكين		٢٥ بادي بن طبل (مدته الاولى)	٢٥ بادي بن طبل (مدته الاولى)
قتله عدلان في سنار	١	٢٦ ثوار		٢٦ رانفي	٢٦ رانفي
مدته الاولى	٦	٢٧ بادي السادس بن طبل		٢٦ بادي بن طبل (مدته الثانية)	٢٦ بادي بن طبل (مدته الثانية)
قتله محمد رجب في سنار	٥	٢٨ رانفي	٣١		
مدته الثانية نهايتها	١٦	٢٧ بادي السادس بن طبل			
١٨٢١ ٨ ١٢٣٦ م	٢		٣٢٦	مجموع ملكهم	مجموع ملكهم

قيل وكان ملوك سنار يجهزون في أيام عزم جيشاً لا يقل عن ٢٥ ألف مقاتل مسلحين بالحرايب والسيوف والدروع وفيهم من أربعة آلاف إلى خمسة آلاف فارس من العبيد والفونج وكانوا يقيمون في بلاد البرون إلى الجنوب ولهم ثلث الفئائم التي يفتنونها من فازوغلي وجنوبها . ولكن لما جاءهم اسماعيل باشا فاتحاً لم يجد في سنار من الفرسان إلا نفرأ قليلاً لأن الفونج كانوا قد فقدوا عزم من زمان .

وقد اشتهرت سنار بالثروة والغنى وكان التجار يأتونها بالبضائع من مصر والحجاز والهند عن طريق النيل والبحر الأحمر وكان يرد إليها من دققة التمر، ومن كردوفان التبر والحديد والعبيد، ومن فازوغلي والصعيد الذهب والعسل والجلود والنعال والسياط والريش والسمسم ، ومن سوت رأس الفيل من بلاد الحبشة على أربعة أيام من سنار الذهب والخيل والعبيد والبن والزباد والعسل وأساور العاج وغيرها من حلي النساء .

وكان أهم صادراتها التجارية الذهب والعبيد وسن الفيل والخرتيت والزباد والعسل والسياط والابنوس والجلود والقصاع والنعال والابل . وكانوا يتعاملون بقطع من الدمور على نحو ما هو جارٍ اليوم في دار ودائي .

وكان أهم صناعاتها الصاغة لصياغة الشفتشي المعروف في مصر بالناري والحكاكة لحياكة الدمور وغيره من المنسوجات القطنية . وأهم ما اشتهر به ملوك سنار الكرم وكان الشعراء والمداح يقصدونهم من كل فج لدحهم واستدراار جودهم قيل انهم لم يردوا سائلاً لا سيما اذا جاءهم من بلاد بعيدة وكانوا يعطون الذهب بالكميال والرقيق بالجزير أي بالجماعات لأن الارتاء في اثناء السير تربط كل جماعة منهم بجزير .

وكان ملوكها يجمعون الزكاة والفقرة والمشور على نحو ما يفرضه الشرع الاسلامي . وكثير من أهالي الجزيرة الآن يملكون الارض بحجج من أيام الفونج

قيل وكانت اختتامهم اكبر اختتام ملوك السودان قاطبة وهي مستديرة الشكل ومنقوشة سطوراً بين كل سطر وسطر خط تقرأ هكذا : « ومن تكن برسول الله نصرته ، ان تلقه الاسد في آجامها تجمر » ، ملك ملوك السودان ، والعبارة الاخيرة تشير الى كثرة الممالك والشيخات التي خضعت لسلطانهم اولها :

الفصل الثاني

في

مشيخة العابدلاب

العابدلاب هم ذرية الشيخ عبد الله جماع الذي تقدم انه اقتسم المملكة مع الفونج وقد اتخذ مركزه قري فيعرفت كرسبه بمشيخة قري ثم انتقلت الى الحلقاية فعمرت بمشيخة الحلقاية . اما المشيخة نفسها فقد امتدت من حجر العسل الى سوبه ولكن كان لها السيادة على جميع البلاد من اريجي الى الشلال الثالث كما مر . وقد تقدم لنا في تاريخ الفونج ذكر اشهر مشايخ العابدلاب نقلا عن عبد الدافع وذكر كايو سلسلة للعابدلاب أتى فيها على البعض الذين لم نذكرهم عبد الدافع وفاته ذكر البعض الآخر فكان من مجموع سلسلتها ما يأتي :

١ - عبدالله جماع : مؤسس المشيخة الذي دام حكمه الى ايام الملك عمارة رابع ملوك الفونج وخلفه ابنه :

٢ - الشيخ عجيب : الملقب بالمالحجوك أبي ما نجل ، إلاك ومنه لقب « مانجل » الذي يخاطب به شيوخ العابدلاب الى اليوم . وقد عرف العابدلاب بأولاد عجيب ايضاً نسبة اليه . وكان رجلاً صالحاً دينياً وقد حج الى بيت الله

الحرام . قيل وهو الذي بنى بالمدينة المنازل المعروفة برواق السنارين بنماها بإذن السلطنة العثمانية فجعلها وقفاً للحجاج من اهل سنار وهي لا تزال مأوى حجاج السودان الى هذا العهد .

٣ - العجيل .

٤ - حمد السميح .

٥ - عثمان ابنه .

٦ - عبد الله الثاني ابن العجيل .

٧ - مسمار بن عبد الله .

٨ - دياب - ارادب ود عجيب : الذي قتله (١٤) - الملك بادي الاحمر .

٩ - الامين ود مسمار : الذي عاش في ايام (١٧) - الملك بادي ابي شلوخ .

١٠ - عجيب بن عبد الله .

١١ - عبد الله الثالث ود عجيب : الذي قتل في حرب المسبعات في ايام

(١٧) - الملك بادي ابي شلوخ .

١٢ - عمر أخو عجيب .

١٣ - محمد الامين بن مسمار : الذي عزله الشيخ ناصر في ايام (٢٠) - الملك

عدلان الثاني وولّى مكانه أخاه :

١٤ - بادي بن مسمار .

١٥ - عبد الله الرابع ود عجيب : الذي قتله الشيخ ادريس في ايام

(٢٦) - الملك بادي ، سنة ١٢١٥ هـ .

١٦ - ناصر ود الامين : الذي ذهب الوزير محمد عدلان لقتاله سنة ١٢٢٥ هـ .

١٧ - أمين الثاني ابن ناصر .

١٨ - ناصر ود عجيب : الذي عزله اسماعيل باشا في مايو سنة ١٨٢١ م.

وقد كان للعابدلاب المقام الاول عند ملوك الفونج كما تقدم وكانوا اذا أراد احدهم الدخول على ملك الفونج يستأذنه أولاً في ذلك فاذا أذن له تمنطق بثوبه ورمى سلاحه عند الباب ودخل عليه وقال انا فلان فيعيد الملك اسمه ثم يقول الشيخ مخاطباً الملك « طول العمر » وهو لقب ملوك الفونج فيقف الملك ويأخذ يده ويقول : « مرحباً بالبان بإيده تتين سيده » أي مرحباً بالذي بان بفعل يده او سيفه فهو ثان لسيده ثم يأمره الملك بالجلوس فيجلس في الارض . وهكذا كان يتأدب لهم المشايخ والملوك الذين هم دونهم لكن اللقب الذي كانوا يخاطبونهم به هو « مانجل » وكان اذا زار احدهم فقيه او عالم يدخل عليه باسطاً يديه للدعاء فيقول الفاتحة ثم يتقدم ويقبل يد الشيخ ويرجع القهقري فيأمره الشيخ بالجلوس فيجلس على فراش فوق الارض احتراماً للدين . وكان النساء اذا التقين بأحد مشايخ العابدلاب في الطريق كشفن عن رؤوسهن وخلصن نعالهن الى ان ينصرف .

وكانوا اذا توفي شيخهم اختاروا شيخاً آخر وأخذوه الى ملك سنار فيؤيده لهم كما كان مشايخ العابدلاب يؤيدون المشايخ والملوك الذين هم دونهم وتحت سيادتهم وذلك انه كان اذا مات هؤلاء ملك اجتمع اهل قبيلته واختاروا لهم ملكاً يرلونه عليهم وأتوا به الى الشيخ فيحلق الشيخ له رأسه ويلبسه « طاقية » ذات قرنين محشوة قطناً ويجلسه على كرسي « بالككر » ثم يخاطبه بلقب مك أي ملك ويقول له « مبارك عليك » فيقبل الملك يده ويدعو له بخير فيأمر الشيخ بضرب النحاس اشباراً لتأييده ملكاً على اهله وعند ذلك يتقدم اهله فيسلمون عليه بالاحترام الذي سلم به على الشيخ ويخاطبونه بلقب « ارباب » ثم يقولون « جعلك الله مباركاً علينا ولتعمر البلاد بك وتكثر الخيرات على يدك » فيقول لهم « الله يعمرك ويخليك انا بكم مش بلاك » ثم يعود الى

قومه بالطاقيّة والككر اللذين أنعم بها الشيخ عليه حتى إذا ما خرج للحكم لبس الطاقيّة وجلس على الككر وبذلك يقال للقوم الذين يرأسهم ملك بأنهم « اهل ككر وطاقيّة » .

هذا ولم يكن تاموس الوراثة للأكبر متبعاً على اضطراد في مملكة سنار بل كان للفونج يولون على القبائل من كان أكثر موافقة لسلطانهم وأقدر على جمع الزكاة وتقديم الهبات .

الفصل الثالث

في

الممالك والمشيخات التي خضعت وأسا ملوك الفونج

مشيخة خشم البحر: قامت على شرق النيل الأزرق بين رنقه والرصيرص ومركزها رنقه وقد عرفت ببلاد خشم البحر أو قم البحر لأن بحر النيل لا يصلح للسفر منها جنوباً بسبب شلال الرصيرص. قيل ولمشايجها نسبة من جهة الرحم مع الفونج وهم في الأصل قواسمة. وقد مرّ بنا ذكر أربعة منهم في تاريخ الفونج وهم :

١ - احمد ود علي وهو جسد مشايخ خشم البحر ولذلك يعرفون أيضاً بأولاد احمد كما عرف المهج بأولاد محمد.

٢ - صباحي ود عدلان وكلاهما عاشا في أيام ٢٠ - الملك عدلان الثاني.

٣ - الشيخ محمد كمتور وقد سميت هذه المشيخة أيضاً بالكماير نسبة اليه.

٤ - الشيخ ضرار اخوه وهو الذي قتله محمد عدلان آخر وزراء المهج.

ملكة فازو غلي: قامت في جنوبي مشيخة خشم البحر وامتدت من الرصيرص الى فدانبي وعاصمتها فازو غلي. قال كايو : وكان طولها ٣٠ غاوية ومن بلامها

المشهورة بلدة فداسي على نهر يابوس من فروع النيل الازرق يأتيها من الحبشة الخيل والحديد والسكاكين والفؤوس والفهود والمسل والبهارات ويأتيها من دار البربات التبز . ودين أهلها الاسلام ولقبتهم العربية إلا انه كان يسكن بينهم الكثير من سكان دار البربات وعبدت الاوثان وقد تولى هذه المملكة عائلة من سلالة الفونج وكان لباسهم كلباس ملوك الفونج وما كان يركب الخيل إلا هم . وهذه هي سلسلة ملوكها كما أخذتها عن ملكها الاخير الملك حسن عند تسليمه لاسماعيل باشا يناير سنة ١٨٢٢ :

سلسلة ملوك فازو غلي

أسماء الملوك	مدة ملكهم	أسماء الملوك	مدة ملكهم	حواشي كايو
١ كلاتح	٥٠	١٠ ادولا	١٥	
٢ عيني	٤٠	١١ مطر ابنه	١٦	
٣ ادريس ابنه	٣٠	١٢ فتقرو ابنه	١٦	
٤ جابر	١٥	١٣ قلبوس ابنه	١	قتله أخوه
٥ جابر الثاني ابنه	٢	١٤ قبو أخوه	٢	
٦ زنقر ؟	١	١٥ قببار	٥	
٧ روبا	٢	١٦ اموشث أخوه	١	قتله عدلان
٨ امبدي ابنه	٤	١٧ حسن بن مطر	١٢	عزله اسماعيل
٩ اتورو بن جابر الثاني	٣	مجموع ملكهم	٢١٥	

مشيخة الحدة : قامت على الدندر شرق مشيخة الكياتير ومركزها دبركي على الدندر وكان مشايخها يخاطبون بلفظ « مانجل » : كمشايخ العابدلاب .

مملكة بني عامر : قامت في الصحراء الشرقية بين البحر الاحمر وخور بركة شرقاً وغرباً وبين عقيق على البحر الاحمر وبلاد الحبشة شمالاً وجنوباً . وهي مؤلفة من اربع قبائل مختلفة وهي : البجة والخامر وبنو عامر والنابتاب .

قيل ان بني عامر جاؤوا من الحجاز فلكوا البجة والحاس ثم جاء النابتاب اولاد نابت من الجمليين وملكوم جميعاً فاتخذوا شياخة القبيلة ثم أعطاهم ملك سنار ككر وطاقيه فسموا ملوكاً ولغتهم العربية ولكنهم يعرفون رطانة البجة والحاس ورجال قبيلتهم يلقبونهم بلقب « دقلل » وهو بمثابة أرباب عند ملوك العرب . وقد كانوا يمهرون نساءهم من قبائل البجة والحاس فتسمت أكثر بدنائهم بأسماء مشايخ النابتاب وأما الذين لا شيخ لهم من النابتاب فقد حفظ فيهم اسم البجة . وكان يمتاز ملوك النابتاب عن رعاياهم بلبس أقراط من الذهب في الاذن اليمنى وزن كل منها نصف اوقية لا ينزعونها إلا يوم الوفاة

مملكة الحلانقة : الحلانقة قبيلة من البجة كما مرّ وأما هم فيدعون انهم من ذرية احمد الحلاق من قبيلة بني سعد مزين النبي ﷺ ولغتهم البيجاوية ومركزهم جبل كسلا على القاش وكان بينهم وبين الهدندوة وبني عامر منذ القديم حروب وغزوات . وقد كان كبير الحلانقة يلقب شيخاً كبير الهدندوة الى ايام الشيخ « عوض مسمار » الذي تزوج ببنت من العابدلاب (او الفونج) فألبسه ملك سنار طاقيه الملك لتعزير مقامه فبقي ملكاً الى الفتح المصري لتلك السنة ١٨٤٠ م .

الفصل الرابع

في

الممالك والمشيوخ التي خضعت للقونج بواسطة العابدلاب

معيخة الشلهة : قامت على النيل الازرق شمالي سنار ومركزها المسلية وأشهر مشايخها الشيخ شبول الذي قتل في ايام د ٢٠ - الملك عدلان الثاني ، كما مر .

مملكة المجموعية : امتدت في غرب النيل الكبير والنيل الابيض من عقبة قري الى التربة الخضراء ومركزها القيزان المنسوبة الى اولاد الملك المحينة . وكان أم فروعها الجميعاب والسروراب والفتيحاب وأقوام الجميعاب .

مملكة الجعليين : قامت في شمالي مشيخة العابدلاب على انقاض مملكة مروى القديمة بين حجر المسل والدامر ومركزها شندي وكانت مملكة قوية تولاهما فرع من الجعليين يعرف بالسعداب فكان منهم على رواية كايو ١٦ ملكاً حكموا سنة ٢٣٥ :

ملوك الجعليين في شندي حسب رواية كايو

أسماء الملوك	مدة ملكهم	أسماء الملوك	مدة ملكهم	حواشي كايو
١ سعداب دبوس	٢٠	٩ بشاره	٧	
٢ سليمان العمداد	٧	١٠ سليمان بن سالم	١٥	
٣ ادريس بن سليمان	٣٥	١١ سعد اخوه	٢	
٤ عبد السلام	١	١٢ ادريس الثالث	٢٠	٤ قتله فرنج سنار
٥ الفضل بن عبد السلام	١٥	١٣ سعد الثاني ابنه	٤٠	٥ قتله الجعليون
٦ ادريس الثاني اخوه	٦	١٤ مساعد ابنه	١٣	١٢٠٦ قتله الكرواجة
٧ دياب اخوه	١٢	١٥ محمد الملك	١٣	
٨ قنبلاوي	٣	١٦ نمر ابنه	١٧	١٦ عزله اسماعيل
		مجموع ملكهم	٢٣٥	

قيل وكان الملك ادريس الثالث أقوى فرسان زمانه وما بارز فارساً إلا غلبه . وقد ولد له ولدان محمد وسعد فبعد وفاته اقتسما الدار بينها فملك محمد البر الشرقي في شندي وملك سعد البر الغربي في المتمة وولد لمحمد ولد سماه نمرأ وللسعد ولد سماه مساعد فملك بعدهما نمر في شندي ومساعد في المتمة ودام ملكهما الى الفتح المصري .

وكانت شندي قبيل الفتح المصري من أهم مراكز التجارة في السودان وفيها سوق للرفيق يأتيه التجار من الحبشة وسنار وكردوفان ودارفور والبنكا وفرتيت . وقد وصفها كايو بأنها بلدة عامرة فيها نحو ٩٠٠ بيت و ٧٠٠٠ نسمة وبيوتها مربعة الشكل وكلها طبقة واحدة إلا بيت الملك فانه كان طبقتين ومطلياً بالجير . وكان عند الملك نمر نحو ٣٠٠ فارس واربعين عبداً مسلحين بالبنادق وهم رجاله الأخصاء ولكن كان اذا هاجمه عدو قام الجعليون كلهم لنصرته .

وقد اشتهر الجمليون في السودان بالفروسية واقتحام الاخطار ولهم وقائع معدودة مع الفونج والشايقية وقبائل البادية المجاورين لهم كالشكرية والكواهلة والبطاحين .

حكي ان الشكرية لما حشدوا جيوشهم لمحاربة الجمليين في زمن الملك نمر كما مرّ اجتمع شيوخ الجمليين من سن ستين فصاعداً وقالوا للشبان نحن نقاتلهم عنكم لأنه لم يبق لنا في الحياة مطمع فإن غلبناهم أرحناكم من شرهم وإن غلبونا فخذوا انتم بثأرنا . قيل فلما جاء الشكرية ورأوا الجمليين كلهم شيوخاً مسنين أدركوا الحيلة وتوسط العلماء في الصلح فصالحوهم وزوجوا الملك نمر بأخت ابي سن حبا بمصاهرتهم .

وكان من عادة الجمليين في ذلك الحين انه اذا وقع قتل في بلدة اجتمع سبع قبائل منهم بمشايعهم وفقهاءهم ومعهم القاتل وأهله وأهل المقتول ووقف اهل القاتل في صف وأهل المقتول في صف تجاههم على بعد مئة متر منهم ووقف القاتل وحده بين الصفين ثم ينظر المشايخ والفقهاء في أسباب القتل ويحكمون على القاتل بالعفو او القصاص فإن كان العفو حكوا عليه بالرحيل من البلدة حتى لا يراه اهل المقتول وحكروا على اهل بدفع الدية وهي الف ثوب من الدمور او ٣٠٠ الى ٤٠٠ ريال : « ابو نقطة » يدفعونها لأهل المقتول أقساطاً ربما دامت سنين .

مملكة الميرقاب : في شمالي الجمليين بين المقرن ووادي السنقيير ومركزهم بربر ولهم ككر وطاقيه وقد اشتهر الميرقاب بالكرم والنباهة كما اشتهروا بالشجاعة . وكان آخر ملوكهم الملك نصر الدين الذي حج الى بيت الله الحرام . قيل ان الحمج أسأروا اليه فذهب الى مصر وحرّض محمد علي باشا على فتح سنا انتقاماً لنفسه منهم .

مملكة الرباطاب : امتدت من وادي السنقيير الى الشاغبة فيما وراء ابي حمد وكان لهم ككر وطاقيه وكانوا في حرب دائمة مع الميرقاب الى ان كان الفتوح المصري .

مشيخة المناشير : امتدت من الشاخية الى الشلال الرابع ومركزها
السلامات .

مملكة الشايقية : قامت على أطلال مملكة نبتة القديمة وامتدت من الشلال
الرابع الى ابي دوم قشابي ومركزها مروى وهي مملكة عربية محضة . وقام
في شمالها مملكة الدفار ودنقلة والحدق وارغو وهي ممالك نوبية او عربية
متنوبة . وقد اشتهر الشايقية في السودان بالشجاعة وحب الغزو كما اشتهروا
بالضيافة والكرم وكانوا في حرب دائمة مع ملوك النوبة .

وفي أواسط القرن الثامن عشر للمسيح تجمعوا بنجيلهم ورجلهم وهاجوا
بممالك النوبة فتغلبوا عليهم جميعاً وخربوا دنقلة المجوز وقتلوا الكثير من أهلها
وتشتت من سلم منهم في الجهات فسكنوا بربر وشندي وفر بعضهم الى كردوفان
فامستوطنوها وصالحهم ملوك الدناقلة على جزية سنوية تساري نصف دخل بلادهم .
وكانوا هم يدفعون الجزية للملك سنار حتى قويت شوكتهم وأخضعوا دنقلة
فامتنعوا عن أداها .

الماليك : وفي أوائل القرن التاسع عشر قدم الماليك من مصر فارين من
وجه محمد علي باشا فنشبت بين الفريقين حرب دامت الى الفتح المصري .
وتفصيل ذلك ان محمد علي باشا بعد ان نكل بالماليك في تلمة القاسرة على ما
هو مشهور في تاريخ مصر فر من بقي منهم في البلاد الى الصعيد وتحصنوا
بجبال اسنا فتبعهم ابراهيم باشا اليها فانهزموا امامه الى السودان فمنهم من ذهب
بطريق الصحراء الى شندي وسنار وهم القليل وذهب اكثرهم بطريق النيل
وابراهيم باشا يطاردهم حتى وصلوا الى كشتمنه فصمدوا له وحاربوه فهزمهم
الى ابريم فتحصنوا في قلعتها فشدد عليهم الحصار فخرجوا منها واستطردوا
انهزامهم جنوباً حتى أتوا جزيرة ارقو وكان عددهم نحو ٣٠٠ نفر ومعهم ٣٠٠
عبد بسلاحهم فرأوا محمود العادلاناب من رؤساء الشايقية سقيماً في ارقو لجمع
الجزية فقالوا له انهم سائرون الى ملك سنار فأضافهم وأكرم مثواهم مدة شهر
ثم اتفقوا مع رجل من عائلة الزبير المالكة في ارقو وغدروا بمحمود وقتلوه

وقتلوا الكثير من حاشيته وانتشروا في البلاد يجمعون ما كان مجموعاً للشايقية من الاموال وكان ذلك سنة ١٨١٢ م .

وفي يناير سنة ١٨١٣ تجهزوا وساروا لغزو الشايقية في مروى فسلط علم الشايقية بذلك أرسلوا فرقة من رجالهم بطريق الصحراء فأثوا المالك من وراء فقتلوا من بقي من اتباعهم في الحندق وارقوا واضطروهم الى الرجوع عن الغزو فنزلوا في مراغة وبقوا فيها الى ان جاء اسماعيل باشا فاتحاً فمنهم من سلم له في الحال ومنهم من فرّ من وجهه الى شندي فسلم هناك وسيأتي ذكرهم بعد .

مملكة الدقار : قامت في حلة الدقار المار ذكرها ودامت الى ما قبل الفتح المصري بقليل اذ خربها الشايقية وطردها اهلها منها الى جزيرة قانتي حيث لا يزال ذريتهم الى اليوم . وفي الدقار آثار قلعة قديمة وكنيسة من بقايا نصارى النوبة .

مملكة دنقلة العجوز : قامت على انقاض مملكة نصارى النوبة منذ أوائل القرن الرابع عشر للمسيح فاستمرت الى ان خربها الشايقية قبيل الفتح المصري ومن آثار الابلام جامع قائم فوق كنيسة قديمة لنصارى النوبة وفي واجهته حجر مكتوب عليه اسم فاتح دنقلة وتاريخ افتتاحها وقد مر ذكره . قيل ان مؤسسها هو جدّ مرغني ود سوار الذهب الذي اشتهر في تاريخ الثورة المهدية .

مملكة الحندق : قامت في حلة الحندق ومن آثارها جامع قائم على انقاض جامع آخر بني على انقاض كنيسة من عهد نصارى النوبة .

مملكة الخنثاق : مركزها حلة الخنثاق وبقربها الآن آثار قصر فخيم لأحد ملوكها المدعو ود غير قيل وكان ملوكها من ذرية الفونج .

مملكة ارقو : قامت في جزيرة ارقو على انقاض مملكة قديمة من زمن الجاهلية فحكم فيها عائلة عرفت بعائلة الزبير لا تزال ذريتها باقية الى الآن وأكبرهم في هذا العهد الملك طنبل والملك محمد ود الملك اللذان اشتهرا في الثورة المهدية .



محمد بك الملك
من سلالة مارك ارقو

ومملكة ارقو هي أقصى الممالك التي خضعت للفونج من جهة الشمال أما البلاد بينها وبين الشلال الاول فقد تولاهما الكشاف الاتراك على ما سيجيء . وأشهر ما في البلاد الآن من آثار مملكة سنار «القبب» فقد عدّ لي بعضهم ستين قبة قامت على مدافن الأولياء الصالحين وأكثرها تزار الى اليوم وقد ذكرنا الكثير منها فيما مر . اما قصر الملك بادي في سنار فلم يبق له من أثر . وقد عرفت مملكة سنار في السودان بالسلطنة الزرقاء تمييزاً لها عن السلطنة الحمراء وهي حكومة مصر .

ملحق

في

تاريخ الكشف الأتراك

في سكوت المحس :

تقدم ان السلطان سليماً الفاتح بعد ان فتح مصر أرسل سرية من العساكر الى بلاد النوبة سنة ١٥٢٠ م فلكوها الى الشلال الثالث . وقد مر بنا عن ابن خلدون ان احياء العرب من جهينة بعد الفتوح الاسلامي للنوبة السفلى سنة ١٣١٨ م انتشروا فيها فكانوا شيعاً . ويظهر انه سكن بين الشلال الاول والثاني عرب الجوابرة من ذرية جابر الانصاري والغربية . وهم فرع من الزناتية والكنوز جاؤوا من نجد والعراق فكنوا بين الشلال الاول والسبوع ولذلك عرفت هذه البلاد ببلاد الكنوز الى اليوم . وسكن في بلاد سكوت بين الشلال الثاني وجبل دوشة بعض الاشراف . وفي المحس بين جبل دوشة والشلال الثالث قوم ينتسبون الى عرب قريش وقد أسسوا مملكة في جبل سامي دامت الى الفتوح المصري كما مر . وكان ملك المحس في ايام الفتح المصري الملك صبير جد الملك صبير كبير المحس في هذه الايام .

وقالوا في سبب دخول المساكر التركية الى النوبة ان الجوابرة استقوا على الغربية فأرسل هؤلاء رسلاً الى السلطان سليم فبعث معهم سنة ١٥٢٠ مصرية من عساكر بوسليخ تحت قيادة حسن قوسى فطردوا الجوابرة الى دنقلة حتى لم يبق منهم إلا القليل في حفا والدرد فرموا القلاع القديمة في اسوان وابريم وساي وأقاموا فيها .

ولما كانت البلاد لجذب ارضها لا تخرج من الاقوات ما يكفي المساكر فقد منعهم السلطان سليم هم وذريتهم من بعدم عدة امتيازات منها انه أعفاهم من دفع الضرائب على اطيانهم ومنح كل حامية صرة تجري عليها في كل سنة من خزينته السلطان بمصر فكانت صرة ابريم وحدها اربعة اكياس أي نحو ١٠٠ جنيه .

وكان قوسى حسن قومنداناً للمساكر وحاكماً مستقلاً على النوبة إلا انه كان يرسل الجزية الى حاكم مصر وقد ضرب على كل ساقية ٢٤ مدأ نوبياً من الحبوب و ١٢ ثوباً من نسج النوبة المسمى قونجي . ومات حسن قوسى فتولت ذريته حكم النوبة من بعده وجعلوا عاصمتهم الدرد فعرفوا بالكشاف الغز .

ثم ان الفونج بعد ان اخضعوا النوبة العليا سنة ١٥٠٥ طمعوا بالنوبة السفلى ففتحوها الى الشلال الثالث وأرادوا التقدم شمالاً قليل وكان الحاكم من الغز في ذلك الزمان ابن جنبلان فلما سمع بقدم جيش الفونج الى بلاده جهز جيشاً عرمرماً ووقف لهم على الحدود قرب حنك فالتقى الجيشان وحدثت مقتلة عظيمة انتصر فيها جيش الغز انتصاراً عظيماً فردوا جيش الفونج على أعقابهم خاسرين بعد ان ملأوا الارض من قتلام . قليل واجتمع الدم في بركة هناك فسمي المكان بحوض الدم وبنوا فوقه قبة فجعلوها حداً بينهم وبين الفونج . وهذه القصة مشهورة عند عموم أهالي دنقلة والمحس .

هذا وما زالت ذرية حسن قوسى حكاماً للنوبة مستقلين عن مصر في ما عدا الجزية التي كانوا يدفعونها الى حاكم مصر وقلما دفعوها الى الممالك ولكنهم دفعوها الى محمد علي باشا الذي كان يحاسب بها الباب العالي .

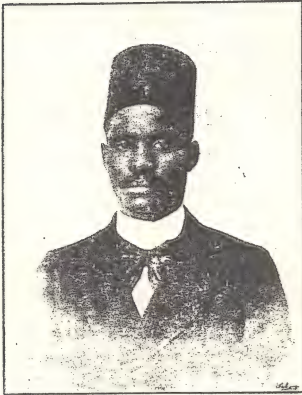
وكان على النوبة عند قدوم اسماعيل باشا لفتح سنار حسين ابن سليمان كاشف فازاد ان يجمع رجاله ويصده عن التقدم فلم يوافق اخوه حسن في هذا الرأي ففرّ حسين بعبيده (وكانوا نحو ٣٠٠ عبد) الى كردوفان ولجأ الى المقدوم مسلم وحارب معه عند قدوم الدفتردار فاتحاً ولما قتل المقدوم مسلم فرّ حسين ومعه حرم المقدوم وخزيلته الى سلطان دارفور فتزوج بابنة السلطان ولا تزال ذريته هناك الى اليوم .

وولى اسماعيل باشا حسناً على البلاد من اسوان الى حلفا وأنعم عليه ب ٢٩٣ فداناً و ٦ اكياس دراهم . وكان الكاشف قبل الفتح المصري يتزوج من بنات النوبة قدر ما شاء ففتح اسماعيل باشا ذلك ووضع على كل ساقية ٥٠ غرشاً ما عدا ال ٢٤ مدأ نوبياً التي أبقاها للكاشف وكان كبير كل قبيلة من الكشاف مسؤولاً عما يطلب للحكومة من أبناء جنسه والنوبة . وبقوا على ذلك الى ان قامت الثورة المهدية في السودان وصارت البلاد تحت الحكم العسكري فتوقف النوبة عن تقديم ال ٢٤ مدأ نوبياً للكشاف فبطل نفوذهم .

وبعد وفاة حسن كاشف تعين ابنه سليمان ناظر القسم وخلفه اخوه محمد ولم تزل الاراضي التي وهبهم اياها اسماعيل باشا بيد كبير ذريتهم محمد ابن سليمان كاشف الى هذا العهد .

هذا في حسن قوسى وذريته اما عساكره فلم تزل ذريتهم مقيمة في اسوان وابريم زساي وقد اختلطوا بعرب الجواربة والغربية فتزوجوا منهم وتعلموا لغة النوبة ونسوا لغتهم ولكنهم ما زالوا متميزين عن النوبة الاصليين في الهيئات والاخلاق الى اليوم .

وأهم ما في بلاد سكوت والمسن من آثار هذا العهد قلاع متهدمة من الطوب الني والحجر الخام قائمة على تلال مرتفعة في حزر النيل أو على شاطئيه وبعض هذه القلاع عبارة عن حوش كبير يحاط بسور منيع ارتفاعه نحو خمس عشرة ذراعاً وعرض أساسه نحو ثلاث اذرع وللور أربعة أبراج في كل ركن برج علوه نحو خمسين ذراعاً يصعد الى أعلاه بسلم . وقد شاهدت بعض هذه



الأمير عبد الحميد
نجل السلطان إبراهيم سلطان دارفور الأخير

القلاع في الحملات النيلية فسألت شيوخ أهل البلاد عنهم فقالوا كان الأهليون قبل الفتح المصري في انشقاق دائم ودأبهم شن الغارة بعضهم على بعض فكانت كل قبيلة تبني قلعة تعرف باسم دفتي حتى اذا ما أغارت عليها قبيلة اخرى جمعت نساءها وأولادها وبهاثها وأموالها وحبوبها الى جوش القلعة وصعد الرجال الى الابراج ورموا العدو بالقلاع والنشاب او خرجوا له وقاتلوه بالنبايت والحراب والسكاكين وخرج معهم النساء يحملن لهم الزاد ويمسكنهم على القتال فلما كان الفتح المصري عم الامن البلاد فلم يعد لهذه القلاع من داع فأهملت وأدركها الخراب .

وقبل التقدم الى الفتح المصري نأتي على تاريخ دارفور القديم .

الباب الخامس

في

تاريخ النوبة في عهد النصرانية

منذ اول نشأتها الى الفتح المسمى أي منذ سنة ٨٤٨ : ١٢٩١ هـ - ١٤٤٥ : ١٨٧٥ م

تمهيد في اصل سلطنة الفور

لقد أجمعت التقاليد السودانية على ان سلطنة الفور هي من اصل عربي والذي عليه البعض وتدعيه سلاتهم الى اليوم انهم من بني العباس . ولهم في ذلك رواية لطيفة تختلف في التفصيل بحسب الرواة وتتفق في المغزى . وأشهر ما رووه ان الامراء العباسيين بعد انقراض دولتهم ببغداد سنة ٨٢٣م ١٤٢١م تفرقوا في بلاد المشرق فذهب منهم شقيقان الى تونس الغرب ومعها نفر من الاعراب وكان اسم اكبرهما علياً وأصغرهما احمد سفيان وكان علي متزوجاً بامرأة ذات جمال واحد سفيان عازباً ولكنه كان آتياً في الجمال فأحبته امرأة اخيه حباً لم يسمها معه الكتمان فكاشفته بحبها فأنكر عليها ذلك وعذلها ولكنه وعدما ان يكتم مرها أما هي فاشتعلت غيظاً من إباءه وعزمت على الانتقام منه فأتت زوجها ذات يوم وقالت اني جئت بك بأمر جليل لا يحسن كشفه فأقسم لي انك لا تبوح به لأحد فأقسم لها فقالت ان شقيقك احمد يرادني عن نفسي وانا أنتهره وأزجره وهو لا ينزجر فعظم هذا الخبر جداً على علي واغتم لأجله غماً شديداً ولكنه لم يصدق ما قالت امرأته على علاقته لأنه كان يحب أخاه حبة فائقة ويشق بعفائه وشهامته فبقي مرتاباً في الأمر . وكان احد لما رأى ان امرأة اخيه استاءت منه جعل يتلطف لها ويترضأها فرأى اخوه منه ذلك فقوي الريب فيه وصدق ما قالت له زوجته فاسودت الدنيا في عينيه وكره أخاه وزوجته والارض التي كان نازلاً فيها فأمر ان

شأن السودان

تقوض خيامهم ورحلوا من تلك الارض وتأخر في الطريق مع أخيه وهو يفكر بالذي يفعله فأبت نفسه ان يكشفه بسر زوجته ولم يطاوعه قلبه على قتله فقرر رأيه ان يعقرة برجله فيسمه بوسم يؤنبه ما دام حياً فاستل سيفه وفاجأه بضربة في رجله اليمنى فمقربه وتركه يسيل منه الدم ولحق بقومه . وأدرك احمد سفيان سبب غدر أخيه به ولكنه كان من الأنفة على جانب عظيم فلم يفه ببنت شفة بل صبر على الضم وجلس ينتظر الموت والدم ينزف من عقر رجله ولهذا سمي احمد سفيان المعقور . ثم علم به عبيده وخاصته فاجتمعوا حوله وعالجوه حتى برى جرحه فصار بهم بطريق الصحراء مهاجراً بلاد تونس حتى أتى جبل مرة من اعمال دارفور .

وكان في ذلك الجبل أمة من شبه السود يقال لهم الفور ، عليهم ملك منهم يسمى شاو دورشيت فكان هذا الملك عريقاً في الهمجية ولكنه كان كريم الطبع حسن النقد فلما علم بقدوم احمد أحضره لديه فأعجبه عقله وأدبه فعهد اليه في تدبير منزله وسياسة مملكته فأحسن احمد السياسة وعلم رجال حاشية الملك آداب السلوك ثم التفت الى المملكة فنظم أحوالها وأصلح امورها فأحببه الملك حباً شديداً ولم يكن له إلا بنت واحدة فزوجها بها فولدت له ولداً سماه سليمان فشب ثاقب الفكر سديد الرأي حسن السياسة محباً للخير والاحسان فأحبه اهل الجبل وألقوه . وتوفي ابوه احمد سفيان في حياة جده السلطان شاو دورشيت ثم توفي جده فنادى به اهل الجبل والعقد باجتماع الكلمة سلطاناً عليهم وبايعوه على السمع والطاعة وكان ذلك سنة ٨٤٨ هـ ١٤٤٥ م فأقام في عاصمة حده في جبل مرة وكان اول سلاطة السلاطين العربية الذين تولوا دارفور نحو ٤٤٣ سنة الى ان دخلت في حوزة الحكومة المصرية الحديثة عن يد الزبير رحمت باشا كما سيجيء .

هذه هي رواية اهل السودان في أصل سلطنة الفور وهي لا تخرج عن حد الروايات الموضوعية التي يكثر امثالها في السودان فانه ما من قبيلة او مملكة عربية اشتهرت في السودان إلا رجعت في نسبها الى النبي او الى عذبة او من

اتصل بهم . وفي المشهور ان دارفور كانت في ذلك الزمن سلطنات متفرقة من
 السود وشبه السود وفي جملتها سلطنة الفور في جبل مرة وكان العرب المسلمون
 قد هاجروا اليها من مصر او تونس او الحجاز او منها جميعاً وملأوا مدنها
 وبواديها ولم يكن لهم سلطان واحد يرجعون اليه بل كانوا قبائل شتى تحت
 حكم سلاطين البلاد الاصليين فلا يبعد ان يكون سلطان الفور في ذلك الحين قد
 أعجب بنجاجة شاب من شبان العرب العريقين في النسب فزوج به ابنته فولدت
 منه سليمان فأسس السلطنة التي فيها كلامنا . على ان عامة اهل دارفور يرجعون
 في أنسابهم الى ابي زيد الهلالي الذي اشتهر في تونس .

الفصل الاول

في

تاريخ سلاطين الفور

١ - السلطان سليمان الاول سنة ٨٤٨ : ٨٨٠ هـ - ١٤٤٥ : ١٤٧٦ م

هو رأس سلاطين الفور المار ذكره . قيل انه لما تولى السلطنة لم يكن في جبل مرة مساجد للعبادة فبنى المساجد وأقام صلاة الجمعة والجماعة ثم شرع في ضم كلمة المسلمين واستعان بعرب البادية المنتشرين في البلاد فأخضع ملوك شبه السود المحيطة بجبل مرة الى سلطانه وعلمهم دين الاسلام . وأخضع بعض ملوك السود البعيدين عن جبل مرة فبقوا على الوثنية . فأصبحت دارفور كلها سلطنة واحدة لمن يتولاها من ذرية السلطان سليمان الى يوم انقضائها .

وكان جملة الذين خضعوا للسلطان سليمان وبقوا الى عهد خراب السلطنة ٢٧ ملكاً سبعة مجوس من السود والباقون مسلمون من شبه السود .

أما سلاطين المجوس فهم سلاطين كاره ودينقو وفنقرو وبنه وباه وفروقي وشالا وكلهم في بلاد فرتيت الى الجنوب الغربي من دارفور .

وأما ملوك المسلمين فهم : البرقد والتنجر وكبقه والميمه والمسبعات في

الشرق من جبل مرة . والمراريت والعورة وسميار والمساليت والقمر وثامه
والجبلاويين واب درق وجوجه وأسمور في الغرب والشمال الغربي . وزغاوه
كبا والميدوب في الشمال والشمال الشرقي . والبيقو والداجو ورتقا في الجنوب
والجنوب الغربي .

ذلك ما عدا القبائل العربية الذين جمع كلمتهم واستنصر بهم وأهمهم : الهبانية
والرزقات والمسيرية والتعايشة وبنو هلبة والمعالية في الجنوب . والحمر في
الشرق ، والزيدية في الشمال ، والمهامية والحاميد وبنو حسين في الغرب .

وكانت مدة السلطان سليمان ٣٢ سنة هـ وجاء بعده من سلالة :

٢ - السلطان عمر ٨٨٠ : ٨٩٧ هـ - ١٤٧٦ : ١٤٩٢ م

٣ - السلطان عبدالرحمن ٨٩٧ : ٩١٦ هـ - ١٤٩٢ : ١٥١١ م

٤ - السلطان محمود ٩١٦ : ٩٣٢ هـ - ١٥١١ : ١٥٢٦ م

٥ - السلطان محمد صول ٩٣٢ : ٩٥٧ هـ - ١٥٢٦ : ١٥٥١ م

٦ - السلطان دليل ٩٥٧ : ٩٦٧ هـ - ١٥٥١ : ١٥٦٠ م

٧ - السلطان شرف ٩٦٧ : ٩٩١ هـ - ١٥٦٠ : ١٥٨٤ م

٨ - السلطان احمد ٩٩١ : ١٠٠١ هـ - ١٥٨٤ : ١٥٩٣ م

٩ - السلطان ادريس ١٠٠١ : ١٠١٣ هـ - ١٥٩٣ : ١٦٠٥ م

١٠ - السلطان صالح ١٠١٣ : ١٠٣٥ هـ - ١٦٠٥ : ١٦٢٢ م

١١ - السلطان منصور ١٠٣٥ : ١٠٤٨ هـ - ١٦٢٢ : ١٦٣٩ م

١٢ - السلطان شوش ١٠٤٨ : ١٠٦٨ هـ - ١٦٣٩ : ١٦٥٨ م

١٣ - السلطان ناصر ١٠٦٨ : ١٠٨٠ هـ - ١٦٥٨ : ١٦٧٠ م

١٤ - السلطان توم ١٠٨٠ : ١٠٩٤ هـ - ١٦٧٠ : ١٦٨٣ م

١٥ - السلطان كوبرو ١٠٩٤ : ١١٠٦ هـ - ١٦٨٣ : ١٦٩٥ م

١٦ - السلطان سليمان الثاني ١١٠٦ : ١١٢٦ هـ - ١٦٩٥ : ١٧١٥ م

ومن الرواة من لا يعترف بالسلطين السابقين لهذا السلطان ويؤكدون انه هو اول سلاطين الفور بعد ان سرى الدم العربي فيهم ويلقبونه بسلطان صولون أي العربي وينسبون اليه كل ما نسب الى السلطان سليمان الاول ويحملون
 ١٥ - السلطان كورو ، في مكان شاور دورشيت ويؤيدون قولهم بأختام سلاطين الفور المتأخرين كختم السلطان ابراهيم الاخير والسلطان حسين من قبله فان نسبتهم في اختتامهم تنتهي الى السلطان سليمان الثاني هذا كما سرى. ولكن الامام الذي أخذنا عنه سلسلة سلاطين الفور ومعظم تاريخهم يؤكد ان اختتام السلاطين الاول ترجع نسبتهم في اختتامهم الى ما وراء السلطان سليمان الثاني وان لقب صولون هو لسليمان الاول وقد نسبوه الى سليمان الثاني جهلاً .

١٧ - السلطان موسى ابنه ١١٣٦ : ١١٣٨ هـ - ١٧١٥ : ١٧٢٦ م

وكان على مثال أبيه في العدل والاحسان .

١٨ - السلطان احمد بكر ابنه ١١٣٨ : ١١٥٨ هـ - ١٧٢٦ : ١٧٤٦ م

وقد اشتهر بكثرة الاولاد قيل كان له نحو مئة ولد .

١٩ - السلطان محمد دؤره ابنه ١١٥٨ : ١١٧٠ هـ - ١٧٤٦ : ١٧٥٧ م

ولم يكن أكبر أخواته بل كان ثانيهم فقتل أخاه الأكبر ليخلو له الملك فلما ملك شرع في قتل باقي اخوته ليخلو الملك لأولاده من بعده قيل فلما رأى نساء أبيه انه شرع في قتل اخوته جعلن لأولادهن الذكور « كنافيس » وألبسنهم لبس البنات ليحببنهم عن عينه ومع ذلك فقد قتل منهم نحو الخمسين .

٢٠ - السلطان عمر الثاني ابنه ١١٧٠ : ١١٧٧ هـ - ١٧٥٧ : ١٧٦٤ م

وكان من اعدل سلاطين الفور وأشد م محافضة على الكتاب والسنة . وما يروى عن عدله انه بعد توليه الملك بثلاثة أيام خرج الى مجلس خاصته وسألهم أن يولوا احد أعمامه في مكانه قال لأن طاقية الملك يعني بها مسؤولية الملك ثقيلة فرفضوا ذلك بتاتا وأبوا إلا ان يكون هو السلطان فقال لهم اذا انتظروني

اسبوعاً فأخبركم بما أريد فخلا اسبوعاً في منزله ثم خرج ومعه قرون من الخشب تمثل قرون الغنم والبقر وقال لهم أريد ان يعم الأمن ويبطل التمدي حتى تسلم ماشية أضعف النساء وتتمو قرونها فتصير مثل هذه القرون . ثم التفت الى الى الحكام وقال أريد ان تعدلوا في الرعية لكي لا يخيء احد منهم اليّ بشكوى . فلم يرض إلا القليل حتى جاءت الشكاوي على ٣٠ عاملاً من المقاديم والشراتي والجنود فأحضرهم اليه ولما تحقق ظلمهم أمر فذبحوا عند بابي داره ١٥ منهم عند باب الحرم و ١٥ عند باب الرجال فوقعت الرهبة في قلوب الجميع وانقطع الظلم . قيل وقد بارك الله في البلاد بسببه حتى أتامت الابل والبقر والحجر وغزت الينابيع في جبل مرة وجرت الأنهار فلقب بسرف أي الماء الجاري .

٢١ - السلطان ابو القاسم عمه ١١٧٧ : ١١٨١ هـ - ١٧٦٤ : ١٧٦٨ م

قيل وفي ايامه خرج رجل عربي صالح من كردوفان يسمى عبد الكريم الى دار ودائي وكانت اذ ذاك بيد التشجر فاغتصبها منهم وكانوا قبلاً يدفعون الجزية الى سلاطين الفور فلما تولى عبد الكريم أبى دفع الجزية فجرد السلطان ابو القاسم جيوشه عليه وواقعه واقعة شديدة ولكن اختلفت كلمة جيشه فنزل بنفسه الى ساحة القتال فجرح وانقلب راجعاً الى دارفور فمات في دار تامة فحمله رجاله ودفنوه في مدفن أجداده في جبل مرة وخلفه :

٢٢ - السلطان تيراب اخوه ١١٨١ : ١٢٠١ هـ - ١٧٦٨ : ١٧٨٧ م

وكان له ثلاثون ولداً ونيف من الذكور البالغين ما عدا الصبيان والبنات وقد أطلق لهم العنان فتفرقوا في البلاد يعيشون ويفسدون وما تركوا شيئاً نقيماً عند احد إلا اغتصبوه منه وكان احدهم مساعد لا يتحرك إلا راكباً على ظهور الرجال فكان اذا أزداد الانتقال من بلدة الى اخرى انتفى عدداً من رجالها الأشداء فحملوه بالتناوب الى الحمل الذي يقصده حتى ضاقت نفوس أهل دارفور منهم ورفعوا الشكوى الى أبيهم فما أصغى اليهم وقال اني لأعجب

كيف ان رعيقي لا تصبر على اولادي فاذا اتوا اقل شيء لا يرضيهم شكوم الي ! فامتنع الناس عن الشكوى وسلموا أمرهم الى الله .

وكان اسحق أكبر أولاده أنجبهم وأحبهم اليه فأطلق عليه اسم الخليفة لأنه أراد ان يرشحه للملك بعده وجعل له حاشية من الوزراء والأتباع مثل حاشيته فجعل أبناء وزرائه وأبناء أتباعه أتباعاً لابنه وكان له زوجة يحبها ويراعيا ولها ابن منه يسمى احد فطلبت اليه ان يرشح ابنها للسلطنة بدلاً من اسحق فقال لها تيراب نمتحن الاثنين امامك فالذي نجده أفرس من أخيه نرشفه للسلطنة فرضيت ام احد بذلك فبعث السلطان في طلب الاثنين الى غرفته الخصوصية وكان للغرفة بابان باب للرجال وعليه أسدان مقيدان بالحديد في كل جانب اسد وباب للحريم ليس عليه شيء فلما اقترب الولدان من باب الرجال نظر احد الى الاسدين فتحول عنها ودخل من باب الحريم وأما اسحق فانه دخل من باب الرجال بين الاسدين وكان دخوله حبواً على عادة الدخول الى السلطان فزق الاسدان ثيابه وشرطاً جسمه بأظافرها وما يلاعبانه كمادة الاسود الأليفة فلم يعبا اسحق بهما ودخل على ابيه فلم عليه وكذلك سلم عليه احد فسألها بعض الأسئلة ثم أمرها بالانصراف فخرج كل منها من الباب الذي دخل منه وكانت ام احد جالسة مع السلطان تشاهد ذلك فالتفت اليها السلطان وقال من منها يستحق الخلافة ويؤمن على الملك قالت « لا والله ابنك اسحق فانه رجل وأما ابني فقد أخجلني » .

وكان كرسي سلطنة الفور الى هذا العهد في جبل مرة فنقله السلطان تيراب الى بلدة شوية قرب كبيكية حيث بنى منزلاً فاخراً ومسجداً فضيماً من الطوب الاحمر وأقام فيها آمناً مطمئناً حتى خرج عليه المسبعات في كردوفان فجهز لقتالهم .

أما المسبعات ففي المشهور انهم هم وسلاطين الفور من جدٍ واحد قيل ان السلطان سليمان صولون المتقدم الذكر لما تولى دارفور كان له أخ يدعى مسبع فتولى كردوفان وتعاهد الاثنان على ان يقتع كل منهما بملكه فلا يطمع بملك

الآخر فعاشا بسلام وأمان الى أن توفيا ودام هذا الحال في أبنائها الى أيام السلطان تيراب . وكان من ذرية مسبع على كردوفان في ذلك الوقت السلطان هاشم وكان شجاعاً محباً للخروب والغزوات فغزا السروج والعرب البادية الذين على حدود دارفور فقهرهم فسوّلت له نفسه اخضاع دارفور فجمع جيشاً من السود مؤلفاً من عشرة آلاف مقاتل وجيشاً آخر من العرب الدناقلة والكبابيش والزريقات وبدأ بشن الغارة على حدود دارفور فقتل وغنم وسبى فلما علم تيراب بذلك كتب اليه ما معناه :

« الى ابن العم المكرّم السلطان هاشم سلطان كردوفان أعزّه الله :

أما بعدُ فاني لا أعلم السبب الذي يحملك على غزو بلادي مع ما هنالك من صلاة القريبى وعلاقات المودة التي تربطنا ولم يكن مني ما يكدر صفاءها وأنت تعلم ان هؤلاء الذين تغزومهم هم مسلمون مثلك يعبدون الله ورسوله وما من عاقل يفعل ما انت فاعل فعند وصول كتابي هذا ارجو ان تكف عن المداء وفقاً بالرعية . وتذكر ان الظالم ينال جزاء فعله والسلام » . فلم يلتفت السلطان هاشم الى هذا الكتاب بل عاد الى ارسال السرايا لغزو الحدود فتيقن السلطان تيراب اذ ذاك انه لا يرجع الا بالسيف فجهز لقتاله بكل قوته وآلة حربه ولم يشأ ان يخلي العاصمة من السكان فأعتق مئة عبد بنسائهم وأمر رجاله فأعتق كل منهم عبداً او اكثر بنسائهم وجعل اكبر عتقائه حاكماً على المدينة وعتيق إمامه الحاج عبد الغني إماماً للمسجد ونهض بجميع جيوشه قاصداً كردوفان فنزل بمحل يقال له ريل في بلاد البرقد وبني له زريبة من شوك وبني في داخلها منازل من الطين وشرع في الاستعداد للحرب .

وجرى للسلطان تيراب وهو يتأهب للحرب في ريل حكاية مع احد البرقد تستحق الذكر قالوا خرجت جارية من جوارى السلطان الى بشر قريبة من الزريبة لتستقي فראها رجل من البرقد فهم بها وطلب حضانتها في منزلها على جاري عادة اهل تلك البلاد فقالت له ومن أين لك ذلك وأنا في زريبة السلطان قال دليني على محلك في الزريبة . وأنا أعلم كيف أدخل اليه فدلته ولما جن

الليل جاء الى الزريبة واقتلع الشوك من بعض جهاتها البعيدة عن الحفراء وذهب الى حيث دلته الجارية وجلس ينتظر قدومها فاتفق ان السلطان خرج في ذلك الوقت من مخدعه يتمشى في الزريبة فرأى الرجل امام باب الجواري فقال له من انت ايها الرجل وما جاء بك الى هذا المكان فأخبره بقصته على التام فطلب تيراب الجارية فحضرت وهي ترتعد خوفاً فأتمتها وسألها عن الحقيقة فأجابته بما قاله الرجل فلما تحقق خبرها سمح لها بالمحاضنة . وفي الغد عقد مجلساً من كبار دولته وقص عليهم خبر الرجل وطلب الحكم عليه فحكم البعض بقتله والبعض بسجنه والبعض بجلده فقال السلطان : رأيي على الضد من رأيكم فان مثل هذا الرجل لا يقتل كأنه نعمة او دجاجة ولا يهان بسجن او يجلد بل يرعى للحروب والقتال فانه لو لم يكن شجاعاً مقداماً لا يعرف الخوف ما أقدم على الدخول الى منزلي بهذه الجرأة وفي الحال أمر له بجواد وآلة حرب وعبدین وزوجه بالجارية وجعله في مصاف فرسانه .

وقد طالبت إقامة السلطان تيراب في ريل مصابة للسلطان هاشم لعله يرتدع عن شن الفارة فما زاده ذلك الا تقادياً في غيبه فتحسن ثلاثة من فرسان السلطان تيراب فركبوا خيولهم وأتوا الى النحاس فصريره وجمعوا الناس للحرب بلا استئذان السلطان وكان الوقت العصر فلبس السلطان عدة حربية وركب جواده وبعث الى مكان النحاس فسأل الفرسان عن الخبر فقالوا ان نحاس السلطان هاشم أقر آذاننا ونحاسنا ساكت فلم يعد لنا صبر على هذه الحال فلما انت نكثت نحاس السلطان هاشم ونردعه عن البغي او نموت في هذا السبيل فقال السلطان تيراب اتبعوني إذا فتبعوه ولحق بهم الجيش فاستمر السلطان سائراً والجيش يتبعه الليل كله الى طلوع الشمس فتقدم احد الوزراء الى السلطان وقال له يا مولاي ان الجيش أنكه التعب ولم يذق زاداً فلم يصغر السلطان اليه وواصل السير الى العصر فتقدم اليه وزير آخر وقال يا مولاي ان الجيش قصر عن السير حتى الفرسان فوضع يده تحت فخذيه وأخرجها ملوثة بالدم وقال انظر ما جرى لي ولم أتضجر وعاد الى متابعة السير فتقدم اليه إمامه

الحاج عبد الغني وقال له يا امير المؤمنين فاتساخته اوقات من الصلوات المفروضة علينا ديناً فان كنت لا تقف شفقة على نفسك والجيش فلا بد من وقوفك لأداء فرض ربك في الصلوة. فوقف السلطان اذ ذاك وقال لقد أوقفتي بالرغم عني يا حضرة الامام. وكان على مقربة من بئر تولو فنزل عندها واستأنف الاستعداد للحملة على كردوفان فجمع عربان البادية القاطنين بلاد دارفور من إيتالة وبقارة وأمرهم بمرافقة الجيش بما معهم من الابل والبقر لحمل الذخائر والمؤن فعهد الى الابالة حمل الماء والجبوب والى البقارة حمل باقي المؤن من العسل والسمن .

ولما أتم استعداده ترك ابنه اسحق وكيلا عنه في ريل وسار هو لقتال السلطان هائم يحيش كثيف بهيشة مربع هائل في طبيعته دادات السلطان حاملين الفؤوس لقطع الاشواك والاشجار وتمهيد طريق الجيش . وفي ساقته مقدم الغرب ، وفي ميمنته مقدم الصعيد ، وفي ميسرته مقدم الشمال ، وفي القلب القوات الآتية على الترتيب . عافظ العاصمة ومعه الموظفون الملكيون من وراء دادات السلطان الذين في طبيعته المربع ، ثم قبيلة السروج حاملين الحراب والدوق ، ثم قلعة السلطان من امامه حملة النبابت ومن ورائه الياروان حاملين الحراب المكسوة بأكياس من الجوخ الملون وعن يمينه الوزراء والملوك وعن يساره اولاده وأولاد السلاطين السابقين ، ثم حريم السلطان يحيط بهم الغفر من الاغوات وعليهم « ابو شيخ » مقدم الشرق رسماً ، ثم حريم كبار الجيش وأغواتهن . ثم حملة العربان حاملين المؤن والذخائر امام مقدم الغرب الذي في ساقه المربع .

وكان السلطان هائم قد علم بمقدم السلطان تيراب يحيش كثيف لا قبل له بمحاربتة وتفرق عنه اكثر رجاله فقر « بحاشيته وعائلته والتجأ الى ملك سنار . فسار السلطان تيراب في أثره حتى وصل قرب ام درمان فقابله جيش المابدلاب من قبل ملك سنار قاصدين منعه عن النزول الى النيل فأوقع بهم واقعة عنيفة وكسرم شر كسرة فحملوا نحاسهم المسمى بالنصورة وغرؤا به

طالبين النجاة فتبهم جيش السلطان تيراب بقصد الاستيلاء على النحاس فدافع العابدلاب عنه بأنفسهم دفاع الأبطال حتى قتل منهم سبعون رجلاً وفاز تيراب بنحاسهم فسرّ به سروراً فائقاً حتى أنه طلاه بالذهب من الداخل والخارج وعمل له نهوداً من الذهب وحفظه الخلف عن السلف إلى انتضاء ملكهم . وكانوا في كل سنة يحدّدون تجليده بموكب حافل يجتمع فيه أهل دارفور خاصتهم وعامتهم من جميع الأنحاء وداموا على ذلك إلى أن سقطت دارفور بيد مصر فحيل إلى القاهرة .

ثم أن السلطان تيراب بعد انتصاره على العابدلاب نزل في أم درمان وأخذ يستعد للزحف على سنار فوجد النيل في طريقه وعرضه ٦٠٠ يرداً ونيف ولم يكن عنده المراكب والمعدات اللازمة لاجتياز النيل فبقي هناك أشهراً يدبر الوسائل لاجتيازه . فلم يفلح فسمت نقوس رجاله من الانتظار واشتاقوا إلى عيالهم في دارفور فألحوا عليه بالرجوع فأقسم لهم أن لا يرجع إلا برأس هاشم فاغتاظوا منه واتفقوا مع علي ود برقو والد إحدى زوجاته على قتله فاطلع تيراب على الديسة وقتل علي ود برقو وبقي في أم درمان إلى أن مرض فحملوه وعادوا به قاصدين دارفور فاشتد عليه المرض في الطريق ومات في بابه فعنطوه وحملوه إلى جبل مرة ودفنوه في طره التي هي مدفن سلاطين الفور . وقد اتسفت مملكة دارفور في أيامه اتساعاً لم تر مثله قبل ولا بعد فكان حدها من الشمال بشر النترن في الصحراء الكبرى ومن الجنوب بحر الغزال ومن الشرق بحر النيل ومن الغرب مضيق ترجه وهو مضيق بين جبلين فاصل بينها وبين وداي وكان طولها مسيرة ٣ أشهر على القوافل وعرضها مسيرة شهرين . وقد بنى السلطان تيراب سوراً من الطوب في أم درمان لا تزال آثاره ظاهرة هناك إلى اليوم . ولم يخلفه على الملك ابنه اسحق كما دبر من قبل بل خلفه :

٢٣ - السلطان عبد الرحمن أخوه ١٢٠١ : ١٢١٥ هـ - ١٧٨٧ : ١٨٠١ م

فلقب باليتم والعاقل والرشد قيل لقب باليتم لأنه عند وفاة أبيه كان لا

يزال رضيعاً وبالعدل لأنه كان عادلاً وبالرشيد لأنه ارسل الى « جلالة امير المؤمنين وسلطان السلاطين في الآستانة » هدية من العاج والريش فأرسل جلالاته كتاباً يشكر له هديته ويلقبه بالرشيد وهو اللقب الذي عرف به في اختتام سلاطين الفور. وقالوا في تفصيل ولايته انه لما مرض أخوه تيراب كان يطلب العلم في بلدة كروي من اعمال دارفور وكان له هناك صديق يسمى الشيخ مالكا من الفلاته فأشار عليه بالذهاب الى أخيه بحجة عيادته فاذا توفي تسلت له الفرصة للملك فسار عبد الرحمن برأي صديقه وأدرك أخاه في باره قيل فلما سمع تيراب بقدمه فرح به وقال : « احضروا الي ابن والذي لأراه قبل موتي فانه سلطان فور بعدي » فأحضروه اليه فترحب به وأمر له بهدية نفيسة ولما توفي قام أبناء السلاطين المرافقين لجيش تيراب فادعى كل منهم بالملك بعده الا عبد الرحمن فانه لم يقل شيئاً ففقد الأعيان ورؤساء الجيش مجلساً بحضرة العلماء وحلفوا أبناء السلاطين على الكتاب انهم يرضون بالذي يختارونه لهم فاختاروا عبد الرحمن باتفاق الآراء لأنه كان رجلاً عادلاً صالحاً محبوباً من الرعية فنادوه الى المجلس وولوه سلطاناً على دارفور ثم نادوا الباقين واحداً واحداً وأخبروهم بولايته سلطاناً عليهم فبايعوه مضطرين .

وكان عبد الرحمن متزوجاً بيجارية سوداء طيبة الاخلاق من قبيلة البيقو تسمى ام بومه وكان يحبها محبة شديدة وقد أحضرها معه الى باره قيل فلم يتم الأمراء مبايعتهم له حتى حضر عبد من منزله فقال ان سيدتي وضعت غلاماً هذه الساعة ففرح به عبد الرحمن وقال فليكن اسمه محمد الفضل وهو الملك بعدي إن شاء الله . وكانت ولاية عبد الرحمن في رأس القرن الثالث عشر الهجري فقال اللهم اجعل هذا القرن لي ولذريتي من بعدي وكان كذلك .

ثم ان السلطان عبد الرحمن قام بالجيش الى الأبيض فوضع فيها مقعدوما يرجع بأحكامه اليه واستطرد السير الى دارفور وكان عليها اسحق بن تيراب كما علمت فرفض الطاعة له وحاربه في عدة وقائع كان النصر فيها للسلطان عبد الرحمن وفي الواقعة الاخيرة أصابته رصاصة طائشة من رجال عبد الرحمن

فأصابته منه مقتلاً ولكنه بقي يومين حياً فدخل عليه عبد الرحمن قصد عيادته قيل فأغض عليه وقال له لا أريد أن أرى وجهك إلى يوم القيامة وبقي مغمض العينين حتى خرج عبد الرحمن من الحيمة ففتحها ولم يضر إلا القليل حتى مات فاستتب الملك لعبد الرحمن ونقل كرسي السلطنة إلى الفاشر الواقعة على خور تندلي على ٣٥ ميلاً من جبل مرة فصارت الفاشر عاصمة دارفور من ذلك العهد وبقيت إلى انقضاء السلطنة .

وقد نال عبد الرحمن شهرة لم ينلها غيره من سلاطين الفور الذين تقدموه وكان له علاقة بمصر وفي أيامه انتشر العلم في دارفور واتسع نطاق التجارة وقويت شوكة الديانة الإسلامية لأنه كان عالماً ورعاً : وفي سنة ١٧٩٣ م زار السائح الأنكليزي برون بلاد دارفور من طريق الأربعين .

ويظهر أن الماليك ضيقوا على القوافل التي كانت تأتي من دارفور وعطلوا التجار : بينها وبين مصر فلما دخل بونابرت مصر في أواخر القرن الثامن عشر ونكل بالماليك كتب إليه السلطان عبد الرحمن يهنئه بفوزه عليهم وهذا هو فحوى الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ، من سلطان دارفور السلطان عبد الرحمن الرشيد ، إلى المعظم سلطان الجيوش الفرنسية ألف سلام . أما بعد فتعلمكم أن خبر انتصاراتكم على الماليك وصل إلينا فتلقيناه بغاية السرور وقد أخبرنا أحد الأفرنج الذين اعتنقوا الإسلام بحسن معاملتكم للأجانب فأرسلنا كتابنا هذا مع خير القافلة يوسف الجلاني وكلفناه أن يؤكد لكم صدق مودتنا التي نسأل الله دوامها ونحن نوصيكم بالخير خيراً لتحموه هو وأتباعه وعباده ولكم منا ألف تحية وسلام ، اه . فكتب إليه بونابرت في الجواب ما معناه :

« ١٢) مسيدور من السنة السابعة للجمهورية الفرنسية سنة ١٧٩٩ م .

بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله ، إلى السلطان عبد الرحمن سلطان دارفور .

تناولت كتابكم وفهمت فحواء واعلموا ان قافلتم قد وصلت في حين كنت متقبيا في بلاد الشام أعاقب اعداءنا وأدمرهم والآن طلي اليكم ان تروا الى مع اول قافلة ألفي عبد من العبيد الأشداء المتجاوزين السنة السادسة عشرة من العمر اذ مرادي ان أبتاعهم لنفسي والامل ان توعدوا الى القافلة بسرعة القيام ومواصلة السير الخثيث. وما أنا أمرت من يلزم بحمايتها ووقايتها حيث تكون.

(الامضاء) : « بونايرت القائد العام للجيش الفرنسي »

٢٤ - السلطان: محمد الفضل ابنه ١٢١٥ : ١٢٥٤ - ١٧٨٧ : ١٨٣٩ م
الملقب بقمر السلاطين وكان اول اعماله انه حرّر قبيلة أمه أم بوسه البيقاوية ومنع اخذ الرقيق وبيعه منها . قيل انه عند توليه الملك كان خاله المسمى فزاري يرعى البقر في بلاده على ٥٠ ميلا الى الجنوب الغربي من القاهر فأرسلت أخته رسولا تبشره بتولية ابنها على الملك فزار الرسول بالخير على جواد مطهم وأطلق له العنان فما وصل الى فزاري حتى نيك الجواد التمس فسقط في الارض ميتا وتقدم الرسول الى فزاري وقال له ابشر بالخير فان ابن اختك أم بوسه قد تولى عرش سلطنة دارفور منذ خمسة ايام وكان فزاري اذ ذاك يسقي البقر عند حوض الماء فطار فرحاً لهذا الخبر وضرب الحوض برجله ووزع البقر على الحضور ثم أتى بمنكريب ونام عليه وقال للذين حوله « احملوني » فحملوه حتى أوصلوه الى القاهر فولاه محمد الفضل الوظيفة المعروفة بمملكة الحوال .

وكان عمر محمد الفضل عند توليه الملك ١٤ سنة فوكله أبوه الى رئيس خصيانه كرتة المعروف بلقب « ابو شيخ » وجعله قيمياً عليه لأنه كان وزيراً صادقاً له وكان من الشجاعة وحسن الدراية على جانب عظيم فأقام كرتة في خدمة سيد محمد الفضل بالأمانة والاخلاص كما خدم أباه حتى حدث ما غيرته فانقلب عليه وذلك ان السلطان محمد الفضل أولم وليمة لكبراء دولته فجلسوا على الموائد فثارت حنوب مقاماتهم كل فئة على مائدة وكان ابو شيخ كرتة في

فئة الملوك فر السلطان بالموائد لمؤانسة المدعويين على جاري العادة فلما مر
بمائدة الملوك حيثام بالسلام فرد الملوك عليه السلام احسن رداً أما ابو شيخ كرة
فانه كان قد أكثر من أخرج وقد ألوا عز فالتفت الى السلطان مازحاً وقال له
« تفضل معنا » ولم يكن من عادة ملاطين الفور الأكل مع احبب فاعتاظ
السلطان من دالة كرة وتطاولة وكان بيده عصي من الخيزران فضربه بها على
أمر رأسه ضرباً أليماً حتى كسر العصى وطرده عن المائدة فانصرف كرة الى
منزله من غير ان يفوه ببلت شقة ولكنه حقق على السلطان من ذلك العهد ولم
يعد اليه حتى اجتمع الوزراء وترضوا السلطان فرضي عنه وأعطاه هدية فاخرة
فرجع ولكنه بقي حاقداً عليه وأخذ يسمى في ثل عرشه وتولية أخيه باسي
عوض الله مكانه فاغتال أكثر الملوك المخالفين له ولم يبق منهم سوى الملك
ابراهيم ود رماد ملك النحاس فدعاه يوماً الى منزله ليقتله فعمل بالمكيدة فاعتذر
بعدم مقدرته على الذهاب وسمى حتى دخل على السلطان وقال له اعلم ان كرة
لا يزال حاقداً عليك من يوم ضربته على المائدة وهو يسمى في ثل عرشك
وتولية أخيه باسي عوض الله مكانك وقد استأل أكثر رجال الجيش اليه وقتل
الملوك غيلة وهو يريد ان يقتلني لهذه الغاية فقال السلطان وما دليلك على ذلك
قال نرسل احد الضباط بنفر من العساكر الى الآبار التي يستقي منها ليمنعوا عبيده
الورود فاذا جاءك شاكيًا كان لا يزال على الولاء وإلا فلا فاستحسن السلطان
هذا الرأي وأرسل ضابطاً الى آبار كرة فكان كلما وردها احد من جماعة كرة
منعه الضابط ورده خائباً فلما علم بذلك جمع عبيده ورجال الجيش الذين من
حزبه وجاء الى الآبار فقتل الضابط ومن معه وتقدم الى منزل السلطان فدخله
عجائباً وكان الملك ابراهيم قد أهدى الجيوش لمصادمته فاقتتل الفريقان الى ما
بعد الغروب فنادهى الملك ابراهيم أبا شيخ كرة من وراء الجدار وقال له « حقاً
انك امرأة لأنك لو كنت رجلاً لم تطلب الحرب ليلاً بلا ميعاد » فقال كرة
« كنت قد لويت ان لا اخرج من هذا المكان حتى أقتلك وأخلع سلطانك أما
الآن وقد قلت اني فاجأتك ليلاً بلا ميعاد فلاقني صباح العد الى ساحة القتال

شرقي المدينة ، قال ذلك وانصرف بمساكره الى منزله فأخذ كل فريق يحجز جيشه للغد .

وكان في جيش السلطان محمد الفضل رجل كهل مشهور بالفروسية والاقدام يسمى احمد ود جراب الفيل وقد حضر عدة وقائع حربية . من جعلتها واقعة السلطان أبي القاسم من ملك ود أي فأبلى فيها بلاء الأبطال وحضر الواقعة التي تقدم ذكرها فلم يُبَدَ ما كان ينتظر منه بل كان كلما قابلته كنيبة من الفرسان أعرض عنها فلما جمع الملك ابراهيم رؤساء الماكر للنظر في قتال الغد كان ود جراب الفيل حاضراً فقال له الملك ما أصابك أمس يا ود جراب الفيل حتى أحجمت عن القتال أصبح ما شاع ابن كرة اشتراك بمئة رأس من الرقيق فتركت القتال فقال ود جراب الفيل ألتلي يقال هذا الكلام يا ملك ابراهيم أأنا ابيع ود السلطان عبد الرحمن بمئة رأس رقيق ولكن قل لي بماذا أحارب أسيقي وقد اخذوه مني ووضعوه في خزانة سلاح السلطان أم بحصاني هذا الضعيف النحيف الشبيه . بالنعجة فان كنتم تحبون ان ترون مني حرب الرجال وتشاهدون بأعينكم ما اشتهر عني من البسالة والاقدام فأرجعوا لي سيفي وهاتوا لي فرساً يحمل الكر والفر فأريكم غداً ما يسركم فأمر السلطان باحضار سيفه فأحضر اليه ثم أمر باحضار الخيول ليختار منها جواداً يعجبه قيل وكان ود جراب الفيل يقبض على ناصية الجواد ويحذبه بيده وهو جالس في الارض فيختر الجواد على ركبتيه من شدة الجذبة الى ان قبض على ناصية جواد فجذبته كما فعل بما تقدمه فتفرض الجواد رأسه ورفع ود جراب الفيل حتى أوقفه على قدميه فقال ود جراب الفيل « هذا جوادي الذي أركبه » ثم ركبته واستل السيف وقبّله والثقت الى أم السلطان وقال « اعلمي ان دارفور تكون بيد ولدك لا ينازعه فيها منازع قبل ظهر نهار غد ان شاء الله » فقرح الملك ابراهيم بذلك وكان له ثلاثون ولداً من صلبه راكبين الخيول كاملي العدة فأحضرهم الى ود جراب الفيل وقال له انت رئيس أولادي هؤلاء وأريد منك

إذا التقى الجمعان في الغد لا تقاتلوا احداً غير كرة فاقصدوه حيث يكون وقتلوه حتى تقتلوه .

فلما كان صباح الغد واصطف الفريقان للقتال برز ود جراب الفيل ومن معه من اولاد الملك ابراهيم قاصدين كرة فاعترضهم اخوه باسي عوض الله فقتلوه وتقدموا الى كرة فتلقاهم بقلب لا يهاب الموت وكان لابساً درعين من الحديد وعلى رأسه خوذة تقطيه وتغطي وجهه حتى لا يرى منه الا عيناه فكانوا يضربونه بالسيوف فلم يتمكنوا منه وكان هو ايضاً يكره عليهم ويهاجمهم مهاجمة الاسود فلم يصب منهم مقتلاً لأنهم كانوا متدرعين مثله فاحتال بعضهم عليه بأن ركب على فرسه من ورائه وجندله فأطبق الفرسان عليه وتزعوا خوذته ثم حزوا رأسه وحلوه الى السلطان فلما رأى جيش كرة ما جرى لشيخهم ولتوا الادبار منهزمين فتبعهم جيش السلطان ونكل بهم .

وكان من عادة كبار الحصيان في دارفور ان يقتنوا زوجات من الارامل اللواتي لهن اولاد فيلبنون الاولاد لتنتفي عنهم مذلة الخصي ولو كان ظاهراً وكان لأبي شيخ امرأة ولها ابن يسمى شيل فوت (أي خذ واذهب) وهو من الفرسان المبدوين وكان السلطان محمد الفضل يود ان يجعله من أتباعه وأعوانه فأوصى جيشه قائلاً : اذا انهزم جيش كرة وظفرتم بشيل فوت فلا تقتلوه بل انتوني به حياً فلما كان انهزام جيش كرة ظفر بعض الفرسان بشيل فوت فتصدى لهم فأخبروه بوصية السلطان لهم ولما أمن جانبهم جاء معهم الى السلطان فأمنه وعفا عنه . ثم التفت اليه الملك ابراهيم وقال له : يا شيلفوت لأجل فضلة الطعام تحارب مثل هذه الحرب ؟ قال ذلك لأن شيلفوت كان يأكل فضلة طعام كرة على عادة الابن مع ابيه في السودان وكان من عادة الملك ابراهيم كملك النحاس ان يوزع طعام السلطان على الجيش فأجابه شيلفوت على الفور : أنت حاربت لأجل توزيع الطعام أفلا احارب أنا لأجل أكله ؟ .

واستتب الملك للسلطان محمد الفضل بعد قتل كرة ولم يعد له معارض فتفرغ لتأديب العرب الذين خرجوا عن طاعته وهم بنو هلبه والعريقات والرزيقات

كتاب السجلات

اما بنو هلبه والعريقات فقد أخضعهم بالسهل اما الرزيقات فكانوا قبيلة قوية وقد طالما عصوا سلاطين الفور واستقلوا عنهم فصمم السلطان محمد الفضل على الإيقاع بهم فجمع جيشاً عظيماً وأحاط ببلادهم إحاطة السوار بالمعصم وحصرهم وأنخن فيهم وقتل كل رجل فيهم ولم يستحي الا النساء والاولاد فقسمهم نصفين فأرسل النصف الواحد الى ارض العريقات وأسكنهم إياها وأبقى النصف الآخر في أرضهم وأعاد لهم قسماً من ماشيتهم فأعطى كل ارملة قتل زوجها بقرة حلابة وثوراً .

وحكي عن السلطان محمد الفضل نادرتان احداهما مع احد ود عدلان آخر وزراء الهمج بسنار تدل على كرمه والثانية مع السلطان آدم سلطان وداي تدل على شهامته . اما نادرته الاولى فهي ان جعلياً التقى بود عدلان في البرية خارجاً للقتنص فقبض على لجام فرسه وقال له ايها الملك اني رجل فقير وقد جاوزت سن الاربعين ولم أذق رائحة البخور يريد بذلك انه لم يتزوج بعد لعدم مقدورته على الزواج فقال له الملك تعال معي الى سنار فأعطيك ما قسمه الله لك فقال له الجعلي لا أتركك حتى تعطيني ما قسمه الله لي الآن لأنني اذا ذهبت معك الى سنار دخلت منزلك وشغلت عني ولم يدخلني اليك احد . ولم يكن مع ود عدلان في ذلك الحين الا فروة من الجلاد مفروشة فوق سرج فرسه فأعطاه إياها وقال له أدلك على واسطة تنال بها الغنى : تذهب بهذه الفروة الى السلطان محمد الفضل سلطان دارفور وتقص عليه قصتك وتعطيه الفروة فإن كان الله قد أغناك فهو يغنيك فحمل الجعلي الفروة وسار حتى وصل دارفور واستأذن فدخل على السلطان محمد الفضل وقص عليه قصته مع محمد عدلان وأعطاه الفروة فتأدى السلطان محمد الفضل احد وزرائه وقال له خذ هذا الرجل الى منزلك وأكرمه غاية الاكرام واثني به في الدند ففعل الوزير كما أمره السلطان وفي الغد حضر الرجل بين يدي السلطان فسأله عما قاله له ود عدلان فقال : « قال لي خذ هذه الفروة الى السلطان محمد الفضل فإن كان الله قد أغناك فهو يغنيك » فأمر السلطان وزيره بأن يعطيه اربع مئة رأس من

الريقى والابل والبقر والغنم من كل صنف مئة رأس ويأخذه الى منزله فيكرمه ويعود به اليه في اليوم الثاني. ففعل الوزير كما أمره السلطان ولما مثل الجملي امام السلطان في اليوم الثاني سألَهُ ايضاً عما قاله له ود عدلان فأعاده له فأمر له بأربع مئة رأس اخرى من الاصناف الاربعة المذكورة . وهكذا بقي الجملي يتردد على السلطان والسلطان يأمر وزيره ان يعطيه ما أمر له في اليوم الاول على عشرة ايام حتى اجتمع عند الجملي ٤٠٠٠ رأس من كل صنف ألف فلما أتى به في اليوم الحادي عشر وسأله السلطان عما قاله له ود عدلان قال : « أطلب الله بقاء مولاي وأيده بالنصر على الأعداء اني قد اغتنيت غناء الأبد وقد نيت الذي قاله لي ود عدلان ، فضحك السلطان لقوله وقال لوزيره : خذهُ الآن وسلمهُ ما وهبناه إياه وارسلهُ مع الحرس اللازم الى بلاده وأما الاصناف التي أعطيناه إياها ولا يمكن نقلها الى بلده كالبقر والغنم فبعضها واعطه ثمنها ففعل الوزير ما أمره السلطان وخرج الجملي بهدياياه من ارض دارفور شاكراً حامداً وعاد الى وطنه فتزوج من اشتهاها من نساء بلده وشم رائحة البخور !

اما نادرته الثانية مع السلطان آدم سلطان ودّاي وهو السلطان الثامن بعد السلطان عبد الكريم فهي ان السلطان محمداً الفضل بلغه ان عند السلطان آدم فرساً سريع الجري مشهوراً بالسبق فأرسل اليه في طلبه فجمع السلطان آدم وزراءه وشاورهم في الامر فقالوا له هذا « عشم قسيل » أي هذا رجاء باطل يشفء عن احتقار واستخفاف فقال اذا ما الرأي ؟ فقالوا الرأي عندنا ان تكتب له وتقول اذا ازوجتني بأختك أرسلت اليك الفرس فكتب السلطان آدم هذا الجواب ودفعه الى الرسول فلما قرىء الجواب للسلطان محمد الفضل طار صوابه من شدة الغضب قيل وكان بيده اليسرى سيف فلما وصل القاريء الى قوله اذا ازوجتني بأختك جعل ينقر السيف بسبابة يده اليمنى حتى انكسر الظفر وسال منه الدم وهو لا يدري وعزم على التكتيل بالسلطان آدم وارغام أنفه فسأل الحاضرين أتعرفون احداً هنا من أهل ودّاي ولو انه من عامتهم

لنوليه على وداي بدل هذا السلطان فقال له بعضهم عندنا يا مولاي في بلدة جديد الرأس القيل جزار من دار وداي يسمى محمد شريف وربما كان من العائلة المالكة مع انه جزار لأن آدابه وأخلاقه تدل على كرم اصله وفي وجهه أثر النعمة والعز فقال اتتوني به في الحال فاتوه به فقال له السلطان من انت يا رجل وما أتى بك الى هذه البلاد قال يا مولاي انا محمد شريف ابن السلطان صالح بن خريفين شقيق السلطان آدم سلطان برقو الحالي وقد فررت من وجه اخي السلطان آدم خوفاً على بصري لأن من عادة سلاطيننا كما يخفى على مولاي انه اذا تولى احدهم الملك قلع عيون اخوته وجميع أقاربه الذين يخاف شرم حق لا يبقى له مزاحم على الملك ففررت الى هنا وفضلت ان أعيش جزاراً في بلاد الغربه وانا أبصر على ان اعيش في بلادي اميراً بلا بصر . فقال السلطان محمد الفضل فهل لك ان تكون سلطاناً على بلادك بدلاً من اخيك فقال له ومن أين لي ذلك يا مولاي قال لك ذلك مني ان شاء الله . ثم أمر فألبسوه حلة السلطنة وسيره الى وداي يجيش عرمرم وعليه اثنان من وزرائه واربعة من اولاده ومنهم حسين الذي تولى السلطنة بعده فسار محمد شريف بالجيش حتى وصل حدود وداي فالتقاء السلطان آدم بجيوشه وحصل بين الجيشين عدة مواقع دموية قتل فيها خلق كثير من الفريقين ولكن غلب فيها جيش السلطان محمد الفضل واخذ السلطان آدم أسيراً وغنم نحاسه وولى محمد شريف سلطاناً على وداي وعاد الى دارفور ومعه السلطان آدم أسيراً فبقى السلطان آدم في دارفور مدة ثم تمكن من الفرار الى وداي فأرسل السلطان محمد شريف عسكرياً وراءه فتمقبه وقتله وبقي لا ينازعه احد الى ان مات . وتولى بعده على وداي السلطان علي ابنه ثم السلطان يوسف اخو علي فالسلطان ابراهيم بن يوسف فالسلطان احمد الغزالي بن علي فالسلطان محمد دود مرة اخو ابراهيم وهو السلطان الحالي .

هذه رواية البعض في سبب الحرب بين السلطان محمد الفضل والسلطان آدم ، وقال بعضهم ان رواية الفرس لم تكن بين السلطان آدم والسلطان محمد

الفضل بل كانت بين السلطان علي المذكور وبين معاصره من سلاطين برنو وان السلطان علياً هو الذي طلب الفرس من سلطان برنو فأجابه سلطان برنو بما هو منسوب الى سلطان وداي قالوا وأما سبب الحرب بين دارفور ووداي فهو ان محمد شريف المذكور جاء الى السلطان محمد الفضل يستنصره على اخيه فنصره لأنه كان أميل الى دارفور من اخيه السلطان آدم .

وفي ايام السلطان محمد الفضل ارسل محمد علي باشا ابنه اسماعيل بجيش جرار لفتح سنار وصهره الدفتردار لفتح كردوفان وكان في كردوفان مقدم من قبل السلطان محمد الفضل يقال له المقدم مسلم فتقلب عليه الدفتردار وامتلك البلاد منه بعد واقعة شديدة على ما سيجيء بالتفصيل في الفتح المصري قيل وكان السلطان محمد الفضل واجداً على المقدم مسلم فلم يشأ ان ينصره فلما علم انه قتل أرسل جيشاً تحت قيادة ابي الكيكل فخرج له جيش الحكومة فالتقاء في سودره بين فوجه والأبيض وحدثت واقعة شديدة حارب بها جيش الفور حرب الرجال حتى قتل قائدهم فانهمزوا راجعين الى الفاشر فخاف السلطان محمد الفضل على دارفور وأخذ من ذلك الوقت يحشد الرجال ويستكمل العدة محافظة على سلطنته . وقيل انه كتب « أسماء » على نية منع الحكومة المصرية من الدخول الى بلاده وجعلها في قساقم من لحاس ودفنها في الصحراء الشرقية والشالية ولم يخف على سلطنته من الجنوب حيث دخل الزبير باشا كما سيجيء .

وكان لمحمد الفضل أخ يكرمه ويواجهه على الملك يسمى أبا مدين ففر الى مصر وأخذ يهون على محمد علي فتح دارفور فأرسله محمد علي الى كردوفان للسمي مع مديرها في ذلك فبقي في الأبيض الى ان توفي .

ولما كانت سنة ١٢٤٥ هـ ١٨٣٠ م ارسل محمد علي باشا كتاباً الى محمد الفضل يدعوه فيه الى التسليم فأجابه محمد الفضل بكتاب أخذنا صورته عن نسخة بيد الزبير باشا بمصر وهذا نص الكتاب :

« الحمد لله الذي حكم بين عباده بالحق قطعاً سبحانه يحزي كل نفس بما تسعى واليه المعاد والرُجى وهو حي وكفى .

« من حضرة من آمن الله به البلاد وجعل ملكه مسموعاً من كل احد وسيّره في قلوب الأعداء نارا تستمر وجرأ يتوقد وجعل الله على يده ضرب من طغي وقرّه ومن ضلّ وتعنت وهو شاب صغير السن ولو صار كهلاً تخضعت له الانس والجن وقد اشتهر بالكرم والجود وحال بموارضه انجم السمود وإن قامت الهيجاء بنفسه يحدو ويصل الى الأعداء بقواطع الهنود ويلتصر بعون الله على كل موجود !!! هو مولانا السلطان محمد الفضل بن عبد الرحمن الرشيد أعزه الله .

« الى حضرة الكوكب العالي والنير المتلالي بهجة الأنام وقدوة الليالي صاحب العزّ والافتخار أخينا العزيز محمد علي باشا سلمكم الله تعالى من المحذورات واستعملكم بالباقيات الصالحات بمنه وكرمه .

« اما بعد فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته لديكم قد وصلنا جوابكم أوصلكم الله الى رضوانه وفهمنا خطابكم ومقتضى جوابكم وكل كلمة من المرقوم يستحق جوابها المفهوم ولكن يكفي من ذلك كله كلام الحي القيوم حيث قال : « له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالفه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال » ... « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً » ... انكم طالبون دولتنا وطاعتنا وانقيادنا لكم هل بلفكم اننا كفار وجب لكم قتالنا وأبيع ضرب الجزية علينا أو غيركم قتالكم مع ملوك سنار والشايقية فنحن السلاطين وهم الرعية . أورد لك دليل من الله تجدد فيه ملكك أم ورد لك حديث من رسول الله تجدد فيه قلبك أم خطر لك خاطر من عقلك بأن لك رباً قوياً ولنا رب ضعيف الحمد لله نحن مسلمون وما نحن كافرون ولا مبتدعون ندين بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ونؤدي الفرائض ونترك الهرمات ونأمر بالمعروف وننهي عن المنكر والذي لم يصلّ نأمره بالصلاة والذي لم

يزك نأخذ منه الزكاة ونضعها في بيت المال ولا ندخرها ونردّ الأمانات الى أهلها ونعطي كل ذي حق حقه حق دانت لنا القبائل العظام ومن أتى دولتنا يرجع مكرماً باذن الله تعالى ولو اشتدت به الريح في يوم عاصف ألم تر الى قوله ﷺ : « لو بغى جبل على جبل لذلك بالبأغي » أما علمت ان دارفور محروسة بحمية بسيوف قطع هندية وخيول بجرد أدومية وعليها كهولة وشبان يسرعون الى الهيجاء بكزة وعشية ! أما علمت ان عندنا العباد والزهاد والأقطاب والاولياء الصالحين من ظهرت لهم الكرامات في وقتنا هذا وم بيننا يدفمون شر ناركم فتصير رماداً ويرجع الملك الى أهله ويكفي من بعد ذلك والله يكفي شر الظالمين . كتبه الفقيه محمد ود عماري من متخرجي الأزهر وكان مدرساً للسلطان محمد الفضل وأولاده بالقاشر أه وتوفي السلطان محمد الفضل سنة ١٨٣٨ وخلفه :

٢٥ - السلطان محمد حسين ابنه ١٢٥٤ : ١٢٩٠ هـ - ١٨٣٩ : ١٨٧٤ م

وكان معاصراً للمغفور لها سعيد باشا واسماعيل باشا فبادلها الهدايا والمكاتبات فكان يهدي اليها الخصيان والريش والسن وغير ذلك من تحف دارفور وهما يهديان اليه النفيس من تحف مصر . وقد أرسل له سعيد باشا مركبة برأسين من جواد الخيل وخيماً وتحفاً كثيرة أما المركبة فانه لم يركبها قط بل امر سائقها عند وصولها بركوبها امامه فذهب بها السائق من بيت السلطان الى الجامع مسافة فرسخ وعاد بها الى بيت السلطان فأمر السبطان بوضعها في الاسطبل فبقيت الى الفتح المصري وأما الخيل فقد قيل له انها مسحورة فتركها للعلف نحو ٥ سنين ثم وهبها لبعض خاصته . وأهدى اليه اسماعيل باشا شالات كشمير وسروج ذهب وسبح كهرمان وخرز سوميت وغيرها من تحف مصر المستحسنة في دارفور . وكان السلطان حسين جواداً كريماً محباً للرعية . حدثني الشيخ علي بك الحخير من مشاهير التجار بدارفور وقد عاصره قال : دخلت يوماً على السلطان حسين للسلام عليه وأخذت له

معني هدية نفيسة من تحف مصر تساوي ألفي غرش فأمر لي بمثني. يعبر من أكرم الابل .

ولما كانت سنة ١٨٥٦ م كف بصره فطلب التحفظ على ملكه فألف جيشاً يليف على ١٠٠٠٠ مقاتل وسلحهم بالأسلحة النارية فكان هو اول من استعمل الأسلحة النارية في جيش دارفور وقد كانت اعتماد السلاطين قبله على السيوف والحراب والدق والسكاكين والنشاب . وكان للسلطان حسين أخت تسمى ايا باسي زمزم اشتهرت باتساع الثروة وكان لها نفوذ تام في السلطنة .

وفي ايام السلطان حسين كانت « واقعة القرطاس » المشهورة بين عربان المعالية وعربان حمر وذلك ان عربان المعالية قطعوا الطريق على قافلة آتية من مصر الى دارفور وقتلوا تجاراً مشهورين بأهل زريبة عبد العزيز وأخذوا اموالهم من سكر وأنسجة ونحوها فغضب السلطان حسين من تعديهم وكان بينهم وبين عربان حمر عداوة قديمة فأرسل السلطان في طلب الشيخ مكي ود منعهم شيخ عربان حمر وقال له اني أبحت لك دماء المعالية وأموالهم فجمع الشيخ مكي رجاله وحلفاءه وغزا عربان المعالية واكلوا مشهورين بالصبر والثبات. في الحروب فحدث بين القبيلتين واقعة دموية شديدة كان النصر فيها لعربان حمر فقتلوا المعالية شر قتلة . قيل وقد سميت هذه الواقعة بواقعة القرطاس لأن الصحاري امتلأت من قرطاس السكر والانسجة التي نهبا المعالية من التجار .

٢٦ - السلطان ابراهيم ١٢٩٠ : ١٢٩١ هـ - ١٨٧٤ : ١٨٧٥ م

وهو آخر سلاطين الفور وكانت مدة ملكه سنة وسبعة اشهر وأربعة عشر يوماً . قيل لما مرض السلطان حسين وعلم بدنو أجله أراد ان يضمن الملك من بعده لابنه ابراهيم لأنه كان يحبه اكثر من جميع اخوته ولم يكن اكبرهم بل كان ابو البشر اكبرهم فانتدب اثنين من أمنائه وهما الامين بجيت من قبيلة الميذوب ابن الوزير آدم بوش كبير الامناء والامين « خير قريب » من عبيد الفرقتين. امين الخزينة والأسلحة ، أتى بالمصحف المسمى بسوار الذهب وحلقها

عليه بأن يوليا ابنه ابراهيم بعد وفاته . وكان احمد شطة امير الصيد المقيم في دارا يحب ان يولي الامير أبا البشر لأنه كان متزوجاً بشقيقته وكان له صديق في الفاشر يسمى الشيخ احمد الدردير فلما اشتد المرض على السلطان حسين أرسل الدردير يخبر الوزير احمد شطة فأتى الفاشر ونزل في منزل احمد الدردير واستأذن فدخل على السلطان وسلم عليه فقال له السلطان كيف تركت مركزك وجئت الى هنا بلا اذني قال بلغني يا مولاي خبير مرضك فأمرعت بالحضور لميادتك فقال له ارجع على الأثر ولا تبين هنا فقال سمعاً وطاعة ولكنه علم ان السلطان مائت قريباً فترتبص في الفاشر ليرى ما سيكون من الامر بعد وفاته .

وعلم الوزير ان المار ذكرهما قصد احمد شطة فلما توفي السلطان أخفيا خبره وأرسل الى احمد الدردير يقولان ان السلطان حيناً يطلب حضورك لتكتب له حجاباً فلما حضر قبضا عليه وقيدها بشعبة وخبأه في غرفة منفردة ثم أرسل يطلبان الامير ابراهيم بن السلطان حسين فأجلساه على كرسي السلطنة وطلبنا الوزير احمد شطة فعرض وسلم على السلطان ابراهيم وهو يظن انه السلطان حسين فأخبراه اذ ذاك بموت السلطان حسين ووصيته لها فما سمعه الا التسليم وقال : ما استخدمنا السلطان حسين الا لتنصره وتنصر من يحب وحيث ان السلطان ابراهيم هو ابن السلطان حسين وقد تولى بإرادة ابيه قسمياً وطاعة لأمره ، فقال السلطان ابراهيم : أما وقد أظهرت الطاعة فقد ثبتت على مركزك في داره تقيم فيه كما كنت في حياة أبي كل العمر ، فدعا له وحلف له يمين الطاعة ثم أرسلوا الى الوزراء واحداً واحداً فحلفوا له يمين الطاعة ودفنوا السلطان حسين في اليوم الثالث من وفاته . وأما الدرديري فان السلطان ابراهيم ارسله الى كوي وحبس حبس عين بمنزل الحاج محمد صالح ثروة الجملي المار ذكره فبقي الى ان أطلقه الزبير باشا بعد فتح الفاشر .

وقد اشتهر السلطان ابراهيم بالكرم كآبيه . حدثني علي بك الحخير السالف الذكر قال : كنت أعرف السلطان ابراهيم شخصياً قبل توليه الملك فلما تولى



الشيخ الطيب

كنت في مصر فأخذت له هدية ودخلت للسلام عليه فوجدت عند بابه قطعياً من الابل فيه خمسون بغيراً فقلت في نفسي إن كان هذا السلطان كأيبه في الكرم تكون هذه الابل لي اليوم وكان كذلك فاني لم أنصرف من مجلسه حتى أمر لي بها فخرجت شاكراً حامداً .

وبقي السلطان ابراهيم نافذ الامر والنهي في دارفور الى ان قتله الزبير باشا في بلدة منواشي في ١٤ رمضان سنة ١٢٩١ هـ - ٢٤ أكتوبر ١٨٧٥ م في واقعة دموية شيرة وكان في قتله زوال سلطنة الفور ودخولها في حوزة مصر على ما سيجيء .

وبعد استيلاء الحكومة المصرية على دارفور ألقت للقبض على عدة أمراء من ذرية سلاطين الفور وارسلهم مع بعض الأعيان الى مصر فأسكنتهم في الحي المعروف بسوق السلاح تحت القلعة وأجرت لهم : المرتبات « فعاشوا براحة وسلام الى هذا اليوم . وبينهم الامير عبد الحميد ابن السلطان ابراهيم و ١٩ آخرون من أبناء السلاطين .

وكان في جملة الأعيان المرحوم الشيخ الطيب إمام جامع السلطان ابراهيم فتوفاه الله في مصر القاهرة في ٢١ اوغسطس سنة ١٩٠٢ على نحو ستين سنة من العمر وكان رحمه الله رحمة واسعة عالماً صالحاً ذكياً طيب الخلق نقي القلب وقد حفظ في ذاكرته تاريخ دارفور برمته فأخذت عنه معظم ما رويته هنا عن تاريخ السلاطين وهو اقرب الى الرواية منه الى التاريخ ولكنه افضل ما روي عن سلطنة الفور الى اليوم ما عدا الذي رواه سلاطين باشا في كتابه « النار والسيف في السودان » ونقله « المقتطف » الأغر الى العربية فانه يجعل السلطان كور اول سلاطين الفور . ثم يذكر بعده السلطان احمد المعفور الذي لم يملك في روايتنا . ثم السلطان دالي الذي هو في روايتنا احد كبار الخصيان . ثم السلطان صولون . ومن هذا السلطان فنزلنا الى السلطان ابراهيم تتفق سلسلتنا مع سلسلته ولكنها تختلف اختلافاً طفيفاً في تفصيل اخبار بعض السلاطين .

هذا وقد ظلت بلاد دارفور في يد الحكومة المصرية الى ان كانت الثورة المهدية قد دخلت في حوزة المهديين. ولكن قام في أثناء ذلك من ذرية السلاطين الذين بقوا في البلاد من ناصب الحكومة العداء ثم المهدية وحاولوا استرجاع السلطنة فخذلوا .

والذي قام منهم في عهد الفتح الاول :
الامير حسب الله ابن السلطان محمد الفضل .
الامير بوش اخوه .

الامير هارون ابن الامير سيف الدين ابن السلطان محمد الفضل .
الامير دود بنقا ابن الامير بكر ابن السلطان محمد الفضل .
وأما الذين قاموا في عهد المهدية فهم :
الامير يوسف ابن السلطان ابراهيم .
الامير ابو الخيرات اخوه .

الامير علي دينار ابن الامير زكريا ابن السلطان محمد الفضل : وهو القائم الآن بأمر دارفور على جزية يدفعها للحكومة السودانية وقد جاءها بعد واقعة ام درمان وسيأتي ذكر هؤلاء الأمراء وما كان من أخبارهم بالتفصيل في تاريخ السودان الحديث .

الفصل الثاني

في

حكومة سلطنة الفور وبعض أخبارها

رجال السلطنة : اما حكومة سلطنة الفور فكانت من النوع الملكي المطلق . وكان السلطان سليمان الاول لما أخضع ملوك البلاد على ما مرّ قد خلعهم من مناصبهم وولى على البلاد نواباً من أهلها وجعل مع كل نائب عدة شرافي او مدراء ومع كل شرافي عدة دمالج او مأمورين ومع كل دمالج عدة مشايخ بلد .

وبقي هذا النظام معمولاً به الى أيام السلطان موسى فرأى عدم الاخلاص من النواب الوطنيين فعيّن عليهم اربعة مقادير من رجال حاشيته الأخصاء في كل جهة من الجهات الاربع مقدوماً وجرد النواب من السلطة الا انه أبقاهم في مراكزهم يحكون بالاسم فقط واستمر هذا النظام الى انتهاء السلطنة .

وكان تعيين المقدم بفرمان خاص يُقرأ على النواب والشرافي والدمالج ومشايخ البلاد والعربان واصحاب الحواكير وغيرهم . ولباس المقدم كلباس السلطان وإكرامه في ناحيته كإكرام السلطان وحكمه نافذ في كل القضايا حتى في القتل الا في بعض الاحوال الخاصة فانه يرجع في حكمه الى السلطان .

أما رجال حاشية السلطان الذين بيدهم سياسة البلاد المركزية فأهمهم :
« الوزير » : وعليه إدارة شؤون البلاد سياسياً وإدارياً وحربياً .

« و أبو شيخ » : وهو كبير الحصيان ومقامه أكبر مقام في السلطنة إذ هو المرجع الأعلى لقانون دالي الذي هو القانون العرفي في البلاد وسيأتي ذكره . وله الفصل في الخلاف الذي يقع في حرم السلطان وهو مقدم الشرق رسماً والمحافظ على نحاس السلطنة ومن رجال الإدارة المركزية : ملك النحاس وملك دادات السلطان وملك خوال السلطان وملك الفاشر أو محافظها وملك الجبابة وملك الحدادين . وكان لكل سلطان من سلاطين الفور وكيل رسمي من ذرية السلطان شاو دورشيت يسمى « الكامنة » . وفي دار السلطنة ممن بيدهم الحل والمقد الميارم اخوات السلطان والحبوبات جدات السلطان . وفيها رهائن النواب المسلمين ورهائن ملوك الجيوش السبعة المار ذكرهم وكان كل من هؤلاء الملوك يرسل وليّ عهده ليكون رهينة عند السلطان فيجعله السلطان في خدمته ويعمّده على طاعته ويعلمه القراءة والكتابة حتى إذا مات الملك أعطى السلطان وليّ عهده كسوة فاخرة وعكازاً مفضضاً وطاقيّة مقصبة بقرنين ونعلين ونقارة نحاس وولاه بفرمان خاص على بلاده في مكان سلفه . وكان على كل ملك من هؤلاء الملوك جزية سنوية معلومة من الرقيق والسمن والعسل .

الحواكير والعربان : وقد عمل « ١٧ - السلطان موسى » بالنظام المشهور في الشرق في ما يتعلق بملكية الأراضي فجعل البلاد كلها ملكاً للسلطان وقسم بلاد الحضرة الى « حواكير » أو اقطاعات ووزعها على أهله وأخصائه وكبار قومه بحجج غثومة بختمة فعاشوا بريمها هم وأهلها المزارعون . وكذلك قسم قبائل البادية فخص كل قبيلة بأمر من أبناء السلاطين أو بعين من الأعيان تجبي له زكاتها . وجع السلطان نصيبه من الزكاة والفطرة والعشور حسب ما يفرضه الشرع الاسلامي وكان المقادير يجمعون الزكاة من البادية وملوك الجبابة يجمعون الفطرة والعشور من الحضرة وربما تنازل السلطان عن نصيبه في الحاكرة أو

القبيلة فأعطى صاحبها « حجة بالجاه » فلا يقربه احد من الجباة او المقاديم .
وقد جرى على هذا النظام جميع السلاطين الذين أتوا بعد السلطان موسى الى
انقضاء السلطنة .

قانون دالي : وكان القضاء في دارفور شرعياً وهو المشروع بالكتاب
والسنة او عرفياً وهو المشروع بالعرف وقد جمعت الاحكام العرفية كلها في
كتاب واحد عرف « بقانون دالي » وهو بمثابة قانون الجزاء عندنا . وكان
القائم بتنفيذه المقاديم ومن هم دونهم من الحكام بالاتحاد مع اصحاب الحواكير
والقبائل . والقاضي الأعظم الذي يرجع اليه في هذا القانون هو كبير الحصيان
الملقب بأبي شيخ كما مر . اما لفظ دالي فهو في لغة الفور بمعنى لسان وُبراد
بقانون دالي لسان السلطان او أوامره . على ان بعض الرواة يجعل دالي سلطاناً
من سلاطين الفور المتقدمين كما سيحيي .

ومن أحكام هذا القانون : ان الملك يكون وراثياً للابن الاكبر الا اذا
كان الاكبر غير لائق للاحكام فيولون غيره ممن فيه اللياقة من العائلة المالكة .
وقصاص السارق غرامة ست بقرات او ما هو بثمنها فاذا لم يقدمها حبس الى
ان يفتديه أهله . وقصاص القاتل القتل اذا كان القتل عمداً والا فدفع الدية
مئة بقرة اذا كان من البقاوة او مئة بعير اذا كان من الأباله . وأما الزاني فإن
زنى بمحصنة فغرامته ٦ بقرات او بأثم بقرة واحدة او ببكر فكل منها
يغرم بقرة . وقصاص الضارب فإن كان في الضرب جرح فغرامة ثوب من
الدور وإن لم يكن جرح فنصف ثوب وهكذا جزاء الشاتم . وقصاص شارب
الخمرة الجلد ثمانين جلدة وكسر أواني الخمرة في بيته ومع ذلك فهم لا ينقطعون
عن تماطي الخمرة لأنهم مولعون بشربها . حتي ان رجلاً من اهل دارفور طاب
له شرب « المريسة » حتى لم يمكنه الانقطاع عنها مع تكرار وقوع الحد عليه
فخفر له غاراً تحت الارض وسقفه سقفاً متيناً وجعل له باباً ضيقاً وصار كلما
أحب شرب المريسة ينزل الى الغار فيشرب حتى يسكر ثم يصعد على سطح
الارض وبقي على ذلك حتى سمع حاكم البلدة به فساغته في الغار وهو يشرب

فقال الرجل لا حكم عليّ هنا فان الحكم لكم على ظاهر الارض اما الحكم في باطن الارض فله . واذا حصل حريق في الصحراء في العشب الذي ترعاه المواشي غرمت أقرب بلدة الى الحريقة على حساب بقرة لكل طول درقة وذلك سواء كانت الحريقة من اهل تلك البلدة أم من طاريء مفاجيء والمراد بتعميم هذه الغرامة منع الناس عن إحراق الزرع وتحريضهم حتى اذا ما شئت حريقة في جوارهم أسرعوا الى إطفائها في الحال لئلا تتسع فيتسع الجزاء عليهم .

وفي دارفور خرافة قديمة عند بعض العجائز مؤداها انه لا يخصب لمن زرع الا اذا قتلن شخصاً مسموماً بسم حية ولكن قانون دالي يعاقب على هذه الجريمة بأعظم عقاب وذلك بتصدير مال القاتلة الى خزينة السلطنة وإحراق بيتها ثم لفها بحصير من شوك وضربها بالعصي الى ان تموت .

اما محصول « الدالي » فنصفه للسلطان والنصف الباقي لأصحاب الحواكير والمقاديم والشراتي على نسبة معلومة .

دخل السلطان وخرجه : اما دخل السلطان الذي كان ينفق منه على بيته وأخصائه وجنوده فالعشور والفطرة من الحضر ، والزكاة من البادية ، وعشور البضائع من التجار ، ونصيبه من قانون دالي ، والضرائب على التجار والحدادين « والنفوس » ، ومن الهدايا التي كانت تأتيه من الحكام وأصحاب الحواكير والتجار اذ لم يكن يدخل للسلام عليه احد من رعيته من موظفين وأعيان وتجار الا بهدية نفيسة تعرف « بالسلام » من الرقيق والابل والخيول والبقر والغنم والتكاكي والطرق والطاقات والذهب والفضة والعل والسن والسن والريش .

اما دخل المقاديم والشراتي والدمالج فمن نصيبهم من محصول دالي والهدايا ومرقيات اصحاب الحواكير ومن حواكيرهم الخاصة .

وكان سلاطين الفور يكرمون رجالهم الذين يصدقونهم الخدمة حتى كانوا يزوّجونهم بناتهم ويمهرونهم الحواكير والمربان . وهذه هي صورة حجة حاكورة

مهرها السلطان حسين لصره احمد بن عيسى من أعيان دارفور عند تزويجه
بأبنته الميرم فاطمة ام ادريس . ويليها حجة « عربان » مهرم ايضاً لصره
ثم حوّلها صهره لزوجه وابنته :

« من حضرة امير المؤمنين وخلاصة الاكرمين خادماً الشريعة والدين الواصل
رب العالمين سيدنا ومولانا السلطان محمد الحسين المهدي ابن السلطان محمد الفضل
على ضريحه سحائب الخير والرضوان آمين .

« الى حضرة كل من يقف على هذه الوثيقة وينظر مباح فيها من الحقيقة من
الأمراء والوزراء والملوك وأبناء السلاطين والمبارم والحبوبات والقضاة والجبائين
والشرافي والمكاسين والدمالج وغيرهم من سائر اهل هذه الدولة من ذوي الشوكة .

اما بعد فالذي نصيره بشرف علمكم من قبل جاكورة « نعمة » التي كانت
سابقاً بيد الملك كرتكيه متاعاً ثم بيد الملك عبد الله كرقاش متاعاً ثم بيد
المقدم عبد العزيز متاعاً ثم بيد جدتنا الحبوبة والدة سيدنا المرحوم متاعاً
اني الآن تفضلت وأعطيت وأوهبت وصدقته لصرنا الحاج احمد بن عيسى
برقيقها هبة مختارة وملكتها إياها ملكاً تاماً ثم وجهت لحيازتها ابراهيم المقام
من طرف الامين صالح وأمرت المقدم عبدالعزيز ان يبعث له من طرفه اجداً
يذهب معه فبعث له الملك هرون ابن الفقيه عبد الله فذهباً لتلك الحاكورة
وطافاً بها من كل الجهات وحدداها ... فهذه الارض التي شملتها هذه الحدود
أقطعها لصرنا الحاج احمد ابن الحاج عيسى اقطاعاً تاجزاً وحوزتها حوزاً
كاملاً وملكتها ملكاً تاماً هي والريق التي فيها وعدته خسون يتصرف فيها
وفي رقيقها تصرف المالك في ملكه بالزرع والتزريع والبيع والهدم والبنا
والصدقة والشراء فهي له ولذريته من بعده فلا يغيره ولا يبدله سلطان بعدي .
ثم اني تركت لها الفطرة والزكاة أعني بها الاحكام الشرعية وكذلك عفونا عن
سبلها العادية من دم كبير او صغير وفسق وهامل ونار وقوار ودرقه ولا
يتعدى عليهم ملك ولا جبائي ولا مقدم ولا خدام من احد الخدامين وقد

تركنا ذلك اعانة لها في دينها ودنياها والله على ما نقول وكيل وحسبنا الله ونعم ، حرر ذلك سنة ١٢٦٣ ١٨٤٧ م .

« من امير المؤمنين سيدنا ومولانا وأعلانا السلطان محمد الحسين المهدي المنصور بالله تعالى آمين . الى كل من يقف على هذه الوثيقة وينظر ما فيها من الحقيقة . اما بعد فان ابلتنا الميرم فاطمة ام ادريس عرضت لنا مكتوب زوجها الامين الحاج احمد عيسى نظرت به بأنه أوهب لها حاكورته « نعمة » التي سبقت فأعطيته إياها فالآن هو أوهبها لزوجته وأنا أتممت لها هبة زوجها فصارت ملكاً وحوزاً لها تتصرف فيها في ذاتها وغلالتها الشرعية والعادية لها ولذريتها من بعدها . هذا جوابي ومهري لمن يعرفه تحريراً في ٧ شعبان سنة ١٢٦٩ ١٥ مايو ١٨٥٣ م ، اه . وهذه حجة العربان :

« من حضرة سلطان المسلمين وخليفة سيد المرسلين سيدنا ومولانا السلطان محمد الحسين المهدي المنصور بالله تعالى آمين الى كل من يقف على هذا الرسم من ولاية الامور والأمراء والوزراء والملوك والشراقي والدمالج وأبناء السلاطين والميامر والجبايين وملوك العربان والمشايخ والكراسي والخدامين ومقاديم وكافة اهل الدولة من الخدام . اما بعد فاني سابقاً تفضلت وأعطيت صهرنا الحاج احمد عيسى عرباً من الماهرية من جماعة الشيخ دلم وأسمائهم عبد النعيم ونعمان والداني واحد وحسين وحامد وزرزار وطاهر وعجوز واحد هؤلاء الرجال المذكورون كسرت عظمهم واتبعتهم لصهرنا الحاج احمد عيسى وعفوت له بجميع منافعهم وصاروا تبعاً له ولذريته والآن صهرنا المذكور أعطاهم لابنته الميرم زهرة في زينة رأسها وأعلمني به فأنا أتممت لها وقابلتها بجميع منافعهم الشرعية والعادية من الزكاة والفقرة والدم والفسق والهامل وغير ذلك ليس عليهم شوية ولا نوبة ولا خدمة جميع امرهم مقابل اتنايتنا (أي ابنة بنتنا) الميرم زهرة لا يتعرض لها فيهم معترض ولا ينازعها منازع بل صاروا عرباً لها ورعاتها لها ولذريتها من بعدها هذا جوابي ومشرطي ومهري لمن يعرفه تحريراً في عام ١٢٦٨ ١٨٥٢ م ، اه .

اختتام السلاطين ، وكان سلاطين الفور يختمون كتبهم من أعلاها بختم كبير على شكل دائرة قطرها نحو اربعة قرازيط وهي منقوشة سطورا مستوية بين كل سطر و سطر خط دقيق او خطين يضع فيها اسمه وأسماء البعض من أجداده على قدر ما يسع الختم الا انه لا بد من إنهاء النسب بالسلطان سليمان جدتم الاعلى ومؤسس سلطنتهم وقد يكون حول السطور سطرا في دائرة مكتوب فيه آية من القرآن .

صرة الحرمين : وكانت سلطنة الفور مستقلة عن دول الارض كلها لا تدفع جزية لأحد . ما عدا الحرمين الشريفين فانها كانت تخدمها بمحمل و صرة كل سنة فكان موكب المحمل يأتي الى مصر ومعه الريش والسن والصنغ وغيرها من خيرات البلاد فيبيعها ويتم بشمها نقود الصرة ثم يستطرد الحج الى الحرمين مع الركب المصري .

منزل السلطان ابراهيم : وكان منزل السلطان ابراهيم آخر سلاطين الفور قائما على شاطئ خور تسدلي الشالي وهو منزل متسع له سور من الطوب الاحمر محيطه نحو ثلاثة اميال وعلوه نحو عشرين قدما وحول السور على عشرة امتار منه زريبة من شوك . وللور بابان كبيران باب للشمال وهو باب الرجال وباب للجنوب وهو باب الحرم ومنزل السلطان في الوسط . ومن كل باب منها الى منزل السلطان سبعة ابواب تفتح شرقا وغربا أي انها على زاوية قائمة من البابين الكبيرين وهي عبارة عن شباك من العيدان تصل ما بين أطراف جدران متوازية مبلية داخل السور . وعند كل باب منازل للضباط بهيئة القضاطي او الرواكيب . اما منازل السلطان فكلها مبنية بالطوب الاحمر غرفا مستوية السطوح وغرف منامه وجالوسه مكسوة جدرانها وسقوفها بالجوخ الملون منها غرفة معدة لجلوسه مع الخاصة تسمى « التيرمه » وله غرفة معدة لاستقبال العامة عند الباب الرابع من ابواب الرجال تسمى « كالا » وكانت سلاطين الفور يقتنون من النساء عشرات . اربع منهن شرعيات والباقيات غليات .

لباس السلطان : وكان لباس السلطان قيصاً مقصباً فوقه برنس مقصب يحمله شال من الكشمير وعلى رأسه تاج مزركش بالذهب تحف به سبع ريشات رهيبة من الذهب والفضة على شكل الامواس وفي رجله حذاء من السختيان الاسلامبولي الاصفر او الاحمر وعلى جنبه الأيسر سيف محدب على بالذهب .

جلوس السلطان : وكان جلوسه في « التيرمه » على عنكريب او سجادة في الارض وعن يمينه غدة من قطن . وفي الراكوبة « كالا » على دكة عالية من الطين مفروشة بالسجاد . واذا جلس على « الككر » او كرسي السلطنة لمبايعة الناس له حمل في يده اليمنى صولجاناً وهو عصا طويلة ملبسة بالفضة المحلاة بالذهب وفي يده اليسرى سيف مستقيم وعلى جنبه الأيسر سيف محدب فيبايعة اهل الحل والعقد ليلاً وفي الصباح يبايعة العامة وهذه هي صورة المبايعة : « بايعتك على السمع والطاعة الامر أمرك والنهي نهيك على السنة والكتاب .

مقابلة السلطان : وكان القاصدون باب السلطان يأتون باب الراكوبة « كالا » ويستأذنون في الدخول عليه فلما ان يدعوهم الى التيرمه او يخرج فيقابلهم في الراكوبة « كالا » وكان الداخل عليه يخلع نعليه وطاقيته وسلاحه خارج الباب ويتقدم حتى يكون على عشرين متراً منه فيلقي بنفسه الى الارض ويحبو على الركب والأيدي كالسحفاة الى ان يكون على بعد اربعة امتار منه فيقف جاثياً على ركبتيه منكس الرأس ويدعو للسلطان وهو يمسد الارض بكفيه يميناً وشمالاً ويقول : « أطال الله بقاءك وسترك الله ونصرك على أعدائك ولا أراك سوءاً ولا مكروهاً أبد الدهر » ثم يشرع في الكلام الذي جاء لأجله . وكل من دخل على السلطان ولو انه أخوه لزمه مثل ذلك الا العلماء وملوك الفراتيت فان لكل فريق منهم آداب خاصة .

اما العلماء فان الداخل منهم على السلطان يحني رأسه الى ان يكون على اربعة امتار منه فيجلس على الارض جلسة المصلي ثم يرفع كفيه ويرفع السلطان

كفيه ايضاً ويقرآن الفاتحة معاً ثم يأخذ العالم في الدعاء للسلطان وهو يصفق بكفيه والسلطان يؤمن على دعائه الى ان يتم الدعاء . وأما ملوك القرايت فالدخل منهم على السلطان يلقي بنفسه الى الارض وهو على ٢٠ متراً ثم يدنو منه متدحرجاً كأنه جذع شجرة حتى يصير على اربعة امتار منه فيستوي جالساً ويدعو للسلطان وهو يصفق بكفيه ثم يشرع في الكلام الذي جاء لأجله .

ركوب السلطان الى الجامع : وكان في الفاشر جامع فخيم على نحو فرسخ من منزل السلطان والسلطان يخرج اليه بموكب حافل كل يوم جمعة لأداء صلاة الظهر فكان الفرسان يجتمعون عند باب الزريبة صفوفاً عن جانبي الطريق وأمامهم المشاة حاملين النبائيت ينتظرون خروج السلطان من منزله . وقبل الظهر بساعتين يركب السلطان جواداً مزركش العدة عند باب التيرمه فترفع الامباية صوتها اشعاراً للعساكر بأن السلطان قد ركب فيتجهزون لاستقباله . ثم يخرج اليهم وأمامه العساكر الحاملة الاسلحة النارية مشاة ومن ورائه الخيصفان راكبين الخيول وبينه وبين الخيصفان بعض الجياد بسروج الرهط كاملة العدة يقودها السياس خلفهم صفاً واحداً وعن جانبي السلطان نفر من المشاة يتناوبون حمل مظلة واسعة تظله وتظلل جواده وهي مصنوعة من نسيج متين مطرز بالقصب ومنبطنه بأطلس مختلف الالوان كل شقة بلون تتدلى من أطرافها شراريب قصب ولها يد طويلة من خشب متين منقشة بنسيج ملون كل شبر بلون . وعند خروج السلطان من الزريبة يحياه الفرسان بهز سيفهم فوق رؤوسهم فيردد تحيتهم بهز سبحة او سوط او منديل في يده . ويسير في موكبه هذا حتى يصل الجامع فيقف الموكب خارج السور ويدخل السلطان الى غرفة معدة له عند باب السور فيخلع ثياب الملك ويلبس لباس الصلاة وهو جبة بيضاء وعلى رأسه عمامة بيضاء فوق مكايه من الحرير يغطيها ثوب من الشاش الابيض الرقيق على هيئة الخطيب ثم يقف للصلاة في غرفة خاصة به لها نافذة تشرف على الإمام وبعد انتهاء الصلاة يرجع الى الغرفة التي عند باب السور فيخلع لباس الصلاة ويلبس لباس الملك ويعود بالموكب الى منزله .

جيش السلطنة : هذا ولم يكن عند سلاطين الفور جيش منظم حتى كفى بصر السلطان حسين فنظم جيشاً من عبيده وسلّحهم بالبنادق المعروفة بأبي روحين وجعل عليهم عبداً يُقال له « خير قريب » قومنداناً وبقي هذا الجيش الى زمن السلطان ابراهيم فحارب به الزبير باشا على ما تقسم . وكان سلاطين الفور الذين تقدموا السلطان حسيناً اذا أرادوا جمع الرجال للحرب أصدروا أمرهم الى المقاديم فبعث هؤلاء بالأمر الى الشراقي ومشايخ البادية فجمعوا عدداً معلوماً من الرجال على نسبة عدد بلادهم حتى اذا ما اجتمع العدد المطلوب ساقهم المقاديم بأنفسهم الى ساحة الحرب .

تجليد النحاس : وكان سلاطين الفور يجلدون النحاس « المتصورة » الذي غنموه من المبادلاب مرة في كل سنة . ويحتفلون بتجليده احتفالاً عظيماً يجتمع اليه موظفو البلاد وأعيانها فيأتون بثور وخروف أبلقين ينقونها من قطيع يربونه في جبل مرة لهذه الغاية ويدبحونها ويجلدون يجلدها النحاس المذكور .

اختبار أولاد السلاطين : ثم يأخذون فخذاً من الثور وفخذاً من الخروف ويتركونها حتى يلتئما ثم يطبخونها بشطة وملح كثير ويضعونها في قدح في غرفة منفردة ثم يؤتى بأولاد السلاطين فيدخلون واحداً واحداً الى قدح الطعام الذي يحيط به الحرس من عبيد السلطان ويبد كل منهم نبؤت كبير وكما دخل واحد أكل لقمة من الطعام فاذا لم يعمل من شدة نسيان اللحم وكثرة بهاراته لم يتعرض له احد بسوء بل سأله ان يفسل يديه وينصرف واذا سئل اتم بأنه خائن متمتع القدر وأرسل في الحبال الى جبل مرة حيث يبقى في السجن الى ان يُعفى عنه او يتولى سلطان آخر فيخرجه من سجنه .

كسر الضلع : ويأخذون ضلعاً من أضلاع الثور ويحكونها حتى تصير رخصة جداً قابلة للكسر فيأتي السلطان الى بيت النحاس بمركب خاص ماشياً على قدميه ووراءه كبيرة اخواته ومن ورائها جمهور من الجواري اللباسات . أبهى الحلي والحلل ومن خلفهن وعن جانبيهن الحصيان حاملين السياط والسلطنة

نفسه مكوم بقطعة شاش يمسك طرفيها من خلفه كبير أمنائه ويمشي الهويناء حتى يصل مكان النحاس فيأخذ الضلع التي أعدت له ويضرب بها النحاس فإذا انكسرت عدثوا انكسارها نصراً وسلاماً وزغرد النساء وضرب النحاس وإلا أوجس الكل شراً وخافوا سوء المصير :

العرصة وموكب السلطان : وبعد كسر الضلع يخرج مناد من قبل السلطان للاستعداد للعرصة فيجتمع الكل مشاة وفرساناً حلقة كبيرة في ساحة السوق امام منزل السلطان ثم يخرج ملك للنحاس يحنّده محيطاً بنحاسات الفور السبع محمولة على سبعة جمال وفي مقدمتها « المنصورة » التي غنموها من المابدلاب ثم « البيضاء » التي غنموها من آدم سلطان ودائي ثم نحاسات فور الحنس القديمة فيخترق الحلقة بموكبه حتى ينصفها فيقف متجهاً نحو الشرق. ثم يأتي السلطان بموكبه الخاص وهو راكب جواده ويقف مقابل ملك النحاس متجهاً نحو الغرب وبينها فسحة كافية لمرش الجيش . وموكب السلطان الخاص مؤلف من أولاده ووزرائه وأخته الكبرى والعلماء والقضاة قتقف اخته وراه راكبة جواداً ومن ورائها الجواربي حاملات أباريق النحاس بلا ماء وبينها وبين السلطان حملة الحراب المكسوة بالجوخ الملون ويقف أولاد السلطان عن يمينه ووزرائه عن شماله ويقف امام صفى الوزراء والأمراء صفان من العلماء والقضاة وتُرفع فوق رأس السلطان مظلة واسعة جداً تظله وجواده ومن ورائه رجлан حاملان مروحتين كبيرتين يزين حواشيها ريش النعام لحجب الشمس عن ظهره . وعن كلٍّ من جانبيه مروحة يحملها رجل يروح بها عليه . ثم يبدأ الاستعراض فيخرج الناس من الحلقة فرقاً كل فرقة يتقدمها رئيسها راكباً على جواده فيحيي السلطان بهز سيفه فوق رأسه فيرد السلطان التحية بهز سوطه ثم يرجع هذا الرئيس برجاله الى مكانه من الحلقة فيعرض الرئيس الذي يليه وهكذا الى تمام الحلقة . ثم يتقدم السلطان وحده الى النحاس ويدور حول الجبال التي تحمله فيهب السيف فوق كل نحاس ثم يدور من داخل الحلقة لرؤية الجند ويعود الى موكبه فتستقبله اخته وجواربها بالزراغيت ثم

بأمر فينصرف النحاس ثم يتبعهم بموكبه الى ان يدخل منزله فيتفرق الجنود الى منازلهم. وبعد ايام 'ينادى الى مثل هذه العرضة وهكذا الى سبع عرضات ثم ينصرف كل الى بلاده. وأما في زمن الحرب فيسير الجيش على الترتيب الذي مر ذكره في الكلام عن السلطان تيراب. وكانت عادة سلاطين الفور ان يضربوا النحاس في يومي الاثنين والخميس في الصباح والمساء.

العلم : وكان في دارفور مساجد جمة في كل بلدة مسجد او اكثر يعلم بها الكتابة والقرآن وكان لكل عالم مسجد قرب منزله يصلي به الصلوات الخمس وفي لصقه خلوات للمجاورين يعلم بها العلوم الشرعية وله « حاكورة » هبة من السلطان يعيش هو وتلامذته من ريعها. وكان بعضهم يجيء الى مصر لتلقي العلوم في الازهر ولهم فيه رواق معروف برواق دارفور الى اليوم.

المجامع : اما الجوامع فكان لهم في كل بلدة شيدة جامع إلا الفاشر ففيها جامعان جامع بناء السلطان عبد الرحمن عند بنائه الفاشر فحسنته السلاطين الدين خلفوه وهو في القسم الشمالي من البلدة مسيرة ساعة من بيت السلطان. وجامع بنته اخت السلطان حسين في القسم الجنوبي من الفاشر. وكوفي ففيها ايضا جامعان جامع القاضي احمد ود طاهما من اهل كوفي وجامع الفقيه سعد العالم من اهل الحبير علي.

الزراعة والصناعة : وأهم زراعة دارفور الدخن يزرع على المطر. وفيها من أرباب الصنائع الحدادون والتجارون والحاككة والدباغون لقضاء حاجاتها كما في بلاد سنار.

التجارة : وكان لها تجارة مهمة مع كردوفان وبحر الغزال ووداي ومصر وكان يرد منها الى مصر من ١٠ : ١٥ الف جبل تحمل الرقيق والسن والريش والصمغ والتمر الهندي والنحاس والنطرون وحبة العين والجلود والأقداح الخشبية والأطباق والعسل فتعود الى دارفور ومعها من الانسجة القطنية

والحريرية الدبلان والشيت والحام والجوخ والاطلس والملايات الحجازية والبنادق والسيوف والسروج وأنواع الحلى الذهبية والفضة والمريجان والسوميت وغيره من أنواع الخرز المطلوب عندهم .

وكانت العملة الرائجة قطع مختلفة من الدمور ثم راج بعد الفتح المصري للسودان المقاطع المصرية من الحام المصبوغ المسار ذكرها وراج في كردوفان ايضاً قطع دقيقة من الحديد على أشباه المسامير الكبيرة تسمى الحشاشات .

الامير علي دينار : هذا ما تيسر لي استقصاؤه عن حال سلطنة الفور القديمة قبل دخولها في حوزة مصر تلقيت أكثره عن الشيخ الطيب محمد بن المار ذكره . ويقال انها الآن تسير على مثال هذا النمط في عهد أميرها الحالي الامير علي دينار ابن الامير زكريا ابن السلطان محمد الفضل الذي يحكمها على جزية سنوية يدفعها الحكومة السودانية كما أشرنا آنفاً .

منشور السلطان ابراهيم عند توليته الملك : وقد عثرت على كتاب أرسله السلطان ابراهيم آخر سلاطين الفور الى الجهات يذيع فيه نعي ابيه السلطان حسين وتولية الملك بعده وهو :

نقش خاتمه في أعلى الكتاب :

ملك أمير المؤمنين السلطان ابراهيم ، ابن السلطان حسين ، ابن السلطان محمد الفضل ، ابن السلطان عبد الرحمن الرشيد ، ابن السلطان احمد بكر ، ابن السلطان موسى ، ابن السلطان سليمان صاحب البر والاحسان . يوم الاحد اثنين وعشرين صفر الخير سنة ١٢٩٠ هـ .

صورة الكتاب :

من حضرة من أثار به البلاد وأزال به الفساد سيدنا ومولانا السلطان ابراهيم المعتمد بالله تعالى آمين . الى حضرة محمود والامام احمد طه وكافة

الجلالة تجار كوبي وحواليها . اما بعد فالذي نعرفكم به آجرنا الله وإياكم في مصيبة سيدكم والدنا المرحوم السلطان محمد الحسين توفي الى رحمة الله وأنا توليت الملك بضعى الاحد اثنين وعشرين من شهر صفر سنة ١٢٩٠ هـ تعلموا به وربنا يازمنا وإياكم الصبر الجميل .



ختم السلطان حسين



ختم السلطان يوسف سلطان ودادي



أجناس الايثيوبيين على الآثار المصرية

انتهى الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث

الجزء الثالث

في

تاريخ السودان

الحديث

(وفيه خمسة أبواب)

THE MODERN HISTORY OF THE SUDAN

الباب الأول

في

تاريخ الفتح المصري للسودان

«منذ فتح سنار الى قيام الثورة المهدية في السودان
سنة ١٢٣٦ : ١٢٩٨ هـ - ١٨٢١ : ١٨٨١ م»

الفصل الأول

في

رحلة اسماعيل باشا على سنار

سنة ١٨٢٠ : ١٨٢٣ م

وفيها فتح دنقة وبربر والحروطوم وسنار وقازوغلي

أسباب الفتح : تقدم لنا ذكر الفوضى التي صارت اليها مملكة سنار بشقاق ملوكها بعضهم لبعض واستفحال وزراء الهمج الذين استأثروا بالسلطة وخلصوا سلطة الفونج . وكانت مصر في هذه الأثناء قد آلت الى البطل العظيم المنفوق له محمد علي باشا مؤسس العائلة الخديوية الفخيمة فبلغه خبر سنار من التجار المصريين المترددين اليها . وجاءه الملك نصر الدين ملك الميرقاب ببربر فشرح له حال سنار وما صارت اليه من الضعف والانحلال وهون عليه أمر افتتاحها . وجاءه ايضاً رجل من عائلة الزبير المالكة في ارقو وأخبره بحال دنقة وعيث المالك فيها . وكان محمد علي باشا يود افتتاح سنار والاستيلاء عليها لأسباب جمة منها :

اولاً : الاستيلاء على مناجم الذهب في سنار التي طبقت شهرتها الآفاق وكثرت فيها الأقاويل والقصص الموضوعة ولا سيما في مدينة القاهرة .

ثانياً : امداد جيشه برجال من السود الذين اشتهروا منذ ايام الفراعنة بصلاحياتهم للجندية وشدة بأسهم في الحروب .

ثالثاً : استئصال شأفة الممالك الذين بقيت منهم بقية في دنقلة كما مر .

رابعاً : توسيع ابواب الرزق لأنصاره الاتراك والارناؤط والمفسارية الذين قهر بهم الممالك في مصر والنوهابية في بلاد العرب خصوصاً وقد اصبحوا بعد حرب الوهابية مصدر تعب له لأنه أراد ان ينظم جنده على مثال جند بونابارت فلم يوافقوه على ذلك واعتبروا عمله بدعة ولم يرد قهرهم لأنهم هم الذين شدوا ازره وساعدوه على تثبيت قدمه في مصر فأراد ان يرسل بهم الى سنار ليستريح من أتعابهم من جهة وينال بهم مطعمه بالفتح من جهة اخرى .

خامساً : اكتشاف منابع النيل لنفع العلم والزراعة المصرية .

سادساً : توسيع نطاق التجارة المصرية والانتفاع بموارد التجارة السودانية . وكانت علائق السودان بمصر في ذلك الحين ضعيفة جداً اذ لم يكن يقصده من التجار إلا المخاطرون من اهل الصعيد من طرق دراو واسوان وكورسكو وكثرت في خطر دائم هم وأموالهم لأنه فضلاً عن مشقة هذه الطرق وأخطارها الطبيعية كان الخبراء يحكون بهم بحسب أهوائهم فلربما أوصلهم الى نصف الطريق وطلبوا حلواناً فوق الاجرة المتفق عليها فاذا لم يدفعوا لهم الحلوان تركوهم ليزلوا او يموتوا جوعاً او عطشاً . وكان التجار اذا وصلوا بلاد النيل سالمين نزلوا في حى ملك من ملوك البلاد او شيخ من مشايخها وعرضوا عليه بضاعتهم فاذا أعجبته وكان طالعهم سعيداً رضي المضيف عنهم وعوضهم من تجارتهم شيئاً من الذهب وسن الفيل وريش النعام وإلا استصدر تجارتهم وطردهم من بلاده او أمر بسجنهم وتعذيبهم .

فلهذه الاسباب كلها وبالنظر لما طبع عليه محمد علي باشا من حب الحرب والفتوح وشدة الرغبة في توسيع نطاق بلاده أقر على اغتنام الفرصة والاقدام على فتح سنار .

وقد محمد علي باشا الى سنار : وتمهيداً لذلك، أرسل سنة ١٨١٢ م وفداً الى ملك سنار وقصده في الظاهر تحريض الملك على طرد الممالك الذين لجأوا اليه من مصر وفي الباطن الاستطلاع على أحوال بلاده وما يلزم من الجيوش لفتحها . وقد ارسل اليه هدايا فاخرة 'قدّرت قيمتها بنحو ٤ آلاف ريال من شالات كشمير وأنسجة حريرية وأسلحة ونحوها . فأرسل اليه ملك سنار اربع جوارير وبضعة جلود غر وقط زباد وقردين وأسدأ صغيراً (مات في الطريق) وكلها لا تساوي في سنار ثمانين ريالاً . فلم 'يسر' محمد علي بالهدية ولكنه 'مر' بتقرير الوفد الذي قوّى عزمه على فتح سنار .

اكتشاف الصحراء الشرقية : وفي أثناء ذلك ارسل الموسيو فردريك كايو العالم الفرنساوي الشهير الى الصحراء الشرقية لاكتشاف معادن الزمرد والذهب التي دلت التواريخ العربية على وجودها فيها فقام الموسيو كايو من الرئيسية من اعمال اسنا في ٢ نوفمبر سنة ١٨١٦ م وبعد مسيرة ستة ايام وصل الى جبل زبارة فوجد فيه كهوفاً قديمة وحفائر ودهاليز وآلات شتى وآثاراً تدل على استخراج المعادن من هذا الجبل وعلى انقطاع العمل فيه فجأة فالتقط من هناك بعض قطع الزمرد فقويت بها آمال محمد علي فبعث به ثانياً الى ذلك الجبل وأصحابه نفرأ من الاروام والارناؤط فقام من القاهرة في ٢ نوفمبر سنة ١٨١٧ م وعاد بعد قليل بلا فائدة ولكنه فصل جغرافية تلك البلاد وأخبار سكانها العباددة وقد عثر على أطلال مدينة خاوية على عروشها وعين موقع مدينة بيرنيس القديمة المعروفة الآن برأس بناس .

الحملة على سنار : ولما أتم محمد علي باشا استعداداته جهز جيشاً مؤلفاً من ٤ آلاف مقاتل وعقب لواءه لابنه اسماعيل باشا وأمره بفتح سنار وهذا تفصيل الجيش : ١٢٠٠ فارس من الاتراك والارناؤط والمغاربة بقيادة غابدين بك . والحاج عمر وعمر كاشف مع كل منهم ٤٠٠ فارس . و ٤٠٠ فارس و ٨٠٠ راجل من البدو والمغاربة . و ٦٠٠ راجل من الاتراك و ٣٠٠ راجل من

الطوبجية ومعهم ٢٤ مدفعاً ثمة ٤ بقيادة محمد أغا . و ٧٠٠ رجل من العبايدة بقيادة خليل وداود كاشف انضموا اليه في اسوان . وصحب الجيش نحو ألفي نفر من التبّع منهم ٢٠ ملوكاً حرس اسماعيل باشا الخصوصي مع ٣٠٠٠ رجل و ٣٠٠٠ مركب لحمل الزاد والمؤونة والذخائر . وصحب الجيش ايضاً ثلاثة من نخبة العلماء وهم : القاضي محمد الاسيوطي والحنفي والسيد احمد البقلي الشافعي والشيخ السلاوي المغربي المالكي ووهب كلا منهم خلعاً سنياً و ١٥ كيساً وأوصاهم ان يحثوا اهل البلاد على الطاعة بلا حرب بحجة انهم مسلمون وان الخضوع لجلالة السلطان امير المؤمنين وخليفة رسول المسلمين واجب ديني .

فتح دنقلة سنة ١٢٣٥ هـ ١٨٢٠ م .

وسار الجيش من القاهرة بالبر الغربي والنيل في أوائل يوليو سنة ١٨٢٠ م ولحق به اسماعيل باشا مع اركان حربه في ٢٠ يوليو سنة ١٨٢٠ فأدركه في اسوان فأقاموا هناك برهة ريثما اجتازت المراكب الشلال الاول .

ثم دخلوا بلاد الذوبة وكان الحاكم عليها في الدرّ حسين كاشف فجمع رجاله بقصد مقاومة اسماعيل باشا فلم يوافقه اخوه حسن على ذلك ففرّ بعبيده الى كردوفان فولّى اسماعيل باشا حسناً على البلاد التي بين اسوان وحلفا وتقدم الى حلفا فأقام فيها نحو ٢٠ يوماً حتى اجتازت المراكب الشلال الثاني .

ثم استطرد السير جنوباً في بلاد سكوت وكان فيها الكاشف حسن وردي متحصناً في قلعة جزيرة ساي ومعه بضعة مئة رجل من العبيد والاعوان مسلحين بالبنادق وبعض المدافع فجاء الى اسماعيل باشا مسلماً فأقرّه في مركزه ولكنه ما لبث ان عصي الناظر الذي أقيم في سكوت من قبل اسماعيل باشا وقتل بعض رجاله فأرسلت الحكومة المصرية عسكرياً فحاصروه في القلعة ثم اغنوا القلعة بالبارود وقتلوه وشتتوا شمل رجاله ومن ذلك الوقت هدأت البلاد ولم يعد يُسمع فيها صوت حرب حتى كانت المهديّة سنة ١٨٨٥ م كما سيجيء .

وتقدم اسماعيل باشا الى المحس فتلقياه حاكمها الملك صبير في دلقو طائعا فأمته وأقره في مكانه . ثم تقدم الى ارقو فوجد فيها الملك طنبل من عائلة الزبير حاكما فأمته وثبته على كرسيه .

وكان في مراغة الى جنوبي ارقو ثمانون رجلا من الماهليك فأناه عشرون منهم مسلمين وفر الباقون الى شندي فسلموا هناك .

واقعة الشايقية في ٤ نوفمبر سنة ١٨٢٠ : وسار اسماعيل باشا في دنقلة لا يعارضه معارض بل كان ملوك البلاد ومشايخها يتلقونه بالطاعة والامثال وهو يؤمنهم ويقرهم على أماكنهم الى ان دخل بلاد الشايقية فرآهم قد تجمعوا لقتاله في كورتي مشاة وركبانا . وكان على الشايقية اذ ذاك ثلاثة ملوك : الملك صبير كبير الحنيكاب وحده بين العفاض وحناك ومركزه حناك حيث ابنتى له قلعة متينة من الحجارة وجعل فيها المزاغل ، والملك جاويش كبير العادلاناب وحده من حناك الى مروى ومركزه مروى وله قلعة حصينة في كجي ، والملك عمر كبير العراب وحده من مروى الى بلاد المناصير وأكبرهم الملك جاويش . ولم يكن مع اسماعيل باشا اذ ذاك الا فرقتان من الفرسان فيها ٨٠٠ فارس مسلحين بالبنادق وهما فرقتا عابدين بك وعمر بك لأن المراكب تأخرت في الشلالات فتأخر الجيش معها ولم تكن هذه القوة كافية لأن تكفل له النصر ولكنه لم يعد يمكنه الرجوع فأرسل للشايقية رسلا يدعوهم الى الطاعة ويقول ما مفاده : « ان أبي يرغب اليكم ان تسلموا سلاحكم وخيولكم وتتركوا الحرب وتؤدوا الجزية » فأجابته الشايقية : « اما الجزية فنؤديها بلا حرب وأما خيولنا وسلاحنا فما نسلها الا بالحرب لعلنا نفوز وتبقى لنا » فأقر اسماعيل باشا اذ ذاك على حرهم وأرسل مشة فارس لكشف خبرهم فأجاحت فرسان الشايقية بهم إحاطة السوار بالمعصم وانقضوا عليهم انقضاض البسور فقتلوا منهم ٧٥ رجلا وأقلت الباقون وفيهم عشرون جريحا الى اسماعيل باشا فلما رآهم طار صوابه ولم يعد له صبر حتى يأتيه المدد من الورا . ففي عصر ٤ نوفمبر سنة ١٨٢٠ قاد فرسانه وقصد الشايقية فوجدهم قد تجمعوا في

حلة قرب كورتي تعرف بأمر وفيهم نحو ألف فارس و ٢٥٠٠ راجل بينهم بعض النوبة الذين أرغموا على الانضمام اليهم وكلهم مسلحون بالسيوف والحراب إلا رؤوسهم فانهم كانوا متدرعين ومتسلحين بالبنادق والسيوف والدرق .

وكان في جيش الشايقية مهيبة بنت الشيخ عبود شيخ بادية السواراب فلما رأت جيش اسماعيل باشا مقبلاً امتطت هجينها وصاحت بقومها : « هيا بنا للدفاع عن استقلالنا وبلادنا » ثم زجرت هجينها ودفعته في وجه عساكر الامير فكرر الشايقية وراها بقلب واحد مستقتلين فتلقاهم المباركر بنار حامية وجرى قتال شديد حارب فيه الفريقان حرب الابطال مدة ٣ ساعات متوالية ولكن دارت الدائرة على الشايقية فكان مشاتهم يقتحمون النيران وهم يظنون انها لا تضرهم لانهم لبسوا الأحذية فقتل منهم ٨٠٠ رجل وأما فرسانهم فقد أنجحتهم ظلمة الليل فلم يقتل منهم سوى ١٥ فارساً . وأما عساكر الامير فقد قتل منهم ٣٠ رجلاً وجرح اثنان . وبعد الواقعة وزع اسماعيل باشا منشوراً في البلاد مآله ان كل من يأتي مسلماً يسلم ومن لم يأتي يعد عدواً ويحرق بيته ثم تقدم الى كورتي فأحرقها ونزل فيها ينتظر المدد فأتاه مثنى رجل من مشاته وفرسانه ومعها مدفعان وكان الشايقية قد اجتازوا النيل الى البر الشرقي وتحصنوا في طابيتي حنك وكجي فاجتاز اسماعيل باشا النيل وطردهم منها فالتجأوا الى قلعة حصينة في جبل الدقر فقتلهم اليها ورممهم بقنابل المدافع فخرجوا منها منهزمين فقتلهم فرسانه قتلاً وأسرأ قتل وكانوا كلهم أسروا رجلاً قطعوا اذنيه تشويهاً له وأسروا بنتاً للملك صبير تسمى صفية فأكرمها اسماعيل باشا وردّها الى أبيها فلما رأى منه هذه المكربة أتاه مسلماً طائماً وسلم بعده الملك عمر اما الملك جاويش ففرّ بمئتي رجل الى المتعة فلم هناك .

فتح بربر سنة ١٢٣٦ هـ ١٨٢١ م :

وبقي اسماعيل باشا في كورتي الى ان تكامل جيشه ودبر ما يلزمه من

الجمال للنقل فقام في ٢١ فبراير سنة ١٨٢١ الى كربينان وهناك قسم جيشه الى ثلاث فرق فذهبت غرقة بالمراكب وفرقة بالبر مقابلها حماية لها وكان بين المراكب ١٢٠ مركباً لا يمكن عبورها لكبر حجمها فأبقاها في كورتي بحماية بعض العساكر المغاربة وسار هو بالفرقة الثالثة وهم السواري والطويجية بطريق الصحراء فوصل النيل عند الباقيز في ٢٨ فبراير سنة ١٨٢١ م ولم ينتظر الفرقتين الآخرين بل استطرد السير جنوباً فوصل الغبش تجاه بربر في ٥ مارس سنة ١٨٢١ فقابله ملكها نصر الدين ملك الميرقاب المار ذكره بالترحاب وهناك بالنصر على الشايقية فأقره على بربر وأرجع عابدين بك ببعض العساكر الى دنقلة ليحكمها ويعجل في تحييل المؤن والذخائر . وفي ٢٢ مارس سنة ١٨٢١ جاءه الملك نمر ملك شندي طائماً فأمنه وكساه وأقره على بلاده . وجاءه الكبابيش والحسانية والبشاريين من اهل البادية مقدمين الطاعة فسأهم تقديم الجمل للحملة ولما لم يجيبوه ارسل عساكره فأخذوا الجبال منهم بالقوة . ثم سار الى التمة فوصلها في ٩ مايو سنة ١٨٢١ فأناه الملك مساعد مسلماً . وفي ١٥ من الشهر المذكور أناه الملك جاويز مسلماً مع المثنى رجلين الذين قرّ بهم من دار الشايقية وطلب اليه ان يرافقه برجاله الى سنار فقبله اسماعيل باشا وكساه وعينه على ١٤٠ من رجاله وعين كلا من الشيخ الازيرق والشيخ عبود شيخ بادية السوارب على خمسين رجلاً وربط لهم مرتبات معينة . وكان هذا اول دخول الشايقية الباشبوزق في جيش الحكومة المصرية بالسودان وقد بقوا فيه الى قيام الثورة المهدية كما سيجيء . وفي اليوم الذي سلم به الملك جاويز سار اسماعيل باشا بالجيش والشايقية وملكي السعداب الملك نمر والملك مساعد حتى وصل تجاه الحلفاية في ٢٥ مايو سنة ١٨٢١ فقابله الشيخ ناصر ود الامين كبير العابدلاب مقدماً له الطاعة فأمنه وكساه كسوة فاخرة وتركه في بلده لأنه كان منحرفاً للصحة وأخذ ابنه الامين رهينة وتقدم بالجيش الى ام درمان .

فتح الخرطوم سنة ١٢٣٦ هـ ١٨٢١ م :

وفي ٢٨ مايو سنة ١٨٢١ شرع العساكر في اجتياز النيل الى الخرطوم ولم يكن لديهم إلا مراكب قليلة فبقوا في ذلك ثلاثة أيام. وقد اجتاز الكثير منهم النيل سباحة ماسكين بأذنان الخيل وكان جملة الجيش الذي اجتاز من ام درمان ٥٥٠٠ رجل و ٣٠٠٠ جمل وجواد ففرق منهم ٣٠ رجلا و ١٥٠ جلا وجواداً . وفي الخرطوم قابله الفقيه محمد علي خليفة الفقيه الارباب فأمنه وأكرمه .

فتح سنار سنة ١٢٣٦ هـ ١٨٢١ م :

وقام من الخرطوم في ١ يونيو سنة ١٨٢١ قاصداً سنار وعليها اذ ذاك الملك بادي من الفونج أما القوة والسلطة فكانتا بيد وزيره محمد عدلان من الهمج كما مر .

وكان اسماعيل باشا عند وصوله الى المتمة أرسل الى الملك بادي كتاباً يدعو الى الطاعة فكتب اليه محمد عدلان في الجواب كتاباً مشهوراً يحفظ أهل سنار منه الى اليوم هذه الجملة التي مرّ فيها في كتاب السلطان محمد الفضل الى محمد علي باشا وهي : « لا يفرّئك انتصارك على الجعلين والشايقية فنحن الملوك وهم الرعية . أما بلغك ان سنار محروسة بحمية بصوارم قواطع هندية وخيول جرد أدمية ورجال صابرين على القتال بكرة وعشية » . وقال الرسل ان عند ملك سنار من ٨ آلاف الى ١٠ آلاف مقاتل ما عدا سبعة مدافع من الطراز القديم ٤ ونمرة ٦ أتى بها المالك من مصر .

وكان محمد عدلان فارساً مقداماً ذا عزم وتدبير ولو بقي حياً لأتعب اسماعيل باشا ولم يمكنه من سنار بالسهل ولكن من سعد اسماعيل باشا حدث ما ذهب بحياة محمد عدلان قبل وصوله الى سنار بأيام قليلة وذلك ان محمد عدلان لما سمع بجملة اسماعيل باشا على سنار أخذ في جمع الالهبة لصدّه ومحاربته .

وكان من عادة ملوك سنار في حفظ الجيوش ان يخصصوا لكل رئيس من رؤساء الجيش أراضي او اقطاعات يكون منها معاشه ومعاش عساكره ولم يكن لهم مرتبات معينة من الملك ففرق محمد عدلان رؤساء جنوده على الاقطاعات وأمرهم بجمع الغلال والتهيو للقتال ولم يبق معه إلا الأرباب دفع الله ود احمد وقليل من المساكر . وكان لحسن ود رجب ثار على محمد عدلان لقتله أخاه محمد رجب سابع وزراء الهمج كما رأيت في تاريخ سنار فاغتم هذه الفرصة وأوعز الى اثنين من رجاله هما عبد الله بنحيت وادريس عقيد وجماعة من حزبه فدخلوا على محمد عدلان في منزله ليلا فخرج عليهم وحاربهم بنفسه راجلا حربا شديدة حتى كسرم ثلاث مرات ولكنهم تغلبوا عليه أخيراً بكثرة العدد فقتلوه وقطموه ارباً ودفنوه في منزله وكان ذلك في أواخر مايو سنة ١٨٢١م فهاج حزب محمد عدلان فاجتمعوا في ١ يونيو سنة ١٨٢١ وحاربوا حسن رجب في حلة قندال على ٣ ساعات جنوبي سنار فكان النصر لحسن ود رجب ولكن هذا النصر لم يضمن له الملك فلما سمع ان جيش اسماعيل اجتاز البحر الأبيض فر من سنار بثلاثمائة رجل وبينهم قاتلا عدلان ولجأ الى جنبال فرنيس في حدود الحبشة .

أما اسماعيل باشا فانه زحف يحييه حتى وصل ود مدني فقابله رجب ود عدلان والإرباب دفع الله احمد بالطاعة فأمنهما وأخذهما معه. ولما قرب من سنار خرج اليه ملكها الملك إبادي طائعا وقدم له اربعة رؤوس من جياد الحبشة فكساه كسوة فاخرة وهي جبة شرف وشالا كشمير وسيف وطبنجات وجوادران مكسوآن احسن كسوه وقرره ملكا على أهله وأجرى له ولعائلته مرتباً من الدراهم والحبوب بقوا يتناولونه الى قيام الثورة المهدية في السودان . ودخل اسماعيل باشا سنار بالأهبة العسكرية في ١٢ يونيو سنة ١٨٢١م فأطلق ٢١ مدفعا احتفالا بذلك . وهناك قابله العلماء والاعيان وفي جلستهم الشيخ ضرار شيخ خشم البحر فتلقاهم بالبشر والإنسان وأجزل لهم العطاء ثم أمر المنادي فنادى في الناس بأن جميع القضايا التي سبقت دخوله سنار تعدّ ملفاة

لا يسمع فيها شكوى وإنما ينتظر في القضايا التي تحدث بعد الفتح .

وكان اول ما اهتم به بعد فتح سنار القبض على حسن ود رجب في جبل فرنيس فجهز عليه الملك جاويش ورجاله الشايقية و ٤٠٠ فارس من المغاربة بقيادة ديوان افندي فتسلقوا الجبل المذكور وأسروه وأسرخوا معه قاتلي ود عدلان بعد ان نكلوا برجاله وعادوا الى اسماعيل باشا في سنار فأمر بسجن حسن ود رجب وسلم قاتلي عدلان الى ابنيه ادريس ورجب ليقتلها بشار أبيها ففوضا أمر قتلها اليه فأمر برفعها على خازوق فراعها القتل على هذه الصورة وطلبها سيفاً يقتلان به نفسيها فلم يُسمع لها ولما قدما للقتل أظهر احدهما ادريس ود عقيد جزعاً وخوفاً فانتهره رفيقه بنجيت وقال له : « تشدد وموت موت الرجال » ثم أنفذ أمر اسماعيل باشا فيها وأشهرها في السوق يومين فكانا اول من رُفع على خازوق في بلاد سنار . اما حسن ود رجب فانه بقي مسجوناً مدة ثم أطلق سراحه برضى ابني محمد عدلان اللذين مكنا جبال الفونج فلحقها اكبرهما وذريته الى هذا العهد .

وكان اسماعيل باشا لما نزل في ام درمان على ما مرّ قد كتب الى الملك ادريس المحيئه ملك الجوعية يدعوه الى الطاعة فلم يجبه ثم بعد فتح سنار بلغه ان الملك المذكور أطلق يده في نهب أموال الناس فأرسل محمد سعيد افندي يجريده من الفرسان ومعهم الشيخ رحمه ود دحالة فزولوا عليه في منزله وقتلوه ورجعوا الى سنار وبذلك تمهدت البلاد لاسماعيل باشا من اسوان الى سنار .

وكان اول ما أجراه انه أمر بكتابة المنازل « عال ووسط ودون » ثم أحصى عدد الرقيق والماشية ولكنه لم يقرّر عليها مالا ولم يطلب من اهل البلاد سوى العلف لحيوله . وتأخرت المراكب التي كانت تحمل الزاد للمساكر فأرسل السرايا شرقاً وغرباً لجمع الزاد فلم يجمعوا كفايتهم فاشتد الجوع وبقوا مدة لا يأكلون الا الذرة وهم يتامون على الارض ومات عدد كثير من الحيل والجمال ولم تدفن فائر ذلك كله في صحة المساكر فقشت فيهم الحمى والديزنتاريا وأمراض شتى ولم يكن معهم الا عدد قليل من الأطباء فمات منهم خلق كثير

وقد بلغ عدد الوفيات فيهم يوم ١٦ أكتوبر سنة ١٨٢١ نحو ١٥٠٠ نفس وكان عدد المرضى مثل ذلك ولم يبقَ في الجيش كله من له قدرة على الخدمة سوى ٥٠٠ رجل فعلت شكوى العساكر وكثر تدمرهم فسكن اسماعيل باشا روعهم وفي ٢٤ و ٢٧ أكتوبر وصل ٢٦ مركباً من مراكب الزاد بعد ان غرق الكثير منها في الطريق فتمثلوا بها .

وفي أثناء ذلك وصل الخبر الى محمد علي باشا بفتح سنار فأرسل ابنه ابراهيم باشا لمساعدة اسماعيل باشا على تنظيم البلاد واكتشاف منابع النيل فوصل سنار في ٢٢ أكتوبر سنة ١٨٢١م فأطلق له ٢١ مدفعاً ترحيباً به . ثم نظر الاميران في ما يفعلانه فاتفق رأيا على ان يقسم الجيش قسمين قسماً يتولى اسماعيل باشا قيادته ويتألف من ١٥٠٠ مقاتل والملك جاويز والشيخ ضرار شيخ الكاتير فيمد فتوحاته في طريق النيل الازرق ويستطلع مناجم الذهب في بلاد شنقول وآخر يتولى ابراهيم باشا قيادته ويتألف من ١٢٠٠ مقاتل والملك بادي فيمخرق جزيرة سنار الى بلاد الدنكا ثم يمدّ فتوحاته في البحر الابيض الى أعاليه . فسار ابراهيم باشا في ٥ ديسمبر سنة ١٨٢١م قاصداً بلاد الدنكا وسار اسماعيل باشا بعده بيومين قاصداً بلاد فازوغلي وبقي ديوان افندي محافظاً ببعض الجند في سنار .

اما ابراهيم باشا فانه لم يصل جبل القربين في وسط الجزيرة حتى أصيب بالديزنتاريا فعاد الى سنار ومنها الى مصر وتولى سلاحداره طوسن بك قيادة جيشه فذهب الى الدنكا ثم الى جبل تاي فأخذ منه ٢٠٠ عبد وعاد الى سنار .

فتح فازوغلي ١ يناير سنة ١٨٢٢ م :

أما اسماعيل باشا فانه سار بالبر الغربي قاصداً فازوغلي وبعث بخمسة من رجاله فساروا تجاهه بالبر الشرقي فقابلوه في الطريق رسل من الملك حسن ملك فازوغلي وقالوا ان ملكهم مسلم له فليس عليه إلا ان يحارب الجوس

وكان ذلك في ١٩ ديسمبر سنة ١٨٢١. ولما كان يوم ١ يناير سنة ١٨٢٢ وكان اسماعيل باشا على بضعة أميال من فازوغلي قابله ملكها الملك حسن ومعه مئة فارس من حراسه حاملين الحراب فلما رأوا اسماعيل باشا ترجلوا جميعاً وتقدم الملك حسن قسماً عليه وقدم له جوادين من جياد الحبشة وأما حراسه فانتظموا في صف واحد ثم جثوا على ركبهم ونكسوا حراهم علامة الخضوع. وضرب اسماعيل باشا على فازوغلي وجبالها جزية قدرها ألف أقة ذهب وألفا عبد ذكر .

مناجم الذهب : ولما تم له هذا الفتح سار يحميه الى بني شنقول لمشاهدة مناجم الذهب وتحقيق ما سمع عنه فوصل خور «أبو» في ارض الكاميل التي فيها الذهب في ٢٠ يناير سنة ١٨٢٢ ومعه العالم الفرنسي الموسيو كايو المار ذكره فحفر في عدة أماكن من الخور فلم يعثر إلا على قطع صغيرة من التبر فخاب أمله وقفل راجعاً الى سنار فدخلها في ٤ فبراير سنة ١٨٢٣ م .

وكان ديوان افندي سعيد في مدة غياب اسماعيل باشا في فازوغلي قد فرض الضرائب على الأهليين بمساعدة المعلم جنا المباشر والإرباب دفع الله احد فجعل على رأس الرقيق خمسة ريالات وعلى البقرة نصف ريال وعلى الشاة والحمار ربع ريال . فتثقلت هذه الضرائب على الناس لأنهم لم يتعودوها وفي أثناء ذلك شاع ان اسماعيل باشا قتل في الجبال وان جنوده قد تشقت فتجرك اهل البلاد للثورة لا سيما وان أكثرهم سلموا لاسماعيل باشا خوفاً من بطشه فبلغ اسماعيل باشا خبرهم وهو في الطريق فأسرع الى سنار وهدأ البلاد وعامل الأهليين بالحلم والعفو ولم يقتل احداً سوى ود عجيلاي . ثم لم يرض بما قرره ديوان افندي والمباشر من الضرائب وطلب الدفاتر ليعملها فوجد ان المباشر قد أرسلها الى مصر فأرسل الشيخ سعد عبد الفتاح ليرجمها فلم يدركها فأمر بالرفق في تحصيل الضرائب .

ولما نزلت الامطار في سنار فشت الحصى في المساكن فذكر ما فعلته في معسكره سنة الفتح وذكر نصيحة الموسيو كايو له بالانتقال الى ود مدني لجود



ملك فاروغي

سنة ١٨٢١

هوائها فانتقل بعساكره اليها وبني فيها قشلاقاً كبيراً من الطوب لم تزل آثاره
باقية الى اليوم . ومات في ود مدني بعد انتقال العساكر اليها القاضي محمد
الاسيوطي الحنفي المتقدم الذكر والشيخ كرار العبادي ومحمود اغا القسطنطيني
احد سوارى المغاربة وهرب حسن ود وجب المار ذكره الي ابي شوكة .

الفصل الثاني

في

حملة الدفتردار على كردوفان

وفيها فتح الابيض سنة ١٨٢١ م

وكان محمد علي باشا بعد ان أرسل ابنه اسماعيل لفتح سنار قد جهز جيشاً آخر وعقد لواءه لصهره محمد بيك الدفتردار وأمره بفتح كردوفان وكان جيش الدفتردار مؤلفاً من اربعة آلاف مقاتل من المشاة والفرسان منهم ألف مقاتل من البدو والمناربة ومعهم عشرة مدافع نجرة ٤ فسار الدفتردار الى كردوفان بطريق دنقلة وأبي قس . وكان على كردوفان المقدم مسلم من قبل سلطان درافور فلما بلغه قدوم الدفتردار خرج لقتاله من الابيض فالتقاء في باره صباح ١٦ ابريل سنة ١٨٢١ م وحدثت واقعة دموية قاتل فيها الفريقان قتالاً ابطالاً وكان الدفتردار والمقدم مسلم في مقدمة رجالهما يحسانهم على الاستهلاك في الدفاع وكان رجال المقدم مسلم مسلحين بالحراب وكثيرون منهم مسلحين بالبناذق فثبتوا امام الجيش المصري طويلاً واقتسموا نيرانه غير مبالين بالموت حتى انهم اخترقوا صفوفه وجرحوا كثيرين من عساكر الطوبجية فوق مدافعهم وما زالوا يكرهون ويفرون حتى قتل قائدهم مسلم قتله أحد

بادية الجيهاب فوقع فيه الفشل وانهزموا امام جيش الدفتردار فأوسعهم قتلاً وأسراً الى ان دخل الأبيض ومهد البلاد . قيل وكان في جيش الفور فارس يقال له ابراهيم ود دير فدفع جواده على مدفع في قلب الجيش المصري فأدركه وقتل بعض الطويجية وضرب حديد المدفع بالسيف وكان السيف من الفولاذ الجيد فظهر أثر الضربة في المدفع وبقي يحارب في وسط الجيش الى ان قُتل . قيل انه قبل هجومه قال للذين حوله : « اني هاجم على هذا المدفع لأضربه بسيفي فإن عشت كان قسمي وإن مت كان وسمي » وقد كان الثاني فان هذا المدفع سُمي بمدفع ود دير وبقي في الأبيض الى ان وقع بيد الدراويش فحملوه الى ام درمان .

ولما استولى الدفتردار على كردوفان أخذ في الأهمية للزحف على دارفور وكان على دارفور في ذلك الحين السلطان محمد الفضل فأرسل جيشاً بقيادة ابي الكليلك لمحاربة الدفتردار واسترجاع الأبيض منه فالتقاء الدفتردار في « سودرة » وقهره وردّه خائباً كما مرّ في تاريخ الفور . وأبى الدفتردار ان يصحبه احد من الاوروبيين في حملته على كردوفان ليحرز الفخر كله لنفسه وكتب عدة رسائل الى القاهرة في أحوال البلاد وحاصلاتها وتجارتها ورسم خريطة لها فبعثت ساذجة بسيطة خالية من اتقان الصناعة اللازم في أيامنا . ولترجع الآن الى سير الحوادث في سنار .

الفصل الثالث

في

غدر الملك نمر وقتل اسماعيل باشا

سنة ١٢٣٨ هـ : ١٨٢٣ م

تقدم ان اهل سنار تحركوا للثورة مدة غياب اسماعيل باشا في فازوغلي وان اسماعيل باشا أسرع الى سنار فأخذ الثورة ولكن بقيت تحت رماد وما زال بعض الرؤوس يترقبون الفرص ليضرموها وكان اول من حاول ذلك رجب ود عدلان وأخوه عليّ فأرسل اسماعيل باشا ببعض العساكر فقتلوا رجباً على فراشه وأتوا اليه بعليّ أسيراً فقتله شنقاً .

ثم بلغه ان الملك نمرأ ملك السعداب في شندي متحفز للقيام فجهز بعض العساكر وأرسلها في المراكب وذهب بنفسه في شهر صفر سنة ١٢٣٨ هـ أكتوبر سنة ١٨٢٣ م قاصداً شندي فوصلها في شهر ديسمبر من السنة المذكورة . وحال وصوله أمر بإحضار الملك نمر فتهدده قيل وضرب عليه جزية قدرها ألف اوقية ذهباً وألف جل أصهب وألف ثاقبة منتجة وألف بقرة وألف شاة وألف عبد وألف جارية فأظهر تمام الامتثال وأخضر الغدر . ثم أولم وليمة فاخرة في منزله ودعا اليها اسماعيل باشا وعساكره فأكلوا وأكثروا من شرب

المريسة فسكروا وناموا فجمع الملك نمر عبيده وذوي قرباه وأخبرهم بمطالب
اسماعيل باشا وتهديده فأجمعوا على قتله هو وعساكره. ولما جن الليل أساطوا
المنزل بالنشيم وأشعلوا فيه النار فاحترقوا جميعاً واسماعيل باشا من الجملة قيل
ان حاشية اسماعيل باشا لما التهب النيران وقعوا عليه قصد رقايته منها فمالوا
فوقه حرقاً اما هو فلم تمسه النار فمات خنقاً . وانتشر خبر هذه الفعلة في
أقطار السودان فلنشط الكثير من الرؤوس للثورة وفرّ الارباب دفع الله المار
ذكره من ود مدني ونزل في حلة عبود فتجمعت عليه الجموع فشغل به محمد
سميد افندي عن الملك نمر وأرسل سرية من الفرسان لمطاردته فخرجوا من
ود مدني ليلاً وأصبحوا في عبود فوجدوا الارباب دفع الله قد فرّ يجموعه
فقتلوا الفقيه محمداً ولد عبد العليم خليفة ولد عبود وخرّبوا الحلة ونهبوا أموالها
وعادوا الى ود مدني . اما الارباب دفع الله فانه فرّ الى ابي شوكة واجتمع
على حسن ود رجب المار ذكره فأرسل اليها محمد سميد افندي سرية من
عساكر الدلتية والشايقية برئاسة مصطفى كاشف فقاتلها قتالاً شديداً وقتل
حسن ود رجب وعمه الشيخ حسيناً وابنه محمداً وجماعة من رجاله وغنم منها
غنائم ثمينة ورجع الى ود مدني .

وفي أثناء ذلك بلغ الدفتردار في كردوفان خبر اسماعيل باشا فخرج من
فوره بمعظم العساكر وأتى الى المتمرّة فوجد أهلها قد اجتمعوا جمهوراً واحداً
طالبين الأمان فأمتهم ثم وثب عليه رجل منهم فطمعه بحربة فاشتعل غيظاً
وأمر بقتلهم جميعاً ولجأ بعضهم الى خلوة الفقيه احمد الرياح فأمر باحراقهم فيها .
ثم عبر النيل الى شندي فوجد الملك نمر قد فرّ فأحرق المدينة وسار الى الحلفاية
فوجدوها خالية فأحرقها ايضاً واجتاز النيل الى جزيرة توتي فقتل فيها خلقاً
كثيراً. ثم ذهب الى المليفون وكان أهلها قد تجمعوا لمصادمته فأحدث فيها مجزرة
عظيمة وأحرق الحلة بالنار وسبى الكثير من العبيد والاحرار . ثم توجه الى
ود مدني فبلغه هناك ان أهالي البحر الابيض قد شقوا العصا فأرسل حسين اغا
الجوخدار فقتل وسبى ونزل على بيت الفقيه فضل الله من فريق النقاير فوجد

٧٢ رجلاً من الجمليين قد التجأوا اليه ففقطع أيديهم وساقهم إلى الأسر فمات أكثرهم. ولما تمهدت بلاد النيل عاد الدفتردار إلى كردوفان ولكن لم يكن إلا القليل حتى بلغه أن الملك نمرأ عاد إلى شندي فجاءها في عامه فلقبها الملك نمر ثانية إلى الفرار ومعه الملك المساعد وأقام بمحل في البطانة يقال له التصوب فلحق به ومعه بعض العساكر التركية والشايكية فصد له الملك نمر فواقعه في واقعة شديدة وقتل من جيشه خلقاً كثيراً وفيهم الملك المساعد واضطره إلى الفرار وعاد الدفتردار بالأسرى إلى أم عروق جنوب ود مدني قيل وقد جمع الأسرى في زريبة من شوك وتركهم في الشمس لا يظلمهم شيء وأجرى عليهم الماء بالجداول فمات أكثرهم من شدة الكرب ومنهم من اقتداه أهله بمال جزيل ومن بقي جعل لهم دأغاً في أكفهم بين الإيهام والسبابة وأرسلهم إلى عمه علي باشا في مصر فنظم المبيد منهم في جيشه وأذن للأحرار في العودة إلى بلادهم وقال «إن هذا فتح فلا غرو» إذا حصل فيه ما حصل من الجمليين» فماد أكثرهم وأقام الباقون في القاهرة في مكان تحت القلعة يعرف بمحوش الجاموس وما زالت ذريتهم هناك إلى هذا العهد.

وكان الشيخ بشير ود عقيد الجملي المسماي هو الذي دلّ الدفتردار على زعماء الثورة من الجمليين فقربه الدفتردار وجعله رئيساً على الجمليين مكاتب الملك نمر.

الملك نمر وأولاده على حدود الحبشة أما الملك نمر فإنه بعد انكساره في التصوب فرّ بمن بقي معه من الاتباع قاصداً الحبشة قيل فاشتد بهم العطش في الطريق ولم يكن معهم إلا بضعة جل للركوب فوقف الملك نمر وأرسل بعض رجاله بالجمال إلى أقرب الآبار فأثرو بماء قليل فجمع أتباعه وقال الماء لا يكفي الجميع فلسقي الآن اهزوا أي الضعيف الهزيل ونترك النشيط إلى أن نرد الماء فنشرب كلنا ثم ناداهم رجلاً رجلاً وسأل كلا منهم عن حاله وجمع الهزوا في صف والنشيط في صف آخر فاجتمع في صف النشيط نفر قليل فوزع الماء بين هؤلاء على التساوي وقال «إن الذي يصبر على العطش يصبر على الحرب

وحاجتنا الآن الى مثل هؤلاء ، وترك الهرو في الصحراء بموتون عطشاً وسار بالأشداء والماء قاصداً الحبشة . وكان على الحبشة في ذلك الحين الراس علي مقيماً في ولغايت فقص عليه قصته مع الحكومة المصرية واستأذنه في الإقامة في حدود بلاده فأذن له فنزل برجاله في دار غبطه وأجرى لهم الراس علي مرتباً يقتضونه من اهل الدار من غلال وخرفان ويقر وسمن وعسل على قدر حاجتهم . وأوعز الى مشايخ غبطه باكرامهم الى ان يتوطنوا فيعولوا أنفسهم . وكان عدد الذين وصلوا مع الملك نمر ١٢٠ رجلاً ما عدا النساء والاولاد وفيهم تسعة من أولاده وهم محمد واحمد وعمر وعماره والحسن وخالد وسعد وأبو بكر وعثمان . فأقام الملك نمر في غبطة سنتين ومات وخلفه ابنه عمر وسمع الجعليون وسكان النيل بتوطن السعداب في غبطة فاجتمع عليهم المتشردون وقطاع الطرق وكل من فر من وجه الحكومة من ظلم وقمع عليه او ذنب جناه او دين لا طاقة له على ايفائه حتى كثر عددهم وضاعت بهم الدار فسألوا الراس عليا ان يأذن لهم في النزول في دار ميقبة على ست ساعات من غبطة لأنها كانت داراً رحيبة وفيها أودية خصبة وأراض زراعية متسعة فأجابهم الراس علي الى ذلك فانتقلوا الى ميقبة وأقاموا فيها على سعة وصاروا على ازدياد حتى عظمت نفوسهم فأخذوا يغزون بلاد الحكومة مثل بني عامر والشكرية والضباينة والتكارنة كما سيجيء .

هذا ما كان من الملك نمر وأولاده وأما الدفتردار فانه بقي في ام عروق يتمقب العصاة في كل الجهات وينكل بهم حتى جاءه الأمر فنزل الى مصر ومعه السيد احمد السلاوي الحنفي المار ذكره وتابع بعده الولاة الآتي ذكرهم على السودان الى ان كانت الثورة المهدية .

الفصل الرابع

في

ولاية السودان

١ - عثمان بك سنة ١٢٤٠ : ١٢٤١ هـ - ١٨٢٥ : ١٨٢٦ م

ولما كانت سنة ١٢٤٠ هـ ١٨٢٥ م سمي الميرالاي عثمان بك والياً على السودان فذهب اليه ومعه آلاي من الجنود المنظمة الذين عرفوا بالجهادية ونزلوا في الخرطوم فأثاه الشيخ شنبول من ود مدني فأكرمه وكساه وقلده المشيخة على جميع البلاد من حجر العسل الى جبال الفونج . وأثاه الشيخ عبد الله عمر فقتله بقبيلة مدفع . ثم أقام عثمان أغا الخربوطلي وكيلاً عنه في الخرطوم وأمره بقتل الفقيه الارباب وذالكامل بقبيلة مدفع وتوجه هو الى ود مدني فقتل عدة رجال بقتال المدافع فمعظم ذلك على الأهلين ونفرت قلوبهم من الحكومة وأخذوا يهاجرون الأوطان . وكان السيد احمد البقلي المفتي الشافعي لا يزال في ود مدني فأرجعه الى مصر لعدم وجود شافعية في السودان .

ثم انتقل الى الخرطوم ونقل اليها اقلام الحكومة ومستودع الفرسان والمخازن والاشوان وجعلها مركزاً له فبقيت مركزاً للولاية وعاصمة للسودان

وهي تنمو وتتقدم الى قيام الثورة المهدية . وضرب عثمان بك الضرائب على الاهلين وأرسل الجنود في تحصيلها فعاثوا وأفسدوا وضيقوا على الرعية فكثرت عدد المهاجرين من اهل البلاد وهاجر بعضهم الى القضايف فأرسل خلفهم ابراهيم افندي فقتل منهم خلقاً كثيراً . وفشا فوق ذلك مرض الجدري واشتد الفلاء حتى بلغ ثمن الرطل المصري من الذرة غرشاً واحداً وأكل الناس الكلاب والحمر فكانت مدة عثمان بك بلاء ذهب فيه نحو نصف السكان من المرض والقحط والقتل والظلم ولكن لم تطل مدته فقد أصيب بداء السل وتوفي في منتصف شهر رمضان سنة ١٢٤١ هـ ٢٢ ابريل ١٨٢٦ م قبل تمام السنتين ودفن في الخرطوم .

٢ - عثو بك سنة ١٢٤١ هـ : ١٨٢٦ م

وأرسل وكيله الى محو بك في بربر يخبره بما حدث فحضر الى الخرطوم وتولى زمام الاحكام فيها ثم رجع الى بربر وأحضر الجنود منها فجعلهم في قبة خوجلي تجاه الخرطوم وأقام هو في الخرطوم وكان رجلاً شفوفاً عاقلاً حسن التدبير فنعى تعدي الجنود عن الاهلين ودعا غمد البلاد وأعيانها واستشارهم في ما يكون به راحة الاهلين فأعجبه رأي الشيخ عبد القادر ود الزين وكان اذ ذاك شيخ خط فقلده شياخة قسم الكوع وكساه كسوة فاخرة . ثم أخذه وذهب الى القضايف فأرسل الذرة منها الى بلاد الجزيرة التي كانت لم تزل تقاسم من الجوع وارتاح الناس الى حكمه كل الارتياح . الا ان جنوده المعروفين بالبيريكية لم يقتدوا به فخربوا حلة القبة التي نزلوا بها وخربوا ما حولها . وكانت مدته بضعة اشهر . وفيها مات جماعة من الفقهاء بمرض الجدري وبينهم محمد نور خليفة خوجلي والفقير السيد حماد والفقير محمد زروق والشيخ ادريس الذي ولاه عثمان بك منصب القضاء وغيرهم . وقد بنى محو بك في الخرطوم بناية خاصة لأقلام الحكومة وحفر بئراً قرب بربر عرفت باسمه وكان في جنوبي الخرطوم شجرة كبيرة عرفت باسمه ايضاً .

٣ - خورشيد باشا سنة ١٢٤١ : ١٢٥٤ هـ - ١٨٢٦ : ١٨٣٩ م

وفي غرة ذي القعدة سنة ١٢٤١ هـ ٦ يونيو ١٨٢٦ م حضر خورشيد باشا والياً على السودان فاستقبله محوبك في ام درمان و خلا به مدة ثم أحضر الشيخ عبد القادر وقدمه اليه وقال : « ان عمران البلاد برؤوسها اهل الرأي فخذ برأي هذا » ثم توجه الى المحروسة واجتاز خورشيد باشا النيل الى الخرطوم فعمل بوصية محوبك وقرب اليه الشيخ عبد القادر فهرع مشايخ البلاد وأعيانها للسلام عليه فقابلهم بالبشر والايناس ووعدهم بالراحة وأطلق سراح المسجونين من ايام عثمان بك .

وبعد حضوره بشهر أي في شهر الحجة هطلت أمطار غزيرة فزرع الناس وأمنوا شر القحط . وفي هذا الشهر غزا البحر الابيض فأصاب متناً كثيراً ثم توجه الى « دار الابواب » في النيل الكبير فقبض على الشيخ بشير ود عقيد المار ذكره لكثرة ظلمه في الرعية واهانه وتغرمة مالا جزيلاً . وعاد منه الى البحر الازرق فغزا غربان المعجبة يجهات سيرو وغنم منهم .

ثم رجع الى الخرطوم وجعل مشايخ البلاد وبنالهم ان يختاروا شيخاً لينوب عنهم لديه في تعديل الضرائب فاختراروا الشيخ عبد القادر فاستعان به على تعديلها وقلده المشيخة على جميع البلاد من حجر المصل الى جبال الفونج وخلق عليه كسوة فاخرة وسيفاً .

وقد صاحب خورشيد باشا من مصر السيد احمد افندي السلاوي المار ذكره قاضياً عاماً للسودان وصحبه جماعة من معاونين بينهم موسى كاشف وكلهم من اصحاب الرأي وراتب كل منهم سبعة أكياس وكان لا يقطع امراً بلا مشورتهم ومشورة المباشر ميتخايل ابي عبيد .

الشيخ ادريس وجهال الفونج : وفي محرم سنة ١٢٤٣ هـ يوليو سنة ١٨٢٨ م غزا بلاد الدنكة وتوجه منها الى جبال الفونج وكان عليها الشيخ ادريس ود عدلان المار ذكره فأقره في مكانه وعاد الى الخرطوم . وقد اشتهر الشيخ

ادريس في حب جارية تسمى تام زينة فكان لها سلطة عجيبة عليه . قيل انها كانت تكره ابا روف شيخ عربان رفاعة الهوي الذي تزوج باحدى بنات الهمج وبني حول منزله زريبة مثل زرائب الهمج فاستاءت تام زينة من ذلك وقالت للشيخ ادريس « أما كفى انك زوجت هذا البدوي من بنات عمك حتى سمحت له ببناء زريبة مثل زربنتك » فأمر الشيخ ادريس ابا روف ففتح في زربنته عدة ابواب لتمييز عن زرائب الهمج . على ان حب تام زينة للشيخ ادريس لم يكن اقل من حبه لها ومن نوادرها معه انها كانت اذا سألها المصر في رمضان هل غابت الشمس يا تام زينة فتجيب على الفور « شمسك غابت يا سيدي ولكن شمس الناس لم تغب » . وكان اذا خرج للتنزه خرجت معه تام زينة واحتاطه جماعة من جواريه فحملن أذيال ثوبه واذا جلس جلسن عن جانبيه يتلقين أوامره .

وكان للشيخ ادريس بنت تسمى نصره فزوجها رجلاً من حوش بان النقا فافتق السراي حسب عادة الاعيان في السودان فأنكرت عليه ذلك وسألته ان يترك جميع سراريه ويكتفي بها ولما لم يفعل اقتلت نفراً من العبيد المرد وقالت لزوجها « انت طلقت سراريك طلقت عبيدي وإلا فنحن في الحق سواء » فطلق سراريه . وخلف ادريس ود عدلان على الهمج ابنه رجب ثم محمد بن رجب الذي بقي الى ايام الثورة المهدية .

وفي سنة ١٢٤٣ هـ ١٨٢٨ م عصي الشيخ خليفة ابن الحاج العبادي ابو حسين باشا خليفة وهاجم الجنود في بربر فجهز له خورشيد باشا ولكنه لم يصل الى بربر حتى كان الجنود قد سكتوا الفتنة وقتلوا الشيخ خليفة المذكور فعاد الى الخرطوم .

وفي سنة ١٢٤٤ هـ ١٨٢٩ م غزا جبال « ابو رملي » وعاد منها غانماً . وكان أعظم ما وجه اليه اهتمامه تعمير البلاد ورد الأهالي الذين كانوا قد هجروا الاوطان في ايام الدفتردار وعثمان بك فأصدر منشوراً عاماً بالأمان للمهاجرين الذين لجأوا الى دارفور وجبال النوبة والملك نمر ودار العطيش على

حدود الحبشة . وكان في جلة اللاجئين الى دارفور محمد صالح ثروة الجملي المار ذكره فصادف هناك نجاحاً عظيماً وجمع ثروة طائلة حتى هان على الناس الرحيل عن الاوطان بسببه ومن ذاك قول بعض شعرائهم يتذمّر من ظلم الحكام ويغبط ود ثروة :

ان كان الترك حوض رمله حوض الرملة قط ما يدرى
شن بيناتنا من غير سروه لمكان ما سكن ود ثروه

فكان للمنشور خورشيد باشا تأثير حسن . وأشار عليه الشيخ عبد القادر باعفاء الفقهاء والاعيان من الضرائب حتى لهم على المساعدة في تأمين الأهالي فعمل بمشورته فعاد الكثير من المهاجرين الى أوطانهم .

وفي سنة ١٢٤٥ هـ ١٨٣٠ م قدم الشيخ احمد الريح المري من دار العطيش فأكرمه خورشيد باشا وكساه وأرجعه الى دارالعطيش لتأمين الفارين ثم ذهب بنفسه اليه فجمع ١٢ ألفاً وأرسلهم بالحرس الى أوطانهم . وأمن عرب الحدة .

احتداد القلايات : وتقدم خورشيد باشا الى القلايات فسلمت له وكانت أهلها التكرانة . وهم متخلفو حجاج الغرب قد انتظم لهم مشيخة قائمة بذاتها واقتنوا نحاساً وصاروا يحتفلون بتجليده كل سنة في عيد الرجبية ويكسرون الضلع على نحو ما وصفناه في تاريخ الفور . وأول شيخ اشتهر لهم بعد الفتح المصري لسناش الشيخ عطرون فقتل في غزوة غزا بها الحدة في دار العطيش . وخلفه الشيخ امام ثم الشيخ ميري وهو الذي سلم لخورشيد باشا . وكان التكرانة يدفعون مالا للحبشة لأجل تعمير سوقهم فوضع عليهم خورشيد باشا جزية سنوية فقبولها . ورأى خورشيد باشا أهمية مركز القلايات الحربية فجعل فيها حامية عسكرية مؤلفة من مئة جندي من الباشبوزق الاتراك وعاد الى الخرطوم بعد ان أخضع جبال قلي . ومن ذلك الوقت اشتهر امر القلايات واتسعت سوقها التجارية وكان لها في تاريخ السودان والحبشة أعظم شأن كما سيجيء .

وبعد رجوع خورشيد باشا الى الخرطوم شرع في بناء جامع وثكنة للجند
وغزن لمهاتهم وأمر الناس بالبناء بالطوب لأنهم كانوا يبنون بالبوص وجلود
البقر وقد أمدتهم بالأخشاب والالواح فرغياً لهم في العماره .

وفي سنة ١٢٤٥ هـ ١٨٣٠ م غزا الشلك بالمراكب غزوة كبيرة فقتل منهم
مقتلة عظيمة لم يروا مثلها الا في مدة الملك بادي رباط وعاد الى الخرطوم
بغنائم وسبايا كثيرة . وفي تلك السنة توفي الفقيه عبد القادر ود ضيف الله .
وزاد النيل زيادة عظيمة حتى خافوا على البلاد من الغرق .

وفي سنة ١٢٤٧ هـ ١٨٣٢ م غزا قبائل سدرات وحصرهم حصراً شديداً
الى ان أذعنوا له وطلبوا الأمان فأمنهم ورجع عنهم . وفيها حصلت زلزلة
عظيمة اهتزت لها الارض . وفيها توفي الفاضل الشيخ قمر الدين ابن الشيخ حمد
ود المذبذب المشهور وقد اشتهر بالصلاح والتقوى وهو صاحب طريقة
المجاهدين المشهورة . وفيها توفي خربوطي حسن كاشف حاكم اقليم الحلفاية
ولبحر الابيض ودفن في قبة خوجلي .

وفي سنة ١٢٤٨ هـ ١٨٣٣ م توجه خورشيد باشا الى كردوفان ففتقد أحوالها
ورجع .

وفي سنة ١٢٤٩ هـ ١٨٣٤ م أنعم عليه برتبة اللواء وسمي حاكماً عاماً على
السودان وفيها احتفل بختان أولاده احتفالاً عظيماً لم يسبق له مثيل في السودان
فحضره جميع المسلمين ورؤساء العساكر ومشايخ البلاد وأعيانها .

وفي سنة ١٢٥٠ هـ ١٨٣٥ م بنى جامعاً في سنار بأمر محمد علي باشا . وذهب
مرة ثانية الى كردوفان ورجع . وفيها عقد لجنة في شندي حضرها القاضي
العام ونائب الشرع وجميع المديرين لفصل الدعاوي التي أقامها الجمعليون على
بشير احمد عقيد في الأتبان التي استولى عليها من أيام الدفتردار وبقيت للجنة
الى ختام ذي الحجة سنة ١٢٥٠ هـ .

وفي غرة عرم سنة ١٢٥١ هـ ٢٨ ابريل ١٨٣٦ ذهب الى مصر بطريق
دنقلة فأقام فيها بضعة أشهر ثم عاد الى السودان وقد رقي الى رتبة ميرميران .

تاريخ السودان

وعند وصوله الى الخرطوم جمع الكشاف والمأمورين والشايف وخلا بالشيخ عبد القادر يومين فعرض عليه رأي تجنيد الأهالي فراجعته الشيخ عبد القادر في ذلك خشية تشتيت الاهالي وخراب البلاد فقر الرأي أخيراً على تكليفهم تقديم المييد للمسكرية فجعلوا على كل مديرية عدداً معلوماً من الرقيق فجمعوا عدداً كبيراً .

ثم غزا خورشيد باشا جبال الصعيد فأحضر منها رقيقاً كثيراً أدخل بعضه في الجيش وفرق البعض الآخر على المأمورين والجهات . وهاج الحبشة على الحدود فنزلوا ومعهم رجب ولد بشير الغول من شيوخ الحمة الى دار العطيش وقتلوا الرجل الصالح ود عاروض وخلقاً كثيراً فأرسل خورشيد باشا عليهم فرقة من المساكر الجهادية بقيادة محمد افندي فأمروا رجب ولد بشير وأتوا به الى خورشيد باشا في الرصيرص فقتله وشيخ علي الحمة احمد ابا جن وأسكنهم على نهر الدندر ورجع الى الخرطوم .

وفي تلك السنة رقي محمد افندي الى رتبة ميرالاي وأرسل بالمساكر السودانية الى الحجاز . وفيها كسفت الشمس بعد صلاة العصر نصف كسوف دام الى قرب الغروب .

وفي صفر سنة ١٢٥٢ هـ مايو ١٨٣٧ م هاجت ربيع شديدة مدة يومين متوالين ففي اليوم الاول ثارت قرب العصر فحملت غباراً احمر اللون أظلم منه الجو ثم انجلت بسرعة وفي اليوم الثاني هاجت وأثارت غباراً اسود اللون فاشتدت ظلمة الجو الى غروب الشمس فتشام الناس من ذلك وتوقعوا شراً عظيماً فحصل على الأثر قحط شديد فأخرج خورشيد باشا مئة أردب ذرة وتصدق بها على الفقراء وأخرج مئة أردب من شون الميري وأمر ببيعها في السوق رفقا بالريعية وأقام صلاة الاستسقاء .

وقبل نهاية تلك السنة أصاب الناس الهواء الاصفر فمات فيه خلق كثير وكان في جملة من مات من الأعيان : الفقيه السنوسي ابن الفقيه بقادي . والفقيه النخلي مقرئ القرآن الشريف بحلة بقادي . والفقيه محمد الحاج الطيب امام

جامع الخرطوم ، والفقير محمد علي ود عباس ، والشيخ الطريفي ابن الشيخ يوسف ، والشيخ محمد ابن الشيخ حسن خليفه ولد بان النقا ، والشيخ سعد عبد الفتاح العبادي ، والشيخ مصطفى خليفة الشيخ دفع الله العربي . ولما اشتد المرض في الخرطوم ذهب خورشيد باشا الى شندي فأقام فيها . ومن هناك أرسل رجب بن بشير ود عقيد المتقدم الذكر الى الخرطوم فرُفع على خازوق . وبعد زوال الوباء رجع الى الخرطوم فهدم الجامع الذي كان قد أنشأ سنة ١٢٤٥ هـ لأنه أصبح صغيراً لزيادة العمارة في الخرطوم وأنشأ جامعاً أوسع منه بقي الى ايام الثورة المهدية .

وفي تلك السنة ظهر نجم كبير نصف النهار وخرج منه شرار ! وفيها أصابت الناس حمى سميت أم سبعة هلك فيها خلق كثير ومات بها من الاعيان العوج الدرب ابن الفقير محمد بركات من ذرية الشيخ ادريس المشهور بالكرم والجود وقد سميت ام سبعة لأن من أصابته لم تمهله سبعة أيام ومن تجاوزها سلم منها .

وفي شهر رمضان من تلك السنة غزا احمد كاشف حاكم القضايف أطراف الحبشة فغنم وسبى وأرسل السبايا الى الخرطوم .

وفي ٩ محرم سنة ١٢٥٣ هـ ١٤ ابريل سنة ١٨٣٨ م نزل الحبشة على القلايات وكانت حاميتها قد زيدت فقتلوا شيخها الشيخ ميري والشيخ احمد عبود أحد سوارى الشايقية وخلقاً كثيراً من الجنود والأهالي وأسروا بكباشي الاورطة وعلي اغا الصهيب سنجق المغاربة والملك سعداً من سوارى الشايقية وعادوا الى بلادهم وكانت الواقعة في كلتبو قرب راشد فعرفت بواقعة كلتبو . قيل ان الشيخ احمد عبود لما رأى انكسار المساكر ولم يرَ فائدة من الدفاع افترش فروته فقتلوه عليها . فلما بلغ خورشيد باشا خبر الواقعة جهز جيشاً وسار الى الحبشة لأخذ الثأر تاركاً سليمان كاشف وكيله عنه في الخرطوم فدخل الحبشة فلم يقابله جيش فرجع الى القلايات بلا قتال فحصنها وزاد في حاميتها وقفل راجعاً الى الخرطوم .

وكان خورشيد باشا قد أرسل الى مصر في طلب المدد فلما كان ذو القعدة من تلك السنة حضر الى الخرطوم ميرميران « احمد باشا ابو ودان » ومعه الميرالاي فرهاد بك يمنود من مصر أمداداً له وأدركه فرهاد بك في الطريق فعادا معاً الى الخرطوم .

وفي تلك السنة حضر الميرالاي مصطفى بك من كردوفان مديراً على عموم جزيرة سنار ، وفيها خسف القمر نحو ساعتين واشتد ظلامه .

٤ - احمد باشا ابو ودان سنة ١٢٥٤ : ١٢٥٩ هـ - ١٨٣٩ : ١٨٤٤ م

وفي ربيع الاول سنة ١٢٥٤ هـ مايو ١٨٣٩ م صدر الامر الى خورشيد باشا فنزل الى مصر واستلم احمد باشا ابو ودان زمان الحكمدارية مكانه فأسف الأهالي لفراقه لأنه ضم شملهم بعد الشتات وعاملهم بالعدل والرفق وكان الشيخ عبد القادر أكثر الناس غماً على فراقه وقد أوصي به احمد باشا فقرّبه ولم يقطع أمراً يتعلق براحة الرعية إلا بمشورته وشجع في الاحكام بحسن سياسة وبعد نظر فنظم الدواوين والمديريات وحسن حال الكتبة والموظفين ثم التفت الى أمر الضبط والربط فأبطل السخرة ومنع تعدي المساكر على الفلاحين ووطد الامن في البلاد حتى أمن المسافر والمقيم من حلفا الى أقصى حدود السودان وبذلك اطمأن الأهالي وزادت عمارتهم وخصبت ارضهم حتى صار أربب الذرة بخمسة قروش وأوقع الله هيبته في قلوب المباد مع انه لم يكن بذيء اللسان ولا سفاكاً للدماء بل كان وقوراً كثير الصمت وكانت أوامره ونواهيه مقصورة على ما قل ودل كقوله افعلوا او لا تفعلوا ولم يجسر أحد على مخالفتها . وسرت هيبته الى جميع فروع الحكمدارية حتى قيل ان الموظفين والمأمورين في الجهات كانوا يتوهمون انه مقيم بينهم يسمع ويرى فيحذرون في ما يفعلون كل الحذر .

زيارة محمد علي باشا للسودان : وفي أيامه توجه محمد علي باشا الى السودان لمشاهدة البلاد التي افتتحها وتفقدها وبحثها وكشف مناجم الذهب بنفسه فسار

من القاهرة في ١٥ أكتوبر سنة ١٨٣٩ م فوصل الخرطوم في ٢٣ نوفمبر وكان احد باشا اذ ذاك متقيماً في ود مدني فقابله وكيله مقلي عبد القادر اغا ثم حضر واستأذن للقاضي والمفتي وال علماء في مقابلته فأذن لهم فسرّوا من طلاقة وجهه وحسن خطابه . وأقام ٢٢ يوماً في الخرطوم ثم سار الى جبال فازوغلي فوصلها في ١٨ يناير سنة ١٨٤٠ وفي مبعثه احمد باشا الحكدار . فاستقبله الشيخ الزين والشيخ ادريس ود عدلان شيخ الهمج والشيخ احمد ابوسن شيخ الشكرية وسائر مشايخ العربان والحلّالات فقابلهم بالبشر والايناس وأمر لهم بالكسّى على حسب رتبهم . وقد بُني له قصر جميل قرب فامكة فأقام فيه مدة يبحث في أمر الممدن فلم يُرضه نتيجة البحث وقفل راجعاً الى الخرطوم فأقام فيها اياماً قليلة واستطرد السير عن طريق كورسكو فوصل مصر في ١٤ مارس سنة ١٨٤٠ م .

وفي سنة ١٢٥٥ هـ ١٨٤٠ م توجه احمد باشا الى دنقلة للنظر في أحوالها فأقام فيها اياماً وفي رجوعه بلغه في شندي فرار حمد ولد الملك نمر فذهب خلفه يجرّدة من الفرسان ومعه الملك كنبال فنجا حمد ولد الملك وقتل الملك كنبال وعاد احمد باشا الى الخرطوم . وفي رابع شوال من تلك السنة توفي العلامة البليدي المفتي .

وفي سنة ١٢٥٦ هـ ١٨٤١ م زاد البحر زيادة عظيمة . وفيها فتحت بلاد كلا ودخلت رسمياً في جوزة الحكومة الخديوية وهاك تفصيل الفتح :

فتح التاكا سنة ١٢٥٦ هـ ١٨٤٢ م :

لما استتب الامر لآحمد باشا في الخرطوم وضواحيها اهتم باحتلال السودان الشرقي وعييده ففساد الجنود الى بربر وأرسل يطلب مشايخ البجة فأثاه الشيخ محمد دين شيخ الهدندوة العام مظهراً التسليم اما عوض مسبار كبير الحلانقة المار ذكره في تاريخ سنار فانه أبى الحضور . وكان بين الحلانقة والهدندوة عداوة قديمة وحروب متصلة فطلب محمد دين من احمد باشا ان يمدّه بنفر من

الجنود فيخضع الخلائقة له ويكفيه مؤونة تعبهم وهو انما أراد التكيل بهم من جهة ومنع دخول الجيش الى بلاده من جهة اخرى فلم يحبه احد باشا الى ذلك بل سار بنفسه مع الجيش قاصداً الخلائقة فلما ذاع الخبر اجتمع الخلائقة وعينوا محمد إيلته شيخاً عليهم فخرج مع بعض وجهاء قبيلته لمقابلة احمد باشا والتسليم له فلقبه في قوز رجب على الاتبرة وقدّم له الطاعة وسأله ان يجعل مركز الجيش في بلاده . وكان الخلائقة مقيمين على القاش قرب جبل كسلا فلما رأى احمد باشا بلامهم أعجبه موقعها فبنى فيها استحكامات منيعة وجعلها مركزاً للجيش وحكومة السودان الشرقي وأقرّ محمد إيلته على شياخة الخلائقة. اما عوض مسمار فانه فرّ الى الحجاز عن طريق سواكن ثم عاد الى كسلا بأمان الحكومة فعين ابنه محمد شيخاً على القبيلة ومن ذلك الحين صار عائلتنا عوض مسمار ومحمد إيلته يتناوبان مشيخة الخلائقة الى اليوم .

اما الهدندوة فانهم لما رأوا ان احمد باشا مال الى أضدادهم وجعل بلامهم مركزاً لحكومته ارتدوا عنه وجمعوا جوعهم في غابتي وهياي والكلياب شمالي كسلا فحوّل احمد باشا مجرى القاش ومنع عنهم الماء فعطشوا وأخذوا في التفرق ثم لما يبس الشجر أطلق النار في الغابتين فدعروا منها فلهق بهم وقتل منهم خلقاً كثيراً وأسر شيخهم محمد دين وزجّه في السجن الى ان مات بداء الجدري .

وعاد احمد باشا الى الخرطوم بعد ان ولّى عمر بك كاشف مديراً على كسلا ثم عزل عمر بك وسمي فرحات بك مديراً فعصاه الهدندوة فاستعان بالخلائقة عليهم وقاتلهم حتى اضطروهم الى الطاعة وسبّخ عليهم موسى ابراهيم ابن أخ محمد دين وأخذ منهم الجزية . ثم ارسل البكباشي الياس افندي قومندان الجهادية الى بني عامر فقاتلهم في الدقا وأرغمهم على الطاعة . وضرب عليهم الجزية . وتوفي فرحات بك في كسلا ودفن فيها .

وبعد فتح التاكا زعمت خارطة السودان وقُسمت الى سبع مديريات وهي : فازوغلي وسنار والخرطوم وكسلا وبربر ودنقلة وكردوفان فجعل

تاريخ السودان

قومندان الجنود في كل مديرية مديراً عليها وجعلت الخرطوم مركز السودان ومقر الحاكم العام .

وتوفي احمد باشا في رمضان سنة ١٢٥٩ هـ اكتوبر ١٨٤٤ م في الخرطوم ودفن فيها وكانت وفاته بغتة حتى قيل انهم دسوا له السم ليتخلصوا منه لأنه كان يحاول الاستقلال عن مصر. وبعد وفاته تضعض حال الحكمدارية واختل نظامها واستقل كل مدير بمديرته وصار يفعل فيها ما شاء .

٥ - احمد باشا المنكلي سنة ١٢٥٩ : ١٢٦١ هـ - ١٨٤٤ : ١٨٤٥ م

وفي سنة ١٢٥٩ هـ ١٨٤٤ م سنة وفاة احمد باشا ابو دان حضر احمد باشا المنكلي حاكماً عاماً للسودان ولم يمكث في الخرطوم إلا قليلاً حتى عاد أهل التناكه الى الثورة نظراً لسوء ادارة الموظفين وعدم كفاءتهم فجرد جيشاً كبيراً وسار لقتالهم ومعه الارباب محمد دفع الله والشيخ عبد القادر والشيخ احمد ابو سن كبير الشكرية فأمر رؤوس العصاة وعاد بهم الى الخرطوم فضرب رقابهم . بقي في الخرطوم الى أواخر سنة ١٢٦١ هـ ١٨٤٥ م ثم عاد الى مصر ومعه الارباب محمد دفع الله والشيخ عبد القادر الزين المار ذكرهما فأنزلهما محمد علي باشا في المسافر خانة وأمر باكرامها وبعد ثلاثة أيام طلبها وكلها بلا واسطة قيل فأعجب بذلك الشيخ عبد القادر وفصاحته وقال « ما كنت أظن أن بلاداً ليس فيها شيء من اسباب التمدن والتهذيب كبلاد السودان يخرج منها مثل هذا الرجل » وأمر له بنيشان وعين لتضييفه بإوراً فطاف بها في جميع دواوين الحكومة والاماكن الشهيرة في مصر والاسكندرية وسائر الجهات .

٦ - خالد باشا سنة ١٢٦٢ : ١٢٦٦ هـ - ١٨٤٦ : ١٨٥٠ م

وفي محرم سنة ١٢٦١ هـ يناير ١٨٤٦ م حضر الى الخرطوم خالد باشا حكمداراً للسودان ومعه الارباب محمد دفع الله والشيخ عبد القادر المار ذكرهما والشيخ ابراهيم الهيتمي قاضياً عاماً للسودان ف قضى أكثر مدته في الاسفار

فذهب إلى التناكه وعاد منها إلى جبال فازوغي وكردوفان في تطلب مناجم الذهب .

وفي أيامه انحرفت صحة محمد علي باشا لما أصاب مصر من الأوبئة والحن ولم يعد قادراً على القيام بمهام مصر فتولاها ابنه الأكبر « إبراهيم باشا » في منتصف سنة ١٢٦٤ هـ ١٨٤٨ م . وكان إبراهيم باشا منصرف الصحة فاشتد عليه المرض بفترة وفارق هذا العالم في ١٠ نوفمبر سنة ١٨٤٨ م . وكان « عباس باشا » ابن طوسون باشا ابن محمد علي باشا ولي العهد غائباً إذ ذاك في مكة فدُعي منها ووصل القاهرة في ٢٤ ديسمبر وتولى زمام مصر . وفي ٢ أغسطس سنة ١٨٤٩ م فاضت روح محمد علي باشا إلى خالقها بعد أن أبقي في مصر والسودان من الآثار الحسان ما خلده الذكر الحسن والثناء الجميل مدى الزمان .

٧ - عبد اللطيف باشا سنة ١٢٦٦ : ١٢٦٧ هـ - ١٨٥٠ : ١٨٥١ م

وفي ربيع الآخر سنة ١٢٦٦ هـ فبراير ١٨٥٠ م وصل عبد اللطيف باشا الخرطوم حاكماً عاماً للسودان وكانت الأحكام قد اختلت كثيراً في مدة سلفه فما دخل الخرطوم حتى انهالت عليه الشكاوي ضده فصادره وأنزله إلى مصر ثم شرع في الأحكام فأزال المظالم وبث روح العدل في البلاد . ومن مآثره أنه جدد ديوان الحكمدارية في الخرطوم فبقي إلى الثورة المهدية . وأنشأ مدرسة أميرية في الخرطوم برئاسة رفاعة بك الذي حضر من مصر ومعه بيومي بك وكثير من الكتبة والمعلمين . وعزل الشيخ إدريس عدلان السالف الذكر من شيخا جبال الفونج وولى ابن أخيه عدلان محمد مكانه . وضرب حسن مسار ملتزم الجمارك وحبسه وصادره . وعزل حسن خليفة العبادي ملتزم سكة عتمور أبي حمد من المشيخة وحبسه وصادره أيضاً وقلد المشيخة أخاه حسين خليفة . وقلد الشيخ عبد القادر وظيفة معاون الحكمدارية مع مشيخة مشايخ عموم الجزيرة وأحسن معاملة الشيخ أحمد أبي سن وعاد إلى مصر في أواخر سنة ١٢٦٧ هـ ١٨٥١ م .



ابراهيم باشا



عباس باشا الأول

غزوة تكارنة القلابات للملك عمر في ميقبة ، وفي أيام عبد اللطيف بلشا
 هاج تكارنة القلابات من تمديات للملك عمر على بلادهم فجهشوا جيشاً كبيراً
 وساروا لمقاتله في ميقبة واتفق في هذه الأثناء أن مدير كسلا أخرج نفراً من
 رجاله لغزو الجادين وكان أحد أنسباء الملك عمر بن كسلا فظن أن الغزوة على
 أهله فلنفذ اليهم خبراً ليكونوا على حذر فأخذوا عائلاتهم إلى مضيق بين جبلين
 قريب ميقبة ويقواهم في ميقبة متربصين فلقترب التكارنة منهم ولما رأوهم
 حقبليين من الجنوب ظنوا أنهم أصدقاء لهم سمعوا بغزوة الجند من الشمال فحضروا
 لنجدتهم فخرج أبو بكر أخو الملك عمر لاستقبالهم مع جريدة من الفرسان فما
 كان من التكارنة إلا أنهم بأدروهم بالطعن بالحراب فعادوا إلى ميقبة مدعورين
 فوجدوا الملك عمر جالساً في ديوانه فقالوا له أن الذين ترامهم تكارنة القلابات
 وقد جاؤوا لحربنا فقم بنا إلى مكان العائلة وكان التكارنة قد دخلوا ميقبة على
 أثر الفرسان فرأى الملك عمر أن فراره من مكانه عار عليه فافتش فروته
 وانتظر الموت فاجتمع عليه السعداب وقالوا له أتعطي التكارنة فأل الجمعليين
 فمكنهم من نفسك ليكون لهم الفخر بقتلك ولك من ذلك مهرب فقم بنا نجمع
 شتاتنا ونعود إلى طرد الأعداء من ديارنا « فان الرجال شرّاده وراده » ثم
 حلوه بالرغم عنه ووضعوه على بغلة وساروا يحاربون من خلفه حتى وصلوا إلى
 المضيق الذي كانت فيه العائلة فلموا شعثهم ولبسوا دروعهم وتسلحوا بكامل
 السلاح ومكثوا ينتظرون باقي إخوانهم فلما طال انتظارهم التفت محمد ابن الملك
 عمر إلى أبيه وقال على م هذا الانتظار والتكارنة يسلبون أموالنا أمام عيوننا
 وهم على بعد مئة خطوة منا قال ننتظر أولاد دياب قال محمد : أليس فينا
 الكفاءة لطرد هؤلاء الخراف من ديارنا حتى ننتظر أولاد دياب ؟ قال له أبوه
 دعنا من هذا الحس الآن فاني أخاف إذا حمي الوطيس أنك تأبى القتال وتلجأ
 إلى الفرار فهاجت في محمد حمية الرجال وقال لأبيه : « أبى القتال وأفر منه
 وجدتي الملك تمر وأبى الملك عمر وأمي بنت دياب ؟ أنت الذي تفر منه يا
 ابن البدوية ! » فدفق للملك عمر حصانه وقال لقومه : « حيناً بنا على ميقبة

وانظروا اليوم قتال ابن البدوية ، فكر " رجاله وراءه . فخرج التكرانة لقتالهم والتحم الفريقان فصار الفارس من السعداب يهاجم جمعا من التكرانة فيفتك بهم فلما رأى التكرانة كثرة القتل فيهم فزعوا الى تل صغير قرب ميقة وتحصنوا فيه فاحتاط بهم السعداب وكان معهم عشر بنادق فأخذوا يرمونهم بالرصاص حتى كثر القتل فيهم وعطشوا فصاروا ينزلون من التلة ثلة بعد ثلة والسعداب يقبضون عليهم قبض اليد ويسلمونهم الى النساء والنساء يأخذنهم الى مكاتب بعيد عن نظر الباقين من اخوتهم على التلة ويقتلنهم بالعصي والنبايت الى غروب الشمس حتى لم يبق على الرابية احد فقتلهم عن آخرهم وكان عددهم نحو ٦٠٠ نفس فغنموا خيولهم وأسلحتهم وعادوا الى ميقة فسكنوها آمنين .

وذهب الملك عمر الى الرأس علي فأخبره بما كان وأعطاه عشر الغنائم على عادته فأكرمه الرأس علي وأهدى اليه بعض الجياد . وانتشر خبر هذه الواقعة في جميع أقطار السودان واشتهر بأس اولاد الملك نمر فزاد عدد المهاجرين اليهم .

٨ - رستم باشا سنة ١٢٦٧ : ١٢٦٨ هـ - ١٨٥١ : ١٨٥٢ م

وفي سنة ١٢٦٧ هـ ١٨٥١ م تمّتي رستم باشا حاكما عاما للسودان فذهب الى ود مدني وعاد منها مريضا فتوفي في الخرطوم سنة ١٢٦٨ هـ ١٨٥٢ م ودفن هناك . وفي مدته حضرت لجنة من مصر للنظر في احوال السودان كان رئيسها ميري بيك .

٩ - اسماعيل باشا ابو جبل سنة ١٢٦٨ : ١٢٦٩ هـ - ١٧٥٢ - ١٨٥٣ م

وفي رمضان سنة ١٢٦٨ هـ ١٨٥٢ م حضر الى الخرطوم اسماعيل باشا ابو جبل حاكما على السودان فجال في الجهات الشرقية قليلا ثم رجع الى الخرطوم وبقي فيها الى ان صدر الامر برجوعه الى مصر وكانت مدته قصيرة .

١٠ - سليم باشا سنة ١٢٦٩ : ١٢٧٠ هـ - ١٨٥٣ : ١٨٥٤ م

وفي شعبان سنة ١٢٦٩ هـ مايو ١٨٥٣ م عُيّن للسودان سليم باشا فذهب



سعيد باشا

الى الخرطوم على غير اراسته وأقام فيها متبرضا مدة قصيرة ثم نُتدب الى القاهرة .

١١ - علي باشا مرزي سنة ١٢٧٠ : ١٢٧١ هـ - ١٨٥٤ : ١٨٨٥ م

وفي جمادى الاولى سنة ١٢٧٠ هـ فبراير ١٨٥٤ م وجهت حكدارية السودان الى علي باشا مرزي الارناؤطي فذهب الى الخرطوم ولم يخرج منها الا الى سنار ثم عاد الى مصر بعد مدة قصيرة قيل وقد ملأ جيوبه من مال البلاد ولا سيما من جزيرة سنار .

وفي شوال سنة ١٢٧٠ هـ يوليو سنة ١٨٥٤ م توفي د عباس باشا ، الى رحمة ربه . وتولى بعده علي مصر د سعيد باشا ، ابن محمد علي باشا .

١٢ - علي باشا شركس سنة ١٢٧١ : ١٢٧٣ هـ - ١٨٥٥ : ١٨٥٧ م

وفي جمادى الثاني سنة ١٢٧١ هـ فبراير ١٨٥٥ م وصل الى الخرطوم علي باشا شركس حكداراً على السودان .

زيارة عبد الحليم باشا للسودان : وفي اول مدته ذهب الى السودان عبد الحليم باشا ابن محمد علي باشا زائراً فأقام في الخرطوم اياماً وانتشر الهواء الاصفر فامتد الى جميع اقطار السودان ومات به خلق كثير .

ومن مات فيه من الاعيان الشيخ عبد القادر ابن الشيخ الزين شيخ مشايخ الخرطوم وسنار المتقدم الذكر وكان رجلاً فاضلاً جليلاً سديد الرأي فعُضِرَ دفنه الحاكم العام ووُكِنَته وجميع وجوه النبلاء . وعُيِّنَ ابنه الزبير مكانه فخدم في الخرطوم مدة ثم نزل الى مصر فمُئِنَ معاونا في نظارة الداخلية . وتوفي فيه الشيخ ياسين شيخ مشايخ مديرية كردوفان وهو من الأكابر العظام والشيخ الطريفي ابن الشيخ احمد الريح العربي والفقير عمر بقادي العالم المشهور وغيرهم . ولما اشتد المرض أشار الحكماء على عبد الحليم بترك الخرطوم فعاد الى مصر .

زيارة سعيد باشا للسودان : وبعد زوال الوباء ذهب سعيد باشا والي مصر

الى السودان لتفقد أحواله فوصل الخرطوم في ١٦ يناير سنة ١٨٥٧ فساءه حاله وأقر في بادئ الرأي على أخلائه ولكن اعيان البلاد ومشايخها توسلوا اليه بالحاج ان يعدل عن رأيه وقالوا له اذا أخليت البلاد عمت الفوضى لا محالة وربما لحق إذاها مصر فعدل عن رأيه وأمر بمدة اصلاحات فجعل الخرطوم وجزيرة سنار مديرية واحدة وفصلها عن باقي المديريات وجعل كل مديرية مستقلة عن الاخرى ترجع في أحكامها الى مصر . ونظم البوستان بين الخرطوم ومصر فسيرها على المهجن بطريق كورسكو . وخفض ضرائب الأطيان والسواني ومنع الجند من جمعها فأناط ذلك بمشايخ البلاد وقرّر جمعها بعد الحصاد لا قبله . وأمر بمقد ناد من الأعيان في الخرطوم كل سنة للتظفر في راحة البلاد . وكان عند اول وصوله الى بربر اعلن ابطال تجارة الرقيق التي كانت قد انتشرت في السودان على ما سيحيى ثم أنشأ محطة عسكرية على نهر سبت لمراقبة تجارة الرقيق، وقطع دابر النخاسين . وعاد الى مصر في ١٣ ربيع الثاني سنة ١٢٧٣ هـ ١٠ ديسمبر ١٨٧٥ م . وقد رأى في سفره هذه شدة لزوم تقريب السودان من مصر وتخفيض مشقة السفر اليه فعند عودته الى مصر كلف الموسيو مونجل المهندس الفرنسي فرسم له خريطة سكة حديد بين حلفا والخرطوم ولكن مالية مصر اذ ذاك لم تسمح باخراج هذا المشروع الى حيز الفعل . وصحب سعيد باشا في هذه السفارة الدكتور ابانه باشا فكتب فيها كتاباً نفيساً .

١٣ - اراكيل بك سنة ١٢٧٣ : ١٢٧٥ هـ - ١٨٥٧ : ١٨٥٩ م

وكان سعيد باشا قد استصحب معه الى السودان اراكيل بك الارمني الملقب بالفرنساوي فلما نظم المديريات على ما مرّ عزل علي باشا شركس وعين اراكيل بك مديراً على الخرطوم فمكث فيها الى ان توفاه الله في صفر سنة ١٢٧٥ هـ سبتمبر ١٨٥٩ م وقد امتاز بحسن السياسة ولين العريكة قبل ان مشايخ الشكرية وغيرهم أنكروا على سعيد باشا تعيينه حاكماً عليهم وهو

نصراني من غير دينهم فأبوا مقابلته وجمعوا جموعهم للثورة فركب اراكيل بك هجينه وسار وحده حتى أتاخ بين أيديهم وقال « ان كنت انا السبب في عصيانكم فما انا الآن بين ايديكم فافعلوا بي ما تشاؤون على ان تعودوا الى الولاة اذ يزع علي ان تخرجوا عن طاعة ولي امركم بسبي » فعجب زعماء الثورة من جرأته وحسن اسلوبه وطابت نفوسهم ورجعوا عما عزموا عليه وصحبوه الى الخرطوم . وكتب اراكيل بك خبر الحادثة الى سعيد باشا في مصر فبعث في طلب زعماء الثورة فأرسل له الشيخ احمد اباسن شيخ الشكرية والفقير ابراهيم عبد الدافع صاحب تاريخ سنار المتقدم الذكر فسجنهما بالاسكندرية مدة ثم افرج عنهما وأرجعهما الى السودان بعد ان حلفا له بين الطاعة .

١٤ - حسن بك سلامة سنة ١٢٧٥ : ١٢٧٨ هـ - ١٨٥٩ : ١٨٦٢ م

وفي رجب سنة ١٢٧٥ هـ ١٨٥٩ م سمي حسن بك سلامة الشرکسي مديراً على الخرطوم ولكن لم تطل مدته قيل وكان فظ الاخلاق سيء الادارة قليل الخبرة في سياسة البلاد إلا انه كان ذنباً كثير الصلوات حسن الاعتقاد عفيف النفس .

١٥ - محمد بك راسخ سنة ١٢٧٨ : ١٢٧٩ هـ - ١٨٦٢ : ١٨٦٣ م

وفي محرم سنة ١٢٧٨ هـ يوليو ١٨٦٢ م عزل حسن بك وسمي محمد بك راسخ مدير التاكا مديراً للخرطوم فحضر اليها في شهر صفر وكان يحب الطرب والغناء . ومن مآثره القصر المشهور باسمه تجاه سراي الخرطوم .

وفي أيامه ألقى سعيد باشا النظام الذي سنته عند زيارته للسودان في استقلال المديرات عن الخرطوم ورجوعها في أحكامها الى مصر وأعاد النظام القديم في جعل الخرطوم مركزاً عاماً للسودان .

١٦ - موسى باشا حدي سنة ١٢٧٩ : ١٢٨١ هـ - ١٨٦٣ : ١٨٦٥ م

وفي ٤ صفر سنة ١٢٧٩ هـ ١ أغسطس ١٨٦٣ م قدم موسى باشا حدي حاكماً عاماً للسودان فجعل مركزه الخرطوم وبقي محمد بك راسخ مديراً فيها وكان لموسى باشا خدمات جمة في أكثر جهات السودان وقد أقمع عدة ثورات محلية في كردوفان وتقلي وأسمه معروف في البلاد فقابله أهلها باحتفال عظيم قتلا عليهم الفرمان الناطق بتعيينه حاكماً عاماً على السودان ثم أرسل إلى المديرين ومشايخ البلاد وأعيانها فعقد معهم مجلساً وسنّ قوانين جديدة لجمع الضرائب فأعطى كل فلاح « ماركياً » بيده ليدفع ما جعل عليه من الضرائب على ثلاثة أقساط معينة في السنة وكلما دفع قسطاً قيد له في « السركي » الذي بيده كما قيد في يومية الصراف وجعل من الأهالي نظار أقسام ومعاونين وأمرهم فلبسوا الملابس العثمانية وبذلك حسنت الحال وسهل تحصيل الاموال .

القلابيات والحبشة : وفي أيامه كثر تعدّي الاحباش على الحدود ودخل ألوف من العربان وفيهم الشيخ أحمد ابوجن شيخ عربان رفاعة الشرق في حمايتهم فجهز جيشاً كبيراً من الجنود المصرية المنظمة والباشوزق وسار في ٢ جمادى الآخرة سنة ١٢٧٩ هـ ٢٥ نوفمبر ١٨٦٢ م إلى بلاد القلابات فأخذ بعض الجيش ودخل الحبشة فامتنع الحبش في الجبال فعاد إلى القلابات ومعه العربان الذين كانوا قد هجروا البلاد فأمّنتهم وردّهم إلى بلادهم . وشرع في تحصين القلابات فأقام فيها « استحكاماً » منيعاً وحصّنه بالمدافع وأورطتين من الجهادية وجعل عليه آدم بك قومنداناً وضرب على القلابات جزية سنوية قدرها ٢٤٠٠ ريال . ثم أرسل جيشاً إلى أولاد الملك نمر فاكتسح بلادهم كما سيجيء . وذهب إلى التاكا فكث فيها مدة ثم رجع إلى الخرطوم في ٢٢ القعدة سنة ١٢٧٩ هـ ١١ مايو ١٨٨٣ م .

وكان على التكاونة إذ ذاك الشيخ جمعة أبو ذقن جاء بعد الشيخ أحمد ابن الشيخ ميري المار ذكره فقبل الجزية وامتنع عن ادائها إلى ملك الحبشة ولكنه

لم يزل يهدي اليه الأنسجة والأردية والسروج والساعات والخيل الدنقلوية بما قيمته أربعة آلاف ريال. وكان ملك الحبشة يهدي اليه الخيل واليغال والبن وغيرها حياً يتمير سوق القلابات وترويح التجارة بين السودان والحبشة . وضرب الشيخ جمعه الجزية على جميع واردات الحبشة من رقيق وخيل وبقر وحير وغنم وسن وذئب وشمع وزباد وبن وقمح وحبس وفول وحمص وشعير ومن وزبدته كما ضرب ملك الحبشة الجزية على واردات السودان في سوق وهنابي على ٤ أيام من القلابات ..

وخلف الشيخ ابو ذقن على التكارنة الشيخ صالح ادريس من مجاوري الازهر الذي كان اماماً لجامع القلابات وكان رجلاً شجاعاً صالحاً محبوباً وقد بقي على التكارنة الى ان كلفت الثورة المهدية فكان له مع زعمائها من الشأن ما سببه إن شاء الله .

عود الى اولاد الملك عمر في ميقية : تقدم ان اولاد الملك عمر ازدادت شهرتهم بعد انتصارهم على تكارنة القلابات وازداد عدد المهاجرين اليهم وكان في جملة هؤلاء رجل من قبيلة الهنادي القاطنة بديرية الشرقية بمصر كان سنجقاً في عنكر بربر فمينة ٩٠ - اسماعيل باشا ابو جبل ه على خمسين نفراً وأرسله لجمع الضرائب من عرباك رفاعة الشرق فأقام على ذلك سنة ونصف سنة الى ان قدم د ١١ - على باشا سري ٤ والياً على السودان فمزله وأرجعه الى بربر ثم لم يلبث ان طلبه الى الخرطوم فلبى الطلب ونزل في طريقه عند صديق له في شندي يسمى بشير اغا السنجق فقال له صديقه جئت اليوم من الخرطوم فسمعت فيها ان الحكمدان عازم على استرداد المبلغ الذي استوليت عليه من الحكومة مدة خدمتك في رفاعة الشرق بمجة ان اسماعيل باشا ابنا جبل قد استخدمك بلا وجه مالي اذ لم يكن لك عمل في ميزانية السودان . وهذا الحكمدان على ما ظهر لي رجل عظيم مستبد لا م له إلا جوع المال وانت رجل جليل القدر رفيع المقام فلا يحمل بك ان تعرض نفسك للالهانة والرأي عندي ان تعود الى بربر وتجمع له من المال ما يرضيه وإلا زجك في

تاريخ السودان

السجن حتى تدفع الفلس الاخير . فلما سمع ابو رواش مقالة بشير اغا هاله الامر وعزم من ساعته على الخروج من ارض الحكومة فرجع الى بربر وجهاز رجاله وخبوله وأمتعته وفر الى اولاد الملك نمر في ميقبة ففرحوا به وكان لهم أكبر نصير .

ومن لجأ اليهم فراراً من وجه الحكومة فتقووا به «محمود الحلاوي» وهو تاجر من جعافرة اسنا كان في كسلا يتجر في البضائع الاوربية فوقعت القرعة العسكرية عليه في مصر فجنده مدير كسلا وألحقه بالجهادية ولما كانت سنة ١٢٧٦ هـ ١٨٥٩ م فر هارباً الى اولاد الملك نمر وتزوج بنت الشيخ ابي رواش واتحد معهم على الغزو . وقد وجهوا أكثر غزواتهم على الشكرية والضبانية حتى اضطر الشكرية ان يعاهدوم على جزية سنوية يدفعونها لهم ليأمنوا شرم ومع ذلك لم يزالوا على التعدي حتى قتل ابو رواش في غزوة غزوا بها سبدرات وبقي الحلاوي الى ان ارسل موسى باشا الغزوة التي مر ذكرها فطلب الامان وعاد الى كسلا فحضر ثورة الجهادية فيها كما سيجيء .

هذا ويظهر ان الملك عمر واخوته كانوا قد ملئوا عيشة الغزو قبل فرار الشيخ ابي رواش اليهم وحنوا الى وطنهم فبعثوا في طلب الامان من الحكومة للعودة الى السودان وكانت الحكومة تود تأليفهم وحملهم على الطاعة فبعث اليهم المغفور له سعيد باشا بالامان وهاك صورة ما أرسله الى الملك عمر بتاريخ ١٧ محرم سنة ١٢٧١ هـ ١٠ اكتوبر سنة ١٨٥٤ م نمره ٩ سايره :

«قد صدر هذا الفرمان المبعوث بالتشريف والامان الى عمدة أمثاله المكرمين الشيخ عمر. ولد نمر أعلم انه قد طرزق منساعنا انهاء علي باشا حاكم دار السودان انك في حنين الى وطنك وأنتك على مزيد الرغبة والاشتياق الى الرجعى الى ديارك انت ومن يليك من الاقارب والاتباع عاقداً نيتك على حصول العمار في محلك وبذل عزيمة صداقتك في اداء الطلبات الميرية لتفوز بحميل التقرب بالمتن البهية وانك علقت انتقالك من الغربية الى الوطن على تحصيل هذا الفرمان لتتقلد به شرفاً وتحظى به بالظمان والامان فاقضت ارادتنا اجابة مسؤولك

بإصدار هذا اليك ليم به مرادك وليطرق مسامعنا بعد هذا ثمرات صداقتك واجتهادك وتقابل من لدنا بما يليق بذلك فعمليك يحمّل السمي في أحسن المسالك « اهـ .

وهذه صورة أمر عال صادر الى « علي باشا شركس » الذي خلف « علي باشا برقي » على السودان مؤرخ في ٢٩ ربيع اول سنة ١٢٧٢ هـ ٩ ديسمبر سنة ١٨٥٥ غرة ١٣ ومنه يعلم سير المفاوضات التي جرت بين اولاد الملك عمر وحكومة السودان بشأن العودة الى اوطانهم :

« قد عرض البنا افادة وردت من سلف حضرتكم رقم ٢٩ صفر سنة ١٢٧٢ غرة هـ ومعها مذكرة أجراها مع الملك حسن وأخيه الملك عماره اولاد الملك عمر بناء على الامان السابق اعطاؤه من لدنا اليهم والى أخيهام الملك عمر وأمرنا السابق صدوره الى الحكمدارية في ٢٥ ل سنة ١٢٧١ هـ وقد علم لدينا انه صار اعطاؤهم الراجعة التامة ونيل ما قصده والطمان والامان وذلك انه سلم اليهم في اعطائهم كافة أطيانهم وأملاكهم ... وأما الشيخ الحسن فما هو ناظر على عموم مديرية بربر الآن وكذا المتسبحين الذين كانوا معها ومع أخيهما وسيدحضرون شيئاً فشيئاً . وقد اختاروا الإقامة بالحل المسمى الجيره بين الصوفي والحمران بمديرية الخرطوم لما رأوا ان أرضه طيبة للغاية وفي غاية الاتساع وليس لأحد فيه ملك وانّه بنزول الامطار يزرعون به وقد أقام به نحو مائتي نفر ممن حضروا من الحبشة وسيدحضرون الباقون شيئاً فشيئاً مع أخيهام بجميع تعلقاتهم ويكون استكمال حضورهم واستيطانهم في ذلك الحل في ظرف سنة كاملة او اقل لسهولة تخليص علائقهم من هناك كما تعهدوا ...

واما الاربعماية خيال الراغب الملك عمر ترتيبها ليقم بها تحت طلب الحكومة فمن كون لحد الآن لم يتوطن بمحل اقامته ويجري راحة أهاليه وجعاعته وينظر في أمر أطيانه وأملاكه وتظهر منه علامات الصداقة والعمارة فكيف الآن يجري ترتيبها . وحيث تبين ان الانقار الذين معه نحو الستين حلة تقريباً من خمسة عشر الف نفر وما حضر منهم الا المائتين نفر الذين توطنوا بالجيره وقد

تملقت ارادتنا حصول الامن والامان الى اولاد الملك نمر جنيماً وقرارهم في
أوطانهم في غاية الراحة حسبما جبلت عليه مراحمنا من الرأفة والشفقة على العباد
وإعطاء الرعية ما ينبغي لها وقد سرت عدالتنا باصدار تنبيهات من الحكمدارية
برجوع أملاكهم وأطيانهم اليهم وبكف الحكام ومشايخ الجهات عن التعرض
الى اتباعهم فقد أصدرنا هذا الحزمتكم لتباثروا ادخال البشر عليهم ليجمعوا
اطرافهم ويستوطنوا بالحل الذي تخيروه وطناً لأنفسهم وجماعتهم ويبادروا
بإجراء ما فيه رضائنا لزيادة الراحة والسلام . اهـ .

ولكن يظهر ان أبا نوحاش ثنى عزمهم عن التسليم وتقووا به فعادوا الى
سلبق بعينهم كما مرّ . وبقوا الى ان نقض الرأس طرزه احد كبار الحبشة على
الملك ثيودورس فسأل الملك عمر المساعدة بالاسلحة والجيشانة فتوقف عن
إعانتة خشية الملك ثيودورس فغضب منه وأغار عليه في ميقة فقتله واكتسح
بلامه وكان ذلك في أواسط جمادى الاولى سنة ١٢٨٢ هـ أوائل اكتوبر ١٨٦٦ م
ففرّ من سلم من الدار وعدتهم نحو الف نفر الى القضايف طالبين العفو والامان
من الحكومة فأمنتهم فحضر بعضهم بقيادة اكبرهم عمارة الى شندي ومعه محمد
ابن عمر وعينت الملك عمارة ناظراً على الجمعين فمات في شندي وبقي البعض
الآخر في الصوفي مع خالد ابن الملك عمر الى ان كانت الثورة المهدية فكان من
أعزّ أنصارها كما سيحيى .

السرمويل باكر واكتشاف منابع النيل الابيض

سنة ١٨٦٣ : ١٨٦٥ م

وفي ايام موسى باشا قدم الى السودان السرمويل باكر من كبار السياح
الانكليز قاصداً اكتشاف منابع النيل الابيض على نفقته الخاصة . وكانت
الجمعية الجغرافية الانكليزية قد أرسلت الرحالين سبيك وغرانت سنة ١٨٥٨ م
لاكتشافها عن طريق زنجبار فاكشفوا بحيرة فكتوريا نياتزه في ٢٨ يوليو سنة
١٨٦٢ م وسمياها على اسم ملكتهما كما مرّ في الكلام على النيل . وكان محمد

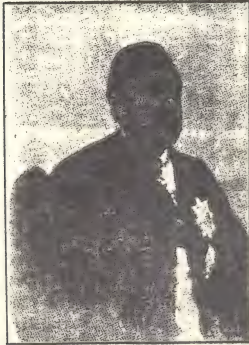
علي باشا قد ارسل بعد فتح سنار عدة حملات من الخرطوم لاكتشاف منابع النيل الابيض فوصلت آخر حملة سنة ١٨٤١ م الى كوندوكرو ولم تتعدّها بسبب الشلالات التي الى جنوبها . فأراد السر صمويل باكر بعد سفر سيك وغرانت عن طريق زنجبار ان يذهب عن طريق الخرطوم ويستطرد الاكتشاف من كوندوكرو بالبر على رجاء ان يلتقي بالرحالتين المذكورين فيكون نجدة لها ويشاركها في فخر الاكتشاف . فخرج من الخرطوم في ١٨ ديسمبر سنة ١٨٦٢ م بمركبين كبيرين وذهبية ومعه ٤٥ رجلا مسلحين بالبنادق و ٥٠ من الخدم والبحارة و ٢٩ من الجمال والحيل والحمر ومقدار كبير من الحبوب وبضعة صناديق من أساور النحاس والخرز الملون الرائجة هناك بدل العملة كما مر . فوصل كوندوكرو في ٢ فبراير سنة ١٨٦٣ م وحطّ رحاله وأخذ يتأهب للسفر براً واذا بالرحالتين سيك وغرانت قد أقبلا في ١٥ منه فأخبراهما باكتشاف بحيرة فكتوريا وانه لم يزل امامه بحيرة اخرى ليكتشفها قد أخبرهما الأهليون بها وأعطياه خارطة سيرهما وجميع ما علماه عنها ثم استطردا السفر شمالاً الى اوروبا وسار باكر جنوباً في البر الشرقي بقصد اكتشاف تلك البحيرة حتى أتى عليها في ١٤ مارس سنة ١٨٦٤ م بعد معاناة مشقات كثيرة وأخطار جمّة ولا سيما بسبب تجار الرقيق الذين كانوا قد انتشروا في تلك البلاد يعيشون فيها كما سيجيء وقد أتاها أولاً من الجنوب ثم جال فيها بمراكب السود فأثنى شمالها ورأى مصب النيل الاتي من بحيرة فكتوريا وخرج النيل الابيض الذاهب شمالاً وسماها اموارد نيازّه على اسم ولي عهد انكلترا في ذلك الحين . ثم عاد الى كوندوكرو وسار منها بذهبيته ومركبيه حتى وصل الخرطوم في ٣ مايو سنة ١٨٦٥ م فأقام فيها الى ٣٠ يونيو وخرج منها في ذلك اليوم الى بربر فساكن فبلاد الانكليز فوصلها في اكتوبر سنة ١٨٦٥ م .

وقد صحبه في هذه السفارة امرأته الهامة الفاضلة فقاسمته مشاقها وأخطارها ولظفت عنها وأتمهاها وأعمانتها على حلّ المشاكل التي عرضت له مع تجار

الرقيتى حتى انها أنجته من خطر القتل مرتين ولولاها ما سلم ولا فاز بالمراد .
فحبذا المرأة امرأة باكر .

وفي ٢٦ رجب سنة ١٢٧٩ ١٢٨٥ يناير سنة ١٨٦٣ م . توفي سعيد باشا الى
رحمة ربه وتولى بعده على مصر و اسماعيل باشا ، ثاني أنجال ابراهيم باشا فاهتم
للسودان اهتماماً عظيماً وقد سرّ من اعمال موسى باشا فيه فأنعم عليه برتبة
فريق فعل مهرجانا عظيمة كُيّنت له البلاد . وفي ٢٣ محرم سنة ١٢٨٠ هـ
١٠ يوليو سنة ١٨٦٣ م ذهب الى مصر فأدّى الشكر لاسماعيل باشا على
انعامه وأطلعته على حال البلاد وعاد الى الخرطوم فبقي فيها الى ان توفاه الله
في ٨ شوال سنة ١٢٨١ هـ ٦ مارس سنة ١٨٦٥ م . فدفن هناك . وقد سارت
البلاد في ايامه على أحسن نظام وكان فيها من الجند نحو ٣٠ . ٠٠٠ من نظامية
وباشبوزق .

جبال تقلي : وكان على جبال تقلي في ايام موسى باشا ملك يسمى الملك
ناصرأ اشتهر بالقسوة والصرامة في العقاب فكان اذا غضب من شخص وضعه
عارياً مكتوفاً على حجر محمى حتى يموت . وقد حكى لي بعض معارفه ما
دلّ على تناميه في القسوة الوحشية قال : ان صائغاً من صاغة الابيض سمع
بقسوته وكان يُذيب فضة على النار فلما سالت قال : حق هذا السائل ان
يصبّ في انف الملك ناصر جزاء قسوته وظلمه فبلغ الخبر الملك ناصرأ فعزم
على الايقاع به وأركن الى الحيلة فأرسل اليه اربع جوار هدية وسأله ان
يحضر مع الرسول الى الجبل ليصوغ بعض الحلى للنساء ووعده بكفاة جلييلة
فذهب الصائغ فأعطاه بعض الفضة والذهب فصاغها له ثم أعطاه فضة وسأله
ان يُسبّلها على النار ولما سالت قال له : أتذكر انك اشتيت مرة في الابيض
ان يُصبّ مثل هذا السائل في أنفي ؟ فسكت الصائغ وألجم لسانه فأمر بعض
العبيد فقيّدوه ثم أخذ الفضة وصبّها في أنفه وهي محما فتورم دماغه ومات
لساعته . وقد ارسل ولاية السودان الحملات عليه قصد إزاله فقصروا عنه .
وبقي على تمرده حتى وقع خلاف بينه وبين ابن عمه آدم دبالو وكان أهله قد



اسماعيل باشا الخديوى الاسبق

سُمِّوه لكثرة ظلمه وقسوته فنصروا ابن عمه عليه ففرَّ بمائتته الى موسى باشا في الخرطوم فأرسله الى اسماعيل باشا بمصر ثم عاد الى السودان فقطن جزيرة معتوق في بلاد سنار ومات هناك . واما الملك آدم دبالة فانه بقي على جبال تقلي حتى كانت الثورة المهدية فكان له فيها من الشأن ما نذكره في محله .

حرب العقال : وفي هذه الأثناء وقع في بادية كردوفان حرب شديدة بين عربان حمر وقائدهم الشيخ مكي ود المنعم وبين عربان الكبابيش وقائدهم الشيخ فضل الله ود سالم اشتهرت بحرب العقال . لأن كلا الفريقين جمع رجاله وأولاده الى ساحة الحرب وعقل الابل وعوّل على النصر او الموت وتقاتلا طويلا مستقتلين فانتصر الحمر وغنموا نحاس الكبابيش وأموالهم . وهذه الحرب بين حمر والكبابيش مع « قتلة القرطاس » بين حمر والمالية المار ذكرها في تاريخ دارفور هما اشهر الحروب التي جرت في بادية السودان الغربي الى الآن ولأهلها فيها أغاني مشهورة في مدح الغالب وذم المغلوب .

١٧ - جعفر باشا صادق ١٢٧١ هـ ١٨٦٥ م . وكالة عمر فخري بك

وبعد وفاة موسى باشا قام عمر فخري بك بشؤون الاحكام الى ان حضر جعفر باشا صادق من مصر حكمداراً للسودان .

ثورة الجهادية السود في كسلا سنة ١٨٦٥ م :

وفي أثناء ذلك ثار الجهادية السود في كسلا ثورة أدت الى سفك دماء كثيرة واستغرقت عدة اشهر وكان السبب فيها سوء إدارة القواد وتأخر الحكومة عن دفع مرتبات الجنود . وتفصيل ذلك على ما رواه لي الثقة الذين شهدوا الثورة : انه كان في « استحكام » كسلا في ذلك الحين الاي فيه نحو ٤٠٠٠ من الجهادية السود ومعهم نحو الف نفر من الباشبوزق الاتراك والشايقية وكان المدير على كسلا ابراهيم بك ادم . فلما كان شهر شوال سنة ١٢٨١ هـ مارس ١٨٦٥ م خطر للمدير ان يرسل غزوة على جبال البارية والبازة فأصدر أمره



لأورطة من الجهادية وبعض الباشبوزق بالتأهب للفرقة وكان قد مضى على الجهادية ستة أشهر لم يقبضوا فيها رواتبهم فرفضوا الأمر وقالوا : « لا نسير حتى نقبض المتأخر من رواتبنا » فلما بلغ خطاب افندي قومندان الأورطة قولهم غضب وقال : « أصبح للعبيد شأن يعصون به الأمر فوالله لأسوقهم إلى الفرقة بالسياط » فازداد السود تصلباً وعناداً ولما جاء الميعاد المضروب خرجوا من الاستحكام ووقفوا عند باب سبدرات طابوراً فجمعوا أسلحتهم أمامهم كوماً وأرسلوا يخبرون خطاب افندي أنهم لا يلتفتون من مكانهم حتى يقبضوا رواتبهم بتمامها وإن كان لم يزل ينوي تنفيذ أمره بالسياط كما قال فليفعل. فجاءهم خطاب افندي على جواده ونادى بهم « سلاح آل » فجمعوا عليه وأوسعوه شتماً وضرباً بالعصي وكان نساؤهم من ورائهم يشجعهم ويزرعون لهم فلجأ خطاب افندي إلى الفرار وأخبر المدير بما كان فاهتم للأمر وخشي امتداد الثورة إلى الآلاي كله وكانت الجبخانه (الذخيرة) بيد ملازم منهم فأخرجها من يده وسلمها إلى ضابط من ضباط الباشبوزق الأتراك وجمع التجار المغاربة وأهل البلد فسلحهم وضمهم إلى الباشبوزق وفرقهم على أبراج السور .

أما العصاة فانهم حلوا سلاحهم وساروا في وجوههم نحو سبدرات وكان خطاب افندي قد وجه إليها بعض العساكر الباشبوزق بمدفعين و ٦٠ صندوق جبخانه محملة على ٣٠ جملاً ليتقدموا للفرقة فأدركهم العصاة على الطريق واستولوا على الجبخانه والمدفعين بعد أن فتكوا بالعساكر وضربوا قائدهم السر سوارى سعيد اغا ابا فلقة فأنقضوه وتركوه بين حي وميت ونزلوا في سبدرات. فمقد المدير نادياً من الضباط والتجار والاعيان للنظر في أمر الأورطة فأقرؤا على أن يرسلوا إليهم رواتبهم المتأخرة ومداركة الأمر بالتي هي أحسن حتى تطمئن نفوسهم أولاً ثم ينفذون فيهم رأيهم وكان في خزينته كسلاً بعض نقود مودعة أمانة فقر رأيهم على إعطائهم إياها حتى يتيسر المال فتدروا إلى محلها . وكان في كسلا ذلك الأستاذ السيد الحسن ابن الأستاذ السيد محمد المرغني مؤسس الطريقة المرغنية في السودان فتكفل بالامر له فحمل النقود وجاء إلى سبدرات

فوزها على العصاة على التساوي فأصاب كلا منهم أربعة ريات ثم عنفهم على مسلحهم وطلب اليهم ان يرجعوا الى كسلا فرضوا على ان يكون غير خطاب افندي قومنداناً عليهم فعاد الاستاذ الى كسلا وأخبر المدير بما كان فأرسل اليهم عثمان بك قائمقام المساكر ليقيدهم ويغزو بهم الجبال فقابلوه بالطاعة وساروا معه في الغزوة فأقاموا فيها ثلاثة اشهر وعادوا الى كسلا .

وكان المدير في أثناء ذلك قد كتب الى اللواء حسن باشا في الخرطوم يخبره بما حدث فأرسل حسن باشا الميرالاي علي بك ابو ودان لاستلام قيادة الألای ثم حضر بنفسه على الاثر ومعه اسماعيل بك ايوب للنظر في الامر فوصل كسلا قبل رجوع الاورطة بشهر . فلما حضرت عقد مجلساً سرياً للنظر في أمرها فاتفق رأيهم على ان يوزعوا المساكر على عربان الهدندوة بحجة جمع الضرائب ثم يأمرؤا العربان بالقبض عليهم فصدر الامر للاورطة فخرجت الى المينكتاب بقيادة الميرالاي علي بك ابو ودان . ولما كان يوم الاثنين ٧ صفر سنة ١٢٨٢ هـ ٢٧ يونيو سنة ١٨٦٥ م أمر علي بك ضباط الاورطة وكان أكثرهم من المصريين بالتفرق بين القبائل لجمع الضرائب فأدرك المساكر ان في الامر دسيسة فرفضوا السفر ولما أغلظ لهم الضباط في الخطاب هجموا عليهم فقتلوا أكثرهم وانتشروا في البلدة فنهبوها وانقلبوا راجعين الى كسلا .

اما علي بك ابو ودان فانه نجح منهم بكل مشقة وخف الى كسلا فوصلها قبلهم وأخبر اللواء والمدير بما كان فخرجوا من منازلها التي كانت داخل قشلاق (ثكنة) الجهادية ودخلا ديوان المديرية بعائلاتها وأخذوا يستعدان لملاقاة العصاة وكان السر سوارى سعيد اغا قد شفيت جراحه فأمره بالمحافظة على الذخيرة مع عساكره وجعما الأسلحة من الأورط الثلاثة الباقية في كسلا وبذل ان يضعها في خزانة السلاح وضعاها في القشلاق . وكان الشايقية الباشبوزق مقيمين خارج السور فأدخلهم داخل السور وضماهم الى المناربة وغيرهم من سكان المدينة وفزقام على الابراج وأمرهم بضرب عساكر الاورطة عند وصولها وأقاما في برج الخلانقة بين البابين الغربيين . وفي صباح الاربعاء ١٠

صفر سنة ١٢٨٢ ٥٨ يوليو سنة ١٨٦٥ م حضرت الاورطة سائرة بالانتظام
 العسكري فلما شاهدها بهذا الانتظام أمرا بعدم التعرض لها ودخلا ديوان
 المديرية فتحصنا به فلما اقترب العصاة من باب الجنائن أطلق عليهم البلوكباني
 محمد اغا المردلي عياراً نارياً على خلاف الامر فقتل منهم شوايشاً وقال هذا
 ثار ابن عمي الذي قتل يوم الثورة عند سلب الجبخانه ثم أطلق عياراً نارياً
 آخر فقتل اومباشياً فهاج عساكر الاورطة اذ ذاك ودخلوا القشلاق وكان
 فيه الضباط المصريين وعدتهم ستة وعشرون فقتلهم عن آخرهم أما خطاب
 افندي فبعد ان قتله وضعوا عليه يييساً وأحرقوه بالنار ثم اجتمع عليهم
 الاورط الثلاثة الباقية وتعصبوا للجلسية ضد الاتراك والعرب وكسروا أبواب
 الغرف التي وضع فيه سلاحهم فأخذوه وتحصنوا في القشلاق وفتحوا فيه
 المزاغيل وقطعوا السابلة وانتشر أكثرهم في البيوت ينهبون ويسلبون . وكان
 السيد حسن المرغني قد ذهب الى سبدرات فأرسل اليه المدير يدعوه فحضر في
 ١١ صفر سنة ١٢٨٢ ١ يوليو سنة ١٨٦٥ الى حلة الحلائقة غربي الاستحكام
 وكتب الى العصاة يسألهم الكف عن الحرب وسلم الكتاب الى احد خلفائه
 فرفعه على قسبة ودخل به الاستحكام وهو ينادي جاءكم كتاب السيد الحسن
 فتلقاه العصاة بالقبول وكفوا عن الحرب . ثم دخل الاستاذ فهرعوا اليه يقبلون
 يديه وشكوا اليهم أمرهم فوعدهم بالراحة ثم ذهب الى اللواء والمدير وعقد
 مجلساً للنظر في تسكين الفتنة فقرّر الرأي المرة الثانية على استخدام العربان
 للقبض عليهم فجمعوا جموعاً كثيرة من خيالة وقرّاية من الهدندوة والحلائقة
 وعرب سبدرات والجادين وبني عامر ووضعهم في الحائمية . ثم ذهب السيد
 الحسن الى الجهادية وقال لهم لقد اتفق الرأي على ان تخرجوا من الاستحكام
 بجميع أمتعتكم وتذهبوا الى حيث تشاؤون فشرع الجهادية ان في الامر مكيدة
 كالتى كيدت لهم في الميكناب فأبوا ان يخرجوا إلا اذا أعطي كل منهم ١٢
 طلقة من الجبخانه ليحموا بها أنفسهم اذا غدر بهم فاتفق رأي الجميع على
 اجابة طلبهم إلا سعيد اغا ابو فلقه المولج في حفظ الجبخانه وصاحب الثار

على العصاة كما مر فانه رفض هذا الرأي بتائاً وقال : اني لا اعترف بسلطة احد منكم عليّ وأحسب نفسي مسؤولاً عن الجبخانه من افندينا رأساً . فأجابه المدير واللواء : اذا نحن لم نعظم القدر القليل الذي طلبوه من الجبخانه فلا حيلة لنا في القبض عليهم بل نخشى ان يهاجموك فيقتلوك انت ورجالك ويستولون على الجبخانه كلها فبقي ان نختار أهون الشرين ونعطيهم ما سألوه ثم تنظر الى رأينا فيهم . قال سعيد : اغا : أهون الشرين تختارون في تسليمكم جبخانه الحكومة الى عصاة خونة تمردوا عليها وقتلوا الجم الغفير من رجالها في الدنيا شر اعظم من ان يظهر رجال العسكرية الجبن امام العبيد اولاد الجوارى فيسلخواهم بمطالب . ما أنزل الله بها من سلطان ويعطونهم الجبخانه ليستخدموها في جريهم . أليس الأجدر بنا ان ندعوم الى الطاعة فان أبوا حاربناهم حتى فزنا او متنا مشرفين . ومع ذلك فاختاروا أنتم لأنفسكم ما تشاؤون اما انا فقد اخترت الموت على التسليم بمطالب هؤلاء الاجلاف واذا هاجموني في محلي وعجزت عن صدم فاني ازكب برميلا من البارود وأشعل النار في الجبخانه كلها فأقتل نفسي ولا أمكنهم من طلقة واحدة منها .

وبلغ العصاة هذا القول فتركوا السفر وانقسموا اربع فرق حسب اجناسهم الدنكة والفور والنوبة والمولدين فتولى كل فرقة رئيس منهم وانتشروا في البندر ينهبون ويسلبون ونزلت فرقة الدنكة على منزل الحاج احمد ود عجيب وكان فيه مطمورة غلة فقتلوا الحاج احمد المذكور وأخاه وتقدموا الى باب المطمورة لخراج الغلة وكان للحاج احمد بلة تسمى آمنة فلما رأت أباهما وعمها مقتولين هان عليها الموت فاخذت سيفاً ووقفت في الباب فصدتهم عن الدخول وقتلت خمسة منهم فتسلقوا السقف ونقبوه وتزلوا اليها فقتلوا وأخذوا الغلة .

وكان المدير قد ارسل يطلب المدد من عمر فخري بك في الخرطوم ورفع فخري بك الخبر الى اسماعيل باشا بمصر فاهتم اسماعيل باشا بالأمر حق الاهتمام وبعث بجعفر باشا صادق والياً على السودان فذهب اليه عن طريق كورسكو.

وجعل جعفر باشا مظهر وكيلا له وأرسله بجيش ومدفعين الى كسلا لاختاد الثورة فذهب اليها عن طريق سواكن. وبعث بالأوامر المشددة الى عمر فخري بك ليبادر الى ارسال النجيدات من حاميات البلاد الى ان يصل مدد مصر .

وكان اول من وصل الى كسلا مدداً السر سوارى علي كاشف الكردي ومعه ٤٠٠ رجل من الباشبوزق جاءها من القصارف في أواخر يوليو سنة ١٨٦٥ م ونزل في ديوان المديرية . وبعد وصوله ببضعة ايام خرج احد رجاله يحمل ليرعاه فلقبه جماعة من الجهادية السود فسلبوه جله وسلاحه وجبيخاته فعاد الى علي كاشف شاكياً فغضب علي كاشف وضرب طبل الحرب وتهياً للقتال . وكان السيد الحسن المرغني لا يزال مقيماً داخل الاستحكام فأتى اليه وسكن غضبه وتكفل له بردة الجمل والسلاح ثم ذهب الى الجهادية وتلطف لهم فردوا الجمل والسلاح ولكنهم أنكروا انهم أخذوا شيئاً من الجبيخانة فصمم علي كاشف رأيه على استرجاع الجبيخانة ولما لم يردوها خرج اليهم ليلاً في ضوء القمر وأشعل فيهم النار فقابلوه بالمثل ولما ثقل عليه الرصاص عاد الى ديوان المديرية وتحصن به . وفي اليوم التالي فتح الجهادية المزاغل في القشلاق والمنازل التي في جواره وصاروا يرمون المارة بالرصاص فقطعوا السابلة وحبسوا الناس في منازلهم مدة ٢٦ يوماً حتى حضر آدم بك من ود مدني فالخرطوم فبربر بمدد من الجنود المنظمة والباشبوزق فكفوا عن الحرب .

اما آدم بك فكان من أعظم ضباط الجيش المنظم وقد تربى في مصر ورافق ابراهيم باشا الى بر الشام فاشتهر بالبسالة والدرية وحسن السياسة وكان اسماعيل باشا يعرفه فلما بلغه انه 'ندب الى كسلا كتب اليه بالتركية بتاريخ غرة جمادى الاولى سنة ١٢٨٢ هـ ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٦٥ م ما مفاده :

« عزتو آدم بك

« ورد لنا في هذا البريد كتاب من عمر فخري بك وكيل الحكدارية سابقاً بتاريخ ٤ ربيع اول سنة ١٢٨٢ هـ ٢٨ يوليو سنة ١٨٦٥ م انك 'وجّهت بنفر من العساكر النظامية والباشبوزق الى كسلا لاختاد الثورة وقد ارسلت

منذ عشرين يوماً جنداً منظماً ومدفعين بقيادة جعفر باشا مظهر وكيل الحكمدارية لهذه الغاية عنها . على اني أوصل انك تتمكن من اخداد الثورة قبل وصوله فان عجزت عنها وحدك فاني جازم انكما تقويان عليها معاً . وقد اتصل بي ان افراداً من العصاة يخرجون من الاستحكام الى البلاد يمشون ويفسدون فتعقب مثل هؤلاء وجاهزم أشد جزاء واذا خرج منهم جماعة كبيرة من مئة نفر الى مئة وخمسين فجرّد عليهم نخبة من فرسان الباشبوزق الذين استصحبتهم من الخرطوم ومن الجند المصرية المنظمة الذين اعتادوا هواء البلاد ليطاردوهم حتى يظفروا بهم قتلوا او امسوا اما الاسرى فسلمهم الى جعفر باشا ليفعل فيهم رايه . واني أعلم بساتك وحسن سياستك منذ كنت مع المرحوم والدنا في سوريا فحقق آمالنا بك . وعند انتهاء الثورة احضر الى مصر والسلام .

فلما وصل آدم بك الى كسلا أنزل جنده خارج السور تجاه الباب الشرقي وأخذ بروجيه وبلطجيه وذهب رأساً الى القشلاق حيث أقام العصاة فأمر البروجي فضرب « نوبة جمعية ضباط » ولما اجتمع الضباط عليه خاطبهم قائلاً : « يا أولادي ما هذا التمرد والعصيان اللذان جاهرتم بهما ألسن اولاد أفندينا الذي شرفكم بخدمته وأجرى لكم الرزق والخيرات السنين الطوال أيحسن بكم ان تعصوه وتنقضوا على حكومته وهو قد عهد اليكم تأييد سلطته في البلاد ؟ نعم انكم مظلومون لعدم أخذكم رواتبكم في أوقاتها ولكم ان ترفعوا أصواتكم بالشكوى ولكنكم خرجتم عن حد الشكوى ووسعتم الخرق . ومع هذا فاني ارجو اصلاح الامر وأخذ العفو لكم من ولي النعم فاذا سألوكم بعد الآن فقولوا اننا لم نجد ضابطاً عظيماً من أبناء جلدنا نرفع له شكوانا ليلبثها الى ولي نعمتنا فكان منا ما كان . وأريد منكم الآن ان تخرجوا خارج السور فتقيموا بين جبل مكرام وجبل كسلا حتى يصل اليكم العفو ولا تفتروا بقوتكم وكثرة جموعكم فان « يد الميري طويلة » فها انا قد جئت يمحيش من العساكر السود والباشبوزق وجاء قبلي جيش آخر والمدد آتٍ في الطريق من كردوفان

وسنار وبربر ومصر فاذا تماديت في العصيان فانهم يجتمعون عليكم ويقتلونكم ثم قتل فاقبلوا النصح وسلموا أمركم إليّ وأنا أدبركم بحكي ومروءتي . . . وآدم بك عربي المجلس وأبوه محمد ذو البيت شيخ عربان دار حامد بكردوفان ولكنه كان شديد السمرة جداً وعارفاً بأخلاق السود حتى كان يُظن أنه منهم فاستأنسوا به واطمأنوا لكلامه خصوصاً لأنه خاطبهم كأب فامتثلوا أمره وخرجوا من القشلاق الى المكان الذي عينه لهم خارج السور . . .

وبعد وصول آدم بك بأربعة ايام حضر الصاري ششمه عبد الله باشا من الخرطوم وبربر ومعه ثلاثة ارادي من الباشبوزق فعسكر خارج السور. وعقد اللواء حسن باشا مجلساً في ديوان المديرية مع عبد الله باشا والمدير وآدم بك وسائر الضباط والسناجق للنظر في شأن العصاة فقرّ رأيهم على تجريدكم من السلاح وولجوا الأمر لآدم بك فسلموه سلاحهم عن رضى . ثم عقد الضباط مجلساً آخر للنظر فيما يفعلونه بعد فكان رأي الاكثرية على قتلهم فأنكر آدم بك هذا الرأي وقال اني حلفت لهم بشرفي انه لا يقع عليهم حكم إلا اذا صدقه أفندينا وعلى هذا سلموني سلاحهم فالآن نرفع الامر الى افندينا والذي يأمر به نفعله . فأخذ المجلس برأيه ولكنه أقرّ على شد وثاقهم الى ان يأتي الردّ بشأنهم من مصر فأمروا عساكر الباشبوزق فركبوا خيولهم واحتاطوا بهم من كل جانب وأخذوا حبلاً من الخازن وشرعوا في تقييدهم وادخالهم في القشلاق جماعة بعد جماعة . وانهم كذلك اذا ببلوكباشي من الباشبوزقي اختطف بنتاً من يد شاويش من الألاي ليتمكن من تقييده فبكت البنت فسأله ابوها ان يتركها وشأنها فغشتمه البلوكباشي ورفسه برجله فأخرج سكيناً من كمه وطمعن البلوكباشي فقتله وهاج السود فأمر عبد الله باشا الباشبوزق فأطلقوا الرصاص عليهم فقتلوا اكثرهم وقبضوا على الباقيين قبض اليد وزجروهم في السجن . .

ثم لم يكن إلا القليل حتى حضر جعفر باشا مظهر يحمده وحقق أسباب الثورة . وكان الصاغ محمد افندي ابا حظلك قد كشف حظه في الرمل فقيل

له انه اذا بقي مع المدير يموت شقةً فانضم الى العصاة وذلك قبل مجيء آدم بك من الخرطوم بيومين فأمر جعفر باشا بشنقه فشنق. ثم شق بعده اليوزباشي بشير اغا السوداني الذي اتحد مع الجهادية بعد رجوعهم من المتكتاب . أما الجهادية العصاة الذين سلخوا من القتل فقد جعلهم ثلاث فئات فجعل الذين بدأوا بالثورة مع خطاب افندي ثم عصوا في المتكتاب فئة اولى . والذين عصوا بعد رجوع الفئة الاولى من المتكتاب فئة ثانية . والذين كانوا متغيبين في الجهات خارج البندر او الذين كانوا فيه ولم يظهروا العصيان فئة ثالثة . فحكم على رجال الفئة الاولى بالاعدام فأوقفوهم وصفوهم على خندق حفروه لهم في سفح جبل مكرام وضربوهم بالرصاص فسقطوا في الخندق ثم ردموا الخندق فكان من الدم تل ظاهر . وحكم على رجال الفئة الثانية بالحبس المؤبد مع الاشغال الشاقة فاستخدموهم اولاً في بناء المنازل التي خربوها . وأما رجال الفئة الثالثة فقد نظم منهم ٣ بلوكات وأبقاهم في المديرية . أما ابراهيم بك أدم المدير فقد توفي قبل وصول جعفر باشا الى كسلا بأيام قليلة وكانت وفاته بفترة حتى قيل انه شرب سماً ليتخلص من الاهانة والعقاب . وتوفي بعده عبد الله باشا ، ثم عثمان بك . وكان اللواء حسن باشا قد أصيب بالاسهال قبل وصول جعفر باشا الى كسلا فتوفي بعد وصوله بأيام قليلة .

وهكذا انتهت ثورة الجهادية السود في كسلا بعد ان جرت الخراب على أهلها وضاع فيها الكثير من النفوس والاموال . ولم تكتفِ بهذه بل جرت وراءها ذبلاً أى حى وبائية نجمت عن فساد الهواء لكثرة القتلى فمات بها خلق كثير .

١٨ - جعفر باشا مظهر سنه ١٢٨٢ : ١٢٨٧ هـ - ١٨٦٦ : ١٨٧١ م

أما جعفر باشا مظهر فانه بعد ان هدأ الثورة في كسلا أقام حسن بك مديراً عليها وتوجه الى الخرطوم وذهب آدم بك الى مصر طوعاً للأمر فانعم عليه اسماعيل باشا برتبة اللواء وبالنيشان المجندي الثاني ومضى جعفر باشا

مظهر حاكماً عاماً للسودان فعاد جعفر باشا صادق مريضاً الى مصر ودخل مظهر باشا الخرطوم في ١٧ شوال سنة ١٢٨٢ هـ ٥ مارس ١٧٦٦ واثني يوم دخوله قري الفرمان العالي بحضور جمع حافل من العلماء وأرباب المناصب والاعيان وبعد قراءته دخل الناس للسلام عليه وكان هناك شاهين باشا الذي حضر بالنيابة عن اسماعيل باشا لتنظيم مالية السودان فعرفه بجميع الداخلين عليه فخلع على العلماء والوجهاء أحسن الخلع. وجعل علي بك فضلي وكيلاً له. ثم جمع العساكر السودانية من التاكا. وود مدني وكردوفان وغيرها وأرسلهم الى مصر وأتى بعساكر مصرية عوضاً عنهم .

وكان عند قدومه الى الخرطوم قد حثرت غلاء واشتد حتى هاج الناس فأرسل بعض التجار بنقود من الخزينة الى الجهات فاتوا بالفلال فرخصت حتى صار ربع الذرة بفرش بعد ان كان بخمسة غروش .

وفي أواخر سنة ١٨٦٦ م ذهب الى سنار وفازوغلي وكردوفان فاستطلع أحوالها ثم عاد الى الخرطوم فطلب من مصر ردّ العساكر السودانية الى السودان .

وفي هذه السنة أي سنة ١٨٦٦ م تخلت الدولة العليا عن سواكن ومصوع الى الحكومة المصرية بزيادة ١٦٠٠٠ جنيه مصري ، على جزيئتها السنوية .

وفي ١٦ الحجة سنة ١٢٨٣ هـ ٢١ ابريل سنة ١٨٦٧ م ذهب جعفر باشا الى مصر بطلب من اسماعيل باشا فأرسل بمهمة الى جهة البحر الاحمر وبعد قضائها رجع الى مصر فوصلها في غرة رجب سنة ١٢٨٥ هـ ١٨ اكتوبر سنة ١٨٦٨ م وحال وصوله أرجع معظم العساكر المصرية الى مصر .

وفي سنة ١٨٦٩ م قسام من الخرطوم رجل يسمى البلالي بجملة صغيرة لاحتلال بحر الغزال وحضر السر صمويل باكر مكتشف بحيرة البرت نيازة بجملة من مصر لاحتلال خط الاستواء وذلك لضم هذين البلدين الى حكومة السودان ومنع تجارة الرقيق التي كانت قد عمت تلك البلاد وسائر بلاد السودان

ساحل السودان

وقبل الشروع في ذكر هذين المثلين أذكر طرفاً من تاريخ تجارة الرقيق على سبيل التوطئة فأقول :

تجارة الرقيق في السودان :

الاسترقاق قديم في الناس ظهر فيهم في كل زمان ومكان وأصله الفطرة التي جُبل عليها الاحياء من استعباد القوي للضعيف . وأول ما ظهر استرقاق الناس في أسرى الحرب فكان الظافر يجعل أسراه في خدمته حتى يُفقدوا بالمال وإلا أبقاهم عبيداً عنده الى المات . وهذا في السود والبيض على حد سواء وكلامنا الآن في السود فقد مرّ بنا كيف كان الفراعنة من اول عهد التاريخ يغزونهم ويمودون منهم بالأسرى فينظمونهم في جيشهم او يدخلونهم في خدمة بيوتهم واقتفى أثرهم اليونان ثم الرومان ثم العرب المسلمون الذين ملكوا مصر على التوالي . ثم كان كلما هاجر قوم من مصر او آسيا الى السودان يزحزح السود عن أماكنهم جنوباً ليفسح لنفسه مكاناً طيباً يقيم فيه حتى اضطر السود الى الاعتصام بالجبال الصعبة ومستنقعات النيل الاعلى . ولما افتتح العرب المسلمون السودان وأسسا فيه الممالك اشتد الخطب على السود ولم يعد لهم في بلادهم راحة لأن العرب لم ينفكوا عن غزوهم وسبيهم كما سنحت لهم فرصة وربما أركن بعضهم الى الحيلة والغدر فخالف ملكاً من ملوك السود وتعلم لغته وتزوج من بناته ثم تسلّت له الفرصة فاختطف النساء والاولاد وعاد الى بلاده . وبذلك كثر السود عند عرب السودان حتى صار أحقر العرب يملك رقيقاً وزاد الرقيق عن حاجتهم فصاروا يتجرون به في مصر والحجاز وتفرع من هذين البلادين الى سورية وتركية والفرس وسائر بلاد المشرق وأصبح الاتجار بالرقيق في السودان مهنة من اعظم المهن .

البحارة : وكان اهل السودان الى هذا المهد يحاربون بالحرايب والسيوف والنشاب ولم يستعملوا البارود إلا نادراً فلما كان الفتح المصري ودخلت جنود مصر بأسلحتها النارية الى السودان كثر استعمال البارود فيه وصار العربي

الراحد يرهب ببندقته رهطاً من السود فسهل على العرب غزوم بل أصبح غزو السود وصيدم صناعة لكثيرين منهم يتعيشون بها ويجمعون منها الاموال الطائلة . وقد توغل صياد الرقيق في النيل الابيض حتى وصلوا الى أعاليه وملأوا بلاد بحر الغزال وخط الاستواء قبل وكان اول من دخل بحر الغزال بعد الفتح المصري تاجر من الخرطوم يسمى الحبشي دخلها سنة ١٨٥٤ م في قارب صغير ثم اقتفى أثره الكثير من التجار وأشهرهم السيد احمد العقاد من مصر وعلي ابو عموري من صعيد مصر ومحجوب البصيلي من اسنا وغطاس القبطي وكوشوك علي التركي وادريس ابتر الدنقلوي وغيرهم . وكانوا في بادئ يتجرون بالمعاج والریش واللاستك ثم وجدوا ان الرقيق أربح لهم وصيده سهل فانمكفوا عليه وجندوا له العصائب . وكان التاجر منهم يأتي بمصائبه بلداً من بلاد السود فيحفر خندقاً يضع داخله بضائعه وأسلحته ورجاله ويحيطه بزريبة من شوك ثم يشرع في جمع السن والریش مقايضه بالخرز والحراپ والاساور وغيرها من الاشياء المرغوبة في تلك الجهات ويخزن ما يجمعه منها في زريبته ويبقى على ذلك الى ان يلقى فرصة في ذلك البلد فيهاجم أهله ببنادقه . وكان السود اذا سمعوا صوت البنادق فرأوا كالانعام مملوئين رعباً وخوفاً فيغنم التاجر ويسبي ويعود الى زريبته . ومما جرأ التجار على مثل هذه الفعال انشقاق ملوك السود بعضهم على بعض فكانوا اذا هاجوا ملكاً منهم لم يخشوا انتصار جيرانه بل ربما استنصروا جيرانه عليه . وكانوا يقيدون أسراهم بقيود من حديد ويسوقونهم الى زرائبهم سوق الانعام حتى لقد يموت كثير منهم في الطريق وعند وصولهم الى الزرائب يلتقون أقوام بدنا وأخفشهم حركة وأثبتهم جناناً فيضمونهم الى عصابتهم ويدفعون الباقي مع السن والریش الى النحاسين . وقد عرف هؤلاء التجار « بالبحارة » لأنهم كانوا ينفزون في البحر الابيض .

النهضة : وأما الذين كانوا ينفزون الجبال كجبال النوبة وجبال فازوغلي فقد عرفوا بالنهضة . حدثني بعض زعماء النهضة في جبال النوبة عن كيفية

غزوم تلك الجبال قال : كنا لا تنهض للغزو إلا في أوان الزرع اذ يترك
السود جبالهم وينزلون الى السهول لزرع الحبوب فيستصحب كل منا نفرأ من
المشاة المسلحين بالبنادق وكتيبة من الفرسان البقارة المجاورين لتلك الجبال
فيردف كل فارس معه رجلاً ويسير الفرسان في مقدمة المشاة حتى اذا ظفروا
بجماعة من السود أغاروا عليهم بخيلهم ونزل الرءاف عن الخيل فشدوا وثاقهم
وساقوم امامهم وانقلب الكل راجعين فاذا فزع السود من الجبال تصدئ لهم
المشاة وفتحوا عليهم أفواه البنادق وردوهم على أعقابهم خاسرين واقتسموا
الريق فيما بينهم النصف للفرسان والنصف الباقى نصفه للزعيم ونصفه للمشاة
ومصير الكل أسواق الرقيق .

وأشهر أسواق الرقيق في ذلك العهد أسواق الأبيض وفاشودة والقلايات
التي كان يرد اليها الرقيق من دارفور وجبال النوبة وبحر النزال وخط الاستواء
والحبشة وكان النخاسون يشترونهم من هذه الأسواق ويبيعونهم في أسواق
الخرطوم والمسلمية وود مدني وسنار والقضارف وكلا وبربر وشندي
ويرسلون ما زاد عن حاجة البلاد الى الحجاز ومصر عن طريق النيل والبحر
الاحمر .

اما أثمان الرقيق فتختلف من الريال الواحد الى الخمسة ريال وذلك باختلاف
أجناسهم وأعمارهم وبنيتهم وبعدهم عن منبعهم الاصيل. وعن الانثى اعظم من
ثمن الذكر . وأعز الرقيق رقيق الحبشة ثم رقيق الدنكا ثم النوبة ثم الفور
وأدناها رقيق الشك .

وشر ما أنتجته هذه التجارة المعيبة خصي المبيد الذكور بطريقة تقشعر
لها الابدان وهم يلتقون للخصي أقوى الصبيان وأصحبهم بنية من سن ٦ : ١٢
فما يبلغ هؤلاء المساكين سن الرشد حتى يظهر تأثير تلك القسوة البربرية على
وجوههم فتفور عيونهم وترتفع عظام وجوههم ويجرد منها اللحم ويضؤلون
حتى يصيروا أشبه بالهياكل منهم بالناس .

تاريخ السودان

وقد تنبّهت الدول الى هذه التجارة المعبية منذ عهد بعيد وسعت في إبطالها وكانت الدولة الانكليزية اول من تنبه لها فالتقت جمعية في مدينة لندن سنة ١٧٨٧ م ثم شاركها باقي الدول دولة بعد دولة حتى تم اتفاقها كلها على ذلك بصورة قطعية في مؤتمر بروكسل في ٢ يوليو سنة ١٨٩٠ م .

اما مصر فانها لم تشارك الدول في إبطالها حتى توفقت الى حكم العائلة المحمدية العلوية فنادى محمد علي باشا بإبطالها على رؤوس الاشهاد عند زيارته السودان سنة ١٨٣٩ م وكذلك فعل سعيد باشا عند زيارته السودان سنة ١٨٥٨ م كما مرّ. ولما تبوأ اسماعيل باشا الأريكة الخديوية سنة ١٨٦٣ م أصدر أوامره المشددة الى موسى باشا والي السودان فتعقب تجار الرقيق وفي تلك السنة عينها ألقي القبض على سبعين مراكبا مشحونة بالأرقاء بين كاكا وفاشودة وأتى بهم الى الخرطوم ثم أحضر ملك الشلك من فاشودة فسلمه الرقيق الذي أخذ من بلاده وأرجعه بالهدايا ووزع الباقيين على التجار والموظفين لتربيتهم . وأما التجار فانه زجّهم في السجن ولم يخرجهم منه حتى تعهدوا بعدم العودة الى مثل هذه التجارة .

احتلال فاشودة سنة ١٨٦٥ م :

وفي سنة ١٨٦٥ م أي في أيام جعفر باشا صادق احتلت العساكر المصرية فاشودة احتلالاً رسمياً فسدّت طريق النيل الابيض في وجه اصحاب الزرائب في بحر الغزال وخط الاستواء . وكان التجار الاوروبيون قد باعوا زرائبهم الى وكلائهم العرب سنة ١٨٦٠ م فوضع جعفر باشا الضرائب على الزرائب ثم احتكرها السيد احمد العقاد شريك النيد موسى العقاد من الحكومة بخمسة آلاف جنيه في السنة على ان لا يتجر بالرقيق ولا يغزو بلاد العبيد ومع ذلك لم يزل رجاله يتجرون بالرقيق ويغزون العبيد وأصبحت بلاد خط الاستواء وبحر الغزال فوضى وأهلها بغاية الضيق والشدة . فرأت الحكومة انه لا يمكن



السر صموئيل باكر

اللاي باكر



السر صموئيل باكر بلباسه الرسمي

اصلاح الحال وإبطال تجارة الرقيق إلا اذا ضمت بلاد بحر الغزال وخط الاستواء الى السودان فعولت على ذلك وبادرت الى تنفيذه .

فتح خط الاستواء ، والمر صموئيل باكر

سنة ١٨٦٩ : ١٨٧٣ م

ولما كانت سنة ١٨٦٩م انتدب اسماعيل باشا السر صموئيل باكر مكتشف بحيرة البرت نيازة لفتح خط الاستواء فأنعم عليه برتبة فريق مع لقب باشا وعقد له على جيش مؤلف من ١٧٠٠ رجل هذا تفصيله : ٧١٠ من المشاة المصريين و ٥٠٠ من المشاة السودانيين و ٢٠٠ من الباشبوزق و ٢٩٠ من الطوبجية المصريين ومعهم ٣ بطاريات مدافع جبلية وبطارية ساروخ وسماه حاكماً على البلاد الاستوائية لمدة اربع سنين تبتدىء من ١ ابريل سنة ١٨٦٩م براتب قدره ١٠٠٠٠ جنيه في السنة وأعطاه فرماناً يولج فيه افتتاح تلك البلاد وابطال تجارة الرقيق فيها وتأسيس نقط عسكرية قوية من كوندوكرو الى البعيرات وادخال السفن في نيلها وتلشيط زراعتها .

فقام باكر ومعه امرأته من السويس في ٥ ديسمبر سنة ١٩٦٩ وجاء الخرطوم عن طريق سواكن وبربر فوصلها بعد سفر ٣٢ يوماً وفي السابع من شهر فبراير سنة ١٨٧٠ قام بثلاثين مركباً من الخرطوم قاصداً بلاد خط الاستواء فمنعه السد عن استمرار السير فنزل قرب ملتقى نهر سبت بالنيل الابيض وبني محطة دعاها بالتوفيقية على اسم ولي العهد وأقام فيها سبعة أشهر ثم فتح طريقاً في بحر الزراف وسار الى كوندوكرو فوصلها في ٢١ ابريل سنة ١٨٧١ فوجد فيها كنيسة للمرسلين النمساويين. وفي ٢٦ مايو سنة ١٨٧١ رفع عليها العلم المصري وسمتها بالاسماعيلية على اسم الخديوي وجعلها مركزاً لحكومته . وكانت بلاد خط الاستواء لا تزال مأجورة للسيد احمد العقاد في الخرطوم فألحق بباكر باشا صهره وابن اخته أبا السعود العقاد للنظر في صالح تجارته فلم يتفق مع باكر .

وفي ٢٣ يناير سنة ١٨٧٢ سار باكر ببعض الجند من كوندوكرو جنوباً فأسس نقطة في الابراهيمية قرب الدقلاي وظن انها تكون عاصمة البلاد فيها بعد . ونقطة في فاتيكو ونقطة في فويرة . ثم تقدم منها الى بلاد يونيورو فخلع ملكها كبريقه لأنه لم يخضع له وولى بدله مزاحماً له يدعى ريونجه . وفي ١٤ مايو سنة ١٨٧٢ أعلن ضم بلاد يونيورو الى الحكومة الخديوية رسمياً وأسس نقطة عسكرية في عاصمتها مسندي وهي على ٥٠ ميلاً من البهرت نيازة . وعقد شروطاً ودية مع متاسي ملك اوغنده وبذلك تدرج الى بسط نفوذ الحكومة المصرية من سبت الى بحيرة فكتوريا نيازة . لكن هذا النفوذ لم يدم طويلاً في يونيورو فان كبريقه الذي خلعه باكر جمع جموعه وهاجه في مسندي ولم يكن مع باكر إلا مئة رجل فأخلاها مضطراً في ١٤ يونيو سنة ١٨٧٢ وعاد الى فاتيكو فوجد فيها أبا السعود ومعه ٢٧٠ رجلاً فطرده منها فعاد شاكياً الى الخرطوم ثم الى مصر .

وعاد باكر باشا الى كوندوكرو فوصلها في ١ ابريل سنة ١٨٧٣ أي يوم نهاية مدته على خط الاستواء فترك رؤوف بك قومنداناً على العساكر في كوندوكرو وقام في ٢٦ مايو سنة ١٨٧٣ الى الخرطوم ومنها الى مصر فوصلها في ٢٤ اوجسطس سنة ١٨٧٣ واستعفى من وظيفته فقبل استعفاؤه .

الكولونيل غوردون في خط الاستواء

سنة ١٨٧٤ : ١٨٧٦ م

وبعد استعفاء باكر باشا من خط الاستواء أوصى ولي عهد انكلترا اسماعيل باشا بأن يكون الكولونيل غوردون في مكانه وكان اسماعيل باشا يود بقاء تلك البلاد لمصر فأمر بتميينه ولقد كان لغوردون أعظم الشأن في السودان بل كانت منيته فيه ولذلك نأق على خلاصة تاريخه لهذا العهد فنقول ولد غوردون في مدينة ولورثش ببلاد الانكليز سنة ١٨٢٣ م وانتظم في سلك العسكرية سنة ١٨٥٢ م وكان ميالاً بالطبع الى لقاء الاهوال والصبر على المكاره مما اتصل اليه

بالارث من آباءه واجداده فان أبا جده اشتهر بالبسالة والبأس في الحروب الاسكوتلاندية . وشهد جده مواقع عظيمة وأخطار هائلة . وكان ابوه ضابطاً في الطويحية الانكليزية فارتقى فيها الى رتبة فريق . وحضر غوردون حصار سيستبول سنة ١٨٥٥ م فشهد له بالدربة والاقدام . وفي سنة ١٨٦٠ م سافر الى الصين ودخل الجيش فواقع عدة وقائع دلت على شجاعته وقام براعته في الفنون العسكرية فنال من سلطان الصين لقب صاري عسكري . وفي سنة ١٨٦٥ م عاد الى الجيش الانكليزي فرتقي فيه الى رتبة كولونيل وبقي في بلاد الانكليز الى ان سمي حاكماً للبلاد الاستوائية سنة ١٨٧٤ م كما مر .

وهذه هي صورة الفرمان الذي أصدره له اسماعيل باشا بتاريخ ٢ محرم سنة ١٢٩١ ١٩٥٨ فبراير سنة ١٨٧٤ م نمرة ٩١ سائرة :

« انه بحسب المشهور فيكم من اللياقة والأهلية قد عيناكم مأموراً على جهات خط الاستواء التابعة للحكومة وصار فرز هذه الجهة من تبعية حكمدارية السودان وصارت قائمة بنفسها غير تابعة للحكمدارية انما كافة لوازماتها التي يقتضي الحال لتداركها من طرف الحكمدارية هذه يجري تداركها بمعرفة الحكمدار وصرف ثمنها من طرفه مقابل محاسبة المالية بذلك كما أمرنا الحكمدار المومي اليه بأمرنا الصادر له في تاريخه . ومرسل لكم طي هذا لتوصيله اليه عن يديكم . وبما ان أمور التجارة في ذاك الطرف هي يد واحدة يقتضي ان الذي يتعضوا عليه من تلك الجهات من انواع التجارة بعد صرف كفاية مرتبات العساكر والتعينات ترسلوه الى حكمدار السودان لقبوله من اصل ما يصرفه في أثمان اللوازم التي تطلبوها منه وعند وصولكم الان لتلك الجهات واختباركم أحوالها تجبروا ترتيبها بحسب ما يترأى لكم وتستحسنوه سواء كان باجمال مديرتين او اجمال اقسام او نحو ذلك مما يتوصل به انتظام الجهات المذكورة واستعدادها مع معاملة أهاليها بالرفق ولين الجانب والتأليف والمراعاة لما فيه عماريتهم وترغيبهم وتشويقهم على العمارية ودخولهم في سلك الانسانية شيئاً فشيئاً وهكذا بما يلزم أجروه على حسب التعليمات التي أعطيت لكم بالفرنساوي وها

هو موجود هناك رؤوف بك قومندان العساكر الموجودة بذاك الطرف وتحرك له أمر من طرقتنا ومرسول طيه لتوصيله له بمعرفتكم وأمرناه به ان يكون هو والعساكر تحت أمركم فيما يجب اجراءه في صالح المصلحة ولو ان المومى اليه ومن معه من العساكر صار لهم مدة زائدة في تلك الجهات ولذلك منظور في ارسال خلافهم من هذا الطرق لتغييرهم لكنه في مسافة ارسال البدل يكون المومى اليه والعساكر منقادين لأوامركم حسب اصول وقوانين الجهادية. وعلى هذا وما منظور لنا فيكم من حسن الفيرة والاهلية مؤملين الاستحصال على ما فيه عمارية جهات خط الاستواء المحكى عنها وراحة أهاليها وحسن توطينهم وتأليفهم على الدخول في سلك الانسانية شيئاً فشيئاً كما هو مطلوبنا.

حاشية : انه بعد توجهكم ووصولكم ذلك الطرف تعملوا الترتيب اللازم عن مصاريف تلك الجهة بحسب ما يلزم لها من الخدمة والعساكر وكلما يلزم تداركه وارساله من جهات الحكمدارية على حسب الترتيب المذكور تطلبوه من الحكمدارية وتعينوا له الاوقات والمواعيد اللازم تداركه وارسال اللوازمات المذكورة فيها بحيث اذا كانت الايرادات على قرض لا تكفي المصروفات فالحكمدار يرسل لكم كلما تطلبوه ويحاسب ديوان المالية بذلك يكون معلوم ، اه .

وسار غوردون من مصر القاهرة ومعه نفر من الموظفين والاتباع في ٢١ فبراير سنة ١٨٧٤ فأخذ من الخرطوم بعض الجند وفي جلستهم ابراهيم أفندي فوزي (ابراهيم باشا فوزي الآن) وتوجه الى خط الاستواء فوصل كوندوكرو في ١٥ ابريل سنة ١٨٧٤ م فقابله رؤوف بك بالاحتفاء فأبقاه عنده بضعة أشهر ثم أرسله الى مصر فسمي حاكماً على هرر كما سيجيء .

وكان غوردون قد صادف أبا السعود في مصر فأخذه معه الى خط الاستواء وجعله في خدمته مع نفر من تجار الرقيق لينمهم عن الاتجار بالرقيق من جهة ويستعين بهم على تعقب تجار الرقيق من جهة اخرى . فبعد وصوله الى كوندوكرو بشهرين اكتشف ثلاث زرائب لتجار الرقيق على بحر الزراف

فهدم الزرائب وأعتق الأرقاء الذين وجدهم فيها . ولكن أبا السعود وارفاه لم يصدقوه الى النهاية فعزلهم جميعاً وكان أكثرهم جملين ودناقلة . وفي ١١ سبتمبر سنة ١٨٧٤ م جاءه ٢٥ رئيساً من رؤساء السود وقدموا له الطاعة وشكروه على مطاردته تجار الرقيق في بلادهم . وفي الشهر التالي ضبط يوسف بك مدير فاشودة زمرة من النخاسين ومعهم ١٦٠٠ رقيق و ١٩٠ رأس بقر أتوا بهم من بحر الزراف .

ورأى غوردون ان هواء كوندو كرو غير صحي فنقل مركز حكومته الى اللادو وذلك في ٢١ نوفمبر سنة ١٨٧٤ م . وقد امتدت حكومته من ملتقى نهر سبت بالنيل الابيض الى بحيرة فكتوريا نيازوه . وكان أهم ما اشتغل به تأسيس نقط عسكرية قوية على النيل لأجل حماية البلاد من تجار الرقيق وحفظ النظام والأمن فلم تنته سنة ١٨٧٤ حتى كان قد أسس عشر نقط وهي سبت والناصر على نهر سبت وشامبه ومكره وبور واللاتوكة واللاو والرجاف والدفلاي وفاتيكو وفويره على النيل الابيض وجعل فيها ٦٤٠ من العساكر السودانية و ١٥٠ من العساكر المصرية و ٦٥٠ من ألباشبوزق الدناقلة والجملين . وبعد ذلك أسس نقطة في مرولي على نيل فكتوريا ونظم في جيشه عدداً كبيراً من الأرقاء الذين حررهم من الزرائب .

وكان باكر باشا قد أحضر وابورين قطعاً من مصر بقصد بنائها وتلخيص الملاحة في البحيرات ولكن انقضت مدته ولم يتمكن من بنائها فلما تم لغوردون تأسيس النقط العسكرية حمل قطع الوابورين في البر الى جنوبي شلال القوله قرب الدفلاي وبنائها هناك وسمى الكبير منها الجديوي والصغير نيازوه فبقيا بين الدفلاي وبحيرة ألبرت نيازوه الى قيام الثورة المهدية كما سيجيء .

وكان ممن صحبوا غوردون الى خط الاستواء او انضموا اليه بعد ذهابه : الكولونيل لونج من ضباط الاميركان العظام في الجيش المصري والدكتور أمين وجسي والكولونيل بروت وعبد العزيز بك ابن لبنان باشا . وكان للدكتور امين وجسي اكبر شأن في تاريخ خط الاستواء وبحر الغزال

لذلك نقتطف هنا تنقفاً من بدء سيرتها قبل الشروع في ما كان من تاريخها هناك : اما الدكتور امين قاسم الاصيل ادوارد شيتتر وقد وُلد في ٢٨ مارس سنة ١٨٤٠ م في مدينة اوبلن من اعمال سيليسيا بروسيا وتلقى العلوم في فيينا وباريس وتال شهادة دكتور في الطب ثم دخل في خدمة الدولة العلية في اسكودار وبقي الى ان مُنمّي غوردون حاكماً على خط الاستواء وكان الدكتور امين يمزفه فذهب الى الخرطوم واستأذنه في السفر اليه فأذن له وحال وصوله أعطاه لقب بك وسماه حاكماً على اللادو .

اما جسي فهو ضابط إيطالي شديد المعارضة قوي الارادة وقد رافق الجيش الانكليزي الى حرب القرم بصفة مترجم ثم انضم الى غوردون باشا في خط الاستواء .

وقد استعان غوردون بهؤلاء الضباط على درس البلاد وتجهيدها فانه عند وصوله الى كوندوكرو أرسل الكولونيل لونج الى ملك يونيورو لكشف خبره فوجد جميع المشردين من تجار الرقيق قد اجتمعوا اليه وهو لم يزل على العصيان فتركه وشأنه وذهب الى متاسي ملك اوغنده فوجده لم يزل على الولاة وعاد بالخبر الى غوردون فأرسل غوردون امين بك الى الملك متاسي للمحافظة على مودته . وأرسل جسي الى بلاد بحر الغزال لكشف خبرها ولما عاد أرسله بركبين الى بحيرة البرت لاستطلاع حالها وحال القبائل المقيمين فيها وذلك في مارس سنة ١٨٧٦ م فطاف البحيرة وقضى في طوافه تسعة ايام فوجد طولها ١٤٠ ميلا وعرضها ٥٠ ميلا ووجد القبائل القاطنة حولها معادية للحكومة . اما عبد العزيز بك لينان فانه قُتل في ثورة أثارها السود على العساكر وهم ينقلون قطع الواورين المار ذكرهما الى الدفلاي فأخذ غوردون بثأره .

وبقي غوردون مجدداً في تنظيم البلاد واصلاح شؤونها بلا مساعدة مصر الى سنة ١٨٧٦ م فاستغنى وعاد الى مصر ومنها الى بلاد الانكليز تاركاً الكولونيل بروت من اركان حربه وكيلا على خط الاستواء . ثم ذهب الكولونيل بروت فتاب عنه امين بك فبقي الى ايام الثورة المهدية على ما سيجيء .

وكان في جملة من شهد أعمال غوردون في خط الاستواء ابراهيم باشا فوزي الذي صحبه من الخرطوم كما مرّ وعاد معه الى مصر وقد بين ذلك تفصيلاً في كتابه « السودان بين غوردون وكلتشر » الذي نشره بعد نجاحه من أسر التماشي .

هذا ما كان من احتلال خط الاستواء وحكم السر صموئيل باكر وغوردون باشا فيه ولنرجع الآن الى ولاية الخرطوم وما كان في أيامهم من الحوادث .

عود الى ولاية ١٨ - جعفر باشا مظهر :

تركنا الخرطوم في ولاية جعفر باشا مظهر سنة ١٨٦٩ م ودام حكمه عليها محموداً الى ٢ جمادى الاولى سنة ١٢٨٨ هـ ٢٠ يوليو سنة ١٨٧١ م فعزل . وكان رجلاً عفيفاً صادقاً شهماً وكان كاتم أسرار التهامي بك من أمهر الكتاب فقدم له التهامي استغفاره في بعض الايام فكتب اليه في الجواب هذه الكلمات : « حتى يلج الجمل في سم الخياط » .

١٩ - ممتاز باشا سنة ١٢٨٧ : ١٢٨٩ هـ - ١٨٧١ : ١٨٧٣ م

وتولى السودان بعده ممتاز باشا فأدخل اليه زراعة القطن المصري وكانت هذا هو الأثر الجيد الوحيد الذي تركه فيه لأنه مدّ يده الى الرشوة وأخذ من سنار وحدها على رواية بعض معاصريه مئة وخمسين ألف ريال ونيفاً . وقد أكثر اهل السودان من التشكي عليه فأوقف عن الخدمة سنة ١٨٧٣ م وسجن في الخرطوم لتحقيق تلك التشكيات فمات هناك سنة ١٨٧٥ م .

٢٠ - اسماعيل باشا ايوب سنة ١٢٨٩ : ١٢٩٣ هـ - ١٨٧٣ : ١٨٧٧ م

وجاء على السودان بعد عزله اسماعيل باشا ايوب فجرت في عهده حوادث جمة ذات بال . وكانت فاتحة أعماله انه اشتغل في إزالة السد من النيل الأبيض .

وفي اول سنة من ولايته أي سنة ١٨٧٣ م قسمت البلاد الى مديريات وجعل كل مدير مسؤولاً عن مديريته ومستقلاً عن والي الخرطوم وكان اذ ذاك يوسف بك مديراً على فاشودة وحسين بك خليفة على بربر .

وفي تلك السنة عاد باكر باشا من خط الاستواء ثم سمى غوردون باشا حاكماً على خط الاستواء وعاد منها وهو أي اسماعيل باشا أيوب الوالي على الخرطوم كما مر .

وأعظم ما تم في السودان على ايامه فتح سلطنة دارفور وضمها الى أملاك الحكومة المصرية عن يد الزبير رحمت باشا . وقد 'وفقت' الى تفصيل ذلك الفتح مع تفصيل سيرة الزبير وحركاته في بحر الغزال من الزبير باشا نفسه وهاك خلاصتها :

سيرة الزبير باشا

وفيها فتح بحر الغزال ودارفور

نسبه ووطنه : حدثني الزبير عن نفسه قال : أنا الزبير بن رحمت بن منصور بن علي بن محمد بن سليمان بن ناعم بن سليمان بن بكر بن شاهين بن جميع ابن جموع بن غانم العباسي . هاجر أجدادي العباسيون بفداد بعد هجوم التتر عليها سنة ٨٦٧٦ ١٢٧٨ م فاتوا مصر فوجدوا فيها الفاطميين حكاماً فلم يطبقوا الإقامة معهم فزحوا الى بلاد السودان فسكن بعضهم النيل وبعضهم بلاد دارفور ووداي وتشعبوا على النيل قبائل فكانت في جلتها قبيلتنا المعروفة بالجميعاب نسبة الى جدنا جميع وقد أقامت على النيل الكبير بين جبل قرني وجبل الشيخ الطيب واشتهرت بين قبائل السودان بالشجاعة وحماية الدمار . ولما حضر اسماعيل باشا الى السودان فاتحاً استقبله أعياننا بالترحاب وعاهدوه على الولاء وفي جلته المرحوم ابي رحمت وأخوه الفيل فحفظوا المهد الى ان



الزعيم محمد بن عبد الله الباشا شيخ المحاولات
شانه

توفاهم الله وقتنا نحن فسرنا على مثاهم في الطاعة والولاء وما زلنا كذلك الى اليوم . اما أنا فقد ولدت في جزيرة واورسي في ١٧ محرم سنة ١٢٤٦ هـ ٨ يوليو ١٨٣١ م ونشأت في حجر والدي الى ان بلغت السابعة من العمر فأدخلني مكتب الخرطوم فتعلمت القراءة والكتابة وحفظت القرآن الشريف على رواية ابي عمر والبصري وتفقته على مذهب الامام مالك ولما بلغت الخامسة والعشرين من العمر تزوجت بابنة عمي لي واشتغلت بالتجارة للتعيش بها .

سفره الى بحر الغزال سنة ١٢٧٣ هـ ١٨٥٦ م : وبعد ذلك بستين دخل ابن عمي المسمى محمد عبد القادر في خدمة علي ابي عموري من أهالي نجع حماده بصعيد مصر ومن التجار الكبار الذين كانوا يتجرون في بحر الغزال وسافر معه خلسة فلما بلغني خبر سفره أخذتني الشفقة عليه لأن بلاد بحر الغزال كثيرة الأخطار بعيدة الشقة فلحقته قصد إرجاعه فأدركته في حلة ود شلمي على النيل الابيض مسيرة يوم من الخرطوم وأخذت أنبسط عزمه عن السفر فأقسم ألا يعود الى الخرطوم قبل ان يتم سفره فشق علي ذلك وأقسمت له بالطلاق انه اذا لم يرجع عن عزمه سافرت معه وقد عظمتم القسم ظناً انه لا يرضى بسفري معه فيرجع مضطراً ولكنه لم يزل مصرأ على السفر فسافرت معه برأ بالقسم ودخلت معه في خدمة ابي عموري فسرنا من ود شلمي في ١٤ محرم سنة ١٢٧٣ هـ ١٤ سبتمبر سنة ١٨٥٦ م قاصدين بحر الغزال وأنا أستعيز بالله من ذلك السفر الذي لم أكن اتوقع منه إلا الشر والاعطار لكنه جاء بأحسن ما كنت أتمنى بل كان سبب نجاحي وشهري ورفع منزلي الى مقام لم ينله احد في السودان قبلي وهبات ان يناله احد فيه بعدي « وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم » .

هذا وما زلنا سائرين في النيل الابيض حتى وصلنا موردة بحر الغزال المعروفة بشرع الريك التي لا يمكن للمراكب ان تتعدها جنوباً فنزلنا بامتعتنا وبضائعنا الى البر في ٢ صفر من السنة المذكورة واخترقنا بلاد الجانقية الى

بلاد الجور حيث كانت زريبة علي ابي عموري المعروفة باسم عاشور على اسم شيخ البلد فدخلناها في ١٧ من الشهر المذكور . وكان في بحر الفزال في ذلك الحين تجار كثيرون غير ابي عموري متفرقون في جميع أنحاء البلاد . ولكل تاجر منهم زريبة من شوك يأوي اليها ويضع فيها تجارته . وأهم الأصناف الرائجة في تلك البلاد الخرز على اختلاف انواعه وألوانه والودع والقصدير وكله مما يترين به الاهلون نساء ورجالا ويفضلونه على الذهب والفضة فيأخذونه من التجار مقايضة بسن الفيل والخرتيت وريش النعام واللاستك والحديد والنحاس وغيرها من محصولات البلاد .

انحاده ثورة محلية سنة ١٢٧٤ ١٨٥٧ م : فآقت مع صاحبي على عموري مساعداً له على تجارته ولكن ما لبثنا بضعة أشهر حتى هاج اهل البلاد على التجار طمعاً في أموالهم سنة ١٢٧٤ ١٨٥٧ م فجمعوا جوعهم من كل الجهات وهاجوا الزرائب فقتلوا بعض التجار وسلبوا أموالهم وهاجوا زريبة صاحبي ابي عموري فقمعت في رأس رجاله وأشعلت فيهم النار وهزمتهم شر هزيمة بعد ان قتلت منهم خلقاً كثيراً فلما سمع التجار في الجهات بانتصاري عليهم جاؤوا اليّ والتفوا حولي وهابني اهل البلاد فلم يمدوا يدي فاجبني وجعل لي قسماً رأي صاحبي ابو عموري ان سلامته كانت عن يدي فأحبني وجعل لي قسماً من أرباحه أي عشر السن ولما هدأت البلاد تركني في محله وكيلاً عنه وسار الى الخرطوم فغاب ستة اشهر وعاد بالبضائع فوجد عندي من محصولات البلاد ما لم يكن يحمفه هو في سنين فزادت رغبته فيّ وعرض عليّ الشركة بالنصف فأبيت وعزمت على انشاء محل تجاري لنفسي .

ذهابه الى الخرطوم وعودته الى بلاد قولو سنة ١٢٧٥ ١٨٥٨ م : وبهذا العزم رجعت الى الخرطوم فدخلتها في ٧ ربيع الاول سنة ١٢٧٥ ١٥ اكتوبر سنة ١٨٥٨ م وكنت قد جمعت من تجارتي مع ابي عموري نحو الف جنيه فاشتريت بها بضائع وذهبية واكثرية بعض الانفار على عادة التجار وسلحتهم

بالبنادق وسرت بهم والبضائع في الذهبية الى مشرع الريك فنزلنا فيه واستأجرت بعض السود فحملوا بضائمي وسرت برأ في بحر الغزال وانا عازم على ان أطرق بلاداً جديدة لم يطرقها احد قبلي فقطعت بلاد الجانكاه والجور والبنقو وجئت الى بلاد قولو . وكان عليها ملك يقال له كواكي فرحب بي وأكرم مشواي فأخذت أنجر في بلاده حتى اجتمع عندي من سن الفيل وريش النعام وغيرهما من خيرات البلاد شيء كثير فأرسلتها مع ابن عم لي يدعى محمد احمد رحمة الى الخرطوم فباعها وعاد اليّ بالبضائع في ١٧ ربيع اول سنة ١٢٧٦ هـ ١٤ اكتوبر سنة ١٨٥٩ م .

سفره الى بلاد النائم ١٢٧٦ هـ ١٨٥٩ : وفي أثناء اقامتي في بلاد قولو علمت ان بلاد النائم الواقعة الى الجنوب الغربي منا بلاد واسعة الاطراف كثيرة الجواميس والافعال ولا قيمة لسن الفيل فيها لكثرتة وعليها سلطان عادل يسمى السلطان تكة . فبعد رجوع ابن عمي بنحو شهر ونصف شهر حلت بضائمي وسرت بها خمسة وعشرين يوماً الى سلطان النائم. فقدمت له هدية فاخرة واستأذنته في الاتجار في بلاده فأذن لي . وكان النائم لا يعرفون الحير في بلادهم ولا الجمال ولا الخيل وكان معي حمار فأهديته الى السلطان فاستغرب هيئته وقد ظنه رجلاً ممسوخاً ولم يقبله . وكان لهذا السلطان نحو ٤٠٠ امرأة و ٤٠٠ ولد من صبيان وبنات فزوجني بأكبر بناته رانجوه. فعلاً مقامي بهذه المصاهرة في عيون اهل البلاد وزادت تجارتي رواجاً وتحسيناً حتى اجتمع عندي في وقت قصير شيء كثير من سن الفيل والخرتيت وغيرهما .

رجوعه الى الخرطوم مرة ثانية وتيهه في الطريق سنة ١٢٧٨ هـ ١٨٦٢ م: فلما كان ١٧ رمضان سنة ١٢٧٨ هـ ١٨ مارس سنة ١٨٦٢ م استأذنت السلطان تكة وسرت بهذه السلع قاصداً الخرطوم فمررت بصاحبي علي عوري فوجدته متأهباً للسفر بتجارته الى الخرطوم فاتفقنا على الذهاب معاً وكانت زريبتة عاشور قرب نهر البنقو احر فروع بحر الغزال الذي لم يسلكه احد من قبلنا

فأردنا فتحه للتخلص من مشقة نقل البضائع بالبر فبينا مركبين ووسقنا فيها بضائعنا ورجالنا البالغ عددهم ٢١٤ نفرأ وسرنا قاصدين مشرع الريك ومعنا من الزاد ما يكفيننا نحو شهرين فبعد ان سرنا ١٣ يوماً بلياليها اتسع مجرى النهر حتى صار أشبه ببحيرة واسعة منه بالنهر وخفي علينا المجرى الأصلي فتها في تلك البحيرة خمسة وسبعين يوماً لا نرى فيها إلا السماء والماء وقد نفذ منا الزاد فاكلنا ما كان معنا من الجلود واشتد بنا الجوع .

وفيا نحن في هذا الكرب اذا بدخان لاح لنا من بعيد فاخترت انا وصديقي علي عموري تسعة أنفار من رجالنا وزلنا في قارب صغير أتينا به معنا وسرنا قاصدين جهة الدخان فلم نبعد عن المركبين إلا قليلا حتى اختفى الدخان ثم غاب عنا المركبان فأصبحنا نسير على غير هدى فتها وجعنا حتى أشرفنا على الهلاك ثم حانت منا التفاقة فرأينا شجرة قائمة على تل في وسط الماء ووجدنا تحتها تماسحا كبيرا فاصطدناه بالرصاص وتزودنا به فماد لنا بعض نشاطنا وانقلبنا راجعين نحو المركبين فالتقينا بها بعد غيبة ٤ ايام فوجدنا رجالنا قد مات منهم ١٨ نفرأ ولما علموا بخيبتنا مات منهم رجل في الحال وقد أكدوا لنا انهم كانوا يرون الدخان كل يوم في آخر النهار فأيقنت اذ ذاك بوجود بر قريب فالتقيت ١٢ رجلا من أقوى رجالي وأزلتهم في القارب وتوجهت ثانية الى جهة الدخان فلم تمر بضع ساعات حتى أشرفنا على جزيرة واسعة مأهولة بالناس وفيها من الأبقار ما لا يحصى عدده فزلنا الى البر فوجدنا ان الدخان الذي كنا نراه هو دخان أرواث الأبقار التي كان يحرقها الأهليون في عصر كل يوم ليتخذوا رمادها فراشا لهم كما هي عادتهم . وكان يسكن تلك الجزيرة قوم من النوير وعليهم ملك يسمى كُرُمُ فمادنا فدخلنا الجزيرة اجتمع علينا أهلها وهم يتعجبون من زيتنا وملابسنا فسألونا وهم ينوون القدر بنا من أين أتيتم من السماء ام من الأرض ام من الماء وماذا ترومون من الدخول في جزيرتنا وكان معي مترجم يحسن لغة القوم ويعرف ملكهم فقلت اني اعرف ملككم كَرِيم وأريد ان تأخذوني اليه فلما رأوني عارفا لغتهم وسلطانهم فرحوا بي

وأموني على حياتي وحياة رجالي وذبحوا لنا بقرة قصد الضيافة فأكلناها وقد
أكل البعض منا بشره زائد فماتوا بعد الفراغ من الأكل ببضع دقائق . ثم
اشترت ثمانية أبقار وذبحتها وأرسلتها قطعاً في القارب الى بقية الرفاق في
الركبين فأكلوا وجدوا السير جق رسوا عند الجزيرة وذهبت لمقابلة الملك
كرّيم ولما امتثلت بين يديه حيثه فردّ عليّ التحية ثم اخذ يسألني عن أمري
والسبب الذي أتى بي الى جزيرته فأجبتّه على جميع أسئلته . ولما انتشر
خبرنا في الجزيرة أخذ كبارها يفدون الى الملك أفواجا طالين قتلنا والاستيلاء
على أموالنا فأذن لهم في ذلك بعد ثرؤد بعد خروجنا من داره وقد أدر كنا
غايتهم وبتنا تلك الليلة ونحن نحرس أنفسنا بالناوبة وجاءت لوبقي في الهجيع
الاول من الليل فشاهدت أسداً مقبلاً من بعيد فرميتّه بالرصاص فخرّ على
الارض يخطب بدمائه فاستيقظ الملك كرّيم من لومه ظاناً ان رجاله جاؤوا
لحربنا واستيقظ الكثير من سكان الجزيرة فلما رأوا الاسد مقتولاً فرحوا فرحاً
شديداً لأن ذلك الاسد كان متسلطاً عليهم يفترس كل من يصادفه منهم حتى لم
يعد يحسر احد على الخروج من بيته ليلاً أما الملك كرّيم فقد عظم سروره من
قتلي للأسد حتى انه عقد لي على احدى بناته ورغبني في الإقامة معه في جزيرته
فاقمت عنده شهراً كاملاً حتى اشترت جميع ما يلزمي من المؤث ثم
احتلت عليه وخرجت من جزيرته بالركبين ولكن ما كدتا نغيب عن الجزيرة
حتى تهنا ثانية في عرض تلك البحيرة وما زلنا تأهين حتى فرغ زادنا
ومات جميع من في المركبين إلا صديقي علي عموري وستة رجال واذ
أشرفنا على الهلاك لاح لنا مركب من بعيد فأطلقنا له عياراً ثارياً فأقبل
علينا فاذا به عبد الرحمن ابو قرون من تجار بحر الغزال فلما رأنا على تلك
الحال بكى وقدم لنا ما لزمنا من الزاد والكسوة . وكنا على خمسة ايام
من مشرع الريك فسرنا اليه مجدين حتى أتيناه في ٢ صفر سنة ١٢٨٠ هـ ١٩
يوليو سنة ١٨٦٣ فاجتمع الناس حولنا يهنئوننا بالسلامة ويعزّوننا عما فقدناه
من الاموال والرجال ثم أقلعنا بالمراكب الى الخرطوم ندخلناها في ٢٧ ربيع

الاول من تلك السنة ١١ سبتمبر سنة ١٨٦٣ فلبثت في الخرطوم بضعة أشهر ريثما بعت تجارتني واشترت بشمنها تجارة اخرى مما يروج بتلك البلاد وأسلحة وذخائر وزدت عدد رجالي .

رجوعه الى بلاد النمام سنة ١٢٨٠ هـ ١٨٦٣ م : وفي ٢٢ القعدة سنة ١٢٨٠ هـ ٢٩ ابريل ١٨٦٣ م برحت الخرطوم قاصداً بلاد النمام فوصلتها في ٢٠ صفر سنة ١٢٨١ هـ ٢٥ يوليو سنة ١٨٦٤ م وقدمت هدايا نفيسة للملك تكة فسر بها وأولم لي وليمة فاخرة ذبح فيها عدداً وافراً من الوحوش ومئة كلب من أسمن الكلاب المعدة لأكله وعدت الى دار زوجتي رانبوه وشرعت في بيع البضائع . وقد جرت العادة في تلك البلاد ان يبيعوا في الاسواق اصحاب الجنائيات كالسارق والزاني ويذبحونهم كالغنم ويبيعون لحومهم طعاماً فاقتديت من هؤلاء من وجدته اهلاً لحمل السلاح حتى اجتمع عندي نحو خمس مئة رجل فسلحتهم بالأسلحة النارية وعلمتهم حملها واستعمالها فأوجس الملك تكة شراً وخاف مني على مملكته واستشار كهانه فأقرؤا على قتلي فعملت بذلك امرأتي رانبوه ابنة الملك وأخبرتني به سرأً ونصحتني بالرحيل من بلاد أبيها .

انتقاله الى بلاد الملك دويه سنة ١٢٨١ هـ ١٨٦٤ م : فامتدت بالامر وتولفت الى الملك تكة بالهدايا وقلت له : بلغني ان في بلاد الملك دويه سن فيل كثير فأريد ان اذهب برجالي وآتي به فقال اذهب واثبت به وحدك ودع رجالك هنا فقلت بلغني ان تلك البلاد ليس فيها عدل وأخاف ان أهلها اذا رأوا مني الضعف غدروا بي وقتلوني فلما رأى إصراري على أخذي رجالي وأمتعتي معي أذن لي في السفر ظاهراً وأوعز الى جيشه سرأً ان يكمنوا لي في الطريق ويقتلوني انا ورجالي فلما خرجت من بلاده حتى اعترضني جنوده الذين في الكمين فصلبتهم ناراً حامية لم يطيقوها فانهمزوا امامي ودخلت بلاد الملك دويه وكان عدواً للملك النمام فلما علم بما جرى لي معه خرج لمقابلتي مسيرة اربع ساعات من عاصمته وأتزلني في جواره على الركب والسعة وبني لي حصناً

مربعا منيفا من الخشب وأمدني من الحبوب والمؤونة بما يكفي رجالي مدة طويلة . اما الملك تكمة فانه لم يلبث ان أرسل جيشا جرارا بقيادة عمه منبوه اهتزت له بلاد الملك دويه واستولى الرعب عليه وعلى قومه ففروا هاربين خلسة تحت جناح الظلام .

انتقاله من التجارة الى الملك سنة ١٢٩٢ هـ ١٨٦٥ م : ولما أصبح الصباح ورأيت ما كان من الملك دويه داخلني الخوف وصرت أنظر في امر النجاة وبينما انا في ذلك اذ وفد علي رسل للملك تكمة وقالوا ان حرمة المصاهرة وسابق المودة تمنعان الملك من محاربتك ولكنه يرغب اليك ان تخرج من جميع بلاد الملك دويه التي اصبحت تحت سلطانه وتذهب الى حيث تشاء ولك الأمان فأجبتهم الى ذلك وخرجت الى بلاد قولو حيث يقم الملك عدوه شكو فدخلتها اول محرم سنة ١٢٨٢ هـ ٢٧ مايو سنة ١٨٦٥ م وكان هذا الملك قد غدر بأخي منصور وقتله هو وزفائه الذين أرسلتهم للتجار في بلاده واستولى على جميع ما لهم فلم يشك في اني جئت لأخذ بشأ أخيه فلم يسمح لي بالبقاء في بلاده وتهديني بالحرب فترلفت اليه بالهدايا وأكدت له أن لا قصد لي سوى التجارة فرفض الهدايا وأصر على خروجي من بلاده في الحال وكان الفصل شتاء والبلاد مغمورة بالمياه فسألته ان يهيني الى ان ينقطع المطر وتفتح الطرق فأبى ففناجزته اذ ذاك الحرب وجري بيني وبينه عدة وقائع دموية حتى قتل فخلفه ابنه فتغلبت عليه وأخذته أسيرا وامتلكت بلاده وجميع البلاد المجاورة لها الى بحر العرب واتخذت عاصمته بابه التي سميت بعد ذلك « بذي الزبير » مركزا لي غصرت فيها ملكا وصارت الناس تتقاطر الي من كل الجهات للانتظام في خدمتي فجلبت الاسلحة وجمعت جيشا قويا رحمت البلاد بالكتاب والسنة وشرعت في تمدينها وعمارها وتوسيع نطاق التجارة فيها .

معاهدته مع عربان الزريقات على فتح طريق شكا سنة ١٢٨٢ هـ ١٨٦٦ م :
 وكان اول ما سميت اليه فتح طريق التجارة بين بحر الغزال وكردوفان لبعده
 طريق النيل وكثرة أخطارها ومشاقها . وفي شوال سنة ١٢٨٢ هـ مارس سنة
 ١٨٦٦ أوفدت رسلاً يهدايا الى مشايخ عربان الزريقات الواقعين في طريق
 التجار فجاءني ثمانون شيخاً منهم وعاهدوني على فتح الطريق وتأمين القوافل
 والتجار من مسلمين ومسيحيين وأقسم كل منهم خسين قسماً على الكتاب
 بالمحافظة على هذا العهد وجعلت لهم مقابل ذلك جملاً معلوماً يقتضونه من
 التجار فكثرت ترداد الناس والتجار بأصناف البضائع اقرب هذه الطريق
 وسهولتها وما زالوا في ازدياد حتى صار ازدهامهم على كازدحام العطاش على
 المنهل العذب .

خلة البلادي على بحر الغزال وقتله سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م : وفي سنة
 ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م (وهي السنة التي ذهب فيها السر صموئيل باكر لفتح خط
 الاستواء) قدم رجل من الخرطوم من متخلفي حجاج الغرب يقال له الحاج
 محمد البلادي بقصد احتلال بحر الغزال ومعه سرية من المساكر مؤلفة من ٢٠٠
 من المساكر المنظمة السودانية عليهم الصاغ محمد افندي منيب و ٤٠٠ من
 المساكر الباشبوزق عليهم السنجق كوشوك علي و ٦٠٠ من الخطرية . فطاف
 بلاد بحر الغزال ودخل زرائبها وقرأ لأصحابها فرمان الحكومة بتسميته مديراً
 على بحر الغزال فمنهم من طاع وسلم ومنهم من عصي فحارب او فر . ثم وجهه
 حملته على " فجمعت جيوشي ومن لجأ الي " من اصحاب الزرائب المجاورة لي
 وكنت له في خور على الطريق . فلما اقترب من الكين أشعلت النار في جيشه
 فقتلته وقتلت بعض عسكره وأسرت الباقي ولكني أصبت في ذلك اليوم
 برصاصة في كراعي الايمن ورجعت محملاً الى مركزي . وكانت الحاكم في
 الخرطوم اذ ذاك جعفر باشا مظهر فبعثت اليه بالخبر .

وانتشر خبر انتصاري على البلادي في أقاليم السودان واشتهر ملكي بالعدل
 والانصاف فوجد الي الناس من كل الجهات اما للانتظام في جيشي او للتجار

في بلادي ولم يضر إلا القليل حتى صرت ذا ملك عظيم . وكنت أميل في أحكامي الى استعمال الشفقة على من أوليت إلا اني كنت اضطر في بعض الاحيان الى استعمال الصرامة نظراً لقساوة قلوب اهل البلاد فمن جملة ذلك اني كنت أعلق المحكوم عليه بالشنق برجليه ليندلى رأسه الى اسفل وأتركه بلا أكل ولا شرب حتى يموت .

امتلاكه بلاد النعام سنة ١٢٨٩ هـ ١٨٧٢ م : وهذا الملك الذي انتظم لي في بحر الغزال لم يرق للسلطان تكة سلطان النعام وكانت ابنته رانبوه لا تزال في عصمتي وكانت يرسل اليها في كل سنة هدية من السن خمسين قنطاراً ومن العسل مائتي زقة ومن السمسم مئة أردب ومن الرقيق مئة فلما اشتهر ملكي في جواره قطع الهدية ونصب لي العداء . وفي اوائل ١٢٨٩ هـ ١٨٧٢ م أرسل عه مقبوه يحيش جرار فأغار على اطراف مملكتي فبعثت اليه برسل أسأله عن ذلك فردّ الرسل مع ثلاثة رسل من عنده يقول انه لا يسمح لي بتأسيس ملك في جوار مملكته فاما ان أنزع عن نفسي صفة الملك وأعود تاجراً كما كنت او ان يحاربني وينزع الملك عني بالقوة . فقلت للرسل اذهبوا الى ملككم وقولوا له ما كنت لأتنازل عن ملك أسسته بسيفي لمجرد تهديد او وعيد فان كان يستصغرنى الى هذا الحد فليجرب قوته التي يتفاخر بها على ملوك الجيوس . فجرد الملك تكة جيوشاً لا يحصى لها عدّ وانتشبت بيننا حرب سنة كاملة جرت فيها عدة وقائع شديدة وفي آخرها قتل السلطان تكة وعه مقبوه ودان لي ثمانية من كبار ملوك النعام الذين كانوا في حروب مستمرة بعضهم ضد بعض بل كانوا يصيدون بعضهم البعض صيد الطير فلما توليتهم قبحت فعالهم وألفت بينهم وبسطت الامن على ربوعهم وصاروا يتعاملون بالبيع والشراء ويتصاهرون . وسمع من جاورهم من الجيوس اخبار عدلي وما قال الذين دخلوا تحت طاعتي من الراجة والامن واتسع العيش فصاروا يأتون اليّ من مسافات بعيدة مقدمين الطاعة وطالبن عمالاً من قبلي تقوم عليهم حكماً فأجبتهم الى ذلك واتبع نطاق مملكتي اتساعاً عظيماً الى الجهات الاربع .

فتح دارفور

سنة ١٢٩٠ : ١٢٩١ هـ - ١٨٧٣ : ١٨٧٤ م

حربه مع الرزيقات واستيلاؤه على بلاد شكا سنة ١٢٩٠ هـ ١٨٧٣ م :
 وكان الرزيقات في أثناء الحرب مع النائم قد نقضوا العهد وقطعوا الطريق وقتلوا
 بعض التجار فلما انقضت الحرب أنقذت اليهم رسلا أسألمهم عن ذلك فأجابوا
 بالشم والسباب وأقسموا ألا يدعوا مسافراً يمر إلى عن طريق بلادهم إلا قتلوه
 وسلبوه ماله .

وكان على دارفور اذ ذاك السلطان ابراهيم فأرسلت اليه كتاباً بتاريخ ١
 جمادى الاولى سنة ١٢٩٠ هـ ٢٧ يونيو سنة ١٨٧٣ م أخبره بما أتاه الرزيقات
 من نكث العهد وقطع السابلة والتمست مساعدته عليهم وهذا فحوى الكتاب :
 « الى حضرة امير الأمراء الكرام مولانا السلطان ابراهيم ابن السلطان
 حسين صاحب العزة والافتدار والهيبة والفخار أدام الله علاه آمين .

« اما بعد فنحن عبيد افندينا وليّ النعم خديوي مصر المعظم أتينا منذ
 عام ١٢٧٠ هـ لفتح بلاد العبيد فدانت لنا بلاد الفراتيت برمتها وفتحنا
 الطريق منها الى كردوفان عن طريق شكا فتمهد بحفظه مشايخ الرزيقات
 نظير جعل معلوم وضعناه لهم على التجار . ولكن لم يكن الا اليسير حتى
 نكث الرزيقات العهد وربطوا الطريق وأباحوا دماء المسلمين وأموالهم بدون
 وجه شرعي وقد نهيناهم عن ذلك مراراً فلم ينتهوا بل كانوا يتفاخرون بقوتهم
 وخبولهم العربية وأملحتهم النارية وقتلهم للمقدوم عبد العزيز ابي احمد شطه
 وآدم طربوش ابي الوزير بخيت وغيرهما من الفرسان التابعين لدولتك الفوراوية
 فأوجب الله تعالى علينا حرّهم بدليل قوله : « فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء
 الى أمر الله » ونحن نتقدم اليكم بهذا الكتاب واثقين انكم متى علمتم حال
 هؤلاء المربان الطغاة الذين خرجوا عن طاعة سلطنتكم منذ ثلاثين سنة ونيف
 تجدوننا بسرية من جيشكم حتى اذا ماتم لنا إذلالهم نعود فنسوي الامر

بيننا فإما ان تركوم لنا لنحكمهم بالقسط والعدل وإما ان نتركهم لكم فتفتحون الطريق وتقدمون لنا النفقات التي نبذلها على عساكرنا في الحملة عليهم والأمل الافادة سريعاً في حفظ الله آمين .

فلم يجب السلطان على كتابي هذا ولا انتهى الرزاقات عن التمدي فاستخرت الله في حربهم وسقت جيشي الى بلادهم فتجمعوا لقتالي وجرت بيني وبينهم عدة وقائع كان النصر فيها كلها لي وكانت اول الوقائع في ١٤ جمادى الاولى سنة ١٢٩٠ هـ ١٠ يوليو سنة ١٨٧٣ م وآخرها في ٤ رجب من السنة المذكورة ٢٨ اغسطس ١٨٧٣ . وفي الوقعة الاخيرة انهزم الرزاقات شر انهزام وقتل منهم خلق كثير وأصبحت بلاد شكا كلها في يدي .

خير عبد الله التعايشي سنة ١٢٩٠ هـ ١٨٧٣ م : وكانت الرزاقات قد استخدموا فقيهاً من فقهاء التعايشة يقال له عبد الله ود محمد آدم تورشين ليقرأ لهم الأسماء في خلوته لعلها تقبض على سلاحي فلا يطلق ناره في ساحة الحرب وقد تمهدوا له ببقرة من كل مراح فوقع اسيراً في يدي في حلة السروج بين شكا وداره فأمرت بقتله . وكان معي ١٢ علماً من علماء الشرع وقد حلفتهم على القرآن الشريف انهم اذا رأوا في احكامي اعوجاجاً عن الشرع ينبهوني اليه فلما أمرت بقتله اعترضني العلماء وقالوا ان الشرع لا يسمح لك بقتل اسير الحرب فضلاً عن ان السياسة تتكرر عليك قتل رجل يعتقد الناس صلاحه لأنك ان قتلته نفرت القبائل منك وعدوك رجلاً ظالماً خيفاً فامتنعت عن قتله ويا ليتني لم أمتنع لأنه عاش ليكون من أعظم البلايا على السودان (كما سيجيء) .

[والمشهور في نسب عبد الله هذا انه من قبيلة التعايشة من فرع الجباراب من بطن يقال له ابو صرّة وقد دفن جده في جهة هجيليجة من اعمال شكا ولما تولى الخلافة في عهد المهديّة أمر اصحابه بعمل قبة فوق ضريحه وعاد الناس لزيارته كما يستفاد من كتابه الذي أرسله الى محمد شيخ محمد كرقساوي عامل

المهدية في شكا بتاريخ ٦ جمادى الآخرة سنة ١٢٠٤ هـ ٢٨ مارس سنة ١٨٨٧ م وهذا هو بنصه :

« ثم نعرفك الى جوابك المؤرخ في ٦ جمادى الاولى الذاكر فيه انه منذ حضرت بشكا لم يبلغك ان جدنا آدم مدفون بحبة هجيلجة الا عن قريب إذ أعلمك الحبيب عثمان آدم ووصف لك محله وقصدك عمل تابوت فيه وترغب الرد الى آخر ما به وصل وفهم . والحال يا حبيبنا نعلمك ان لا قصد لنا في رفعة الدنيا وشهرتها بل كل قصدنا مصروف الى لزوم الخضوع في هذه الدار وعدم التمييز لننال عظيم الرفعة عند الله ولكن حينئذ انك يا حبيب من الاصحاب الكرام وقد يقظك الله ونور بصيرتك الى فعل هذا الخير فمن باب إعانتك على نيل ثوابه العظيم آذنناك في فعل ما تراه في ذلك الضريح من عمل التابوت عليه ومداومة زيارته انت والاصحاب الذين معك ويكون لك من الثواب في ذلك ما لا يعلم به إلا الله حيث ان هذا الجد مشهور خبره وبركته لدى كل من له به إلمام فبعد عمل التابوت الموافق عليه بمقتضى حسن نيتك وعلو همتك واشهار ضريحه نبه على كافة من معك من الاصحاب وأهالي الجهة بزيارة ضريحه على نية البركة فانه من اهل الفوز عند الله . واعلم ان الجد المذكور اسمه على الكرار لا آدم وهو ود الاب المبرور السيد محمد أبينا فعرف الاصحاب بذلك ليعلموه وليداوموا على زيارة ضريحه فان ذلك من السنة وجزاك الله يا حبيب خيراً في انتباهك لهذا الامر فانه من نعم الله عليك والسلام » [.

قال الزبير : والذي اتصل بي ان اصل جد عبد الله هذا من بلاد الفكري بينوداي وبرنو سار من بلاده طالباً الحجاز وهو لا يملك شيئاً كجميع الحجاج التكارنة فلما وصل بلاد التعايشة تزوج منهم وسكن بينهم فاناسب اليهم . أما ابوه محمد آدم فكان يلقب بتورشين أي تور قبيح لقبح منظره وكان عالماً بالرمق فنال حظوة كبيرة عند التعايشة واشتهر بعلم الغيب والتقوى وكان التعايشة ينفذون بلاد السود جنوبيهم من وقت الى آخر فكان اذا بشرم بالنصر انتصروا واذا حذروهم من الغزو ثم غزوا انكسروا حتى صاروا لا

يفزون غزوة ولا يقدمون على عمل هام إلا بمشورته فجمع بذلك مالا جزيلا وتزوج بأكثر من امرأة من نساء التعايشة فرزق من واحدة ولدا سماه يعقوب وهو اكبر من عبد الله وتزوج بأرملة كان لها ولد يسمى السنوسي فولدت له عبد الله هذا وتزوج بجارية فولدت له ولدا سماه هارون فكان لعبد الله ثلاثة اخوة اشتهروا في تاريخ المهدي وهم : يعقوب اخوه من ابيه والسنوسي اخوه من امه وهارون محمد اخوه من الجارية . ثم لما كبر تورشين قام ابنه عبد الله مقامه في هذه الصناعة فدعاه عرب الرزيقات عند انتشار الحرب بيني وبينهم الى قراءة الاسماء فوقع اسيراً بيدي كما قدمت . وبعد فتح دارفور طلب مني ارضا في قبجة غرب الكلكتة فأعطيته اياها على ان يكف عما كان به من التدجيل فرضي ولكن لم يمض إلا القليل حتى أتاني منه كتاب وأنا في داره يقول فيه « رأيت في الحلم انك المهدي المنتظر وأني احد اتباعك فاخبرني ان كنت مهدي الزمان لأتبعك » فكتبت له في الجواب « استقم كما أمرتك انا لست بالمهدي وانما انا جندي من جنود الله أحارب من طغى وتمرد » . وبقي في قبجة الى ان كانت ثورة السلطان هارون (الآتي ذكرها) وضاق الرزق في بلاد دارفور بسبب الثورة فرحل منها هو وأبوه وتلامذته قاصدين الحجاز وبقوا سائرين الى ان أتوا دار الجمع بكردوفان فنزلوا عند شيخها عساكر ابي كلام في ابي ركة فمات أبوه ودفن هناك وبقي هو في ابي ركة الى ان أشتهر أمر محمد احمد في جزيرة أيا فهاجر اليه وكان من اعز أنصاره . وكان في جملة تلامذة ابيه الذين رافقوه الى ابي ركة فانتصروا معه للمهدي واشتهروا فيها المساعد قيديم الهباني وحامد ود علي واخوه احمد من التعايشة وفضل المولى صابون اخ حمد ابن ابي عنجة (وسأتي ذكرهم جميعا) .

هذا ولما دخلت بلاد الرزيقات فرّ اثنان من مشايخهم وهما الشيخ 'منزل' والشيخ 'عليان' ولجآ الى السلطان ابراهيم في الفاشر فبعثت اليه بكتاب بتاريخ ١٥ رجب سنة ١٢٩٠ هـ سبتمبر سنة ١٨٧٣ م أسأله تسليمها اليّ وهذا نص الكتاب :

من الزبير رحمة الجميعي الى السلطان ابراهيم ابن السلطان حسين وعنه
الامير حسب الله ابن السلطان محمد الفضل .

« اما بعد فقد دخلنا بلاد شكا في يوم الاثنين المبارك الموافق غرة رجب
سنة ١٢٩٠ هـ ٢٥ اوجسطس ١٨٧٣ م للاسباب التي قدمناها لكم في كتاب
سابق ووقعت بيننا وبين عربان الرزيقات معركة شديدة قتلنا فيها أعيانهم
وفرسانهم وكثيراً من أخلاطهم ونحن الآن مقيمون في بلادهم وقد بلغنا ان
الشيخ 'منزل' والشيخ 'عليان' من أكبر طغاة الرزيقات قد التجأ اليكم وها
يحثانكم على حربنا فغاية ما نرجوه ان لا تسمعوا لأقوالها الفاسدة فتقعوا بحرب
الدولة المصرية ذات السطوة الغالبة والمدد الغير المنقطع ولا نقول ذلك على
سبيل التهديد بل هو النصح فنحسه لكم لمنع الفتن بين الدولتين وحقق دماء
المسلمين لا سيما وأنتم تعلمون ما كان بين والدكم السلطان حسين وبين عزيز مصر
الخديوي المعظم من المودة والعاملات التي لا تزال متصلة بينكم وبين خديوي
مصر الحالي لذلك نؤمل منكم الآن ان تأمروا بالتبض على منزل وعليان
وترسلوهما الينا « بالشعبة » والحديد مع الحرس اللازم لنسترد منها ما أخذاه
من حقوق المسلمين بلا تمثيل فيها ولا ظلم بل بما يكون فيه تأديب لها وعبرة
لغيرها . هذا ما رأيناه والرأي مفوض وأدام الله بقاءكم آمين » .

وكان السلطان ابراهيم واجداً عليّ لدخولي بلاد الرزيقات التي هي جزء
من يبلاده فلم يجبني على كتابي بل ارسل الى الشيخ مادبو بن علي وغيره من
مشايخ الرزيقات كتاباً مشحوناً شتماً وسباباً لي ويقول لهم لا تظنوا اني أترك
البلاد لهذا الطاغية الجلالي وها انا أعدد الجيوش للزحف عليه وطرده من البلاد
بالخزي والخسران .

فعند اطلاعي على كتابه هذا أرسلت اليه كتاباً بتاريخ ٢٩ رمضان سنة
١٢٩٠ هـ ١٢ نوفمبر سنة ١٨٧٣ م بهذا المعنى : من الزبير رحمة الجميعي الى
السلطان ابراهيم :

اما بعد فقد كتبت اليكم اولاً وثانياً بشأن الرزيقات فلم أخطأ بحواب منكم بل رأيت كتاباً مختوماً بختكم الى الشيخ مادبو بن علي وغيره من مشايخ الرزيقات تذكرون فيه من ألفاظ الشتم والسباب لي بقولكم اني جلّلي باغٍ وتقولون انكم تجردون الجيوش لطردني من البلاد مع اني سبقت فأخبرتكم بالسبب الذي من اجله دخلت بلاد شكا وقلت اني ما جئت ثائراً ولا باغياً بل جئت لتأديب الرزيقات الذين سعوا في الارض فساداً وخرجوا عن سلطانكم وقد استنجدتكم عليهم فلم تنجدوني وسألتكم تسليم منزل وعليان اللذين هما اصل الفساد فما سلتموها وصمتم على الحرب . وذلك ليس قصدي ولا مرادي فقد قال عليه الصلاة والسلام « الفتنة نائمة لمن الله من أيقظها » . خصوصاً وانه لم يكن بيننا وبينكم ولا كان بين آبائنا وآبائكم حرب ولا عداة ولا أمرتنا دولتنا بحاربتكم . اما وقد اخترتم هذه السبيل فاعلموا يقيناً ان جميع ما يسفك من دماء الطائفتين من المسلمين انما أنتم المسؤولون عنه بين يدي الله يوم القيامة اذ تجتمع الخصوم . وبعد هذا الانذار الجلي فاذا حاربتمونا فاعلموا اننا منصورون عليكم لأننا بجانب الحق والعدل وأنتم بجانب البغي والظلم فضلاً عن اننا ليوث حربية وصلة عباسية وسلالة هاشمية ولنا النصر من رسول الله كما قال عليه الصلاة والسلام « اللهم انصر العباس وأبناءه » . أما ان كنتم تودون خروجنا من بلاد شكا لأنكم تحسبوننا قسماً من بلادكم فاعلموا ان خروجنا بعد الذي صرفناه على احتلالها بوجه شرعي لا يكون بالقوة والحرب وانما يكون بالتراضي والسلم بينكم وبين سمو ولي نعمتنا الخديوي المعظم بأن تضمنوا لنا نفقات الحملة على الرزيقات التي باتت ١٠ آلاف كيس ونيفاً فاذا اتفقتم مع سموه على ذلك وكتب لنا أمراً لرفع يدها من البلاد فنعود الى حيث كنا بجميع جيوشنا امتثالاً لأمره وإلا فلا يخطر ببالكم خروجنا من هذه البلاد وفي هذا كفاية والامر اليكم فانظروا فيما تفعلون أدام الله اجلالكم آمين » .

تعيين الزبير حاكماً على شكا وبحر الغزال سنة ١٢٩٠ هـ ١٨٧٣ م : وفي

أثناء ذلك كتبت الى حكمدار الخرطوم اسماعيل باشا ايوب اعلمه بحالي وانتصاري على الرزيقات وأسأله ان يرسل من يتولى حكومة البلاد التي فتحتها في بحر الغزال ودارفور بالنيابة عن خديوي مصر وقلت في ختام كتابي « فاذا ما وصل الحاكم واستلم البلاد عدت الى تجارتي تاركاً كل ما أنفقت من الاموال في الفتح هدية لحكومة السنية وانتظرت مكافأتها الادبية حسباً تقتضيه عدالتها وكرمها » .

فجاءني الجواب بتاريخ ١ شوال سنة ١٢٩٠ ٢٢٥ نوفمبر سنة ١٨٧٣ م بما مؤداه :

« عرضنا كتابكم على الجناب العالي الخديوي فشكر ولاءكم وامتدح رغبتكم في وضع البلاد التي فتحتوها بين يديه ليولي عليها من يشاء وقد أنعم عليكم بالرتبة الثانية مع لقب بك وولاكم امر البلاد على ان تدفعوا لخزنته جزية سنوية قدرها ١٥٠٠٠ جنيه » . فقبلت الجزية وتوليت امر البلاد رسمياً وشرعت في تنظيمها وعمرانها . لكن السلطان ابراهيم لم يطق الصبر على بقائي في بلاد شكا فأصدر امره الى احمد شطة مقدم الجنوب في داره وسعد النور مقدم الشرق فأخذوا في حشد الجيوش وجمع العدة لاجراحي منها . وكنت اراقب حركات المقدمين وسكنتها وأبلغها اسماعيل باشا ايوب في الخرطوم فيرفعها الى اسماعيل باشا الخديوي في مصر فأقر الخديوي على اغتنام الفرصة التي كانت تترقبها حكومته منذ فتح كردوفان وأرسل اليّ ٢٨٠ من العساكر المنظمة وثلاثة مدافع نجدة وأمر اسماعيل باشا ايوب فجهز جيشاً مؤلفاً من نحو ٣٦٠ مقاتل من الجنود السودانية والمصرية والباشبورق والشايقية والأتراك والمغاربة والمتطوعة واربعة مدافع جبلية وساروخين على ان يزحف بها على دارفور من الشرق . وأنا أزحف عليها من الجنوب وتم الفتح . على ان الفتح كله تمّ عن يدي بعون الله ولم يبقَ لجيش الشرق أقل عمل فيه .

ولما أتمّ احمد شطة وسعد النور استعداداتهما زحفاً بجيش ينيف على ٣٠ الف مقاتل قاصدين شكا فجرت بيني وبينها واتمتان كانت العاقبة لي في كليهما

وفي الثانية قتلت احد شطة وسعد النور وهزمت جيوشها ثم تقدمت الى داره فاحتلتها وبنت فيها استحكاماً منيعاً وبعثت الى السلطان ابراهيم بكتاب بتاريخ غرة محرم سنة ١٢٩١ هـ ١٨ فبراير ١٨٧٤ م هذا نصه :

« اما بعد فقد حررتنا لكم من قبل مرتين بشأن الرزيقات فما أجبتونا ثم لما علمنا من جوابكم للشيخ مادبو وغيره من مشايخ الرزيقات انكم تجهزون الجيوش لقتالنا حذرناكم من ذلك وأبنا ان ليس لكم فيه وجه شرعي ولا سياسي فما همكم تحذيرنا وتقدم وزيركم احد شطة ومقدمكم سعد النور بمن معها من الملوك والشرافي والجيوش الكثيرة المجندة فهاجنا دفعتين ففي الدفعة الاولى هاجنا قسماً من عساكرنا الذين انفردوا منا لغزوة على بعض العربان المصاة وذلك في ٢٥ القعدة سنة ١٢٩٠ هـ ١٤ يناير سنة ١٨٧٤ م ثم هاجنا في مراكرنا فلم تضر ساعة واحدة حتى انهزما أمامنا شرراً انهزام . اما المقدم سعد النور جزاء الله كل خير فانه قاتل قتال الابطال ومات بين كرات المدافع والفضل ما شهدت به الأعداء . . واما وزيركم احد شطة امير الجيش فقد فرّ على قدميه حافياً يطلب النجاة حتى قتل مطروداً بمن معه من أخلاط الناس بعيداً عن محل الواقعة ولا بد ان الخوذة التي كان يلبسها على رأسه وصلتكم فأكدت لكم خبر موته . وبعد الواقعة أمرنا بجمع جثث الوزراء والمقدم ومن قتل معها من اولاد السلاطين والملوك والشرافي فكفناهم بأفخر الأنسجة وصلينا عليهم ودفناهم بتمام الاكرام ودخلنا داره في ٢٣ الحجة سنة ١٢٩٠ هـ ٤ فبراير ١٨٧٤ م . وأما الرجال الذين قتلوا فأنتم المسؤولون عن دماهم بين يدي الله تعالى يوم القيامة لأننا أئذناكم مقدماً بالكتاب والسنة واذا راجعتم كتبنا السابقة علمتم اننا لم نترك وجهاً للنصيحة الا عرضناه عليكم وأئذناكم به فأعرضتم عن الانذار وخالفتم الشرائط الاسلامية واتبعتم هوى النفس الفضيضة وتفرير العربان المفسدين في الارض . وحيث ان الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فقد فوّضت أمري الى الله تعالى وكفى به شهيداً بيننا والله المستعان . »

وفي هذا التاريخ كتبت أيضاً الى أجل علماء دارفور وهم الفقيه سلامه ابن الفقيه مالك شيخ الموطأ والفقيه فخر الدين ابن الفقيه محمد سالم شيخ الشفا والبغاري والفقيه سالم شيخ العزيمة والامام الضو ابن الامام المصري امام السلطان (عم الشيخ الطيب المار ذكره) فبينت لهم السبب الذي جاء بي الى بلاد الرزيقات وأعدت لهم ما كتبت الى السلطان حياً برفع الحرب وحقق دماء المسلمين ثم ختمته بقولي : « فالأمل من حضراتكم يا علماء الاسلام ان تفيدونا عما دعا سلطانكم الى محاربتنا وهلاك عساكر المسلمين منا ومنه فإن كان له وجه شرعي في ذلك ونحن المخالفون للشريعة فنحن نشكره على ما أجراه ونطلب المغفرة منه وإن كان هو المخالف فكفى بالله شهيداً بيننا وبينه ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اه » . فلام أجابوا كتابي هذا ولا السلطان ولكنهم أخذوا في حشد جيش جديد لأخذ الثار .

واقعة الشرتاي احمد نمر : ثم ان الشرتاي احمد نمر كبير البرقد جمع شتات جيش المقدوم احمد شطة وحصرنا في الاستحكام وأخذ يشاغلنا حتى تصل الجيوش التي يعدّها السلطان ابراهيم فصبرت عليه حتى علمت ان الجيوش آتية نجدة له فأمرت احد قوادي راجحاً فخرج اليه بفرقة من الجيش فقتله هو ومن معه. وغنم ما عنده من خيول ودروع وخوذ ومواش .

وفي ٣ رجب سنة ١٢٩١ هـ ١٦ اغسطس ١٨٧٤ م بعثت بكتاب الى السلطان ابراهيم أدعوه للتسليم هذا مؤداه : « اني سألتكم في بادئ الرأي ان تساعدوني على الرزيقات الذين سعا في الارض فساداً ثم سألتكم مراراً تسليم منزل وعلبان اللذين التجأ اليكم فراراً من وجه العدل فما أجبتهم بل أرسلتم الجيوش لمحاربتني فأوجب الله تعالى علينا محاربتكم حتى تستقيموا انتم ومن معكم من المفسدين في الارض وقد تلقينا جيوشكم ونصرنا الله عليهم ودخلنا مدينة داره وصار القصد الآن إدخالكم اتم وبلادكم تحت طاعة الحكومة الخديوية . فيا حضرة الامير ان كنت تحسب نفسك عبداً لله وموقناً ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده فبادر اخلع الملك عن نفسك

بالتسليم الى ولي نعمتنا الخديوي المعظم حباً بالسلام وحجباً لدماء المسلمين واذا سلمت تسلم وتترك لك خزانك وأموالك وتبقى مكرماً مبعجلاً عند الجميع وإلا فانت لا بد ان تنال ما نروم بالرغم عنك وأنت المسؤول بين يدي الله عن دماء المسلمين والسلام .

واقعة الامير حسب الله : فلما وصله هذا الكتاب طار صوابه وجزر جيشاً عرمرماً ينيف على المئة الف مقاتل بينهم عدد كبير من الفرسان المدرعين والمشاة المسلحين بالبنادق وعقد لواءه لعمه الامير حسب الله ومعه من الرؤساء علي التاماري رئيس دادات السلطان والمقدم احمد قومو مقدم الصيد خلف الوزير احمد شطة والمقدم حسن ود أبلي مقدم الغرب وابن ابراهيم ود ذير (المسار ذكره في فتح كردوفان) فوصلوا داره في ١٢ رجب سنة ١٢٩١ هـ ٢٥ اوجسطس سنة ١٨٧٤ م وحصرونا في الاستحكام من الجهات الأربع وكتبوا الي كتاباً يقولون فيه : « لقد دخلت بلادنا وقتلت وزيرنا احمد شطة ثم الشرطي احمد نمر فاخرج الآن من بلادنا للشيعك بالسلامة والأمان » وأرسلوا الكتاب مع ثلاثة رسل وفي جلتهم محمد خالد زقل الدنقلوي (الآتي ذكره بعد) فكثبت اليهم في الجواب : « اني دخلت بلادكم عنوة ولننصت إلي في الخروج منها الا بقدر من الله فإن كنتم قد جئتم لحرب فتقدموا لها وإلا فامودوا من حيث أتيتم » . ورأى الرسل بعض عساكر النائم الذين في جيشي قبيد اجتمعوا على جثة آدمي يقتسمونها فيما بينهم فأخذ بعضهم الرأس والكرع وبعضهم الفخذين وبعضهم الصدر وشرعوا يشوونها على النار ويأكلونها فاقبضت أبدانهم من هذا المشهد فعادوا وأخبروا بما كان من عسكري ومن جواني فاعتمدوا على الحرب ونزلوا ضمن دائرة مرمى الرصاص وصاروا ينساقوننا القتال كل يوم من قبل طلوع الشمس الى ما بعد نصف الليل وكان مغني زهاه ١٢ الف مقاتل مسلحين بالبنادق فصليتهم فأرا حامية صبروا عليها منبئة أيام فأهلك منهم خلقاً كثيراً وفي اليوم الثامن نقضوا خيامهم ونزلوا بعيداً عن مرمى الرصاص . ولكنهم لم يزالوا على حصرتنا ومناوشتنا القتال الليل والنهار

حتى كاد الزاد يفرغ منا وإذا دخل علينا الملك احمد من معسكرهم طالباً ابنته التي أسرتها في واقعة احدى شطىة وقدّم لنا عشر أواق ذهب فدية لها فأخذت أسأله عن قوة جيش الفور وحركاته فإذا بالحرس الذين وضعتهم في مأذنة جامع داره لمراقبة حركات العدو يشيرون اليّ ان أصدد اليهم فرأيت الفور في حركة وجلية فنزلت الى الملك وقلت له: إن كنت تذهب وتأتي بالخبير فاني أسلك ابنتك بلا مقابل فحلطني الكتاب على ذلك وحلف لي انه يعود بالخبير اليقين ورجع الى قومه وقال لهم ان الزبير طلب ٢٠ اوقية ذهب فداء ابنتي ولم يكن معي سوى ١٠ أواق فقالوا خذ هذه عشر اخرى وبادر احضر ابنتك لأن الجيش يستعد للهجوم على السور غداً من كل الجهات فأخذ عشر أواق الذهب وأتى بالخبير ليلة الخميس الموافق ١٨ رجب سنة ١٢٩١ هـ ٣١ اوجسطس سنة ١٨٧٤ م . وكان الفور في تلك الليلة قد شربوا الخمر وأكلوا لحم الضأن والابل وناموا نوم الراحة فانتهزت هذه الفرصة الثمينة وخرجت اليهم بمائة آلاف رجل بيئة مربع وسرت في جنح الليل حتى صرت على قيد ١٠٠ متر منهم فأمرت عساكري فصبوا عليهم الرصاص كالطرر الوابل فقاموا مذعورين الى سلاحهم وصوبوا علينا نيرانهم فأصابني رصاصة طائشة في يدي اليمنى وجرحتني جرحاً بليناً ولكفي لم أعبأ بها بل بقيت أشدد قومي وأصب عليهم الرصاص فولتوا الأدبار منهزمين وقد امتلأت الارض من قتلام وفيهم ٤٠ رجلاً من اولاد السلاطين فجمعت الفنائم فكان فيها نحر ألفي درع و ٢٧٠٠ خيمة و ٨ مدافع قديمة مكتوب على بعضها اسم سعيد باشا وشيء كثير من الاسلحة والذخائر الحربية ومن الحبوب والزاد ما كفى الجيش أربعة اشهر وعدت الى السور . وعاد الامير حسب الله فجمع شتات جيشه وهاجني في السور في ٢٧ رجب سنة ١٢٩١ هـ ٨ سبتمبر سنة ١٨٧٤ م فدام القتال بيني وبينه ٤ ساعات متوالية حتى كثرت القتل في جيشه فانهمز شر هزيمة .

غزوة السلطان ابراهيم الى دارة : فلما بلغ السلطان ابراهيم خبر انكسار عمه الامير حسب الله استعظم الأمر جداً واستكبره وصاح بقومه صيحة عامة

فجرد منهم جيشاً كبيراً بلغ عدده نحو ١٥٠ ألفاً بيد ٣٠ ألف فارس وعدة رجال مسلحين بالبنادق و ٨ مدافع وعزم على الخروج الى الحرب فختلف على الفاشر ابنه الاكبر محمد الفضل وطلب من رجال دولته ان يحمل كلا منهم ابنه الاكبر خليفة عنه مع ابنه محمد الفضل ففعلوا (وكان في جلته الشين الطيب المتقدم الذكر اماماً لجامع الفاشر خليفة لعمه الشيخ احمد الضو) وزحف يبيشه على دارة فوصلها في ضحى ٥ رمضان سنة ١٢٩١ هـ ١٦ اكتوبر سنة ١٨٧٤ م واحتاط السور من الجهات الاربع وهاجني بجميع جيوشه هجمة واحدة فأمطرت عليهم ناراً حامية فثبتوا عليها حتى الساعة واحدة بعد الغروب وفي اليوم التالي أعادوا الكرة على السور من قبل طلوع الشمس فما كانت الساعة الرابعة من النهار حتى رددتهم على أعقابهم فاستراحوا الى ما بعد الظهر ثم عادوا الى الهجوم بعزم صادق مستغلين وثبتوا والرصاص يحصدهم حصد الزرع الى ان فصل بيننا الليل فرجعوا وقد قتل منهم في ذلك اليوم خلق كثير وفيهم البعض من اولاد السلطان ابراهيم واولاد اخيه وأعمامه وعماته . وفي الليل أتاني كتاب من السلطان عمه شتماً وسباباً وتهديداً وقد أقسم بالله العظيم انه لا بد من اعادة الكرة عليّ في الصباح ودخوله الاستحكام عنوة وتأدية صلاة الجمعة في مسجد دارة. وفي الساعة الخامسة من الليل أطلق على السور خمسة واربعين مدفعاً فلم أجبه بل شرعت في الاستعداد للفد . فلما أصبح الصباح وانكشف لي معسكرهم رأيته خالياً من الجيوش فخرجت بنفر من رجالي لاستطلع خبرهم فوجدتهم قد هربوا بالفعل ولم يكن هناك خدعة لأن رجال السلطان لم يعودوا يطبقون مهاجمة السرر فهجروا السلطان فقبهم ليجمع شتاتهم ويسير بهم الى جبل مرة فيمتنع فيه . فجمعت ما خلفه في معسكره وشرعت في الاستعداد للحقوق به :

واقعة منواشي الاحد في ١٤ رمضان سنة ١٢٩١ هـ ٢٥ اكتوبر ١٨٧٤ م ،
وفي ١٢ رمضان سنة ١٢٩١ هـ خرجت بالجيوش مقتفياً أثره حتى أدركته في بلدة منواشي الواقعة على يمين الى الجنوب الشرقي من الفاشر وذلك في الساعة

التاسعة من نهار السبت الواقع في ١٣ رمضان ومعه من العساكر نحو ٣٠ ألفاً وثمانية مدافع فرتب عساكره ميمنة وميسرة وقلباً وكان هو ومن معه من الابطال المعدودين من أقاربه وغيرهم مع المدافع في القلب . وما طلعت شمس الاحد الواقع في ١٤ رمضان سنة ١٢٩١ هـ ٢٥ اكتوبر سنة ١٨٧٤ م حتى انتشبت الحرب فأطلقوا علينا احد عشر مدفعاً فما أجبنهم بل سرنا سيراً حربياً منظماً قاصدين القلب فهجمت علينا عساكر الميمنة والميسرة واشتد القتال فما مضى إلا خمس دقائق حتى انكشفوا عنا وتقهقروا الى الوراء وعند ذلك هاجم السلطان ومن معه في القلب فهزموا مقدمة جيوشنا ودخلوا القلعة واشتبك القتال بالسيوف والحراب وكنت ترى السلطان يحول في وسط المعركة ويقاقل كأنه الأسد ولكن لم يكن إلا القليل حتى خرّ قتيلاً هو ومن معه من الفرسان والشجعان وفيهم الكثير من اولاده وأكابر دولته وانكشفت الحرب عن النصر المبين لنا فأخذت جثة السلطان فكفنتها بالانسجة الفاخرة ودفنتها في جامع منواشي باحتفال عظيم اجلالاً لمقامه واقرباً ببسالته ثم دفنت القتلى من اولاده وأكابر دولته وعفوت عن جميع الاسرى وسمحت لهم بالذهاب الى حيث شاؤوا وقد اغتنمت في هذه الواقعة ثمانية مدافع وسبعة وعشرين حمل جل جبينه ما عدا الاسلحة النارية وغيرها .

دخوله الفاشر : وبعد ان استرحت ايام في بندر منواشي سرت بالعساكر الى الفاشر فدخلتها في ٢٣ رمضان سنة ١٢٩١ هـ ٣ نوفمبر سنة ١٨٧٤ م قبل طلوع الشمس فوجدت عائلة السلطان وأهله الذين تركهم بالفاشر قد فروا منها فلم يبقَ فيها سوى التجار وبعض العلماء فامتنتهم على أموالهم ودمائهم وأحسنت معاملتهم فلما بلغ الاهالي ما عاملنا به التجار وانتشر خبر عدلنا ووفائنا بالعهود أخذوا يقدون الينا ليلاً ونهاراً مقدمين الطاعة والامثال ولم يكن إلا ايام قليلة حتى دانت لنا جميع اهالي السلطنة من أعاجم وعربان حضر وبادية .

دخول اسماعيل باشا ايوب الفاشر : اما اسماعيل باشا ايوب المهاجم لدارفور

من الشرق فانه أبطأ في سيره جداً وعند وصوله الى فوجه كتب الي " وانا اذ ذاك في داره يقول : « اني جئتكم بنجدة فتشدد » فبعثت أقول له : « إذ كنت قد جئتني بنجدة فلماذا هذا الابطاء في السير والعدو محدد بنا يجيوش لاعداد لها ؟ » فأجاب : « ما أنا أمرتك بالتقدم الى داره ولا افندينا فان استطعت ان ترفع الحصار وتتجو يحيشك الى هنا فافعل وإلا فهدر أمرك بما تراه صواباً » .

وبقي في فوجه حتى انقضت الحرب ولم يعد لي به حاجة . وبعد دخولي الفاشر بعثت اليه بالخبر فلقية الرسول في طريقه الى داره فانشى اذ ذاك عنها ووجه الجيش الى الفاشر فدخلها في ١ شوال سنة ١٢٩١ هـ ١١ نوفمبر سنة ١٨٧٤م فأكرمت لقياء وأطلقت له مئة مدفع ترحيباً به فهأنى بالنصر وشكر لي ولأبي وحسن خدمتي .

ضبط الامير حسب الله : هذا وكان المتخلفون من جيش الفور لما تحققوا موت السلطان ابراهيم في منواشي ولتوا عمه حسب الله سلطاناً عليهم وذهبوا الى جبل مرة فتحصنوا فيه . فلما حضر اسماعيل باشا ايوب الى الفاشر سلمته ادارة البلاد وجهزت جيشاً مؤلفاً من ١٢ الف مقاتل فيهم ٤٠٠ من العساكر المنظمة و ٢٠٠ فارس من عساكر الحكومة وزحفت على جبل مرة فلما رأى الامير حسب الله قوتي سلم بلا قتال وكان معه بعض اولاد السلطان ابراهيم وعمتهم الميرم عرقه وغيرهم من اولاد السلاطين ونحو ١٢٠٠ رجل من أعيان البلاد وكبرائها فجئت بهم جميعاً الى الفاشر. وقد غبت في هذه المهمة ٩٦ يوماً.

إرسال الامير حسب الله ومائت اولاد السلاطين الأسرى الى مصر والزفير الى داره : وكان الامير حسب الله قد سألني بعد التسليم إلي في جبل مرة ان أساعده على توليه البلاد ليحكمها تحت طاعة الحكومة الخديوية فيدفع لها مئة الف جنيه جزية سنوية فأعجبني هذا الرأي ورأيت الرأي الصواب الذي فيه راحة البلاد والحكومة معاً فعرضته على الحكمدار وأسندته بكل قوتي فرفضه

الحكماء بتاتا ووقع بيني وبينه جدال طويل أفضى إلى النزاع . وأرسل الأمير حسب الله والأمير محمد الفضل خليفة السلطان ابراهيم وكثيرين غيرهما من اولاد السلاطين الى مصر القاهرة حيث لا يزال أكثرهم أحياء الى اليوم (كما مر) . وأمرني بالذهاب الى داره والاقامة فيها بمساكري الى ان يصدر اليّ أمراً آخر بالرجوع الى بحر الغزال .

ثورة الأمير هوش وقتله : ولكن لم يمض شهر حتى ورد عليّ كتاب منه يقول ان يوشاً أخا الأمير حسب الله شقّ العصا فجمع بقية اولاد السلاطين في جبل مرة وملأ البلاد عيناً وافساداً وأمرني بالخروج عليه وإخماد ثورته فصعدت بالامر وجئت جبل مرة في غرة رجب سنة ١٢٩٢ هـ ٣ اوجسطس سنة ١٨٧٥ م وشهرت عليه حرباً عواناً مدة ١٥ يوماً فترك الجبل واعتصم بالفرار فتركت ابني سليمان مع ١٢٠٠ جندي في الجبل وتبعته حتى أدركته في صرف الجداد قرب كبكية فأوقعت به واقعة شديدة انتهت بقتله وقتل أخيه سيف الدين و ٢٧ رجلاً من كبراء جيشه .

دخوله دار وداي ورجوعه عنها : ثم توغلت بالجيش في بلاد الغرب فدانت لي ديار تامه والمساليق وقمر وسلا حتى جئت الى التربة الفاصلة بين دارفور وروداي فأقمت فيها اياماً للراحة بعزم الدخول في دار وداي واخضاعها للحكومة الخديوية وكان عليها اذ ذاك السلطان علي ابن السلطان محمد شريف فبعثت اليه بكتاب أدعوه الى الطاعة ثم دخلت بلاده وتوغلت فيها حتى صرت على مسيرة يومين من عاصمته فورد عليّ كتاب منه يدل على قبوله الدخول في طاعة الحكومة الخديوية وقد تعهد بدفع مبلغ معلوم جزية سنوية على ان يبقى السلطان على بلاده ووجهه اليّ احد وزرائه بهدايا كثيرة للمفاوضة معي في هذا الشأن ولكن قبل وصول الوزير ورد عليّ كتاب من اسماعيل باشا ايوب بناء على ارادة سنية ملحاً عليّ بالرجوع الى دار وداي في الحال فرجعت الى الفاشر متأسفاً على ما فات من فتح وداي فأخبرني الحكماء ان سلطان وداي أرسل

وزيره احمد تنقه الى مصر عن طريق سيوه فتشكى للجناب الخديوي فامر جنابه العالي برجوعي ولكنه أنعم علي برتبة اللواء الرفيعة مع لقب باشا . هذا وكانت غزوة ودائي آخر غزواتي التي زاد عددها على المئة والعشرين وقد نصرني الله فيها كلها فلم أفشل إلا في ثلاث منها .

تحصين الفاشر : كان اسماعيل باشا ايوب بعد دخوله الفاشر شرع في بناء « استحكام » (حصن) منيع للمساكر على التلة الغربية من الفاشر فبنى سوراً مربعاً متيناً من الطوب سمكه ٣ أقدام وطول الضلع الواحدة منه ٢٠٠ قدم وأقام في أركانه الاربعة أبراجاً على كل ركن برجاً جعل فيها المدافع وحفر من وراء السور خندقاً بلغ عمقه ١٥ قدماً وأحاط الخندق بزرابية من شوك وبني من داخل السور ديواناً للحكومة ومنزلاً للحاكم وقشلاقاً (ثكنة) للمساكر المنظمة وأما المساكر الغير المنظمة فقد أقرها خارج السور وهدم المنازل التي الى جوار السور فجعل الأرض التي حوله في غاية الانكشاف الى مسافة بعيدة فجاء حصناً منيعاً جداً . ثم وزع منشوراً في كل البلاد ودعا الناس الى الفاشر لأخذ الامان فصارت الوفود تأتيه من الجهات الاربع فيؤمنهم ويرجعهم الى بلادهم . ثم أمر فعمرت سوق كبيرة في الفاشر وعاد الناس الى معاطاة أشغالهم كالعادة .

وبعد ان تمهدت البلاد جعلها اربعة أقسام كما كانت قبل الفتح وهي مديريات الفاشر وداره وكلكل (او كبكيية) وادارة أم شنقة وأقسام في كل من مركزي دارة وكلكل حصناً كالذي أقامه في الفاشر وجعل مرتب كل مديرية اورطتين من المساكر المنظمة وستة سناجق من الباشبوزق والشايقية والاراك والمغاربة وبطارية بستة مدافع وأما ادارة أم شنقة فقد جعل مرتبها بلوكين من المساكر المنظمة وسنجاقاً واحداً من الباشبوزق لقرها من الابيض .

وضع ضرائب على الأهليين : ثم لما دخلت سنة ١٢٩٢ هـ ١٨٧٥ م شرع في وضع الضرائب على الاهلين فجعل على كل نفر خسين غرشاً في السنة ما عدا

اهل اليسار فانه جعل عليهم ضرائب أعظم على نسبة يسارهم .. ولما كنت على يقين ان هذه الضرائب تثقل على الاهلين فلا يطيقونها نصحت للحكمدار ان يجعلها من غرشين الى عشرة غروش وقلت اني اخاف اذا ثقلنا الضرائب على الاهلين وهم غير مشعورين عليها نفروا منا ونزعوا الى الثورة وكان كما قلت فانهم لم يلبثوا ان ولّوا الامير هارون حفيد السلطان محمد الفضل سلطاناً عليهم وثاروا معه على الحكومة فأتعبوها مدة طويلة (كما سيجيء) ولكن الحكمدار تكدر من نصحي له وكلفني بمجدة زائدة وقال انه أدرى بما يجب فعله . فكتبت اليه اذ ذاك كتاباً رسمياً ثبت فيه رأيي ورفعت المسؤولية عني وألقيتها عليه فزاده هذا الكتاب غيظاً وخدة . وأصدر أمره اليّ بالرجوع الى بحر الغزال في الحال فصدعت بالأمر وخرجت بمساكري قاصداً دارة قما وصلت اليها حتى ورد عليّ تلغراف من سمو الخديوي اسماعيل باشا من مصر يأمرني بعدم التعرض للحكمدار في ادارة البلاد فعلت من ذلك ان الحكمدار شكاني الى سموه وطمئن في صداقتي واخلاصي له وقيل انه اتهمني بارادة الاستقلال في البلاد .

مجيء الزبير الى مصر ومسيرته فيها فعزمت على المجيء الى مصر للتشرف بمقابلة الجناب العالي وعرض حقيقة الحال على سموه والنظر معه ومع رجال حكومته في تنظيم البلاد التي تم فتحها عن يدي والبلاد التي يمكن إلحاقها بحكومته في المستقبل فعرضت له ذلك لتلغرافياً فلم يكن إلا يسيراً حتى أجابني تلغرافياً بما نصه :

« سعادتو زبير باشا : لقد كانت أفكارى متعلقة بك لكن بالنظر لما بيني وبينك من بعد المسافة ولما هو بالغ مسامحي عما أنت فيه من المشغوليات الجسيمة ظننت انه لا يتيسر حضورك فلما ورد تلغرافك بطلب مقابلي بمصر صرت بمنونا فبادر احضر الى مصر لأجل المداولة معك في تشكيل حكمدارية تكون مفوضة بك وتحت ارادتك وها قد تنبه على جميع طلباتك بنائة الاعزاز والاكرام . فلما تلوت التلغراف شعرت في نفسي بأني ان ذهبت الى مصر

فلا أعود الى السودان وبذلك شعر رجالي ايضاً وأرادوا منمي عن الذهاب ولكن اخلاصي لحكومي وشرف نفسي قضيا عليّ بالمحافظة على قولي فجئت الى مصر عن طريق الابيض والخرطوم وبربر وأبي حسد وكورسكو في ٦ جمادى الاولى سنة ١٢٩٢ هـ ١٠ يونيو ١٨٧٥ م وتشرفت بمقابلة الجناب الخديوي سراي الجيزة فرحّب بي وهنّأني بالسلامة وأتّزلي في احدى سرايات العباسية مع عائلتي وأتباعي ورتّب لي كل ما أحتاج اليه من أكسية ومؤونة .

وكان في جملة ما أحضرته من السودان ١٠٠٠ عسكري سوداني بالسلاح الكامل و ١٠٠ حصان من جيباد خيل العرب و ١٦٥ قنطار سن فيل من الاسنان المتناهية في الكبر والجودة و ٤ اسود و ٤ غمورة و ١٦ ببناء قدمتها لاسماعيل باشا عن يد مهرداره خيرى باشا بكتاب خاص فأجابني المهردار بكتاب رقيق العبارة يقول فيه : « ان أفندينا ممنون جداً من هديتكم » . وبقيت في السراي التي أعدت لي الى غرة رجب سنة ١٢٩٢ هـ ٣ اوجسطس سنة ١٨٧٥ م اذ دعاني سمو الخديوي الى سراي الجيزة وأصدر لي أمره بالاستعداد للسفر قريباً الى السودان وكان ذلك في حضور مهرداره خيرى باشا فشكرت سموه وشرعت في الاستعداد للسفر فاشتريت ذهبيتين بألف وسبعمائة جنيه وشحنتها من البضائع والتحف المصرية ما بلغت قيمته ٤٠ ألف جنيه .

ومكثت أنتظر صدور الأمر بالسفر حتى كانت غاية رمضان سنة ١٢٩٣ هـ ١٩ اكتوبر ١٨٧٦ م فدعاني سمو الخديوي الى مقابله وقال لي : « يا زبير باشا قد استصوبت بقاءك في القاهرة في ظل ساحتي حتى أنظر في أمرك » فأدركت اذ ذاك الفرض الذي دعيت لأجمله وتمّ ما توقعت حدوثه ولكن لم يكن لي سوى الطاعة فقلت : « أمرك يا مولائي » وانصرفت والاسف ملء فؤادي على هذا المصير .

ولما كانت الحرب بين الروس والدولة العلية سنة ١٢٩٤ هـ ١٨٧٧ م ندبت الى مرافقة التجارة المصرية فذهبت معها وعدت بعد انتهاء الحرب . هذا وكنت عند قيامي من دارة تركت جيشي بقيادة ابني سليمان فأسلمت

الحكومة السودانية اليه فاضطر الى الخروج عن طاعتها فوشى به بعض المنافقين بقولهم اني قبل قيامي من دارة أوصيت ابني سليمان بالثورة اذا حجزت الحكومة عليّ في مصر بل قالوا اني كتبت اليه من مصر أحرصه على الثورة وكان على السودان اذ ذاك غوردون باشا فصدق الوشاية وأمر بتصدير أمواله في السودان وأرسل « جسي » في طلب ابني سليمان فحاربه في عدة وقائع . فكتبت الى سليمان بالتسليم الى الحكومة وترك الحرب فسلم الى جسي فقتله غدراً .

فلما حضر غوردون الى مصر سنة ١٨٨٤ م اجتمعت به في بيت « السر افلن بارنج » (اللورد كرومر) بحضور السر افلن وود سردار الجيش المصري ولوبار باشا رئيس مجلس النظار فسألته عن سبب تصدير أمواله وقتل ابني سليمان فوجدته مقتنعاً بأنني كتبت الى ابني كتاباً أحرصه فيه على الثورة فقلت له اذا ظهر هذا الكتاب وبأن انه مني فاني أقدم نفسي للقتل . وإلا فاني أطالب بدم ابني ورد أمواله اليّ . وبالطبع لم يظهر الكتاب لأنه لم يوجد إلا في غيلة المفسدين اهل البغي ففرض المجلس ولم يكن شيء .

هذا وكانت الحكومة المصرية قد انتدبتني سنة ١٨٨٣ م لحشد آلاي من السود في مصر والذهاب الى سواكن لقمع عثمان دقنة فحشدت الآلاي وقتت به فعلاً الى السويس وبعثت بالرسول الى عثمان دقنة ثم علمت هناك اني سأكون تحت أوامر باكر باشا فقلت اما ان أذهب وحدي لقضاء هذه المهمة او لا أذهب فلم ترض الحكومة بالاول فعدت الى مصر .

وعند ذهاب غوردون الى السودان قصد اخلائه سنة ١٨٨٤ م لم يلبث أن بعث الى الحكومة يستدعيني اليه لأساعده على اخلاء البلاد واستلامها بعد ذهابه منها ولكن قيل لي ان جمعية أبطال الرقيق في لندن عارضت في ذلك . وفي سنة ١٨٨٥ م عاد المفسدون فوشوا بي بقولهم ان بيني وبين متهمدي السودان مفاوضات سرية فهجم رجال البوليس على بيتي ليلاً وقتلوه لعلمهم يعمثوا فيه على ما يؤيد تلك الوشاية فلم يجدوا شيئاً يلقي أقل تهمة عليّ ومع

ذلك فقد قبضوا عليّ وأخذوني الى جبل طارق فحبسوني ٣٠ شهراً ثم لما
تأكدوا براءتي أطلقوا سراحي وأرجعوني الى القاهرة في سبتمبر سنة ١٨٨٧ م.
ولما كنت في جبل طارق تذكرت عزّي في السودان وقابلته بذل الحبس
فقلت: ملشداً :

وبعد الأهل والونسه وبعد المز والحرسه
بعد انتظام المساكر المؤسه وبعد فرسان تفشّ المغصه
انقلب الدهر وانعكسا بحبس الزبير في الاندلسه
يارب ياخالق الكون يا مؤسه عجل بالفرج قبل القسا
نرجع ونشوف عزاً مؤسا من فضلك يا كريم لا ينقصاه
وقلت: يا ليل ماني هيتن ولا ني هوين في الكفر والاسلامي اسمي بيتن
وفي قومي هناك بيتي بيتن للسافر والمقيم قدحي ليتن
وللجار والعشير جانبي ليتن للاقارب والارحام يعطي بيتن
توفيقاً من المولى الكريم المهيمن وكل شيء منه والامر بيتن هـ

هذه هي سيرة الزبير باشا كما تلقيتها عنه سنة ١٩٠٠ م . وقد سمح له
السردار الحالي بالرجوع الى بلاده وأعاد اليه أملاكه وأكرمه فبقي في الخرطوم
سنتين شاهد فيها أهله ودبر أملاكه ثم عاد الى حلوان حيث ابنتى لنفسه منزلاً
فخيماً للسكنى فيه وله الآن اربع نساء شرعيات وعدة اولاد بينهم ولد في
سن الشباب يسمى ميسره متأسلاً أباه في خلقه وأخلاقه .

والزبير طويل القامة قوي البنية اسمر اللون عربي الملامح حسن الطلعة
خفيف الشاربين واللحية حديد الصوت فصيح اللهجة ذكي الفؤاد عالي الهمة
أبي النفس كريم الطبع سهل الحجاب قوي الارادة قريب الى الخير بعيد عن
الشر محب للعلم وأهل العلم والتقوى غيور على الاسلام والمسلمين مع مسائلة الذين
على غير دينه وهو لم يزل في معيشته البيتية من المأكل والمشرب والممس على
نحو ما كان عليه في السودان لكنه اذا خرج لبس الطريوش ولباس الافرنج .

وقد وصفه بعض كتاب الافرنج بأنه رجل « تجاري سياسي حربي » وقال بعضهم : « انه خلُق ليحكم الناس » .

وأظهر صفاته الكرم والنجدة وحب الفخر والسلطة . وقد اشتهر كرمه منذ كان ملكاً في بحر الغزال فقصدته الكثيرون من اهل البيوتات في السودان الذين أخنى عليهم الدهر فأزال كربتهم وفزج ضيقهم . وقد ذكر في بعض مجالس المبالغ الكبيرة التي أنجد بها قومه وهو في بحر الغزال فبلغ مجموعها نحو ٢٠ ألف جنيه ولم تزل داره الى الآن مقصداً لمن خافه الدهر من اهل السودان المصري والغربي .

والزبير يطالب الحكومة الآن بمبلغ ينيف على المليون جنيه تعويضاً عما أنفق في السودان ومصر في خدمة الحكومة المصرية وعمّا فقده هو وابنه سليمان من العساكر والأمتعة والاموال بسببها . وقد رافع عنه السرماريوت لدى حكومة انكلترا قصد تحصيل هذا المبلغ فلم يفلح ولكن الحكومة المصرية ربطت له في ميزانيتها مباحاً قدره ٢٨٩ جنيه في الشهر لكنه غير راض به وهو لم يزل يطالب الحكومة بالتعويض المتقدم ذكره . وقد طالما سمعته قبل العودة الى السودان يكرر هذين البيتين :

سلاوا أم عمرو كيف بات أسيرها تفك الأسارى دونه وهو موثق
فما هو مقتول ففي القتل راحة ولا هو ممنون عليه فيطلق

وما حضرت له مجلساً إلا قص "علي" شيئاً عن غزواته في بحر الغزال ودارفور وشكا من ثلاثة امور : ١ - عدم اعطاء الحكومة التعويض الذي يطلبه منها ٢ - قتل ابنه سليمان غدرأ بعد التسليم . ٣ - هجوم البوليس على منزله وحبسه في جبل طارق . ولكنه يثني أطيب الثناء على الانكليز الذين ولوا أمر حراسته هناك وقد قال لي مرة : « ان الاكرام الذي لقيته من الانكليز مدة أسري في جبل طارق أنساني حبسهم لي بلا حق بل حثاني منة لا أنساها أبد الدهر ولأجلها اذا لقيت انكليزياً في أقصى الارض وقد وقع في ضيق او خطر قديته بنفسه » .

تاريخ السودان

وقد تغنى شعراء السودان في مدحه فمدحوه بالكرم والفروسية وعلو المقام من ذلك قصيدة الحاجة بنت ميسم الشاعرة المشهورة التي نظمتها له بعد نزوله الى مصر ومنها :

في الخرطوم نزل أدنى بالباور وفي بربر رسا بالقهوة غفّره يدور
جاؤوا له الجمال اتوجه العتور حلق الريف نزل قال لمصر دستور
في بلد النصارى كم سحت بالباور كل صبح جديد راكب على الحنتور
من قمت الجبل انت المنقذ منصور أدوك الأمان خافين عليك الجور
في السودان قبيل ما يشبهوك الناس ويا جبل الذهب الصافي المالك نحاس
بارود النصارى عن قمزة الكباس خليت المجوس ألين من القرطاس
عدى عصره زين في ديار بلاد الناس وفي دار الغروب دقت للرجال اساس
كم قتل السلاطين خلى الديار بباس ود رحة الزبير تام الرجاله خلاص

عود الى ولاية ٢١ - اسماعيل باشا ايوب :

١٠ اسماعيل باشا ايوب فانه بعد ان نظم البلاد على ما مرّ في تاريخ الزبير ولّى على القاهرة حسن باشا حلمي المشهور بالجويسر وعاد الى الخرطوم .

وأرسل الجناب العالي الحديوي رسالتين علميتين الى دارفور لأجل كشفها ومعرفة محاصيلها ومعادنها فسارتا من مصر في ٥ ديسمبر سنة ١٨٧٤ وذهبت احدهما بقيادة الكولونيل بردي عن طريق الاربعين فدخلت دارفور من الشمال والاخرى بقيادة الكولونيل كولستن فدخلتها من الشرق عن طريق كردوفان ولكن الكولونيل كولستن مرض في الطريق وعاد الى مصر فقرأس الرسالة المأجور بروت وقامت الرسالتان بما عهد اليها حق القيام وعادتا الى مصر بتقارير علمية وافية عن سكان البلاد ومعادنها وتجارتها واجمال حالها .

هذا ما كان في السودان الغربي في عهد اسماعيل باشا ايوب على الخرطوم فلننظر الآن الى ما كان في عهده في السودان الشرقي :

احتلال سنهيت سنة ١٨٧٤ م :

تقدم ان الدولة العلية تنازلت الى مصر عن سواكن ومصوع في سنة ١٨٦٦م لزيادة في جزيتها السنوية ثمذ اصبحت مصوع بيد مصر أخذت تسمى في تأييد المواصلات. بينها وبين كسلا وكان اول ما فتق لها وصل هذين البلدين بخط حديدي يمر في سنهيت التي عدّها اسماعيل باشا داخلة في الفتح الاول لكسلا فمارضه الملك ثيودورس ملك الحبشة في ذلك . ثم قتل الملك ثيودورس في حرب أثارها عليه الانكليز سنة ١٨٦٨ م وتولى الحبشة بعده الملك يوحنا فانشغل في محاربة القالا فاغتم اسماعيل باشا الفرصة واستخدم الموسيو مونسنجر السويسري الذي كان قنصلا لدولتي انكلترا وفرنسا في مصوع فاحتل سنهيت بألف وخمماية رجل سنة ١٨٧٤ م وفي الوقت نفسه اشترى مقاطعة آيلت الواقعة بين حمسين ومصوع من حاكمها فأهاج ذلك غضب الملك يوحنا ورفع الامر الى الدول الاوروبية معتمداً بالأكثر على انكلترا . اما اسماعيل باشا فلم يهتم لغضبه ولم يزل على سعيه ولكنه 'شغل عنه قليلا باحتلال هرر وحملة جوبا:

احتلال هرر سنة ١٨٧٥ م :

هرر سلطنة اسلامية مستقلة شرقي الحبشة وقد أسسها غزاة العرب بعد الاسلام بقليل وحكمها عائلة من أهلها فلما كانت سنة ١٨٧٤ م مات سلطانها الامير احمد فتولى السلطنة بعده الامير محمد فاستبدّ بالأهلين حتى لم يعد لهم طاقة على حكمه فاستنجدوا باسماعيل باشا وسألوه ان يرسل من قبله والياً يتولاهم بدل سلطانهم محمد فأجاب اسماعيل باشا سؤالهم وأخذ يسمى في شراء زيلع وبربره ميناءا هرر من الدولة العلية . وفي يوليو سنة ١٨٧٥ م تنازل له الباب العالي عنها بزيادة ١٣٣٦٥ جنيتها مصرى على جزيرة مصر السنوية . وفي سبتمبر سنة ١٨٧٥ م جهز حملة مؤلفة من ٥ اورط من المشاة المصريين وبلوكين من الباشبوزق و ٣٠٠ رجل ومدفعين جبليين وعدة صواريخ حربية وعقد لواءها

لرؤوف باشا الذي تقدم ذكره في فتح خط الاستواء فاحتل مدينة هرر في ١١ أكتوبر سنة ١٨٧٥ م وقبض على السلطان محمد وقتله خنقاً بلا موجب وبقي الى ان عزله غوردون . وما زالت مصر قابضة على زمام الاحكام في هذه البلاد الى ان كانت الثورة المهدية ولم يعد يمكنها ابقاء جنودها فيها فأخلتها لأهلها في مارس سنة ١٨٨٤ م فألت الى الاحباش في عهد الملك منليك الحالي وما زالت بيد الاحباش الى اليوم .

حملة جوبا سنة ١٨٧٥ م : وفي سنة ١٨٧٥ م ارسل اسماعيل باشا حملة الى نهر جوبا لفتح الطريق بين البحر الهندي وبلاد خط الاستواء وتجنب السد في النيل الابيض الذي لم يقو على إزالته . وكان غوردون باشا اذ ذاك حاكماً على خط الاستواء فأصدر اليه الامر بملاقاة الحملة من جهته ولكن تضاربت عدة مصالح دولية ووقفت في سبيل هذه الحملة فنصحت الدولة الانكليزية لاسماعيل باشا فعدل عن رأيه وعادت الحملة الى مصر .

حرب الحبشة سنة ١٨٧٥ : ١٨٧٦ م : وعاد اسماعيل باشا الى النظر في احتلال جاسم فلما كانت أواخر سنة ١٨٧٥ م أرسل أورطين وبطارية مدافع بقيادة الكولونيل ارندروب من ضباط الاميركان في خدمة الجيش المصري بقصد احتلالها فلما علم الملك يوحنا بقدومه جرّد جيوشه وتقدم لقتاله فالتقاه في قندت في ١١ نوفمبر سنة ١٨٧٥ م فقتله وأفنى جيشه وغنم أسلحته وذخائره وتقوى بها وكان في جملة القتلى عراقيل بك وكيل مونسنجر في مصوع أما مونسنجر نفسه فلم يذهب مع الحملة ولكن لم تفته سنة ١٨٧٥ م حتى قتله الاحباش على بحيرة أوسا ومثلوا به .

ولما وصل الخبر الى اسماعيل باشا بمصر صمم على الاخذ بالثار فأمر السردار راتب باشا فجرّد جيشاً مؤلفاً من ١٥٠٠٠ مقاتل فيهم أورطة من السواري وأربعون مدفعا وعدة سوارين وسار به بطريق البحر الاحمر الى مصوع فوصلها السبت في ١٣ القعدة سنة ١٢٩٢ ١١٥ ديسمبر سنة ١٨٧٥ م ومعه

الكولونيل لونج رئيس أركان حرب والبرنس حسن باشا ثالث أنجال اسماعيل باشا أركان حرب شرف وزحف بالجيش على قرع الواقعة على ٥٥ ميلاً من مصوع فبنى طابية فيها وطابتين في اول سهلها قرب قباخور وأسس ثلاث نقط حربية بينها وبين مصوع لحفظ خط الاتصال. ولما علم الملك يوحنا بقدومه جرد جيوشه على قرع وكان من رأي السردار ان يتربص في الطوابي حتى يهاجمه الملك فأنكر عليه الكولونيل لونج هذا الرأي وقال انه دليل الخوف والجبن وليس من شأن المهاجم فوقع اللجأ بينهما واخيراً تغلب رأي الكولونيل لونج فما أطلقت جنود الملك يوحنا حتى خرج اليهم المصريون وحاربوهم في السهل فاطبق الاحباش عليهم من كل جانب وقد قدر عدد الاحباش بنحو ٢٠٠٠٠٠ نفس مع النساء والاولاد وكان بعضهم مسلحين بالبنادق وأكثرهم بالسيوف والحراب والدرق فلم يكن إلا القليل حتى اخترقوا صفوف المصريين وأعملوا بهم السيوف والحراب ففتكوا بهم فتكاً ذريعاً وقتلوا منهم نحو عشرة آلاف رجل وغنموا بنادق القتلى و ٢٥ مدفعاً ومقداراً كبيراً من الذخائر وأسروا ٢٦٧ رجلاً وذلك في يوم الثلاثاء الواقع في ١١ صفر سنة ١٢٩٣ هـ ٨ مارس سنة ١٨٧٦ م .

وأما الذين نجوا من المصريين وعددهم لا يزيد عن الالف فقد لجأوا الى طابية قرع فهاجمهم الاحباش فيها بعد الواقعة بيومين ولكنهم لم يقووا عليها فعادوا بالاسلاب والاسرى الى عدوه .

وكان في جملة الاسرى محمد بك رفعت الذي رافق الحملة كاتباً للبرنس حسن باشا فأخذ يسعى في عقد الصلح مع الملك فتم الصلح على ان يرجع الجنود المصرية من ارض الحبشة ويرد الملك الاسرى الى مصر ويفتح التجارة بين مصوع والحبشة وعاد محمد بك رفعت مع الاسرى الى قرع في ٢٧ ربيع اول سنة ١٢٩٣ هـ ٢٢ ابريل سنة ١٨٧٦ م وعاد السردار وبقي العساكر من قرع الى مصوع ومصر فدخلوا مصر في ٧ محرم ١٢٩٤ هـ ٢٢ يناير سنة ١٨٧٧ م .

وبقيت سنهيت ومصوع بيد المصريين وبقي سليمان باشا نياظي في مصوع محافظاً عليها .

جرى ذلك كله واسماعيل باشا ايوب حاكم في الخرطوم وقد أمّن السبل وأنشأ محطات في طرق القوافل بين الخرطوم ودارفور وبين بربر وسواكن إلا انه لم يكن محبوباً في السودان وقد وصفه لي بعضهم بقوله : « كان رجلاً جباراً يعني بالمسكرية ويهمل الرعية ويقبل كل هدية » .

٢١ - غوردون باشا ١٢٩٣ : ١٢٩٦ هـ - ١٨٧٧ : ١٨٧٩ م

ولما دخلت سنة ١٨٧٧ م عاد اسماعيل باشا ايوب الى مصر فلم يرَ الخديوي رجلاً يوليه السودان على اتساع أطرافه وكثرة مشاكله في هذا العهد أفضل من غوردون فأرسل يستدعيه تلغرافياً من بلاد الانكليز فحضر في أوائل فبراير سنة ١٨٧٧ م . وكانت مديريات السودان لا تزال مستقلة بعضها عن بعض فطلب غوردون ضمها كلها تحت ولايته فأجابه الى ذلك وأصدر له فرماناً بتاريخ ١٧ فبراير بالولاية على جميع بلاد السودان المصري مع دارفور وخط الاستواء وسواحل البحر الاحمر وهرر ومنحه السلطة العسكرية والمدنية عليها وأعطاه سلطاناً على القتل والعفو ومنع دخول احد الى السودان إلا بأذنه وولجه منع تجارة الرقيق وتحديد التعويم بين السودان والحبشة . فصار غوردون الى الخرطوم بعزم وطيد لاصلاح البلاد وفض مشاكلها ووضع نظام عام يكفل لها الراحة ويرقيها في معارج المدنية والعمران ولكنه لم يلبث ان رأى خطارة المركز الذي تولاه وتعمّدت التجاح نظراً لعدم تيسر الايدي اللازمة للعمل واتساع اطراف السودان ومشقة السفر في بلاده برأ وبجراً مع قلة الجيوش اللازمة لحمايته بعد ان ذهب قسم منها لمساعدة الدولة العلية في حرب الروس ونهك الباقي حرب الحبشة . ففرض غوردون في السودان سلتين ونيقاً وهو ينتقل من مكان الى مكان تارة بالبر وتارة بالبحر متمماً كلما أمكنه من الاصلاح حتى أعياه التعب وقاومته السياسة فاضطر الى الاستعفاء . وكان أم

ما اشتغل به في هذه المدة : اتحاد ثورة الامير هارون الرشيد في دارفور وحركة صباحي في كردوفان وسليمان الزبير في بحر الغزال ومنع تجارة الرقيق والنظر في مد سكة الحديد واصلاح ذات البين بين الحبشة والسودان .

ثورة السلطان هارون سنة ١٨٧٧ : ١٨٨٠ م : تقدم ان اسماعيل باشا ايوب ضرب الضرائب الفادحة على اهل دارفور فقبلوها على الرغم لانهم كانوا قد شتموا عيشة الاضطراب والقلق التي وصلوا اليها في آخر سلطنة الفور وناقوا الى السكينة ولكن لم يطل الأمد حتى انتشر الباشبوزق في أنحاء البلاد واقتضوا الضرائب منهم بالعنف والقوة فاستعظموا ذلك وفضلوا العودة الى ما كانوا عليه قبل . وكان عندهم من اولاد السلاطين الامير هارون الرشيد ابن الامير سيف الدين ابن السلطان محمد الفضل فبايعوه سلطاناً عليهم في أوائل سنة ١٨٧٧ م وثاروا ثورة عامة وحصروا حاميات الفاشر وداره وكلكل . وحصر الفاشر الملك سعد كبير البرقي والمقدم آدم مقدم الشمال سابقاً فهاجما مرتين وكادا يستوليان عليها لولا ان العساكر حاربوا حرب الاسود فصدوها ولكنهم لم يقووا على رفع الحصار . فأرسل حسن باشا حلي الجويسر مدير الفاشر في طلب المدد من الخرطوم فأناه عبد الرزاق باشا بجيش كبير فتصدى له المعصاة في بروش بين ام شنقه والفاشر فقتل منهم خلقاً كثيراً ودخل الفاشر فرفع عنها الحصار وأرسل الجنود الى داره وكلكل فرفعوا الحصار عنها ايضاً .

ثم أخذ حسن باشا عسكراً من الفاشر وخرج لمطاردة الامير هارون فأدركه في الطينة مسيرة يوم ونصف الى الفاشر فأوقع فيه واقعة شديدة ثم لحقه الى بير مرقال فقتل من عسكره خلقاً كثيراً وهزمه الى نيورنيا وسط جبل مرة . ولما وصل غوردون الخرطوم وعلم بثورته أسرع الى الفاشر فوجده هادئاً في نيورنيا فتركه وشأنه وأمر الجلبة بالرفق في تحصيل الضرائب وعزل جانباً كبيراً من عساكر الباشبوزق ورجع الى الخرطوم بعد ان أرجع اليها نصف العساكر النظامية .

وفي أوائل سنة ١٨٧٩ م عاد الأمير هارون الى الحركة فعاد غوردون الى الفاشر فرأى ان دارفور لا يصلح حالها الا اذا حكمها رجل من أهلها تحت طاعة الحكومة على نحو ما أشار به الزبير من قبل فبعث الى مصر في طلب الأرشد من اولاد السلطان ابراهيم وعزل حسن باشا حلي عن الفاشر وسمى مساداليه بك وهو ضابط ايطالي مديراً على دارفور . وكان عند مروره بسواكن في ديسمبر سنة ١٨٧٧ م قد أطلق من سجنه الموقوف رحمة قومو المار ذكره وقد استصحبه الى الفاشر فجعله معاوناً لمساداليه بك الى ان يجيء ابن السلطان ابراهيم من مصر اما ابن السلطان ابراهيم فانه ما وصل دنقلة حتى فاجأته المنية فبقي حكم البلاد على حاله .

سلاطين. باشا : وكان مساداليه بك قبل انتقاله الى الفاشر مديراً على داره فخلفه سلاطين بك وهو الآن سلاطين باشا الذي اصبح له شأن عظيم في السودان لذلك تأتي على لمع من بدء سيرته هنا فنقول : قدم سلاطين الى السودان سائحاً سنة ١٨٧٤ م وهو اذ ذاك في الثامنة عشرة من عمره فقصد جبال النوبة لدرس أجوالها فثار عرب الحوازمة على الحكومة لثقل الضرائب عليهم فرجع الى الأبيض وجعل وجهته الفاشر فبلغه في الطريق ان اسماعيل باشا ايوب قد أصدر أمره بعدم توغل الأجانب في بلاد دارفور خوفاً عليهم من أهلها فانقلب راجعاً الى الخرطوم فوجد فيها الدكتور امين بك وقد جاءها بقصد الدخول في خدمة غوردون في خط الاستواء فتعرفت به وكتبتا الى غوردون يطلبان خدمة عنده فجاءهما الجواب بعد شهرين يدعوها اليه فذهب امين بك على ما مرّ وأما سلاطين فقبل ان يرد الجواب من غوردون بعث اليه أهله يستحثونه على الرجوع اليهم فرجع في ختام سنة ١٨٧٥ م. ولما تولى غوردون حكمدارية السودان سنة ١٨٧٧ م ورأى قلة الأيدي اللازمة للعمل ذكر طلب سلاطين القديم فبعث اليه في أواسط سنة ١٨٧٨ م يستدعيه للخدمة في السودان وكان سلاطين اذ ذاك ملازماً في جيش النمسا في حرب الهيرسك وقد حضر واقعة هرزكوفينا ، فلما انتهت الحرب وعادت

اورطته الى مركزها في برسبورج استعفى من الجيش وودّع اهله في فيينا في ٢١ ديسمبر سنة ١٨٧٨ م وجاء الخرطوم عن طريق سواكن فدخلها في ٢١ يناير سنة ١٨٧٩ م فرحب به غوردون وسماه مفتشاً في مالية السودان على ان يطوف في المديرية ويبحث في أسباب شكاوي الاهلين من الضرائب فذهب الى سنار وفازوغلي فرأى ان معظم الضرائب غير موزعة بالقسط وان الرشوة سائدة بين الموظفين عموماً ولا يمكن الاصلاح إلا بقلب هيئة العمال كلها فرفع استعفاه الى غوردون وهو اذ ذاك في دارفور فقبله وعينه مديراً على داره كما مرّ . وذهب سلاطين لاستلام مهام وظيفته الجديدة فالتقى بغوردون في الطريق بين الابيض والنيل الابيض فأمره بتتبع الامير هارون وإخاد أنفاسه فما وصل داره حتى جاءته الأنباء ان الامير هارون قد قام من نيورنيا قاصداً نقطة بيرقوي على ثلاثة ايام جنوبي داره فأخذ سلاطين المساكر وقصد بيرقوي فرجع هارون عنها وعاد سلاطين الى داره .

وبعد ذلك بنحو شهر أي في فبراير سنة ١٨٨٠ م جاءه كتاب من مساداليه بك يقول انه صمم على مهاجمة الامير هارون في نيورنيا وقد جرّد عليه سرية من الفاشر بطريق طرّة وسرية من كلكل بطريق ابي حراز وسأله ان يذهب بسرية من عسكره بطريق منواشي ويجتمع الكل في نقطة معينة قرب نيورنيا فجهز سلاطين ٢٢٠ رجلاً من الجهادية و ٦٠ من البازنجر وبعض الفرسان وسار بهم الى نقطة الملتقى ولم يكن إلا يسيراً حتى اجتمعت عليه سرية الفاشر فكثوا في انتظار سرية كلكل . ولكن الامير هارون علم بخبر السرايا فجهز أنصاره وقد بلغ عددهم ٤٠٠ رجل مسلحين بالبنادق ومثلهم مسلحين بالسيوف والحرايب و ٦٠ فارساً وخرج بهم من نيورنيا فقابل سرية كلكل في الطريق فقتل منها وردّها الى كلكل وسار قاصداً داره فقتل وسبى وغنم ولكنه لم يقو على الحامية فعاد عنها قانعاً بالغنائم والسبايا . ولما علم به سلاطين خرج لمطاردته فأدركه في رهد التبق بالقرب من مركز سلطان المسبغات فبلاغته الهجوم وهو يستعد للرحيل فما شعر هارون إلا والرصاص يتخطف رجاله من

كل جهة فانهزم شر انهزام وغنم سلاطين منه ١٦٠ بندقية وجوادين و٤ نقارات و٤ رايات وعاد الى داره . وفر هارون الى جهة الغرب فنزل في ابتره في دار قمر فعلم به النور بك عنجرة مدير كلكل فخرج له وباغته الهجوم في معسكره فقتله وهو يحاول الفرار على فرسه وقتل من أنصاره خلقاً كثيراً واستولى على معسكره وذلك في مارس سنة ١٨٨٠ م . وكان لقتله فرح عظيم في جميع دارفور .

وانضم القليل الذين نجوا من واقعة ابتره على الامير دود بنقه ابن الامير بكر ابن السلطان محمد الفضل فتحصن بهم في جبل مرة على ضعف وبقي الى ان كانت الثورة المهدية .

حركة سليمان الزبير في بحر الغزال ١٨٧٧ : ١٨٧٩ م : قال الزبير : وبعده ذهابي الى مصر خرج ابني سليمان بالجيش وعدده ٤٠٠٠ مقاتل الى شكا وأقام فيها الى ان حضر غوردون الى دارفور اول مرة فأرسل اليه أمراً لمقابلته مع جيشه في داره فصدع بالأمر واجتمع على غوردون في شهر اوغسطوس سنة ١٨٧٧ م . وكان السعيد بك حسين أحد سناجق الجيش قد وشى بي الى غوردون قائلاً اني أوصيت ابني اذا لم أرجع سريعاً من مصر ان ينهض بثورة على الحكومة كما مرّ فرأى غوردون ان يفرق جيش سليمان فأعطى السعيد بك ألف رجل وسماه مديراً على شكا وأعطى الباقي للنور بك عنقرة من سناجق جيش سليمان وأرسله الى كبكبية وأمر سليمان فرجع الى شكا بقلة وذلة . وفي أواسط سبتمبر سنة ١٨٧٧ م وافاه الى شكا قطيب خاطره وأنعم عليه بالرتبة الثانية مع لقب بك وسماه مديراً على بحر الغزال فشرّ سليمان بهذا الالتفات وذهب الى ديمي القديم وكنت قبل قيامي من الديم لحرب دارفور قد خلفت ادريس ابتر من تجار الدناقلة وكيلا عني في بحر الغزال براتب معين فقصي اربع سنوات في إدارة بحر الغزال لا يشاركه فيها احد فلما حضر سليمان وجد ان ادريس ابتر قد أخلّ بالإدارة واستبدّ بالعباد ولم يهتم إلا بانتفاعه الشخصي فأعلن سليمان ارادته بمحاكمته في مجلس قضائي ففرّ الى الخرطوم ووشى به الى

غوردون بأنه يريد الاستقلال في بحر الغزال بحجة انها بلاد أبيه وليس للحكومة حق فيها .

حالة ادريس ابتر : ويظهر ان غوردون باشا أصفى الى وشايته فأنعم عليه بلقب بك وأعطاه مدفعين و ٢٠٠ من العساكر المنظمة وسماه مديراً على بحر الغزال . فلما وصل ادريس ابتر الى ديم قنده المعروف ايضاً باسمه كتب الى رؤساء الزرائب يخبرهم بتعيينه مديراً على بحر الغزال ويأمرهم بالحضور اليه وكتب الى سليمان يدعوهُ للتسليم فغضب سليمان من ذلك وكتب اليه في الجواب يقول : « ان ولائي للحكومة يمنعني الخروج عن طاعتها الا ان شرقي لا يسمح لي بالتسليم الى من كان خادمي وخدام أي من قبلي ولا يمكنني ان أأتمنك على نفسي واموالي بعد الذي رأيته من خيانتك وإنكارك للجميل لأنك لو كنت أميناً وذاكراً للجميل لحفظت عيشنا وملحنا وتربيتنا لك فلا تنتظر مني التسليم ولو ارسلت الحكومة إليّ رجلاً غيرك ولو عبداً لسلت وذهبت معه الى غوردون وأطلعته على جلية امري وبينت له نفاقك والسلام » .

فتيقن ادريس ابتر من هذا الجواب ان سليمان لا يسلم اليه الا بالقوة فترك جنده في عهدة اخيه عثمان وطاف في الزرائب يحرضهم على محاربه وكان عثمان اخو ادريس رجلاً فظاً عاتياً مكروهاً من جميع البحارة وكان يرسل الشائم الى سليمان وأتباعه ويتهددهم بالقتل والنوع العذاب فجرد سليمان رجاله ورجال الزرائب الذين من حزبه وهاجه في ديم قنده فقتله وقتل اكثر الجهادية والجلابة الذين معه وغنم اسلحتهم وذخائهم وعاد بالاسرى والغنائم الى مركزه . فلما بلغ ادريس ابتر خبر الواقعة انقلب راجعاً الى الخرطوم وأخبر غوردون بما كان .

حالة جمسي : فجّهز غوردون سرية من العساكر وعقد لواءها لجسي باشا المار ذكره في فتح خط الاستواء ومعه يوسف باشا الشلاي فأقلع من الخرطوم في يوليو سنة ١٨٧٨ م وسار في النيل الابيض حتى وصل أورمبك بطريق

شامي في سبتمبر سنة ١٨٧٨ م فوجد البلاد مغمورة بالمياه بسبب الامطار فأقام في أورمبك نحو ثلاثة اشهر حتى جفت الارض فصار قاصداً ديم سليمان ومعه ٣٠٠ من العساكر المنظمة و ٧٠٠ من الباشبوزق و ٣ مدافع . وكان على طريقه في نقطة الدمبو رجل من مشاهير البحارة يُقال له علي بك ابو عموري ومعه نحو الف رجل مسلحين بالبنادق فدعاه للانضمام اليه فأجابه بغير تردد لأنه لم يكن يود محاربة سليمان ولكن كان له محل تجاري في الخرطوم وآخر في مصر فأجاب الدعوة مضطراً مزاعاة لتجارته واجتمع على جسي في جور غطاس وساروا كلهم حتى تزلوا في قندة في اواسط ديسمبر سنة ١٨٧٨ م .

واقعة قننة : وكان سليمان لما علم بقدوم جسي قد أخذ في حشد الجيوش حتى اجتمع عنده نحو ١٠٠٠٠ مقاتل فصار بهم الى قننة ونزل بالقرب من معسكر جسي . ولما كان صباح ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٧٨ م حمل على المعسكر حملة صادقة وكان جسي قد أمر جنوده فبنى كل منهم متراً على متر ونصف متر ليقية من الرصاص فصلوا رجال سليمان فأرأ حامية فثبتوا برهة ثم انقلبوا راجعين الى معسكرهم فبنوا حصناً منيعاً من الاخشاب والتراب وتزلوا فيه ثم جددوا الهجوم على جسي في ١٢ يناير سنة ١٨٧٩ م وفي ٢٩ منه فلم يظفروا بطائل .

وفي ١١ مارس سنة ١٨٧٩ م وصل جسي مدد من العساكر والذخائر فزحف يحميه حتى صار قريباً جداً من معسكر سليمان وأقام ثلاً من التراب وجعل عليه المدافع والسواروخ وشرع يرمي بمقذوفاتها معسكر سليمان وكانت بيوتها كلها من قش فاشتعلت النار في المعسكر كله فذُعر سليمان منه الى ديمه .

واقعة ديم الزهير : وبقي جسي في قننة حتى جاءه مدد آخر من غوردون فزحف بجميع جيشه على ديم سليمان فوصله في ٤ مايو سنة ١٨٧٩ م فخرج

عليه سليمان من الديم وحاربه مستقلاً مدة ساعة ثم انهزم راجعاً الى الديم فتبعه جسي على الاثر وأخرجته منه واستولى على جميع ما فيه من الأمتعة والاموال . واما سليمان فانه سار شمالاً حتى وصل غرة غرب الكلكة من اعمال دارفور فأقام فيها .

وكان غوردون لما حضر المرة الثانية الى دارفور كما مرّ عرّج على شكا في ٧ ابريل سنة ١٨٧٩ م فوجد فيها بعض التجار الجعليين يهرّون الاسلحة الى سليمان في بحر الغزال فالغى المديرية وشتت التجار وأمدّ جسي ببعض الذخائر وتوجه الى الفاشر للنظر في ثورة هارون ولم يلبث ان أتاه خبر من جسي بالاستيلاء على ديم الزبير وفرار سليمان الى غرة فخاف غوردون ان ينضم سليمان على هارون فيصعب عليه إذلالهما ممّا فعاد الى الطويشة وكتب الى جسي فترك الجيش بقيادة ساني بك في ديم الزبير ووافاه اليها في ٢٥ يونيو سنة ١٨٧٩ م ومعه يوسف باشا الشلاي فأمره بمطاردة سليمان الى غرة وعاد بيوسف باشا الشلاي الى الخرطوم . فقاد جسي العساكر من دارة وبعض مشايخ الرزيقات والمعالية اصحاب الثار على الزبير وسار حتى وصل الكلكة فأرسل رسلاً بكتاب الى سليمان يدعوه الى التسليم . قال الزبير :

« وكان قد بلغني خروج ابني سليمان على الحكومة بسبب ادريس ابتر فكتبت اليه من مصر بتاريخ ٢٥ الحجة سنة ١٢٩٥ هـ ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٧٨ م بما فحواه :

« أوصيتكم قبل مجيئي مصر بالامتنال لأمر الحكومة وعدم مخالفتها في شيء لتعوزوا تمام رضاها وتنالوا الرتب العالية . ثم بعد انفصال اسماعيل باشا ايوب عن الخرطوم وتولتي غوردون باشا حكدارية السودان كتبت اليكم بالطاعة لأوامره وحذرتكم من مخالفته وقلت لكم ان رضاه مقرون برضى الحضرة الخديوية وغضبه كذلك واني أوصيته بكم فوعديني خيراً . وقد سرّني امتثالكم له في بادئ الرأي بمجيئكم مع ٤ آلاف عسكري لمقابلته في داره وسرّني بالاكتر خضوعكم له عند تجريدته إياكم من العساكر لأن فعله هذا كان محض اختبار



لكم وليس بقصد إذلالكم يدل على ذلك لحوقه بكم الى كذا وإنعامه عليكم بالرتبة الثانية وتعيينه إياكم حاكماً على بحر الغزال . وقد بلغني ذلك وأنا في بلاد الترك فسررتي جداً وشكرت الله على حسن قيامكم بوصيتي واتخاذكم سواء السبيل .

« لكن بعد عودتي من بلاد الترك ورد عليّ تلغراف من محمد بك العقاد بالخرطوم كتبه بأمر حاكم السودان يخبرني بعدم امتثالكم لأوامر الحاكم ويرغب إليّ ان أكتب اليكم نصحاً لردكم الى الطاعة وان ارسل كتابي اليكم عن يده فبعثت اليه بهذا الكتاب ليوصله اليكم فعسى ان يحذركم على أتم الطاعة والامتثال ويكون كل ما بلغ الحاكم منكم كذباً وافتراء . واذا كنتم لا سمح الله قد هفوتم وخالفتم أوامر الحاكم فارجعوا في الحال الى الطاعة وطلب المغفرة عما فرط منكم واذا لم تفعلوا ذلك فاعلموا ان الله ساخط عليكم وأنا كذلك .

« وقد ورد عليّ الخبر اليقين بأن خادمكم ادريس ابتر الدتقلاوي قد زحف عليكم في مركزكم بقوة عسكرية تليف على ٣٠٠٠ مقاتل من عساكر أميرية وخطرية وبسبب تمديه عليكم وخيانة العيش والملح وإنكار الجليل قد رده الله خائباً ولكنه مع ذلك أوقع الفتنة بينكم وبين الحكومة ولا بد ان تكون عاقبة ذلك وخيمة عليكم مع انكم فعلتم ذلك دفاعاً عن انفسكم فإن الله وإنا اليه راجعون . واعلم يا ولدي ان من قد تربى مثلكم في كنف الحكومة أباً عن جدّ وتشرف برقبها وإنعاماتها لا يحذر به الا الطاعة والامتثال لأوامرها لا سيما وانتم تعلمون ان « الحكومة عالية ويدها طائلة » وقد طامسا مقاومتها الجيوش ورجعت عنها خائبة فما الذي زين لكم هذه الرساوس الشيطانية فان كانت من رأيكم فاطرحوها جانباً لأنها تلقىكم في المهالك ولا تفيدكم شيئاً وإن كانت من تقرير المفسدين بقولهم ان الحكومة حجزت على والدكم في القاهرة او انها قتلتها فاعلموا انه قول كذب لا أثر للصحة فيه لأننا والحمد لله لم نزل في قيد الحياة مشمولين بأنعام الحضرة الخديوية الفخيمة ومقيمين في ضيافتها

على أتم الراحة والأمان نحن وجميع أتباعنا ولا نجد من لدن الجنب العالي الخديوي وجميع رجاله الفخام الا التجلة والاكرام فارجموا الى رشدكم وعودوا الى الطاعة واذكروا أمر الله تعالى في كتابه العزيز بقوله : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » فاذا عصيتم فما جوابكم يوم العرض وكيف الخلاص ؟

« ثم اعلم يا ولدي ان تماديكم في العصيان يضرّ بركزي الأدبي هنا كما يضر بكم هناك ويحلب عليكم سخط الله والحكومة فحافظوا على كرامتكم وكرامتي واستوعبوا الآن وصيتي . وقد ارسلت كتابي هذا مع محمد آدم (وهو الآن عمدة الجميعاب في الجايبي) ليثبت لكم صحة قولي ويعيد عليكم وصيتي شفاهاً فعند وصوله اليكم اذهبوا معه لمقابلة غوردون باشا حاكم دار السودان في الخرطوم او في دارفور . وأنا أعلم انه حالما يراكم يصفح عنكم ويحسن معاملتكم لأن شرف بريطانيا العظمى وكرم سجيته يوجبان عليه ذلك لا سيما واني أوصيته بكم عند سفره من مصر فوعدني خيراً . تولاكم الله وهذاكم الى سواء السبيل » اه .

قتل سليمان وأعمامه بعد التسليم : قال الزبير : « وقد وصل كتابي هذا الى سليمان بعد خروجه من بحر الغزال فاستوعبه وصدقته . ولما دعاه جسي الى التسليم مال اليه فعارضه رابح وانقسم الجيش بها الى حزبين : حزب مال الى التسليم ورئيسه سليمان وحزب أعرض عنه ورئيسه رابح . ولما كان صباح ١٤ يوليو سنة ١٨٧٩ م أتى سليمان الى جسي مسلماً ومعه ٧٠٠ رجل فيهم ثمانية من أقاربه وهم حسن ود دقيل وابو بكر منصور وموسى الحاج واحد ود ادريس وابراهيم ود حسن وكلهم من الجميعاب والارباب محمد ود دياب من السعدلب وعبد القادر ود الامام وسليمان ود محمد والقائد برنجي الاسود . وكان في جيش جسي كثير من الدناقلة الذين يكرهون سليمان والجبليين فوشوا به الى جسي قائلين ان تسليمه هو وأقاربه انما هو خدعة فاتخذ هذه الرشاية الساقطة مسوغاً لقتلهم فنأداهم الى خيمته ثاني يوم التسليم وسقام القهوة وكان قد أوعز

الى بعض الجند فاحتاطوا بالخيمة ثم خرج منها فدخل بعضهم وأوثقوا سليمان وأقاربه وجعلوهم صفاً واحداً خارج الخيمة ووقفوا خلفهم ورموهم بالرصاص فانكبوا على وجوههم قتل وبعد ساعة أتى قناوي بك ابو عوري فكشفهم وحفر لهم حفرة ودفنهم فيها .

و أما الرؤوس الذين لم يسلموا عدا رابع فهم : ابو القاسم من المجاذيب وموسى جلي وادريس سلطان ومحمد فضل الله وكلهم من الجميعاب وعبد البين الاسود فأخذ كل منهم رجاله وفرقوا بين عرب البادية فلما بلغ العربان قتل سليمان وأعمامه ألقوا القبض عليهم وساقوهم الى مساداليه بك في الفاشر فقتلهم عملاً بأمر جسي .

رابع الزبير : أما رابع فقد انضم اليه نحو الف رجل مسلحين بالبنادق فقادهم الى جهة الغرب وأخذ يدوِّخ البلدان الى ان وصل برنو ففتحها وأسس فيها ملكاً عظيماً جعل عاصمته دكوة في جنوبي بحيرة تشاد . وقبل وصوله الى برنو قام مهدي السودان فبذل الجهد هو وخليفته من بعده في استمالته وإرجاعه بحيث الى ام درمان فلم يجب دعوتها كما سيجيء ولكنه اختار راية المهدية راية لجيشه واشتهر ملكه بالعدل والصرامة وبقي الى ان دخلت برنو في نطاق نفوذ الفرنسيين فجردوا عليه الجيوش فحاربهم وظهر عليهم في عدة وقائع . فجردوا عليه اخيراً حملة مؤلفة من ٧٠٠ عسكري مسلحين بالبنادق و ١٥٠٠ عسكري من الباجرمة و ٤ مدافع بقيادة الكونت لامي وكان مع رابع نحو ٥٠٠٠ مقاتل فيهم ٢٠٠٠ مسلحين بالبنادق و ٦٠٠ فارس و ٣ مدافع فالتقى الجيشان في ٢١ ابريل سنة ١٩٠٠ قرب بحيرة تشاد واقتتلا قتالاً شديداً كانت العاقبة فيه للفرنساويين وقد قتل رابع وتشتت جيشه وقتل الكونت لامي بعد ان تم له النصر .

ولم ابن رابع شعث جيش أبيه ولكن لم تلتئم سنة ١٩٠٠ حتى قتله الفرنسيون وأمروا رجاله ولم يبق من قوم رابع من يطالبهم بثأر .

تنظيم مديرية بحر الغزال سنة ١٨٧٩ م : وبعد ان فرغ جسي من امر سليمان عاد الى ديم الزبير فنظم فيه مديرية وجعل الساتي بك مديراً والارباب الزبير ود الفعل وكيلا له وعمود المحلاوي المار ذكره مفتشاً لمنع تجارة الرقيق وقسم البلاد الى ثمانية اقسام وجعل في كل قسم منها نفراً من الباشبوزق والبازنجر وجعل في ديم الزبير اورطة جهادية وقفل راجعاً الى الخرطوم . ثم نظم ساتي بك اورطة جديدة من اهل البلاد وجاء موسى بك شوقي قومنداناً للمساكر من الخرطوم ومعه ١٦ كاتباً للقيام في اشغال المديرية . وبعد وصولهم بثلاثة اشهر حضر ليتن بك وهو من البحارة الانكليز مديراً على بحر الغزال وقومنداناً للمساكر من قبل غوردون وعاد موسى بك شوقي الى الخرطوم . وبقي ليتن في بحر الغزال الى ان قام المهدي فاضطر الى التسليم الى احد أنصاره كما سيجيء .

اما جسي باشا فقد اعترضه السد في الطريق وفرغ منه الوقود والزاد حتى اكل رجاله بعضهم بعضاً وأشرفوا على الهلاك واذا بوابور قاصد خط الاستواء قد اقبل عليه فرجع به الى فاشودة ثم عاد فاتم سفرته وتقدم جسي بمن بقي من رجاله وفيهم قناوي بك ابو عموري الى الخرطوم فوصلها في ٢٥ يناير سنة ١٨٨١ م وسار منها قاصداً مصر عن طريق سواكن فوافته المنية في السويس في ٣٠ ابريل سنة ١٨٨١ م .

حركة صباحي في كردوفان سنة ١٨٧٩ م : وفي أثناء حركة هارون الرشيد في دارفور وسليمان الزبير في بحر الغزال نهض صباحي احد القواد الذين انفصلوا عن جيش الزبير فألّف عصابة من ٤٠٠ رجل وأغار على الاضية في كردوفان فقتل مأمورها وفرّ الى جبال النوبة . فعلم به غوردون وهو ذاهب الى دارفور المرة الثانية في مارس سنة ١٨٧٩ م فأرسل من الابيض نفراً من المساكر فصارده وأتوا به أسيراً فعوكم في مجلس عسكري وحكم عليه بالاعدام .

عود الى تجارة الرقيق : تقدم لنا ذكر تاريخ تجارة الرقيق في السودان

وسمي اسماعيل باشا في ابطالها فلما كان ٤ اوجسطس سنة ١٨٧٧ م عقد معاهدة رسمية مع انكلترا في هذا الشأن على ان تقلل اسواق الرقيق في مصر والسودان في الحال ولكن يُنقض عن بيع الرقيق بين العائلات في مصر الى سنة ١٨٨٤ م وفي السودان الى سنة ١٨٨٩ م ثم يمنع البيع بتاتا من البلادين . فلشر غوردون فعوى هذه المعاهدة في جميع جهات السودان وسمى جيكلر باشا مديراً عاماً لمنع تجارة الرقيق وسمى في كل مديرية عدة مأمورين لهذه الغاية فأخذ العبيد يفدون اليهم افواجا يطلبون تذاكر الحرية فتعطى لهم . وفي اواسط سنة ١٨٧٨ م ضبط غوردون ١٤ قافلة من قوافل الرقيق وفي السنة التالية ضبط ٦٣ قافلة .

سكة الحديد في السودان : وكان غوردون على رأي القائلين بمدة سكة الحديد في طريق سواكن وبربر لا في طريق النيل والاكتفاء بمدة سكة الحديد عند الشلالات لأن النيل بين الشلالات صالح لسير المراكب فلا يفتقر الى سكة حديد . لكن اسماعيل باشا الحديدي فضل مدة سكة حديد على النيل وبدأ بها سنة ١٨٧٧ م فاتم منها نحو ٥٠ ميلا من حلقا جنوباً أنفق عليها ٤٥٠,٠٠٠ ليرة انكليزية ثم أوقف العمل في السنة عينها لعدم تيسر المال اللازم لانقائه .

تحديد التخوم بين السودان والحبشة سنة ١٨٧٧ - ١٨٧٩ م : ان مسألة تحديد التخوم بين السودان والحبشة قد شغلت غوردون مدة ولايته كلها فان اول ما باشره من الاعمال عند توليه حكمة ادارة السودان انه ذهب الى مصوع لعقد وفاق مع ملك الحبشة بشأن الحدود لكنه وجد ود ميخائيل شاهراً العصيان على حدود الحبشة ولا يتأتى الفصل في مسألة التخوم إلا اذا كف عن العداء فأجتل النظر في ذلك الى فرصة اخرى وذهب الى دارفور للنظر في اخاد ثورة هارون كما مر ثم عاد الى سنهت فوجد ود ميخائيل لا يزال على العصيان فطلب الى الملك يوحنا ان يتحد معه على سحقه فلم يجبه الى ذلك فعاد الى الخرطوم ومصر ثم رجع بطريق البحر الاحمر الى هرر فوصلها في ابريل

سنة ١٨٧٧ م فوجد رؤوف باشا مشغولاً بالتجارة وقد كثر ظلمه فعزله .
وفي ٦ رجب سنة ١٢٩٦ هـ ٥ يونيو سنة ١٨٧٩ م أقبل اسماعيل باشا من
خديوية مصر وولي ابنه محمد توفيق باشا مكانه . فكان اول ما اهتم به تحديد
التخوم بين السودان والحبشة فبعث في طلب غوردون الى مصر للنظر في هذا
الشأن فحضر في اوغسطوس سنة ١٨٧٩ م . وفي هذه الأثناء سلم ود ميخائيل
الى ملك الحبشة واتحد مع الرأس ألولاً لمهاجرة سنهت فعاد غوردون في الحال
الى مصوع لاصلاح ذات البين مع الحبشة وفي ١١ سبتمبر سار من مصوع قاصداً
ملك الحبشة فمرّ بالراس الولا في قرع واستطرد السير الى دبرتابور حيث كان
يقم الملك يوحنا فوصلها في ٢٧ اكتوبر سنة ١٨٧٩ م وفي اليوم التالي قابل
الملك وسأله عما يطلبه من مصر فقال مطالبي هي ان تردّ اليّ المتعة وسمهت
وتعطى لي زيلع وقسم من بلاد هرر وفوقها مليون جنيه او مصوع فسأله
غوردون ان يكتب مطالبيه هذه على ورق ويمهل الخديوي ستة أشهر للاجابة
عليها فلم يفعل . وبعد قليل من الايام أعطاه كتاباً مختوماً في يده وأذن له في
السفر فسار قاصداً الخرطوم بطريق القلابات ولكن قبل وصوله الى القلابات
ألقي القبض عليه وأرجعه الى دبرتابور ثم أذن له في السفر عن طريق مصوع
فوصلها في ٨ سبتمبر سنة ١٨٧٩ م بعد عناء شديد . وعلى أثر ذلك استقال من
حكمدارية السودان وعاد الى بلاده .

ثم أغلق على هذه المسألة بسبب الثورة المهدية حتى عادت ففتحت بعد
الفتح الاخير في ولاية السر رجيند ونجت باشا حاكم عموم السودان الحالي
فأبرم وفاقاً مع الملك منيلك ملك الحبشة الحالي بتاريخ ١٥ مايو سنة ١٩٠٢ م
حددت فيه التخوم بين السودان والحبشة فدخلت القلابات وفامكة والناصر
في حدود السودان .

٢٢ - رؤوف باشا سنة ١٢٩٦ : ١٢٩٩ هـ - ١٨٧٩ : ١٨٨٢ م

وخلف غوردون والياً على السودان رؤوف باشا المتقدم ذكره في الكلام



توفيق باشا الخديوي السابق

شأن السودان

على خط الاستواء وهرر فصدر الامر المالي بتعيينه في ١٥ ربيع ثاني سنة ١٢٩٧ هـ ٢٧ مارس سنة ١٨٨٠ م وفيه الخطة التي أرادت الحكومة اتباعها في السودان وهذا هو بنصه :

« انه نظراً لثقتنا بما انتم متصفون به من الاهلية لأداء المأمورية المهمة المفوضة لأمانتكم والحالة هذه لا نرى لزوماً للاسباب في شرح وتفصيل ما يجب اتخاذہ واجراؤه من الوسائل والاعمال المؤدية لنجاح مأموريتكم التي نحن ناظرون اليها بعين الاهمية وهي تقدم وانتظام احوال مملكة واسعة مثل السودان وبذل ما يجب من المساعي للوصول الى توطيد اسباب عمارتها وتقدن ورغامية أهاليها بتوسيع نطاق دائرتي التجارة والزراعة اللتين هما أعظم منابع الثروة العمومية انما نرى من اللزوم استجلاب دقة نظرکم الى بعض مواد مهمة وهي الآتي ذكرها :

« أولاً - مالية السودان : وكما لا يخفى ان لفظة المالية تشمل كل ما يلزم ويمكن تقريره وتجنله من الاموال والموائد بطريقتي لا يتأتى منها الاضرار بحالة الاهالي ولا الاجعاف بحقوق الخزينة وكذا تقدير ما يلزم من المصاريف بالنسبة لحالة البلاد واحتياجاتها بشرط ان تكون كافية لحسن ادارة المصالح العمومية بصورة منتظمة وعلى هذا فأول واجب عليكم هو تنظيم ميزانية مستوفية عن كافة إيرادات ومصرفات الحكمدارية ببيان انواعها ومفرداتها بغاية الضبط والدقة وحصر ما يكون موجوداً من الديون بأنواعها وأسماء أربابها وكيفية الوصول الى سدادها . هذا ومن اللازم ان الحكومة تكون عالمة بكافة احوال السودان اجمالاً وتفصيلاً وبالمثل انواع الضرائب والموائد وسائر الاموال المقررة والجاري تحصيلها وكيفية استعمالها وصرفها فيلبيني ان ترسلوا صورة من هذه الميزانية الى نظارة المالية واستمرار ذلك سنوياً وان تقدموا الى النظارة المشار اليها في كل ثلاثة اشهر حساب إيرادات ومصرفات الحكمدارية بالبيان الكافي وذلك كما هو جارٍ بكافة مصالح الحكومة . وبما ان كافة ما يتعلق بالمواد المالية والحسابية مرجع الامر فيها الى نظارة المالية

فجمع ما يقتضيه الحال من الخبرات والاستثناءات في هذا الشأن يكون خلاصاً بالنظرة المشار إليها .

وثانياً - الإدارة الملكية : يلزم تنظيمها وإجراؤها على صورة ثلاثم احوال تلك البلاد وما يختص بهذا القسم من الخبرات وما يترامى لزوم تغييره وتبديله من المواد والنظم ذات الأهمية وعزل وتنصيب ارباب المناصب الرفيعة مثل المديرين ووكيل الحكماء وما يتعلق بالإدارة الملكية والاحوال الداخلية بما من شأنه استحصال أوامرها عن جميع ما ذكر من هذه الأنواع فينبغي ان تكون الخبرة عنه مع نظارة الداخلية . وأما ما يتعلق بالامور القضائية سواء كانت شرعية او نظامية تجرونها على قواعده المتبعة والحالة هذه انما ما يختص بهذا القسم من الخبرات او ما ترون لزوم اجرائه من الاصلاحات يجب اولا الخبرة عنه مع نظارة الجناينة . ثم ان الرخصة التي كانت ممنوحة لأسلافكم بتنفيذ ما يصدر من الاحكام شرعية كانت او سياسية في المواد القضائية الحقوقية والجناينية قد أبقيناها لمهتكم ايضاً ما عدا احكام القضاة الواجب استحصال أوامرها عنها .

« ثالثاً - القسم العسكري : من المهم عند وصولكم الى مركز الحكماء ان توجهوا أنظاركم والتفاتكم الى تنظيم واصلاح الحالة العسكرية حسبما يقتضيه احتياج تلك البلاد لتوطيد الامن والنظام العام لكافة أنحاء المملكة خصوصاً تقوية حدود الحبشة والحفاظة عليها في الحالة الراهنة مع ما يترتب عليه الامن والاطمئنان للوقاية من وقوع أدنى مهاجمة على هذه الحدود لأنكم عارفون جيداً بأفكارنا وأفكار أعضاء حكومتنا في هذه المسألة وهي اننا لا نقصد أي تجاوز كان على جيراننا ولا نريد أي فتوح جديد انما جل قصدنا المدافعة بناية البسالة اذا وقع أدنى تعدٍ على حدودنا . فهذه الأفكار هي التي تكون أمن أعمالكم في ترتيب وتنظيم عسكرية السودان مع مراعاة اجراء القانون العسكري وكافة ما يتعلق بهذا القسم من الخبرات والاستثناءات هو خاص بنظارة الجهادية . هذا ومع بقاء خيانتكم الرخصة المعطاة لأسلافكم بتنفيذ أحكام القانون

العسكري في الجناسيات وسائر الاحوال حسب ما تصدر به مضابط المجالس العسكرية فان حكم العزل او تنزيل رتبة او ترقية الضابط جميع ذلك لا بد من العرض عنه لطرفنا بواسطة نظارة الجهادية .

« رابعاً - من المعلوم ان مسألة « منع تداول بيع الرقيق » هي في غاية الأهمية أولاً ان بيع الرقيق أمر مخالف للإنسانية وغفل باحترام بني آدم المنصوص عليه بالتكريم . ثانياً من الواجب المتعين علينا ابقاء شرائط المعاهدة المعقودة بين حكومتنا الخديوية والحكومة الانكليزية في ابطال تجارة الرقيق . ولو ان ما نعلمه وثق به من افكاركم في هذه المسألة وما انتم عازمون عليه من المساعي الحميدة لمحو آثار هذه التجارة الذميمة لا يستوجب تكرار التأكيد انما رأينا من الواجب علينا ايضاً اثبات ما نحن عليه من شدة العزم والثبات في هذه المسألة لتوفيقوا اعمالكم في ما تتخذونه من الوسائل المؤثرة والاحتياطات اللازمة لذلك لكي لا يسمع من الآن فصاعداً بحصول أمر مغاير من هذا القبيل في كافة البلاد والطرق المودعة تحت ادارتكم .

« هذا وحيث ان الاقطار السودانية بعيدة عن مراكز الحكومة الخديوية ومن الاقتضاء الوقوف على الوقوعات المهمة التي تحصل سواء كانت بالحدود او بخلافها فتبادروا بالاطلاع عنها بوقت وقوعها الى طرفنا والى نظارة الداخلية بالتلغراف . وبناء عليه أصدرنا امرنا هذا لكم للمعلومية والاجراء على مقتضاه كما هو مطلوبنا » اهـ .

فباشر رؤوف باشا هذه الاعمال عند وصوله الى السودان بهمة ونشاط واهتم على الخصوص بتحديد النفقات وتحصيل الاموال .

وفي صيف سنة ١٨٨٠ ثار السومال فأرسلت الحكومة نجدة لمساعدة حاكم هرر فاطفأت الثورة . ولكن لم تنطفئ ثورة السومال حتى ظهرت الثورة المرابية في مصر .

وفي أثناءها ظهر في السودان رجل دنقلاوي الاصل يقال له « محمد احمد » ادعى انه المهدي المنتظر فصدق الناس دعواه وثاروا معه على الحكومة ورجاها

واستفحل امره سريعاً حتى انه لم تكد تخمد الثورة العرابية في مصر حتى اصبح السودان كله شعلة ثورة تقاوم شبرها وتعاطم خطرهما وذهبت حاميات السودان كلها او اكثرها فريسة لها . وكان رؤوف باشا آخر الولاة الذين حكموا السودان قبل الثورة . وحكم بعده من الولاة في زمن الثورة :

٢٣ - عبد القادر باشا حلي ١٢٩٩ : ١٣٠٠ هـ - ١٨٨٢ : ١٨٨٣ م

٢٤ - علاء الدين باشا ١٣٠٠ هـ - ١٨٨٣ م

٢٥ - غوردون باشا المرة الثانية ١٣٠١ : ١٣٠٢ هـ - ١٨٨٤ : ١٨٨٥ م

وفي أيامهم أي في ٢١ فبراير سنة ١٨٨٢ م صدر أمر عالٍ فجعلت ادارة عموم السودان وفيها مديرية شرقي السودان ومحافظة سواحل البحر الاحمر ومديرية هرر وزيلع وبربرة ونجرة حكمدارية واحدة. وشكلت نظارة جديدة بعنوان نظارة الأقاليم السودانية وملحقاتها مركزها مصر القاهرة .

ثم في ٢ ابريل سنة ١٨٨٢ صدر أمر عالٍ بتقسيم جهات السودان ٤ أقسام وهي :

١ - حكمدارية اقليم غرب السودان وتشمل مديريات دارفور وكردوفان . وشكا وبحر الغزال ودنقلة ومركزها الفاشر .

٢ - وحكمدارية اقليم وسط السودان وتشمل مديريات الخرطوم وسنار وبربر وفاشودة وخط الاستواء ومركزها الخرطوم .

٣ - وحكمدارية اقليم شرق السودان وتشمل مديرية النابا وملحقاتها ومحافظة سواكن ومصوع وملحقاتها الى باب المندب .

٤ - حكمدارية عموم هرر وملحقاتها وفيها محافظة زيلع وبربرة ومركزها هرر .

ثم في ٢٠ يناير سنة ١٨٨٣ م صدر أمر عالٍ فسمي علاء الدين باشا حكداراً

لعموم السودان وملحقاتها وسمي راشد كال باشا حاكم دار عموم السودان الشرقي والبحر الاحمر . وأنشأت ادارة خاصة بأشغال السودان وملحقاته برئاسة مجلس النظار .

ولما اشتدت الثورة صدر امر عال بتاريخ ١٥ يناير سنة ١٨٨٤ م فألحقت ادارة عموم السودان وملحقاته الى نظارة الحربية وبقيت في نظارة الحربية الى نهاية الثورة .

وقبل الخوض في تفصيل هذه الثورة ووقائعها نذكر الاسباب التي حلت اهل السودان على تلقي دعوة زعيمها محمد احمد بالقبول والثورة معه على الحكومة ورجالها ثم تتبع ذلك ذكر سيرة محمد احمد والاسباب التي حملته على الظهور بدعوى المهدي .

الباب الثاني

في

تاريخ الثورة المهدية

الفصل الاول

في

أسباب الثورة المهديّة وأسباب نجاحها

اعلم انه عند قيام محمد احمد الدنقلوي بدعوى المهديّة كان أهل السودان خاصتهم وعامتهم ناعمين من الحكومة. وانجدين عليها وهم يتوقعون باباً للفرج او فرصة لشق العصا . والاسباب التي أوصلتهم الى هذه الحالة كثيرة مرجعها كلها سوء الادارة وعدم اتقان السياسة اللائقة بأهل البلاد . وأمّ تلك الاسباب :

١ - العنف : فقد رأيت ان السياسة التي اتخذها اسماعيل باشا فاتح سنار للتنكيل بالملك ثم عادت عليه وعلى اصحابه وآلت الى خروج الملك ثم عن طاعة الحكومة فلجأ الى الحبشة واجتمع عليه كل متشرد وعاصر فكان شراً عظيماً على الحكومة هو وأولاده من بعده نحو خمسين سنة . ولما ظهر المهدي كانت بقية اولاده في بلاد القضايف فكانوا اول من نصروه ورفعوا رايته في السودان الشرقي . ثم ان الدفتردار الذي جاء من كردوفان للاقتصاص من الجانين في قتل اسماعيل باشا لم يقف عند حد بل عم غضبه الجرم والبريء ونكّل بالجعليلين تنكيلاً لم يروه ولا سمعوا به من قبل ولا سبوا في شندي

والمتمتع والميلفون فانه قتل وسبى وأذلّ الاهلين وأوجعهم فوجدوا على الحكومة بسببه وقد أورثوا الوجد أبناءهم من بعدهم فحفظوه حتى قام المهدي فقاموا معه يطالبون بالثأر . وقد رأيت الكثيرين ممن ثاروا على الحكومة فقالوا انما فعلنا ذلك لأسباب شتى اولها الأخذ بثأر آبائنا من فظائع الدفتردار .

٢ - الضرائب: وتوالت الحكام بعد الدفتردار وضربت الضرائب على الاهلين ولم يكونوا متمودين عليها فاستقبلوها وزادها ثقلاً انها لم تكن موزعة بالقسط بل كانت شديدة على الفقراء خفيفة على الأغنياء وقد كانت خفتها على الأغنياء بالنسبة الى مقدرتهم على رشوة المأمورين وقربهم من الحكام حتى كان جانب كبير من أملاك الاغنياء والمأمورين معفياً من الضرائب . وفوق ذلك فقد ناطوا بتحصيل الضرائب بجماعة الباشبوزق الشايقية والاكراذ والمغاربة الذين فتحوا البلاد فاستعملوا منتهى القسوة والعنف في تحصيلها حتى كانوا اذا تأخر احدكم عن دفع ما عليه أعمالوا فيه السياط وأهانوه حتى يدفع الفلوس الاخير . وشرّ من ذلك كله مما لم يكن له مثيل في غير السودان ان هؤلاء المأمورين لم يكتفوا بالضرائب الرسمية بل كانوا يفرضون على الاهلين « فرضاً » غير رسمية يحصلونها مع الضرائب . وذلك ان أكثر الولاة الذين حكموا السودان كانوا يأتونه من مصر على غير ارادتهم لبُعد السودان عن بلادهم وكثرة حره ومشاقه فكانوا لا يهتمون في الغالب الا بالانتفاع من وظائفهم فيفرضون على المديرين اموالاً باسم الهدايا فيضطر المديرين الى استرجاعها من مأموري المراكز الذين تحت ادارتهم او من الباشبوزق المولجين يجمع الضرائب وهؤلاء يفرضونها على الاهالي اضعاافاً لأجل وفاء ما فرض عليهم وحفظ شيء لأنفسهم . وكانوا يشددون على الاهلين في تحصيل هذا الفرض تشديداً على تحصيل الضرائب وهم آمنون من القصاص للتواطؤ المشار اليه مع الولاة والمديرين ولذلك اشد نفور الاهالي من الحكام وتمكن الحقد والوجد في قلوبهم وصاروا يتمتعون زوال هذه الحكومة التي سلطت عليهم من لم يرحمهم واستبدلها بأية حكومة كانت . يدل ذلك على القول الذي جرى على ألسنتهم عند ظهور المهدي وهو « عشرة

في توبه ولا ريال في طلبه . ويدلك عليه ايضاً هجر الناس لأوطانهم والتجاؤهم الى اطراف البلاد كالقلايات وبحر الغزال ودارفور كما مر . وبما جاء في قصيدة الشيخ محمد شريف المشهورة التي نظمها في ذم المهدي بحرفه :

وما أبت السودان حكم حكومي الى ان أتى ضعف المطالبين من مصر
فكالثك والثلاثين للير وحده وللشيخ والنظار اضغافه فادر
بضرب شديد ثم كتف مؤلم ومن بعده اللقاء في الشمس والحر
وأوتاد ذي الاوتاد من بعض فعلهم وأشنع من ذا كله عمل الهر

أي أنهم كانوا يعملون في سراويل الرجل هراً ثم يشرعون في ضربه حتى
يمزق الهر جسمه . قال وقد رأيت ذلك في قسم الخرطوم نظارة احمد اغا
ابو زيد .

٣ - منع الرقيق : ثم الذي زاد الطين بلة والطنبور نفمة فكان منه معظم
اشر هو تشديد الحكومة في منع النخاسة والاسترقاق فان النخاسة كما علمت
مهنة قديمة في السودان يتعاطاها الجم الفقير من اهلها بل من اعظم اهلها جاهاً
ونفوذاً والاسترقاق وبيع الرقيق غير محرمين في شريعة اهلها فهم لا يرون
فيها شراً يجب ابطاله بل يرون الشر كله في ابطالها خصوصاً لأن خدمة عرب
السودان في البيت وخارج البيت كلها منوطة بالرقيق ولم يكن للعرب إلا
السيادة والتجارة كما مر . وقد تعودوا هذه الحالة السنين الطوال وارتاحوا
اليها كل الارتياح حتى لم يعد من الممكن منعها دفعة واحدة ولكن
الحكومة أصرت على منعها بالقوة ولا سيما في عهد السر صموئيل باكر وفي
عهد الكولونيل غوردون فانها مع اعتقادها الشخصي بأن التشديد في منع
الرقيق هو في غير محله وقبل وقته اضطرا عملاً بأوامر الحكومة ان يبالغا في
التشديد في منعه والتضييق على تجار الرقيق في جميع الأقطار السودانية ولا سيما
في بحر الغزال وخط الاستواء فكلما بهم تشكيلاً شديداً وفرقا جموعهم وعاقبا
البعض بالقتل والبعض بالسجن والبعض بضبط الأموال . وحرّر غوردون :

كثيراً من الأرقاء من أيدي أسيادهم لا سيما بعد نشر المعاهدة التي عقدت بين اسماعيل باشا والدولة الانكليزية سنة ١٨٧٧ م بل لما رأى الأرقاء حريتهم في يدهم صاروا يتركون أسيادهم لأقل سبب او بلا سبب . وكان الأهليون يدفعون قسماً من الضرائب عبيداً فأصبحوا بعد ابطال النخاسة لا يقدرّون على ادائها فاستبد بهم الجبابة وساموهم خسفاً على خسف ودلاً على ذل . وعدّ الجبال مداخلة باكر وغوردون وجسي وجيكر وغيرهم من النصاري في منع الرقيق ان النصاري تتعرض لدينهم فعظم الخطب وعت الشكوى .

٤ - المهابة : قال المصوي : « ومن الأمور التي ساءت الاهالي فزادتهم وجداً على الحكومة تمييز الشايقية الذين جنّدتهم عساكر وحوالات وأعفّتهم من الضرائب في حين انها ثقّلت بها على سائر الاهالي مع ان الجميع من مقام واحد وما من قبيلة معروفة في السودان تعترف بامتياز الشايقية عليها ومما يدلّك على استياء الاهلين منهم قول الجعليين المشهور عند ظهور الثورة :

يا نعم العباسية ، القامت المهدية والله ما في رية ، غنيمة الشايقية

« وما ساء الاهالي ايضاً وعلى اختصاص رؤساء الطرق تمييز المرغنية على سائر الطرق في السودان حتى كثّر أتباعهم وعظم جاههم وهذا وان لم يكن صريحاً من اصل الحكومة بمصر فهو مسبب عنها فان الحكام وأهل النفوذ من رؤساء الأقسام ليسوا من اهل السودان وعاداتهم في المأكّل والمشرب والملبس والمعاملات تختلف عن عادات اهل السودان فمالوا الى مخالطة المرغنية للمساكلة اولاً ولانتساب المرغنية الى مكة المشرفة ثانياً وبسبب ذلك مال اليهم عساكر الشايقية عموماً لتقريبهم من رجال الحكومة ودخلوا في سلّكهم حتى صار كل سر سوارى يهدي اليهم مرتبه ومرتب رجاله شهراً في كل سنة فازدادت بذلك صولة خلفاء المرغنية وصاروا يتناولون على رؤساء الطرق الاخرى بالشتم والاهانة فحقّدوا عليهم وعلى الحكومة التي كانت سبب في تعظيم شأنهم اه . »

فهذه الاسباب كلها مع انتظار جمهور المسلمين للمهدي كما بيناه قبل هي

تاريخ الثورة

التي حملت الأهلين على نصرة محمد أحمد والثورة معه على الحكومة ورجالها وكان رؤساء الطرق وتجار الرقيق من اكبر انصارها وأشد أيدنها ولم يبق في جانب الحكومة إلا الشايكية والمرغنية الذين وجهت الثورة ضدهم كما وجهت ضد الحكومة للأسباب التي قدمناها .

هذه هي أسباب الثورة وتعميمها وأما اسباب نجاحها فهي :

(١) استغفاف الحكومة بشأن محمد أحمد في بادئ الرأي . مع ان الامر الذي قام به ذو بال وقد كان في كل العصور سبباً لاراقة دماء كثيرة وخراب بلدان شتى .

(٢) ثورة عرابي في مصر : فانه عند قيام محمد أحمد في السودان قام ايضاً احمد عرابي في مصر فلم يثأت للحكومة ان تتفرغ لأم محمد أحمد وتجد السودان بالمساكر قبل انتهاء الثورة العرابية في مصر . ثم لم تلتزم هذه الثورة حق كانت الثورة المهدية قد عمت السودان كله واتسع الحرق على الراقع .

(٣) ضعف الحاميات العسكرية : فانه حين ظهور الثورة سنة ١٨٨١ م لم يكن في السودان كله مع اتساعه ووعورة مسالكه الا ٤٠٤٩٠ رجلاً موزعين على الحاميات كما يأتي :

١٩٥٠ في دنقلة	٨٠٠ في الجيزة	٣٤٧٠ في هرر
٢١٧٠ د بربر	٢٠٠ د القضارف	٥٨٣٠ د كردوفان
٧٤٧٠ د الخرطوم	٣٩٤٠ د كسلا	٤٨٦٣ د دارفور
٢٣٥٠ د سنار	٩٢٠ د اميديب	٨٨٦ د بحر الغزال
١٦١٠ د القلابات	١٩٠٠ د سنهيت	٢١٣١ د خط الاستواء
		٤٠٤٩٠ الجمة

وهذه الحاميات مع 'بعدها السحيق بعضها عن بعض لم تكن محصنة قبل الثورة ولما حصلت في أثناء الثورة كان في كل حصن منها غلطة دفاعية . ثم انه لم تكن حامياتها كلها من المساكر المنظمة بل كان بينهم كثير من الباشبوزق

وكلهم غير متمرنين على الحرب والقتال وقد تعودوا الترف والراحة في حين ان اهل السودان مطبوعون على الفروسية والشجاعة ومتعودون على الحرب والنزال وقد صدقوا المهدي وأحبوا الموت معه في سبيل الله .

(٤) تردد الحكومة : فان الحكومة لم تتخذ سياسة ثابتة نافذة في اخاد الثورة بل أظهرت احيانا التردد والارتباك في مكان الحزم والعزم ففقدت جميع حامياتها واحدة واحدة وعادت إلى حدودها بمصر كما سيجيء بالتفصيل . هذا ما كان من أسباب الثورة ونجاحها فلنتقدم الآن الى ذكر سيرة محمد احمد والاسباب التي حملته على الظهور بدعوى المهدية . ثم تتبع ذلك ذكر حوادث الثورة .

الفصل الثاني

في

بدء سيرة محمد احمد

وذكر الاسباب التي حملته على الظهور بدعوى المهدية

ولد محمد احمد هذا في جزيرة ضرار من اعمال دنقلة سنة ١٢٥٨ هـ ١٨٤٣ م او حواليها وامم أبيه عبد الله وأمه زينب . وهو ذرية رجل يسمى حاج شريف طال عمره جداً واشتهر بالصلاح والتقوى . وقبيلته من العرب المنتوبة وقد عرفت في دنقلة بصبر نُسِّي أي قبيلة صبر . وهو جد له أبعد من جدّه حاج شريف وعرفت ايضاً بالاشراف لأنها تدعي النسبة الى جدّه أبعد من صبر يُقال له نجم الدين . وهو جدّ الكنوز المدعي النسبة الى آل البيت . ولما ادعى محمد احمد المهدية على نسبه حتى أوصله الى الحسن السبط طبقاً لما تدوّن في الكتب من شرائط المهدي . وهذه هي سلسلة النسب التي ادّعاها لنفسه :

« محمد المهدي بن عبد الله بن فعل بن عبد الولي بن عبد الله بن محمد بن حاج شريف بن علي بن احمد بن علي بن حسب النبي بن صبر بن نصر بن عبد الكريم بن حسين بن عون الله بن نجم الدين بن عثمان بن موسى بن ابي العباس

ابن يونس بن عثمان بن يعقوب بن عبد القادر بن الحسن العسكري بن علوان بن عبد الباقي بن صخرة بن يعقوب بن الحسن السبط بن الامام علي بن ابي طالب ؑ .

وكان ابوہ نجاراً ماهراً في بناء المراكب والسواقي وقد ضاق به العيش في دنقلة فرحل بمائلته الى الخرطوم ومحمد احمد اذ ذاك طفل . وصار يتردد منها الى كرري مشغلاً بصناعته الى ان مات ودفن في كرري . وقد خلف بنتاً تسمى نور الشام واربعة ذكور وهم : محمد ومحمد احمد الذي فيه كلامنا وحامد وعبد الله الذي تركه حملاً في بطن أمه فولد بعد وفاته نسي باسمه على عادة اهل السودان من تسمية الولد الذي يكون بهذه المثابة باسم أبيه .

وقد تعلم اخوة محمد احمد صناعة والدم واشتغلوا بها وأما هو فانه مال بالفطرة الى الديانة والعلم كجده حاج شريف فدرس القرآن في مدرستي كروي والخرطوم . ثم اشتغل بدرس العلوم الفقهية فأخذ عن الشيخ الامين الصويلح في مسجد ود عيسى بالجزيرة ثم عن الشيخ محمد الخير في الغبش تجاه بربر فأتقن مبادئ النحو والتوحيد والفقه والتصوف واشتهر بين أقرانه منذ الصغر بالتعبد والتقوى بل بالترفض والزهد حتى قيل انه كان يمتنع عن أكل زاد استاذہ محمد الخير لأنه كان يجري عليه من الحكومة لقوله انه مال الظلم فكان اذا لم يأتہ الزاد من اهلہ اصطاد السمك من النيل وتقوّت به .

وبعد ان أتم ذروہ على محمد الخير مالت نفسه الى التصوف فذهب الى الشيخ محمد شريف حفيد الشيخ الطيب صاحب الطريقة السمانية وهو اذ ذاك مقيم عند قبر جدہ في أم مراحى وسأله الدخول في مصاف تلامذته وذلك في سنة ١٢٧٧ هـ ١٨٦١ م فأجابہ محمد شريف الى طلبه فأقام عنده متقطعاً الى الصلاة والعبادة وما لبث ان أظهر من التقشف والزهد ما ميزه عن سائر التلامذة حتى انه كان يشتغل في منزل سيده بما هو منوط بالعنيد والجوار من احتطاب واستقاء وطحن وطبخ وهو غير مكلف الى شيء من ذلك وكان كلما وقف للصلاة يبكي حتى يبلل الارض بدموعه واذا جلس امام شيخه

نكس رأسه ولم يرفع طرفه اليه إلا اذا كلمه فيرفع طرفه بأدب واحترام وأقام على ذلك سبع سنين . فلما رآه شيخه على هذه الحالة وأنه سالك طريق المريدين وتاهج منهج الصالحين مال اليه وأحبه وجعله شيخاً وأعطاه راية وأذن له في الذهاب حيث شاء لاعطاء اليهود وتسلية الطريقة . فذهب الى الخرطوم وتزوج بابنة عم له وأقام مع اخوته بيت طريقتهم بغيره وجد .

وفي سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٧١ م رحل اخوته الى جزيرة أبا لكثرة أشجارها الصالحة للمراكب فرحل معهم وبني في الجزيرة جامعاً للصلاة وخلوة للتدريس فاجتمع عليه سكان تلك الجزيرة وهم دغم وكنانة وغيرهم من عرب البادية وأخذوا العهد عنه ودخل بعضهم في تلمذته وفي جملتهم علي ود حلو الذي جعله بعد ادعائه المهدي خليفة الثاني . ولم يمض إلا القليل حتى اشتهر صيته وكثر أتباعه وكان استاذ محمد شريف قد انتقل الى القادربة قرب جبل أولي على النيل الابيض فكان يزوره في كل موسم وعيد لتقديم واجب الطاعة وقبل الدخول عليه يجعل الرماد على رأسه والشعبة في رقبته وفروة الضأن على صلبه تشبهاً بالمعد في حالة ذلته فكان محمد شريف يحمل الشعبة من رقبته والفروة عن صلبه ويلبسه أفخر الثياب فيقيم عنده أياماً ثم يعود الى مركزه في جزيرة أبا . وفي بعض زيارته حدثه عن خيرات البلاد التي رحل اليها وسهولة العيش فيها وزين له الإقامة في العراذيب بين أبا والكوة فانتقل اليها سنة ١٢٨٨ هـ ١٨٧٢ م وكانت العراذيب على خصبها خالية من السكان والزراعة فعمرها وأقام فيها على صفاء تام مع محمد احمد برهة ثم لم يلبث ان تكدر هذا الصفاء فصار جفاء ثم نفوراً ثم عداء .

وسبب ذلك فيما رواه الشيخ محمد شريف ان محمد احمد لما كثرت أنصاره ومريدوه كبرت نفسه وسؤل له شيطان الغرور انه أعظم من في الارض وانه المهدي المنتظر قال محمد شريف فأسرّ اليّ بدعواه ورغب ان أكون له وزيراً ومستشاراً فيجعل الامر كله في يدي وذلك سنة ١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م فزجرته ونهيته متراً ولم يثبته عقدت معه مجلساً في أبا جمعت اليه القضاة والنظار

وبعض الاخيار كبعد الرحمن اللبيح ناظر اللحوين واحمد جفون ناظر الشانخاب ويوسف ابي جمعة ناظر الجزائر ومحمد حسن قاضي الجهة وغيرهم من اكابر ابا وامرته بالرجوع عن ضلاله واشهدت الله ورسوله والحاضرين ابي ابن رجع شاطرته نصف ما ملكت يدي من مال وعقار فخرج من المجلس لمشاورة من معه من الأصحاب فلم يرجع . ومن ذلك الوقت نفيت من الطريقة وقلت لأصحابي ان يضربوه اذا جاءهم ونصحت لفاتمقام الكوة بوجوب القبض عليه وزجه في السجن خوفاً من تجسم الامر فلم يفعل وقال انه رجل صالح وصاحب الحضر فلا يمس به سوء . وللشيخ محمد شريف قصيدة طولها نظمها بإيعاز عبد القادر باشا سنة ١٢٩٩ هـ ١٨٨٢ م في تكذيب دعوى المهدي جاء فيها بحرقه :

على جبل السلطان في شاطئ البحر
فبايعته عهداً على النسي والأمر
وقد لازم الأذكار في السر والجر
فرقيته جهلاً بعاقبة الأمر
تمز على اهل التواضع في السير
ويعطي عطا من لا يخاف من الفقر
من الله لا زالت مدامعه تجري
وكم ختم القرآن في سنة الوتر
بها كان محبوباً لدى الناس في البر
وخادمنا عشرين عاماً من العمر
على ما مضى في سابق العلم بالشر
وشيطان انس وافقاء على الضر
وكم ساقط في الشر من ألم الفقر
فهذا مقام في الطريق لمن يدري
ومحسوبكم في الحب في عالم الذر
فأنت لك الكرسي ولي دول الغير

لقد جاءني في عام « زع » لموضع
يروم الصراط المستقيم على يدي
فقام على نهج الهداية خلصاً
وأفرغ في نهج الحماد جهده
أقام لدينا خادماً كل خدمة
كطحن وعوس واحتطاب وغيره
وكم صام كم صلى وكم قام كم تلا
وكم بضوء الليل كبر للضحى
لذلك سقي من منهل القوم شربة
وكان لدينا عيشه صدقاتنا
الى الخس والتسمين أدركه القضا
بصحبة شيطان من الجن ايس
ولا تنس داعي الاحتياج فثالث
فقال أنا المهدي فقلت له استقم
وخادعني بالقول كلمه ابنكم
فقم بي لنصر الدين نقتل من عصا

فقلت له دع ما نويت فانه
وقال له الشيطان بشر ولا تحف
وقد فهم القولين فهم أولى النهى
فقال أنا كالماء في الطبع بارد
وان يستخفوا بي وان يقتلونني
ومن ذلك النادي أبى وأبيته
واني أذنت للجيش ان يضربوه ان
وقد جاء للملثوب في سفهائه
وكان من الاسرى لديهم بناقة
وكنتم نصحت القيمقام بحبسه

وثالله شر قد يجر الى الخسر
فانك منصور على البر والبحر
ومال الى حب الرياسة والجبر
واما يسخن كان كالنار في الحر
فقبلي علي والحسين ولي أمري
وأفتيت فيه بالضلال وبالكفر
أناهم بما يهواه من واضح النكر
وقد رده الاتباع بالجبر والقهر
وراياته والجيش قد صار في البحر
فما جاءني من غير دغ صاحب الخضر

هذا الذي قاله الشيخ محمد شريف في سبب العداء بينه وبين محمد احمد وقد
أكده لي شفاهاً بعد فتح ام درمان سنة ١٨٩٨ م . ولكن أنصار محمد احمد
ينكرون هذا القول ويقولون ان اصل العداء هو انصراف الناس عن محمد
شريف وميلهم الى محمد احمد بالمعقيدة والاتباع . وقالوا في تفصيل ذلك ان
محمد شريف عند انتقاله الى المراديب رأى من عربان تلك الجهات إقبالاً على
محمد احمد لم ير مثله عليه فساءه ذلك جداً واخذ يعمل على الخفض من سطوة
محمد احمد فأقام له الشيخ رضوان احمد خلفائه ندأ في قوز الخلوب غربي أبا
وحت العربان على اتباعه فأنكر محمد احمد على شيخه هذا التحامل والجفاء
ووقع النفور بينه وبين الشيخ رضوان وسرى ذلك الى تلامذتها فصار كل فريق
يندد بالآخر ويحقد عليه وما زالت اسباب النفور تتزايد حتى اتصل الفريقان
الى الضرب والملاكمة وتغلب فريق الشيخ رضوان فهشموا جسم محمد احمد
وكسروا يد علي ود حلو فرفع محمد احمد الامر الى ناظر الكوة وكان فيها اذ
ذاك رحمة الدويهي فأحضر تلامذة الشيخ رضوان وزجهم في السجن فلما درى
محمد شريف بما كان أتى بالشيخ رضوان الى أبا وحمل محمد احمد على مصالحته
وتوسط عند ناظر الكوة فأخرج تلامذة الشيخ رضوان من السجن .

ومن ذلك الحين حقد محمد احمد على استاذة وذهب حبه واحترامه من قلبه فانكشفت له عيوبه وكان محمد شريف يقبل النساء في مجلسه ويسمح لهن بتقبيل يده فأخذ محمد احمد يندد عليه بذلك ويجاهر بأنه مخالف للشريعة والاسلام واحتفل الشيخ محمد شريف بختان بعض اولاده فدعا جمعا غفيرا من تلامذته وأذن لهم في الرقص والغناء وكان محمد احمد حاضرا فنهى اصحابه عن ذلك وقال ان الشريعة تمنع الرقص والغناء فليس في وسع احد ان يحيزهما ولو انه شيخ الطريقة وبلغ ذلك محمد شريف وكان قد بلغه تنديده عليه لقبوله النساء في مجلسه فاتخذ تطاوله هذا ذريعة لشفاء غليله منه فاستحضره ووبخه توبيخا شديدا وعما اسمه من الطريقة وقال له اذهب فقد صدق فيك المثل القائل « الدنقلوي شيطان مجلد يجلد انسان » .

وكان محمد احمد يحب الطريقة السمانية وأصولها وكان له خلفاء وتلامذة يلقبون اورادها ويقرأون روايتها فلم يكن أمر تركها واتباع غيرها من السهل عليه فتذلل لأستاذة وطلب العفو منه مرارا فلم يعف عنه .

وكان في الحلاويين بين المسلمية والكاملين على النيل الازرق شيخ من مشايخ هذه الطريقة يدعى الشيخ القرشي وقد أخذ الطريقة رأسا عن مؤسسها الشيخ الطيب وكان بينه وبين محمد شريف مناظرة شديدة فلما رأى محمد احمد من استاذة هذا الابهاء التجأ الى الشيخ القرشي وجدد عليه عهده ومشيخته فكتب محمد شريف الى الشيخ القرشي يعاتبه على قبوله محمد احمد فكتب إليه في الجواب « اني رأيت محمد احمد مستحقا ومنع المستحق ظلم » . وأذاع محمد احمد انه انفصل عن شيخه لأنه خالف الشريعة والسنة وكان قد حفر غاراً تحت الارض وسكن فيه فاشتهر صيته في السودان بالتقشف والزهد والغيرة الدينية وأخذ الناس يفدون اليه من الجهات الاربع وكان المسافرين في النيل يقفون بالمرائب والوابورات فيقدمون اليه الهدايا ويطلبون البركة فيباركهم ويوزع الهدايا على الفقراء زهداً وعفافاً .

وبقي الى ان توفي الشيخ القرشي وأواخر سنة ١٢٩٧ هـ ١٨٨٠ م فخرج هو

وتلامذته الى الحلاويين وشرع في بناء قبة فوق قبره . وكان الشيخ القرشي يحب محمد احمد ويثني عليه أمام أتباعه فاتخذوه بعد وفاة شيخهم شيخاً لهم وأشاعوا بأن وارث السلسلة الطيبية هو الشيخ القرشي فأورثها محمد احمد عند وفاته . ووافقهم على ذلك جلّ ذرية الشيخ الطيب لسابق كراهة بينهم وبين محمد شريف فقويت شوكة محمد احمد وكثر أنصاره وقد بالغوا في محبته وتعظيمه حتى قالوا ان في كتب طريقتهم نصاً ان المهدي يكون منهم وان الشيخ القرشي قبل وفاته أوماً بها الى محمد احمد فشكّلوا هذه المفردة في نفوسهم وصاروا يلوحون بها في أشعارهم .

هذا وكان من عادة محمد احمد ان يخرج سائحاً مع بعض أصحابه لانهذار الناس بطريقته ودعوتهم الى الله ثم يعود الى محل اقامته في جزيرة أبا . وقد جال في جميع البلاد من دنقلة الى سنار شمالاً وجنوباً ومن النيل الازرق الى كردوفان شرقاً وغرباً ورأى بعينه وجد الناس خاصتهم وعامتهم على الحكومة وشدة رغبتهم في التخلص منها حتى كان الكثير منهم يتبنون ظهور المهدي الموعود به لينقذهم من هذه الحال بل كانوا كلما رأوا رجلاً يفضلهم عقلاً ودراية وله الغيرة على الدين وأهله ظنّوه المهدي .

فلما رأى محمد احمد لهج القوم بأنه المهدي المنتظر وفكر في الاستعداد الذي عليه الأهلون لقبول المهدي ثم في الحالة التي صار اليها الاسلام في السودان على ما مثله له استاذة محمد شريف وغيره من رجال الدين وكانت نفسه مفضوعة على التشيع للدين والغيرة على الاسلام والمسلمين كما مرّ اندفع بحكم الضرورة والطبع الى الاخذ بلهج القوم والقيام بدعوى المهدية وعقد النية على ذلك .

وبينا هو في هذه الحال اذ وفد عليه عبد الله التعايشي المتقدم ذكره في تاريخ الزبير . قيل انه لما رآه وقع مغشياً عليه ولم يفق من غشيته إلا بعد ساعة او اكثر ولما أفاق عاد فنظر الى محمد احمد وتقدم لمصافحته فأغشى عليه مرة ثانية ثم أفاق وتقدم الى محمد احمد حبواً على الارض فأخذ يده وشرع

يقبلها وهو يرتعد ويبكي فقال له محمد احمد من انت يا رجل وما شأنك قال يا سيدي انا عبد الله بن محمد تورشين من قبيلة التمايشة البقارة وقد سمعت بصلاحك الى دار الغرب فجئت لأخذ الطريقة عنك . وكان لي اب صالح من أهل الكشف وقد قال لي قبل وفاته انك ستقابل المهدي وتكون وزيره وقد أخبرني بعلامات المهدي وصفاته فلما وقع نظري عليك رأيت فيك العلامات التي أخبرني بها والذي بعينها فابتهج قلبي لرؤية مهدي الله وخليفة رسوله ومن شدة الفرح الذي شملني أصابني الذي رأيته . فاستبشر محمد احمد بهذا القول ورقص له قلبه لأنه يرمي الى غرضه وبإيع التمايشي وقربه وجدّ في بناء القبة فأتمها بشهر وعاد بتلامذته ومعهم عبد الله التمايشي الى جزيرة أبا .

ومن ثم أخذ يفتش الكتب ويبحث عن كنه المهدي وصفاته وعلاماته وما تكون به نصرته ويطبق عليها صفاته . ولما استوفى غرضه شرع في إظهار دعواه فقام بها في بادئ الرأي سراً . وكان أول ما أسرها الى عبد الله التمايشي ثم الى تلامذته الاخصاء وعبيد الأمل فالأمثل وذلك في ربيع الثاني سنة ١٢٩٨ هـ مارس ١٨٨١ م .

ثم خرج بهم سائحاً الى دار الغرب وقد لبسوا كلهم لباس الدراويش المعتاد وهو الجبة المرقعة والسبحة والمكازر وابريق الفخار فمرّ باخوة عبد الله في دار الجمع وبأيعهم وذهب الى الأبيض فأسرّ دعواه الى أخصّ مشايخها وأعيانها قائلاً ان الله اصطفاه ليظهر البلاد من الظلم والفساد ولكنه قال ان وقت ظهوره لم يحن بعد . ثم قفل راجعاً الى جزيرة أبا ومرّ في طريقه بجبال تقلي والنوبة فأسرّ دعواه الى الملك آدم ود دباله ملك تقلي . وقد صرّح عبد الله التمايشي جلسائه في المحراب بعد تولّيه الخلافة انه لم يكن قصد محمد احمد من هذه السياحة استطلاع رأي الناس في دعواه فقط بل كان القصد منها ايضاً كشف البلاد التي تصلح للهيجان وشن الفارة بعد اشهار دعواه ويظهر انه من ذلك الحين اختار جبل قدير مركزاً لهجرته وقد صرّح به في كتبه فيما بعد . ولما عاد الى أبا شرع في دعوة الناس اليه سراً في الكتب وذلك في غرة

شعبان سنة ١٢٩٨ هـ ٢٩ يونيو سنة ١٨٨١ م فبدأ بمخاطبة اصحابه الأخصاء من الفقهاء والاعيان ومشايخ الطرق والقبائل فصرح لهم بدعواه وحشهم على القيام معه لنصرة الدين والهجرة من أماكنهم للانضمام اليه ومبايعته على الجهاد في سبيل الله قائلا : انه قد رأى النبي ﷺ بعيني رأسه يقظة ! فأجلسه على كرسيه وقلده سيفه وغسل قلبه بيده وملأه ايمانا وحكما ومعارف منيعة وأخبره بأنه الخليفة الاكبر والمهدي المنتظر. وان من شك في مهديته فقد كفر ومن حاربه خذل في الدارين . وما زال النبي ﷺ يظهر له مع الخضر والملاك جبرائيل فيوحي اليه الى يوم وفاته .

وقال في بعض كتبه : « اني لا أعلم بهذا الامر حتى هجم علي من الله ورسوله من غير استحقاق فأمره مطاع وهو يفعل ما يشاء ويختار... » وقد أمرني سيد الوجود ﷺ بكتابة المسلمين ودعوتهم الى الهجرة معنا الى محل يكون فيه قوام الدين واصلاح امر الدارين » ... « فلازم تحضروا معنا في رمضان ولا تتخلفوا فيعمل بكم الحسran في الدارين » ... وهذه صورة بعض كتبه التي نشرها في أوائل دعوته :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الولي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

« وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى أحبائه في الله المؤمنين بالله وبكتابه . اما بعد فلا يخفى تغير الزمن وترك السنن ولا يرضى بذلك ذوو الايمان والفقطن بل أحق ان يترك لذلك الاوطار والوطن لإقامة الدين والسنن ولا يتوانى عن ذلك عاقل لأن غيرة الاسلام للمؤمن تجبره . ثم أحبائي كما أراد الله في أزله وقضائه تفضل على عبده الحقير الذليل بالخلافة الكبرى من الله ورسوله . وأخبرني سيد الوجود ﷺ بأني المهدي المنتظر وخلفني عليه الصلاة والسلام بالجلوس على كرسيه مراراً بحضرة الخلفاء الاربعة والاقطاب والخضر عليه السلام وأيدني الله تعالى بالملائكة المقربين وبالأولياء الأحياء والميتين من لدن آدم الى زماننا هذا وكذلك المؤمنون من الجن وفي

ساعة الحرب يحضر معهم امام جيشي سيد الوجود عليه السلام بذاته الكريمة وكذلك الخلفاء الاربعة والاقطاب والخضر عليه السلام وأعطاني سيف النصر من حضرته عليه السلام وأعلمت انه لا ينصر عليّ معه احد ولو كان الثقليين الانس والجن . ثم أخبرني سيد الوجود عليه السلام بأن الله جعل لك على المهدي علامة وهي الخال على خدي الأيمن . وكذلك جعل لي علامة اخرى تخرج راية من نور وتكون معي في حالة الحرب يحملها عزرائيل عليه السلام فيثبت الله بها اصحابي وينزل الرعب في قلوب أعدائي فلا يلقاتني احد بعداوة الا خذله الله . ثم قال لي عليه السلام انك مخلوق من نور عنان قلبي فمن له سعادة صدق بأني المهدي المنتظر ولكن الله جعل في قلوب الذين يحبون الجاه النفاق فلا يصدقون حرصاً على جاههم قال عليه السلام : حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل . وجاء في الاثر : اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم . وجاء في بعض كتبه القديمة : لا تسأل عني عالماً أسكره حب الدنيا فيصدك عن طريق محبي فأولئك قطاع الطريق على عبادي . ولما حصل لي يا أحبابي من الله ورسوله أمر الخلافة الكبرى أمرني سيد الوجود عليه السلام بالهجرة الى مائة مجل قدير . وأمرني ان أكتب بها جميع المكلفين امرأ عاماً فكانت بنا بذلك الأمراء ومشايخ الدين فأنكر الاشقياء وصدق الصديقون الذين لا يبالون في مسا لقوه في الله من المكروه وما فاتهم من المحبوب المشتى بل هم ناظرون الى وعده سبحانه وتعالى بقوله : تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين . وحيث ان الامر لله والمهدي أرادها الله لعبده الفقير الحقير الذليل محمد المهدي بن عبد الله فيجب بذلك التصديق لإرادة الله وقد اجتمع السلف والخلف في تفويض العلم لله فعلمه سبحانه لا يتقيد بضبط القوانين ولا بعلم المتفنين بل يحكي الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب . قال تعالى : ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ولا يسأل عما يفعل ويخلق ما يشاء ويختار يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم . وقد قال الشيخ محيي الدين بن العربي في تفسيره

على القرآن العظيم : علم المهدي كعلم الساعة والساعة لا يعلم وقت مجيئها على الحقيقة الا الله . وقال الشيخ احمد بن ادريس : كذبت في المهدي اربعة عشر نسخة من نسخ اهل الله ثم قال : يخرج من جهة لا يعرفونها وعلى حال ينكرونه . وهذا لا يخفى عليكم ان التأليفات الواردة في المهدي منها الآثار وكشف الأولياء وغير ذلك فيختلف كل منها كما علمت من انه يحو الله ما يشاء .. الآية .. ومنها الاحاديث فمنها الضعيف والمقطوع والمنسوخ والموضوع بل الحديث الضعيف ينسخه الصحيح والصحيح ينسخ بعضه بعضاً كما ان الآيات تنسخها الآيات وحقيقة ذلك على ما هي عليه لا يعرفها الا اهل المشاهدة والبصائر . هذا وقد أخبرني سيد الوجود عليه السلام بأن من شك في مهديتك فقد كفر بالله ورسوله كررها عليه السلام ثلاث مرات وجميع ما أخبرتكم به من خلافتي على المهدي الخ ... فقد أخبرني به سيد الوجود عليه السلام بقظة في حال الصحة وأنا خالٍ من الموانع الشرعية لا بنوم ولا جذب ولا سكر ولا جنون بل متصف بصفات العقل أفقر اثر رسول الله عليه السلام بالامر فيما أمر به والنهي عما نهى عنه . والهجرة المذكورة بالدين واجبة كتاباً وسنة . قال تعالى : يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحبيكم . وقال عليه السلام : من فرّ بدينه من ارض الى ارض وإن كان شبراً من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابيه خليل الله ابراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام والى غير ذلك من الآيات والاحاديث وإجابة داعي الله واجبة . قال تعالى : واتبع سبيل من أتاب إلي . فاذا فهمتم ذلك فقد أمرنا جميع المكلفين بالهجرة النسا لأجل الجهاد في سبيل الله او الى أقرب بلاد منكم لقوله تعالى : قاتلوا الذين يلونكم من الكفار فمن تحلف عن ذلك دخل في وعيد قوله تعالى : قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم الخ ... وقوله تعالى : يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اننا قلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، الخ ... الآيتين . فاذا فهمتم ذلك فلهوا للجهاد في سبيله ولا تحافوا من احد غير الله لأن خوف المخلوق من غير الله يعدم الايمان بالله والعياذ بالله من ذلك

تاريخ الشيعة

قال تعالى : فلا تخشوا الناس واخشوني وقال تعالى : والله أحق أن تخشوه لا سيما وقد وعد الله في كتابه العزيز بنصر من ينصر دينه قال تعالى : إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم وقال تعالى : ألا تنصروه فقد نصره الله وحيث إن لم تجيبوا داعي الله وتبادروا لإقامة دين الله تازمكم العقوبة عند الله تعالى لأنكم أدلة الخلق وأزمتها فمن كان مهتماً بإيمانه شقيقاً بدينه حريصاً على امر ربه أجاب الدعوة واجتمع مع من ينصر دينه . وليكن معلومكم اني من نسل رسول الله ﷺ فأبي حسني من جهة أبيه وأمه وأمي كذلك من جهة أمها وأبها عباسي والعلم لله ان لي نسبة الى الحسين . وهذه المعاني الحسان تكفي لمن أدركه الله بالايان فلا عبرة لمن يراها ولم يصدق بها هذا والسلام اه .

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

« وبعد جزيل السلام الى عزيز المقام حبيبنا ذي الاكرام الاستاذ خليفة جدنا الشيخ محمد الطيب البصير وقاه الله من كل التكدير . لا يخفى عزيز علمكم ان من كان لله وخرج من حظه وهاجر الى الله لا يخشى من شيء ولا يخاف من احد فانه منصور مضمون رزقه وموقي من شرور الخلائق بالوعد الصادق الذي لا يشك فيه إلا منافق وحيث انك النائب عنا وكنفسنا في جميع الامور ولازم تشجع الأهل الى الهجرة الينا وجميع من لم يصلنا فليبايعك وقد جعلت مبايعتك مبايعتي وانت الامين على حقوق الله تعالى ولازم ترهد المحبين عن الاوطان والأموال فان الدنيا غرور وما للعبد إلا الأعمال الموافقة للكتاب والسنة ومن لم يمتد على ذلك بشق الأنفس في هذه الأيام القربة الزوال خسر الدارين ولا تنفعه الأوطان والأموال بل تبقى عليه الحسرة والندامة . ومن البشائر التي حصلت لنا بعدك انه حصلت لنا حضرة نبوية حاضر عليها محبنا الفقيه عيسى فيأتي ﷺ ويجلس معي ويقول للاخ المذكور شيخك هو المهدي فيقول اني مؤمن بذلك فيقول ﷺ من لم يصدق بمهديته كفر بالله ورسوله

قالها ثلاث مرات ثم يقول له الاخ المذكور يا سيدي يا رسول الله الناس من العلماء يستهزئون بنا والخشية ايضاً من الترك فيقول ﷺ والله والله والله ان قوتي تقينكم ان اشرتم بأدنى قشة تنقضي حاجتكم . ثم يقول الشيخ عبد الله يا سيدي الشيخ الطيب نحن مصدقون بمهدية شيخنا والناس ليسوا مصدقين فيقول الشيخ الطيب ان شيخك حين ولادته عرفته اجل الباطن والحقيقة انه المهدي فلما أتم اربعين يوماً عرفته الجمادات والنباتات بأنه المهدي ثم يقول الشيخ الطيب الطريقة فيها الذل والانكسار وقلة الطعام وقلة الشراب والصبر وزيارة السادات فتلك ستة والمهدية فيها ايضاً ستة الحرب والحزم والعزم والتوكل والاعتماد على الله تعالى واتفاق القول فهذه الاثنتا عشرة لم تجتمع لأحد إلا لك ويقول عظم قومك ولا تكن فيهم ثلاث خصال الحسد والكذب وترك الصلاة ومن كان متصفاً بواحدة من هذه الثلاث اتصف بالآخرين . ثم يقول وحين قدومك الى «قدير» ليكون النساء متسترات ولا يتكشفن كالبقارة وحين تكون بين كردوفان وتقلي عظم القوم بأجمعهم فمن كان سائراً الى الله بلا علة فليمش معكم ومن كان سائراً لعله لا يمش معكم ولازم . تصلوا الى المسك آدم بيئة حسنة مع ترتيب الازكار فلما تصلوا «قدير» لازم تنفي عن قومك الصفات الثلاث ولا يدخل معكم من كان فيه احد اليهن . ثم يأتي الشيخ التوم ويقرأ علي السلام بالمهدية ويقول اجتهد على قومك ان يكون الكبير أبا والصغير ولداً والمساوي أخاً وفي رمضان ادخل خلوة الاربعين فتبين فيها دسائس وغوامض . ثم يأتي جدنا الشيخ البصير ويقرأ علي السلام بالمهدية ويتكلم بكلام المفهوم منه انه قال اشد الحزام على سنة النبي العذات . ثم يأتي الشيخ القرشي فيقرأ علي السلام بالمهدية ويتكلم بكلام مفهوم منه انه يقول كن ذاكرًا ولمن معك سائرًا فيقول الشيخ عبد الله يا سيدي الناس منكرون في مهديّة شيخنا فيقول ان النبي ﷺ أعلمني قبل مماتي ان شيخك هو المهدي بذاته وكان أعلمني الشيخ الطيب قبل مماته وقال انك تدرك المهدي وتلاقيه وهو شيخك بعينه . ثم يأتي النبي ﷺ ومعه الشيخ عبد القادر الجيلاني

تأريخ السيرة

لابس جبة وعليها سيور فيقول الشيخ عبد الله يا سيدي يا رسول الله الناس منكرون بالجبة ويتمفقون عنها أمي سنة واردة أم لا فيقول ﷺ في الانسان نفسه رقع فرأسه رقعة زرقاء وباطن شفتيه رقعة حمراء وأسنانه رقعة بيضاء وأظفاره رقعة صفراء ويقول ﷺ الرقع اربعة بيضاء وحمراء وزرقاء وصفراء ويقول ﷺ لولا اني خشيت عليك ان يكون مفشياً عليك لأريتك حبيب الخلفاء الاربعة ويأمر ﷺ عزرائيل عليه السلام ويقول من هذه الليلة اصحب المهدي لا تفارقه ويقول ﷺ للخضر عليه السلام من هذه الليلة اصحب المهدي وكن في قومه وهذه الليلة المذكورة التي حصلت فيها هذه الحضرة المباركة غرة شعبان ليلة الاربعاء ثم تلى لنا جميع الاحوال الى دخول مكة ومنازعة أهلها ومبايعة الضعفاء والقربا اولاً ثم مبايعة الشريف ملك مكة وجميع أشرافها معه الى هذا كفاية والسلام غرة شعبان سنة ١٢٩٨ هـ ٢٩ يونيو سنة ١٨٨١ م اهـ .

وتاريخ هذا الكتاب هو تاريخ اشهار دعواه في الكتب وعمره اذ ذاك دون الاربعين سنة . وكان يدعى اولاً بمحمد احمد بتركيب الاسمين ثم قال أمرني سيد الوجود ﷺ بالاختصار على الجزء الاول أعني محمداً وتغيير اسمي بمحمد المهدي فانه ﷺ قال في بعض حضراته اني كنت أسمى محمداً فلما بلغت الرسالة والنبوة سميت رسول الله ونيي الله كذلك انت كنت تسمى محمد احمد فلما حصلت لك المهديّة يقال لك المهدي وسنطلق هذا الاسم بعد الآن . وقد كان له خواتم يختم بها كتبه ومنشوراته وآخرها خاتم منقوش فيه ثلاثة أسطر بهيئة مربع هكذا : لا إله إلا الله سطر . محمد رسول الله سطر . محمد المهدي ابن عبد الله سطر سنة ١٣٠٢ هـ .

الفصل الثالث

في

وقائع المهدي في جزيرة أبا

دعوة المهدي الى الخرطوم : هذا وكان محمد شريف قد أبلغ رؤوف باشا حاكم السودان بالذي عليه محمد احمد وحذره من عاقبة الاممال ولكن رؤوف باشا حل ذلك على ما بينها من العداء فلم يهتم للامر حتى اشتهر امر المنشورات ووقع بعضها في يده فكتب الى محمد احمد يسأله عما نسب اليه من توزيع تلك المنشورات وقد انتحل له عذراً بقوله : لعل بعض العداء كتب هذه المنشورات ونسبها اليكم فأجابه محمد احمد ان هذه المنشورات هي منه لا من غيره وانه هو المهدي المنتظر وهذه صورة الكتاب بحرفه :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

ويعبد فمن عبد ربه محمد المهدي ابن السيد عبد الله الى الحكماء (بالخرطوم) .

ويعبد فعلى مقتضى المكاتبه فالامر المطلوب كشفه ان دعائي الخلق على تقويم السنة والهجرة بالدين مما عليه الطبائع الزمنية أمر من سيد الوجود ﷺ

والاعلام بأني المهدي المنتظر من سيد الوجود ﷺ مراراً عديدة مع الهواتف الإلهية وعلامات أخبر بها سيد الوجود ﷺ فمن تبع صار من المقربين الفائزين ومن خالف خذله الله في الدارين وصدّه بقوته التي يمجز عن معارضتها جميع المالمين وأما المواعظ للمؤمنين فهي مبينة فمن لم يصدق طهره السيف وليكن المعلوم انه أتاني من الحضرتين النبوة وحضرة الاقطاب سيف وأعلت انه لا ينصر عليّ معه احد ومن أتانا بالعداوة يأخذه الله إما بالخسف او بالفرق وذلك إعلام منه ﷺ وكل ذلك لم أعمل فيه بشيء من نفسي ولا لغرضي وإنما هو من الله والى الله ومعلوم قوله تعالى : إن تنصروا الله ينصركم .. الآية . وقوله ﷺ : احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك والى غير ذلك من الأدلة الظاهرية والباطنية وفي ما ذكرته كفاية يكتفي بها اهل العناية والسلام سنة ١٢٩٨ هـ ، اه .

فجمع رؤوف باشا العلماء وأطلعهم على كتاب محمد احمد ومنشوراته وسألهم رأيهم فيها فالتمس له بعضهم عذراً في انه قد حصل له جذب سماوي من انعكافه على الزهد والعبادة ولكنهم حكوا جميعاً بوجود القبض عليه وتلافي الامر قبل اتساع الخرق . فندب رؤوف باشا لهذا الامر احد معاونيه محمد بك ابا السعود (المتقدم ذكره في فتح الاستواء) . وكان اذ ذاك من معاوني الحكمدارية فسار على باخرة الى أبا فوصلها يوم الاحد ١١ رمضان سنة ١٢٩٨ هـ ٧ اوغسطس سنة ١٨٨١ م فوجد محمد احمد في الفسار جالساً وحوله جمهور من تلامذته فسلم عليه وقال ان حكمدار السودان بلغه أمر الدعوى التي قتت بها وأرسلني لآتي بك اليه بمدينة الخرطوم وهو ولي الامر الذي تجب طاعته . فأجابه محمد احمد : أما ما طلبته من الوصول معك الى الخرطوم فهذا مما لا سبيل اليه وأنا ولي الامر الذي تجب طاعته على جميع الأمة الحمدية . ثم شرع في تقديم الأدلة على انه المهدي المنتظر فأغلظ له ابو السعود في الجواب وقال له ارجع عن هذه الدعوى فانك لا تطيق حرب الحكومة ولا نرى معك من يقاتلها فأجابه محمد احمد وهو يتسم : أنا أقاتلكم

بهؤلاء وأشار الى أصحابه ثم التفت اليهم وقال : أنتم راضون بالموت في سبيل الله ؟ فقالوا كلهم : نعم راضون بالموت في سبيل الله وبإذنون أرواحنا في رضى الله ورسوله ومهديه فالتفت الى ابي السعود وقال له : قد سمعت ما أجابوا به فارجع الى وليّ أمرك في الخرطوم واخبره بما رأيت وسمعت . فلما رأى ابو السعود صدق عزم محمد احمد وأعوانه على نصرة دعواهم وان النصح لا ينجع فيهم عاد مسرعاً الى الخرطوم وقصّ على رؤوف باشا ما رآه وسمعه .

واقعة أبا في ١٢ اوغسطس سنة ١٨٨١ م : فجهز رؤوف باشا بلوكين من العساكر جعل على كل بلوك صاغاً ومدفعاً وأرسلهم مع ابي السعود على الباخرة للقبض على محمد احمد وأنصاره . وكان محمد احمد عند ذهاب ابي السعود قد جمع أصحابه وقال لهم : « ايها الناس ان الترك رجعوا لطلب المدد وسيعودون الى حربنا فمن كان منكم خائفاً على اولاده وأمواله فليخرج منا فنحن سامحون له وبيعتنا التي في أعناقكم ليس عليكم فيها حرج فان سلنا فعودوا الينا وإلا فقد أحرزتم أبناءكم وأموالكم » فقالوا جميعاً بلسان واحد « يا سيدنا نحن بايعناك على الموت ورضينا بذلك ولا نرغب بنفسنا عن نفسك بل نحن معك حيثما توجهت فمر بما شئت فنحن لك سامعون ولأمرك مطيعون يا خليفة رسول الله » فدعا لهم .

ثم أرسل الى القبائل التي حول الجزيرة يستنفرها الى الجهاد فاجتمع عنده ٣٥٠ رجلاً وفيهم تلامذته . ولما كانت ليلة الجمعة الواقع في ١٦ رمضان سنة ١٢٩٨ هـ ١٢ اوغسطس سنة ١٨٨١ م بلغ محمد احمد ان العساكر حضرت بالباخرة للقبض عليه فأمر رجاله بالاستعداد للحرب وان يكون على كل عشرة منهم مقدم وفي فجر يوم الجمعة المذكور وصلت الباخرة بالعساكر فرست تجاه الحلة وخرج العساكر منها وساروا نحو الحلة على غير انتظام فانه عند وصول اولهم الى قرب الحلة كان آخرهم لم يزل عند الباخرة . قيل وسبب ذلك انه وقع خلاف بين ضابطي البلوكين فان كلا منها ادعى انه المقدم والرئيس فكان الواحد منها يأمر العساكر بشيء والاخر بغيره فاختلف نظامهم .

وأما محمد أحمد فانه لما رآهم مقبلين أخذ سيفه من المسجد وخرج برجاله من الحلة وكمن لهم بين الأشجار في الجهة الشرقية منها فلما رآهم العساكر ابتدروهم بالرصاص فحملوا عليهم حملة رجل واحد فاختلفوا بهم وأعملوا فيهم السيف والحرية وكان محل الواقعة وحلاً لكونه قريب عهد بنزول المطر عليه فما استطاعت العساكر الفرار ففتك بهم أنصار محمد أحمد ولم ينج منه إلا الهاربون المسرعون وقليل ما هم . وقد أصابت محمد أحمد رصاصة في كتفه اليمنى فجرح جرحاً بليفاً حتى اختضب جسده بالدم وكان عبد الله التعايشي واقفاً عن يمينه فأخذ ثوباً وطرحه على الجرح لئلا يراه الانصار فيقتلوا . وقد قتل العساكر أنصار محمد أحمد ١٢ رجلاً فحملوا الى غاره ودفنوه فيه . أما قتلى العساكر فتركوا في العراء وجمع المهدي سلاحهم ووزعه على أنصاره وكان ابو السعود لم يزل في الباخرة فعاد بها وبمن نجا من العساكر الى الخرطوم . وقد سميت هذه الواقعة « بواقعة أبا » وانتشر خبرها في جميع أنحاء السودان بغلو كثير وعدها البسطاء من الاعاجيب السماوية والكرامات العظمى التي «خص» محمد أحمد بها .

الفصل الرابع

في

وقائع المهدي في جبل قدير

هجرة المهدي الى جبل قدير : وعلم محمد احمد ان الحكومة لا تتفاضى عنه بعد الآن ولا بد لها من تجريد الجيوش للانتقام منه فجمع أصحابه في عشية يوم الواقعة وقال لهم : ان سيد الوجود عليه السلام أمرنا بالهجرة الى جبل ماسه بلصق جبل قدير ، ولم يكن بلصق قدير جبل بهذا الاسم ولكنه اختلق هذا الاسم لحجر عظيم يجانب الجبل طبعا لبعض الأحاديث من ان المهدي المنتظر تكون هجرته الى جبل ماسه كما مر فوافقه أصحابه على ذلك وكانت عندهم بعض المراكب فاجتازوا بها النيل الى القرب بما معهم من النساء والأولاد والأمتعة وساروا قاصدين نجبل قدير .

مطاردة محمد سعيد باشا للمهدي : أما رؤوف باشا فانه عند رجوعه الى السودان بالباخرة من أبا اهتم للأمر وسير القائمقام علي بك لطفي الى الكوة بخمسمائة رجل من العساكر المنظمة والباشبورق وأرسل ثلغرافا الى محمد سعيد باشا مدير كردوفان فوافاه اليها بألف من العساكر المنظمة وثلاثمائة من الباشبورق وكان من رأي سعيد باشا مطاردة محمد احمد قبل فوات الفرصة ولكن رؤوف

باشا لم يأذن له في ذلك وأمره فأخذ بعض العساكر وذهب بها الى أبا ليتحقق فراغ الجزيرة من المهدي وانصاره ويقف على تفاصيل الواقعة . وقد رأيت في مصر بعض العساكر الذين صعبوا سعيد باشا الى أبا فقـال: : ذهبنا الى محل الواقعة فوجدناه مستوحلاً وغاصاً بشجر الاراك وكان قتلى العساكر لا يزالون في العراء وقد دلت جراحهم على انهم قتلوا بالسيوف والحرايب ولكن وجد بعضهم مقتول بالرصاص مما دلّ على اختلال نظام العساكر وقتلهم بعضهم بعضاً لأن أنصار المهدي لم يكن معهم سلاح ثاري فدقنا القتلى وجئنا الى غار المهدي الذي هو أشبه بسرّاب تحت الارض فوجدنا قتلى الدراويش قد دفنوا فيه بتيابهم . ثم دخلنا منزل محمد احمد فوجدنا فيه عدة كتب من مشايخ الطرق والقبائل جواباً على كتبه لهم وأكثرهم مسلمون بدعواه ويعدون بالقيام معه حين ظهوره إلا الشيخ حمد النيل شيخ العراقيين في أبي حراز والشيخ محمد السقا في الخرطوم والشيخ احمد الكنافي في الابيض فانهم في أجوبتهم يسفون رأيه ويقولون « إن المهدي عند ظهوره يظهر كالشمس فان كنت قائماً فاصح ، فأحرق سعيد باشا الحلة وعاد الى الكوة فاستأذن رؤوف باشا ولحق بمحمد احمد حتى وصل محلاً يدعى أبا شجيرات ومحمد احمد اذ ذاك قريب منه في جبل الكُمر فنزل مطر غزير حبسها على السير أياماً وكان سعيد باشا قد فرغ زاده واستخف أمر محمد احمد ولم يخطر بباله انه سوف يحصره في عاصمته أشهراً ثم يأمره ويقتله بعد ان يريه العذاب ألواناً فقرّر رأيه على الرجوع عنه وعاد الى الابيض في اول القعدة سنة ١٢٩٨ هـ ٢٥ سبتمبر ١٨٨١ م .

واقعة المختار ٢٤ اكتوبر سنة ١٨٨١ م : واستطرد محمد احمد السير نحو جبل قدير وهو يدعو الناس من عرب وعجم الى طاعته حتى وصل الى جبل الجراة وهو جبل حصين يسكنه اخلاط من العرب والنوبة السود وعليه ملك يسمى المختار فتصدى للمهدي وحاربه فتغلب المهدي عليه وقتله وعرفت الواقعة « بواقعة المختار » وتاريخها سلخ ذي القعدة سنة ١٢٩٨ هـ ٢٤ اكتوبر سنة

١٨٨١ م .

تاريخ النبوة

وسار المهدي حتى وصل جبل قدير يوم الاثنين في ٧ الحجة سنة ١٢٩٨ هـ ٣١ اكتوبر سنة ١٨٨١ م وكان على ذلك الجبل ملك يسمى ناصراً فقابلته بالبشر والسرور وأنزله على الرحب والسعة . وأمر محمد احمد اصحابه فبنوا مسجداً للصلاة ومنازل للسكنى وكانوا في تعب شديد بما لاقوه في الطريق من الأمطار والوحول والمحن فأصابتهم الحمى وساءت حالهم جداً .

واقعة راشد بك ٩ ديسمبر سنة ١٨٨١ : وبلغ راشد بك مدير فاشودة في ذلك الحين ان المهدي استقر في جبل قدير على خمسة ايام منه فاستأذن رؤوف باشا في مهاجته فلم يأذن له . ثم أتاه مخبر من قدير وقال له ان المهدي في ضيق شديد وقد فشت الحمى في اصحابه فصمم راشد بك على مهاجته بلا استئذان وجهاز ٤٠٠ من العساكر المنظمة وألفاً من الشك وعليلهم ملكهم وزحف بهم قاصداً « قديراً » وقد بذل قصارى الجهد في كتمان سيرة بقصد مباغته المهدي المجهوم ولكن رأته امرأة كنانية تدعى رابحة قرب جبل قدير فقامت مسرعة حتى وصلت محمد احمد في الثالث الاخير من ليلة الخميس ١٦ محرم سنة ١٢٩٩ هـ ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٨١ م وأخبرته بسيرة اليه . فجمع محمد احمد اصحابه وكانوا قد بلغوا بعد واقعة أبا ٨٠٠٠ رجل وخرج بهم الى غابة بالقرب من جبل قدير وهي طريق الجبل الوحيدة وهناك صفهم راية راية ووقف بينهم خطيباً فحرضهم على الجهاد ورغبهم في ما أعدّه الله للجهاديين وصبر حتى دخل راشد بك الغابة برجاله وكان ذلك يوم الجمعة في ٩ ديسمبر سنة ١٨٨١ م عند طلوع الشمس فأمر اصحابه فحملوا على راشد ورجالهم حملة رجل واحد قبل ان ينتظموا قلعة فقتلهم باطلاق الرصاص فصر اصحاب محمد احمد على ناره ثم هاجوم بحزم وصدق نية فدخلوا بينهم وقتلهم ثم قتل ولم ينج منهم إلا القليل وقد قتل راشد بك وأسر ١١١ من رجاله وغنم محمد احمد ما كان معه من المال والاسلحة والذخائر والزاد فتقوى بها .

وقد عرفت هذه الواقعة «بواقعة راشد» وانتشر خبرها في أقطار السودان الاربعة وشاع ان المهدي يحارب بسيف القدرة وانه يحول رصاص العساكر

الى ماء فلا تضره بأنصاره وان النار خرجت من حراب الانصار وسيوفهم فأحرقت أجسام العساكر وروى بعضهم انهم رأوا بأعينهم اسم المهدي مكتوباً على ورق الشجر وبيض الطيور في البرية . وكان محمد اجدد بعد استقراره في قدير قد أرسل البعث الى كل الجهات فأخذ الناس يقدون اليه من سنار وكردوفان ودارفور ومن كل فج .

ولاية عبد القادر باشا حلبي ١٢٩٩ : ١٣٠٠ هـ - ١٨٨٢ : ١٨٨٣ م

وكالة جيكلر باشا ١٨٨٢ م :

ولما بلغ رؤوف باشا خبر راشد بك راعه الخبر وشرع في تجنيد عساكر باشبوزق من الشايكية والدناقلة وخاف على فاشودة من المهدي فأرسل اليها قوة من العساكر بقيادة جيكلر باشا (رئيس مصلحة التلغرافات السودانية) وبعث في طلب المدد من مصر .

وكانت الحكومة في مصر لم تزل مشغولة بالثورة العرابية ولم يسعها امداد السودان بالعساكر فرأت ان تبعث اليه يوال مدبر حازم يتمكن من إطفاء الثورة بما لديه من العساكر فعزلت رؤوف باشا فبرح الخرطوم في أوائل مارس سنة ١٨٨٢ م وندبت لهذا العمل الهام البطل المدرب والسياسي المختك عبد القادر باشا حلبي ولكن دعت الضرورة الى تأخيريه بمصر فبقي فيها الى أوائل مايو من تلك السنة .

واقعة الشاذلي في ٢٩ مايو سنة ١٨٨٢ م : وفي هذه الاثناء قام بأعباء الاعمال بالنيابة عنه جيكلر باشا فأرسل الى مصر رسالة برقية يلح فيها على الحكومة ان تأذن له في تجهيز حملة قوية لسحق المهدي في قدير قبل استفحال أمره فأذنت له . وقد اتصل بي ان عبد القادر باشا عارض الحكومة في ذلك وألح على ترك المهدي وشأنه الى ما بعد وصوله الخرطوم فينظر في أمره فلم يسمع له . فحشد جيكلر جيشاً في الكوة مؤلفاً من ١٣ بلوكاً من العساكر



عبد القادر باشا حلمي

النظامية و ١٥٠٠ رجل من الباشبوزق والخطرية من عساكر الخراطوم وسنار والابيض وعقد لواءه ليوسف باشا الشلاي المتقدم ذكره مع جسي في بحر الغزال وكان على باشبوزق الابيض عبد الله محمد دفع الله وعبد الهادي صبر من أعيانها وسلطان كنجارة وسلطان المسبعات وكلهم من الابطال المعدودين .

وفي أواسط مايو سار يوسف باشا الشلاي يبيشه من الكوة قاصداً قديراً عن طريق فاشودة وعلم المهدي بقدمه بمن هاجروا اليه من جزيرة سنار وأرسل طلائفه الى قرب فاشودة فتكاثروا يحتالون حتى يدخلوا الجيش ويتجسوه فيعودوا اليه بالخبر بكل يوم .

وأرسل يوسف باشا كتاباً الى المهدي يدعوه الى التسليم وحقق الدماء فكتب اليه المهدي في الجواب ما تذكره بالحرف الواحد ليغلم منه ما صار اليه محمد احمد من الجرأة والاستخفاف بالحكومة وعساكرها وهذه هي صورة الجواب :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المنتقم القهار والصلاة على سيدنا محمد وآله الأخيار . من الفقير المعتمد بمولاه محمد المهدي ابن السيد عبدالله الى يوسف حسن الشلاي ومن معه من الجموع .

« أما بعد فانه وصل الينا جوابكم وما ذكرتم فيه من وقوفكم على مكاتبتنا وانكاركم صار معلوماً لدينا وكنا قصدنا ان نضرب عن افادتكم صفحاً ونطوي دون اجابتكم كشحاً لوقوفكم على الانذار ومجاهرتكم بالانكار لكن أردنا ان نبين لكم غلطكم في ما ذكرتموه في جميع المواضع ونوضح لكم خطأكم في ما ادعيتموه بالبراهين السواطع فنقول أما قولكم أنا قتلنا العساكر غدراً في الوقعتين قبل ان يحاربونا فهذا كذب صريح لأنهم في الوقعتين ابتدأونا بالحاربة والضرب بالسلاح حتى حاربناهم وقتلناهم . وقولكم ان الحكومة أرسلتهم ليقفوا على ما عندنا من الأدلة باطل ضرورة لأن الحكومة لو أرادت المراجعة والاطلاع على ما عندنا من البراهين لأرسلت للصلحاء والعلماء أهل المذاكرة والدراية بهذا الشأن ولم ترسل العساكر الأغبياء وتعطيهم الأسلحة . وقولكم أنا قتلنا جملة من

المسلمين المتوطنين بهذا المكان ظلماً وعدواناً باطل أيضاً لأننا ما قتلنا إلا أهل الجوراء بمعد ان كذبوا وحازبوا. وقد أخبرنا النبي ﷺ وأخبر جميع أهل الكشف بأن من شك في مهادنتنا وأنكر وخالف فهو كافر ودمه هدر وماله غنيمة فحاربناهم لأجل ذلك وقتلناهم وبعد ذلك لما انقاد باقهم لحكمتنا رجعنا لهم جميع أمتعتهم التي بأيدي أصحابنا وفقاً بهم مع انها حلال لنا . وقولكم ان الذين قتلناهم من المسكر مسجون ومتبعون ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ونسأل عن دماهم بين يدي الله تعالى باطل لأن القطب الدرديري قد نص في باب المحاربة على ان امراء مصر وجميع عساكرهم وأتباعهم يحاربون لأخذ أموال المسلمين منهم كرهاً فيجوز قتلهم كما قال تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ان يقتلوا الى آخر الآية . على ان النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا صريحاً بقتال الترك وأخبرنا بأنهم كفار لمخالفتهم لأمر الرسول باتباعنا وارادتهم لاطفاء نور الله تعالى الذي أراد به اظهار عدله فكيف نسأل عنهم بعد هذا. وايضاً قد شاهد جمع من الاخوان التهاب النار في اعضاء العساكر المقتولين جهاراً تمجيلاً لمعوتهم واظهاراً لحقيقتهم وقولكم انكم ضبطتم أربعة انفار الطليعة وأذيتهم فاعلموا انه قد أودى قبلهم اصحاب الرسول عليه افضل الصلاة والسلام بالسجن والضرب والقتل وجميع أنواع الأذى كبلال وحبيب وأمثالهم فليس لهم إلا الثواب ولا بد ان يمازيكم الله على ما صنعتهم بهم . وقولكم ان الطليعة تنافي المهدية لأن المهدي يعلم الغيب ضرورة جهل منكم بسيرة الرسول فان النبي ﷺ كان يرسل الطلائع كحذيفة اليماني والزبير بن العوام وغيرهم ولم يناف ذلك رسالته فكيف ينافي مهادنتنا وقد قال الله لنبيه ﷺ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك ان أتبع إلا ما يوحى اليّ وقوله تعالى انما النبي لله هو يعلمه لا غيره إلا ان يريد الله اطلاعه في بعض الاحيان لحكمة يعلمها هو . وقولكم ما اتبعنا إلا البقارة الجهلاء والمجوس فاعلموا ان اتباع الرسل من قبلنا واتباع نبينا محمد ﷺ الضعفاء والجهلاء والأعراب الذين كانوا

يعبدون الحجر والشجر وأما العلماء والأغنياء وأهل القوة والترف فلم يتبعوهم إلا بعد أن يخربوا ديارهم ويقتلوا أشrafهم ويملكوهم بالقهر قال تعالى حاكياً عن قوم نوح وما نريك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا باديء الرأي وقال تعالى وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين . ولما بعث نبينا محمد ﷺ كانت مدافن اليهود والنصارى مشحونة بالأحبار والرهبان والأغنياء والملوك أهل الطغيان وكانوا يتمنون إدراك زمنه ويستعزون به فلما ظهر أنكروا وجحدوا نبوته وقالوا ما اتبعه إلا أجلاف الأعراب عراة الأجساد وجياع الأكباد واستكبروا عن اتباعه وكفروا به مع أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ويعلمون أنه الحق من ربهم ولم ينفعهم علمهم ولا غنائم بل ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ولم يبق لهم ملكهم الذي منهم عن اتباع الحق إلا أياماً قليلة حتى فرق الله وشتت شملهم وجعلهم غنيمة لضعفاء الأعراب الذين كانوا يستهزئون بهم وكذلك نرجو الله أن تكونوا أنتم ومن ورائكم غنيمة للبقارة الجهلاء الذين تستهزئون بهم قال تعالى موجهاً أهل الكتاب وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم وقال تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة وقال تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم فشال العلماء والصلحاء الذين أنكروا مهديتنا وخالفونا كأمثال أحبار بني إسرائيل ورهبانهم الذين اضلم الله على علم . وقولكم قم واحضر عندنا لتتوجه إلى محل الهدى مكة المشرفة فاعلموا أن توجهنا إنما يكون بأمر رسول الله ﷺ في الوقت الذي يريده الله ولنا تحت امركم بل أنتم ومن فوقكم تحت امرنا وإنا ولي الأمر في هذا الآن على سائر الانس والجان وإن خالفتم امرنا في هذه الأيام فلا بد أن تقموا في قبضتنا وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ونحن نترقب بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا وسيعلم الذين ظلموا أي مقلب ينقلبون . وقولكم أرسل إلينا ملكاً من الملائكة جهل منكم كما قال تعالى موجهاً كفار قريش وقالوا لولا

أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقَضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ وَقَدْ أَخْبَرَ تَعَالَى بِأَنَّهُمْ لَا تَنْفَعُهُمُ الْآيَاتُ وَلَا يَدْلُهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ ظُهُورُ الْمَعْجَزَاتِ قَالَ جَلَّ وَعَلَا وَلَوْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ فَلَسَوْهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ وَقَالَ تَعَالَى وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَمْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ فَالْآيَاتُ لَا تَنْفَعُ الْمُشْكِرَ الْجَاهِدَ وَظَاهَرَهَا إِنَّمَا يَكُونُ بِإِرَادَتِهِ تَعَالَى لَا يَتَمَنَّى الْعِبَادَ وَلَيْسَ عَلَيْنَا إِلَّا التَّبْلِيغُ وَالْإِنْذَارُ كَمَا قَالَ تَعَالَى وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَقَالَ تَعَالَى قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا عَلَيَّ رِسُولًا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ فَكَذَلِكَ نَحْنُ لَيْسَ عَلَيْنَا إِلَّا التَّبْلِيغُ وَلَا نَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ أَظْهَارَ آيَةٍ عَلَى مَهْدِيَّتِنَا بَلْ نَقِفُ مَعَهُ عَلَى حُدُودِ أَدْبَانَا وَعِبُودِيَّتِنَا فَإِنْ شَاءَ أَظْهَرَ آيَةٍ كَمَا ظَهَرَ لَكثِيرٍ مِنَ الْمُحِبِّينَ نَقِشَ اسْمِنَا عَلَى بَيْضِ الدِّجَاجِ وَوَرَقِ الْأَشْجَارِ حَتَّى صَارَ لَهُمْ ذَلِكَ سَبِيلاً فِي الْيَقِينِ مَعَ أَنَا لَا نَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ وَلَمْ تَتَشَوَّفْ إِلَى مَا هُنَالِكَ وَإِلَى الْآنَ نَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ كَذَلِكَ . وَقَوْلُكُمْ لَا تَغْتَرَوْا بَنُو آدَمَ وَلَا إِسْمَاعِيلُ الْآمِينَ جَهْلٌ مِنْكُمْ بِأَمْرِنَا لِأَنَّنَا لَا نَعْتَمِدُ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَلَا نَسْتَنْصِرُ غَيْرَ اللَّهِ . وَقَدْ صَرَّحَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي حَضْرَاتٍ كَثِيرَةٍ بِأَنَّ اللَّهَ نَظَرْنَا وَنَاصَرْنَا وَأَقْسَمَ عَلَى ذَلِكَ ثَلَاثًا وَإِذَا كَانَتْ نَصْرَتُنَا بِاللَّهِ فَلَا نَبَالِي بِمَدَافِعِكُمْ وَصَوَارِيحِكُمْ وَكَثْرَةِ جِيُوشِكُمْ وَلَوْ بَلَغَتْ عِدَدَ الرَّمْلِ لِأَنَّهُ لَنْ يَغْلِبَ اللَّهُ شَيْءٌ وَهُوَ غَالِبُ كُلِّ شَيْءٍ قَالَ تَعَالَى إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَقَالَ تَعَالَى إِنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُزَلُّوكُمْ الْأَدْبَارُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ وَقَالَ تَعَالَى : كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ وَقَالَ مُوَحِّدًا عَلَى أَمْثَالِكُمُ السَّابِقِينَ : وَلَنْ تَغْفِيَ عَنْكُمْ فَتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ . وَقَدْ ذَكَرْتَكُمْ أَنَّكُمْ كَاتِبْتُمُونَا لِأَنَّ الْحَدِيدِيَّ الْأَعْظَمَ قَالَ لَكُمْ لَا تَحَارِبُوهُ حَتَّى يَتَعَدَّى الْحُدُودَ فَاعْمَلُوا إِنَّهُ مَا أَخْرَجَكُمْ عَنَّا إِلَّا الْخَوْفُ الشَّدِيدُ وَالْجُزَعُ الَّذِي لَيْسَ عَلَيْهِ مِنْ مَزِيدٍ لِأَنَّنَا مِنْ حِينِ كُنَّا بِمِيزَانِ أَوَّلِ تَعْدِينَا حُدُودَكُمْ وَخَالَفْنَا مَقْصُودَكُمْ فَكَيْفَ تَخَاطَبُونَا الْآنَ بِمِثْلِ هَذَا الْقَوْلِ الَّذِي لَا يَنْشَأُ إِلَّا عَنْ ضَعْفَاءِ الْعُقُولِ فَاسْرِعُوا إِلَى مَحَارِبَتِنَا

لنأخذوا مناصبكم التي غرّكم بها الشيطان ولا تجبنوا وتحرصوا وتتخلوا إن كنتم كما زعمتم رجالاً أبطالاً أهل دراية بالحرب فإنه ليس بيننا وبينكم إلا السيف ولنا محتاجين إلى مراجعتكم حتى نرسل لكم العلماء ليذاكروكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر والحذر الحذر من المجاورة ثانية فانتنا لا نرد لكم جواباً ما دمت منكرين ولو جاوبتمونا طول السنين فليس لكم عندنا إلا الرماح الطعان والسيوف السنان . وليكن معلوماً عندكم اني من نسل رسول الله ﷺ فأني حسني من جهة ابيه وأمه وأمي كذلك من جهة امها وأبوها عباسي والعلم لله ان لي نسبة إلى الحسين رضي الله عنه وفيما ذكر كفاية لأهل العناية والسلام على من اتبع الهدى . في ٤ رجب سنة ١٢٩٩ هـ ٢٢ مايو سنة ١٨٨٢ م .

ويوم الاحد الواقع في ١٠ رجب سنة ١٢٩٩ هـ ٢٨ مايو سنة ١٨٨٢ م وصل الشلاي يحمشه إلى جبل الجردة فنزل في سهل بسفح الجبل وبني زريبة مربعة من شوك ووضع العساكر عليها وجعل المدافع في أركانها الأربعة والمؤن والذخائر والدواب في الوسط فمادت طلائع محمد احمد إليه بالخبير . وبعد صلاة المغرب من ليلة الاثنين حادي عشر رجب ٢٩ مايو سنة ١٨٨٢ م خرج محمد احمد من منزله شاهراً سيفه يكبر وقال : أنا الخبير من سيد الوجود ﷺ بأن نوجه الجيش إلى حرب الترك واستدعى اصحاب الرايات فجعلهم اربع فرق وعين لكل فرقة جهة من الزريبة يهاجها وكان قد بلغ عدد أنصاره نحو ١٥ ألفاً فساروا وسار وراءهم حتى قربوا من الزريبة فنزلوا هناك إلى ان لاح فجر الاثنين فصلى محمد احمد بهم الصبح ثم حرضهم على الجهاد وقال : اذا رأيتم العدو فكبروا ثلاثاً وقولوا اللهم انت ربنا وريهم نواصينا ونواصيهم بيدك وانما تضلهم انت قولوها ثلاثاً ثم أمرهم بالحملة على الزريبة . وكانت العساكر تشتغل ببناء الزريبة وتحصينها الليل كله فناموا عند الفجر وفيما هم كذلك حمل عليهم أنصار المهدي بعزم وصدق نية ما بين مهمل ومكبر وصارخ فشر الحفراء بهم وأيقظوا العساكر فأطلقوا المدافع والبنادق ولكن

ما كادوا يلتظمون في أماكنهم حتى دخل الانصار عليهم في الزريبة وتلبعهم قتلاً حتى أخرجوهم منها فاقتفوا اثمهم يقتلونهم في كل جهة ولم ينج الا القليل الذاهب في بطون الأودية والختبىء تحت الاشجار فاتخذوا الطريق الى فاشودة. وقتل يوسف باشا الشلاي وعبد الله محمد دفع الله وعبد الهادي صبر وطاها الشايقي بعد ان حاربوا حرب الابطال وقتلوا بسيوفهم عدداً كبيراً من أنصار المهدي وكان قتل الانصار نحو ٢٠٠ رجل فيهم حامد اخو المهدي فدفنوا بأمر المهدي كما هم ثم جمعت الغنائم فكانت شيئاً كثيراً من النقود والازواد والملبوسات والدواب والنخائر والأسلحة فعزل المهدي الخمس منها لنفسه ووزع الباقي على الانصار ففرحوا به جداً وتيسر امرهم بعد ان كانوا في ضيق شديد. وقد عرفت هذه الواقعة بواقعة الشلاي .

وهذا النصر المتتابع الذي ناله محمد احمد على عساكر الحكومة أدهش عالم السودان كافة وحط من كرامة الحكومة في أعينهم بقدر ما رفع من كرامة محمد احمد . فلقد كان للحكومة قبل الآن سطوة عجيبة في البلاد حتى كان جنديتها الواحد يهرب رهطاً من الأهلين وقد يمر عليها ستون سنة ونيف لم تظهر في خلالها بغير مظهر القوة والبطش فأقمت كل ثورة ونكلت بمن ثاوأها تنكيلاً شديداً . والآن قام فقيه خامل الذكر وضيع الشأن بنفر معدود من المستضعفين الجياع فتقلب على سراياها القوية المرة بعد المرة وما زال يتهددها ويستعد لمناوأتها فلم يبق للعامة ريب في ان هذا الفقيه هو المهدي المنتظر وان نصره من الله فهاجروا اليه من كل فج . وقد انحاز اليه على الأخص : أهل البادية لأنهم ميسالون بالفطرة الى الحرب والسلب قرأوا عنده ما يوافق ميلهم خصوصاً وانه رفع عنهم الضرائب التي كانوا يثنون منها كما بيتنا قبل . وتجار الرقيق لأنهم رأوا الوازع قد ذهب واطلقت لهم الحرية في البيع والشراء . وقطاع الطرق واللصوص لأنهم وجدوا به ملجأ من العقاب . والعلماء والفقهاء لأن القائم هو واحد منهم وقد قام ليحررهم من المصريين ويعلمهم حكماً في مكانهم . وهكذا اتفقت الأحزاب على نصره وكثرت الوفود عليه حتى بلغ

عدد انصاره في قدير نحو ٢٠ ألفاً فضلاً عن الذين أتوا وبايعوه وعادوا الى نصرته في بلادهم .

بيعة المهدي : اما المبايعة التي كان الناس يبايعونه بها فهذه صورتها :
 « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم . اما بعد فقد بايعنا الله ورسوله وبايعناك على توحيد الله وألا نشرك به احداً ولا نسرق ولا نزني ولا نأتي ببهتان ولا نعتصيك في معروف بايعناك على زهد الدنيا وتركها والرضى بما عند الله رغبة بما عند الله والدار الآخرة وعلى أن لا نفر من الجهاد .

وكانت هذه المبايعة على وجهين الاول باليد وهي ان يضع المبايع يده في يد المهدي جاعلاً ايهاه على ايهاه ثم يقرأ المهدي صورة المبايعة فيميدها المبايع بعده . وان كانوا اكثر من واحد الى العشرين وضع واحد منهم يده في يد المهدي وألقى الباقيون أيديهم فوق يديها . والوجه الثاني المبايعة باللسان وذلك متى زاد المبايعون على العشرين فيرقي المهدي الى منبر او يركب جملاً ويقف الناس امامه ويبايعونه .

لباس المهدي : وكان يلبس جبة مرقعة فوق سراويل من الدموور ويتمنطق بمنطقة من خوص وعلى رأسه طاقية مكيئة يلف عليها عمامة كبيرة بيضاء مفلجة كعمامة اهل الحجاز ويسدل لها عذبة على كتفه اليسرى طولها نحو نصف متر ويضع عنقه سبعة وفي رجليه حذاء او نعلين . وهو لباس الدراويش المعتاد في السودان الذي فرضه على جميع اصحابه فعرفوا عند رجال الحكومة بالدراويش كما عرفوا ايضاً بالاشقياء . اما المهدي فقد اطلق عليهم اسم الانصار والاصحاب والأحباب في الله .

حكومة المهدي : وقد تشبه محمد احمد بالنبي في جميع أعماله وجمل جل غايته اعادة الاسلام الى ما كان عليه في اول امره في زمن النبي فنظم حكومته على ما تقتضيه هذه الغاية في الجند والمال والقضاء .

اما في « الجند » فانه قبل خروجه من أبا عين خلفاءه فجعلهم اربعة بعدد الخلفاء الراشدين يتولون الامر بعده الواحد بعد الآخر اولهم عبدالله التعايشي خليفة ابي بكر الصديق والثاني علي ود حلو من عرب دغيم خليفة الامام عمر الفاروق والرابع محمد شريف ابن عمه خليفة الامام علي الكرار واما الكرسي الثالث اي خليفة الامام عثمان فقد خص به محمد السنوسي فرفضه كما مر فبقي فارغاً. وقسم جيشه الى ثلاثة اقسام فمقد لكل خليفة على قومه وجعل له راية خاصة فمقد للخليفة محمد شريف على انصار السودان الاوسط وهم انصار دنقلة وبربر والخرطوم وسنار وضم اليهم الجلابية واولاد النيل وخصه بالراية الحمراء وعقد للخليفة علي ود حلو على عرب دغيم وكنانة وخصه بالراية الخضراء وعقد للخليفة عبد الله على جميع قبائل السودان الغربي كالتعايشة والرزيقات والحمر وضم اليهم الجهادية واولاد الريف وخصه بالراية السوداء التي عرفت عندهم بالراية الزرقاء وكان من عزمه ان يخص السنوسي بالراية الصفراء ليجمع بذلك رايات الاقطاب الاربعة المار ذكرها في الكلام عن الصوفية . وقد ميز الخليفة عبد الله بالامباية التي يبوئ بها لجمع الجيش كله وجعله رئيساً عاماً على الادارة والجند وقدمه على الخليفين الآخرين لأنه كان أقوى منها في الجند وأقدر على الادارة والتعلق لا سيما وانه هو الذي قواه على دعواه كما علمت .

وكان لكل خليفة وكيل على رايته ودونه أمراء ومقاديم ولكل امير راية خاصة غير راية الخليفة . وما كان يكتب على الرايات :

« بسم الله الرحمن الرحيم سطر ، لا إله الا الله محمد رسول الله سطر ، محمد المهدي خليفة رسول الله سطر ، يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام سطر . او يا الله يا رحمن يا رحيم يا حي يا قيوم سطر ، يا ذا الجلال والاكرام سطر ، لا إله الا الله محمد رسول الله سطر ، محمد المهدي خليفة رسول الله سطر . وكان لكل خليفة طبل كبير يعزف بالنقارة او النحاس يضرب عند ارادة جمعهم للعرضة او للحرب .

وكان المهدي يستعرض جيوشه في كل يوم جمعة فيجعلهم صفاً واحداً متجهين نحو القبلة كوقوفهم للصلاة اولهم الراية الزرقاء ثم الى يسارها الراية الخضراء ثم الراية الحمراء ويمر عليهم راكباً جواداً او هجيناً من اول الصف الى آخره . وكان هذا دأبه الى يوم وفاته .

واما في « المال » فقد أنشأ له ادارة سماها بيت المال وحفظ فيه اموال الجند والمشور والزكاة والغنائم والغرامات وعهد به الى صديق له يسمى احمد ود سليمان من أهالي المحس وهو من أعز انصاره الأول . وأنشأ فرعاً في بيت المال سماه بيت مال المحس جعل فيه ما خصه من الغنائم .

واما في « القضاء » فقد اسند منصبه الى الشيخ احمد ود جبارة من علماء الازهر الذين صحبوه من جزيرة أبا ولقبه بقاضي الاسلام وجعل دونه قضاة ونواباً كثيرين . اما القضاة فللحكم في المسائل الشرعية الاهلية واما النواب فللحكم في الغنائم والحقوق المتعلقة ببيت المال .

ولترك الآن محمد احمد في تقدير يستعد للمستقبل وبيث دعائه في الجهات ولتنظر فيما كان من الثورة في جهات السودان .

الفصل الخامس

في

وقائع الثورة في جزيرة سنار

سنة ٢ - ١٨٨٣ م

حركة عامر المكاشف : تقدم ان مشايخ السودان وفقهاء لما سمعوا بنصرات محمد احمد على سرايا الحكومة أخذوا يهاجرون اليه من كل الجهات لتحقيق دعوتوه ومبايعته . وكان اول من هاجر اليه من جزيرة سنار الشيخ احمد المكاشف من كبار فقهاء الكواهلة وكانت الحكومة قد اصدرت منشوراً الى جميع الجهات تحذر الناس من اتباع محمد احمد والمهاجرة اليه وهددت من يخالف الامر بتصديره ماله ومعاقبة اهله في غيابه . فلما علمت حكومة سنار بمهاجرة الشيخ احمد المكاشف الى المهدي ألقت القبض على اخيه عامر وزجته في السجن وحملته ما لا يطيق قيل فافتدى نفسه بمال وخرج من سنار وفي نفس حزازات وأتى عرب رقاعة الهوي في غابة الكبوش جنوبي سنار وكان هؤلاء العربان قد تأخروا عن دفع الضرائب والحكومة مشددة عليهم في تاديتها فنادى عامر المكاشف بهم باسم المهدي فلبوا ندائه واجتمع عليه نحو ٣٠٠٠ رجل منهم فرحف بهم على سنار وكان المدير عليها اذ ذاك حسين بك

شكري (حسين باشا الآن) ومعه ١٥٠ جندياً ومدفع واحد ولم يكن للمدينة سور يساعد على الحصار فجند نحو ٢٠٠ رجل من المتطوعة وضمهم الى عساكره وخرج بهم ومعه المدفع لطرد المكاشف فلما بدأ القتال أطلق الطويحية المدفع مرتين وفي الثالثة ادخلوا القنبلة فيه قبل الخرطوش فتعطل فانقض العرب على العساكر كاللصور واختلطوا بهم وأعملوا فيهم السيف والحربة فقتلهم شر قتلة وألقوا المدفع في النيل وكان عليه الصاري محمد اغا النمر تلئب من الباشبوزق الاتراك فقاتل قتال الأبطال حتى قتل بجانبه . ورجع المدير بمن بقي من رجاله الى سنار فنزلوا في الذهبيات والمراكب ودخل عامر المكاشف المدينة وقصد الخزينة في ديوان المديرية وكان عليها ١٢ رجلاً من السود مع الملازم علي افندي توفيق المصري يحرسونها فدافعوا عنها حتى قتلوا عن آخرهم واستولى العرب على الخزينة وكان الملازم قد صوّب رصاصة على عامر المكاشف فأصابت فخذه فتشامم العرب من ذلك فوضعوا الحراس على الخزينة وعادوا بعامر الى غابة الكبوش فعاد المدير الى المدينة بمن معه من العساكر والتجار وقتلوا حراس العرب واسترجعوا الخزينة ثم دخلوا قشلاق العساكر على النيل وتحصنوا به وقد جرى ذلك كله يوم الخميس في ٦ ابريل سنة ١٨٨٢ م .

فلما كان السبت اي ثالث يوم الواقعة قاتل عامر المكاشف من جرحه وعاد فهاجم القشلاق بأنصاره فلم يقوَ عليه فدخل الشونة شمالي المدينة وأخذ ما كان فيها من السمن والملح والنلال والدمور وهر شيء كثير وحصر المدينة وقطع خط التلغراف بينها وبين الخرطوم . وكان المدير قبل قطع خط التلغراف قد تمكن من مخاطبة جيكلر باشا بحال سنار فأرسل جيكلر امراً الى صالح الملك بالكوة فأثامها ورفع الحصار عنها بعد كفاح شديد واستخرج المدفع من النيل وأعاد خط التلغراف بين سنار والخرطوم وذلك في صباح يوم الخميس في ١٣ ابريل . واما عامر المكاشف فانه فرّ بمن بقي من أنصاره الى بركة

تبقو وهي منهل مشهور في بطن الجزيرة وأقام فيها الى ان طرد منها بالقوة كما سيجيء .

حوكة الشريف احمد طاهما : وكان في جملة الذين استنفرهم محمد احمد فلبوا دعوته ورفعوا رايته الشريف احمد ود طاهما من مشايخ الطريقة السمانية شرقي النيل الازرق بين أبي حراز ورفاعة فاجتمع حوله خلق كثير من البطاحين والشكرية والجعليين والدناقلة وغيرهم من سكان تلك الجهة . وكان جيكر باشا بعد ان ارسل امره الى صالح الملك لنجدة سنار خرج بنفسه من الخرطوم بمشي نفر من الباشبوزق وطلب من القلابات ان ترسل نجدة لتوافيه الى أبي حراز فلما وصل قرب حلة الشريف المذكور بلغه امر قيامه بنصرة المهدي فأرسل عليه الملك يوسف من سناجق الشايقية ومعه مئة رجل من نظامية وباشبوزق فأحاط الشريف ورجاله بهم فقتلهم شر قتلة ولما رأى الملك يوسف ما حلّ برجاله افترش فروته فقتل عليها وذلك في اواخر ابريل .

ونجا بعض العساكر الى جيكر فأخبروه بما كان فأقلم الى أبي حراز وانتظر حتى أتته النجدة من القلابات وهي اورطة بن السود عليهم البكباشي سرور أفندي بهجت قومنداناً و ٢٠٠ فارس من الشايقية فأرسل منها ٧٠٠ نفر من نظامية وباشبوزق ومدفعاً واحداً بقيادة سرور أفندي لقتال الشريف فالتقاهم في الطريق وهزمهم شر هزيمة وغنم المدفع وكان ذلك يوم الخميس في ٤ مايو سنة ١٨٨٢ م .

فأرسل جيكر اذ ذاك خبراً الى عوض الكريم بك ابي سن شيخ مشايخ الشكرية فحضر يجيش كبير من عربائه وكتب الى الشريف يقول : ابي أنصح لك ان تكف عن العداء وتحضر مبداً فيعفى عنك وإلا فانج بنفسك واحقن دمك لأنك شريف ولا تريد قتلك فاذا لم تفعل هذا ولا ذاك فلا تلم إلا نفسك فأجابه الشريف : دع عنك النصيح فاني أوقدت ناراً وأريد ان أودعها بها . فلما طلع فجر السبت في ٦ مايو جهز جيكر جميع من عنده من العساكر وأرسلهم لقتال الشريف وسير الشكرية وراهم فنادهى شيخ الشكرية بالعساكر

قائلا : « ان من ولّى ظهره خوفاً من الموت امامه لقيه مني وراه » فساروا كلهم على عزم الموت او النصر حتى أتوا حلة الشريف فحمل عليهم بأنصاره حلة رجل واحد فتلقتهم العساكر بالرصاص وكان الشريف راكباً جواداً وقد احتاطه نفر من انصاره فأجلام الرصاص عنه ثلاث مرات حتى تراكمت القتل حوله كالرأبى ثم سقط هو فوقهم وخذل انصاره فتبعتهم الفرسان ومزقوه كل ممزق وحرقوا حلة الشريف بالنار وحملوا جثته على جبل وأتوا بها إلى أبي حراز فقطع جيكر رأسه وعلقه على عود وأرسله إلى الخرطوم فعلق فيها أياماً.

وصول عبد القادر باشا إلى الخرطوم في ١١ مايو سنة ١٨٨٢ م

تحصين الخرطوم : وفي ١١ مايو سنة ١٨٨٢ م وصل عبد القادر باشا إلى الخرطوم فوجد الميرالاي حسن بك خلمي معسكراً في ظاهر المدينة ومعه نحو خمسمائة جندي وثلاثة مدافع جبلية وليس حولهم متاريس ولا حصون ولا شيء من معدات الدفاع . ووجد أهل الخرطوم في غاية الخوف والجزع لقلة الجنود وخلو المدينة من كل تحصين مع وجود كثير من أنصار المهدي حول المدينة متحفزين للوثبة عليها عند سماع الفرصة فشرع في تحصينها وتجهيز المدافع فأنشأ ثلاثة أورط من السود وغيرهم وبأمر تمرينهم على الحركات العسكرية بنفسه واستدعى ست أورط من الجنود المنظمة من السودان الشرقي وخندق على المدينة فسد الخندق من النيل الأزرق إلى النيل الأبيض وجعل عليه الأبراج ووضع على الأبراج المدافع والحرائر فذهب كل خوف من قلوب السكان وتوطدت السكينة وانتشر الأمن في الخرطوم وما حولها .

واقعة محمد زين ٢٥ مايو سنة ١٨٨٢ م : وافق انه حين وصول جيكر إلى سنار قام في أبي شوكة فقيه من التكرانة يقال له محمد زين ونادى باسم المهدي فالتفت حوله جموع كثيرة من عريان رفاة الهوى وأخذ يستعد للزحف على سنار فعمد جيكر للسر سواري علي أغا كاشف على نحو ألف نفر من

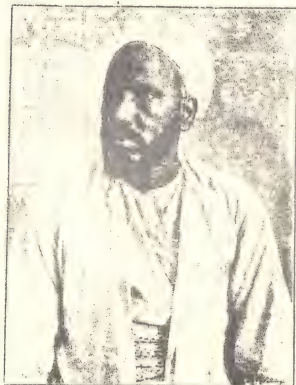
العساكر المنظمة والباشبوزق وأرسله الى ابي شوكة فقتل محمد زين وشتت شمله وعاد برأسه الى سنار .

واقعة تيقو ٤ يونيو ١٨٨٢ م : وعاد جيكلر الى الخرطوم فوجد عبد القادر باشا مشغولاً بتحسين المدينة فأخبره ان عامر المكاشف لم يزل مقيماً على العداء في بركة تيقو فأمر صالح بك الملك فأخذ اورطة من العساكر المنظمة وسنجقين من الباشبوزق من سنار وسار الى تيقو فأوقع في رجال عامر موقعة شديدة واضطره الى الانهزام ففر الى المهدي في قدير وعاد صالح بك بالغنائم والأسرى الى سنار وكان بين الاسرى جماعة من اقارب عامر المكاشف فرفع صالح بك امرهم الى عبد القادر باشا فأمر بشنقهم فشنقوا في سوق سنار .

واتضح لعبد القادر باشا حيلته خيانة بعض كتاب سنار ومعاونيه وتواطئهم على الثورة مع عامر المكاشف فعزل جميع الكتاب والمعاونين وأرسل بدلاً منهم طقماً جديداً من الخرطوم واستدعى الخوثة وبينهم الزبير ود ضوه صاحب تاريخ سنار المار ذكره ففرقهم في النيل الابيض .

هذا وكان قد وقع خلاف بين حسين بك شكري المدير وبين وكيله محمد افندي جودت فعزلاً فأرسل عبد القادر باشا موسى بك شوقي مديراً على سنار وجعل احمد بك مكوار من كبار تجار سنار وكيلاً له . ثم لم يلبث ان حصل بينها منافسة ورفق الامر الى عبد القادر باشا فعزل موسى بك وسمى بساطي بك مديراً على سنار مكانه وأرسل اليه خليل افندي فؤاد يوز باشي اركان حرب فساعدته على تحصين المدينة فأحاطها بسور منيع جعل فيه المزاغل (الكوى) وحفر حوله خندقاً بمق ٣ امتار وعرض مترين وجعل وراءه زرباً متيناً من شوك ووضع العساكر على السور واستعد لكل طارئ مفاجئ .

الشيخ المصوي : ثم لم تكد تحمد نار الثورة في جزيرة سنار بطرد عامر المكاشف من تيقو حتى كانت واقعة الشلاي وبث المهدي دعائه في الشرق والغرب لمبايعة الناس له وحشهم على القيام بنصرة الدين وقتال الحاميات العسكرية



الشيخ المضيوي عبد الرحمن

كما مرّ . وكان في جملة الدعاة الذين أرسلهم الى جزيرة سنار الشيخ المضي عبد الرحمن من ذرية الشيخ ادريس ودالازباب المار ذكره في تاريخ سنار وهو من تلامذة الازهر النابغين وقد قاده التقادير الى مصر سنة ١٨٩٠ م فحدثني عن خبره مع المهدي في ذلك الحين قال: اني بعد ان أتممت دروسي في الازهر ذهبت الى بلاد كركوج في أعالي النيل الازرق فأقمت فيها حلقة للتدريس واشتغلت بالزراعة فلما ظهر محمد احمد بدعواه لم أحفل به ولكن لم يلبث ان انتصر على ابي السعود في جزيرة أبا ثم على راشد بك في جبل قدير وكثرت أقوال الناس بمعجائبه وكراماته فاهتممت اذ ذاك بأمره وهاجرت اليه في جبل قدير لمشاهدته والوقوف على حقيقة حاله فوجدت عنده جموعاً كثيرة ينفون على ١٥ ألف مقاتل من اخلاط الناس بينهم عدد كبير من العلماء ورجال الدين الذين جاؤوه من شرق البلاد وغربها بالقصد الذي جئت لأجله ووجدت العلماء معه فريقين فريقاً اعتقد او تظاهر بالاعتقاد بأنه المهدي المنتظر لا ريب فيه وجميع العامة من رأي هؤلاء وفريقاً قالوا انه ساحر وانه انما فاز بالحرب بسحره لا بمهديته وأما انا فقد رأيت منه اموراً حملتني على الارتباب بأمره : فأولاً اني رأيت يثر اقاربه وأخصائه بالنعمة على بقية جيشه ولا يقسم بينهم بالتساوي كما يطلب الشرع . وثانياً اني رأيت بعض أنصاره نزولوا على تجار سائرين في تجارتهم فقتلهم وأخذوا اموالهم ووزعوها بينهم ولم يشكر عليهم ذلك ولا قاصم . وثالثاً اني رأيت يقول ان من أنكر مهديتي فقد كفر مع ان اركان الايمان في الاسلام التي اذ انكر الانسان ركناً منها يعد كافراً هي سنة (وقد مرّ ذكرها) والايمان بالمهدي ليس منها . ورابعاً اني لم أَر فيه شيئاً من العلامات الاجمالية التي أعرفها عن المهدي . ولكني أردت التخلص منه فأظهرت له الاعتقاد التام بمهديته واستأذنته في العودة الى أهلي لأحضرهم على اتباعه والجهاد في سبيل الله فأجابني الى ذلك وجعلني عاملاً عاماً على جزيرة سنار وأصبحني أميرين من اهل الجزيرة ليساعداني على الجهاد وهما : «ود الصليحي» من الفقهاء المتقدمين عند عربان رفاعة الهوي «وود بروجوب»

من فقهاء اللحيين فودعته وسرت في طريق سنار ومعى الاميران المذكوران وبعض الاصحاب . وفي الطريق سألني الأميرات عن رأيي في المهدي فصرحت لهم برأيي فيه وقلت الأولى بنا ان نتشبت في مثل هذه الأمور التي تلتبس على الناس فإن كان هذا الرجل هو المهدي المنتظر كما يزعم فلا بد ان يظهر ولو قاومته الانس والجن وعند ذلك نتبعه على بصيرة وإن كان كاذباً في زعمه سلمنا من شر الحروب والفتن فالرأي الآن ان نتفرق الى أوطاننا حتى نرى ما سيكون من أمره . وسرنا حتى وصلنا الجبلين على النيل الأبيض فوجدنا عربان رفاعة الهوي مجتمعين عنده الوفا متلفين لسماع اخبار المهدي وقد أقبلوا علينا يقبلون أيدينا وأرجلنا ويتمسحون بنا تبركاً لأننا من اصحاب المهدي فلما رأى اصحابي من العرب هذه المظاهر العظيمة قالوا : لا شك ان محمد احمد هو المهدي وهذا نور المهدي قد ضاء في قلوب الناس وعقدوا مجلساً في ذلك الليل أجمعوا فيه على ان يقبضوا عليّ وينموني السفر الى اهلي فأتى صاحب لي كان حاضراً المجلس وأخبرني بالذي نورا عليه فلما أصبحت ذهبت اليهم فرأيتهم متغيرين فقلت ما بالكم قد تغيرتم من نحوي ألا تعلمون ان الكلام الذي كلمتكم به امس بشأن المهدي عليه السلام انما اقصد فيه اختباركم وسبر غوركم وأتيقن صدق عقيدتكم لأن الامر الذي نحن بصددده امر عظيم لا يقدم عليه الا كل رجل حلب العقيدة ثابت العزم قوي الجنان فسرّني عنهم ما كان من قبلي وسمحوا لي بالسفر على وعد ان آخذ عائلتي من كركوج وأرجع اليهم فأخذت عائلتي من كركوج وذهبت الى اهلي قرب الخرطوم فدعاني عبد القادر باشا وسألني عن المهدي فأخبرته بالواقع وبقيت الى ان كانت واقعة شيكان وانتصر المهدي على مكس باشا فقامت الارض وقدمت فلم يعني اذ ذاك الا القيام بنصرة محمد احمد فكنت من جملة الذين حصروا الخرطوم . اهـ .

ود الصليحياني وواقعة الجبلين : هذا ما كان من المضوي : اما ود الصليحياني فانه رفع راية المهدي وضمّ تحتها عربان رفاعة الهوي وتبعه ود

برجوب فشق على محمد مالك ابي روف شيخ عربان رفاعة الهوي الحياز قسم كبير من عربانه الى ود الصليحياتي وخروجهم عن طاعته فأبلغ الخبر عبدالقادر باشا في الخرطوم فجمع في الكوة جيشاً من عساكر الدويم وسنار فيه ١٠٠٠ من العساكر المنظمة و ٨٠٠ من الباشبوزق و ٤٠٠ من عربان رفاعة الهوي ومعهم شيخهم محمد ابو روف وعقد لواءه للسعيد بك حسين الجميعاتي المار ذكره في تاريخ سليمان الزبير فسار بالجيش في البر والبحر حتى أتى الجبلين فأنزله العساكر الى البر ونظم الجيش « مربعاً » جاعلاً عربان محمد مالك ابي روف ضلعاً من اضلاعه فتلقاهم ود الصليحياتي بجموعه وانتشبت القتال فثقلت نيران المربع على عربان ود الصليحياتي وكثر القتل فيهم فداروا حتى قابلوا ضلع مالك ابي روف فوجدوا رصاصة خفيفة فدخلوا المربع من جهته وقيل ان مالكا ابا روف فتح لهم الطريق عمداً لأنه رأى كثرة القتلى فيهم وهم عربانه فشقق عليهم فاختلطوا بالعساكر وقتكوا بهم حتى لم يبق منهم سوى ٥٠٠ رجل من نظامية وباشبوزق فقادهم السعيد بك الى الواور وعاد بهم الى مركزه في الدويم فتحصن فيه وعاد ابو روف برجاله الى سنار . وقد عرفت هذه الواقعة بواقعة الجبلين وكان تاريخها اواخر شعبان سنة ١٢٩٩ هـ أواسط يوليو سنة ١٨٨٢ م .

ود برجوب : أما عربان رفاعة الهوي فانهم نفروا من ود الصليحياتي لانخذالهم في بادىء الأمر على يده فانحازوا الى ود برجوب وبقوا في الجبلين الى ان جاءتهم الطامة الكبرى من جيش هكس على ما سيجيء .

احمد المكاشف ومسقوط شات : هذا وكان في جملة الدعاة الذين بشهم المهدي بعد واقعة الشلالى لمناوأة الحكومة في جزيرة سنار الشيخ احمد المكاشف اخو عامر المار ذكره فجمع العربان في الطريق ونزل على شات في ٨ اغسطس سنة ١٨٨٢ وكان فيها ٢٠٠ رجل من الباشبوزق عليهم السر سوارى مدني ود شنبول فقتلهم عن آخرهم وغنم أسلحتهم وذخائرهم .

تاريخ السوكنات

واقعة الدويم الاولى : ونزل في وجهه على الدويم وكان السعيد بك لم يزل فيها وقد جمع الى الخمسة رجل الذين سلموا من واقعة الجبلين ٥٠٠ من الجعافرة المتطوعة وسلحهم بالاسلحة النارية وتحصن في طابيته فتلقى احد المكاشف بنيران المدافع والبنادق وردّه على الاعقاب بعد ان قتل من جيشه ما زاد عن الالف وكان ذلك في ٢٨ اوجسطس سنة ١٨٨٢ م .

عبد الباسط وواقعة الدويم الثانية : فلما رأى عربان الدويم انخذالهم مع احمد المكاشف هجروه فاجتاز النيل الابيض وذهب الى سنار فالتقى عليها الحصار كما سيجيء وولّى عليهم المهدي رجلاً منهم يسمى عبد الباسط الجري من مشايخ الطريقة السمانية وأمره بحصر الدويم ولما طال الحصار بعث عبد القادر باشا بجيكر من الخرطوم فأخذ عساكر الدويم وهاجم العربان في ديمهم فقتل منهم خلقاً كثيراً وشلتهم كل مشيت وأخذ عبد الباسط اسيراً فأتى به الى عبد القادر باشا في الخرطوم فشقه وكانت هذه الواقعة في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٨٢ م .

فضل الله ود كريف ، وواقعة ام سنيطة : وفي هذه الاثناء ظهر في غربي الجزيرة فقيه يدعى فضل الله ود كريف فرفع راية المهدي وشهر العصيان وقطع خط التلغراف بين الكوة والمسلمية فأرسل عبد القادر باشا امراً الى البكباشي حسن عثمان الكريتلي فخرج من الكوة بخمسة رجل من جهادية وباشبوزق لقتال ود كريف فالتقاء في ام سنيطة على يوم ونصف يوم من الكوة. فما انتشب القتال حتى دخل عرب ود كريف في عساكره وأعملوا فيهم السيف والحرية فقتلوا نصفهم وهزموا الباقى الى الكوة وذلك في اواسط ديسمبر سنة ١٨٨٢ م .

احمد المكاشف وحصار سنار : ثم ان احمد المكاشف بعد انهزامه من الدويم ودخوله الجزيرة هبّ العربان فالتفت حوله جموع كثيرة فنزل بهم في حلة الحجاج مسيرة ست ساعات من سنار وأخذ يستعد للزحف على سنار فلما

علم به بساطي بك ارسل الصاغ حسن افندي حسني بخمسة مائة من العساكر المنظمة فهاجمه في مركزه فقتل المكاشف عليه وقتله وقتل مئة رجل من عسكره وتقدم بنحو ١٠ آلاف مقاتل لمهاجمة سنار ثم احجم عنها لمناعتها فنزل في مشرع الداعي على نحو ٢٠ ميلا شمالي سنار وألقى عليها الحصار وقطع خط التلغراف وطريق البوسطة بينها وبين الخرطوم .

واقعة معتوق : فلما رأى عبد القادر باشا اشتداد الخطب في الجزيرة عزم على مباينة القتال بنفسه فخرج من الخرطوم في ٢ يناير سنة ١٨٨٢ م وأتى عبود عن طريق المسلية فجمع اليها نحو ١٦٠٠ من العساكر المنظمة و ١٠٠٠ من الباشبورق وتقدم الى ود كريف فالتقاء عند غابة قرب معتوق فأوقع فيه واقعة شديدة وهزمه ففر الى حيث ألقى .

واقعة الداعي في ٢٤ فبراير سنة ١٨٨٣ : ثم اخذ يستعد لسحق احمد المكاشف فجاء يبيشه الى الكوة فوجد فيها البكباشي حسن افندي عثمان السالف الذكر ومعه ٧٠٠ من العساكر السود و ٤٠٠ من الباشبورق فضمهم الى جيشه وارسل الجميع بقيادة سليم بك عوني بطريق الجزيرة الى ود مدني ونزل في الواور الى الخرطوم فاتمّ الشئون التي كانت تلتظره فيها ثم ركب النيل الازرق الى ود مدني وقاد العساكر قاصداً احمد المكاشف في مشرع الداعي . فلما علم المكاشف بقدمه وضع النساء والاولاد الذين في دمه على بُعد مرمى الرصاص تجاه سنار وفي أيديهم البنادق ليوم اهل سنار انه قادم لمحربهم فيشغلهم بأنفسهم عن نصر عبد القادر ثم اخذ انصاره وخرج الى ظاهر المشرع فلتقاه عبد القادر بنار حامية فصبر على ناره ٣ ساعات متوالية حتى قتل من جيشه الف رجل ونيف فانهزم الى جنبي سقدي ومويه وقد أصابت عبد القادر رصاصة في جنبه فعطمت ساعته تحطيماً ولكنها لم تضرب به وجرح من عسكره ٢٧ رجلاً ولم يقتل احد . وعرفت هذه الواقعة بواقعة الداعي وتاريخها يوم السبت في ١٦ ربيع آخر سنة ١٣٠٠ هـ ٢٤ فبراير سنة ١٨٨٣ م .

ودخل عبد القادر باشا سنار يوم الاثنين فعقد لصالح بك الملك على جميع الباشبوزق الشايقية والأتراك وكانوا ينيفون على ١٢٠٠ رجل وأمره بمطاردة احمد المكاشف فقصده الى جبلي سقدي ومويه وأوقع فيه في ٢ مارس سنة ١٨٨٣ م وهزمه شر هزيمة بعد ان قتل نحو ٦٠٠ من انصاره وفي جملتهم اخوه وصهره فقطع رأسها وأتى بها الى عبد القادر في سنار . اما احمد المكاشف فانه فرّ الى ود بزجوب في الجبلين . واما اخوه عامر فانه بعد وصوله الى المهدي في قدير أمره بالانضمام الى اخيه احمد الذي كان قد ترك قديراً فجاء يبحث عنه فالتقى به في سقدي ومويه بعد انهزامه من مشرع الداعي فانهمزم معه الى الجبلين .

الحاج احمد عبد الغفار وواقعة التبنة: هذا وكان قد صحب احمد المكاشف من عند المهدي الحاج احمد عبد الغفار من عرب كنانة القاطن في جوار كركوج فتركه في مشرع الداعي محاصراً سنار وأتى الى بلاده وأخذ يحشد الجيوش لحصر كركوج فلما عاد صالح الملك من مطاردة المكاشف اخذ عبد القادر باشا الجيش وزحف على عبد الغفار فالتقاء في التبنة قرب الرصيرص فقتل من جيشه خلقاً كثيراً وشنت شمله كل مشنت وكان ذلك في ٢٧ جهاد اول سنة ١٣٠٠ هـ ٢٦ مارس سنة ١٨٨٣ م . وقد قتل في هذه الواقعة والوقائع التي تقدمتها عدد كبير من عربان رفاة الهوي فاغتم لذلك الشيخ احمد عم الشيخ محمد ابي روف وقال لعبد القادر باشا : لقد أفنيت الرعية ببطشك با سعادة الباشا فدع عنك هذه المناوشات واقتل الدبيبة من رأسها ، فأجابته عبد القادر باشا : « اذا لم نظفر برأسها يا شيخ العرب تقطع من ذنبها حتى ندرك الرأس فنسحقه » . وهكذا نكث عبد القادر باشا بزعماء الثورة في سنار واحداً واحداً وملا قلوب الامهين رعباً وخوفاً واشتهر عندهم بالبطش والديرة وجبن السياسة وقد حصن الحاميات في كل الجهات وحمل علماء الخرطوم على نشر الرسائل في تكذيب محمد احمد وضيق عليه وعلى انصاره المسالك فهو هو الرجل الذي كان يصلح للسودان حينئذ ولكن قيل ان بعض الحساد وشوا به فاتهموه

بارادة الاستقلال في البلاد وقبلت وشايتهم فاستدعى الى مصر وسمي علاء الدين باشا حاكماً على السودان مكانه كما سيجيء .

وكان عبد القادر باشا قد أرسل صالح بك الملك الى فامكه لكشف خبرها فترك باقي العساكر بقيادة الميرالاي سليم بك عوني وعاد الى مصر وعاد سليم بك الى سنار بعد ان أبقي حامية من العساكر في كركوج لحفظ خط الاتصال بين سنار وفامكة وبقيت هي وحامية فامكة الى ان عادت الثورة فعادت الى سنار على ما سيجيء .

هذا ما كان من الثورة في جزيرة سنار فلنتقدم الآن الى ما كان منها في كردوفان .

الفصل السادس

في

وقائع الثورة في كردوفان

سنة ٢ - ١٨٨٣ م

المكي ود ابراهيم في دار حمره كان اول من ثار على الحكومة في كردوفان المكي ود ابراهيم من مشايخ حمر هاجر الى المهدي في قدير فبايعه ورجع منه اميراً على قومه في ١٠ جمادى الاولى سنة ١٢٩٩ هـ ٣٠ مارس سنة ١٨٨٢ م فوجد البكبكباشي تنظيم افندي مع نفر من العساكر المنظمة والباشبوزق يجمع الضرائب من دار حمر فحرض قومه على عدم دفعها وطرد تنظيم افندي من الدار.

حامد ود السنجق وسقوط ابي حراز : فلجأ الى ابي حراز حيث كان محمد آغا رحمة الشايقي محافظاً مع نفر من العساكر فوجد البديرية أهل تلك الجهة قد تجمعوا على شيخهم حامد ود السنجق في منهل المشقة على نحو ساعتين من ابي حراز وحصروا البلدة فخرج عليهم العساكر وأهل البلدة في ٩ أبريل سنة ١٨٨٢ فردوم على أعقابهم وتبعوم الى ابي حراز فاعتصم العساكر في ديوان الحكومة والاهالي في الجامع فحصروهم في المكانين المذكورين فلما أرخى الليل

سدوله فرّ المساكر الى الابيض فدخلوها الاثنين في ١٠ ابريل. وبقي اهل البلدة محاصرين في الجامع ثلاثة ايام حتى اشتد بهم العطش والجوع فسلموا .

واقعة البركة في ١٨ مايو سنة ١٨٧٢م: وسرى روح الثورة الى الحوازمة والغديّات فاجتمعوا على حامد ود السنجق حتى بلغ انتصاره نحو العشرين ألفاً فنزل بهم في منهل البركة فجهز سعيد باشا دير الابيض سرية من المساكر فيها ٤٠٠ من الجهادية و ٦٠٠ من الباشبوزق و ٨٠٠ من المتطوعة وعقد عليها للبكباشي نظم افندي وكان على المتطوعة عمر ود دفع الله من الإبطال المعدودين فسارت السرية ببيتة « مربع » المتطوعة ضلع منها والحملة في الوسط فخرج عليهم العرب ودخلوا المربع من جهة المتطوعة واشتغلوا بنهب جمال الحملة فصويت المساكر اذ ذاك نيران بنادقهم اليهم والى الحملة معاً ففتكوا بهم وقتلوا منهم الف رجل ونيفاً وهزموهم شر هزيمة واستولوا على المنهل المذكور وكان ذلك يوم الخميس في ٢٦ جمادى الآخرة سنة ١٢٩٩ هـ ١٨ مايو ١٨٨٢م .

خراب اسحف في ٢٥ مايو سنة ١٨٨٢م: ثم ان المكي ابراهيم صاحب حادثة مر حشد جيشاً من عربانه وزحف على اسحف وهي نقطة عسكرية على ١٠ اميال غرب بارة وفيها السر سوارى محمد اغا شبو محافظاً مع ٢٠٠ رجل من الباشبوزق والنور عنقرة المار ذكره متقاعداً والشيخ عثمان حامد عمدة البلدة وجابر اغا الطبيب ناظر القسم فخرجوا لقتال المكي ابراهيم ببيتة « مربع » جاعلين البلدة في الوسط فكان كل منهم مع رجاله في جانب من المربع فاخترق المكي ود ابراهيم صفوفهم ودخل المدينة ونهبها وأحرقها وقد نجسا التور عنقرة ببيض اتباعه الى بارة وكان معه النحاس « المنصورة » الشهير المار ذكره في تاريخ الفور فتركه غنيمة للثائرين وآل بعد ذلك الى الخليفة عبد الله فاتخذة نجساً له . اما محمد اغا شبو فانه نجبا بمساكرة بعد كفاح شديد ودخل بارة الخميس في ٧ رجب سنة ١٢٩٩ هـ ٢٥ مايو سنة ١٨٨٢م .

السفاني وواقعة بارة في ٢٧ يونيو سنة ١٨٨٢م : وبعد واقعة اسحف

حضر رجل لحاوي يدعى السامي من قبل المهدي فاتخذ مع المكي ود ابراهيم وأخذ يستعد للزحف على بارة وكان في حاميتها اذذاك ٩٠٠ رجل من نظامية وباشبوزق بقيادة الصاغ سرور بهجت فاستقدم سعيد باشا العساكر من البركة وأرسل الى بارة ١٦٠٠ من العساكر النظامية والباشبوزق مع البكباشي محمود حسن فدخلوها في ٦ يونيو سنة ١٨٨٢ م. وكان سعيد باشا في بدء الاضطراب في كردوفان قد ارسل يطلب المدد من الخرطوم فأرسل اليه عبد القادر باشا ٤٠٠ من العساكر المنظمة و ١٦٠٠ من الباشبوزق بقيادة البكباشي محمد الفولي فوصلوا بارة ثاني يوم وصول النجدة من الأبيض فاجتمع في بارة نحو ٥٠٠٠ رجل من نظامية وباشبوزق وكان في الأبيض الميرالاي علي بك شريف (مدير دارفور قبل سلاطين باشا) متقاعداً فجهأ قومنداناً عليهم وأخذوا يستعدون للدفاع. وكان على حامية بارة زربية من شوك فشرعوا في حفر خندق من داخلها وقبل ان يتموه حضر السامي بجيوش لا عداد لها فتلقاهم العساكر بالمدافع والسوارين والبنادق ففتكوا بهم فتكاً ذريعاً وهزموهم شر هزيمة فخرجوا من الخندق في افرم يقتلونهم حتى أخرجوهم من اكناف بارة وقد قتل منهم في هذه الواقعة نحو ٥٠٠٠ رجل.

وتجمع الباقون في منهل شتوره غربي بارة فكتبوا الى المهدي عما جرى لهم فأرسل اليهم عبد الله ود النور من أخص عماله فتولى قيادتهم وعاد معظم المدد الى الأبيض وبقي البكباشي محمود حسن بمعسكره فلما علم بمقر العرب خرج عليهم فطردهم منه فزولوا في منهل ابي سنون فأرسل سعيد باشا تنظيم افندي من الأبيض مدداً له وزحفاً معاً على ابي سنون فأوقعا بعبد الله ود النور ففر الى منهل البركة وكتب الى المهدي عما أصاب أنصاره من القتل في البركة وبارة وشتوره وابي سنون واستعنه على القدوم الى كردوفان بنفسه قبل ان تخمد حمية العرب ويرجعوا عن نصره.

وكان سعيد باشا قد بعث يطلب المدد من عبد القادر باشا فأرسل اليه

نصف اورطة جهادية من سنهت وسبعة سناجق من الباشبوزق بقيادة البكباشي باشا حماد وصحبهم محمد باشا امام الملقب بالخير حاملاً مدداً من الذخائر الى الفاتر فدخلوا الابيض في أواسط يونيو سنة ١٨٨٢ م .

المنه و د اسماعيل وسقوط الطيارة في ٦ اوغسطس سنة ١٨٨٢ : وكان في جملة الذين عاهدوا المهدي على الجهاد في كردوفان المنه اسماعيل شيخ قبيلة الجوامعة فحشد نحو عشرين الفا من عريانه وهاجم حامية الطيارة وكانت للحامية خندق عظيم ومتراس وحولها زرب من شوك ولكن لم يكن فيها من العساكر سوى ١٣٥٠ رجلاً من جهادية وباشبوزق وعليهم اليوزباشي محمد الشافعي قومنداناً فصدوا هجوماً من مرتين وطلبوا المدد من سعيد باشا فوجه اليهم خليل اغا السنجق ومعه ٦٠٠ من العساكر الجهادية والباشبوزق ومدفع واحد ولكن قبل وصول المدد الى الحامية هاجمها المنه اسماعيل ثالث مرة مستقلاً فأخذها عنوة وأعمل في اهلها السيف والحرية فلم ينج منهم الا اليسير . وكان ذلك في ٢١ رمضان سنة ١٢٩٩ هـ ٦ اوغسطس سنة ١٨٨٢ م .

وفي اليوم التالي انقلب المنه على العساكر الآتين من الابيض فقتلهم عن آخرهم وأرسل البشائر الى المهدي في قدير وعبد الله ود النور في البركة وقطع خط التلغراف والبوسطة بين الابيض والحرطوم وأقام في الطيارة منتظراً الامر .

وكان في خورسي نحو ٣٠٠ رجل من الباشبوزق مع احمد اغا الشاقي فلما كانت واقعة الطيارة ارسل اليهم سعيد باشا فاتوا بارة في ١٦ اوغسطس سنة ١٨٨٢ م ولم يبق في كردوفان الى هذا العهد سوى حاميتي الابيض وبارة وحامية صغيرة في جبل الدلن ومجموعها كلها ٨٧٥٠ رجلاً من نظامية وباشبوزق .

وكان سعيد باشا منذ حادثة ابي حراز قد شرع في تحصين الابيض فعفر

نتائج السؤالات

حولها خندقاً وأقام من ترابه متراً وأحاطه بزرية من شوك ووضع عليه
 العساكر وفرق الأسلحة على أهل البلد وجعلهم على الخندق مع العساكر .
 هكذا كانت حال كردوفان لما أتاه المهدي غازياً من قدير وهاك تفصيل
 غزوته :

الفصل السابع

في

وقائع المهدي في كردوفان

سنة ٢ - ١٨٨٣ م

غزوة المهدي للأبيض في ٢٨ يوليو سنة ١٨٨٢ ، وكان للمهدي في الأبيض انصار اهل ثروة ووجاهة أخصهم الياس باشا ام بربر الجملي النفيعاني وهو من أكابر التجار وقد تولى مديرية الأبيض مدة ثم عزل عنها قبل لاشتراكه سرأ في حركة سليمان الزبير وكان بينه وبين احمد بك دفع الله من أعيان التجار ضغائن شخصية شديدة وانحاز سعيد باشا المدير الى احمد بك فاشتد حنق الياس باشا عليها ولم يكن يقوى عليها مع الحكومة فانحاز الى المهدي للانتقام منها وأنفذ رسله سرأ الى المهدي بقدیر فحشه على مهاجمة الأبيض وأكد له النصر وذلك قبل واقعي راشد والشلاي لكن المهدي شعر من نفسه اذ ذاك بالمعجز عن اتخاذ خطة الهجوم فاكتمى ببث الدعاة لتيسير الناس على الحاميات كما مر . ثم كانت واقعة راشد ثم واقعة الشلاي وكثرت الوفود اليه حتى ضاقت به بلاد قدیر وتحتم عليه النزوح الى بلاد أوفر خيراً وأكثر اتساعاً وكبرت نفسه لتوالي النصر عليه فتطلب الهجوم بدل الدفاع وكان الياس باشا

لم يزل يستعنه على مهاجمة الابيض وقد وثق المهدي به حتى انه أرسل اليه اسماعيل العمري من قدير بالذهب والفضة التي غنمها من راشد والشلاي فباعها وأرسل اليه غنمها ومهد له السبيل داخل الابيض وخارجها وكان عبد الله ود النور قد كتب اليه يستعجله الى كردوفان كما مر فاجتمعت له هذه الأسباب كلها على غزو الابيض .

فلما كان اليوم الثاني عشر من رمضان سنة ١٢٩٩ هـ ٢٨ يوليو سنة ١٨٨٢ م خرج غازياً الابيض بجميع من كان معه من الجيوش إلا العواجز والمرضى واصحاب الاعذار فانه أبقاهم في جبل قدير عند محمود عبد القادر احد أقاربه الذي استعمله على دار هجرته وأبقى عنده المدافع والاسلحة النارية التي غنمها من المصريين لأنه لم ير داعياً الى أخذها . وكان معه من الجيوش نحو ٢٠ ألفاً قبل خراجهم من قدير وهم لا يعلمون الجهة التي يريدونها حتى أتوا جبل الجردة فقال لهم « ان سيد الوجود أمرني بالتوجه الى كردوفان فان الترك فيها آذوا المسلمين وضيقوا عليهم » . ثم كتب من هناك الى عامله عبد الله ود النور أنه قادم يبيشه الى غزوة الابيض وأمره بأن يجمع رجاله ويقابله بالقرب منها . وسار من جبل الجردة فنزل بمحل يدعى اللخنة وأقام به ثلاثة ايام وفيه أمر بقتل شخصين لأنها قتلا نفساً بريئة . ثم سار حتى نزل بجحرام لويه وقد كان عند خروجه للسفر صائماً رمضان والناس معه صائمون حتى وصل الى هذا المكان فأفطر وأمر الناس فأفطروا . ثم استطرد السير في بلاد النوبة فنزلت الامطار في الطريق وفرغت أزواد جيشه فجاءوا وتعبوا فسار ببطء ومشقة حتى أتى البركة فوجد عبد الله ودالنور في انتظاره بنحو عشرة آلاف مقاتل فأقام في البركة أياماً للراحة . ثم زحف يبيشه على الابيض فنزل في منهل كآبا على ستة أميال الى الجنوب الغربي من المدينة وذلك يوم الجمعة في ١٧ شوال سنة ١٢٩٩ هـ ١ سبتمبر سنة ١٨٨٢ م وكان قد كتب للمنة اسماعيل ليوافيه اليها من الطيارة فكث في كآبا في انتظاره وأرسل فرسانه لاستطلاع الابيض . ثم انتدب رجلين من اصحابه ومحمد المغربي وود جلي الزباداني وأرسلهما

بكتابين الى الابيض احدهما الى سعيد باشا ورؤساء الجيش والآخر الى سكان المدينة من علماء وأعيان وتجّار وغيرهم دعاهم فيها الى التسليم وحقق الدماء متهدداً بإيام بالقتل اذا لم يسلموا فدخل الرسولان المدينة وكل منها متقلد سيفه وحريته فسلما الكتّابين الى محمد سعيد باشا فجمع الضباط والعلماء والأعيان وأمر بأن يتلى عليهم الكتّابان ثم سألهم عن رأيهم فيها فقال الضباط لا رأي لنا إلا الحرب أما التجّار والأعيان والعلماء فانهم لم ينطقوا ببنت شفة ولكن لاحت على وجوههم سمات الميل الى المهدي إلا احمد بك دفع الله فانه انتصب في المجلس وقال أما انا فقد اخترت الحرب مع الجند والدفاع الى آخر نسمة من حياتي . ثم التفت سعيد باشا الى الباقيين وقال وأنتم ما الذي أجمعتم عليه فبقوا صامتين ولما ألحّ عليهم في الجواب قالوا ننتشاور في بيوتنا ثم نجيبكم وكان الياس باشا قد فاز باستمالة معظم الأهليين الى حزبه فأجمعوا على الفرار الى المهدي وقد علم احمد بك دفع الله ذلك منهم وحرّض المدير على حبسهم فلم يصغ اليه خوفاً من وقوع الفشل في الحامية فان الياس باشا وسائر التجّار والأعيان كان لهم سلطة نافذة على الأهليين وكان عند كل منهم من ١٠٠ رجل الى ١٥٠ رجلاً مسلحين بالأسلحة الكاملة فكان يطاولهم حتى تلسى له الفرصة فينكتل بهم الواحد بعد الآخر فاذن لهم في الانصراف فانصرفوا الى منازلهم . وخرج من المجلس فرأى الرسولين قد اجتمع عليها نفر من العساكر والأهليين وهما يكلمانهم ببذاءة واستخفاف ويقولان لهم : أيها النصاري الكفار سوف نقتلكم ونشكل بكم كما فعلنا بجردي راشد والشلاحي فاعتاظ سعيد باشا والضباط من بذاتهما وطلبوا من العلماء الاقتناء بقتلها فأبوا قائلين ان الشرع لا يسمح بذلك فأجبر الضباط خصوصاً اسكندر بك فاقنعهم العساكر على قتلها فشنقوا على الزاوية الجنوبية الشرقية من السور وفرسان المهدي الذين أرسلهم لاستطلاع الابيض تنظر اليهم من بعيد . وقد أراد الضباط بقتل الرسولين ان يستغفوا بقوة المهدي ويلقوا الرعب في قلوب الأهليين الذين عزموا على اللعوق به . ولكن قتلها لم يؤثر شيئاً في ما نواه الأهليون فانه ما خيم الظلام حتى أخذوا

يتسللون من خط النار ثلة بعد ثلة ويأتون الى المهدي في كابا وفي مقدمتهم الياس باشا وقومه والحاج خالد العنرابي وجرجي استامبولي الحلبي من أعيان التجار وعبد باشا امام المار ذكره حتى لم يبق في المدينة من الأهلين سوى احمد بك دفع وأتباعه وعددهم ٤٠٠ رجل فيهم ابن خالته عبد الله ود ابراهيم و ابراهيم ود عدلان والمرسلين النمساويين وهم ثلاثة رهبان وخمس راهبات ولهم كنيسة .

وكان في الحامية من العساكر ثلاث اورط نظامية من المصريين وخمسة عشر سنجقاً من الباشبوزق الشايقية والأتراك والمتطوعة في كل سنجق من ١٠٠ رجل الى ١٥٠ رجلاً وجملة العساكر نحو ٦٠٠٠ رجل ولم يكن عددهم كافياً لحماية السور العظيم الذي أقاموه في بدء الحصار فلما علموا بقدوم المهدي لمهاجمة الابيض شرعوا في حفر خندق مربع داخل السور العظيم على قدرهم فاشتغلوا فيه الليل والنهار حتى أتموه وجعلوا فيه القشلاق ومحل الذخيرة وديوان المديرية والشونة وجعلوا وراءه زرباً متيناً من شوك وأقاموا عليه خمسة أبراج برجاً في كل زاوية وبرجاً في وسط الضلع الشرقي تجاه مركز المديرية واصطف العساكر الجهادية والباشبوزق على الاضلاع هكذا :

١ - البكبائي محمد الفولي ومعه نصف اورطة جهادية و ٣ سناجق على الضلع الشمالية .

٢ - البكبائي محمد نظم ومعه اورطة جهادية و ٩ سناجق على الضلع الجنوبية .

٣ - البكبائي باشا حماد ومعه نصف اورطة جهادية و ٤ سناجق على الضلع الشرقية .

٤ - البكبائي محمود حسن ومعه اورطة جهادية وسنجان على الضلع الغربية .

ووقف احد يك دفع الله برجاله على الضلع الشمالية مع محمد الفولي ومكثوا ينتظرون هجوم المهدي ومعه الملازم يوسف منصور ضابط بوليس الابيض .

ضلع وتمقيهم فقتلهم عن آخرهم ثم أرجع العساكر الى محلاتهم على خط النار . اما العربان المهاجرون للزاوية الجنوبية الشرقية فلما رأوا اخوانهم قد دخلوا الاستحكام ظنوا ان الحامية اصبحت في يدهم فصاحوا صيحة النصر وحملوا على الحامية يرومون اختراقها فتلقتهم نيران العساكر أشد من قبل فردتهم على أعقابهم ودام القتال من صلاة الصبح الى الظهر وقد حمى على العساكر حديد البنادق فتوقوه بطرايشهم ليتمكنوا من مواصلة اطلاق النار ومع ذلك لم يزل العرب يوالون الهجوم الكرة بعد الكرة حتى صاروا اذا أرادوا التقدم داسوا اخوانهم القتلى فسادوا اذ ذاك عن الحامية بالحزبي والحسران وقد قدرت خسارتهم بمشرة آلاف الى اثني عشر ألفاً وفيهم القاضي احمد ود جبارة قاضي الاسلام المتقدم الذكر ومحمد وعبد الله شقيقا المهدي والشيخ ادریس شاعرم وعبد الله التيجاني كاتبه وأمين ختمه ونحو خمسين رجلاً من عشيرته . وخاب أمل محمد باشا امام بالمهدي بعد هذا الانكسار واشتد به الأسف على الخيانة التي ارتكبها بالفرار من الحكومة التي شرفته برتبها ووظائفها فشرب سماً ومات بعد الواقعة بقليل . وأما خسارة العساكر فلم تزيد عن ٣٠٠ رجل . وفرّ المهدي ناكصاً على عقبيه مع باقي جيشه الى كابا فأقام فيها حائراً ذليلاً منكسر النفس .

ولو عمل سعيد باشا بمشورة احمد بك دفع الله وخرج للمهدي على اثر هذا الانكسار ربما كان أخذ أنفاسه ومحا ذكره ولكنه خاف ان يخرج من الاستحكام فيحتله المنة اسماعيل الذي رجع الى خور طقت فلم ير الخروج من الاستحكام رأياً . وقد أمر عساكره ثاني يوم الواقعة فأبعدوا جثث القتلى عن الحندق وشرعوا في تحصينه فزادوه عمقاً وأقاموا له سوراً من طوب وفتحو فيه المزاغل ومنتوا الزريبة فأصبحوا في « حصن » منيع .

اما المهدي فقد قيل ان خليفته التعايشي أشار عليه بالرجوع الى قدير ولكن ألياس باشا ثبته ودله على حصار الأبيض والتضييق عليها الى ان يضطرها الى التسليم نظراً لقلة أقاتها وعدم المدد .

حصار الأبيض : وفي ضحى الاثنين قال المهدي لأصحابه : « أمرني سيد الوجود بمحاصرة مدينة الأبيض الى ان يسلم أهلها او يهلكوا جوعاً ». ثم خرج من كبا فنزل قرب الأبيض على بُعد مرمى قنبلة منها بمحل يدعى الجزارة فيه آبار غزيرة تعرف بالمُشَر فرسم ديمًا واحتل وسطه وأنزل خلفاءه من حوله وبعدهم الأمراء فكبراء الجيش فصامته وقد بنوا بيوتًا من قش وأقاموا على حصار الأبيض . وكان المهدي قد أخبر أهل المدينة في الكتاب الذي أرسله اليهم ان يخرجوا اليه بأبنائهم ونسائهم ويتركوا أمتعتهم وأموالهم في منازلهم قال : « لأن الملائكة تحرسها لهم فلا يسبها احد حتى تُفتح المدينة فيعودون اليها فيجدونها كما تركوها » ففعلوا كما قال لهم وكان العساكر عند خروجهم مشغولين بحفر الخندق كما مر فكانوا يذهبون الى المنازل بالناوبة ويحملون منها كل ما وجدوه من حبوب وأمتعة وأموال وقد وجدوا في بيوت بعض التجار مطاير ثمينة من الذهب والفضة والحلى فاقتسموها بينهم . وبعد الواقعة أمر سعيد باشا العساكر فانتشروا في أحياء المدينة وجمعوا كل ما استطاعوا جمعه من الفلال والمؤن . ثم ان أهل المدينة الذين فروا الى المهدي لما رأوا ان الملائكة لم تحرس منازلهم كما أخبرهم المهدي صاروا يأتونها خلسة بالجمال فيحملون ما استطاعوا حمله ويعودون الى ديم الجزارة فلما درى العساكر بهم أخذوا يتعقبونهم ويقتلون من ظفروا به منهم فانقطعوا عن الهجاء ولكن عربان المنة اسماعيل لم يزالوا يتسللون ليلاً وينهبون المنازل حتى منعهم المهدي .

تسليم حامية الدلن في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ م : وكان المهدي قبل قيامه من البركة أرسل الملك عمر من فقهاء التكرانة بسرية من الانصار الى جبل الدلن وكان فيه بلوك من العساكر السود لمنع تجارة الرقيق وكنيسة للمرسلين النمساويين فيها قسيسان احدهما الأب اوهرولدر المشهور وأخان وثلاث راهبات فاضطرم الملك عمر الى التسليم ونهب الكنيسة وخربها وساق الجميع الى المهدي في الجزارة وكان تسليمهم في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ م .

ظهور نجم ذي ذنب : وفي ٢٨ من هذا الشهر ظهر في سماء السودان نجم ذو ذنب كبير قيل امتد في السماء كشراع السفينة وكان يطلع كل يوم قبيل الفجر ويمتد حتى يخفيه نور الشمس وبقي على ذلك أياماً . وفي خرافات اهل السودان ان ظهور مثل هذا النجم شؤم على البلاد فحسبه انصار المهدي شؤم على الحكومة وبالحقيقة انه كان شؤماً كبيراً على الفريقين .

تسليم بارة في ٥ يناير سنة ١٨٨٣ م :

ولما استقر المهدي في معسكر الجنزارة أرسل المنة اسماعيل والامير رحمة ود منوفل الجامعي بمربانها لأخذ بارة وكان في بارة اذ ذاك اورطة نظامية ونحو ٢٤٠ رجلاً من الباشبوزق عليهم الصاغ سرور افندي نهجت قومنداناً ومعه النور عنقرة المار ذكره . وكان سعيد باشا قد أرسل بعد واقعة الابيض الى عبد القادر باشا يعلمه بالنصر ويسأله المدد فأرسل اليه عبد القادر باشا الميرالاي علي بك لطفي المشهور بأبي كوكبة على اورطتين من العساكر النظامية و ٧٥٠ رجلاً من الباشبوزق فتلقاهم الامير رحمة في مكان يدعى « كوك » ود جفون ، مسيرة يوم من بارة وكانوا عظاماً تعابى فقتل منهم ما يتيف على الف رجل وغنم بنادقهم وذخائرهم وكان في جملة القتلى الاستاذ السيد احمد الازهري ابن الولي اسماعيل الكردي المشهور الذي صحبهم على ان يكون شيخ الاسلام وقاضي عموم غرب السودان . وفر من سلم منهم فطاردهم رحمة المذكور حتى قربوا من بارة فتلقاهم المنة اسماعيل وأصبحوا بين قوتين فبلغ الحامية ان العرب يحاربون النجدة فخرج النور عنقرة ببعض العساكر ففرق العرب عنها وفتح لها طريقاً فدخلت بارة في ١٠ الحجة سنة

١٢٩٩ هـ ١٨٨٢ م .

وكان في الحامية دنقلاوي يقال له احمد ود مالك يود الخروج الى المهدي لأنه من جلسه فاتفق مع المحاصرين ثاني يوم وصول النجدة فأضرم النار في بعض البيوت القريبة من الشونة والذخائر حتى اشغل العساكر ففر مع نفر

من اهل وفي الوقت نفسه هاجم العرب الحامية من الجهات الاربع فاشتغل بعض العساكر في اطفاء النار وثبت البعض الآخر على القتال فردوا العرب على اعقابهم . وفي اليوم التالي خرج النور عنقرة ليلاً بالعساكر وباغت المنه اسماعيل في معسكره فقتل من جيشه وغنم وعاد الى بارة . وكان سلاح أنصار المهدي الى هذا العهد السيف والحرية فلما نزل المهدي لحصر الابيض رأى ان السيف والحرية لا يفيان بالغرض فاستحضر الاسلحة النارية من قدير فوزعها على اصحابه وأرسل جانباً منها الى محاصري بارة فضيقوا على اهل الحامية ومنعوم من الخروج ودام هذا الحال اياماً حتى فرغ زاد العساكر فأكلوا الحنظل والكلاب والجلود وقد فرغت ذخائرهم او كادت فقعد الضباط والسناسق ومعهم النور عنقرة مجلساً للنظر في أمر نجاتهم فرأوا انهم اذا بقوا محصورين هلكوا جوعاً واذا خرجوا فان قصدوا الابيض فالابيض يحصرها المهدي وقومه وان قصدوا الخرطوم فهي بعيدة منهم والطريق معطشة فاذا نجوا من المحاصرين لم ينجوا من العطش فأقرروا على التسليم وخافوا اذا سلموا للمنه اسماعيل ان يسيء معاملتهم أخذوا بشاره فكتبوا الى المهدي يسألونه ان يرسل اليهم اميراً للتسليم عن يده فأرسل اليهم عبد الرحمن النجومي بجيش كبير فسلموا له في ٢٥ صفر سنة ١٣٠٠ هـ ٥ يناير سنة ١٨٨٣ م . فجاء بهم النجومي وبالمحاصرين الى ديم الجزيرة فقابلهم المهدي بجيش كثيف وأطلق ٢١ مدفعاً اعلاناً للنصر .

ثم تقدم اليه النور عنقرة وجميع الضباط والسناسق فبايعوه فطيب خاطرهم وعين لهم محلاً في المعسكر فأقاموا فيه . وقد فرج عنه فتح بارة بعض الغنم الذي ناله من انكساره في واقعة الابيض .

عود الى حصار الابيض : وكان المهدي لما استحضر الاسلحة النارية من قدير أنشأ راية جديدة ضم تحتها جميع الجهادية السود الذين كانوا في أسره وجعل عليها حدان ابا عنجه أميراً فضيقوا على الابيض وقعدوا لها في كل مرصد .

اما حمدان ابو عنجه فهو عبد من المنضلة أي العبيد المولدين في بلاد البقارة وقد خدم في جيش الزبير في بحر الغزال ثم في جيش ابنه سليمان ولم يسلم مع سليمان ولا قرّ مع رابع بل بقي في دار التعايشة فقبض عليه محمد زقل مدير داره في ذلك الحين وزجه في السجن ثم خرج من السجن وبقي في بلاد التعايشة الى ان ظهر المهدي فهاجر اليه وبايعه ودخل في راية التعايشي وعلم المهدي بسالته وتعوده على ادارة الاسلحة النارية فجعله اميراً على الجهادية كما تقدم . وكان ابو عنجه يأخذ رجاله ويختبئ بهم في منازل الابيض المهجورة ويترصده المساكر فكلما لاح واحد منهم رماه بالرصاص حتى قتل عدة منهم وفيهم البكباشي باشا حماد قومندان الضلع الشرقية فقد أصابته رصاصة وهو جالس عند باب ديوان المديرية مع سعيد باشا فخر قتيلاً .

وفي آخر الشهر الرابع من الحصار نفذ الزاد من الحامية واشتد الجوع على المساكر حتى صار فرسانهم يخرجون الى اطراف معسكر الدراويش فيخطفون منه القوات او يذهبون الى حلة ابي صفيّة قرب الاستحكام فيأتون منها بالكوريب للتقوت به فتنبه المحاصرون لذلك فوقفوا لهم بالمرصاد وأحرقوا الكوريب . ودام الحصار على هذا الحال حتى ملّ المساكر واشتد بهم القحط فأكلوا ما عندهم من الخيل والحمار والكلاب والهررة والفيضان ثم شرعوا في أكل الصمغ . وقد غلت الاسعار اذ ذاك غلاء فاحشاً حتى بلغ ثمن اردب الذرة نحو ٣٠٠٠ ريال والحمار ٥٠٠ ريال والفرخة ٤٠ ريالاً والبيضة ريالاً والفار ريالين ورطل اللبن ريالين ورأس السكر ٥٠ ريالاً . ولما بلغ الباعة في معسكر المهدي غلاء الاسعار في الحامية الى هذا الحد صاروا يأتون اليهم سرّاً بالزاد فيبيعونه لهم بأثمان فاحشة حتى اتصل الخبر الى المهدي فأصدر أمره الى الكافة بمنع ذلك بتاتاً وتهديد من يخالف الامر بقطع يده ورجله من خلاف . فضاقت الامر بالمساكر وبلغت المجاعة حدّها حتى صار البعض ينبشون أوكار النمل ويخرجون منها الحب للتقوت به والبعض يأكلون جلود الأسرّة والأحذية وكلما ذبحت ماشية اجتمعوا عليها أفواجاً يختطفون دماها تسكيناً لحرارة



جرجي اسطبوليه

الجوع واجتزاء به من القوات .

وفوق هذا الجوع الذي أصابهم انتشر فيهم مرض فقر الدم والدينتاريا فمات منهم من ١٠ : ٢٠ في اليوم . ولما اشتد بهم الحال الى هذا الحد أخذوا يتسللون من الحامية واحداً واحداً الى معسكر المهدي وكان في جملة الذين خرجوا المهدي فراراً من الجوع ابراهيم ود عدلان فكان له في المهدي شأن يُذكر .

تسليم الابيض في ١٩ يناير سنة ١٨٨٣ :

وكان سعيد باشا يتفقد المساكر على خط النار ليلاً ونهاراً ويثبتهم على الحصار وهو لم يزل يعلّل نفسه ويعلمهم بقدم النجدة من الخرطوم فلما سقطت بارة جاء بعض رجالها قريباً من الاستحكام وتادوا بالمساكر قائلين ان بارة سلمت والنجدة التي كانت آتية لانقاذكم قد أهلكها العرب في الطريق ومن بقي منها سلم مع حامية بارة فلم يصدقوا ما كانوا يسمعون حتى دخل عليهم في ١٠ يناير سنة ١٨٨٣ ضابط من ضباط بارة وأخبرهم بما كان من سقوط الحامية وهلاك المدد الآتي من الخرطوم وحدثهم عن الثورة في سنار والثورة المرائية في مصر فسقط هذا الخبر على الحامية كصاعقة هدمت قوام وقطعت رجاءهم .

ثم ان المهدي لما رأى كثرة اللاجئين اليه فراراً من الجوع وعلم تمام الحال التي صارت اليه الحامية صمم على الهجوم واستعد له فبلغ ذلك جرجي استامبولي التاجر المار ذكره فشق على اهل الحامية وعلى الأخص قس الكنيسة لأنهم اصحابه فذهب الى المهدي وسأله ان يمهله ريثما يذهب الى الحامية ويخاطب اهلها بشأن التسليم فأجاب المهدي سؤله قائلاً اني اقرب الاستحكام ونادى طالباً مقابلة الضباط فجاءه علي بك شريف الميرالاي واسكندر بك القائم والبكباشي محمود فأخبرهم بالذي عزم عليه المهدي وألح عليهم بالتسليم فعقد الضباط مجلساً للنظر في ذلك فقتل سعيد باشا : اني افضل ان ألقى النار في

البارود وأحرق الحامية كلها على ان أسلم لهذا الدجال الحقير وكذلك قال احمد بك دفع الله ولكن سائر الضباط والسنابق قالوا : ليس من الحكمة ان نهلك انفسنا وأنفس العساكر الذين في عهدتنا فاذا لم نسلم بالرضى فالمهدي لا بد انه يهاجمنا ويأخذنا بالرغم ولم نعد قادرين على صدّه اليوم كما صدقناه بالامس اذ لم يبق للعساكر قوة على حمل السلاح فضلا عن استعماله بل اذا لم يهاجمنا المهدي هلكننا من الجوع والمرض وقد ذهب منا الآن نحو النصف وانقطع رجائنا بالمدد من الخرطوم . وعليه فلم يبق لنا رأي غير التسليم لا سيما واننا اذا سلمنا بقي لنا أمل في النجاة اذ الحكومة لا تترك المهدي وشأنه بل لا بد لها من تجريد الجيوش لسحقه ويكفيها ولاء لحكومتنا أننا حاربنا في سبيلها على قدر جهدها وحافظنا على شرفها الى آخر رمق منا . ثم كتبوا كتابا الى المهدي فاعتذروا عما مضى وطلبوا العفو والخروج لمبايعته وأمضى الكتاب علي بك شريف الميرالي واسكندر بك القانقار وباقي الضباط والسنابق وعرضوه على سعيد باشا فأمضاه على الرغم وكذلك فعل احمد بك دفع الله ثم دفعوا الكتاب الى جرجي استامبولي فحمّله الى المهدي وكان ذلك مساء الخميس في ١٨ يناير سنة ١٨٨٣ م وقد طلبوا ان يكون التسليم صباح اليوم الثاني ونهبوا على العساكر في الخط اذا رأوا الدراويش مقبلين ان لا يطلقوا عليهم البنادق بل يتقدموا اليهم مسلمين .

فلما وصل كتاب التسليم من الحامية الى المهدي كتب اليهم في الجواب ما يأتي :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

و بعد فمن عبد ربه محمد المهدي بن عبد الله الى كل من أقبل على الله بالحبّة وسلم لأمرنا ونهينا من الحكام والضباط والفقراء والمساكين الذين بالقرى (الحصن) .

ه انكم كنتم في أمر الترك ونهيبهم صادقين وباذلين انفسكم وأموالكم لغير الله

بلا منافع تعود لكم عند الله وترفعكم في الدار الآخرة فكيف اني داعيكم الى الله وما يرفعكم عنده ويعود عليكم بالخير الدائم والنعم السرمدي وبما انكم عاقلون وتعلمون ان ما كان لغير الله سلمت فيه فلما امركم لي لاني لا أريد لكم إلا ما يرضي الله ورسوله. ويدم الخير السرمدي فما دام فعلى بما يعود لكم فمن باب اولي انكم تسلمون لأمرى ونهني بأنفسكم وأموالكم وأولادكم من غير همة بل بمحبة وصداقة بما اني ولي امر الله لكم وخليفة رسول الله فيكم والسلام.

فلما جاءهم هذا الكتاب اطمأنوا . ويوم الجمعة في ١٩ يناير سنة ١٨٨٣ م خرج أهل الحامية جميعاً بأبنائهم ونسائهم مسلمين . فخرج المهدي في ضعى ذلك اليوم من مسجده وعليه الدرع والمقفر ومعه خلفاؤه وسائر أصحابه فتلقاهم بقرب الخندق الكبير المحيط بمدينة الأبيض وجلس على الأرض كجلوسه للصلاة . ثم تقدم اليه محمد باشا سعيد وعلي بك شريف واسكندر بك واحد بك دفع الله وباقي الضباط والسناجق فبايعوه الواحد بعد الآخر باليد ثم بايعه المساكر مشافهة . قيل فلما تقدم محمد سعيد باشا لمبايعة كان بيده خاتماً من الماس فأخرجه المهدي من يده ثم دفعه له في كفه وأطبق يده عليه مشيراً الى ان لبسه ممنوع وأجلسه الى جانبه وحوله الضباط والسناجق . ثم التفت اليه ولامه على قتله رسوله وشكر الله لأنه أخرجه من الظلمات الى النور ثم أمرهم بالانصراف والاقامة في محل خاص عينه لهم ببلق ديه وأمر أمين بيت المال فرتب لهم من الزاد ما فيه كفايتهم وقوام أمرهم على حسب أحوالهم وأخذهم الى المحل الذي أعد لهم فخلعوا عنهم الثياب العسكرية فوضعوها في بيت المال لتستخدم للرقع والبسوم الجيب المرقمة . وكان المساكر قد خاروا من الجوع فهرعوا الى السوق في طلب الطعام فاكلوا بشره زائد حتى مات الكثير منهم من كثرة الأكل .

أما المهدي فانه دخل الأبيض ومعه خلفاؤه وامراؤه ونزل في ديوان المديرية وأنزل خلفاءه وأمرائه في منازل الضباط والسناجق وبقي ديم الجزيرة على حاله .

ثم أمر أمين بيت المال وعماله يجمع الفنائم فجمعوا الأثاث والأمتعة ولما لم يجدوا فيها شيئاً من النقود والحلى نادوا ضباط الحامية وساجقها واحداً واحداً وسألهم عن نقودهم وحلّهم وبدأوا بسعيد باشا فأنكر أمواله وكان قد خبأ ٧٠٠٠ جنيتها في صندوق وجعله في حائط منزله ولم يكن يعلم به إلا جارية له فاعترفت به فتنقبوا الحائط وأخذوه . ثم استنطقوا باقي الضباط والسناجق والموظفين ليدلّهم على الأماكن التي أخفوا فيها أموالهم ومن أنكر أعملوا به السياط وعذبوه حتى اعترف أو مات تحت الضرب كما جرى لأحمد شلي وكيل اشغال المديرية فانهم جلدوه بالسياط الى ان مات وبمحمد المليجي متعهد « سلخانة الميري » فانهم ربطوه برجليه ودلوه في البئر حتى اعترف بماله . وقال الاب روسينيولي احد السس النمساويين المار ذكرهم « لما دخل العرب الحامية كنت في الفراش مريضاً بفقر الدم فدخل بعض الدراويش عليّ فكسروا الصليبان والصور وأحرقوها ثم تقدموا اليّ وشرعوا يضربوني بحدة السيف ويقولون ابن مالك يا كافر قلت كان عندي الف ريال وهي كل ما أملك فاقترضتها لسعيد باشا فوزعها على العساكر ثم التفتوا فرأوا القبر الذي دفن فيه الاب لوزي فظنوه مالا مدفوناً فنبشوه فرأوا جثة بالية فجمعوا عليها ما وجدوه من ورق الدخان وأحرقوها به وأما انا فأخذوني مع رفاقي الى ديم الجنزارة وضمونا الى جماعة كنيسة الدن . وبذلك جمع أمين بيت المال مبالغ وافرة من النقود والحلى ولكن لم يدخل بيت المال سوى ١٤٠٠٠٠ ريال أخذوها من الضباط والسناجق وغيرهم و ٧٥٠٠ ريال من خزانة المديرية . فأفرز المهدي الخمس منها لنفسه وجعل الباقي في بيت المال ليتفق على الانتصار .

ثم امر فجمعت الأسلحة النارية التي كانت مع العساكر وفي حامية الابيض نضمها الى ما غنموه من واقعتي راشد والشلاي فاجتمع عنده ١٦٤٠٠ بندقية و ١٣ مدفعاً و ٧ سوارين وثيء كثير من الذخائر . واجتمع عنده من عساكر الحكومة نحو ٥٠٠٠ من مصريين وسود فجعل السود في راية حمدان ابي عنجة وسلحهم بالأسلحة النارية والمصريين في راية حسن حسين احد المصريين المولدين

في السودان ولم يسمح لهم بسلاح غير السيوف والحراب .

وبقي انصار المهدي في ديم الجزيرة اياماً بعد التسليم ثم اشتعلت نار في الديم فالتهمته كله لأنه كان مبنياً بالقش كما مرّ فأذن المهدي اصحابه اذ ذاك في سكنى الابيض فاتسعت اتساعاً عظيماً الى كل الجهات أما أسرى الابيض فانه أبقاهم في المكان الذي عينه لهم في الديم القديم .

وبعد هذه الحريقة بعشرة ايام أتى الخليفة عبد الله الى معسكر الأسرى وجلس في خيمة الحاج خالد العمري المار ذكره فدعا اليه سعيد باشا وعلي بك شريف ونظيم افندي والصاغ محمد جمعة من رجال نظم واحمد بك دفع الله ومحمد ياسين فاظر قسم خورسي وعثمان أغا سليمان ومثلي أغا حسين وكلاهما من سناجق الابيض وجعل كل اثنين منها في عهدة شيخ من مشايخ العربان المخلصين لهم وأوعز اليهم سرّاً ان يقتلوه فجعل سعيد باشا ومحمد جمعة في عهدة الشيخ اسماعيل ود الامين شيخ الغديات . وعلي بك شريف ونظيم افندي في عهدة الشيخ نواي شيخ الحوازمة . واحمد بك دفع الله ومحمد ياسين في عهدة الشيخ مادبو احد مشايخ الرزيقات . وعثمان سليمان ومثلي حسين في عهدة الشيخ مكي ود ابراهيم شيخ عربان حمر فذهب كل شيخ بفريسته الى بلده وقتلها فهاوا مأسوفاً عليهم من كل حرّ . وسيبقى اسمهم محفوظاً في التاريخ بالتجلة والاكرام ما ذكر حصار ونجاح حمام .

هذا وقد اختلف الرواة في السبب الذي حمل المهدي على قتل هؤلاء الرؤساء والذي عليه الاكثرون وذكره سلاطين باشا في كتابه « السيف والنار في السودان » ان هؤلاء الرؤساء كتبوا تقريراً الى عبد القادر باشا ذكروا فيه الاسباب التي حملتهم على التسليم . وختموا التقرير ورفعوه الى رسول ليوصله الى الخرطوم وكان في جملة الذين ختموا التقرير الملازم يوسف منصور وكيل بوليس الابيض والقائم مقام محمد بك اسكندر فخاف يوسف منصور ان يقع التقرير في يد المهدي فينتقم منهم جميعاً فضى اليه ووقع على قدميه وأخبره بما جرى رآى في طريقه محمد بك اسكندر فأقنعه ان يفعل مثله ففعل فأرسل المهدي

في الحال في أثر الرسول فقبض عليه وأخذ التقرير منه وشاع حينئذ ان النبي ظهر للمهدي وأخبره بهذا التقرير . واغتم المهدي تلك الفرصة للانتقام من الذين قتلوا أخويه وخذلوه في وقعة الابيض فنظام ثم قتلهم وعفا عن يوسف منصور واسكندر بك وجعل الاول منها قومنداناً على المدافع .

وقد قابلت اسكندر بك ويوسف منصور في ام درمان سنة ١٨٩٨ م فأنكرا هذه الرواية وقالوا ان المهدي كان حاقداً على الضباط لقتل أخويه وخذلانه في وقعة الابيض ولم يعلم الضباط المشار اليهم كيف يتقون نعمته بل زادوه نكايه بعدم العناية به والاستخفاف بأمره . وذكر احدهما تفصيلاً لذلك وصدقه بعض الرواة قال: كان المهدي في يوم جمعة بعد الصلاة يذاكر الضباط في جامع الابيض وكان سعيد باشا جالساً الى يساره مريضاً عنه ويده اليمنى على خده فأمسك المهدي يده وأزاحها عن خده وقال بماذا تتأمل يا محمد سعيد أنا اذا كرك بالله ورسوله واليوم الآخر وانت معرض عني أما أن لك ان ترجع الى الله وتترك الدنيا وهمومها وتنظر في أمر آخرتك فنهض اذ ذاك سعيد باشا وتأفف ونفض ثوبه في وجه المهدي وانصرف من المجلس مغضباً فانقبض وجه المهدي وهب أنصاره طالبين القبض على سعيد باشا فأمرهم بتركه وقال لهم لا تعجبوا من نزقه وحقاقته فأنتم تعلمون انه كان بمقام عزيز من مقامات الدنيا ونزع هذا المقام من طلب الدنيا شديد على النفس .

ثم انصرف المهدي الى منزله وعقد مجلساً مع خلفائه ومجلس شورا بشأن محمد سعيد فأجمعوا على سجنه وتكبيله بالحديد فأخذوه الى ديوان المديرية ووضعوا قيداً من الحديد في عنقه ومكبته في رجله وربطوه في طريق المارة وكان سميناً قصيراً فلقبوه بجراب الفول فكانوا كلما مرّوا به نادوه أي جراب الفول هذه ثمرة عنادك وعاقبة انكارك المهدي . وقد أراد المهدي بحبسه وتشهيره على هذه الصورة ان يذل نفسه ويخضع كبرياه . ولكنه لم يزد بذلك إلا أنفة وكبراً وكان ينظر الى معذبيه ومهينيه نظر المترفع الجلود ولسان حاله ينادي:

لا تحسبن يا دهر اني ضارع لنكبة تمرقني عرق المذني
مارست من لوهوت الافلاك من جوانب الجو عليه ما شكي

قالوا فلما رأى المهدي منه هذا الاصرار عقد مجلس شوره فأقرروا على قتله
هو ومن كان على شاكلته من الضباط والسنابق فسلموهم الى المشايخ المتقدم
ذكرهم فقتلوهم شر قتلة رحمة الله عليهم .

هذا وما انتشر خبر سقوط الابيض حتى هرع الناس اليها افواجا لمبايعة
المهدي وأشهر الذين أتوا اليه « عثمان دقنه » أتاه من سواكن فسماه أميراً على
جميع البجة في السودان الشرقي فكان من اعظم انصار المهدي وأشد أياديها
وساقي تفصيل خبره . وكان قد أرسل بعد واقعة الشلاي الشيخ ماديو المار
ذكره اميراً على دارفور فكان له فيها من الشأن ما سذكره بالتفصيل . وبث
المهدي كتبه ومنشوراته في شرق البلاد وغربها مبشراً الناس بما ناله من النصر
ومحرضاً إياهم على شق العصا والاجتماع على عماله في الجهات او المهاجرة اليه
وحذرهم من ترك الجهاد او البقاء على الحياد .

وكان رابع الزبير اذ ذاك لا يزال في بلاد الفراتيت ومعه جيش قوي
فكتب اليه يستحثه على الرجوع الى السودان والانضمام اليه للجهاد في سبيل
الله فلم يجبه .

ثم كان أهم ما سعى اليه ضم كلمة السنوسي الى كلمته ليستعين به على غرضه
ويتهدد مصر فلما لم يجبه على كتابه الاول عاد فكتب اليه كتاباً آخر بتاريخ
٥ رجب سنة ١٣٠٠هـ ١٢ مايو ١٨٨٣م وأرسله اليه مع طاهر اسحق الزغاوي
الى جنوب وفيه بيتن له كيفية تجلتي المهدي عليه من النبي كما بيئته في منشوره
العام الى « أحبائه في الله » وذكرناه بحرفه وقال :

« واعلم يا حبيبي قد كنا ومن معنا من الاعوان نلتظرك لاقامة الدين قبل
حصول المهدي للعبد الدليل وقد كاتبناك لما سمعنا باستقامتك ودعايتك الى الله
على السنة النبوية وتأهبك لإحياء الدين ونجتمع معك ولم يرد لنا المكاتبه وأظن

ذلك من عدم وصولها اليكم حتى اني اذا كنت جميع من اجتمعت معه من أهل الدين والشيوخ والأمراء المشهورين فأبوا ذلك لهوان الدين عندهم وتمكن حب الوطن والحياة في قلوبهم وقلة توحيدهم حتى بايعني الضمفاء على الفرار بالدين واقامته على ما يطلب رب العالمين وقنعت نفوس من بايعناه من الحياة الدنيا لما يرون للدين من الممات . ولا زال المساكين الذين لم يباليوا بالله بما فاتهم من المحبوب يزدادون وفيما عند الله يرغبون حتى هجمت المهدية الكبرى من الله ورسوله على العبد الحقير فأخبرني سيد الوجود عليه السلام بأني المهدي المنتظر وخلفي عليه الصلاة والسلام على كرسيه مراراً بحضرة الخلفاء الاربعة والاقطاب والحضر عليه السلام ... ولا زال التأييد يزداد من الله ورسوله وأنت منا على بال حتى جاءنا الاخبار فيك من النبي عليه السلام انك من الوزراء لي ثم ما زلنا ننتظرك حتى أعلننا النبي الحضر عليه السلام بأحوالكم وبما أنتم عليه ثم حصلت حضرة عظيمة عن النبي عليه السلام فيما خلفه من أصحابه من اصحابي فاذا أجلس احد اصحابي على كرسي ابي بكر الصديق واحدم على كرسي عمر وأوقف كرسي عثمان فقال هذا الكرسي لابن السنوسي الى ان يأتيكم بقرب او طول وأجلس احد اصحابي على كرسي علي رضوان الله عليهم ولا زالت روحانيتك تحضر معنا في بعض الحضرات مع اصحابي الذين هم خلفاء رسول الله عليه السلام .. وختم كتابه بقوله :

« فاذا بلغك جوابي هذا اما ان تجاهد في جهاتك الى مصر ونواحيها ان لم يسلموا واما ان تهاجر الينا ولكن الهجرة احب الينا كما علمت من فضل الهجرة من زيادة الثواب والمقابلة ان تيسرت وعلى كل حال ترد الينا منك الافادة بما سيصير اليه عزمك من جهاد او هجرة ومثلك تكفيه الاشارة اه . فلم يجبه السنوسي على كتابه بل قال للرسول شفاهاً « قل لحمد احد اننا كلانا لا نساي التراب الذي كان يطأه عثمان بن عفان » .

وأمر المهدي بعد فتح الابيض بقتل اثنين من اعظم أنصاره ومما المنه اسماعيل المار ذكره وعجيل ود الجنقاوي من كبار مشايخ الرزيقات لمنافسة

حصلت بينها وبين التمايشي فساء قتلها جميع الناس وكثر الطعن على التمايشي وقومه سرأ وجهرأ وكان التمايشي وزير المهدي وقائد جيشه وعيبة سره فخوفاً من حصول الفشل في أنصاره اصدر منشوره الشهر بتاريخ ١٧ ربيع اول سنة ١٣٠٠ هـ ٢٦ يناير سنة ١٨٨٣ م في فضل التمايشي ومكانته في المهديّة وأمر الناس بطاعته كنفسه وحذرهم من الطعن عليه سرأ او جهرأ . وهذه صورة المنشور :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

وبعد فمن العهد المقتدر الى الله محمد المهدي بن عبد الله اعلماً منه الى كافة عباد الله المؤمنين بالله وبكتابه أما بعد اعلما أيها الأحباب أن الخليفة عبد الله خليفة الصديق المقلد بقلائد الصدق والتصديق فهو خليفة الخلفاء وأمير جيش المهديّة المشار اليه في الحضرة النبوية فذلك السيد عبد الله ابن السيد محمد حمد الله عاقبته في الدارين فحيث علمتم ذلك يا احبابي ان الخليفة عبد الله هو مني وأنا منه وقد أشار اليه سيد الوجود ﷺ فتأدبوا معه كتأدبكم معي وسلموا اليه ظاهراً وباطناً كتسليمكم لي وصدقوه في قوله ولا تنهوه في فعله فجميع ما يفعله بأمر النبي صلى الله عليه وسلم او بأذن منا لا بمجرد اجتهاد منه ولا هو عن هوى بل هو نائب عنه في تنفيذ أمره ﷺ والقضاء بأمرته فان فعله بكم وحكمه فيكم بحسب ذلك واعلموا يقيناً ان قضاءه فيكم هو قضاء رسول الله ﷺ كما قال الله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً فمن كان في صدره حرج لأجل حكمه فذلك لعدم ايمانه وخروجه من الدين بسبب غفلته وذلك بشاهد قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ولا شك في شرك من استنكف عن حكم الله ورسوله سيما بقوله ﷺ ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الخفي الخ الحديث مع انه خليفة الصديق

وأول المصدقين في المهديّة فانظروا لمكانة الصديق عند الله ورسوله بنص القرآن العظيم وانظروا لمكانة من أورثه الله مكان الصديقين وأورثه بالباطن بالخضر عليه السلام فهو مسدّد مؤيد من الله ورسوله ويد من أيادي الله لنصر دينه بأشارة سيد الوجود ﷺ وقد ورد في فضله كثير . فحيث فهمتم ذلك فالتكلم في حقه يورث الوبال والحذلان وسلب الايمان . واعلموا ان جميع أفعاله وأحكامه محمولة على الصواب لأنه أوتي الحكمة وفصل الخطاب ولو كان حكمه على قتل نفس منكم او سلب أموالكم فلا تتعرضوا عليه فقد حكمه الله فيكم بذلك ليظهركم ويزكيكم من خبائث الدنيا لتصفى قلوبكم وتقبلوا الى ربكم ومن تكلم في حقه ولو بالكلام النفسي جزماً فقد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الحشران المبين ويخشى عليه من الموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله لأنه خليفة الصديق الذي قال الله في حقه : إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا وقال ﷺ : ان آمن الناس عليّ في الصحبة ابو بكر وقال عليه السلام : ما طلعت شمس على احد بعد النبيين أفضل من ابي بكر . وحيث علمتم ذلك فهو بمنزلة الآن لأن اصحابي كأصحاب رسول الله وهو خليفتنا في الدين وخلافته بأمر من النبي فمن كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ومصدقاً بمهديّ فليس للخليفة عبد الله ظاهراً وباطناً واذا رأيتم منه أمراً مخالفاً في الظاهر فاحملوه على التفويض بعلم الله والتأويل الحسن واعتبروا يا أولي الألباب بقضية موسى والخضر عليها السلام حكاهما الله في كتابه العزيز كحكم داود وسليمان عليها الصلاة والسلام لتسلموا من الشكوك والاهوام وانما أنذرتكم بهذا رحمة لكم وشفقة عليكم وليبلغ الشاهد منكم الغائب لئلا تسبوه وتسبوا اليه الظلم والجور فتهلكوا فاحذروا عن أذية أولياء الله فانها أذية الله ورسوله وقد لعن الله ذلك في كتابه فقال : ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة كما أن من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب فان الله غيور على أوليائه فقد علمتم انه ورد من نقض الكعبة حجراً حجراً ثم حرقها بالنار أهون عند الله من ان يؤذي ولياً من أوليائه . وان الخليفة هو قادة المسلمين وخليفتنا النائب عنا

في جميع امور الدين وإياكم والوسوسة في حقه وظن السوء وعدم الامتنال اليه في قوله والمشاجرة له ولأحكامه والخلاف والحسد فتوبوا الى الله وارجعوا قبل ان تذهب حسناتكم وتسلبون ثوب الايمان وانما جلني على هذا البيان النصيحة في الله وحمایتكم من الوقوع في هوى النفس والأمانى فمن تاب تاب الله عليه ومن عاد فينتقم الله منه ويسلطه عليه وهذا امر الله ورسوله فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب أليم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والسلام اه .

الفصل الثامن

في

حملة هكس باشا على المهدي في كردوفان

الحكومة والثورة : هذا ما كان من المهدي في الابيض اما الحكومة في مصر فانها كانت في هذا العهد قد اخذت الثورة العربية واحتل الانكليز مصر في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢م فصارت باحتلالهم مستندة الى قوتهم مقيدة برأيهم ومشورتهم فلما استقامت الاحوال في مصر وعاد اليها النظام التفتت بكليتها الى السودان وكان عبد القادر باشا اذ ذاك يلح في ارسال المدد قبل فوات الفرصة فأقرت الحكومة على إلغاء جيش عرابي وإرساله مدداً الى السودان وفي الوقت نفسه أقرت على سحق المهدي في كردوفان فصدر الامر العالي بإلغاء الجيش في ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨٢ م .

وأنشأ بدله جيش جديد من فلاحي مصر مؤلفاً من ٦٠٠٠ رجل جعل عليه السرافلن ود من خيار الانكليز سرداراً ومعه جماعة من الضباط الانكليز قوادراً للاورط وأركان حرب الجيش .



هكس باشا

ولاية علاء الدين باشا سنة ١٣٠٠ هـ ١٨٨٣ م :

ثم سقطت الأبيض وكانت الوشاية على عبد القادر باشا فدعته الى مصر كما مرّ وارسلت علاء الدين باشا والياً على السودان فوصل الخرطوم في ٢٠ فبراير سنة ١٨٨٣ ولكنها حصرت سلطته في الادارة الملكية وجعلت على العسكرية سليمان باشا نيازي قومنداناً عاماً وهكس باشا رئيساً لأركان حربه . اما هكس باشا فهو من ضباط الانكليز النابغين وقد انتظم في الجيش الهندي سنة ١٨٤٩ وشهد عدة وقائع حربية في الهند والحبشة وتقاعد برتبة كولونيل . وفي سنة ١٨٨٢ قدم الى مصر فسمي رئيس اركان حرب الجيش المصري ولما ألقي جيش عرابي وصدر الامر بارساله مدداً الى السودان سمي رئيس اركان حرب الجيش في السودان كما مرّ فبرج مصر في ٧ فبراير رسار بطريق سواكن فوصل الخرطوم في ٧ مارس سنة ١٨٨٣ .

وتبعه جيش عرابي في هذه الطريق عينها وكان مؤلفاً من اربعة آلايات في كل آلاي ثلاث اورط ومجموعه نحو عشرة آلاف رجل عليهم اربع ضباط مصريين عظام وهم : الميرالاي سليم بك عوني قومندان ١ جي آلاي والميرالاي حسين بك مظهر قومندان ٢ جي آلاي والميرالاي ابراهيم بك حيدر قومندان ٣ جي آلاي والميرالاي رجب بك صديق قومندان ٤ جي آلاي . فأقام هذا الجيش في ام درمان وبنى فيها رجب بك صديق طابية اشهرت في حصار الخرطوم .

واقعة المربع في ٢٩ ابريل سنة ١٨٨٣ م : وكان اول ما أقرّ عليه هكس باشا بعد وصوله الخرطوم ان يجرّد حملة على ود برجوب الذي كان لم يزل شاهراً العصيان في الجبلين وقد اجتمع اليه الزعماء الذين خذلهم عبد القادر باشا كود الصليحيابي واحمد المكاشف وأخيه عامر وغيرهم كما مرّ . فلما كان يوم ٣ ابريل خرج من الخرطوم مع سليمان باشا نيازي القومندان العام وجمع في الكوة نحو ٥٦٠٠ مقاتل فيهم الميرالاي حسن بك مظهر والميرالاي ابراهيم

بك حيدر ومع كل منها ثلاث اورط واليوزباشي حن عزمي قومندان الطوبجية ومعه سبعة مدافع و ٦٠ رجلاً وسنجقان من سناجق الأتراك مع كل منها ٤٠٠ رجل وسار بهذه القوة قاصداً الجبلين . وخرج ود برجوب لقتاله بنحو ٥٠٠٠ مقاتل فالتقى الجيشان في المربيع جنوبي أبا في فجر ٢٩ ابريل سنة ١٨٨٣ م وكان هكس قد نظم جيشه مربعاً فجعل حملة الجبال والمهيات في الوسط ولم يجعل المدافع في الزوايا كجاري العادة بل جعلها بارزة عنها ووصل اضلاع المربع وصلاً تاماً حتى لا يبقى للعرب سبيل الى دخوله ثم نثر حول المربع قطعاً صغيرة من الحديد ذات اربعة رؤوس محددة تقف على ثلاثة منها . ولم يتم تنظيم المربع على هذه الصورة حتى أقبل الدراويش وفرسانهم في ساقتهم مهاجمين هيئة قوس فلما صاروا على مرمى الرصاص صدرت الأوامر للمساكر فأمطروهم سحابة من الرصاص برؤسهم تهرباً وخاف فرسانهم وكبراؤهم ان يثنى ثقل الرصاص عن متابعة الهجوم فصاحوا بهم وحملوا في مقدمتهم بقلوب لا تهاب الموت فكنت ترى الفارس مجرداً سيفه ومطلقاً عنان جواده قاصداً اختراق المربع فيصيبه الرصاص فيقع فيضمد جرحه بيده ويعيد الكرة راجلاً حتى يصصره الرصاص الى ان ملئت الارض من قتلائهم فولوا الأدبار وقد قتل من كبارهم ١٢ رجلاً فيهم احمد المكاشف وجرح عامر المكاشف جرحاً بالفاً وجرح ود برجوب جرحاً أقعده حتى صار يحمل على سريره . أما جيش هكس فقد قتل منه رجلان وجرح عشرون وتقدم هكس بجيشه الى الجبلين فوجد ديم الدراويش خالياً فعاد الى الدويم فترك جيشه فيها وتقدم الى الخرطوم ليعيد نفسه للحملة على المهدي في كردوفان . وقد اختار الدويم النقطة الأساسية لهذه الحملة لأنها ميناء حسن على النيل الابيض وبها شونة قديمة ومنها تتفرغ الطرق الى كردوفان .

حملة هكس باشا على كردوفان : وكان عبد القادر باشا اذ ذاك قد عاد الى مصر قيل فالحج على الحكومة ببقاء الجيش محافظاً على النيل الابيض من الخرطوم الى فاشودة لمنع امتداد الثورة الى جزيرة سنار وترك المهدي وشأنه

في كردوفان الى ان يظهر للناس ثقافه او تضيق به البلاد فيضمحل من نفسه وكان هذا رأي الكثير من ساسة الانكليز ولكن الحكومة لم تول مصممة على سحق المهدي في كردوفان خوفاً على دارفور وبحر الغزال فأمرت هكس باشا بازحف على المهدي في الحال فكتب تليفرافاً في ١٣ مايو الى حكومة مصر يقول انه لا يتحمل مسؤولية الحملة إلا اذا كانت له القيادة العامة عليها ولما لم تلتفت الى طلبه قدم استعفاه في ٢٣ يوليو سنة ١٨٨٣ م فاهتمت اذ ذاك بالأمر ونقلت سليمان باشا نيازي محافظاً على عموم شرقي السودان وجعلت هكس قومنداناً عاماً على الحملة وأمرت علاء الدين باشا بمرافقته كقومندان ثان للحملة وجعلت حسين باشا سرّي وكيلاً عنه في الخرطوم .

فشرع هكس باشا في تجهيز الحملة . وكان اول ما لزمه الاهتمام به وسائل النقل فأرسل علاء الدين باشا الى شرقي النيل الازرق فاشترى ٤٠٠٠ جمل وكان عنده ١٥٠٠ جمل فاجتمع للحملة ٥٥٠٠ جمل . ثم أرسل علاء الدين باشا الى الدويم وشرع في ارسال الجند تبعاً من الخرطوم وأم درمان . وفي ٩ سبتمبر سنة ١٨٨٣ سار ببقية الجيش الى الدويم فوصلها في ٢٠ من الشهر المذكور فاجتمع عنده فيها اربع اورط مصرية وخمس سودانية فيها ٧٠٠٠ من المشاة المنظمة و ٥٠٠ من الفرسان المنظمة و ٥٠٠ من الفرسان الباشبوزق و ١٠ مدافع - ببليّة و ٤ كروب و ٦ من نوع النور دنقلت . ما عدا ٢٠٠٠ من الاتباع و ٥٥٠٠ جمل و ٣٠٠٠ بغل و ١٠٠٠٠ حمار و ٥٠٠٠ فرس .

وأما ضباط الجيش العظام فهم : الميرالاي سليم بك عوني قومندان الآلاي الاول والسيد بك عبدالحالق قومندان الآلاي الثاني وحسين بك فهمي قومندان الآلاي الثالث ورجب بك صديق قومندان الآلاي الرابع ما عدا السناجق الباشبوزق . واما حسين بك مظهر قومندان الآلاي الثاني السابق فقد رُقي الى رتبة لواء ورافق الجيش قومنداناً على الآلايات الاربعة واما ابراهيم بك حيدر قومندان الآلاي الثالث السابق فقد رُقي ايضاً الى رتبة لواء وسمي قومنداناً على خط النار في الخرطوم .

وصحب هكس من الضباط الافرنج الكولونيل فركوهار رئيس اركان حرب و ٨ ضباط اركان حرب وسكرتيره الخاص ميخائيل افندي ناصيف اللبناني شقيق سليمان بك ناصيف من كبار موظفي الحربية بمصر وجورجي بك الحكيم الرومي ومكاتبو التيمس والدالي نيوز والغرافيك وكلهم من الانكليز. وصحبه من الخبراء صالح غاتم و ابراهيم عجوب وأوآ. ومن الملكية الوطنيين الذين استصحبهم من الخرطوم ليأمن شرتهم ويوليهم امر كردوفان في حالة النصر : قناوي بك ابو عموري البحاري الشهير الذي تقدم ذكره في تاريخ الزبير وبساطي بك المحسي باشكاتب الخرطوم وخذ بك التلب الجملي رئيس مجلس الاستئناف ومحمود بك احمداني الكنزى مدير الخرطوم وعبد الرحمن بك بان النقا الجملي من عمد التجار . وأبقى الكولونيل ده كوتلوجن من اركان حربيه في النيل بين الخرطوم وقاشودة لمنع مهاجرة الناس من الجزيرة الى المهدي .

وفي حال وصوله الى الدويم اجتمع بعلاء الدين باشا ونظرا في طريق الحملة فلابيض من الدويم طريقان شهيرتان : طريق بارة طولها ١٢٦ ميلا وماؤها قليل وتصل الابيض من الشمال . وطريق شات طولها ٢٦١ ميلا وماؤها كثير وتصل الابيض من الجنوب . فقال هكس بطريق بارة لأنها أقصر وقال علاء الدين بطريق شات لأن ماءها أغزر يكفي الحملة فقر الرأي على قول علاء الدين . وسارت الحملة من الدويم في ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٨٣ فرجت بشات وتركزت فيها حامية صغيرة لحفظ خط الاتصال مع النيل ثم تقدمت الى آبار زريقة وقبل الوصول اليها وقع اختلاف شديد بين هكس وعلاء الدين في شأن خط الاتصال فأرأى هكس ان يجعل في كل منهل حامية عسكرية مؤلفة من ٢٠٠ رجل لحفظ خط الاتصال مع النيل وقد ترك حامية في شات لهذه الغاية فاعترضه علاء الدين وقال ان هذه الحاميات لا تستطيع حفظ نفسها فضلا عن خط الاتصال اذ البلاد كلها قد سلمت للمهدي فلا نترك حامية في منهل حتى تحيط بها العربان وتأخذها عنوة فنكون بذلك قد أملكنا جانبا من رجالنا

ولم نستفد شيئاً . فعقد هكس باشا مجلساً من الضباط الافرنج والمصريين للحكم في الامر فأجمعوا على قول علاء الدين وسار الجيش من ذلك الحين كأنه جسم واحد متأهب للقضاء العدو في كل لحظة . وكان سيره بهيئة مربع عظيم في مندمته الدليلان فالطلائع فالضباط العظام فأركان الحرب ثم المربع وهو مؤلف من المشاة في وسطه الطوبجية وفي ساقته الفرسان ثم الجبال والاحمال ثم الفرسان الباشبوزق وهم وراء الكل .

وكان المهدي لا يغفل طرفه عين عن مراقبة حركات الجيش فلما أتاه خبر قيام هكس من الدويم أمر اصحابه فخرجوا من الابيض الى ساحة في شرقي المدينة ثم خرج بنفسه ونزل تحت شجرة شهيرة من شجر التبدي وانتدب اربعة من كبار قواده وهم : محمد عثمان الشهير بأبي قرجة وشيخ فضلو احمد وعبد الحليم مساعد وعمر ود الياس باشا ومعهم نحو ٣٠٠٠ رجل وأمرهم بالتوجه الى حيث تكون الحملة وتمشيط حركاتها وعدم محاربتها في واقعة بل ان يناوشوها القتال ويمنعوا أهل البلاد من الانضمام اليها ويوافوه بالاخبار تبعاً . فصدعوا بالامر ووافوا الحملة بالقرب من العقيلة في ١١ اكتوبر فلازموها من ذلك الوقت وصاروا اذا سارت ساروا وراءها وطمروا الآبار بعمدها واذا وقفت وقفوا بعيداً عنها وناوشوها القتال وما تطرف احد منها إلا قتلوه حتى ان الجبال لم تستطع المرمى لانحصارها في المربع فجاءت وأكلت قش رحالها وبخارت قواها فمات كثير منها وبدأ اللفظ في الجند من ذلك الوقت فأيقنوا بالخذلان وتوقعوا العواقب الوخيمة وصاروا كلما توغلوا في البلاد زاد خوفهم ولغظهم حتى رأوا انهم سائرون حتماً الى حتفهم وما زالوا كذلك حتى وصلوا الى منهل الرهد في ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٨٣ م فقتلوا في جنوبيه ونزل أمراء الدراويش قبالتهم في شماليه وذهب اقدم عبد الحليم الى الابيض فأخبر المهدي بما كان من أمرهم .

وفر من الحملة قبل وصولها الى الرهد بقليل خادم مكاتب الداي نيوز وهو صف ضابط الماني اسمه كلوتس فذهب الى المهدي في الابيض وأخبره ان الحملة

في بأس وخوف شديد فأيقن المهدي انه غالب لا محالة وأمر كلوتس باعتناق الاسلام ففعل فسماه مصطفى وبقي في الأسر الى ان حاول النجاة من القلابات فمات في الطريق .

وأقام هكس في الرهد ستة أيام ينظر في طريق الحملة الى الابيض ولم يكن للأبيض من الرهد إلا طريقان : طريق الملابس وطريق البركة فقرّر الرأي على اختيار طريق البركة لأنها أغزر ماءً فسار بالجيش قاصداً المنهل المذكور وأرسل في الطريق احد الخبراء ومعه عبد الى الابيض للاستعلام عن قوة المهدي ووجهته ووصل بالجيش الى منهل علوبه الاثنين في ٢٩ اكتوبر فوجد فيه ماءً غزيراً فأقرّ على البقاء فيه الى ان يعود الخبير بخبر المهدي . فلما كان يوم الخميس ١ نوفمبر عاد العبد وحده ومعه ١٥٠٠ نسخة من كتاب كتبه المهدي الى هكس وجنوده وهذه صورته :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

« وبعد فمن عبد ربه الفقير المعتم بمولاه محمد المهدي بن عبد الله الى من يسمع من اهل الجردة ممن له عقل فانه لا يخفى على ذي عقل ان الأمر بيد الله لا يشاركه في ذلك بنادق ولا مدافع ولا صواريخ ولا غصّة لأحد إلا من عصاه الله تعالى فاذا فهمت ذلك فاعلموا ان الله واحد فلا تغفروا بأسلحتكم ولا يجنودكم التي تريدون ان تقتلوا بها جنود الله فان لا قوة لشيء دون الله وان قلتم ان مهديتنا مكذوبة فاعلموا ان الكذب انما يصدر ممن يحب الدنيا ويخاف الخلق ويستعجز قوة الله فاذا فهمت ذلك فلا تغفروا لكم اقوال علمائكم فان الترك الذين قتلتم شكوا للحق عز وجل وقالوا يا إلهنا ومولانا ان المهدي قتلنا من غير انذار فأقول أنذرتهم يا رب فلم يسمعوا وحضر على ذلك شاهداً سيد الوجود ﷺ وقال لهم الامام المهدي أنذرتكم فلم تسمعوا له وسمعت قول علمائكم فذنبتكم عليكم فأقبل بعضهم على بعض يتلأمون فقال الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين وقال الذين استكبروا للذين

استضعفوا ألحن صعدناكم عن المهدي اذ جاءكم بل كنتم مجرمين . فان كان لكم نور تؤمنون بالله ورسوله والدار الآخرة وتصدقوا بمهديتنا ونخرجوا اليها مسلمين ومن سلم يسلم وان أبيتم إلا الجحود والاعتزاز بالمدافع والبارود فأنتم مقتولون كما أخبر سيد الوجود وأسوقكم بمن سبقكم من الجنود والسلام .

فلما أطلع هكس على الكتاب مزقه وأحرق نسخه كلها . وسأل العبد عن الخبر فقال ان المهدي أمر بقتله وهو يستعد لمقابلة الجيش بطريق البركة .

واقعة شيكان في ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٣ م : ولما كان يوم الخميس ١ نوفمبر وهو يوم وصول العبد الى علوبه استعمل المهدي على الابيض احد أقاربه عهده الله ود الصمد وخرج بجيش ينيف على ٥٠ ألفاً قاصداً البركة فسار حتى نزل بمنهل فرتقول وهو منهل قليل المياه جداً حتى ان المسافرين كانوا اذا نزلوا به لا يكاد يكفي العشرين منهم فضلاً عن دوابهم قالوا فلما نزل المهدي به ورأى قلة الماء صفر فخرج منه ماء غزير أروى تلك الجيوش وفاض حتى سقوا رواحلهم وملأوا قريهم III

ثم بلغ المهدي وهو بالمنهل المذكور ان الجيش قاصد منهل البركة وجاد السير ليسبقه اليه فأمر في الحال محمود بن عبد القادر من أقاربه وضوء الدين ابن عبدالله رئيس النواب ومن معها من اهل رايتها فجدوا السير حتى وصلوا المنهل المذكور الجمعة في ٢ نوفمبر ثم ارتحل المهدي بباقي اصحابه صبيحة يوم السبت ٣ نوفمبر من منهل فرتقول وفي ظهر ذلك اليوم نزل بمنهل البركة .

وكان هكس لما علم من العبد ان المهدي قاصد البركة أرسل اليها رسلاً من علوبه لتحقيق الخبر فعادوا وأخبروا ان الدراويش قد احتلوها . فجمع هكس اذ ذاك الضباط والخبراء فعدلوا عن طريق البركة وأتروا على طريق الملبس التي تمر بشيكان فخرجوا . من علوبه فجر السبت في ٣ نوفمبر وساروا عشرة أميال ثم وقفوا وزربوا زريبة متينة وباتوا فيها الى صباح الاحد وبلت الدراويش المطاردون لهم بالقرب منهم .

اما المهدي فانه عند وصوله الى البركة ظهر يوم السبت كما مرّ آتاه ابراهيم الحاج الشهير بالترجماوي ومعه جماعة وقالوا له : يا سيدي يقول الناس ان الترك عدلوا عن طريق البركة وقصدوا مدينة الابيض ليستأصلوا من فيها ويحوزوا النساء والذرية حتى شاع الخبر في الجيش وأرجف الناس بذلك فلنتوجه الى الابيض قبل الترك . فالتفت المهدي وقال ايها الناس أنصتوا ثم بصق في كفه اليسرى وقال أي شيء هذا ؟ قالوا بصاق يا سيدي ثم طرحه على الارض فشرته في الحال فقال للناس : هل ترون لهذا البصاق أثراً ؟ فقالوا له لا فقال نحن كالارض والترك كالבصاق . ثم قال : اذا طار طائر فأين ينزل ؟ فقالوا له : على الارض فقال لهم : ان الترك كالطائر ونحن كالارض ايها الناس اثبتوا واطمنوا وتزولوا رواحلكم واستريحوا فان الترك لا قدرة لهم مع قدرة الله ثم قال: غداً يوم الاحد تتوجه اليهم وفي صبيحة الاثنين بعد ان نأمركم بمحاربتهم اذا تأخر أحدكم لاصلاح فعله لم يدركهم احياء . ثم جمع المهدي جميع الفرسان وأهل الاسلحة النارية فضمهم الى ابراهيم الترجمماوي المذكور وأرسلهم لمجدة السرية لمطاردة الجيش في عشية ذلك اليوم (السبت) فوصلوها صباح الاحد في ٤ نوفمبر فوجدوا اخوانهم محيطين بالجيش من كل جانب إحاطة السوار بالمعصم فزادوا في حصره . وفي هذا اليوم قبيل الصبح ارتحل المهدي بكل جيوشه من البركة قاصداً الجيش ونزل في منهل شيكان عند الضحى ويسمى هذا المنهل ايضاً بمنهل أم مصارين فلما نزل المهدي به قال له بعض اصحابه : يا سيدي هذا الحل يدعى بمنهل أم مصارين فقال ان مصارين الترك تصب فيه .

وكان هكس لما أصبح صباح الاحد المذكور قد خرج من الزريبة التي كان بائناً فيها واستطرد السير نحو منهل شيكان وهو لا يدري ان المهدي قد احتله يميوشه فما سار ساعة حتى خرج من جيش المهدي حمدان ابو عنجه وعبد الله ود النور وفوزي احد كتاب المهدي بمن معهم من الانصار المسلحين بالاسلحة النارية وبينهم عدد وافر من الفرسان وحلوا حلة صادقة على ساقه الجيش حيث المهات والنخائر فاختلفوا بالمساكر. فدارت عساكر المقدمة عليهم وهزمتهم

ولكنهم تمكنوا من أخذ بعض الخيول والجمال والازواد وقد قتل منهم في تلك الهجمة اربعة بينهم فوزي كاتب المهدي وجرح عبد الله ود النور وقتل من الجيش رجب بك قومندان الالاي الرابع ونفر من العساكر . وزرب الجيش في محل الواقعة زربية من شوك وأقام فيها قيل ولما رأى اصحاب المهدي ما حلّ بالجيش من التزلزل والاضطراب رغبوا من المهدي ان يأذن لهم في الحملة عليهم مرة واحدة في ذلك اليوم فقال لهم : أخبرني سيد الوجود ان الترك لا يموتون كلهم اليوم وانما هلاكهم يكون غداً الاثنين . وبقي اصحاب الاسلحة النارية منهم محيطين بالجيش يرمونه بالرصاص بقية ذلك اليوم وليلة الاثنين الى الصباح فحملوه خسارة تذكر وكان في جملة من قتله جوبجي بك الحكيم . فرأى مكس ان الاقامة في تلك الزربية لا تجدي نفعا ولم يكن يدري أي سبيل يتبع فجمع مجلساً من الضباط العظام والملكية الذين صحبوه فلم يقرروا على رأي وكثر اللنط بين الجند وتسلط الرعب على قلوبهم واشتد بهم العطش لبعدم عن الماء فائقنوا بالهلاك . فمؤلاً هنكس اذ ذاك على المسير تحت رحمة الله نحو منهل شيكان . وقيل ان الخبراء الذين كانوا معه كان بينهم وبين المهدي مواطاة سرية فقادوا الجيش في الطريق التي دلهم عليها المهدي .

فلما كان ضحى الاثنين ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٣ خرج هنكس يبعثه من الزربية بثلاثة مربعات على شكل مثلث متساوي الاضلاع في كل زاوية مربع وبين المربع الواحد والاخر ٣٠٠ ياردة وفي وسط كل مربع مهابه وذخائره . وسار هنكس وأركان حربه في مقدمة الجيش يتبعه بعض الطويحية بأربعة مدافع ومن وراء المدافع المربع الاول ثم المربعان الاخران واحد الى اليمين وواحد الى اليسار وكان السواري يحمون المؤخرة والجوانب المكشوفة من المربعات . وما سار الجيش على هذا الترتيب نصف ساعة حتى دخل وادياً مفتوحاً شائكاً وعلى كل من جانبيه غابة كثيفة فجعل المهدي معظم جيشه في تينك الغابتين عن يمين الجيش وشماله وجعل الباقي في وسط الوادي في طريق الجيش وعليهم عبد الرحمن النجومى وكان محمد أبو قرجه ومن معه من الانصار

تاريخ الشوكان

لم يزلوا متتبعين الجيش من وراء فأصبح الجيش مكتفياً بجيوش الدراويش من الجهات الأربع . وكان المهدي لما رأى الجيش من بعيد جمع أمراءه لآخر مرة وصلى أمامهم ثم رفع سيفه ونادى الله أكبر عليهم ثلاثاً ثم قال احموا عليهم ولا تخشوا نيرانهم فان أرواحهم مزمنة ونيرانهم لا فعل لها . وانكم لظافرون عليهم بأذن الله فما دخل الجيش ذلك الوادي حتى حملوا عليه حملة واحدة من كل جهة فاخترقوا صفوفه وأوقعوا القتل في المساكر وأخذوا يقتلونهم طمعاً بالرماح وضرباً بالسيف واستقروا في القتال فلم يمس ساعة حتى قتل الجيش برمته وفيهم هكس وأركان حربه وعلاء الدين باشا وجميع الضباط المصريين والافرنج وقد تراكمت جثث القتلى في محل الواقعة كالثلال ولم ينج من الجيش كله إلا ملازمان (وهما محمد افندي صلي من المنصورة وقد فرّ بعد ذلك من الخرطوم الى مصر واحد افندي عزمي وقد مات في كردوفان) ونحو ثلاثمائة جندي اختبأوا بين الأشجار ودواب الحملة والقتلى فوقعوا كلهم في الأسر . وعند نهاية الواقعة قطعوا رأس هكس وحلوه الى المهدي . وقد قاتل هكس وأركان حربه وجميع رجال الجيش ما استطاعوا الى القتال سيلاً وماتوا مشرفين موت الابطال بعد ان قتلوا من الدراويش نحو مئتي رجل منهم ابو أمية والطاهر وغيرهما من أقارب المهدي وضوء الدين بن عبد الله رئيس النواب وهو من اصحاب المهدي السابقين ومحمد وعبد الرحمن ابنا النصري وعثمان ابن عم الخليفة محمد شريف وعبد الرحيم احد المادحين للمهدي وغيرهم فنقلوا الى محل المهدي فأمر بدفنهم بما عليهم من الثياب . ثم أمر المهدي فجمعت الفنائم ونقلت الى البركة فكان منها كثير من الأسلحة والجبجينة والمدافع والميرة . وأقام المهدي بشيكان الى يوم الاربعاء ثالث يوم الواقعة ثم خرج منها عائداً الى منهل البركة فأقام فيه بضعة عشر يوماً وهناك فرق الفنائم بين اصحابه بعد اخراج الخمس منها لنفسه .

ثم عاد الى الابيض بالمدايع والنخائر والأموال فدخلها باحتفال شائق وكتب الى عماله في الجهات مبشراً اياهم بالنصر الذي آتاه الله عن يده في قتله

مكس وهذه صورة ما كتبه الى عثمان دقنه في ١٠ ربيع اول سنة ١٣٠١ هـ
٩ يناير سنة ١٨٨٤ م :

« ومن خصوص الجردة المصرية التي بلغكم أنها حضرت الينا من طريق
الخرطوم وصلتنا وحصل الظفر عليها بأمر الله تعالى. وقتلناها عن آخرها شر
قتلة بما فيها من الرؤوس الكبار اعدم علاء الدين الحكدار والثاني مكس
النصراني والثالث حسن وغيرهم من الضباط والآن جميع مدافعهم. وأسلحتهم
بيدنا وهي شيء كثير جداً وكان هلاك المذكورين في يوم الاثنين ٤ محرم سنة
١٣٠١ هـ بجهة علوبه (شيكان) وعددهم كما قيل ستة وثلاثون ألفاً. فانقضوا
في أقل من ساعة واشتعلت النار في أجسامهم بأمر الله الساري هذا وأفيدوا
بأحوالكم والسلام » اه .

اخلاء السودان : وكان هذا الانخزال العظيم الذي أصاب الحكومة في
شيكان قد قضى على نفوذها في السودان القضاء المبرم فان. عقلاء أهل الجزيرة
وغالب اهل الخرطوم والسودان كانوا قبل هذه الواقعة يترددون في اتباع محمد
احد و ينتظرون حربه مع مكس فلما علموا بما أصاب مكس وجيشه ورأوا
عجز الحكومة عن اذلاله انقطع كل رجاء لهم في الحكومة ووفدوا على المهدي
بالابيض أفواجاً يبايعونه وفي جملتهم الملك آدم أم دباله ملك جبل تقلي .
وانتشر خبر المهدي في العالم الاسلامي كله فجاءته الوفود من الحجاز والهند
وقونس ومراكش لزيارته وتحقيق دعوته .

أما الحكومة في الخرطوم فانها عند سماعها خبر هلاك مكس اضطربت
وارتاعت وأرسلت بالخبر لتلغرافياً الى مصر وبعثت وابوراتها في النيل الابيض
فاتشلت عساكرها من فاشودة والكوة وشات والدويم الى الخرطوم وشرعت
في زيادة تحصين الخرطوم .

وأما الحكومة في مصر فقد رأت انها لا تستطيع سحق المهدي واعادة
النظام الى السودان بعد الآن إلا بجيش جرار من الجنود النظامية المصرية ولم
يكن هذا الجيش متوفر لديها لا سيما بعد الذي صارت اليه مصر بسبب الثورة

العربية من الضعف وتضعف الاحوال . وكانت الحكومة الانكليزية قد أرسلت الكولونيل ستورت من ضباطها العظام الى الخرطوم في أواخر سنة ١٨٨٢م فدرس احوال السودان درساً دقيقاً وأرسل لها تقرير بتاريخ ٩ فبراير سنة ١٨٨٣م نظر فيه ملياً في حالة السودان المالية والادارية وبين وجوه الخلل وطرق الاصلاح وعجز المصريين عن حكم السودان وحدهم . فأقرت الحكومة اذ ذاك على اخلاء السودان واسترجاع عاكرها من الحاميات كما سيجيء .

ثم ان المهدي لم يقتصر على بث الرسل والكتب الى الجهات لإذاعة النصر الذي ناله في شيكان بل أرسل السرايا الى الجهات كدارفور وبحر الغزال وبربر ودنقلة وغيرها لاختضاع الحاميات المصرية فيها واحتلال البلاد باسمه وأرسل الى كبراء المشايخ في جزيرة سنار لحصر الخرطوم وأخذ يستعد للزحف بنفسه عليها . فلنبدأ الآن ببيان ما كان من الثورة في تلك الجهات قبل زحف المهدي على الخرطوم .

الفصل التاسع

في

وقائع الثورة في دارفور

سنة ٢ - ١٨٨٤ م

كان آخر عهدنا بدارفور لإخماد ثورة الامير هارون على يد سلاطين والسور عنقرة وكان سلاطين اذ ذاك مديراً على داره والنور عنقرة مديراً على كبكية والمدير العام على الفاشر مساداليه بك والوالي على السودان غوردون باشا فلما تولى رؤوف باشا السودان عزل مساداليه بك فقام على مديرية الفاشر الميرالاي بملي بك شريف المار ذكره في حصار الابيض الى ان سمى سلاطين باشا مديراً عاماً على دارفور فوصل الفاشر في ٢٠ ابريل سنة ١٨٨١ وتولى زمام الاعمال فعزل النور بك عنقرة عن كبكية لشكاوى وجهت عليه من ضباطها وأرسله الى كردوفان فكان من أمره فيها ما قدمناه فبقي البكبائي آدم افندي عامر السوداني قومنداناً على الحامية وسمي محمد بك زقل من أقارب المهدي مديراً على داره مكان سلاطين . ثم لم تكن إلا هنية من الزمن حتى ظهرت الثورة المهدية وامتدت شعلتها الى دارفور فكان لسلاطين فيها من الشأن ما فصله في كتابه « السيف والنار في السودان » أحسن تفصيل .

ثورة الشيخ مادبو : وكانت أول من أوقد نار الثورة في دارفور الشيخ مادبو أحد مشايخ الرزيقات المار ذكره هاجر الى المهدي في قدير فحضر معه واقعة الشلالى وعاد منه أميراً على دارفور فرفع راية المهدية فيها فاجتمع عليه خلق كثير وكان في شكا حامية عسكرية عليها يوسف افندي منصور قومنداناً فنازل الحامية فخرج عليه نفر منها فقتلهم وتقوى بسلاحهم وذلك في ٢٠ يوليو سنة ١٨٨٢ .

واقعة أم وريقات : فلما اتصل الخبر بسلاطين أنمرع الى داره فأخذ بعض عساكرها وقصد مادبو حتى وصل منهل الضعين قبله انه نازل بالقرب منه فعمل زريبة من شوك وتحصن فيها فعلم به مادبو وكان بينه وبين سلاطين مودة قبل المهدية فكتب اليه ينصحه بالتسليم ويقول: « ان البلاد كلها أصبحت للمهدي والأجدر بك ان تسلم فتسلم وإلا فلا بد لي من محاربتك وإن كنت صديقي » فلم يجبه سلاطين على كتابه بل قال للرسول اذهب الى مادبو وأخبره أن ليس بيني وبينه إلا السيف ثم تجسس جيش مادبو فوجده قوياً لا طاقة له بحريه لقلته رجاله فرجع الى داره لأخذ الأهبة لنفسه. ورجع اليها ايضاً يوسف منصور فاراً من شكا فوبخه سلاطين لتركه حاميته بلا اذن. وجمع من داره وباديتها ٢١٥٠ من العساكر النظامية والبازنجر و ٧٠٠ من العربان المتحابة كالبليقو والبرثات والبرقد و ٤٠٠ فارس من الزغاوة والمسيرية والداجو والمعالية ومدفعاً جبلياً وعاد قاصداً مادبو وكان مادبو قد كمن له في أرض شائكة موحلة على طريق شكا تعرف « بأم وريقات » فلما دنا من الكين فاجأه بالهجوم عليه وكان سلاطين قد جعل عسكره على شكل مربع ولكن كان أكثره من البازنجر وعربان البادية فلم يحفظوا النظام الذي أمروا به فدخل عربان مادبو في وسطهم وفتكوا بهم فتكاً ذريعاً حتى لم يبق منهم سوى ٩٠٠ رجل من نظامية وبازنجر وذلك في أقل من نصف ساعة وكانت الواقعة يوم سبت في أواخر أكتوبر سنة ١٨٨٢ . وقد أصيب سلاطين برصاصة في بنصر يده اليمنى فذهبت بها وجرح برصاصة في فخذه فجمع بقية جيشه وكان بينهم

كثير من الجرحى فتحصن بهم في تل قريب من محل الواقعة الى ان تمائل الجرحى فرجع بهم الى داره كل ذلك ومادبو لا يزال يهاجمه ويطارده على التل وفي الطريق وهو يصدّه ويدفع غاراته حتى دخل داره .

عصيان حامية دارة : وكان قد ترك في دارة حامية مؤلفة من ٤٠٠ من العساكر المنظمة و ٢٥٠ من البازنجر و ٣٠ فارساً و ٧ مدافع فوجدهم قد تغيرت حالهم ومالوا الى العصيان وكان قد بلغهم خبر ثورة عرابي في مصر واخراج الخديوي منها لمصادفته النصاري فأرادوا ان يفعلوا مثل ذلك بسلاطين خصوصاً بعد انتصار مادبو عليه . ثم لم يكن إلا القليل حتى جاء خبر سقوط الابيض فسرى روح الثورة في جميع بلاد دارفور وازداد عساكر الحامية عتواً ولم ينعمهم عن المجاهرة بالثورة والفتك بسلاطين إلا ما بلغهم بعد قليل من عزم الحكومة على ارسال جيش جرار لسحق المهدي في كردوفان ولكن كانت بينهم جماعة من اهل دارفور فاتفقوا على الفرار الى دود بنقه الذي قسام في جبل مرة بعد الامير هارون كما مرّ وجاهروا بالعصيان قائلين « اننا لا نرضى ان يحكنا نصراي » فأمر سلاطين بمحاصرتهم بمجلس عسكري فتحكم المجلس بقتلهم وصدقه سلاطين فقتلوا .

اسلام سلاطين : ومع ذلك لم يزد العساكر إلا عتواً ونفوراً وقد أثرت ثورة عرابي تأثيراً ثابتاً في أذهانهم وأيقنوا انهم انما خذلوا في واقعة ام وريقات لأن رئيسهم نصراي فرأى سلاطين أنه لا يمكن استرجاع سلطته عليهم وهو نصراي فجمعهم ووقف بينهم خطيباً وقال « اعلموا اني مسلم مثلكم وأشهد ان لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » ففرح العساكر بإسلامه وعادوا الى طاعته .

بعثة زُقل الى المهدي : ولكن اهل دارفور في الخارج لم يزالوا على العصيان وتيقن سلاطين انه لا يمكن ودّهم الى الطاعة والولاء إلا اذا كُسرت شوكة المهدي في كردوفان . وكان قد بلغه خبر حملة هكس فأصبحت آماله كلها معلقة بها فأحبط مخاطبة هكس ليعلمه بحاله ويستحثه على انقذاه ولكن كان يخشى

شرّ محمد خالد زقل مدير دارة لأنه من أقارب المهدي وكان بينه وبين المهدي غاطبات سرية فأراد سلاطين التخلص منه من جهة والاحتياط للمستقبل من جهة ثانية فخلّا به وأخبره بأنه عالم بعلاقته مع المهدي وقال له اني مرسلك الى الابيض لمنع المهدي من ارسال جيش الى دارفور او تحريض اهله على الثورة فاذا غلبه هكس واسترد منه البلاد فأنا شفيحك عند الحكومة والا فالبلاد من نفسها تسلم للمهدي وخير له ان يأخذها عامرة من ان يأخذها خربة وفي الوقت نفسه اعطيك كتاباً ترسله الى هكس ليعلم بحالنا ويعجل في انقاذنا ، فسرّ زقل بهذا الرأي واراد سلاطين ان يجعله برأي اهل الحامية ليقيدهم به فعقد مجلساً من الضباط والأعيان وعرضه عليهم فصدقوه وكتبوا كتاباً الى المهدي يعدونه بالتسليم وكتاباً الى هكس يستعجلونه لنجدتهم فحمل زقل الكتابين وذهب بهما الى المهدي في الابيض . فلما رأى سطوة المهدي والعزّ الذي صار اليه في كردوفان نبذ سرّ سلاطين ظهرياً واتحد مع المهدي قلباً وقالباً وأرسل سرّاً الى احد اصدقائه في داره يخبره بما رأى من سطوة المهدي ويقول له قم واحضر بعائلتي الى الابيض مستعيناً بمادبو فلما علم سلاطين بذلك حبس عائلة زقل في منزلها واستصفى أمواله وألقى القبض على بعض اقاربه في داره وزجهم في السجن .

واقعة كرشو : ولنرجع الآن الى مادبو فانه بعد دخول سلاطين في داره نزل في كرشو على يوم ونصف يوم جنوبياً فخرج عليه سلاطين ببعض عساكره وباغتته الهجوم فهزمه وعاد الى داره بكثير من الأسلاب والفنائم .

واقعة البويرة : وعاد مادبو فجمع جموعه في مكان يقال له البويرة في دار قمر فجرد عليه سلاطين ٤٥٠ من الجهادية و ١٥٠ من البازنجر وقتك به وأوقع الفشل في جيشه ففرّ حافي القدم عاري الرأس على جواد بلا سرج وغنم سلاطين جميع أمتعته وفيها نحاسه فعظم على مادبو فقد نحاسه لأن ذلك عار عليه فجمع العربان من جديد وتقدم لمناوأة سلاطين في داره واسترجاع نحاسه .

عقد الصلح؛ ولم يكن سلاطين يقوى عليه لقلة رجاله ولا كان من الممكن الخروج بجميع العساكر وترك داره بلا حامية فالتجأ الى الحيلة وجمع مشايخ العرب تحت شجرة خارج داره وعقد معهم صلحاً وكتب بمعرفتهم كتاباً الى المهدي يسأله ارسال رجل من قبله ليسلمه البلاد قائلاً انه لا يستطيع ان يسلمها الى العرب الذين حاربهم مخافة ان ينتقموا منه .

وفي هذه الاثناء جاء سلاطين ورقة صغيرة من علاء الدين باشا يقول فيها : ان سمو الخديوي قد سماك قومنداناً عاماً على العساكر في دارفور وأن من عزم الحكومة ارسال قوة كبيرة لسحق المهدي في كردوفان وتسكين الثورة ، فأرسل صورة منها الى الفاشر وكبيكية فقرئت للناس جهاراً وأطلقت المدافع عند قراءتها. وكانت الحكومة قد أرسلت اليه مراراً بتسمية احد أمراء دارفور سلطاناً على البلاد وحشد عساكر الحاميات كلها في الفاشر والعودة بها الى الخرطوم ولكن هذه الرسالة لم تصله .

تسليم دارة في ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٨٣ م :

ثم لم يكن إلا القليل حتى كانت واقعة شيكان فامتدت لها دارفور وأرسل المهدي محمد خالد زقل عاملاً عاماً على دارفور بجيش عظيم فجاءها بطريق أم شنقه وكان فيها حامية صغيرة فسلمت له . ثم سار منها قاصداً دارة فنزل في حلة شعيرية مسيرة يوم من دارة وكتب الى سلاطين يدعوهم الى التسليم فحضر اليه مسلماً وذلك في ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٨٣ فأكرمه وذهب به الى دارة فسلمت اليه . وكان فيها ٥١٠ من العساكر النظامية والباشبوزق وشيء قليل من الذخيرة . وانتشر جيش زقل في المدينة يجمعون الغنائم فجردوا أهل الحامية وعذبوا من أخفوا أموالهم أو ظنوا انهم أخفوها وحلّوهم ما لا يطاق . وأخبرني من أتق به وذكره فوزي باشا في كتابه : ان سلاطين باشا لما رأى ما أتاه زقل من تعذيب المصريين طار صوابه وذهب اليه في دارة وقال له جهاراً : « لو علمت انكم تعاملون ضباطي هذه المعاملة لصليتكم حرباً يشيب

لهولها الطفل وسمحت بموت هؤلاء الرجال في ساحة الحرب وأنا على يقين من ان الزاحد منهم لا يموت الا بعد ان يقتل عشرة منكم ، فأخذ زقل يلاطفه وأوصى بتخفيف العذاب عن البعض وأطلق البعض .

تسليم كيكبية : وكان زقل قد كتب من شميرة الى السيد بك جمعة في الفاشر والى آدم عامر في كيكبية يدعوما الى التسليم وطلب من سلاطين ان ينصحها بذلك ففعل فأرسل آدم عامر مفاتيح الخزينة والشونة والخبزانة علامة على التسليم ثم حضر مسلماً بمن معه من العساكر .

تسليم الفاشر في ١٤ يناير سنة ١٨٨٤ م :

وأما السيد بك جمعة فانه رفض التسليم ودافع عن حاميته أياماً حتى اضطر الى التسليم عطشاً وقد رأيته سنة ١٨٩٨ بعد واقعة أم درمان وسألته عن كيفية دفاعه وتسليمه الى زقل فقال : « لما ذهب سلاطين من الفاشر لتأديب مادبو عند أول ظهور الثورة بقيت أنا على الفاشر فقام رجل في كروي على ست ساعات منا يقال له « ابو ود جودة فات « البرناوي وجمع جموعه وأشهر العصيان فجردت عليه ونكلت به وفترت جموعه . ولكن لم يكن إلا القليل حتى هب « للثورة جل « أهل الدار من حضر وبادية فاجتمعوا على الملك حسب الله ملك زغاوة والسلطان جدؤه سلطان ميمة والشيخ حسب الله من الماهرية وكوع النمر من الزيادة ونزلوا في وادي بيرة على ساعتين جنوبي الفاشر يريدون حصرنا فخرجت عليهم بمعظم العساكر وضربتهم ضرباً شديداً وشتت شملهم ثم عادوا فاجتمعوا على السلطان جدؤه وحصروا الفاشر من كل الجهات وأحرقوا المنازل المجاورة للاستحكام فصلبتهم ناراً حامية من المدافع والبنادق ورددهم على أعقابهم خاسرين . ومن ذلك الحين لم يعد أحد يحسر على مهاجمتنا حتى حضر محمد خالد زقل وطلب منا التسليم فلم نرض به ولا صدقنا ما قاله لنا من تسليم سلاطين اليه وصمنا على الحرب وكتبنا الى عساكر كيكبية للانضمام إلينا ولكن خرج منا عمر أغا . ود ترحو من سناجق الشايقية

ملأ ولم تكن نعلم بما كان من عساكر ككبكية فحفظنا ان عمر ترحو مخبر
 زقل بما كتبناه اليهم فيقطع الطريق عليهم ويصدم عن الوصول اليها فكتبنا
 الى زقل نخادعه بأننا مسلمون ثم حضر فقابلناه بالرفض واشتعل بيمتنا قتال
 شديد دام ٤٨ ساعة أطلقنا فيها الف قبلة عدا ما أطلقنا من الرصاص فهزمناه
 الى وادي بيرة حيث أقام ١٨ يوماً حتى أتاه المدد من دارة وكان عساكر
 ككبكية قد انضموا اليه فأعاد الكرة علينا وحصرنا في الاستحكام وكان
 استحكاماً منيعاً وعندنا من الذرة ما ينيف على ٦ آلاف اردب ولكن أعوزنا
 الماء وقد كنا في بادئ الامر نستقي الماء من آبار في الخور خارج الاستحكام
 فلما حضر زقل لحصرنا هذه المرة سد الآبار فشرعنا في حفر بئر داخل
 الاستحكام أوصلناها الى عمق ٦٠ قامة ولم نظفر بالماء لأن الاستحكام قائم على
 تل رملي فغطشنا ودام القتال ثمانية ايام متوالية حتى صار العساكر يموتون
 عطشاً فمعدت اذ ذاك مجلساً من ضباط الحامية للنظر في رأي يكون فيه
 نجاة فلم نرَ بداً من التسليم فكتبنا بذلك كتاباً الى زقل يوم الاحد في ١٤
 ربيع الاول سنة ١٣٠١ ١٣٥ يناير سنة ١٨٨٤ م .

وفي اليوم التالي الاثنين فتحنا الابواب وكان في الحامية اذ ذاك ٥٠٠ رجل
 من الجهادية و ١٠٠ من الطويحية على ١٢ مدفعاً فوق ستة أبراج ونحو ٦٠
 رجلاً من الملكية فدخل الدراويش علينا وصادرونا في أموالنا وأمتعنا وقد
 استنطقوا جميع الضباط والسناجق والأعيان ليدلوهم على أموالهم ومن أنكر
 عذبه حتى اعترف او مات فضربوا الصاغ حمادة افندي من ضباط الطويحية
 حتى فاضت روحه . وقبضوا على سعيد أغا القولي وابراهيم أغا بزل ولما لم
 يمتروا بأموالهما شرعوا في ضربها بالسياط فطلبوا مهلة ريثما يذهبان ويحضرا
 المال فذهب كل منهما الى منزله وانتحر .

ووزع زقل العساكر على العربان وأرسل سلاطين باشا الى المهدي في كردوفان
 فأدركه في الرهد فبايعه فمأه عبد القادر سلاطين وأمره بلزوم باب التماشي
 والابتار بأمره ثم أرسل بعده السيد بك جمعة فأدركه في الطريق غازياً الخرطوم .

تسليم دود بنقة الى زقل : هذا وكان السلطان دود بنقة لا يزال مقيماً
بأتباعه في جبل مرة فكتب اليه زقل يدعوه الى التسليم فأبى فجرد عليه
سرية بقيادة آدم عامر مدير ككبكية سابقاً وذلك في أواخر يونيو سنة ١٨٨٤م
فدعاه الى التسليم فأجابته : « اني قاومت الحكومة المصرية التي هي أشد بأساً
من الدراويش وأعظم قوة منذ موت السلطان هارون الى اليوم ولم يكن زقل
اذ ذاك إلا عبداً في سلطنة آبائي فدع عنك النصح وما يحكم بيننا إلا السيف »
وكان دود بنقة متحصناً في طابية منيعة في رأس جبل طره فهاجمه آدم عامر
فصدّه عنه بعد ان أذهب نصف قوته فكتب آدم الى زقل في طلب المدد
فاستدعاه الى الفاشر وأرسل مكانه عمر أغا ود ترحو الشايقي المتقدم الذكر
يحيش كبير وكان عمر اغا متزوجاً باحدى بنات السلطان ابراهيم فكتب الى
دود بنقة ناصحاً إياه بالتسليم فطلب مقابلته فأثاه وأقنعه بوجوب التسليم فقال
له دود بنقه سر أمامي بعساكرك وأنا أتبعك فصار عمر أغا وبقية دود بنقه
برجاله الى الفاشر فلم الى زقل فأرسله الى المهدي في الخرطوم وذلك في سبتمبر
سنة ١٨٨٤ م .

وبقي زقل في دارفور لا ينازعه فيها منازع الى ان مات المهدي واستدعاه
الخليفة عبد الله الى أم درمان وأذله وكان من أمره ما سنذكره بالتفصيل .

الفصل العاشر

في

وقائع الثورة في بحر الغزال

سنة ٢ - ١٨٨٤ م

تركنا بحر الغزال سنة ١٨٧٩ م ولبتن بك من البحارة الانكليزية مدير عام عليها وساتي بك مدير ومحمود المحلاوي مفتش عام لمنع تجارة الرقيق والبلاد كلها مقسومة الى ثمانية اقسام على كل قسم ناظر ومعه نفر من الباشبوزق وفي مركز المديرية اورطتان من الجهادية . وقد قادت التقادير محمود المحلاوي المذكور الى مصر بعد حين فقص عليّ خبر الثورة في بحر الغزال وكيفية سقوطها في يد الدراويش قال ما ملخصه :

ثورة الجانقية : « لما بلغ مشايخ الجانقية والجور خبر المهدي ونصرته على رجال الحكومة في أبا وقدير هاجروا اليه وبايعوه فأمرهم بالعودة الى بلادهم وقال لهم « اذهبوا واخرجوا الترك من بلادكم فان الله ناصركم ومتى أخرجتموهم فلتكن بلادكم لكم لا ينازعكم فيها منازع » وكان هذا جل ما يتمناه السود أي الحرية والاستقلال لأنهم لم يتخلصوا من « البحارة » قبل عهد الحكومة

حق وقموا في الجبابة الباشبوزق في عهدهما فعادوا الى بلادهم وجمعوا جموعهم وجاهروا بالعصيان . وكان اول من جاهر به الجانقية في جوار بحر العرب في اوائل سنة ١٨٨٢ م فجرد عليهم لبتن بك سرية من الماكر المنظمة والباشبوزق بقيادة محمد أفندي النصري معاون المديرية فأوقع فيهم واقعتين 'خذل في الاولى وانتصر في الثانية .

ثورة الشيخ يانكو : ثم لما ظهر مادبو بالثورة في بلاد شكا قام الشيخ يانكو شيخ مركز تل قونه وهو من مشايخ الداجو فنزل على بعض الماكر الذين كانوا مقيمين بمركزه وقتلهم في ١٧ اوغسطس سنة ١٨٨٢ م وفر الى الشيخ مادبو فحضر معه واقعة أم وريقات المار ذكرها ثم عاد الى تل قونه ومعه جماعة من فرسان الرزيقات وجاهر بالعصيان . قال الحلوي فعقد لي لبتن على ١٧٠٠ رجل من نظامية وباشبوزق وأمرني بحاربته فأوقعت فيه واقعة شديدة وهزمته شر هزيمة وذلك في ٢١ يناير سنة ١٨٨٣ م . ثم جمع جموعه ونزل على مركز لفي فصدته ناظرها بخسارة جسيمة في ١٠ فبراير من السنة المذكورة ففر الى دارفور وانضم ثانية على مادبو .

عود الى الجانقي : وفي هذه الأثناء حصر وابور من الخرطوم الى مخرج الريك لاستطلاع خبر بحر الغزال فجهز لبتن بك ٤٠٠ عبيد أمرد ومقداراً وافراً من سن الفيل وأرسلها مع بعض الحفراء الى الوايز في المخرج المذكور ليأخذها الى الخرطوم فلما درى بهم الجانقي قطعوا عليهم الطريق فقتلوا الحفراء وأخذوا ما كان معهم من الاسلحة والريق والسنة وذلك في ١٣ فبراير وكانت ساقى بك المدير اذ ذاك في جور غطاس فلما سمع بخبرهم جرّد عليهم فقتل منهم وسبى وغنم وعاد الى الجوار ثم اجتمع الجور على الجانقي ونازلوا لبتن وعساكره في عدة وقائع كان النصر في أكثرها للماكر .

مكيدة الدناقلة : وكان في بحر الغزال عدد كبير من الدناقلة متفرقين في جميع جهاتها تجاراً ومتسببين وموظفين وبينهم الفقيه عبد الرحمن بن عوف

النصري اخو محمد النصري المار ذكره وهو من خلفاء محمد احمد وقد أقام معه مدة في جزيرة أبا وجاء الى بحر الغزال بعد تنظيمها للاقامة فيها مع اخيه وأقاربه وكان يراقب حركات محمد احمد منذ ظهوره ويكتبه سرّاً فلما رأى نصراته المتتابعة عزم على جمع الدناقلة في جميع المراكز والمهاجرة بهم اليه فضرب لهم موعداً في ١٢ شعبان سنة ١٣٠٠ هـ ١٨ يونيو سنة ١٨٨٣ م يجتمعون به في قنّدة . وفي هذه الأثناء قام الشيخ الطيب اخو الشيخ يانكو في جهة لفي فأرسلني لبتن بك بنفر من العساكر نجدة لناظرها فمررت بقنّدة ليلة الميعاد المذكور فأخبرني بحفاظها بمكيدة الدناقلة وكان في قنّدة اربعون رجلاً منهم ينتظرون قدوم النصري تلك الليلة فجردتهم من أسلحتهم وتأهبوا للقبض على النصري فلما حضر أخبره رفاقه بما نويت عليه فقرّر ليلاً باثني عشر منهم الى مركز المديرية فأخبر اخاه محمداً وكرم الله الشيخ محمد احد التجار الدناقلة وغيرهما من الدناقلة في المركز بما كان من كشف مكيدتهم فقرّر رأيهم على الرحيل في الحال فتركوا عيالهم وأموالهم وساروا بطريق تل قونا وشكا قاصدين المهدي فلقوه في الأبيض فأقاموا معه الى ان جاء جيش هكس فحضروا واقعة شيكان فقتل فيها عبدالرحمن ومحمد ابنا النصري كما مرّ وجرح كرم الله. ولما تعافى كرم الله من جرحه عقد له المهدي على سرية من جيشه وأرسله لفتح بحر الغزال ولترجع الى ما كنا فيه :

واقعة لقي : قال المحلاوي فلما أصبح الصباح وعلمت بفرار عبد الرحمن النصري لحقته بالمساكر فلم أدركه فكثبت الى لبتن بما كان منه واستطردت السير الى لفي لقمع الشيخ الطيب فأدركته في غابة قرب لفي فأوقعت به وشئت شمله وقد اصابته رصاصة في فكه الاسفل فشوهته وكان ذلك في ٢٢ يونيو سنة ١٨٨٣ م .

سفر سني بك الى الخرطوم : وفي رمضان سنة ١٣٠٠ هـ يوليو سنة ١٨٨٣ م حضر دابور من الخرطوم حاملاً الألبسة والملح والراتب للعساكر وكان لبتن

بك في حاجة كبيرة الى الذخائر والكبسول فاستدعى ساقى بك من جور غطاس وأرسله الى الخرطوم لاحضار الذخائر والكبسول فأقنع بالوابور في ٧ سبتمبر سنة ١٨٨٣ فدخل الخرطوم في ٢٤ يناير سنة ١٨٨٤ فوجدتها محصورة فلم يعد يمكنه الرجوع الى بحر الغزال فبقى يحاهد في الحصار الى ان قتل في واقعة القطينة كما سيحيى .

امين بك وخط الاستواء : وكان روح الثورة قد امتد الى خط الاستواء ولم يكن امين بين عتاطاً لها فبعث الى لبنن في طلب مدد من الذخائر والكبسول فأرسلني اليه بشيء منها واعتذر له فلقيته في اورمبك فسلمته الذخيرة وعدت منه بجواب الى لبنن .

واقعة بحر بيرى : وفي أوائل يناير سنة ١٨٨٤ م هاج الجانبى من جديد فتجمعوا على بحر بيرى فجرد عليهم لبنن بك جيشاً مؤلفاً من ٨٠٠ من العساكر المنظمة و ١٠٠٠ من الباشبوزق و ٨٠٠ من البازنجر جمعه من جهات مختلفة وأتى بحر بيرى فرأى الجانبى قد جمعوا جيشاً لا يقل عن ٥٠ ألفاً فزرب على جيشه زريبة متينة من اغصان الشجر ثم أحاطها بزريبة أخرى . قال المحلاوي : فلم يتم لبنن بناء الزريبة حتى أقبل الجانبى علينا مهاجرين وكان الدراويش قد علموا ان يكرروا عند الهجوم قولهم « الدائم الله الدائم هو » فكانوا يكررونه كلهم بصوت واحد جهوري حتى حسبنا الارض قد زلزلت زلزالها ولما قربوا من الزريبة انتشروا حولها فأحاطوها إحاطة الهالة بالقمر وقد سدوا الأفق وأظلموا الجو لكثرتهم وسواد لونهم وكنا في الزريبة وهم من حولنا مهاجرين لنا والرياح تلع فوق رؤوسهم كأننا في جزيرة صغيرة تلاطمها الامواج في وسط بحر عجاج . فلما قربوا جداً من الزريبة هجموا هجمة واحدة مستقلين فتلقتهم العساكر بنيران البنادق الرمنتون وابتى روحين فحصدتهم حصداً فلم يبالوا بها بل كانوا كلما سقط منهم صف خلفه آخر حتى تمكن بعضهم من الوصول الى الزريبة الخارجية وما زالوا مهاجرين والعساكر

تشوهم بنيرانها شيئاً حتى تراكمت القتلى حول الزريبة أكداً وسدل الليل حجابها فرجعوا عنا بنية إعادة الكرة في الصباح التالي وتاريخ هذه الواقعة ١٤ ربيع الاول سنة ١٣٠١ هـ ١٣ يناير سنة ١٨٤٤ م .
وبعد الواقعة فلتش لبنن الجبخانه فوجدوا لا تكفي لواقعة اخرى فخرج بمساركه من الزريبة تحت جناح الظلام قاصداً مركز المديرية فمر بمركز الدمبو فوجد فيها عبيدين قد حضرا من المهدي ومعها كتب الى بغض الدناقلة في بحر الغزال يخبرهم بانتصاره على هكس ويحثهم على الهجرة اليه فأيقن لبنن اذ ذاك بمجيء الدراويش الى بحر الغزال فأمرع الى مركز المديرية وأخذ يستعد للحصار وكان في المركز حصن منيع فزاده مناعة وبث المعاونين في الاقسام لجمع الغلال .

تسليم بحر الغزال في ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٠١ هـ ٢٢ ابريل سنة ١٨٨٤ م

وقبل رجوعهم أتاها كتاب من حسان أغا عجيب ناظر قسم لفي بتاريخ ٢٨ فبراير سنة ١٨٨٤ يخبره بأن كرم الله الشيخ محمد الذي كان يتجر في بحر الغزال فر مع عبدالرحمن ومحمد ابنا النصري الى المهدي وقد حضر الآن أميراً من قبل المهدي على بحر الغزال ومعه ثمانية آلاف مقاتل من العرب والجلابة بينهم خمسة بلوكات من العساكر المنظمة مسلحين بالرمثون وسأله عما يفعل فأجابه لبنن أن احضر حالاً بمن معك من العساكر وكتب الى نظار الاقسام الآخرين بالحضور الى المركز ايضاً وقبل وصول الأوامر اليهم تقدم كرم الله بحيث الى لفي فلم له ناظرها واستطرد السير حتى أتى حلة يانقو مسيرة يوم من مركز المديرية فكتب الى لبنن وضباطه وأعيان الحامية والموظفين يدعومهم الى التسليم فأراد لبنن ان يستطلع قوة كرم الله ويغنم وقتاً لجمع عساكره الباشبوزق من الاقسام فأرسل رسلاً من عنده الى كرم الله يسأله ان يرسل اليه منشور المهدي الذي سماه فيه أميراً على بحر الغزال لينظر في أمر التسليم ثم

شرع في الاستعداد للدفاع . وكان في مركز المديرية اذ ذاك ١٢٠٠ رجل من
المساكر الجهادية السود ومعهم ٣ مدافع و ٤ سوار يخ فاتفقوا مع الاهالي على
التسليم وأطلعوني على رأيهم فذهبت وأخبرت لبتن به فلم يصدقني فقلت اجمعهم
في مجلسك فأريك باطن امرهم . وكان لبتن قد جعل ضرب النقارة علامة لجمع
الأعيان والموظفين الملكية وضرب البوري علامة لجمع الضباط العسكرية فأمر
فضرب النقارة والبوري معاً فاجتمع الفريقان عنده في ديوان المديرية فوقف
بينهم وقال : بلغني ان بعضكم ينوون التسليم الى كرم الله فمن صمم على الدفاع
معي عن شرف الراية الخديوية فليقف فبقي الكل جلوساً . قال الحلوي :
فوقفت اذ ذاك وقلت مخاطباً لبتن اني لا أعلم ما نواه الحضور في هذا الشأن
وأما انا فأقول إن كان كرم الله قد جاءنا من عند نفسه فأنا اول من يحاربه
معهك وأما إن كان قد جاءنا من عند المهدي فانضمامنا اليه لا يخلّ بشرفنا بل
يزيدنا ديناً على ديننا . فانتهرني لبتن بك وقال : أي دين تريد على دينك أنها
الجبان بتسليمك شرفك وشرف حكومتك الى رجل مثل كرم الله وما هو
شان المهدي في السياسة والاحكام ؟. ثم التفت الى الاعيان والموظفين الملكية
وقال : وأنتم ماذا تقولون ؟ قالوا : الذي قاله الحلوي . ثم نظر الى الضباط
وقال : سمعتم ما قاله الملكية وأنتم رجال افندينا وحماة الذمار ماذا تقولون ؟
أسلمون البلاد التي أنفق عليها افندينا مليون جنيه وقد عهد بحمايتها اليكم
من غير ان تطلقوا عياراً نارياً في الدفاع عنها ؟ فقالوا : يا حضرة المدير انما
المراد من الحرب النصر لا الحرب فاذا لم يكن النصر مضموناً فعلى م الحرب
فأنت ترى ان جيش كرم الله اضعاف جيشنا فليس في وسعنا الانتصار عليه
وإن انتصرنا عليه اليوم جاءه المدد من المهدي في الغد وأخذنا عنوة او حصرنا
حق نموت جوعاً وأما نحن فلا جهة لنا ننتظر منها المدد اذ الخرطوم التي كانت
تدعنا قد اصبحت في الحصار وأهل البلاد كلهم ضدنا وجاراتنا دارفور وخط
الاستواء في أشد الضيق (اذ لم يكونوا يعلمون ان دارفور قد سقطت بعد)
فلا حيلة لنا الا بالتسليم . فقال لبتن : اني أعلم الحرج الذي نحن فيه ولكن

لا عذر لنا في التسليم قبل بذل الجهد في الدفاع اذ النصر لا يكون على الدوام للفئة الكبرى بل قد تنصر الفئة الصغرى بعون الله ومع ذلك فاني افضل الحرب ولو لم أضمن النصر على التسليم لرجل مثل كرم الله فاذا لم تقرّوا معي عليه فاعلموا اني آخذ امرأتي وبنتي (وقد كان متزوجاً بجارية جنقاوية متربة في مدرسة المرسلين النمساويين في الخرطوم) وأدخل الطابية وأحارب كرم الله وحدي حتى اذا دخل المركز صوبت المدافع عليه وقتلت عليّ وعلى أعدائك يا رب فأجابوه : افعّل ما شئت فائنّا لا نرى رأياً غير التسليم . فلما لم ير وسيلة تحملهم على الحرب كتب اليهم السؤال الآتي وسألهم ان يجيبوه عليه كتابة ويختتموه بأختامهم فقال : « أتخاربون معي أم تملّون الى كرم الله ؟ » فأجابوه بالتسليم الى كرم الله وختموه بأختامهم فأخذه لبتن وحفظه في جيبه . ثم كتبوا كتاباً الى كرم الله قالوا فيه : « سلمنا الله ورسوله ومهديه الذي أرسلك الينا اميراً فاحضر صباح الغد واستلم الحامية فليس بيننا وبينك حرب » وأمضاه لبتن والضباط والاعيان وأرسلوه الى كرم الله فحضر صباح الثلاثاء في ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٠١ هـ ٢٢ ابريل سنة ١٨٨٤ م ووقف بجيشه في ظاهر الحامية وكان قد ارسل الى لبتن بدلة من لباس الدراويش وهي حزام خوص وطاقيّة ونعلين فلبسها وخرج بالعاكر والملكيّة على نحو ميل من الاستحكام ووقف بهم تجاه كرم الله ثم تقدم بمن معه من الضباط والاعيان فسلموا على كرم الله وأمرائه وعاد العاكر والاهالي الى منازلهم ونزل جيش كرم الله خارج الاستحكام ودخل هو ورؤساء جيشه مع لبتن وضباطه وأعيان الحامية الى ديران المديرية ولما استوى بهم المجلس التفت كرم الله الى لبتن وقال ان المهدي أمرني ان أعرض الاسلام عليك وأستميك عبد الله فقال : أشهد ان لا إله إلا الله وأشهد ان محمداً رسول الله وان محمد احمد بن عبد الله هو مهدي الله وخليفة رسوله . ثم دعا غبريال افندي وصالح افندي شنوده من كتاب المديرية الاقباط لاعتناق الاسلام فسلموا فعلا فسمى الاول محمد سعيد وأبقى الثاني على اسمه . ثم قام لبتن فسلم الى كرم الله مخازن الذخائر والاسلحة والبضائع

تاريخ الثورة المهدية

والسن وهي شيء كثير . ولما بلغ نظار الاقسام امر التسليم صاروا يفدون الى كرم الله واحداً واحداً مسلمين فأصبحت البلاد كلها بيده وارتفعت أعلام المهدي في جميع أنحاء .

قال المحلاوي ولما علم كرم الله اني انا ولبتن لم نسلم إلا مرغنين أساء معاملتنا فخشينا ان يقدر بنا فاحتلنا عليه وسألناه ان يأذن لنا في الذهاب الى كردوفان لمبايعه المهدي فأرسل معنا الخفراء الى الابيض فوجدنا المهدي قد ارتحل منها غازياً الخرطوم وكان في الابيض السيد محمود عبد القادر من أقاربه فكتب الى المهدي يسأله عما يفعله بنا فأجابه بأن يرسلنا اليه وقبل ورود الجواب أخذنا الى محل واقعة هكس في شيكان فوجدنا جثث القتلى متراكمة في ذلك الوادي تلالاً عظيمة . ثم أرسلنا الى المهدي فوجدناه مخبئاً في ابي سعد جنوبي ام درمان فبايعناه وكان ذلك في ١٨ اكتوبر سنة ١٨٨٤ . فجعل لبتن قومنداناً على مدفع وأرسله لمساعدة أنصاره في ام درمان فاستمرض وكتب الى غوردن كتاباً يخبره بما جرى له في بحر الغزال وأصبح كتابه الجواب الذي أخذه من الضباط والأعيان بشأن التسليم فوقع الكتاب بيد المهدي فزج لبتن في السجن وحاول صالح شنودة الفرار فقبض عليه وزججه في السجن ايضاً . وكتب الى لبتن الكتاب الآتي :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

« وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبدالله الى عبدالله المسلماني وقاه الله سوء وجعله من اهل التداني . كان سابقاً اخبرنا الاخ الصادق وفي العهد الذي جاء صحبتكم من كردوفان بأنه اظهر لك انه لم يكن راضياً بالمهدية واستجلب بذلك الوقوف على حقيقتك فأعلمته بأن التسليم الذي حصل منك ليس على غرضك انما لعدم الموازر على الحراية لأجل العسكر الذي معك سلمت جميعها وأظهرت التفاق معها وانك على ما انت عليه من الكفر ومراكنة الترك فصفحننا عن ذلك أملاً انك ان لاقيتنا يصفى ايمانك ويتم

تصديقك وتسليمك لنا بالذاكرة ولما قابلتنا ذاكرتك وأعلمتكم ان أمرنا هذا إلهي وان الله اذا أراد أمراً امضاه ولم تنفع في مقابلته مدافع ولا جيوش انكليز ولا غيرها ولا بوابير ولا كافة الحيل اذ انه لا يغلب الله غالب وكل ذلك لتصفى معنا سريرتك ويصير لك الحظ الوافر عند الله وتنال سعادة الأبد وتكون من الاصحاب المؤمنين الذين لهم عند الله حسن المكانة العظمى وكل ذلك خير لك أبدي حتى ظهرت خيانتك وتصنيك على النفاق بمكاتبتك للفرعون واطهارك له انك لم تسلم باختيارك وانك منتظر نجدة الانكليز واطهارك له ان جماعتنا كثيرهم مرضى وجاعين ولا يقدرُوا حراية شهر وكل ذلك ظهر عند ضبط صالح شئونة لحياته ايضاً . فمن الآن وصاعداً ان تبت من سريرتك بينك وبين الله واعتقدت ان هذا السجن لتصفيتك وتجريدك عما يضرك عند الله وصدقت مع الله في تسليمك لنا لا بد ان يظهر لنا على بيمتك او اخبار من الغيب من رسول الله ﷺ او من الخضر عليه السلام وان لم تلب من سريرتك وفضلت على نفاقك كذلك لا بد ان يظهر لنا فتزيد عذاباً على عذابك وفي الآخرة أشد مذاباً وأشد تكبيراً فان أراد الله بك خيراً يهديك وتظهر هدايتك لاتباعنا والصدقة معنا وان أراد الله شقاوتك وعذابك في الدنيا والآخرة تصمم على ما انت عليه من النفاق ولا تقل ان الهداية التي تنفع بادعاء اللسان فان ذلك لا ينفع كما روي عليك حين أتيتنا من عدم الصفا على وجهك فان اهتديت من سريرتك سترى خير الدنيا والآخرة ان شاء الله تعالى والسلام في ٢٠ محرم سنة ١٣٠٢ هـ ٩ نوفمبر سنة ١٨٨٤ م .

ثم أخرجه من السجن بعد فتح الخرطوم وبقي في ام درمان الى ان مات في ١٧ يوليو سنة ١٨٨٨ م .

وأما كرم الله فانه بقي في بحر الغزال الى سنة ١٨٨٦ م فانضم الى أخيه كركساي في شكا فبقيا في دارفور . بأمر الخليفة الى سنة ١٨٨٨ م وكان لهما هناك من الشأن ما سنذكره في محله . ولنا الآن على بيان ما كان من عثمان دقنة والثورة في سواكن .

الفصل الحادي عشر

في

عثمان دقنة والثورة في سواكن

سنة ٣ - ١٨٨٤ م

بقي السودان الشرقي هادئاً مطمئناً لا تقلقه الثورة وأهله البجة على أتم
الولاء مع الحكومة حتى سقطت الابيض سنة ١٨٨٣ م وجاءه عثمان دقنة عاملاً
عاماً من قبل المهدي كما مرّ فثار الأهليون معه ولا ثورة الذئاب واصبح بلاء
عظيماً على الحكومة في السودان الشرقي وجزت بينه وبين جيوشها وقائع جنة
مشهورة ولم يزل على مناوأتها وقتالها كلما سنحت له الفرصة حتى وقع في
قبضتها سنة ١٩٠٠ م فرأيتسه في محطة مصر ثم في سجن رشيد ثم في سجن
دمياط حيث هو الآن فاذا هو رجل اسمر اللون طويل الوجه برّاق العينين
معتدل الأنف واسع الفم عريض اللحية أشيبها غزير الشعر ربع القامة مع ميل
الى الطول . وقد دلت ملاعنه الظاهرة على ما انطوى عليه من المكر والدهاء
وصدق العزم وهو يتردئ برداء من الدمور ويتعمم بمامة بيضاء ويحلق شعر
رأسه كزيّ حضر سواكن . قيل وهو سريع الحركة قليل الكلام وله صبر

غريب على المشي والجوع حتى لقد يشي النهار بطوله حافي القدم بلا طعام ولا شراب ولكن اذا جلس للأكل أكل خروفاً في وجبة واحدة . وقد سأله عن سنه عند قيامه في المهديّة فقال ٤٣ سنة . وسأله عن أصل منبته فقال : « ان اصل اجدادي من اكراد ديار بكر أتوا سواكن مع السلطان سليم الفاتح فاستوطنوها واختلطوا بالمهندوة بالزواج فكان منهم قبيلتنا المعروفة بالدقناي وقد ولدت في سواكن ونشأت فيها واشتغلت بالتجارة مع السودان والحجاز بالبضائع والرقيق الى ان قام المهدي فنصرته » . قيل وقد كانت تجارته رائجة وحاله حسنة حتى شددت الحكومة على منع الرقيق فبارت تجارته وساءت حاله وقد سجن مرة في جده هو وأخوه علي لمناجرتهم بالرقيق فحقد على الحكومة وكان من المتعصبين في الدين على طريقة المجازيب فحسب مداخلة الحكومة ببيع الرقيق تعرضاً في دينه فلما سمع بظهور محمد احمد في أبا اخذ يستنشيء اخباره ويستعدّ للمهاجرة اليه حتى فتحت الابيض فهاجر اليه وبايعه وأظهر له الفيرة المرة على الاسلام والمسلمين وتصديقه لمهديته والاستعداد لنصرته . وقد سأله مرة في سجن رشيد هل قام بنصرة المهدي عن اعتقاد قلبي قال : « نعم ان محمد احمد هو المهدي المنتظر لا ريب فيه وأموت على هذا الاعتقاد » قلت إن كان هو المهدي المنتظر فكيف مات قبل ان يتم نبواته بفتح مصر والقسطنطينية ومكة قال : « وتد مات النبي ﷺ من قبله ولم يتم فتوحاته فأتمها خلفاؤه من بعده » قلت ولكن خلفاء محمد احمد لم يتموا فتوحاته ثم ان أمة النبي باقية لم تزل وأمة المهدي قد زالت قال : « هكذا أراد الله » !!! وعلى كل حال فإنه اتحد مع المهدي قلباً وقالباً وُسراً به المهدي سروراً عظيماً لأنه لم يكن له يدٌ في السودان الشرقي بعد . وكان عثمان دقنة عالماً بدخائل اهل سواكن وعارفاً لفة البجة وعاداتهم وهو يحسن القراءة والكتابة في العربية فسماه عاملاً عاماً على جميع بلاد البجة التي بين الاتبرة والبحر الاحمر أي بلاد سواكن وطوكر وكسلا . وقد اصحبه كتباً الى مشايخ تلك البلاد من همدونة وبشارين وامارار وغيرهم يدعوم بها لنصرة

الدين والقيام مع عامله عثمان دقنة لمحاربة الترك والجهاد في سبيل الله . وهذه صورة ما كتبه الى اهل سواكن بحرفه :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

وبعد فمن عبد ربه محمد المهدي ابن السيد عبد الله الى كافة احبابه في الله المؤمنين بالله وبكتابه ومن تبعه ووافقه على إقامة الدين ونصرته . اما بعد فالذي نعلمكم به ايها الاحباب ان الامر كله لله واليه المرجع والمآب وانه مالك الملك يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء كما اخبر بذلك في منشور الكتاب فاتعظوها وتذكروا يا أولي الألباب وتلبهوا عن الغفلة والغرور بلوامع الدنيا التي هي سراب وتفكروا في انفسكم واعتبروا بفوات دول القرون الماضية وبمن هو أشد منكم قوة واكثر جمعا للفانية فأصبحوا لا ترى إلا ماكنكم الواهية الخالية فاقبلوا نصيحتي وما تبعها إلا أذن واعية وانما انذرتكم بحوالي هذا نصيحة لكم ورحمة بكم وشفقة على عباد الله المؤمنين وسببا لنجاة المسلمين والمستضعفين . وحيث فهمتم ذلك وعقلتموه فاني موجه اليكم الشيخ عثمان ابا بكر دقنة السواكني لكي تستمعينوا به على إقامة الدين وجهاد الكافرين وجعلته اميرا مباركا لكم لدلائكم وإرشادكم فاسمعوا له وأطيعوا امره ونهيه وبمجرد وصوله اليكم إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ومصدقين اني المهدي المنتظر فتعزبوا اليه واتره افواجا افواجا من كل سهل وجبل لبيعة الرضوان ورضاء الواحد الديان لأجل إقامة الدين والسنن وشمروا في ذلك بغاية الجهد وعلو الهمة واجتمعوا على كلمة واحدة باتفاق الجميع . والكلمة الواحدة هي التصميم والعزم على قتال الترك اهل المديرية التي انتم فيها ثم بعد اتفاقكم بأخذ عهودكم ومواثيقكم مع الله ورسوله وأميرنا النائب عنا في إقامة الدين فخذوا حذركم وأهبتكم الجميع ثم اخبروا أعداء الدين بذلك وبلغوم امرنا هذا واطلبوا منهم في الحال احد الامرين إما التسليم وإما القتال فإن ندموا وسلموا بصدق وإيمان فليسلموكم جميع ما عندهم من الاسلحة ولزومها والخزائن بما فيها

ومفاتيحها فان كان كذلك فاحمدوا الله واشكروه ومن الدنيا الساحرة فاحذروا وان أبوا وسلكوا مسالك الحيل فالقتال القتال لتناولوا مقام الصديقين من الرجال فاهجموا عليهم الجميع مرة واحدة فأنتم حزب الله الغالبون . واذا اتحد معهم بعض اهل البلد فجميع من هو موافق للشيخ عثمان ابي بكر دقنة فلينضم اليه واخرجوا عنهم خارج البلد واجمعوا العربان التي بأطراف البلد واحكوا فيهم بالحصار والمغار واقطعوا عنهم الموارد بالكلية الى ان يهلكهم الله تعالى كما أهلك اصحابهم فانهم قوم كتب الله عليهم البلاء والعذاب فهم في قبضة الله ونواصيهم بيده فلا تخشوم ابدأ فانهم هالكون باذن الله تعالى وعن قريب يورثكم الله ارضهم وديارهم فعليكم بالعدل والاحسان . واعلموا ان من بايع الشيخ عثمان المذكور فقد بايعني ومن استشهد معه فكأنما استشهد معي ومن صحبه فقد صحبني فاعلموا الجميع بذلك وابشروا بما بشرني به النبي ﷺ وهو ان اصحابي كأصحابه وان عوامهم لهم رتبة عند الله كرتبة الشيخ عبدالقادر الجيلاني والله ذو الفضل العظيم وهذا الفضل بشرط الاتباع ظاهراً وباطناً وحيث فهمتم ذلك فلا يفتكم هذا الفضل العظيم فاحرصوا على الصدق والوفاء واقفوا آثار المصطفى ﷺ واختيار ما عنده تعالى بالجوع والفقر مع الرضاء والتسليم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والسلام . غرة رجب سنة ١٣٠٠ هـ ٨ مايو سنة ١٨٨٣ م . اه .

فحمل عثمان هذه الكتب وسار مجداً حتى وصل محلاً يدعى قباب في ضواحي سواكن فلقي فيه الطاهر المجذوب وهو كبير المجاذيب في تلك الجهات ومعظم اهلها على طريقته فسلمه كتاباً من المهدي قبله وقبله وبايع عثمان وكان له اكبر نصير . ثم تقدم الى اركويت حيث كان اهل فرصلها في ١ اوغسطس سنة ١٨٨٣ م فتلقاتهم اهل القبول وبايعوه وبايعه ايضاً بعض مشايخ الهدندوة فرفع راية المهدي واستعد للجهاد .

واقعة سنكات في ٥ اوغسطس سنة ١٨٨٣ م : وكان للحكومة في تلك البلاد عدا حامية سواكن في طوكر على ٤٠ ميلاً جنوبي سواكن وحامية في

سناكات على مثل هذه المسافة غربها ولم يكن في سناكات سوى ٢٥ عسكرياً. وكان المحافظ على سواكن في ذلك العهد الشهم الباسل محمد بك توفيق المصري فلما سمع بخبر عثمان أسرع الى سناكات ومعه مئة رجل فوصلها في ٢ اغسطس ليلاً . وفي اليوم التالي ارسل كتاباً الى كل من الطاهر المجذوب واحمد دقنة شقيق عثمان يطلب حضورهما ليتمكن من ضبط عثمان فزق كل منهما كتابه وانضم الى عثمان فجمعوا جموعهم وزحفوا على سناكات فوصلوها ضحى يوم الفطر أي ٥ اغسطس سنة ١٨٨٣ . وكان عثمان قد أتى بكتاب من المهدي الى توفيق بك يدعوه الى الانتظام في سلك المهدي فأرسله اليه وسأله التسليم في الحال او الاستعداد للقتال ولم يكن توفيق بك مستعداً للحرب لأن طابية سناكات كانت متسعة غير حصينة ورجالها قليلون فطلب الى عثمان ان يمهله ثلاثة ايام وقال اني لا استطيع ان اجيبكم من نفسي سلباً او ايجاباً لأنني مأمور ولا بد لي من استشارة صاحب الأمر والنهي فعمل عثمان انها حيلة للتمكن من الاستعداد فأمهله الى الظهر ولم يزد فردد توفيق الرسل وطلب المهلة الى العصر وشرع في الاستعداد ففتح بعض المزاغل في الطابية وسدّ بابها باكياس من الرمل وجعل بعض العساكر على السور والبعض الآخر على سطوح المنازل وكان عثمان يرى استعداد العساكر رأي العين فلما كان الظهر أمر اصحابه فحملوا على الحامية حملة صادقة فدخلوها واختلطوا بالعساكر فالتجأ بعض العساكر الى منازلهم وأخذوا هم والذين على السطوح يرمون المهاجمين بالرصاص فقتلوا منهم وجرحوا وكان في جملة القتلى محمد اخو عثمان وُجرح عثمان نفسه جراحاً بالغة في يده ورأسه وجنبه فجمله اصحابه على جمل وعادوا منهزمين الى اركويت وكانت خسارتهم في ذلك اليوم ٦٠ رجلاً وخسارة العساكر ٧ قتلى و١٢ جريحاً بينهم توفيق بك فانه أصيب بعدة جراح وعاد الى سواكن .

واقعة قباب في ١١ سبتمبر سنة ١٨٨٣ م : وبعد وصوله بقليل أرسل حملة من العساكر بمدفعين يصحبها محمود علي شيخ الامارار بنفر من رجاله وأمرهم ان يحملوا على عثمان في اركويت ويقضوا عليه . فعمل عثمان بخبر الحملة وكانت

جراحه لم تزل تؤله فعقد لأخيه محمد موسى على أنصاره وأرسله للاقائها فالتقى بها في خور قباب في ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨٣ عند الغروب قبضت الحملة زربية متبنة ببابين جعلت على كل باب مدفعاً وباتت فيها وبات اصحاب عثمان بقرها وفي صباح اليوم التالي أحاطوا بها من كل الجهات وهاجموها هجمة واحدة فتلقتهم العساكر بنيرانها فصدتهم عن الزربية إلا ثلاثة منهم فانهم تمكنوا من الدخول اليها فقتلوا في داخلها وفيهم رجل يسمى طاهما كان من ملازمي المهدي وجاء مع عثمان قصد الجهاد . وقد خسر اصحاب عثمان في هذه الواقعة ٢٧ رجلاً وعدة جرحى بينهم محمد موسى وخسر العساكر بضعة رجال بينهم احد أبناء الشيخ محمود علي المذكور وعادت الحملة الى سواكن . وأمر عثمان دقنه رجاله فقطعوا خط التلغراف بين سواكن وكلا .

حصار سنكات وواقعة أبت في ٢٥ اكتوبر سنة ١٨٨٣ م : ثم عقد لرجل يدعى علي طلاب بن محمد علي سرية من أنصاره وأرسله لحصر سنكات فسار من اركويت في ٢٥ اكتوبر سنة ١٨٨٣ م . واتفق انه في هذا اليوم نفسه أرسل توفيق بك البكبائي محمود افندي خليل ومعه ١٥٦ من العساكر المصرية مدداً لحامية سنكات فالتقوا بأصحاب عثمان في منتصف الطريق في مضيق يدعى أبت وانتشب القتال بين الفريقين فلم تكن ساعة حتى قتل العساكر عن آخرهم وغنم اصحاب عثمان أسلحتهم وأمتعتهم وتقدموا لحصر سنكات . ثم أمدتهم عثمان حتى بلغوا ٧٥٠ رجلاً فأمر عليهم علياً بن حامد المشهور بأمير سنكات لأن فتوحها كان على يده .

حصار طوكر وواقعة التيب الاولى في ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٣ م : وكان عثمان قد أرسل في ٢ اكتوبر سنة ١٨٨٣ م الخضر بن علي شيخ الحسانات اميراً على قبائل طوكر الذين جلسهم من الارتيقة وأصبحه كتاباً اليهم من الطاهر المجذوب يدعوم الى انقيادهم معه لنصرة الدين فلبوا الدعوة هم وشيوخهم موسى بن الفقيه وذهبوا مع الخضر لحصر طوكر . وكان في طوكر اذ ذاك ٤ بلوكات من العساكر

عليهم صاغ ولهم خندق حصين فلما جاءهم الخضر بن علي دعاهم الى التسليم والتصديق بالمهدي فأبوا وأرسلوا في طلب المدد من سواكن .

وكان في سواكن اذ ذلك محمود باشا طاهر قومندان السودان الشرقي فجهز ٥٥٠ رجلا وسار لنجدتهم . وكان الخضر بن علي امير طوكر قد قدر مجيء المدد من سواكن فأرسل عبد الله بن حامد ومعه ١٥٠ رجلا من أنصاره ليتربصوا بجيئه في آبار التيب فلما اقترب العساكر منهم حملوا عليهم حملة رجل واحد فاقتتلوا بهم وأعلموا فيهم السيف والحربة فقتلوا ١٤٨ رجلا وهزموا الباقي فأتى بهم محمود باشا الى سواكن فعزل من وظيفته على الأثر وكان قد صعبه القومندان مونكريف الانكليزي فقتل في الواقعة وقتل فيها من أنصار عبد الله بن حامد ٢٧ رجلا . وتاريخ هذه الواقعة ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٣ م وهو اليوم الذي هلك فيه جيش هكس في شيكان .

حصار سواكن وواقعة تمائي (التمينيب) الاولى في ٢ ديسمبر سنة ١٨٨٣ :
ثم عوفي عثمان دقنه من جراحه فجمع نحو ٣٠٠٠ رجل ونزل بهم في آبار تمائي (التمينيب) على نحو ٢٠ ميلا من سواكن وأخذ يشن الغارة عليها وقطع الطريق بينها وبين سنكات فخرج له كاظم افندي من سواكن ومعه ٧٠٠ من العساكر السود والباشبوزق و ٢٠ فارسا فتلقاهم عثمان دقنه بأنصاره وقتلهم شر قتلة فلم ينج منهم سوى ٤٥ رجلا وقد قتل من أنصار عثمان ٨٠ رجلا وذلك في ٢ ديسمبر سنة ١٨٨٣ م .

حملة باكر باشا الى سواكن وواقعة التيب الثانية في ٤ فبراير سنة ١٨٨٤ م :
وشدد عثمان دقنه الحصار على سواكن وطوكر وسنكات معا فقرأت الحكومة انها اذا لم ترسل اليها المدد في الحال وقعت في يد عثمان وهذا المدد لم يكن متيسرا فان الجيش المصري القديم قد هلك في شيكان كما علمت والجيش الجديد لم يكن بعد مدربا على القتال فجهزت الحكومة حملة من عساكر الجندرية والبوليس وعساكر الرديف وهي سلاحها الأخير وعقدت لواءها لباكر باشا

وكلفت الزبير باشا فجمع لها اورطة من السود ورغبت اليه في مرافقة الحملة فطلب ان يكون مستقلا في أعماله ولما لم تجب الى طلبه اعتذر عن السفر . وصحب باكر جماعة من الضباط الانكليز والمصريين اركان حرب وكان الكولونل سرتوريوس رئيس اركان حرب الانكليز والميرالاي عبد الرزاق بك رئيس اركان حرب المصريين وقد أعطي السلطة الملكية والعسكرية على جميع بلاد السودان الشرقي وعهد اليه في استرجاع الأمن والسلام الى ربوعه على ان يبدأ اولاً بالوسائل السلمية فلا يرجع الى القوة إلا اذا لم ينجح السلم وصحبه السيد محمد المرغني لهذه الغاية . فبرح مصر بمعظم قوته وأركان حربيه في ١٩ ديسمبر سنة ١٨٨٣م فوصل سواكن في ٢٣ منه ثم ذهب مع الاميرال هيوت الى مصوع فوصلها في ٣١ منه فأخذ منها ومن سنيته بعض العساكر السود وجعل مكانها عساكر مصرية ثم عاد الى سواكن فبدأ بالوسائل السلمية فأوعز الى السيد محمد المرغني فكتب الى عثمان دقنه ينصحه بترك الحرب ويخبره باتحاد الدول على قمع الثورة فأجابه بالجواب الآتي :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم :

وبعد فمن عبدربه عثمان أبي بكر دقنه الى الجناب الأكرم السيد الجليل السيد محمد بن الاستاذ السيد محمد المرغني وفقنا الله وإياه الى باب العلي . فالذي نعلمكم به جناب الأكرم انه قد وصل جوابكم وفهم خطابكم الى آخر ما أبديت من النصيح العام وذلك على حسب ما بدا لكم لأن الدين مبناه النصيحة فجزاكم الله خيراً . وذكرتم انكم حضرتم بهذا الطرف من طرف الدول لاسكان هذه الفتن الكائنة بهذه الجهة . وكون اتنا قنا فيها باسباب ناس مفتنين فعلى حسب فهمكم نحكيتهم ما حكيتهم فاعلموا يقيناً انه لما قنا من الامام المهدي المنتظر عندنا اليقين الذي لا يشك فيه عاقل انه لو اجتمعت الخلائق بأسرها شرقاً وغرباً لم يقدروا على مقاومة الأيدي التي معها يد الله تعالى فضلاً عما ذكرت لنا من اتحاد الدول ولو كان عندنا أدنى شك في عدم نصرة الدين لما أقدمنا

على هذا الأمر ولكن المطلوب من شيمكم الحضور لطرفنا لأجل المكاملة والمقامة في الأمر الذي جئنا به فان كان قصدكم احياء سنة رسول الله ﷺ فبعد الكشف على حالتنا تكونوا انتم بالخيار وان كان قصدكم تبليغنا اتحادية الدول فقد فهمنا والسلام ٧ ربيع اول سنة ١٣٠١ هـ ٦ يناير سنة ١٨٨٤ م .

فعلم باكر من هذا الجواب ان الوسائل السلمية لا تجدي نفعا فعمل على القوة ونوى انقاذ حامية سنكات اولاً ولكن قبل قيامه جاءته رسالة من قومندان حامية طوكر مفادها ان الحامية نفدت ذخائرها وأضنى عساكرها الاسهال فاذا لم تأت نجدة بعد يومين او ثلاثة اضطر الى التسليم فعدل عن سنكات وسار في الحال لنجدة طوكر فخرج من سواكن بجرأ ووصل ترنكتات في ٢٨ يناير سنة ١٨٨٤ م .

وكان عبد الله امير الساحل المار ذكره واقفاً له بالمرصاد فبعث الجنرال باكر يسأله ترك الحرب فأبى فتقدم اليه في ٢٩ يناير سنة ١٨٨٤ ومعه : ٣٠٠ من الفرسان المصريين و ١٥٠ من الفرسان الأتراك و ٦٥٠ من جندرمة الاسكندرية و ٥٠٠ من جندرمة القاهرة و ٤٥٠ من عساكر مصوع و ٤٢١ من عساكر سنهيت و ٤٢٩ من المشاة الأتراك و ٦٧٨ من عساكر الزبير باشا و ١٢٨ من الطوبجية المصريين و ٤٠ من البوليس الاوربيين المتطوعين ومجموعهم ٣٦٥٦ رجلاً و ٦ مدافع . فسار بهم بالانتظام العسكري مسافة ٣ أميال ثم وقف فبنى طابية جعل فيها ٣٠٠ رجل لحفظ خط الرجعة .

وفي فجر ٤ فبراير سنة ١٨٨٣ استطرد السير بباقي القوة تتقدمه الكشافة حتى صار على مقربة من آبار التيب فعاد الكشافة مذعورين وقالوا ان الدراويش قريبون منا وهم في عدد كثير . وكان عثمان دقنه قد أرسل مدداً الى قوة التيب حتى بلغت ١٢٠٠ رجلاً مؤلفة من عدة فئات كل منها تحمل راية فظن الكشافة ان كل راية تقتل جيشاً ثم لما رأى العساكر كثيرة الرايات ظنوا الذي غلظه الكشافة فهلمت قلوبهم وتولاهم الرعب حتى انه لما صدر لهم الامر بتشكيل مربع لم يحسنوا تشكيله كما مرتوا عليه فاختلطت جبال الضلع الخلفية بدواب

الحملة ولم يحسنوا رمي الرصاص فاخترق الدراويش صفوفهم واختلطوا بهم فازدادوا هلعاً وخوفاً حتى طرح البعض سلاحهم في الأرض وركعوا وبسطوا أيديهم نحو السماء طالبين الرحمة واختبأ البعض الآخر بين دواب الحملة فانقض الدراويش عليهم كاللسور يقتلونهم أينما وشمالاً حتى لم يبق من الجيش كله سوى ١٢٠٠ رجل فانهزموا الى ترنكتات فماد بهم باكر الى سواكن . وكان في جملة قتلى الجيش ١١٢ ضابطاً بينهم عبد الرزاق بك و ١٠ ضباط اوربيون وأما الدراويش فلم يقتل منهم سوى ٣٠٠ رجل بينهم محمود اخو الخطر وقد غنموا ٦ مدافع و ٣٠٠٠ بندقية ونصف مليون خرطوشة وانضموا الى اخوانهم المحاصرين لطوكر فضيقوا عليها واضطروها الى التسليم كما سيجيء . وضيق عثمان دقته على سواكن .

سقوط سنكات يوم الجمعة في ١٠ ربيع الثاني

سنة ١٣٠١ هـ ٨ فبراير سنة ١٨٨٤ م

أما سنكات فكانت اذ ذاك في أشد الخطر وكان توفيق بك قد جاءها بعد وائمة أبنت فحصن طايتها وخندق عليها وأحاطها بزرية متينة من شجر السيل وبني عليها ازبعة أبراج على كل برج مدفعاً فلما جاءها علي بن حامد وجدا حصينة فلم يحسر على مهاجتها بل قعد لها بكل مرصد وحال بينها وبين سواكن ومنع أهلها الخروج منها وكان يبعث بأصحابه الحاملين الاسلحة النارية الى قرب الطابية فكما لاح لهم أحد رموه بالرصاص وكان اذا رماهم العساكر بالقنابل صاحوا بهم مستهزئين اطلقوا مدافعهم مرة ثانية فان هذه الطلقة لم تصب . وداموا على ذلك حتى نفذ زاد العساكر وأكلوا البغال والحير والكلاب والقطط وشرعوا في أكل الجلود ومضغ أوراق الشجر تسكيناً لآلام الجوع . فلما صاروا الى هذه الحال جميعهم توفيق بك المعروف ببطل سنكات وقال لهم «أيها الرجال ان بقينا هنا هلكنا من الجوع وان سلنا لهؤلاء الأشقياء لم نضمن السلامة وان سلنا عشنا عيشة يهون معها الموت فلم يبق لنا الا ان

نخرج من الاستحكام وتتخذ طريق سواكن فإذا لحقونا حاربناهم حتى ظفروا أو متنا مشرفين ، وما زال يشدد عزائمهم ويرغبهم في هذا الرأي حتى وافقوه عليه . فلما كان يوم الجمعة ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٠١ هـ ٨ فبراير سنة ١٨٨٤ م أحرقوا مخازن البارود والجبخانه وسدوا افواه المدافع وخرجوا من سنكات وعددهم ٦٠٠ نفس من رجال ونساء واولاد فما ساروا ميلاً ونصف ميل حتى أتوا مضيقاً وعراً فوجدوا الدراويش كامنين فيه فانتظموا بهيئة مربع وجعلوا النساء والاولاد في الوسط وشرعوا في رمي الدراويش بالرصاص حتى قتلوا منهم ٥٧ رجلاً ولكن الدراويش تغلبوا عليهم لكثرتهم وقتلهم فلم ينج منهم سوى خمسة رجال بينهم قاضي سنكات وثلاثين امرأة فأتوا موت الابطال الأعماء وخلصوا ذكراً في التساريخ يمدحهم عليه كل شهم حر . وانضم امير سنكات اذ ذاك الى عثمان في تمهي قاشتد الحصار على سواكن .

حملة جرام الاولى الى سواكن سنة ١٨٨٤ م :

هذا وكانت الحكومة الانكليزية لما سمعت بانكسار باكر اخذت الامر كله في يدها فعمدت مجلس توابها بعد الواقعة بيومين وأقرت على حماية سواكن فأرجعت باكر باشا الى مصر وألقت مقاليد الاحكام العسكرية والملكية في سواكن الى الاميرال هيوت ، فأبلغها في ١٢ فبراير خبر سقوط سنكات وهلاك حاميتها فعمدت مجلساً آخر أقرت فيه على ارسال جيش في الحال لحماية سواكن وانقاذ حامية طوكر وأوعزت الى قومندان جنودها في مصر فعمدت للجنرال جرام على ٤٠٠٠ جندي فيهم ١٠٠ من الطوبجية بستة مدافع واورطة من الفرسان ووضعه بعض الضباط الانكليز الموظفين في الجيش المصري الجديد بسفحة اركان حرب فوصل سواكن في أواخر فبراير فترك بعض الجند لحماية سواكن وسار بالباقي بحراً الى ترنكتات فوصلها في ٢٨ منه وبعث يتجسس احوال طوكر .

سقوط طوكر في ٢٤ فبراير سنة ١٨٨٤ م .

وكان الدراويش قد أخذوا المدافع والأسلحة التي غنموها في واقعة باكر وشددوا الحصار بها على طوكر وكانت مؤونة الحامية تكفيها مدة طويلة وماؤها من آبار في وسطها وحصنها منيع ولكن أعوزتها الذخيرة فثبتت على الحصار حتى علت بانكسار باكر ولم تعد تسمع بنجدة أخرى فسلمت للدراويش في ٢٤ فبراير سنة ١٨٨٤ م .

واقعة التيب الثالثة في ٢٩ فبراير سنة ١٨٨٤ : فعاد الجواسيس الى جرام في ترنكات وأخبروه بسقوط طوكر في يد الدراويش فأبلغ الخبر حكومته فأمرته بالحلة عليهم في الحال وتشتيت شملهم فقام من ترنكات بعد ظهر ٢٨ فبراير ونزل عند طابية باكر المار ذكرها وكان الدراويش قد علموا بقدومه فتجمعوا له في التيب وبعث اليهم عثمان بن اخيه مدني بن علي مدداً حتى بلغ عددهم ٦٠٠٠ رجلاً . فأرسل اليهم جرام كتاباً ينصخهم بالتسليم وترك الحرب ودفع الكتاب الى الاميرالاي هارفي بك فالصقه براية بيضاء وسار وخذه نحو الأعداء حتى قرب من التيب ففرز الراية في الأرض وعاد الى الجيش ثم رجع في صباح اليوم التالي أي ٢٩ فبراير ومعه شزيمة من الفرسان الى المكان الذي غرر فيه الراية فلم ير الراية ولا زداً على الكتاب فصمم جرام اذ ذاك على القتال فنظم جيشه مريعاً وجعل دواب الحملة في الوسط وسار تتقدمه طليعة من الفرسان . وكان الدراويش قد بنوا طابية على مقربة من التيب جعلوا فيها مدافعهم وخرجوا للقضاء العساكر فما سار الجيش ميلاً من طابية باكر حتى أطلوا عليه ورموه بالرصاص ثم جعلوا يتقهقرون امامه كلما تقدم نحوهم حتى وصلوا الى طابيتهم فدخلوها فأمر الجنرال جرام اذ ذاك فعزفت الموسيقى بعض ألحانها الحماسية وتقدم المربع بقدم ثابتة حتى صار على قيد مرمى القنابل فوقف فبادره الدراويش باطلاق المدافع فأطلق المربع اذ ذاك مدافعه فأسكت مدافعهم . ثم ضرب النفير فحمل المربع على الطابية فخرج عليهم قسم من

أهلها وقد أشهروا الأسنة وجردوا السيوف وفرسانهم في مقدمتهم فتلقاهم المربع بنيرانه فحصدهم حصداً وكان الواحد منهم اذا أصيب بالرصاص سد جرحه بيده وأعاد الكرة حتى يلقي حتفه . وما زال المربع يتقدم مقتحماً نار العدو حتى امتلك الطابية عنوة وفر من سلم من الأعداء الى آبار التيب فزربوا زريبة وتحصنوا فيها . وفي الساعة الواحدة بعد الظهر تبعهم الجيش وأخرجهم منها عنوة بعد قتال عنيف دام ٣ ساعات متوالية . وقتل من الانكليز في هذا اليوم ٣٤ رجلاً وجرح ١٥٥ وأما قتلى الدراويش فقد زادوا عن الالفين وزاد جرحاهم عن ذلك . وبين قتلام عبد الله بن حامد المشهور بأمير الساحل ومدني بن علي ابن اخي عثمان السالف ذكرهما والطاهر بن عمر ابن عم الطاهر المجذوب وموسى قبلاي الذي قال فيه عثمان انه رجل بمقام الف . ولم يقع منهم في الأسر إلا القليل لأنهم كانوا يحاربون الى آخر رمق حتى ان جريحهم كان وهو ملقى على الارض يختبئ بدماءه اذا مر به عسكري يطعنه بجرية او بسيف . وقد حكى ان الطاهر بن عمر المجذوب المذكور آنفاً قال لأصحابه قبل الحملة على الجيش ، اذا أصبت قبل ان أتكن من الوصول الى العدو فجروني برجلي حتى توصلوني اليه لعلني أتشفى من أعداء الله بضربة ولو في آخر رمق مني ثم ادفنوني فاستريح من شؤم الدنيا .

واسترجع الجنرال جراهم في هذه الواقعة ٧ مدافع وشيئاً كثيراً من الاسلحة والذخائر . وفي اليوم التالي أي ١ مارس تقدم الى طوكر فوصلها الساعة الرابعة بعد الظهر فلم يجد فيها احداً من الدراويش بل وجد ٦٠٠ نفساً من المصريين بينهم ٧٠ رجلاً من حاميتها فعاد بهم الى سواكن ثم أرسلهم الى مصر وأخذ يستعد للزحف على عثمان دفنة في قماي .

واقعة قماي (التمينيب) الثانية في ١٣ مارس سنة ١٨٨٤ : وقد ظن الجنرال جراهم ان النصح ينجع في عثمان بعد الذي جرى لأصحابه في التيب فكتب اليه ينصحه بالتسليم فلم يجبه فكتب ثانية اليه والى أمرائه في ٨ مارس سنة ١٨٨٤ يتهددهم بالزحف عليهم في قماي اذا لم يسلموا فأجابه عثمان بقوله :

« دع عنك النصيح واستعد للقتال الذي يكون فيه هلاكك ان شاء الله » وختم جوابه هذا بختمه واختام أمرائه . فخرج الجنرال جرام اذ ذاك بالجيش من سواكن في ١١ مارس فبات ليلته في زريبة من بناء باكر باشا . وفي صباح اليوم التالي (١٢ مارس) تقدم نحو قماي فالتقاه عثمان بخارج الابار فبات جرام بالجيش على مقربة منه فأرسل عثمان رجاله المسلحين بالبنادق فأقلقوا الجيش الليل كله . وفي صباح الغد (١٣ مارس) الساعة ثمانية ونصف نظم جرام جيشه في مربعين فسار المربعان متحازبين احدهما متقهقر عن الآخر قليلاً بهيئة « تدريجيه » . وكان مع عثمان نحو ١٢ ألفاً فجعلهم فرقتين كل فرقة صدد مربع فاخترقوا المربع الاول وغنموا بعض مدافعه ولكن المربع الثاني تغلب على فرقته وتقدم فأنجذ المربع الاول واسترجع المدافع وصبوا على اصحاب عثمان ناراً لم يطيقوها فانهمزوا شر هزيمة فلحقوهم الى قماي فوصلوها الظهر فوجدوا ديم عثمان خالياً فأحرقوه وعادوا في اليوم الثاني الى سواكن . وقد قتل من اصحاب عثمان في هذا اليوم ٢٠٠٠ رجل وقتل من الجيش ٥ ضباط و ١٠٤ عساكر وجرح مثل ذلك من العساكر و ٨ ضباط .

وفي ١٧ مارس اعلن الاميرال هيوت ان من يأتيه برأس عثمان دقنة حياً او ميتاً يجيزه بخمسة آلاف ريال ولكن بعد ثلاثة ايام من تاريخ صدور الاعلان أتاه الامر من بلاد الانكليز بإلغائه لمخالفته لمبادئ حزب الاحرار .

وكانت الحكومة المصرية قد أقرت على إخلاء السودان كما مرّ وولجت بهذه المهمة غوردون باشا فحضر في الخرطوم وطلب النجدة من حكومته فلما كانت واقعة قماي قال بعض الساسة الانكليز بوجوب فتح الطريق الى بربر وإرسال النجدة الى غوردون عليها وقال البعض الآخر بعدم صلاحية هذه الطريق لطلوها ووعورتها وقلة ماثها وخوف القدر من أهلها الذين كانوا لم يزالوا متشيعين للمهدية فأقر رأي الحكومة على تركها ولكنها سلمت بكسر شوكة عثمان دقنة الذي عاد الى ديمه في قماي .

فعمل عليه جرام ثانية في ٢٧ مارس ولم يكن مع عثمان اذ ذاك جيش

يصادم به فانهزم من أمامه وفرّ إلى الجبال المجاورة فأحرق جراحم منازلهم وعاد إلى سواكن .

وفي ٣ أبريل سنة ١٨٨٤ عاد إلى مصر ولحقه جيشه . وفي ١٠ مايو سمي الماجور تشمرسيد حاكماً على سواكن وجعل تحت يده اورطتان من الجيش الجديد وأورطة من البحارة الانكليزية لحماية سواكن وكان على سواكن سور منيع عليه الابراج والمدافع . ولما علم عثمان دقنة بذهاب الجنرال جراح وجيشه أشاع أن الانكليز إنما أدخلوا سواكن فراراً من سطوته وأخذ يجمع كلمة القبائل من جديد لحصر سواكن . ولنتركه الآن في هذا الصدد ولنأت على ما كان من أمر غوردون وحصار الخرطوم .



غوردون باشا

الفصل الثاني عشر

في

غوردون باشا وحصار الخرطوم سنة ١٨٨٤ م

ولاية غوردون الثانية على السودان :

تقدم ان الحكومة المصرية لما بلغها خبر هلاك هكس في شيكان قرأ رأياها على اخلاء السودان وانتشال حامياتها وموظفيها منه . قيل فلما عرض هذا القرار على النظار برئاسة شريف باشا لتصديقه قدموا استعفاهم من الوزارة فشكل الجناب العالي مجلأ آخر برئاسة نوبار باشا في يناير سنة ١٨٨٤ وعرض القرار عليه فصدقه وندب لهذه المهمة عبد القادر باشا فاعتذر قيل لأنه كان متيقنا الفشل بغير الجند . فندب لها غوردون باشا فحضر من بلاد الانكليز في ٢٥ يناير سنة ١٨٨٤ م . وفي اليوم التالي تشرف بمقابلة الجناب العالي فأصدر له فرمانا بتوليته حاكما عاما مفوضا على السودان وأمرأ آخر يتضمن الغرض الذي ندب له وهذا فحواه : « ان الغرض من إرسالكم الى السودان ارجاع الجنود والموظفين الملكيين والتجار الى مصر وذلك مع حفظ النظام في البلاد

بإعادتها الى سلالة الملوك الذين حكموها قبل الفتح المصري ولنا مزيد الثقة انكم تتخذون افضل الطرق لاقام هذه المهمة طبق رغبتنا والسلام .

فساز غوردون في اليوم التالي (٢٧ يناير) قاصداً الخرطوم وليس معه من الاعوان سوى ستورب باشا و ابراهيم بك فوزي المتقدم ذكرهما . ويظهر من ارسال الحكومة لغوردون بهذه المهمة وقبول غوردون لها بلا عساكر تعضده ان الحكومة وغوردون لم يدركا حقيقة الحالة التي كان عليها السودان في ذلك الحين . فقد رأيت ان الثورة قد اشتملت في السودان كله فسقط بعض حامياته في يد المهدي وأصبح البعض الآخر تحت الحصار او في خطر الحصار فكيف يتسنى لرجل واحد مهما اشتدت سطوته وحسنت سياسته ان ينتشل تلك الحاميات من مراكزها وفيها نحو ٣٠ ألفاً من الماكر ومثل ذلك او أزيد من الموظفين والتجار وبين الحامية الواحدة والاخرى مئات من الأميال في برّ مقفر ونيل بعيد المدى قابل للانخفاض مع ما فيه من السدود والشلالات . ثم أية سلطة بقيت لسلالة الملوك الاولين بعد السلطة التي حازها المهدي في البلاد وأين الرأس الذي يجمع اولئك الملوك ويقف ندّاً للمهدي !

ومما زاد المركز حرجاً الخطة التي جرى عليها غوردون في بدء مهمته : قال حسين باشا خليفة مدير بربر و ان غوردون أرسل اليّ رسالة برقية من اسبوط يأمرني بها ان أبلغت عمدة البلاد وأعيانها انه 'سمي والياً مفوضاً على السودان وانه عند وصوله سيعزل جميع الموظفين الأتراك والمصريين ويولي حكماً من اهل البلاد ليعيد الحكم كما كان قبل الفتح وانه أعفاهم من الأموال الأميرية المتأخرة لغاية سنة ١٨٨٣ ومن دفع الأموال مدة سنتين في المستقبل وانه خفض الضرائب الى نصف ما كانت عليه وألغى الأوامر الصادرة بمنع الرقيق وأذن لهم في المعاملة بالرقيق بعضهم مع بعض وأمرني بجمعهم في مركز المديرية الى ان يحجى . وعند وصوله الى كورسكو أرسل اليّ كتاباً معنوناً باسم محمد احمد يسميه فيه سلطاناً على كردوفان وكتب اليّ أمراً بارسال الكتاب الى محمد احمد مع رسول خاص مصحوب بهدية وهي جبة جوخ حمراء

وقفطان حرير احمر وطربوش احمر ومركوب احمر فارسلت الرسول والمهدية . وعند وصول غوردون الى بربر عقد مجلساً من العمد والأعيان وألقى عليهم خطاباً أعاد فيه ما جاء في رسالته البرقية اليه وقال ان الجنب العالي ترك السودان لأهله واني قادم الى السودان بقصد ارجاع المساكين الى مصر وليس إلا . ثم اختار ١٢ عمدة وأمرهم ان يشكلوا مجلساً كل اثنين وخميس ويحكموا فيه بالشورى وأمرني بأن لا أنفذ أمراً إلا بعد إقرار المجلس عليه . ثم عزل الحكام الأتراك وسمى عبد الماجد أبا الكيملك ومحمد خشم الموس من كبار الميرقاب الاول مأموراً على الوجه البحري الى حلة برقي والثاني على الوجه القبلي الى حجر العسل . وأعلن الجمهور ان كل من اراد الرجوع الى مصر يرسل على نفقة الحكومة فرحل الكثير من التجار والغرباء . ثم أصدر منشوراً صرح فيه بتسمية محمد احمد سلطاناً على كردوفان وفتح الطريق بينه وبين بربر بعد ان كان مقفلاً وألصق المنشور على باب المديرية وباب الضبطية وفي شوارع المدينة فأخذ الناس هاجرون الى المهدي افواجا خصوصاً بعد الذي علموه من عزم الحكومة على اخلاء البلاد . وكان في جملة من هاجر اليه محمد الخير الذي افتتح المديرية باسم المهدي فيما بعد . كما سيحيه .

ثم سار غوردون الى الخرطوم فوصلها في ١٨ فبراير سنة ١٨٨٤ . قال نصحي باشا : « فاستقبله على الشاطئ جميع الجند وقناصل الدول ورؤساء الاديان والعلماء . ثم دخل ديوان المديرية وكان غاصاً بعمد البلاد ومشايخها وتجارها فأخرج فرمان توليته من جيبه ودفعه الى الشيخ حسين المجدي فتلاه على الجمهور . ثم وقف بينهم خطيباً وقال بما معناه : اني بمقتضى هذا فرمان قد سميت حاكماً مفوضاً على السودان لأنظر في ما حل فيه من المشاكل وأسأل الله ان يرشدنا جميعاً الى ما فيه اصلاح الحال واطمئنان البال وقد جئكم وحسدي غير مصحوب بالعساكر والاسلحة اعتماداً على معونة الله ولوائكم للحكومة وانتم تعلمون شفتي عليكم ومحبي لكم من قبل فلا يبعث الباشبوزق بعد الآن في البلاد ولا ترون الا ما فيه راحتكم . ائتماء ثروتكم ونجاح تجارتكم

وزراعتكم . ثم أشار الى ستيورت باشا الذي كان يجانبه . وقال هذا الواقف أمامكم هو وكيلي ومعتدي فأطلب اليكم إطاعة أوامره واعتباره كشخصي . ثم أمر فأنصرف العساكر الى أماكنهم وذهب الى سراي الحكومة المعدة لسكناء وأقام فيها .

وفي هذا اليوم أمر فجمعت دفاتر الضرائب على الاطيان في ساحة عمومية ووضعت فوقها السياط وآلات الضرب التي كان يستعملها الحكمداريون السابقون وأضرم فيها النار . ثم زار السجون فأخلى سبيل الجميع ما عدا القتلة .

ثم تفقد العساكر على خط النار فسر من مائة الحصون التي أقامها عبد القسادر باشا وكان الجيش مؤلفاً من عساكر مصرية نظامية وعساكر سود نظامية وعساكر باشبوزق اترك ومغاربة وشايقة فجعل ابراهيم بك فوزي قومنداناً على العساكر المصرية وفرج بك الزيني قومنداناً على العساكر السود والسعيد بك الجمعياني قومنداناً على العساكر الباشبوزق وحسين بك ابراهيم الشلاي وكيلا له ومنح كلا منهما بعد ذلك لقب باشا . قال نصحي باشا : ثم شرع غوردون في إخلاء الحامية ففرز القسم الأكبر من العساكر المصرية وأرسلهم بقيادةي الى ام درمان على نية إرسالهم الى مصر والاكتفاء بالعساكر السود الى ان يتم إخلاء البلاد وفرز ستيورت باشا بأمره المرضى وعيال الضباط والعساكر الذين قتلوا في شيكان والعساكر غير اللاتنيين للخدمة العسكرية والمرفوتين من الموظفين والكتاب وشرع في تسفيرهم شمالاً هم ومن أراد من التجار المصريين وغيرهم وأمر ابراهيم باشا جيدر قومندان خط النار سابقاً فذهب الى بربر وأقام هناك مأموراً بتسفيرهم والتجار المقيمين في بربر فأرسلهم عن طريق كورسكو ثم لحقهم . وكان غوردون قد بعث برسالة برقية من كورسكو بعزل حسين باشا سرتي من وكالة الحكمدارية فبرح الخرطوم قبل وصول غوردون اليها بأيام وثاب عنه الكولونيل ده كوتلوجن المار ذكره فبرح الخرطوم بعد وصول غوردون بيومين . فكان مجموع من نزل الى مصر قبل ان سدت الطريق نحو ١٠٠٠ نفس .

مخازن الخرطوم وشونها : وفي صباح اليوم التالي أي ١٩ فبراير تفقد غوردون المخازن والشون والترسانة والحزينة وقتش دفاترها فوجد في المخازن :

٨٧٢	بنديفة رمتون	١٣٠٣٢٣	دانة ششخان - ابناس للندفع الجبلي
٣٦٨٠	بنديفة طرز قديم	٢٠٠٤٥	حلقوم للندفع الجبلي
٣١٥٠٧٤٠	دسته جيجانة رمتون	٩٠٢٣٤	خرطوشة للندفع الجبلي
١٠٣٠٠٦٨	» » طرز قديم	١٣٠٧١٠	ككة طرز قديم
٣٠٧٠٠	» » للتريليز	٥٧٠	حلقوم للندفع اوردوي طرز قديم
١٠٣٦٩	» » جديد	٢٥٥	قنطار بارود جب ربيع للنادق
٢١٥١٢	خرطوشة للكروب	٢٧٧	» » خشن للندفع
١٠٩٠٠	دانة كروب قطر ٨	١٩	» » ملون للزينة
٢٥٠	حلقوم كروب	٣٧٦٠٠٠	كنبول طرز قديم للنادق
١٠٢٥٥	طلق ساروخ	٨٥٠٠٠٩	كنبول طرز جديد للنادق الرمتون

ووجد في الشون :

٢٣٠٥٠٠	اردب دره	٢١	قنطار ريش نعام
١٠٠٠	اردب قمح	٣٠٠٠٠	اردب ملح
٦٠٠٠٠٠	اروقه ارد هندي	١٢	قنطار خربت
١٢٥٠٠٠٠٠	اروقه بقمط	٦٠٠	قنطار صابون
١٤	قنطار عمل	١٠٠٠	قنطار زيت
٢٠٠	قنطار تمر هندي	١٠٠٠	قنطار شحم

المجلس الوطني : ثم نظر في تنظيم مدينة الخرطوم فأنشأ مجلساً وطنياً من أعيانها لفصل المشاكل بين الاهلين . وازسل في طلب عوض الكريم ابي سن شيخ الشكرية ليكون مديراً على الخرطوم بدلاً من علي بك حلاب .

منشور غوردون : ثم وزع منشوراً على اهل الخرطوم وضواحيها فقال : فان السودان قد فصل عن مصر فصلاً تاماً وقد جئتكم حاكماً مفوضاً عليه فجعلت محمد احمد سلطاناً على كردوفان وألغيت الأوامر الصادرة في منع الرقيق وأغضيت عن المتأخر من الضرائب لغاية ١٨٨٣ وعن ضرائب سبتين في المستقبل وسأجعل حكومة وطنية من اهل البلاد ليحكم السودان نفسه

بنفسه وقد نذبت الشيخ عوض الكريم ابا سن ليكون مديراً على الخرطوم .
وهو القول الذي أشاعه في بربر بعينه .

ولم تعلم الحكمة التي أرادها غوردون في افشاء الغرض من رسالته لأهل السودان ثم في تسمية محمد احمد سلطاناً على كردوفان فان محمد احمد قد أصبح بعد واقعة شيكان سلطاناً معنوياً على السودان كله و سلطاناً فعلياً على جميع السودان الغربي فهل يحتفل بعد بلقب « سلطان على كردوفان » من حكومة جرد سيفه لقتالها وقهر جنودها المرة بعد المرة . وما الفائدة في اعطائه هذا اللقب رسمياً ثم ما الفائدة في تبليغ الاهلين قصد الحكومة في اخلاء السودان في مثل تلك الأحوال سوى اظهار العجز امام المهدي وحل الاهلين الذين كان لهم بقية امل في الحكومة على تركها بتاتا والانضمام الى المهدي قبل فوات الفرصة .

مناشير المهدي : وقد تقدم لنا ان المهدي بعد واقعة شيكان أخذ يستعد للزحف على الخرطوم وكتب الى اهل الجزيرة يستحثهم على القيام لنصرة الدين وحصر الخرطوم الى ان يحمي بنفسه . وقد جاهر الشيخ محمد البصير حو المهدي بالثورة في جهات النيل الازرق توتاً بعد واقعة شيكان وحصر صالح الملك في فدامي كما سيجيء . وكتب المهدي يتهدد المشايخ الذين لم ينصروه بعد وهالك ما كتبه الى الشيخ العبيد ولد بدر (في ام ضبان) وأعرانه :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

« وبعد فجزيل السلام من عبد ربه الواثق بمولاه محمد المهدي بن عبد الله الى حبيبه العبيد بدر وكافة من كان لله وبذل نفسه في نصرة الدين من عباده المؤمنين أما بعد فالذي نعلمكم به أها الاخوان ان قد تكررت منا اليكم المخاطبات والانذارات والمواعظ التي يهون في جنبها ارتكاب كل صعب شديد في طاعة الملك المجيد وقد كنا نعدكم للنائبات التي تزل من عدم الصبر عليها

اقدام الثقات لتعمير بواطنكم وأوقاتكم بذكر الله ودلائكم لخلق الله وعكوفكم على قدم الصدق التي تنافس فيه اهل الله وحزبه وأنتم اهل دراية ومعرفة وقد علمتم ان القلب اذا خلا من غير الله يتسلي نوراً ويفيض منه الى خلق الله ولا شك ان الرباني المتمسك بالله كأمثالكم شأنه هكذا وسياء هي عدم الخشية من احد غير الله والى الآن أنتم معدودون عندنا لأجل ذلك وقد بلغنا عنكم عدم الاهتمام والقيام لقتال الكفرة حيث ندبكم محمد الطيب البصير لذلك فتخلفتم عن اجابته وما كان لكم ان ترغبوا بأنفسكم عن الله ورسوله وتشاركونا المتخلفين عن رسول الله ﷺ فأبي عذر لكم بعد أمر الله ورسوله وأمرنا هذا وان كنتم في أشد البلى فان الدين بالبلوى يزيد تجملاً ولا يعرف الذهب من الزيف إلا بجرقه في النار ولا يرغب عن ملة ابراهيم ومحمد عليها الصلاة والسلام إلا من سفه نفسه وما أراكم ترضون بذلك لكونكم عندنا من الأخيار فاطلبوا ما عند الله فالبدار البدار وتوبوا بما توقفت لأجله فانه لا شيء يعتذر به ويستحي المؤمن اذا وقف بين يدي الله تعالى وينكس رأسه ذليلاً منكسراً حيث آثر الغير على محبة الله وتأنى من طلب الله لأجل شيء ظنه عذر وتوانى عن نصرة الله فيود ان تسوى به الارض من شدة وجله وخجله من الله حيث انكشف له حقيقة حاله عند الله وبعث ما في القبور وحصل ما في الصدور. فاذا بلغك جوابي هذا فشمروا وقوة عزمك في الله وشدة حزام العزم والحزم واجمع همك في الله وارسل لجميع أتباعك وأحبائك وأهلك وعشيرتك في الله وجاهر في معاداة الكفرة واقطع السكك وبارز بالمداوة ظاهراً وباطناً بالقتل والاسر والرباط والحصار ولا تتوقف أبداً لأمر ما ان كنت ممتلاً مصداقاً بمهديتنا افعل ذلك ولا تبالِ حكم ما فعل محمد الطيب البصير وان خشيت فانضم اليه وهاجر من محلك الذي انت فيه واتحد معه كيد واحدة فلا يكون لك بد عن هذا ابداً فعرض المؤمنين على القتال وسلم نفسك وأتباعك من الحساب والسؤال فان من قصد الله ورسوله وإقامة الدين يجاهد جدو الله ورسوله ولو منع شكاوي فلا تضر نفسك فلا يكون رضائي

عليك الا بفعل ما أمرتك من احد الامرين مع عود الافادة الينا عاجلاً لنعلم ما انت عليه والسلام ولا تجاوبنا بغير ما أمرناك ولا تبسط لنا الاعتذار وما قد أنذرتك ومن بلغه الانذار لا حق له في الاعتذار والسلام .

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

« وبعد فمن عبد ربه محمد المهدي بن عبد الله الى احبابه في الله المؤمنين بالله وبكتابه خصوصاً دفع الله تلميذ العبيد ولد بدر وكافة عصبة ورجاله وأتباعه اجمعين . اما بعد فالذي نعلمكم به ايها الاحباب انه جاء الحق وزهق الباطل وقد علمتم ان خروج المهدي وظهوره كقيام القيامة تنصح فيه اهل الدين والايمان ويكشف عن الصادقين من الاحباب وانتم أبناء الطريقة وخدمتها المريدين لحث الآخرة ومجتهدين فيها وهذه سنة محمد رسول الله ﷺ قد ظلمت وأيدها الله بظهورنا وأوجب عليكم طاعتنا ونصرتنا في الله لإقامة الدين وترك كل ما لى وشغل من مال وبنيان . وحيث فهمتم ذلك وفاتكم الهجرة الاولى وكان الله ورسوله والجهاد في سبيله أحب اليكم من كل شيء سواء فبمجرد وصول جوابنا اليكم صخبه رافعه محمد الناصر تحزبوا في الله احزاباً واحزاباً وجهزوا حالكم واستعدوا للقتال والجهاد للكفرة بكل ما أمكنكم وانضموا الى العبيد بدر وبمجرد سماعكم بجلولنا بالبحر الابيض تقوموا بكامل رجالكم خفافاً وثقالاً وقابلوا الخراطوم يجهتكم التي يقال لها القبة وحاصروا أعداء الله وضيقوا عليهم فان الله يخزيهم وينصركم عليهم فاني موعود بالنصر والظفر عليهم بأذن الله تعالى ولو كنت وحدي فمن تخلف بعد مجيئنا قدمه هدر وماله واولاده غنيمة للمسلمين يكون معلومكم ذلك وبمعه السلام . وايضاً كتبنا لوالدكم العبيد بالحصار والجهاد تجاه القبة للخراطوم وانه يساعدكم على هلاك الكفرة فتعاونوا عليهم فان المؤمنين كالبنيان يشد بعضه البعض يكون معلومكم والسلام اه .

وكتب مثل ذلك الى الشيخ المضوي عبد الرحمن المار ذكره . والشيخ المضوي والشيخ العبيد هما كبيراً الطريقة القادرية من فرع تاج الدين البهاري

وكثير من اهل الجزيرة والشرق على طريقتهما ولم يكونا مصدقين المهدي ولكن عجز الحكومة عن إذلاله اضطرهما الى مسالته والبقاء على الحياد الى ان ترجح احدى القوتين على الاخرى فقتبعانها. فما زالا يتبعان اخبار الحكومة والمهدي الى ان كانت واقعة شيكان وقدم غوردون وحده بلاجند بقصد اخلاء السودان وقام الشيخ محمد البصير في الجزيرة وحصر فداصي كما أشرنا قبلا فلم يريا بعد ذلك بدءاً من الأخذ بقول المهدي والقيام بنصرته فرفعا رايته وأخذوا يستعدان لحصر الخرطوم .

وكان غوردون بعد ان وزع منشوره المار ذكره قد ارسل وكيله ستيورت باشا في باخرة على البحر الابيض لأجل تأمين الأهالي ومعرفة تأثير المنشور وصحبه الشيخ حين عبد الرحيم شيخ الدويم والشيخ عبدالقادر قاضي الكلاكلة وغيرهما من أعيان البلاد فلما وصلوا الدويم وجدوا العربان متجمعين للثورة تحت راية احمد المكاشف وما قربوا منهم حتى بادروهم باطلاق الرصاص فانقلبوا راجعين الى الخرطوم .

وفي هذه الأثناء ارسل الشيخ عوض الكريم ابو سن ابنه علي الهد الى الخرطوم فأخبر غوردون ان الثورة اشتعلت في جميع بلاد النيل الازرق ومحمد البصير لم يزل محاصراً لصالح الملك في فداصي وان منشوره لم يكن له أقل تأثير ولذلك فهو لا يستطيع المجيء الى الخرطوم ويرى ان بقاءه في جهات النيل الازرق أصلح للحكومة .

فلما علم اهل مدينة الخرطوم حال البلاد قلقوا واضطربوا وجأؤوا الى غوردون زمرأ من تجار ومتسببين وصناع من وطنيين ومصريين وافرنج وقالوا له : إن كنت لم تزل مصمماً على ارسال العساكر فنسألك ان تسمى في ارسالنا قبلهم . وفر كثير من الوطنيين من المدينة وثاروا مع الثائرين وفي جلتهم الشيخ عبد القادر قاضي الكلاكلة .

طلب غوردون للزبير : فرأى غوردون الآن ان السودان اذا ترك لأهله

فأهله لا رأس لهم يجمع كلمتهم لأنهم قبائل شتى لكل قبيلة منهم شيخ أو ملك مستقل عن الآخر فإذا تركهم وشأنهم لم يروا بداً من الانضمام الى المهدي القائم بدعوى الرئاسة على الكون كله . فأراد ان يحصل له في السودان ندّاً تجتمع عليه القبائل فترجع كلمته على كلمة المهدي فلم يرَ ندّاً أفضل من الزبير لأنه فضلاً عن علوّ نسبه على نسب المهدي فهو معروف عند اهل السودان كافة بالكرم والشجاعة وحسن السياسة وأهل الخرطوم وضواحيها هم أهله وله من جمة على كثير منهم منذ كان حاكماً على بحر الغزال ودارفور . وكان للزبير اذ ذاك في مصر فبعث غوردون يطلب ارساله الى الخرطوم ليولّيه السودان على الشروط الآتية :

- ١ - ان يمنح الزبير رتبة فريق والنيشان العثماني الاول ويُجعل حاكماً عاماً على السودان الى حد الخندق من اعمال دنقلة براتب ٦٠٠٠ جنيه في السنة .
- ٢ - ان يُمنح الحرية المطلقة في ادارة الشؤون الملكية والعسكرية فيوتلي من يشاء ويعزل من يشاء وينظم المالية والترسانة والضرائب وجميع انواع الدخل والخراج .
- ٣ - ان يُعطى السلطة لمنح رتب ملكية وعسكرية الى رتبة ميرالاي على ان يطلب عرائضها من خديوي مصر .
- ٤ - ان تجعل له الحكومة المصرية إعانة سنوية قدرها مليونان ونصف مليون جنيه وهي قيمة ما كان يُنفق على السودان من قبل وذلك لمدة سنتين فقط .
- ٥ - ان يُترك له جميع ما للحكومة في السودان من الأسلحة والذخائر والوابورات .
- ٦ - ان تساعد الجنود الانكليزية على رفع الحصار عن الخرطوم وسنار وسواكن .

٧ - ان يشمل السودان جميع بلاد سواكن والقضارف وكسلا والقلابات وسنار والخرطوم وبربر ودنقلة الى حد الخندق . اما مصوع وسنهيبت فتفصلان

عن السودان وأما بحر الفزال وخط الاستواء فتخليان ويؤتى بوظفيتها الى الخرطوم او مصر .

٨ - ان يُنشأ جرك في سواكن ويُضمّ دخله الى مالية السودان اما في الحثدق فلا يكون جرك بل تُعفى البضائع الصادرة والواردة من الرسوم .

٩ - ان تبقى تجارة الرقيق ممنوعة بموجب الاتفاق الذي أبرم بين الدولة الانكليزية ومصر .

١٠ - ان تحكر طرق السودان حسين باشا خليفة (مدير بربر) ولذريته من بعده .

وقد صرّح غوردون بأنه لا يمكن استرجاع النظام الى السودان ومنع امتداد الثورة الى مصر الا بتوليغ الامر كله للزبير فجاءه الجواب من حكومته في ٢٦ فبراير بعدم استصواب ارسال الزبير . قبعث بعد يومين يلحّ عليها في ارسالة ويبين الاسباب ولما لم تجبه عاد في ٤ مارس الى إلحاحه . قيل وكان الجناب العالي والسر أفلن بارنج (اللورد كرومر) ونوبار باشا رئيس مجلس النظار موافقين على ارسال الزبير الى الخرطوم ولكن جمعية ابطال الرقيق في لندن هي التي عارضت في ارساله وشددت المعارضة فجاءه الجواب من حكومته في ٥ مارس بأنه قد قرّر الرأي نهائياً على عدم ارسال الزبير الى الخرطوم .

فلما رأى غوردون ان حكومته لا تسمح له بالزبير ورأى استعداد الأهلين لحصر الخرطوم أخذ بهم بتحصينها فأرجع اليها العساكر المصرية من طابية ام درمان ولم يُبقَ فيها سوى اورطة واحدة ومدفع وساروخ لحايتها . ثم أمر فرج باشا الزيني قومندان العساكر السودانية فشكل مجلساً عسكرياً من الضباط العظام تحت رئاسته ونظر في أمر الدفاع فقرّر رأي المجلس على وضع جميع العساكر المصرية والسودانية والباشبوزق والمدافع على خط النار بين النيل الابيض والنيل الازرق . عدا اوردني من الباشبوزق بوضع في قصر

راسخ بك المعروف، بسراي الشرق تجاه سراي الخرطوم . وبلوك من العساكر النظامية ومدفع واحد في طابية المقرن عند التقاء النيلين . مع بقاء الاورطة في طابية ام درمان بالغرب فصدق غوردون هذا القرار ونفذ في الحال .

واقعة الحلفاية في ١٣ مارس سنة ١٨٨٤ : وما أتم غوردون استعداداته حتى حضر الجواسيس وأخبروه بأن الشيخ العبيد زاحف بجيوش تليف على ٣٠ ألفاً لحصر الخرطوم من جهة الشرق فأرسل ٥٠٠ من الباشبوزق مدداً الى سراي الشرق وفتح المزاغل في جدرانها وخندق حولها وأنشأ فيها محطة تلغرافية فوصل بينها وبين سراي الخرطوم . ثم أرسل ٥٠٠ من الباشبوزق الشايقية الى الحلفاية لمنع الدراويش من احتلالها . ولم يكن إلا القليل حتى أقبلت جيوش الشيخ العبيد وعليها ابنه ابراهيم والعباس والشيخ المضوي وزلوا على الشايقية في الحلفاية فهزموهم منها بعد ان فتكروا بهم واحتلوها مكانهم . وكان غوردون باشا واقفاً على سطح السراي يشاهد القتال بالمنظار فلما رأى انهزام الشايقية ارسل ابراهيم بك فوزي في باخرتين مشحونتين بالعساكر فوجد الدراويش قد شادوا المتاريس والطوايي وتحصنوا بها مع انه لم يضر على احتلالهم إياها سوى بضع ساعات فحاربهم مستبلاً الى ان سدل الليل حجابيه فرجع عنهم بعد ان زحزحهم من حصونهم وقد أصابته رصاصة في فخذه اليمنى فشوهتها فأنعم عليه غوردون برتبة اللواء . وكان تاريخ هذه الواقعة ١٣ مارس سنة ١٨٨٤ وهي اول وقائع حصار الخرطوم .

واقعة الشرق في ١٦ مارس سنة ١٨٨٤ : وصمم غوردون رايه على طرد الدراويش من الحلفاية فجهر جيشاً مؤلفاً من ٣٠٠٠ من الباشبوزق و ١٠٠٠ من الجهادية ومدفع جبلي وعقد لواءه للسعيد باشا ووكيله حسين باشا ابراهيم الشلاي المار ذكرهما فخرجا من سراي الشرق وسارا نحو الحلفاية فالتقام الدراويش في منتصف الطريق فانقسموا ثلاث فرق : فرقة عن يمينهم في غابة الملاحة وفرقة عن يسارهم شمالي القبة وفرقة أمامهم قيل وكان السعيد باشا

ووكيله متواطئين معهم على الفتك بالجيش فلما صاروا على بعد مرمى الرصاص لم يأمر العساكر بإطلاق النار فهباج قومندان الجهادية وأمر رجال المدافع ومقدمة القلعة فأطلقوا نيرانهم وأخذ الدراويش في الانهزام فأمر حسين باشا اذ ذاك ملازم الطوبجية بالكف عن الضرب ولما لم يفعل ضربه بسيفه ضربة أطاحت رأسه. وأمر سعيد باشا البروجي بضرب « نوبة رجعة » ولما اعترضه الصاغ قال انا القومندان دون غيري وأعاد الامر للبروجي فتوقف فضربه بالسيف فقتله ونادى بروجياً آخر فخشي ان يصيبه ما أصاب رفيقه فضرب نوبة رجعة وأخذ العساكر في التقهقر فمجبب الضباط من هذا الامر وأخذ خشم الموس ومحمد أغا قرصية وغيرهما من الضباط يستوقفون العساكر للقتال ولكن كان السعيد والحسين يردانهم بالسيف وقد جعل كل منها طربوش في فمه فظن أنها العلامة التي اتفقا عليها مع الدراويش . ولم يبق في ساحة القتال سوى ضابط من الباشبوزق يدعى موتى بك وقد كانت متولياً ادارة مدفع فبقي يقا تل الدراويش حتى تكاثروا عليه فقتلوه وأخذوا المدفع وتآفروا العساكر المنهزمين فأدركوا اربعة جمال محملة ذخائر فغنموها. وكان قتل الجيش في هذا اليوم نحو ٤٠٠ رجل وأما الدراويش فلم يقتل منهم سوى ٢٠ رجلاً. وتاريخ هذه الواقعة الاحد في ١٦ مارس سنة ١٨٨٤ وقد عرفت « بواقعة الشرق » لأنها كانت في شرق النيل .

وكان غوردون باشا يشاهد الواقعة من سطح السراي وقد كاد يتمزق من الغيظ لما رآه من انهزام العساكر فأرسل ستيورت باشا الى قصر راسخ ليتحقق سبب انهزامهم فأخبروه بالذي جرى فأبلغه غوردون تلعرافياً فأمر باحضار السعيد والحسين الى الخرطوم وشكل مجلساً عسكرياً من الضباط والسناجق برئاسة فرج باشا الزيني لمحاكمتها وفي أثناء ذلك قدّم اهل العساكر الذين قتلوا في الواقعة عرائض شديدة الى غوردون يطلبون بها قتل السعيد والحسين وإلا قتلوهما بأيديهم وأظهر التحقيق انها كانوا متواطئين مع الدراويش فحكم المجلس عليها بالاعدام وصدّق غوردون الحكم فقتلا . وأنعم على خشم الموس

بالرتبة الثالثة وجعله قومنداناً على الشايقية مكافأة له على بسالته في واقعة الشرق .

وقد رأيت كتاباً من المهدي الى زقل بتاريخ ١٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٠١ هـ ٥ ابريل سنة ١٨٨٤ م يشير فيه الى الواقعتين السابقتين قال : ... وايضاً نملكم انه في يومي تاريخه حضر لنا جواب من الشيخ العبيد بدر يذكر فيه بعد ما أثاره جوابنا له بالجهاد انه وجّه ابنه ابراهيم العبيد ومعه الانصار لأجل محاصرة الخرطوم فوافو مراكب ملاقات عساكر متوجهة للخرطوم تحت حلة الخلفاية فتقابلوا معهم وهزموم وضبطوا منهم مائة وخمسين عسكرياً من ضباط وغيرهم واستلموا بعضاً من اسلحتهم النارية والباقون ولوا الادبار . وكذلك بيوم الاحد الموافق ١٨ جمادى اول سنة ١٣٠١ في ساعة الضحى خرجت اليهم جردة تساوي اربعة آلاف من يقرقصر راسخ بالشرق فتقاتلوا مع المذكورين فهزوموم في أقل من نصف ساعة وقتلوا منهم اربعماية نفر واستلموا منهم مدفع وجببخانة اربعة جمال والشهداء من الانصار عشرون شهيداً ...

حصار الخرطوم : وزاد انصار المهدي جرأة بعد واقعة الشرق فتقدموا لحصر الخرطوم وام درمان معاً فنزل ابراهيم ابن الشيخ العبيد والشيخ المضوي في قبة خوجلي فحصر الخرطوم من الشمال واجتاز المباس ابن الشيخ العبيد النيل الازرق ونزل في الجريف فحصرها من الجنوب من جهة النيل الازرق . ثم ان عبد القادر قاضي الكلاكلة بعد فراره من الخرطوم نادى باسم المهدي فاجتمع عليه نحو ٣٠٠٠ رجل وأكثرهم مسلحون بالاسلحة النارية فنزل بهم في حلة الكلاكلة وحصر الخرطوم من جهة البحر الابيض . وكان المهدي قد كتب الى مصطفى الامين ام حقيين المقيم بجزيرة اسلانج شمالي الخلفاية فجمع نحو ١٠٠٠ رجل ونزل في خورشبات فحصر ام درمان من جهة الشمال . وجمع احمد ابر صغيرة شيخ الجموعية نحو ٢٠٠٠ من عربان الجموعية والفتيحاب ونزل في ابي سعد فحصر ام درمان من جهة الجنوب .

ولما استقر بهم المقام ارسل كل منهم كتاباً الى غوردون باشا يدعوه الى التسليم وهذا ما كتبه اليه المصوي كما رواه لي :

« اما بعد فقد بلغني انك تزعم ان معظم اهل السودان مجبورون على اتباع محمد احمد المهدي وليس لهم الرغبة فيه باطناً وانك تحب خلاصهم منه فاعلم ان جميع اهل السودان خاصتهم وعامتهم قد اتبعوا محمد احمد قلباً وقالباً ودليل ذلك بذلهم ارواحهم بين يديه في الحروب واني أنصح لك ان تفعل احد امرين : إما ان تسلم للمهدي فتسلم بمن معك من اهل الخرطوم فيؤتيك الله أجرك مرتين او ان ترحل الى بلادك فتنجو من هذه المهالك فانه لا خير لك في البقاء هنا على هذا الحال لأنك إن بقيت فلا بد من هلاكك انت وجميع رجالك والسلام » .

فكسى غوردون رسل الزعماء وأرجعهم يجواب هذا مفاده : « اعلوا ان محمد احمد الذي اتبعتموه ليس المهدي المنتظر على ما أنبأته النصوص الشرعية والمعلوم عندي انه سلطان كردوفان كما سبقت فأخبرته في كتاب خاص . وأما نصيحتكم إلي بالتسليم فتدل على جهلكم وغرورك ولا يسوغ لي ان أسلم لكم العساكر والرعية لتعاملوهم بما تعودقوه من القتل والنهب والسلب واعلموا انكم اذا لم ترجعوا عما انتم فيه ستبلون مجيوش من قبل الحكومة الخديوية والدولة الانكليزية لا طاقة لكم بها والماعقل من تدبر أمره والسلام » .

جواب المهدي على كتاب غوردون : ثم لم يكن الا القليل حتى حضر الرسول (عبد الله العبادي) الذي أرسل بالهدية والكتاب الى المهدي ومعه رسولان من قبل المهدي فوقفوا امام السور ورفعوا راية بيضاء فأمر غوردون باحضارهم اليه وكان رسولا المهدي مسلحين فتقدم المأمور اليها ليجردهما من سلاحهما قبل دخولهما على غوردون فأبى فسمح لهما غوردون بالدخول عليه بسلاحهما ثم أمر لهما بكرسين فجلسا وأمر ابراهيم بك رشدي باشكاتب الحكمدارية باستلام ما معها فاذا بالهدية التي ارسلها غوردون مردودة ومعه هدية من المهدي وهي بدلة من لباس الدراويش وكتاب هذه صورته :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

« وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى عزيز بريطانيا والحديرية غوردون باشا . قد وصلنا جوابك وفهمنا ما فيه . والحال انك تزعم ارادة اصلاح المسلمين وفتح الطرق لزيارة قبر النبي ﷺ واتصال المودة فيما بيننا وبينكم وحل المسيحية من النصارى والمسلمانيين وان تجعلنا سلطاناً على كردوفان فأقول والامر لله اني قد دعوت العباد الى صلاحهم وما يقرهم من ربهم وان يفرغوا من الدنيا الفانية الى دار البقاء ويعلموا بما يصلحهم في آخرتهم وقد كتبت الى حكمدار الخرطوم وأنا بأبأ بدعايته الى الحق وبأن مهديتي من الله ورسوله . ولست في ذلك بمتحيل ولا مرید ملكاً ولا جاهاً ولا مالاً وإنما انا عبد احب المسكنة والمساكين وأكره الفخر وتمتزز السلاطين ونجوم عن الحق المبين لما جيلوا عليه من حب الجاه والمال والبنين وهذا هو الذي صدمهم عن صلاحهم وأخذ نصيبهم من ربهم فأخذوا الفاني وتركوا الباقي واشتغلوا بما لا يكون من الفانيات ولم يسمعوا قول الله ولا رسوله ولم يذكروا خبر القرون الذين لم يغن عنهم ذلك شيئاً وتندموا على قدر الذي تمتعوا به فأبديني الله تعالى بالمهدية الكبرى لدلائلهم الى الله تعالى ولتركوا العز الفاني والنعم الفاني الى العز الدائم والنعم الأبدي في دار النعم المقيم ولأعزتهم غرور من يريد العاجلة ويظن انه ساع في رضاء الله ويكون له نصيب في الآخرة وقد قال المسيح عليه السلام : يا معشر الحواريين ابنوا على موج البحر داراً تلکم الدنيا فلا تتخذوها قراراً ومن ظن انه يخوض البحر من غير بلل فهو مفرور فكذلك من ظن انه يجمع الدنيا ويريد عزها وجاهها ويكون له في الآخرة شأن . فأنب الى الله الباقي واخضع لجلاله وأطلب عز الآخرة ولا تظن ان هذه الدنيا دار تسمى للملكها وعزها وكيف من يكون على خلاف سكة النبي ﷺ يفتح باب زيارة قبره ولم يكن النبي ﷺ ممن يرغب زيارة الكلاب كما ورد ان الدنيا جيفة وطلابها كلاب ولم يكن يرغب من عبد غير الله ونسي الله وأعرض عن

كلامه وطلب متاع الحياة الفانية فان كنت شقيقاً على المسلمين فبالاول اشفق على نفسك وخلصها من سخط خالقها وقومها على اتباع الدين الحق باتباع سيدنا محمد رسول الله ﷺ الذي أحيا ما اندرس من ملل الأنبياء والمرسلين وأتى مصدقاً لما بين يديه من الكتب فجميع الأنبياء عليهم السلام لو حضروه لما سلكوا غير ملته وكلهم يتمنون ان يكونوا من أمته ومن حضر بعثته وما بعد لا يقبل منه ديناً غير سكتة فطر نفسه أولاً بالدخول في ملته ثم اشفق على أمته بسلوك سنته فعند هذا فأنت الشقيق ومن غير هذا فما لك من المحقين رفيق كيف وقد قال الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين الى ان قال : وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون . واننا قد امتثلنا أمر الله فما نتخذ ولياً إلا الله ورسوله والمؤمنين وعلى ذلك قد وعد الله بالغلبة كما سمعته من قول الله . هذا وما دام ان الله يقول لهم الغالبون فلا غلبة لغيرهم فان رجعت عما انت عليه من ملة غير الاسلام وأنبت الى الله ورسوله واخترت الآخرة تتخذك ولياً وتكون من اخواننا وتكون المودة المطلوبة عند الله ورسوله وتكون بمن امثل أمر الله بعد هذه الآيات فاستحق الوعد والبشارة في قوله تعالى : ولو ان أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنة النعيم ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم .. الآية . فبعد هذا تتصل المحبة والمودة فيما بيننا وبينك وتكون من عمل بالقرآن والتوراة والانجيل وتكون قد اتبعت باتباع نبينا محمد ﷺ عيسى وجميع الرسل والنبيين وحزت الخير الأبدي . وإلا حيث علمت ان حزب الله الذين وليهم الله ورسوله والذين آمنوا هم الغالبون من كلام الله فاعلم ان حزب الله أوصل اليك ومزيل لك عما شاركت به الله خالقك فاستدعيت ملك عباده وأرضه مع ان الارض لله يورثها عباده الصالحين وأما المسلمانيون

والمسيحيون الذين دعوت بطلقهم اليك فأنا أريد لهم الصلاح والنفع عند الله وفي دار الأبد. كما أريده لك ولكافة عباد الله فلا أبعدهم من جنتهم الى محنتهم فان الله قد أيدي رحمة للعباد لأنقذهم من الهلاك الذين هم واقعون فيه لولا رحمة الله بظهوري فيهم . واعلم اني المهدي المنتظر خليفة رسول الله ﷺ فلا حاجة لي بالسلطنة ولا بملك كردوفان ولا غيرها ولا في مال الدنيا ولا زخرفها وانما أنا عبد الله دال الى الله والى ما عنده فمن كان سعيداً أجابني واتبعني ومن كان شقياً أعرض عن دلالي فأزاله الله عن موضعه وأذله وعذبه عذاب الأبد وقد أيدي الله تعالى بالأنبياء والمرسلين والملائكة والمقربين وجميع الأولياء والصالحين لإحياء دينه وقد بشرني النبي ﷺ ان جميع من يلقياني بعداوة يخذله الله ويهزمه ولو كان الثقلين الانس والجن فلا تفتر قتهلك كما هلك اخوانك فافهم وسلم وسلم . وأما الهدية التي أرسلتها لنا فعلى حسب نية الخير جزاك الله الخير وهداك الى الصواب واعلم انه كما كتبنا لك اننا لا نرغب بمتاع الحياة الدنيا وزينتها وانما هي قصد المترفين الذين لم يكن لهم عند الله نصيب فيها هي رسالة اليك مع ما نرغبه من اللبس لنفسنا ولأصحابنا الذين يريدون الآخرة ويرغبون ما عند الله من الخير الباقي الأبدي ليستحقوا بذلك نعم الأبد وملك الدوام كما درج على ذلك الأنبياء والمرسلون وجميع السعداء من عباد الله الصالحين وتعلم ذلك انت حقيقة من سيرة عيسى عليه السلام وحواريه وقد قال: كبيت لكم الدنيا فلا تنمشوها بعدي فتعلم بذلك ان من خالفه من الاحبار والرهبان وجميع ما يدعى أتباعه ليسوا محقين وانما غرهم الحياة الفانية والأمتعة الآتلة الى ان تكون جيفة وعذرة ثم عد ما محضا فتكون حسرة وندماً عند فراقها ولما فوتته من اكتساب خيرات الدوام . ثم ان مثل ه يتك عندنا كثير ولكن أعرضنا عنه طلباً لما عند الله وأقول لك في ذلك كما قال سليمان عليه السلام لبليقيس وقومها : أتمدوني بما مال فما آتاني الله خير مما آتيكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلنأتينهم يحنود لا قبّل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون . واعلم انك اذا أتيتنا مسلماً نزيك ونزيك من النور

ما يطمئن به قلبك ويحول به طمعك في الدنيا وما فيها ثم بعد ذلك إن رأينا فيك خيراً وصلاً للمسلمين ولتيناك كما فعلنا ذلك بمحمد خالد المشهور بزقل مدير دارة سابقاً فإنه لما أتانا ورأى الحق وفرح بلقائنا غاية وندم على ما فات به ضيعه من عمره في القاني فاطمان قلبه بالله واختار الآخرة ووثق بالله وليناه على دارفور وقد كتب لنا قبل ذلك عبد القادر سلاطين بالتسليم فأكرمناه وإلى الآن نريد كمال تربيته وهو الآن في خير كثير وكذلك السيد جمعة الذي كان مدير القاشر الآن أرسلنا إلى محمد خالد المذكور يأتي به إلينا لكمال التربية والارشاد وبلغنا حسن اسلام الدمري سجاهه وصدق أتباعه لنا واثابته للآخرة . وكذلك جميع امراء النقط بدارفور قد أذعنوا لله بكباقي سلاطين دارفور وسلموا جميعاً أمرهم إلينا في حب الله ورسوله فحسن تسليمهم واتباعهم لنا . وكذلك الملك آدم مك جبال تقلي الآن أتى مهاجراً لما رأى الحق وحسن اتباعه وصدقته وقد أكرمناه وهو الآن معنا بخير كثير وهلم جراً فكل سعيد لا بد ان يتصل بنا من جميع أقطار الارض ومن أبى لا بد ان يتخذ الله ويمدبه في الآخرة كما أشار إلى ذلك النبي ﷺ مراراً . وليكن معلوماً عندك يا حضرة الباشا ان جميع الذين قتلوا على يدي قد أنذرهم أولاً انذاراً بليفاً وما هي واصله اليك انذار ولد الشلاي بعد مخاطبته لي وانذار مكس بأجوبة عديدة للعامة وجواب مخصوص له ولأكابر جيشه وقد أرسلنا إلى باشة الابيض بجواب فقتل رسلنا وبعد ان وقع في يدينا أكرمناه وأعطيناه جبة جميلة ليتدرج إلى الصدق مع الله ولا زلنا نكرمه ونعظمه ليقتردي بنا ويصدق مع الله فيكون من الاصحاب الذين هم كالنفس فلم يصدق ولا زال يقع فيما يهلكه ونحن نصفع عنه حتى أخذته نيته فمات ومع ذلك لأجل مبايعة لي وبجاسته معي أياماً قد أتانا خبر بعد موته أنه عفي عنه في الآخرة فصار من السعداء والعبد اذا كان يسعد في الآخرة فهو المقصود ولاخير في الدنيا ولا في نعيمها بل إنما متاعها يكثر الحسرة والحسب فقط يوم القيامة ونليق بالعباد سعادتهم في آخرتهم الأبدية وإزالة الهلاك عنهم من الله ولذلك لاطفت جميع الأكابر وأهل الدولة

بالقول والفعل ليعرفوا ما عند الله فيرغبوا فيه ويتركوا الخسيس الفاني وهكذا جميع من وقع في قبضتنا من الأكابر من الدولة والحكام ما عملنا معه إلا الخير والاكرام فمن صدق منهم معنا فهم الآن في خير كثير وازدياد شرف السلام ٧ جمادى الاولى سنة ١٣٠١ هـ ٥ مارس سنة ١٨٨٤ م .

« وبعد هذا البيان فان اهتديت وسلمت لي واتبعني حزت شرف الدنيا والآخرة وفزت بأجرك وبأجر جميع من اتبعك وإلا هلكت فكان عليك اثمك ومثل آثام جميع من اتبعك وان كان لك حسن نور في العقل تعلم اني خليفة رسول الله ﷺ فلا تنهني فيما أسوق به الى الله والدار الآخرة ولم تسمع علي قول الظلماء الحساد الذين يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا ان يتم نوره وقد قال ﷺ من شك في نصرته المهدي فليقرأ قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وقوله كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله ولزيادة الشفقة عليكم لزمتم التحشية بهذا والهادي هو الله وكثرة البيان لا تهدي هدايا الله والعباد على الصواب آمين » .

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

« وبعد فمن عبد ربه الفقير الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى غوردون باشا باطلاعك على ما تدون بالجواب اليك تعلم باطنه وبه كسوة الزهاد أهل السعادة الكبرى الذين لا يبالون بمافات من المشتبهات طلباً لعالي الدرجات وهي جبة ورداء وسراويل وعمامة وطاقيّة وحزام وسبحة فان أنبت الى الله وطلبت ما عنده لا يصعب عليك ان تلبس ذلك وتتوجه لدائم حظك وها هو الرسول الذي أتى منك وأصل اليك مع رسل من عندنا كما طلبت والسلام » .

وكتب على النلاف : « سألتك بحق الله ونبيه عيسى عليه السلام ان تقف على أجوبتنا هذه بالحرف وقد بلغني محمد سيد المسلمين الذي يسمى جورجى اسلامبوليه ان رجلاً يسمى السيد افندي نعم الاجزجي ان له معرفة

بلفتكم وبالخط العربي وما دام انه يعرف الخطين واللغتين نرغب منكم الوقوف على ما في هذا الظرف جميعه حرفياً على يد المذكور أو أما هو مثله وقد سألتك السؤال المذكور لما ذكرته والسلام اه .

فلما ترجم الكتاب لغوردون استشاط غضباً ودفع الهدية برجله وأمر ابراهيم بك رشدي فأحرقها ثم أوعز اليه فكتب جواباً هذا مفاده :

« من غوردون باشا والي السودان الى محمد احمد المتهدي : وصلي كتابك الركيك العبارة العاري عن المعنى الدال على سوء نيتك وخبت طويتك وعن قريب ستبلى يحيوش لا طاقة لك بها وتكون انت المسؤول أمام الله عما يسفك من الدماء كما انك انت المسؤول الآن عن أعين قلوبهم وغشيت بصائرهم ويتمت أطفالهم وخربت ديارهم وكنت لا أرى حاجة الى غاطبة رجل مثلك جاحد النعمة عادم الذمة لكفي تعلقت بأذيال الأمل راجياً من الله عز وجل ان يتجلى على فكرتك الحامدة فتلقي النصيحة بيد القبول وتعلو متن سلطنة مكنتك منها وكان دون نيلها خطر القتاد وما أنا مستعد لقدومك ومعني رجال أقطع بهم أنفاسك والعامل من تدبر والسلام » .

وكان غوردون قد جمع العلماء في الخرطوم فكتبوا نصحاً شرعياً بيّنوا فيه بطلان دعوى محمد احمد وحكوا بتكذيبه فسلم غوردون هذا النص والكتاب الى الرسولين وأعادهما الى محمد احمد في الابيض وأخذ يستعد للدفاع .

تجنيد المتطوعة والباشبوزق : ورأى غوردون قلة العساكر على خط النار فجنّد بعض ارادي باشبوزق جديدة وجمع جيشاً من المتطوعة من أهل المدينة ومرّتهم على حمل السلاح واستعماله ووضعهم على خط النار مع العساكر المنظمة فاجتمع في الخرطوم اذ ذاك من الباشبوزق والمتطوعة من قديم وحديث ٣٢ اوردياً في كل اوردي من ٥٠ الى ٣٠٠ رجل وجعل عليهم ثلاثة رؤوس وهم : خشم الموس بك على الباشبوزق الشايقية والمولدين والسودانية وميتوبك

على الباشبوزق الاتراك وعبد القادر بك حسن على المساكر المتطوعة وكانت معهم ست اورط نظامية ثلاث مصرية وثلاث سودانية وفيهم الاورطة المصرية في طابية أم درمان والكل بقيادة فرج باشا الزيني السوداني .

تقوية الاستحكام : وتفقد غوردون الاستحكام على عادته فحصّن طابية بُرتي وبني حائطاً على خط النار بعلو ٢٠ سنتيمتراً وفتح فيه المزاغل ليكون ستراً للمساكر يقيمهم نار العدو ويمكّتهم من إجادة اطلاق النار . هذا وكان من مآثر عبد القادر باشا انه صنع عدداً كبيراً من الأهرام الفارغة التي توضع امام الخندق لتكون عثرة في سبيل العدو عند هجومه فأمر غوردون فرميت على مسافات مختلفة امام الخندق ولكن لم يكن منها عدد كافٍ فعمل على ما يعبر عنه في فن الاستحكام « بالشرح فلك » وهي أوتاد من الأخشاب الصلبة المحددة الاطراف تفرز في الارض بعضها يحانب بعض وتربط بأسلاك على هيئة شباك وقد جعل ذلك على بُعد عشرين متراً من الخندق . ثم صنع دانات فارغة وملاها باروداً ومواد فصفورية تلتهب بمجرد اللس وجعل على بُعد ثمانين متراً من الشبكة وذلك على طول الخط من النيل الازرق الى النيل الابيض . وقد فعل مثل هذه الاحتياطات في طابية ام درمان .

ورأى ان الباشبوزق لا يصلحون لحماية سراي الشرق لأنهم كانوا يتركون السراي ويأتون الخروطوم بلا ترتيب فأتى بهم الى الخروطوم وأرسل بداهم بلوكين من المساكر النظامية . وكان الباشبوزق في الخروطوم يتركون خط النار ويدخلون المدينة بلا اذن فنهام عن ذلك وجعل عليه قصاصاً شديداً ومنح خشم الموس لقب بك وأمره بملاحظة اصحابه وتحملهم على حفظ النظام . ثم أنشأ نقطاً لتلغرافية في كل مركز من مراكز الاستحكام فوصلها بالسراي .

تحصين الواوورات : وكان في الخروطوم من الواوورات : « بوردين والصفاية وتل حوين والتوفيقية والمنصورة والفائسر والاسماعيلية وعباس وشبين والمسلمية والحسينية ومحمد علي » فأصلحها وحصنها وجعل في أكثرها المساكر والمدافع

وجعل اثنين منها في النيل الازرق واثنين في النيل الابيض لحماية الخندق من طرفيه وجعل وابوراً عند المقرن لتقوية طابيته . ثم امر مدير الترسانة فبنى وابوراً صغيراً كوابر عباس وسماه الزبير فعُرف بعد ذلك بالفاهرة وغرق في واقعة الحفير سنة ١٨٩٦ كما سيحيى .

الغاء المجلس الحسيني واعادة المحافظة : هذا وكان اهل المدينة بعد واقعة الشرق قد اضطربوا وفقدوا الوازع فأطلق بعضهم عياراً نارياً على ستورت باشا فأخطأه فألقى غوردون المجلس الوطني الذي شكله يوم وصوله الى الخرطوم لأنه لم يحم بالواجب عليه وأعاد الضابطة . قال نصحي : وقد عهد بها اليّ وجعل الصاغ السيد افندي امين وكيل لي . فنظمت مع الضابطة ديوان محافظة ووضعت خفراً عسكرياً في كل جهة من جهات المدينة الاربع وفي الشوارع والاسواق والمعادي وأصدرت منشوراً لأهل المدينة فعذرتهم من اطلاق الأسلحة النارية داخل المدينة ومن الخروج ليلاً من منازلهم وهددت من يخالف ذلك بالاعدام فاستولت السكينة على المدينة واستتب الامن فوجه لي غوردون رتبة الميرالاي ولوكيلي رتبة البكباشي ثم ألقى الضابطة وأبقى ديوان المحافظة وجعلني محافظ المدينة . فلترك الآن غوردون يستعد للدفاع والعصاة يحصرونه من كل جهة ولتنظر ما كان من الثورة في بربر ودنفلة وسنار .

الفصل الثالث عشر

في

وقائع الثورة في بربر سنة ١٨٨٤ م

محمد الخير : أما اهل بربر فقد كان وجدهم على الحكومة أشد من وجد غيرهم عليها لأنهم لم ينسوا فظائع الدفتردار في بدء الفتح ثم ظلم الحكام وجباة الضرائب ومفتشي الرقيق من بعده لكن قريتهم من مصر وشدة علائقهم التجارية بها مع وجودهم بين القوات العسكرية بين بربر والخرطوم ذلك كله اضطرهم الى التربص للفرصة حتى جاءهم غوردون وفتح الطريق الى كردوفان وأعلن عن عزم الحكومة على اخلاء السودان فشرعوا في الهجرة الى المهدي. وكان في جملة من هاجر اليه استاذ محمد الخير وهو مدرّس مدرسة القُبش وله راتب شهري يجري من الحكومة قدره ٤٠٠ غرش وشيء من الجبوب . وهو قصير القامة صغير العينين اسود اللون وله لحية يدورها وقد كان المهدي يكتبه ويلج عليه بالحضور اليه وهو يتردد في الأمر حتى جاء غوردون وعلم منه عزم الحكومة فأقرّ على السفر الى المهدي . وكان محمد الخير صديقاً لحسين باشا خليفة مدير بربر قيل فاطمعه على سرّه وأراه التحارير التي أتته من المهدي وقال : ان الحكومة قد أقرّت على اخلاء السودان فأني خير لنا في

البقاء معها وما الذي تقوله للمهدي بعد ذهابها واحتلاله مكانها . فقال له حسين باشا « اذاً بادر اذهب الى المهدي وانظر في أمره فان وجدته مصيباً عدت الى بربر فكنت حاكمها الشرعي وانا حاكمها السياسي الى ان يفتح المهدي الخرطوم ويأتي بربر فنسله اياها بمخازنها وخزائنها » . وقد أراد حسين باشا بهذا الرأي ان «يمسك الحبل من الطرفين» ويكون الحاكم في الحالين . فذهب محمد الخير الى المهدي في كردوفان فتلقيه بالبشر والسرور وسماه عاملاً عاماً على بربر وأصبحه كتباً الى رؤوس قبائلها يدعوم فيها الى طاعته والجهاد ضد الترك فعاد محمد الخير من عند المهدي في ٢٧ ابريل سنة ١٨٨٤ م ونزل في وادي بشارة على النيل .

الشيخ المهدي الشايقي : وكان في تلك الوادي شيخ من مشايخ الشايقية السواراب يسمى احمد الهدي وهو غير مصدق المهدي فأرسل اليه المهدي سيفاً جليلاً والـف ريال وأمرأ بالامارة على دنقلة فقبل الهدية وبايع محمد الخير باسم المهدي .

الحاج علي ود سعد النفيعاني : ثم سار محمد الخير شمالاً يصحبه احمد الهدي وهو يدعو الناس في طريقه فيجيبونه حتى دخل المتمة بجيش كبير . وكان في جملة من هاجر الى المهدي في كردوفان عبد الله ود سعد من كبار النفيعاب الجعليين في المتمة فأعطاه المهدي امانة لأخيه الأكبر الحاج علي ود سعد فقبل الحاج علي الامارة وجمع قومه للجهاد فلما وصل محمد الخير المتمة بايعه باسم المهدي وانضم اليه .

احمد حمزة السعدابي : هذا وكان اول من رفع راية المهدي في بربر احمد حمزة السعدابي من أقارب الملك نمر هاجر الى المهدي سنة ١٨٨٣ وحضر معه واقعة شيكان ورجع من عنده اميراً على قومه فنصره عرب البطاخين وأخلط من العرب ونزلوا على السبلوكة وكان فيها محمد افندي وهبه محافظاً وقد كان قبل الآن بأموراً لجمع الضرائب فلما مر غوردون ببربر منعه من جمعها وجعله

في السبوكة مع ٢٠٠ رجل وواپور لمراقبة الجعليين وموافاته بأخبارهم الى الخرطوم فلما جاء محمد حمزة ورأى انه لا طاقة له على حربه فرّ بالواپور الى شندي فتحصن في ديوان حكومتها فحصره محمد حمزة فيها وبقي في الحصار الى ان قدم محمد الخير الى المتعة فركب النيل وفرّ بمساكره الى بربر . وانضم محمد حمزة الى محمد الخير . وكان محمد حمزة قد قطع خط التلغراف بين بربر والخرطوم فأرسل محمد الخير بعض رجاله فقطعوه بين بربر ومصر وكان قطعه من اكبر الضربات على غوردون .

الامين احمد المجذوب : وتقدم محمد الخير يجموعه الى الدامر فبايعه الامين احمد المجذوب كبير المجاذيب في الدامر وانضم اليه .

هذا ويظهر ان محمد الخير صدق المهدي واتحد معه قلباً وقالباً فلم يمد يرضى بالذي قرّ عليه مع حسين باشا . قيل وكان بعض اهالي بربر مرتابين من صدق محمد احمد فقالوا لمحمد الخير « انت اميرنا وعالمنا ونحن نعتمد على علمك فان كان محمد احمد هذا ليس بالمهدي فأنت تحمل ذنبنا يوم القيامة » فقال ويده على لحيته . اذا لم يكن محمد احمد هو المهدي المنتظر فأمسكوني بلحيتي هذه وطالبوني بذنبكم امام الحق عزّ وجل ، ولكنه لم يمت حتى رأى انه كان في شطط وندم على ما قال اشد الندم .

دعوة حامية بربر الى التسليم : وكتب من الدامر الى حسين باشا وضباط الحامية يدعوم الى التسليم ويقول : ان خديوي مصر قد ترك لنا بلادنا فسلمونا إياها وإلا فنحن مصمومون على قتالكم حتى نخرجكم منها بالرغم . وكتب ايضاً الى اهل المدينة يدعوم الى التسليم فخرج اليه عبد الماجد محمد خوجلي ابن اخيه ثم عبد الماجد ابو الكيليك وخشم الموس محمد اللذان سماعا غوردون مأمورين على بربر كما مرّ .

وكان على المدينة خندق عظيم محيطه نحو ٧٠٠٠ متراً ولم يكن فيه من المساكر سوى ١٦٠٠ النصف باشبوزق والنصف عساكر نظامية مصرية والكل

بقيادة البكباشي محمد افندي فهمي المصري وقد انتشروا على خط النار فكان بين الجندي الواحد والآخر اربعة امتار وزيادة . وكان حسين باشا قد قطع المواصلات التلغرافية يسأل غوردون عما يفعله فيعده بوصول المداد اليه قريباً من مصر ويسأل مصر فتصرّح له بعدم تيسر المدد فلم يكن يدري ما يفعل فلما جاءه كتاب محمد الخير عقد مجلساً من الضباط والسنّاجق وقرأ لهم الكتاب وسألهم عن رأيهم فقالوا كلهم بصوت واحد « الموت ولا التسليم » وكتبوا في ذلك الى محمد الخير فأعاد الانذار وفقاً بهم فعادوا الى جوابهم الاول .

حصار بربر: فلما رأى اصرارهم على الحرب سير عليهم الجيوش من الدامر تباعاً ثم جاء في آخرها فوصل بربر في ١٢ مايو سنة ١٨٨٤ م فنزل مع الحاج علي ود سعد وعبد الماجد ابو الكيليك المار ذكرهما في حلة الدكة فحصر بربر من الشمال وأمر سعد ود سالم المشهور بؤد بنونة من السعداب فنزل في قوز الفونج وحصرها من الجنوب وحصرها البشاريون وأخلط من الجعليين من الشرق وكان مجموع جيوشه نحو ٤٠ ألفاً من مشاة وفرسان وكثير منهم مسلحون بالاسلحة النارية . وعند وصوله جدّد الكتابة الى الحامية يدعوم الى التسليم حقناً للدماء وكان الرباطاب قد أمروا علي باشا وهي في بلادهم وهو مسافر الى مصر فأرسله محمد الخير الى اهل الحامية مع الكتاب لحثهم على التسليم فأبوا إلا الحرب . وفي صبيحة يوم الجمعة ١٦ مايو سنة ١٨٨٤ أطلقوا نيران المدافع والبنادق على الدراويش فأجابهم الدراويش باطلاق النيران من كل جهات الحصار وكان في جهة الدكة بستان فيه قصر شامخ يطلّ على العساكر في الخندق فاحتل الدراويش القصر وصاروا يرالون اطلاق الرصاص على العساكر فيفتكون بهم . وكان قومندان العساكر قد تنبّه لهذا القصر وأراد هدمه فمنعه حين باشا لأنه لو كيل المديرية فكان أشدّ البلاء الذي اصاب الحامية من هذا القصر .

سقوط بربر الاثنين في ٢٣ رجب
سنة ١٣٠١ هـ ١٩ مايو سنة ١٨٨٤ م

ولما كانت فجر الاثنين ١٩ مايو سنة ١٨٨٤ م ٢٣ رجب سنة ١٣٠١ هـ (وفي قمر السودان ٢٢ منه) صلى محمد الخير بأصحابه صلاة الصبح وأمرهم بالحملة على العساكر في خندقهم وأمر الذين في القصر فوالوا إطلاق النار على الحامية وفتحوا طريقاً للمهاجرين فدخلوا الخندق من تلك الجهة ومن جهة النيل وأعملوا السيف والحرية في العساكر وكان معظم العساكر لما رأوا العصاة قد دخلوا الخندق تركوا الخط ودخلوا منازلهم أو ركبوا الوابور والمراكب واجتازوا النيل إلى البر الغربي ولم يبق على الخط سوى البلوك الثالث من الاورطة الثالثة من العساكر النظامية وأوردي علي أغا اسلام وأوردي محمد أغا حسن عوض الله العبادي من العساكر الباشوزق فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم رحمة الله عليهم . وأما حسين باشا فانه دخل منزله مع القواصة وبعض العساكر وأغلق بابيه فبعث إليه محمد الخير بالأمان فسلم له . وما زال الدراويش يتعقبون العساكر ويقتلونهم إلى قرب الظهر فننادى المنادي فكفوا عن القتل وكان مجموع الذين قتلهم في ذلك اليوم نحو ١٠٠٠ رجل وأسروا الباقين وصادروهم في اموالهم إلا حسين باشا فانهم لم يسوه بسوه . وكان في خزينه بربر مبلغ ٥٥٨١٢ جنيهاً قد أرسلت من مصر إلى غوردون ثم سدت الطريق فبقيت في بربر مع أمانات أخرى في الخزينه تبلغ قيمتها نحو ٨٠٠٠ جنيهاً فكتب محمد الخير إلى المهدي ثاني يوم الفتح يعالسه بالفتح والخزينه وأمر حسين باشا ويسأله عما يفعل فأرسل المهدي ابراهيم ود عدلان فأحضر المال من الخزينه فضمه إلى بيت المال وكتب إلى محمد الخير فأرسل إليه حسين باشا مع وكيله عمر بك العمراني وكان المهدي اذ ذاك في الرهد . قال الكحّال : فوصل حسين باشا الرهد في ١٠ رمضان سنة ١٣٠١ هـ ٤ يوليو سنة ١٨٨٤ م فأمر المهدي الخليفة علي ود حلو فاستقبله في ظاهر الديم باحتفال عظيم . وقبل

وصوله الى زريبة المهدي وضع جزيراً من الحديد في عنقه وحشا التراب على رأسه وتقدم للمهدي ذليلاً وهو لابس الجبة المرقعة فبايعه فقرّبه المهدي وجعله من خواص رجاله وبقي في أسره الى ان دبّر الحيلة ونجا الى مصر ، كما سيأتي .

وأما العساكر الذين وقعوا في الأسر فقد أمر عليهم حسن افندي شريف احد معاوني المديرية ومن اقرباء الحاج علي ود سعد . ولما فتحت الخرطوم ذهبوا الى ام درمان فبايعوا المهدي وعادوا الى بربر يسمون وراء الرزق في سوق المدينة وكلما سنحت فرصة لواحد منهم فرّ الى مصر حتى لم يبق منهم الى الفتح الاخير إلا القليل .

الفصل الرابع عشر

في

وقائع الثورة في دنقلة سنة ١٨٨٤ م

الشيخ الطيب وواقعة الدبة الاولى في ١٨ مايو سنة ١٨٨٤ : تقدم ان المهدي أرسل الى الشيخ الهدي أمراً بالامارة على دنقلة فسار مع محمد الخير لحصار بربر وارسل خاله ود عبود بكتاب الى الشيخ الطيب الشايقي السوارابي في جهة مروي يسميه أميراً على الشايقية ويستنهض للقيام بنصرة المهدي فنادى في الشايقية باسم المهدي ونزل بهم على دار الحكومة في مروي فنهب الخزينة والشونة وسار في وجهه شمالاً يستنفر اهل البلاد للجهاد . وكان المدير على دنقلة في ذلك الحين مصطفى باشا ياور من كرام الشراكة وقد اشتهر بالتعبد والتقوى مع حسن التدبير والاستقلال في الرأي وقد كتب اليه المهدي من كردوفان يسأله التصديق بمهديته فأجابه بما أرضاه وأحسن الى أقاربه في دنقلة قصد مخادعته فكتب اليه المهدي بالامارة على دنقلة . وكان مصطفى باشا يظن انه بهذه المخادعة يضمن راحة مديريته ويأمن دخول الثورة اليها لأنه لم يكن معه سوى اورطة من العساكر المنظمة و ٦٠٠ من الباشيزوق وبضعة مدافع فلما سمع بخبر الشيخ الطيب أخذ ١٠٠ من العساكر النظامية و ٤٠٠ من

الباشبوزق ومدفعين وسار قاصداً الشيخ الطيب حتى وصل الدبة فلم انه نازل في دبة الفقراء قريباً منه فتحصن في طابية الدبة فعول الشيخ الطيب على حصره وكان قد اجتمع عليه نحو ٦٠٠٠ رجل مسلحين بالسيوف والحراب وبعضهم مسلح بالبنادق فجعلهم قسمين غير متساويين فأتى بالقسم الاكبر الى الكرو شمالي الدبة وأبقى القسم الآخر في دبة الفقراء جنوبيها فخرج مصطفى باشا بمعظم قوته وباغت جيش الكرو فقتل منه ٣٠٠ رجل وجرح مثل ذلك وفيهم الشيخ الطيب وانهمز الباقون الى اخوانهم في دبة الفقراء فتبهم مصطفى باشا اليها بعد ظهر ذلك اليوم يجمع قوته وأشعل فيها النار فقتل منهم ٥٠٠ رجل وشنت الباقي كل مشنت ولم يقتل من عسكره احد . وكان ذلك يوم الاحد في ١٨ مايو سنة ١٨٨٤ م أي قبل سقوط بربر بيوم .

الشيخ المهدي وواقعة الدبة الثانية في ٢٩ يونيو سنة ١٨٨٤ : فلما سقطت بربر لم يلبث الشيخ المهدي ان برحها بنحو ٣٠٠ من اهل الشايقية و٥٠ عسكرياً سودانياً حاملين البنادق وجاء بلاد الشايقية بطريق الدقايت وتادى بالنفير فاجتمع عليه اهل الشايقية والشيخ نعمان ود قمر شيخ المناصير وبعض بادية الحسانية والهاوير فزحف بهم عن يسار النيل قاصداً الدبة . وكان مصطفى باشا بعد طرده الشيخ الطيب من الدبة عاد الى الاوردي بالعاكر المنظمة وترك فيها العساكر الباشبوزق بقيادة النور بك من سناجق الارناؤط ووكيل المديرية جودت بك فبنى جودت بك طابية صغيرة على قدر العاكر وحصنها بالمدفين ولما سمع بقدم المهدي بعث بالخبر الى مصطفى باشا فأرسل الى مصر في طلب المدد فلم يُسمع له فجمع نحو ٢٠٠٠ رجل من المتطوعة من اهل ارقو والحفير والاوردي والختندق ودقلة المجوز وضم اليهم ٢٠٠ من الجهادية وسار الى الدبة لتجدة جودت بك .

وتبل وصوله أقبل المهدي بأنصاره في فجر ٢٩ يونيو سنة ١٨٨٤ وهاجوا الطابية مستقتلين ففتح العساكر عليهم أفواه المدافع والبنادق وأمطروا من القنابل والرصاص ما حصدم حصداً حتى بلغ عدد قتلاهم ٢٧٠٠ رجل وفيهم

نعمان ود قمر شيخ المناصير ولم يقتل من العساكر سوى اثنين من الطويحية وجرح جودت بك جرحاً خفيفاً في وجهه وانهم الهدي بباقي جيشه الى الحتاني. ووصل مصطفى باشا الدبة بعد الواقعة بقليل فأخذ العساكر والمتطوعة وسار برأ وبجراً الى الحتاني ففر الهدي من وجهه فطارده الى صنم فدخل بلاد المناصير فرجع عنه فترك العساكر في الدبة بمعدة جودت بك وعاد بالمتطوعة الى الاوردي ففرقهم الى بلادهم .

محمود ود الحاج وواقعة كورتي في ٤ سبتمبر سنة ١٨٨٤ : ثم عاد الهدي الى مروى وبعث في طلب المدد من المهدي وكان المهدي اذ ذاك في الرهد في طريقه على الخرطوم فأرسل محمود ود الحاج من أقاربه مع نفر من اصحابه على ان يكون عاملاً عاماً على دنقلة وكتب الى الهدي بالانضمام اليه . فسار محمود في صحراء الكبابيش ونزل في ام بليلة على نيسل دنقلة في أواخر اغسطس سنة ١٨٨٤ وكتب الى مصطفى باشا يقول له « قم واحضر لمقابلتنا بأبي قس » ومنها توجه لمقابلة المهدي لأجل البيعة والتأديب بأداب المهدية . ثم اجتمع على الهدي في كورتي .

أما مصطفى باشا فانه لما علم بقدوم محمود توجه بالوابور الى الدبة فأخذ عساكرها ومدفعاً واحداً وسار برأ وبجراً طالباً محمود والهدي فالتقاهما الخميس في ٤ سبتمبر سنة ١٨٨٤ قرب كورتي وأشعل فيهم النار فلم يكن إلا القليل حتى قتل محمود والهدي وتشتت جيشهما كل مشتت فقطع مصطفى باشا رأسها ورأس رجل قيل انه امير طرابلس الغرب وآخر قيل انه امير مصر وأرسل الرؤوس الاربعة الى سردار الجيش المصري بحلفا وسأله ان يرسل رأس امير الغرب الى جلالة السلطان ورؤوس الباقين الى سمو الحديوي فكتب اليه السردار يدح بسأله ويهينه بالنصر ويتألف له بقوله انه لم تجر عادة هذا العصر في ارسال مثل هذه العلائم ثم أمر فدفنت الرؤوس الاربعة . ولم يقتل في هذه الواقعة من العساكر سوى اثنين وجرح ضابط واحد . وبعد الواقعة جاء الكثير من

تاريخ الشوكلا

العصاة مسلمين وهدأت البلاد وعاد اليها الأمن كما كان ولم يعد يقيم للدراويش قائمة فيها إلا بعد خروج الانكليز منها أواخر سنة ١٨٨٥ كما سيجيء .

وقد رأيت كتاباً من المهدي الى زقل امير دارفور بتاريخ ٨ الحجة سنة ١٣٠١ هـ ٢٩ ديسمبر سنة ١٨٨٤ م يشير فيه الى هذه الواقعة قال :

« ... وقد ورد لنا خبر أكيد من دنقلا ان حبيب الجميع محمود الحاج محمد واحمد الهدي استشهدا في سبيل الله . قيل انها لما حضرا بالقرب من دنقلا نزلا في محل وهم قليلون جداً فما شعروا إلا وقد هجم عليهم أعداء الله فصبروا عليهم صبر الكرام حتى نالوا احدى الحسنتين . وكنا أرسلنا محمود الى دنقلا بنساء على ما ورد لنا من « ياور » مديرتها يؤري بأنه طائع لله ومسلم لأمر المهدي وان الشيخ احمد الهدي أتى اليهم وحاصره وضايقه ورغب كف يد المذكور عنه بواسطة مخصوص من طرفنا فلذلك أرسلنا محمود بدون جيش اختباراً لحال المذكور وقد ألزمناه بتسليم البلد الى محمود وحضوره هو على وجه الفور فظهر غدره وعلم انه منافق ماكر والله خير الماكرين » .

الفصل الخامس عشر

عودٌ الى

وقائع الثورة في سنار

سنة ٣ - ١٨٨٤ م

واقعة الشريف انجضو : تقدم لنا ان عبد القادر باشا قبلما برح سنار في أواسط سنة ١٨٨٣ م أرسل صالح بك الملك الى فامكة ليتعدها وكان عليها مأمور تلياني يُدعى مارنو بك ومعه ٤ بلوكات من العساكر النظامية و ١٠٠ من الباشبوزق بقيادة الصاري سعد أغا شميم الشايقي فلما جاءهم صالح بك وجدهم بنفاية الجوع والعري فعاد على الأثر في طلب الزاد والكسوة لهم فاعترضه في الطريق قرب شلال الرصيرص فقيه من أنصار المهدي يُدعى الشريف انجضو فأوقع فيه واقعة شديدة وقتله وشتت شمل أنصاره واستطرد السير شمالاً حتى وصل كركوج فوجد فيها حامية مؤلفة من ٤٠٠ رجل بقيادة علي كاشف ووجد فيها أمراً من مدير سنار بالبقاء في سيرو تجاهها لحماية الغرب فصعد بالأمر وكتب الى المدير يخبره بحال فامكة .

اخلاء فامكة ٣١ ديسمبر سنة ١٨٨٣ م : ولما أبطأ المدد على مارنو بك

جاء بقارب صغير الى الخرطوم وكان عليها اذ ذاك علاء الدين باشا فأخبره بالضيق الذي صارت اليه حامية فامكة فأصدر أمره بمنزل بساطي بك وأرسل حسن بك صادقاً مديراً على سنار مكانه فجاء الى سيزو في واپور ومعه الزاد والمساكر الى فامكة فسلمها الى النور بك محمد وعثمان بك الدالي فأخذها بالمراكب الى الرصيرص ليحملها من هناك على البقر. وقبل قيامها من الرصيرص وردت الأنباء بانكسار جيش هكس وهاجت البلاد فرأى المدير ان يلم شعثه فبعث اليها أمراً باخلاء فامكة فأخليها ورجعها بالحامية الى سنار في ٣١ ديسمبر سنة ١٨٨٣ م فوجدا حامية كركوج وصالح بك الملك قد سبقاها اليها . ونزل صالح بك بأمر المدير في ابي سقره على حدود سنار الشمالية فبقي فيها الى ان كانت حركة محمد ود البصير حي المهدي في الخلاويين .

حركة محمد ود البصير في الخلاويين : وقد تقدم ان المهدي أجاز حاه المذكور باعطاء البيعة بالنيابة عنه فبقي في مكانه يترصد للفرصة الى ان كانت واقعة شيكان وعاد من عند المهدي عبدالله ود الشيخ حمد النيل شيخ المراكيين في ابي جراز وعبد الله ود البحر شيخ الكواهلة في وسط الجزيرة ومع كل منها أمر بالامارة على أهله وأمر الى كل من عبد الله بن عوض الكريم باشا ابي سن في رفاعه والطيب ود حامدون ناظر الجميلين في المسلية بالامارة على أهله فلبيا الدعوة وانضم الجميع الى محمد البصير فصادفوا عسكرياً في سوق الخلاويين فقتلوه قتل قفميس كل من حضر حريته بدمه وشهروا العصيان وذلك في أواخر ديسمبر سنة ١٨٨٣ .

واقعة ود مدني في ١٧ يناير سنة ١٨٨٤ : فلما بلغ الخبر صالح الملك في ابي سقره زحف على ود البصير ومعه نحو ١٤٠٠ رجل من الباشبورق الشايقية وكلهم مسلحون بالاسلحة النارية فالتقاء اصحاب ود البصير قرب ود مدني في ١٧ يناير سنة ١٨٨٤ فقتل منهم ٥٠٠ رجل وفيهم الطيب ود حامدون وهزم الباقي ثم تقدم الى فدامي فحفر خندقاً وتحصن فيه وبعث يطلب المدد من

سبار فجاءه محمد أغا الصاغ من مواليد الاتراك على وابور محمد علي ، بمئة صندوق من الذخيرة و ٧٥ رجلاً من الباشبوزق .

واقعة فدامي : فجمع محمد البصير جيوشه وهاجم صالح الملك في الخندق فصدّه بخسارة ١٠٠٠ رجل ولم يفقد من عسكره سوى ١٤ رجلاً . فلما رأى العرب ان لا طاقة لهم على حربه عوّلوا على حصره فنزل عبد الله ود الشيخ حمد النيل في جنوبيه لمنع المدد عنه من سبار ونزل محمد البصير وباقي الأمراء في شماليه لمنع المدد من الخرطوم ثم حضر الشيخ عوض الكريم باشا ابو سن بألف من رجال قبيلته ونزل تجاه فدامي شرقي النيل فتظاهر بأنه محاصر لصالح الملك واتفق معه سرّاً فأرسل كل منهما رسولا الى غوردون يعلمانه بالحالة ويطلبان المدد فأرسل عوض الكريم ابنه علي أهد كما مرّ وأرسل صالح بك حسن افندي وراق من ضباط الباشبوزق وكان غوردون اذ ذاك في مركز حرج فلم يستطع المجادها فبعث يشكر لهما ثباتها ويعدّها بارسال المدد بأول فرصة فعاد الرسولان منه بعد غياب ٣٠ يوماً وقد رُقي صالح بك الى رتبة اللواء ورفع رتبة كل ضابط من ضباطه رتبة وكانت حاجة صالح باشا الآن الى المدد لا الى الرتب وقد بعث الى سبار في طلب المدد فأحالوه على الخرطوم وكان الجوع قد مسّ الحامية فلم يبق له بعد هذا سوى التسليم فخشي ان سلم الى ود البصير ان ينتقم منه بمن قتل من رجاله فأرسل الى المهدي في الابيض كتاباً يسأله ان يبعث اليه بأمر من قبله ليسلمه الحامية .

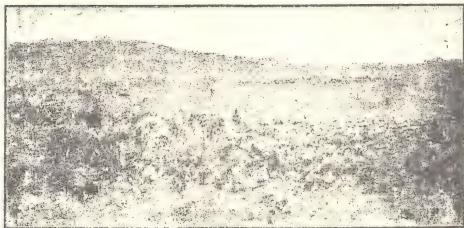
سرية محمد عثمان ابني قرجة وتسليم صالح الملك في فدامي

في ٢٧ ابريل سنة ١٨٨٤ م

وكان المهدي اذ ذاك على أهبة الزحف على الخرطوم فأرسل اليه محمد عثمان أبا قرجة الدنقلوي بجيش مؤلف من ٢٠٠٠ مقاتل من اخلاط حمر ودغيم وكنانة وجعليلين وحسانية ومعهم ٤ بلوكات من العساكر السودانية الذين أسروا



واقعة فركة



واقعة أم درمان
«المجروح الثاني»

في الابيض ومدفعان وساروخ وأمره باستلام فدامي من صالح الملك والتوجه منها لحصر الخرطوم . فخرج يبيشه من الابيض في أواخر مارس سنة ١٨٨٤ وسار مجدداً حتى نزل بحية فدامي قرب الخندق وأرسل الى صالح الملك فخرج اليه مسلماً في ٢٧ ابريل سنة ١٨٨٤ م فاستولى ابو قرجة على جميع أسلحتهم وذخائهم ووابورهم ، محمد علي ، وأرسل صالح الملك الى المهدي فوافاه بالرهدي وصحبه الى أم درمان فحاول مكاتبة غوزدون فلم يسه المهدي فزجه بالسجن وعذبه وبقي في أم درمان الى ان مات قهراً سنة ١٨٨٩ رحمة الله عليه .

واقعة أبي الحسنى في ١١ يوليو سنة ١٨٨٤ ، وجاء مع ابي قرجة من كردوفان شيخ من اليعقوباب من أتباع الطريقة السمانية يدعى عبد القادر أبا الحسنى كان قد هاجر الى المهدي في كردوفان وحضر معه واقعة شيكان وبقي الى ان جاء ابو قرجة فصحبه الى فدامي . وفي ثاني يوم التسليم انفصل عنه ببعض الأنصار فجمع الجوع وقصد سنار فوجدها محاطة بخندق حصين فلم يحسر على مهاجتها فقمعد لحصرها قرب حلة البقرة فخرج عليه مديرها حسن بك صادق في ١١ يوليو سنة ١٨٨٤ بمعظم العساكر فأمر ابو الحسنى اصحاب الأسلحة النارية من جيشه فصاروا في منحدر شاطيء النيل متوارين به وداروا من وراء العساكر فقطعوا خط رجعتهم الى سنار وتصدى لهم ابو الحسنى بحربته من الامام فحصرهم في الوسط فدهش المدير من مكيدة أبي الحسنى وحار في امره فبرز له عثمان بك الدالي اذ ذاك وقال اعطني ٢٠٠ رجل وتقرغ انت لمن امامك ولا تهتم بمن وراءك فاني أكفيك شرم فأعطاه ما طلب فانقلب على من في الورا وأشعل فيهم النار وهو يتقدم نحوهم رويداً حتى هزمهم ونكل بهم وعاد على الأثر الى المدير فأنجده على أبي الحسنى فهزماه وشتتا شمله ومن ذلك الوقت خند ذكر ابي الحسنى ومات بعد قليل فدفن في حلة البقرة وبقي ابنه قبة فوق قبره .

واقعة الشيخ غالب في ٢٥ يوليو سنة ١٨٨٤ : ظهر الشيخ غالب في حلة دارد على الدندر فجاءه بالعداء ورفع راية المهدي فهاجمه المدير في ٢٥ يوليو سنة ١٨٨٤ وبدد شمله ونزل في حلة الجادين على ١٢ ميلا من سنار وشرع في جمع الحبوب للحامية .

الفصل السادس عشر

عود إلى

غوردون وحصار الخرطوم سنة ١٨٨٤ م

ابو قرجة وحصار الخرطوم :

ولقب المهدي ابا قرجة بأمر البرين والبحرين وجعله اميراً عاماً على محاصري الخرطوم فزحف بجيشه عليها ومعه ود البصير وقد نادى بالنفير العام في الجزيرة كلها وأمر ان لا يتخلف احد عن الجهاد فكان جيشه يزداد ضخامة وقوة كلما تقدم شمالاً حتى نزل بالجريف قرب الخرطوم فكتب الى غوردون كتاباً هذا مفاده :

« اني حضرت من قبل المهدي أميراً على البرين والبحرين وقد أخذت فداسي وجئت الى الخرطوم أنصح أهلها بالتسليم فاذا سلموا سلموا وأمنوا على أموالهم وأرواحهم وإلا فلا بد لي من محاربتهم وأخذ المدينة منهم عنوة والسلام » .

فأحسن غوردون الى الرسل وردهم بلا جواب . فتقدم ابو قرجة اذ ذاك الى بُري ودنا جداً من الخندق فبنى طابية ونزل فيها بجيشه وأبقى محمد

البصير في الجريف فبنى فيها طابية كطابية بري وجعل الطاهر العبيد ود بدر السالف الذكر في الوسط بينها . ثم أرسل وابور محمد علي ، الى الحلال فجمع مقداراً عظيماً من الحبوب وبنى لها مخازن بين طابيتي برتي والجريف وجعل في الطابيتين مزاغل ترمي على النيل والخرطوم وحصن طابية برتي بالمدافع وشرع يرمي بمقدوفاتها على الخرطوم . وكانت ذخيرة الحامية في مخزن قريب من الخندق فأصبحت في خطر عظيم فنقلها غوردون الى كنيسة المرسلين النمساويين الكاثوليك الواقعة في وسط المدينة وقد كانت من أبنية المدينة وأتقنها صنعا .

هذا وكان أصحاب الشيخ العبيد لم يزالوا يناوشون المساكر القتال كل يوم بلا انقطاع من الفجر الى الضحى ثم يصبرون الى ما بعد الغروب بنصف ساعة فيجددون المناوشة الى الساعة الرابعة في الليالي المقمرة فانتقى غوردون نفراً من المساكر الماهرين في الرماية وجعلهم على سطح السراي وأقام لهم حائطاً فتح فيه المزاغل ليقبض ناز العدو ويمكنهم من اجادة الرمي . وأصدر أمره الى ابراهيم افندي لبيب فصنع اشخاصاً من الخشب بهيئة المساكر وصفها على هيئة طاوور على الشاطئ الشرقي للنيل الازرق فظنوا الدراويش عاكر وأخذوا يرمونها بالرصاص ولما لم تتحرك علموا انها خدعة فكانوا يأتون اليها ليقتلوا ملابسها فيدخلون ضمن دائرة مرمى الرصاص فيصوب الرماة النيران عليهم من سطح السراي فيقتلونهم .

واقعة ود جار النبي : وبلغ غوردون ان في موردة ود جار النبي على النيل الابيض جموع من الدراويش ومعهم قطعان كثيرة من الغنم والبقر فأرسل ساقى بك مدير بحر الغزال باحدى الواپورات فشتت شملهم وغنم الف رأس من الماشية وعاد الى الخرطوم وكانت الحامية في أشد الحاجة الى اللحوم فتملأوا بها .

واقعة الشجرة : فلما رأى ابو قرجة ضعف أنصاره في النيل الابيض أرسل سرية من جيشه بقيادة شيخ فضل احمد الدتقلوي فبنى طابية قرب شجرة محو

بك ووضع فيها مدفعاً فأرسل غوردون سرية من العساكر بالوابورات والمدافع ومعها من القواد ساتي بك وعبد القادر بك حسن وحسن بك العقاد فهدموا الطابية وعطلوا المدفع وطردها شيخ فضل وأنصاره من تلك الجهة وعادوا الى الخرطوم. فمنح غوردون كلا من الساتي بك وعبد القادر بك الرتبة الثانية وحسن بك العقاد الرتبة الثالثة. ثم أرسل بعض العساكر فغربوا حلة الكلاكلة لمنع الدراويش من التحصن فيها وعادوا بأخشابها وقوداً للوابورات. وعاد الشيخ فضل بعدهم الى محله على النيل الابيض.

وكان النيل اذ ذاك في زمن انخفاضه ولا يمكن الانتفاع بالوابورات ولا سيما على النيل الازرق فبقي غوردون في انتظار ارتفاعه على أحر من الجمر.

هذا ولم تكن متاعب غوردون داخل المدينة أقل منها خارجها فقد كان في المدينة من السكان نحو ٥٠ الف نسمة ما عدا العساكر وأكثرهم من المصريين والمولدين والغرباء فحملوه مشاق كان في غنى عنها ولكنه تحملهم بصبر غريب وأظهر في سياستهم من الرفق والاحسان ما دل على تناهيه في حب العدل والانسانية.

علم الخامية بسقوط بربر ولم يعلم غوردون بسقوط بربر حتى بعث اليها بجاسوس فوجدها بيد الأعداء وعاد اليه بالخبر فأمره بالتحفظ عليه ولكن ليصح القول « ان للحيطان آذاناً » شاع الخبر بين سكان الخرطوم فقلقوا وخافوا وكثر الشغب في المدينة فرأى غوردون ان يستنبط حيلة تسكن روعهم فعلق منشوراً في شوارع المدينة والمراكز العسكرية يقول « انه أتى بالأمس جاسوس ومعه بربر من مصر ينبئ بأن الانكليز قد جردوا حلتين لانقاذ الخرطوم حلة بطريق دقلة وحلة بطريق كسلا وان حلة كسلا انقسمت فرقتين فرقة أتت بطريق الاتربة بقصد النزول على بربر وفرقة بطريق ابي حراز بقصد النزول على الخرطوم وقد جرد السلطان حلة ثالثة بطريق سواكن وجردت مصر حلة رابعة بقيادة السيد محمد عثمان المرغني عن طريق كسلا

ورقاعة وقد رسم صور العساكر في الحملات الاربع على ورق شفاف وعلقها مع المنشورات .

نجمة الحصار : وصنع مبدالية كالمدالية المضرية علق في أعلاها النجمة والهلل وكتب في دائرها هكذا : « حصار الخرطوم سنة ١٣٠١ » وسماها « نجمة الحصار » وقد صنعها من فضة ونحاس وطلّى بعض الانجم الفضية بالذهب فوزعها على الضباط من رتبة بكباشي فما فوق ووزع الانجم الفضية على الضباط من رتبة صاغ فما دون والانجم النحاسية على الصف ضباط والعساكر فكان لها أحسن تأثير على الحماية كلها .

اعانة الفقراء : وسمح للتجار والاعيان بحمل الانجم الفضية فجعل على كل نجمة عشرة جنيهات فجمع مبلغاً وافراً من المال وزعه على الفقراء .

ولما كان موسم النخيل جمع التمر من جنائن الخرطوم الاميرية فبلغ ثمنه ٢٦٠٠٠ غرشاً فوزعه على الفقراء والفقهاء وحلة القرآن وسألم قراء كتاب البخاري في المساجد والتوسل الى الله بضالغ الدعاء لينبئهم على رفع الحصار وقطع دابر المعصاة .

اوراق البون : وكانت يدفع مرتبات العساكر والموظفين كل شهر حتى نفدت النقود من الخزينة فأخذ يقرض من تجار المدينة وأعيانها ويعطيهم « رجماً » بمضاه باسمه واسم محمد باشا حسن رئيس المالية حتى عجز التجار عن زيادة القرض فأصدر اوراق « بون » بقيمة ٥٠ الف جنيه مصري الورقة بخمسة غروش صاغ وعشرة وعشرين وثلاثين وأربعين وخمسين ومئة وخمسة الف والفين وكتب على كل ورقة ما يأتي : « هذا المبلغ مقبول ونجري دفعه من خزينة الخرطوم او مبصر بعد مضي ستة شهور من تاريخه في ٢٥ ابريل سنة ١٨٨٤ م » وجعل لكل ورقة غمرة متسلسلة وختمها كلها بختمه وختم الحكدارية ثم أمضاها بامضائه وسلمها الى رئيس المالية فقيدها في دفاتر اليومية وصار ينفق منها على العساكر والموظفين كأنها نقود فتوقف أهل المدينة عن

تاج الشوكان



حمزة بن عثمان بن محمد

١٤١٥

هذا المبلغ مقبول ويحوي دفع من خزانة الخراج أو مصر بنوحي
سنة شهر من تاريخه ١٤٥٠

محمود بن
عبد الله

قبولها لأنهم لم يكونوا متعودين عليها فرُفع الأمر الى غوردون فأوعز الى المحافظ فجمع أعيان التجار الوطنيين والاوروبيين وأرباب الصنائع والمتسبين وأفهمهم معنى تلك الأوراق وأمر الاوربيين بقبولها تشجيعاً للوطنيين فلم يجد ذلك نفعاً فعلق منشوراً في الشوارع والممرات فحواه « ان من يتجرأ على رفض أوراق البون يُقتل بالرصاص » فاضطر الأهليون الى قبولها بالرغم ولم يكن بينها أوراق اقل من خمسة غروش فتعسرت المعاملة بها فطبع غوردون أوراقاً بقيمة عشرة آلاف جنيه منها عشرة آلاف ورقة الواحدة منها بغرش والباقي بخمسة غروش وعشرة غروش . ولكن لم يلبث التجار ان يخسوا أثمانها وصاروا يشترونها بثمن أقل من الثمن المعين لها فقبض غوردون على بعضهم وأرسلهم الى سراي الشرق فحبسهم مدة ثم غفا عنهم وأعادهم الى الخرطوم بعد ان أقسموا بالتوبة . ثم لم يتلاف هذا الشر حتى ظهر ان صابراً واحمد ابني الشيخ عبد الغني السلاوي قد قلدا ختم الحكدارية « وفرمة » غوردون بالنقش على القرع وطبعاً أوراق « بون » كأوراق غوردون فحوكاً بمجلس عسكري فاعترف أبوهم انها فعلاً ذلك نظراً للضيق الذي صار اليه . فحكم المجلس بحبسها ستة فصدق غوردون الحكم وجعل لوالدهما مرتباً يستعين به على معيشته قدره خمسة جنيهات في الشهر .

اخفاء التجار للغلال : ثم لما طال الحصار أخذ التجار في اخفاء الغلال في مطامير داخل منازلهم فارتفعت أثمانها وكثر عدد المتسولين في المدينة حتى غصت بهم شوارعها فأحصاهم غوردون فكانوا ٣٠٠٠ نفساً فأمر بمرتب يومي يجري لهم من المخازن قدره ١٠٠ درهم من البقسناط لكل نفس ولما طال الحصار خفض المرتب الى ٥٠ درهماً . ثم أمر غوردون المحافظ فنبش المطامير وأحصاها في « كشف » فأخذ التجار يخفون منها ايضاً ويقولون انها نفدت فضج الأهالي لقلة الغلال ففتح غوردون شونة الحكومة وأخرج منها ٤٠٠٠ اردب غلة فبيعت للموظفين والاهالي بثمن معتدل وبحث المحافظ عن الغلال المخفاة فوجد تاجراً « ومياً بشركة ابراهيم بك البورديني الوطني » قد أخفى ٦٠٠٠ اقة ذرة

فأحضره ووجّهه قبل وجلده بالسياط حتى أدماه فحمله رفاقه الأروام على سرير وأتوا به إلى غوردون طالبين بثأره فألقى غوردون المحافظة تسكيناً لروعه وأعاد نصحي ووكيله إلى خط النار وأرجع الضابطة بأمورها السابق حسن بك فؤاد ووكيله إبراهيم أفندي لبيب وأمرهما أن يسلكا فيها مسلك المحافظة بلا فرق .

إباحة الفطر والحرب في رمضان : وقد تقدم أن غوردون كان ينتظر ارتفاع النيل بفارغ الصبر ليتمكن من استخدام الواورات لرفع الحصار ويتمكن الانكليز من تجديده فلما بدأ النيل في الارتفاع بدأ شهر رمضان فجمع العلماء واستفتاهم في إباحة الفطر والحرب فيه فافتوا بذلك بدليل أن النبي ﷺ فتح مكة في شهر رمضان ففكر غوردون هذه الفتوى في جميع المراكز العسكرية.

واقعة القطيعة ٤ يوليو سنة ١٨٨٤ : ولما كان يوم ١٠ رمضان سنة ١٣٠١ هـ ٤ يوليو سنة ١٨٨٤ م بلغه أن رجلاً يدعى حامد ود الفقيه عبدالله الدنقلوي من سكان القطيعة قد جمع جموعاً من بلده ونوى الزحف على الخرطوم فجرد عليه سائر بك بالواورات فحاربه مستبلاً ولكن حامد عبد الله تغلب عليه بكثرة العدد وقتله مع نفر من عسكره وهزم باقي المساكر إلى الخرطوم وما انتشر خبرهم حتى ارتفعت أصوات الحزن في المدينة وتأسف غوردون لموت السائر بك لأنه كان من أعزّ رجاله فاستدعى أخاه وعزّاه ووجه إليه الرتبة الثالثة وقلده قومندانية الواورات مكان أخيه .

واقعة الكلاكلة في ٩ يوليو سنة ١٨٨٤ : وقطع الدراويش رأس السائر بك وعلقوه على حربة طويلة وأتوا به قرب الخندق وصاروا ينادون المساكر « اخرجوا أيها الملاعين ليحلّ بكم ما حلّ بالسائر » فاشتمل غوردون غيظاً من قحتهم وفضاعتهم فجهز جيشاً مؤلفاً من ٦٠٠ من المساكر النظامية و ٢٠٠ من الباشبوزق وطقم ساروخ وعقد لواءه للبكباشي السيد أفندي أمين فجعل المساكر النظامية بيئة « قلعة » أو « مربع » ووضع المساكر الباشبوزق

بهيئة « شرخجية » على ٣٠٠ متر من مقدمة المربع وسار حتى أقبل على الدراويش قرب حلة الكلاكلة وكان بينه وبينهم خور يمتد من تلك الحلة الى النيل الابيض فخاف اذا لجأ الدراويش اليه تسر اخراجهم منه ففتح المربع وصفه بهيئة طاوور فسبقهم اليه ووارى عسكره به وفتح على الدراويش نارا حامية فمالوا نحو الجناح الشمالي بقصد تجاوزه وقطع خط الرجعة فأمر السيد افندي فانكسر الجناح المذكور واصطف بهيئة طاوور على زاوية مستقيمة مع الطاوور الاول ووالى الطاووران رمي الرصاص وطويحية الكروب من الخراطوم تساعدهما وكان الدراويش يوالون الهجوم مستقلين حتى ان احد امرائهم المسمى ود دفع الله دفع جواده وسط النيران وكره مهاجماً والسيف مشهور بيده وهو ينادي « انا ود دفع الله » حتى اخترق الصف فانبرى له الملازم عبد الحالق افندي المصري وابندره بضربة من سيفه فجندله . ودام القتال من الضحى الى ما بعد الغروب وقد قتل من الدراويش نحو ١٠٠٠ رجل ولم يقتل من العساكر سوى اثنين وجرح ١٢ لأن الخور حمام من النيران فعادوا الى الخراطوم وألوية النصر تحقق فوق رؤوسهم فزال الغم عن الحامية وعم الفرح المدينة كلها .

واقعة برّي في ٢٧ يوليو سنة ١٨٨٤ : وكان غوردون يلتظر ارتفاع النيل الازرق بفارغ الصبر ليتمكن من الانتفاع بالوابورات فلما كان يوم الاحد ٢٧ يوليو سنة ١٨٨٤ م وقد ارتفع النيل المذكور الى الحد المطلوب جرّد على ابي قرجة جيشاً من العساكر النظامية بقيادة الميرالاي محمد علي بك وجيشاً من الباشبوزق في البر بقيادة خشم الموس بك فحصرا أبا قرجة بين تارين وأخرجاه من الطابية عنوة وتقدما بالعساكر الى الطابية فهدهما وهدما المنازل التي في جوارها وكان غوردون يشاهد القتال من الخندق فلما رأى انتصار العساكر أتى الى محل الواقعة فهناهم بالنصر ورقى كل ضابط الى رتبة أعلى من رتبته واستطرد العساكر القتال في اليوم الثاني والثالث فهزموا الدراويش

الى الجريف وقد قتلوا منهم في الايام الثلاثة ٨٠٠ رجل ولم يقتل من العساكر سوى ٣٠ رجلا .

واقعة الجريف في ١٢ اوغسطس سنة ١٨٨٤ : وصمم غوردون الآن على طرد ابي قرجة من الجريف فلما كان يوم الثلاثاء في ١٢ اوغسطس سنة ١٨٨٤ م عاد محمد علي بك بمسكبه في النيل الازرق وخشم الموس بك في البر فعصرا ابا قرجة بين تارين كما فعلنا به في برّي فحارب مستقتلا حتى قتل معظم جيشه وفيهم أخوه نصر وحاج محمد ولد الزبير العابدلاني وغيرهما من الابطال المدودين وقتل فرس ابي قرجة فشاع بين أنصاره انه قتل هو فانهزموا شر هزيمة واستولى العساكر على الدميم فكانت غنائمهم ٦٠٠ اردب ذرة و ١٠٠٠ بندقية و ١٢ صندوق جبهة و عدداً من السيوف والمواشي .

هذا وكان ابر قرجة قد أرسل يطلب الشيخ فضلا من النيل الابيض لتجديته ولكن غوردون كان قد احتاط لذلك وأرسل سرية من العساكر الى الصحراء لتحول بينه وبين ابي قرجة فخرج فضل في اصحاب الخيل وترك باقي اصحابه في صدد السرية فقابلته الدراويش المتهمون في الطريق وأخبروه بنصر العساكر وخبر قتل ابي قرجة قيل فاسترجع ودمعت عيناه وهم ان يحمل على العساكر وحده فتعلقت اصحابه في عنان فرسه ومنعوه عن ذلك فعاد وبحث عن ابي قرجة فوجده حياً فنزل معه بمحل يدعى ود شكر الله على النيل الابيض على نحو ٢٠ ميلا من الخرطوم وأرسل الرسل الى المهدي يعلمانه بما كان . وصر غوردون من محمد علي بك فرقاه الى رتبة اللواء الرفيمة .

واقعة الحلفاية الثانية وطرده الشيخ العبيد في اواسط اوغسطس سنة ١٨٨٤ : هذا ولما فرغ غوردون من ابي قرجة التفت الى الشيخ العبيد الذي كان محاصراً الخرطوم في الحلفاية فسير عليه جيشاً في النيل في ثلاث بواخر بقيادة خشم الموس بك وجيشاً في البر بقيادة فرج الله بك فلما رأى العساكر مقبلين برأ وبجراً ترك النيل وتوغل في البر الى غابة الملاحة فاجتمع العساكر

عليه وأشعلوا النار في جيشه من البر والبحر فثبت أمامهم الى الظهر ثم ولى الادبار منهزماً الى ام ضبان. وقد قتل من جيشه نحو ٢٠٠ رجل وجرح ابنه ابراهيم وحمل على فرس واستولى العساكر على دية فغنموا شيئاً كثيراً من الحبوب والاقشة والكتب والاسلحة .

ثم ان محاصري ام درمان لما رأوا بطش العساكر خافوا على أنفسهم وحرّكوا الحرب فانجلى الحصار عن الخرطوم وام درمان ووزع غوردون كتب الأمان الى أطراف البلاد وأعاد العساكر والتلغراف الى الخلّاية ففتحت سوقها وصار الناس يأتونها بالحبوب والمواقي والسمن من كل الجهات فتنفس اهل الحامية وزال عنهم الغم .

واقعة ابي سراز : وكان اول ما بدا لغوردون بعد رفع الحصار عن الخرطوم ان يستطلع حال سائر قبعت لها بحيث بك بطراكي بوابور بوردين و ٢٠٠ عسكري فأوصله محمد علي باشا بخمس وابورات الى ابي حراز فوجد أهلها لم يزالوا على العداء فأوقع فيهم واقعة شديدة وطردهم من البلدة وغنم منها ١٨٠٠ اردب ذرة و ٨٥ قنطار بن و ٢٣ اردب سمسم فحملها في الوابورات وعاد بها الى الخرطوم .

واقعة الميلفون في اواخر اوجسطوس سنة ١٨٨٤ : فأخذ غوردون ينظر الآن في استرجاع بربر وفتح الطريق الى مصر فاستدعى رؤساء جيشه واستشارهم في الامر فوافقوه على ذلك فجهز جيشاً مؤلفاً من ١٠٠٠ جهادي و ٨٠٠ من الباشبوزق وعقد لواءه الى محمد علي باشا وفيما هو يتأهب للمسير اذا بمخبر قد حضر من الجنوب وقال ان انصار الشيخ العبيد تد عادوا الى تجمعهم في الميلفون وسدوا طريق النيل الازرق فرأى محمد علي باشا وجوب تهديد الميلفون قبل الزحف على بربر وصدق غوردون رأيه فركب الوابورات قاصداً الميلفون في ٢٩ اوجسطوس سنة ١٨٨٤ ونازل أهلها يومين فقتل منهم وهزمهم الى ام ضبان على ١٢ ميلاً من الميلفون حيث أقام الشيخ العبيد بباقي أنصاره .

واقعة ام ضبان في ٤ سبتمبر سنة ١٨٨٤ : فطلب محمد علي باشا الاذن من غوردون في الحملة عليه فلم يأذن له لأنه لم يرَ الخروج عن النيل رأياً فبعث محمد علي باشا يلح عليه في طلب الاذن ويقول ان سحق الشيخ العبيد لا يسد منه لراحة الخرطوم وفتح طريق سنار وان النصر عليه مضمون فأذن له بعد تردد. وفيما هو يتأهب للسير الى ام ضبان أتاه عبد اسود أرسله الشيخ العبيد جاسوساً فقال اني فررت من الشيخ العبيد لشدة ما لحقني من الضرب والاهانة وجئت أدلكم على طريق يكون فيها هلاكه فلأم ضبان من هنا طريقان الطريق المعتادة وطريق قصيرة في غابة كثيفة ملتفة الأشجار فان أتيتموه بالطريق المعتادة شعر بقدومكم وفر منكم فاقصدوه بطريق الغابة وباغثوه الهجوم وأنا أدلكم على هذه الطريق فانطلى خداع هذا العبد على محمد علي باشا فنظم جيشه مربحاً جعل الجهادية فيه ضلعين والباشبورق ضلعين والحملة في الوسط وسلك طريق الغابة فما توسطها حتى خرج له كمينان عن اليمين والشمال فاخترقوا القلعة واخترطوا بالعساكر فقتلوا منهم نحو ٨٠٠ رجل وهزموا الباقي وقد أصيب محمد علي باشا برصاصة فاقترب فروته على عادة اهل السودان المهودة واجتمع عليه الدراويش فقتلوه ولم يقتل من اصحاب الشيخ العبيد سوى ٥٢ رجلاً. وقتل من الضباط سلطان بك عبد الله بعد ان حارب حرب الابطال ونجا فرج الله بك فجمع شتات المنهزمين وعياد بهم وبالبواخر الى الخرطوم فما انتشر فيها خبر الانكسار حتى ضجت بالبكاء والمويل فبذل غوردون جهده في تسكينهم بالحسن فلم يفلح فأصدر أوامره المشددة بأن من لم يكف عن الصياح والمويل يطرد خارج الخندق ويحرق منزله فهدأت المدينة.

وقد اغتم غوردون لقتل محمد علي باشا لأنه كان من أفضل قواده فجاء رؤساء العسكرية وقنصل اليونان وحكيم الاسبنتالية يعزونه وقالوا ان كنا قد انكسرنا في هذه الواقعة فقد انتصرنا قبلها في وقائع. وهذه عادة الدهر « يوم لك ويوم عليك » فشكر لهم غوردون سعيهم وقال اني لا زلت أجد بكم

الكفاءة لقمع العصاة ولكفي أتأسف ان قائداً من قوادي العظام يتبع عادة ممجية ويؤدي بنفسه الى الهلاك وله من ذلك مفر.

اما الشيخ العبيد فانه بث الرسل الى كل الجهات يخبرهم بالنصر الذي ناله في ام ضبّان ويستحثهم على حصر الخرطوم من جديد . فلترك الشيخ العبيد يجمع رجاله على النيل الازرق وأبا قرجة ينتظر المدد على النيل الابيض ولترجع الى المهدي في كردوفان فنقول :

عصيان جبل الدامر : كنا تركنا المهدي بمسد واقعة شيكان بعد نفسه للزحف على الخرطوم فقصاه اهل جبل الدامر وقطعوا طريق الابيض فجرد عليهم الجيوش لقمعهم فكان بينهم وبين أهالي ذلك الجبل وقائع معدودة قتل فيها خلق كثير من الفريقين . وقد رأيت كتاباً من المهدي بتاريخ ٢ مارس سنة ١٨٨٤ الى عامله محمد خالد زقل في دارفور يخبره بما كان من عصيان جبل الدامر قال : « ... والملك آدم ملك جبال تقلي أتى الينا مسلماً وجميع ملوك الجبال انتقادوا لأمر الله ورسوله ما عدا أهالي جبل الدامر عصوا وخالفوا امر الله ورسوله بقطعهم لطريق المسلمين ونهبهم لأموال الناس ولذلك عيّننا لهم من يبرق الخليفة شريف عبد الرحمن النجومي وعبد الله النور ومن يبرق الخليفة عبد الله حمدان أبا عنجه ومن معهم من الاخوان فتوجهوا لهم » .

انتقال المهدي الى الرهد غازياً الخرطوم

٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٠١ هـ ٤ ابريل سنة ١٨٨٤ م

وقد خرج الجيشان المذكوران من الابيض في ربيع الثاني سنة ١٣٠١ هـ مارس سنة ١٨٨٤ م وطالت الحرب بينهما وبين الجبل والمهدي لم يزل في الابيض حتى أتاه رسول صالح الملك من فداصي فسيّر اليه عثمان أبا قرجة كما مرّ وقام هو على الامر قاصداً منهل الرهد بعد ان استعمل محمود عبد القادر من أقاربه على الابيض . وهاك ما كتبه الى زقل في ٥ ابريل سنة ١٨٨٤ بهذا الشأن :

« ... وقد عينا محمد ابا قرجة ومن معه من الانصار اميراً على جهة البحر ووجهناه لمحاربة أعداء الله . وأما نحن فقد أتانا الخبر النبوي بالتوجه الى البحر وجهاد الخطوطم فيها هو قد صار قيامنا مع كافة الاحباب والاصحاب في اثره مع قيام وتوجه عمد وأعيان كردوفان معنا كمثل الياس محمد ام بربر وبان النقا وولد العريق والمكي اسماعيل وغيرهم . وايضاً عينا السيد محمود اميراً لكافة أهالي مديرية كردوفان وملحقاتها لإزالة الفساد والضلال والامور غير المرضية كتاباً سنة ... »

قيل وفي أثناء سيره الى الرهد كان يمشي على رجله مراعاة لحال الضعفاء من أنصاره الذين ليس لهم دواب حتى انه حفي وتورمت رجلاه . وقد اختار الرهد لكثرة مائه وقربه من جبل الدائر الذي كان لم يزل على العصيان وقد عجز عن قنعة الجيشان اللذان أرسلها عليه في مارس فجهاز جيشاً آخر من راية الخليفة علي ود حلو وعقد لواءه لموسى ود حلو وأرسله مدداً الى الجيشين المذكورين ووزع منشوراً بين اصحابه بتاريخ ١٩ ماير سنة ١٨٨٤ يدعوهم الى الجهاد فرافق موسى ود حلو خلق كثير من أخلاط الرايات فلما رأى اهل الدائر كثرة الجيوش أتى رؤسائه مسلمين فكتب الأمراء الى المهدي بذلك وكان المهدي قد قلق لطول حرب الدائر وصار يتمنى عذراً من الغيم لتزكها لأنها تحرقه عن قصده وتضعفه ولا تقيد به شيء فكتب الى الأمراء يدعوهم الى الرهد وهذه صورة الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

« وبعد فمن العبد الفقير الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى احبابه في الله وأصفائه المكرمين عبد الرحمن النجومي وحمدان ابي عنجة وموسى حلو عملاء المهدي جزام رب البرية خيراً واحساناً وتولاهم الله . نقریک السلام ونعرفکم ان جوابکم ورد علينا كلما ذكرتموه صار معروفاً والحال ما دام ان المطلوب نصرة الدين وقد حصلت وظفرکم الله على أعدائکم فجزامک الله عنا کل الخير

وعن الاسلام والمسلمين حيث صبرتم وجاهدتم لوجه الله وللآخرة أردتم ولما عند الله قصدتم وفي الله تبعمتم وعلى المقصود حصلتم بمقاساتكم الشدائد كالجبال فبوصول هذا اليكم حالا احضروا جميعاً انتم ومن معكم كما كاتبكم خليفة الصديق الخليفة عبد الله ولا يكون لكم تعويق الا منسافة الطريق هذا وبارك الله فيكم وعليكم وأتمى فضلكم الى لقاء ربكم آمين . بتاريخ ١٨ شعبان سنة ١٣٠١ هـ ١٣ يونيو سنة ١٨٨٤ م . فلما وصلهم كتاب المهدي هذا أحرقوا الديرم التي كانوا مقيمين فيها ورجعوا جميعاً الى الرهد .

عبد الرحمن النجومي وحصار الخرطوم :

وعند وصول الجيوش من الدائر ندب المهدي عبد الرحمن النجومي وعقد له على ١٠٠٠ من العساكر النظامية و ٣٠٠٠ من أخلاط العرب وكلهم مسلحون بالبنادق الرمنتون وأعطاه مدفعين كروب واربعمة مدافع جبلية وساروخ وسيره الى الخرطوم اميراً عاماً على جميع المحاصرين فخرج من الرهد في غرة رمضان سنة ١٣٠١ هـ ٢٥ يونيو سنة ١٨٨٤ م وأبطأ في السير فنزل على النيل الابيض بمحل يدعى شبة قرب الدويم في اواخر اوغسطس فوافاه هناك رسول من أبي قرجة يخبره بما حصل له في الجريف يوم ١٢ اوغسطس فجدد السير حتى أتى ود شكر الله فأخذ ابو قرجة ومن معه من الانصار وزحف على الخرطوم فنزل بجيوشه في محل يدعى الفرقان بينه وبين خندق الخرطوم مرمى القنبلة وكذلك بينه وبين النيل الابيض فترك العائلات في الفرقان بعهدة ابي قرجة وتقدم بالمقاتلة لحصار الخرطوم فأقام لهم طوابي تجاه طوابي الخندق طابية تجاه طابية الكلاكلة وعلى مرمى الكلة منها وقعد فيها بمعظم جيوشه وأمر عبدالقادر ولد مدرع امير الحسنات فنزل بمقابلة باب المسلية من ابواب الاستحكام وأمر عبد الله ود النور فنزل تجاه طابية برّي وكان محل نزوله اقرب اماكن الحصار حتى كان الواقف فيه يرى الداخل والخارج في منازل

الخرطوم ولذلك سمى بعضهم هذا المكان بالدار الآخرة اشارة الى ان كان يقيم به للحصار كأنه صار من اهل الدار الآخرة .

وكان الشيخ العبيد لما علم بقدوم النجومي لحصر الخرطوم قد حشد جيوشه وتقدم لحصرها من الشرق فأمرع غوردون وأخرج عساكره من الحلفاية وهدم منازل قبة الشيخ خوجلي وقبة الشيخ حمد ولكنه أبقي على القبتين وعلى محل السادة المرغنية في حلة الشيخ خوجلي فجعل الشيخ العبيد مدفعاً في محل السادة المرغنية وقعد لحصر الخرطوم ومعه الشيخ المضيوي . وأرسل اليه النجومي بأمر المهدي عبد الله ود جبارة وابو بكر ولد عامر ليساعده على الحصار بتلك الجهة وهكذا حصر الخرطوم من الشرق والجزيرة وترك جهة ام درمان للمهدي الذي كان لاحقاً به . وبعد ان رتب النجومي جيوشه على ما قدمناه أرسل الى غوردون كتاباً هذا مفاده :

« اعلم اني ود النجومي امير أمراء جيوش المهدية الملقب بسيف الله المسلول وفاتح كردوفان والداير وقد جئتكم الآن يحييوش لا طاقة لك بها ومدافع لا قدرة لك على احتلالها فلم تسلم ولا تسفك دماء العساكر والاهلين بمنادك والسلام » .

فرد عليه غوردون بقوله : « قد اطلعت على خطابك وأنا لست بمبال بك ولا بسيدك المهدي ولسوف يحل بك ما حل بأبي قريجة في بري والجريف وبابن عمك العبيد بالحلفاية فخلّ عنك شقشة اللسان وكثرة الهذيان وجرب نفسك والسلام » .

هذا وكان النجومي قد كتب الى اهل الخرطوم ايضاً كتاباً يدعوم به الى التسليم وقد أوعز الى العلماء الذين صحبوه فكتبوا لهم كتاباً حاولوا فيه بيان صحة دعوى محمد احمد وتطبيق صفاته على ما جاء في الكتب من صفات المهدي فاجتمع علماء الخرطوم وأصدروا فتوى بتاريخ ٢٣ القعدة سنة ١٣٠١ هـ ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٤ م فندوا فيها كتاب النجومي بنداً بنسداً وأمضاه كل من الشيخ الامين محمد رئيس وميز علماء السودان وشاكر افندي مفتي استئناف

السودان والشيخ حسين المجدي مدرس العلم بالجامع ومحمد خوجلي قاضي عموم السودان وموسى محمد مفتي مجلس السودان . فدفع غوردون هذه الفتوى والكتاب الى رسول النجومى بعد ان طاف به على مراكز الدفاع ثم أخرجه من الاستحكام .

مواصلة سنار : ولننظر الآن الى ما كان من نجيت بك بطراكي الذي أرسله غوردون في اواخر اوغسطوس ليتعهد حال سنار فانه جد السير حتى وصل الجادين فوجد المدير لم يزل فيها ومعه النور بك محمد وعثمان بك الدالي ففرح بهم وفرحوا به وأخذوه الى سنار فمكثوا يوماً ثم عادوا الى الجادين وكان بجيت بك قد أخذ معه الى الحامية مقداراً من الذخيرة والصابون والملبوسات وعدداً معلوماً من ورق البنون فسلمها الى المدير وكان معه أمر من غوردون الى النور بك محمد يسميه قومنداناً عاماً على العساكر لأنه كان يعرفه من خط الاستواء فسلمه إياه ثم وسق ٨٠٠ اردب ذرة في الواوير وانقلب راجعاً الى الخرطوم فوصلها في ٧ سبتمبر فعنفه غوردون على عاقته بلا سبب وقلة ما أتى به من الذرة وأوقفه عن الاشغال .

بعثة نصحي بك الى سنار في ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨٤ : ثم عقد مجلساً من الضباط العظام للنظر في اخلاء سنار وجلب عساكرها الى الخرطوم فقرّر رأيهم على ترك العساكر في سنار والاستمرار على مواصلتها فندب غوردون نصحي بك وجهاز له وابوري بوردين وتل حوين واربعه مراكب شرعية و ٢٠٠ عسكري وأعطاه الف طاقم للعساكر وأمرأ بزيادة مرتب المدير الف غرش في الشهر ومعاملته كاميرالاي من كل وجه مع الوعد بالتقدم الى رتبة لواء وأعطاه اوراقاً بيضاء مختومة بختمه وفوض اليه منح الرتب لمن يستحقها من الضباط والعساكر ومشايخ البلاد . وكان مدير سنار قد أرسل مع بجيت بك : محمود افندي طلعت بكباشي العساكر واحمد افندي مكوار وكيل المديرية لخصام وقع بينها فصالحها غوردون ورقى كلا منها رتبة وأرجع

احمد بك مكوار مع نصحي بك فخرج نصحي من الخرطوم في ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨٤ وسار حتى وصل الكاملين فتصدى له أهلها فحاربهم ست ساعات متوالية وخرج منهم ظافراً ثم تقدم الى رفاعة فحاربوه اربع ساعات واستطرد السير نحو سنار وقد عانى المشاق في إيجاد الخشب وقوداً للوابورات فلم يصل الجادين الا الجمعة في ١٩ سبتمبر سنة ١٨٨٤ فوجد فيها بعض عساكر سنار يجمعون الحبوب فانفذ خبراً الى المدير يعلمه بوصوله فحضر اليه في صباح الغد فناولوه أمر غوردون القاضي برفع مرتبه وصالحه مع احمد بك مكوار . ثم أمر رجاله فشرعوا في شحن المراكب حبوياً وتقدم مع المدير الى سنار فاستقبله العساكر على الشاطئ ، بالتشريفات ، اللازمة ، ثم دخل ديوان المديرية فأمته الاعيان والتجار وضباط الجيش فوقف بينهم خطيباً وقال : « لقد مُرر حكمدار السودان من تعلقكم بالراية الخديوية ولوائكم لحكومتم في هذه الايام الشديدة وكلفني ان أبلغكم سلامه وشكره القلي ووعده بمكافأة كل منكم بما يستحقه وهو يوصيكم بترويج اوراق البون والتعامل بها كالدرهم لأنها مضمونة من الحكومة الخديوية والدولة البريطانية وجميع الدول تتعامل بها لا سيما في الاحوال المائلة لحالتنا واذا احتاج المدير الى نقود معدنية للاتفاق منها على الجوايس والرسل فاقرضوه ما يلزم وخذوا منه « رجماً » واحفظوها معكم الى ان يرتفع الحصار فترجع لكم مع المكافأة اللازمة » . فأجابوه بالسمع والطاعة فوزع عليهم الرتب حسب التماس المدير . وكان المدير قد ارسل مع بجيت بك بطراكي يلتبس جزاء السر سوارى عثمان بك الدالي لأجل ما أبداه من الدربة والبسالة في واقعة ابي الحسنى المار ذكرها فرقاء غوردون الى رتبة ميرالاي جهادي فتقبلها شاكراً . وفي اليوم التالي الاحد تفقد نصحي الخندق فوجده في غاية المناعة وعاد يوم الاثنين الى الجادين ومعه أشياء كثيرة من الحبوب والزيت والسمن والسسم من اهل سنار الى اقاربهم في الخرطوم فوجد رجاله قد شحنوا مراكبهم بثلاثة آلاف اردب ذرة لحامية الخرطوم فشحن الف اردب اخرى أمانات وفي فجر الاربعاء قفل راجعاً بالوابورين والمراكب الى

الخرطوم وسار لا يعترضه احد حتى وصل الكاملين صباح الجمعة في ٢٦ سبتمبر سنة ١٨٨٤ فتصدى له أهلها كالاول فرماهم بالقنابل وتخلص منهم وسار حتى وصل الجريف وكان النجمي قد علم ببعثته الى سنار وأرسل بعض الطوبجية واصحاب الاسلحة النارية الى الجريف ففتحو المزاغل في منازلها وعلوا متراساً على شاطئ النيل وكنوا له فما اطل حتى ابتدروه بالقنابل والرصاص فأرسل غوردون وابور « المنصورة » بالعساكر فأنجده فدخل الخرطوم مساء الجمعة المذكور وقد قتل من عسكره ١٥ رجلاً وأصيب قزان وابوره بوردين فسر غوردون من نشاطه ودربته فرقاه الى رتبة لواء وقال « اني أريدك لأمر هام فاذهب الآن واسترح الى الغد » .

بعثة ستيورت باشا الى مصر في ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨٤ : هذا وكان غوردون يوم وجهه نصحي الى سنار قد وجهه وكيله ستيورت باشا بوابور عباس الى مصر لابلاغ الحكومة حالة الخرطوم واستجبالها في انقاذه . وقد صاحبه على الوابور ٤٠ رجلاً وفيهم المستر بور قنصل انكلترا في الخرطوم والمستر هربن قنصل فرنسا فيها وحسن افندي حسني من موظفي التلغراف الانكليزي و ١٩ من التجار اليونان و ٥ عساكر طوبجية ومدفع صغير . وجرّ الوابور وراه اربعة مراكب صغيرة اخذ فيها جماعة من تجار اليونان والشوام واليهود بشرط تركهم عند أقل خطر . وبعث غوردون مع « عباس » وابوري المنصورة والصفاية بقيادة عثمان بك حشمت ليساعده على المرور ببربر ثم يعودان الى الخرطوم فسار ستيورت باشا بمن معه بلا معارض حتى أشرف على شندي فبادره أهلها بالرصاص من الشونة الاميرية فرماهم بقنبلة واحدة وبقي سائراً الى ان وصل الدامر فوجد أهلها قد أقاموا متراساً وكنوا للوابورات فصوب عليهم المدافع ونجا منهم ووالى السير حتى أطل على بربر فتلقاه أهلها بالقنابل والرصاص من الشرق والغرب فأطلق مدافعه وبناذقه بيناً وشمالاً وهو موصل السير حتى تخلّص منهم فأمر عثمان بك حشمت فعاد بالوابورين الى الخرطوم فوصلها في ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٨٤ .

وجدت ستيورت السير شمالاً وهو يحير المراكب الاربعة الى ان وصل
المسيدي فترك مركبين منها وراه لضيق النيل هناك وكان محمد الخير عامل
بربر لا يعلم سبب سفره فأقلت من الوابور رجل من الباشبوزق يقال له التوم
ود علي بك فأخبر محمد الخير بقصده فأرسل وراه ابن اخيه عبد الماجد على
وابور الفاشر الذي غنمه في بربر فلما أدرك المركبين اللذين تركها ستيورت
رفعا له راية بيضاء دلالة على التسليم فتركها وجد السير وراه وابور عباس
حتى وصل شلال الحمار فوقف لضيق الشلال عليه واجتازه « عباس » لصغر
حجمه ولكنه ترك المركبين الآخرين وراه لتخف حركته فوقع المراكب
الاربعة في أسر « الفاشر » فقطرها وقفل راجعاً الى بربر .

وواصل وابور عباس السير حتى دخل شلالات ود قمر فاصطدم بصخرة
فدخله الماء فرسى على جزيرة صغيرة تجاه قرية هبة على ٩ أميال من السلامة
وذلك في ضحى الخميس ١٨ سبتمبر سنة ١٨٨٤ فأخرج ستيورت صحن الوابور
الى الجزيرة ورمى بالمدفع الى البحر فعلم به شيخ هبة الفقيه ود عثمان فأرسل
الى السلامة الى الشيخ سليمان بن الشيخ نعمان ود قمر الذي قتل في الدبة يعلمه
بغرق الوابور ويستعجله لاغتنام الفرصة والأخذ بالثأر فأتى الشيخ سليمان
ستيورت باشا وأظهر أشد الاسف لما اصابه وسأله ان ينزل معه الى البر فيدير
له الركائب ويوصله بنفسه الى دنقلة قيل فارتأى ستيورت باخلاصه ولكن
الحاجة وفراغ الاجل اضطراره الى قبول دعوته فترك أنشائه في الجزيرة ونزل
بمن معه الى هبة فأبقى العساكر والخدم على شاطئ النيل ودخل منزل سليمان
ودنعمان ومعه المستر بور والموسيو اربان والتجار اليونان وحسن افندي حسني
الذي استعمله مترجماً وكان سليمان ود نعمان قد دبّر المكيدة لقتلهم فذبح لهم
ذبيحة وأحضر بعض الجمال ليومهم انه يتم بترحيلهم بعد الضيافة وكان قد
بعث بالرسل الى قومه فاجتمعوا حوله من كل جهة ثم أشار فانقضوا عليهم
كالنور وقتلهم عن آخرهم حتى العساكر والخدم ولكنهم أبقوا على حسن
افندي حسني ورئيس الوابور فاختلف في سبب نجاتها فقال البعض انها نطقا

بالشهادة واستغاثا بالمهاجرين فأبقوا عليها وقال البعض انها اشتركا في المكيدة. وقد رأيت حسن افندي بعد واقعة ام درمان فأراني جرحاً في جسمه قال انه أصابه في تلك الواقعة فصرع منه فظنه المهاجون انه قتل ثم ظهر لهم انه حي فأبقوا عليه واستولى سليمان ود قمر على جميع مهات ستيورت وأوراقه وفي جلستها يومية غوردون منذ اول مارس الى قيام ستيورت من الخرطوم في ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨٤ فوقعت بيد سليمان ودقمر فبعث بها الى المهدي وبعث بالخبر الى محمد الخير فأرسل ابن اخيه عبد الماجد الى ود قمر فأخذ مهات الوابور وعاد بها الى بربر . وأما غوردون فلم يعلم خبر ستيورت قبل ١٠ اكتوبر .

بعثة نصحي باشا بالوابورات الى شندي لمقابلة الانكليز

في ٢٩ سبتمبر سنة ١٨٨٤

هذا وكانت الحكومة الانكليزية قد أقرت على ارسال حملة لانقاذ غوردون منذ ٨ اغسطس كما سيحيى وبلغ الخبر غوردون من طريق دنقلة في اواخر سبتمبر فنشره في المدينة كلها ولما عاد نصحي باشا من سنار جهز له ثلاث وابورات وأمره بملاقة الانكليز في النعمة واستقصاء اخبارهم وارسالها اليه تبعاً وهذا مفاد الامر الذي أصدره له في هذا الشأن بتاريخ ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٨٤ م أي ثاني يوم وصوله من سنار :

سعادتلكو افندي محمد نصحي باشا

د اني اخترتك للذهاب الى شندي لمقابلة الجيش الانكليزي القادم لنجدتنا بطريق دنقلة وجهزت لكم وابورات تل حوين والصفية والمنصورة لتذهبوا فيها ومعكم من الضباط محمود بك طلعت وعلي افندي رضا فيكون كل منكم في وابور ويرافقكم خشم الموس بك ليؤلف السناجق الذين في شندي ويضمهم اليكم . وفي مروركم الى شندي اختبروا حال الاهلين واعلموا الطيب منهم والرديء وأبقوا في شندي فلا تتمدوها الى بربر ولا تخرجوا من الوابورات الى البر لا ي سبب كان وابعثوا بالجواسيس الى دنقلة لاستطلاع خبر الجيش

تاريخ الشوكلات

وأرسلوه اليّ تباعاً. ورافقكم يوسف افندي صديق من كتاب الحكداية بصفة كاتب لكم ومعه ٨٠٠ ريال لأجل الاتفاق منها على الجوايسيس واذا أتتكم رسالة من مدير دنقلة او من الجيش فأرسلوها اليّ حالاً . ولي الامل الوطيد انكم تقومون بواجب مأموريتم هذه خير قيام والسلام .

ولما كان يوم الثلاثاء في ٣٠ سبتمبر سنة ١٨٨٤ م خرج نصحي من الخرطوم بالوابورات الثلاثة قاصداً المتمة وسعود اليه بعد . ولنأت الآن الى ذكر ما كان من المهدي فنقول :

المهدي وحصار الخرطوم

غزوة المهدي للخرطوم : تقدم ان المهدي أتى الرهد من الابيض في أوائل جمادى الآخرة فأقام فيه الى آخر شوال سنة ١٣٠١ هـ ٢٢ اوجسطس سنة ١٨٨٤ م يستعد للزحف على الخرطوم . وفي أثناء ذلك أتاه سلاطين باشا (وقد سمي بعبد القادر سلاطين) والسيد بك جمعة من دارفور وحسين باشا خليفة من بربر وصالح باشا الملك من فداسي وقد مرّ ذكر ذلك كله في محله .

وأناه الحاج عبد الله الكحال التاجر الشامي المشهور في خان الخليلي بمصر وكان قد ذهب بتجارة الى الفاشر بطريق الاربعين فلم يصلها حتى كان زقل قد استولى عليها فأخذ منه ثلثي تجارته وترك له الثلث الباقي فباعه وأخذ يحتال على النجاة فطلب من زقل الاذن في زيارة المهدي فأناه الى الرهد وبايعه . فسماه المهدي أميراً على بلاد الشام وأصعبه كتباً الى أهلها للقيام بنصرته والانضمام الى أميرهم الكحال لمحاربة الترك فحمل الكحال هذه الكتب وجدّ السير الى مصر بطريق دارفور فودّاي فبني غازي فالاسكندرية وهو غير مصدق بالنجاة .

وأتى المهدي الى الرهد في أواخر يوليو سنة ١٨٨٤ رجل من الغرب يدعى فخر الدين ادعى انه خليفة المهدي فسلمه الى الخليفة عبد الله فحبسه ثم قتله .

وأرسل من الرهد محمود الحاج محمد الى دنقلة كما مرّ ومحمد ود ارباب الى القلابات كما سيجيء .

ولما كان يوم ٢٩ شوال سنة ١٣٠١ هـ ٢٢ اوجسطس سنة ١٨٨٤ م خرج من الرهد غازياً الخرطوم بجميع جيوشه فنزل في منهل البساطة وأذن لأصحابه فزاروا قبر والد الخليفة عبد الله المدفون في ابي ركة .

قدوم الاستاذ محمد شريف الى المهدي : ثم استطرد السير حتى أتى شات فاستراح فيها نحو شهر حتى تكامل جيشه وهناك أتاح استاذ الشيخ محمد شريف السالف الذكر مسلماً طائعاً وكان الاستاذ المذكور قد انتقل من المراديب الى مقام جده الشيخ الطيب في ام مرتحي فبقي فيه مؤملاً كسر شوكة المهدي حتى سقطت بربر وسدّت طريق مصر في وجهه وزحف المهدي غازياً الخرطوم فلم يعد يرى بداً من التسليم اليه فاستقبله المهدي احسن استقبال وأمر بذبج النياق احتفالاً بقدومه وبقي في صحبته غير متهان الى ان مات المهدي فوق في يد خليفته التعايشي فأهانته وأذله ثم وضعه في السجن وبقي فيه الى ان أنقذه الجيش المصري الانكليزي بعد واقعة ام درمان سنة ١٨٩٨ .

خبر اوليفر باين : وقبل وصول المهدي الى شات أتاح رجل فرنساوي عن طريق دنقلة والابيض يدعى اوليفر باين وعرض عليه مساعدته ومساعدة قومه فرفضها المهدي وجعله في صحبة سلاطين فحرض بالحمى التيفوسية ومات في الطريق .

وقد فصل سلاطين باشا خبره في كتابه « النار والسيف في السودان » فقال : « وشاع خبر قدوم اوليفر باين في جيش المهدي فقال البعض انه امبراطور فرنسا والبعض انه من أقارب ملكة الانكليز فأحضره الى الخليفة فسأله عن غرضه فأخذ يتكلم بالعربية كلاماً لا يفهم فقال له المهدي : تكلم بلسانك مع عبدالقادر سلاطين وهو يترجم لنا فأخذ يتكلم بالفرنساوية فقال: انا فرنساوي واسمي اوليفر باين وقد أحببت السودان منذ صغري وأهل

بلادي ايضاً يحبون السودان مثلي ونحن في اوروبا على خلاف مع الانكليز الذين احتلوا مصر وأرسلوا غوزدون الى الخرطوم وقد أتيت اليكم لأعرض عليكم مساعدتي ومساعدة أمي. فقال له الخليفة: وما هي هذه المساعدة ؟ فأجاب: أما انا فأساعدكم برأبي وأما أمي فتساعدكم بالمال والأسلحة فذهب الخليفة ليخبر المهدي بذلك وبقي سلاطين وباين وحسين باشا خليفة فقال حسين باشا لسلاطين: أمن السياسة ان يعرض المال والأسلحة على أناس غرضهم قتل البشر ونهب الاموال وسبي النساء والبنات وأنتم اذا اشترى واحد منا عبداً اسود قلتم ان ذلك اثم فظليع وعاقبتونا أشد العقاب ؟ فلم يحرم سلاطين جواباً . ثم أحضروا باين الى المهدي وأمر سلاطين ان يترجم بينها فقال باين للمهدي كما قال للتعايشي فأجاب المهدي : لقد علمت ما تقول ولكن لا أعتمد على الناس بل على الله ورسوله وأنتم قوم كفار فلا يمكنني محالفتكم وفي الكفاءة على قهر جميع أعدائي بأنصاري هؤلاء ثم قال لباين هل انت مسلم فقال نعم ثم قال كلمة الشهادة بصوت جهوري فأعطاه المهدي يده فقبلها . ولما وقف باين على حقيقة المهدي ودّ لو ان طيراً من السماء يحمله الى بلاده وينجيه من تلك الهلكة التي أوقع نفسه بها وتوصل الى سلاطين فتوسط له الخليفة ليسمح له بالعودة الى بلاده فلم يفلح . ثم مرض بالتيفوس فقام سلاطين على الاعتناء به ولما اشتد عليه المرض استدعى سلاطين وقال له : وقد دنا اجلي فأشكر لك اعتنائك بي واهتمامك بأمري وآخر معروف أطلبه منك هو انك اذا نجوت من أيدي هؤلاء البرابرة وأنيت باريز فأخبر زوجتي وأولادي التعماء انني كنت أفكر بهم وأنا على حافة القبر ثم اخذ يبكي ويلتجئ وحملوه في اليوم التالي على جل فوقع عنه وقضي نحبه ودفن في بركة شات اه ملخصاً .

وارتحل المهدي من شات فنزل النيل عند الدويم ثم ارتحل الى الترعة الخضراء فصلى فيها صلاة عيد الاضحى سنة ١٣٠١ هـ ١ أكتوبر سنة ١٨٨٤ م . ثم ارتحل الى القبة وهناك أتته الوفود من جهات الجزيرة والسودان الشرقي لمبايعته ووردت عليه الكتب من اعيان الجهات المذكورة بالتسليم وطلب البيعة والتماس

المفوض عما حصل من تأخيرهم لأجابة داعيه قبل الآن. وأرسل غوردون وابورا فكشف خبره وعاد الى الخرطوم . ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى ابا سعد بينه وبين طابية ام درمان مسيرة ساعة ومن هناك أمدّ النجومي يحيوش لتشديد الحصار على اهل الخرطوم وجهاز جيوشاً لمحاصرة خندق ام درمان وبقي في ابي سعد الى ان فتحت ام درمان فانتقل اليها . وكان وصوله الى ابي سعد في ٢٣ اكتوبر سنة ١٨٨٤ م قيل وكان جدد الجيوش التي حضر بها تنيف على ستين ألفاً .

تأثير غزوة المهدي في الخرطوم : هذا ولما علم المحاصرون بقدوم المهدي ازدادوا جرأة حتى صاروا يحفرون في الليل حفراً قريبة من خط النار ويقتبشون بها فاذا لاح لهم عسكري رموه بالرصاص والعاكر لا ترام حتى اشتد اذاهم فأمر غوردون المهندسين فأقاموا على خط النار أبراجاً شاهقة أطلت عليهم في تلك الحفر فطردوهم منها .

أما اهل الخرطوم فانهم لما سمعوا بقدوم المهدي اضطربوا وهلعت قلوبهم وكثر شغبهم فعلق غوردون منشوراً في جميع المرات والشوارع والمراكز العسكرية مؤداه : « ان الجيش الانكليزي القادم لنجدتنا تبلغ عدته خمسين ألفاً وقد انقسم الى قسمين قسم بطريق ابي حمد وقسم بطريق رد قر وقد وصلت اول فرقة منه بالرويان وعن قريب تصل بربر وربما وصلت الخرطوم قبل وصول محمد احمد الى ام درمان فتشدوا واعلموا ان الله ناصركم والسلام » . ومنح مكافأة شهرين لجميع العساكر والموظفين الملكية .

وكان غوردون عند اول سماعه بقدوم الجيش الانكليزي قد أمر باعداد بعض المنازل على شاطئ النيل لسكنى الضباط الانكليز فذهب الآن بنفسه الى تلك المنازل وتمهدها فوجد انها مفتقرة الى اصلاح كثير فأعطى احد المعاونين ٢٠ الف غرش قرمها وداوم الكفس والرش داخل المنازل وخارجها .

كتاب النجومي الثاني الى غوردون : هذا وكان النجومي لما وصله الخبر

بقيام المهدي من الرهد قد كتب الى غوردون كتاباً مفاده: ان الامام المنتظر قد تحركت ركائبه الشريفة من الرهد غازياً الخرطوم يجيوش لا عسده لها فأنصحك ان تقابله مع من تختار من الاعيان طائفاً طالباً الامان وهو لا شك يؤمنك على نفسك ومالك ومن معك وذلك أولى من سفك الدماء . واما ما ينقله اليك الجواسيس من ان الانكليز قد أرسلوا جيشاً لانتفاذك فكله كذب وهم انما ينقلونه اليك لتبذل لهم العطاء كما هي عادتك وانا بعون الله قادر على فتح الخرطوم وأخذها منك عنوة ولكن سيدنا الامام المهدي أمرني بنصحك والرفق بك حقناً للدماء والسلام على من اتبع الهدى .

جواب غوردون للنجمي: فأجابه غوردون في ٩ اكتوبر سنة ١٨٨٤ بكتاب هذا مفاده : « من غوردون باشا والي السودان الى ولد النجمي بالكلاكة : اعلم اني لست بمبال بك ولا بسيدك المهدي ولا بما معكما من الجيوش . وأما خبر قدوم الجيش الانكليزي فليس هو من اختلاق الجواسيس بل قد جاءني به اخبار رسمية من قبل الحكومة الحديوية والدولة البريطانية العظمى وسرى عن قريب ما يحصل بك من الدمار وتقول يا ليتني مت قبل هذا ولا تعد الى مخاطبتي بعد الآن فهذا آخر العهد بيننا والسلام . »

خبر احمد العوام : وكان في الخرطوم رجل من خطباء الثورة المرابية يقال له احمد العوام وهو مصري الجنس حسيني الانتساب وقد نُفي الى الخرطوم بسبب الثورة المرابية فرأى الثورة المهدية في وجهه فتشيع لها وقد اطلعت على رسالة له بتاريخ ١٧ رمضان سنة ١٣٠١ هـ ١١ يوليو سنة ١٨٨٤ م سماها « نصيحة العوام » فاذا هي ثورية محضة وقد أعلن فيها تشييعه للثورة المهدية وكرهه للحكومة الحديوية ومما قاله فيها مشيراً الى موظفي حكومة الخرطوم: « .. وقد طالما جادلتم بالحق سراً ونصحت لهم حق في دار الحكومة جهراً على مرأى ومسمع من وكيلها النصراني ومن حضر من كتبة الديوان في ليلة النصف من شعبان هذه السنة (١٣٠١ هـ) ٩ يونيو ١٨٨٤ م ان يسعوا في

الصلح بين الطائفتين المتحاربتين عملاً بأمر الله فلم أجد فيما بينهم محملاً ولا ساعياً بكلمة حق لإخماد هذه الحرب بين المسلمين وعباد الله المؤمنين مع تطلع الحاكم غوردون باشا وهو نصراني لإطفاء لهيب هذه الحرب الموقدة ولذلك اعتزلتهم وجميع المحصورين إلا من جاءني يسعى وهو يخشى فاني أبذل له بعض النصح حتى يفتح الله بيننا وهو خير الفاتحين ، ...

وقد أثرت أقواله تأثيراً سيئاً في نفوس اهل الخرطوم فسجنه غوردون وكبّله بالحديد حتى رأى منه انكسار النفس ووعد انه لا يعود الى ما كان عليه فمقا عنه وجعله معاوناً في الحكمدارية براتب ١٥٠٠ غرش في الشهر ولكن ما لبث ان عاد الى سابق عاداته من انتقاد اعمال الحكومة وتهيج اهل البلاد ضدها . ولما جاء الخبر بزحف المهدي على الخرطوم وأعلن غوردون بخبر قدوم الجيش الانكليزي جاهر في تكذيب غوردون وتصديق المهدي ولم يقتصر على ذلك بل أغرى إحدى النساء فرمت جرة من شباك على معمل الفشكيليك بقصد احراق الجببخانة كلها فسقطت الجرة على بعض الاوراق فأحرقتها فشمع بها الديدبان فأطفأها واعترفت المرأة ان احمد العوام هو الذي أغراها بذلك فأمر غوردون بقتله فقتل في سراي الشرق .

خيانة بعض أعيان الخرطوم : ولما حل المهدي بأبي سعد زاد قلبي أهل الخرطوم فاتفق جماعة من أعيانها وكبار موظفيها وجمعوا مبلغاً من النقود لفقراء جيش المهدي وكتبوا اليه كتاباً يصرحون فيه بتسليمهم بمهديته وانهم ساعون في اضعاف الحكومة بكل جهدهم وينتظرون الفرصة للخروج اليه وقد ارسلا الكتاب والنقود مع عبد لأحمد بك جلاب مدير الخرطوم فصادفته « دورية » ام درمان وأرسلته الى غوردون فاستنطقه فكان في جملة المشتركين في هذه الجناية :

احمد بك جلاب مدير الخرطوم وأخوه تيمى	الخليفة ولد ارباب من ارباب المعاشات
الشيخ محمد خوجلي قاضي عموم السودان	الفكي الامين الضرير شيخ الاسلام
الفضل ابراهيم باشكايت مجلس الاستئناف	محمد عبد الرحمن البشير تاجر
ابو بكر الجركوك احد أعضاء مجلس الاستئناف	ادريس بك النور احد أعضاء مجلس الاستئناف

فأمر غوردون مأمور الضابطة فأحضرهم من منازلهم ليلاً وحبسهم في
ثكنة المسامر ماعدا المدير وأخوه والقاضي وشيخ الاسلام وادريس بك النور
فانه حبسهم في منازلهم ومنع النحاس من الدخول اليهم . وسمى موسى بك
شوقي مديراً للخرطوم بدلاً من احمد بك جلاب وأعاد المحافظة فجعل ابراهيم
باشا فوزي محافظاً وأمره بمساعدة الضابطة على معرفة المؤثرين وقطع دابر
المفسدين .

عوداً الى نصحي والوابورات : وفي ١١ اكتوبر سنة ١٨٨٤ ارسل
غوردون وابور التوفيقية بكتب الى نصحي والجيش ليستطلع خبرهم ويعلمهم
بقدوم المهدي فأبقى نصحي وابور التوفيقية وأرسل الى غوردون وابور تل
حوين الى الخرطوم فوصلها في ١٩ اكتوبر سنة ١٨٨٤ بكتاب هذا مفاده :
« لما خرجنا من الخرطوم لم يقابلنا احد بالمعاء إلا ادريس شيخ الجرنساب
فانه أقام متراًساً على النيل وتحصن فيه هو ورجاله وبادرونا باطلاق النار
فصوبنا عليهم المدافع فهزمنام شر هزيمة وخرجنا الى الحلة فخريننا منازلها
وسواقها وأخذنا أخشايها وقوداً للوابورات ثم استطردنا السير الى التمة
فوجدنا أهلها وفي رأسهم احد حمزة قد أقاموا استحكاماً منيعاً فبادرونا برمي
الرصاص فرمينام بالقنابل ثم انقلبنا الى شندي فوجدنا السناجق الشايقية قد
تحصنوا في المنازل التي على النيل واتحدوا مع الدراويش ورمونا بالرصاص
فحاربناهم حتى هزمنام من تلك المنازل واحتلناها مكانهم ثم وستنا الست
فاطمة والست نفيسة كريمي السيد حسن المرغني المقيمين في شندي لدعوتهم
الى الطاعة فظهر انهم متذبذبون وما ينتصرون إلا للنسالب . وقد ارسل
احد حمزة اخاه الى بربر يطلب المدد فعاد بلا شيء . وبلغ محمد الخير
ان الجنود الانكليزية زاحفة على بربر من دنقلة وكسلا وكورسكو فننادي
بالنفير العام في البلاد ليأتوا الى بربر لمحاربة الانكليز فلم يذهب احد من هذه
الجهة خوفاً على بلادهم من الوابورات لكن حضر اليوم سعد ولد بنونه بمذفع
من بربر وربما بعدة قنابل فلم يصبنا بضرر . وقد اظهر محمد بك طلعت

وعلي افندي رضا كل نشاط ودربة وبسالة وجرح منا في المناوشات التي حصلت بيننا وبين الأعداء ٢٥ رجلاً وها هم واصلون اليكم امامجتهم عندهم فأرجو ارجاع الوابور الينا بما عندهم من الاوامر وأما الكتب التي برسم الجيش فقد بعثناها اليه مع الجواسيس .

فأعلن غوردون في المدينة ان الانكليز قد زحفوا على بربر من كلا وسواكن وذنقلة واستشهد بكتاب نصحي وأرجع اليه وابور تل حوين ثاني يوم وصوله ومعه وابور بوردين وأصحابها كتباً الى الجيش الانكليزي على ان تبقى في شندي الى حضور الجيش وكتاباً الى نصحي هذا مفاده :

« واصل اليكم بوردين وتل حوين بما يلزم من الذخائر والبسماط فعند وصولها أبقوا خشم الموس بك بشندي بوابور المنصورة . وخذوا وابورات بوردين وتل حوين والتوفيقية والصفاية وسيروا بها حتى تشرفوا على بربر فقتلوا طلع الجيش فاذا وجدتموه قريباً ساعدوه على بربر وأرسلوا الى تل حوين بعد ١٠ ايام بما عندهم من الاخبار . واحذروا من استعمال الذخيرة إلا عند الضرورة . وأكرر عليكم الامر بعدم الخروج من الوابورات الى البر فقد علمت ان الجرحى الذين أرسلتموهم انما جرحوا بالمحاربة في البر وها قد أرسلت اليكم ٢٥ عسكرياً من المصريين بدلاً منهم واجابة للتمسك انعمت على محمود بك طلعت برتبة الميرالاي وعلى علي افندي رضا برتبة القائمقام .

وصدع نصحي بالامر فذهب الى بربر واستطلع خبر الجيش ولما لم يجد له أثراً فيها عاد الى شندي وأرسل وابور تل حوين بالأخبار الى الخرطوم فأرجعه غوردون ثانية الى نصحي بكتاب الى رئيس الحملة الانكليزية بتاريخ ٤ نوفمبر سنة ١٨٨٤ فأوصله نصحي الى رئيس الحملة وسيأتي ذكره .

الفصل السابع عشر

في

تاريخ الحملة الانكليزية

سنة ١٨٨٥ - ٤ م

مأمورية كتشنر ورندل: هذا وكانت الحكومة في مصر ساهرة على الثورة في السودان وترقب حركاتها بكل اهتمام وكان الحكومة الانكليزية في رفضها ارسال الزبير الى الخرطوم قد ضمنت سلامة غوردون والحاميات المصرية في السودان فوق سلامة مصر . وكان غوردون يطلعها على أحواله تفصيلا الى ان سدت طريق مصر وخيف على حامية بربر فندبت الكبتن كتشنر (الجنرال كتشنر المشهور) واللفتننت رندل (الجنرال رندل الآن) وكان كلاهما من ضباطها النجباء الموظفين حيثئذ في الجيش المصري وأمرتها بالذهاب الى بربر ومساعدة مديرها حسين باشا خليفة على تهديد البلاد فما وصلا كورسكو حتى علما ان الرباطاب ثابروا في ابي حمد فأمرتها بتجنيد جيش من متطوعة العباددة وانجناد بربر ولكن قبل ان يتما جمع الجيش المطلوب سقطت بربر فبقيا بمن جمعا من العباددة في كورسكو .

ارسال الجيوش الى الحدود : وخافت الحكومة على حدودها النيلية
لما هورتها للسودان وشدة علائق اهلها التجارية والقراية بأهل فجعلت الجيش
المصري على الحدود منذ شهر ابريل سنة ١٨٨٤ ووزعته بين اسوان وكورسكو
وحلفا . وفي ٧ يوليو أرسلت اورطة انكليزية الى اسوان . .

بعثة كشنر الى دنقلة : ثم كانت الثورة في دنقلة على ما علمت ولم تكثف
الحكومة بما كان يرسله مصطفى باشا ياور من اخبارها فتطوع الكبتن كشنر
للذهاب الى دنقلة واستجلاء الحقيقة فترك رندل مع متطوعة العباددة في
كورسكو وذهب الى دنقلة فوصلها في ١ اوجسطس سنة ١٨٨٤ فوجد مصطفى
باشا ياور مشغولاً بحاربة الدراويش فاستأذن الحكومة في مشاركته في العمل
فلم تأذن له فأرسل لها تقريراً مطولاً عن حالة دنقلة وعمما سمعه عن غوردون
والثورة في الخرطوم وبقي في الدبة .

طريق الحملة الى الخرطوم : وكانت الحكومة الانكليزية منذ علمت بمصر
غوردون في الخرطوم أخذت تفكر في أمر انقذاه وفي الطريق التي تتخذها
الحملة اذا أقرت على ارسالها الى الخرطوم فكان امامها اربع طرق : طريق
مصوع الى كسلا فبربر وطولها ٦٠٣ اميال وطريق النيل وطولها من حلفا الى
بربر ٦٦٦ ميلا وطريق سواكن الى بربر وطولها ٢٤٥ ميلا وطريق كورسكو
الى ابي حد فبربر وطولها ٣٦٠ ميلا فبحث كبار قوادها طويلا في هذه الطرق
ففضل اللورد ولسلي طريق النيل مع انها اطولها لوفرة ماؤها وطيب هواها
ورفض طريق مصوع لقلة ماؤها ووعورة مسلكها فضلا عن طولها ورفض
طريق سواكن لقلة ماؤها وكثرة حرها وعداء القبائل المالكة لآبارها . وفضل
الجنرال ستفنسن قومندان جيش الاحتلال في مصر طريق سواكن لقصرها .
والسر افلن سردار الجيش المصري طريق كورسكو لقصرها وقربها من مصر .
وقال البر صموئيل باكر باتخاذ هذه الطرق الثلاث ممّا فاختارت الحكومة
طريق النيل أي الطريق التي قال بها اللورد ولسلي .

قرار الحكومة الانكليزية على ارسال الحملة : فقر رأيا في بادىء الامر على ارسال آلاي من الجيش الانكليزي الى دنقلة بقصد تثبيت اهل الحدود ودنقلة على الولاء وارهاب قبائل السودان لعلها ترجع عن حصار الخرطوم فاذا لم ترجع جعلت هذا الآلاي مقدمة الحملة على الخرطوم وكان ذلك في ٧ اوجسطس سنة ١٨٨٤ . فما لبثت ان رأت ان اهل السودان لم يكونوا اذ ذاك ليرهبوا آلايا من الجيش في دنقلة ويرجعوا عن حصر الخرطوم فأقرت نهائيا على ارسال حملة منظمة لانقاذ غوردون وأناطت قيادتها العامة باللورد ولسلي القائد بطريق النيل وهو من أكبر ضباطها شأنا وأشد هم رأيا وأكرمهم خلقا وأعظمهم اقداما وقد أجلت له الغرض من الحملة بقولها : « ان الغرض الاساسي من الحملة انما هو انقاذ الجنرال غوردون والكونويل ستيفورت من الخرطوم فتى تم هذا الغرض فلا تباثروا حركات عدائية أيا كانت والحكومة تعتمد عليكم بأنكم لا تتقدمون جنوبا إلا بقدر ما يلزم للحصول على هذا الغرض » .

قوة الحملة : وكان اول ما نظر فيه اللورد ولسلي القوة اللازمة للحملة فطلب جيشا مؤلفا من ٩ آلاف من العساكر الانكليزية فوق الجيش المصري على ان يحمل الجيش المصري في خط الاتصال بين شلال جلفا وشلال حنك ويحمل ٤ آلاف رجل من جيشه في هذا الخط بين شلال حنك وبربر وذلك للمساعدة على النقل والمحافظة على المؤن والذخائر في الطريق فيتوفر عنده ٥ آلاف عسكري انكليزي لساحة القتال فلبت الحكومة طلبه ولم تكن العساكر كلها متوفرة لديها في مصر فأتت بالباقي من مالطة وبلاد الانكليز .

العقبات في طريق الحملة : ولما تم للورد ولسلي ما طلب من الجيش أخذ بهم في نقل هذا الجيش وما يلزمه من المؤن والذخائر وتجهيد العقبات التي وقعت في سبيله في البر والبحر وأهمها طول المسافة وكثرة الشلالات وقلة المؤن في الطريق فضلا عن حر الشمس وبرد الليل ووعورة الطريق فصبر أمره بمدة سكة حديد حلفا ومرس الى عكاشة ولكنها لم تتم حتى كان الجيش قد أصبح

جنوبها . وكان آخر الحد الجنوبي لسكة الحديد المصرية أسيوط فعهد أمر النقل من أسيوط الى حلغا الى المستر كوك الشهير . وسأل بعض معامل بلاده في ١٢ و ٢٢ اغسطس فصنعوا له ٩٠٠ قارب يسع كل قارب منها ١٢ رجلا بمدتهم وسلاحهم ومؤنتهم وكلها صالحة لسبوك أضيقي الشلالات وأرسلوها الى حلغا فوصلتها في ١٤ اكتوبر فابقي ٢٠٠ منها بين حلغا وأسوان وأرسل الباقي بالمساكر الى دنقلة . وأجاز فوق شلال حلغا وابوري ناصف الخير والجيزة من وابورات الحكومة المصرية فوصل « ناصف الخير » الى دنقلة في ١٠ اكتوبر سنة ١٨٨٤ وساعد كثيراً في النقل بين الشلال الثالث والرابع وأما « الجيزة » فانه غرق في شلال تنجور . وأحضر وابورين من بلاد الانكليز قطعاً فبنى احدهما « ووترلي » في الاسكندرية وسيّره بالنيل الى حلغا وبني الآخر « لوتس » جنوبي شلال سمّة .

هذا بعض ما سهّل به النقل في النيل وأما لتسهيل النقل في البر فقد اشترى اربعة آلاف جل واستأجر ضعفها من الجمال وعدداً كبيراً من البغال والحمار .

وكان خط التلغراف ممتداً الى مروي . فأخذ معه جميع معدات التلغراف ليمنه الى حيث أراد جنوبي هذا الخط . ونظم البريد أحسن تنظيم بحيث انه لم يسمع ان احداً فقد كتاباً واحداً كل مدة الحملة .

وقد كان من نصيبي اني رافقت هذه الحملة موظفاً في قلم الخبايا فوصلت معها الى آبار الجكدول في صحراء البيوضة وشهدت بعيني الهمة التي بذلها اللورد ولسلي ورجاله في تذليل الصعاب جباً بخلاص غوردون وحاميته فاذا هي مثال الهمم وعنوان الشمم .

وبعد ان أتمّ اللورد ولسلي استعداداته في مصر خرج منها بأركان حربه في ٢٧ سبتمبر فوصل حلغا في ٥ اكتوبر سنة ١٨٨٤ . وكان قد أرسل اورطة مزج جيشه الى دنقلة فوصلتها في ٢٠ سبتمبر ووصل السر هربرت ستوروت في ٢٩ من الشهر المذكور فاستلم قيادة المساكر ووصل السر تشارلس

ولسن رئيس قلم الخبايرت في ١١ اكتوبر وكان من المساعدين في هذا القلم الكولونيل كولفل والماجور ترنر وكلهم من كرام الانكليز . وبقي اللورد ولسلي في حلفا الى ان رأى بعينه المراكب تسير بالعساكر فوق الشلال فمرّ أولها في ٢٥ اكتوبر بمساعدة كوكو شيخ الشلال وفي ٢٨ منه قام الى دنقلة فوصلها في ٣ نوفمبر . وكان قد أتى بليشان القديسين ميخائيل وجورج من جلالة الملكة فسلمه إياه وأرسله الى مصر . وأقرّ على جعل كورتي النقطة الاساسية للجيش وعاد الى حلفا ليعجل في نقل الجيوش والمؤن فوصلها في ١٦ نوفمبر سنة ١٨٨٤ .

مواصلة غوردون : وكان همّ رجال الخبايرت مواصلة غوردون واستطلاع حاله كما انّ همّ غوردون من الجهة الثانية مواصلة مصر واستطلاع خبر النجدة التي كان ينتظرها بفارغ الصبر خصوصاً بعد ارساله ستيورت باشا وقد بث كل فريق العيون والجواسيس حتى تمّ الاتصال بينها وتحقق غوردون بحجى الانكليز لنجده في ١٧ سبتمبر فأرسل الواپورات لملاقاتهم في المتعة في ٢٩ من الشهر المذكور وأرسل معها كتباً يخبرهم بحاله كما مرّ فبعد وصول اللورد ولسلي الى حلفا بيوم أي في ١٧ نوفمبر وصله كتاب من غوردون بتاريخ ٤ نوفمبر وهو الكتاب المشار اليه آنفاً بهذه الترجمة :

كتاب غوردون الى رئيس الحملة بتاريخ ٤ نوفمبر سنة ١٨٨٤ : « وصلني أمس يريد من كشنر بالدبة بتاريخ ١٤ اكتوبر سنة ١٨٨٤ ومعه كتاب « بالجفرة » من اللورد ولسلي بتاريخ ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٨٤ لا أستطيع حله لأنني أرسلت المفتاح مع ستيورت . وما وصلني قبل هذا البريد إلا كتاب من كشنر مؤرخ في ٣١ اغسطس سنة ١٨٨٤ وصلني في ١٧ سبتمبر أي بعد سفر ستيورت من هنا بأسبوع . في جهة المتعة الآن خمسة وابورات عليها تسعة مدافع بانتظاركم . يمكننا ان نثبت في الحصار ٤٠ يوماً بالراحة ومن ثمّ يصعب علينا الثبات . اني أشتمل غيظاً لفرق الواپور ومتى تأكدتم غرقه اخبروا

نظارة الخارجية ان مفاح الجفرة قد ضاع لاني أرسلته مع ستورت اذ كنت في ريب من نجاتها . وقد ظننت ان سفر النيل سليم فأرسلت ستورت وبور وهرين في ابور ليطلعوكم على حالنا لعلكم تعجلون بانقاذنا وأرسلت مع ستورت يومية الحوادث من اول مارس سنة ١٨٨٤ الى ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨٤ . المهدي هنا الآن على ثمانية اميال منا (في أبي سعد) والعرب يحصروننا من الشرق والجنوب والجنوب الغربي ولكن ليس منهم احد شمالي ام بذرمان . سنار لا تزال ثابتة في الحصار وهي عالة بقدمكم . وفي الاربورات يومتي من ١٠ سبتمبر الى هذا اليوم وفيها تفصيل حالنا وخارطة بربر . يقع بيننا وبين العرب قتال من وقت الى آخر ولكن المهدي يقول انه لا يحارب في هذا الشهر (وهو شهر محرم سنة ١٣٠٢) وقد أحضر معه جميع الاوربيين والراهبات الذين وقعوا في أسره ويقال انهم جميعا اعتنقوا الاسلام . سلاطين ايضا مع المهدي وكذلك لبنن ويقول المهدي ان لبنن سلم . منذ ١٠ مارس سنة ١٨٨٤ الى اليوم وصلني (عدا كتابي كتشتر المشار اليها آتفا) رسالتان واحدة من دنقلة بدون تاريخ وواحدة من سواكن بتاريخ ٥ مايو سنة ١٨٨٤ ووصلتني رسالة بمعنى هذه الرسالة من مصوع بتاريخ ١٧ ابريل سنة ١٨٨٤ وأما انا فقد أرسلت في الثانية أشهر الماضية عدة رسل في كل الطرق .

و نزل العرب في ضواحي الخرطوم في ١٢ مارس سنة ١٨٨٤ فهاجتم في ١٦ مارس فهزمونا وحملونا خسارة جسيمة من المساكر وغنموا مدفعاً واحداً ومن ذلك الوقت لا تزال في قتال مستمر وقد جرح ستورت جرحاً خفيفاً في ذراعه في بعض المناوشات . ولما ارتفع النيل خرجنا عليهم فأوقفنا فيهم ثلاث وقائع او اربع ورفعنا الحصار عن المدينة وأرسلنا حملتين الى سنار . وفي كل واقعة جرت لنا مع المحاصرين كانوا يهاجون المربع مستقتلين فيخترقونه ويدخلون وسطه وقد كسرونا في ٤ سبتمبر سنة ١٨٨٤ كسرة شنيعة ومن بعدها لم يكن شيء يذكر . وبمجموع ما أطلقناه من الرصاص الى الآن ٣ ملايين رصاصة والسراي احسن محل لاطلاق الرصاص . مع العرب هنا مدافع كروب

وقد عطلوا وابوراتنا مراراً وغنموا وابوزين صغيرين في بربر ووابورا في النيل
الازرق وبلينا نحن وابورين جديدين وصفحنا جميع الوابورات وقويتنا الحصون
بالألغام والشباك الشرخجية . ندفع مرتبات الجند شهراً شهراً فقير متأخر
لهم إلا راتب نصف شهر . وقد استعملنا عملة الورق وأنفقنا جميع الثياب التي
في المخازن . الأسرى الذين مع المهدي كلهم بخير وقد تزوج الراهبات زواجا
ظاهرياً بالاروام تخلصاً من التزوج بالعرب . سلاطين مع المهدي والمهدي لم
يصادره في ماله بل أبقاء له كله وهو يحسن معاملته ولكني سمعت اليوم انه
مقيد بالحديد . مع المهدي رجل فرنساوي جاءه بطريق دققة ولا أعلم سبب
مجيئه . وقد صنعت مدالية وجعلتها ثلاثة انواع ذهب وفضة وقصدير ووزعتها
على أهل الحامية . يقول كتشنر انه ارسل الي عدة رسائل ولم يصله جوابها
مع اني أرسلت في الشهر الماضي عشر رسائل على الأقل . يسافر الوابور بكتاني
هذا نهار غد الى المتمة ويُرسل لكم من هناك مع جاسوس . لا تدعوا العساكر
المصرية تأتي الى هنا استلموا قيادة الوابورات منهم واخرجوهم منها فانه لا
فائدة بهم .

جواب اللورد ولسلي على كتاب غوردون : فكتب له اللورد ولسلي
جواباً على كتابه هذا يوم وصوله (١٧ نوفمبر) وهو موجسٌ خوف وقوعه
في يد المهدي فقال :

« وصلني كتابك بتاريخ ٤ الجاري (نوفمبر) وهو اول كتاب أخذته
منك الى الآن . وسأكون في دققة بعد ٤ ايام ويكون الجيش كله بين الدبة
وامبقول في ٧ يناير سنة ١٨٨٥ ولست أعطيك تفصيل القوات التي يتألف
منها الجيش ولكن تأكد انها كافية لسحق محمد احمد وأنصاره وبحو ذكره من
الوجود وكلما زاد عدد مقاتلته زاد سرورنا لأنه بذلك يزيد عدد قتلاهم .
ويود جنودي ان يثبت المهدي في ساحة الحرب لأنهم يحبون القتال ويعظم
أسفهم اذا قطعوا هذه المسافة الطويلة من بلادهم ولم يجدوا فرصة لقتل محمد احمد
والفتك بأنصاره . اما أنا فقد رأيت سفك دماء كثيرة في زماني وأفضل ان

تنتهي المسألة سلمياً وذلك بمساحة محمد احمد في ما مضى وجعله سلطاناً مستقلاً على كردوفان يكون الملك فيها له ولأولاده من بعده وبتأسيس حكومة وطنية في الخرطوم يكون الحاكم فيها مستقلاً عن مصر وحكمه وراثي فيملك دنقلة وبربر والخرطوم وتعود انت الى انكلترا . وأما اذا كان محمد احمد أحق وأبى إلا الحرب فاني أدع عساكري ينالون مأربهم منه وهم نخبة جيشنا المظفر وصفوته وهم الآن سائرون برأ وبجرأ الى دنقلة . لم أكتب هذا اليك في الجفرة لأنك تقول انك أضعت مفتاحها . ابعث برسلك الينا في كل اسبوع واخبرنا بجميع أحوالك ونحن نكافيء رسلك الذين يأتوننا بكتب منك بكل سخاء ...

وقد جعل من هذا الكتاب نسختين فأرسل نسخة بطريق الدبة بواسطة الكبتن كشنر ونسخة بطريق مرزوي بواسطة الكولونيل كولفل . ويظهر ان النسخة التي أرسلها كولفل وصلت الى نصحي في شندي فأرسلها بوابور بوردين الى غوردون .

وكان اللورد ولسلي لا يعلم عن غوردون والخرطوم إلا من الجواسيس فلما جاءه كتاب غوردون وعلم منه حقيقة الحال التي صار اليها جددت الهمة في تعجيل الجنود وكانت اذ ذاك (١٨ نوفمبر) موزعة على نقط خط الاتصال بين اسبوط ودنقلة فأرسل اليهم التلغرافات يحثهم على الاسراع في السير برأ وبجرأ الى كورتي فاجتازت المراكب بالجنود شلال حنك الى نيل دنقلة السهل في ٣٠ نوفمبر . وفي هذا اليوم نشر اللورد ولسلي في الجيش كله الأمر الآتي: « الى عاكر الحملة النبيلة وبجربتها .

« ان انقاذ الجنرال غوردون وحاميته المحصورين في الخرطوم منذ زمان طويل هو العمل المجيد الذي ندبتنا اليه جلالة الملكة وهو يحرك عاطفة كل عسكري وبحري حباً بالاشتراك فيه . وجسامه المضاعب التي يستلزمها هذا العمل انما هي بعينها تحركنا الى زيادة الهمة . ففكلتنا نفتخر بالشهامة وانكار النفس الذين يظهرهما غوردون في الدفاع عن حاميته وذلك مما يزيد شهرته

تاريخ الثورة المهدية

العالية ان كانت الزيادة ممكنة بعدد ولكن غوردون لا يستطيع الثبات طويلا في الحصار وهو الآن يدعو لانقاذ حاميته . وشهامته وحبه لوطنه مشهوران في كل بلاد ناطقة بلفنتا فليس أمر انقاذه مما يهم الأمة فقط بل مجرد معرفتنا ان رفيقا باسلا في حاجة الى المساعدة يستفزنا الى اعانته بحمية مضاعفة وما تسمح لنا المروءة ان نتركه يلاقي ما لاقاه رفيقه المقدام ستيورت الذي غدر به الأهلون وقتلوه وهو مجد في القيام بمهمة خطيرة حرجة . وفي يدنا ان نخلص غوردون من ميتة كهذه بعون الله . السير صعدا في النيل وشلالاته شاق جدا ولا يتحمل مشاقه إلا من كانت له أسمى الصفات العسكرية وهي احتقار الاخطار والمصاعب بالحزم والعزم الصفات التي امتاز بها عساكر جلالة الملكة وبحريتها في المارك السالفة . اني عالم بحسامة الموانع التي تعوقنا عن الاسراع في السير ولكن من منا يبالي بهذه الموانع اذا علم ان الجنرال غوردون وحاميته في خطر فانقاذ غوردون وحاميته من الخطر هو الآن بعد الله في ايديكم . وكيف كان الحال فلا بد من انقاذهم بعون الله وبهذا كفاية للعساكر والبحرية الانكليز اه .

جيش الصحراء : وأقام اللورد ولسلي في دنقلة الى ١٣ ديسمبر حتى اجتمع الجيش المحارب كله في كورتي فتقدم اليها مع أركان حربه فوصلها في ١٦ ديسمبر سنة ١٨٨٤ وقسم جيشه قسمين : جيشا يسير بطريق النيل بقيادة الجنرال أرل فيؤدب المناصير الذين غدروا بالكولونيل ستيورت ويتقدم الى ابي حد فيوافيه اليها اللقنت رندل بالمؤن من كورسكو بن معه من المتطوعة المباددة ثم يسير القوتان لفتح بربر . وجيشا يسير بطريق الصحراء الى التمة بقيادة الجنرال البر هربرت ستيورت فيسرع في نجدة غوردون قبل فوات الفرصة . وكان غرض اللورد ولسلي ان يبعث بجيش الصحراء كله دفعة واحدة ولكن لم يتيسر له العدد اللازم من الجمال فجعل محطة في وسط الطريق عند آبار الجكدول وأرسل اليها الزاد والعساكر تباعا .

أما آبار الجكدول فهي عبارة عن ثلاث برك واسعة بين التلال تجتمع إليها مياه الأمطار اثنتان منها وسط تلال شاهقة يشق الوصول إليها .

فلما كان يوم ٣٠ ديسمبر سنة ١٨٨٤ سار الجنرال ستورت بقسم من جيشه حاملاً الذخائر والمؤن ومعه الكبتن كشنر الذي ألحق بقلم المخابرات فترك الزاد والذخائر في عهدة الكبتن كشنر ونقر من الجيش في الجكدول وعاد بمعظم القوة والجمال الى كورتي فوصلها في ٤ يناير سنة ١٨٨٥ وشرع في ترحيل الجند . وفي ٨ يناير سار بباقي قوته الى الجكدول وفي ١٤ منه سار بالجيش كله من الجكدول قاصداً المتمة .

سرية موسى ود حلو : وفي أثناء ذلك كان محمد الخير يبتث العيون والطلائع في بلاد دنقلة والحدود لاستطلاع خبر الحملة ومراقبة حركاتها ويرسلها تبعاً الى المهدي والمهدي . ايضاً يبتث العيون بطريق جبرة لمراقبة الحملة فلما تحقق قيام جيش الصحراء من كورتي قاصداً المتمة أخرج سرية من جيش الخليفة ود حلو قبل فيها نحو ٣ آلاف مقاتل من عرب دغيم وكنانة وهم أخلص انصاره وأشدهم بأساً وعقد لواءها للأمير موسى ود حلو أخيه الخليفة علي ود حلو وأمرها بمقابلة الانكليز في الصحراء .

سرية الجميلين : وأمر محمد الخير في بربر بإرسال سرية من بربر تتضم الى سرية موسى ود حلو فتصدان الانكليز عن الوصول الى النيل . فأخرج محمد الخير سرية من جيشه بقيادة ابن اخيه عبدالمجيد محمد خوجلي وأوعز الى الحاج علي ود سعد فنادى بالنفير العام في بلاد الجميلين فاجتمع عنده وعند ابي الماجد في المتمة نحو ٨٠٠٠ مقاتل فأرسل الطلائع الى الانكليز فرجعوا وقالوا انهم خرجوا من آبار الجكدول قاصدين آبار ابي طليح وهي في منتصف الطريق بين الجكدول والمتمة وليس في الطريق آبار غيرها فلم يعد ينتظر موسى ود حلو بل أسرع بجيشه الى الآبار المذكورة ليمنع الانكليز من ورود الماء ويفتك بهم فيفوز بالفتيمة وحده .

واقعة ابي طليح في ١٧ يناير سنة ١٨٨٥ : وفي ١٦ يناير سنة ١٨٨٥ وصل الجنرال ستيورت الى ظاهر آبار ابي طليح فوجد الجمعيتين قد سبقوه اليها وكان الوقت اذ ذاك العصر فرأى ان يؤخر الهجوم الى صباح اليوم التالي خوفاً من دخول الليل قبل انتهاء المعركة فعسكر في محل حصين قرب الآبار وسهر الليل كله خوفاً من هجوم الجمعيتين . وفي ذلك الليل حضر موسى ود حلو يحميه فانضم على الحاج علي ود سعد . وفي فجر ١٧ يناير سنة ١٨٨٥ نهض الجنرال ستيورت فنظم جيشه مريماً وزحف على الدراويش وهو لا يرتاب من انهم يهاجمونه فاتخذ خطة الدفاع وكانت قوة المربع ١١٥ ضابطاً و ١٦٨٧ عنكبياً انكليزياً و ٨ عساكر مصرية و ٣٤٠ من الخدم و ١٥٣ جواداً و ٢٨٨٨ جلاً و ٣ مدافع وصحب المربع البر شارلس ولسن رئيس قلم الخبايا والكبتن ككتشر اركان حرب الخبايا وصحبه من السوريين جورج افندي زيدان من كبار موظفي الخبايا وامين افندي حداد مترجم الجنرال ستيورت ومن المصريين محمد افندي ابراهيم (محمد بك الآن) مترجم السر تشارلس ولسن .

وبقي الجنرال ستيورت زاحفاً بالمربع حتى صار على ٥٠٠ يرد من معسكر الدراويش فحملوا عليه حملة واحدة في خمس فرق وفرسانهم في مقدمتهم وكان كشاف المربع اذ ذاك على ٢٠٠ يرد من الدراويش فتقهقروا الى المربع حسب الاصول العسكرية فصب المربع حتى انضموا اليه فما انكشف له الدراويش حتى صاروا على ٢٠٠ يرد منه ففتح عليهم أفواه المدافع والبنادق وقتك بهم فتكاً ذريعاً والدراويش مع ذلك يرالون الهجوم حتى اجتمع قتلاهم أكداً . قيل اول من هاجم المربع موسى ود حلو وكان قد أمر أصحابه بأن يكون اهل الاسلحة النارية في جهة وأهل الخيل في جهة والراجلون في جهة ليتمكنوا من الحرب على احسن منوال ولكنهم لما رأوا الانكليز قالوا كيف نرى الكفار امام أعيننا ونصبر عن قتالهم فبادروا بالحملة عليهم جميعاً دفعة واحدة من غير نظام او ترتيب فحصدهم الرصاص حصداً ولم يسل منهم

تأريخ السيوف

إلا طويل العمر وقليل ما هم وكان في جملة القتلى اميرهم موسى ود حلو
والأمير ود برجوب المار ذكره واحد ود بلال من رؤساء دغيم وقد أنشد
شعراء السودان في رثائهم الأشعار فقالوا :

موسى الشهيد وود برجوب وود بلال باعوا الجنات من الدلال
في أثناء ذلك هاجم الحاج علي ود سعد والجعليون فتقلت عليهم نار المقدمة
فذاثروا الى ميسرة المربع ومؤخره وحملوا عليه حملة صادقة فاخترقوه ودخلوا
وسطه وتقهقر عساكر المؤخرة والميسرة الى داخل المربع واختل نظامهم
فاختلطوا بجمال الحملة واشتبك القتال بالسيف والحراب واتفق ان عساكر
المقدمة واليمينه كانوا على ارض مرتفعة فوالوا النار على المهاجمين فصدومهم عن
المربع واشتد القتال داخل المربع وعلا الصياح والضجيج حتى لم تعد تسمع
أوامر القواد فكان كل عسكري يدافع عن نفسه بما بدا له فقتلوا الذين دخلوا
المربع عن آخرهم وبذلك انحلت الواقعة فكانت خسارة المربع ٧٤ قتيلاً فيهم
٩ ضباط و ٩٤ جريحاً فيهم ٩ ضباط . وأما الدراويش فقد زادت قتلام عن
١١٠٠ وزادت جرحاهم عن ذلك وأما الحاج ود سعد فقد قتل ان فرسه قتل
من تحته وأصيب هو بثلاث رصاصات داخل المربع فعد بين القتلى وبقي الى
ان انحلت المربع عن محل الواقعة فأتى أهله وحلوه ورجعوا به مع باقي المهزبين
الى المتمة . وتقدم الجنرال ستيورت الى الآبار فاحتلها عصر ذلك اليوم .

وفي صباح اليوم التالي (١٨) يناير بنى طابيه صغيرة جعل فيها الجرحى
ووضع عليهم مئة رجل لحفارتهم وخفارة الآبار وفي العصر تقدم بباقي الجيش
نحو المتمة فسار بهم الليل كله لأنه أراد ان ينزل النيل الأزرق بدون قتال
وكانت الطريق شائكة والليل مظلمة والجمال تعب فتعبوا ونعسوا فلم يقطعوا
في ١٤ ساعة سوى ١٨ ميلاً .

النور عنقرة وواقعة المتمة في ١٩ يناير سنة ١٨٨٥ : ولما طلع فجر ١٩
يناير أطلوا على المتمة فظنوا انهم ينزلون النيل بلا معارض ، وكان المهدي قد

أرسل النور عنقرة بألف مقاتل من اهل الأسلحة النارية مدداً لموسى ود حلو فوصل المتمة يوم رجوع المهزمين من ابي طليح فبقي فيها متربصاً قدوم الانكليز فلما رأهم مقبلين خرج لقتالهم في الصحراء وهم على اربعة اميال من النيل فجعل ستيورت الجرحى وجبال الحملة على أكمة وأخذ يستعد للزحف على المتمة فأصابته رصاصة طائشة في بطنه فجرحته جرحاً مميتاً وذلك في الساعة العاشرة صباحاً فأحيلت قومندانة الجنود على السر تشارلس ولسن لأنه كان أقدم ضابط بعده فنظم الجيش مريعاً وسار قاصداً النيل وكان النور عنقرة لا يزال متربصاً للربيع فلتقاء بنار حامية واضطر الى الانهزام في اقل من خمس دقائق ونزل النيل عند قبة ابي خروق جنوبي المتمة وكانت خسارة الانكليز في هذا اليوم من القتلى ضابط و ٢٢ عسكرياً ومن الجرحى ٨ ضباط و ٩٠ عسكرياً . وأما الدراويش فقد قتل منهم اضعاف هذا العدد . وفي اليوم التالي أي ٢٠ يناير عاد الانكليز الى جرحام وجبال الحملة الذين تركوهم على التلة وأنوا بهم الى القبة فكان اول واجب على السر تشارلس ولسن الآن ان يسرع لنجدة الخرطوم ولكنه رأى ان يفتح المتمة قبل التقدم الى الخرطوم . فلما كان يوم ٢١ يناير اخذ معظم العساكر والمدافع وزحف على المتمة وقبل مباشرة القتال كتب الى أهلها يدعوهم الى التسليم او الاستعداد للحرب ولما لم يجيبوه أمر الطويحية فرموا المدينة بالقنابل فأجابه الدراويش من حصونهم بالقنابل والرصاص وفيما هم كذلك اذا بالوابورات الاربعة وهي يوردين والصافية والتوفيقية وتل حوين التي أرسلها غوردون لمقاومة الانكليز قد أقبلت وكانت عند وصولهم تتأوش العصاة شمالي شندي فنزل خشم الموس بك ببعض العساكر الى البر وأخبر السر تشارلس ولسن ان الفقيه مصطفى الامين المار ذكره قادم يحيش جرار من قبل المهدي مدداً للدراويش فزجع اذ ذاك عن المتمة وبني طابية عند القبة وطابية اخرى تجاهها على شاطئ النيل ووضع العساكر في الطابيتين والجرحى في طابية النيل وفيهم الجنرال ستيورت .

وفي صباح ٢٢ يناير ركب بالوابورات الى شندي فرماها ببعض القنابل

فوجد أهلها قد هجروها وعاد إلى القبة بعد الغروب وكان قد أرسل بعض الكشافة إلى جهة الجنوب فعادوا في المساء ولم يروا أحداً فأقرّ على التقدم إلى الخرطوم ففُضِيَ يوم ٢٣ يناير في انتقاء العساكر وترميم الواورات استعداداً للفر . وكان اللورد بارسفورد قد صاحب جيش الصحراء على أن يكون قومنداناً للواورات فاتفق أنه كان إذ ذاك مريضاً في الاستيالية وقد قتل أكثر عساكره البحارة في واقعي أبي طليح والمثمة أو جرحوا فانتقى السر تشارلس ولسن ٢٤٠ رجلاً من العساكر السودانية الذين في الواورات فجعلهم تحت قيادة خشم الموس باشا وضمّ إليهم ضابطين و ٢٠ عسكرياً إنكليزياً وأنزل الكل في وابوري بوردين وتل حوين وقطر بأحدهما مركباً مشحوناً ذرة إعانة لأهل الخرطوم وسار بها في ٢٤ يناير نحو الخرطوم تاركاً الكولونيل بوسكوين قومنداناً على العساكر في القبة . ولترك الآن السر تشارلس ولسن سائراً في الوابورين إلى الخرطوم لكشف خبرها ولترجع إلى غوردون وحصار الخرطوم لثرى ما كان من أخبارها بعد حلول المهدي بأبي بعد .

الفصل الثامن عشر

عود ثانٍ الى

غوردون وحصار الخرطوم

سنة ١٨٨٥ - ٤ م

تقدم إن المهدي حل يميوشه في ابي سعد في ١٩ اكتوبر سنة ١٨٨٤ م
٢٨ الحجة سنة ١٣٠١ هـ ففقد بقية الحجة ومحرم سنة ١٣٠٢ هـ في الاستعداد
للحرب لأنه لم يحب الحرب في محرم فلما كان غاية الشهر المذكور أي ١٩ نوفمبر
سنة ١٨٨٤ م كتب الى غوردون يدعوه الى التسليم وهذه صورة الكتاب بعد
البسملة :

و بعد فمن العبد المفتقر الى الله الواثق بما عند مولاه محمد المهدي بن عبد الله
الى غوردون باشا : اعلم اني حضرت بالقرب من ام درمان يميوشي المنصورة
وأصحابي وأحبابي في الله المؤيدين بالنصر من عند الله وكن على يقين اني على
علم من حضور عساكر الانكليز بجهة دنقلة ولكني لست مبالياً بهم ولا بغيرهم
بفضل الله وسيكون لهم اسوة يميوش هكس والشلالي ولا تفرك نصرتك
المتوالية فكل من استشهد بها فهو عن امري رافة بهم لينالوا درجة الصالحين
تصديقاً لقوله تعالى : ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء

عند ربههم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ولولا مراعاة حبيب دماء المسلمين لضربت صفحا عن غياطتكم وبأدركت بالهجومات التي لا أشك في نجاحها فلم تلم انت ومن معك وقد نصحتك وأنصحك وإلا فالجرب بعد ذلك والسلام على من اتبع الهدى .

جواب غوردون للمهدي: فكتب اليه غوردون في الجواب يقول: «لست أبالي بك ولا يجيوشك وليست العساكر الانكليزية بحجة دتقة كما تزعم تضليلا لعقول انصارك واغرائهم بطلب المستحيل بل هم بحجة بربر والمثمة وسترى ما يحل بك ويجيوشك عند مجيئهم من النكال بل اذا لم يأتوا فقي الكفاءة لأن أعرفك قدرك ولا تفرئك كثرة أنصارك فالبغي له مصرع والسلام .» وكتب المهدي الى فرج الله بك ما نصه :

« وبعد فمن العبد المفتقر الى الله الوائق بما عند مولاه محمد المهدي بن عبد الله الى احبابه المكرمين المعظمين وأهل الدراية وهم كبير العساكر وعظيمهم فرج الله وصاحبه عبد النبي ومن انضم اليهم من الأكابر والأصاغر اعلوا وتحققوا احبابي اني لست قائما هذا المقام إلا بدعوة الخلق الى الله وسعادتهم الكبرى ونيل مراتبهم العلية ومنفرهم عما يضرهم من خسيس فاني للذات التي تعقب طول الحسرات وقد بلغتني ان المكرم المعظم فرج الله من ضباط اهل فاشودة الذين يحبونني سابقا وانا بابا من معرفتهم زهدي في الدنيا وصدقي في الطلب لما عند الله وارادة الآخرة ودلاني على الصلاح والفلاح وارشاد العباد الى رضا الفتح ليكتسبوا دائم المطلوب من النجاح فلا تظنوا اننا نطلب أموالكم وما ملكت أيديكم ان سلمت لنا وصرتم من اصحابنا الذين بشرنا سيد الوجود ﷺ بأنهم كأصحابه وأدنى اصحابي رتبة ينال مقام الشيخ عبد القادر الجيلاني عند الله تعالى وفيما ذكرته كفاية لأهل العناية . وأظن انه قد بلغتكم انذاراتي سابقا فلا فائدة حينئذ في التطويل فان سلمت فقد عفونا عنكم ورضينا عليكم وكنتم من الاصحاب المكرمين الذين لهم عند الله حسن المكانة الأبدية فاني المهدي

المنتظر خليفة نبيكم ﷺ فابشروا بالكرامة والفتخامة ان سلمتم لي واتبعتموني. وليكن معلوماً عندكم احبابي ان من لم يصدقني ويتبعني يعمد في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد واني موعود بملك جميع الارض ورأيت نصري في حال الضعف والقلة الى ان بلغت هذا المبلغ واجتمعت عندي أسلحة راشد بك وولد الشلاي وهكس والابيض ودارفور وبحر الغزال وجباخينهم وبشرت بأني لو أردت لقبض الله سلاح الترك بحيث ان اصحابي يقتلونهم ولا يقتلون ولكن اخترت توفيقاً من الله ان ينال اصحابي الشهادة ويبلون في الله لينالوا عظيم المكانة عند الله كما في كتاب الله واقتداء برسول الله ﷺ وأصحابه كما علمت ولتتمدوا هذا زيادة كتبت هذا بخطي والسلام في غاية محرم سنة ١٣٠٢ هـ ١٨ نوفمبر سنة ١٨٨٤ . فلم يحبه فرج الله بك على كتابه هذا .

فلما كان يوم الاربعاء، غرة صفر سنة ١٣٠٢ هـ ١٩ نوفمبر سنة ١٨٨٤ م أمر أنصاره فضربوا نقاير الحرب وأبواقه وصاروا ينادون العساكر ويتهددونهم بالموت العاجل وشرعوا في اطلاق البنادق والمدافع على الخرطوم من كل جهات الحصار .

حصار ام درمان : وفي الوقت نفسه أرسل سرية من الانصار بقيادة أبي عنجة لمهاجمة طابية ام درمان وهي واقعة تجاه طابية المقرن وبينها وبين شاطئ النيل الابيض نحو ٥٠٠ متر ويوصلها بسراري الخرطوم خط تلغرافي وهي عبارة عن خندق عميق من داخله سور منيع مفتوحة فيه المزاغل وعليه الأبراج ومن داخل السور بئر ماء للشرب وفيها اورطة من العساكر المصرية عليهم فرج الله بك قومنداناً فما اقترب ابو عنجة منها حتى انهال عليه الرصاص انهال المطر فرجع عنها خاسراً وقد ترك وراءه ٩٠ بقرة غنية للعساكر فأخبروا غوردون تلغرافياً فأمرهم فأرسلوا ٧٠ بقرة الى الخرطوم وأكلوا الباقي . وفي اليوم التالي هاجم ابو عنجة الطابية مرة اخرى فردّ عنها خاسراً كلمرة الاولى وغنم العساكر ٨٠ بقرة فأكلوا ٢٠ وأرسلوا ٦٠ الى الخرطوم وبذلك امتنع ابو عنجة عن الهجوم وجول على حصر الطابية فنزل عند

شاطئ النيل وحال بينها وبين طابية المقرن وأجهد أصحابه فأقاموا في الليل
متراسين متوازيين متراساً يقيهم مقذوفات الخرطوم وآخر يقيهم مقذوفات ام
درمان وأقاموا طابية عن يمين المتراسين وطابية عن شمالها وجعلوا في كل
طابية مدفعين وشرعوا يرمون الخرطوم وام درمان معاً بالقنابل . وقطعوا
خط التلغراف بين الحاميتين فأصبح أهلها يتخابرون بالاشارة الحربية .

وكان في طابية المقرن بلوك من العساكر النظامية ومدفع واحد فقوّاه
غوردون بمدفعين آخرين ، واوردي باشبوزق وأمر فخرج وابورا الاسماعيليه
والحسيني في النيل الأبيض لمساعدة الطابيتين على طرد ابي عنجة من حصنه
فرماهما بالقنابل فأصابت قنبلة احدى جوانب الاسماعيليه فعطلتها وأصابت
قنبلة اخرى قزان الحسيني ففرقته وقتل قومنداناه مصطفى افندي فأرسل
غوردون الاسماعيليه الى الترسانة وناظر اصلاحها بنفسه الى ان تمّ فأرجعها
لنش الحسيني فما وجد لذلك سبيلاً فأخذ نوتيته وأمتعته وعاد الى الخرطوم .

وفي هذه الأثناء حضر وابور بوردين بكتاب اللورد دلسلي المار ذكره الى
غوردون فأرجعه غوردون الى نصحي في الحال فأمر المهدي أصحابه فبنوا
طابية في الحلفاية وطابية في خور شمبات تجاهها وذلك لمنع الوابورات من
المرور ذهاباً وإياباً بين شندي والخرطوم . وبنوا طابية قبالة كل طابية من
خط نار الخرطوم وثلاث طواب حول طابية ام درمان طابية الى شمالها
وأخرى الى جنوبها وثالثة الى غربيها عدا الطابيتين في شرقيها وجدد المهمة
في مناوشة الحاميتين القتال الليل والنهار فدافع العساكر عن أنفسهم أحسن
دفاع وحملوا الدراويش خسارة تذكر . ولم يقتل منهم سوى البكبائي ابراهيم
افندي سودان قومندان طابية المقرن وبضعة عساكر فسر غوردون من نشاطهم
وتيقظهم وطبع ٩٠ الف غرش من اوراق البون ووزّع عليهم مرتب ستة أشهر
ونصف شهر مكافأة لهم على حسن دفاعهم ووجه رتبة اللواء الى كل من موسى
بك شوقي مدير الخرطوم وفرج الله بك قومندان طابية ام درمان وأمره
فأعطى بالاشارة الحربية أسماء الضباط المستحقين الجزاء وهم البكبائي خليل

تأريخ السودان

افندي عمارة والبكباشي مصطفى افندي عصمت والناسخ حسين افندي محمد واليوزباشي محمد افندي والملازم محمد افندي كريم فرقتى كلا منهم الى رتبة أعلى من رتبته .

اشتداد الجوع في الخرطوم، واشتد الجوع في الحاميتين ولاسيما في الخرطوم حتى صار أهلها يموتون جوعاً في الطريق وكان غوردون قد أوى الرقيق والمساكين والعواجز من النساء والرجال وجعل لهم مرتباً من الذرة كما مرّ فلما اشتد الحال عليه الى هذا الحد أخرجهم الى المهدي بكتاب هذا مقاده :

« اعلم ان الجنس للجنس رحمة وهؤلاء المساكين يشتركون معك في الجنسية وقد قضت الحال باخراجهم من الحامية بعد ان عاشوا فيها سنة على نفقة الحكومة فصار عليك الآن ان تتولى امر معيشتهم فاقبل بهم ما انت اهله . »
 وكان ذلك في اواخر ديسمبر سنة ١٨٨٤ ولم يكن اذ ذاك في المخازن ما يكفي المساكن مرتبهم الشهري فجمع غوردون مجلساً من الضباط من رتبة بكباشي فما فوق برتبة فرج باشا الزيني فأقرّوا على تخفيض المرتب من ٢٠٠ درهم بقسط و ٤٠٠ درهم ذرة في اليوم الى ١٠٠ درهم من البقساط أو الذرة للمسكري النظامي و ١٥٠ درهم من الذرة للمسكري الباشوزق وان يُعطى المساكن مرتب ٥ ايام فمضى انتهت يعطون مرتب ٥ ايام اخرى وهكذا الى ان يمن الله بالفرج فصدق غوردون هذا القرار وامتدح صبر المصريين الذين رضوا بالشدة على أنفسهم دون سواهم .

اشتداد الجوع في ام درمان : ولما كان يوم ٢٨ ديسمبر أرسل فرج الله باشا قومندان ام درمان اشارة حربية الى غوردون بأن مرتبات الزاد للمساكن قد نفدت ولم يبقَ منها إلا مرتب ٣ ايام فاغتم غوردون لهذا الخبر ودعا الضباط العظام في الخرطوم من رتبة قائمقام فما فوق للنظر في حالهم فأقرّوا على الخروج من الخرطوم على المحاصرين وكسب قوت الحاميتين منهم بالقوة .
 خروج حامية الخرطوم في ١ يناير سنة ١٨٨٥ : ولما كان الخميس ١ يناير

سنة ١٨٨٥ أمر غوردون فخرج بجيـت بك بطراكي من باب برّي بخمسمائة من العساكر السودانية ثم تبعه محمد بك الملك بألف من الباشبوزق وقصدا عبد الله ود النور في برّي وخرج البكباشي يوسف افندي عفت بخمسمائة من العساكر المصرية من باب المسلة لحماية ظهر بجيت بك فما قرب بجيت بك من برّي حتى خرج عليه الدراويش فلم يسمعه إلا التقهقر أما محمد بك الملك فاستل سيفه ودفع جواده في وسطهم وقتل قتال الابطال حتى قتل . وفي أثناء ذلك ثار أنصار النيل الأبيض في وجه يوسف افندي عفت وكان قد نظم عسكره قلعة فأمرهم فجلسوا على ركبة واحدة وما زال يطر عليهم من الرصاص حتى هزمهم وأبى الرجوع الى خط النار إلا بأمر غوردون فأمره فرجع فامتدح غوردون بسالته ولا م بجيت بك على عدم ثباته .

خروج حامية الخرطوم المرة الثانية في ٣ يناير سنة ١٨٨٥ : وصبر غوردون الجمعة حتى استراحت العساكر . وفي فجر السبت في ٣ يناير سنة ١٨٨٤ أرسل تلفرافاً الى فرج باشا الزيني يأمره بالتنبيه على عساكر الخميس ان يخرجوا ثانية في طلب القوات للحامية إلا بجيت بك فانه أمر ببقائه على خط النار وذهاب حسن بك البلساوي في مكانه قيل فتمارض البلساوي فولى الأمر للشجاع المفرّب البكباشي السيد افندي امين صاحب واقعة الكلاكلة المار ذكره ووعدّه بالتزقي الى رتبة قائمقام فخرج السيد افندي يجمع العساكر من باب المسلية ونظم عسكره قلعتين العساكر النظامية قلعة قادها بنفسه والباشبوزق قلعة ولى قيادتها للصاغ منصور عبد المال وسار بالقلعتين حتى صار على الف متر من خندق الخرطوم فوقف فجعل قلعة الباشبوزق قبالة انصار المسلية والكلاكلة وتقدم بقلعته نحو برّي .

هذا وكان قد فرّ يوم الجمعة عسكري من الخرطوم الى النجومي وأخبره بأن العساكر خارجون اليه في ثلاث قلعات قلعة تهاجمه في الكلاكلة وقلعة تهاجم عبد الله ود النور في برّي وقلعة تهاجم عبد القادر مدرع تجاه باب المسلية فأرسل النجومي أوامره المشددة الى عبد الله ود النور وعبد القادر

مدرع بالاستعداد للحرب فأمر عبد الله ود النور اصحابه بأن يسقطوا الى الارض ولا يباشروا القتال حتى يقرب المساكر منهم جداً فيخرجون عليهم اذ ذاك ويقتلونهم بالسيف والحرية . ولما قرب السيد افندي امين من طابية برتي ولم يرَ للدراويش حركة علم ان في الامر مكيدة فبعث فارسين يستطلعان طلعمهم فرجعوا وأخبرا بأن الدراويش قد أدخلوا طوابيهم فأرسل فارسين آخرين فلم يريا احداً فسار اذ ذاك بنفسه وأمامه اوردي باشوزق بهيئة «اطلاقجية» حتى اقترب جداً من طوابي الدراويش فأمر الاطلاقجية باطلاق النار فهب الدراويش اذ ذاك من مراقدهم وبأدروهم باطلاق الرصاص فأمر السيد افندي الاطلاقجية فرجعوا الى بين القلعة وشمالها ثم أمر عساكر القلعة فاضطفوا بهيئة طايور وأسرعوا الى خرائب أبلية قديمة فامتلكوها وصبوا على الدراويش ناراً دائمة .

وكان غوردون يشاهد القتال بالمنظار فلما رأى ان السيد افندي قد توغل نحو برتي أمر وابور الاسماعيليه فسار في النيل الازرق ومعه الجبخانه نجدة له فما خرج الوابور من الخرطوم حتى انتشر الدراويش الذيق في الشرق على طول الشاطئ ورموه بالرصاص والقنابل فانقلب راجعاً ففضب غوردون منه وأمره باعادة الكرة فتلقاها اهل الشرق بنار أشد من قبل فرجع ثانية . وأما القلعة الثانية فقد تصدى لها أنصار المسلمية والكلاكلة واندفعوا عليها كالسيل العرم فاضطرت الى التقهقر بعد ان قتلت جماعة من أكابر أمراء الدراويش وفيهم عبد القادر مدرع قائد أنصار المسلمية وعمر ولد الخليفة وغيرهما . ولما عادوا الى الخندق أغلق فرج باشا باب المسلمية في وجوههم وونجهم على ترك اخوانهم عرضة لهجوم الأعداء من وراء فلم يؤثر فيهم توبيخه لأنهم باشوزق لا يعرفون نظاماً فاخبتهم بعضهم بالخندق ولحق بعضهم بالدراويش .

وبقي السيد افندي يحاهد وحده الى ان نفدت منه الذخيرة فأنفذ اشارة حربية الى فرج باشا في طلب الذخيرة وارسل قلعة الامداد الى جهته فأجابه ان قلعة الامداد انهزمت ولا واسطة لارسل الذخيرة وأمره بالرجوع الى

الاستحكام فعاد القهقري حسب الاصول العسكرية . وفي أثناء ذلك أصيب برصاصة في رجله وقتل حصانه فحمله رجاله وعادوا به الى الخندق فألقى غوردون بنفسه ومعه حكيماشي الاستبالية فصافحه وشكر له بسالته ودربته ورفقه الى رتبة قائقام وأمر الحكيماشي فضمد جراحه وبالغ في الاعتناء به ورفق كل ضابط من ضباطه الى رتبة أعلى من رتبته . وكانت خسارة السيد افندي في هذه الواقعة ١٢ قتيلًا وجريحًا وأما الدراويش فقد قتل منهم ٦٠٠ رجل وزيادة وفيهم اميرهم عبد الله ود النور من الفرسان المعدودين فحزن عليه الدراويش حزنًا شديدًا وكان قتله خذلًا صريحًا للمهدي لأنه صرح مراراً بأنه لا يموت في حصار الخرطوم بل يموت في الكوفة .

محاولة اخلاء ام درمان: ومن شدة حزن الدراويش على قتلاهم لم يناوشوا العساكر القتال ليل ذلك اليوم فرأى غوردون ان يفتتم الفرصة ويحاول اخلاء ام درمان وجلب عساكرها الى الخرطوم فأرسل اشارة حربية الى فرج الله باشا يعلمه بذلك فأجاب اني مستعد للخروج بالحامية والمدافعة الى آخر رمق على شرط ان الواور المزمع ارساله لملئنا اليكم يقف في نقطة معينة ويثبت في مكانه الى ان نصل اليه . ففي صباح الاحد في ٤ يناير سنة ١٨٨٥ م أرسل غوردون الواور وأمره بالذي أمره فرج الله باشا فما قرب من النقطة المعينة على الشاطئ حتى ابتدره الدراويش بالقنابل ومنعه من الوصول الى الشاطئ ففكر راجعاً الى الخرطوم فوبخه غوردون فرجع وعاد خائباً كالاول . وكان فرج الله باشا لما رأى الواور مقبلاً قد خرج بنصف عساكره قلعة وترك النصف الآخر في الطابية تحمي ظهره فهاجمه الدراويش وانتشب القتال فثبت حتى رأى ان الواور قد رجع المرة الثانية فقفل راجعاً الى الطابية بعد ان نكل بالدراويش وقتل من عسكره اليوزباشي احمد افندي فهمي والملازم عبد النبي افندي .

تسليم ام درمان الاثنين في ٥ يناير سنة ١٨٨٥

وبعد ظهر الاحد ارسل اشارة حربية الى غوردون يقول ان مؤونة الحامية قد نفدت فاذا لم يف الواور بالشرط السابق ايضاحه اضطر الى التسليم او القتال الى الموت قيل فأذن له غوردون في التسليم . وفي يوم الاثنين ٥ يناير سنة ١٨٨٥ رفع العلم الابيض وكتب الى المهدي بالتسليم وأرسل الكتاب مع الشيخ موسى امام الاورطة فألبسه المهدي جبة مرقعة وأرجعه مع اربعة من اصحابه الى الطابية فأقوه بفرج الله باشا ثم أرسل جماعة من اصحابه فأقوه بالمساكر فسمي فرج الله باشا اميراً على عساكره وجعل له مرتباً قدره ٢٠ ريالاً في الشهر يجري له من بيت المال وأمر اصحابه بعدم التعرض له ولا لرجالهم . وكان غوردون يشاهد حركة التسليم من سراي الخرطوم فشق عليه ذلك جداً قيل وأخذ يضرب الارض برجله ودموعه تجري على خديه وشيع العساكر بنظره الى ان غابوا عن عينيه .

وأذاع محمد احمد خبر تسليم ام درمان في الجهات . وهذا ما كتبه الى عامله عثمان دقنة : « ... وفي هذين اليومين يبلغكم ان شاء الله فتوح الخرطوم فان ققرة ام درمان التي كانت لها كالروح صار فتحها على يد جند الله ووقعت في القبضة بما فيها واطمحل امر الخرطوم ووهى وصار في ضعفة نظراً للفتوح الذي ذكر ولكونه خرج اربع قلعات كبار منها على قصد المحاربة مع الانصار فأهلكهم الله بقدرته ورد كيد اهلها في نحرهم والذي أسر منهم كثير ولما رأى ذلك الباكون الذين داخل الققرة صاروا يخرجون افواجا ليلاً ونهاراً خفية وجهراً حتى اجتمع معنا أناس كثيرون من نساء ورجال وأطفال بعضهم اهل بلد وبعضهم بمالك (عبيد) وما زال جاري خروجهم وذلك لما رأوه من التضييق عليهم وشدة بأس الله الذي حل بهم من حصارنا إياهم . وقد بلغنا ان بعضاً من أعداء الله الانكليز حضروا بدنقلة وأرسلوا منهم جانباً الى جهة المتمة لكي يدخلوا الخرطوم من قبلها والى الآن ما تم وصولهم بها وقد وجهنا

لهم من طرفنا نحو احد عشر ألفاً والبشائر متواترة علينا بهلاك أولئك المخذولين وإن بلغوا في الكثرة عدد الشجر والمدر وزبد البحر ولا فهمكم بما ذكر والعمل كما أشير لزم تحريره والسلام . في ٢٦ ربيع اول سنة ١٣٠٢ هـ ١٣ يناير سنة ١٨٨٥ م .

وقد كان لتسليم ام درمان أسوأ وقع في نفوس اهل الخرطوم فانهم أدركوا به حقيقة الضعف الذي صاروا اليه وازداد ألم الجوع فأخذوا يخرجون الى المهدي مسلمين فنشر المهدي كتاباً لقومه للرفق بمن يخرج من الخرطوم وهذه صورته بعد البسملة :

« وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي الى احبابه وأصفيائه أنصار الدين بالهوي والشرق والغرب وخصوصاً العملاء والرؤوس : وبعد فاذا فهمتم هذا احبابي فالفوا عباد الله الذين يخرجون مسلمين ومنقادين بأنواع التأليف وتلقوهم بالاكرام والتشريف ولا تنظروا لمن استشهد من الانصار فتحققوا بسبب ذلك على من كان مع الكفار فان قيامنا هذا الله ... ومن استشهد من الانصار فقد قال عظيم المقدر فيما فعله لوجه الله ... فاكمروا الذين يأتون مسلمين وخصوصاً العملاء ومن كانوا اهل وظائف كبار وبالأخص نحو الامين الضير فقد قال ﷺ : اكرموا عزيز قوم ذل غني واقتقر ... والسلام . ١٩ ربيع اول سنة ١٣٠٢ هـ ٦ يناير سنة ١٨٨٥ م . »

وكتب ايضاً الى اهل الخرطوم يدعوم الى التسليم بما نصه بعد البسملة :
« وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى كافة أهالي الخرطوم هدام الله الى الصواب ... وقد طالما ذكرتكم بالله ورغبتكم فيما عنده وحذرتكم من وعيده فالى متى الغفلة والتسويق والى متى مبارزة مولاكم بالعداوة أترغبون النجدة والفرج عند الانكليز وتصرفون نظركم عن خالقكم الذي بيده أموركم وقوامكم وهو القوي العزيز فما الانكليز وغيرهم اضعافاً مضاعفة بشيء في جنب قدرة الله التي يمجز عن وصف كتبها كل لبيب ونحبيب وما البوث الا من عند الله القريب المحيى . وحيث فهمت ما ذكر فاني لا

أؤاخذكم بما فات منكم ولا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم
الراحمين فأنبيوا الى ربكم وسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا
تשמرون وعليكم أمان الله ورسوله وأمان العبد لله وليس عليكم حرج فيما
مضى وغايته ان من سلم سلم ومن خالف عطب وندم فهيّا فهيّا ثم هيا الى
طريق الفلاح والنجاح قبل قص الجناح ولا تحشوا من شيء يحصل عليكم فانا
مناظرون فيكم آية قوله تعالى : « واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام
عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءاً يجهالة ثم تاب
من بعده وأصلح فانه غفور رحيم . والسلام » .

وكتب ايضاً الى غوردون كتباً يدعو به الى التسليم هذا نصها بعد البسملة :

الكتاب الاول : « وبعد فمن العبد المقتدر الى الله المعتم به محمد المهدي
ابن عبد الله الى غوردون باشا فسلمت تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن
أعرضت كان عليك إثمك وإثم من معك فقد أتاني الخبر من الرسول ان الجردة
الآتية لو كان معي ستة انفار تموت او خمسة تموت او واحد تموت او وحدي
كذلك ولو كانت مثل ورق الشجر ونبت الوعر وموج البحر وقد أتاني خبرها
انها تموت أيسر من موت جردة ولد الشلاي وهكس والمديريات الغربية كلها
والبحر الابيض وكذلك موعود بجميع البلاد فالامر لله وما دام ان الله القادر
أيدني بالكرامات وبالنصر فلا يضرنني انكار منكر وانما يضر نفسه فقط
والامر الذي وعدت به من رسول الله ﷺ صار . على ان الجردة التي تعتمدونها
ما لها وجه بوصولها لكم من سد الانصار الطرق فان اسلمت وسلمت فقد
عفواً عنك وأكرمناك وسامحناك فيما جرى منك وإن أبيت فلا قدرة لك
على نقض ما أراده الله والسلام . ٩ ربيع اول سنة ١٣٠٢ هـ ٦ يناير سنة
١٨٨٤ م » .

تحشية : وإن طلبت زيادة بعد وصول جوابي هذا فتخبرك المرأة الواصلة
اليك وإن رأيت التمكين واليقين ان أردت التسليم اكثر من هذا الجواب

نرسل لك عبد القادر ولد أم مريوم لزيادة الطمأنينة في الأمان فلا مانع وبذا
لزمت التحشية .

الكتاب الثاني : « وبعد فإن أراد الله سعادتك وقبلت نصحننا ودخلت في
أماننا وضمائنا فهو المطلوب وإن أردت أن تجتمع على الإنكليز الذين أخبرنا
رسول الله ﷺ بهلاكهم فنوصلك اليهم فإلى متى تكذبينا وقد رأيت ما رأيت
وقد أخبرنا رسول الله ﷺ بهلاك من في الخرطوم قريباً إلا من آمن وسلم
ينجيه الله ولذلك أحببت لك ألا تملك مع الهالكين لأننا قد سمعنا مراراً فيك
الخير ولكن على قدر ما كاتبناك للهداية والسعادة ما أجبنا بكلام يؤدي إلى
خيرك كما نسمعه من الواردين والمترددين والآن ما أيسنا من خيرك وسعادتك
ولما سمعنا من الفضل فيك سنكتب لك آية واحدة من كتاب الله عسى أن
يسر الله هدايتك بها إذ جعلنا الله باب الرحمة والدلالة إلى الله ولذلك طالما
كاتبناك لترجع إلى وطنك وتحوز فضالتك الكبرى ولئلا تيأس من الفضل
الكبير أقول لك قال الله تعالى : « ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً »
والسلام . ٢٠ ربيع أول سنة ١٣٠٢ هـ ٧ يناير سنة ١٨٨٤ م . وقد بلغني في
جوابك الذي أرسلته لنا أنك قلت أن الإنكليز يريدون أن يفدوك وخذك
بمشرين الف جنيه ونحن نعلم أن الناس يتقولون من البطال كلاماً كثيراً ليس
فيها وذلك لصدود من أراد الله شقاوته ولا يعلم نفيه إلا من اجتمع بنا وانت
إن قبلت نصحننا فيها ونعمت وإلا أن أردت أن تجتمع على الإنكليز فبدون
خمس فضة نرسلك اليهم والسلام في تاريخه .

فأجابه غوردون برفض التسليم وطلب إليه إرسال عبد القادر أم مريوم
فكتب المهدي .

الكتاب الثالث : « ... فملك أن جوابك رد المحرر منا وصل إلينا وفهمنا
مضمونه وقد عذرناك في عدم إزعانك وإجابتك لنا بالطاعة كما طلبنا منك
وذلك لأنك لم تدري الحقيقة التي نحن عليها وبحسب مقامنا ودلائلنا إلى الله

تاج الشوكان

وشفقتنا على عموم خلق الله حتى من هو مثلك لم يطب قلباً بصرف النظر عنك ولا زلنا ندارجك عسى الله ان يهديك الى سواء السبيل فأجب داعي الله واغتم سلامتك من الشر الويل فقد رأيت ما حل ونزل ولا زلت ترى ولا طاقة لك ولا لأعوانك على حرب جند الله عز وجل وقد ذكرت ان عبد القادر ولد ام مريوم حبيبك وتقبل قوله ونصيحته وطلبت ارساله اليك فعلى م ذا ؟ هل انت منيب الى الله وقصدك التسليم لنا على يد المذكور ام انت على تصميمك في اعراضك ومعاداتك لربك فأفدنا على هذا لنعلم طلبك له على أي الوجهين هو ونرسله لك ان رأينا في ذلك صلاحاً للدين وأقول لك ان عزة الاسلام خير لك وأبقى لدوام احترامك في الدارين فتحل بها ان عقلت والسلام في ٢١ ربيع الاول سنة ١٣٠٢ هـ ٨ يناير سنة ١٨٨٥ م .

ولما رأى غوردون اضطراب اهل الخرطوم علق منشوراً في المراكز العسكرية والشوارع العمومية قال فيه : « انه وان تكن حامية ام درمان قد سلمت فهي انما سلمت بأمرى وانا أعنتى بعائلاتهم هنا وأجري لهم مرتباتهم كالاول وعن قريب ننقذهم من مغالب الأعداء لأنه قد جاءت البشرى بأن الجيش الانكليزي فرق جموعهم في صحراء البيوضة وقتل منهم الوفا ونزلت مقدمته في المتمة وهي مسرعة لاتقاذا وبسبب هذه البشرى عفوت عن احمد بك جلاب مدير الخرطوم وعن اشتركوا معه في مراسلة المهدي وأطلقت سراحهم من السجن » .

وحان ميعاد مرتب الخمسة ايام الثانية من يناير سنة ١٨٨٥ حسباً قرر المجلس العسكري السالف الذكر ولم يكن في المخازن ما يكفي خمسة ايام فعقد غوردون مجلساً برئاسة احمد بك جلاب للبحث عن الذرة في المدينة فلم يجدوا سوى ٣٦ اردباً ثم أمر فجمعت الأبقار والأغنام وثمنت بأثمان باهظة وأعطى اصحابها « رجماً » لتدفع لهم عند رفع الحصار واستشار الأطباء في أكل الصمغ فأقروا على أكله ولما تم جمع الذرة والماشية والصمغ أجرى مرتب الخمسة ايام الثانية من ٦ يناير الى ١٠ منه .

ثم بحث في المجلس عما يجريه العساكر بعد انقضاء هذه المدة فقرّر الرأي على قطع النخيل في جنائن الخرطوم وأخذ قلبه وتحفيفه ففعلوا وكلفوا نساء العساكر فطحنه وخبزته وصاروا ينفقون منه على العساكر مع ما بقي من الذرة والصنع .

ثم كانت واقعة ابي طليح في ١٧ يناير كما مرّ قيل فبلغ خبرها المهدي في ٢٠ منه فأمر فأطلقت المدافع مئة طلقة وظلقة وهي علامة النصر وقد أراد بذلك ان يرم انصاره وأهل حامية الخرطوم بأن رجاله انتصروا على الانكليز. ثم وصل المنهزمون من ابي طليح فأخبروا اخوانهم يهول تلك الواقعة والخسائر التي حلت بهم . وتسلم خبر انكسار النور عنقرة في المتعة ونزول الجيش الانكليزي على النيل فاضطرب المهدي وقومه واشتد النوح والبكاء في مخيمه . وصار عساكر الحكومة الذي في أسر المهدي يفرون منه ويدخلون الخرطوم سباحة في النيل حتى بلغ عدد اللاجئين الى الخرطوم ١٢٠٠ رجلاً وقد حدثوا الحامية عن انهزام الدراويش في ابي طليح والمتعة وعن الاضطراب الحاصل في مخيم المهدي فانتعشوا وأملوا قرب الفرج . وتهلل غوردون فرحاً لهذا الخبر واطمان باله وأعلن رسمياً منح مرتب شهرين مكافأة لجميع العساكر والموظفين الملكية داخل الاستحكام وخارجه وذلك عند تيسر النقود .

وقد أمّل غوردون ان الانكليز بعد هذا النصر الذي ناله لا يلبثون ان يحضروا بالوابورات لنجدته فأصبح في انتظارهم كل ساعة وقلق لتأخرهم عن الميعاد الذي قدره لهم فكنت تراه يقضي أوقاته على سطح السراي والمنظار بيده يوجهه الى الشمال لعله يراهم او يرى آثارهم فيرجع خائباً . وكانت أهل الحامية قد فقد منهم القوات الذي جمعوه في المجلس الأخير وشرعوا في أكل الكلاب والخير والخيول والبغال وصاروا يطلبون ربع الذرة بمئة ريال نقوداً ومئة جنيه ورق بون فلا يجدونه . وكنت ترى النساء حاملات الذهب في أيديهن وهنّ يطفن في الشوارع طالبات ربع الذرة بأربع اوراق ذهباً فلا يجدونه . وإذا حظى صياد بسمكة في الليل باعها في الصباح بخمسين ريالاً او

تسليح السواد

أكثر . وظهر تأثير الجوع في العساكر فهزلت أجسامهم واصفرت ألوانهم وغازت عيونهم وأخذ عساكر الشايقة والسودانية يخرجون الى الدراويش فراراً من الموت جوعاً فشقى الأمر جداً على غوردون وزاد ألم انتظاريته للانكليز وهو لا يعلم السبب الذي يؤخرهم عنه وحار في الوسطة التي يصبر بها عساكر الحماية الى ان تصلهم النجدة وكان قد قضى مدة ولم يدفع لهم مرتبهم نقوداً فجمع قرضاً من التجار والأعيان والضباط بسندات على نفسه ووزعه على العساكر فأصاب كلا منهم مرتب نصف شهر وأصدر منشوراً قال فيه : «اني سبقت فأنتمت على جميع العساكر والموظفين الملكيين بمرتب ٣ أشهر ثم بمرتب ٦ أشهر ونصف شهر ثم بمرتب شهرين والآن اعود فأثبت انعامي هذا وانا في انتظار الانكليز القادمين لنجدتنا كل يوم بل كل ساعة فكلمنا تأخروا يوماً حسبته لكم شهراً وجلالة ملكة الانكليز ضامنة لقولي هذا » ومع ذلك ظل العساكر يخرجون من الخندق فراراً من الجوع .

قرار المهدي على مهاجمة الانكليز : هذا وكان المهدي من الجهة الثانية لما بلغه خبر ابي طليح عقد مجلساً من خلفائه وخاصة اهل مشورته مثل محمد عبد الكريم والسيد عبد القادر ود ساتي علي واحمد شرفي وكلهم من أقاربه ويعقوب اخي الخليفة عبد الله ومحمد نوباوي شيخ بني جرار واحمد كاتب المهدي . حدثني المضيوي عن محمد عبد الكريم قال : اتفق أولاً رأي الأكثرين في هذا المجلس على الهجرة الى كردوفان خشية من الوقوع في قبضة الانكليز فعارضهم محمد عبد الكريم في ذلك وقال : اننا حاصرين اهل الخرطوم حتى صاروا في حيز العدم فاذا تركناهم وبهم بقية حياة وورد عليهم الجيش الانكليزي تقووا وسعوا في اقتفاء اثرنا ومعهم اهل النيل . وايضاً اذا كان غوردون وهو واحد من الانكليز قد اتبعنا كل هذا التعب فكيف يكون حالنا اذا اجتمع على غوردون جيش من ابناء جلسه . فالرأي الأتم هو الهجوم على الخرطوم وأخذها عنوة قبل وصول الانكليز اليها فلم يقبلوا رأيه خوفاً من ان يصيبهم في مهاجمة الخرطوم ما أصابهم في مهاجمة الابيض . واخبرني الشيخ اسماعيل

الازهري عن احدي كاتب المهدي : « ان رأي الهجرة الى كردوفان لم يُشير به احد ولكن عُرض في المجلس رأيان : الاول الزحف على الجيش الانكليزي وصدّه عن الوصول الى الخرطوم مع البقاء على حصرها حتى تضطر الى التسليم جوعاً والثاني مهاجمة الخرطوم وأخذها اولاً ثم الانقلاب على الانكليز . وكان اول من أبدى هذا الرأي محمد نوباوي شيخ بني جرار وقد ضرب لهم مثلاً تأييداً لرأيه قال : اذا طارد صياد صيداً حتى ارهقه ثم عرض له صيد آخر فهل من الرأي ان يترك الصيد الاول الذي ارهقه ويلحق بالثاني الذي لا يزال قوياً ونحن الآن حصرنا الخرطوم حتى أضعفناها فكيف نتركها ونلحق بالانكليز الذين ما زالوا في قوتهم فصدق محمد عبد الكريم هذا الرأي ولكن خالفها الباقون خوف الفشل وقرّر رأي الاكثرين على مهاجمة الانكليز » . فكتب المهدي الجمعة في ٦ ربيع آخر سنة ١٣٠٢ هـ ٢٣ يناير سنة ١٨٨٤ م كتاباً الى ابي قرجة يأمره بالاستعداد للملاقاة الانكليز وصدّم عن النزول في الحلال كما فعل يحيش هكس الى ان يصلوا الى ام درمان ومما قاله فيها :

« ... وقد استحسننا مع الخليفة عبدالله والخليفة علي والخليفة محمد شريف وبقية الاصحاب من النواب وغيرهم توجيهك الى الجردة متولياً على من يسير من هنا وهناك تنظرون فيها ان لزم الأمر محاصرتها تحاصرونها كهبكس فتحصرونها من التصرف في الحلال حتى تصل اليها او ما تروه فيها فقد يرى الحاضر ما لا يراه الغائب والسلام » .

فرار السنجق عمر ابراهيم : وفيما هم كذلك اذ فرّ اليهم من الخرطوم يوم السبت في ٢٤ يناير سنة ١٨٨٥ سنجق من الباشبوزق يقال له عمر بك ود الفقيه ابراهيم الملقب بغرة المينين من اهل الخرطوم وقد أخذ معه راتبه ورواتب عساكر أوردية التي نقده إياها غوردون عن نصف شهر كما مرّ وكان المهدي لا يعلم حقيقة الحالة في الخرطوم اذ جميع الذين فرّوا اليه قبل هذا الرجل كانوا من ضعفاء الناس وليس لهم اطلاع على ماجريّات الأحوال فأخبره عمر المذكور بحال الخرطوم على التام ودله على مواطن الضعف فيها .

نقطة الضعف في خندق الخرطوم : وقد تقدم بان خندق الخرطوم يمتد من النيل الازرق الى النيل الابيض إلا انه لم يكن يتصل بالنيل الابيض إلا في زمن ارتفاعه فاذا انخفض المحسر عن ثغرة يُدخل منها الى الخرطوم بسهولة وكانت الثغرة التي انحسر عنها النيل الى ذلك العهد (٢٤ يناير) نحو ١٥٠٠ متر فمدت العساكر الخندق فيها رويداً متبعين النيل مسافة الف متر وبقي ٥٠٠ متر بين الخندق والنيل كان الماء فيها ضعلاً ولا يمكن نزحه وحفر الخندق إلا بقوة جسيمة والعساكر في هذا العهد لا يقدرّون على حمل انفسهم فضلاً عن حفر خندق مثل هذا ولم يعطوا جراية منذ ١١ يناير فكانوا يقتاتون ما يجدونه من الحيوان والنبات داخل المدينة وغاية ما استطاعه غوردون لأجل سد هذا الخلل في الخندق انه وضع عقبتين (مركبتين) في النيل وجعل في كل منها ضابطاً و ٢٥ عسكرياً .

ترتيب العساكر على خط النار : وكان لخط النار كما علمت ثلاثة ابواب : باب الكلاكلة تجاه حلة الكلاكلة قرب النيل الابيض وباب برّي تجاه حلة برّي قرب النيل الازرق وباب المسلية في الوسط . وكان عليه خمس اورط من العساكر النظامية اورطتان مصريتان وثلاث اورط سودانية ومعهن ٢٥ اوردياً من الباشبوزق الشايقية والاتراك والمتطوعة موضوعة على الترتيب الآتي مبتدئاً من جهة النيل الابيض :

اورطة مصرية فيها ٣٢٠ رجلاً فقط بقيادة يوسف افندي عفت . يليها عشرة ارادي باشبوزق بملاحظة القائمقام عثمان بك حشمت يمتدون الى باب الكلاكلة . ويليهن الاورطة الثانية المصرية وعليها القائمقام فرج بك صالح بدلاً من السيد بك امين الذي جرح في برّي . ثم ثلاثة ارادي باشبوزق شايقية . يليهم اورطة سودانية بقيادة البكباشي علي افندي صقر . ثم تسعة ارادي باشبوزق بملاحظة القائمقام سرور بك بهجت . ثم الاورطة الثانية السودانية وعليها البكباشي محمد افندي عثمان . ثم اورديان باشبوزق بملاحظة احمد افندي

حماية ثم الاورطة الثالثة السودانية وتمتد الى النيل الازرق وعليها البكباشي محمد افندي دسوقي .

وقد جعل خط النار كله قسمين : قسم اليمين ويمتد من النيل الابيض الى باب الكلاكلة وعليه الميرالاي حسن بك البهلساوي قومنداناً وقسم الشمال وعليه بجيت بك بطراكي قومنداناً . والكل بقيادة القومندان العام الفريق فرج الله الزيني .

قرار المهدي على مهاجمة الخرطوم : فدل السنجق المذكور المهدي على هذا الترتيب وعدد المساكر وشدة الحال التي صاروا اليها كما دله على نقطة الضعف في خط النار فجمع مجلس شورا (نلست) وأخبرهم بما آتاه امر المذكور فأجمعوا كلهم على مهاجمة الخرطوم . قيل وفي يوم الاحد (٢٥ يناير) أتى هجان من المتمة وأخبر المهدي ان الواورات خرجت من القبة في فجر ٢٤ يناير قاصدة الخرطوم فأقر المهدي اذ ذاك على مهاجمة الخرطوم في الحال . وفي المساء (ليلة الاثنين) اجتاز النيل على المراكب ومعه خلفاؤه من أراد الجهاد من اصحابه في ابي سعد ونزل بالقرب من معسكر النجومي عند شجرة نحو بك وأمر جميع اصحابه فحضروا بين يديه وكان النجومي قد أرسل يطلب عبد الله ود جبارة وأبا بكر ولد عامر بن معها من الانصار المحاصرين بحية الشرق فحضروا ايضاً واجتمعوا كلهم حول المهدي في شكل نصف دائرة وهو في الوسط فقال لهم ان سيد الوجود امرني بمهاجمة الخرطوم في فجر غد الاثنين فهل انتم مستعدون لاقتحام الخندق وعدم المبالاة بما سيكون قالوا كلهم نعم ثم قال هل انتم طالبون الجهاد في سبيل الله بنية صادقة وقلوب سليمة قالوا نعم فقال وهل تثبتون فيه ولو مات منكم الثلثان قالوا نعم فرفع يديه اذ ذاك الى السماء فرفع الجميع ايديهم وقرأوا الفاتحة ثم استل سيفه وضرب به الهواء ثلاث مرات وهو يقول الله أكبر ثم قال هيا هيا على الخرطوم . ثم أرسل أوامره الى جماعة الشيخ العبيد في الشرق بمهاجمة سراي الشرق وجزيرة

توفي في الوقت الذي يهاجم النجومني فيه الخرطوم وعاد هو وخلفاؤه الى ابي سعد فوصلها في بقية ليلته المذكورة .

استعداد غوردون الاخير : وكان غوردون يقضي أكثر أوقاته على سطح السراي ويده النظارة يرقب حركات الدراويش المحاصرين من الشرق والغرب والجنوب كما يرقب مجيء الانكليز لنجدته من الشمال . وفي مساء الاحد بيانا كان ينظر الى جهة ابي سعد رأى الدراويش يمتازون منها الى الجزيرة ويحتمون عند شجرة عو بك بالقرب من معسكر النجومني . فلم ان الدراويش قد أقرؤا على مهاجمة الخندق قريبا فأعلن تلغرافيا الى جميع القومندات على خط النار ما عول عليه الدراويش وأمرهم بالتيقظ وأخذ الأهبة لأنفسهم والاستعداد للدفاع ثم قال ان الجنود الانكليزية لا بد ان تكون هنا قبل ظهر الغد فاذا ثبتم الى ذلك الحين نجوتم لا محالة . ثم جمع الموظفين المالكين وأعيان المدينة وكل من له قدرة على حمل السلاح وأرسلهم الى خط النار لمساعدة الماكر على الدفاع .

سقوط الخرطوم الاثنين ٩ ربيع الثاني

سنة ١٣٠٢ هـ ٢٦ يناير سنة ١٨٨٥ م

هذا ما كان من غوردون وأما النجومني ومن معه من الجيوش فانهم باتوا تلك الليلة بين مهلل ومكبر ومصل . وقبل طلوع الفجر بساعة زحفوا على الخرطوم وقد انقسموا فرقتين يمين وشمال فقاد النجومني فرقة الشمال وهي الفرقة الكبرى وهاجم قسم اليمين من خط النار جهة البحر الابيض وقاد ابو قرجة فرقة اليمين وهاجم قسم الشمال من خط النار جهة البحر الازرق وقد جعلت كل فرقة منها رجال الاسلحة النارية في مقدمتها فانتشروا أمام خط النار بصفة شرخجية وأبقوا الطويحية في الطواحي . وقبيل الفجر فتحوا أفواه البنادق والمدافع على خط النار فنهض الماكر اذ ذاك ووجهوا نيرانهم الى طواحي الدراويش وشرخجيتهم

والوا عليهم رمي الرصاص والقنابل ولم يكن لهم علم بالمهاجرين من الجناحين فدخل عربان النجومى من الثغرة التي دلم عليها عمر الفقيه وأعملوا السيف والحربة في الاورطة الاولى حتى قتلوا معظمها وفيهم قومندانها يوسف بك عفت والتجأ من بقي الى المركبين في النيل الابيض وعبروا النيل الى ام درمان . وأما ارادي الباشبوزق العشرة التي تلي هذه الاورطة فان اكثر عساكرها تركوا الخط فدخلوا المدينة او نجوا الى الصحراء وثبت الباقون فحاربوا الى ان قتلوا وفيهم من السناجق علي آغا واني ومتو بك وعبدالهادي آغا ومحمد بك كرسي ومحمد بك قرضية ونصر بك . وأما عثمان بن حشمت قومندان الارادي المذكورة فانه كان في جملة من دخلوا المدينة فقتل بعد حين في منزله . ثم انقلب الدراويش على الاورطة الثانية المصرية فنظم ضباطها العساكر ثلاث قلمعات وحاربوا الى ان قتلوا . وأما قومندانها فرج بك صالح فانه جاهد قدر المستطاع ثم لجأ الى الصحراء . ودخل بعض أنذال الدراويش على السيد بك امين وهو على فراشه في غرفة قرب اورطته فطعنوه بالحرايب وتركوه يخبط بدمائه ولطول أجله لم يموت . وأما حسن بك البهناوي قومندان قسم اليمين كله فانه كان واقفا بطابية باب الكلاكلة فلما رأى ما حل بالعساكر خلع ثيابه العسكرية وتعدى الخندق الى جهة الصحراء فوقع أسيراً . وبعد ان أجهز الدراويش على عساكر قسم اليمين انقلبوا على قسم الشمال وكان في أوله ٣ ارادي باشبوزق كما مر فدخل بعضهم المدينة وثبت البعض الآخر فحاربوا الى ان قتلوا وفيهم من السناجق محمد بك السنجق وبشير بن خشم الموس بك ومحمد علي بن نعمان . ثم زحف الدراويش على الاورطة السودانية الاولى فقتلوا قومندانها علي افندي صقر ومعظم ضباطها . ثم انقضوا على الارادي التسعة الباشبوزق بقيادة سرور بك بهجت فمنهم من حارب وقتل ومنهم من فر . وأما فرج باشا الزيني قومندان «ساكر العام» فانه لما رأى انكسار العساكر خلع ثيابه العسكرية وفتح باب المبلية وخرج منه فاراً الى الصحراء ومع سرور بك بهجت . وزحف الدراويش على الاورطة الثانية السودانية بقيادة البكباشي محمد افندي

عثمان فثبت أمامهم وحاربهم حتى قُتل هو ومعظم الضباط والعساكر وخرج من سلم من باب المسلية الى الصحراء..

ثم لما فتح باب المسلية دخل منه كثير من الدراويش المهاجرين وزحفوا على الباقي من عساكر قسم الشمال في جهة بري وهم الاورطة الثالثة السودانية وارديان من الباشبوزق ومعهم بخيت بك بطراكي قومندان قسم الشمال العام واذا شب القتال بين الفريقين . وفي أثناء ذلك دخل ابو قرجة يحيوشه من باب برتي فهاجوا بخيت بك من الوراء وحصلوه في الوسط وبقي يقاتلهم الى ان قتل حمة الله عليه وقُتل معه اكثر الضباط والاعيان الملكية وفيهم محمد بك ابراهيم ابو بكر الجر كوك وعصمت بك رئيس التلغرافات ومحمد بك القباني قومندان عموم الطويحية . وأما حسن بك القباني واحمد بك ابو القاسم فانها نزلوا في صندل مع نفر من العساكر . وفر البكبائي احمد حاية مع بعض الضباط الى جهة الصحراء .

هذا وكان الدراويش الذين نكلوا بقسم اليمين من خط النار أي بجهة النيل الابيض قد انقلبوا على البلد فأدركوا الكثير من الفارين اليها في الطريق فقتلهم ودخلوا المدينة فوجدوا الكثير من أهلها قد أقفلوا ابواب منازلهم تخلصاً من القتل فكسروا الابواب ودخلوا المنازل وقتلوا من وجدوه فيها أشنع قتلة وأخذوا اموالهم وسبوا حريمهم وفي جملة هؤلاء موسى باشا شوقي مدير الخرطوم والمفتي شاكروا ابنه وعثمان بك حشمت المار ذكرهم . ذلك مع اشتغال كثير من الدراويش بالنهب والسلب وارثكاب الفظائع والموبقات فعلا الصراخ والمويل في المدينة وكان هول تلك الساعة عظيماً .

قتل غوردون ، قيل وكان اول من اخترق خط النار ودخل الخرطوم محمد نوباري شيخ بني جرار المار ذكره فأخذ فصيلة من عربانه وقصد سراي الخرطوم طالباً غوردون وكان غوردون قد صعد على سطح السراي من قبل الفجر لمشاهدة القتال ولم يكن معه في السراي سوى خادمه محمد ادريس وثلاثة من القواصة وعلى باب السراي ضابط وبعض الحفراء فلما أقبل العرب مهاجرين

السراي تلقاهم الخفراء بالرصاص فقتلوا منهم ٦ رجال ولكن العرب تغلبوا عليهم لكثرتهم فقتلهم عن آخرهم وصعد جماعة في سلم السراي وفي مقدمتهم محمد نوباري فوجدوا غوردون واقفاً عند رأس السلم بلبائه العسكرية والسيف عن جنبه فقال لهم : « أين محمد احمد ؟ » فأجابوه بالطمع بالحراب وكان اول من طعنه محمد نوباري وقبل ان قاضت روحه مسكوه برجله وجروته على السلم بنسوة بربرية الى اسفل السراي ثم قطعوا رأسه وحملوه الى المهدي في ابي سعد . وقد شاع ان المهدي أوصى قومه ألا يقتلوا غوردون بل يأتيوه به حياً ليفتدي به عراي باشا ولكن هذه الاشاعة لم يذكرها ثقة من محاصري الخرطوم وليس في كتب المهدي ما يصدقها او يشير اليها . حدثني ثقة قال : اني ذهبت مع ابي عنجة الى سراي الخرطوم توّاً بعد قتل غوردون فوجدنا جثة غوردون ملقاة في اسفل السلم عارية بلا رأس وهي مزرقة بالدماء مشخنة بالجراح ثم صعدنا في سلم السراي الى الدور العلوي فوجدنا في الغرفة ثلاثة قتلى ودخلنا غرفة الطعام وهي غرفة مكتبة الخاص قرأنا على المائدة صحناً فيه بيض مقلي ويحاربه علبه لحم صغيرة في وسطها شوكة والى جانبها معلقة صغيرة وصحناً آخر فيه قطعة من السكر ثم دخلنا غرفة النوم فوجدنا الكيلة مدلاة على السرير والمرابات وصناديق الثياب الجلدية على حالها . قال عدني اني لا أشك في ان محمد نوباري شيخ بني جرار هو قاتل غوردون وقد قطع رأسه وأخذه الى النجومي فأرسله النجومي الى الخليفة شريف فأتى به الى المهدي فأرسله المهدي الى سلاطين باشا وهو في السجن مقيد بالحديد ليتحقق انه رأس غوردون ثم علقه في المشقة ثلاثة ايام .

هذه نهاية تلك الرواية المزعزعة التي مثلها ذلك البطل العظيم في حصار الخرطوم فمثل فيها الشهامة وانكار النفس وحب الانسانية أحسن تمثيل وسيبقى ذكره في التاريخ موضوع التجلة والاعتبار ما بقيت الخرطوم وذكر حصار .

سقوط باقي نقاط الحصار : أما طابية المقرن فان قومندانها الصاغ ابراهيم

الشيخ لما رأى انتشار الدراويش في المدينة كلها وان لا فائدة في المقاومة رفع العلم الابيض علامة للتبليغ ولكن الدراويش لم يبالوا بالعلم الابيض بل دخلوا الطابية وقتلوه هو ومن معه. وفي الوقت الذي هجم فيه النجومي على الخرطوم هاجم رجال الشيخ العبيد سراي الشرق ونقطة جزيرة توتي عملاً بأمر المهدي وكان قومندان النقطين عبد الله بك العبد في سراي الشرق فدافع دفاع الابطال ولكن تكافؤ العرب عليه فقتلوه هو ومعظم رجاله وأخذوا النقطين منه عنوة .

واستمر القتل في اهل الخرطوم من لدن طلوع الفجر الى قرب الضحى حتى امتلأت الطرق من جثث القتلى قليل وكان جملة من قتل من اهل الخرطوم نحو ٣٥ الف نسمة وأما الدراويش فلم يقتل منهم إلا القليل . وقد أوقف القتل في اهل الخرطوم بأمر المهدي قليل لما أخذوا له رأس غوردون وأخبروه بما كان لهم من النصر على الحامية أمر اصحابه فكفوا عن القتل وذلك في الساعة الخامسة حساباً عربياً .

الفنائم والأسرى : ثم صدر الأمر الى الامراء يجمع الأسرى والفنائم في ديم النجومي خارج الخندق فطافوا المدينة ودخلوا المنازل منزلاً منزلاً فساقوا من وجدوه فيها من الناس أسرى وأخذوا أموالهم غنيمة وكان إبراهيم باشا فوزي المحافظ في جملة هؤلاء . وقد عذبوا كل من ظنوا به انه أخفى أمواله حتى أظهرها . ثم أوقفوا الخفراء من النساء والرجال في ابواب الخندق الثلاثة ففتشوا الأسرى وهم خارجون وجردوهم من كل ثمن وتركهم عراة الرؤوس حفاة الأقدام وجمعوا الكل في مكان واحد في المراء وجعلوهم قسمين أحراراً وأرقاء أما الأرقاء فقد أرسلوهم مع الفنائم الى بيت المال وأما الأحرار فقد جعلوهم ايضاً قسمين النساء والرجال ففرزوا الابكار والحسان من النساء وأرسلوهن الى المهدي فاختار منهن عشرين وأرسل الباقيات الى الخلفاء فانتقى كل منهم من حسنت لديه ووزعوا الباقيات على الامراء الأكبر فالأكبر وأما غير الحسان من النساء والمعجائز فقد تركوهن وشأنهن . وأما الرجال فعند

فرزم وجدوا بينهم فرج باشا الزيني وسرور بك بهجت وحسن بك البهساوي فأدخلوهم المدينة أولاً أمروهم ان يسلموا أموالهم فسلموها بعد تهديدهم بالضرب ثم عقد المهدي مجلساً مع الخليفة عبد الله واحمد ود سليمان امين بيت المال في شأنهم فأقروا على قتل فرج باشا الزيني وسرور بك بهجت ورمي جثتيهما على تربيقي السعيد باشا وحسن باشا ابراهيم اللذين قتلا لخيانتهما في واقعة الحلفاية كما مرّ وأنفذ القرار فيها وأما حسن بك البهساوي فقد أطلق سبيله ولكنه جرد من نسائه وقد اتخذ المهدي ابنته زوجة له وترك باقي الأسرى بلا قوت حتى مات بعضهم من الجوع فرفعوا أمرهم الى المهدي فأمر الحاج خالد العمري الذي سمي أميراً على الخرطوم فحصر أسماهم في كشف وسله الى امين بيت المال فأجرى لكل منهم نصف غرش في اليوم وبقي على ذلك مدة يسيرة ثم تركهم وشأنهم فاشتد الحال عليهم حتى كان الموظف الكبير او الضابط يضطر ان يخدم في السوق او ينقل الماء من النيل ليلقى لقمة او حفنة من الذرة يسد بها رمقه فرفعوا شكواهم الى المهدي ثانية فوزعهم على الرايات وجعل لكل منهم ربع ريال في الاسبوع .

هذا ما كان من جهة الأسرى وأما الغنائم فقد جمع منها شيء كثير من الأسلحة والذخائر والنقود والأمتعة ما عدا المراكب والوابورات وكان الباقي في الخرطوم من الوابورات اذ ذاك : المنصورة والفاشر والاسماعيلية وشبين والمسلية ومحمد علي .

وعلم المهدي ان بعض أصحابه أخفوا من الغنائم فأصدر اليهم منشوراً شديد اللهجة يحذرهم من الغلول في الغنائم ورد جميع ما أخفوه الى بيت المال . وكتب الى عماله يخبرهم بفتح الخرطوم وهذا ما كتبه الى محمد زقل عامل دارفور بعد البسملة :

« وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى حبيبه في الله وعامله وابن عمه محمد خالد تولاه الله بلطفه وحرسه بعين عنايته آمين منا لكم السلام ورحمة الله وبركاته ثم اعرف الحبيب انه بمقتضى وعد الله الوفي ولطفه

الحقيقي قد صار فتوح مدينة الخرطوم بعون الله الحي القيوم وذلك بيوم الاثنين الموافق ٩ ربيع آخر سنة تاريخه بعد انقلاق الصبح بواسطة أنصار الدين فقد استعدوا واقتحموا الخندق توكلًا على رب العالمين فلم يكن قدر ربيع ساعة أو أقل إلا وحلّ بأعداء الله ماحلّ من قطع دابرهم عن آخرهم مع شدة استعدادهم وفي أول الصدمة ولوا الأدبار منهزمين بين يدي جند الله الأنصار ظانين السلامة بدخولهم الحيشان واغلاق أبوابها فاتبعوهم ضربًا بالسيوف وطعنًا بالرماح حتى كثر الصياح واشتد الأنين وجندلوهم في الحين ثم استحصلوا على الباقيين الذين أغلقوا الأبواب خشية من نزول العذاب فأخذوا وقتلوا لقتيلًا ولم تبق لهم بقية إلا القليل والموالي والذرية. وأما عدو الله الفوردون فعلى قدر ما أنذرناه ولاطفناه بأن يرجع وينيب إلى الله فلم يكن ليفعل ذلك لنبوق شقاوته وزيادة غباوته حتى بلسغ أجله منتهاه وحصد بالندامة ما زرعه من خطايا وأسكنه الله دار غضبه التي ساءت مستقرًا ومقامًا فقطع دابر القوم الذين ظلموا والمحمد لله رب العالمين فويل لمن كانت النار جزاءه ومنينًا لمن كانت الجنة مسكنه وماواه جعلنا الله وإياكم من الفائزين برضائه الأكبر وعظيم خيره المستقر وقد فاز بالشهادة عشرة من أصحابنا في هذا الفتوح ولم يصب الباقيين شيء من جراح أو نكبة وذلك بفضل من الله وما النصر إلا من عند الله وقد سجدنا شكرًا لله على نصرته الدين فافعلوا أنتم كذلك والسلام ١٢ ربيع آخر سنة ١٣٠٢ ٢٩ ٨ يناير ١٨٨٥ م ٠٠٤

الفصل التاسع عشر

عوداً الى

تاريخ الحملة الانكليزية سنة ١٨٨٥ م

المر تشارلس ولسن وكشف حال الخرطوم : ولنرجع الآن الى السر تشارلس ولسن الذي تقدم انه سار بوابوري بوردين وتل حوين من القبة في صبح ٢٤ يناير سنة ١٨٨٥ لكشف حال الخرطوم فانه ما زال سائراً بلا معارض حتى وصل ود حبشي في رأس شلال السبلوكة . فتلقاه الفقيه مصطفى الأمين بالقنابل والرصاص وكان قد أرسله المهدي نجدة الى النور عنقرة ومقاومة الواويرات فأقام في ود حبشي وبني طابية فرماه السر تشارلس ولسن ببعض القنابل ومرق منه مروق السهم وذلك عصر ٢٥ يناير . وفي صباح ٢٦ يناير وهي ساعة سقوط الخرطوم ارتطم وابور بوردين في صخرة فعلق بها فأفرغ شحنه وأخرج منها ثم لم يسر إلا قليلاً حتى غرز في رملة فأخرج منها فكانت عاقته في الحادثين ٢٤ ساعة . وفي عصر ٢٧ يناير وصل شمالي الثمانيات فرماه الأهليون بالرصاص وجمع رجلاً ينادي « الخرطوم سقطت والفوردون مات » فلم يصدقه وسار حتى أتى الثمانيات فقطع الحطب وقوداً للوابورين وبات فيها ليلته الى فجر ٢٨ يناير فاستطرد السير جنوباً الى الساعة ١١ من الصباح فأطل على

الخرطوم وهو اذ ذاك شمالي الحلفاية في النقطة التي طالما وجه غوردون نظره اليها ليرى تبشير النجدة وهناك سمع ايضاً رجلاً ينادي : « الخرطوم سقطت والغوردون مات » .

وكان خبير الوابورين قد وصل المهدي فأصدر أمره الى أمرائه في الشرق والغرب والخرطوم بالاستعداد لصدّهما فأقام اهل الشرق خط نار في الحلفاية وآخر في جزيرة توتي وتحصن ابو عنجة في طابية ام درمان بالغرب والنجومي في طابية المقرن بالخرطوم فما اقترب السر تشارلس ولسن بالوابورين من الحلفاية حتى ابتدره اهلها بالقنابل والرصاص فلم يبال بها وتقدم نحو الخرطوم حتى اقترب من المقرن فانهاالت عليه القنابل والرصاص من جزيرة توتي وطابية ام درمان وطابية المقرن فتيقن اذ ذاك ان الخرطوم قد سقطت ففعل راجعاً نحو المتمة وما لحجا من الخطر حتى العصر . قيل وقد أشغل الوابورين بال المهدي جداً فما سرّ بالنصر على الخرطوم ولا هدأ له بال حتى رأها عائدتين عن الخرطوم . حدثني السيد اسماعيل الازهري قال : « انت المهدي عند سماحه بخبر الوابورين أرسل الطلائع لمرافقتها وموافاته بأخبارها تباعاً الى ابي سعد فلما قربا من الخرطوم صاح الخليفة عبد الله بقومه وسار بهم الى ام درمان فضم جميع الاسلحة النارية الى أبي عنجة في طابية ام درمان وأرسل الى النجومي واهل الشرق بالتيقظ وبذل الجهود في مقاومة الوابورين . أما المهدي فانه صلى الظهر جماعة في مسجده بأبي سعد ثم رفع يديه نحو السماء وبكى وقال « اللهم يا قوي يا عزيز انصرونا على الترك وأعوانهم الشايكية والانكليز » ثلاث مرات ثم خرج فركب جواداً وأردف خلفه الشيخ ود ارباب من مشائخ الدين بالخرطوم لأنه كان عاجزاً هرمًا وسار حتى أتى شجرة بين ابي سعد وام درمان فزّل تحتها فسبيت بشجرة الحضرة قيل لأن قد هبطت عليه هناك « حضرة » . وعند نزوله ناوله احمد ود سليمان امين بيت المال سيفاً فاستله فوجد مكتوباً عليه بماء الذهب هذه الآية « نصر من الله وفتح قريب » فاستبشر بذلك فجمع بعض الحضور أحرف الآية بالجلّ فوجدها ١٣٠٢ وهي السنة التي كالوا

كتاب الشجرة

فيها فزاد استبشاراً وبقي تحت الشجرة الى ان رجع الوابوران فرجع الى ابي سعد فرحاً مشرح الصدر .

هذا ما كان من المهدي وأنصاره أما السر تشارلس ولسن فكل قارىء يعلم مقدار الاسف الذي تولاوه وهو راجع الى قومه بخبر سقوط الخرطوم الذي ذهب بأتماب الحلة أدراج الرياح وأقل ما يتمناه القارىء له الزجوع الى قومه بالامان والراحة ولكنه ما وصل جبل الرويان عند قدم شلال السبلوكة حتى ارتطم وابور قل حوين في صخرة ففرق قيل ان ربهانه اتفق مع عبد الحميد بك احد ضباط الشايقية ففرقه عمداً وقد فرّ الى المهدي توأ بعد غرقه وذلك في عصر ٢٩ يناير . وفي المساء أتى رسول بكتاب من المهدي الى الانكليز والشايقية الذين على الوابورين يخبرهم بسقوط الخرطوم وموت غوردون ويسألهم التسليم فأجابه خشم الموس بك مخادعاً له « اذا ضمنت لنا السلامة نسلم للفقير مصطفى الامين في ود حبشي » . ونقل السر تشارلس ولسن أمتعة تل حوين ورجاله الى وابور بوردين وسار حتى أتى جزيرة مرثاب على ٣ أميال جنوبي ود حبشي فارتطم في صخرة تحت الماء ففرق وذلك في ٣١ يناير فأنزله السر تشارلس ولسن ورجاله وأمتعته الى البر الشرقي وأرسل اللقثت ستيورت ورتلي في قارب الوابور الى القبة يطلب النجدة فلما مرّ بود حبشي رماه الدراويش بالرصاص والقنابل فلم يصيبوه بضرر وبقي مجدداً السير حتى وصل القبة الساعة ثلاثة من صباح ١ فبراير فأخبر قومه بسقوط الخرطوم ونكبة السر تشارلس ولسن .

وكان اللورد تشارلس بارسفورد قد تعافى من مرضه فأخذ بعض العساكر في وابور الفصاية وأسرع لنجدة السر تشارلس ولسن فلما قرب من ود حبشي بادره الدراويش بالقنابل وقد اضطر ان يسير على ٧٠ يرداً من الشاطئ لقلة ماء النيل اذ ذاك فأصابته قنبلة فزان الوابور فغطته فرسى به في البر الشرقي على ٥٠٠ يرد من ظابية العدو ليصلحه ومع ذلك فان مدافعه وبنادقه لم تكف عن العمل فأبلى بالدراويش وقتل قائدهم احمد ود فنته . وكان السر تشارلس

ولسن قد شحن أمتعته في ثقتَر وجِره بإزاء الشاطيء وسار هو ورجاله في البر محاذياً له حتى وصل الى حيث اللورد تشارلس بارسفورد فشاركه في محاربة الدراويش الى ان أصلح القزان فزَل هو ورجاله وأمتعته في الوابور وقفلوا كلهم راجعين الى القبة فوصلوها مساء ٤ فبراير .

هذا وقد وجَّه فريق من الانكليز اللوم على السر تشارلس ولسن لعاقبته في القبة وألقوا عليه تبعة سقوط الخرطوم فقالوا لو انه أسرع لنجدة الخرطوم حال التقائه الوابورات في المتمة أي صباح ٢١ يناير لأدرك الخرطوم قبل السقوط ومنع سقوطها. فدافع السر تشارلس ولسن عن نفسه بكتاب خاص نشره بين قومه وانتصر له جماعة منهم فقالوا ان أحوال المتمة وسلامة جيش القبة قضت عليه بهذه « العاقبة » وايضاً فان المهدي لم يتأخر عن مهاجمة الخرطوم إلا مصابرة لها ليضطرها الى التسليم جوعاً . ويكفي نفسه الحسائر ما أمكن ولكنه كان يرقب حركات الانكليز والوابورات وهو مصمم على مهاجمة الخرطوم حال علمه بتحرك النجدة اليها وقالوا بل لو وصل الوابوران الخرطوم قبل مهاجمة المهدي لها ما امتنع عن مهاجمتها ولا أمكن الحامية حينئذ صده عنها فسقوطها بعد الضعف الذي صارت اليه من قبل وصول الجيش الى القبة كان أمراً محتوماً سواء حضر الوابوران لنجبتها في الحال او تأخرا . ولكل من الفريقين أدلة كثيرة يؤيد فيها رأيه . على ان المسألة الهامة في هذا البحث هي هذه : أكان تأخر السر تشارلس ولسن في القبة بما تستلزمه القواعد الحربية أم كان في امكانه السفر الى الخرطوم حال التقائه الوابورات لأننا قد رأينا ان المهدي لم يقر على مهاجمة الخرطوم بل أحجم عنها خوف الفشل حتى فر الى ذلك السنجق الشقي ودله على مواطن الضعف فيها وهون عليه أمر افتتاحها فلو أمكن السر تشارلس ولسن نجبتها حين التقائه الوابورات (أي صباح ٢١ يناير لوصلها قبل فرار السنجق منها) (٢٤ يناير) ومنع مهاجمة المهدي لها . ثم لو وصل الوابوران بالزاد الى الخرطوم لأنمسا حاميتها أي انعاش وزاد خوف المهدي من مهاجمتها . حتى لو صح انه كان يهاجمها بعد

وصولها لاحتمل انه كان يُصد عنها . وعليه فالتأخر عن مجدة الخرطوم الى ما بعد ٢٤ يناير موجب للأسف الشديد مهما كانت الأسباب .

تغيير صبغة الحملة : ولنرجع الآن الى ذكر الوقائع فان قومندان القبة لما علم بسقوط الخرطوم من اللقنت ستينورت ورتلي في ١ فبراير كما مرّ أرسل الخبر مع ضابط خاص الى اللورد ولسلي في كورتلي فوصل في ٤ فبراير ووقع على اللورد ولسلي كصاعقة فأبلغه في الحال تليفرافياً الى حكومته ببلاد الانكليز وتبذلت بينه وبينها التلغرافات بشأن السياسة التي يجب اتباعها بعد الآن فأجابته في ٦ فبراير : أما الغرض الذي ترمي اليه الآن فهو سلامة غوردون ان كان لم يزل حياً ومنع تقدم المهدي الى البلاد التي لا تشغلها الثورة ، فأجابها بأنه سيبذل جهده في خلاص غوردون ان كان باقياً حياً وسألها التصريح له بالسياسة التي تريد اتخاذها بشأن السودان عموماً . فجاءه الجواب مساء ٧ فبراير : بأن غاية الحكومة الآن سحق المهدي واتخاذ ثورته وانها تعتمد عليه في جميع التدابير العسكرية التي توصله الى هذه الغاية . فأقرّ اذ ذاك على فتح بربر قبل حلول الصيف وبعث في ٨ فبراير يشكر لحكومته التصريح بسياستها ويسألها ارسال الجند الى سواكن لسحق عثمان دقنة ومدّة سكة حديد منها الى بربر حتى متى جاء الخريف التالي ضمّ قوة سواكن الى قوة بربر وسار بالقوتين لسحق المهدي في ام درمان . وفي ٩ فبراير وصل السر تشارلس ولسن نفسه الى كورتلي وأخبر اللورد ولسلي بتفاصيل سفرته الى الخرطوم فأبلغها هذا الى حكومته .

عود الى جيش الصحراء : هذا وكان اللورد ولسلي لما بلغه جرح الجنرال ستينورت في واقعة المتعة أرسل الجنرال بلير رئيس اركان حرب ليقود جيش الصحراء وسمى الجنرال وود سردار الجيش المصري رئيس اركان حرب مكانه فخرج الجنرال بلير من كورتلي في ٢٩ يناير قاصداً القبة . وفي صباح اليوم التالي سبّر اللورد ولسلي اورطة انكليزية مدداً له . وصدر لي الأمر من رئاسة

قلم المخبرات بالذهاب الى الجكدول مع شيخ من مشايخ الدين بدنقلة بقصد مكتبة عربان الصحراء وتثبيتهم على الولاة فصرنا مع هذه الاورطة . وفي الطريق بلغنا خبر سقوط الخرطوم المشوم فكننا في الجكدول الى ان عاد جيش الصحراء الى كورتي فعدنا معه .

وأما الجنرال 'بار فقد علم بسقوط الخرطوم في الجكدول فتأخر فيها بضعة ايام بأمر اللورد ولسلي ثم استطرد السير الى القبة فوصلها في ١١ فبراير . وكان اللورد تشارلس بارسفورد وهو أقدم ضابط في جيش الصحراء قد كتب انذاراً الى أعيان النيل وسكانه أجمعين بتاريخ ٢٨ يناير سنة ١٨٨٥ هذا نصه :

و نكتب اليكم هذا الانذار كي لا يفوتكم العلم أننا نحن القسم الاول من الجيش الانكليزية الزاحفة على الخرطوم لمعاقبة العصاة الأشقياء فاذا أتيتم بنا مسلمين خاضعين قبلناكم وأهلنا بكم ودفعنا لكم أثمان ما نأخذه من مواشيكم ومحصولاتكم لكن اذا رأينا منكم ما دل على اصراركم على عدم التسليم عاملناكم معاملة الأعداء وسلبنا جميع مواشيكم وأحرقنا منازلكم وسواقيم وكل ما ملكته أيديكم أما أنتم انفسكم فتلاقون ما لاقى الذين تجرأوا على قتالنا في ابي طليح والتمتة . ومن أراد الهيم منكم الى الجنرال الانكليزي للمفاوضة معه بشأن من الشؤون فليأت حامل راية بيضاء ماشياً وحده على شاطئ النيل فيدخل بلا معارضة ويحمي من كل خطر والسلام ، فلم يجبه احد . وفي مساء ذلك اليوم جاء خبر فتح الخرطوم الى اهل التمتة فضربوا ثقاقيرهم وزادوا جرأة على عساكر القبة . وأما العساكر فقد شت عليهم هذا الخبر وكانوا قد تعبوا لكثرة ما قاسوه من المشاق والحروب ولم يكن عندهم يوم وصول الجنرال 'بار اليهم سوى مؤونة ١٢ يوماً وكان الزاد يأتيهم من الجكدول على جمال قد تلف اكثرها وانهلك باقياها التعب والجوع . هذا وكان المهدي بعد ان عاد الوابوران عن الخرطوم قد اصدر امره للتجرمي فحشد جيشه في كبري وزحف في ٨ فبراير قاصداً الانكليز في القبة وكان في التمتة نحو ٢٠٠٠ من الدراويش ومعهم مدفعان ومن الف الى الف وخمسة بندقية . فلهذه الاسباب

تأريخ الشوكلات

كلها رأى الجنرال بلر وجوب اخلاء القبة والمودة الى ابي طليح فكتب في ذلك الى اللورد ولسلي ثاني يوم وصوله (١٢ فبراير) وشرع فعلا في تنفيذ رأيه . وكان اللورد ولسلي لما أتاه تلغراف حكومته في ٧ فبراير مصرحا له بمرمها على سحق المهدي وأقر على فتح بربر قد أرسل امرا الى الجنرال بلر في ١٠ فبراير ليفتح المتمة عنوة ويتقدم الى بربر فيتحده مع جيش النيل على فتحها فوصله الامر في ١٣ فبراير أي بعد شروعه في اخلاء القبة فلم يكف عن اخلائها بل اعاد للورد ولسلي الاسباب التي حملته على الاخلاء . وفي ذلك اليوم ارسل جميع الجرحى والمرضى وفيهم الجنرال ستورت الى الجكدول . وفي فجر اليوم التالي ١٤ فبراير لحق بهم بنفسه مع باقي القوة (١٧٠٠ مقاتل) بعد ان عطل الواورين الباقيين ورمى بالمتقلات في النيل وقد جرك بعض الحيام منصوبة والآتار موقدة فيها ليوم أهل المتمة انه لم يزل يحتل القبة . ولكن الدراويش دروا بخروج حملة الجرحى فلحقوها في الطريق فقتلوا منها رجلين وجرحوا ستة ودروا ايضا بخروج الجنرال بلر فلحقه بعض فرسانهم فأروه من بعيد وعادوا الى المتمة وجند بلر السير حتى وصل آبار ابي طليح صباح ١٥ فبراير فمكث في انتظار الامر . اما الجرحى فوصلوها في ١٤ فبراير فاستراحوا قليلا ووالوا السير الى الجكدول وكان الجنرال ستورت قد قضى مدة في النزاع بسبب جرحه فمات في الطريق بين ابي طليح والجكدول في ١٧ فبراير فحملوا جثته الى الجكدول ودفنوها هناك وذلك في ١٨ منه وكانت حكومته قد رفته الى رتبة ماجور جنرال فوصلته البشري الى القبة ولكنه لم يتنها بها وكان رحمه الله قائدا حازما شهما كريم الخلق فاشتد اسف الجميع عليه .

وأما الجنرال بلر فلم يلبث ان رأى ان ماء الآبار لا تكفي عساكره فأرسل قسما كبيرا منهم الى الجكدول وذلك في ١٦ فبراير . وفي هذه الأثناء وصل النجومي الى القبة وأرسل مقدمة جيشه لمطاردة الجنرال بلر فوصلت الآبار مساء اليوم المذكور فنزلت على أكمة تجاه الآبار وشرعت في اطلاق الرصاص على الجنرال بلر ودامت على ذلك الليل كله . وفي صباح اليوم التالي خرج

اليهم بعض العساكر وطردهم عن الأكمة وكانت خسارة العساكر في اليومين من القتلى ٤ ضباط و ٣ عساكر ومن الجرحى ٢٣ عسكرياً . وأما جيش النجومي فلم يصل أبا طليح حتى ظهر ٢٣ يناير فرأى الجنرال بلر ان لا قبل له بمصادمته فلما أمسى ردم الآبار وخرج بجميع عساكره الى الجندول وقد ترك تار المعسكر موقدة ليوم النجومي انه لم يزل باثناً فيه ولحقه بعض فرسان النجومي في اليوم التالي فأدركوه الظهر فأطلقوا عليهم بنادقهم وعادوا الى حيث أتوا فاستمر السير حتى وصل الجندول ظهر ٢٦ فبراير بعد عناء شديد.

هذا وكان اللوردولسي لما عزم على فتح بربر قد ولّج الجنرال وود اخلاء نقط الصحراء بعد ذهاب الجنرال بلر من القبة فخرج من كورتي في ١٥ فبراير ومعه اللفتنت ونجبت (سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام الآن) أركان حربه فما وصلا الجندول حتى كان الجنرال بلر قد أدخل القبة كما مرّ فبقيا في الجندول وساعده على اخلاء ابي طليح . وفي ١٨ فبراير وصل اللوردولسي كتاب الجنرال بلر بالاسباب التي حملت على اخلاء القبة فصدقه وأقرّ على حشد جيش الصحراء في مروي والحاقه بجيش النيل لفتح بربر ولكنه لم يلبث ان رأى هذا الرأي ايضاً لا يمكن تنفيذه لقلة الجبال وصعوبة الشلالات في الطريق من جهة ولسوء الحالة التي صار اليها جيش الصحراء من جهة اخرى . فعدل عن فتح بربر في هذا الفصل وأقرّ على جمع الجيش كله بين الشلال الثالث والرابع أي بين الحفير وابي دوم الى الحريف التالي فيزحف على بربر والخرطوم بقوة مضاعفة وعزم جديد . وفي ٢٠ فبراير أصدر امره الى جيش النيل بالرجوع الى ابي دوم كما سيجيء والى الجنرال بلر والجنرال وود بالرجوع بجيش الصحراء الى كورتي . فخرج الجنرال بلر من الجندول في ٢٧ فبراير وبقي الجنرال وود واللفتنت ونجبت أركان حربه فيها حتى أتى اخلاء النقط كلها على احسن اسلوب ولم يرجعوا الى كورتي حتى ١٤ مارس ورجع آخر الجيش في ١٦ مارس سنة ١٨٨٥ . وقد عانى جيش الصحراء مشاق كثيرة من العطش والحر والعري . وما زاد هذه المشاق عناء قلة الركائب اذ لم

يكن للجيش واسطة للنقل إلا الجمال التي ففي أكثرها كما مرّ حتى كنت ترى جيشها منتشرة في الطريق من القبة الى كورتى وما بقي من الجمال تقرحت طهورها حتى اضطر العساكر كافة ومعظم الضباط الى المشي وقد بليت أحذية العساكر وتقرحت أرجلهم من الحفا .

هذا وقد حضر الجنرال بارمعه من القبة نصحي باشا وخشم الموس بك (الذي رقي بعد ذلك الى رتبة باشا) ورجاله الذين حضروا بوابورات غوردون الاربعة . وكانت معهم في الوابورات بريد من غوردون فيه يوميته من ١٠ سبتمبر أي من يوم سفر الكولونيل ستورت من الخرطوم الى ١٤ ديسمبر سنة ١٨٨٤ قطعت في كتاب خاص . وفيها كتاب الى قومندان الجنود الانكليزية وعدة كتب خصوصية بينها كتاب بتاريخ ١٤ ديسمبر الى الماحور وطن من ضباط الجيش المصري يقول فيه انه يتوقع شراً عظيماً في المدينة بعد عشرة ايام . وايضاً ورقة صغيرة مكتوب عليها ما ترجمته :

« الخرطوم بخير ويمكنها الاقامة على الحصار سنين . غوردون في ٢٩ ديسمبر ١٨٨٤ » . وكان قد وصل رسول من غوردون (بطريق التمه) الى مزوي في ٣٠ ديسمبر سنة ١٨٨٤ ومعه ورقة صغيرة بقدر طابع البريد مكتوب على وجهه منها ما ترجمته : « الخرطوم بخير في ١٤ ديسمبر سنة ١٨٨٤ . غوردون » وعلى الوجه الآخر ختم غوردون .

جيش النيل وواقعة كربكان في ١٠ فبراير سنة ١٨٨٥ : تقدم ان الجنرال أرل تولى قيادة جيش النيل لفتح بربر فشرع في حشد الجيش في الحامداب في رأس الشلال الرابع فخرج اول الجيش من كورتى بالمراكب في ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٨٤ ووصل آخره في الحامداب في ٢٣ يناير سنة ١٨٨٥ وعنده من المؤونة ١٠٠ جراية لكل عسكري . وفي صباح اليوم التالي زحف الجنرال أرل بالجيش برأ وبحراً فصار المشاة بالمراكب في النيل . وصحبه ٣٠٠ من عساكر دنقلة بقيادة البكباشي احمد افندي سليمان يرافقهم جودت بك وكيل

المدير (على ان يكون مديراً لبلاد المناصير بعد فتحها) والكولونيل كولفل ضابط الخبايا فصاروا عن يمين النيل لحماية يسار المراكب وسار هو بيساقي جيشه من الفرسان والطويحية عن يسار النيل حماية يمين المراكب .

هذا وكان عمداً الحير لما علم يحيش النيل أمر موسى ابا حجل كبير الرباطاب وسليمان ود قمر كبير المناصير فجمعوا نحو ١٠٠٠ مقاتل من اهلها ونزلا في حلة برقي على الحد بين مديرتي دنقة وبربر . ثم بعد رجوع ابن اخيه عبد الماجد الكيلك من ابي طليح أرسله الى برقي بنحو ٢٠٠ مقاتل من اهل بربر على ان يكون رئيساً عاماً على الجيش كله . وكان الجنرال أرل عالماً بنزول الدراويش في برقي فسار يحيشه حتى وصل غمرة على ٧ اميال منهم . ولما رأى الدراويش ان لا قبل لهم بمقاومة الجيش في برقي تقهقروا الى جبل كريكان وذلك في ٣٠ يناير فتقدم الجنرال أرل واحتلها في ١ فبراير ببعض المساكن ومكث في انتظار باقي الجيش . قيل وهنا وقع الخلاف بين امراء الدراويش فأراد عبد الماجد ان يتقهقروا امام الجيش رويداً فيضيقوا عليه في الطريق ويناشروه القتال الى ان يصلوا بربر فينضموا الى اخوانهم فيها ويحاربوه هناك فأبى موسى ابو حجل وسليمان ود قمر هذا الرأي لأن فيه خراب بلادها وأصرّا على الثبات في كريكان فتركها عبد الماجد اذ ذاك وعمل برأيه . وفي ٥ فبراير وصل الجنرال أرل تلغراف من اللورد ولسلي يخبره بسقوط الخرطوم ويأمره بالبقاء حيث هو منتظراً الامر . وفي ٨ فبراير وصله كتاب بتاريخ ٧ منه باستطراد السير واتباع الخطة التي رسمها له قبلاً حتى متى وصل قرب بربر يوافيه جيش الصحراء اليها فيتحدان معاً على فتحها فأمر اذ ذاك عساكر دنقة فعبروا النيل الى برقي فتركهم فيها وسار بالجيش برأً وبحراً تتقدمه الكشافة حتى قرب من جبل كريكان فعاد الكشافة وقالوا ان الدراويش قد نزلوا في الجبل المذكور وقطعوا طريق الجيش . أما جبل كريكان فجبل حصين على النيل يعلو ٣٠٠ قدم عن سطح الارض ويمتد مسافة ٦٠٠ يرد الى جهة الصحراء وبينه وبين النيل مضيق لا يزيد عن ٢٠٠ يرد وفي قم المضيق اربع آكام

صخرية متجاورة في صف واحد مختلف في الارتفاع بين ٥٠ و ٨٠ قدماً أولاً على الضفة النيل وطريق المارة بينها وبين الأكمة الثانية. فلما عاد الكشافه بجبر الدراويش أقام الجنرال أرل زريبة متينة على جيشه وذهب بنفسه لاستطلاع مركز الدراويش فوجدهم قد احتلوا الأكتين المتوسطتين من الأكام الأربع والطرف الغربي من الجبل وأقاموا امامهم متاريس من الحجارة تقيهم شر الرصاص فتحم على الجنرال أرل محاربتهم ليفتح طريقاً للجيش . وكانت قوة جيشه اذ ذاك ١٠٤٢ من العساكر الانكليزية و ٥٦ ضابطاً انكليزياً وبطارية بمدفعين من الطوبجية المصرية وبلوك من المجانة المصرية ومعهم الدكتور خليل افندي خير الله من الاطباء السوريين في الجيش المصري .

فلما كان صباح ١٠ فبراير استعد للهجوم فترك بلوكاً من العساكر في الزريبة لحماية المراكب وأتمتع لجيش وجعل بلوكين من العساكر الانكليزية والطوبجية المصرية بين الزريبة والأكام الأربع وعلى مرمى القنبلة من الأكام وأمر المجانة المصرية فوقفوا على مرمى الرصاص من الدراويش الذين على جبل كربكان لمنهم من الفرار وجعل ٣ بلوكات من العساكر في جزيرة كربكان تجاه الأكام وسار هو وباقي القوة فدار في الصحراء حول جبل كربكان حتى أتته من الورا ف أرسل فرقة من جيشه لمهاجمة الدراويش الذين في أعلاه وتقدم هو بمن بقي لمهاجمة الدراويش الذين على الأكام وهكذا أحاط بالدراويش الذين على الجبل والأكام من الجهات الأربع وحصرهم في الوسط ثم أمر العساكر ففتحو أفواه البنادق والمدافع من كل الجهات ففتكوا بالدراويش فتكاً ذريعاً وأخذ المهاجمون للأكام يتقدمون ويبدأ مقتحمين رصاص الدراويش بقلوب لا تهاب الموت حتى اختلطوا بهم وقتلهم بالسنج ورمى بعض الدراويش بأنفسهم في النيل تخلصاً من القتل فتصيد العساكر أكثرهم بالرصاص وتنقّت الأكام منهم فوقف الجنرال أرل في ساحة بين الأكتين المتوسطتين وأمر عساكره بالانتظام صفوفاً فيها وهو على ١٠ أمتار من كوخ صغير قد التجأ اليه بعض الدراويش وهو لا يدري فنادى به صف ضابط وقال : في هذا الكوخ نفر من الدراويش وقد رموا

واحداً منا الآن بالرصاص ، فأمر بإحراق الكوخ وتقدم هو بنفسه نحوه وكان الجنرال بر كنبري بجانبه فصاح به « الحذر يا سيدي فان الكوخ ملآن من العدو ، وما أتم كلامه حتى خرج من الكوخ رصاصة فأصاب الجنرال أرل في رأسه فقضت عليه في الحال وكان رحمه الله قائداً مدبراً شجاعاً فعم الألف عليه .

وقول الجنرال بر كنبري قيادة المساكن مكانه وكان الدراويش الذين على جبل كريكان لا يزالون يقاتلون فأرسل الجنرال بر كنبري مدداً لمقاتليهم فافتحموا الدراويش في الجبل ونكلوا فيهم وفرّ من سلم منهم الى جهة السلامة فطاردهم الفرسان الى مسافة بعيدة . وقد دامت الواقعة اربع ساعات ونصف ساعة وقتل فيها من الدراويش نحو ٨٠٠ رجل وفيهم الامير مومنى ولد حجل . وأما خسارة الانكليز فكانت ٣ ضباط و ٧ عساكر قتلى و ٤ ضباط و ١٣ عسكرياً جرحى .

ومن اشتهر في هذه الواقعة من الضباط الانكليز العظام بالبسالة والاقدام الكولونيل جرين قومندان المساكن الاسكوتلندية والكولونيل بتل . أما الكولونيل جرين فقد بلغني انه لما رأى تحصن الدراويش على الأكمة التي جعل في صدها ورأى ان لا حيلة له في قهرهم إلا بالمخاطرة والهجوم استل سيفه ونادى يمينه « اتبعوني يا رجالي اتبعوني » ثم أعمل بشاكلة جواده المهاز واقتحم النيران ورجاله تتبعه كالأسود حتى وصل الى أعلى الأكمة وقتل الدراويش عن آخرهم . وقد كوفىء على ذلك بعد الحملة بترقيته الى رتبة ماجور جنرال وجعل قومندان المساكن الانكليزية في اسوان فمكث هناك سنتين . وقد كان من حظي الخدمة في مركز قومندانيتها كل هذه المدة . وكان معه اركان حربه الماجور ككوتش (الجنرال ككوتش الآن صاحب حصار كمبرلي في حرب الترנסفال الحديثة) الذي اشتهر أيضاً في جيش النيل بالدربة والاقدام كما اشتهر بين أقرانه بالذكاء والنبل وشرف الحُصَال .

وقد غنم الانكليز أمتعة الدراويش وأوراقهم فوجدوا بينها كتاباً من محمد

الخبر الى عبد الماجد الكيلك بتاريخ ١٣ ربيع الثاني ١٢٠٣ هـ ٣٠ يناير ١٨٨٥ م وفيه ان قد وصله كتاب من الخليفة عبدالله يوم تاريخه يخبره بسقوط الخرطوم وقتل غوردون .

وكتب الجنرال بر كنبري خبر الواقعة الى اللوردولسي فكتب اليه بتاريخ ١٢ فبراير يأمره بالتقدم الى بربر ويسأله متى يصلها ليخبر قومندان القبة حتى يوافيه اليها فأجاب الجنرال بر كنبري انه لا يستطيع تعيين الوقت بالدقة لأن أمانه شلالات لا يعرفها وعدوا لا يعلم حركاته وفي ظنه انه لا يصلها قبل ١٣ مارس .

وفي ١٣ فبراير استطرد السير برأ وبحراً حتى وصل السلامة في ١٧ منه فأحرق منزل سليمان ود قمر الذي غدر بالكولونيل ستيورت وأحرق منازل اهله وسواقيهم ونخلهم . ثم تقدم بالجيش حتى وصل تجاه هبة في صباح ٢٠ فبراير فرأى النيل عندها سهل العبور فعبره لأن ابا حمد وبربر المراد احتلالها مما عن يمينه وكان معه ٨٧٠ من الجبال والحيل وستة مدافع فعبر بهم وذلك في ١٣ ١/٢ ساعة ثم ذهب الى قرية همة والجزيرة التي غرق عندها وابور عباس وقتل لعله يحمي شيئاً من آثار الكولونيل ستيورت فما وجد إلا بعض اوراق الزيارة باسمه وأقصه ملطخة بالدم فأحرق القرية كلها وفيها بيت الفقيه عثمان المتقدم ذكره . وفي ٢٢ فبراير استطرد السير بالجيش برأ وبحراً حتى أتى عصر اليوم التالي حلة الخلة بين الرباطاب والمناصير على نحو ٣٠ ميلاً من أبي حمد و ١٥ ميلاً من هبة .

وفي صباح ٢٤ فبراير أتاه رسول بتلغراف من اللوردولسي بتاريخ ٢٠ منه يقول فيه : « اني غدلت عن فتح بربر الى الحريف الآتي فقف عن السير الى ابي حمد ولكن احرق ودمر البلاد البلاد التي اشترك اهلها في قتل الكولونيل ستيورت وعبد بالجيش الى مروي إلا اذا امامك عدو فاقهره قبل عودتك واذا لم يصلك هذا التلغراف قبل وصولك الى ابي حمد او وصلك وكنت قريباً منها بحيث لا يبقى عليك إلا احتلالها فاحتلها وارسل للحملة في كورسكو

لتوافيك اليها . فانقلب الجنرال بر كندي راجعاً بالجيش ظهر ٢٤ منه وفي اليوم التالي مرت بهبة فآثم خراب بيوتها وسواقيها وعاد الى مروي فمهر النيل الى ابي دوم صنم . ثم تقدم بمعظم القوة الى كورتي فوصلها في ٨ مارس سنة ١٨٨٥ وقد قاست عساكره في الشلالات وسفر البر من العناء ما لا يوصف وفقد ستة مراكب و ٣ رجال .

معسكر الصيف في دنقلة : ولما تم رجوع العساكر من ساحة الحرب أقرهم اللورد ولسلي على يسار النيل بين الشلال الثالث والرابع في الحفير ودنقلة والختندق وابي قسن والكرد والدبة والختاني وامبقول وكورتي وابي دوم . وقد وصل هذه النقاط بعضها ببعض وصلاً متيناً بحيث لو هاجم العدو نقطة منها أمكن سائر النقاط الامراع الى مجدها . وبني للمساكن منازل من الطوب النقي وسقفها بالقش والجريد على اسلوب صحي يخفف وطأة الحر وجلب لهم عنكريات ينامون عليها وألبأ يتسلون بها . وأوصي بمعامل بلاده فصنعوا له ٣٠٠ قارب و ١١ وابوراً محمول الواحد منها من ٣٠ : ٥٠ طنناً استعداداً للحملة المنوية .

رجوع الحملة الانكليزية النيلية : وبعد ان أقر العساكر في أماكنهم رجع الى القاهرة فوصلها في ١١ ابريل . وقد رجعت معه اليها . ورجع معه زهراب باشا (وكيل نظارة الحربية الآن) الذي صحبه من مصر أركان حرب فأحببه وامتدح كفاءته فمنحته الحكومة الانكليزية نيشان القديسين جورج وميخائيل مع لقب سر .

وأراد اللورد ولسلي ان يجعل القاهرة مركزاً له مدة الصيف لأنها متوسطة بين دنقلة وسواكن ولكن أنماه تلفراف من وكيل نظارة الحربية بلندن في ١٣ ابريل بما مؤداه : « ان علاقتنا الخارجية (يشير الى علاقاتهم مع روسيا على حدود الافغان) ربما اضطرتنا الى العدول عن استرجاع الخرطوم في الخريف التالي وطلب اليه اتخاذ افضل الطرق لارجاع المساكن الى مصر » . وفي ٢١

ابريل أقر مجلس النواب رسمياً على العدول عن استرجاع الخرطوم وكان ذلك ضد رأي اللورد ولسلي فحذر حكومته من نتائج هذا القرار وقال : اذا رحلنا عن دنقلة اليوم احتلها المهدي في الغد وتقدم طالباً مصر فتضطر الى حشد جيش عظيم على الحدود فلم يسمع له . وفي اواخر ابريل ذهب الى سواكن فكشف حالها وعاد الى مصر . وفي ١١ مايو اصدر أمره الى العساكر بالخروج من دنقلة وكان في النقط الحربية اذ ذاك ٦٨٢٥ من العساكر الانكليزية بينهم ٤٢١ عسكرياً في الاسيبتالية . وكان الجنرال وود قد عاد الى القاهرة مريضاً فتولى الجنرال دورمر قومندان العساكر في دنقلة امر ترحيلهم . وكان في دنقلة ايضاً ٥٠٧ من العساكر النظامية المصرية و ٦٧٣ من الباشبوزق و ٥٠ موظفاً ملكياً و ٩٤٠٠ من الاغراب والوطنيين الذين أحبوا المهاجرة مع الجيش فولج امر ترحيلهم بالماجور ترز من ضباط المخابرات الكرام . لما أخلت العساكر الانكليزية النقط الجنوبية الى دنقلة حتى سقطت وزارة غلاستون رئيس حزب الاحرار وتولى الوزارة اللورد سلسبري رئيس حزب المحافظين فأتمل اللورد ولسلي ان الوزارة الجديدة تعود الى رأي الزحف على المهدي فأرسل تلغرافاً الى دنقلة بالتوقف عن الرحيل ولكن الوزارة الجديدة بعد إعادة النظر في الامر أيدت قرار الوزارة القديمة وارسلت بذلك تلغرافاً الى اللورد ولسلي في ١ يونيو ودعته الى لندن للنظر معه في حماية الحدود المصرية فأرسل امره الى الجنرال بركنبيري الذي كان قائد الجنود في دنقلة اذ ذاك باستطراد الرخيل فقام آخر الجنود من دنقلة شمالاً في ١٥ يونيو سنة ١٨٨٥ فوصلوا كوشه في ٢١ منه . وسلم الجنرال بركنبيري قيادة العساكر الى الجنرال غرنفل الذي سمى قومنداناً على جيش الحدود بلقب ماجور جنرال علي وبذلك انحلت الحملة النيلية الانكليزية .

اما الجيش المصري فقد تقدم انه 'جعل في خط الاتصال بين الشلال الاول والثالث في اصفوان وكورسكو وحلفا وجماي وسرس وسمنه وامبقول وتنجور وعكه وعكاشه ودال ومفركة وكوشه وعبري واي صاري ودلقو وخيبر واي

فاطمة . فساعد على ترحيل الجيش الانكليزي والذخائر والمؤن وخدم في الشلالات خصوصاً احسن خدمة حتى ان المراكب لما وصلت شلال دال منعها التيار من المرور فحملتها العساكر المصرية من رأس الشلال الى قدمه مسافة ٣ أميال في البر . ولم يتعد شلال حنك منهم الا نفر قليل فرافق بعضهم جيش الصحراء وهم : الملازم اول السيد افندي ماجد (ميرالاي الآن) ومعه ١٨ نفر من الطوبجية فرافقوا جيش الصحراء وحضروا واقعة ابي طليح . والملازم ثاني مرسي افندي فهمي (بكباشي الآن) والملازم ثاني ابراهيم افندي صادق (بكباشي الآن) ومعه ٤٠ عسكرياً من المشاة فخدموا مع حملة الجبال . ورافق بعضهم جيش النيل وهم : اليوزباشي حسن افندي رضوان (لواء باشا الآن) والملازم ثاني محمد افندي محمود (ميرالاي الآن) والملازم اول احمد افندي حافظ (قائمقام الآن) واليوزباشي محمد افندي حامد ومعه بطارية من الطوبجية فيها ١٥٠ رجلاً و ٦ مدافع ، وبلوك هجانة فيه ١٠٠ رجل و ٤ ضباط و ١٨ رجلاً من الفرسان . وبقي بعضهم مع اللورد ولسلي في كورتي وهم : اليوزباشي اسماعيل افندي همت (بكباشي الآن) وقسم من الفرسان والملازم ثاني موسى افندي حموده (صاغ الآن) وبعض المشاة . فعاد الكل مع الانكليز الى الحدود المصرية .

ومن رافق هذه الحملة من الموظفين السوريين فامتازوا فيها بحسن الخدمة ولا يزالون في خدمة الجيش الى الآن : ملحم بك شكور سكرتير الجنرال غرنفل والآن سكرتير عربي السردار ، وسليمان افندي تاصيف سكرتير قومندان عموم السواري والآن سليمان بك رئيس قلم في رئاسة الجيش المصري ، وشاهين افندي جرجس مترجم مدير المهابت والآن شاهين بك سكرتير عربي السردار ، والدكتور سليم موصلي والآن الميزالاي موصلي بك من كبار أطباء الجيش ، وشاكر افندي الخوري مترجم صراف الحملة العام والآن شاكر بك مترجم جيش الاحتلال العام . ومنهم المستر ادوارد فنديك نجل الدكتور فنديك

الشهير سكرتير قلم المخابرات، والاستاذ جبر ضومط، ونجيب افندي اباكاروس وكثيرون غيرهم ممن تركوا خدمة الجيش .

ومن الموظفين المصريين الملكيين الذين امتازوا في هذه الحملة ولا يزالون في خدمة الجيش المصري الى الآن : نحلة افندي تادرس مترجم تشيلات الجيش الانكليزي، والآن وكيل قلم في ادارة سكرتير مالي السودان. و ابراهيم افندي زيدان مترجم قومندانة حلفا والآن في رئاسة الجيش بمصر . وعبد الباقي افندي صالح كاتب بالنزلات والآن في ادارة سكرتير مالي الحربية . وغبريال افندي جرجس كاتب وصراف السردارية والآن في قومندانة حلفا. ويعقوب افندي صبري كاتب الاورطة التاسعة السودانية والآن في ادارة التعيينات . ومحمد افندي محمد كاتب عموم السواري والآن في ادارة سكرتير مالي الحربية. وحبيب افندي بطرس مترجم تشيلات الجيش الانكليزي والآن في ادارة الطوبجية بالقلمة . وبشارة افندي حنا مترجم في بوسطة الجيش والآن في ادارة المهات بالقلمة . وروفايل افندي جرجس كاتب العربان المتحابة بكورسكو والآن كاتب وصراف قومندانة اسوان. وعبدالله افندي ميخائيل مترجم السواري الانكليزي والآن مترجم في قومندانة شندي . والسيد افندي حسين كاتب في السردارية والآن كاتب في القرعة العسكرية .

وممنهم احمد افندي حلمي مترجم رئاسة الوابورات والآن في شركة التلغرافات الشرقية الانكليزية بالسويس . ومحمد افندي شيخون باشكاتب الاورطة الرابعة . ومكارم افندي ضيف باشكاتب الاورطة السادسة وكلاهما الآن من ارباب المعاشات وكثيرون غيرهم ممن تركوا خدمة الجيش او توفاهم الله. وبعد انحلال الحملة النيلية استقال السر افلن وود فسمي الجنرال غرنفل سرداراً للجيش المصري مكانه وسمي الجنرال بتلر قائداً للمساكر الانكليزية على الحدود فجعل كوش آخر الحدود المصرية وبني فيها طابية وبني طابية في مفركة وأخرى في عكاشة واستمر انعمل في سكة حديد عكاشة الى ان تمت في ٧ اوجسطس سنة ١٨٨٥ .

أقارب المهدي بدنقلة : وكان قلم المخابرات بعد ان استقر الصاكر في منازل الصيف قد التفت الى أقارب المهدي بدنقلة فقبض على جماعة منهم وهم محمد عبد القادر وشريف ساتي علي ومحمد ابراهيم وأحمد النجيب وحاج شريف محمد نور وحاج شريف محمود وعبد القادر عبد الكريم وسألهم ان يكتبوا الى المهدي كتاباً يسألونه اطلاق الاوربيين وغيرهم من رجال الحكومة الذين في أسره فدية لهم فكتبوا اليه بذلك . فكتب المهدي الى الجيش كتاباً هذا نصه بعد البسملة :

« وبعد فمن العبد المعتمد بالله محمد المهدي بن عبد الله الى وكيل اللورد ولسلي وكافة عساكره . اعلوا ان الله تعالى قادر قاهر لا يخفاه شيء في الارض ولا في السماء وإذا أراد شيئاً قال له كن فيكون وهو مالك الملك ذو الجلال والاکرام ولما اظهرني لتأييد دين الاسلام أيدي بلائته وجنوده وأوليائه وبغذف الرعب في قلوب أعدائي ووعدني بالنصر عليهم وبملك جميع الارض ولا يثبت لقتالي انس ولا جن وقد كنت قبل ذلك رجلاً ضعيفاً فأيدني الله من عنده وأظهر أمري وأهلك من كذبني من أعداء الله الترك وغيرهم ولا يخفى عليكم ما حصل على جرادتهم التي أعدوها بالاسلحة والجباخين ووجهوها لقتالي من القتل والأسر والاحراق بالنار لمن قتل بسيفي وقد رأيتم امتلاكي لخصونهم في السودان وتحققتم ما صار اليه أمري من القوة بالله والمنعة ولا زال يزداد الى ان يتكامل لي ملك جميع الارض باذن الله تعالى . وحيث فهمتم ذلك فأنبئوا الى الله يا عباد الله وأجيبوا داعيه فاني ادعوك الى الايمان بالله ورسوله والتسليم بأمر المهدي أسلموا تسلموا يؤتكم الله أجرهم مرتين يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فانكم ان أسلمتم وأنبئتم الى ربكم تكونوا من اخواننا في الله لكم ما لنا وعليكم ما علينا ونحفظ دماءكم وأموالكم وعروضكم وتناولوا من الله يوم القيامة الذي لا ريب فيه كل خير تؤملونه فان هذه الدنيا لا بد من زوالها وانما الدار آخرة فلهوا اليها فانها دار القرار وممكن الاختيار .

وان ضريتم عن نصعنا هذا جيفعا وبقيتم على اختيار كفركم فاعلموا انه يحل بكم من النكال والويل ما حل بمن قبلكم كهكس وغوردون ولن تغفر عنكم عدكم من الله شيئا وستعملون غداً من الكذاب هذا . ولكن بعلكم انه قد ورد لنا خطاب من الجماعة الذين أسرقوم في شأن القسيسين والافرنج والاقباط يلتمسون فيه ارسالهم اليكم لكي تفرجوا عنهم وما ذلك إلا من باب حيلكم وغشادعاتكم التي لا تجدي نفعا . وحيث ان هؤلاء الجماعة الذين هنا قد أفابوا الى الله ودخلوا في دين الاسلام فقد صاروا أكرم الى الله وأعز عندنا من الجماعة الذين معكم وأسرقوم ولا نرضى لهم الرجوع ليد الكفر بعد دين الاسلام كما أنهم لا يرضون ذلك ولا يمكن ارسالهم اليكم ولو قطعتم الذين بطرفكم اربا اربا وجميع ما أجريتموه عليهم فهو أقل من جزائهم وأنتم وهم اسوة عندنا ولا فرق فيما بينكم ولا بد من وقوعكم الجميع في قبضتنا باذن الله وتلوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ان لم تلبوا اليه وهذا انذارى اليكم والسلام على من اتبع الهدى .

قبل وقد جمع أنصاره في الجامع فقرأ لهم الكتاب والجواب عليه وسأهم إن كان الجواب مناسباً فصاحوا كلهم باستحسانه فطواه وأرسله، وأرسل معه كتاباً آخر الى أقاربه يقول لهم فيه : « كنا سابقاً كاتبناكم بالهجرة الينا فما هاجرتم ورغبتم في منازلة الجيف ومن أراد ان يأخذ من الجيف فليصبر على عض الكلاب وسيجعل الله كيدهم في محرم وسيكونون قريباً في قبضتنا » . وكان الانكليز قد أخذوا أقارب المهدي معهم الى حلفاء فلما وقفوا على ما قال لهم المهدي أطلقوا أقاربه وأكرمهم وأعطوهم رواحل وأزواداً وكسوة وأرجعهم الى بلادهم . فأتوا الى المهدي في ام درمان واعتذروا لعدم مجيئهم اليه من قبل بسبب الجيش فقبلهم .

حكومة دنقلة الجديدة : هذا وقبل ان أخلت الحكومة دنقلة رأت ان تنظم فيها حكومة وطنية مؤقتة لكي لا تتركها فوضى لا حاكم لها فاجتارت لها حكاماً من سلالة بلوكها الذين حكموها قبل الفتح المصري فجعلت محمداً ولد

كنيش الشايقي من البلل حاكماً على مروى ، وسعيد محمد فرح من بقايا الفرنج حاكماً على الدبة ، والملك طنبل حاكماً على ارقو ودنقلة ، والشيخ محبوباً كبير المرغنية في بلاد سكوت حاكماً على سكوت والمحس . ولكن ما جرح الانكليز دنقلة حتى احتلها الدراويش غنيمه باردة كما سيجيء . وبادت الحكومة الجديدة من نفسها . اما محمد ولد كنيش فانه حال خروج الانكليز من بلاده ذهب الى ام درمان فبايع المهدي وعاد مع الجيش الذي أتى لاحتلال دنقلة وحارب معهم في واقعة جلس كما سيجيء . وانضم اليهم ايضاً سعيد محمد فرح حاكم الدبة . وأما الملك طنبل فانه ما وصل الدراويش دنقلة حتى فرّ بعائلته ولجأ بالجيش فانزله في الشلال . وأما الشيخ محبوب فانه بقي في بلدته كويكة الى ان أتى الدراويش فقبضوا عليه وأرسلوه الى الخليفة في ام درمان فأساء معاملته فمات قهراً . وقد أسروا ابنه الشيخ ادريس معه فبقي الى ان أرسله الخليفة في حملة التنبؤومي ففرّ منها وأعلم الحكومة بحاله بعد واقعة طوشكي فأرسلت اليه جالاً فنجاً بعائلة ابيه وأهله الى حلفا ، وبقي فيها خادماً للجيش الى ان عادت الحكومة الى السودان فعاد الى بلاده .

الفصل المسرون

عودٌ الى

عثمان دقنة والثورة في سواكن سنة ١٨٨٥ م

رحلة جرامم الثانية الى سواكن سنة ١٨٨٥ م :

تقدم ان اللورد ولسلي لما أقرّ على فتح بربر بعد سقوط الخرطوم سأل حكومته ارسال قوة انكليزية الى سواكن لسحق عثمان دقنة ومدّة سكة حديدية في طريق سواكن الى بربر فأجابته الحكومة الى طلبه . وفي ١٧ فبراير سنة ١٨٨٥ م عقدت اتفاقاً مع احدى شركاتها لمدّ سكة الحديد المطلوبة وفي ٢٠ منه نذبت الجنرال جرامم قائد الحملة الانكليزية الاولى الى سواكن ليقود حملة ثانية اليها فوصلها في ١٤ مارس سنة ١٨٨٥ وكان في سواكن اذ ذاك من الجنود ١٠٩ ضباط و ٢٥٢٦ عسكرياً و ١٨٧ جواداً و ٢٨ بغلاً و ٣٣٩ جلاً و ٦٣ تابعاً فأخذت الحكومة الانكليزية تحشد اليها الجنود من مصر والهند واستراليا وبلاد الانكليز حتى اجتمع فيها تحت قيادة الجنرال جرامم ١٣٠٠٠ مقاتل من فرسان ومشاة وطويحية ومعهم كل ما يلزمهم من الجبال والدواب والمؤن والذخائر .

وجاء مع الجيش جماعة من العارفين بركوب البالون ومعهم بالون ولكن الرياح العالية المتغلبة في تلك الجهات منعت استعماله . وكان عثمان دقنة لما بلغه خبر قدوم الجنرال جرام الى سواكن بعث اليه بكتاب يتهدده فكتب اليه الجنرال جرام ينصحه بالتسليم ويحذره من التمادي في الطغيان فلم يجبه .

واقعة تل هشيم في ٢٠ مارس سنة ١٨٨٥ : وكان عثمان دقنة اذ ذاك معسكراً في تمائي ومعه نحو ٥٠٠٠ مقاتل وله جيش آخر فيه نحو ٣٠٠٠ مقاتل في تل هشيم على ٧ اميال من سواكن وجيش صغير في طوكر فأقرّ الجنرال جرام على سحق قوة هشيم قبل التقدم على تمائي . ففي صباح ١٩ مارس خرج ببعض الفرسان والمشاة فاستكشف التل وعاد الى المعسكر . وفي اليوم التالي ٢٠ مارس تقدم الى هشيم بالقوة الآتية من الفرسان والمشاة الهندية والانكليزية وهي : ٣٠٦ ضباط و ٧٨٨٦ عسكرياً و ٣١٧ تابعاً و ١١٩٢ حصاناً و ٢١٠ بغال و ٧٣٥ جلاً و ١٠ مدافع فوصل تل هشيم الساعة ١١/٤ صباحاً وأحاط بالدرائش من كل جانب وأشعل فيهم النار فقتلوا له ودامت الحرب نحو خمس ساعات ثم انهزم العرب الى عثمان دقنة بعد خسارة جسيمة واحتل جرام التل فجعل فيه نقطة عسكرية ورجع الى سواكن وكانت خسارته في ذلك اليوم من القتلى ضابط و ٨ عساكر ومن الجرحى ٣ ضباط و ٣٦ عسكرياً .

واقعة توفرك في ٢٢ مارس سنة ١٨٨٥ : ثم أخذ يتهاى للزحف على عثمان دقنة في تمائي فرأى ان يؤسس نقطة اتصالية في الطريق بين سواكن وتمائي يحيطها مخزناً للزاد والماء اللازم للحملة . فلما كان ٢٢ مارس أخرج سرية من جيشه ببعض المدافع بقيادة الكولونيل مكثيل وأمره بأن يسير في طريق تمائي حتى يكون على ثمانية اميال من سواكن فيبني ثلاث زرائب واحدة تسع ٢٠٠٠ جل وواحدة عن يمينها وأخرى عن يسارها تسع كل منها اورطة من العساكر وبعد اتمام الزرائب يجعل فيها المدافع وقسماً من العساكر ثم يرجع

بالقسم فيبني زربية في وسط الطريق بين تلك الزرائب وسواكن فيجعل فيها
أورطة ويرسل الباقي الى سواكن .

وكان عثمان دقنة عالماً باستعداد الانكليز لمهاجمته فلما رأى سرية الكولونيل
مكنيل ظن ان الجيش كله زاحف عليه فدق طبل الحرب وخرج للملاقاته
بجميع انصاره . فبا سار الكولونيل مكنيل خمسة أميال عن سواكن حتى
رأى ان تقدمه الى الميل الثامن فيه خطر وان جهد ما تسمح له الاحتياطات
العسكرية التقدم الى الميل السادس وكان يمد خط التلغراف من سواكن ليبقى
متصلاً بها فأرسل تلغرافاً الى الجنرال جرام يعلمه بالمخالة ويبين له رأيه فصدقه
فسار الى الميل السادس ونزل في خور يعرف باسم « توفرك » وبأشر بناء
الزرائب ولكن قبل ان يتمها جاءت الطلائع وأخبرته بقرب الدراويش فأمر
بترك العمل في الحال والاستعداد للدفاع وما انتظم العساكر في أماكنهم حتى
كان الدراويش قد صاروا على مرمى الرصاص ففتحوا عليهم أفواه البنادق
والمدافع فلم يبلوا بها بل هاجوا مستقتلين حتى اختلطوا بالعساكر وأعملوا بهم
السيف والحربة فدافع الجنود أحسن دفاع حتى قيل ان احد الجنود الهندية
تصدى له ثلاثة من الدراويش فضرب كلا منهم ضربة بالسيف فقتله . وكان
هجوم الدراويش الساعة ٣ إلا عشر دقائق فانهمزوا الساعة ٣ والدقيقة ١٠
وكانت خسارة الدراويش لا تقل عن ١٥٠٠ قتيل وأما خسارة الجيش فمن
العساكر الانكليزية ٦٤ قتيل و ٦٣ جريحاً ومن العساكر الهندية ٥٣ قتيل
و ٩٢ جريحاً وفقد ١٠ ومن الاتباع ٣٣ قتيل و ١٩ جريحاً وفقد ١٢٤ ومن
الجمال ٥٠١ فقتلوا او فقدوا .

حملة الجنرال جرام على تماني ٣ ابريل سنة ١٨٨٥ وبعد انهزام الدراويش
عاد الكولونيل مكنيل الى بناء الزرائب فأتمها الساعة ٧ مساء فشرع الجنرال
گرام في حشد العساكر اليها فاجتمع عنده في ٢ ابريل ٨١٧٥ رجلاً فسار
بهم الساعة ١٠ من الصباح قاصداً عثمان دقنة فوصل تل تسلهاي على مقربة
من تماني الساعة ١/٤ بعد الظهر فرأى انه اذا هاجم يدخل الليل قبل انتهاء

الواقعة فزرب زريبة بجانب التل وبات فيها ليلته فجاء رجال عثمان ليلاً ورموه بالرصاص فأصابوا بعض رجاله ولكن العساكر فتحت عليهم أفواه المدافع فصدمتهم الى تمّاي .

وفي الساعة ٨ من صباح اليوم التالي ٣ ابريل ترك الجنرال جراهم بعض العساكر في الزريبة لحفظ أمتعة الحملة وسار بمعظم العساكر الى تمّاي فوجدوها خالية فاحتلها الساعة ٩ صباحاً . وكان عثمان دقنة لما رأى كثرة الجيش أخلي معسكر تمّاي وتحصن في الجبال المجاورة لها وأرسل كشافة يناوشون الجيش ويتقشقرون أمامه الى الجبال التي تحصن بها ليبعدهم عن الماء ويحاربهم وهو في مركز حصين فسار الجنرال جراهم وراءهم مسافة قريبة ولما لم ير عثمان ورأى ان توغله في الصحراء يعرضه الى العطش رجع الى تمّاي فأحرق معسكر عثمان وعاد بالجيش الى سواكن في اليوم التالي .

مدّة سكة الحديد : وبعد ان أتمّ جراهم الغرض الاول من الحملة وهو تثبيت شمل عثمان دقنة التفت الى الغرض الثاني وهو مدّة سكة الحديد الى بربر . وكان العمال قد بدأوا بمد الخط منذ ١٣ مارس ولكنهم لم يتقدموا فيه كثيراً بل أعدوا المعدات اللازمة لمدة بعد انتهاء القتال . فلما انتهى القتال اجتهدوا في مد الخط حتى أتموه الى اوتاروا في ٣٠ ابريل سنة ١٨٨٥ .

وأراد الجنرال جراهم عقد معاهدة مع القبائل التي على طريق سكة الحديد لحماية السكة فأشرطت عليه ألا تترك الجنود سواكن كما تركتها في السنة التي قبلها بل تبقى فيها لحمايتهم من عثمان دقنة فأرسل الجنرال جراهم تلغرافاً الى حكومته في ٢١ ابريل سنة ١٨٨٥ بهذا الشأن وكان اللورد ولسلي اذ ذاك قد عدل عن فتح بربر كما مرّ فلم يعد امر مد السكة الحديد وترك العساكر في حرّ سواكن من الضروري فأجابته حكومته بعدم عقدها .

خروج العساكر الانكليزية من سواكن : ثم أقرّت الحكومة على اخراج عساكرها من دنقلة كما مرّ فأمرت الجنرال جراهم بالخروج من سواكن فعاد

منها بحملته الى مصر في ١٧ مايو سنة ١٨٨٥ وهجر سكة الحديد . وكانت
 أهل بادية سواكن لما رأوا ما حل بهم من النكال والضيق في محاربة الانكليز
 تفرقوا الى بلادهم ومراعيهم ولم يبق مع عثمان دقنة الا نفر قليل . فلما خرج
 الانكليز من سواكن عاد عثمان دقنة الى حث الأهليين على الجهاد مبيناً لهم
 ان الانكليز انما فروا من سطوة المهدية وان لا قدرة لهم على مناوأتها فالتف
 حوله جمع كبير من الهدندوة والامارار وغاد الى تمساي (تسلاي) وبقي
 فيها الى ان سالت كسلا للدراويش فذهب اليها بأمر الخليفة كما سيجيء .
 ولنتقدم الآن لنرى ما كان من امر كسلا وسائر الحاميات التي الى جنوبي
 السودان الشرقي على حدود الحبشة وفي جلتها بلاد مصوع وهرر وذلك منذ
 بدء الثورة .

الفصل الحادي والعشرون

في

تاريخ الثورة في بلاد كسلا

وفيه ذكر حاميات كسلا والقضارف والقلابات والجبرة واميديب وسنيت
مع ذكر عافطقي مصرع وهرر

تسليم القضارف الاثني عشر في ٢٤ جمادى الآخرة

سنة ١٣٠١ هـ ٢١ أبريل سنة ١٨٨٤ م

الامير الحسين عبد الواحد تقدم ان المهدي سمى عثمان دقنة سنة ١٨٨٣ عاملاً عاماً على بلاد البجة بين البحر الاحمر والاتبرة أي على بلاد سواكن والقسم الاكبر من كسلا فبقيت البلاد الواقعة بين النيل والاتبرة فسمى الحسين عبد الواحد من ذرية الشيخ الطيب عاملاً عليها وأصبحه ثلاثة امراء وهم الطاهر محمد تاناي وعبد الله الطريفي الجملي والسمتاني ود احمد . وكان الحسين عارفاً أحوال تلك الجهات لأنه كان مقيماً قرب « تبارك الله » على الاتبرة فسار برفاقه حتى أتى القلعة أرانج من مراكز الشكرية فجمع أهلها وزحف بهم على مركز القضارف وكان فيه محمد باشا اغا ابو زيب من سوارى المغاربة على ٢٠٠ رجل ومدفعين ومعه محمد بك بن عوض الكريم باشا ابو سن مأموراً من قبل.

الخرطوم وجاعة من التجار والمتسبين من أروام ووطنين فأرسل اليهم كتاباً أتى به من عند المهدي وكتاباً من عنده يدعوهم الى الطاعة ويعددهم بحفظ مالههم وسلامتهم فاجتمعوا وتشاوروا في الأمر فأقرروا على التسليم وسلموا الاثنين في ٢١ ابريل سنة ١٨٨٤ فأخذ الحسين جميع ما في مخازن الحكومة من الاسلحة والنخائر ثم جمع بضائع التجار وأدخلها بيت ماله خلافاً للوعد وأجبر النصاري على الاسلام وقطع خط التلغراف بين القضايف والقلايات .

حصار القلايات وانقضاء سنة ١٨٨٥ :

ثم تقدم لأخذ القلايات فرمى بالتومات فوجد فيها محمود بك زايد شيخ الضباينة فسلمه كتاباً من المهدي باسمه فلم اضطراً . ودعا عرب الحزان في تلك الجهة الى الطاعة فلم له قسم منهم بقيادة الشيخ عمر ود الكردي وعصاه القسم الآخر بقيادة الشيخ العجيل فحارب الدراويش في كلاً سيحي . ثم تقدم الى « الصوفي » فوجد فيها الجعليين سلالة الملك عمر الذين تقدم انهم صالحوا الحكومة ايام موسى باشا سنة ١٨٨٦ وعليهم الامير خالد فانضموا اليه . واستطرد السير الى دوكة فلم له الشيخ عجيب ود النيسي وكيل الشيخ محمود ود زايد . وكان في دوكة ٢٠ عسكرياً عليهم محمود اغا محمد التركي فسلموا له اضطراً . وانضم اليه ايضاً اولاد الشيخ مريود من مشايخ المراكيين وبذلك دانت له معظم القبائل العربية التي بين الاتبرة والنيل .

وكان للحكومة في تلك الجهة حاميتان : المئمة عاصمة القلايات والجيرة فاهتم بأخذهما . أما المئمة فكان فيها اذ ذاك صالح بك ادريس المار ذكره ومعه من خاصة اهل التكارنة ٤٠٠ فارس ١٠٠٠ رجل عند اهل الدلر الذين بلغ عددهم ٢٠٠٠٠ نسمة . وفي المئمة طابية حصينة فيها ٤٠٠ من المسلكر الباشبوزة النصف فرسان والنصف مشاة بقيادة الشر سوارى محمد بك السيد و ٢٠٠ من العساكر السودانية و ٤٥ من الطويحية و ١٢ مدفعاً بقيادة الصلغ محمد افندي رياض والكل بقيادة البكباشي محمد افندي مري . فكتب الحسين

عبد الواحد من دوكة الى صالح بك يدعوهُ الى التسليم فأجابهُ في غرة رجب سنة ١٣٠١ هـ ٢٧ ابريل سنة ١٨٨٤ م مخادعاً له : « اني انا وأهلي التكرانة مسلمون للمهدي ولكن العساكر الذين بيدهم الحامية غير مسلمين فامهلوني ريثما أدبر الخيلة للخلاص منهم ». وكان الأوان اذ ذاك أوان الأمطار وبلاد القلابات مغمورة بالمياه ولا يمكن الحسين عبد الواحد مهاجمتهم قبل انقطاع الامطار فاستشار المهدي في شأنهم فقبل المهلة . ثم سار الى الجيرة كما سيجيء فوجدها حصينة والامطار تغمه من حصرها فعاد الى دوكة في صدد القلابات .

وقد اطلعت على كتاب منه الى الشايقية الذين في حامية القلابات بتاريخ ٣٠ القعدة سنة ١٣٠١ هـ ٢١ سبتمبر سنة ١٨٨٤ يقول فيه :

« ... وانكم بمن يظن بالصداقة والاخلاص عندنا دون غيركم بسبب ما بلغنا من اخباركم بأنكم مسلمون ومتبعون الامام المهدي ... وأيضاً يا أحبائنا لا تقطعوا عنا مادة الجواب ... والمأمول المقابلة معنا في أي مكان والسلام ». وكتب صالح بك الى غوردون في الخرطوم بتاريخ ٢٢ سبتمبر يعلمه بحاله بما مفاده : « اتنا محاطون بالأعداء من كل الجهات : الشكرية والضباينة والجميلين من جهة دوكة والحمة ... من جهة الرهد ولكننا لا نزال ثابتين على الحصار ولا نحسب لهم حساباً فان الله ناصرنا والامل الجواب على كتابنا مع الرسول ونحن لم نكتب لكم قبل الآن لعدم الأمان في الطريق وقد قتل الضباينة اثنين من رسلنا في طريق التمرقو (جبل بين دوكة والتومات) ومع ذلك فلا زلنا نواصل مركز كسلا بالمكاتبات » .

واقعة مريود في ١٧ نوفمبر سنة ١٨٨٤ : وبقي الحسين محاصراً في دوكة حتى انقطعت الامطار فكتب الى صالح بك يطالبه بالوعد فعاد صالح بك الى المخادعة فسأله مهلة ٣ أشهر اخرى وبعث له برسيرة وقطارين بنا وحمل غسل وخشاية ريال هدية فتيقن الحسين اذ ذاك انه يخادعه فصمم على حربه فقسم جيشه قسمين قسماً ذهب به لحضر الجيرة وقسماً أرسله لقتال القلابات فهاجم رجال هذا القسم سرف سعيد فنهبوا وتقدموا لحضر المئمة فأمر صالح بك

أخاه عثمان فخرج عليهم بستائة من أهله وصحبه السر سوارى محمد بك السيد بفرسانه فالتقوا عند تل بين سرف سعيد ومريود يوم الجمعة في ١٨ محرم سنة ١٣٠٢ هـ ٧ نوفمبر سنة ١٨٨٤ م فارتقوا الى التل وصبوا عليهم ناراً حامية حتى هزموا الى الحسين وقتلوا منهم نحو ٧٠٠ رجل وفيهم اثنان من اولاد الشيخ مريود قيل ان أكبرهما دفع الله كان حاملاً الراية فلما قتل حملها أخوه محمد فقتل فحملتها امها فقتلت وقتل من العساكر ٦٢ رجلاً .

النور فقرا وواقعة قدي في ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٨٤ : هذا وكان من جملة انصار المهدي في تلك الجهة رجل من الجبرقة (مسلمي الحبشة) يدعى النور فقرا هاجر الى المهدي في كردوفان فبايعه وعاد منه اميراً فجمع نفراً من الضبانية ونزل بهم على قدي من حلالات التكارنة ففزع اهل قدي الى صالح بك فجهز ألف فارس و ٢٠٠ رجل من اهله ومتطوعي الشايقية واستنصر الاحباش فأناه الراس دهنشوم فنته بنحو ٨٠٠٠ مقاتل وزحف الجيشان في ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٨٤ على ود فقرا في قدي فقتل من جيشه ٧٠٠ رجل وزيادة وفيهم الجبار وعمر واحد ود عايس من مشايخ الضبانية وجرحاه جرحاً بالفاً ففرّ بمن بقي من جيشه الى الحسين في حصار الجيرة . وعاد الاحباش الى بلادهم بالاسلاب والغنائم وقد قتل منهم نحو ٧٠ رجلاً وعاد صالح بك الى التمة ولم يقتل من جيشه احد .

واقعة زرقه في ١٠ ديسمبر سنة ١٨٨٤ : وبعد هذه الواقعة بقليل نزل الحمدة بقيادة الرضى ابريش وبني حسين البقارة بقيادة محمد ماجوق على زرقه من ارض القلابات فقتلوا وسبوا وغنموا فخرج عليهم صالح بك بسرية من جيشه فالتقوا في خور القنا قرب زرقه في ٢١ صفر سنة ١٣٠١ هـ ١٠ ديسمبر سنة ١٨٨٤ وأوقع فيهم واقعة شديدة وقتل وأسر منهم خلقاً كثيراً وكان في جملة القتلى الرضى شيخ الحمدة وفي جملة الاسرى امرأة الرضى و ١٤٠ نفساً . وبقي الحسين على حصر الجيرة حتى وقع الخلاف بينه وبين امرائه فرفعوا

الأمر إلى المهدي فخطأ الحسين وبعث في طلبه في ٧ ربيع الأول سنة ١٢٣٠٢ هـ ٢٥ ديسمبر سنة ١٨٨٤ م . وكانت عند المهدي في الزهد رجل من تكارنة القلابات يسمى محمد ود أرباب فأرسله أميراً على القلابات فأتى إليها وحشد الرجال وحصرها من الشمال الغربي . بقي الطريفي على حصار الجيرة .

انقاذ حامية القلابات في ٢٨ فبراير سنة ١٨٨٥ : هذا وكانت الحكومة في مصر عالمة بحصر الحاميات على حدود الحبشة ولكن لم يمكنها انقاذها فطلبت إلى الملك يوحنا ملك الحبشة أن يساعدها على ذلك فتعطيه المراكز نفسها بما فيها من الأسلحة والذخائر . وقد أرسلت إليه الاميرال هيوت وماسون بك منذ شهر يونيو سنة ١٨٨٤ للمفاوضة معه رسمياً في هذا الشأن فأقر الملك يوحنا على انقاذ القلابات أولاً وندب لهذه المهمة قائده دهنشوم فنته . وندب لها الكولونيل تشرمسيد باشا (محافظ سواحل البحر الاحمر في ذلك العهد كما مر) القائمقام سعد بك رفعت (ميرالاي الآن) بالنيابة عن الحكومة المصرية فخرج من مصوع بخمسة وعشرين من الباشبوزق في ١٨ اوغسطس سنة ١٨٨٤ وأتى الملك يوحنا في عدوة . فصدر أمر الملك إلى دهنشوم فصار معه بخمسة عشر الف مقاتل إلى القلابات فوصلها في ١٢ فبراير سنة ١٨٨٥ فوجد الدراويش قد حصروها من جهة السودان . بامارة محمد ود أرباب كما مر فطرداهم إلى سرف سعيد وجعل الجيش بينهم وبين المئمة ثم شرعاً في اخلاء الحامية فبلغ عدد المهاجرين من عساكر الحكومة ورجال صالح بك نحو ٣٠٠٠ نفساً فلم سعد بك الأسلحة والذخائر إلى دهنشوم وخرجوا بهم كلهم من المئمة السبت في ٢٨ فبراير سنة ١٨٨٥ وأتى قنندر فتأخر فيها صالح بك ورجاله وذهب سعد بك مع دهنشوم إلى الملك يوحنا فشكر له سعيه فأهدى إليه الملك بغلتين بسرجين من الفضة ودرقة مذهبة وأنعم عليه بلقب دجازماتش وأصخبه كتاباً إلى جميع البلاد التي في طريق مصوع لمساعدته على السفر فأخذ سعد بك العساكر من قنندر وسار إلى مصوع بخفر من الاحباش فأكرمه أهل البلاد التي مر بها اعظم اكرام وقدموا له كل ما لزمه من الزاد

وللماء والركائب حتى وصل مصوع في آخر مايو سنة ١٨٨٥ فسمح لأكثر الباشبوزق بالبقاء في مصوع وأخذ الباقي وهم ٦٧٠ نفساً الى مصر وفيهم السر سوارى محمد بك السيد. وتقدم محمد ود ارباب يحيشه من سرف سعيد واحتل القلابات يوم الخميس في ٥ مارس سنة ١٨٨٥ أي بعد خروج الحامية منها بخمسة ايام وسعود الى ذكره .

حصار الجيزة وانقاذها سنة ٤ : ١٨٨٥ :

الجيزة طابية حصينة على حدود الحبشة وهي مبنية بالحجر الصلب على أكمة مرتفعة على بحر ستيت وكان فيها في بدء الثورة اورطة من العساكر السودانية بقيادة البكباشي فضل الله افندي حبيب فذهب ٥ بلوكات منها نجدة الى سنار كما مرّ وبقي فيها ٣ بلوكات وبطارية طويجية و ٣ مدافع ثم ذهب نصف بلوك الى كسلا لجلب رواتب العساكر وكساويهم فحُصروا فيها ولم يرجعوا كما سيجيء. وحُصر الباقي في الطابية منذ مايو سنة ١٨٨٤ . وقد اطلمت على كتاب أرسله البكباشي فضل الله قومندان الطابية الى حاكم مصوع بتاريخ ٢٣ نوفمبر سنة ١٨٨٤ يصف فيه حصاره بما مفاده : « جاءنا الشقي الحسين عبد الواحد منذ مدة وحصرنا بثمانية آلاف رجل ودعانا الى التسليم فرددناه بالخيبة وقد سبقت فأخبركم بذلك وسألتكم المدد وكنت ارجو ان يصلني في شهر فخاب رجائي والآن ارسل اليّ المهدي كتاباً يدعوني به الى التسليم لأحد امرائه القريبين كعبدالله احمد ابي سن او محمود زايد وأرسل اليّ امرأه ايضاً عدة تحارير بهذا المعنى وأنا لا أزال اخادعهم واطارهم حتى يأتيني المدد . وفي ٧ نوفمبر عاد الحسين عبد الواحد . ومع الطاهر ود تاتاي وعبد الله ود الطريفي وتيمى احمد ومحمود ود زايد وأعادوا طلب التسليم مني فسلتهم فرصة شهر آملاً وصول المدد وأرسلت رسلاً الى معسكرهم لأتجسس أحوالهم فعاد الرسل بكتاب منهم يقولون فيه : « اذا لم تسلموا بالرضى نأخذكم بالرغم » . لم نجيبهم وعقدنا النية على الثبات الى ان تاتينا النجدة وهم الآن

بهاجوتنا كل يوم وقد انقسموا فريقين فريقاً لقتالنا وفريقاً لحصرنا وأصبح مركزنا من أخرج المراكز . نعم ان الطابية حصينة ولكن العساكر قليلون كما تعلمون لذلك ارجو ان تسرعوا بارسال المدد ولو اورطتين تأتيان بطريق الحمران .

انقاذ الجيرة في ٨ يوليو سنة ١٨٨٥ . وكانت الحكومة تسمى مع الحبشة في انقاذ جميع الحاميات التي على حدود الحبشة كما مر فكتب اليه حاكم مصوع في الجواب : « ان الحبشة آتون لانقاذكم قريباً فاخلوا لهم الطابية وسلموهم الاسلحة والذخائر وهم يأتون بكم الى مصوع » . فأرسل فضل الله افندي الملازم ابراهيم افندي حزين بكتاب الى الملك يوحنا في دبر تابور فجاءه جيش جرار بقيادة دجاج تسمى . وكان امراء الدراويش اذ ذاك في خلاف كما مر فلما رأوا الأحباش في عدد عظيم تفرقوا . ودخل الأحباش الجيرة في أوائل يوليو سنة ١٨٨٥ واستلموا ما كان فيها من الاسلحة والذخائر وكان فيها من الاسلحة : ٣٠٠ بندقية رامنتون و ٦٠٠ بندقية بالكبسول و ٣ مدافع وصاروخ . وفي ٢٥ رمضان سنة ١٣٠٢ هـ ٨ يوليو سنة ١٨٨٥ خرجوا بالحامية الى « غبطة » فأقام العساكر هناك سبعة أشهر بسبب الامطار وامتلاء الأنهر فلما انقطعت الامطار وانفتحت الطرق أتى مندوب من طرف ملك الأحباش فأخذهم الى مصوع فوصلوها في أوائل فبراير سنة ١٨٨٦ ومنها أرسلوا الى مصر .

تسليم مصوع للتليان في ٦ فبراير سنة ١٨٨٥ :

أما محافظة مصوع فانها سلمت للتليان منذ ٦ فبراير سنة ١٨٨٥ وعادت حاميتها الى مصر .

اخلاء أميديب في ١٠ ابريل سنة ١٨٨٥ :

وأما أميديب فقد كان فيها اورطة من العساكر بقيادة الصاغ عبد الله افندي سالم و ١٠٠ رجل من الباشبوزق بقيادة حسن اغا التوم فعادت بطريق سنهت الى مصوع فوصلتها في ١٠ ابريل سنة ١٨٨٥ .

اخلاء سنهيت في ١٩ ابريل سنة ١٨٨٥ :

وأما سنهيت فقد كان فيها اورطتان من العساكر وفيها خسرو باشا قومندان شرق السودان فسلم سنهيت للحبيشة وخرج منها الى مصوع فوصلها في ١٩ ابريل سنة ١٨٨٥ .

وقد كان في وسع هذين الحاميتين الرجوع الى مصوع قبل ذلك بزمان لأن الثورة لم تمتد اليها ولكن 'ظن' ان بقاءهما يساعد على اخلاء كسلا فلما وجد ان اخلاءهما ورفع الحصار عنها يستلزمان تجريدة قوية أمرت الحكومة فرجعتا الى مصوع .

اخلاء هرر وزيلع وبربرة في ١٣ مايو سنة ١٨٨٥ :

ثم ان قرار الحكومة على اخلاء السودان لم يستثن محافظة هرر شرقي الحبيشة لا سيما وان حفظها كان يستلزم نفقات جمة ومشقات جسيمة فندبت لذلك رضوان باشا من الجيش المصري والماجور هنتر من الجيش الانكليزي في الهند. فخرج رضوان باشا من السويس في ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٤ ومعه ٥٠٠٠ لاخلاء المحافظة فوصل عدن في ٢٣ منه فوجد الماجور هنتر في انتظاره فذهب به في اليوم التالي الى بربرة وقرأ لأهلها الامر العالي القاضي باخلائها ثم أتى زيلع فوضع الدرام في خزينتها وأرسل في البريد كتاباً الى محافظ هرر يعلنه بحضوره وعاد الى بربرة فباع ما أمكن بيعه من أشياء الحكومة بالمزاد العلني ثم سلكها الى قنصل الانكليز فيها وسار منها في ١٢ اكتوبر الى هرر ومعه اللفتننت بيتن الذي تاب عن الماجور هنتر وشرع في اخلاء الحامية فباع ما في المخازن الاميرية بالمزاد العمومي ونقد العساكر رواتبهم المتأخرة عن خمسة أشهر. وفي آخر اكتوبر أرسل ١٠٠٠ رجل ثم في وسط نوفمبر ارسل ٢٧٠٠ نفس ودفاتر الحكومة . وفي ١٣ نوفمبر حضر الماجور هنتر ومعه ٤٠ ألف روية وشرع مع رضوان باشا في تنظيم حكومة وطنية للبلاد قبلها طابية جملا فيها

٣٠٠٠ رجل من السومال حاميةً وسلاحهم بالبنادق وعلمهم كيفية استعمالها وعاد الماجور هنتر الى زيلع فوصلها في ١٥ فبراير سنة ١٨٨٥. وبقي رضوان باشا فمقد مجلساً اجتمع فيه ٥٦ من مشايخ هرر وأعيانها وسألهم ان يختاروا من يولوه عليهم من سلالة الامراء الذين حكمهم قبل الاحتلال المصري فاختاروا عبد الله عبد الشكور. وفي ٢٥ ابريل قرأ رضوان باشا على الجمهور الأمر العالي القاضي باخلاء هرر وأعلن تولية عبد الله المذكور حاكماً عليها وأطلق ٢١ مدفعاً اشعاراً بذلك. وفي اليوم التالي أي ٢٥ ابريل خرج بباقي الحامية وهم ٦٥٠٠ رجل الى زيلع. وبقي اللفتت بيتن في هرر لحماية بعض التجار الاوربيين الى ١٣ مايو سنة ١٨٨٥ فلم يبق الحكومة وجناتها التي قدرت قيمتها بنحو ٧٤٠٠ جنيه الى الحاكم الجديد وعاد الى زيلع.

وبقيت هرر بيد عبد الشكور لا ينازعه فيها منازع الى بدء سنة ١٨٨٧م فزحف عليه منليك ملك شوه (ملك الحبشة الآن) وأخذها منه عنوة فاستعمل عليها الراس مكون وعاد الى شوه ولا تزال بيده الى اليوم. وهكذا صارت هرر الى الأحباش وزيلع وبربرة الى الانكليز. ولم يبق في السودان للشرقي إلا حامية كسلا التي اضطرت الى التسليم بعد حصار طويل كما سيجيء.

حصار حامية كسلا

سنة ١٨٨٥ : ٤ م

بدء الثورة في كسلا في اوجسطوس سنة ١٨٨٣ : ما حرك اهل كسلا ساكناً للثورة حتى قدم عثمان دقنة الى بلاد سواكن في اوجسطوس سنة ١٨٨٣ ووزع عليهم كتب المهدي فقام للكنيلا ب الهدندوة على جباره اغا الشايقي ونفر من الباشبورق كانوا في بلادهم يشترىون الابل لحمة مكن فحاربهم مستبسلين وتخلصوا منهم وأموا مركز كسلا حتى وصلوا بلاد السمرندولاب الهدندوة

فرحبوا بهم وأظهروا أسفهم من فعل الكيلاّب وأمنوم حتى ناموا عندهم . وكان الكيلاّب لا يزالون يطاردونهم فوصلوا ليلاً والتحدوا مع السمردواب فانقضوا عليهم عند صلاة الصبح فقتلهم وغنموا سلاحهم . وكان في كسلا اذ ذاك راشد باشا كمال قومندان عساكر شرق السودان فخرج بألف وخمسمائة رجل من نظامية وباشبورق ونزل على السمردواب فقتلهم عن آخرهم وتقدم لتأديب الكيلاّب . فهاج لذلك غضب محمد بك موسى ناظر الهدندوة ورفع الأمر تلغرافياً للجناب العالي بمصر وقال ان فعل راشد باشا يهيج القبائل كافة فصدر أمره الى راشد باشا بالرجوع عن الكيلاّب والعودة الى مصر وسعى محمد خسرو باشا قومنداناً على عساكر شرق السودان مكانه فاتخذ مركزه سنهيت .

مصطفى هدى سنة ١٨٨٤ : وهذات بلاد كسلا بعد ذلك اربعة أشهر حتى انتشر خبر هلاك هكس وجيشه في شيكان فتحفز الأهليون للثورة وقام رجل يدعى مصطفى هدى قبل انه من الشرعاب الهدندوة وحرفته صنع أسورة العاج للنساء ومسكنه الدقا مركز بني عامر وكانت له علائق تجارية وودية مع عثمان دقنة من قبل الثورة فلما بلغه خبر قيام عثمان في سواكن ذهب اليه وبايعه باسم المهدي فكتب اليه بالامارة على كسلا وأمره يجمع الهدندوة ومحاصرة حاميتها حتى تخضع له فحمل كتاب عثمان وأتى الى فلك مركز الهدندوة العام فوجد فيه احمد موسى شيخ مشايخ الهدندوة وحوّاً الحبشي وكيل محمد بك موسى ناظر الهدندوة فقرأ لها كتاب عثمان دقنة ودعاهما للجهاد فلبيا الدعوة وجما له جيشاً عظيماً من اهلها فزحف به طالباً كسلا .

وكان في كسلا اذ ذاك اورطة من العساكر السودانية المنظمة ونفر من الطوبجية معهم ١٨ مدفعاً وصاروخين وبضعة ارادي باشبورق وعلى الجميع فرج بك جزاز التقلوي وهو من الأبطال المعدودين والمدير على كسلا احمد بك عفت الشركسي المشهور بالحزم والعزم وجودة الرأي والكل في « استحكام » منيع بخندق وسور لها خمسة ابواب وتسعة أبراج ومعهم بداخل الاستحكام

نحو ٢٠٠٠ من التبع و ٢٠٠ من التجار و ٥٠٠ من اهل الزراعة . وكان في الخاتمة جنوبي كلا السيد محمد عثمان المرغني شيخ الطريقة المرغنية في السودان ومعه نفر من أتباعه وقد كتب اليه المهدي يدعوه للقيام بنصرته فلم يجبه بل حذر أنصاره من اتباعه فكان الوحيد من مشايخ الدين في السودان الذي قاوم المهدية الى النهاية وكان اعظم سند لحامية كلا كما سيجيء .

واقعة الجمام في ١٢ فبراير سنة ١٨٨٤ : فلما وصل مصطفى هدل الجمام على ٣ ساعات من كلا كتب الى المدير يدعوه للتسليم فأجابه المدير « ارتدع عن غيك و فرّق القبائل الى أماكنها ولا تكن سبياً في سفك دماء المسلمين » . فرد مصطفى هدل كتابه بقوله « دع عنك هذا القول الهراء وسلم تسلّم او استعد للحرب » . فخرج له اذ ذاك فرج بك عزاز بألف وخمسمائة مقاتل من نظامية وباشبوزق فالتقاه مصطفى هدل في ظامر الجمام ودارت رحى الحرب بين الفريقين فدامت من الصبح الى ما بعد الظهر وقد فتك الرصاص بأنصار مصطفى هدل فتكاً ذريعاً ولكنهم فازوا اخيراً لكثرة عددهم ودخلوا وسط المساكر فاعملوا فيهم السيف والحرية وقتلوا منهم ٤٥٠ رجلاً فقتلوا أسلحتهم واضطر الباقين الى الفرار وذلك يوم الثلاثاء في ١٤ ربيع آخر سنة ١٣٠١ هـ ١٢ فبراير سنة ١٨٨٤ م .

وكان المهنددة يعتقدون ان من يقتل منهم في هذا الجهاد تحمله الحور العين الى الجنة كما وعدم المهدي في كتبه فرأوا بعد الواقعة رجلاً منهم قد جرح جرحاً مميتاً وهو في حال النزاع فتجمعوا حوله وسألوه هل ترى الحور العين مقبلة لتحملك الى الجنة فصاح بلفته قائلاً « حورية كا كا حورية كا كا أي لا أرى الحور لا أرى الحور بل أرى ناراً توقد فيّ فأرفقوا بأنفسكم واتركوا هذه الحرب وعودوا الى أهلهم » .

أما المدير فإنه لما عاد الماسكر منهزمين من الجمام تحقق الأمر وشرع في تقوية الاستحكام والاستعداد للدفاع فهدم حلالات الخلائفة والجمليين والشايقة والتكارنة خارج الخندق لينكشف ما حوله ثم عمق الخندق وجعل المدافع على

الأبراج التسعة وأغلق بابين من ابواب السور وهما باب القاش وباب رجب بك وصف العساكر على خط النار فوجدها غير كافية لحماية السور فجندها ١١ اوردياً من المتطوعين وأرسل في طلب المدد من الحاميات الأخرى فأثابه ٢٠٠ رجل من اميديب و ١٠٠ من سنهيت و ١٠٠ من القلابات وجاء ٢٥ رجل من الجيرة جاؤوا لأخذ رواتب العساكر فيها فحصرها معه كما مر. وأرسل السيد محمد عثمان الى القبائل التابعة له فجاءه : شكرية الابرة وعليهم الشيخ عمارة ولد حمد ابو سن والشيخ ابراهيم ولد قلبوس . وشكرية القاش المعروفون بالنوايمة وعليهم ولد الفجل . وبنو عامر وناظرهم الشيخ علي بك البخيت . والقادين جماعة الشيخ احمد حجاج . وبعض اهل سبدرات جماعة الشيخ علي نورين . وقسم من المحران شياخة عجيل الحمراي المشهور . والحلائقة بقيادة عبد القادر بك محمد ليلة . وقد جاؤوه بخيلهم ورجلهم وآلات حربهم فكانوا نحو ١٠٠٠ فارس بالدرع واللبوس و ٧٠٠٠ راجل . وأما مصطفى هدى فانه بعد واقعة الجمام زحف بجيشه الى قلوبسيت على نحو عشرة أميال شمالي كسلا وألقى الحصار على كسلا .

الحسن ود حاشي وبلال السمرندواي : وبنال « أناه الحسن ود حاشي » من سكان قوز رجب « وبلال السمرندواي » وكلاهما من فقهاء الهدندوة ومع كل منهما كتاب من المهدي بالامارة على اهله .

عمارة ولد ضاوي وواقعة العشرة في مارس سنة ١٨٨٤ : ثم جاءه عمارة ود ضاوي من فقهاء البوادة الشكرية ومعه ايضا كتاب من المهدي بالامارة على من يتبعه وكان عمارة المذكور صاحب مكر ودهاء فاستمال اليه الحسن ود حاشي وبلال السمرندواي المذكوران فسلخهما عن مصطفى هدى وزحف بهما من قلوبسيت الى توكرف على نحو ساعة من حصن كسلا وهناك كتب كتاباً الى المدير في كسلا وكتاباً الى السيد محمد عثمان في الخاقية يدعوهما للتسليم فبعثا ينصحبانه بالعدول عما هو فيه فلم يزد إلا طغياناً وأرسل جماعة من

رجالهم فقطعوا الطريق بين كسلا والخاتمية وقتلوا وخرّبوا . فتجرد له المدير وجروهم الى كين على القاش بالقرب من جيزة الموض وجعله بين ثارين فقتل نحو ألفين من رجاله وهزّمه شر هزيمة الى قلوسيت وكانت الواقعة في شهر جمادي الاولى سنة ١٣٠١ هـ مارس سنة ١٨٨٤ م وقد سميت بواقعة العشرة لأنها وقعت عند شجرة كبيرة من العُشُر .

واقعة الفقيه عيسى : وكان في جيش عمارة المذكور فقيه من التكرانة الفلانة يقال له الفقيه عيسى كان هذا متوطناً في كسلا قبل الثورة بخمسة عشرين سنة وكان اهلها يعتقدون به الصلاح والتقوى وهو يكره السيد محمد عثمان فجاء يجيش من قلوسيت لأخذ الثأر فرأى بعض نساء خارجات من الخاتمية من زيارة السيد محمد عثمان المرغني الى الاتبرة فجردهن من حلائهن وسبى بعضهن وقطع آذان البعض الآخر وأنوفهن فرجع المشوهات الى السيد محمد عثمان شاقيات مولولات فلما رآهن في تلك الحالة هاج به الغيظ وصاح بأنصاره فضربوا طبول الحرب وزحفوا على الفقيه عيسى فالتقوه على القاش وأوقعوا به واقعة دموية فقتلوا خلقاً كثيراً من أنصاره وهزّموه أقبح هزيمة واسترجعوا النساء المسييات وعادوا بفنائهم كثيرة .

هذا وكان مصطفى هذل قد اشكى عمارة ولد ضاوي المذكور الى عثمان دقنة فكتب عثمان الى عمارة يأمره بالحضور اليه في الحال فخرج بجبة انه ذاهب الى عثمان فاختمت ولم يعلم احد مقره وقيل انه التجأ الى الحبشة .

باشريك السمرندواي وواقعة تنبكيائي : في ١٩ يونيو سنة ١٨٨٤ : وبعد ذهاب عمارة وقع الخلاف بين مصطفى هذل والحسن ود حاشي وبلال السمرندواي في من يكون رئيس المجاهدين فقام فقيه من السمرندولاب يسمى باشريك واغتم الفرصة ودعا الناس لاتباعه فاتبعوه فزحف بهم الى توكرف بنية فتفتح الخاتمية وكانت معه محمد ولد حامد ابن أخي موسى بك فخرج بالقسم الاكبر من الجيش ورحف على الخاتمية فنزل بجبهة تنبكيائي أي محل زرع

التفباك على القاش نجاه الخاتمية فالتقاء رجال السيد وقتلوه حتى قتلوه مع ألف رجل من أنصاره وهزموا الباقين إلى توكرف وذلك يوم الخميس في ٢٤ شعبان سنة ١٣٠١ هـ ١٩ يونيو سنة ١٨٨٤ م .

وكان موسى بك ناظر الهدندوة قد فرّ من الاستحكام وانضم إلى الدراويش في توكرف فلما سمع بقتل ابن أخيه ضرب نقارة الحرب في اليوم المذكور وأتى تنبكيائي بجيش عظيم فخرج محمد عثمان بنفسه ليلاً يجتمع جيوشه واستعد للقاءاته . وفي صباح اليوم التالي حضر كتاب من موسى بك إلى السيد محمد عثمان يدعوه للتسليم فأجابته «قرأت كتابك وفهمت خطابك فان أقمت في محلك إلى الظهر ألحقنك بابن أخيك بعون الله » . وأرسل إلى المدير في طلب المدد فبعث إليه بألف رجل وكانت فاطمة بنت الشيخ موسى زوجة محمد المقتول في الخاتمية وهي على عقيدة السيد محمد عثمان فلما رأت القوة في جانب السيد خافت على أخيها ان يلحق بزوجها فأرسلت إليه رسولا سراً تخبره ان لا طاقة له على هذه الحرب وتلج عليه بالرجوع فرجع .

خروج السيد محمد عثمان من الخاتمية في ٣٠ يونيو سنة ١٨٨٤ : . ورأى السيد محمد عثمان ان الخطب قد تفاقم إلى حد لا يمكن ملاقاته إلا اذا جاء المدد من مصر فلم يجيء المدد من مصر وخاف اذا بقي ان يقع في الأسر فيهان ويذل فقرّر رأيه على الخروج من الخاتمية فخرج في ٦ رمضان سنة ١٣٠١ هـ ٣٠ يونيو سنة ١٨٨٤ م قاصداً مصر فشيعة العربان الذين كانوا مجتمعين عليه إلى الدقا وفرقوا إلى أماكنهم أما السيد فانه بقي في الدقا مدة ثم ذهب إلى مصوع فصر فأقام في مصر بضعة ايام ثم توفي إلى رحمة ربه السبت في ١٠ ربيع الآخر ١٣٠٣ هـ ودفن في باب الوزير ومقامه مشهور .

السيد البكري وصور الخاتمية : وتولى الخاتمية بعد ذهابه ابن عمه السيد البكري ابن السيد جعفر المرغني ولم يبق معه إلا أخلاط من الدناقلة والجمعين والحلانقة والبجة . فبنى سوراً حول الخاتمية جعل بناءه أقساطاً على الأهلي

على كل جماعة قسطاً فاشتغلوا فيه ليلاً ونهاراً حتى أتموه على ارتفاع خمسة أمتار في أقل من شهر وكان جداره من جهة الشرق الجبل لأن الخاتمية بلبصه .

واقعة سدينة الاولى في ٣٠ يوليو سنة ١٨٨٤ : هذا وكان العصاة بعد الانحزال الذي لقوه برئاسة بإشريك قد انصرفوا عنه ووقع الخلاف بين مصطفى هدل والحسن ود حاشي بشأن الرئاسة فذهب الحسن ود حاشي الى المهدي شاكياً فزحف مصطفى هدل على الخاتمية مصصاً على فتحها فنزل في سدينة غرب القاش وكان قد علم بخروج محمد عثمان منها فكتب الى السيد البكري بالتسليم فطلب السيد البكري المدد من كلا فجاءه ألف رجل من جهادية وباشبوزق بقيادة الصاغ فرج افندي من ضباط مدد اميديب ومعه من الرؤوس صالح بك البغدادي وعبد القادر بك محمد ايله الخلاتقي فطردوا مصطفى هدل من سدينة بعد ان نكلوا يمينه تنكيلاً وعاد الى كلا عند الغروب وذلك اول اربعاء في شوال ١٣٠١ هـ يوليو ١٨٨٤ م .

واقعة سدينة الثانية: وفي اليوم التالي ضرب مصطفى هدل نقارته وجمع شتات جيشه وعاد به الى الحرب فخرج له فرج بك عزاز بألف وخمسمائة مقاتل من كلا مع فرسان السيد البكري من الخاتمية فضربه ضرباً شديداً وهزمه الى قلوسيت . ومن ذلك الوقت لم يعد مصطفى هدل ولا غيره من امراء الدراويش يحسر على مهاجمة كلا او الخاتمية بل اقتصرُوا على غزو القبائل المتحابة وداموا على ذلك أشهراً .

قتل الميتكناب في اوغسطوس سنة ١٨٨٤: ففي اول القعدة سنة ١٣٠١ هـ ٢٣ اوغسطوس سنة ١٨٨٤ م أرسل مصطفى هدل ابن عمه جمعة بسرية من جيشه لتأديب الميتكناب الذين على الطريقة المرغنية وكانوا نحو ألف رجل فقاتلوه مستبسلين وصدّوه بخسارة جسيمة فأرجعه مصطفى هدل بسرية أعظم فأطبق عليهم من كل جانب وقتلهم عن آخرهم حتى النساء والاولاد وغنم أموالهم وخرب ديارهم .

عوض الكريم كافوت، وفي هذه الأثناء قدم جملي من مواليد التاكا يسمى عوض الكريم كافوت كان قد ذهب بتجارة الى شكا قبل الثورة فلما كانت الثورة انضم الى المهدي في كردوفان فأرسله اميراً على قومه الجمليين في التاكا وكان رجلاً شريفاً ولأهله مهارة في فن الحرب فجمعهم وأخذ يغزو بهم الشكرية الذين على الاثيرة فقتل من رؤسائهم عوض الكريم دكين وأخاه احمد . وكان من عادة اهل كسلا الخروج من الاستحكام لجمع الحطب للوقود والعلف للبهائم فوقف لهم عوض الكريم بالمرصاد ومنعهم من الخروج .

سبدرات والسمرنداب؛ وفي أواخر القعدة سنة ١٣٠١ هـ أواسط سبتمبر سنة ١٨٨٤ م غزا علي نورين شيخ سبدرات بلاد السمرنداب فأصاب قطعياً من الماشية فباعه في كسلا وعاد الى سبدرات فجمع باثريك السمرندوايي قومه وقصد سبدرات فكن له علي نورين خارج البلدة ولما أطل خرج من الكين وأوقع الفشل في قومه فقتل منهم نحو ألف رجل وهزم الباقين ولكنه جرح جرحاً شديداً في وجهه . ولم يعد في امكانه استمرار القتال ولم يكن يشك في عودة السمرندوايي للأخذ بالثأر فكتب الى المدير يسأله المدد فأرسل اليه المدير ٢٥٠ رجلاً من جهادية وباشبورق بقيادة اليوزباشي دياب اغا والصاري ابراهيم اغا البدوي فأقاموا حامية في سبدرات . ولم يلبث باثريك ان عياد اليها بجيش عظيم فهزم المساكر المحافظين عليها وقتل اهلها واحتلها . وأما علي نورين فقد حمله ابنه وفر به الى كسلا .

وكان السيد محمد عثمان لا يزال في الدقا فلما سمع بنكبة سبدرات كتب الى المدير يسأله ارسال جيش الى سبدرات في يوم معين وساعة معينة فيهاجم باثريك من الغرب وهو يوجه البخيت شيخ بني عامر فيهاجمه من الشرق في الميعاد المضروب . فخرج المدير بنفسه بألف وخمسمائة رجل من جهادية وباشبورق ومعه من الرؤوس القاتمقام فرج بك عزاز والسراي بشير اغا كبال والسراي حسن اغا سليمان وكان علي نورين قد تعافى من جرحه فصحبه المدير ونزل بالجيش في خور ملاسي غرب سبدرات وعمل زريبة من الشجر ومكث

ينتظر قدوم الشيخ البخيت ولكن هذا الشيخ لم يصل سبدرات حتى بإدراها بالهجوم ولم يعلم المدير بقدمه وكان جيش بائيريك أقوى من جيشه فهزمه شر هزيمة وانقلب على زريبة المدير يريد اختراقها ففتح عليه ناراً حامية فثبت ساعة خسر فيها ألف رجل ولم يقتل من عساكر المدير إلا رجل واحد . وانهزم بائيريك الى فتهاي على عشرة أميال من سبدرات فقبضه علي نوريني وبقية المشايخ المتحابة المرافقين للجيش فهزموه الى قلوبيت .

غزوة قلوبيت في ٥ يناير سنة ١٨٨٥ : واغتر المشايخ بالنصر الذي نالوه على الدراويش فزينوا للمدير ان يهاجمهم في ديمهم العام في قلوبيت فرضي بذلك . وفي يوم الاثنين في ١٧ ربيع الاول سنة ١٣٠٢ هـ ٥ يناير سنة ١٨٨٥ م جهز نحو ٢٠٠٠ رجل من جهادية وباشبوزق وعزم على الخروج للحرب بنفسه فزلت رجله وهو نازل على سلم المديرية فوئلت فلم قيادة الجيش الى فرج بك عزاز فزحف به على قلوبيت . وكان مصطفى هدل قد بلغه عزم الجيش على مهاجمته فاستعد للمقاته وكان عوض الكرم كافوت متنبياً في غزوة على النوايمة فبعث اليه يستعجله في الرجوع الى الديم غوصل قبل وصول الجيش بقليل والتقى الجمعان عند الضحى في ظاهر ديم قلوبيت وهاجم العصاة بحزم وثبات مستقتلين فلم يكن إلا القليل حتى دخلوا وسط العساكر وأوقعوا فيهم الفشل فانهمزوا والعصاة وراهم تقتل بهم طعناً بالرماح وضرباً بالسيف الى جبل مكرايم شرقي كلا . وقد قتل من العساكر وحدهم ٧٥٠ رجلاً من نظامية وباشبوزق فيهم ١٧ ضابطاً وغنموا مدفعاً وأسلحة كثيرة ،

وقويت نفوسهم لهذا النصر فتقدموا الى توكرف وحصروا كلا والخاتمية معاً وذلك في ١٣ يناير سنة ١٨٨٥ . ومن ذلك اليوم انحصر العساكر في استحكامهم فلم يعودوا يحسرون على الخروج منه قيد شبر .

صد بائيريك عن الخاتمية : وكان السيد البكري قبل واقعة قلوبيت يحمي سور الخاتمية بنحو ٦٠٠ بندقية فلما نزل العصاة بتوكرف طلب المدد من المدير

فأرسل اليه صالح بك البغدادي ومعه ٢٠٠ جهادي و ٣٠٠ من الباشبوزق والخطرية فحصدت بهم سور الخاتمية وما أتم استعدادده حتى هاجمه بأشريك السمر ندوابي فردّه خاسراً .

عودة الحسن حاشي الى كسلا : وفي ٢٠ جهادي الآخرة سنة ١٣٠٢ هـ ٦ ابريل سنة ١٨٨٥ م عاد الحسن حاشي الى كسلا ومعه منشور من المهدي بالامارة على من يتبعه فتبعه معظم الجيش فزحف به في ١١ ابريل الى مدينة وحصر كسلا والخاتمية معاً ومنع ما كان بينها من الاتصال .

سقوط الخاتمية في ١٨ رجب

سنة ١٣٠٢ هـ مايو سنة ١٨٨٥ م

ثم كتب الى السيد البكري يقول «اني جئت بك كتاب من المهدي بتوليتك على مديرية التناك وعلى جميع هذه الجيوش قتال للمفاوضة في هذا الشأن ، فلم يركن السيد البكري اليه فبعث الى بلال السمرندوابي نظراً لسابق المودة بينها فأثاه الى باب سور الخاتمية وأكد له صحة قول الحسن حاشي وعاهده اذا خرج الى مفسكر العصاة ان يحميه من كل ضرر فاستشار السيد البكري المدير وخرج الى ديم العصاة مساء ١٧ رجب سنة ١٣٠٢ هـ ومعه ١٥٠ رجلاً من جهادية وباشبوزق فرحب به بلال وبأشريك وبات ليلته عند بلال ولما أصبح يوم ١٨ رجب سنة ١٣٠٢ هـ ٣ مايو سنة ١٨٨٥ م اجتمع اليه الأمراء ما عدا مصطفى هدل فانه بقي منفرداً يحيشه واشتد الجدل بين السيد البكري والأمراء في شأن التسليم . وانهم لكذلك اذا بعوض الكريم كافوت قد انقض على خفراء السيد البكري فقتلهم عن آخرهم ثم انقلب على السيد البكري يريد قتله فرمى بلال السمرندوابي بنفسه عليه وحماه من القتل وكذلك فعل علي شنتير الجملي وابراهيم حمد الشبدينبابي فاحتله عمارة ابو سن الى محل الامان فأتى مصوع فسواكن فمكة فمات فيها سنة ١٣٠٤ هـ . وفي الوقت نفسه زحف مصطفى هدل يحيشه على الخاتمية فأخذها غيبة باردة ثم جاء الحسن حاشي

يحيثه فاحتل الخاتمية وعاد مصطفى هدل الى توكرف فحصرها كسلا من الشمال والجنوب وضيقا عليها بعد ان هدموا قبة السيد حسن المرغني وجامعه .

مواصلة الحامية للحكومة : وكان المدير قبل الآن في اتصال دائم مع خسرو باشا قومندان عموم شرقي السودان في سنهت فكتب اليه بعد واقعة الجلم يسأله المدد والنقود فبعث بالنقود يخفرها سعد بك رفعت بمئة رجل . ثم عاد المدير الى طلب النقود والمدد فأجابته عندي نقود ولكن ليس عندي خفراء لمهايتها في الطريق وقد سألت مصر تلفرافيا ارسال المدد ففى حضر أرسله اليكم مع النقود .

وكان المحافظ على سواكن في هذا العهد تشرمسيد باشا كما مر فبعد ان فافوضه خسرو في شأن كسلا كتب الى المدير كتابا آخر يقول « ان الحكومة ليس عندها مدد فتخيروا الرأي الذي ينجيكم من العصاة واذا أمكنكم فاتركوا المثقلات في مكانها وتعالوا خفافا الى مصوع » فجمع المدير الضباط والتجار وتلا عليهم الكتاب فكتبوا في الجواب « ان كثرة عائلتنا تمنعنا من الخروج بلا نجدة قوية ويلزمنا ٥٠٠٠ رجل وخفراء أقوياء لحفظنا في الطريق » فلم يجبه بشيء . ولكنهم لم يهتموا في بادئ الامر لابطاء المدد لأنهم كانوا فائزين على العصاة فلما كانت واقعة قلوسيت وأصبحت الحامية بتلك الضربة الموجهة أرسل المدير عبد القادر كبير الحلائقة الى سنهت يستمجل المدد والنقدية ويقول انه لم يبق للحامية سوى قوت شهرين وقد اشتد الحصر عليها حتى لم يعد يمكنها الخروج في طلب القوت . فأبلغ خسرو باشا الخبر الى تشرمسيد باشا بسواكن . وبعد ذلك بقليل وصلت حامية اميديب ومعها السيد محمد عثمان المرغني الى سنهت واستطردت السير الى مصوع فصحبها عبد القادر بك . وبعد قليل لحقتها حامية سنهت كما مر . وانتظر المدير المدة التي كان يمكن لعبد القادر بك الرجوع بها فلما لم يرجع ولا ورد منه خبر أرسل اربعة جاويفية الى سنهت ليعلموا ما الخبر فوجدوا خسرو قد أدخل سنهت فلهقوه الى مصوع . وكانت الحكومة على ما علمت تفاوض ملك الحبشة بشأن انقاذ

الحاميات التي على الحدود فكتب الكولونيل تشرمسيد الى الملك يوحنا في ١١ ابريل سنة ١٨٨٥ يستحبه على التعجيل في ارسال المدد ويقول اذا لم تسرعوا في ارسال النجدة فالحامية لا بد من سقوطها وقد وعدوه بعشرة آلاف بندقية فأرسل الملك يوحنا امره الى الراس الولا لانقاذها لأن جهته موالية لكسلا فأبطأ في نجدتها .

وكتب خسرو الى المدير بعد المفاوضة مع تشرمسيد بما مفاده : « اعلم ان الخرطوم قد سقطت وانسلخ السودان عن مصر وغير متيسر للحكومة ارسال مدد اليكم من جندها ولكن المفاوضة جارية مع ملك الحبشة للاسراع في نجدتكم فاعقدوا مجلساً من أعيان المدينة وانظروا في أمر سلامتكم فاذا حكمتم باخلاء الحامية فخطبوا ملك الحبشة رأساً وعدوه بعشرة آلاف بندقية مكافأة على ما عساه ان يبذل من المساعدة لكم » . فكتب المدير الى ملك الحبشة في طلب المدد . وكتب الى حكومته في ١٣ ابريل سنة ١٨٨٥ يقول : ان الحامية قد صارت في أشد الضيق فقد نفذ منها الزاد واضطرت الى أكل الحير ونحن لا نزال ننتظر النجدة اذ لا يمكننا الخروج من الحصن بدونها .

كتاب الحامية الى المهدي بشأن التسليم : ولما لم ير جواباً من الحكومة ولا من الحبشة على الحاحه في طلب المدد ورأى انه اذا طال هذا الضيق على الحامية اضطرت الى التسليم او الموت جوعاً اختار التسليم على الموت ولكنه كره التسليم الى مصطفى هدى وأعوانه خوفاً من غدرهم فجمع ضباط الحامية وتجارها وكتبوا الى المهدي في الخرطوم كتاباً يخبرونه بأنهم مسلمون ويسألونه ارسال أمناء من طرفه ليسلموا لهم وقالوا فيما بينهم اذا جاءنا المدد قبل مجيء الأمناء استعنا به على المحاصرين وإلا سلمنا لهم .

جواب المهدي للحامية : فبعث المهدي حسين ابراهيم الشهير بالزهرة وابراهيم احمد عالم وجماعة من أصحابه ومعهم كتاب منه الى أهل كسلا ولفظ الكتاب بعد البسلة :

وبعد فمن العبد المعتمد بالله محمد المهدي بن عبد الله الى أحبائه في الله
 احمد عفت مدير التاكا وفرج عزازي رئيس العساكر وخسن ليبب وعبدالقادر
 هديب وحسن سليمان وبشير كبال ونعم الفكي وابراهيم بدوي وحسن موسى
 وغورشيد واحمد المنسي وحسن بدوي وخلف خلف الله واحمد حمدي وكافة
 عباد الله المحصورين بخندق كسلا تجاراً وعمداً وغيرهم وفقهم الله تعالى الى
 الصواب يجاه النبي الأبواب آمين. منا لكم السلام ثم نعرفكم بأن خطابكم المحرر
 لنا صعبة رسولكم المعين عبد الله بطلب الأمان ورغبة تعيين احد من طرفنا
 للتسليم على يده والتماس العفو عنكم وخشيتكم من الجهال المحاصرين لجهتكم ان
 سلمتم على يدهم الى آخر ما بخطابكم قد أخطأنا به غلطاناً وشكرنا ضيقكم ودعونا
 لكم بكل خير وحمدنا الله تعالى على هدايتكم وإفابتكم الى ربكم فان ذلك
 سبب فلاحكم وفوزكم ونجياحكم الذي هو مقصودنا من دعاية الخلائق الى الله
 وقد عقلتم فيما ضنعت وتداركم انفسكم من عطب الدارين والمقصود الأهم هو
 سلامة الآخرة فان هذه الدنيا قريبة الزوال منقصة العيش مكدرة الأحوال
 لا خيرها يدوم ولا ثمرها يبقى ولا فيها مخلوق بقناء حلالها حساب وحرامها
 عقاب ومتشابهها عتاب لم ينظر الله اليها منذ خلقها وقد ورد في الخبر انها لا
 تزن عند الله جناح بعوضة وانها دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها
 يجمع من لا عقل له كما جاء في الحديث وأما الآخرة فنعمت الدار هي دار
 دائمة النعيم أعد الله فيها لعباده المؤمنين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا
 خطر على قلب بشر وأكرمهم فيها بالنظر الى وجهه الكريم وقد ورد في محكم
 القرآن مدحها والتنويه بقدرها قال الله تعالى وان الدار الآخرة هي الحيوان
 وقال الآخرة خير وأبقى وقال اذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً الآية.
 وحيث كان الامر كما ذكر فينبغي للعاقل ان يطلب ما عند الله ويعرض عن
 هذا الفاني الخسيس المعوق عن الوصول الى الدائم النفيس. ولما أظهرني الله
 رحمة للعباد وطفقت أدعوم الى الله والى الرغبة فيما عند الله وأنقرم عن هذه
 الدار كثيرة الحزن والأضرار وقد هدى الله بي من أراد هداة وأضل من أراد

شقاء. وبعد ان فتح الله مدينة الخرطوم حسنت الظن بأهل الخنادق المحصورين بالسودان وقلت في نفسي لعل الله ان يلهمهم رشادهم ويأخذ بنواصيرهم الى طريق سدادهم . ولما وردت لي مخاطبتكم هذه ازداد حسن ظني بكم وسددت من جهتكم ورضيت عنكم واهتممت بأمركم رغبة في هدايتكم ورشادكم وعلى حسب التماسكم قد عينت لكم كلا من الحبيب الحسين بن ابراهيم زهرة والحبيب ابراهيم عالم فان المذكورين من الاحباب الأصفياء الذين لا قصد لهم سوى تأييد الدين وسوق عباد الله بالتي هي أحسن وأشرت عليها بمعاملتكم بالرفق والتأليف ولين الجانب وها هما واصلان اليكم لتطمينكم وحقن دمائكم واعطائكم أمان الله ورسوله وأماننا في أنفسكم وأولادكم التي تؤخذ منكم ما يزيل ضرركم كل واحد منكم على حسب حاله وراحته التي تلازم له وترشيدكم وتذكيركم بالله وبأيام الله به وبأن من يريد الهجرة منكم الينا يعطيها الاذن بذلك فان أمركم على حسب حكيمة يجوابكم وترغبون الاسلاك في سلك أنصار دين الله والاثابة اليه والاقلاع عما مضى فما بيننا وبينكم إلا المحبة الخالصة لوجهه تعالى ولكن اول وصول هذا الخطاب اليكم سارعوا الى الخروج لمقابلة الجماعة المتدوين من طرفنا واطلبوا أماننا منهم وسلموم كافة الاشغال الميرية ولا يصير منكم أدنى تأخير . هذا وليكن في علمكم انهم النائبون عنا في جميع ما يحرونه معكم أمضيته فاعتمدقوه ولا تخشوا من شيء وابشروا بكل خير ما دمت على الاخلاص معنا ألهكم الله رشادكم وحفكم بعنايته وجعلكم من أهل هدايته والسلام في ٣ شغبان سنة ١٣٠٢ هـ ١٨ مايو سنة ١٨٨٥ م . ولنترك الأمناء الآن سائرين لاستلام كسلا ولنرجع الى المهدي لنرى ما كان منه بعد سقوط الخرطوم .

الفصل الثاني والمشرون

في

المهدي بعد سقوط الخرطوم سنة ١٨٨٥ م

دخول المهدي الخرطوم في ٣٠ يناير سنة ١٨٨٥ : تقدم ان المهدي ما
مرّ بالنصر على الخرطوم حتى عاد الوابوران عنها . وفي يوم الجمعة ٣٠ يناير
سنة ١٨٨٥ أي بعد رجوعها بيومين ركب الوابور المسمى « الزبير » وعبر
النيل الى الخرطوم فوصل الجمعة في جامعها وعاد الى ابي سعد في الوابور نفسه
فغير اسمه الى « الطاهرة » اشارة الى انه طهر بركوبه فيه . ومن ذلك اليوم
أخذ يتردد الى الخرطوم فأعدوا له منزل ابي بكر الجزكوك لأنه كان متقن
البناء ولأن ابنة ابي بكر المذكور التي تسراها بعد فتح الخرطوم كانت ذات
حظوة عنده . وأعدوا للخليفة عبد الله سراي الحكومة ولكل امير من
الامراء منزلاً في المدينة فرتموا فيها وبقي معسكر المهدي في ابي سعد وابي
عنجة وجهاديته في ظابية ام درمان التي عرفت عندهم بالكازة .

سرية النجومي الى القبة في ٨ فبراير سنة ١٨٨٥ : وفي ٥ فبراير أتى
المهدي بخلفائه وخاصة امرائه من ابي سعد الى كرري لتبشيع جيش النجومي

الذي أمره بطرد الانكليز من القبة وعاد الى أبي سعد الاحد في ٨ فبراير سنة ١٨٨٥ يوم خروج النجومي بأخر جيشه من كرري كما مرّ .

انتقال معسكر المهدي الى ام درمان أواخر فبراير سنة ١٨٨٥ : ثم لم يكن إلا القليل حتى أتاه الخبر من النجومي أن الانكليز رجعوا الى دنقلة قطابت نفسه وسرّي عنه فشرع في نقل الدّيم من أبي سعد الى ام درمان لأنها أسهل مراساً وأفضل موقعاً من أبي سعد فضلاً عن انها قريبة الى الخرطوم فركب هو وخلفاؤه وبعض امرائه وأتوا ام درمان فخططوا جامعاً يسع ألف نفس على شكل ظهر الثور وسقفوه بالزنك الذي وجدوه في ترسانة الخرطوم وبنوا للمهدي وخلفائه وكبار امرائه منازل من الحجر والطين وسقفوها بالقش والبروش ثم شرعوا في نقل الدّيم الى ام درمان حتى أتموه وكان ذلك في أواخر فبراير سنة ١٨٨٥ . قيل وقد اجتمع في ام درمان في ذلك الوقت نحو مليون نسمة .

سرية أبي عنجة الى جبال النوبة في أواخر فبراير سنة ١٨٨٥ : ولما استقر المهدي في عاصمته الجديدة نظر أولاً في جهات السودان التي لم تزال على العصيان . وكان البعض من أهل جبال تقلي وجبال النوبة قد تخلّقوا عن الجهاد ورجعوا الى أماكنهم بأسلحتهم وقطعوا طريق الخرطوم من الغرب فجرد لهم جيشاً جراراً من راية الخليفة عبد الله وعقد لواءه لحدان أبي عنجة وأمره بأن لا يبادرهم الى الحرب بل يدعوهم الى الطاعة ويحذرهم العاقبة فان أبوا ناجزهم فخرج حدان ابو عنجة من ام درمان بجيش كبير من جهادية وحرابة فيه نحو ١٥٠ اميراً وسلاح الجهادية رمنتون وأبو روحين وأبو لفتة ومدافع وصواريخ . وذلك بعد فتوح الخرطوم بشهر .

سرية محمد عبد الكريم الى سنار ١٩ مارس سنة ١٨٨٥ : وكانت سنار لا تزال ثابتة على الحصار فندب لها ابن عمه محمد عبد الكريم فخرج بجيش كثيف

من راية الخليفة شريف يوم الخميس في ٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٢ هـ ١٩ مارس سنة ١٨٨٥ م .

بعثة الأمناء الى كسلا مايو سنة ١٨٨٥ : وكانت كسلا في هذه الأثناء في أشد الحصار وقد كتب أهلها الى المهدي يسألونه ان يبعث اليهم أمناء من عنده ليسلموا لهم فأجابهم في شهر مايو سنة ١٨٨٦ الى سؤالهم كما مر .

مطاردة الانكليز الى دنقلة : هذا وكان المهدي لما أتاها الخبر من النجومي ان الانكليز رجعوا من القبة الى دنقلة أمره بالحقوق بهم وذلك في ٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٢ هـ ٢٤ مارس سنة ١٨٨٥ م ثم أمره بالبقاء في المتعة وعهد بالامر الى محمد الخير فأخذ في الاستعداد واستنفر الجيش . وبينما هو في ذلك اذ أتاها الخبر باخلاء الانكليز لمديرية دنقلة فأمره المهدي بالزحف عليها واحتلالها .

استعداد المهدي لغزوة مصر : وكانت نفس المهدي تسوّل له فتح مصر والشام والقسطنطينية ومكة واخضاع جميع الأمم . فلما خرج الانكليز من دنقلة شرع في الاستعداد لغزوة مصر .

حسين باشا خليفة وغزوة مصر : وكان حسين باشا خليفة قد تمكن من خادعته حتى أقنعه انه مخلص له في السر والجهر فسامه عاملاً عاماً على قومه العبادة الذين في حدود مصر وعلى من أراد الانضمام اليهم من أهلها وأمره بمواقعة الترك الى ان يدركه يحيشه . وهذه هي صورة المنشور الذي أصدره اليه بهذا الشأن .

وبعد فمن العبد المقتدر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى حبيبه في الله وصفيه حسين خليفة قولاه مولاه واجتباؤه وأكرمه واصطفاه آمين . ايها الحبيب اعلم وفقني الله تعالى وإياك الى الصواب وجعلنا ممن اعتمد بحبل الله الوهاب ان الله سبحانه قد أكرمكم بصحبتنا وجعلكم من أنصارنا وأعواننا وأتم عليكم نعمه ظاهرة وباطنة يسمع وعظنا والتنوّر بأفوارنا فصرتم بذلك من

انصار الله وأحبابه وعددتهم من الاصحاب الصادقين . ولما كان موضوع امرنا القيام بأمر الدين وجهاد أعداء الله الكافرين وقد انتهى أمرهم بالسودان وعزمننا بإرادة الله على التفرغ لغيرها من البلدان فقد اخترنا الله تعالى ووجهناك امامنا عاملاً عمومياً على كافة قبائل جماعتك العبادية الذين بالجهات البحرية عشاياب وشناير وفقرا وعلى كافة من يرغب الانضمام عليك من القبائل الأخر بطويعه واختياره لتبلغهم دعوتنا وتعطيهم بيعتنا وتستغفرهم لإحياء الدين وحررتنا لهم الأوامر بذلك وما تركنا لهم في الدلالة على الله والترغيب فيما عنده والتنفير عن هذه الدار الفانية شيئاً فخذ الأوامر المذكورة وتوجه على بركة الله وابذل وسعك في ابلاغ الدعوة واستنفار الناس للجهاد ودلاتهم على طريق السداد وكما آذناك في اعطاء البيعة لمريدها فقد آذناك في جهاد الأعداء تركاً وغيرهم وفي قولية من ترى فيه اصلاح المسلمين وعزل من ترى فيه افسادهم وفوضنا اليك الامر في فعل كل ما ترى فيه مصلحة الدين بتلك الجهة فشمرفيما ندينك اليه وقم بواجب امرنا هذا وتوكل على الله واعتم به وليكن اكبر همك الاقبال عليه وبجبة لقائه فان من أحب لقاء الله أحب لقاءه وأكرم نوله ووصيتنا الجامعة لك ان تتقي الله وتكون من الصادقين وان تسير في الناس بسيرنا ومارتنا لك على شرط اتباع الكتاب والسنة فان غيرت او بدلت فلا اماره لك فافهم ذلك واسترشد به سدد الله امرك وجعلك ممن قال في شأنهم الذين إن مكنهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر . وفقنا الله وإياكم على مرضاته والسلام . في ١٢ شعبان سنة ١٣٠٢ هـ ٢٧ مايو سنة ١٨٨٥ م .

تحشية : ثم اعلم ايها الحبيب انه قد سبق التحرير منا بامارة الحسن سعد محمد وشعمون ابراهيم والحسن ابي سيدين على جهات قبائل العبادية ثم صار ضمهم على محمد الخير وحيث ان اماره محمد الخير محصورة ومحددة فلتكن امارات هؤلاء الجماعة على العبادية الذين بمديرية بربر ويفضلوا مع محمد الخير كما كانوا ولا

يكن لأحد منهم تعرض على العباددة بخارج مديرية بربر وانما يكونوا تحت امارتكم بذا لزم الالحاق في تاريخه والسلام اه .

وأرسل في الوقت نفسه كتاباً الى الشيخ منفتح كرار يسميه اميراً على قومه الشناتير وفيه : « ... ان خطابك الذي تذكر فيه تسليمك لأمر المهدي ورغبتك للانسلاک في سلك انصار الله واحبابه وانتظارك لاشتارتنا قد وصلنا وفهمنا مضمونه . وكتاباً الى الشيخ بشير جبران يسميه اميراً على قومه العشاباب ويخبر كلا من الشيخين المذكورين بتولية حسين خليفة عاملاً عاماً على العباددة ويسأله الانقياد اليه ومعاونته على الجهاد .

فخرج حسين باشا من ام درمان في ١٦ شعبان سنة ١٣٠٢ هـ ٣١ مايو سنة ١٨٨٥ م وأتى القاهرة وهو غير مصدق النجاة فحوكم بمجلس عسكري وخرج منه بريثاً فسمي مفتشاً في الداخلية وبقي الى ان توفاه الله سنة ١٨٨٦ .

كتاب المهدي الى أهل مصر : وكتب المهدي منشوراً عاماً « الى سكان مصر حكماً وتجاراً وعمداً وغيرهم » يخبرهم بعزمه على غزو مصر ويدعوم الى نصرته .

كتاب المهدي الى الخديوي : وكتب في الوقت نفسه الى سمو الخديوي كتاباً هذه صورته بعد البسمة :

« وبعد فمن العبد المعتمد بالله محمد المهدي بن عبد الله الى والي مصر .
« لا يخفى على من نور الله بصيرته وشرح صدره ان الدين الذي يكون المتمسك به ناجياً عند الله هو دين الاسلام الذي جاءنا به نبينا محمد ﷺ ونزل به القرآن من الملك العلام قال تعالى : ان الدين عند الله الاسلام وقال تعالى : ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وما سوى ذلك من الأديان فضلال يدعو الشيطان اليه حزبه ليكونوا من اصحاب السعير ومن منحه الله تعالى عقلاً يميز به بين الخبيث والطيب لا ينبغي له ان يصرفه الا فياً يلتج خلاصه عند الله يوم تزل الأقدام ويشيب الطفل ويشدد الزحام والا كان أسوأ حالا

من البهائم حيث أضع حكمة تركيب العقل فيه ولا سبيل الى السلامة عند الله الا باتباع دينه وإحياء سنة نبيه وأمه وإمالة ما حدث من البدع والضلال والإجابة اليه تعالى في كل الاحوال وقد تأكد ذلك في هذا الزمان الذي عم الفساد فيه سائر البلدان فان دسائس اهل الكفر التي أدخلوها على اهل الاسلام وضلاهم التي مكنوها من قلوب الأنام قد أفضت الى اندراس الدين وعطلت احكام الكتاب والسنة يقين فصارت شعائر الاسلام غريبة بين الأنام وتراكت الظلمات وانتشرت البدع وأبيحت محارم الاسلام واشتد الكرب على اهل الايمان فصار القابض على دينه كالقابض على الحجر لتراكم البغي والعدوان فعند ذلك أظهرني الله طبق الوعد الصادق رحمة لعباده لأنقذهم من ظلمة الكفر الى نور الايمان وأدلهم الى الله على هدى منه وتبيان وطوقني بالخلافة الكبرى على المهدي وخلق عليّ حلها البهية وبشرني سيد الوجود ﷺ بالنصر على كل من يعاديني ولو كان الثقلين وبأن من يقصدي بمعداة يخذله الله في الدارين وقلدي سيف النصر وأيدي بقذف الرعب في قلوب أعدائي يسعى امامي اربعين ميلاً . وأخبرني بأني أملك جميع الارض وبأن من شك في مهديتي فقد كفر بالله ورسوله ونفسه وماله غنيمه للمسلمين وبأن الله قد أيدني بالملائكة الكرام وبالجن أحياء وأمواتاً وهكذا من البشارات المعجائب الذي يطول شرحها وكل ذلك بحضرة الملائكة المقربين والخلفاء الاربعة والخضر عليه السلام وما كنت أترقب هذا الامر لنفسي ولا سألت الله إياه بل كنت أسأله ان يعطيني معيناً لمن يقوم به فلما أراد الله كان وحتم الأمر عليّ من سيد الأكوان فقممت بأعباء هذه الحالة واعتصمت بالله وتوكلت عليه وأخبرت الحكمدارية بأني المهدي المنتظر وقد كان بها محمد رؤوف وما تركت لأهلها في ايضاح هذا الأمر شيئاً وأنا في انتظار الاختبار وتسليم الأمر لله الواحد القهار فما كان منهم إلا ان ضربوا عما أخبرتهم به صفحاً وطووا عن قبوله كشحاً وبادروني بالمحاربة من غير روية ولا تثبت في هذا الأمر الديني الذي جشتم به من خير البرية فأيدني الله عليهم كما وعدني . وهكذا صارت جيوشك تأتيني ثلة بعد ثلة وأقدم لهم

الانذارات ولم تنفعهم والله يؤيدني وينصرني عليهم كما وعدني ويقطع دابرهم الى ان قلت حيلتك وتلاشا أمرك فسلمت أمر أمة محمد ﷺ لأعداء الله الانكليز وأحالت لهم دماءهم وأموالهم وأعراضهم فجاءت الانكليز بكبرهم وخيلائهم واعتمادهم على غير الله فلما سول الشيطان لهم ادراك غوردونهم بالخرطوم وأيست من هداية أهله وعلمت ان تكرار الانذارات لا ينفعهم وحقت عليهم كلمة العذاب وصاروا مثل من قال الله تعالى في شأنهم وسواء عليهم أنذرتهم أم لا تنذرهم الآية عجل الله بفتحه واهلاك من فيه وأحرقت النار أجسامهم عياناً كالذين من قبلهم اظهراً للحقيقة وتعجيلاً للعقوبة وصدق عليهم قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذتهم بغتة الآية . ثم أنذرت الانكليز فلجأ رؤوسهم فوجهت اليهم طائفة من الانصار فقذف الله في قلوبهم الرعب فولوا هارين بعد ان أهلك الله فيهم من أهلكتهم وشتت شملهم وهذا كله غير خاف عليك ولا زال حزب الله مقتضياً اثر باقيهم وعن قريب يحل الله من الدمار ما يكون عبرة لمن اعتبر هذا أو ان المؤمن المصدق بوعد الله لا يرى لجميع ما في الحياة الدنيا من الفانيات قيمة ولا يأسف على ما فاتته من ملكها الذي مآله الى الزوال وعظيم النكال وانما يكون مطمح نظره الى ما عند الله من النوال في دار الكرامة والافضال فان الدنيا لو بقيت للأول لم تنتقل للآخر ومن هنا نعلم ان هذا الملك لم يصل اليك إلا بموت او عزل من كان قبلك وهو خارج من يدك بمثل ما صار اليك . وحيث كان الأمر كذلك فلا ينبغي لك ان كنت ترجو من الله نعم دار الأبد ان تأسف على ما فاتك من الدنيا ولو كان الدنيا بخذاً فیرها فدق النظر واجمع عليك فكرك وتدارك نفسك واسع فيما ينجيك عند ربك اذا تمثلت بين يديه وسألك عما جرى منك وسلم الأمر اليه تسلم وما كان يحسن منك ان تتخذ الكافرين أولياء من دون الله وتستعين وهم على سفك دماء أمة محمد ﷺ ألم تسمع قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فانه منهم الآية وقوله تعالى لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد

الله ورسوله ولو كانوا آباءهم الآية وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق الآية وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزماً ولغواً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء الآية وما هذه الطاعة لأعداء الله والله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله الى ان قال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تقون إلا وأنتم مسلمون الآية ، فاذا كنت بمن ينظر بعين بصيرته ولا يؤثر متاع الدنيا الخسيس على نعيم آخرته فاعتبر بذلك وبادر الى النجاة والسلامة المعتبرة وهي سلامة الايمان ونزهة نفسك عن ان تكون في أسر أعداء الله دائماً ولا تهلك من كان معك من أمة محمد ﷺ واغسل ما جرى منك بدموع الندم ولا تكثرث بجاه الدنيا الفاني ولا يملكها الزائل فان الله داراً خيراً منها وقد أعدها لعباده المتواضعين لجلاله قال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين الآية وإياك والركون الى أقوال علماء السوء الذين أسكرهم حب الجاه والمال حتى اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فيهلكوك كما أهلكوا من قبلك ففي الحديث القدسي لا تسأل عني عالماً أسكره حب الدنيا فيصده عن طريقي أولئك قطاع الطريق على عبادي ولا تغتر بقوة حصن بلدك وكثرة أسلحتك وعددك الظاهرية ومظاهرة دول اهل الكفر لك فانها لم تغن عنك من الله شيئاً وكم أهلك قبلك من الملوك أهل الحصون المنيعة من هو أشد منك قوة واكثر جمعاً لما بغوا وعثوا في الارض مفسدين . وليكن في علمك ان أمرنا هذا ديني مبني على هدى من الله ونور من رسول الله ﷺ ومؤيد من عند الله يخنود ظاهرية وباطنية وما قصدنا فيه إلا إحياء الدين وإظهار آثار الأنبياء والمرسلين ولا نريد مع ذلك ملكاً ولا جاهاً ولا مالاً فان نور الله بصيرتك وخالفت النفس الامارة بالسوء وقبلت هدينا هذا وأنبت الى الله بنية خالصة فعليك أمان الله ورسوله وأماننا وما بيننا وبينك إلا

الحبة الخالصة لوجه تعالى ونكون الجميع بدأ واحدة على اقامة الدين واخراج اعداء الله من بلاد المسلمين وقطع دابرهم واستئصالهم من عند آخرهم ان لم ينبوا الى الله ويسلموا . وقد حررت اليك هذا الكتاب وأنا بالخرطوم شفقة عليك وحرصاً على هدايتك فأرجو الله ان يشرح صدرك لقبوله وبذلك على صلاحك ورشادك في الدارين وما انا قادم على جهتك يحنود الله عن قريب ان شاء الله تعالى فان امر السودان قد انتهى فان بادرتي بالتسليم لأمر المهدي والائابة الى الله رب البرية فقد حزت السعادة الأبدية وأمنت على نفسك ومالك وعرضك انت وكافة من يحبيب دعوتنا معك وان أبيت بعد هذا إلا الاعراض عن طريق الفلاح والرشاد فانما عليك اثم من معك ولا بد من وقوعك في قبضتنا ولو كنت في بروج مشيدة وهذا انذار مني اليك وفيه الكفاية لمن أدركته العناية والسلام على من اتبع الهدى . اه .

عبد الله الكحال وغزوة الشام : وكان المهدي قد ارسل الحاج عبد الله الكحال عاملاً على بلاد الشام فجاء مصر بطريق وداي وعاد الى تجارته فيها كما مر .

المهدي ومراكش : ويظهر ان جماعة من اهل مراكش المستوطنين مصر كتبوا الى المهدي يصترحون له بتصديقهم مهديته ويسألونه تسمية احدهم السيد محمد الغالي اميراً على مراكش لنشر دعوته في بلادهم فأجابهم بالكتاب الآتي :
« وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى احبابه المكرمين السيد ابراهيم السنوسي الحسني ومحمد عبد السلام الحبابي وعبد السلام البناني ومحمد قاسم الخلو وفقهم الله وسددهم وألهمهم الصواب وأرشدكم آمين . ايها الاحباب اهدي لكم جزيل السلام المزوج بالرضاء عنكم وجليل الاكرام وأعرفكم بأن خطابكم المؤرخ ٧ ربيع آخر سنة ١٣٠٢ قد وصلني وما احتوى عليه من حسن تسليمكم لأمر المهدي ورغبة وصولها اليكم ونشرها بجهاتكم الغربية مع تولية السيد محمد الغالي عبد السلام على فاس وجهاتها الى آخر ما بخطابكم

قد أحطت به علماً وجزاكم الله عن دينه وعننا احسن الجزاء وشكر سعيكم وأدام هديكم وجعلكم مفتاح كل خير وقد سرنا حسن رشادكم زادكم الله رشاداً ومحبة وما نحن قد أجبناكم الى ما طلبتم وحررتنا الاوامر بإمارة السيد محمد الغالي وما هي واصلة اليكم صحة الحبيبين عبد الخالق السبتي والطبيب البناني فان المذكورين قد أوصلنا جوابكم الينا وأخذنا بيعتنا وسما من مواعظنا ما ينور البصائر وصارا عندنا من الاحباب ورأينا تحميلهم للأوامر أصوب وأنفع فيلنغي مراعاتها ومشاورتها في امر الدين . ثم انه لا يخفى عليكم ان جهات فاس فيها أكابر من اهل الخير الذين يقتدى بهم في الدين فلذا ولحسبي اتفاق كلمة المسلمين في الله قد جعلت تفويض الامر اليهم فان اتفقت كلمتهم على السيد محمد الغالي المذكور فذلك جل قصداً وقد باركناه لهم وان اتفقت كلمتهم على غيره من الأفاضل فقد آذناهم في ذلك وان السيد محمد عندنا من الملحوظين بعين الرعاية المكرمين النفاية ولكن حيث كان قصداً واحداً وهو تأييد الدين فلا يليق يا احبابنا الا الرضا والفرح والقبول لما نريده فانه عين الخير عند الله تعالى . هذا وأوصيكم ايها الاحباب بتقوى الله والاعتصام به والتوكل عليه في كل الامور وعزيمتي عليكم العمل بما في الاوامر وأخذها على النور والتوجه بها لجهة التعمين وابلاغ الدعوة فانكم القائمون بأعباء هذا الامر بتلك الجهة والمتسببون فيه ولكن الاعتماد على الله والاقبال عليه ومحبة لقائه والاعراض عن هذه الدار الفانية التي لا تزن عند الله جناح بعوضة ولا بد من تعجيل مخاطبتنا في كل ما يتجدد لكم حال وصولكم بآرك الله فيكم وألهمكم رشادكم وجعلكم من اهل اجتباة يحياه سيدنا محمد ومن والاہ والسلام . ٢٥ رجب سنة ١٣٠٢ هـ ١٠ مايو سنة ١٨٨٥ م اهـ .

وكتب في التاريخ نفسه كتاباً خاصاً الى السيد محمد الغالي بالعائلة العامة على فاس وكتاباً الى الطبيب البناني احد الرسولين بالامامة ضمن عمالته. ثم كتب الى أهل فاس يدعوهم الى الانضمام الى عامله . وكتب الى والي فاس ما نصه بعد البسملة :

و بعد فمن العبد المعتمد بالله محمد المهدي بن عبد الله الى حبيبه في الله
السيد الحسن بن محمد بن عبد الرحمن والي فاس ونواحيها وفقه الله. أيها الحبيب
منا اليك جزيل السلام ومزيد الاحترام ثم اعلم وفقني الله تعالى وإياك الى ما
يحبه ويرضاه وغمسي وإياك في بحار محبته ورضاه ان الدين خير للمرء من نفسه
وماله وهو الرفيق الذي ينفعه عند هول المحسر. ولا يخفى ما حصل على الدين
في آخر الزمان من الاهانة وتعطيل الاحكام وإهمال العمل بالشرعية المطهرة
ولكن المسموع عن أهل جهتك انكم اهل خير والى الان متمسكون بشرعية
خير الامة وحيث انكم كذلك فقد جاءكم الهدى والرشاد ودعائم داعي الله
الى طريق السداد اذ قد طوقني الله بالخلافة المهدية وأمرني بدعاية الخلق الى
احياء السنة المرضية وقد لبي دعوتي من أسعده الله ببلاد السودان وأعرض
عنها من أشقاء فأهلكه واشتعلت فيه النيران وقد وفق الله جماعتكم الذين
بصر وألهمهم رشادهم فخطابوني بالتسليم التام لأمر المدينة والرغبة الكاملة في
نشرها في الاقطار العربية والتمسوا تولية السيد محمد الغالي عبد السلام عاملاً
من طرفنا على فاس وما والاها ونحن لمحبتنا ابصال الخير للمؤمنين قد جرتنا
للمذكور بالامارة على تلك الجهة ولكن فوضنا الأمر لأهلها فان اتفقت كلمتهم
عليه فيها ونعمت وان اتفقت كلمتهم على غيره من الفضلاء فقد أذنناهم في
ذلك . وحيث انك والي تلك الجهة من سابق وراع أمرها فقد حسنا بك
الظن وخطابناك بهذا لتبادر الى فلاحك وفوزك ونجاحك وتجبب دعوتنا على
اقامة الدين وجهاد أعداء الله الكافرين وان اتفقت كلمة أهل البلد على توليتك
عليهم من طرفنا فقد وليناك عليهم ولكن تكون مع السيد الغالي المذكور
يداً واحدة ونفساً واحدة وتتحابوا في الله ولا تتنافروا فان المقصود واحد
وهو اقامة دين الله . وان اتفقت كلمة أهل البلد على غيرك سواء كان الغالي
المذكور او غيره من المسلمين فكن انت كرجل منهم ولا تكثر بزوال الملك
فان ذلك رحمة من الله حفك بها . ألم تعلم ان النبي ﷺ قد ذمه في غير ما
حديث وقال عليه السلام في الامارة اولها ملامة ووسطها ندامة وآخرها

عذاب يوم القيامة الى غير ذلك من الاحاديث التي لا تحصى . وحيث كان أمر الامارة كذلك فلا تحزن لفواتها واعلم انك ان أجبت دعوتنا فانت مقبول ومكرم عندنا ومنا والينا دنيا وآخرة وابشر بخير الدارين وعزيمتي عليك ان تعمل بالكتاب والسنة وان تنفذ جميع ما في الأوامر المحررة الى أهل جهتك . وليكن في علمك اني عن قريب ان شاء الله تعالى حاضر مجزب الله للجهات المصرية فان أمر السودان قد انتهى فان بادرت أمري هذا بالتسليم وطلبت سلامتك عند الله وآثرت ما في الآخرة من النعيم فقد حزت السعادة الابدية وأمنت على نفسك ومالك وعرضك انت وجميع من يحيب الدعوة معك وان أبيت إلا الاعراض عن طريق الرشاد فانما عليك اثمك وإثم من معك وأمر الله واقع وفيما هو مسطر اليك في الاوامر الواصلة لك صحة هذا كفاية لمن حفته العناية أهلك الله رشادك وذلك على الصواب يحياه النبي الاواب هذا والسلام ٢٨ رجب سنة ١٣٠٢ هـ ، ١٣ مايو سنة ١٨٨٥ م .

ولكن لطف الله بعباده ولم تصل هذه الكتب الى اصحابها اذ الطبيب البناني الذي عاد بها لم يبلغ بربر حتى كان المهدي قد مات وعلم الخليفة به فأرسل في طلبه فأخذ منه الكتب وحبسه « حبس عين » في ام درمان فبقي الى ان فتحتها الجيش سنة ١٨٩٨ قرأته فيها ورأيت هذه الكتب بين أوراق الخليفة فسألت البناني عنها فقال انه احتال على المهدي للتخلص منه فلم يقدر الله له الخلاص . وسألت عنها بعض المراكشين الحاطبين فيها فأجابوا : « لا علم لنا بذلك مطلقاً » .

انتشار الجدري في ام درمان : وفي ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٢ هـ ١ ابريل سنة ١٨٨٥ م فشا وباء الجدري في ام درمان واستمر شهراً كاملاً فقتل بالأهلين فتكاً ذريعاً حتى قيل ان الأكفان التي أنفق عليها من بيت المال وحده بلغت ١٢٦ ألف كفن . واصبح لسان حال السودان ينادي :

قل للوبا انت « وابن دُنْقُلْ » قد جزعنا الحدة في النكابة
ترققا بالورى قليلا في واحد منك كفاية

يكنى بابن دُنقل عن المهدي اذ في تقاليد الدناقلة ان أصلهم من جد يسمى دنقل .

الاحتفال بختان أولاد المهدي : وفي يوم المراج أي في ٢٧ رجب سنة ١٣٠٢ هـ ١٢ مايو سنة ١٨٨٥ م احتفل المهدي بختان اولاده فاختتن في ذلك اليوم جميع اولاد الأمراء والأعيان طمعا في ان ينال الاولاد البركة وقد عملوا وليمة عامة وذبحوا من الابل والبقر والغنم ما لا يحصى عد وكان ذلك اليوم يوم فرح عظيم عند جميع الشعب .

تبرؤ المهدي من أهله : وكان الاشراف اهل المهدي قد طفوا وبغوا على الناس وأسأوا السيرة فاستاء المهدي منهم فلما كان يوم آخر جمعة في شعبان سنة ١٣٠٢ هـ ١٢ يونيو سنة ١٨٨٥ م بعد ان فرغ من الخطبة في الجامع وهم الناس بالوقوف للصلاة أشار اليهم بيده وقال اجلسوا ثم نادى بأعلى صوته وقال : ايها الناس اني مللت من النصيح والمذاكرة لأقاربي الاشراف الذين تقادوا في الطيش والغواية وظنوا ان المهدية لهم وحدهم ثم مك ثوبه ونفضه ثلاث مرات وقال انا بريء منهم فكونوا انتم شهوداً عليّ بين يدي الله تعالى فنكس الاشراف رؤوسهم ولم يجبه احد بكلمة . ثم نزل عن المنبر وصلى صلاة الجمعة وخرج . وكان هذا آخر عهده بالجامع كما سيجيء .

سك النقود فبراير سنة ١٨٨٥ : وكثر ما غشبه المهدي من مصوغات الذهب والفضة من الأبيض والخرطوم وقلت النقود في أيدي الناس فأراد ان يسد هذه الحاجة ويبين للملا استقلاله عن الدول وتأسيسه مملكة جديدة بعملة جديدة فجمع الصاغة وأمرهم بسك النقود فأنشأوا ضربخانة في بيت المال وضربوا من الذهب جنهما قلدوا به الجنيه المصري فهو على مثاله بطفراته وتاريخه وقطعه وتخنه عملوه من ذهب خالص ولكنهم جعلوا وزنه أقل من وزن الجنيه المصري مجتئين وضربوا من الفضة ريالاً بقطع الريال المجيدي ووزنه فجعلوه سبعة دراهم فضة ودرهم نحاس وقد كتبوا على وجه الواحد « ضرب

في الهجرة سنة ١٣٠٢ هـ ، وعلى الوجه الثاني « بأمر المهدي » بهيئة طغراء وضربوا منه نصفاً وربعاً . وكان بدء هذا العمل في جمادى الاولى سنة ١٣٠٢ هـ فبراير سنة ١٨٨٥ م .

جمع الزكاة والعشور : وقد شرع المهدي في جمع الزكاة والعشور ترواً بعد فتح الخرطوم وهاك ما أرسله الى احد نوابه في هذا الشأن بعد البسملة :
 « وبعد فمن عبد ربه محمد المهدي بن عبد الله الى حبيبه وصفيه وعونه في الله محمد عثمان وقاني الله وإياه من كل علة ورفقي وإياه الى نور الرفيق الاعلى . حبيبي فجزاك الله كل الخير وأعطاك ما هو له اهل فيما بينت له مادة الزكاة على الاحاديث الواردة . وأما أخذ الزكاة فهي كما ذكرت المناشير حلول المهدية سنة قتلة الشقي الهكسي (٥ نوفمبر سنة ١٨٨٣) اذ ان أحكام الترك زالت سلتها من الجزيرة فلذلك تعد الزكاة منها اذ انها هي وضع حكنا في تلك الأمكنة فمنها تؤخذ الزكاة وعلى السنة الناقصة من باب أولى . ولكن اذا سبقت الخدمة قبل تمام السنة الناقصة فلا يخدمونهم فيها حتى تتم السنة الثالثة ومن لا يخدمونهم في الناقصة يتركونهم الى حين تمامها فيخدمونهم هذا والسلام
 نهاية شعبان سنة ١٣٠٢ هـ ، ١٣ يونيو سنة ١٨٨٥ م .

الغنائم : وقد حذر المهدي أنصاره من الغلول في الغنائم ونشر في ذلك عدة منشورات وجاء في واحد منها : « ان من أخذ ابرة من الغنائم تقع يوم القيامة في قعر بحر من نار ويؤمر بأن يخوض في البحر ليخرجها » .
 وأما توزيع الغنائم فيظهر رأيه فيها من كتابه الى محمود عيسى زايد عامله على جهات الضباينة بتاريخ ٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٢ هـ ١٩ مارس سنة ١٨٨٥ م .

« وأما الغنائم وتقسيمها فان كانوا المجاهدين منقطعين لله فقط ولا غرض لهم سوى الله ولا حرفة لهم سوى الجهاد وليسوا اهل بيع وشراء ولا حرث فليصر جمعها ووضعها في بيت المال والصرف منها شيئاً فشيئاً اذ انهم لا وسيلة

لهم سواء. أما اذا كانوا من ذوي الحرف ويتجمعون للجهاد لوقت معلوم وعند انتهائه ينفرون لحرفهم فليصر اخذ الخمس منها (الغنائم) وباقيها ينقسم لهم على وفق كتاب الله وسنة رسوله .

وقد كان من مبدأ المهدي جمع أموال العشور والزكاة والغنائم كلها في بيت المال والاتفاق منها على المجاهدين كافة بحسب عددهم وحالهم وهاك منشوره بهذا الشأن :

« وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى كافة أصحابه وأعرانه في الله من الخلفاء والمعال والانصار والمأمورين . احبائي ان أمر الدين يحتاج الى اتفاق الكلمة واتفاق القلوب واتصال الاحوال والمقال وان يتصل بالواطي المعال فقد قال الله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ولذلك أقتنا الوصية من الحضرة ان اصحاب المهدي يكون الصغير منهم ابناً والكبير أباً والمتوسط أخاً واذا حصل الامر على هذا الاتفاق استقام الامر واتصل العسر وتيسر العدل . وعلى ما سبق من الوصايا والمنشورات فعزيمة مني على كافة الاصحاب خصوصاً الخلفاء ان يعاونوا الخليفة عبد الله في جمع الغنائم والزكوات لبيت المال وهو يفرق بمعرفة المعال فيها وهم يكونون معاونين بأنفسهم وأتباعهم وقد عازمت على كل احد من الاخوان ان من كان يؤمن بالله ورسوله ومهديه ألا يؤخر عن بيت المال درهماً ولا ديناراً وتكون راحة جميع الاخوان والاصحاب كبيراً وصغيراً من بيت المال ولتفرح الاخوات لخدمة الدين وراحة المسلمين لا يخدم احد لنفسه ولا لجماعته فكل مؤمن بالله ورسوله ومهديه ومعاون لي على هذا الدين يكون على راحة المسلمين ولا يستبد احد بطائفة لجماعته ولا بقبيلة لرايته ولا بجهة ومعلومية لأمره لأن هذا فيه خدمة النفوس والاتكال على غير الله القدوس مع ان البيعة على زهد الدنيا والاتكال على الله وبذل النفس لاقامة الدين . وحيث كان الواجب القيام بالبيعة فالاخوان جميعاً فليخدموا « الاعشار والزكوات والغنائم » لبيت المال ولا يأخذ أحد لنفسه ولا لجماعته شيئاً . ولتكن الراحة من بيت المال لتجيع الانصار وليبين

من كان له عيال وأهل من كثير وقليل ومن ليس له إلا قليل فالكل يقنن له من بيت المال ما يكفيه والجميع خدمتهم لله وان فرغ بيت المال يكون الصبر حتى يعطي الله بيت المال الكفاية له والسلام .

كتاب المهدي : وكان المهدي قبل فتح الخرطوم ينظر بنفسه في جميع المسائل الادارية التي تأتيه من الجهات ويشير الى كتابه بالاجابة عليها بما يقتضيه رأيه وأشهر كتابه : الصديق ولد ابو صفية من أعيان كردوفان الذي صحبه من قدير . واخوه عبد الكبير . وفوزي السوداني التلغرافجي الذي قتل في واقعة هكس كما مر . وفوزي محمود يادي من مواليد بارة . وأخواه احمدي ومختار . والطبيب الهاشم وابو القاسم اخوه ومدتسر ابراهيم من جملي بربر . وقد كان ختمه بيد فوزي السوداني فلما قتل سلمه الى فوزي محمود فبقي بيده الى ان مات المهدي .

أمناء المهدي : ثم لما فتحت الخرطوم واتسعت الاشغال الادارية على المهدي عجز عن النظر بنفسه في جميعها لا سيما وانه كان يهتم اذ ذاك في غزو مصر فاختار سبعة من الأمناء وعهد اليهم بالنظر في جميع الامور الادارية وأمرهم بالآلا يقطعوا في أمر إلا بعد عرضه على الخليفة عبد الله وأخذ رأيه فيه . وهؤلاء الأمناء هم : الرئيس السيد عبد القادر الساتي علي من اقارب المهدي . والاضواء فوزي محمود كاتبه وامين ختمه وقد أمره بختم جميع الكتب التي يقر عليه مجلس الأمناء والخليفة وارسالها الى جهتها . وعبد سليمان شقيق احمد ود سليمان امين بيت المال . والشفيع رحمة الشايقي كاتب الالهام للمهدي وعي ود الفقيه الامين خوجلي من علماء السودان . واسماعيل ود شجر الخيري الدنقلوي ومعهم احمد ود النور كاتباً . وبقي حكمهم نافذاً الى ما بعد وفاة المهدي ففرقهم الخليفة عبد الله كما سيجيء .

وأجاز المهدي لعملائه الحكم بالقتل بدون استئذانه وهاك ما كتبه الى عامله سني بربر محمد الخير في ٢٤ رجب سنة ١٣٠٢ هـ ٩ مايو سنة ١٨٨٥ م

« ... قد سبق منا مراراً وتكراراً ان أمر تلك الجهة مفوض منا اليكم ولو يقتل احد في الحق ... » .

منشور الراحة في رمضان : ولما اقبل شهر رمضان سنة ١٣٠٢ طلب الراحة من الاشغال والانتقاع الى النظر في تدبير المستقبل فنشر لأنصاره المنشور الآتي :

« وبعد فيقول العبد لله محمد المهدي ان هذا الذي اقبل هو شهر رمضان زمن الاقبال على الرحمن وميدان الاشتياق الى عظيم الشان فافزعوا أيها الاحباب فيه للديان ووطنوا قلوبكم على الشدائد والرضا بالبلايا والامتحان حيث اواعد بذلك الرحمن لتبيين حال اهل الصفة والرسخان وبشر الصابرين بمعظمة الشان وحسن العواقب وتولية الديار فتوكلوا على الله وفوضوا له في كل ما يفعل لحسن الظن به اذ هو حقيق بالاحسان وهو العالم بما لا يعلمه الأبوان ... فتحققوا ذلك أيها الاحباب وانصبوا أنفسكم لله وارفعوا حواجيبكم فكلنا عبيد الله والامور بيده فلا تشغلوني بقضايا ولا بجوائج في هذا الشهر واخلونا للذكر والتذكر والصلوات والدعوات فان فقد العبد نور الصبر والرضا والتفويض وأراد ان يرفع حاجته الى العبيد فما هم الخلفاء نيابة عني والامناء المنيبين والقاضي فمن شغلني بشيء في رمضان بعد هذا فلا يلم إلا نفسه والسلام غاية شعبان سنة ١٣٠٢ هـ « ١٣ يونيو سنة ١٨٨٥ م .

الفصل الثالث والمشرون

في

وفاة المهدي وصفاته وتعاليمه

وفاة المهدي في ٢٢ يونيو سنة ١٨٨٥ هـ، ولما كان يوم الاربعاء في ٤ رمضان سنة ١٣٠٢ هـ أصابت المهدي حمى خبيثة تعرف في السودان «باب دم»، وعند الأطباء بالالتهاب السحائي الشوكي. وفي يوم الجمعة ٦ رمضان أمر الخليفة عبد الله فخطب وصلى بالناس الجمعة. ودامت الحمى على المهدي الى يوم الاثنين ٩ رمضان (وفي قمر السودان ٨ منه) سنة ١٣٠٢ هـ ٢٢ يونيو سنة ١٨٨٥ م فأسلم الروح عند الضحى وكان عنده خلفاؤه وأقاربه فأمر الخليفة عبد الله أقاربه فجهزوه وحفروا قبره في محل فراشه في منزله ثم صلى عليه اماماً وباقي الخلفاء والناس مؤتمنون به ودفن عند الظهر ولم يسمع لدفنه صوت. وبايع الناس الخليفة عبد الله فقام بالامر بعده كما سيجيء.

وقد شاع بعد موت المهدي انه مات مسموماً وان بنت ابي بكر الجركوك هي التي دست له السم في الطعام انتقاماً لأبيها وزوجها اللذين قتلوا في فتح الخرطوم ولكن الثقات من أهل السودان ينكرون هذه الاشاعة ويؤكدون ان بنت ابي الجركوك كانت تحب المهدي وكان المهدي يحبها وان أقارب المهدي

شدوا شعر لحية قبل دفنه وتيقنوا انه لم يميت مسموماً . وقد رثاه جماعة من
أدباء السودان نظماً ونثراً ومنهم ابراهيم شريف الدولاوي الكردي فاني فانه
رثاه بقصيدة غراء هذه هي بحروفها :

كيف التثام فؤادي المقطور
أم كيف ينفك الضنا عن مهجة
أسف على المهدي من مهد الصبا
لا زال في كنف العناية يفتدي
حتى انتهى لمقامه الأعلى الذي
وأقامه المختار عنه خليفة
ورقى الى كرسية متسناً
فدعا الى الدين الخفيف مجاهداً
فتح الفتوح ودمر الكفار في
ومن امتدى يدها أصبح داخلا
ومن انتمى لسواه أمسى حائراً
ما شئت فيه من الشناء فقل ولا
ما أطنبت مداحه إلا وهم
هو مجمع البحرين بحر شريعة
سر الوجود وترجمان الحضرة الـ
والله أكرمهم بطيب تحية
قد كان قوام الدجى مبتلا
طلق الحيا خاشعاً متواضعاً
وتفيض بالجلود الكثير يمينه
وبييت طاوي الكشح جوعاً وهو قد
لا يبتغي جاهاً ولا مالاً ولا
ما هم إلا اجتذاب الخلق من

ورقوه دمع محاجري المفجور
أحشاؤها تصلى على تنور
قد كان معصوماً عن المحطور
بدقائق التبصير والتوير
عنه النهى في حيرة وقصور
خلعت عليه ملايساً من نور
في مشهد بالأوليا معبور
بالسيف والانذار والتبشير
كل البلاد يحيشه المنصور
سور الرضا أعظم به من سور
ضل الطريق بليلة ديجور
تأخذك لومة لائم مدحور
عن وصف بعض حلاه في تقصير
طام وبحر حقيقة مسجور
نلياً ومظهر غيبها المستور
يخذو بها موسى كليم الطور
متواصل الاحزان غير فخور
كهف الفقير وجابر المكسور
أبدأ بلا من ولا تكدير
أعطى الكنوز يجمعها الموفور
عز الموك ولا ارتباع الدور
درك الشقاوة عميم والمور

لما أبان لنا السبيل ولم يدع
والدين عز وأهله بلغوا المنى
ثاقت الى الذات العلية روحه
فمضى وأودع كل قلب حسرة
تبكي المساجد والمحارب فقده
يا طيب أرض ضمّ جسمك تربها
يا آل بيت المصطفى صبراً وإن
فلکم تسلّ في مصيبة جدكم
وإذا توارت في الثرى شمس الهدى
أبقاه مهديّ الإله وراءه
ويسوق للنهج القويم بحاله
هو ذاك عبد الله نجل محمد
وخليفة الفاروق نجم ثاقب
وخليفة الكرار سيف منتضى
بطل اذا اقتحم الكتيبة غادر الا
فبهم قوام الدين بعد امامه
صلى الإله على ضريح ضمه

ورثاه محمد ابن الطاهر المجذوب بقصيدة
دهتنا دوام يضرس القلب ثابها
غداة نعى الناعون نور الوجود من
امام الهدى المهدي افضل من دعا
ألا قد أصبنا اذ عدنا حبيبنا
ليبك له الدين الجنيف وملة
فقدناك يا هدياً يتما بفقده
الى الله انا راجعون هو الذي
طويلة اقتطفنا منها هذه الأبيات:
ويوقد في الأحشاء ناراً منابها
به ملة الاسلام جل مصابها
الى الله مفتاح النجاة وابها
وضاقت بنا الارض الوسيم رحابها
أبان هذاها حين تم خرابها
فقدناك يا شمساً دهانا غياها
اليه نفوسه المالمين إياها

هو الفاعل المختار باق وأنفس الو
وكنا نرى انا نفوز بوصله
فلم يبقَ فيها الآن ما يبتغي له
سقى الله ارضاً ضمّنته بقاعها
عزاء الى الصديق ثابته الذي
عزاء الى الفاروق من كان دأبه
عزاء الى الكرار ذي الناصر الذي
عزاء الى الآل الكرام أولي التقى
وألحقنا المهدي في جنة العلى
ألا أبلغوا عنا ضريح أبي الهدى
رى كلها جمعاً اليه انقلابها
بذي الدار حتى صاح فينا غرابها
بقاها فقد أضحى سراباً شراها
به فاقت العرش العظيم قباها
به الملة الغراء شد انتصاها
لدى نعم الدنيا القورور اجتنابها
لديه يهاب البائرات ذهابها
على الله هاتيك الرزايا احتسابها
ليذهب عن هذي القلوب اكتسابها
تحايا الى الله الكريم انتسابها

اوصافه : وكان عمر محمد احمد عند وفاته نحو ائلتين وأربعين سنة وكان
طويل القامة كبير الرأس عريض الوجه اسمر اللون أدهج العينين ازج الحاجبين
واسع الجبين أفتى الأنف رحب الصدر واسع الفم عريض الشفتين عظيم المنكبين
ضخم العظام واسع الكفين والقدمين سائل الاطراف مفلج الاسنان مشرط
الوجنتين على كل وجنة ٣ شرائط افقية مستدير اللحية واسمها خفيف الشاربين.
وكان يخلق شعر رأسه ويحسّن لحيته . ولباسه الجبة والعمامة على ما تقدم
قبل . وكانت كثير التبسّم يظهر من تبسمه فليح اسنانه المستحب عند اهل
السودان حتى لقبوه « بابي قلجة » .

أخلاقه : وقد وصفه اسماعيل عبد القادر الكردي وفاني وصفاً طويلاً اضطر
فيه الى التملق الكثير ومما قاله : « انه كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب
ليس بفظّ ولا غليظ ولا فحاش ولا عياب ولا مدّاح . ترك نفسه من المراء
ومها لا يعنيه وترك الناس من ثلاث لا يذم احداً ولا يمييه ولا يطلب عورته
ولا يواجه احداً بما يكره . يتفقد اصحابه ويسأل عنهم فمن كان غائباً دعا له
ومن كان حاضراً زاره ومن كان مريضاً عاده . وأفضل الناس عنده أعظم

نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة. لا يجلس ولا يقوم عن ذكر... يعطي كل واحد من جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه إن احداً أكرم عليه منه . وما جالسه احد إلا صابره حتى يكون هو المنصرف عنه . وقد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء ... أوسع الناس صدرأ وأصدقهم لهجة وألينهم خلقاً وأكرمهم عشرة لا يجزي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح . متخلقاً بالقرآن المجيد عاملاً بما فيه من الاجتهاد في طاعة الله والخضوع له والانقياد لأمره والشدة على أعدائه والتواضع ولين الجانب والرحمة لأوليائه ومواساة عباده وارادة الخير لهم والحرص على كمالهم والاحتال لأذاهم والقيام بمصالحهم وارشادهم الى ما يجمع لهم خير في الدنيا والآخرة. ذا حلم وعلم وصبر وشكر وعدل وزهد وتواضع وعفو وعفة وتقوى وحياء ومروءة وجود وسماحة وشجاعة وصمت إلا عن ذكر الله وقودة ووقار ورحمة المؤمنين وما وضع احد فمه في اذن له إلا استمر مصنياً اليه حتى يفرغ من حديثه . أكثر الناس شفقة على خلق الله وأرأفهم بهم. يركب الحمار ويردف خلفه ويجلس على الارض ويأكل مع الخادم ويحمل حوائجه بنفسه من السوق يحب الطيب ويستعمله ويحب من الثياب ما خشن ومن الطعام ما خشن... واشتهر من اول نشأته بحب الخلوة والانفراد عن الناس والتمسك بالدين كما بينا قبل .

جلوسه : وكان يجلس على فروة من الضأن ويقعد القرفصاء وحوله أخصاؤه وأقرباؤه يذاكرهم . واذا جلس على الطعام جثا على احدى ركبتيه وبارك الطعام قبل الأكل ودعا اليه أخصاءه وأقرباءه .

الدخول عليه : وكان الداخل عليه يخلع نعليه ويتقوم اليه حبواً حتى يقرب منه فيلمس يده ويرجع عنه قليلاً ثم يكلمه وهو منكسر الرأس ويخاطبه بقوله يا سيدي . وبعد الفراغ من حديثه ينصرف راجعاً القهقري غير موليته ظهره ..

نساؤه : ولكنه كان مولعاً بالنساء وقد مات عن نحو ١٠٠ امرأة منهم اربع شرعيات عرفن : أمهات المؤمنين والباقيات سراري وقد حبسن في منزله بأم درمان ولم يسمح لهنّ بالزواج الى ما بعد الفتح الاخير فأطلق سراحهنّ فقتوج بعضهن ولا يزال البعض الآخر بلا زواج .

أما نساؤه الشرعيات فهنّ : فاطمة بنت احمد شرقي التي تزوجها في الخرطوم قبل المهدية وقد توفيت في قدير . وعائشة بنت احمد شرقي تزوجها في الابيض بعد وفاة اختها . وفاطمة بنت حاج ابنة عمه تزوجها في كرري قبل المهدية . وفاطمة بنت حسين الحجازي تزوجها بشات قبل المهدية . وعائشة بنت ادريس الفلاحي تزوجها بقدير .

أما سراريه فقد استقصيت أسماء ٦٣ منهن وأشهرهنّ من سبايا كردوفان : أم الحسن اخت احمد بك دفع الله ، وعائشة بنت حاج احمد أم بربر ، وزنوبة بنت خورشيد كاشف ، وكنانة سرية الزبير ود ضوّه ، ونظيفة ونحل الجود سريتا محمد بك الشايقي ، ومدينة سرية يوسف باشا الشلاحي . ومن سبايا الخرطوم : آمنة بنت ابي بكر الجر كوك المار ذكرها . وأمينة بنت ابي السعود بك العقاد ، والشول بنت يوسف بك مدير فاشودة ، وفاطمة بنت حسن مسار ، وزينب بنت حسن بك البهناوي ، وفاطمة بنت النور بك ، ونزهة بنت محمد بك سليمان الشايقي ، وآمنة بنت احمد شجر الخيري ، وزينب بنت يوسف باشا الشلاحي ، وزينب بنت اخته . ومن سبايا الجزيرة : النعمة بنت الشيخ القرشي . والسرة بنت محمد ولد البصير ، وزينب زوجة حمد التلب ، ومقبولة الدارفورية ، ومأمونة الحبشية . وقبيل الله النوباوية .

اولاده : وله من فاطمة بنت احمد شرقي : ثلاثة اولاد ذكور وهم الفاضل وهو بكر اولاده ومحمد والبشرى وبنت تسمى زينب تزوجها الخليفة شريف . ومن فاطمة بنت حاج اربع بنات . أم كلثوم تزوجها الخليفة عبد الله ، وبور الشام تزوجها الخليفة علي ود حلو ، ونفيسة ، وعائشة توفيت بعد وفاته .

ومن فاطمة بنت حسين الحجازي : ثلاث بنات رحمة توفيت قبله ، وأم سلمة تزوجها شيخ الدين ابن الخليفة عبد الله ، ومريم ، وولد يسمى الصديق ومن نخل الجود مرية محمد بك الشايقي ولد يسمى عبدالله . ومن النعمة بنت الشيخ القرشي ولد يسمى علي ومن مقبولة الدارفورية ولد يسمى عبد الرحمن. ومن مأمونة الحبشية ولدان توأمان الطاهر والطيب . ومن قبيل الله التوباوية ولد يسمى نصر الدين. وجملة من ذكرنا ١٠ بنات و ١٠ صبيان سبعة من الصبيان ماتوا او قتلوا وبقي ثلاثة وهم علي والطاهر في قلعة مصر وعبد الرحمن في جزيرة الخرطوم وسيأتي ذكرهم بعد .

اخوته وأقاربه : وأما اخوته فهم ثلاثة محمد وحامد وعبد الله قتل حامد في قدير ومحمد وعبد الله في الابيض كما مر . وأما أقاربه الأخصاء فهم : السيد احمد شرفي حموه ، وعبد القادر ود ساتي علي ، ومحمود امير الابيض ، ومحمد عبد الكريم ، والخليفة شريف ، عدا محموداً الذي قتل في واقعة كورتى كما مر .

تعاليمه : وكان أساس تعاليمه ان يعيد الدين الى ما كانت عليه في اول الاسلام ، ويأخذ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، فمن سلم له وبايعه على الجهاد ضمه الى أنصاره ومن لم يتبعه حاربه وأذله سواء كان مسلماً او غير مسلم بلاميز . وكان اذا أنكر احد عليه مهيته قتله . واذا خالف له أمراً قاصه اما بالقتل او بقطع اليد والرجل من خلاف. وقد رفع المذاهب الاربعة (وهي المالكي والشافعي والحنفي والحنبلي) وتفرد بمذهب اجتهادي خاص به وحد فيه المذاهب بتسوية ما بين بعضها من الخلاف والفناء البعض الآخر وفرضه على أتباعه مدعياً انه هو الواسطة بينهم وبين نبي الاسلام في تبليغ الاحكام الاسلام وان فعله كفعل النبي ففرض عليهم ان يتوضأوا كما رأوه يتوضأ ويصلوا كما رأوه يصلي وهكذا في جميع العبادات والعبادات من غير نظر لما تدون بالمذاهب الاربعة المذكورة. وقد أحرق كل كتب السنة والتفسير وأحرق معها جميع الكتب الدينية والعلمية حتى لم يبق في السودان من الكتب

إلا القرآن ومناشير ورواتبه. واختار لراتبه آيات من القرآن الكريم والحديث الشريف وفرض على أتباعه حفظه غيباً وتلاوته كل يوم مع تلاوة حزب من القرآن بعد صلاة الصبح وصلاة العصر . وقد بدأ بإنشاء هذا الراتب منذ اشهار دعوته فأخذ يزيد عليه من وقت الى آخر الى ان اتمه قبل وفاته بقليل . وقال ان الطريق الموصلة الى الله تعالى محصورة في ستة اشياء وهي : صلاة الجماعة ، والجهاد في سبيل الله ، وامثال اوامره ونواهيه . والاكثار من كلمة التوحيد ، وتلاوة القرآن ، وتلاوة الراتب . وقد كتب كراساً علم فيه اتباعه كيفية قيام رمضان . وسهل طرق الوضوء ، وعلم الزهد في الدنيا والجهاد للدار الآخرة ، ومنع الناس من زيارة قبب اوليائهم التي كانوا يزورونها قبل المهدية وقد زربها زرباً قوياً . بل منع الحج الى الحرمين بحجة ان الجهاد اشد لزوماً منه ، وهدم اكثر الجوامع ، ومنع اقامة صلاة الجمعة في الجوامع الاخرى او انشاء جوامع جديدة إلا بأمره ، وشدد في المحافظة على الصلوات الخمس جماعة . وابطل الرتب والالقاء الرسمية وغير الرسمية ، وساوى الغني بالفقير . وفرض على جميع اتباعه لباساً واحداً وهو الجبة المرقعة التي كان يلبسها هو ، ومنع النساء من لبس الذهب والفضة وشعر المارية وخروجهن مكشوفات الرؤوس وخروج الحديشات السن منهن بين الناس وقاص من خالف ذلك بالجلد ولكنه سمح لهن بالتحلي في منازلهن بالسومييت والمرجات والصدف واللؤلؤ ، وامر اهل البادية بخلق شعر الرأس ولبس العمة بعد ان كانوا يرخون شعورهم ويدهنونها بالشحم وربما كان هذا من احسن آثاره . وحرّم الاحتفال بالاعراس احتفالاً يدعو الى النفقة وخفض مهر الزواج فجعله عشرة ريالات وبدلتين أي ثوباً وقرباباً للبكر وخمسة ريالات وبدلتين للثيب وعاقب من خالف ذلك بمصادرة أمواله لبيت المال . فسهل بذلك وسائل الزواج على الفقراء وقد كانت نفقات العرس الباهظة تحول بينهم وبين الاقتارات فأقبلوا على الزواج حتى ان بعضهم عدّ ٧٠ عقداً عقدت في ليلة واحدة . وأبطل الرقص والغناء وضرب الدلوكة الذي اشتهر اهل السودان بحبه وجازى من

خالف ذلك يحلده وتصدير ماله . وحرّم خصي المبيد . ومنع البكاء وراء الميت ، وابطل السحر والتعزيم وكتابة الحُجُب . وحرّم شرب الدخان ومضغه وشرب الحشيش والحجرة وقضى على من خالف أمره هذا بالجلد ثمانين سوطاً والحبس سبعة ايام مع تصدير امواله كلها . وجعل عقاب من شتم بلفظ الكلب والخنزير ٢٧ سوطاً والحبس سبعة ايام وعرف هذا القصاص عندم والذي قبله « بحق الله » . وأعاد قصاص الرّجم للزّاني والزّانية وقطع اليد للشارق .

كتب المنشير : وكان يثبت تعاليمه ووصاياه في مناشير يلسخها النساخ . وبعد فتح الخرطوم واستيلائه على مطبعة الحجر الأميرية صار يطبعها بمطبعة الحجر ويوزعها على أنصاره . وقد أمر قضاته باتخاذها أساساً لأحكامهم وقال لهم احكموا بالمناشير فإذا عرضت لكم مسائل لم ترد فيها فاحكموا بالكتاب والسنة . وجمع خليفته هذه المنشير في جزئين طبعها بمطبعة الحجر وجعلها أساساً لأحكامه . وقد أسقط عدة منشورات منها كنشور المهدي للسنوسي ومنشوره الذي صرّح فيه بفتح مكة وقال انه اسقطها حذراً من ضلال الجهال . وكان المهدي قد شرع في تأليف كتاب سماه « المجلس » ضمنه ارشادات للصلوات والاذكار وقراءة الراتب وكان القصد ان يضمه الاحكام الشرعية في المعاملات والديانة ويكون سنة لأنصاره ولكن المنية عاجلته فمات قبل ان يتمه .

تعاليم المهدي من منشوراته : وأهم منشور نشره المهدي بين اصحابه فضمنه معظم تعاليمه المنشور الآتي وهو بحرقه بعد البسملة :

« وبعد فمن عبد ربه محمد المهدي ابن السيد عبد الله الى كافة الاحباب في الله . أيها الاحباب ان الامر كله لله واليه المرجع والمآب وان النبي ﷺ لما أجلسني على كرسي المهديّة قد امرني بجهاد الترك وقال لي ان الترك كافرون بل هم أشد الناس كفراً ونفاقاً لقوله تعالى يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم

وانهم يسمون في اطفاء نور الله تعالى لقوله تعالى يريدون ليطفئوا نور الله بأهانة السنة النبوية واستعطاف الاسلام . وقد اظهروا كتباً يريدون بها طغي نور الله تعالى ويسمونها كتب القانون مع شتم الاسلام وقهره . أما ترونها يسحبونكم في الحديد والسلاسل لاجل اخذ أموالكم لا يوقرون كبيركم ولا يرحمون صغيركم ويحملونكم المشاق القوية . لا تذكروكم حق يسلوكم الاسلحة والاموال فان فعلوا ذلك فلا تسترقوا اولادهم ونساءهم بل اقروهم على حالهم وهم اخوانكم في الدين واحسنوا اليهم . وان العمل كله للنية في الجهاد في سبيل الله كمثل خطاف اخذ بمنقاره من ماء البحر قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة عوضاً عنها اذ قتلوا او قاتلوا . قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون . وقال لي سيد الوجود عليه السلام من أنكر مهديتك فقد كفر . وان ارواح الترك اشتكت الي وقالوا يا إلهنا ويا خالقنا ان الامام المهدي قتلنا من غير انذار فقلت يا إلهي أنذرهم وخالفوني وصالوا علي وسيد الوجود شاهد علينا . وقال سيد الوجود عليه السلام ذنبكم عليكم وانكم خالفتهم وصلتم فقتلتم . واني عبد مأمور باظهار الكتاب والسنة المقبورين حتى يستقيم . وقد امرني سيد الوجود عليه السلام ان كل من خالفني عدّ كافراً وان الله قد غفر ذنب من اتبني وقواني . وقد أمرني سيد الوجود عليه السلام ان زواج الثيب بخمسة وال بكر بعشرة ريات . تخفيفاً لأمته ومن نقص الصداق عن ذلك فهو أقرب الي من يبيض العين الى سوادها وإياكم والزادات . فامنعوا نساءكم عن النوح والتسليم وذبح الاموال سرفاً . وأما كيفية الحافرين والحاملين النعش فلا بد من ماله اذا كان له مال وإلا فمن بيت مال المسلمين . فمن بكى او سوت الباب او ناحت او حدث على غير زوجها فتؤدب حتى تظهر توبتها بالضرب والسخط بما يناسب لها . ونهيتكم عن التنباك الخبيث فمن شربه منكم فليؤدب حتى يموت او يتوب . وان الجهاد فرض فمن تخلف عنه فهو عاص الله ورسوله ولا تقبل صلاته ولا صومه ولا صدقته بل أمره كله هدر فمن تركه من غير عذر باين فحكه كذلك . أطعموا

طعامكم المجاهدين . فمن لم يأخذ البيعة من الامراء اصحاب الرايات الذين يخرجون من عندنا لاجل الجهاد فهو منافق ملعون . فأما العالم التابع لي في مهديتي فهو كالنبي المرسل والعامي التابع لي كرتبة الشيخ عبد القادر الجيلاني والعالم المخالف لي كفرعون والعامي المخالف لي كهامان . ومن علامة مهديتي ان النار تخرج من ثقب السلاح أي يخرج دخاناً . وان الله قوائي بالملائكة الكرام وعزرائيل حامل لواء نصرتي وان الخضر وسيد الوجود والاولياء من عهد أبينا آدم الى هنا معي ومؤمن الجن كذلك معي . وقد أمرني سيد الوجود عليه السلام بأن يخرجوا الاحراز ساعة الملاقاة كون الجان تنفر منه . وأمرني بأن أتوكل على الله كيف يتم العبد بالرزق حيث ضمن الله رزقه لقوله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وقوله تعالى وما من دابة في الارض إلا على الله رزقها . كيف يرتقي العبد من الأمراض كونه هو الفاعل والتوكل أولى . وكيف يصح للعبد ان يسوء في بساط الخيرات لأن الفاعل يفعل والمفعول يدفع لقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه . ومن سرق منكم سرقة قل او كثر فاقطعوا يده لأنه يوم القيامة يقوم بلا يد ويتخبط كما يتخبط العبد في الدنيا بحس الشيطان لا بارك الله في ولي تركه او امير استعان به . وكذلك الزاني يرجم اذا كان محصناً ويحلد البكر وأما المرأة فاذا دخلت بالاجني الذي يخشى عليها منه فيؤدبان بالاجتهاد لأن الشاب والشابة اذا تلاقيا يكون الشيطان دليلهما فلا بأس بمقاضاة الحاجات بحضرة واسطة من الناس . ومن ترك الصلاة او تهاون بها قتل حداً في ضرورية . وأما من تعدى منكم على اخيه ببسط لسانه في عرضه او ماله فهو ليس مني وأنا لست منه . وان ادعيت انكم أتباعي ولم تفعلوا فعلي فانكم منافقون لقوله تعالى يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فاذا لم تتحاربوا كالأخوين من الأيوين فليس أنتم اتباعي . ومن سرق سرقة رأها او شرب خمر او زنى فكتمه رافة عليهم فهو كالفاعل . ومن تخلف عن الجهاد بصحة جسم لا بارك الله فيه . واذا أخذتم ذنب الأبقار والاغنام والابل والزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم .

اتركوا الترفهات وفرأوي الريف لأن موت النفوس حياتها . ولبسوا الجلبب المرقعات ولبسوا نساءكم الثياب الخلقية . وان أمري مبهم لا يعرفه إلا اصحاب الحضرة الذين يرون رسول الله ﷺ لقوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون . أما ترون الترك لهم الأسلحة النارية والقوة العديدة قد هلكوا وأورثكم ارضهم وديارهم . هذا حصل لهم بمعية الله كذلك اذا عصيتم الله يحصل لكم كمثلهم لقوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . وأفضل الخلق من اتقاه . بمأمواراته ونهى نفسه عن منهياته . وان الشخص اذا اخذ البيعة وعاد الى فعله الخبيث فهو كالمرتد . ويقول الانسان اذا الليل أظلم يخناحه الله القادر المقتدر القاهر على كل جبار عنيد ناصر الحق حيث كان به الحول والقوة ان هي إلا صبيحة واحدة فاذا هم خامدون اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشائي هذا اليك لم أخرج اشراً ويطراً ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك أسألك ان تنقذني من النار وان تغفر لي ذنوبي فانه لا يفقر الذنوب إلا انت . ومن قال هذا الدعاء صباحاً ومساءً احدى واربعين مرة فهو معي ومع سيد الوجود ﷺ وان عمله كعمل اهل السموات والارض . ولا تجاوروا من ترك الجهاد او فعل منكراً من المنكرات المنهية كتاباً وسنة فاستعينوا عليه فخذوا نفسه وماله غنيمة للمسلمين المجاهدين ان استحل ذلك وإلا فليؤدب . ولا تمنعوا الاراضي لأنها لا تملك بسل هي محوزة لبيت مال المسلمين . وأما المجاهد فان استضافكم فأضيفوه وان استغاث بكم فأغيثوه . واما ارباب الجاه الذين اتخذتم قوم اولياء ان نهوكم عن متابعتنا فانهم كفرون لا تسمعوا لهم قولاً لأنهم ضالون مضلون بل هم اشد اهل النار وعلمهم كعمل الذين قال فيهم ربنا كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين . وقال لي سيد الوجود ﷺ ان السعيد من اتبعك والشقي من خالفك واني عبد ضعيف ليس لي طاقة على قوام أدنى شيء فضلاً عن ذلك الملك الجائر الذي غير السنة النبوية والكتب الازلية واني على بصيرة من الله واعانة من رسوله ومعني سيف النصر لا ينفع الشريف

شأن الشيعة

شرفه ولا العالم علمه ولا الولي ولايته إلا بإتباعي والخير كله في تسليمه الأمر
 أيها الاحباب اني محمد بن عبدالله وأبي حسي من جهة ابيه وامه وامي عباسية
 من جهة ابيها وامها حينئذ لا شك اني من نسل المصطفى ﷺ واني ولدت في
 بحر النيل وهاجرت الى ماسة في اقصى الغرب بلصق جبل يقال له 'قدير' لاني
 موعود به فلا تلبسوا على انفسكم بقول ظهرنا في المشرق المعنى اننا نظهر
 بالمشرق ويملاً الله لنا البلدان عدلاً كما ملئت جوراً ويدّر الله لنا الارزاق درأً
 وبفيض الماء غيضاً وتآنس الذباب يعني بها السباع الضارية في الانعام ويؤمن
 كل مؤمن من سم الحية وهذا كله بعد وصولنا لبنت الله الحرام والبيعة الثانية
 هي الكبرى وتسمى بيعة الفوز والرضوان . اللهم اجعلنا واخواننا المؤمنين
 على التقوى لقوله تعالى ان المتقين في جنات وعيون . وقوله تعالى الاخلاء
 يرمئ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم
 تحزنون . وقال تعالى واتقوني يا اولي الالباب وقال تعالى واتقوا الله لعلكم
 تفلحون وقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب
 والتقوى المذكورة لا توجد غاية إلا بالجهاد في سبيل الله والعمل بالكتاب
 والسنة رأس المال والجهاد ثمنه . ويجب على المجاهدين يعني بهم أتباعنا الذين
 يلهمون بالذكر في جل احوالهم بالتهليل والتسبيح والتكبير . وان اصحابي
 كأصحاب رسول الله ﷺ وهذا قاله لي بلفظه الشريف ان اصحابك كأصحابي
 فلما كان كذلك يلغني لنا ان تقتفي أثر اصحاب رسول الله ﷺ الذين قال
 فيهم ربنا تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً وما رزقناهم
 ينفقون وكن كذلك واحمل نفسك ودسها تحت اقدامك لعل الله يعلوك . أيها
 الاحباب قد أمرتكم ان من ترك منكم عقيقة ابنه فليدعها لأن الروح تشي
 اليّ ونقول والذي لم يدعني فاعطني اسماً أدعى به فيقول الله لها سمى نفسك
 بنفسك وكذلك من لم يسمه ابوه فليسم نفسه ولو بعبد الشيب والمهرم فيا
 حسرة اب لم ينم ابنه . وكذلك تجب اعادة الزكاة لمفرطها والصوم والكفارة
 فتفحصوا من الذنوب . واذا ضعف المجاهدون عن الجهاد أعينهم أيها القاعدون

كتاب الشريعة

اولوا الضرر بثلك مالكم واتقوا نفوسكم بمالككم ولا تخزنوها فيها لكم ضرر وسوء حظ . وحكم النساء ان المرأة الناشئة لزوجها احبسوها في الاوکار والبيوت المظلمة حتى ترجع او يتوفاهما الله تعالى كالزانية فمن ثببت نفسها عن زوجها فمالها غنيمة لزوجها وان راضاها فماله غنيمة للمسلمين فان فعلوا ذلك فلا تعودوم ان مرضوا ولا تشيعوا جنازهم ولا تعينوم عند الشدائد . ولا يجهل في مهديتي إلا شقي محروم الحظ وعادم الخير والاخسان . واعلموا ان الوقت قد أزف وربما قام كالشمس تكون في اوکار غروبها . وتجنبوا عن النساء واللذات العديدة التي تورث صاحبها الكبر والبطر وجاهدوا في حق الله حتى جهاده ايها الاحباب الناظرون لرضوان الله الواحد القهار . وتناصحوا المؤمنين وحب لأخيك المؤمن كما تحب لأخيك من ابويك وقدم حب اخيك المؤمن على نفسك وذلك الوقت تكون صاحبنا فان لم تكن كذلك بل انت مغرور وقد حرّم الله عليك سيد الوجود . واموال الغنيمة وان قلت كآبرة فانه لا يدخل الجنة إلا من اخذها بقسمة او شراء او استحق شيء من بيت مال المسلمين فان من سرق منها لا تقبل عمله حتى يردّها او قيمتها . فمن أعان مجاهداً بلقمة او درهماً او اثناء شرب او آلة حرب فكان يوم القيامة تحت ظل العرش ومن ناصح مجاهداً فكانما ناصح محمداً ﷺ وأمن في الجنة . ليتعلم بعضكم من بعض وليتأدب بعضكم لبعض وليكسر طرفه لأخيه المجاهد . وان لا يعلوا عليه وان يساويه في الفراش والاكل إلا الضرر البيّن وان الامراء والعاميين فكلهم على حدّ سوى إلا في الامر والنهي فليخبرهم ولا يتفاضلون عليهم في المركب والملبس والاكل فمن فعل ذلك فهو مردود منا . وقال في الغنيمة المتقدمة وما كان لني ان يغفل ومن يغفل يأت بما غلّ يوم القيامة فهو العتاب عدم نهب الغنيمة للنبي وغيره . فمن جاهد خوفاً على ماله او عياله وجماهه فهو مخسور عند الله كالصدقة تخرج الناس . ايها الاحباب كونوا ربانيين وفوّضوا امركم الى الله فان النصر لكم وان القتل الذي ترونه امتحاناً لكم وليس يريد به تضعيف المسلمين وان الله مع المؤمنين والسلام .

تعاليم المهدي عن استاذة محمد شريف: وجاء في رائية الاستاذ محمد شريف عن تعاليم المهدي ما يأتي بحرفه مع اصلاح وزن بعض الابيات :

أكاذيب ابداءها فمنها عن النبي	ومنها عن المولى ومنها عن الخضر
كأخباره بالحسف والمسخ للعدا	وكم في قدير من سلاح ومن تبر
ومن بعضها تحليل كل جملة	ولو ذات بعل دون عقد ولا مهر
ومنها روى عن زوجة المتخلف	بما لم يكن في المسلمين ولا الكفر
ومنها اصلي في الجوامع كلها	الى المسجد الاقصى ولم يدر ما يجري
ومنها انا المهدي منتظر الوري	ولم يستح من عالم السر والجهر
وينهى النساء عن حلين وان بدت	بها كان منه والحكم بالتنف للشعر
وينهى عن التنباك نهياً كأنما	أتى منعه في الذكر من شدة الزجر
وينهى عن الارباح في الاخذ والعطا	ويمنع عن حرث وعن سبب الخير
وينهى عن العلم وعن كل واجب	ويأمر بالمنهي وينهى عن الامر
ويمنع عن حج وينهى عن النبي	ويمنع عن درس وينهى عن الذكر
يبيح حرام الدين كالمال والزنى	وسفك الدما والبيع للمسلم الحر
وينسخ حكم الله بالرأي والهوى	ويقضي بالقاء الشريعة في البحر
ويزعم بالجهل المركب فضله	على الانبيا إلا الرسول فذو شطر

مراتب اصحاب المهدي : وقد كان انصار المهدي مراتب متفاوتة في المقام والكرامة بحسب أسبقيتهم في الانضمام اليه : فالمرتبة الاولى « تلامذته » الذين صعبوه قبل ادعائه المهدية ويقال لهم أبكار المهدي . والمرتبة الثانية « انصار أبا » أي الذي نصره في أبا . والمرتبة الثالثة « انصار قدير » أي الذين هاجروا اليه وهو في قدير . والمرتبة الرابعة « انصار كبا » وهم الذين خرجوا له من الابيض الى كبا . ثم باقي الانصار وهم ايضاً طبقات بحسب أسبقيتهم في صحبته فأهل بارة اكرم من أهل الابيض وهؤلاء اكرم من أهل الخرطوم وهكذا . قيل ان اللواء ابراهيم باشا فوزي اجتمع باللازم يوسف

افندي منصور في بيت الحاج خالد العمري بعد سقوط الخرطوم فلما حضر الخادم بالقهوة قدمها الى يوسف منصور اولاً فأشار هذا اليه لينذهب بها الى ابراهيم باشا فالتفت الحاج خالد الى يوسف منصور وقال لماذا تردّ القهوة وتقدمها الى ابراهيم فوزي قال يا سيدي لأنه أكبر مني مقاماً فقال الحاج خالد لا بل انت أكبر منه الآن لأنك اسبق الى صحبة المهدي . وكان الخادم قد قدّم القهوة الى ابراهيم باشا فلما سمع كلام سيده اخذ الفنجان من يد ابراهيم باشا وأعطاه ليوسف منصور ثم قدّم لابراهيم باشا فنجاناً فاعتذر عن شربه وانصرف وهو يحرق الارم على المهدي وساعتها .

اهل السودان ودعوى المهدي : وقد صدق اهل السودان خاصتهم وعامتهم دعوى المهدي ونصروه وهم لا يشكّون ان من مات في سبيله فنصيبه الجنة والحدود والعين حتى صاروا يتبنون الموت وينادون عند رؤية القتال « الجنة جت قريبة تحت المدفع وتحت الزريبة » . وقد سموا التجار بـ « كلاب الدنيا » لتقاعدتهم عن الجهاد . و«حي ان جعلنا جرحاً صديقاً له الى المحاكمة لأنه قال له عند وداعه « الله يكتب سلامتك » . ولم يبق في السودان من شك في دعوى المهدي إلا نفر قليل من الادباء العقلاء وهؤلاء لم يجسروا على الاباحة بسرهم حتى الى نساءهم خوفاً على انفسهم من نقمتين فضلاً عن نقمة المهدي . ومن أباح منهم بسرّه قتل إلا ثلاثة من العلماء خطأوا المهدي في وجهه قصد إراحة ضميرهم مع الله فسلموا وهم :

« الشريف محمد الامين بن الشريف يوسف افندي » . من سكان رهد النيل الازرق . قيل ان المهدي كتب اليه يأمره بالانضمام الى عاملة احمد المكاشف او الهجرة اليه في الابيض فاختار الهجرة اليه ليختبره رأاه الى الابيض بعد فتوحها في شوال سنة ١٣٠٠ فآزله مع الشريف حمد النيل قرب ديوان المديرية فلما خبره أنكر عليه أشياء كثيرة ولم يكن له القدرة على رده ولم يطاوعه رأيه على المظاهرة بنصرته فقال للمهدي في بعض زيارته له « اني أستحلفك الله ان تتركني وشأني فلا تزورني ولا تدعوني الى زيارتك » قيل وطلب من الله

ان يقبض روحه وينجيه من هذه الضلالة فلما زحف المهدي من الابيض لغزو الخرطوم خرج معه فتوفاه الله في رهد كردوفان في ٢٧ رجب سنة ١٣٠٠ هـ ودفن هناك رحمة الله عليه . وقد رأيت نجمة الشريف يوسف الهندي في مصر فأكد لي هذه الرواية وقال انه سيني قبة فوق قبره في وقت قريب .

« والشيخ محمد الزاكي من اقارب ود الزاكي المدفون على البحر الابيض » . قيل انه كتب الى المهدي يصرح له في الامور التي خالف بها الشريعة واحدة واحدة وقال له : اني أكتب هذا اليك لمجرد النصح فألمي ان تعمل وتحقيه عن اصحابك لأنهم لو علموا به لقتلوني جهلاً فان أخفيته وحفظت هذه النصائح فأنت جدير بذلك وان لم تحفه ولحقني شرٌ بسببه فأعدّه « كلمة حق عند ملك جائر » فأخفاه المهدي عن اصحابه ولكن اباح به ود الزاكي لبعض اخصائه .

« والشيخ محمد نور احمد من عمد بارة » . قيل انه كان يصلي كثيراً بالصلاة الجزولية فلما أمر المهدي بمنع قراءة الكتب كلها اغتاظ من منع كتاب الصلاة الجزولية فحمله بيده وتقدم الى المهدي وقال له اني لا أستطيع ترك هذه الصلاة وانا راض بما يصيبني من قراءتها فكتب اليه المهدي كتاباً يسمح له بقراءتها هذه صورته بعد البسمة :

« وبعد فمن عبد ربه محمد المهدي الى حبيبه محمد النور وقاه الله الشرور انا قد قلنا ان من أمكنه ان يصلي على النبي بالصلوات الواردة الماثورة فخير لأجل الاقتداء ومن كان لا ينشط لذلك فليصلي على النبي بما ينشطه من جزوليته او غيرها والسلام » .

العالم الاسلامي ودعوى المهدي : هذا وقد امتاز المهدي السودان العالم الاسلامي في جميع الاقطار وهاجر اليه جماعة من مصر والحجاز والهند وبلاد المغرب قصد زيارته والوقوف على حاله ولو أطال الله في أمده وزاد في توفيقه لقلب وجه الشرق انقلاباً عظيماً ولكن لطف الله بعباده وأرقفه عند هذا الحد فلم تتعد نصرته السودان .

الحكومة ودعوى المهدي : وكانت الحكومة قد تحوطت له فأصدر جلالة السلطان عبد الحميد السلطان الحالي أيده الله منشوراً رسمياً كذب فيه دعوى محمد احمد ونشره في جميع البلاد الاسلامية . وكذلك استفتى علماء الازهر في شأنه فأفتوا بتكذيبه ونشر مجلس النظار منشوراً بذلك . قال العوام في نصيحته المنشورة : « ان الحكومة لم تستفتِ علماء الازهر في أمر المهدي إلا في شهر محرم سنة ١٣٠١ هـ أي بعد مباشرتها الحرب سنتين وأربعة أشهر وعجزها عن القيام باستمرار الحرب فكان رجوعها بعد ذلك الى الاستفتاء رجوع فرعون الى الايمان » . ثم لما ذهب عبد القادر باشا والياً على السودان أوعز الى علماء الخرطوم فألفوا الرسائل في تكذيب محمد احمد وتسفيه رأيه وقد طبعت في مطبعة الحبر في الخرطوم ووزعت في البلاد وأشهر هذه الرسائل :

رسالة السيد احمد الازهري ابن الشيخ اسماعيل الرلي الكردوفاني شيخ الاسلام في عموم غرب السودان المسماة بالنصيحة العامة لأهل الاسلام عن مخالفة الحكم والخروج عن طاعة الامام . ورسالة الشيخ الامين الضير شيخ الاسلام في عموم شرق السودان المسماة هدي المستهدي الى بيان المهدي والمتهدي . ورائية الاستاذ محمد شريف المار ذكرها . ورسالة المفتي شاكر مفتي مجلس استئناف السودان . وهذه هي :

رسالة المفتي شاكر الغزّي

في بطلان دعوى محمد احمد المتهمدي

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جعل السلطنة سرّاً من أمراء الالهية وفرضاً من الفروض الشرعية الدينية . وجعل لزوم طاعتها فرضاً لازماً وأمرأ جازماً . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بين الحلال والحرام وأزال الشكوك والاهوام . وعلى آله وأصحابه السادة في الاهتداء وشموس

الاقتداء فيقول العبد الفقير شاكر الغزّي مقي مجلس استئناف السودان بلغه
الله أقصى منازل الرضوان :

لما كان ما ادعاه محمد احمد من المهدية بعيد عن الصدق بالكلية وصدقه في
مدعاه جهلة العوام والأوباش الطغام جمعت هذه الرسالة في نصحه وارشاده
من هذه الضلالة مرتبة على مقدمة وفصلين وخاتمة فأقول والله المستعان .

المقدمة

في وجوب طاعة السلطان وولاية الامور

اعلموا أيها الاخوان أصلح الله لي ولكم الشأن ان الدين والسلطان اخوان
متلازمان فالدين هو الأساس والسلطان هو حافظه ومشيده وما لا حافظ له
ضائع يمز تأييده فلا دين إلا بالسلطان . فالسلطان في الحقيقة هو القائم بحماية
الدين وحفظ بلاد المسلمين وهو ظل الله في ارضه وبه تقام شعائر سنته وفرضه
فهو خليفته على خلقه وأمينه على رعاية حقه قد ارتضاه من خليفته وأمرهم
بطاعته . قال تعالى اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم . وقال
ﷺ عليكم بالسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة .
وقال عليه السلام تسمع وتطيع وان ضرب ظهرك وأخذ مالك . واعلموا ان
من أوضح الأدلة السالمة من الاعتراض الحاسمة أبواب الانتفاض ما ورد في
القرآن العظيم وسنة النبي الكريم من الأمر بالاعتصام بالكتاب والسنة والائتلاف
وعدم النزاع والخلاف قوله وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب
ريحكم . وقال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . وقال تعالى لو
أنفقت ما في الارض جميعاً ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم والمراد
بحبل الله المعتصم به هو القرآن وهو اختيار جماعة من أئمة التفسير . ونقل
عنه عليه السلام انه قال ان الله رضي لكم ثلاثاً وكره لكم ثلاثاً رضي لكم ان
تمبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً . وان تعصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا .
واسمعوا وأطيعوا لمن ولاه الله تعالى أمركم . وكره لكم قيل وقال واضاعة

المال الحديث . وقال عليه السلام المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضاً . وقال عليه السلام من حمل علينا السلاح فليس منا . وقال عليه السلام من رأى من أميره شيئاً فكرهه فليصبر فانه ليس احد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية . واعلموا ان نور التآلف ينسخ ظلم العداوة من القلوب ويكون سترأ من هجوم الحوادث وسداً في وجه الخطوب . وقديماً ثبت في القبائل والعشائر نار العداوة فأحرقتهم وانبسطت يد المنازعة والمخالفة بينهم فمزقتهم واستلت فيهم سيوف الاحن والبغضاء ففترتهم ولعت بروق التقابل والتقاتل فتألفت . ثم هبت عليها رياح التآلف والاتفاق فأطعمت ضرامها وضرفت غرامها وشفقت مقامها ونفت عنها آلامها وملامها فتبدلوا بالاساءة احساناً وبالمخالفة أماناً وبالمنافرة اذعاناً وبالتقيصة رجحاناً فعادوا بعد التباين صنواناً وأصبحوا بنعمة الله اخواناً . فاذا علمت ذلك وعلمت ما تضمنته هذه الآيات الكريمة والأحاديث العظيمة من وجوب طاعة ولاية الأمور وحرمة قتالهم والخروج عن طاعتهم أيقنتم ان من خرج عن الطاعة شبراً فقد عصي الله ومات ميتة جاهلية . واذا علمتم ايضاً ما في الخلاف والمنازعة والعداوة من الخراب والدمار أيقنتم ان الواجب عليكم الرجوع الى الائتلاف والاتفاق فاتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون . فذكروا انفسكم رحمكم الله تعالى فان الذكرى تنفع المؤمنين .

الفصل الاول

في بطلان دعوى محمد احمد المهدية

ان بعض العلماء قال بظهور المهدي في آخر الزمان واحتجوا لذلك بأحاديث خرجها الأئمة . وبعض العلماء أنكروها وتكلموا فيها وربما عارضوها ببعض الاخبار . وللمتصوفة المتأجرين طريقة اخرى في امره . ورمز بعضهم الى خروجه في جفج اشاراة الى انه يخرج سنة ٦٨٣ . ورمز بعضهم الى خروجه في سنة ٧٠٠ وكسور وغير ذلك ولم يخرج . فلهللماء فيه قولان قول بخروجه

في آخر الزمان وقول بعدم خروجه . وعلى القول بخروجه فهذا ليس زمانه .
 ومحمد احمد ليس هو المهدي المنتظر لخالفته له في اوصافه وفي مكان مولده
 ومكان خروجه ووزرائه ورجاله . فما ورد من ذلك ان مولد المهدي المنتظر
 ومظهره بمكة كما في العرف الوردى والصواعق . وقيل مولده بالمدينة . وقال
 العلقي والقول بأنه يخرج من المغرب لا اصل له وعلى تسليم صحته فالذي قال
 بخروجه من المغرب قال انه يخرج بموضع يقال له ماسة وراء السوس الاقصى .
 وأنتم لا تخفى عليكم ان مولد محمد احمد بدنقلة وخروجه بجزيرة ابا وجبل قدير
 فقد باين المهدي في المولد والخروج وهذا دليل على بطلان دعواه وظهور كذبه
 وافتراءه . ومنها انه من عترته عليه السلام أفرق الثنايا أجلى الجبهة وجهه كالكوكب
 الدرري ومحمد احمد ليس كذلك . ومنها انه شاب أكحل العينين ازج الحاجبين
 أقنى الانف كث اللحية على خده الايمن خال وعلى يده اليمنى خال وهذه
 الاوصاف تبين اوصاف محمد احمد وهو ايضا برهان قاطع بعدم صحة دعواه
 وبطلانها . ومنها انه يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخلق ويقرب منه في الخلق
 وأنتم تعلمون ان لونه عليه السلام ابيض مشرب بحمرة كما في الشامل الترمذية ولون
 محمد احمد ليس بأبيض كما هو مشاهد لكم فمن اعتقد ان لون نبينا صلى الله عليه وسلم كلونه
 فقد انتقصه وحكم منتقصه عليه السلام الردة حتى قال في الشفاء لا تقبل توبته وهذا
 دليل ايضا على عدم صحة دعواه . وايضا لا يقارب خلقه صلى الله عليه وسلم لقتله المسلمين
 واستباحة أموالهم وحملهم على قتل بعضهم بعضا ورسول الله صلى الله عليه وسلم منزّه عن
 ذلك . ومنها انه ينادي عند ظهوره فوق رأسه ملك هذا المهدي خليفة الله
 فاتبعوه ومحمد احمد ليس كذلك فكيف تتوهمون في عدم صحة دعواه الباطلة
 وهذه الاحاديث تكذبه أكذبتم بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والى الله تعالى .
 ومنها ما أخرجه الحاكم في صحيحه عنه عليه الصلاة والسلام قال يحل بأمتي
 في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لم يسمع بلاء أشد منه حتى لا يجد
 الرجل ملجأ فينبعث الله رجلا من عترتي اهل بيتي يملأ الارض قسطا وعدلا كما
 ملئت جورا وظلما يحبه ساكن الارض وساكن السماء وأنتم لا تخفى عليكم ان

شدة البلاء من السلطان وعدم الملجأ لم يوجد فأنتم في رغد من العيش آمنين مطمئنين وملجأنا وملجأ العامة موجود وهو ولي النعم الخديوي الاعظم وسعادة افندم ناظر ديوانه وحكمدار عموم الاقاليم السودانية «عبدالقادر باشا» بلغه الله ما يشاء . والمأمورون من تحت ادارته تلجأون اليهم في مهاجماتكم فيأخذون بيد المظلوم وينتقمون من الظالم . فلا يتوهم حينئذ ظهور المهدي في هذا الزمان لأن هذا الزمان ليس زمان ظهوره لوجود الملجأ وفقد البلاء. وان كنتم تتوهمون انه المهدي فأين ملؤه الارض عدلاً وقسطاً كما في الحديث بل والله ما ملأها إلا قتلاً وفساداً وخراباً كما هو مشاهد وأين حب ساكن الارض له هل يحب العاقل من يسعى في الارض بالفساد وينهب ويقتل العباد وهل يرضى احد بفقد الامن وقتل المسلمين بغير حق وتفریق كلمتهم . فاعتبروه يا أولي الابصار وانظروا بعين الاستبصار واعتقدوا ان محمد احد ليس مهدياً وكذبوه في دعواه لما بسطناه من الاحاديث ولما ورد عن رسول الله ﷺ ان رجال المهدي المنتظر الهيون ابدال الشام وعصائب اهل العراق فهل رأيتم يا جهلاء المسلمين معه رجالاً الهيون من ابدال الشام وعصائب اهل العراق كلا والله ما معه إلا جهة العوم واوباش الطغام كما هو ظاهر لكم وهذا دليل ايضاً يكذبه في دعواه . ومنها انه يخرج لقتال يوسف السفياي لا لقتال المسلمين ومحمد احمد انما يقاتل المسلمين ويقتلهم ظمناً فهل رأيتم في كتاب الله او سنة رسول الله ان المهدي يقاتل المسلمين ويقتلهم وينهب أموالهم وهو انما يظهر لحماية الدين ونصرة المسلمين . وأين السفياي وجيوشه الذين خرج محمد احمد لقتالهم فهذا برهان آخر على ان دعوى محمد احمد زور وبهتان . ومنها ان المهدي يبايع وهو كاره لهذه البيعة ومحمد احمد يندب الناس الى مبايعته ويقتل من لم يبايعه وهذا دليل على ضلال محمد احمد وبطلان دعواه . ومنها ان المهدي المنتظر لا يخرج عن الكتاب والسنة ومحمد احمد نبذ كتاب الله وراء ظهره وإلا فالكتاب والسنة لا تبيحان الخروج عن طاعة الامام والكذب والفش والتليس على المسلمين وقتلهم ونهبهم بلا حق والشرع لا يبيح قتل الكافر

المؤمن والمعاهد ولا نهب ماله فأين العمل بالكتاب والسنة . فهذه عدة أدلة نقلناها في بطلان دعواه . فهل رضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة وما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل أم قبلتم الخروج عن سنن الكتاب والسنة وانقلبتم على أعقابكم خاسرين أهكذا شأن المسلمين فكيف ترضون باقرار هذه المعاصي بين أظهركم ولم لا تغيرون هذا المنكر من بين أظهركم . فيا أيها المسلمون أنشدكم الله تعالى في دينكم لا تغيروه بوساوس محمد احمد الشيطانية وهذياناته النفسية . فانا رأينا وسمعنا كثيراً من ادعى المهدية قبله كابراهيم السوداني فانه ادعى المهدية بالخرطوم واتخذ محمد الهراف وزيراً وتلاشى أمره وبطلت دعواه بقوة الحكومة . وكذلك الشيخ احمد بن عبيد المدعي انه المهدي بصعيد مصر قد تلاشت دعوته الباطلة وفرقت جموعه العاطلة وغير ذلك ممن ادعى المهدية بل النبوة بل الألوهية كالقنقن الكندي وبطلت دعواهم وكذبهم الكتاب والسنة فيها وانقطع أمرهم . فاعلموا ان محمد احمد هذا قد تأسى في دعواه هذه بمن ادعاهما قبله وسيحل به ان شاء الله تعالى ما حل بهم فاتقوا الله عباد الله وأزيلوا هذا المنكر بما قدرتم لأنه ورد عنه عليه السلام من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يقدر فليسانه فان لم يقدر فليقلبه وذلك اضعف الايمان والله سائلكم عن ذلك

الفصل الثاني

في النهي عن اتباعه ونصيحة من اتبعه

قد أوضحنا لكم السبيل السويّ ونقلنا لكم القول القوي مما ليس فيه شائبة توهم ان محمد احمد هو المهدي فلا يتبعه إلا من استحكت عليه عوائد التوحش ووقع في ظلمات الجهل والطمع في ايدي الناس وباع دينه بدنياه فجعله أتباعه من حمقى العربان وحمقى الدراويش الذين ليس لهم مقصد إلا النهب والسلب والقتل اذ انهم أضل من الأنعام سبيلاً لا بصيرة لهم ولا معرفة ولا دين . فما مثال هؤلاء الأتباع إلا كئثال امرأة عجزوز سمعت ان الشجعان والابطال من المقاتلين ثبتت أسماؤهم في الديوان ويقطع لكل واحد منهم قطر

من اقطار المملكة فتاقت نفسها الى ان يقطع لها مملكة فلبست درعاً وابست على رأسها مغفراً وتعلمت من رجز الأبطال ألباتاً وتعودت ايرادها بنفهاهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيف تبخترم في الميدان وتخريكهم الأيدي وتلقفت جميع شمائلهم في الزّي والمنطق والحركات والسكنات ثم توجهت الى المعسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجعان فلما وصلت الى المعسكر أنقذت الى ديوان العرض وأمر بأن تجرد عن المغفر والدرع وينظر ما تحته وتمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر عناثها فلما جردت عن المغفر والدرع فاذا هي عجوز ضميعة زميتة لا تطيق حمل الدرع والمغفر فقبل لها أجنت للاستهزاء بالملك والاستخفاف بأهل حضرته والتلبيس عليهم. خذوها فألقوها قدام الفيل لسحقها فألقيت الى الفيل وهكذا يكون حال الجبهة الطغام الذين لا يعرفون عاقبة ما هم فيه المغرورين بالملبسين الذين سؤل لهم الشيطان أعمالهم فصدمهم عن السبيل وما كانوا مهتدين . فياكم أيها الاخوات الاقتداء بهؤلاء الجبهة والعمل بأعمالهم فيجب عليهم ان يرجعوا الى طاعة الحكومة ولا يقتدوا بشيخهم ابليس لأنه اذا كشف عنهم الغطاء وأنتهم الجلل والمدافع والبنادق والرصاص لتمنوا الخلاص ولات حين مناص اذ ما من احد ينكر ان عساكر الحكومة هي مئات من الالوف وان الحكومة قادرة في كل وقت على تجديد الوف الالوف من المعسكر وتجهيزها بالمهمات الكافية الحربية وعلى تشكيل القوى العديدة وان حصول التلف لجزء من عساكرها لا يؤثر في الحكومة شيئاً ولا تعند به لاقتدارها على تجديد أكثر منه في اقرب وقت . فبمجرد وقوع الفشل لبعض العساكر في بعض الوقائع ليتهاون الضباط وامهالم لا تؤيد دعوى الشقي محمد احمد اذ لذلك امثال مضت ووقائع تقدمت . ألا ترون ما وقع من عساكر الحكومة مع العصاة الذين كانوا يجهة شكا ودارفور وغيرها ففي اول الأمر أوقفوا الفشل في عساكرها ثم انتصرت عليهم عساكر الحكومة وعاد عليهم العصيان بالوبال والخسران وذهبوا فريسة عساكرها جزاء خروجهم عن الطاعة وأمثال هذا كثير يعلمه من شاهد الحوادث او سمع بها . فكيف يتصور بعقل

عاقل ان هذا الشقي بمجرد اجتماع شرذمة من المفسدين عليه غايتهم السلب والنهب يقارم حكومة لها مئات من الوف العساكر والجيش قادرة بمنه تعالى على تسليمهم بأسلحة نارية وآلات حربية . وهذا ما أعد لهم في الدنيا وقد أعد الله لهم جهنم وساءت مصيراً جزاء خروجهم عن طاعة الله ورسوله وولاية الأمور وقتلهم النفس التي حرّم الله قتلها ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها فالحمد لله عباد الله عليكم يتقوى الله تعالى والعمل بكتاب الله وسنة رسوله يراجعوا الى طاعة الله وطاعة الحكومة ولا تتبعوا الأهواء الشيطانية والوساوس الخرافية وأنشدكم الله في دمائكم وأموالكم ودينكم ألا تضيعونها بمتابعة محمد احمد الشقي وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

الخاتمة

في وجوب قتل الخوارج ونصر السلطان

اعلموا أيها الاخوان قد أجمع أئمة الدين ان الخروج عن الطاعة من الكبائر ولو جار السلطان لا يجوز الخروج عليه ويجوز له قتالهم . ويجب عليكم قتال الخوارج معه ونصرته عليهم لخلمهم ربة الاسلام قال عليه السلام من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربة الاسلام من عنقه . وقال عليه السلام يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من قول خير البرية يرقون من الاسلام كما يرق السهم من الرمية لا يجاوز اينانهم حناجرهم فأينا لقيتموهم فاقتلوه فان قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة . وعنه عليه الصلاة والسلام قال سيكون في أمتي اختلاف وفرقة قوم يحسنون القول ويسيثون الفعل يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يرقون من الدين مروق السهم من الرمية لا يرجعون حتى يرتد على فوقهم هم شر الخلق والخليقة طوبى لمن قاتلهم وقتلهم يدعون الى كتاب الله وليسوا منه في شيء من قاتلهم كان أولى بالله منهم . فعليكم أيها المسلمون ان تنصروا الله تعالى بنصر سلطانكم قال تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم . فيجب عليكم صيانة لدينكم وحفظاً لأموالكم ودمائكم ان

تقاتلوا هؤلاء الخوارج الدجالين وبقتلهم حيث وجدتمهم وان تمنعوا كل من أراد الخروج معهم وتفرقوا جماعتهم وتمنعوا زيادتهم ويحرم عليكم جلب السلاح اليهم وكلما يؤدي الى قوتهم وزيادتهم حتى يرجعوا الى الحق ويعطوا الطاعة ولا يفرنكم قول محمد احمد الشيطان الغرور ان يخرج عليكم مدافع الترك وينادقها ورصاصها ماء بارداً لا تاراً . وانه يسك من النار لكم فهذا كذب وغرور وهتان وزور لا حجة له ولا دليل عليه بدليل ان الرصاص من الترك اصابه في كتفه ولم يقدر ان يجعله ماء على نفسه فكيف يجعله عليكم ماء وهذا وزيره ولد المكاشف واحمد ولد طاهما وغيرهم ممن كانوا بحزيرة أبا وغيرها وجميع من كان معهم من حزب الشيطان قتلهم الرصاص ولم يجعله عليهم ماء كما هو مشاهد لكل مطلع بالعيان . فيا أتباع محمد احمد قد اوضحنا ما أنتم عليه ومحمد احمد من الباطل مؤيد بالكتاب والسنة وعلمت حكم الله فيكم فالحمد لله في دمائكم ودماء المسلمين والدين . فبادروا الى الحكومة بطلب العفو والأمان وتقربوا اليها بالسمع والطاعة وتوبوا الى الله تعالى وتوسلوا اليه باتباع أوامر الحكومة واجتناب نواهيها فانها تقبل متابكم وتعفو عن عقابكم وتشملكم بالرحمة والاحسان والعفو والامان . وها قد بذلت لكم النصيحة فاتركوا الأعمال القبيحة فكم للحكومة عليكم من الاحسان الجليل والغفران الجزيل فانها ربتكم فوق مهد عدلها وأدرت عليكم وافر فضلها وخلصتكم من ملوككم الاولين الذين اتخذوكم عبيداً وخولاً وعمرت بلادكم وأمنت اوطانكم وكثرت زراعتكم بعد ان كانت بلادكم بغاية الخراب والبوار وأموالكم وذراريكم للنهب والاسار لا تملكون خطيراً ولا حقيراً . والآن لله الحمد صرتم بفضلها وحسن سياستها في غاية الامن والعمار وكثرة الغنى واليسار ومع ذلك فهي تتفق على عمار بلادكم وحفظ حياتكم المبالغ الوافرة من خزائنها العامرة ولا تحملك دفع شيء من ذلك . وما تأخذه منكم من المطالبات المادية يتفق مع زيادة عليه منها في مصالح بلادكم الضرورية . ومع هذا فلا يبلغ مطلوبكم نصف مطلوب مديرية من المديريات مع ان الله تعالى أوجب

عليكم ان تدفعوا للحكومة زكاة سائمتكم من ابل وبقر وعنم وخراج اراضيكم واذا حاسبتكم الحكومة على ما هو واجب عليكم دفعه شرعاً اليها وأخذت منكم على مقتضاها يكون اضعاف ما يؤخذ منكم من المطالبات الآن . فمع شمولها بهذه الشفقة والرحمة الخديوية كيف يليق بكم ان تقابلوها بالعصيان وتتبعضوا حزب الشيطان واهل الفساد والبهتان وتسعوا في خراب دياركم وقتل نفوسكم ونهب أموالكم فلولاً شفقتها ورحمتها بكم لأنزلت بكم العذاب وعاملتكم بأشد العقاب فاقبلوا هذه النصيحة وأسأل الله لي ولكم الهداية في المبدأ والنهاية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . انتهت . ويلها :

رسالة السيد احمد الازهري

في تكذيب دعوى محمد احمد المتمهدي

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خصّ من اصطفاه بالهداية وهدى من وفقه الى سلوك سبيل الرشd بمحض العناية والصلاة والسلام على حبيبه ورسوله الذي أنزل عليه كتابه الذي لم يفرط فيه من شيء وعلى جميع آله واصحابه الناهجين منهاجه في تبين الرشd من الغي » .

« أما بعد فأقول وانا الذي من كل حول وقوة بريء الفقير اليه تعالى «السيد احمد المعروف بالأزهري ابن الشيخ اسماعيل الولي الكردوفاني» أقاض الله تعالى علي وعلى المسلمين من فيض مدده الرحاني . انه لما كانت النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم من الدين وقد ورد ذلك في الأحاديث الصحيحة عن سيد المرسلين وخاتم النبيين وورد عنه ايضاً من لم ينصح في ديننا هذا فليس منا أي ليس تابعاً لديننا وورد عنه ايضاً من لم ينصح في ديننا هذا فبيعتة منقوضة . غير ذلك مما لا يمكننا ابراده هنا قد عن* لي ان أتدرك نفسي والمسلمين من اتباع الوسواس الشيطانية واقتحام سبيل المهالك بالتسويلات

النفسانية وذلك لما تحقق عندي من عموم البلوى التي انتشرت ببلاد السودان حتى ضاعت بسببها الآلاف المكررة من دماء المسلمين وأموالهم خصوصاً في جهات سنار وجهات كردوفان وانجبرت الحكومة العثمانية على بذل التكاليف لتجصيل المدد والمدد غير على الدين والاسلام وأهله لأجل الذب وردع المفسدين بسطوة الدولة وقوة المدد . وحيث ان شتيت القبائل من العربات وغيرهم أغلبهم عوام وقد قام بأفكار ارباب العقول الضعيفة ما قام بها من الاوهام نظراً لما سمعوه من دعوى المهدية التي قام بها محمداً واحد وصدور مكاتبات منه لبعض من يظن انه يعتمد عليها وتكون له كالمستند وقد هيئت تلك الدعوى وما اشتملت عليه من المكاتبات فتنة عظيمة بين المسلمين حتى صار البعض منهم يقتل بعضاً وينهب ماله من غير حق الاسلام وغاب عنهم ما حذر الشارع ﷺ وصرح بأن ما كان مماثلاً لما ارتكبه لا يشك فيه بأنه حرام . وكان قبل خروجي من محل وطني كردوفان قد بلغني ان مدعي المهدية المذكور قد خاطبني بكتاب وكنت حريصاً على وجدانه والنظر لما اشتمل عليه من الخطاب ولكني لم أجده ولم أجده احداً يكتفه لي لكي أبني عليه مخاطبة تشتمل على ما لا بد منه من النصيحة وأوضح فيها ما يحتاج اليه من النصوص الصريحة رجاء مني بأنها ان وصلت اليه وتليت بين يديه فانه لا يسهل إلا الرجوع الى الحق ومقابلة أولي الأمر بالسمع والطاعة وتسكين هذه الفتنة التي هاجت بين الخلق وما كنت أظن اشتداد هذه الفتنة يبلغ هذه الغاية حتى مررت بجزيرة الخرطوم قاصداً التوجه الى مصر المحروسة وبمسد بصولي الى الخرطوم تراكت علي الخطاب بوصول تلك البلوى والفتنة الى ما ليس له نهاية . ثم لما حضر صاحب الجلالة والشهامة والرأي السديد والتدبير الكامل والبسالة والفخامة ناظر الديوان وحكمدار عموم الأقاليم السودانية « سعادتو عبد القادر باشا » بلغه الله تعالى غاية الأمنية بمركز الحكومة الذي هو في الخرطوم وبسديد رأيه دبّر الأمور ورتب الترتيبات ونشر راية الأمن واجتهد في نشر ما يكون به اصلاح العموم ومن الجملة فان الواجب علينا القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر والاجتهاد في بذل النصيحة ودرء الشبه التي قامت بأفكار من ليس لهم قريحة بإيراد الأدلة المأخوذة عن الأحاديث الصريحة وأقوال أهل العلم المعتبر على أقوالهم الصحيحة عسى أن يكون في ذلك نفع للعموم وردع للمفسدين بما يكون لهم من الدين معلوم وقد ألفت هذه النصيحة التي سميتها « النصيحة العامة لأهل الإسلام عن مخالفة الأحكام والخروج عن طاعة الإمام » وعند شروعي في ما قصدت بعون من عليه اعتمدت وقلت :

« اعلّموا أيها الإخوان في الإسلام الراغبون فيما عند الله تعالى من الكرامة والانعام أن الله سبحانه وتعالى يبين لعباده طريق الضلالة وطريق الهدى وأنه مراقب لهم في جمع أحوالهم وأفعالهم ولم يتركهم سدى واختار من عباده أناساً أولام أسرار المملكة وأمر بطاعتهم وجعل مخالفتهم مؤدية إلى الوبال والتهلكة قال تعالى اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم وقال عليه الصلاة والسلام عليكم بالسمع والطاعة وإن وليكم عبد حبشي . وقد نص العلماء على أن الخروج عن طاعة الإمام حرام . وقال عليه الصلاة والسلام من أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني . وقد نص العلماء أيضاً على أن الإمام لا يعزل ولا تنبذ بيعته ولا ينطرح عهده إلا إذا أمر أحداً أن يكفر أو كفر هو أي الإمام وأما إذا لم يكفر فإنه لا يعزل عن الإمامة ولا يُنبذ عهده ولا تطرح بيعته ولو زالت عنه العدالة وانصف بالفسق كما عليه أهل التحقيق . وحيث علمت ما أوردته لكم من النصوص من أن طاعة الإمام واجبة عليكم وإن خروجكم عن طاعته حرام عليكم وأنه لا يصح لكم نبذ عهده وطرح بيعته ولو انصف بالفسق ما لم يكفر فكيف يسوغ لكم الاستماع لما نقل عن محمد أحمد من دعوى المهدية والاعتراض بما ينقل عنه من الأقوال في المخاطبات مع أن دعواه المهدية له دليل عقلي ولا نقلي يوافقه على صدقه فيها وما أني أذكر لكم أدلة تناقضه في دعواه المذكورة :

أولها : أن محمد أحمد المتقول عنه أنه مدعي المهدية مولده ببلاد السودان وذلك معروف متواتر عند جميع من يعرفه من أهل عصره فضلاً عن كونهم

يعرفون أباه وأمه وانها مما يطلق عليها اسم الدناقلة ولو ان ذلك نسبة الى البلد ولم ينقل عن احد انه توجه الى مكة ولا الى المدينة . والذي ذكره العالم المحدث شهاب الدين احمد بن حجر الهيتمي نزول مكة في كتابه الصواعق المحرقة في الرد على اهل البدع والزندقة نقلا عن الامام علي كرم الله وجهه انه قال مولد المهدي بالمدينة .

ثانيها : ان المحققين من العلماء ذكروا من الحديث الذي أخرجه ابو نعيم ليضعن الله رجلا من عترتي أفرق الشيايا أجلى الجبهة أي منحصر الشعر عن جبهته . ومما أخرجه الروياني وغيرهما المهدي من ولدي وجهه كالكوكب الدرري اللون لون عربي والجسم جسم اسرائيلي أي طويل . وورد ايضا في حليته انه شاب أكحل العينين أزج الحاجبين أقى الانف كث اللحية على خده الايمن خالاه فهذه الصفات المذكورة في صفات المهدي مفقودة في محمد احمد المذكور فانه حضر عندنا بكردوفان في مدينة الابيض مركز المديرية وحضر عندنا بجامعنا زائراً لنا وجلس مجلسنا ونحن نقرأ وتنتذر درس الحديث في الشائل الترمذية وهو بالمجلس الى ان فرغنا من الدرس وانه زارنا وطلب منا الدعاء وتوجه الى منزله ولم نر فيه شيئا من تلك الاوصاف بل انما هو عند جلوسه بمجلسنا لم نر منه إلا الرزانة والخضوع والصمت وكان اذ ذاك في الربيع الاول ثم رجع الى جزيرة أبا وأقام فيها أشهراً . ثم بلغنا انه تقوه بتلك الدعوى وقيل انه قال انه له خال في خده الايمن فان ثبت ذلك مع عدم ثبوت بقية الاوصاف لم يفد شيئا .

ثالثها : ان الذي ذكره العلماء المحققون ان ظهور المهدي بعد ان يخسف القمر في اول ليلة من رمضان وتكسف الشمس في النصف منه ومثل ذلك لم يوجد منذ خلق الله السموات والارض اه ومن المعلوم ان محمد احد المذكور تقوه فيما قبل بتلك الدعوى بجزيرة أبا في شهر شعبان وان رمضان قدم ولم ينقل عن احد خسوف القمر في اول ليلة منه ولا كسوف الشمس في النصف

منه وذلك دليل واضح على ان المهديّة التي ادعاهما لم يظهر فيها ما يدل على دعواه .

وابهـ : انه نقل عن الامام المحقق الجامع بين الحقيقة والشرعة الشيخ الشعراني انه قال في مختصره روي انه يخرج في آخر الزمان رجل يقال له المهدي من أقصى المغرب يمشي النصر بين يديه اربعين ميلا راياته بيض وصفر فيها رقوم وفيها اسم الله الأعظم مكتوب فيها فلا تهزم له راية . وقيام هذه الرايات وانبعاثها من ساحل البحر بموضع يقال له ماسة من جبل المغرب فيبعث هذه الرايات مع قوم قد أخذ الله تعالى لهم ميثاق النصر والظفر أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون اه وقد علمت ان محمد احمد المذكور لم ينقل عن احد انه رآه توجه الى أقصى المغرب ولم يكن يجبل الجبل المغرب بالموضع الذي يقال له ماسة بل ان المسموع الآن انه يجبل قدير من جبال الصعيد وان قال قائل بأن جبل قدير هو الذي يقال له ماسة يرد عليه انه ليس بجبل قدير بحر له ساحل ولم يحصل منه بعث رايات بالصفات المذكورة وان من يدهم الرايات الزاعمين انهم وزراء له قد اتضح لكل احد خذلهم وقتلهم على يد عساكر الحكومة ولم يأخذ الله لهم ميثاق النصر والظفر .

خامسها : ان شهاب الدين احمد بن حجر قد ذكر بما أخرجه ابن عساكر عن علي كرم الله وجهه اذا قام قائم آل محمد ﷺ جمع الله اهل المشرق وأهل المغرب فاما الرفقاء فمن اهل الكوفة وأما الابدال فمن اهل الشام ثم قال وصح انه ﷺ قال يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من المدينة هاربا الى مكة فيأتيه ناس من اهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والهام ويبعث اليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فاذا رأى الناس ذلك أتاه ابدال اهل الشام وعصائب اهل العراق فيبايعونه ثم ينشأ رجل من قریش أخواله كلب فيبعث اليهم بعثا فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب والحياة لمن لم يشهد غنيمة كلب فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة

نبيهم ﷺ اه . ولا يخفى على العاقل ان الامام هو خليفة رسول الله ﷺ موجود الآن فلم يمت ولم يحصل اختلاف في الخلافة حتى يدعيها احد فدعوى محمد احمد بالخلافة الكبرى والمهدوية مع وجود الخليفة وطلبه من الناس مبايعة فيه مخالفة لنفس الحديث المتقدم فضلاً عن كون نبد عهد الموجود وطرح بيعته مع انه لم يكفر لا يجوز شرعاً . ومما ذكرناه يعلم رد جميع الأدلة التي تنقل عنه بأنه يستدل بها على ايجاب طاعته وإلزام موافقته لأنه لم تثبت امامية مع وجود الامام فجميع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المعزوة اليه بأنه يستدل بها مسوقة في غير موضعها .

سادسها : ان الذي رواه الامام احمد وغيره المهدي منا اهل البيت يصلحه الله في ليلة اه والمعروف عند جميع المعاصرين لحمد احمد المذكور انه قد سلك الطريقة الخاتمية على يد الشيخ القرشي وعلى يد غيره وحضر مجالس العلم عند جماعة فعلى تقدير اصلاحه من المشايخ المذكورين فانه لا يوافق ظاهر ما رواه الامام احمد فضلاً عن كون الامام المهدي المنتظر من السودان ولم يمهده له شيخ أرشده بسلوك طريقة مخصوصة .

سابعها : ان الحاكم قد روى في صحيحه بحل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلاطينهم لم يسمع بلاء أشد منه حتى لا يحد الرجل ملجأ فيبعت الله رجلاً من عترتي اهل بيتي يلا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً يحبه ساكن الأرض وساكن السماء وترسل السماء قطرها وتخرج الأرض نباتها لا تمسك فيها شيئاً اه والمشاهد في حكومة الدولة العثمانية لم يحصل من حكامها البلاء الذي ذكرناه حتى يخرج المهدي والمشاهد الآن ان كل من وقع في قبضة محمد احمد مدعي المهدية يسخط عليه لأنه يقتل رجاله وينهب ماله فأين الاتفاق من ساكني الأرض على محبته فضلاً عن الظلم والجور الذي حصل من بعض الناس لبعض وأين العدل والقسط .

ثامنها : ان الامام الأكبر سيدي محي الدين بن عربي الصوفي قال في

فتوحاته المكية قد استوزر الله للمهدي طائفة خباياهم الله تعالى في مكنون غيبه أطلعهم كشفاً وشهوداً على الحقائق وما هو إلا امر الله في عباده فلا يفعل المهدي شيئاً إلا بمشورتهم وهم على أقدام رجال من الصحابة الذين صدقوا الله ما دعاهم اليه وهم من الأعاجم ليس فيهم عربي لكنهم لا يتكلمون إلا بالعربية لهم حافظ من غير جلسهم ما عصى الله قط هو أخص الوزراء اه . فلم مما ذكره هذا الامام ان الجانبين على أنفسهم هم الذين عرضوا أنفسهم للتلف حق طهر الله تعالى الارض منهم بسيف الحكومة كان ادعائهم الوزارة مجرد تسويلات نفسية وان ثبت ان محمد احمد قد خاطبهم بالوزارة المذكورة او أقرم عليها فذلك دليل على عدم دعواه المهدية .

تاسعها : قال بعض أئمة التحقيق وجاء في بعض الروايات انه ينادي عند ظهوره فوق رأسه ملك هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه فتقبل عليه الناس ويشربون حبه وانه يملك الارض شرقها وغربها وان الذين يبايعونه أولاً بين الركن والمقام بعدد اهل بدر ثم تأتية ابدال الشام ونجباء مصر وعصائب اهل الشرق وأشباههم ويبعث الله له جيشاً من خراسان برايات سود نصرة له ثم يتوجهون الى الشام وفي رواية الى الكوفة والجمع ممكن وان الله تعالى يؤيده بثلاثة آلاف من الملائكة وان اهل الكهف من اعوانه . فالذي عليه الناس الآن من تمنيهم ظفر الحكومة بمحمد احمد ونصرتها عليه لازالة المفاصل التي حدثت بأسباب ادعائه هذه الدعوى ينافي نداء الملك وامرأب محبته في قلوب الناس .

عاشرها : قد ورد ان الكنوز تفتح في زمن المهدي وانه يضع الجزية ويقتل من لم يسلم وأجابوا بأن اتصاف سيدنا عيسى بذلك لا ينافي اتصاف المهدي بأن كلا منها امام متبع ومقرر لشريعة رسول الله ﷺ وحيث ان الكنوز تفتح في زمانه فلا نفع لأخذ الجزية حينئذ حتى يشرع اخذها لأن الرسالة اذا لم يترتب عليها مقصدها فلا تشرع . وورد في رواية الترمذي ان

الرجل يحىء اليه فيقول يا مهدي اعطني فيحشي له في ثوبه ما استطاع ان يحمله . وأخرج احمد ومسلم يكون في آخر الزمان خليفة يحشي المال حشياً ولا يعمده عدلاً . وأخرج احمد الماوردي انه عليه السلام قال ابشروا بالمهدي رجل من قريش من عترتي يخرج في اختلاف من الناس وزلزال فيملأ الارض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظمناً وجوراً ويرضى عنه ساكن الارض والسماء ويقسم المال صحاحاً بالسوية ويملأ قلوب أمة محمد غنى ويسمهم عدله حتى ان يأمر منادياً فينادي من له حاجة اليّ فما يأتيه احد إلا رجل واحد فيأتيه فيسأله فيقول ائت السادن حتى يعطيك فيأتيه فيقول انا رسول المهدي اليك تعطيني مالاً فيقول احث فيحشي ما لا يستطيع ان يحمله فيلقي حتى يكون قدر ما يستطيع ان يحمله فيخرج به فيندم فيقول انا كنت أجشع أمة محمد نفساً كلهم دعني الى هذا المال فتركه غريبي فيرده عليه فيقول انا لا تقبل شيئاً أعطيناه اه . فما ذكرناه في سابع الأدلة وما ذكرناه هنا يتضح لكل عاقل ان الامر الآن بالعكس فأين ارسال السماء قطرها وأين اخراج الارض نباتها وأين غنى القلوب وأين اخراج الكنوز وأين حشي المال وأين فيضانه بل ان الامر الآن لم تشاهد إلا شدته من قلة الأمطار وغلاء الاسعار وتكالب الناس في الدنيا حتى ان بعضهم صار يقتل بعضاً لأجل أخذ ماله وبهذا يتضح لكل عاقل ان هذا الزمن ليس زمن الامام المهدي .

حاددي عشر : قال شهاب الدين الامام احمد بن حجر قال ابو الحسين الابري قد تواترت الاخبار واستفاضت بكثرة روايات المصطفى عليه السلام بخروجه وانه من اهل بيته وانه يملك سبع سنين وانه يملأ الارض عدلاً وانه يخرج مع عيسى علي نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام فيساعده على قتل الدجال بباب له بأرض فلسطين وانه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه اه وما ذكروه من ان المهدي يصلي بعيسى هو الذي دلّت عليه الأحاديث كما علمت اه وقال سيدي الإمام محيي الدين بن عربي الصوفي الحاتمي الطائي الأندلسي في كتابه بلغة القواص في مبحث سيدنا عيسى عليه السلام وتمام ملكه موقوف على ظهور

المهدي وبظهوره يعمّ النداء وينفتح فم الاحاطة ويسمع الرجل من شراك نعله وعذبة سوطه ويخبره فخذ به عمله اهل بيته من بعده وتدعوم الاحجار والأشجار لليهود ويفعلون بالقول ما يفعله غيرهم بالفعل فيفتحون القسطنطينية بالتسبيح والتقديس اه . فأين ما ذكره هؤلاء المحققون من حال هذا الوقت ودعوى محمد احمد للمهدية فكيف يلقى بعامل تصديقه فيها .

وأما ما نقل عنه بأنه ادعى انه مأمور من رسول ﷺ وانه مصرح في مكاتباته بذلك فان حاله لا يخلو اما ان يكون رأى رسول الله ﷺ في المنام وأمره بذلك فان صح ذلك فان أمر رسول الله ﷺ له في المنام بذلك لا يصح له العمل به حيث كان يخالف ظاهر الشرع من الخروج عن طاعة الإمام ونفذ عهده وطرح بيعته فضلا عن تأدية ذلك الى سفك دماء المسلمين وتلف أموالهم بغير حق الإسلام وقد نص الفقهاء بأن الرجل اذا رأى رسول الله ﷺ في المنام وأخبره بطلاق زوجته فانه تجوز له معاشرتها معاشرة الأزواج ولا تحرم عليه وذلك لعدم ضبط النائم وان كان الشيطان لا يتمثل برسول الله ﷺ في النوم . واما ان يكون ذلك يقظة بطريق الكشف فان كان بطريق الكشف فانه لا يصح له ايضا ان يعمل به حيث انه يخالف لظاهر الشرع وقد نص أكابر العلماء على ان الولي يباح به حكم الظاهر فكيف وانه ان ارتكب امراً مخالفاً لظاهر الشرع يتبع فيه خصوصاً ان أدى الى سفك دماء المسلمين وتلف أموالهم . وحيث كان ذلك فلا يصح لمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر ان يوافقه على ذلك فضلا عن كون الدلائل الظاهرة تناقض دعواه المذكورة وقد نص أكابر الصوفية على ان الكشف أقسام وان بعضه يكون خيالاً فكيف بالعمل به مع ايقاعه في المخذور .

وأعجب من ذلك ما نقل عنه بأن من شك في مهديته كفر فانه ان أراد بالكفر تفتية الحق بالباطل فان ذلك لا يحصل إلا اذا اتضحت له دلائل تصدقه في دعواه والمكذب او الشاك لم يجد دليلاً يمارض تلك الدلائل فضلاً عن ان جميع الأدلة الظاهرة التي أطبق عليها المحققون مناقضة لدعواه

المذكورة . وان أراد بالكفر الخروج عن الإيمان فذلك لا يقول به احد لأن المهدي ليست بنبوة ولا رسالة وغايتها خلافة فانكار أصل المهدي والشك فيها لا يوجب كفراً بمعنى الخروج عن الإسلام لما مال اليه بعض العلماء في بعض طرق الحديث من قوله عليه السلام لا يزداد الأمر إلا شدة ولا الدنيا إلا ادماراً ولا الناس إلا شحاً ولا تقوم الساعة ولا على شرار الناس ولا مهدي إلا عيسى بن مريم . وان أول هذا الحديث بعض العلماء بأن معناه لا مهدي معصوم إلا عيسى او لا مهدي على الإطلاق سواء يأتي بعده عيسى فضلاً عن مهدي انسان مخصوص ادعاها في زمن لم يقم دليل على حصولها فيه .

وحاصل الأمر ان الإمام الذي هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله موجود الآن بقيد الحياة ودولته منتظمة مؤيدة بوزرائه وجميع اهل الإسلام يخطبون باسمه في المنابر ويدعون له بالنصر والتوفيق بوجوده وانتظام دولته خاصة لجميع اهل الدولة الصيانة لدماغم وأموالهم بالخروج عن طاعته مع ان اوصافه التي انعقدت بيعته عليها من اهل الحل والعقد باقية لم تزل عنه حرام على كل مسلم وان الذي يخرج عن طاعته ويكون باغياً ومحارباً لله ورسوله وساعياً في الارض بالفساد تجوز مقاتلته ورده عما هو عليه واقامة حد الشريعة فيه . فلا وجه الآن يجوز لكم معاشر المسلمين الخروج عن طاعة امير المؤمنين واتباع الباغيين المفسدين فان قابلتم ما قلته لكم بالامتنال وتركتم سبيل الضلال فافله سبحانه وتعالى يعفو عما سلف ويوفق الجميع لصالح الأعمال وان أبيتم إلا ما أنتم عليه عاكفون فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

هذا والحمد لله أولاً وآخراً والصلاة والسلام على من جاء بالحق المبين وعلى آله وصحبه أجمعين . كان الفراغ من تأليفها صبيحة يوم الجمعة المباركة لعشر ليالٍ بقيت من شهر شعبان المكرم من شهور سنة ١٢٩٩ الف ومائتين وتسع وتسعين من هجرة أشرف المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .هـ . الى هنا انتهى بنا الكلام عن سيرة محمد احمد المهدي ووقائعه فلنأتى الآن على ذكر خليفته التعايشي وما كان في ايامه من الوقائع والحروب .

الباب الثالث

في

خلافة عبد الله التعايشي

الفصل الاول

في

مياعة عبد الله التماشي.

مات محمد احمد عن ثلاثة خلفاء يتولون الامر بعده الواحد بعد الآخر وأولهم وأدهام عبد الله التماشي الذي تولى أمر دفته . ولولاء الدهاء والحزم للذان فطر عليهما هذا الرجل ومساعدة الاقدار له لاقتلت الامر من يده وعنت الفوضى السودان . ولكنه حاك وفاة المهدي دعا اليه احمد علي قاضي الإسلام (الذي تولى هذا المنصب بعد قتل احمد جبارة في الابيض) وبعض الامراء والاعيان الذين من حزبه كالسيد المكي الكردوفاني وعبد الحمود نور الدائم فحضروا الدفن مع رفيقيه الخليفين وأقارب المهدي . وبعد الدفن عقد معهم مجلساً وخاطبهم قائلاً :

« أيها الاخوان ان المهدي الآن قد مات ولكن مات النبي من قبله وقام الخلفاء بعده فأتموا عمله . وقد ترك المهدي خلفاء يتولون الامر بعده وأنا خليفته الاول فمن احبه وآمن به فليبايعني الآن على السبيل الذي خطه لنا لنقتفي اثره ونتم عمله » .

أما الخليفة شريف وقومه الاشراف فاتهم حاروا في أمرهم ولم يدروا ما

يفعلون وقالوا في انفسهم مات المهدي الآن وقد أسس مهديّة وملكاً فلماذا
تتبع ترتيب المهديّة فنولي علينا عبد الله التعايشي غريب الوطن والجنس ولا
تتبع ترتيب الملك فنولي ابن مؤسسه او خليفته ابن عمه . ولكن لم يكن في
وسمهم اذ ذاك المجاهرة بهذه الافكار او القيام بحركة عدائية لأن قوات المهدي
في السودان كانت كما علمت ثلاث رايات : الاية الزرقاء راية الخليفة عبد الله
وهي أكبر الرايات وأقواها وتحتها جميع اهل الغرب ولم يكن غائباً منها
سوى جيش ابي عنجة الذي أرسل لغزو جبال التوبة كما مرّ . والاية الخضراء
راية الخليفة علي ود حلو وهي أصغر الرايات وتحتها قبيلتنا دغيم وكنانة
وتوابعها . والاية الصفراء راية الخليفة شريف وهي راية قوية وتحتها جميع
سكان النيل والجزيرة والجلابة وغيرهم . فلو كان رجال هذه الاية كلهم في
أم درمان لترجح وقوع حرب شديدة بينهم وبين الخليفة عبد الله ولكن كان
اعظم قوادها متفرقين في الجهات وهم : عبد الرحمن النجومي في المتمرّة ومحمد
عبدالكريم في سنار ومحمود عبدالقادر في كردوفان ومحمد خالد زقل في دارفور
وكرم الله في بحر الغزال ومع كل منهم جيش كبير .

وكانت راية الخليفة عبد الله اذ ذاك اقوى من رايتي الخليفة ود حلو
والخليفة شريف معاً فضاقت أنفُس الأشراف من حرج هذا المركز وظهرت
على وجوههم علامات الحيرة والأسف ولكن التعايش اخذهم بالدهاء والحيلة
وبالغ في ملاطفة الخليفة علي ود حلو الذي لا يوافقه تحوّل المهديّة الى ملك
لأنه ثاني الخلفاء من جهة ولا قرابة له بالمهدي من جهة اخرى فكان اول من
بايع الخليفة عبد الله ثم بايعه الخليفة شريف مضطراً ثم اولاد المهدي وأقاربه
ثم الامراء والاعيان الذين في المجلس .

ولما شاع خبر موت المهدي ومبايعة الخليفتين وأقارب المهدي والامراء
للخليفة عبدالله هرع اهل أم درمان وضواحيها الى منزله افواجاً وبايعوه بقية
ذلك اليوم والذي بعده . وهذه صورة المبايعة : « يايعنا الله ورسوله ومهديه
وبايعناك على طاعتك والانقياد الى حكمك » .

ثم بعث الخليفة بكتبه الى امرائه وجميع قبائل السودان في الجهات الاربع لتجديد البيعة له ودعا اهل الجهات البعيدة الى حضور عيد الاضحى في أم درمان في ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٨٥ فاجتمع عنده في هذا العيد خلق كثير . وحضر اهل الجهات القريبة قبل العيد فبايعوه وعادوا الى بلادهم . وكانت مبايعتهم له بالصيغة الكبيرة وهي : « بايعنا الله ورسوله ومهديه وبايعناك على توحيد الله وألا نشرك بالله احداً . ولا نسرق ولا نزني ولا نأتي ببهتان ولا نعصيك في معروف ، بايعناك على زهد الدنيا وتركها والرضى بما يريد الله رغبة في ما عند الله والدار الآخرة وان لا نفر من الجهاد » .

تأثير موت المهدي في السودان : أما موت المهدي فقد أوقع الدهشة في نفوس اهل السودان خاصتهم وعامتهم . وكان العقلاء قد انكروا عليه بعض الافعال والاقوال مثل قتله عجيل ود الجنقاوي الرزقي بعد ان أتاه مسلماً وقتله المنة اسماعيل الذي نصره في كردوفان وقتل عبدالله ود النور في واقعة برتي بعد قوله انه يموت في الكوفة . ورأوا ان هذه الاقوال والافعال لا تنطبق على ما ظنوه في مهدي الزمان ، ولكن ادهشهم توالي النصر على يديه وأخذوا ينتظرون اتمام باقي نبوته كصلاته في كراسي مصر والشام والاستانة ومكة وقوله ان مهادتنا تظهر خيراتها ويرعى فيها الذئب مع الغنم وتأمين الناس الآفات فتلمب الاولاد الصغار بالمقارب وذلك بعد فتح مكة . فلما مات في أم درمان ولم يصل في الكراسي المذكورة ولا لعبت الاولاد بالمقارب أيقنوا انهم كانوا في ضلال وأن الأمر الذي قام به محمد احمد انما هو ثورة وبلاء ليس إلا .

قيل ان الملك أبا حجل ملك الريطاب لما عاد من مبايعة الخليفة من أم درمان حضر اهله للسلام عليه وسأله عن البيعة الجديدة فقال : « البيعة اس ، أي اسكتوا .

ولما عاد الشيخ أبو خرسي من مبايعة الخليفة الى قومه في المسلية قال لهم

« استفقوا على انفسكم ايها الناس واستغفروا ربكم عما فرط منكم فانها مصيبة عامة وقد حلت في السودان وليست من المهدي بشيء » .
 على ان ضاعف العقول لم يؤثر ذلك كله في اعتقادهم وبقوا مصدقين انه المهدي ، ولا يزال بعضهم يمتقدون بأنه المهدي الحقيقي الى هذا اليوم . لكن الحماية التي قاموا بها اولاً خدعت في نفوسهم فلم يقدموا على الجهاد من ذلك الحين إلا مكرهين ، وأخذ الامر يتحول تدريجياً من صبغة دينية الى صبغة سياسية . وكانوا كلهم قد اغضبوا الحكومة ورفعوا السلاح في وجهها وكانت الحكومة قد تركتهم وشأنهم فاضطروا عقلاء وجهالاً الى متابعة صاحب القوة الخليفة عبد الله والعمل بأوامره ونواهيته .

منشور وفاة المهدي : وقد قرر التعايشي التأثير الذي يحصل للناس بموت المهدي واحتياط لذلك فوزع منشوراً في جميع البلاد بأن المهدي قد مات وأنه قام في الامر بعده ، وقال ان موت المهدي انما يزيدنا احتقاراً لهذه الدنيا وحباً للموت في سبيل الله . وأمر رفيقيه الخليفين والأشراف اهل بيت المهدي فوزعوا منشوراً صرحوا فيه بمبايعتهم له وحثوا الناس على الاقتداء بهم وقالوا « ان المهدي ليلة وفاته حصلت له « حضرة » ظهر له فيها الشيخ القرشي ومعه جمع من الأولياء فقال له ان النبي ﷺ قد استجبل انتقالك الى الدار الآخرة فاجعل لك وكيلاً من خلفائك يقوم بالأمر فقال المهدي أوكلت الخليفة عبد الله فاتفقت بكتبتنا عليه » . ثم شاع ان الخليفة شريف لم يبايعه وان الخليفة ود حلو منحاز اليه فأمر اذ ذاك الخليفين فوزعا منشوراً آخر صرحا فيه بأنها بايعاه حقاً وان جميع ما شاع عن وقوع خلاف بينها وبين الخليفة عبد الله هو محض كذب واختلاق . وهذه هي صورة المنشور الذي أصدره الخليفة عبد الله بشأن وفاة المهدي وتوليته الخلافة بعده بحرفه بعد البسلة :

« وبعد فمن عبد ربه الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق الى أحبابه في الله ... »

وأحبائي بعد اهداء السلام اليكم فان الله جل شأنه وعز سلطانه هو الفاعل المختار الحي الدائم الباقي الذي لا يموت والخلق عبيده وتحت مشيئته وكلمهم موعودون بالفناء والانتقال من هذه الدار الى تلك الدار ولا اكرم عليه تعالى من نبيه محمد ﷺ وقد نعام بقوله تعالى في كتابه المكنون انك ميت وانهم ميتون وزاد الامر تأكيداً بقوله تعالى وان الدار الآخرة لحي الحياة لو كانوا يعلمون وحيث كان كذلك فان الرضا بالقضاء من الواجبات. ثم ليكن معلومكم ان المهدي عليه السلام قد دنا أجله فتدلى ودعا ربه قلبى وقبض اليه كريماً طيباً في يومنا هذا الذي هو يوم الاثنين الموافق ٨ شهر رمضان سنة تاريخه وقت الضحى الاعلى بام درمان ودفن عليه السلام بها بعد صلاة الظهر بداخل بيته وان مصيئته لعظمية على الجميع احسن الله عزاءنا وإياكم فيه وألزمنا الصبر وضاعف لنا ولكم الأجر والثواب بعده وهو حبنا ونعم الوكيل ليهتنا وإياكم انه عليه السلام فرطنا بعد النبي ﷺ ونحن وأنتم لاحقون بها وقد سار الى الله تعالى الى سدة المنتهى ثم الى جنة المأوى والفردوس الاعلى والكأس الأوفى والرفيق الأسنى والحظ الانفس والعيش الهني وان موعدنا الحوض الذي عرضه كما بين الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماء أشد بياضاً من اللبن والين من الزبد وأحلى من شهد . من شرب منه لم يظم أبداً حصاؤه للؤلؤ وبطحائه المسك ومن حرّمه فقد حرم الخير كله نعوذ بالله من ذلك . وان سبب وفاء المهدي عليه السلام حتى أصابته ولازمته نحو بته ايام . وقد تعلمون انه داعيكم الى الله وخليفة نبيكم ﷺ وقد أبان الدليل وأوضح السبيل ودلّ الى الجليل فجزاء الله عنا وعنكم احسن الجزاء وأمدنا بمده دينا وآخرة وانه عليه السلام قد كان على نور من الله وتأييد من رسول الله . وثائبه العبد لله تعالى بعده كذلك بحسب اشارته عليه السلام التي هي عن أمر رسول الله . واني أقول لكم نصحاً في الله ورسوله كقالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه حيث دلّ الى الله بقوله « أيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي » لا يموت وان الله قد تقدم اليكم في أمره فلا

كتاب السيرة

تدعوه جزعاً فان الله عز وجل قد اختار لنبيه ﷺ ما عنده على ما عندكم وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه ﷺ ومن أخذ بها عرف ومن فرق بينها أنكر . يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ولا يشفلكم الشيطان بموت نبیکم ولا يفتنکم عن دينکم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم ويفتنكم . هذا والمطلوب منكم أيها الأحباب ان تثبتوا مع الله كما عاهدتموه وبايعتموه على اتباع المهدي عليه السلام وطاعته وبذل أموالكم وأنفسكم في سبيل الله لإعلاء كلمته وشدوا حيلكم وشمروا فان اصحاب رسول الله ﷺ لم يملوا الدين بعده بل تحزبوا عليه وأيدوه وجاهدوا في الله حق الجهاد ورغوا انفس أهل الشرك والمرتدين وفتحوا كثيراً من البلاد ولكم بهم أسوة حسنة فاقفوا أفرم لتسالوا نيلهم وتدرکوا اللحوق بنبيكم ومهديكم معهم ولا تغفروا بأيام الدنيا القليلة فقد انقضت مدتها وزال عرضها وآن أوانها ففضوا على إيمانكم بالتواجد وأيقنوا بأنكم ما دتم على عهد البيعة فأنتم حزب الله وأنصاره والفائزون برضاء ربكم ونبيكم ومهديكم ورضائكم عليكم وابشروا بالخير فان دين الله منصور بحول الله وقوته . وواصل لكم مع هذا جواب من الخلفاء والأشراف اهل بيت المهدي عليه السلام وباقي المهاجرين والأنصار اطلعوا على ما فيه واعملوا بمقتضاه وفقنا الله وإياكم الى سلوك طريق المقربين الاخيار هذا والسلام سنة ١٣٠٢ - ٨ رمضان ، اه ، والصواب ٩ رمضان ٢٢ يوليو سنة ١٨٨٥ .

ختم المهدي وسيفه : وعند وفاة المهدي اخذ التماشي خاتم ختم المهدي وخاتم يده . فأما خاتم الختم فقد ابطال العمل به واستعمل بدلاً منه خاتماً مستديراً نقش عليه « حبنا الله ونعم الوكيل » . وأما خاتم اليد وهو خاتم من فضة له فص من عقيق احمر مستدير فقد جعله في بنصر يده اليمنى . وطلب سيف المهدي فلم يجده لأن نساء المهدي اخفينه عنه ثم اعطينه للخليفة شريف زاحمين ان النصر يكون فيه وكان ذلك من أهم اسباب الضغائن بينه وبين الاشراف .

تأجيل التنازل

سياسة التعايشي : وتولى التعايشي الخلافة وهو لا يصدق انه يتولاها وكان يفار عليها حتى من خياله ويحرص عليها حرصه على نفسه وقد ساسها بثلاثة أمور وهي :

الاول: المحافظة على شعائر المهدي مع علمه بمروق العقلاء منها إذ لا جامعة لأنصاره إلا بها ولا حجة له في الملك سواها .

والثاني: مراقبته المنكرين حقاً في الملك والمزاحمين له على السلطة والبطش بهم بالقتل او بالنفي كثروا او قتلوا .

والثالث : حصر المناصب العالية في اهل التعايشة وتفريق كلمة سائر القبائل وإذلالهم حتى لا تقوم لهم قائمة :

وكان اول ما أراه بعد توليه الخلافة انه اسند الى اخيه يعقوب المنصب الذي كان له في زمن المهدي فجعله وزيره وقائد جيشه ومدير اشغاله الحربية والمالية . ثم اخذ يدرّب اهل التعايشة على الادارة والملك ويوليهم امور الجيش والبلاد تدريجياً حتى اصبح جميع القواد والعمال وأصحاب المناصب العالية منهم .

وأما المهام التي باشرها اولاً قياماً بواجب الخلافة واقتفاء لأثر المهدي فهي: فتح كلا وبنار وغزو جبال النوبة ومصر ولكنه دبرها حسبما تقتضيه سياسته كما سيجيء .

الفصل الثاني

عود إلى

حصار حامية كسلا

سنة ١٨٨٥ م

كتاب مدير كسلا إلى محافظ سواكن في ٩ يونيو سنة ١٨٨٥ :
تقدم ان حامية كسلا لما اشتد عليها الحصار كتبت الى المهدي فوجه اليها
بعض الأمناء للتسليم على يدهم . وقبل وصولهم وفد الى المدير كتاب من
تشرميد باشا محافظ سواكن يقول فيه أنه لم يزل باذلاً الجهد في تعجيل
الرأس الوله لنجدتهم فكتب اليه المدير جواباً مفاده : « ان حاكم مصوع
ارسل إليّ نسخ الكتب التي بعثتم بها الى الرأس الوله للتعجيل في انقاذنا
فشكرنا لكم هذه الغيرة ونحن ايضاً كتبنا اليه اربع كتب والى الآن لم يأتنا
منه خبر وقد صرنا في اشد الضيق فالحصار لا ينفك عنا ليلاً ولا نهاراً والزاد
قد نفذ منا وأصبحنا نأكل الصمغ والجلود بل هذان الصنفان ينفدان منا قريباً
وقد عدمننا كل حيلة ولسنا أمرنا الى الله في ٩ يونيو سنة ١٨٨٥ » .

صدّ الحسن حاشي عن الحامية في ١٣ يونيو سنة ١٨٨٥ :
هذا وكان الحسن ود حاشي كبير المحاصرين لما بلته قدوم الأمناء لاستلام

الحامية عزّ عليه ان تسلّم لغيره بعد طول حصرها فهاجها في ١٣ يونيو سنة ١٨٨٥ هجعة صادقة فأمرت الحامية عليه سحائب الرصاص والقنابل ونكلت به تنكيلاً ولكنه صمم على اخذها عنوة في ذلك اليوم فوالى الهجوم عليها المرة بعد المرة حتى قتل من جيشه نحو ٣ آلاف رجل فارتدت عنها ولم يعد يحسر على مهاجتها ولكنه زاد في حصرها والتضييق عليها .

وبعد الواقعة بأيام معدودة وصل أمناء المهدي وهم : الحسين الزهرة وادريس عبد الرحيم وعبد الله حمزة وأخوه محمد فزلوا في معسكر توكرف وكتبوا الى المدير يدعونه للتسليم ومعه كتاب المهدي المتقدم ذكره . فعقد مجلساً من الضباط والتجار والموظفين للنظر في أمر التسليم وقبل ان يقرؤا على شيء حضر رسول من الرأس الوله يقول : « تشددوا واثبتوا فاني منجدم قريباً » فأقرؤا إذ ذاك على انتظار الوله وعدم التسليم فهاج المحاضرون وأخذوا يناوشونهم القتال الليل والنهار وكانوا هم يصدونهم بشجاعة وثبات وقد أطلقوا يوماً مدافعهم فقتلوا عبد الله حمزة احد الأمناء وعشرة آخرين .

تسليم حامية كسلا الاربعاء في ١٦ شوال

سنة ١٣٠٢ هـ ٢٩ يوليو سنة ١٨٨٥ م

وصبر أهل الحامية على الجوع صبر الكرام حتى نفذ منهم القوت او كاد ولم يبقَ لهم طعام سوى الجلود القديمة والأشياء المستردلة حتى صار يموت منهم في اليوم ٤٠ نفساً وزيادة . فلما رأى المدير اشتداد الحال الى هذا الحد وقد يئس من انتظار المدد لم يردّ بدأ من التسليم فانتدب ثلاثة من رجاله وهم اليوزباشي حسن افندي برونس والصاربي طيفور أغا وحسين افندي خليل معاون التلغراف وأرسلهم الى الأمناء بكتاب التسليم على انهم لا يؤذون احداً من أهل الحامية ولا يأخذون منهم سوى خمس مالهم . فتلقاهم الحسين الزهرة كبير الأمناء عند جيزة العوض « وحلف لهم الكتاب » على ذلك فخرج المدير اليهم راكباً حاراً بنفر من الضباط والموظفين الملكية والتجار منهم : اليوزباشي

علي أفندي خوجه والسنجق بشير اغا كمال وحسين أفندي بدوي وكيل المديرية والعوض المرضي باشكاتب المديرية وبرسوم القبطي رئيس الحسابات وعلي جاويش من أعيان التجار فتلقاهم الحسين الزهرة عند البليزة بالترحيب ثم أحضر لهم طعاماً من اللبن والعصيدة والسلات فأكلوا ثم بايعوه باسم المهدي فالبسهم الجلب المرقعة وأرسلهم الى ديم توكرف ثم ساق الجيش ودخل الخندق .

الفنائم والاسرى وكان العساكر قد تركوا خط النار وأووا الى منازلهم فأحاط الدراويش بهم وبالمنازل الاميرية واستولوا على الخزينة فما وجدوا فيها شيئاً يذكر . ثم استولوا على مخازن الجيخانة والاسلحة فوجدوا فيها : ٦٠٠٠ بندقية ارشليك وكبسول قديم و ٢٠٠٠ بندقية رمنتون و شيئاً كثيراً من الجيخانة ما عدا المدافع والبنادق التي كانت على خط النار . ثم دخلوا المنازل وجمعوا الاسرى فكانوا نحو ٣٠٠ من العساكر النظامية و ٤٠٠ من الباشبوزق و ٥٠٠ من التجار و ٣٦٠٠ من النساء والاولاد والجملة نحو ٤٨٠٠ نفساً وهم عشر سكان الحامية قبل الحصار او اقل . فجردوهم من ما لهم ورقيقهم وأخرجوهم خارج السور فقسوهم قسمين قسماً أرسلوه الى ديم الحسن حاشي في الحاقية وآخر الى ديم مصطفى هدل في توكرف . ثم أخذوا في جمع أموال أهل البلد وأشيائهم وقد دلهم عليها الرقيق الذي أبقوه داخل السور . وفي اليوم الثالث بعد التسليم أتوا بالاسرى من الحاقية وتوكرف الى ديوان المديرية وأخذوا يستنطقونهم واحداً واحداً عما خبأوه من الاموال وقد تولى الاستنطاق ود حمزة أحد الامناء مستعيناً بالعوض المرضي باشكاتب المديرية فمن لم يعترف بماله جلدوه بالسياط او جلدوا امرأته حتى يظهر المال وكان في جملة من ضربوه الضرب المبرح حسين أفندي بدوي المصري وكيل المديرية . قيل ومع ذلك فقل من اعترف بماله وبقيت أموال كثيرة مدفونة تحت الارض الى ان كان الفتح الاخير .

قدوم عثمان دقنة الى كساد في ٢٦ اوجسطس سنة ١٨٨٥ م : وكتب

الامناء الى الخليفة عبد الله بأم درمان وعثمان دفنة يجهة قماي يعلمونها بفتح
كسلا فحضر عثمان دفنة الى كسلا وكان الخليفة قد أرسل اليه كتاباً بموت
المهدي وطلب اليه ان يدعو اهل عائلته الى تجديد البيعة له على يده فمند
وصوله الى كسلا صعد على سطح ديوان المديرية فاجتمع اليه الامراء والانصار
فقرأ لهم كتاب الخليفة ثم قال ان كنتم تعبدون المهدي فان المهدي قد مات
وان كنتم تعبدون الله فالله حي لا يموت والخليفة عبد الله هو خليفة المهدي
القائم بالامر بعده فهل أنتم طائعون له متبعون لامره قالوا كلهم نعم ثم بايعوه
باسم الخليفة .

واقعة كوفيت في ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٨٥ م : وبعد وصول عثمان دفنة الى
كسلا بأيام معدودة أتت اليه امرأة من نساء الهدندوة تنادي بأعلى صوتها
« واغوثاه اللصوص التقوني بجانب جبل مكرام وأخذوا مني حارقي وأشياتي
التي عليها ، وكان عثمان جالساً مع نفر قليل من أصحابه فقام لساعته وتأبط
نعفيه وأسرع حافي القدم الى جهة الجبل وقال ان من يكره الظلم ويأبى
التعدي فليتبعمني فتبعه اصحابه الذين كانوا جالسين معه فطاردوا اللصوص الى
سبدرات فلم يقفوا لهم على أثر . ثم تبعه الجيش كله وفيه من الامراء مصطفى
هدل والحسن ود حاشي وبلال السمرندواي وباشريك السمرندواي وعوض
الكريم كافوت . ولم يبق في كسلا إلا نفر قليل لحمايتها وخفر الاسرى .
وأثاه الى سبدرات احمد حجاج شيخ الجادين وعجيل شيخ الحران المار ذكرهما
طائعين فأمنها وزحف بالجيش كله على كوفيت في حدود الحبشة .

وكان الرأس الوله إذ ذاك في اسيرة يستعد لنجدة كسلا فلما بلغه خبر
سقوطها وتهجم عثمان دفنة على الحدود كتب اليه يقول : « بلغني انك حضرت
كوفيت وقصدك دخول الحبشة فانتظرتني ثلاثة ايام فأدخلك الجنة عاجلاً
ان شاء الله » .

وفي الميعاد المضروب أي في ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٨٥ حضر الرأس الوله
يحيى جراز الى كوفيت ومعه علي نورين شيخ سبدرات وعبد القادر بك محمد

إليه ومحمد الفيل شيخ بني عامر المتقدم ذكرهم . قيل وكان جيش الرأس الوله نحو ٢٠ ألفاً وجيش عثمان دقنه نحو ١٠ آلاف . وكان دجاج قبره في مقدمة جيش الرأس الوله فأطبق عليه عثمان يبيشه فقتله وقتل معظم رجاله وتقدم الى جيش الوله فاشتبك القتال بين الفريقين وانجلى عن هزيمة عثمان بخسارة جسيمة فرجع يجر اذيال الخيبة الى كسلا .

وكان الشيخ محمد عوض ناظر الحلائقة سابقاً قد ذهب الى القادين قصد الانضمام الى عثمان دقنه فلما بلغ القادين انهزام عثمان قبضوا عليه وعلى رفيقه الشيخ نافع الحلائقي وأخذوهما الى الرأس الوله في اسيرة فقتلها .

قتل المدير وبعض الموظفين والتجار : اما عثمان دقنه فانه حال وصوله الى كسلا أمر بسجن احمد بك عفت المدير وابراهيم افندي شوقي الشرکسي باشمعاون المديرية والنسر سوارى حسن آغا سليمان الارناؤوطي وثلاثة من التجار وهم : الخواجه استياذ الرومي والخواجه بدروس الارمني وعلي جاویش الحجازي . وبعد يومين عفا عن ابراهيم شوقي وعلي جاویش وقطع رؤوس الباقين . وقد اختلف الرواة في سبب قتلهم والذي عليه الاكثرون أن عثمان دقنه وجد بين اوراق قتلى الأحباش في كوفيت كتباً يستحثون فيها الرأس الوله لنجدتهم ويلعنون المهدي وأعوانه . وقد أسف الجميع على قتلهم ولا سيما على المدير لأنه كان صاحب عفة ونزاهة وعدل مع حسن رأي وشجاعة وتدبير . وقد رفته الحكومة بعد وفاته الى رتبة باشا برأ بخدمته ورفقاً بعائلته .

وكتب الخليفة الى عثمان دقنه فأخذ الخمس من الغنائم وقسم الباقي على الامراء ثم ارسل الامناء مع الاسرى والغنائم الى أم درمان فأرسل نحو ألف من الجهادية وجانباً كبيراً من المدافع والاسلحة والذخائر فأفلت منهم الصاغ فرج افندي ونسي المار ذكره بأربعة وخسين رجلاً وأتى بهم الى مصر بطريق مصوع .

هدم عثمان دقنه الخاتمية ورجوعه الى سواكن : ثم أخذ عثمان دقنه الجيش فهدم منازل الخاتمية وخرّب قبة السيد الحسن المرغني وجامع نجله السيد محمد عثمان تخريباً تاماً وعاد الى كسلا فكتب اليه الخليفة عبدة كتب للرجوع الى سواكن لأهمية وجوده فيها فسمى محمد فاي ابن اخيه اميراً على كسلا وعبدالله ابا بكر اميناً على بيت المال وعاد الى معسكره في تمّاي فوصله في ٢١ فبراير سنة ١٨٨٦ وسنعود اليه .

الفصل الثالث

عود الى

حصار حامية سنار

سنة ٤ - ١٨٨٥ م

كتاب مدير سنار الى غوردن في ٩ اكتوبر سنة ١٨٨٤ : كان آخر عهدنا بسنار يوم رجوع نصحي باشا منها الى الخرطوم في ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٨٤ وكانت إذ ذاك آمنة مطمئنة. وفي ٩ اكتوبر سنة ١٨٨٤ كتب مديرها حسن بك صادق الى غوردن جواباً على كتاب ارسله اليه مع رجل تكروري هذا مفاده :

« من حسن صادق مدير عموم سنار الى غوردن باشا حاكم عموم السودان »
 « في ٦ اكتوبر سنة ١٨٨٤ تشرفنا بورود كتابكم الكريم المؤرخ في ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٨٤ فسرنا ما حواه من البشائر بقدم تسع اورط من ابطال الانكليز ومسلمي الهند من فرسان ومشاة ومدفعية بمدافع جديدة وخيول شديدة وقد قرأنا كتابكم على رجال الحامية ونشرناه في البلاد فسر الجميع به سروراً عظيماً وكلهم يدعون لكم وللجيش بالظفر . ثم ان حامية سنار وأهلها من علماء وتجار وأعيان يقبلون يديكم ولنا الرجاء انه بهمة سعادتكم

ويجاء نبينا عليه السلام تسكن الثورة في السودان وتزول دعوى المهدي
ويخضع الكل لسيف الحكومة بحول الله وقوته .
حاشية : المرجو الاسراع بارسال وابور بالأشياء التي طلبناها في كتابنا
مرة ١٤/٢٩ .

المرضي ابو روف وحصار منارة فظهر من هذا الكتاب ان سنار كانت
الى ٩ اكتوبر سنة ١٨٨٤ م هادئة مطمئنة ولكنها لم تبق طويلا في هذه
الطمأنينة فان المهدي في طريقه الى حصر الخرطوم كما مر امر المرضي ابا روف
أخا ملك ابي روف المار ذكره فحشد جيشا كبيرا من عربان رفاعة الهوي
وتزل لحصر سنار في حلة عابدين على ٤ ساعات جنوبي سنار وذلك في أواسط
نوفمبر سنة ١٨٨٤ م .

حبس المدير : وقبل ذلك بايام وقع نزاع بين المدير والنور بك قيل سببه
الأمر الذي أرسله غوردون الى النور بك ليكون قومنداناً على المساكر فعذّر
المدير الأمر اهانة له لأنه أقدم من النور بك وأحق منه بالقومندانية والنحاز
معظم المساكر الى النور بك فحبس المدير في منزله ووضع الحفراء على بابه .

واقعة العردية : فلما قدم المرضي لحصر سنار خرج عليه النور بك بنحو
٧٠٠ من عساكر الحامية وعثمان بك الدالي فالتقاه المرضي في العردية على ٣
ساعات من سنار وهزمه وتقدم الى غابة الكبوش فأقام فيها محاصراً سنار
الى ان سقطت الخرطوم فكتب الى النور بك يعلمه بسقوطها ويدعوه الى
التسليم فبعث النور بك يجلي يدعى سعيد وداعة الله الى الخرطوم لتحقيق
الخبر فرجع وأخبره بأن الخرطوم سقطت والانكليز عادوا من المتعة ومحمد
عبد الكريم قادم بجيش كبير لفتح سنار .

اطلاق المدير وقتله : فقد النور بك مجلساً من الضباط والأعيان للنظر في
أمر نجاتهم فتوسل الاعيان اليه فأفرج عن المدير ودعاه الى المجلس وسأله رأيه
فقال لا رأي لي إلا الحرب فاذا سلمت لي قيادة المساكر تكلفت بطرد

الدرأويش المحاصرين حتى اذا ما جاءنا عبد الكريم قاتلناه فاذا لم ننفز به لجأنا الى الحبيشة . وعندي مخزن كبير من الحبوب أقدمه للمساكر فصدقوا رأيه وسلموه قيادة المساكر فخرج بهم لقتال المرضى في غابة الكبوش فتوغل المرضى في الغابة وانقلب المدير راجعاً بالمساكر قلعة الى سنار وفي الطريق نزل مع بعض الضباط تحت جيزة ظليلة للراحة وتناول الطعام وأمر المساكر ففرطوا عقد القلعة وتفرقوا جماعات فورد بعضهم النيل فشريوا واتخذوا الطريق الى سنار وجلس البعض الآخر قرب الجيزة للراحة . وكان كشافة المرضى لا يزالون يرقبونهم فلما رأوا المدير ورفاقه تحت الجيزة تواروا بشاطئ النيل حتى أتوا بالقرب منهم فباغتوهم الهجوم فهب كل منهم الى جواده فأجفل جواد المدير وأفلت من يد السايس فانقض العرب عليه وقتلوه هو ونحو مئة من الضباط والمساكر . وأما النور بك وعثمان بك الدالي فقد ركب كل منهما جواده وضربا النفير فجمعوا بعض المساكر ورجعوا الى محل الواقعة فهزما الدراويش وعاد يبحث الضباط الى سنار فدفعناهم بالجبانة . وعادت القيادة العامة الى النور بك وعاد المرضى الى غابة الكبوش .

محمد عبد الكريم وحصار سنار : وفي ١٨ ابريل سنة ١٨٨٥ م وصل محمد عبد الكريم حلة البقرة ومعه من الامراء الشيخ عبد الرحمن المضوي السالف الذكر ومحمد احمد ود الشيخ ادريس من أقارب المهدي ومصطفى ود جبارة و خليل عمر ابو زهانة ومن الوابورات وابور محمد علي فحصر سنار من الشمال . وحال وصوله ارسل الى أهل سنار كتاباً يدعوهم الى التسليم ويهدم بالعفو والصفح عما مضى ان خرجوا اليه طائعين فسأل النور الرسل عن الامراء الذين معهم فسموا له خليل عمر ابا زهانة وكان النور بك يعرفه من خط الاستواء فطلب من محمد عبد الكريم ارسال خليل المذكور للمفاوضة معه بشأن التسليم فحضر بمركب حافل فاستقبله الضباط والاعيان في ديوان المديرية فأخذ يعدد لهم نصرات المهدي وأعاجيبه ولكن قيل انه خلا بالنور بك فأخبره بما يحصل لهم اذا سلموا فقال : اما كبار الضباط فيقتلون او يعذبون وأما اهل البلد

فياخذ ما لهم وتسبى الجميلة من نسائهم . فصمم النور بك إذ ذاك على القتال ولكنه اخذ يخادع محمد عبد الكريم ويطاوله ريثما يتمكن من تقوية الخندق . وكان الخندق على شكل مربع مستطيل يحيط بالبلدة من ثلاث جهات والنيل يحيط بها من الجهة الرابعة فقطعه من الجنوب حتى صيرته مربعاً فضم أكثر منازل المدينة ومخازن الذخائر والشونة وثكنة العساكر وديوان المديرية . وقد عمقه وعلش أبراجه وجعلها سبعة أي في كل زاوية برجاً وبرجاً في وسط الضلع الشمالية وبرجين في الضلع الغربية وجعل في كل برج مدفعاً . وجعل للخندق بابين باب في طرف الضلع الشمالية الغربي وباب في وسط الضلع الغربية . وصف العساكر على خط النار فجعل في كل جانب من جوانب الخندق الثلاثة نحو ٥٠٠ من العساكر النظامية و ٣٠٠ من الباشبوزق وجند الملكية من موظفين وتجار وجعلهم مع العساكر على خط النار . وجعل عثمان بك الدالي قومندان الضلع الشمالية والقائمقام حسن بك عثمان الكريتلي قومندان الضلع الغربية وحى بنفسه الضلع الجنوبية واستعد للدفاع .

فلما تحقق محمد عبد الكريم أن النور بك يخادعه شرع في التضيق عليه فأمر بعض الأمراء فنزلوا في البساتين الملاصقة للخندق من جهة الشمال وبنوا فيها طابيتين حصنهما بالمدافع . وأمر مصطفى ود جباره ومن معه فعبروا النيل الى الشرق ونزلوا تجاه سنار وبنوا هناك أيضاً طابيتين حصنهما بالمدافع وصاروا كلما لاح لهم شخص أو بهيمة رموه بالرصاص حتى صار أهل البلد يأخذون من المياه ما يكفيهم النهار كله ويحبسون في منازلهم الى الليل .

وكان أهل الحامية من الجهة الاخرى كلما رأوا رجلاً خارج الخندق رموه بالرصاص حتى اهلكوا كثيراً من المحاصرين .

مهاجة محمد عبد الكريم لسنار في ١٧ يونيو سنة ١٨٨٥ : وداموا على ذلك حتى فرغ صبر محمد عبد الكريم فعقد مجلساً من أمرائه وأهل شوره فأجمعوا على مهاجة الخندق وأخذ البلد عنوة فأمر مصطفى ولد جباره فعبه

بين معه الى الديم العام في الغرب . وكان قد فرّ اليه في هذه الاثناء كاتب من سنار فظنّ انه هو الذي جراه على مهاجتها . ولما كان الثلث الاخير من الليل في ٢ شعبان ١٣٠٢ هـ ١٧ يونيو ١٨٨٥ م زحف محمد عبد الكريم يحيوشه على الخندق وقد أمر اصحابه بالسكوت فساروا تحت جنح الظلام سراً بطيئاً هادئاً حتى وصلوا الخندق فتسلق بعضهم الطابية الشمالية الغربية وقتلوا بعض الطويحية ودخلوا الشونة وحل الذخائر فاستيقظ الخفراء ورجال الحط كله وكان عثمان بك الدالي قومندان الحط في الطرف الشرقي منه فأخذ بعض المساكر وانقلب على الدراويش الذين دخلوا الشونة . قيل وكان الصاغ رمضان بهجت قومندان الطابية قائماً في منزله فلما علم بدخول العرب جمع من بقي من عسكره وانضم الى عثمان بك الدالي وأشعلوا النار في الشونة من جهة الشمال . وعلم النور بك بهم فأسرع ببعض المساكر وأشعل النار في الشونة من الجنوب فحصرهم بين نارين ووالوا اطلاق الرصاص عليهم حتى أفنؤم عن آخرهم ورجع كل الى محله على خط النار . وكان محمد عبد الكريم قد ارسل خيراً الى المرضي قبل الفجر فهاجم الخندق من الغرب فأمطر المساكر عليهم سحب الرصاص والقنابل ووالوا الضرب بغير فاصل وتبعوا الذين داخل الخندق فقتلوه عن آخرهم وهزموا الباقين شر هزيمة . قيل وكانت قتلى الدراويش نحو ٢٠٠٠ رجل وفي جملتهم احمد الكاشف السالف الذكر .

ومن ذلك اليوم لم يعودوا يحسرون على مهاجمة الحامية بل اقتصروا على حصرها والتضييق عليها . وقد بذل اهل الحامية الجهد في مواصلة الانكليز أملاً بأنهم يأتون لنجدهم وتفننوا في استنباط الحيل لايصال الرسائل اليهم فكتبوها على ورق رقيق جداً وجعلوها بين نصاب السكين ومقبضه او في جوف العصا او في طي النعال او بين الفص والخاتم ومع ذلك فما ارسلوا رسولاً إلا قبض الدراويش عليه واستنطقوه وعذبوه حتى اعترف برسائله ، فانقطعت آمالهم من وصول النجدة اليهم واشتد الحنال عليهم وعمتهم الجوع وتعذر وجود القوت فأكلوا الكلاب والحديد والجلود وصار الضعفاء منهم

يخرجون خارج الخندق لالتقاط بعض النباتات البرية كالضريسة وقش النال وغيرها للتقوت بها فيقع البعض في ايدي المحاصرين ويسلم البعض انفسهم هرباً من الموت جوعاً فصمم النور بك إذ ذاك على الخروج من الخندق ومهاجمة الدراويش في ديمهم وكسب غلاهم للتملئ بها او الموت دون ذلك .

خروج حامية سنار مهاجمة في ٢٠ يوليو سنة ١٨٨٥ : ولما كان يوم الاثنين في ٢٠ يوليو سنة ١٨٨٥ خرج النور بك بألف ومائتين من العساكر النظامية والباشبوزق وهم جلّ عساكره فهدم طابيتي الدراويش اللتين في الجنائن وقتل من فيها ثم زحف قاصداً ديم الدراويش في البقرة فالتقوه في الطريق واشتعل القتال بين الفريقين فأصيب النور بك برصاصة في رجله فحملوه على حمار وأخذوه الى سنار وألقيت قيادة العساكر الى عثمان بك الدالي فأشعل في الاعداء ناراً حامية حتى هزمهم وقتل منهم نحو ٢٠٠٠ رجل ودخل ديمهم فغنم كل ما فيه من حبوب وخيم واسلحة وعاد الى سنار فعمّ الفرح أهل الحامية كلها وزال ما حلّ بهم من كرب الجوع والحصر . وقد وجد العساكر في كوخ عبد الكريم كتباً من أم درمان تنبئ بوفاة المهدي ، فازدادوا سروراً واستبشاراً وظنوا ان المهدي قد زالت بوفاته وان الدراويش لا يرجعون الى القتال .

خروج حامية سنار المرة الثانية في ٣٠ يوليو سنة ١٨٨٥ : ولكن ما لبث الدراويش ان تجمعوا وعادوا الى ديمهم في البقرة فاقر أهل الحامية على اعادة الكرة عليهم وكان النور بك لا يزال طريق الفرائش من جرحه ففساد عثمان بك الدالي العساكر وخرج بهم صباح الخميس في ١٧ شوال سنة ١٣٠٢ هـ ٣٠ يوليو ١٨٨٥ م وكان الدراويش قد أقاموا متراً امام الديم ووضعوا عليه أهل الاسلحة النارية فلما أقبل العساكر بادروهم بالرصاص فقال عثمان بك بالعساكر الى جهة الغرب فهاجمه اذ ذاك الحرابية وكانت العساكر بيئة قلعة ففتحت عليهم نيران البنادق فأصاب عبد الكريم رصاصة في فخذه فكسرتها

فوقع فيهم الفشل وانهزموا شر هزيمة . ودخل العساكر الديم فأخذوا جميع ما وجدوه فيه من حبوب وغلل وأغنام وغيرها ثم أحرقوه وعادوا بالفنائم الى سنار ودامت هذه الواقعة من الساعة واحدة من النهار الى الساعة ١١ حساباً عربياً وقد قتل في هذا اليوم من الدراويش نحو ٢٠٠٠ رجل وأما العساكر فقد قتل منهم ١٢٠ رجلاً من ضباط وعساكر وجرح احمد بك مكوار جرحاً مميتاً فحمل الى سنار ومات هناك . وأصيب عثمان بك الدالي بثلاث رصاصات واحدة أصابت يده اليمنى واثنين أصابت فخذه ولكن لم منها كلها . أما عبد الكريم فقد حمله أنصاره الى البرياب لمعالجته هناك وقد لزم الفراش بسبب انكسار فخذه ولم يعد له طاقة على ادارة الجيش فأمر محمد احمد ولد شيخ ادريس المار ذكره فجمع شتات الانتصار وعاد الى ديم البقرة وعاد مصطفى ود جبارة الى ديمه في الشرق .

واقعة كساب الاثنين ١٧ اوغسطس سنة ١٨٨٥ : ولم يكن إلا القليل حتى فرغ الزاد الذي كسبه العساكر وجاءهم نبأ ان في جهة كساب شرقي النيل على نحو عشرة أميال من سنار مخزناً كبيراً من الحبوب فأقروا على أخذه وكانت النور بك وعثمان بك الدالي لا يزالان طريحي الفراش بسبب جراحهما فجهز القائمات حسن بك عثمان نحو الف من العساكر النظامية والباشوزق ومعهم الملك تاج الدين كبير الفونج بسنار وعدى بهم الى الشرق السبت في ١٥ اوغسطس سنة ١٨٨٥ وفي صباح الاحد تقدم بالمساكر الى كساب فلم يجد فيها شيئاً فأراد ان يتوغل جنوباً للتفتيش عن الغلال فلم تدعن المساكر لأمره فبات ليلته في كساب وهو لا يدري ما يفعل . ولما استيقظ صباح الاثنين في ١٧ اوغسطس سنة ١٨٨٥ م وجد ان ٤٠٠ رجلاً من عساكره السود قد هجروه وانضموا الى مصطفى ود جبارة امير الدراويش بالشرق فقبل راجعاً بباقي المساكر قاصداً سنار فكان له مصطفى ود جبارة في غابة الشيخ فرح بين سنار وكساب وما اقترب منه حتى خرج عليه يبيشه فقتله وقتل معه الصاغ رمضان افندي بهجت والملك تاج الدين كبير الفونج المار ذكرهما وبعض

العساكر وأسروا البعض ولم ينج من العساكر إلا القليل فعبروا النيل سباحة الى سنار ونزل بعضهم بالمراكب فغذفهم التيار الى قرب ممسكر محمد احمد ولد الشيخ ادريس في البقرة فأرسل وابور محمد علي فقبض على المراكب ومن فيها ولم يرجع من الالف رجل الذين خرجوا الى الشرق إلا نفر قليل . وأصبحت حامية سنار بعد هذا المصاب تحت رحمة الدراويش .

تسليم حامية سنار في ١٩ اغسطس

سنة ١٨٨٥ م

وكان محمد احمد ولد الشيخ ادريس لما ألقى القبض على العساكر في المراكب ألبس اربعة منهم جبباً مرقعة وأرسلهم في صبيحة اليوم الثاني أي ١٨ اغسطس الى سنار بكتاب الى أهل الحامية يدعوم الى التسليم ويقول اذا سلمتم سلمتم وإلا هاجتكم ودخلت الخندق عنوة . فجمع النور بك اذ ذاك مجلساً من الضباط والتجار والأعيان فلم يحدوا بدأ من التسليم فكتبوا بذلك كتاباً الى محمد احمد شيخ ادريس وأمضاء الميرالاي النور بك قومندان العساكر وعثمان بك الدالي ثانيه والبكباشيان محمد صالح وعثمان ذهني والشيخ احمد مكي قاضي سنار والشيخ احمد ابو عامر سر تجار سنار وغيرهم من التجار والأعيان . ثم خرجوا فسلموا له وبايعوه وذلك في يوم الاربعاء ٨ القعدة سنة ١٣٠٢ هـ ١٩ اغسطس سنة ١٨٨٥ م وكانت سنار آخر من سلم من حاميات السودان بعد جهاد ثلاث سنين وخمسة أشهر .

الفنائم والأسرى : ودخل الدراويش الخندق فأخرجوا العساكر الى الديم وكانوا لا يزيدون عن ٧٠٠ رجل من نظامية رباشبوزق ثم اخرجوا أهل البلد وأخذوا في جمع الفنائم فأثوا بن ظنوه اخفى ماله فعذبوه وجلدوه بالسياط حتى اعترف به كما فعلوا في كل حامية فتحررها . أما النور بك فانه لم يهن لأن ابنته كانت في عصمة محمد عبد الكريم وقد تسراها بعد فتح

الخرطوم وكان النور بك وعمان بك الدالي لا يزالان طريحي الفراش بسبب جراحهما فتركوهما داخل الخندق .

بعثة النجومى الى سنار : هذا وكان الخليفة عبد الله لما رأى محمد عبد الكريم قد أبطأ في فتح سنار استدعى عبد الرحمن النجومى من المتمة وأرسله الى سنار ومعه ثلاثة وابورات وهي : تل حورين وبوردين والاسماعيلية فسار براً وبحراً يحيش لا يقل عن ١٣٠٠٠ رجل وفيهم من الأمراء ود جبارة وابو قرجه ومكين النور وعبد الحليم مساعد فوصل سنار السبت في ٢١ اوغسطس أي بعد التسليم بثلاثة ايام . وكان انصار محمد عبد الكريم لا يزالون مشتغلين في نهب المدينة وتعذيب اهلها ، فمنهم النجومى من ذلك وأمن البلاد .

خراب سنار : وكتب محمد عبد الكريم الى الخليفة يبشره بفتح سنار فكتب اليه جواباً بتاريخ ١٢ القعدة سنة ١٣٠٢ هـ اوغسطس سنة ١٨٨٥ م يخبره بوصول كتابه الحاوي بشائر فتح سنار وعليه حاشية : « جزى الله الانصار خيراً وخصوصاً الحبيب المكرم مضوي عبد الرحمن فقد مرّنا ما نوهتم به في حقه من حسن الثبات وفتكه بالعدا . وهكذا شأن من تكفل وتصفى وبعهد الله وفى » .

وكان الخليفة عبد الله لا يأمن جانب الانراف لما تقدم من الاسباب ، وخشي من اتحاد النجومى وعبد الكريم عليه في سنار فأخذ يوالي تحاريره الى كل منها بحرق سنار والرجوع الى أم درمان في الحال ويقول : « سنار تصيبها النار » . فعاد النجومى يجيوشه وابوراته اولاً فوصل الخرطوم في ١٢ سبتمبر سنة ١٨٨٥ . وأقام فيها . ثم لحقه عبد الكريم بعد ان احرق سنار وأتم خرابها وبقيت خراباً فلم يحسر احد على سكنائها الى ان كان الفتح الاخير فعمرت كما كانت .

هذا وكان قد شاع في أم درمان ان محمد عبد الكريم لما علم بوفاة المهدي اراد جمع كلمة جيشه لمحاربة التعايشي وجعل الخلافة لابن عمه الخليفة شريف لأنه أحق منه بالملك ، فعند وصول محمد عبد الكريم الى أم درمان استدعاه الى مجلسه وتهدهه وطلب اليه ان يحلف له بيمين الطاعة ففعل .

وأذاع التعايشي خبر فتح كسلا وسنار وكتب بذلك الى امرائه في الجهات ، وهاك ما كتبه « الى حبيبه المكرم يونس الديك » : « ... واعلم حبيبي انه بحمد الله قد انتصر الدين النصر المبين وذلك ابكلا من مديرتي كسلا وسنار قد صار فتوحها ببركة الله تعالى على أتم حال وأسر بال . وسيرتها ان اهل كسلا قد اشتد عليهم الضيق بواسطة انصار الدين وقطعت عليها المواد بالكلية حتى تضايقوا المضايقة الشديدة وأكلوا الحجير والحوم بني آدم ، ولما ضاق بهم الحال واشتد عليهم النكال رجعوا الى الواحد المتعال وسلموا للهدية حقراً أذلاً منقادين ، والآن جئني مدافعهم وجبيخاتهم وأسلمتهم استلمت بيد الانصار والجهادية كذلك والحمد لله على ذلك . وكيفية فتح سنار هي ان اعدله الله لما اشتد كرههم خرجوا لجنود الله للحرابة فتصادموا فقتلت منهم مقتلة ثم انهزموا ودخلوا حصنهم وقد امتلأ التوجه لجهات الصعيد لقصد اخذ غلال لإزالة ما بهم من الضرر فدخلوا في مراكز وتوجهوا فصادمهم الانصار وشدوا عليهم حتى هلك منهم نحو الالف وثلثمائة وأمر منهم نحو الثلثمائة واستلمت مراكزهم وما فيها من الجباخين والأسلحة ولما رأوا ما حصل لهم من الدمار انحل عزمهم وتشتت رأيهم ، وبعد هذه المقتلة منهم غزم الانصار على دخول خندقهم وافتتاحه ليدمروا من فيه نصرة لدين الله وإحياء الملة ربوله ﷺ فقبل انتقامهم خاطبهم الاعداء بالتسليم والانقياد للهدية وطلبوا الامان خيفة على انفسهم من الهلاك فأمتهم الانصار فخرجوا من حينهم واستلمت مديريتهم بجميع ما فيها وصارت غنيمة

للمؤمنين ، ولعلمائكم بما ذكر تحرر هذا . فاسجدوا شكراً لله كما سجدنا
وان شاء الله بعد الآن تتكاثر الفتوحات ويتأيد الدين زيادة على ما فات
فشدوا الحزم وقووا العزم وتشوقوا للقاء الله يا حزب الله فان خيركم
قدام فلا تطلبوه هنا رحكم الله . هذا والسلام على جميع من معكم من
انصار الدين ... »

الفصل الرابع

في

وقائع الحدود وأم دزمان

سنة ١٨٨٦ : ٥ م

واقعة جنس في ٣٠ ديسمبر سنة ١٨٨٥ : تقدم ان محمد الخير لما علم بخروج الانكليز من دنقلة في ١٥ يونيو سنة ١٨٨٥ أرسل مقدمة جيشه بقيادة ابن اخيه عبد الماجد محمد خوجلي فاحتلها في ٢٦ اغسطس بنحو ٣ آلاف مقاتل . ثم لحقه على الأثر فوصل دنقلة في ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٨٥ . وبعد وصوله بقليل سبّر عبد الماجد المذكور معظم أنصاره لناواة جيش الحدود في كوشة وأخذ يستعد للحقوق به . فوصل عبد الماجد بلدة جلس على نحو ٣ أميال من كوشة في ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٨٥ فأقام فيها ديماً ووضع بعض الانصار في بلدة كوشة والبعض الآخر على أكمة صخرية شمالها عرفت بالحجر الاسود تطل على طلبية الجيش ووضع على الأكمة مدفعاً وبعض الرماة فشرعوا يرمون الطلبية بالقنابل والرصاص حتى صار أهلها يحفرون الحفر ويختبأون بها فأقرّ الكولونيل أفرت قومندان الطابية على طردهم من الأكمة عنوة . وفي ١٥ ديسمبر سنة ١٨٨٥ خرج عليهم معظم المسابكر فرمام بالقنابل اولاً ثم أمر

الصفوف فوضعوا السنج في رؤوس البنادق واقتحموا رصاص الأعداء وتسلقوا
الأكمة فأجلوم عنها وغنموا المدفع فجعل الكولونيل أنرت نقرأ من المسكر
في مكانهم ورجع بباقي القوة الى الطابية . وقد خسر في هذه الهجمة ضابطاً
وعسكرياً وجرح الكبتن هنتر (الجنرال هنتر الآن) وثلاثة عساكر .

هذا وقد صحب عبد الماجد . من دنقلة عبد الله ود سعد فنزل بأنصاره في
الشاطئ الغربي تجاه ديم الدراويش في جنس وكانوا يأتون قبالة الطابية
فيختبئون بالصخور ويتربعون العساكر فكلمنا لاح لهم عسكري رموه بالرصاص
فاجتاز البكباشي بارو ببعض العساكر السودانية والمصرية وزرب زريبة تجاه
الطابية ومكث بها فمضع أذاهم .

وكان الجنرال ستفنسن قائد جيش الاحتلال في مصر لما علم بقدوم الدراويش
الى كوشة ساق اليها الجنود الانكليزية والمصرية من مصر والحدود فوصلها في
١٩ ديسمبر سنة ١٨٨٥ م ثمومه الجنرال غرنفل مرردار الجيش المصري بصفة
رئيس أركان حرب . وكان الجنرال بتلر قومندان العساكر الانكليزية في
الحدود قد سبقه اليها فاجتمع عنده بين طابيتي مفركة وكوشة خمس اورط
مشاة واورطة راكبة من الجيش الانكليزي وقسم من الاورطة التاسعة
السودانية وآخر من الاورطة الثالثة والاورطة الاولى من الجيش المصري
وأقسام متفرقة من الطوبجية والمهندسين والهجانة والسواري من انكليز
ومصريين . ذلك عدا وابور لوتس الحربي بقيادة الكبتن لويد في النيل . وكان
مع عبد الماجد في جنس وكوشة والغرب نحو ٦٠٠٠ مقاتل . فأقرّ الجنرال
ستفنسن على مهاجمة الدراويش في الشرق والغرب فجعل الماجور بارو وجنوده
في صدد عبد الله ود سعد في الغرب وقسم جيشه الى آلايين : الآلاي الثاني -
وهو مؤلف من ثلاثة انصاف اورط انكليزية والاورطة الاولى المصرية وبعض
الهجانة الانكليز والمصريين وستة بلوكات من الهيلندرس وبلوكين من الاورطة
التاسعة السودانية بقيادة الكولونيل هوش - يهاجم بلدة كوشة ثم يتقدم على
ديم الدراويش في جنس بطريق النيل . والآلاي الاول - وهو مؤلف من

ثلاث اورط انكليزية وأقسام من الطوبجية والهجانة والاورطه الثالثة المصرية بقيادة الجنرال بتلر . تتبعه الاسلحة الراكبة من انكليز ومصريين بقيادة الكولونيل بلاك - يسير في نصف دائرة ويهاجم ديم جنس من الجنوب .

وفي ٣٠ ديسمبر قبيل الفجر زحف الجنرال ستفلسن بالجيش من النيل الى التلال الجنوبية المطلة على كوشة وجنس من جهة الصحراء جاعلا الآلاي الاول ومعه الاسلحة الراكبة أمامه والآلاي الثاني وراءه . ولما كان الفجر أمر مدفعية الآلاي الاول ففتحوا أفواه مدافعهم على كوشة . ثم أمر الستة بلوكات من اورطه الهيلندرس والبلوكين من الاورطه التاسعة السودانية من الآلاي الثاني فهجموا على بلدة كوشة هجمة الاسود واحتلوها عنوة وغنموا منها مدفعا وذلك في الساعة ٦ والدقيقة ٥٠ . وكان الآلاي الاول اذ ذاك قد اتخذ مركزا على التلال الجنوبية على نحو ميل ونصف ميل من ديم الدراويش في جنس والآلاي الثاني وراءه تجاه بلدة كوشة . وكان الدراويش في جنس لما سمعوا اطلاق المدافع قاموا مذعورين الى سلاحهم فما طلع النهار حق رأوا العساكر قد ملأوا التلال وهم زاحفون عليهم فخرجوا لصدتهم زمرا ففتح العساكر أفواه البنادق والمدافع فاقترحموا النيران وتسلقوا التلال بقلوب لا تهاب الموت وذهبت فرقة منهم في خور متوارين بشاطئه حق أتوا على الهجانة المصرية في يسار الآلاي الاول والتحم القتال بينهم وبين الهجانة بالسيف والحرب فساعد هؤلاء فرقة من العساكر الانكليزية فردوهم على أعقابهم خامسين وشتتوهم كل مشتت . ووالى العساكر رمي النار على الدراويش حتى أجلوم عن التلال وتقدم الآلاي الاول الى الديم فاحتله الساعة ٩ والدقيقة ١٥ . وبعد ربع ساعة انضم اليه الآلاي الثاني واستولى الجيش على جميع ما كان في الديم من الامتعة والذخائر والاسلحة وفيها ٤ مدافع .

أما عبد الله ود سعد في غربي النيل فانه كان قد استعد للهجوم على زريبة الماجور بارو فلما رأى قومه قد شرعوا بالانهمزام انهزم هو ايضا بلا قتال .

ولحق فرسان الجيش بالدرأويش المنهزمين الى عبري فقتلوا من أدركوه في الطريق وعادوا بالغنائم الى جنس .
وأما الوابور لوتس فانه ساعد الجيش في أثناء القتال ولما انهزم الدرأويش تتبعهم الى ابي صاري فغنم منهم تسعة مراكب ملأى بالثمن والذخائر وعاد الى جنس .

هذا وبعد انجلاء الواقعة علم ان جماعة من الدرأويش لا زالوا مختبئين في بيت من بيوت كوشة فدعوا الى التسليم فلم يسلموا بل رموا العساكر بالرصاص وقتلوا ضابطاً مصرياً فأتى العساكر بالمدافع فهدموا البيت وقتلوا من فيه . وكانت خسارة الجيش في هذا اليوم ٧ قتلى و ٣٤ جريحاً وأما خسارة الدرأويش فقد قدرت بنحو ٥٠٠ قتيل و ٣٠٠ جريح وبين قتلام عبد الماجد اللكيلك الميرفاي المار ذكره وحسن ابو قرجة وبين الجرحى عبد الماجد رئيس السرية وعثمان ازرق .

وقد أعجب الهيلندرس ببسالة عساكر الاورطة التاسعة السودانية الذين صحبهم في الهجوم على كوشة فأهدوهم راية مكتوباً عليها اسم جنس فصارت الاورطة التاسعة تحملها مع رايتها الخاصة الى اليوم .

ومن امتاز في هذه الواقعة والمناوشات التي تقدمتها من الضباط المصريين وذكرها في الاوامر العسكرية : البكباشي احمد افندي فهمي اركان حرب فانه « أدت مساعدة ذات قيمة » . والبكباشي في الطويحية المصرية حسن افندي رضوان (رضوان باشا الآن) فانه « اصيب بجرح في طابية كوشة وقد صبر شهراً على نيران العدو وأظهر بسالة ومهارة في ادارة المدفع » .

ومن امتاز من الموظفين السوريين : البكباشي الطيب سليم افندي موصلي (الميرالي موصلي بك الآن) فانه « ساعد مساعدة عظيمة جداً اذ كان طبيب طابية مفركة » . ثم ألحق في الالاي الاول وحضر واقعة جنس فداوم على الاعتناء بالجرحى وقام بالواجب عليه أحسن قيام » . وملحم افندي شكور (ملحم بك الآن) سكرتير السردار العربي فانه « خدم مدة ثلاثة

أشهر قبل الواقعة بضفة معاون المخابرات في نقط الجيش الامامية . فآظهر من الحمية والمهارة وحسن التدبير في تأدية واجباته مما أتى بأحسن النتائج . وقد صحب سعادة السردار في الواقعة فكان له افضل مساعد في الدلالة على نقط شتى لزمت الجيش معرفتها .

هذا وبعد الواقعة رأّت الحكومة ان لا فائدة لها من احتلال بطن الحبر غير تحمل المشاق والنفقات فأخرجت جنودها منها وجعلت آخر حدها الجنوبي حلفا فوصل آخر الجند اليها من الجنوب في ١٣ ابريل سنة ١٨٨٦ . وفي ٧ مايو خرج المساکر الانكليز من حلفا فتركوا حمايتها للجيش المصري ولكن بقي الف رجل منهم في اسوان لتجدة الجيش المصري اذا منست الحاجة الى سنة ١٨٨٧ فعادوا الى مصر .

التعايشي وخبر الحملة على دنقلة : هذا وكان عند الخبر لما بلغه خبر استعداد الانكليز لواقعة جنسن بعث الى الخليفة بكتاب وصله في ١٧ سبتمبر سنة ١٨٨٥ قال فيه :

« ... ان الانكليز لما بلغهم خبر وفاة المهدي سؤلت لهم أنفسهم الرجوع الى دنقلة وقد قاموا فعلا من حلفا قاصدين دنقلة في ثلاث طوائف طائفة بالبحر وطائفة بالخلا لجهة الغربية وطائفة بالجهة الشرقية وان بعضهم دخلوا عكاشة ... » .

فاضطرب الخليفة لهذا الخبر وأرسل في الحال طليعة من عنده الى الحدود لتأتيه بالخبر اليقين . وكان النجومي قد حضر من سنار في ١٢ سبتمبر سنة ١٨٨٥ كما مر فأمره بالزحف على دنقلة فصدع بالأمر وشرع في تسيير الجيوش الى بربر .

وكتب الخليفة في ٢٦ سبتمبر سنة ١٨٨٥ م « الى جماعة مضوي عبد الرحمن وكافة الحلاويين التابعين لمحمد البصنأ بأولاد المرحوم العبيد بدر وغيرهم » يقول : « ... حيث أمرنا الرايات بالخروج الى الجهاد في سبيل الله

وأتم من جملة الرايات التي تعينت للجهاد فيقتضي ان تستعدوا لذلك ولا يتخلف منكم احد ... »

وبعث امراً الى أبي عنجة في جبال النوبة في ٩ اكتوبر سنة ١٨٨٥ :
« ليستعد للرجوع الى أم درمان عند اقل اشارة » . وقد كان من رأيه ان يجعل الخليفة شريفاً في صدد الجيش المهاجم ثم يجمع اطرافه في أم درمان ويستعد للطوارئ .

قيل وعند وصول الخبر اليه من محمد الخير استدعى رفيقيه الخليفة شريفاً والخليفة ود حلو وقال لهما ان الحضرة النبوية قضت بتقسيم الرايات على الجهات فجعلت كل راية في صدد جهة ، فالراية الحمراء التي هي راية الخليفة شريف في صدد مصر والجهات البحرية . والراية الخضراء التي هي راية الخليفة ود حلو في صدد السودان الشرقي والحبشة . والراية الزرقاء في صدد السودان الغربي الى آخر حد الاسلام في السودان . وعليه ، فقد عهدت امر مصر والجهات البحرية بالخليفة شريف وولجته فتح مصر .

وقد رأيت كتاباً منه الى عثمان دقنة بتاريخ ٩ صفر سنة ١٣٠٣ هـ ١٧ نوفمبر سنة ١٨٨٥ م رداً على كتابه عن واقعة كوفيت يقول فيه : « ... وليعلم لديك اننا بنخير وقد تعين خليفة الكرار برايات الى فتح الجهات البحرية ودعاية من فيها الى رب البرية وها هم على جناح السفر ، ... » ثم اعلم يا حبيبي انه قد صار تعيين الحبيب عبد الرحمن الجنومي وقيامه في أول السرية وفي تاريخ اثنين ربيع الاول الآتي يصير قيام خليفة الكرار بباقي الجيش .

وكتب له في ١٢ ربيع الاول سنة ١٣٠٣ هـ ١٩ ديسمبر سنة ١٨٨٥ يقول : « ... خرج خليفة الكرار مديماً للسفر خارج المدينة ونحن أخرجنا خيمتنا معه للمشاورة والمدايرة في امر الجيش وفي شهر ربيع الثاني الآتي يقوم ببركة الله الى الجهات البحرية يحيوش لا قبل لها من العداء » .

ثم كانت واقعة جلس في ٣٠ ديسمبر سنة ١٨٨٥ فازداد قلق الخليفة وجدد المهمة في حشد الرايات الى دنقلة . وكان محمد الخير قد ارسل الطلائع

لاستطلاع طلع الجيش فعادوا في اواسط ابريل سنة ١٨٨٦ وأخبروه بأن الانكليز قد أخلوا البلاد كلها الى حلفاء ، فكتب في ذلك الى الخليفة فسُرّي عنه وأشاع ان الانكليز فزعوا من سطوته فعادوا الى بلادهم .

تجريد الخليفتين من الأسلحة والرايات : وكان التعايشي : انما جعل الخليفة شريف في صدد مصر ليدراً به نار مهاجميه فلما سمع برجعهم الى حلفاء خاف انه اذا ذهب الخليفة شريف الى دققة ومعه تلك الجيوش الجرارة يفلت من يده ويستقل عنه ويكون له نداء ايما حل فأمره بالبقاء في أم درمان . ولم يكتف بذلك بل امر بتسليم العساكر الجهادية الذين في رايته وما معهم من الاسلحة النارية الى اخيه يعقوب لضمهم الى الراية الزرقاء . وطلب مثل ذلك من الخليفة علي ود حلو ، فأدرك ود حلو ان مراد التعايشي بذلك انما هو تنكيس الاشراف ليس إلا ، ولم يكن عنده إلا نفر قليل من السود فسلمهم طائماً ، فلم يسع الخليفة شريفاً اذ ذاك إلا الطاعة . فجعل التعايشي جميع الجهادية راية واحدة وولى عليهم فضل المولى صايون أخا حمدان ابي عنجة وجعلهم في طابية أم درمان التي عرفت بكاره الجهادية . ثم أمر التعايشي الخليفتين فلما طبولها الحربية ثم راياتها التي كانا ينصبانها امام منزلها بحجة ن الدين واحد والجيش واحد . وكان ذلك في اواسط جهادي الآخرة سنة ١٣٠٢ هـ اواسط مارس سنة ١٨٨٦ م .

فرار الشيخ المضوي : ولم يكن ذلك كله بلا جلبة او لفظ بل قيل ان الشيخ المضوي انكر هذه المطالبات وحرّض الاشراف على رفضها والعبور الى شرق النيل ، فتكفل بضم اهل الشرق والجزيرة اليهم وتدبير ما يلزمهم من المؤن ، ولما لم يوافقوه على رأيه خشي ان يبلغ التعايشي تحريضه فيبطش به ففر الى الحبشة . وخاف ان يعترضه احد في الطريق ، فلفق كتاباً بختم التعايشي قال فيه انه مرسل من قبله بأمر ديني .

ولما علم التعايشي به بث اصحابه في أثره فلم يدركوه فبعث الى ملك

الحبشة في تسليمه فلم يجبه . وبقي المضوي في عاصمة الاحباش الى سنة ١٨٨٩ ثم أتى الى مصر وتوسط له الزبير باشا فمُنح العفو الخديوي وعاد الى الأزهر فأقام فيه حتى فتحت دنقلة سنة ١٨٩٦ فسَمي قاضياً عليها ثم عُزل وعاد الى بلاده على النيل الازرق .

عزل احمد سليمان وتسمية ابراهيم عدلان مكانه : وقد تظاهر احمد سليمان أمين بيت المال بأنه محارب للأشراف وكان التمايشي حاقداً عليه من أيام المهدي فاحتال لعزله والابقاع به . فطلب اليه تقديم حساب مدقق عن السنين السالفة واذا لم يستطع ذلك رماه بالاختلاس والخيانة وعزله وزجه في السجن فبقي فيه سنة وشهراً وسمي مكانه أميناً على بيت المال ابراهيم ود عدلان المار ذكره في حصار الابيض .

بعثة النجومي الى دنقلة ورجوع محمد الخير الى بربر : هذا وكان النجومي قد شرع في ترحيل جيشه من بربر الى دنقلة منذ اوائل ابريل سنة ١٨٨٦ م . وكان التمايشي يود تنكيس محمد الخير لأنه كان ذا سطوة وتقوذ في البلاد من لدن المهدي فاتخذ انكساره في جنس سبباً لذلك فكتب اليه فلم البلاد الى حسن ود جبارة امير مقدمة جيش النجومي ورجع بجيشه الى بربر . وكان معه من جيش النجومي راية حسن ابي قرجة وراية مرغني سوار الذهب فتركها في دنقلة .

عزل محمد الخير عن بربر وتولية عثمان الدكيم مكانه : ثم لم يكف التمايشي بعزله عن عمالة دنقلة بل عند وصوله الى بربر استدعاه الى ام درمان وعزله عن عمالة بربر وأرسل عثمان الدكيم من أقاربه مكانه . وهاك ما كتبه الى عثمان الدكيم في ٦ الحجة سنة ١٣٠٣ هـ ٥ سبتمبر ١٨٨٦ بنصه بعد البسملة :

« وبعد فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق الى حبيبه وعونه في دين الله عثمان الدكيم كان الله له أمين . بعد السلام عليك ورحمة الله وبركاته . حبيبي ان هذا الأمر الذي نحن عليه

هو الدين الخالص الذي كان عليه نبينا ﷺ وجاء به عن الله . وظهر المهدي عليه السلام لأحيائه واقامته وإظهاره على الدين كله ونحن بحمد الله على أئمه . وحيث أنك من الأصحاب الكرام الذين أخذ عليهم العهد من المهدي عليه السلام ومنا ومعنود عندنا من أهل الحزم والعزم والتشمير في الدين وظننا بك جميل فقد جعلناك عاملاً على عموم بربر ونواحيها تعمل فيها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتجتهد في إظهار شعائر الدين وتتحزب أنت وجميع أهالي الجهة المذكورة لجهاد أعداء الله الكافرين لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فاعلم ذلك حبيبي وسر في العباد بسير الصدق وكن على الحق الذي يرضي الله ورسوله واتق مولاك في الحركات والسكنات وسائر الضعيف والقبوي في الحق وأرفق بالمسلمين وسر بهم إلى مولاك وعظمهم بالحكمة والموعظة الحسنة وكن أنت ومن معك على الاستقامة أشداء على الكفار رحماء بينكم وأجبر الحق ولو على نفسك وكن على غاية الاجتهاد وعلو الهمة في الاستعداد للاقتامة مولاك ونصرة الدين حتى تفوز بذلك الفوز العظيم وتنال من ربك التكريم ولا يبلغنا عنك إلا الخير وحسن السير . واعلم أن أمارتنا لك هي على شرط اتباع الكتاب والسنة والعمل بما يرضي الله فكن على ذلك تسلم من المهالك والسلام .

تسمية مساعد قيدوم وكيل للنجومي : ثم إن التمايشي لم يبق النجومي وحده على إدارة الجيش بل أرسل مساعد قيدوم من أهله رقيباً عليه فجاه وكيل على الجيش على أن يولييه بلاد دنقلة فيما بعد . وهاك ما كتبه إلى أبي عنجة في ٢٦ يوليو سنة ١٨٨٦ بهذا الشأن : « ... فالآن عزمنا على تعيين الحبيب مساعد قيدوم برأيه اللحق بالحبيب عبد الرحمن النجومي ويوم الاثنين بعد غد قصدنا إخراجها للسفر ... » .

وكتب إلى الأمراء الذين مع أبي عنجة في ١٨ القعدة سنة ١٣٠٣ هـ ١٨ أوغسطس سنة ١٨٨٦ يقول : « ... وإن سألتكم عن حال إخوانكم الانصار فانهم على حالة تسر خاطر وتقر الناظر ولا زالوا متوجهين للجهاد وتافرين

تَبَاجِ الشُّعْرَاءِ

خفافاً وثقالاً للحوق بالحبيب عبد الرحمن النجومي وقد تكامل بدنقلة منهم خمسة عشر الف مجاهد منهم من وصل بذات العرضي ومنهم من لا يزال بدار الشايقية ونحوها من الجهات والباقي منهم يبرر ستة آلاف مجاهد بمعية عبد الرحمن النجومي والحبيب مساعد قيدوم وهم شادعون الآن في السفر وجميع جهات الارياف ساكنة وليس بها أدنى حركة . وأما أعداء الله الانكليز فقد هربوا من جهة مغرقة وكوشة وغيرها من محلات قياقرم السابقة ولا زالوا في هرب الى مصر ومنها الى ديارهم وتركوا الترك وحدم حيارى في ما يصنعونه وقتل حيلهم لا سيما بعد ما بلغهم نزول الانصار الى جهات الارياف، فلذلك وبالنظر لامتلاء دنقلة يحيش الحبيب عبد الرحمن النجومي حررتنا الى الحبيب العامل محمد الخير عبد الله خوجلي بالحضور والنزول يحيات ابي جد بمن معه من الجيوش لشن الغارة على اهالي الجهات البحرية وربنا يتم بالخير ودين الله لا زال منصوراً وعدوه مغلوباً مقهوراً » اه .

وخرج النجومي ببقية جيشه من بربر في ١٤ اكتوبر سنة ١٨٨٦ فوصل دنقلة في ٩ نوفمبر من السنة المذكورة . وفي ٣ ديسمبر من هذه السنة كتب الخليفة الى انصار دنقلة يحثهم على الجهاد والمحافظة على رباطهم والطاعة لعاملهم النجومي بما نصه :

« ... وبعلمكم ان الله تعالى قد عظم امر الجهاد واستنفر اليه جميع العباد ونوره بفضله كثيراً ووعد عليه اكيداً فقال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التورية والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم . وقال تعالى: ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص . وقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم الآية . وقال نبيه المعظم : ان مثل المجاهد في سبيل الله والله اعلم بمن يجاهد

في سبيله كمثل الصائم القائم الخاشع الراكع الساجد . وقال ما معناه من نزل منزلاً يخيف فيه العدو... كتب له كأجر ساجد لا يرفع رأسه الى يوم القيامة وأجر صائم لا يفطر الى يوم القيامة وأجر قائم لا يقعد الى يوم القيامة . وقال من غزا فمات في سلكه دخل الجنة ومن ضمان الله ألا يترك من خرج في سبيله بدار ضيقة ولا هوان بل يتولاه بلطفه ويرفع ضرره بما يسوق من فضله ويستجيب دعاءه برحمته . وقال ما جميع اعمال العباد عند المجاهدين في سبيل الله إلا كمثل خطاف اخذ بمنقاره من ماء البحر وأن الله تعالى يقضب للمجاهدين كما يقضب للأنبياء والرسول ويستجيب لهم كما يستجيب للأنبياء والرسول ولا طلعت شمس ولا غربت على احد أكرم على الله من مجاهدته . وقال من سأل عني او سره ان ينظر إلي فليتنظر الى أشعث شاحب مشمر لم يضع لينة على لينة ولا قصبة على قصبة رفع له علم فشر اليه ليوم المضار وغداً السباق والغاية الجنة او النار ، ... فشدوا يا احبابنا في الله حيلكم واعلموا انكم الآن في خير كثير وفضل غزير ومستقرون ما بين فضيلة الجهاد وقد تقدم لكم بيانها وفضيلة الرباط وقد ورد فيها عن النبي انه قال من رابط يوماً في سبيل الله جعل الله تعالى بينه وبين النار سبع خنادق كل خندق كسبع سموات وسبع أرضين . وقال: ثلاثة لا ترى النار أعينهم عين حرسيت في سبيل الله تعالى وعين بكيت من خشية الله تعالى وعين كفت عن محارم الله تعالى . وقال : من حرس ليلة على ساحل البحر كان افضل من عبادته في أهله الف سنة وأن من ادركه الموت وهو في الرباط فقد فاز فوزاً عظيماً . قال عليه السلام ليعلمن اقوام يوم القيامة يتلأأ نور وجوههم يمرّون بالناس كهيئة الريح يدخلون الجنة بغير حساب فقيل من هم يا رسول الله قال اولئك قوم أدركهم الموت وهم في الرباط ، ... وما دمت من اهل الكمال وتعلمون ان الحبيب الصفي عبد الرحمن النجمي هو صاحب امركم ونهيكم وأمرؤن منا باتباع اشارته وإداء طاعته فما زلت فكونوا قائمين بسمع امره ونهيه ما أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فانكم ما دمت على ذلك فرضاً عليكم ولا زلت

شأن الشيعة

بإلنا مذكورين وبصالح دعواتنا مغمورين وإني أوصيكم أيها الاحباب بتقوى الله في السر والنجوى والقيام بإداء طاعته في السراء والضراء وملازمة القيام بشعائر الاسلام ولا سيما التحزب والتجمع بمحل الديم وإقامة الصلوات فيه جماعة وقراءة راتب المهدي عليه السلام والحزب في الاوقات المعلومة وانكم لا شك منصورون وأعداؤكم مخذولون بمقتضى الوعد الصادق الذي لا يخلف . فشمروا في أمر دينكم وتحابوا فيما بينكم وليرحم كبيركم صغيركم ويوقر صغيركم كبيركم وكونوا على طريق السلف الصالح الذين انتم على أثرهم تاهجين ولسكتهم سالكين لتدخلوا في مدح قوله تعالى : الذين ان مكنام في الارض أقاموا الصلاة واتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، بارك الله فيكم وتولاكم وحفظكم ورعاكم وفي هذا كفاية لكم والسلام ، اه .

الفصل الخامس

في

كتب التعايشي الى خارج السودان في الدعوة الى المهديّة

سنة ١٨٨٨ - ٦ م

كتبه الى اهل مصر وحكومتها :

كتابه الى اهل مصر : هذا وقد كان من هوس التعايشي الذي أخذه عن سيده المهدي ان المهدي ستعم بلاد الدنيا ويخضع لسلطتها جميع الأمم طوعاً أو كرهاً فأخذ في بث مناشيره خارج السودان للدعوة الى المهديّة والحث على الجهاد محذراً الناس من الاحجام عنها . ولما كان فتح مصر من اول احلامه كما مرّ أمر انصاره في دنقلة فهاجوا حدود مصر الى خلفا كما سيجيء . وكتب منشوراً عاماً الى «احبابه في الله أهالي الريف والجهات البحرية كافة» يدعوم الى الانخراط في سلك المهديّة ويحذرهم من المخالفة وهو منشور طويل جاء في ختامه :

«... واعلموا ان ما حلني على نصعكم ولا دعائي الى بسط اللعان في عظمتكم إلا مزيد الشفقة عليكم والخوف من ان لا تنجع فيكم المواقظ غروراً بالأمانى

الكاذبة وركوناً الى راحة الدنيا الفانية الذاهبة فتدور عليكم الدوائر كما دارت على من قبلكم في بلاد السودان لما أعرضوا عن قبول الحق وجنحوا الى اتباع أقوال علماء السوء الذين أضلهم الله على علم واغتروا بأكاذيب حكامهم وكثرة عدد جنودهم وعددهم العارية عن معونة الله تعالى فختم الله على سمعهم وقلوبهم وجعل على بصرهم غشاوة وحق بهم مكرهم وهلكوا وحرقت النار أجسامهم وخسروا الدارين والعياذ بالله ولكم فيهم عبر وعندكم من أمرهم خبر والسعيد من اتعظ بغيره ونظر في صلاح عاقبته وكشف ضيره . وليكن في علمكم ان هذا الأمر ديني مبني على نور من رسول الله ومؤيد من عند الله يحنود ظاهرية وباطنية ولا يختلج في صدوركم انقطاع ذلك المدد الالهي بسبب انتقال المهدي عليه السلام فان للمهدي يمدّه المصطفى ﷺ اسوة حسنة ولما انتقل ﷺ لم يزل المدد مع اصحابه الكرام حتى تأيد دين الله واتسعت دائرته كما لا يخفى عليكم . وانتقال المهدي عليه السلام للدار الآخرة قبل فتح مكة والقسطنطينية وغيرها من الامصار كما هو مذكور في بعض الروايات لا يقدر في انه مهدي آخر الزمان الذي بشر الأمة بظهوره سيد الاكوان على فرض صحة تلك الروايات لما ان النبي ﷺ قد أخبر في حياته بفتح بعض البلاد كاليمن والشام وغيرها وأضاف ذلك الى نفسه الشريفة كما قيل به في حديث حفر الحندق والله اعلم ثم لم يكن فتح ما ذكر على يده الشريفة بل كان على يد خلفائه الكرام بعد انتقاله ﷺ ولم تقدر ذلك في نبوته اذ لا غرو في نسبة فعل خلفائه اليه لما انهم أياديه وخاصته الوارثون لمقامه الشريف . ولا يخفى ان فعل التابع ينسب الى المتبوع وقد أخبر أنبياء الامم السابقة أمهم ببعثة نبينا ﷺ وذكروا انه يفتح الأمصار ويظهر الملوك ويخرب المدائن الكبار ومعلوم انه لم يفتح في زمنه غير مكة وخيبر وكانت بقية الفتح على يد الخلفاء بعده . وعلى طريقته المثل أتى خليفته المهدي عليه السلام فجميع ما وجد مضاف اليه في الأحاديث من فتح البلاد فلا بد من حصوله على يد خلفائه واصحابه لما انهم ورثته القائمون بالأمر بعده وأما نسبة جميع ذلك اليه فمن كمال وراثته

المصطفوية . وخينئذ فلا بد من ان يعم أمره هذا مشارق الارض ومغاريها بعون الله تعالى فان الله غالب على أمره ومعلوم ان قدرته لا تقاوم وبطشه لا يصادم . وما قد بلغتكم وأعذرت اليكم فلا عذر لكم بعد هذا الانذار وفقكم الله وشرح صدوركم لقبوله . ثم انه لا بد من ورود الرد منكم بما تصيرون اليه أهمكم الله رشادكم وأخذ بنواصيكم الى طريق سدادكم هذا والسلام . اهـ .

كتبه الى حكومة مصر : ومما دل على تناهيه في الغرور وجهه التام بأحوال العالم الخارجي انه أرسل الى مصر اربعة رسل بثلاثة كتب بتاريخ جادى الآخرة سنة ١٣٠٤ هـ سنة ١٨٨٧ م منها كتاب الى جلالة السلطان عبد الحميد وآخر الى سمو الخديوي توفيق باشا وآخر الى جلالة الملكة فكتوريا ملكة الانكليز وفيها يدعوم الى اعتناق المهدي قبل ان تطأ جيوش بلادهم وتلتقم منهم ا . فوصل الرسل حلفا في ١٢ ابريل سنة ١٨٨٧ م فأرسلوا الى الجناح العالي في مصر حيث قرئت الكتب وأرسل كتاب جلالة الملكة اليها ثم أرجع الرسل من حيث أتوا يجواب شفاهي هذا نصه : « ان اولئك الملوك الذين تجرأ سيدكم على الكتابة اليهم لأرفع جداً من ان يتنازلوا الى مجابته . » أما الخليفة فانه تباهى بهذه الكتب وأرسل صورها الى جميع أمرائه في الجهات للاطلاع عليها وتلاوتها على الانصار . وهذه هي صور كتبه الثلاثة بحروفها :

كتابه الى سمو الخديوي توفيق باشا : « وبعد فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبدالله بن محمد خليفة الصديق الى « والي مصر محمد توفيق » وفقه الله لمرضاته وسلك به طريق نجاته آمين . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فاعلم ارشدك الله تعالى الى الصواب ورزقك حسن المكآب ان هدى الله هو الهدى ومن حاد عنه باتباع النفس والهوى فقد هوى . وخير الهدى هدى نبينا محمد ﷺ الذي نزل به الروح الامين على قلبه من عند ربه

الا وهو دين الاسلام الذي عناء الملك العلام بقوله جل شأنه: ان الدين عند الله الاسلام . وأن الله سبحانه وتعالى لما اراد إحياء هذا الدين بعد اندراسه بين العالمين أظهر لذلك المهدي المنتظر وأيده بالنصر والظفر فاعتمد على ربه ودعا العباد الى طريق الهداية والرشاد وأجاب داعيه كل سعيد أواه وأعرض عنه من 'كتب عليه شقاوة ومنهم اتباع دولتك بالسودان ومن نحا نحوم وسلك مسلكهم من اهل الطفيان حتى قضى الله عليهم بالهلاك على يده وجندهم بسيفه ثلة عقب ثلة وقرية تتلو قرية بعد تكرار الانذارات وتتابع الآيات . وانك مع علمك بذلك وادعائك انك من ولات المسلمين السالكين احسن المسالك فما زلت مصراً على اعراضك عن طريق هداك ومحجماً عن اجابة داعي من دعاك الى مولاك فان كان ذلك منك ايثاراً لجانب علو الدنيا الذاهب عما قريب على الخضوع لأمر الله المفضي الى الفوز بأوفر نصيب فاعلم ان الدنيا مجذافيرها ليست بشيء في جنب ما عند الله ولا تزن اقل قليل منه كما ورد . وكيف يليق بمن يؤمن بالله واليوم الآخر حب العلو في الدنيا بعد العلم بقول الله تعالى: تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين . وقوله تعالى : من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون . وان كان ذلك استكباراً منك عن قبول الحق فان الله تعالى قد اوعد المستكبرين في الارض بغير الحق باليم العذاب وسوء المآب . قال تعالى: ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين . وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة ازارني فمن نازعني واحداً منها القيته في جهنم ولا أبالي . وقال ﷺ بشس العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الاعلى ، بشس العبد عبد تجبر واختال ونسى الكبير المتعال ، بشس العبد عبد غفل وسها ونسى العقاب والبلا ، بشس العبد عبد عتي وبغى ونسى المبدأ والمنتهى . ونهاية الامور انه لا حجة لك مع الله تعالى ان لم تنسلخ عن الحالة التي انت فيها وتبادر الى اجابة دعوتي بالتلبية

فاني ادعوك الى القيام بتأييد دين الاسلام كما دعاك الى ذلك المهدي عليه السلام
 فان كنت تريد سلامتك مع ربك فأنب اليه بالوقوف مع اوامره ونواهيه
 وتسليم الأمر إلي والتصديق بأمر المهدي والدخول تحت طاعته المرضية فاني
 خليفة مهدي الله وصاحب المهدي من بعده والقيام بأمر الله ولا فخر . وليس
 قصدي من دعوتك الى هذا الأمر الذي انا بصده الا جلب النفع الدائم لك
 فان ما انت عليه من ملاذ الدنيا لا يدوم لك وعم قريب يزول عنك ولا
 يصبحك لآخرتك إلا عليك نجائك او اهلكك فدقق نظرك وتوق ضررك ولا
 تركز الى دار الفناء والذهاب بل تأهب لدار البقاء والمآب . واعلم ان ما
 دعوتك اليه هو الدين الحق القديم والمنهاج الواضح المستقيم فلا تعرض عنه الى
 زهلت الباطل فان الحق جدير بالاتباع والباطل حري بالثاقي والضياع ولو
 كان قصدي من هذا الأمر ملك الدنيا الزائل وعزها الفاني الذي ما تحته
 طائل لكان في السودان وملحقاتها كفاية كما تعلم من اتساعها وتنوع ثمراتها .
 ولكن ما القصد كما يعلم الله إلا إحياء السنة المحمدية والطريقة النبوية بين
 أظهر عامة البرية . ولو نظرت بعين البصيرة والانصاف وتركت التعامي عن
 الحق والاعتساف لأذعنت لي بذلك وسلكت باتباعي احسن المسالك وتيقنت
 انك الآن بمعزل عن الهداية حيث اتخذت الكافرين اولياء من دون المؤمنين
 اهل العناية وركنت الى مؤاخذتهم والانحراف في سلوكهم حتى كأنك تريد بهم
 اطفاء نور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره اعداؤه ... ومن ثم فقد
 حملتنا الشفقة عليك على تحرير هذا اليك مقدماً قبل حلول جيش المهدي بديارك
 البحرية وأقطارك المصرية بدعوتك الى الله وتسليمك الامر لنا لتكون من أعز
 رجال الدين القائمين بنصرة الاسلام وجهاد اعدائه الكافرين . فان كنت من
 اهل الغيرة على دينك وتريد الفوز عند ربك والتخلص من أسر اعدائه
 الكافرين فبادر الى انجابه الدعوة واندراج في سلك اهل الصفوة انت ومن تبعك
 من المسلمين لتكون الأمة المحمدية يداً واحدة على قطع دابر الفئة الكفرية أو
 ينيبوا لأمر رب البرية وحينئذ نصفح عن جميع ما سبق صدوره منك

وتكون كريماً لدينا وحييماً بيننا في الله وتأمين على نفسك ومالك وكافة متعلقاتك انت ومن يكون معك من أمة محمد ﷺ . واعلم اني عبد ضعيف لا طاقة لي بقوام ادنى شيء وانما سبيلي التوكل على الله وهو ولي وكفيلي ولولا اني على نور منه على هذا الامر الذي انا بصده اقتفاء لأثر مهديه وهو المحرك لي والمؤيد والمسكن والمشيء لما كان في طاقتي ان اقوم بدافعة اضعف مخلوقاته ولكنتي عليه توكلت فكفاني بقدرته وبه اعتصمت فهداني وتولاني بنصرته ولا شك ان ناصية كل شيء بيده وان قدرته لا تقاوم وبطشه لا يصادم . فتدارك ايها الرجل نفسك ودبر حالك ولا تغتر بما يلوح على نظرك من عددك الظاهرية العارية عن معونة رب البرية فان قوة العدد وتحصن البلد لا يدفعان عنك مقدور الواحد الصمد . وليكن بعلمك يقيناً ان لا قصد لي غير سوق العباد الى طريق الهدى والرشاد فلم رحك الله الى ذلك واسلك حجة فوزك وممالكك ولا تعرض عما دعوتك اليه ركوناً الى علماء السوء الذين أسكرهم حب الدنيا حتى باعوا بها دينهم فيصدوك عن طريق هداك وتخسر دنياك وأخراك . فقد ورد عن الله تعالى في الحديث القدسي : لا تسأل عني عالماً أسكره حب الدنيا فيصدك عن طريقي اولئك قطاع الطريق على عبادي الى غير ذلك من الاحاديث الواردة في هذا الصدد . فأمعن ايها الرجل فكرك لتستبين طريق هداك قبل ان تحمل رمسك فتساعدني على نجائك وسلامتك من موبقاتك فاني لأشفق عليك من نفسك التي بين جنبيك . وان أبيت بعد هذا الاحجام فقد انقطعت حجتك فصار ذنبك وذنب من تبعك مطوقاً بك في رقبتك ولا بد بمشيئة الله من وقوعك في قبضتنا أسوة من تقدمك فإنا سعوعدون بالنصر على كل من يبادرنا بالعداوة ولو كان في عدد معدودة وبروج شديدة وهناك ترى عاقبة امرك ولوائح خسرك . وحيثما ان الهم نهضت الى توجيه الجيوش نحو وجهتك وعن قريب ان شاء الله تعالى تحمل بديارك فلا بد من سرعة ورود الرد منك بما يحيط عليه رأيك صحة الخاصيص الميعنين لك من طرفنا . فان سلمت فقد قزت وللخير ادركت وإلا فذنب جميع من

معك من المسلمين يكون عليك يوم لقاء احكم الحاكمين وفي هذا القدر كفاية لك والسلام على من اتبع الهدى ، اه .

كتابه الى جادة الملكة فكتوريا ملكة الانكليز : « وبعد فمن العبد المعتم على بولاه القاهر خليفة المهدي عليه السلام عبد الله بن محمد خليفة الصديق الى « عزيزة قومها فكتوريا ملكة بريطانيا » سلام على من اتبع الهدى . اما بعد فاعلمي ان الله عز وجل هو ملك الملوك القادر المقدر الذي ليس كمثل شئ ، وجميع ما في الكون فهو في حيز قبضته لا يعجزه في الارض ولا في السماء ولو اراد ان يهلك اعداءه في اقل من خطوة بال لكان جديراً بحصول مراده ولكنه لكرمه يهل ولا يهمل ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين . وقد ارسل الرسل الكرام لايضاح السبل للانام وجعل نبينا محمداً خاتمهم رسولا عاماً الى كافة الخلق بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله يباذنه ومراجاً منيراً فكان ناسخ الملل وفاسخ الدول وكل من آمن به وصدق ببعثته فاز برضاء الله وأدرك من الحظ الاوفر ما تمناه ومن كفر به وأنكر بعثته باء بخزي من الله وصار الى النار وبش القرار . ولما كان المهدي المنتظر عليه السلام هو خليفة نبينا محمد الذي أظهره الله لدعوة الناس كافة الى احياء دين الاسلام وجهاد اعدائه الكفرة اللثام : وأنا خليفته القاني أثره في ذلك فاني ادعوك الى الاسلام فان أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله واتبعت المهدي عليه السلام وأذعنت لحكمي فاني سأقبلك وأبشرك بالخير والنجاة من عذاب السعير وتكونين آمنة ومطمئنة ، لك ما لنا . وعليك ما علينا وتتصل بيننا المحبة في الله ويغفر الله لك جميع ما فرط منك في زمن الكفر كما وعد بذلك في قوله تعالى قال للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف . وان أبيت إلا الجحود اعتماداً على ما عندك من الاستعدادات والجنود فاعلمي انك في غرور كبير وبعد عن السداد والتدبير اذ ان ما نحن بصدده فهو الدين الحق الذي تكفل الله للملك القادر بنصرته وتأنيده ورفع مناره وتشجيده فلا طاقة لأحد بمقاومته ولا سبيل الى مغالبتة ضرورة ان قدرة الله غالبه فلا تقاوم وبهشه شديد فلا

يصاحم . وإن كنتَ تظنينَ توها أن جيوش المهديّة القائمة بتأييد السنة المحمديّة مثل عساكر أحمد باشا عرابي الذين أدخلت الفس عليهم بالدنيا حتى افتتواها عن دينهم وتخذلوا عن نصرته ومكنوك من الاستحصال على البر المصري وصاروا أكلة أسرى لا يستطيعون المدافعة عن أنفسهم فهذا توهم فاسد وغرور كاسد فان رجال المهديّة رجال الهيثون طيبهم الله على حب الموت وجعله أشهى لهم من الماء البارد للظمان فلذا صاروا أشداء على الكفار كأصحاب رسول الله الأبرار لا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يثنّهم عما هم بصده صدمة صادم يمل لا يرون لجميع ما سوى الله التأثير لصدق يقينهم برهم القدير ولا يريدون حياة الدنيا الذاهبة الساحرة وانما يرون ان نعيمهم الدائم وعيشهم الناعم معه لهم في الدار الآخرة . بخلاف اولئك فانهم لو صدقوا مع ربهم وظلّوا على حسن اسلامهم وطرحوا حب الدنيا وراء ظهورهم وحفظوا الله فيما أمرهم به لأنجدهم الله بنصره ولما توصلت عساكرهم الى هزمهم والاستيلاء على بلادهم ولو نظرت بعين البصيرة والانصاف لعلمت الفرق . ثم مما يقضي عليك بتمني الغرور الفاسد منك انك بعد ان بلغك ظهور المهدي المنتظر عليه السلام وعاربه دول الاتراك له وظفروه بهم في عدة وقائع سوّلت لك نفسك ان منك الكفاية لحربه والاستيلاء عليه قبضت الى ارسال احد رجالك المشاهير المدعو هكس باشا ومعه جيش عرمرم مؤلف من أجناس شتى وعدد منوعة وذلك من يادي رأيك بدون امان نظر في المواقف بلا مشورة باقي الدول في ذلك توها منك انك ستظفرين بالنصر على جند الله الغالب فعندما حضر ذلك الجيش في ألوف مؤلفة وعدد معدة ما ثبت امام حزب الله إلا نصف ساعة بل قضى الله عليه بالدمار والبوار عن آخره . وكان هلاك ذلك الرجل المديّر الشجاع يجيشه بأسباب سوء تدبيرك وكثرة غرورك ولم تغر عنه كثرة العدد ولا قوة العدد بل صار الى النار وغضب الجبار . ثم ما اعتبرت بنسلك ولا دبرت حالك بل صرت تجهزين عساكرهم من يادي رأيك جردة بعد جردة بكل فج لحرابة الله ورسوله ومهديّة تارة بسواكن وتارة

بدنقلة وقارة بوادي قمر حتى أهتكت بسوء صنيعك من رجالك ما ينوف عن عدة ألوف . ومن ذلك هلك كثيراً من رؤساء رجالك المعروفين لديك بالشجاعة وحسن التدبير والثبات وقوة العزم كالجنرال غوردون باشا هلك بلخرطوم والجنرال استيورت هلك بأبي طليح واستيورت الثاني ومن معه من القناصل بوادي قمر وفلات وفلان وما يكثر عددهم من مشاهير رجالك كما هو بعلبك . ومع كثرة دعاوك التقدم في مجالات الحروب وتفوهك بقوة البأس والشهامة فما بال عساكرك رجعت من السودان القهقري بالخيبة والهزيمة قانعة منها بالكلية ولا شك ان موجب ذلك الهرب محض الخوف من سطوة حزب الله الغالب كما هو بديهي وانهم صاروا الآن الى أسوأ حال وأضيق مجال تأهين في أودية الحيرة لا يهتدون الى المخلص سبيلاً . وكل هذا من سوء تدبيرك واستبدادك برأيك عن باقي الدول ولو رفعت الثورة اليهم كما هو الواجب عليك لأرشدوك الى ما يسكن روعك في الجملة وكانوا اما ان يشيروا عليك بالكف عن مصادمة حزب الله الذي لا طاقة لك بمقاومته وتكوني مقتصرة على محافظة بلدك لا غير واما ان يمدوك بالرجال والاسلحة ويمجربوك على حرب حزب المهدي وحينئذ لا يتوجه عليك العار وحدك عند حصول الهزيمة بل يكون ذلك بالاشتراك . والحاصل انك قد أخطأت الرأي وصرت الى نقص كبير ولا مخلص لك من ذلك إلا بالانابة الى الله المالك والدخول في ملة الاسلام واتباع المهدي عليه السلام فانك ان فعلت ذلك وسلمت الامر لنا تظفرين بمقصودك من السعادة التامة والراحة الحقيقية التي هي الفوز عند الله بدار النعيم المقيم الذي فيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وان كنت لا تزالين على غرورك واستبدادك برأيك فأقدمي على حرب حزب الله بنفسك بجميع جيوشك واستعداداتك الحربية لنرى كيف عاقبة أمرك فهل ينجو بحول الله وقوته . اهـ تعذري من مات أو فر من رجالك الذين تطفلوا على محاربة حزب الله بمقتضى غرورك ... واعطي يقيناً اني مؤيد من عند الله وبه قوتي ونصرتي لا بنفسي فاني عبد ضعيف لا قوة لي من نفسي وانما عصيتي

بالله واعتمادي على الله وهو كفيل بنصرة من اعتمد عليه واعتمصم به ومن ثم فكل من بادرتا بعداوة يقتل على يدنا بعون الله وقوته ولو كان الثقلين. فأعي ذلك جيداً ولا تغتري بما يلوّح على نظرك من العدد والجنود فإن ناصية كل شيء بيد الله ولن يقلب الله احد بل هو القاهر فوق عباده . وانك ان لم تسلي لأمر الله وتدخل في ملة الاسلام واتباع المهدي عليه السلام فاحضري بنفسك وجنودك لحرب حزب الله. وان لم تحضري فاستمدي في محلك فان حزب الله سيظاً دارك باذن الله في الوقت الذي يريده الله ويذيقك السوء بما صددت عن سبيل الله وفي هذا كفاية لك والسلام . اه .

كتابه الى جلالة السلطان عبد الحميد : « وبعد فمن عبد ربه المتصم به خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق » الى سلطان اسلامبول عبد الحميد « جعله الله من خواص المبيد وشرح صدره بنور الايمان والتوحيد آمين .

« لا يخفى عليك ان الله سبحانه وتعالى هو القاهر فوق عباده المتصرف فيهم بحسب مراده وقد أراد اظهار دين الاسلام واحياء ما اندرس من سنة خير الأنام فأظهر سيدنا الامام المهدي المنتظر خليفة سيد البشر وأنجع دعوته في العباد والبلاد وخذل اهل العناد والفساد فهني بنهي الله وأمر وبشر وأنذر وأجاب داعيه كل سعيد وأعرض كل شقي عن الرحمة طريد . وكان فيمن أعرض عن اجابة داعية الذي هو داعي الله اهل دولتك ومن تبهم حرصاً على فاني الملك وزائل الجاه فضربوا صفحاً عما أصدره اليهم من الانذارات وطووا كشحاً عن الهدى وابتدروا بالمحاربات فنصره الله عليهم ثلة بعد ثلة وأهلكهم على يده مع ما كان عليه من الضعف والقلة . ولا شك انك قد رويت من آثاره وسمعت من اخباره ما يكون عبرة لمن اعتبر وهدية لمن اهتدى ومقنعاً لمن اختبر . ومع كونك تدعي انك سلطان الاسلام القائم بتأييد سنة خير الأنام فما لك معرضاً عن اجابة داعي الله الى هذا الآن ومقرراً لرعيك على محاربة حزب الله المؤمنين مع اهل الكفر والعدوان فهل أمنت مكر الله ام

كذبت وعد الله حتى صرفت مجهودك في اعانة اهل الاصنام على هدم اركان الاسلام ما كان الظن بك ان تحيد عن طريق الصواب. وترغب عن اتباع السنة والكتاب لما انك أولى الناس بالاعتناء بهذا الشأن والوقوف منه على بليان . فالمعجب كل المعجب من اعراضك عن اجابة داعي الهدى واتباعك لشهواتك الى الردى وتمكينك للأعداء من بلاد الاسلام مع علمك سعيهم في اطفاء نورا الله بأشد اهتمام . وأنت تزعم انك والي المسلمين الذاب عن حرم الدين فما عذرك غداً اذا وقعت بين يدي مولاك فسألك عما قدمته يدك . فهل جرى منك ما جرى ثقة بمخلودك في الدنيا ألم تعلم ان من ذوقته الدنيا حلاوتها بركون منه اليها أذاقته الآخرة مرارتها بتجافيه عنها . وان النبي ﷺ قال انما الدنيا دار بلاء ومنزل عناء قد نزع منها نفوس السعداء وانتزعت بالكره من أيدي الأشقياء وأسعد الناس فيها أرغبتهم عنها وأشقام بها أرغبتهم فيها . هي الفاشة لمن استصحبها والمغوية لمن أطاعها والفائز من اعرض عنها والهالك من هوى فيها . طوبى لعبد اتقى فيها ربه وناصح نفسه وقدم توبته وأخر شهوته من قبل ان تلفظه الدنيا الى الآخرة ... فيحشر اما الى جنة يدوم نعمها او نار لا ينفك عذابها . ام اغتراراً بالملك الفاني ألم تعلم انه لم يصل اليك إلا بموت او عزل ممن كان قبلك وهو خارج من يدك بمثل ما صار اليك اسوة من تقدمك قال النبي ﷺ انما أنتم خلف ماضين وبقية متقدمين كانوا أكثر منكم بسطة ... فلا تكن أيها الرجل ممن خدعته العاجلة وغرته الامينة واستهوته الخدعة . فركن الى دار قريبة الزوال وشيكة الانتقال فقد ورد عن النبي ﷺ انه قال انه لم يبق في دنياكم هذه في جنب ما مضى إلا كاناخة راكب او صر حالب ... وحيث أيقنت من دنياك بالزوال وتحققت حلول الارتحال فتدرك أيها الرجل نفسك قبل ان تحل رمسك واعلم اني داعيك الى الله ومرشدك الى ما يجلب لك رضا فأجب الداعي تسلّم وسلم الأمر لله ورسوله ومهديه والي تقم فاني خليفة مهدي الله القائم بعده بأمر الله ولا فخر وقد دعوتك الى جنة عرضها السموات والارض فأعني على جلب الخير لك بالامتنال تفز يوم العرض ولا

تسوف بالاجابة فتخطيء الاصابة بل بادر التسويف بالعزم والتفريط بالحزم
فرحم الله امرءاً نظر لنفسه ومهد لرمسه ما دام رسنه مرخى وجبله على
غاربه ملقى قبل ان ينفذ أجله وينقطع عمله . ولا يفرنك ان الله وسع عليك
سلطانك وكثر خدمك وأعوانك وسوى لك البلاد وملكك أمر العباد فان
ذلك مع اقامتك على تعدي الحدود ومخالفة الرب المعبود استدراج من الله
وامهال لا امهال فيوشك ان تثببت بعد هذا عن اجابة داعي الله ان يحل بك
الندم وتزل منك القدم فتلحق بمن غرهم حلم الله عنهم وطول أملهم فزلت
بهم الاقدام فهووا في النار فلا جعلك الله منهم وألحقك بمن رضي عنهم . وما
كان يجب منك ان تتخذ الكافرين أولياء من دون الله وتركن الى موادتهم
ومتابعهم على ما يجلب لك سخط الله . ألم تسمع قول الله تعالى يا أيها الذين
آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم
منكم فانه منهم الآية . وقوله تعالى لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر
يؤاخذون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او أبناءهم الآية . وقوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة الآية .
وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين
أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء الآية . وما هذه المطاوعة لأعداء الله
ومتابعهم على اطفاء نور الله والله تعالى يقول : يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا
فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون
وأنتم تتلى عليكم آيات ، الى ان قال : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق
تقائه ولا تموتوا إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا الآية .
فان كنت ممن ينظر بعين بصيرته ولا يؤثر متاع الدنيا القاني على نعيم آخرته
فتذكر ذلك وانتشل نفسك من احوالك وبادر الى نجاتك وسلامتك من
موقفاتك ونزّم رأيك في عظمته عن أن يراك حيث نهاك او يفقدك حيث
امرك - ودعاك ولا تكثرت بزخرف الدنيا الباطل وملكها الزائل . وأجب
داعينا الذي هو داعي الله ورسوله ومهديه ويكون ذلك بتسليم الأمر لنا

والقيام بواجب طاعتنا والمبادرة الى فعل احد امرين أما جهاد الكافرين وإخراجهم من بلاد الاسلام كصر وغيرها صاغرين مع العمل بكتاب الله وسنة رسوله الامين وإبطال جميع البدع التي احدثتها اعداء الدين وأما السعي في الاجتماع بنا لنقوم جميعاً بنصرة الدين وقطع دابر القوم الكافرين فانك ان بادرت الى اجابة الداعي فزت بالسعادة الابدية وجلبت رضاء رب البرية ، فاجمع عليك ايها الرجل فكرك ودبر امرك واغسل ما جرى منك بدموع الندم وتدارك سلامتك قبل أن تزل منك القدم . واعلم إنا قد فرغنا من فتوحات السودان منذ ازمان وسمت بنا همتنا الى فتح الجهات البحرية والممالك المصرية فان كنت طائماً لأمر الله وتريد الفوز بقربه ورضاه فبادر الى الاجابة فيما طلبناه منك وسلم تسليماً وتكون كريماً علينا فخيماً لدينا ونضرب عما جرى منك صفحاً وتنال منا محبة كاملة وعفواً فان هذا الأمر الذي نحن عليه ديني مبني على هدى من الله ونور من رسوله الأواه ومؤيد من عند رب البرية يحنود إلهية ولا قصد لنا غير اقامة الدين وإحياء ما اندرس من سنة سيد المرسلين ولا نريد مع ذلك ملكاً ولا جاهاً ولا مالاً واعتادنا في قوامه على الله فنه نصرتنا وبه استمانتنا وعليه اعتادنا واتكالنا . فعليك بالمبادرة الى ما دعوناك اليه لتنال رضاء الله وتحظى بالاكرام لديه . وإن اعرضت بعد هذا البيان ... فاعلم ان أمر الله غالب على أمرك وسلطانة فوق سلطانك ولا بد ان شاء الله من وقوعك في اللقبضة . فانظر ايها الرجل بنور بصيرتك قائماً ينفعك مع الله صفاء سيرتك فاعلم ان جميع من تحت طاعتك فذنبه مطوق بك في رقبتهك وها قد انذرتك الى وجهة فلاحك وفوزك ونجاحك شفقة عليك وعلى من يتسب بالطاعة اليك فساعدنا على نجاحك بحسن الامتثال واتبع رضاء الجلال واعلم أن دين الله بلا شك منصور وعدوه قطعاً مقهور فلا تقتر بكثرة عدوك وقوة حصن بلدك فان قدرة الله لا تقاوم وبطشه لا يصادم فارحم نفسك واتق ربك . ومن باب اتباع الأثر النبوي والسير المهدي فقد حررنا هذا الكتاب انذاراً لك من الوقوع في سخط رب الأرباب فامعن فيه نظرك

وأفدت بما يوافق رأيك وليس بعد هذا الانذار إلا الاعذار والسلام على من
اتبع الهدى ، اه .

عجبا لفعل الجهل والغرور في الناس 11

كتبه الى قبائل نجد والحجاز :

كتبه الى قبائل الحجاز : وكتب ايضا الى جميع قبائل الحجاز يدعوم
الى المهدي والجهاد ، ومنهم قبائل قريش وخزاعة ولحيان والحران والمجانين
والصحاف وبشر وزبيد والحجالة وصبيح والحوازم والطواهرة وعوف والهلبة
والصواعق وميمون والدعاجين والمزاميم والزاهرة وهذيل الشام وبنو مسعود
والمطارحة والأحامدة وغيرهم .

تسميته حذيفة بن سعد عاملا على الحجاز : وقد جعل حذيفة بن سعد
كبير الأحامدة عاملا عليهم وكتب اليه منشورا في العمالة بتاريخ ٢١ شوال
سنة ١٣٠٣ هـ ٢٣ يوليو سنة ١٨٨٦ م قال فيه : « ... فلما بالنظر لما بلغنا
من جهتك من خلوص النية وصفاء الطوية وقوة العزم وثبات النفس قد حسنا
بك الظن وأملنا فيك الخير وجعلناك عاملا من طرفنا على قبائل الحجاز كافة
لتدعوم الى الله وتحرضهم على الجهاد فحقق حسن ظننا بك وقم بواجب أمرنا
هذا وابشر بنصر الله وولايته ولا تأل جهدا في جهاد الترك واخراجهم من
جهاتك وقطع دابرهم فانهم قد غيروا دين الله وبدلوا فيه ... وقد حررنا الى
قبائل الحجاز كافة بامثال أمرك ونهيك ما دمت قائما بأمرنا هذا على اتباع
منهج الحق وها هي الاوامر المحررة اليهم واصلة اليك صحبة هذا الامر بمعية
رسولنا اليك الحبيب علي... فان المذكور من اهل الصدق مع الله ومن خاصة
الاصحاب الذين بذلوا ارواحهم لله وحصلت لهم الترية ، وبالنظر لذلك
ولمعرفته بالأحوال من جهة الطرفين احببنا ارساله اليك بأوامرنا لتقوم بواجب
أمرها .

تحشية : أيها الحبيب نعلمك إنا كنا قد حررنا « لعمنان نورين الدين » وإلى الحرمين من طرف الترك بالدعوة إلى الله ويجعله عاملاً على تلك الجهات على شرط مبادرته إلى القيام بأمر المهدي وذلك بناء على ما ورد منه إلى المهدي عليه السلام بالتسليم ورغبة الدخول تحت سلك المهدي واطاعتها ومن حيث كونه من طرف الترك فغير بعيد أن يركن إلى تأثير ملكه فليكن لك علم بحاله فإن عمل بمقتضى أمرنا له بالانسلاخ عن طاعة الترك فكونوا الجميع متوازين على إقامة الحق وعجلوا لنا بالأفادة وإلا فإن كان اعرض عن أجابة الداعي اغتراراً بملكه الذين لا بقاء له فالأذن معك بحصاره وشن الفارة عليه وكل من يأتيك مسلماً منيباً لأمر الله راغباً للدخول في سلك المهدي فآكرمه وأمنه ولا سيما أهل الحرمين الشريفين وبذا لزمتم الحاشية والسلام « اه .

كتابه إلى قريش : وما كتبه إلى قبيلة قريش : « ... فكيف يليق بكم واتم بضعة سلف طاهرين وبقية اخيار بذلوا ارواحهم في نصرة الدين ان تتكاسلوا عن المبادرة لاجابة دعوة المهدي بل المناسب لحاكم حيث انكم بتلك البقاع الطاهرة والأماكن التي لا يليق بها إلا نشر احكام الاسلام واتباع سكة خير الأنام ان تبادروا لاجابة تلك الدعوة الدينية وتبدلوا ارواحكم في طاعة رب البرية ولو أدى ذلك إلى التقطع أرباً أرباً فإنه يسهل في جنب رضا الله عند من رضيه رباً » ... « وقد توسمنا في المكرم حذيفة بن سعد الصدوق وحسن الانقياد للمهدي والاهتمام بأمر السنة الحمديدية فجعلناه عاملاً من طرفنا وأذناه في الجهاد فيلزم ان تنضموا اليه وتوازروه على إقامة الدين وتمثلوا امره ونهيه في طاعة رب العالمين لكن عمالتنا له على شرط اتباع الكتاب والسنة والقيام بأمر المهدي فحزبوه على ذلك ولا يحصل منكم تراخ بعد كتابنا هذا عن شن الفارات على اعداء الله تملأ بضعف الحال فإن امر المهدي هذا مبناه التوكل على الله وهو تعالى قائم بنصرته وخذلان اعدائه بقدرته . وحيثما ان الوجه عليكم ولا بد من بلوغ المهدي إلى جهاتكم فقد

حررنا لكم هذا مقدماً بالانذار فان غلتم بموجبه وتحزبت مع المكرم حذيفة ابن سعد على القيام بأمر المهدي وجهاد من خالف ذلك الى ان يجتمع بكم جيش الاسلام فقد أدبتم الواجب عليكم وإلا فقد وصلكم البلاغ وأمر الدين لا بد من قوامه بقدره الملك الخلاق وفي هذا كفاية لكم ولترد لنا منكم الافادة . والله المسؤول ان يوفقكم والى طريق الحق يرشدكم ، اه .

كتابه الى اهل المدينة : وما قاله لأهل المدينة بتاريخ ٢٣ شوال سنة ١٣٠٣ : ... فمع هذا لا يسوغ لأمثالكم حيث أكرمكم الله بجوار خير الأنام وبدر الظلام ان تكونوا راغبين عن القيام في نصرته سلفه ركونا لهذا الحطام الذي لا يزن جناح بموضة عند الملك العلام بل اللاتق ان يكون مطمح نظركم ومنتهى أمركم الالتفات الى الخير الابدني والنعم السرمدي الذي فيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ... ومن باب حسن الظن بكم ومحبة الخير لكم قد حررنا لكم هذا بالدعوة الى الله فان كانت لكم طاقة بذلك فنبهوا عليكم من تجتارون واتبعوا اشارته وجاهدوا الترك بعد انذارهم حتى يهلكهم الله على أيديكم او تخرجوهم من جهاثكم صاغرين وإلا بأن حسستم بالضعف من أنفسكم ولم تقدروا على مقاومتهم فأنحازوا الى الحبيب حذيفة بن سعد وانضموا عليه وتوازرروا جميعاً على جهادهم فاننا قد حررنا للحبيب المذكور بالامارة على جهات الجهات الحجاز كافة نظراً لما بلغنا في حق المذكور من كمال الصدق مع الله والتسليم لأمر المهدي فكونوا معه ظاهراً وباطناً ان رأيتم الانضمام اليه . وعلى أي حالة فلا بد من اجابة داعي الله والانخراط في سلك المهدي والقيام بجهاد الطائفة الكفرية ابتغاء لآحياء سنة خير البرية وافادتنا عن ذلك هذا والوصية لكم بعد تقوى الله العمل بمقتضى كتابنا هذا فان فيه الكفاية لمن أدركته العناية والسلام ، اه .

تسميته عبد الله بن فيصل عاملاً على نجد : هذا وكان قد كتب الى جميع امراء نجد وسمى « عبد الله بن فيصل بن مسعود » عاملاً عليهم وبعث

اليه في ذلك منشوراً بتاريخ ١١ جمادي الاولى سنة ١٣٠٣ هـ ١٥ فبراير سنة ١٨٨٦ م جاء فيه : ... هذا وليعلم لديك حبيبي ان رسولك الحبيب ... قد من الله عليه بالوصول لساحة الامام المهدي عليه السلام وحظني بزيارة ضريحه وتم مقصوده بمقابلتنا وسماع مذاكرتنا وصار من الاحباب الكرام والأصحاب الفخام وقد ذكر لنا من جهتك ما يشرح الخاطر من مزيد همكم بإقامة الدين وجميل تصديقكم بخليفة رسول الله الامام المهدي عليه السلام وبالنظر لذلك وحسن الظن بكم فقد اخترنا ان تكون عاملاً من طرفنا على عموم جماعتك كافة أمراء نجد وعموم اهاليها على شرط دلائهم على الله وإدخالهم في سلك المهدي والتحزب بهم على جهاد اعداء الله والعمل بكتاب الله وسنة رسوله... وقد فرغنا من فتوحات السودان وتطلعت انظارنا لتجهيز السرايا لفتح جهات الامصار ونحن الآن ان شاء الله شارعون في ذلك بعمون الله ومشيتته وعن قريب يبلغكم فتحها واتساع دائرة الدين فيها فليكن الاجتهاد يا حبيبي فيما أشرنا به عليك وصورة ما تحرر لأهل الامصار البحرية واصلة اليكم طي هذا مع بعض من منشورات المهدي فليكن الاطلاع على ما ذكر والعمل بمقتضى هذا وما في مناشير المهدي عليه السلام وسرعة الرد منكم بما تصيرون اليه . هذا واني اوصيك بما اوصى به رسول الله معاذ بن جبل حيث قال يا معاذ اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجوار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الامل ولزوم الايمان والتفقد في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وإياك ان تسب حليماً او تكذب صادقاً او تطع آثماً او تعصى إماماً عادلاً او تفسد ارضاً . اوصيك بتقوى الله عند كل حجر وشجر ومدر وان تحدث لكل ذنب توبه السر بالسر والعلانية بالعلانية بذلك آدب الله عباده ودعاهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب .

كتبه الى ملك الحبشة :

هذا وكان المهدي قد كتب الى يوحنا ملك الحبشة في سنة ١٨٨٥ يدعوه الى اعتناق الاسلام والمهدية ويحذره من المخالفة فلم يجبه . فلما مات المهدي كتب التعايشي اليه والى خلفه الملك منليك الحالي عدة كتب يدعوها الى الطاعة ويتهددها وقد جرت بينه وبينها وقائع مشهورة يأتي ذكرها في ما بعد مع بعض كتبه اليها .

كتبه الى غرب السودان الاقصى :

كتابه الى الاستاذ محمد المنوسي : وقد اهتم التعايشي كما اهتم سيده المهدي من قبله باستمالة الاستاذ محمد السنوسي اليه للاستغاثة به على فتح مصر فكتب اليه يدعوه الى اعتناق المهدية ويؤاخذه على تقاعده عن نصرتها وبما قال له : ... وبملكك ان المهدي عليه السلام عندما طوق بهذه الجمالة الالهية وأعلن بأمر المهدية اعتنى بشأنك واهتم بأمرك وكتبك اولاً وثانياً بأمرار غيبية وإشارات نبوية للقيام بأمر الدين وإحياء أثر سيد المرسلين وما ذاك إلا لحسن ظنه بك وتوسمه الخير فيك وشفقته عليك وما زال حاله معك طيباً ورضاًؤه عليك مسبلاً وظنه بك حسناً وترقبه لقاءك في الله حاصل الى أن انتقل الى الرفيق الاعلى . ثم نحن كذلك لما رأينا من حال المهدي عليه السلام معك ما زلت منا على ظن حسن وما زلنا نترقب قيامك في الدين وانتدابك لجهاد الكافرين ولكن من عهد ظهور المهدي ومكاتبتك لك الى هذا الآن قد مضت عدة أعوام فضلاً عن الشهور والايام وما أتى من جهتك رسول ولا جواب ولا بلغنا عنك التفات لأمر المهدية ولا استصحاب مع انك لست بالبعيد عن جهة المهدية بعداً يتصور معه عدم بلوغ الدعوة ... ولا بد من ورود الرد منك عن هذا الجواب فانا لذلك في انتظار والعامل مثلك يكفي بأقل من هذا والوصية بيننا تقوى العظم والسلام في ٢٩ شعبان سنة ١٣٠٥هـ ١١ مايو سنة ١٨٨٨ م اه .

قد عهد بإيصال هذا الكتاب الى محمود احمد المغربي وسلمه أمراً الى أبيه
بالمعالة على « أهل المغرب » فذهب تعباً باطلاً .

كتبه الى سلطان ودائي : وكان على دار ودائي في زمن المهدي السلطان
محمد يوسف ابن السلطان محمد شريف ابن السلطان محمد صالح ابن السلطان صالح
العياشي فكتب اليه المهدي يدعوه الى طاعته والقياس بأمره . قيل فسأل
السلطان يوسف الاستاذ السنوسي عن السياسة التي يتخذها مع المهدي فأجابه
السنوسي « اتركه وشأنه ما تركك فاذا دخل دارك فحاربه فانك منصور
عليه بمون الله » فعمل برأيه ولكنه أحب مجاملة المهدي ليأمن شره فكتب
اليه انه مصدق مهادته وتبادل الهدايا وكتب المودة هو ومحمد خالد زقل عامله
على دارفور فبعث اليه زقل بمدفع جبلي مع طويحيته وقنابله. ولما تولى التعايشي
كتب الى السلطان يوسف مراراً يذكره عهوده ويحثه على القيام بأمر المهديّة
وهذا بعض ما قاله له في كتابه الاخير في أواخر سنة ١٣٠٥ هـ : « ... وانك
يا حبيبي على علم من أمر المهديّة وقد كنت بادرت بالتصديق والاذعان لأوامرها
السنية وورد كتابك بذلك للمهدي عليه السلام وحظي لديه بالقبول والاكرام
وتحرر لك منه بالحث على اقامة الدين واحياء الابرار النبوي يحبك بين العالمين.
وكذا مكاتبك وكبراء قومك المحررة منكم ل محمد خالد لما كان بدارفور بعد
انتقال المهدي عليه السلام بأنكم ما زلتم على عهدكم وتصديقكم بالمهديّة وقيامكم
بأوامرها المرضية وانك سترسل شخصاً من طرفك لمقابلتنا وتجديد العهد لك
عن يدنا قد وصلت بطرفنا وفهمناها ولكن من وقت ما كاتبك المهدي عليه
السلام بل من وقت وصول مكاتباتك المذكورة بطرفنا قد مضت مدة ولم
يأتنا منك رسول ولا جواب ولا سمعنا منك بقيامك في المهديّة ظاهراً عملاً بما
تحرر لك في الكتاب مع انتظارنا لذلك وترقبنا لحصول ما هنالك فلما طال
علينا المطال دعانا داعي المحبة لك والشفقة عليك الى مخاطبتك ثانياً فكاتبناك
في تاريخ ٢٣ شوال سنة ١٣٠٤ هـ بحثك على القيام بأمر المهديّة والانتداب
لاحياء السنة المحمدية وعدم انقطاع اخبارك عنا وفتح طريق الهجرة لكل من

يرغب القدوم إلينا وقد مضت على ذلك مدة ولم يأتنا الرد منك وما علمنا السبب الذي دعا لقطع اخبارك عنا بالكلية مع قرب جهتك وموالاتها لحدود المهديّة ... وبالنظر لكونك من المظنّون لدينا بالخير لسابق تصديقك فقد حررنا لك هذا وهو ثالث مكاتباتنا لك فان كنت على حسب ظننا بك وتوسّنا الخير فيك فأول وصوله بطرفك فبادر بإجابة الداعي وقم بتأييد أمر المهديّة بجهتك واحمل من معك على العمل بالكتاب والسنة ومنشورات المهدي عليه السلام وافتح طريق الهجرة لكل من رغبها من المؤمنين واجعل اخبارك متصلة بنا في كل وقت . وكل من أباك فأرأ من المهدي فلا تأوه بجهتك ولا تقبله أياً كان وبالاخص ان كان من القور او العرب بل اضبطه وارسله الى المكرم عثمان آدم عامل المهدي بجهات دارفور ونواحيها بالمحافظة القوية واجعل اخبارك متصلة معه في الله فانك ان فعلت ذلك فقد صرت حقاً من ضمن أعوان المهديّة وكنت منا على بال ومن خواص الاصحاب اهل الكمال وإلا فأنت الجاني على نفسك ولا يسد من قدوم حزب الله لجهتك ويكون عليك إثمك وإثم من معك . من المستضعفين وهذا ما لزم اعلامك به وفيه الكفاية ولترد لنا منك عنه الافادة فانا في انتظار لذلك والوصية بيننا تقوى الله والسلام . اه .

كتبه الى حياتو بن سعيد : وكان المهدي قد أرسل الى « حياتو بن سعيد ابن عمه بلبو سلطان سو كوتو » يدعوّه الى اعتناق المهديّة فأجابه بأنه مصدق دعواه وانه سيجمع قومه ويلحق به . فلما تولى التعايشي الخلافة كتب اليه والى جميع أهالي سو كوتو وملي يخبرهم بوفاة المهدي ويدعوهم الى الهجرة اليه لنصرة الدين وجهاد أعداء الله الكافرين وبما كتبته الى حياتو بن سعيد بتاريخ ١٤ صفر سنة ١٣٠٤ هـ ١٢ نوفمبر سنة ١٨٨٦ م : « ... وفي موسم هذا العيد الماضي وفدت إلينا عمال المهديّة المشاهير من الجهات فوفد إلينا الحبيب عثمان بن دقنه ابن ابي بكر من جهة بوغاز سواكن والحبيب محمد الخير من جهة بربر والحبيب

محمد ارباب من بوغاز القلابات بنواحي الحبشة وأخذوا معنا مدة في المذاكرات ثم وجهنا كل منهم الى جهته . وان شاء الله تعالى يبلغكم فتح الجهات المصرية بقدرة رب البرية إذ الاعداء على فزع شديد وخوف . أكيد من جهة انصار الله المجيد وجميع الاهالي في عموم الجهات المصرية متشوقون للاندراج في سلك المهدي . وقد حضر بطرفنا بعد انتقال المهدي أمة من الناس من الجهات النائية البعض من الهند والبعض من بخارى على مسافة خمسة أشهر من مكة المشرفة والبعض من بني تميم شرق مكة بمسافة عشرين يوماً والبعض من الحبشة والبعض من الرحمنو والبعض من تونس والبعض منهم حسنت تربيته ورجع الى انذار قومه رسولا منا بما فيهم الحبشة قد حسن اسلامهم ورجعوا منذرين الى اهاليهم ودين الله قد تأيد . فعليكم يا حبيبي بالتشفيير في أمر الدين وبذل المهج في تأييده ابتغاء مرضاة رب العالمين وفيما تحرر لكم في الأجوبة التي ارسلت اليكم مع الحبيب محمد العربي كفاية فليكن العمل بموجبها بارك الله فيكم وتولاكم ورعاكم ، اه .

ومما كتبه اليه في ٢٨ شعبان سنة ١٣٠٤ هـ ٢٢ مايو سنة ١٨٨٧ م :
 «... كاتبتك مراراً وألحنا عليك في الهجرة لله ورسوله الى عندنا والى الآن لسنا بصارفين النظر عنك ولا بأس عليك فيما مضى من تأخيرك لأننا تحققنا انك معنور بعدة امور فمنها اولاً من مكاتبتك الواردة الى المهدي عليه السلام مراراً ومن رسولك الحبيب محمد العربي وثانياً من اجوبتك التي وردت الينا اخيراً بعد أوبة المذكور اليكم من عندنا وفيها تعرفون انه وصلكم على السلامة هو والحبيب محمد الامين احمد فالحمد لله على ذلك وكل ما في تلك الاجوبة من حسن اجراءك قد علمناه واستصوبناه لظننا بك انك على هدى ولا ترى إلا مصلحة الدين ولا تقصد غير وجه رب العالمين وغاية الامر اننا في انتظار وشوق اليك فان وجدت بعد وصول هذا لك سبيلاً فبادر للهجرة الينا بنفسك ... اه . وقد كتب اليه مراراً بعد هذا على غير جدوى .

كتابه الى رابع الزبير وفيه خلاصة وقائع المهديّة

الى ٢٢ اوجسطس سنة ١٨٨٦

وسمى التعايشي والمهدي من قبله اعظم السعدي للحصول على رابع الزبير الذي فرّ بجيشه الى الغرب الاقصى سنة ١٨٧٨ م كما تقدم فكتب اليه مراراً قصد ارجاعه الى السودان وضمه الى جيش المهديّة فلم يفلح . ولكن يظهر ان راجعاً اتخذ المهديّة شعاره وراية المهديّة راية له وما زال يتوغل في غرب السودان الاقصى حتى فتح مملكة برنو فأسس فيها ملكاً عظيماً بقى فيه الى ان تغلب الفرنسيّ عليه وقتلوه سنة ١٩٠٠ كما مر .

وهذا اول كتب التعايشي لرابع بحرفه وفيه مجمل وقائع المهديّة من اول ظهورها في أبا الى يوم تاريخ الكتاب في ٢٢ القعدة سنة ١٣٠٣ هـ ٢٢ اوجسطس سنة ١٨٨٦ :

« وبعد فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق الى الحبيب في الله ورسوله المكرم رابع فضل الله كان الله له متولياً وحافظاً وهادياً ووفقه لما فيه رضاه وأدخله في كنف بره وحماه آمين . أيها الحبيب انه بعد السؤال عن كامل احوالك والدعاء لك بشرح بالك فنعلمك إنا بحمد الله وعنايته على احسن حالة وأطيب سيرة جادين في ما نحن بصدد من اقامة الدين وإرشاد عباد الله الى ما يجلب لهم رضاه في كل حين . وقد كنا ونحن بالابيض سنة ١٣٠١ هـ بالنظر لكونك منا على بال ونحب لك الخير والكمال خاطبناك وأخبرناك بأن اعداء الله الترك لما ترايد طغيانهم واشتد فسادهم وعصيانهم وانتشرت ضلالهم بين المسلمين وعطوا احكام سنة سيد المرسلين خيب الله سمعهم ونقص عيشهم بظهور المهدي المنتظر الذي بشر به سيد البشر . وانه عليه السلام ظهر بجزيرة يقال لها أبا من جزائر البحر الابيض ودعا الناس الى الله وخاطب الترك بأمر المهديّة ودعاهم الى رب البرية فأجاب من أسعده الله من المؤمنين وأعرض الترك ومن تبعهم عن داعي الله لشقاوتهم

وضلالهم المبين فجيّشوا جيشهم وحاربوه بالجهة المذكورة فقتلهم الله شر قتلة في اسرع مدة ومع قلة عدده إذ ذاك وضعف امره وكثرة عددهم واستعداداتهم هلكوا على يده ولم ينج منهم إلا النادر الذي فر هارباً ببوابيرهم . وأنه عليه السلام بعد قتله أيام جاءهم الاذن في الهجرة الى جهة قدير وماسة فجيّشوا كذلك جيشاً من جهة كردوفان تحت رئاسة مديرها محمد سعيد لمحاربته ومنعه عن التوجه الى الجهة التي قصدوها على زعمهم الفاسد فألقى الله الرعب في قلوبهم فما استطاعوا الوصول اليه من شدة الفزع مع قريهم منه في بعض الحالات برأى العين وهو عليه السلام في غاية الآثاء والثبات وعدم الاكتراث لهم ثقة بالله واعتصاماً بحبله المتين . وكلما نزل عليه السلام في محطة وتأنى بها انتظاراً لهم يرجعون القهقري عن القدوم فرقاً من صدمته الالهية وهكذا الى ان خرج من جهات مملكتهم فرجعوا فاكسين على أعقابهم . وهو عليه السلام جاد فيما هو بصده فمرض له اهل الجرداة فدعاهم الى الله فلم يقبلوا فناجزهم الحرب فكلوا تحت القبضة وأذعنوا لحكمه وانقادوا لطاعته فأخذ فيما هو فيه حتى حلّ بجهة قدير . فحضر اليه راشد مدير فاشودة بمساكره فأهلكهم الله على يده وشئت شملهم وآل اليه بما كان لهم من الاسلحة والجبّارين وغير ذلك . ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى حضر اليه يوسف الشلالي في جردة عظيمة مؤلفة من جهادية وبازنقر وبحارة وأولاد عرب وعساكر تركية وغير ذلك من الأجناد والاتباع في عدد وُعدده فحين قاربوا أنذرهم وحذرهم فلم يسمعوا غروراً بما معهم من العدد والعدد فقام فيهم بأمر الله فناجزهم الحرب فقطع دابرهم في أيسر مدة واغتتم جميع ما أتوا به من الاسلحة والجبّارين وغير ذلك . ثم بعد ان نشر معالم الدين في تلك الجهات جاءه الاذن في التوجه الى جهة الابيض لانتقاذ من فيها من الظلمات الى النور فخرج في كتائب أنصاره وسار في حفظ الله وأمانه الى ان حلّ بالقرب من بئر الابيض فدعا من فيه الى الله فمنهم من أجاب الداعي ونجا بنفسه ودينه ومنهم من أبى وبقي في الحندق كالأتراك وأتباعهم فحاصروهم حصاراً شديداً واشتدت وطأته « عم » عليهم . فلما ضاق بهم

الحال استنجدوا اهل مملكتهم فحضر لنجدهم عدو الله المدعو ابا كوكه ومعه جردة من العساكر التركية من جهادية وخران وغيرهم فقابلها حزب الله قبل وصولها وقطع دابرها ولم يصل اليهم منها احد وجميع ما كان معها من الاسلحة وغيرها صار تقوية للدين . فلما انقطع رجاؤهم وضعفت قواهم وأشرفوا على الهلاك وصاروا في حيز الهلاك والشتات وعابثوا من صولة حزب الله ما أذهل عقولهم وأرعده فرائضهم انقادوا لحكم الله صاغرين وجميع ما حوته تلك المديرية من الجباخين والاسلحة وغير ذلك آل الى المهدي « عم » وأصحابه في الحين . وانه بعد ان تكامل فتوح جهات كردوفان كافة جيشوا لهم جردة كثيرة العدد متنوعة العدد مؤلفة من نصارى وجهادية وأرانطة وأولاد عرب وأولاد بلد واتباع وقائد جردتهم هذه عدو الله هكس ومعه الحكدار . ومن حين وصولهم في جهات الدويم وشروعهم في القيام تعين حزب الله لمقابلتهم ومناوشتهم وحصرهم عن الرجوع القهري فأحاطهم حزب الله بالأماكن الى ان أوصلهم بحمة شيكان بنواحي البركة فقابلهم المهدي « عم » بباقي أنصاره هناك وقطع دابرهم في أقل من ساعة فلكية ولم ينج منهم احداً ما عدا نفرأ قليلا أخذوا أسرى وجميع ما أتوا به من الأسلحة والجباخين صار تقوية للدين الله . وانهم في جميع وقائعهم المذكورة تحرق النار أجسامهم عياناً اول خروج الأرواح من ابدانهم ومبداها من محل طعنة الكيس وذلك اظهاراً لحقيقتهم وتمجيلاً لعزيمتهم الى آخر ما سطرناه لك آنفاً قبل هذا مستوفياً من الاحوال والأخبار والدعاء الى الله العزيز الغفار وما ندرى هل وصلك ام لا .

« وما نحن على حسب ارادتنا الخبر لك واعتنائنا بشأنك نفصل لك ما جرى بعد ذلك من الأحوال وما حصل للدين من الاتساع والتأييد من ذي الجلال ليكون مدركاً لديك ومحسباً لك او عليك فنقول لك ايها الحبيب انه بعد ان نصر الله دينه في مواطن كثيرة وعز جنده وقوى شوكة اهل الاسلام وفل شوكة أعدائه اللثام وجاء عباد الله من جهات شتى وفوداً وفوداً داخلين في دين الله افواجاً افواجاً مشاةً وركباً جعاةً ووحداناً وهم لا

يحصون في كل حالاتهم كثرة طفق « عم » يجهز السرايا للجهات التتائية فجهز سرية لجهات دارفور وفتح مدائنها وسرية لجهات الجزيرة وحصار مدينة الخرطوم وسرية لجهات بربر وفتح مديتها وهكذا نشر سراياه في الجهات البعيدة لدعوة العباد الى طريق الرشاد . ولما أزمع عم على الهجرة الى جهات البحر لقطع دابر من بغى بها من أعداء الله التتاك وجّه جملة سرايا لدعاية أهالي جبل الدائر وانضمامهم الى حزب الله والقيام بأمر الدين فلوا رؤوسهم اجابة داعي الله واغتروا بحصانة جبلهم وشدة حمايته ووعورة طرقه وغفلوا عن قدرة التي لا تقاوم وبطشه الذي لا يصادم فعند ذلك تاجزهم حزب الله الحرب وشنوا عليهم غارات بأسهم وعلت راياتهم على رأس جبلهم فالانوا شديدهم وقتلوا صناديدهم وأنخنوهم ضرباً وطعناً واستأصلوهم قتلاً وأسرأ وصيروهم عبرة لمن اعتبر ومقنعاً لمن اختبر وأزلوهم من صياصيصهم صاغرين وأقامت الجيوش يجهلهم أشهرأ حق اجلوهم عن دورهم وصيروا أماكنتهم بلاقع . وهكذا الى ان حضر الاذن بهجرة المهدي « عم » الى نواحي البحر فخرج من الابيض ونزل بالرهد حيث اجتمعت عليه الجيوش وهم في كثرة لا يحصى عددهم إلا الله ووردت الأخبار من بعض الجهات بفتح كثير من المدائن كبربر وغيرها . ثم زحف المهدي « عم » من الرهد الى جهة البحر يجهلهم لا قبل بها للعدى ولا يدرك عددها إلا رب السماء وتراكت حتى ضاق عنها الفضاء وأريت على عدد الحصى بل كانت جيوش متواصلة وأنصار متزاحمة يتلو بعضها بعضاً وقد أعدوا من اليقين بالله والاستغراق في حب الموت في سبيله ما لا يكاد يوصف . ومعهم فوق ذلك آلات حربية من خيول ولبوس ودروع وأسلحة ثارية وغيرها ما لا يحصى وهم جادون مع مهدي الله « عم » من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله الى ان نزلوا بالقرب من مدينة الخرطوم ووجدوا من كان قبلهم من الانصار وأهالي البلد عاقدين عليها الحصار فترقت الجيوش لحصار تلك المدينة من جوانبها الثلاثة أي الجانب الغربي والشرقي وجانب الهوي وشنوا الفسارة عليها من كل الجهات بالضرب وشدة

الحصار . ومن ذلك فالأنصار الذين بالجهة الغربية شدوا الوطأة على أعداء الله فحالوا بينهم وبين عساكرهم المقيمين بخندق إم درمان بالغرب وعملوا المرساة والطواوي اللازمة ما بين الجهتين لضربها كلتيهما والبوابير الحارية بالبحر وانقطعت المواصلات بين الققرتين وجرت في أثناء ذلك محاربات شديدة حتى انكسرت شوكة الأعداء وداخلهم الرعب الشديد وضاعت عليهم السبل وتقطعت بهم الأسباب فعند ذلك خرج عساكر ققرة إم درمان مسلمين منقادين لأمر الله . ثم التفت جنود الله إلى المدينة الكبيرة وهم في أثناء حصارها إذ ورد الخبر بحضور أعداء الله الانكليز زاعمين أنهم يلحقون الخرطوم قبل فتحها لينجسوها السرية الكافية لمقابلتهم على الطريق وانحزم الأمر على اقتحام خندق الخرطوم فافتحهم حزب الله من جهة الهوي وقطعوا دابر من فيه في أقل من ساعة وفي الحال قطع رأس العدو الله التوردون وحمل إلى المهدي « عم » ضحوة يوم الفتوح . وكذلك الأنصار الذين بالجهة الشرقية اقتحموا الخندق المحفور بالجهة المذكورة وقتلوا من فيه من أعداء الله وفاز الدين بالنصرة وجنده بالظفر . وداخل أعداء الله الانكليز الرعب الشديد والخوف الذي ما عليه من مزيد فحفروا لهم ثلاث ققرات بالقرب من حلة المئمة موالية البحر . ودخل بعضهم في وابرين وأتوا ليختبروا أمر الخرطوم في ثالث يوم الفتوح فوجدوا أنصار الدين قد تبوأوها داراً وابتدروهم بالقاء الجلل والسواربخ عليهم من كل جهات الخرطوم والمقرن وام درمان وتوتي فجدوا السير هارين نحو جماعتهم . فبعد ذلك تعينت اليهم الجيوش الكافية لقطع دابرهم فعندما سمعوا بقدومها خرجوا من ققراتهم ليلاً وفروا هارين جادين السير نحو جهة دنقلة بطريقهم التي أتوا بها بعد أن طرخوا كثيراً من مثقلاتهم بالبحر فاقتفى الأنصار أثرهم إلى محل يقال له أبو طليح على مسافة يوم في الخلاء من جهة المئمة فلم يدركوهم لتمكن الرعب من قلوبهم وسرعتهم في السير . فعندما وصلوا يجهات دنقلة خائبين تنازلوا عن حرب السودان وجدوا في السير إلى بلادهم فرعاً من كفاح أنصار الله . ثم تعينت الجيوش الكافية لفتح جهات سار . وفي أثناء حصارها وقبل

فتحها انتقل المهدي عم الى الرفيق الأعلى حسبما هو مبين في الكتاب الواصل اليك طي هذا . وما زال أنصار الله بعد انتقاله « عم » جادين في ما هم بصدد من أمر دينهم حتى فتح الله على يدهم مدينة سنار المذكورة ومدينة كسلا والجيرة ، وبعضاً من مدائن الجهات الشرقية . وبحمد الله وعونه قد اتسعت دائرة الدين وكثرت أجناده وأنصاره وجميع جهات السودان الآن صارت تحت طاعة المهدي مباشرة اقامة السنة المحمدية في طمأنينة وأمان وخيرات حسان .

« وقد تواتر وفود عباد الله علينا من الجهات القاصية والأماكن النائية مهاجرين رغبة في دين رب العالمين ومحبة في بذل الروح لله ابتغاء مرضاته في كل حين . فمن ذلك انه قبل انتقال المهدي « عم » ، وبعده حضر اليها جماعة من المهاجرين البعض من مكة المشرفة . والبعض من المدينة المنورة . والبعض من الهند . والبعض من بخارى على مسافة ستة أشهر من مكة المشرفة . والبعض من نجد على مسافة عشرين يوماً منها ايضاً . والبعض من تونس . والبعض من استنبول . والبعض من الرحنو والجبرته والبعض من المكادة بما فيهم أسرى وكلهم قد أخذوا البيعة عنا واندرجوا في سلك الاصحاب وصاروا من أنصار الدين . والبعض منهم قد كملت تربيتهم وتنور قلبه وحررتا المكاتبات الكافية اليه والى أهالي جهته لدعوتهم الى الله ووجهناه اليهم رسولا من طرفنا وباقهم معنا على أحسن حالة مرضية من الجهة الدينية .

« وبوغازات السودان كافة مشحونة بالأنصار فبوغاز دنقلة فيه الحبيب عبد الرحمن النجومي ومعه من الجيوش أهل الهمة والعزم ما فيه الكفاية لقطع دابر أعداء الله وأولهم الآن بنواحي وادي حلفا والأعداء في غاية الفزع والجزع من جهتهم ومقتصرون على حفظ جهاتهم البحرية وفي كل يوم يتصورون هجوم الانصار عليهم ولا بد من حصول ذلك عن قريب بمشيئة الله . وبوغاز ابي حمد فيه الحبيب محمد الخير بجميع جيوش أهالي بربر والجميلين والرباطاب وغيرهم من القبائل التي يكثرون عددها والأعداء ايضاً في غاية الفزع من جهتهم

والمحافظة على أنفسهم . وبوغاز سواكن فيه الحبيب عثمان دقنة ابن ابو بكر يجميع جيوش والأعداء كذلك في غاية الجزع من جهته وكثيراً ما أفنى جموعهم في وقائع كثيرة يطول شرحها . وبوغاز المكادة فيه الحبيب يونس الدكيم يحيوش لا قبل للعدى بها والأعداء ايضاً في غاية الفزع من جهتهم وكثيراً ما يطلبون الصلح خوفاً من سطوة الانصار اذ قد حصلت لهم معهم مناوشات كثيرة ووقائع خطيرة هلك منهم فيها جم غفير وهدم الأنصار لهم كنائس قديمة وكسروا ما فيها من الصلبان . وبالجملة فجميع جهات السودان من بوغازات وجبال وغيرها مشحونة بالانصار . وعلى ذلك فنحن جادون في تجهيز السرايا وتسفيرها لفتح جهات الامصار وعن قريب يصير فتحها بمون الله القهار . والأخبار الواردة اليها من جهتهم تفيد ان جميع الأهالي راغبون في الاندراج بسلك المهدي اول حلول جيشها بتلك الجهة والأعداء كافة تركوا وغيرهم على وجل شديد من جهة الانصار وخصوصاً الانكليز فقد تنازلوا عن مصر وتركوا حمايتها للترك وقد داخل الترك من جهة المهدي رعب شديد وفزع أكيد، وقد اطلعنا على وقائع المطبوعة فعرفنا منها جاهلهم وخشيتهم من جهة حزب المهدي . ولما بلغنا من أحوال اهل الجهات البحرية وحال أهالي الجهات الحجازية فقد حررتنا لكل من أهالي الجهتين الانذارات الكافية والتبشيرات الوافية بالدعوة الى الله والانخراط في سلك طاعة مهدي الله والقيام بجهاد أعداء الله وبعثنا اليهم المحررات وها هي صورها واصله اليكم طي هذا للاطلاع عليها والاسترشاد بما فيها .

« وقد اجتمع للدين من القوة والعدد ما يكثر عدده فعندنا الآن من صنف المدافع ما ينيف على مائة مدفع فضلاً عن كثير من الاسلحة المتنوعة من صنف الرامنتون وغيره والجباخين والبواير وعددها ثمانية فضلاً عن الكبكات والمراكب المعدة لأهبة الأنصار . ومع هذا كله فاعتمادنا في نصره الدين على الله لا على هذه العدد وان كانت مطلوبة بحسب امثال قوله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم الآية » .

« وما نحن أيها الحبيب اعتناء بك قد بسطنا لك الاخبار على سبيل
الاجمال والاختصار ولو أردنا ان نستقصي لك كل ما جرى لضاع عنه النطاق
واستعس الاوراق. وحاصل الامر ان عناية الله بأنصار دينه وأصحاب مهديه
صيرتكم في غايه لا تدرك ونهايه لا تستدرك ولا غرو فإله غالب على أمره
ومتم نوره بتأييد حزيه . فافهم ذلك أيها الحبيب بقلبك السليم وبأدر الى ما
فيه نجاتك وفوزك بالثواب العظيم واعلم انك منا على بال كبير ونحب لك ما
نحب لنفسنا من الخير الغزير وما دعانا الى بسط الاحوال اليك إلا مزيد
شفقتنا عليك ورغبتنا في ان تفوز بنصرة الدين كما فاز أصحابك وأقرانك من
السابقين فصاروا الآن في حالة يغبطون عليها وحازوا رضاء الله بأعراضهم عن
الدنيا وما لديها ولا شك انك ان بادرت الينا بمد ذلك يكون لك ما لهم
وتنال من الخير ما لا يكون في حسابك وفي هذا القدر كفاية لأمثالك
والله المسؤول ان يوفقك للالتفات الى ما فيه الخير » والمبادرة الى الهجرة
الينا ، انه جواد كريم .

تحشية : « أيها الحبيب ان الاسلحة النارية التي استحوذت عليها المهديه
كثيرة جداً ولا يمكن حصرها الآن بالدقة ومن باب الجزر والتقريب فصنف
البنادق ما بين رامتون وأبي روحين وأبي لفته وخشخان يزيد عن مائة الف
بكثير وغالب ذلك رامتون . وصنف المدافع ما بين الكروب والجبلي
والمترىز واوردي وبلبل وكبس ينيف على مائة مدفع كما اشرنا . وصنف
الصواريخ كذلك كثير . وهذه الاصناف منها ما هو بمدينة المهدي عليه السلام
تحت الطلب ومنها ما هو بأيدي الانصار في السرايا وجميع البوغازات مشحونة
منها بما فيه الكفاية . وأما البوابير الموجودة فهي وابورات بوردين والصفافية
والاسماعيليه والفائسر ومحمد علي والمسلمية والتوفيقية وهذه تحت خدمة الدين
وقد اضحناها لكم بأسمائها القديمة المعروفة عند اعداء الله الترك . ووابور
الطاهرة وهذه أسمائها المهدي عليه السلام لأن الاعداء صنعوها ايام الحصار
وعند تمامها وقبل دخول عدو الله الفردون بها حصل الفتح ودخل فيها

المهدي عليه السلام ولم يسبق دخول احد من اعداء الله بها فلذا سماها الطاهرة وهي وابور عظيم جداً وكان عدو الله الفردون قصد الهروب فيها بطريق النحر وسماها الزبير ولم يمكنه الله من ذلك وأهلكه لسابق شقاوته . وبقية البوابير قد تكسرت في محاربة الانصار فمنها وابور تل حوين كسرهما الانصار يجهة ود رملي . ووابور النصورة كسروها يجهات شندي . ووابور عباس كسروها يجهات وادي قر حين هرب فيها عدو الله استورت وكيل الفردون بالبوسنة وقتلوه هو ومن معه هناك . ووابور الحسينية غرقها الانصار قبالة ام درمان في اثناء الحصار . وأما وابور شين فهي الآن بالخرطوم تحت التصليح . والانصار جماعة الحبيب محمد الخير الذين اخبرناكم في أصل هذا الجواب بأنهم في بوغاز ابي حمد فطائفة منهم يجهات المرات قريبة من كورسكو وكذلك بعض من امراء المهدي يجهات عربان الريف شارعون في جمع الجيوش هنالك . وجماعة الحبيب عثمان دقنه الذين ببوغاز سواكن منتشرون بنواحي عتباي الى الملاحة من الجهة المذكورة . وبحمد الله فالدين كل يوم يزيد اتساعاً ويعلمو مناره ارتفاعاً والأعداء في وجل شديد وخوف ما عليه من مزيد ولمزيد افهامكم بالأحوال لزم الالحاق في تاريخه والسلام ، اه .

وكتب اليه مع هذا ايضاً كتاباً آخر ذكر فيه بعثة صديقه حمدان ابي عنجة الى جبال النوبة وما أوتيته من الظفر هناك مما سنأتي عليه في ما بعد وذكر له اسماء سائر اصحابه وأقرانه الذين نصرروا المهدي قال :

« ... والذين مع الحبيب حمدان المذكور من الاخوان احبابكم وأهل معرفتكم فهم الحبيب النور عنقرة والحبيب السيد جمعة مدير الفاشر سابقاً والحبيب الزاكي ولد طنبل والحبيب بلبل فاقور والحبيب ولد فرح والحبيب ابو بكر ولد الحاج والحبيب عبد الرسول عمر والحبيب ابّو ولد محمود والحبيب ام بددي ولد حمدون والحبيب عبد الرحيم ولد ابي دقل والحبيب ابراهيم المليح والحبيب عبد الحميد الشايفي والحبيب البشير الياس ام بربر والحبيب عمر الياس وهم الذين حضروا لنا من معارفك معه وغيرهم من

الجيش والأمراء ومن لم نعرفهم بكثير جداً لا يستقصى عددهم في هذا الخطاب. وأما الذين معنا منهم بمدينة المهدي عليه السلام لمساعدتنا في خدمة الدين فهم الحبيب حمدان ولد حمد والحبيب السعيد صغير ولد أحمد وهذا من المأزمية أبناء البيت والحبيب موسى ولد تاي الله والحبيب الحسن أخوه والحبيب عبد المولى صابون والحبيب عبد القادر سلاطين مدير عموم دارفور سابقاً والحبيب عبد الله لبنن المسلماني مدير بحر الغزال سابقاً وهذا معين بالترسانة لإصلاح البوابير نظراً لما له من الدراية التامة بذلك والحبيب صالح الملك الشايقي والحبيب محمد حامد جفون والحبيب الياس أم بربر وغير ذلك من الاحباب الذين لهم الدراية بمعرفتك . ومع ذلك فبيان الحال الواقع على ما هو عليه من كمال التأييدات الالهية والوقائع المهدية لا يمكن ان تسعه هذه الاوراق وعند حضورك ستري مما هو فوق ذلك ما يسر خاطرك ويقر عينك وتطلع من ذلك على ما لا يكون في حسابك هذا ما لزم ويعدده السلام، اه . وأرسل له مع هذين الكتابين عدة منشورات ورواتب .

الفصل السادس

في

وقائع السودان الغربي

سنة ١٨٩١ م

حمدان أبو عنجة وجبال النوبة سنة ١٨٨٧ م :

غزو جبال تقلي : تقدم ان المهدي وجّه ابا عنجة في أواخر فبراير سنة ١٨٨٥ ييحيش كثيف لغزو جبال النوبة فاتى اولاً جبل الدوري من جبال تقلي ودعا اهله الى الطاعة ولما لم يجيبوه أشعل فيهم ناره و فرقهم في بطون الاودية والكهوف وغنم ماشيتهم وغلّاهم . ثم تقدم الى جبل كراية كرسي مملكة تقلي أيام الملك آدم ود دباله المار ذكره وكان فيه البعض من ذرية الملك المذكور قرأوا ضعفهم بجانب قوته فسلموا له فضمهم الى جيشه . وقصد جبل تكم وهو جبل شاهق صعب المرتقى فوجد اهله مستعدين لمحاربتة فحاربهم اياماً حتى ظفر بهم وأسر ملكهم . فمات في الاسر . وتوجه منهم الى جبل الكجاجة وهو جبل مرتفع حصين وأهله سبع طوائف على كل طائفة ملك فاتفقوا كلهم على قتاله فحمل عليهم وقهرهم واتخذ جبلهم دليلاً له . ثم دخل

بلاد الكواليب فتجمعوا له في جبل دري فحاصروهم اياماً حتى دأبوا له فاستولى
 « على جميع ما ملكته أيديهم من غلال ومواشٍ مع ٣٠٠ رأس رقيق و ١٢٠
 بندقية » وعاد الى ديمه في جبل الكجاجة وقد قتل من جيشه ٢٥ رجلاً
 فيهم عمر بن الملك آدم .

غزو الحوازمة : ثم تفرغ الى عرب الحوازمة المنتشرين في اودية تلك
 الجبال وسهولها وكانوا هم الذين أغروا اهل الجبال بالتحزب عليه فدعاهم الى
 الهجرة الى ام درمان فأخذوا يحاولونه ويخادعونهم فتلطف لهم حتى ظفر
 برؤوسهم فجردهم من ما لهم فكان ما غنمه منهم « ٢٧٠٠ بقرة و ٥١ حصاناً
 و ٢٠٠ رأس رقيق » .

غزو جبل قدير : هذا وكان قد بعث بجماعة من أصحابه الى جهات جبل
 قدير لجمع الغنائم فقام اهلها بقيادة الملك بوش وقتلهم عن آخرهم فخرج
 عليهم بنفسه وقاتلهم اياماً فنكل بهم واكتسح بلادهم وعاد الى الكجاجة .
 فوجد ان اولاد ملوك تقلي قد نقضوا العهد وجمعوا جموعهم في جبل شندورة
 وصاروا يشنون الفارة على ديم الكجاجة فانتقل بالديم الى جبل كراية
 وسط بلادهم وجرد عليهم السرايا وما زال يتبهم في المعازل والجبال حتى
 ظفر بهم وقتل منهم نحو ١٠٠ رجل بالسيف فدانت له جميع البلاد من سهول
 وجبال عرب ومجوس وكانوا قد غنموا كثيراً من الاسلحة النارية من واقعة
 شيكان فاتوه بها من انفسهم . وقدموا له ما عليهم من الزكاة والفقرة وهم
 صاغرون .

كردوفان والامير محمود

سنة ١٨٨٧ م :

حادثة جهادية الابيض : تقدم ان المهدي قبل خروجه من الابيض لغزو
 الخرطوم استعمل عليها ابن عمه محمود عبد القادر فبقي فيها نافذ الامر والنهي

تاريخ السودان

حتى مات المهدي واستدعاه التماشي الى ام درمان لتجديد البيعة عليه فلبى الدعوة وحضر الى ام درمان في اوغسطس سنة ١٨٨٥ . وكان جيشه في الابيض مؤلفاً من نحو ٣٠٠٠ من العرب و ٣٠٠ من السود وأكثر هؤلاء أسرى من رجال الجيش المصري فكان محمود يرفق بهم نظراً لما يعمده فيهم من حب الحرية وعدم تحمل الضيم فلما غاب أساء العرب اليهم ولم يحسنوا سياستهم فشقوا العصا واجتمع عليهم اخوانهم السود فبلغوا نحو الف رجل فحملوا على العرب وقتلوا منهم جماعة ونهبوا بعض المنازل وساقوا نساءهم وأولادهم وخرجوا من البلد علانية وما زالوا سائرين حتى أتوا جبل النام من جبال النوبة فجمعوا احدهم علي يوسف رئيساً عليهم ورفعوا الراية الخديوية وصاروا يحلفون برأس « افتدينا » ومن حلف باسم المهدي سهواً جلدوه ٨٠ سوطاً. وبالغزوا في التحفظ على الذخيرة حتى جعلوا قصاص المفرط بها القتل.

عزل محمود وتولية عثمان آدم مكانه؛ ولما بلغ الخبر ام درمان طلب محمود الى الخليفة ان يأذن له في الرجوع الى الابيض لمطاردتهم . وكان الخليفة يهتم كثيراً لغرب السودان لأنها بلاده وحامية ظهره وقد ودَّ اخراج الاشراف منها على الخصوص وجعلها بيد اهله الاخضاء فسمى عثمان آدم الملقب بجنانو من أعزّ اهله عاملاً على الابيض وقال لمحمود « ان مصلحة الدين تقضي بتركك الابيض واللعوق بعبد الرحمن النجومي في دنقلة » . وكان محمود رجلاً نحيفاً اصفر اللون خفيف الشاربين واللحية وكان قبل المهدي تاجراً قيل فلما ظهر المهدي ذهب اليه والمصحف في يده وقال له اني رجل أمتي لا أعرف القراءة ولا الكتابه فاحلف لي على هذا المصحف ان دعواك هذه على حق فحلف له فقام بنصرته وهو يثق انه ينصر الله ورسوله ومهديه وكان عادلاً في أحكامه صادقاً في أقواله وأفعاله متقشفاً في مأكله وملبسه . فلما جاء ام درمان رأى اموراً كثيرة مغايرة لمبدأ المهدي فنصح الخليفة بها فلم يسمح له ثم عزله عن منصبه كما مرّ فسأه جداً انقلاب الحال وانخفاض سلطة الأشراف الى هذا الحد فقال لأصحابه « الموت يعد هذا خيراً من الحياة » .

قتل محمود في ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨٥ : ثم استأذن الخليفة في العودة الى الابيض لجلب عائلته فأذن له فأتى الابيض ولم يدخلها بل نزل تحت شجرة ظلية في ظاهرها وبعث الى الأنصار فيها يقول من أحب الموت في سبيل الله فليتبني فتيمة نحو الف رجل فصار بهم حتى أتى جبل النافد فدعى الجهادية الى الطاعة. ولما لم يجيبوه حمل الراية بنفسه واقتحم رصاصهم غير مبالٍ بالموت فقتلوه وقتلوا جماعة من أنصاره وهزموا الباقين الى الابيض وكان ذلك في ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨٥ م .. ووصل عثمان آدم الابيض بعد ذلك بقليل وسنعود اليه . ويذكر اهل السودان انه لم يس اليوم الذي قتل فيه محمود حتى بدأت النجوم تتساقط في الجو تساقطاً عجيباً ودامت كذلك الى آخر الليل .

هذا وكان الخليفة حالما علم بمجاذبة الجهادية يبعث الى ابي عنجة يأمره بمراقبتهم حتى كلما ظهر بواحد منهم وضع الشعبة في رقبتة وأرسله مخفوراً الى ام درمان . فلما بلغه خبر محمود كتب اليه ببطارديهم وتلافي أمرهم قبل اتساع الحرق . ثم لم يكن إلا القليل حتى عرضت له فرصة على زقل عامل دارفور وهو من أكبر زعماء الأشراف فكتب الى ابي عنجة بترك أمر الجهادية وموافاة زقل الى كردوفان في الحال واليك البيان :

دارفور ومحمد خالد زقل سنة ٤ : ١٨٨٦ :

تقدم ان زقل استولى على دارفور كلها سنة ١٨٨٤ فعاش فيها ملكاً عظيماً الى ان توفي المهدي فمزق التعايشي على عزله عملاً بقاعدته الاساسية المار ذكرها فاستدعاه الى ام درمان يجيشه وأشار الى رفيقيه الخليفين فكتبوا اليه بذلك ايضاً . بل أمر النجومي وأمراه فكتبوا اليه قبل سفرهم لفتح سنار يقولون : « ... فاذا وصلكم هذا الكتاب فاجمعوا رجالكم مشاةً وركبانا واسرعوا بالحضور كما أمر خليفة المهدي لتبايعوه وتسمعوها مذاكرته وتزوروا ضريح سيد الجميع . ولما أبطل كتب اليه لحضور عيد الاضحى في ام درمان . ثم لما مضى العيد ولم يحضر عاد فكرر الطلب فأدرك زقل ان التعايشي انما يريد تنكيسه

واحتال جداً على البقاء ولكنه لم يرَ بدأ من اجابة الداعي فترك الامير يوسف ابن السلطان ابراهيم اميراً على الفاشر وخرج يحيشه منها في ٧ يناير سنة ١٨٨٦ فوصل بارة في أوائل ابريل من السنة المذكورة ومعه من الأمراء عمر الياس الجملي وعمر محمد خير ترحو الشايقي ومحمد ولد فرح الدنفلاوي الفونجي و ابراهيم المليح الحمري وحسن ام كدوك البرتاوي وحسب الله الماهري وابو جوده فات البرتاوي و آدم عامر السوداني البكبائي رئيس جهادية كبكية ومحمد سليمان رئيس سائر الجهادية وغيرهم . ومعه من الانصار نحو ١٠٠٠ فارس و ٢٠٠٠٠ راجل و ٣٠٠٠ من الجهادية السود وكان التعايشي انما يريد تجريده من الاسلحة النارية والخيول قبل وصوله الى ام درمان خوفاً من اتحاده مع الاشراف عليه بعد وصوله . فلما سمع بخروجه من الفاشر كتب الى ابي عنجة بتاريخ ١١ مارس سنة ١٨٨٦ لموافاته الى كردوفان كما مرّ وتجريده من الاسلحة النارية والخيول وأرسل كتابه هذا مع كاتبه الخاص مدثر ابراهيم ليتأكد وصوله اليه في وقته فسار ابو عنجة لساعته بطريق البركة والابيض قاصداً بارة فوصلها بعد وصول زقل اليها بتسعة ايام .

تجريد زقل وسجنه في ١٨ يونيو سنة ١٨٨٦ : وكان التعايشي بعد ان ارسل جوابه الاول الى ابي عنجة قد جرّد الأشراف من الاسلحة والرايات كما مرّ ورأى منهم علامة الغدر فألحق بأبي عنجة كتاباً آخر بتاريخ ٩ ابريل سنة ١٨٨٦ يأمره بتجريد زقل من الجيش كله وبيت المال فعند وصوله بارة أحاط جيش زقل بجهاديته ثم بعث في طلبه ودفع اليه أمر الخليفة فلم يسهه إلا الطاعة فاستلم منه الجيش ويوم السبت في ١٨ يونيو سنة ١٨٨٦ عند استلامه الخزانة وجد في حساباته بعض المعجز فرماه بالاختلاس وألقى القبض عليه ثم كبّله بالحديد وأرسله الى الابيض فأمر درمان فبقي فيها الى سنة ١٨٨٩ فعفا الخليفة عنه وسماه اميراً على دنقلة كما سيجيء .

قتل جهادية الابيض في اوائل اوغسطس سنة ١٨٨٦ : ولما أنفذ

التعايشي غرضه في زقل كتب الى ابي عنجة في ٢٧ يونيو سنة ١٨٨٦ لمداركة أمر الجهادية قبل استفحاله فزحف بالجيش الى جبل النما محل واقعة الامير محمود فرأى الجهادية قد هجروه وتوغلوا في الجنوب فسار في أثرهم حتى وصل جبل الوطا فبلغه انهم تازلون في جبل السعنا على ٣ ايام جنوبيه ففقد لعبد الله ابراهيم على سرية من الجيش وأمره باللحوق بهم فلما علم الجهادية به فروا ليلا الى « ققرة صباحي على جبل تلك » فلحقهم اليها فثبتوا له وحاربوه حتى قتل رئيسهم علي يوسف ففروا منهزمين فاعترضهم نهر كبير ولحقهم عبد الله ابراهيم فقتل منهم وأسر ٤٠ رجلاً وعدداً كبيراً من النساء والاولاد ثم حزن رأس رئيسهم ورأسى اثنين من زعمائهم وأرسلها الى ابي عنجة فبعث بها الى الابيض فأم درمان فعلقت في السوق اياماً و كان ذلك في اوائل اوغسطس سنة ١٨٨٦ .

هذا وكان عبد الله ابراهيم قبل قتله الجهادية قد سبق أبا عنجة الى جبال النوبة فغزا جبال كودور والكافير في اوائل يونيو سنة ١٨٨٦ فغنم منها ٤٠٠ رأس رقيق و ٢٠٠ بقرة و ٥٥ بندقية . ثم غزا جبال الدائر فنكل بحلتي كمله وسدرة وغنم ٤٠٩ رؤوس رقيق و ٦٠١ بقرة وقتل الملك الباجي وتسعة من اعيانه . ثم بعد قتل الجهادية بين أواخر سنة ١٨٨٦ وأوائل سنة ١٨٨٧ زحف ابو عنجة بالجيش كله فغزا جبال انبرى وتقوي ورشاد والكدوز وغنم منها اشياء كثيرة من نحاس وبارود وكبسول ورساوص ولبوس وشايات وعبايات جوع وقصان مقصبة وطواق حرير وثياب علج وأثواب دمور ونحوها .

رجوع ابي عنجة الى أم درمان في ٢٣ ابريل سنة ١٨٨٧ : ثم لم يلبثه أمر جبال النوبة وجهادية الابيض حتى دعت الحاجة الى ابي عنجة في السودان الشرقي فاستدعاه الخليفة الى أم درمان فأتى الابيض وقسم جيشه قسمين فأرسل قسماً منه بقيادة عبد الله ابراهيم بطريق بارة وقسماً بقيادة الزاكي طمل بطريق الطيارة ثم خرج بن معهم الزوامل في طريق بينهما يوم السبت

في ١٢ مارس فدخل أم درمان بالجيش كله السبت في ٢٣ ابريل سنة ١٨٨٧ .
 وكان جيشه مؤلفاً من : ٨١ راية و ٢٨٢٥١ مجاهداً و ٣١٩٥٥ من النساء .
 والاولاد و ٨٤٨٧ بندقية رمنتون و ١٣٦٠ بندقية ابو لفقة وروحين و ١٠١١
 جواداً و ١٣١ درعاً و ٧٤ من اللبوس و ٢٨١ صندوق ذخيرة رمنتون ومدفع
 و ٥ مدافع و ٥ صواريخ و ٦٣ نقارة نحاس و ٧١ بورتاً و ٣٦ طرنبيطة
 فاستقبله الخليفة احسن استقبال وعين له ديماً جنوبي أم درمان فأقام فيه
 الى أن عيّد الاضحى فأرسله الى القلابات لقتال الحبشة كما سيجيء .
 هذا ولم تلتئم متاعب التماشي في السودان الغربي بانتهاء أمر جبال النوبة
 بل خرج عليه هناك في هذه الاثناء اربعة رؤوس فأقلقوا باله وتهددوا راحته
 مدة فجرد عليهم ووقف لهم معظم اهتمامه حتى ظفر بهم جميعاً وهم : الشيخ
 صالح شيخ الكبابيش في شمالي كردوفان والشيخ مادبو شيخ الرزيقات المار
 ذكره في جنوبي دارفور والامير يوسف ابن السلطان ابراهيم الذي ابقاه زقل
 وكيلاً عنه في الفاشر وابو جيزة في دارتامة .

حركة الشيخ مادبو وقتله في اواسط فبراير سنة ١٨٨٧ :

أما مادبو فقد كان آخر عهدنا به انكساره على يد سلاطين قبل تسليم دارة
 بقليل فلما سلمت دارة والفاشر عاد الى باديته في شكا فكتب اليه الخليفة
 مراراً من الابيض والرهـد وأم درمان للهجرة الى جيش المهدي فلم يجبه ثم لما
 مات المهدي كتب اليه للحضور الى أم درمان لتجديد البيعة على يده وزيارة
 ضريح المهدي ثم طلبه لحضور عيد الاضحى ثم عاد فكرر اليه الطلب بالحضور
 وحده على جواده وحذره من المخالفة فلم يحضر وكان في كل مرة يلتحل عذراً
 او لا يكتب ثم جمع جيشاً من أهل قبيلته وأشهر العصيان فكتب الخليفة الى
 قبائل الرزيقات والهـبانية وبني هلبة فهدر لهم دمه وكتب الى محمد كرقساوي
 عامله على شكا فأرسل جيشاً لمطاردته في رمضان سنة ١٣٠٣ هـ . هذا وكان
 الخليفة قد بعث في طلب كرم الله من بحر الغزال فأخلى البلاد وحضر الى شكا

في محرم سنة ١٣٠٤ هـ اوكتوبر سنة ١٨٨٦ م كما مر . وفي اوائل صفر اخذ جيشه وسار في أثر مادبو فطارده الى قرب الفاشر فلم يدركه فكتب الى الامير يوسف فقبض عليه في الدور قرب جبل مرة وأرسله الى كرم الله فأرسله كرم الله الى كرقساوي فبعث به الى أم درمان فاتفق مروره بالأبيض عندما كان ابو عنجة مشغولا في ترحيل جيشه الى أم درمان كما مر ، وكانت لأبي عنجة نار عليه قبل المهديّة لأن مادبو سخره حينئذ في حمل صندوق ذخيرة على رأسه مسافة طويلة ولما تشكى جلده وأهانه فلم مادبو انه لا يلقى رحمة عنده فقال له : « اني لا اطلب منك رحمة بل عدلاً فاني ما كنت أود محاربة المهديّة ولكن مظالم كرقساوي اضطرتني الى محاربتها » فقال ابو عنجة : « ومع ذلك فلا بد من قتلك » فتيقن مادبو من قوله هذا ان لا فائدة له من الاحتجاج وانه مقتول لا محالة فأسلم نفسه لعزتها وقال مخاطباً أبا عنجة : « لست أنت الذي يقتلني ايها العبد الذمير بل الله سبحانه وتعالى يقتلني اذا شاء وأنا ما سألتك الرحمة بل العدل ولكن عبداً مثلك لا يتاح له ان يكون شريفاً فان كان قتلي يبرد غليلك ويبرئ الدبرة (النذبة) التي في رأسك (من حمل صندوق الذخيرة) فلا بأس من قتلي ولكن اعلم انه كيف جاءني الموت يحيدني رجلاً صنيدياً ثابت الجأش قوي الجنان فاني انا مادبو والقبائل تعرفني » . فانتهره ابو عنجة وأمر بإرساله الى السجن ، وفي اليوم التالي أمر فمقلوه وقطعوا رأسه فأرسله الى الخليفة في أم درمان فمقله في الجامع من صلاة الصبح الى صلاة الظهر .

حركة الشيخ صالح الكباشي وقتله في ١٧ مايو سنة ١٨٨٧ :

وكان في جملة الذين دعاهم التعايشي مراراً للهجرة الى أم درمان بعد موت المهدي فلم يلبوا الدعوة الشيخ صالح كبير مشايخ الكباشيش فصمم الخليفة إذ ذاك على الفتك به فكتب الى رؤوس الكباشيش فهدر لهم دمه وكتب الى النجومي في دنقلة فسد طرق الشمال في وجهه فجعل سرية من انصاره بقيادة

مكين النور في العقب وأخرى بقيادة احمد الطيب البصير وعثمان ازرق في جهة عيلوي وأخرى في عين حامد ولد تنكل وكتب الى عثمان آدم عامله على كردوفان فمنع بيع الحبوب لأهله الكبابيش من كردوفان ليهلكهم جوعاً وأرسل سرية من الانصار لمطاردته . فطاردوه في بادية الكبابيش من منهل الى منهل حتى ظفروا به حياً في عين حامد ولد تنكل وذلك في ١٧ مايو سنة ١٨٨٧ فقتلوه وقطعوا رأسه وأرسلوه الى الخليفة فعلقه في الجامع وجرّد عربيه الكبابيش من إبلهم وأموالهم ونكل بهم تنكيلاً شنيعاً .

اسر نوفل التماسوي في ١٦ ابريل سنة ١٨٨٧ :

هذا وكان الشيخ صالح منذ صمم العصيان يواصل جيش الحدود لمساعدته على التماسي . وفي أوائل سنة ١٨٨٧ بعث بأربعين رجلاً من أخصائه بمئة وعشرين رجلاً الى حلفا لطلب الاسلحة والذخائر فجهز له الجيش ٢٠٠ بندقية رمنتون و ٤٠ صندوق ذخيرة وغيرها من الاسلحة والهدايا . وفي هذه الاثناء جاء الى اسوان خوجال دفع الله التاجر الجملي المشهور فوجد فيها تاجراً نمسواً يدعى نوفل وأخبره أن في كردوفان صفماً كثيراً بثمن بخس جداً او بلا ثمن ، وكان نوفل جاهلاً حال السودان وال دراويش واغتر بالربح فعزم على الذهاب الى كردوفان فأتى القاهرة ورأى الجنرال ستفنسن قومندان جيش الاحتلال فأخبره بمزمه فحذره من سوء العاقبة ونصحه بالعدول عن رأيه ، ولما لم يقبل النصح أخبره بعرب الشيخ صالح الآتين لأخذ الاسلحة ، فاستأذنه في الذهاب معهم فأذن له وأعطاه كتاباً الى الشيخ صالح . فخرج هو وجماعة الشيخ صالح من حلفا في ١ ابريل سنة ١٨٨٧ فوصلوا سليمة في ٧ من الشهر المذكور فاستراحوا فيها اياماً ثم استطردوا السير الى صحراء الكبابيش وكان خبر جماعة صالح والقصد الذي جاؤوا لأجله قد وصل النجمي من بعض اياديه فأرسل عليهم محمد حمزه ومعه ٦٠ رجلاً فالتقاهم في الطريق بين البطحاء وسليمة ضحوة يوم السبت في ١٦ ابريل سنة ١٨٨٧ فبادرهم القتال فقتل منهم

عشرة رجال وأمر ٤٣ نفساً وفيهم نوفل وغنم ما معهم من الاسلحة والذخيرة وأتى بالجيش الى النجومي في دنقلة فأرسل النجومي نوفل الى الخليفة في أم درمان وكتب اليه في تفصيل الواقعة بما نصه :

« وبعد فمن عبد ربه عبد الرحمن النجومي الى سيده وسنده ووسيلته الى ربه خليفة المهدي « عم » الخليفة عبد الله خليفة الصديق نصر الله بوجوده الاسلام وعق بسيف قهره رقاب الكفرة اللثام آمين. سيدي بعد ان اهدي لحيا طلعتم أوفر السلام ومزيد التحيات الفخام أبدي ... اني سبقت فأخبرت جنابكم بالبوسطة الماضية بأن عدو الله المخذول صالح الكباشي أرسل جماعة من قبله الى أعداء الله الكفرة لاحضار السلاح والجبخانه منهم ليستعين بها على حرب الانصار ... فخرج اصحابه بالاسلحة والجبخانه من حلفا في ٧ رجب كما حققه لنا الحبيب محمد احمد هاشم في كتابه ففرزنا في الحال ٦٠ رجلا من الانصار وجعلنا عليهم الحبيب محمد حمزة رئيساً وأمرناهم بالتوجه الى منهل اللقية في طريق الاربعين على سبعة ايام منا ليتربصوا به للمذكورين فلما وصلوا البطحاء مسيرة يوم من رباط الحبيب مكين النور واربعة ايام من اللقية سقوا رواحهم وملأوا رواياهم اذ لا ماء منها الى اللقية ثم استطردوا السير الجمعة في ٢١ رجب . وفي ضحى السبت ٢٢ منه صادفوا عربان المخذول صالح وعبيده الحاملين الاسلحة والجبخانه فبادروهم باطلاق الرصاص وانتشب القتال بين الفريقين مدة ٣ ساعات ثم حل الانصار عليهم حملة صادقة فقتلوا منهم عشرة وأسروا الباقي ومم ٤٣ نفساً فأتوا بهم الينا وفيهم رجل نصراني من دولة النمسا يدعى نوفل خرج معهم من قيعر حلفا مرسلا من أعداء الله الانكليز الى عدو الله صالح للنظر في ما عرضه عليهم بكتبه والاطلاع على حال جيوش المهدي . وفيهم سرية للنصراني المذكور وعبد عارف بالخط قال انه تابعه . وجميع ما أحضره المذكورون. وقع في يد الانصار وهو من الاسلحة ٢٠٠ بندقية رمنتون و ٤٠ صندوق جبخانه و ١١ طبنجة ذات ستة ارواح و ٤ بنادق بروحين وبضائع غير الهدية المرسلة اليه من أعداء الله الموضحة بالكشف الملصق

بكتائبهم له المرسل طيه لطرف السيادة للعلم بما حواه... وقد وعدوه بكتائبهم انه متى وصلت هذه الرسالة اليه فاذا أرسل رسله يزيدونه أسلحة وذخائر... وقد وجد بشنطة النصراني كتب وخارطة بلسان الانكليز وهي واصلة لقراءتها هناك بواسطة من له إلمام بلسانهم... ومن جملة الأسرى اولاد العرب اولاد هوال... ومنهم علي ولد الأمين الذي سبقت فعرضت عنه لسيادتكم بأنه توجه الى اسوان بناء على طلب الأعداء له وانه طلب لأجل توصيل هذا النصراني الأسير الى عدو الله صالح والرجوع اليهم بأخبارهما. وقد عاد الينا الحبيب محمد حمزة وانصاره وهم على احسن حالة ولم يصب منهم احد في الواقعة يرح. وعند استنطاق الأسرى اتضح لنا ان جميع عبيد المخذول صالح من أكبر المفسدين ولا ثمة للدين في بقائهم فحكنا بعد استشارة الاخوان بقتلهم قهراً لسيدهم المخذول وارهاباً لغيرهم فحفرتنا شقاً في ارض السوق فقتلناهم عنده ودفناهم فيه. أما اولاد هوال وغيرهم من عرب الكبابيش فقد رأى معشر الاخوان ان الصواب عدم قتلهم ترغيباً لأهاليهم الذين مع المخذول في الدخول في الدين اذ لو سمع أهاليهم بأنهم قتلوا زادوا نفوراً عن الدين فكلناهم بالحديد ووضعناهم في السجن الى ان يصدر أمر السيادة في شأنهم... أما النصراني نوفل فها هو مرسل الى سيادتكم لتجروا ما يوافق بشأنه... وأما الأسلحة والجبخانة فهي محفوظة عندها... والسلام في ٢ شعبان سنة ١٣٠٤ هـ ٢٦ ابريل سنة ١٨٨٦ م اه.

وبقي نوفل في أسر التعايشي ثارة في السجن وثارة خارجه مقيداً بمكينة في رجليه الى ان فتحت ام درمان وكان اذ ذاك في السجن فأخرج منه وعاد الى مصر.

دارفور والامير يوسف ابن السلطان ابراهيم سنة ٦ : ١٨٨٨

تقدم ان زقل لمساخرج من الفاشر سنة ١٨٨٦ أبقى الأمير يوسف ابن السلطان ابراهيم اميراً عليها. فلما رأى هذا انه جالس على كرسي آبائه

وأجداده ارتاحت نفسه الى منصبه وعقد النية على حفظه والاستقلال به .
 لذلك لما جاءه كرم الله مطارداً مادبو ألقى القبض عليه وسلمه إياه كما مر
 أملاً بسرعة خروجه من بلاده . فلما رآه قد استقر في دارة صمم على اخراجه
 منها بالرضى او بالرغم فرفع الامر اولاً الى الخليفة فأحسن بالغرض الذي يرمي
 اليه يوسف فكتب اليه في ١٠ فبراير سنة ١٨٨٧ يؤيد كرم الله على دارة
 ويقول : « ... والحال يا حبيبتنا ما دام ان امر المهدي ديني لا منافسة فيه
 وانت والامير كرم الله اخوان في الدين فلا يليق بكما إلا الهابة والاتفاق على
 ازالة كل ما لا يرضي الله ... فيلزم بوصول كتابنا هذا اليك ان تتفق مع
 الحبيب كرم الله وتطلب منه المساعدة وهو كذلك وقد حررنا اليه بمثل ما
 حررنا لك والسلام » . فسأ يوسف تأييد الخليفة لكرم الله وبعث برجاله الى
 دارة فأكرهوه على تركها . وفي ٢١ فبراير سنة ١٨٨٧ م كتب كركساوي
 أخو كرم الله الى الخليفة يقول : « ... ان الفور قد شرعوا بالفساد وأعادوا
 الى البلاد نظام حكومة آباءهم السابقين فسموا بالحكام بالملوك والشرافي وسموا
 الجهات بالحواكير وأطلقوا على اميرهم يوسف اسم السلطان وصاروا يسمون
 عليه سلامهم على سلاطينهم السابقين ويقبلون الارض بين يديه وقد جاهروا
 بشرب الخمر والتبناك ومشوا سكارى في شوارع الفاشر وارتكبوا غير ذلك
 من البدع والمنكرات ... » .

فأتم الخليفة جداً لهذا الخبر وأخذ يتلطف في السعي للحصول على يوسف
 فكتب اليه أولاً ان يحضر الى أم درمان مع بعض اعوانه لتجديد العهد على
 يده والتبرك بزيارة ضريح المهدي ثم يعود الى الفاشر ، وكرر الطلب مراراً
 بصور متنوعة فأجابه يوسف بعدم مقدرة على اجابة دعوته نظراً « لما وقع
 بين رجاله ورجال كرم الله من الخلاف ولأن أعوانه المطلوب حضورهم معه
 متفرقون في الجهات لتسكين الحركات » .

عثمان آدم في دارفور سنة ٨٧ : ١٨٩١

فتيقن التماشي ان السياسة لا تتجع فيه فكتب الى عثمان آدم

عامله على كردوفان فجهز جيشاً عظيماً وسار به قاصداً الفاشر بطريق شكا .
فضم أنصار كرم الله وكرقساوي الى جيشه وأبقى كركساوي محافظاً على
شكا ، وسار يصحبه كرم الله قاصداً دارة فالتقاء جيش يوسف قبل وصوله
اليها فهزمه في واقعتين ودخل دارة .

قتل الامير يوسف في يناير ١٨٨٨ : وكتب الى الامير يوسف يدعو الى
الطاعة ، ولما لم يجبه زحف بجيشه عليه فخرج الامير يوسف بجميع انصاره
والتقاء في وادي بيرة قرب الفاشر واقتتلا قتالاً شديداً فلم تكن ساعة حتى
انهزم الامير يوسف ودخل عثمان الفاشر . وقد قتل ليوسف في هذه الواقعة
اخوان ومها ناصر وعباس ، وأما هو ففرّ بباقي انصاره الى جبل مرة فأرسل
عثمان آدم بعض الانصار خلقه قطاردوه حتى ادركوه في وادي عزوم فقتلوه
وحزوا رأسه وأتوا به الى عثمان في الفاشر فأرسله الى الخليفة فعلقه في السوق
وكان ذلك في يناير سنة ١٨٨٨ .

هذا وكان قد وقع في أسر عثمان آدم في الفاشر جماعة من أمراء الفور
وفيهما تاج الدين ابن بنت السلطان محمد الفضل فأمر عثمان بقطع رأسه ، فلما
شرعوا في شذ وفاقه قال لهم : على مَ الوثاق ؟ إينذوا لي أن أصلي ركعتين
فأذنوا له فصلى ثم جاء الى عثمان آدم فجثا أمامه وألقى يديه الى الارض ثم
نكس رأسه وقال : افعلوا بي ما شئتم ، فضربوا عنقه بالسيف . تبأ لهم !

الامير ابو الخيرات : ثم ان الذين سلموا من امراء الفور ، ولوا أبا الخيرات
اخا الامير يوسف سلطاناً عليهم وبثوا الدعاة في أكناف البلاد لاستنفار الأهلين
الى القتال .

حركة ابي حميرة وانطلاقها سنة ٨ : ١٨٨٩ :

وفي هذه الأثناء ظهر في الغرب في دار تامه رجل فقيه يدعى ابا حميرة
ادعى انه خليفة عثمان وانه قام لفتح طريق الحج التي سدّها التعايشي وكان
اهل الغرب خصوصاً حائقين لسدّ هذه الطريق فاجتمعوا على ابي حميرة من

كل فج من برقو وبرنو ومساليات وقامه وترجم واستقور وزغاوه وبني هلبة والقرعان والبديات ورتقا . وكانت ذلك طبق مرام ابي الخيرات فانضم اليه بأنصاره فأصبح ابو جميزة في جموع كثيرة فزحف بها على الفاشر . وكتب الى التعايشي في ١٧ نوفمبر سنة ١٨٨٨ يعلمه بظهوره فتأجابه التعايشي بتاريخ ٢٤ ديسمبر من السنة المذكورة بما نصه بعد البسلة :

« وبعد فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق الى الشخص المدعي خلافة عثمان بالغرب . اما بعد فنعملك ان جوابك المحرر لنا بتاريخ ١٣ ربيع الاول سنة ١٣٠٦ هـ (١٧ نوفمبر سنة ١٨٨٨ م) وصل بطرفنا وما سطرته به من انك على اتباع الكتاب والسنة وسكة المهدي « عم » وانك خليفة عثمان وقد بايعتنا على السمع والطاعة في الأمر والنهي الى آخره فهم لدينا . ونقول لك أما من خصوص قولك انك على اتباع الكتاب والسنة وسكة المهدي « عم » مع ما انت عليه من الجاهرة بالعداوة لحزب المؤمنين والاعراض عن اجابة داعي رب العالمين فهو زور وافتراء وكذب على الله واجترأ فانك قد خالفت أمر الله ورسوله ورفضت العمل بالكتاب والسنة واتباع سكة المهدي « عم » بمحاربتك لأنصار دين الاسلام واصحاب مهدي الله الكرام الذين شامدوه وبايعوه وبذلوا أرواحهم في نصرته وشيدوه ... وأما قولك أنك خليفة عثمان فهذا ايضاً مع تلبسك بما انت عليه من محاربة الله ورسوله ومهديه ومحاربتنا وإثارة الفتن التي قال فيها رسول الله ﷺ الفتنة ثأمة لعن الله من أيقظها محض زور وافتراء على الله وفجور فان من كان متصفاً بخلافة عثمان « رضه » على الحقيقة لا يكون بهذه المثابة بل يكون مقتفياً لآثره وسالكاً لمنهجه . وهل بلغك ان عثمان « رضه » جرّد سيفه على مسلم او سعى في الارض فساداً او حارب احداً من اصحاب رسول الله ﷺ في زمان ابي بكر الصديق او في زمان عمر الفاروق او في زمانه هو ... وأما قولك انك قد بايعتنا على السمع والطاعة في الامر والنهي فان كنت صادقاً فيما ذكر فقد صرت ببيعتك هذه تحت أمرنا ونهينا وفي حيز

اشارتنا فيازمك الوفاء بذلك عقداً وعلا قولاً وفعلًا بنصّ قوله تعالى وأوفوا
 بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها الآية . ولا بد ان تسأل
 عن تلك البيعة بين يدي الله كما أخبر سبحانه بذلك في قوله تعالى وكان عهد
 الله مسئولاً وها نحن قد أمرناك أمراً جازماً وعزيمة مؤكدة بالاقلاع عما انت
 فيه وان تتوب الى الله توبة نصوحاً مما ارتكبته من عظم الفساد ومحاربة رب
 العباد فاعمل بأمرنا هذا ولا تحرك شيئاً او تسكنه من الآن فصاعداً إلا باذن
 منا حيث علمت وجود طاعتنا عليك من كتب الله تعالى ولا تقدر على محاربة
 احد أياً كان ولا سيما اصحاب المهدي « عم » المعينين بأمرنا الى اصلاح العباد
 وإزالة الفساد ودعوة الخلق على الدخول في طاعة المهديّة تحت رئاسة عاملنا
 المكرم عثمان آدم في الجهات الغربية ان كنت على طاعتنا كما ذكرت . وان لم
 يكن لما ذكرته من مبايعتك لنا والتزام طاعتنا صحة ولا عزم من قبلك فاعلم
 انك رجل قد غرّك الشيطان حتى سلك به سبيل الهوان فتدارك نفسك قبل
 القوات وتلاف سلامتك قبل الممات ولا يسوّل لك شيطانك انك تقوم بمحاربة
 المهديّة ويزين لك ذلك حتى يوقعك في ورطة الهلاك ويتبرأ منك وتبوء بسخط
 رب البرية والعياذ بالله فان أمر المهديّة هذا من الله ورسوله وما تصدئى احد
 لمحاربتة إلا خذله الله وقطع دابر وشتت شمله ودمر أمره فاعتبر بالمعرضين
 قبلك كيف أهلكهم الله ودمرهم أجمعين ولا تغرر بما سئل لك من الاستدراج
 والسهال فان ذلك من عادة الله مع أمثالك في مبدأ أمرهم ثم يأخذك اخذ
 عزيز منذر ... ففرق من معك من جموع الفساد وانصرف لطرفنا منيلاً لأمر
 رب العباد لننظر في أمرك ونرشدك الى طريق فلاحك ونهرك وإلا بأت
 كنت لم تزل على سعيك في الارض بالفساد والبنى والساد فوالله أكبر عليك
 الله أكبر عليك ! الله أكبر عليك ! ولا بد بمشيئة الله بعونه من وقوعك في
 القبضه أينما كنت وحيثما توجهت وفي هذا كفاية لمن كان من اهل العناد والسلام
 على من اتبع الهدى ٢٠ ربيع آخر سنة ١٣٠٦ هـ ٢٤ ديسمبر سنة
 ١٨٨٨ م ٤ هـ .

هذا وكان عثمان آدم لما علم بظهور أبي حمزة جهز عليه جيشاً بقيادة الأمير محمد بشارة فعاد منهزماً فأرسل عليه جيشاً آخر فانهزم كالاول فاضطرب الخليفة من ذلك ومدّ عثمان بالرجال . وتقدم أبو حمزة يحيوشه الجمرارة قاصداً الفائر فأصابه الجدرى فمات في الطريق . قيل وقد سمي أبا حمزة لأنه كان يقبل تحت حمزة كبيرة في دار ثمة .

واقعة ساغة في ٢٢ فبراير سنة ١٨٨٩ : وخلفه اخوه ساغة فقاد الجيوش وسار حتى نزل بمحل يدعى مجدوب على ٤ ساعات جنوبي الفائر فبرز عثمان آدم الى لقائه في ارض مكشوفة بظاهر الفائر . وفي يوم الجمعة في ٢٢ فبراير سنة ١٨٨٩ زحف عليه ساغة يحيوش لا يحصى عددها وقد صاحبها النساء والاولاد فسدت الأفق لكثرتها . وكان جيش عثمان اربعة ارباع على كل ربع أمير وأمرأه الارباع : محمد بشارة والحكيم موسى وعبد القادر دليل والمطا أصول فوقفوا كلهم صفاً واحداً كل ربع على حدة والفرسان عن الجناحين وصبروا حتى صار ساغة على بعد مرمى الرصاص ففتحوا افواه البنادق وامطروا عليهم من الرصاص ما حصدهم حصداً فامتلات الارض من قتلام وما زالوا مهاجمين حتى اختلطوا بجيش عثمان والتحم القتال بالسيوف والحراب فما لبث جيش ساغة في الملحمة حتى انهزم وأسلم نساءه وأبنائه للأسر وتبعه انصار عثمان فرساناً ومشاة يقتلونه في كل جهة بقية ذلك النهار ، وقد قتل ساغة وكثير من رؤساء جيشه وتفرق الباقون أيدي سبا . وحزّ عشائ رأس ساغة ورأس وكيل ابن السلطان سلاً وأرسلها الى الخليفة في أم درمان فعلقا في السوق وأرسل مع الرأسين كتاباً بتفصيل الواقعة قال فيه :
و... أما الأعداء فلما لم يجدوا سبيلاً الى الخلاص تحول بعضهم قردة وبعضهم ذئاباً وبعضهم ارانب وغزلاناً . وأما الانصار فقد رأى بعضهم ساعة الحرب رايات بيضاء بأطراف خضراء في الهواء . ورأى بعضهم سوراً عظيماً كهيئة الجبال تازلاً من السماء على الأعداء . وسمع بعضهم صوت أم يابه سماعاً محققاً لا شك فيه ... ١

قتل ابو الخيرات : وأما ابو الخيرات فإنه فرّ بن بقي من اتباعه الى جبل مرة فبقي فيه الى ان ثار عليه عبيده اوائل سنة ١٨٩١ فقتلوه وذهبوا الى الفاشر مسلمين .

عثمان آدم ووداي : هذا وكان عثمان آدم بعد قتل الامير يوسف قد شرع في تتبع الرؤوس الذين نصره فكتب الى السلطان يوسف سلطان وداي يسأله ألا يأوي احداً من العصاة الفور في داره فكتب اليه السلطان يوسف يخادعه بكتاب مؤرخ في ١٨ اوغسطس سنة ١٨٨٨ هذا نصه بعد البسلة :

نقش خاتم السلطان في أعلى الكتاب : ملك السلطان محمد يوسف ابن السلطان محمد شريف ابن السلطان محمد صالح ابن السلطان صليح العباسي سنة ١٢٩٣

« انه من عبد مولاه اللطيف السلطان محمد يوسف ابن السلطان محمد شريف عامل المهدية بالديار الوداوية - الى امير الامراء ونخبة الوزراء عامل المهدية بعموم الجهات الغربية مولانا الامير عثمان آدم حفظه الله. من بعد اهداء السلام وإسداء التحية والاحترام اللائقين بعالى المقام قدم الينا رسلكم مسعود وحسن ورفيقاها وكنت لدى حضورهم خارج البلد لأجل الصدقة والزيارة للوالدين لما أوجب الله لهم من الحقوق علينا ... فلما بلغني خبر رسلكم تركت بعض شؤوني وقدمت لملاقاتهم يوم الاحد في ٣ الحجة فاجتمعت بهم في الاثنين ٤ الحجة فبقراءة كتابكم اشرح الصدر بعد ضيقه وانسرّ خاطر بعد «صفوقه» والله الحمد على ذلك . وليكن في علمك حبيبي انه لو كانت الدنيا تقدم لدامت لمن قبلنا وأمر المهدية لا يخفى حتى على غير العاقل حتى الاطفال الذين لا حساب عليهم ولا عقاب يتمنون زمن المهدي وحضوره . ونحن لأول وهلة ساقطنا السعادة الازلية الى مبايعته وأخذ العهد عليه وكيف ينكت العاقل وعده وينقض عهده ولكن الوشاة وهم شياطين الإنس الذين تحشاهم شياطين الجن لفقوا الاكاذيب ونشروها في الناس فأقلقوا البلاد والعباد . هذا ومنذ مجيء

رسولنا اسحق ونحن متجهزون في ردّ كتبكم الواردة الينا معه فجاءت الاخبار المرجفة وشوشت علينا وما خطر ببالنا انه يصدر من حضرتكم ما لا يليق بها كما اتضح لنا بكتابكم المرسل الينا صعبة رسلكم ولذلك حررنا هذا مقدماً لتقفوا على حقيقة حالنا وبعد العيد بيومين او ثلاثة نبعث لكم رسلكم ومعهم رد الكتب المبعوثة لنا من الاحباب ومن حضرتكم . ومن الآن فصاعداً ان شاء الله تجري المواصلّة التامة بيننا وبينكم حسب اشارة خليفة المهدي «عم» وهو ذخراً يوم العرض والزحام . وكذلك انت ايها السيد لا تسمع كلام الوشاة ولا تصغ لتسويلاتهم فانهم قوم بهت ... وليكن في علمك ايها الحبيب ان الاحباب عبد القادر دليل وحامد مجبور والعطا اصول خاطبوني بشأن العصاة وادريس القمرائي فأجبتهم بأنك خاطبتني انت من قبل في شأنهم وقد شرطت على عمالي بأن يردوا كل مخالف حتى الفورائي مع انه تربى عندها لم نقبله امثالاً لأمركم . وأما ادريس القمرائي فانه ارسل إليّ رسولاً وهو بدار زغاوه اطارييف دارنا فرددت له رسوله وحلفته بالله وبمحمد رسول الله وبالمهدي والخلفاء ألا يدخل داري فاني لا اقبله ومن يومئذ ما بلغني خبره والذي بلغني قبل هذا انه متوجه بطريق الفيزان وقد اشترت عليهم ان يكتبوه ويخالفوه ليطمئن فمضى الله ان يهديه ويدخله في قبضتكم ولأجل المعلوماتية حررت لكم هذا وسيأتيكم مع رسلكم شرح ما هو لازم تفصيلاً ونرجوكم المساعدة في التقصير والسلام ٧ الحجة سنة ١٣٠٥ هـ .

وكتب عثمان آدم الى الخليفة يسأله عن السياسة التي يتحداها مع ملك وادي (برقو) فأجابه بتاريخ ١٦ شعبان سنة ١٣٠٦ هـ ١٧ ابريل سنة ١٨٨٩ م « ... أما البرقائي فلا تدخلوا داره وخاطبوه بالكلام اللين وأخبروه بأن خليفة المهدي لم يأمرني بدخول دارك وانه في انتظار رد ما تحرر اليك منه اذ لم يزل ظاناً بك الخير وحذروه من ان يأوي محارباً للهدية فمضى الله ان يهديه ... »

فلما أقام ابو جيزة في دار تامة تبعه كثير من اهل برقو وغيرها من اهل

الغرب كما مرّ فصمم عثمان على فتح بلاد الغرب الى عاصمة وداي فخرج من الفاشر بجيش ينيف على ٣٦ ألفاً أكثرهم مسلحون بالبنادق وسار حتى أتى أم دخن من بلاد المساليت فتفتش في جيشه مرض د اب دم ، ففتك به فتكاً ذريعاً فاضطر ان يرجع على عقبه الى الفاشر وما زال المرض يفتك بالجيش حتى هلك نحو ثلثيه وامتلأت الطرق من الجثث وأصيب عثمان آدم نفسه بالمرض في الطريق فحملوه على عنقريب الى الفاشر فمات بعد وصوله بقليل وذلك في يوم الجمعة ١١ صفر سنة ١٣٠٨ هـ ٢٦ سبتمبر سنة ١٨٩٠ م . وكان مريوع القامة نحيف البدن اسمر اللون على وجهه اثر الجدري وكان كثير الدهاء شجاعاً في الحرب ميالاً الى التخشن وقد حزن الخليفة لموته . وكان قد سماه عاملاً عاماً على الغرب كله أي على كردوفان ودارفور وشكا فأرسل محمود احمد ابن عمه عاملاً على الغرب مكانه فوصل الفاشر الاثنين في ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٨ هـ ٢٦ يناير سنة ١٨٩١ م وكان من أمره في دارفور ما سنبينه في محله ان شاء الله . وأما كرم الله وأخاه كرقساوي فقد دعاها الخليفة الى ام درمان فلبيا الدعوة قبل ذلك بزمان ولنا في الآن الى ما كان من اخبار السودان الشرقي :

الفصل السابع

في

وقائع السودان الشرقي

سنة ١٨٩١ م

وقائع القلايات والحبشة سنة ١٨٨٩ :

عمالة محمد ود ارباب على القلايات : تقدم ان محمد ود ارباب احتل القلايات بعد خروج الحامية المصرية منها بخمسة ايام أي الخميس في ٥ مارس سنة ١٨٨٥ . ونزل النور ود فقراء مع جماعة من أنصاره في مبارك الله على الاتبرة وصار يشن الغارة على حدود الحبشة والاحباش لا يحركون ساكناً حتى ظهر رجل من قطاع الطرق يدعى اخاج علي عاث في الحبشة والتجأ الى القلايات فكتب الراس عدار الى محمد ود ارباب يسأله ارسال الحاج علي مغفوراً الى الحبشة ولما لم يحبه زحف بجيش كبير ومعه صالح بك علي ود فقراء في تبارك الله فقتل من جيشه نحو ٥٠٠ رجل وشتت شمله كل مشتت . ثم انقلب في اليوم التالي على القلايات فقتل محمد ارباب وجيشه وأحرق القلايات وعاد بالغنائم والأسرى الى الحبشة وذلك في اوائل يناير سنة ١٨٨٧ .

عمالة يونس الدكيم على القلايات : فلما بلغ التعايشي الخبر اضطرب جداً واهتم للأمر ، اذ القلايات ثغر حصين في صدر الحبشة وحفظ السودان يقضي بحفظه مسدوداً ، فجهز جيشاً عظيماً وعقد لواءه ليونس الدكيم من أخص أقاربه وأرسله عاملاً على القلايات في ١١ مارس سنة ١٨٨٧ فجاهها بطريق القصارف فوجد فيها رجلاً يدعى سكرأ من جماعة محمد ارباب كان قد جمع شتات جيش ود ارباب المذكور وأقام بالقلايات الى ان وصل يونس فعزله . وكان قد وفد الى القلايات بغض تجار الحبشة فألقى يونس القبض عليهم وأرسلهم مخفورين الى ام درمان فأدخلهم الخليفة في دين الاسلام وبايعهم وعفا عنهم ثم أرجعهم الى يونس ليجعلهم مع الانصار او يرسلهم الى أهلهم ليبشروا بسطوة المهدي . هذا وكان المهدي قد كتب الى الملك يوحنا ملك الحبشة يدعوه الى اعتناق الاسلام والمهدية ويحذره من المخالفة ومما قاله له :

... غير خاف عليك ما حصل لأعداء الله التارك من القتل والأسر وتخريب ملكهم وكذا ما حصل لأعداء الله الانكليز من القتل وتمكن الرعب من قلوبهم حتى صاروا كلما عزمت على التوجه لجهة تجمعهم يفرون هارين لغيرها وهكذا ينسحب الامر على من خالفني من اهل الكفر بحول الله وقوته لأنني مؤيد من عند الله بالملائكة الكرام وبالأولياء وبمؤمني الجن وموعود من عنده ايضاً بالنصر والقلبة على كل من يعاديني ولو كان الثقلان الجن والانس فافهم ذلك . واعلم اني قد استعقلتك وشكرت صنيعك وظننتك بالخير فيما صنعت من ارسالك الرسل الى عاملتنا على جهة القلايات محمد ارباب والتاسك لتحرير غطابة منا اليك بحقنا ببيان ما نحن عليه فان فعلك هذا انما يصدر من العقلاء الذين يطلبون الحظ . وبناء عليه قد حررت لك هذا الكتاب اجابة لطلبك ورغبة في هدايتك ومحبة لا يصال الخير لك ودعوتك فيه الى الاسلام فأسلم تسلم يؤتلك الله أجرك مرتين وتفوز بخير الدارين وتغنم أجر صحبتنا وتكون مكرماً عند الله ورسوله وعندنا . وحيث ان الله سبحانه وتعالى قد أكرمك بحضورك هذا الزمن النبوي بظهوري فيه خليفة لنبينا

محمد ﷺ حقاً فكان كسلفك النجاشي رضي الله عنه فإنه لما أكرمه الله بحضور زمن نبينا محمد ﷺ آمن به وصدق وآوى إليه أصحابه ولم يمنعه ملك الدنيا من اتباع الحق لما جاءه فقال من النبي ﷺ غاية الأكرام ولما مات رضي الله عنه ببلده صلى عليه النبي ﷺ وهو بالمدينة اظهاراً لشرفه ورفعة لمكانه ووردت في حقه أحاديث كثيرة وقصص عجيبة تنبئ عن علو شأنه عند الله تعالى بسبب اتباعه لنبينا محمد ﷺ وعدم اكترائه بملك الدنيا الفاني وأرجو الله الذي أحضرك هذا الزمن المبارك أن يجعلك وارثاً لمقام سلفك المذكور باتباعي ويخرجك من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ويزيل عنك ولات الطاغوت ويدرجك في سلك ولاية الكريم انه على ذلك قدير . هذا وليكن في علمك اني على سكة نبينا محمد ﷺ وما قصدي من الخلق إلا دلاتهم إلى الله وإرشادهم لسلك طريقة النجاة ولا اريد بحمد الله ملك الدنيا ولا جاهها ولا مالها الفاني فان انبت إلى الله وسلمت وأسلمت فأبشر بخير الدارين وطب نفساً وقرّة عيناً وستجد منا ما يسرك دنياً وآخرة وإن أبيت إلا الأعراض واستجاب العمى على الهدى والرشاد فاقم عليك ائتك واثم من اتباعك ولا بد من وقوعك تحت يدنا فإننا موعودون بملك جميع الارض التي انت في جزء قليل منها ... سنة ١٣٠٢ هـ .

فلما ارسل الخليفة يونس إلى القلايات كتب إلى الملك يوحنا كتاباً بهذا

نصه :

« وبعد فمن العبد القائم بأمر مولاه في نصرة الاسلام خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق إلى يوحنا عظيم الحبشة . اما بعد فاعلم ان الله عز وجل هو ملك الملوك يؤتي الملك من يشاء ويمز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير والشر والنفع والضر لا إله غيره ولا شريك له يفعل في ملكه ما يريد وله التصرف النافذ في جميع العبيد خلق الخلق ليعبدوه وأرسل إليهم رسلاً ليعرفوه فيوحده وجعل للطبيع الجنة بفضلها وللعاصي النار بعمله وختم الرسالة بعبديه ونجيبه ورسوله وصفيه وولييه محمد ﷺ حين ارسله إلى

جميع الخلق بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً وشرع على لسانه دين الاسلام ونسخ به ما سواه من شرائع الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام . ثم أرسل خليفته الموعود به في الخير الامام المهدي المنتظر ليجدد دين الاسلام ويقيم شعائره بين الأنام فدعا الناس الى اقامة الدين وإحياء شريعة محمد سيد المرسلين ﷺ وأجاب دعوته من فاز وسعد وأعرض من شقي وطرده . ولما اني خليفته عليه السلام القائم من بعده في تأييد دين الاسلام فاني أدعوك الى ذلك الدين الحق كما دعا الله اليه في قوله تعالى « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله » . فان شهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله نطقاً بلسانك واعتقاداً في جنانك وأجبت دعوتي وألقيت زمام أمرك طوعاً اشارتي فقد دخلت في حرم الاسلام وألقيت الرشد والفوز والاكرام وصرت أخاً لنا ومناً وإلينا لك ما لنا وعليك ما علينا وتتصل بيننا المحبة في الله وتصدق المودة لله وتكون في أمن وأمان وخيرات حسان . وإن أعرضت عن قبول الاسلام وإجابة الملك العلام فائماً عليك اثمك ويحيط بك مكرك وحينئذ فليكن بعلمك ان تعدي الحدود عاقبت وخيمة وضرورته جسيمة . ونحن قد كنا معك ملاحظين اشارة قول سيد المرسلين : اتركوا الحبشة ما تركوكم ومن ثم فلم نصرح لجيوش المسلمين بغزو جهتك حتى حصل منك التعدي البليغ على ضعفاء المسلمين الذين بالقرب الى بلدك المرة بعد المرة والكرة بعد الكرة بالقتل والأسر والنهب والضرر وصار يأوي اليك كل من يتردد عن دينه من المسلمين كصالح شنقة وعجيل وادريس أبي جن ومضوي ومن معهم من المرتدين . ولما لم يمكن تركها سداً على ذلك الحال وتعين الالتفات الى صدرك عن هذا المجال عيّننا الجيوش الكفاية من الانصار اهل النجدة والحماية الى الاقامة بالثغر الموالي لجهتك صداً لم يتوقع منك . فان كنت تريد رفع المحاربة عنك وعدم غزو جيوش المسلمين لبلدك فأولاً بادر بارجاع جميع الاسرى المسلمين الذين بطرفك من ذكر وأنثى حر وعبد صفي

وكبير باكرام واحترام حتى لا تترك احداً منهم عندك ولو كالغلام . وثانياً
الجماعة الذين ارتدوا وانضموا عليك بكصالح شقة وادريس ابي جن وعجيل
ومضوي ومن معهم ان كانت لهم رغبة في الرجوع لدينهم مستسلمين فاخرجهم
من بلادك وأرسلهم اليينا مكرمين وان كانوا لم يزالوا مصرين على ردتهم
ومختارين الكفر على ايمانهم فخذ اقرارهم بذلك بمقتضى مكتابة منهم بأختامهم
وأرسلها لطرفنا لكي نعدم من جماعة قومك وحزبك وأهل ملتك وجندك .
وثالثاً كف يدك عن التعدي على بلاد الاسلام من الآن فصاعداً . وألزم حدودك
ولا تمد لغيرها يداً . فان فعلت ما ذكرناه لك فاعلم اننا نكف الحرب ولا
ندع جيش المسلمين يدخل بلدك وان اخترت الاسلام والدخول في صحبة
المهدي « عم » فستلقى القبول والاكرام في هذه الدار ويوم القيامة وإن
أعرضت عن كلا الامرين وغرتك ابليس اللعين فلا بد من مناجزتك الحرب
ووقوعك في القبضة بمشيئة الرب لما انا على هدى من الله وهو تعالى ناصرنا
وخاذل اعداءنا ولو كانوا عدد الرمل لا يحول منا ولا قوة بل بحوله وقوته
وتأييده ونصرته . ولا شك أن من ينصره الله فلا غالب له ومن يخذله فلا ناصر
له . وحينئذ فلا تفتقر بكثرة عددك وقوة عددك العاريتين عن معونة الله فان
الله من البطش الشديد ما لو تجلّى به على الجبال لدكت وعلى الارض لرجت .
وهذا ما لزم تحبيره اليك من الانذار وفيه الكفاية لك ان كنت من أهل
الاعتبار وبعد وصوله بطرفك صحبة الرسل الواصلين به لك فلتزد لنا منك
الافادة عنه بما يوافق رأيك والسلام على من اتبع الهدى في جمادي الاولى
سنة ١٣٠٤ هـ مارس ١٨٨٧ م ، اه .

بعوث يونس الى الحبشة : فلم يحبه الملك يوحنا على مطالبه ولا أجاب
كتاباه فشرع يونس في ارسال البعث لغزو الحبشة فأرسل بعثاً بقيادة علي
جيب الى جبل غورة على نحو ٣ أميال من القلايات فغرب كنيسة للآحباش
وغنم وبسى . وأرسل بعثاً آخر على عجيل الحميري الذي نزل بأرض غبطة
على حدود الحبشة فقتل اثنين من اولاده وأخاه وابن عمه ووكيله وبعض

رؤوس الشكرية المتحزبين معه وأسر نساءهم وذرائعهم . وأرسل بعضاً آخر بقيادة عربي دفع الله الى دبرسينة بقصد القبض على صالح فأوقع به وبالأحباش الذين نصره وقتل منهم خلقاً كثيراً وعاد بالأسرى والغنائم الى القلابات . وكان كلما مرّ بحلة من حلال الحبشة قتل من فيها وأحرقها .

عمالة حمدان أبي عنجة على القلابات سنة ١٧ : ١٨٨٩ :

فلما رأى الملك يوحنا تمادي الدراويش في البني أمر الراس عدار فشرع في حشد الجيوش الى غندر بقصد النزول على القلابات وطرد الدراويش منها . وكان يونس لا ينفك يتجسس أخبار الحبشة فلما علم باستعدادهم طير الخبر الى الخليفة . فاهتم الخليفة لذلك ولم يكن عنده قائد يدفع به شر الحبشة افضل من أبي عنجة فأمره بالسفر على جناح السرعة الى ثغر القلابات فخرج من ام درمان يجهز في منتصف محرم سنة ١٣٠٥ هـ ٣ اكتوبر سنة ١٨٨٧ م وسار براً وبحراً الى ان وصل ابي حراز فشرع في ترحيل جيوشه الى القلابات طائفة بعد طائفة لئلا تضيق بها المناهل فأرسل قبساً منها بقيادة الزاكي طمل بطريق القلعة ارانج وآخر بقيادة النور عنقرة بطريق البحر على ان يجتمعا في راشد ثم يتقدما معاً الى القلابات . وفي أوائل نوفمبر سنة ١٨٨٧ خرج ببساق الجيش وسار بطريق البحر والقضارف حتى دخل القلابات بجميع جيوشه في ٢ ديسمبر سنة ١٨٨٧ .

ظهور النبي عيسى في القلابات في ديسمبر سنة ١٨٨٧ :

وفي هذه الاثناء ظهر في القلابات رجل تكرر يدعى آدم محمد البرقاوي ادعى انه نبي الله عيسى وصدّق به عشرة من الامراء وخمسة من العامة في جيش يونس وقد حفظوا الامر سرّاً ليعرضوه على يونس عند سنوح الفرصة حتى اذا لم يسلم به قتلوه . فاطلع ابو عنجة صلى السر بعد وصوله بيومين فاستدعى اليه صاحب الدعوى واستنطقه عن دعواه في مجلس من القضاة

تأريخ السوالات

والامراء فأجابه بكل صراحة وجراحة انه النبي عيسى وسأل أنصاره عن ذلك فأجابوه انه على حق وانهم مصدقون دعواه وثابتون عليها فزجهم في السجن وبعث هو ويونس الى الخليفة يفصلان له خبرهم ويستشيرانه في شأنهم بما نصه بعد البسملة :

« وبعد فمن العبدین الذلیلین العاجزين حدان ابي عنجة ويونس الدكيم الى سيدهما وسندهما ووسيلتهما الى ربها خليفة المهدي « عم » الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق « رضه » آمين ... سيدي انه لقد حدث عنا بمرکز القلابات امر عجيب جلل وهو ان احد المجاهدين المدعو آدم ولد محمد البرقاوي من راية الحاج عبد الله البرقاوي ادعى زوراً وهتاناً انه نبي الله عيسى بن مريم عليها السلام . وقد قام بهذه الدعوى من امد بعيد غير انه لم يظهرها إلا لبعض خواصه الذين يثق بهم سرّاً وأكد عليهم بعدم افشائها إلا لمن يأتمنونه وبذلك أضلّ كثيرين من أعيان السرية الذين أقرّوه على أمره وحالفوه على كتاب الله تعالى وما زال مستمراً على فعله غير مكترث لقبيح عمله وكبير زله حتى تكاثرت ما قد افتراه ووصل الينا خبره من بعض الاصدقاء وذلك في يوم الاربعاء في ١٨ ربيع الاول سنة ١٣٠٥ فبعثنا في طلبه . وقبل حضوره حضر بعض أنصاره عبد الله البرقاوي ومحمد عمر المشهور بأبي القرشي ومهاجر اسماعيل وعيسى احمد والطبيب محمد بن البديري ومحمد احمد ابو ام فضالي الحمري فسألناهم عن الامر فأقروا لدى المجلس المؤلف من جماعة من المسلمين وفيهم نواب الشرع الثلاثة وهم آدم ضو البيت وحامد بلولة وعلي وجميع العمال والنقبا وغيرهم . ثم حضر هو بذاته في المجلس فقلنا له : « أيها الاخ لقد بلغنا بأنك زعمت انك نبي الله عيسى وروح الله فهل ما نسب اليك صحيح أم هي اشاعة كاذبة لا اصل لها » ؟ فأجاب أيها . الاخوان ان ما قد بلغكم حقيقي هو وأنا نبي الله عيسى فان لم تصدقوا بي الآن فلا تصديق لكم بمد هذا ثم قلنا له وما دليلك على ثبوت دعواك فأجابنا بأن الحق عز وجل أخبرني بأني نبي الله عيسى وكذلك الرسول ﷺ فقلنا له ان كان ولا بد من ذلك فاعلمنا في أي زمن

وبأي وقت اجتمعت بخليفة المهدي « عم » وفي أي محل صليت خلفه فان عندنا منه « رضه » اشارات تفهمك بها فان أنبأتنا بشيء منها فورب المهدي « عم » وهذا الكتاب الشريف لنصدقن بك فيما ادعيت . فأجابنا بقوله يا هؤلاء انكم تلوتون الكلام وانني انا عيسى ومالي بغير هذا لكم من جواب فافعلوا ما أنتم فاعلون او خاطبوا في أمري خليفة المهدي « عم » ليعلمكم بحقيقتي فانكم انتم لا تعلمون وواقفه على ذلك وزيره ابو القرشي وغيرهم ممن تقدم ذكرهم وكذلك الطائف احمد وهنون النيل الهباني ومحمد حسين بقاري ومحمد علي البرتاوي وداوود التاماوي وعبد الرحمن ابراهيم البرتاوي وعبد الله جاموس وعثمان احمد المنموس وجميع هؤلاء امراء رايات فحيث أخذنا عليهم غيرة الاسلام وأمرنا بسجنهم جميعاً . ثم أحضرناهم ثانياً وأعدنا لهم السؤال علمهم يرجعون عما هم فيه فما زادوا إلا تصميماً وإصراراً عليه . فسالنا المتلي عن أبيه وأمه ومولده ومنشأه فقال اني من البشر مثلكم واني نبي الله عيسى بلا ريب ولكن ليس هذا أواني وليس لكم معي الآن من قول لأنني للآن ما أنذرتكم وعما قليل ترون صدق ذلك . ولشدة اعتقاد جماعته فيه وتصديقهم إياه كانوا لا يتكلمون في المجلس إلا عن إذن منه فلو سألناهم صدقوا عن الاجابة حتى يأذن لهم فاستأذنه احداهم مهاجر اسماعيل في الكلام فأذن له فقال ان دعوى هذا الرجل صحيحة وانه قبل هذا أخبرنا بأن هذا ليس أوانه . ثم سألنا المدعي عن شأنه في المهديّة فقال نحن وأنتم الآن فيها سواء تحت اشارة خليفة المهدي « عم » وتابعون اليه فعليكم بالايام . وعلامة ستاتيكم الحبشة على جردتين فتفوت الاولى ويأتيكم الدجال في الثانية وهناك ترون العجب من أمري ويتم لكم ظهوري فقلنا له ما شأنك مع خليفة المهدي « عم » فقال ان الخليفة عبد الله والخليفة علي عارفان بأمري وأما الخليفة شريف فلا علم له بي واني الآن تحت اشارة خليفة المهدي « عم » الى الوقت المعلوم . ثم ان مهاجراً المذكور اجاب ثانياً بقوله للمجلس يا أيها الاخوان ان الأنبياء والمرسلين والمهدي عليهم الصلاة والسلام المؤيدين من الله باللائكة

والأولياء والجن والانس فأول تأييدهم لهم هل هو ظاهري أم باطني فأجابه بأنه باطني فأجابه هل لكم من علم في الباطن فقلنا لا فقال هذا تأييده لعبده هذا . وقد طال الكلام وكثر المقال على هذا المتوال فأعدناهم الى السجن فقال بعضهم عند القيام الى السجن لا إله إلا الله محمد رسول الله ان هذا هو عيسى حقاً لا غيره لا نشارك به شيئاً . وحيث سيدي ان هذا من أمم ما يجب رفعه لباب السيادة وان ارباب هذه الدعوى امراء رايات كما سلف ومن الضروري ان تكون عقيدة اتباعهم مثل عقيدتهم . وربما اذا داموا على ذلك او أمهلوا ودام لهم هذا المدعى ان يوقدوا نار الفتنة على غفلة ويحصل الفشل في الدين فقد ثقلناهم الآن بالحديد وتجاسرنا برفع هذا لتصدر لنا الاشارة الكريمة بشأنهم . أما صاحب الدعوى فانه مولود في برقوق وأمه فاطمة بنت خديجه وعمره ٢٥ سنة وهو أمرد لا حجة له ولونه أخضر الى صفرة أعجمي اللسان مفلج الاسنان السفلى مفتوح الوجه مربع القامة متوسط الجثة واسع الجبهة عظيم الرأس ونظر السيادة فيه كفاية والسلام ٢٩ ربيع اول ١٣٠٥ هـ ١٥ ديسمبر ١٨٨٧ م اهـ .

فأتم الخليفة للأمر وكتب الى ابي عنجة في قتل المدعي في الحال وخيره بين قتل الامراء معه والرفق بهم بالاعتصار على سجنهم . وأرسل مع الكتاب أربعة أمناء لتحقيق الخبر فعالما وصل كتاب الخليفة نصب ابو عنجة المشنقة وشق المدعي وأنصاره واحداً واحداً امام الجيش كله وذلك في صباح الخميس في ١٥ ربيع آخر سنة ١٣٠٥ هـ ٣١ ديسمبر سنة ١٨٨٧ م . ثم قطع رؤوسهم وأرسلها الى أم درمان فعلقت في السوق . وكان الخليفة قد ألحق كتابه الاول بكتاب آخر يقول فيه : أما المدعي ووزيره فيقتلان في الحال واما الامراء فان رجعوا عن الدعوى يكتفى بسجنهم وإلا فليقتلوا . فوصل هذا الكتاب بعد الكتاب الاول بثلاث ساعات وعاد الأمناء الاربعة الى الخليفة وأخبروه بحيلة الامر فلم يأسف على قتلهم ونشر منشوراً وزعه على جميع انصاره في الجهات يحذرهم من اتباع اهل الضلالة وما قاله فيه : ... ان شخصاً في

القلابات أعظم الفرية على الله تعالى وادعى ضللاً وكذباً انه نبي الله عيسى مع انه معلوم الام والاب والقبيلة وسار بذلك اشخاصاً ودعاهم الى تصديقه ومخالفته فصدقوه وحالفوه لضعف يقينهم فأل أمرهم الى الهلاك وقتلوا جميعاً بإشارتنا وطهرت الارض منهم « ... » ومن الآن فصاعداً فأني من عثر على صاحب دعوى فليرفع امره الينا ويتبين خبره منا ولا يبادر الى تصديقه من عند نفسه فينقض عهده مع الله ورسوله ومهديه ومعنا ويخسر الدارين ويهلك أسوة بالهالكين « ... » .

رجوع يونس الى أم درمان : هذا وكان الخليفة قد ارسل أبا عنجة الى القلابات على ان يكون قائداً عاماً لجميع جيوش المهدي فيها ويكون يونس الدكيم ممثلاً له في الادارة العسكرية فثقل الامر على يونس لأنه من اقرباء الخليفة ولم يكن أبو عنجة في الاصل سوى عبد من المنضلة ففرز جيشه عن جيشه ورفض إطاعة له . فاستدعاه الخليفة الى أم درمان وجعله ملازماً له الى ان ارسله عاملاً على دنقلة اواخر سنة ١٨٨٨ كما سيحيى وأبقى أبا عنجة عاملاً على القلابات ادارياً وعسكرياً . وكان قد ارسل معه كتاباً الى الملك يوحنا ملك الحبشة يدعوه من جديد الى طاعته وبما قاله له :

« ... » وبعد فان المهدي « عم » قد كاتبك وحثك على الدخول في ملة الاسلام فحصل منك الصدود والاعراض عن طريق الرشاد ثم نحن قد كاتبناك قبل هذا بمثل ما كاتبك به المهدي « عم » وأعلمناك بأنك ان لم تعمل طبق أمرنا فلا بد من حلول جيوش الاسلام بديارك ومناجزتك الحرب وقتل رجالك فما حصلت منك الى الله اناية ولا لداعيه اجابة حتى غزا المسلمون بلادك فخرّبوا الديار وقتلوا الرجال وأحرقوا الكنائس والمدن الكبار وسبوا النساء ويتموا الاطفال وعادوا غانمين حائزين لرضاء ذي الجلال وصار اثم من هلك من اتباعك عليك ولو أجبت داعي الله لأجابوا معك تبعاً اليك . والحاصل ان ما مضى قد فات وما زلنا نريد هدايتك فيما هو آتٍ ودخولك

في دين الاسلام وانتظامك في سلك اصحاب المهدي « غم » ومن ثم حررنا هذا ثانياً اليك قبل اعادة الكرة عليك فان رحمت نفسك بالدخول في ملة الاسلام والانتظام في سلك اتباع المهدي « غم » وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله نطقاً بلسانك واعتقاداً في جنانك وأقمت يجهتك شعائر الاسلام من صلاة وصيام وزكاة وغير ذلك من الاحكام فاعلم انك تكون منا وإلينا ونكف عنك المحاربة ويفر الله لك جميع الآثام التي وقعت منك في زمن الكفر . وإلا فان كنت لم تزل على اعراضك عن اجابة داعي الهدى واصرارك على دين الكفر واتباع الهوى فاعلم انك تصير من المهالكين بقدرة رب العالمين إذ لا بد من حلول جيوش الاسلام بدارك ومناجزتك الحرب وقطع دابرک ... ولترد لنا منك الافادة بما تختاره من اعراض او اجابة وعلى من اتبع الهدى السلام سنة ١٣٠٥ هـ . اه .

غزوة حمدان الاولى للحبشة : فلم يحبه الملك يوحنا على كتابه كعادته فأمر أبا عنجة « فخرج لغزو الحبشة في ٩ يناير سنة ١٨٨٨ بجيش كثيف جعله اربعة ارباع وجعل على كل ربع اميراً وهم : احمد علي وعبد الله ابراهيم والزاي طمل وعربي دفسح الله . وكان في كل ربع جماعة من اهل الاسلحة النارية والباقون من اهل السيوف والحراب فجعل اهل الاسلحة النارية صفاً واحداً واهل الرماح صفاً آخر وراهم كل ربع على حدة وكان هو وملازموه في الوسط وراهم ربع الزاي طمل وله اشراف على الجيش كله حتى اذا ظهر له خلل في الارباع ولزمت مداركته أمده بملازميه . وأما الفرسان فقد جعلهم في الجناحين وجعل طليعة الجيش امام الكل . وسار على هذا الترتيب حتى أتى بلاد دمبيا من الحبشة فعاث فيها فأخرب حلالها وقتل أهلها وغنم وسبى وعاد الى القلابات » وكتب الى الخليفة تفصيل غزوته بما نصه بعد البسملة :

« وبعد فمن العبد الحقير ذو العجز والتقصير حمدان ابي عنجة الى محيي الدين ومدمر الكافرين وسقينة المؤمنين الموصلة لرب العالمين سيدي وسندي الى

تسليح السوارك

الله خليفة المهدي « عم » الخليفة عبد الله ابن محمد خليفة الصديقي « رضه » وارضاه ونفعنا ببركته وأفسح في ايامه وأهلك اعداء الدين بماضي حاسبه آمين ... سبق فأخبرنا السيادة انه صار قيامنا على بركة الله تعالى من القلابات الاثني في ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٣٠٥ ... فبعد مضي ثلاثة ايام من قيامنا تناولنا اطراف دار العدو من جهة علقه فمرّ بعض الانصار بشجرة ذات ثمر يؤكل ولكنها في ارتفاع عظيم وكانوا جوعاً فحاروا لا يدركون كيف يقتطفون ثمرها وبينما هم كذلك اذ بها تدانت لهم باذن الله تعالى الى الارض بكليتها فأكلوا جميعاً وشبعوا وحمدوا مولاهم على تلك الكرامة في الدين والانصار المذكورون هم من جماعة الاخ علي فايت وقد قابلونا وقصوا علينا القصة . وفي اليوم التالي أتى جماعة من الاخوان الرزيقات جماعة عيسى عبد الله على شجرة بجذاء كنيسة الكفرة بالجبهة المذكورة فتسلقها ثلاثة منهم وجعلوا يأكلون فسألهم الباقون ان يناولهم من طلعه فلم يعطوهم كفائتهم فما شعروا إلا والشجرة قد خرت الى الارض فأكلوا وشبعوا ... هذا ولما تمّ لنا في السير تسعة ايام وصلنا دمييا محل الكافر عدو الله النفس راس عدار (وهو الذي صار ملكاً على كوجام باسم تقيه هيمنوت) فالتقتنا طلائع الفرسان في اول البلاد فهزمناهم وقتلنا منهم واستطردنا السير بقية يومنا الى الاصفرار فنزلنا قريباً من ديم أعداء الله ... ولما طلع فجر اليوم العاشر من خروجنا من القلابات توضعاً على حالتنا المعهودة وربطنا حزب الرحمن من الاسلحة والخيول بحسب ما يستره الله لنا من علمه وقتنا بعد صلاة الصبح على بركة الله تعالى قاصدين ملاقاته حزب الشيطان وعلينا من الله السكينة والوقار لا نؤمل إلا لقاء الله ونصرة الدين فلما أشرقت الشمس قبل وصولنا لأعداء الله أخرج الله تعالى نوراً عظيماً ساطعاً تجاه الشمس من جهة بحر هناك يقال له « بحر ابيض » وعندما شاهدناه استبشرنا وخررنا من ظهور الركائب 'سجداً لله تعالى على اسداء النعمة وفعل كذلك جميع الاخوان الذين معنا ... ولما ترامينا مع اعداء الله الكفرة اذا هم من كثرتهم لا اول لهم يعرف ولا آخر يوصف

فابتدرونا ضرباً بعدافعهم الاربعة بمسافة لا يصلها الرمتون لزعمهم اننا نقف مكاننا وتناوشهم مناوشة وما زالوا كذلك ونحن زاحفون زحفاً عليهم حتى اطلقوا علينا ١٦ قنبلة ثم شرعوا بضرب السلاح. هذا كله والاخوان زاحفون عليهم يسبق بعضهم بعضاً اقداماً بلا احجام طمعاً فيما ينالونه من نفحات العزيز العلام . ولم نأذن لهم بالضرب الى ان حققنا بأن أفواه السلاح امتلأت من اعداء الله فعند ذلك شرعنا في ضربهم بغاية الحزم وشدة العزم مع الزحف عليهم فما كانت لهم ساعة إلا وقد زلزل الله اقدامهم وألحق الرعب في قلوبهم وانكشفوا عن وجوهنا مسرعين مرتكبين عار الفرار ذاهلين عن كل ما لهم من ذراري ونساء وخيول وبغال وحيد وخدم وحشم ونحو ذلك . هذا كله والاخوان الصادقون يسمعون صوت الأم بأية تضرب في وقت اشتداد الحرب. وبعد انكشف الاعداء اقتفينا أثرهم طمعاً وضرباً وأسراً حتى اضطر الذين امامنا الى ان رموا بأنفسهم في النهر المذكور وكانوا يزيدون عن الف نفس من ذكر وأنثى فمات اكثرهم غرقى . وما رجعنا عن مطاردتهم الا بعد الساعة العاشرة من النهار ووجدنا الهالكين من اعداء الله الوفاً مؤلفة لا يحصي عددهم إلا الذي اراد هلكهم ولم يفز ببقاء الله من الانصار إلا نفر قليل كما يرى في الورقة الاخرى طيه . هذا وجميع الفنائم مع المدافع الاربعة وبعض السلاح الذي تيسر جمعه والخيول والبغال وغير ذلك اخذناه بفضل الله تعالى بلا منازع ولا معارض لأن الكفار تركوا الديم كما هو . وقد أعلننا نقاد رأس صابون من ثقافة مسلمي الجبوتة الذي شهد معهم الواقعة وسلم بالفرار ان عدد الكفار مائتين وأربعين ألفاً بلا نقصان منها خاصة اهل الحرية والدرقة والسيف مائتين ألف وخمسة السلاح الرمتون اثنا عشر ألفاً والأجناس ثمانية آلاف والخيول عشرون ألفاً والمدافع اربعة . وأهل الديار التي تجملت معهم لحربنا هم قجسام واجفر وعلقه وطماقة وديميا وقندر وشقلته وشلمة وأم بحارة وارجوه وغيرهم من عامة الديار . وقد هلك أكثر البطارقة والرؤوس ومن جعلتهم الشقي دجاج كاسة قائد جميع الجيش بعد الشقي

رأس عدار الذي حصلت على يده . وقعة القلابات . وهذه ثلاثة أرؤس مع رافعه وهم دجاج كاسة عقيد الحربة وبزابة بن الشقي رأس عدار وقداري يقرأ عقيد السلاح وكان جملة من يقال له دجاج ستة عشر ومع كل دجاج خمسة عشر ألفاً أعني كل واحد صاحب جهة ونقارة وما أرسلنا هذه الأرؤس الثلاثة إلا لشهرة أربابها . ومن جملة الأسارى لدينا أولاد الشقي رأس عدار ذكوراً وأنثى مع حرم وأولاد الرؤوس المفسدين بما فيهم بعض حرم وأبناء عدو الله المخذول صالح شقة وغيره ...

« هذا ولما خلت الدار من الكفار وانتنت رائحة الديم من جيف أعداء الله ورمم بهائمهم انتقلنا على بركة الله تعالى طالبين قندر ام مدائنهم يوم السبت في ٧ جمادى الأولى وقبل وصولنا إليها قابلنا اهل الديار المذكورة أعلاه راغبين الامان ورافعين الرايات البيض وفي ايدي البعض الاغصان الخضراء ثم لما قربنا إليها قابلنا جميع كبارها من مسلمي الجبوتة بالطاعة والاذعان طالبين الامان فأمنّاهم . وبعض المكاتب التي قابلتنا منهم بالطريق، ها هي واصلة طي هذا . وجميع الكفار الساكنين بها ولوا مدبرين فدخلنا يوم الاثنين وجعلنا فيها يمينا وشمالاً فأعجبنا بما شاهدناه من القصور الشاغرة وأحرقنا فيها ٤٥ كنيسة ما عدا الكنائس التي أحرقناها بالديار المذكورة عند مرورنا بها وهي تزيد على ٢٠٠ كنيسة . فلما لم نجد بالمدينة المذكورة إلا المسلمين من الجبوتة (وكانوا نحو ٢٠٠٠) ولم نعلم جهة للعدو فزيادة اشتياقنا لمخاطبات السيادة لانقطاعها عنا مدة غزوتنا هذه وايفاء بوعدها السابق للسيادة عن تعجيل الأوبة قننا منها ومعنا جمع من الجبوتة بأموالهم وأولادهم مهاجرين لله والغنائم المتقدم ذكرها آنفاً . وسيتم وصولنا الى القلابات غداً ان شاء الله تعالى . ولعلمنا بأن الافكار الشريفة متعلقة بنا قد بادرتنا بتحرير هذا في ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٠٥ ٢٩ يناير سنة ١٨٨٨ م اه .

« تحشية : استقر ومع الرؤوس الثلاثة رأس رابع وهو رأس شيخ عموم

كتاب الشوكات

القالة المدعو « أسوري قلا » كان بالعام الماضي شاهداً معهم وقعة العامل ابن ارباب « اه .

غزوة خمدان الثانية للحبشة : وأقام ابو عنجة في القلابات نحو اربعة اشهر ثم « تأقت نفسه الى غزوة اخرى للحبشة فخرج في ٧ شوال سنة ١٣٠٥ هـ ١٧ يونيو سنة ١٨٨٨ بطريق علفة وبعد ثمانية ايام من خروجه وصل محلاً يدعى تنكل فوضع الدية فيه وأرسل البعوث بيننا وشمالاً فلم يجد أحداً على محاربهه وبلغه ان في مدينة ام بشاره رئيساً يدعى دجاج مشته قد جمع له فقصده ففرّ من وجهه فرجع الى تنكل. وفي رجوعه مرّ بدير عظيم في جزيرة من جزائر « بحر ابيض » فأمر الزاكي طمل وعبد الله ابراهيم فأحرقاه وقتلا من وجدا فيه من الرهبان والقسس ورجعا اليه فعاد الى القلابات فدخلها في ٧ الحجة سنة ١٣٠٥ هـ ١٥ اوغسطس سنة ١٨٨٨ .

كتاب الملك يوحنا الى ابي عنجة في طلب الصلح : وكان الملك يوحنا في هذه الأثناء منشغلاً بالتليان الذين احتلوا مصوع وقد خشي على بلاده منهم فرأى أن يعقد مع الدراويش صلحاً ليتفرغ للتليان فكتب الى ابي عنجة كتاباً بالحبشية والعربية يدعوه الى الصلح بما نصه :

« نقش خاتمه : ملك الملوك يوحنا ملك صهيون الصليب بالحبشة غلب أمة اسماعيل .

« رسالة من المؤيد من الله يوحنا ملك صهيون ملك ملوك الحبشة - تصل الى المعظم دجاج ابي عنجة . اول سؤالنا عن صحتك وسلامتك عسى ان تكون بخير وعافية . نحن الآن مع جميع الجيوش والامراء والوزراء بخير بمونة الله والأولياء الأبرار والله العظيمة والحمد دائماً لأن رحته دائمة الى الابد . قبل تاريخه بخمس عشرة سنة حكم الترك بلادكم الى حدود المنة . وقد أرادوا ان يحكموا بلاد التيفرى فأثروا بطريق مصوع ودخلوا بلاد هاسين فحاربناهم وأعطانا الله القوة فظفرتنا بهم وهزمنام مرتين . وبعد ذلك فيا نحن في مدينة

اسمهم حاكين الاسلام بالايان المسيحي كتب البنا المهدي كتاباً يأمرنا بالدخول في دين الاسلام فغضبنا وأرسلنا «حربة» الى مدينة المتعة فأهلكنا من الخلائق عدداً جزيلاً . ثم حضرتم أنتم الى بلاد دميا وحاربتم وغلبتم من غلبتموه وبهذا السبب هلكت المساكين . والآن فاذا انا حضرت الى بلادكم وأهلكنا المساكين ثم جئتم أنتم وأهلكتم المساكين فما الفائدة في ذلك . ونحن ليس لنا ارادة على التعدي من حدودنا الى حدودكم فلا يكن لكم ارادة على الخروج من حدودكم الى حدودنا بل نحن وأنتم نكون ساكنين جلوساً ببلادنا فلا تهلك المساكين في الباطل . والواقع ان الافرنج أعداء لنا ولكم فاذا غلبونا وهزمونا لم يتركوكم بل أخربوا دياركم واذا غلبكم وكسروكم فعلوا بنا كذلك . فالرأي الصواب ان تتفق عليهم ونحاربهم ونغلبهم ويتردد التجار من اهل بلادنا بالتاجر الى بلادكم وكذلك تجار بلادكم تتردد الى غندر لأجل المايش والمكاسب لأهلكم ولأهلنا . فاذا صار كذلك فهو غاية المتعة لنا ولكم لأنكم أنتم ونحن في الاصول السابقة اولاد جد واحد فاذا قاتلنا بعضنا بعضاً فماذا نستفيد فالأفضل والاصوب لنا ولكم ان نكون ثابتين في المحبة جسداً واحداً وشخصاً واحداً متفقين بعضنا مع بعض ومتشاورين بالمشورة الواحدة ضد اولئك الذين يحضرون من بلاد الافرنج والترك وغيرهم الذين يريدون ان يحكموا بلادكم وبلادنا مزعجين لكم ولنا اولئك اعداؤكم وأعداؤنا نحاربهم ونهينهم ونحرس حدود بلادنا وممالكنا منهم . هذه هي مشورتنا العظمى لمن يسمع وينظر فيفرح ويبتهج . وايضاً قبل تاريخه بنحو خمس سنوات ونحن في امباجاره طلب الطالبان التوجه الى سنهيت وكسلا وطلبوا منا خبر السكة والمعونة قائلين لنا الانكليز من هناك ونحن معكم من هنا نحارب الدراويش ونهلكهم فنمنعهم من ذلك وما مكنتهم من شيء وقلت لهم أليس الناس نامي وهم بلاد واحدة معنا وجيشة واحدة فمنعهم من ذلك منعاً باتاً ولهذا السبب صارت المداوة معهم الى الآن فليكن ذلك معلوماً لديكم في ١٧ كيهك سنة ١٨٨١ مسيحية . ٢٥ ديسمبر سنة ١٨٨٨ م .

جواب ابي عنجة للملك يوحنا : فأجابه حمدان ابو عنجة بكتاب فظ

هذا نصه :

« وبعد فمن عبد ربه قائد جيوش الاسلام لتدمير الكفرة اللثام حمدان ابي عنجة الى يوحنا بالحبة . انه لقد وصلنا جوابك عربياً وعجمياً تاريخه ١٧ كيهك سنة ١٨٨١ مسيحية وفيه تعرفنا بملك الترك سابقاً لبلادنا الى حدود المئة وما قد حصل لهم فيما بعد . وانهم لما أرادوا الدخول في بلادك منعتم منها وهزمتمهم مرتين . وان سيدنا الامام المهدي « عم » أرسل اليك جواباً يدعوك فيه الى الاسلام ففضبت وأرسلت الى المئة من حاربها وكان ما كان من امر الله ثم توجهنا نحن الى بلادك وكان ما قد كان بأرض دمنيا وعلى ان يقف كلا منها على حده وينعقد الصلح بيننا ويكف الحرب ونكون اخواناً واعواناً على من يقصدنا من دول الافرنج والانكلز وان يتردد بيننا وبينكم التجار بتاجرم فذلك الذي رأيتموه صواباً ولعدم الثرة في المحاربات وهلاك المساكين الى آخر ما عدته لنفسك من المزاي والتظاهرات الباطلة فهناه وما سأوضح لك ما ظهر لمهديننا « عم » من الكرامات وخوارق العادات فلعلك ان عقلتها تكون لك أكبر عبرة (ثم عدله الوقائع التي فاز بها المهدي وخليفته من بعده وقال) : وأما غضبك من جواب سيدنا المهدي « عم » فهو من أعظم الشقاء عليك ولقد رأيت ما حل بمن جاء الى المئة انتقاماً من عند الله تعالى فاذا لم تعتبر به فستكون انت ان شاء الله عبرة لغيرك . وما كان بالمتة سابقاً إلا التكاير الذين يحرثون الارض ويستعملون القطن ولكنها الآن امتلأت ليوناً ضواري يقاوم الواحد منهم عشرة من الكفار وجميعهم بايعوا الله ورسوله ومهديه وخليفته من بعده عهداً وثيقاً على الموت في سبيل الله ابتغاء وجهه الكريم فان لم تعرفهم فستعرفهم غداً فانه ما جاء بهم الى هذه الجهة حب مال ولا جاء بل جاؤا لقطع دابرهم وجميع الكفار فانتبه من الغفلة واصح من النوم وفق من السكر ولا تغرنك جموع الشيطان التي لم تغرنك عنك من الله شيئاً وفيما سبق عبرة لأولي الألباب . فأما نداؤك لي في صدر

الجواب بقولك دجاج ابو عنجة فاعلم اني لست بدجاج وانما انت الدجاج لكفرك وتماديك على غضب باريك . وأما طلبك الصلح منا وأنت باقى على كفرك فبعيد بعد المشرقين ودليل على ضعف عقلك وفراغ ذهنك فيا لك من سفية ويا لك من جاهل أترصد منا صلحاً ومواخاة ولم تدخل في الدين الحق وكتاب الله ناه عن ذلك . فان رمت الصلح فقل مخلصاً من قلبك أشهد ان لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ وإلا فإننا نقاتلكم ونخرب دياركم ونقيم باذن الله أطفالكم ونغنم أموالكم كما وعدنا الله ذلك في كتابه العزيز اذ انه لا قصد لنا في الدنيا وما هي لنا بدار وانما هي دار الكفار اهل الذل والصغار ودارنا هي الآخرة ذات الدرجات الفاخرة ولم تكن اقامتنا هذا للخدمة قُبُر ولا جمع رزق وانما هي لجهادك وجهاد أمثالك في رضاء الله . فعينتد انت والطلبيان والافرنج ومن والاكم الله أكبر عليكم جميعاً فيما بيننا وبينكم إلا السيف ما لم تؤمنوا بالله وحده فان آمنت فذلك الذي نريده . وإلا فاتخذ لك داراً غير التي انت فيها فلا بد ان تتجلى عنها قريباً . واعلم انه لا حد لنا نقف عليه إلا بيتك خاصة حيث جاهرت بكفرك وخالفت مهدي الله خليفة الرسول وسيف الله المسلول فان كنت ذا قوة وشجاعة كما تزعم فأقدم علينا ولا تحجم اذا ما أحرك كل هذه المدة إلا شدة الخوف واذا لم يكن ذلك فاثبت في محلك فلا بد لك من الهلاك عن يد حزب الله الغالب وجنده المفلح فأولى لك الانابة الى الله ومداركة عمرك قبل فواته فسلامتك في الاسلام وعطبك في ضده فإياك ان كنت باكياً على نفسك فقد حان ذهابك ولن يتعظ شقي مثلك إلا بنفسه وما قد نصحت لك وأندرتك فأنتب الى الله او بوء بغضب من الله ورسوله فقد هياً مقعدك من النار وبئس القرار وفي هذا كفاية والسلام على من اتبع الهدى جهادى الاولى سنة ١٣٠٦ هـ يناير سنة ١٨٨٨ م .

غزوة الملك يوحنا القلايات : فلما اطلع الملك يوحنا على كتاب ابي عنجة طار صوابه وصمم على طرد الدراويش من القلايات ومطاردتهم الى ام درمان فأرسل الى جميع مدائن مملكته باستنفاذ الجيوش فاجتمع عليه نحو ٢٥٠ ألف

مقاتل ومعهم من الرؤوس والأعيان الراس عدار والراس الوله وهىلا مريم
وصالح شنقة وغيرهم من مشاهير دولته الابطال فقادهم وزحف بهم قاصداً
القلابات .

تحصين القلابات : وعلم ابو عنجة باستعداده فشرع في تحصين القلابات
فأحاط الديم بزرية مربعة متينة ومن داخلها متراس بغاية الحصانة وأقام من
داخل المتراس سوراً طول الجانب منه ١٧٠٠ متراً لرقاية العائلات والنخائر
والشون وجعل الزرية اربعة أبواب على كل باب مدفع .

وفاة ابي عنجه في ٢٩ يناير سنة ١٨٨٩ : وقبل ان يتم زريته أصابته
حمى فقضت عليه في ٢٧ جمادى الاولى سنة ١٣٠٦ هـ ٢٩ يناير سنة ١٨٨٩ م
فبكاه أصحابه والجيش كله لأنه كان محبوباً من الجميع وكان طويل القامة غليظ
الجلثة قوي البنية خفيف اللحية أشيها اسود اللون حتى تظنه عبداً لكنه كان
مهيئاً عادلاً حسن الخلق سديد الرأي ونقش خاتمه : « وفق يا ذا القدرة
عبدك حمدان ابو عنجة » . وكان أشد قواد المهدي باباً وأكثرهم جرأة
وأطوع الى الخليفة من بنائه لذلك حزن عليه حزناً شديداً ونماه الى جميع
امرائه في السودان . وقد رثاه محمد المجدوب بن الطاهر بقصيدة منها :

حمدان انك طالما سميت العدى ذلاً وذكرك في المحافل يرفع
ما وُجِّهَتْ رايات نصرك وجهة إلا وبالظفر المؤكد ترجع
فلك الهنا بلقاء ربك شاهراً سيف الجهاد وكل قرم تقمع
فسحائب الرضوان تقشى تربة ضمتك ما نجم يغيب ويطلع

عمالة الزاكي طمل على القلابات سنة ١٨٨٩ :

واقعة القلابات في ٩ مارس سنة ١٨٨٩ وموت الملك يوحنا : هذا وكان
ابو عنجة قبل وفاته قد سمى الزاكي طمل خلفاً له على جيوش القلابات فنازعه
الزئاسة احمد عي من أخص رجال التعايشي وكاد الامر يفضي الى وقوع

الفضل في الجيش فأرسل الخليفة القاضي احمد علي وبعض أخصائه فثبتوا الزاكي طملاً في الرئاسة . فأتى الزبينة التي شرع فيها ابو عنجة وصف عليها المقاتلة وقد بلغوا نحو ٦٠ ألفاً ومعهم ١٢ ألف بندقية رمنتون و ٣٥٠٠ بندقية من اجناس شتى وألف جواد . ويوم السبت في ٩ مارس سنة ١٨٨٩ وصل الملك يوحنا القلايات يميوشه الجرارة وانتشبت حرب هائلة ظل النصر فيها في جانب الاحباش حتى جرح الملك يوحنا جرحاً مميتاً فحمله رجال حاشيته وخرجوا به من الموقعة فوق الفضل في الاحباش اذ ذاك وانهمزوا شر انهمز . وتبعهم الزاكي في اليوم التالي فأدركهم على الاتربة يوم الثلاثاء في ١٢ مارس فأوقع فيهم واقعة شديدة قتل وغنم وسبى وعاد الى القلايات وبعث الى الخليفة في تفصيل الواقعتين بكتاب طويل هذا نصه بعد البسملة :

« وبعد فمن العبد الحقير المعترف بالعجز والتقصير الزاكي طملاً الى سيده وسنده ووسيلته الى ربه خليفة المهدي « عم » الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق رضي الله عنه ونفعنا به آمين . بعد ان يهدي العبد الى سيده جزيل السلام ويقبل أياديه الكرام يعرض للأعتاب العلية والمسامع الزكية ما حصل بحول الله وقوته من عظيم البشارة بتأييد الدين وقطع دابر أعداء الله الحبشة الكافرين . وهو انه بعدما سبق العرض للسيادة عما بلغنا من حضور أعداء الله الحبشة لمحاربتنا فقد تم وصول الأعداء المذكورين يوم السبت في ٦ رجب ومعهم معهم أنفسهم المملوك الملعون يوحنا قريباً منا فكانوا على حالة عجيبة وقوة شديدة وجموع كثيرة العدد عظيمة العدد لا يحصى مقدارهم إلا الله تعالى حتى من شدة كثرتهم غاقت بهم الأرض وما وسنتهم الطرق فصاروا يطلقون الحرائق امامهم لتنظيفها ولقد رأينا نيرانهم من مسافة ثلاثة ايام فلما قربوا من المركز مسافة ساعتين ثار الغبار من جهتهم حتى سد الافق وصار من في ديم الانصار لا ينظر من يكون بجذائمه من شدة ثوران الغبار وانتشاره . وعندما شاهد الانصار ذلك أظهروا من الثبات والصبر والشهامة والاشتياق الى لقاء الله والوفاء بالمهد ما هم به حريون وبقينا مترتين ومستعدين على الحالة

المعهودة ومنتظرين قدوم الأعداء الى ميدان الحرب لتناجزتهم وقطع دابرهم فحضروا البنا في ألوف مؤلفة وعدده متنوعة ومعهم من الخيول والأسلحة والبغال ما لا يحصى وقد ساقوا أمامهم الوحوش كالجواميس والذئاب والغزلان وخلاف ذلك وأحاطوا بنا من كل جانب حتى صرنا في وسطهم كالحاتم الصغير وهم في غاية الغرور والاعتماد على كثرتهم العارية من المعونة الإلهية وكان عدد الانصار اهل الأسلحة النارية اذ ذاك سبعة عشر ألفاً بخلاف الخرابة لكون الأعداء المذكورين أتوا على حين غفلة قبل التمكن من جمع جيوش الانصار المتفرقة بالجهات في المصالح . فبعدها أحاطوا بنا من كل جانب ومعهم نقسم الملعون يوحنا يحشهم ويحرضهم على القتال ويمنيهم بحسب ما يليق به الشيطان وتسوّل له نفسه الخبيثة من القدرة على اطفاء نور الرحمن ابتدرونا بضرب المدافع والأسلحة النارية من كل الجهات وحلوا علينا حملة ارتج لها الكون وصار لهم دوي عظيم وأصوات مختلفة من ضرب الأسلحة المتنوعة والانصار في تلك الحالة في غاية الثبات والصبر وقوة العزم وعدم الاكتراث لكثرة الأعداء وجموعهم ولم يسبق لأحد مصادمة نظير هذه فيما نعلم في زمن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم . فعندما ابتدرونا بالضرب عاقبنام بضرب المدافع من كل ناحية وصبرنا لهم حتى «ملأوا أفواه الأسلحة» فتوكلنا على الله وضرينام ضربة رجل واحد واستمر اطلاق الأسلحة النارية من الجهتين وتواتر حتى ارجحت الارض من أصوات الأسلحة واسود النهار وصار كالليل المظلم من تراكم الدخان والغبسار في الجو وكأنما السماء قد أطبقت الارض من عظيم ما حصل والانصار وقتئذٍ جزاهم الله خيراً مع قلتهم بالنسبة الى كثرة جموع الأعداء في غاية الثبات والصبر والاقدام والشهامة والبسالة وشدة الوطأة على أعداء الله ضرباً بالأسلحة وطعناً بالرماح وقطعاً بالسيف واستمر الحرب بيننا وبينهم نحو خمسة ساعات بحيث لم يكن في أثنائها فاصل بين الضرب بالأسلحة والالتحام مع الأعداء . وبعد ذلك أنزل الله علينا نصره وأنجز لنا وعده وزلزل أقدام أعدائه فولوا هاربين وعلى أعقابهم ناكسين بعد ان أهلك الله تد... الملعون

يوحنا وجماعة من رؤساء دولته ووزرائه وأهلك من جموعه ألوف مؤلفة حتى امتلأت الارض من جيفهم الخبيثة وجيف خيولهم وبغالهم . وبعد انكشافهم عن وجوهنا أخذوا نقسهم الملعون يوحنا وأدخلوه في صندوق وأشاعوا انه حي ولكنه مجروح جرحاً خفيفاً وحلوه معهم وفروا هاربين ولعار الفرار مرتكبين . وبالنظر لكون الانصار جزاهم الله خيراً ما انتبهوا في حالة التحام الحرب مع الاعداء لشيء سوى مصادمتهم وقطع دابرهم ولم يشغلهم عن ذلك شهيد ولا جريح حتى كشفوهم وصدروهم على أعقابهم فنحن بعد هرب الاعداء شرعنا في دفن من أكرمه الله بالشهادة من الأنصار وهم عدد يسير وتميز المجاريح وكان ذلك ليلة السبت ويوم الاحد .

و ثم تجهزنا بما لزم من الاستعداد واقتفينا أثر الاعداء المذكورين في صباح الاثنين وجددنا السير في طلبهم وأدركناهم عشية يومنا هذا على بحر ابرة نازلين وبايتناهم هناك فطلعونا في تلك الليلة بجانب من خيولهم فحملنا على طلائعهم فانهزموا . فلما أصبحنا بيوم الثلاثاء الموافق ٩ رجب (والواقع ١٠ رجب ١٢ مارس) ناجزناهم الحرب فانتشبت القتال بيننا وبينهم فثبت لهم الانصار ثبوت الرواسي واشتد الحرب وعظم الخطب واستمر الحال على ذلك ست ساعات فانكشفوا عن وجوهنا منهزمين لا يلوي منهم احد على احد لشدة ما رأوه من سطوة انصار الدين وذلك بعد ان اهلك الله منهم كل من يقال له رأس او دجاج من الباقين بعد الواقعة الاولى فاقتفى الأنصار أثرهم ضرباً وطعناً حتى استأصلوهم عن آخرهم ولم ينجُ منهم إلا الهارب وقد غنمنا جميع ما معهم من الاسلحة والمدافع والجباخين والخيول والبغال وبقية الامتعة . وبعد استئصال المنهزمين صار تفقد الهالكين من رؤساء الكافرين بواسطة من لهم المعرفة التامة بهم فوجدنا عذر الله الهالك النقس يوحنا مقتولاً في الواقعة الاولى كما ذكرناه آنفاً مدخلاً في صندوق مشمع ببطن خيمته وعلى صدره صليب من ذهب كان يعبد به من دون الله ومعه ايضاً أفخر ملابسه وبمنهقه العتبة التي يتخذونها وعليه أنواع من الادوية لئلا يتمزق ففي الحال

أخرجناه من الصندوق وحزنا رأسه ورفعناه على قنطرة فاستبشر الانصار بذلك وحدوا مولاهم على تلك النعمة العظيمة ثم أرسلنا رأس الهالك يوحنا المذكور ورؤوس وزرائه كرأس الوله وغيره لصوب السيادة اعلاماً بتأييد الدين ودمار الكافرين ومعها تاج المملكة الذي للملعون المذكور وخيامه ونحاساته وغير ذلك من أمتعه الخاصة به . وبعد ان فرغنا من مكافحة الاعداء وقطع دابرهم تفقدنا من أكرمهم الله بالشهادة من الانصار في تلك الواقعة فوجدناهم عدداً يسيراً بالنسبة الى الأعداء وقلة الانصار واستمرار الحرب وفرحنا لهم بما نالوه من حسن لقاء الله ودفنناهم ورجعنا الى المركز سالمين غانمين . ثم من جملة ما رأينا من الكرامات في حال انتشاب الحرب مع الاعداء المذكورين ان كثيراً من الانصار سمعوا صوت ام بايه وشاهدوا خليفة المهدي « عم » ذاته امام الاصحاب وبعضهم رأوا رايات بيضاء بأيدي رجال نازلين من السماء يقتلون في الاعداء فضلاً عن مشاهدة التهاب النار في اجسام أموات الكفار من عل الطعنة حتى تعم الجسد كافة وغير ذلك من البشائر والكرامات التي لا يمكن استقصاؤها فهذا ما كان لنا مع أعداء الله الهالكين في كلتا الرقعتين . اما الانصار ففي كل يوم يلتسمون منا التوجه لغزو الحبشة في بلادهم وما يمكننا ان نجيب التماسهم إلا بعد تشريفنا بصدور امر كريم للتبرك به والعمل بما فيه . وبالنظر لما هو واجب علينا من رفع الاحوال مفصلة لولي امرنا فقد حررنا هذا اداء للواجب علينا ولا شك ان جميع ما حصل من هلاك الكافرين ونصرة الدين فهو من غناية الله وتأييده لخليفة مهديه عليه الرضوان فنسأل الله تعالى سيدي يجاهكم عنده ان يمنحنا رضاكم في الدارين ويعمنا بعفوك في كل حين ويوقع في قبضتكم كل معاند من الكافرين انه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير هذا والسلام في ١٠ رجب سنة ١٣٠٦ هـ . اه ١٢ مارس سنة ١٨٨٩ م .

وكتب اليه كتاباً آخر في التاريخ نفسه يقول : « ... سيدي ان بعض خيالة الأعداء وجدوا لهم منفذاً من جهة المكرم احمد علي وأخذوا بعض « عوائل » الانصار ... وقد فاز بالشهادة من انصار الدين جهادية واولاد

عرب جماعة ما أمكن حصرهم وفيهم عشرون رجلاً من اهل الرايات وأكثرهم من راية المكرم احمد علي ... وعند دخول الأعداء في الديم ساعة المصادمة أثاروا فيه الحرائق بقصد نهب الأمتعة ... » .

وفي كتاب ثالث بتاريخ ١١ رجب سنة ١٣٠٦ هـ ١٢ مارس سنة ١٨٨٩ م يقول : « ... سيدي ها هو برنس عدو الله الملعون يوحنا من الحرير الأخضر المرصع بالذهب والجواهر ومعه عراقية ملطخة بدمه وخاتم الملعون راس الوله ذهباً بفصّ احمر ... » .

وفي كتاب رابع بهذا التاريخ يقول : « ملحق بما سبق ذكره من أشياء الملعون يوحنا : طاقية ذهب خالص تساوي ٤٠٠ اوقية وصليبان من فضة وذهب ومركوب قطيفة وسوار كبير فضة ... سيدي ان هذه الأشياء أحضرها الانصار بعد تحرير الكتب المرسلة مع هذا وها هي واصلت للسيادة مع رافعه عبد الكريم لغرابتها ليراها أنصار الدين ويحمدوا الله على ما أولاهم من النصر المبين ... » .

وكتب اليه في ١٤ شعبان سنة ١٣٠٦ هـ ١٥ ابريل سنة ١٨٨٩ م يقول : « ... بحسب ما ورد لنا من سيادتكم يجمع الاسلحة التي غنمناها من أعداء الله الحبشة أكدنا على الاصحاب في احضارها فحصلنا منها الى الآن ١١٨٦ بندقية من رمنتون وابي لفنة وخشخان وشيئاً قليلاً من الجبخانه كما ترون في الكشف طيه ... وقد حفظنا الجميع في منزل سيدنا المرحوم حمدان ابي عنجة الى ان تصدر الاشارة الشريفة بشأنها ... » .

فطبع الخليفة كتاب الزاكي الاول في مطبعة الحجر ووزعه على أنصاره في جميع البلاد اشهاراً للنصر على الاحباش . ولكن الراس الوله لم يقتل كما جاء في كتاب الزاكي . وجاء مصر وفد من الحبشة سنة ١٨٩٩ لأخذ مطران لمملكة كوجام وكان احد اعضاء الوفد غبريل بقطر قد حضر واقعة القلابات فسألته عن الواقعة وموت الملك يوحنا فقال : « كنا قد انتهصرتا في بادئ الامر حتى اخترقنا زريبة القلابات وكذا نستولي عليها فأصابنا المليك يوحنا رصاصة

طائفة اخترقت ذراعه ودخلت صرته فجرحته جرحاً مميتاً فحمله رجال حاشيته الى الخيام فطلب ابنه الراس منقشاً وقال له ان جرحي قتال فشد حيلك واجمع رجالك وارجع الى بلادك فرجع في مقدمة الجيش والملك يوحنا معه محمولاً على سرير حق وصل دير عبده سلاسه على نحو يومين من المتمة فنقل حال الملك ومات الاحد مساءً وكان قبل موته أوصى ان يدفن في الدير المذكور فدفن فيه صباح الاثنين في ١١ مارس سنة ١٨٩٩ . وفي اليوم التالي لحق الدراويش ساقه الجيش عند فرع للاتبرة يعرف بنهر الكلب فأوقفوا فيه وكان معهم جثة هिला مريم من وزراء الملك يوحنا فأخذوها وذهبوا بها ظانين انها جثة الملك .

هذا وكان أقوى ملك في الحبشة بعد الملك يوحنا الملك منليك ملك شوا فلما بلغه خبر وفاة الملك يوحنا أشهر نفسه ملك ملوك الحبشة وعقد صلحاً مع الطليان ثم تقصه وكانت بينه وبينهم وقائع مشهورة يأتي ذكرها في تاريخ الحبشة .

وقائع كساد سنة ١٨٨٩ : ٦

تقدم ان عثمان دقنه قبل رجوعه الى قماي سمي ابن اخيه محمد فاي أميراً على كلا فضرب الزكاة على الماشية بأكثر مما تحمله الأهلون وحبس محمد ابن الشيخ موسى ناظر الهدندوة لتقصيره في تأدية الزكاة فضج الهدندوة لذلك ورفضوا الامر الى عثمان دقنه ولمّا لم يحبهم تجسّسوا برئاسة بلال السمرندواي ودخلوا السجن وأخرجوا محمد موسى منه عنوة وصكّبوا الى الخليفة يطلبون عزل محمد فاي من كسلا وتسمية عامل عليهم غير عثمان دقنه . فاستدعى الخليفة عثمان الى أم درمان برسالة عن ذلك ففتد شكوى الهدندوة وتزلف الى الخليفة فثبت في مركزه وأصبحه بجيش كبير فيه نحو ١٠ آلاف من اخلاط البقارة والجمعيلين والدناقلة بقيادة محمد عثمان ابي قرجة . وبلغ الهدندوة ان الخليفة أيّد عثمان دقنه على عماله فتجمعوا في أم قروفه على ١٦ ساعة من

كسلا مصممين على القتال فخفف الفقيه علي بن حامد الجيلاني الى ام درمان
وأخبر الخليفة بالذي عليه الهدندوة فتلافى الأمر وكتب الى ابي قرجة ودقنة
ان يأخذ احدهما منصب الآخر فجعل دقنة امير الجيش وأبا قرجة عاملا على
القبائل وكتب الى القبائل النافرة منشوراً بتاريخ ٢٣ صفر سنة ١٣٠٤ هـ ٢١
نوفمبر سنة ١٨٨٦ قال فيه : « ... فان كان ما جرى منكم من الاعراض عن
طريق الهدى والرشاد سببه كما بلغني ما أصابكم من الحبيب عثمان أبي بكر
دقنة من الضرر وعدم المراعاة ومعاملتكم بالشدة وانكم ما زلتم على طاعتكم
لأمر المهدي ... فاعلموا أنا قد عينا لكم من طرفنا الحبيب محمد عثمان أبا
قرجة لمباشرة اموركم وراحة بالكم ورفع الضرر عنكم والسير فيكم بمقتضى السنة
المحمدية والطريقة المهديّة . وأرسلنا معه قاضياً شرعياً وعضدناهما برجال من
أمناء الدين والاصحاب السابقين وما تركنا للحبيب محمد عثمان المذكور من
التوصية والرفق بكم شيئاً وسيعمل فيكم بمقتضى وصيتنا ويعاملكم بالعدل والفضل
ولا يأخذ منكم غير الزكاة المفروضة عليكم في كتاب الله وسنة رسوله ... » .
فرضي الهدندوة بذلك . وحال وصول ابي قرجة الى كسلا بثّ المقادير
في أنحاء البلاد فعند الانفس والمواشي وشرع في جمع الزكاة على ما يفرضه
الشرع الاسلامي . وكان محمد فاي قد هجر بندر كسلا ونزل في ديم توكرف
فالتحق ابو قرجة محلجة القطن البخارية للتاجر عمر أغا خارج البندر ديماً له .
وسمى الخليفة علي حامد المذكور آنفاً عاملاً على جهات سواكن وبني عامر
والحساب فنزل في طوكر وكتب الى اهل سواكن في ٧ يناير سنة ١٨٨٧ م
يدعوهم الى الطاعة فلم يجبه احد .

وقائع سواكن سنة ٨٦ : ١٨٩١ م :

احتلال عثمان دقنة لمندوب : هذا وكانت الحكومة في سواكن لما علت
بذهاب عثمان دقنة الى ام درمان اوعزت الى محمود علي شيخ الامارار فهجم
بنفر من رجاله على ديمه في تمّاي في ٦ سبتمبر سنة ١٨٨٦ فقتل جماعة من أهله

وأمر آخرين . وبلغ عثمان الخبر وهو في طريقه الى كسلا ولكنه انشغل بالهندوة مدة . وفي اوائل نوفمبر سنة ١٨٨٧ أخذ جانباً من جيش كسلا وأتى هندوب على ١١ ميلاً الى الشمال الغربي من سواكن وأرسل بعثاً الى بلاد الامارار للأخذ بشار اهله فالتقام في مكان يدعى دارة فقتل وسبي وعاد الى هندوب . ثم أرسل بعثاً آخر بقيادة شائب الدنقلوي فأوقع فيهم في ١٧ يناير سنة ١٨٨٨م قرب محل الواقعة الاولى فقتل منهم نحو ٥٠٠ رجل وفيهم محمد شيخ اخو شيخ الامارار .

واقعة هندوب في ١٧ يناير سنة ١٨٨٨ : وكان المحافظ على سواكن في ذلك العهد ككتشر باشا فلما علم بخروج سرية شائب من هندوب رأى ان ينتهز الفرصة ويهاجم عثمان وهو في قلة لعله يظفر به ويربح السودان الشرقي من ثمرة فاستأذن مصر وخرج من سواكن الساعة الاولى بعد نصف الليل في ١٧ يناير سنة ١٨٨٨م معه ٥٠٠ رجل من الامارار والعاكر السودانية والباشوزق والبوليس ونفر من السواري والهجانة فلما صار على ٣ اميال من هندوب وقف ينتظر بزوغ الفجر وهو يظن انه على ميل واحد منها . وفي الساعة ٤ والدقيقة ٥ أمر المشاة بقيادة محمد بك احمد مأمور بوليس سواكن فخفوا نحو هندوب وسار هو في افرم بالفرسان والهجانة متسلها . وكان عثمان دقنة مديماً في زريبة متينة بين سلسلة من الاكام عن اليسار وأكمة منفردة عن اليمين ومن ورائه بلدة هندوب ومن امامه غابة من الأشجار فكان المشاة في الغابة الى ان بزغ الفجر فخرجوا منها وهجموا على عثمان وهو يصلي بأنصاره خارج الزريبة فانهمزوا مذعورين تاركين أسلحتهم في الزريبة فطاردهم العساكر الى بلدة هندوب . وكان ككتشر قد اوعز الى العساكر السودانية بمطاردة عثمان ذاته فأتوا محلاً في البلدة ظنوا انه يلجأ اليه فرأوه من بعيد فأرأ على جمل سريع ولكن أنصاره تجمعوا بعد الشتات فرساناً ومشاة وداروا حول الأكمة المنفردة ورجعوا الى الديم فأخذوا سلاحهم وأوقعوا القتل في المباركر فأنزع ككتشر اذ ذاك الى نجدتهم وضرب البوري فاجتمعوا عليه فهاجم الزريبة بجميع

رجالاً فأصابته رصاصة في وجهه فجرحته جرحاً بالغاً اضطره الى ترك القتال فعاد بالمساكر الى سواكن وقد خسر ١٠ عساكر قتلى و ١٩ عسكرياً و ٣ ضباط جرحى .

واقعة شكسبير : وعاد عثمان الى ديمه فأرسل جماعة من انصاره في ٣ مارس على سواكن فنزلوا على مسافة ١٩٠٠ يرداً منها وأخذوا يرمونها بالرصاص . وكان كتشنر اذ ذاك قد ذهب الى مصر بسبب جرحه وتاب عنه الماجور شكسبير فخرج عليهم في صباح ٤ مارس ببعض المساكر فردوه خاسراً وعادوا الى ديمهم في هندوب ولما بلغ كتشنر خبر هذه الحادثة أسرع الى سواكن وكان لم يزل متألماً من جرحه فلم يمكث إلا القليل حتى عاد منها عليلاً وتاب عنه الماجور رندل رفيقه القديم الى ان رقي الى منصب ادجوتانت جنرال فسمى هولده سمث باشا محافظاً على سواكن فأخذها من الماجور رندل في ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٨ .

تولية حامد علي عاملاً على كسلا وذهاب ابي قرجة الى هندوب :

هذا وكان عثمان دقنة بعد واقعة هندوب قد ارسل الى الخليفة في طلب المدد . فأرسل الخليفة حامد علي من أخصاء رجاله عاملاً على كسلا وكتب الى ابي قرجة فاتى هندوب في اوائل ابريل سنة ١٨٨٨ فوجد الإقامة فيها شاقة لقلّة ماؤها وعدم وجود الفلال فيها فأشار على عثمان بنقل الديم الى طوكر فلم يسمع له فاشتد الخلاف بينها ورفع الامر الى الخليفة . وكان الخليفة يحصر على رضى عثمان لأنه لم يكن عنده في السودان الشرقي اصلح منه فاستدعى ابا قرجة الى ام درمان وارسل عثمان نائب مدداً الى هندوب .

واقعة المجيزة في ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨٨ : وفي ١٧ سبتمبر اصدر عثمان دقنة امره الى عثمان نائب فنزل بأنصاره على ٩٠٠ يرد الى الجنوب الغربي من طابيتي الشاطة والمجيزة اللتين تحميان آبار الماء لحامية سواكن وحفر خندقاً

طويلاً فتمتع به وجعل يترصد العساكر ووراد الماء فكلما لاح له شخص رماه بالرصاص . وفي ١٣ اكتوبر أمر جماعة من انصاره قاتوا الآبار خلصة في الليل وشرعوا في ردمها فأحس العساكر بهم وأجلوهم عنها . وكان هولاء سميت باشا يرفع خبر الدراويش الى السردارية في مصر ويسألهم الممدد فحضر السردار غرنفيل باشا بنفسه الى سواكن واستكشف الخندق وعاد الى مصر فاستأذن الحكومة في الحملة عليهم وطردهم من الخندق فأذنت له فطلب الاورطتين التاسعة والعاشر من الحدود النيلية فذهبتا الى سواكن بطريق قنا والقصير . وخافت الحكومة الانكليزية ان العساكر التي توفرت للسردار في سواكن لا تضمن له النصر فبعثت اليه بأورطة من عساكرها . فخرج من مصر في ٢ ديسمبر سنة ١٨٨٨ قاصداً سواكن فوصلها في ٩ منه وقد اجتمع فيها ٧٥٠ من العساكر الانكليزية و ٢٠٠٠ من العساكر السودانية و ٢٠٠٠ من العساكر المصرية . وكانت العساكر الانكليزية بقيادة الكولونيل كوك وعساكر السردار لواين : اللواء الاول وفيه الاورط التاسعة والعاشر والثانية عشرة السودانية بقيادة اللواء كشنر باشا واللواء الثاني وفيه الاورطتان الرابعة المصرية والحادية عشرة السودانية بقيادة اللواء هولاء سميت باشا . وكان معه من الضباط المصريين اركان حرب : القانقاص علي بك حيدر ياوراً . وملحم بك شكور ضابط ملكي المخبرات . والبكباشي ابراهيم افندي فتحي من اركان حرب اللواء كشنر باشا والبكباشي احمد افندي فهمي من اركان حرب اللواء هولاء سميت باشا . ولما كان فجر ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨٨ خرج السردار من سواكن بالجيش كله فوقف بين طابقي الجيزة والشاظة ومعه الطوبخية السواري المصرية والاورطة الانكليزية وأمر اللواءين فزحف الواحد بجانب الآخر مهاجرين الدراويش عن يسارهم فتجمع أكثرهم الى هذه الجهة وأطلقوا رصاصهم على العساكر وهم على ٦٠٠ يرد منهم فاقتحم العساكر الرصاص يحنان ثابت الى ان صاروا على ٢٠٠ يرد منهم فأشعلوا فيهم ناراً حامية . وفي أثناء ذلك كان الطوبخية السواري

والأورطة الانكليزية مع طويحية الواورات الانكليزية الراسية في ميناء سواكن يهدون السبيل للوامين باطلاق القنابل والرصاص في زاوية منحرفة على الخندق وما زال اللوامين يتقدمان وما يفتكان بالدراويش حتى دخلا عليهم في الخندق وطردهم منه بحد السنج فتبعهم السواري اذ ذاك الى مسافة بعيدة فقتلوا وأمروا وانتهت الواقعة الساعة ٨ صباحاً . وكان عدد الدراويش في الخندق نحو ١٦٠٠ رجل قتل منهم ٥٠٠ واكثر وفيهم اربعة امراء وأسر جماعة وفيهم ضرير موسى دقنة ابن عم عثمان . واما خسارة الجيش فكانت ضابطين و ٦ عساكر قتلى و ٢٤ جريحاً . وكان عند الخندق جيزة كبيرة فعرفت الواقعة بها . وقد تسلى هذه الجيزة ساعة القتال رجل من البقارة واخذ يرمي العساكر بالرصاص وهو يشتمهم بأعلى صوته ويناديهم بأقبح الألفاظ فصوب العساكر ناره على فخره الى الارض قتلاً . وبعد الواقعة امر السردار فزيد عدد الطوابي خارج سور سواكن لحماية الآبار ومنع الدراويش من العودة الى مثل حالهم الاول وعاد الى مصر .

انتقال عثمان دقنة بالديم الى طوكر : وبمات عثمان دقنة بنجر واقعة الجيزة الى الخليفة فاهتم للأمر وكتب اليه فانتقل بالديم الى طور في ١١ فبراير سنة ١٨٨٩ وامر ابا قرجه فخف الى كسلا واخذ ما بقي من رايات عثمان فيها ووافاه الى طوكر في اواخر مارس . ولكن لم يكن إلا القليل حتى وقع الخلاف بينهما بشأن الرئاسة على الجيش ورفع الأمر الى الخليفة فكتب في ٣٠ ابريل سنة ١٨٨٩ بأن يكون عثمان دقنة العامل وابو قرجه وكيل له وارسل اربعة امناء وهم : محمد خالد زقل والطاهر المذنوب والشفيع رحمة واسماعيل احمد ليكونوا معهم في طوكر يصلحان ما بينهما ويرفعان الأحوال كما هي الى الخليفة . وفي ١٤ يوليو سنة ١٨٨٩ كتب الخليفة الى عثمان فذهب الى ام درمان قيل للنظر في أمر مهاجرة مصر من طريق القصير بينا النجمي مهاجماً من جهة النيل فمز وهو راجع بالقضارف وكسلا فأخذ منها كل من له رغبة في

الجهاد وأرسلهم امامه ثلة بعد ثلة الى طوكر وما عاد اليها حتى كان النجومى قد خذل في طوشي كما سترى فبقي في طوكر . وما زال النفور بينه وبين ابي قرجة فاستدعى الخليفة ابا قرجة الى ام درمان في ٣٠ ابريل سنة ١٨٩٠ م فسماه اميراً على بربر وبقي عثمان في طوكر وله نقطة صغيرة في هندوب الى ان طردته الحكومة منها في اوائل سنة ١٨٩١ كما سيجيء .

الفصل الثامن

في

وقائع الثورة في خط الاستواء

سنة ١٨٨٩ : ٧٩ م

تزل امين بك الى الخرطوم : تقدم لنا الكلام على بلاد خط الاستواء الى ان يرحها غوردون سنة ١٨٧٩ وصارت في عهدة امين بك . وكان فيها اذ ذاك نحو ١٥٠٠ من العساكر النظامية و ٣٠٠٠ من الباشبوزق . وفي مارس سنة ١٨٨٢ تزل امين بك الى الخرطوم لمقابلة حاكمها رؤوف باشا وبقي فيها الى ١٥ يونيو من السنة المذكورة ثم قفل راجعاً الى خط الاستواء . وكان قد علم في الخرطوم بقيام محمد احمد وعند وصوله الى فاشودة سمع بانكسار جيش الشلاي في قدير ولكنه لم يعبأ بما كان ولم يكن يشك ان الحكومة تسحقه عاجلاً او آجلاً فعاد الى خط الاستواء فاعم البال وكان مولعاً بدرس النباتات والحيوان فعاد الى درسه وجمع روائع النبات الى يوم ٢٨ مارس سنة ١٨٨٤ اذ جاءه كتاب من لبنن بك مدير بحر الغزال يلبثه بهلاك جيش هكس في شيكان وتسليم سلاطين في دارة وامتداد الثورة الى بحر الغزال .

كتاب كرم الله الى امين بك يدعوه الى التسليم : ثم فتح كرم الله بحر الغزال على ما علمت وبعث الى امين بك كتاباً يدعوه الى التسليم وصله في ٢٧ مايو سنة ١٨٨٤ . وكان امين بك اذ ذاك في موقف حرج لأن عساكره على قلنها وعدم تدريبها على القتال كانت موزعة على نحو ٤٠ نقطة في شرق البلاد وغربها ولم يكن عنده من القواد ما يعتمد عليه وقد اعوزته الاسلحة والذخائر والميرة لأن آخر وابور وصله من الخرطوم في ١٦ مارس فعاد منه في ١٤ ابريل سنة ١٨٨٣ . وفوق ذلك فقد كان الدناقلة منتشرين في كل أنحاء البلاد تجاراً ومتسببين بل كان بعضهم كتاباً وموظفين في المديرية وقد مدّوا اعناقهم لسماع اخبار ابن وطنهم المهدي وكتب كرم الله الى كثير منهم يدعومهم الى الهجرة اليه . فأغلق امين بك اذ ذاك كتاب الطبيعة واخذ يقلب في كتب السياسة والادارة لعله يجد فيها باباً ينجيه من ذلك الحرج .

ارسال وفد الى كرم الله : فمقد مجلساً من ضباطه وموظفيه الملكيين وقرأ لهم كتاب كرم الله وسألهم رأيهم فيه فأجمعوا كلهم على التسليم وكتبوا بذلك كتاباً واختاروا وفداً يوصله الى كرم الله فجعلوا امين بك رئيساً له وعثمان حاج حامد قاضي المديرية وعثمان ارباب الباشكاك وكلاهما من أقرباء المهدي وابراهيم اغا مأمور اللاتوكا اعضاء فقلق امين بك لاختيارهم اياه رئيساً للوفد فاعتذر بأن البلاد تصبح في غيابه فوضى واقترح ان يكون القاضي رئيساً للوفد واحب القاضي الرئاسة فبيّن للناس اوجه الصواب في بقاء امين بك فرضوا به وخرج الوفد من اللادو في ٣ يونيو سنة ١٨٨٤ وكان في جملة شروط التسليم ان تبقى البلاد على ما هي عليه الى ان تأتي الواپورات من المهدي في الخرطوم فيذهبون بها ويسلمون اليه وان جيوش كرم الله لا تدخل البلاد بأية صورة كانت . وقد اراد امين بك ان يطاول كرم الله الى ان يجمع شتات عسكره فما سار الوفد حتى أصدر اوامره الى النقاط البعيدة بالتجمع على النيل وحشد جيشاً في اماندي الواقعة على طريق كرم الله الى اللادو وخندق على اللادو واستعد للدفاع .

حصار امادي نوفمبر سنة ١٨٨٤ : واما كرم الله فانه لما اطلع على شروط التسليم أبى قبولها وصمم على ان يكون التسليم على يده فأرسل عبد الله عبد الصند في مقدمة جيشه الى خط الاستواء فحاربه مرجان اغا قومندان طابية امادي في عدة وقائع وقتله فزحف كرم الله اذ ذاك بمعظم جيوشه على امادي فحصرها حتى نفذ زادها وأكل اهلها الجنود فخرج ستة ضباط و ٣٠٠ رجل منهم واخترقوا صفوف المحاصرين ونجوا الى ودلاي بطريق وندي عاصمة مكركة . ثم خرج مرجان اغا القومندان بيباقي القوة بقصد اللخوق بهم فاعترضه كرم الله وقتله هو ومن معه وذلك في اواخر مارس سنة ١٨٨٥ م وكتب الى امين بك بلاغاً نهائياً ليحضر مساماً في ٥ ابريل فاذا لم يحضر في الميعاد المذكور زحف عليه واخذ البلاد عنوة وكان قد كتب له من قبل واخبره بسقوط الخرطوم وقتل غوردون فلم يجبه بل جمع عساكره في نقط النيل بين الرجاف وودلاي وجعل الدفلاي مركز المديرية وجعل العساكر اورطتين الاولى في النقط الشمالية بين الدفلاي والرجاف والثانية في النقط الجنوبية بين الدفلاي ووداي واستعد للقتال. وفيما هو كذلك شاع ان كرم الله رجع يجيشه الى بحر الغزال . واختلف الرواة في سبب رجوعه فقبال البعض ان المهدي دعاه الى ام درمان ليرسله في جيش مصر وقال البعض الآخر ان العبيد في بحر الغزال ثاروا على من خلفهم وراه في المركز. فرجع لتمهيد الثورة وبقي الى ان مات المهدي واستدعاه الخليفة فلبى الدعوة كما مر .

مواصلة امين بك لمصر : ومها يكن السبب في رجوعه فقد كان من سعد امين بك الذي اصبح مه بعد الآن مواصلة مصر . وقد جاءه في هذه الاثناء سائحان اوربيان ومها ينكر الالماني والكبتن كازاتي الايطالي فبقي الكبتن كازاتي معه لمساعدته على حمله وسافر ينكر الى مصر في يناير سنة ١٨٨٦ م وكان امين بك قد كتب الى الحكومة المصرية في ١ نوفمبر سنة ١٨٨٥ يسألها النجدة وارسل كتبه عن طريق زنجبار . ومن غريب الاتفاق ان الحكومة المصرية كتبت اليه بهذا التاريخ ايضاً وفي الطريق عينها فوصلته الكتب في ٢٦

فبراير سنة ١٨٨٦ وكان بينها كتاب بامضاء نوبار باشا رئيس مجلس النظار بتاريخ ٢ نوفمبر سنة ١٨٨٥ يقول له فيه : ان الحكومة قد أخلت السودان وليس في قدرتها ان تساعد بشيء ولكنها فوضته في اتخاذ أفضل الطرق لاخلاء البلاد .

على ان اخلاء البلاد لم يكن من السهل لأنه فضلا عن بُعد طريق زنجبار وكثرة مشاقها ومخاطرها . فان العساكر واكثر الضباط كانوا من السود وقد تزوجوا من نساء البلاد واقتنوا من رقيقها . وفوق ذلك فان انشغال امين بك بدرس النبات والحيوان وعدم اهتمامه بالادارة العسكرية أنسى العساكر الطاعة العسكرية حتى لم يكونوا يسمعون له امرأ إلا اذا وافق أمياله . فلما قرأ لهم كتاب نوبار هاجوا وماجوا وقالوا اذا كان لا بد لنا من ترك البلاد فلا نعرف لنا طريقاً غير الخرطوم وقد أرادوا القبض عليه ولكن بعض ضباط الاورطة الثانية انحازوا اليه وحالوا دون ذلك .

رحلة المستر ستبلي لاتخاذ امين باشا سنة ٧ : ١٨٨٩ :

وفي يناير سنة ١٨٨٧ وصل السائح الالماني فينكر الى مصر ووصلت قبله كتب امين بك الى الحكومة المصرية فلم العالم المتمدن بحاله في خط الاستواء فتألفت حملة في لندن لاتقاذه وتبرع الرحالة الشهير المستر ستبلي فترأس الحملة وأتى بها الى مصر في اواخر يناير سنة ١٨٨٧ . فقابل الجناب العالي الخديوي فناوله فرماناً الى امين باشا بتاريخ ٨ جمادى الاول سنة ١٣٠٤ هـ ١ فبراير سنة ١٨٨٧ م هذا مفاده :

« حررتك لك قبلاً في ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٨٦ نمرة ٣١ مع ما حرره عطوفة نوبار باشا رئيس مجلس نظارتنا فشكرنا لك الهمة والبسالة اللتين أظهرتهما انت والضباط والعساكر الذين معك في الدفاع عن بلاد خط الاستواء المصرية . لذلك قد رقيناك الى رتبة لواء باشا وصدقنا جميع الترقيات التي توصي بها للضباط الذين تحت ادارتك . ولما كان غرضنا الاعظم انقاذك انت والضباط

والعساكر الذين معك من المركز. الحرج الذي صرتم اليه . وقد التفت الآن حملة بقيادة السائح الخبير الطائر الصيد المستر ستني لانقاذكم من ذلك الحرج والمجيء بكم الى مصر في الطريق التي يختارها فقد أصدرنا امرنا العالي هذا وبعثنا به معه لاعلامكم بما كان . وعند وصوله أكلفكم بإبلاغ الضباط والعساكر احسن رغائي واعلموا انكم احرار في المجيء الى مصر او البقاء حيث أنتم مع الضباط والعساكر ولكن اعلوا ان من احب البقاء هناك من الضباط والعساكر فهو انما يفعل ذلك على مسؤوليته فلا يفتظر أية مساعدة من الحكومة . افهم ذلك جيداً وأفهمه للضباط والعساكر ليكونوا على بصيرة مما يفعلون . الامضاء : (توفيق) .

وفي ٣ فبراير سنة ١٨٨٧ خرج ستني بحملته من مصر فصار بطريق البحر الاحمر الى زنجبار ودار حول رأس الرجاء الصالح حتى أتى نهر الكونغو في ١٨ مارس فأبحر فيه الى يंबوعه فوصلها في ١٦ يونيو فترك بعض الحملة فيها حرساً خلفاً وسار بنحو ٤٠٠ رجل فاخترق الغابة العظيمة المشهورة ونزل عند بحيرة البرت في ١٥ ديسمبر بعد معاناة شدائد جمة ووقائع دموية مع اهل الغابة . ولما لم يجد امين بك في البحيرة ولا رأى مركباً يوصله اليه انقلب راجعاً الى يंबوعه . فأتى بقارب كان قد تركه فيها وعاد الى البحيرة . هذا وكان القناصل في زنجبار قد بعثوا فأخبروا امين باشا ان ستني ذاهب لانقاذه بطريق الكونغو فوصل الخبر في مايو سنة ١٨٨٧ وارسل الرسل الى البحيرة للتفتيش عليه فلم يجدوه ولكنهم سمعوا بخبر الحرب التي كانت بينه وبين عبيد الغابة وكان هؤلاء العبيد من حلفاء كبريكة ملك يंबورو فحقن على امين ظاناً انه بعث في طلب ستني لفتح بلاده . وكان امين قد ارسل اليه الكبتن كازاتي لتسهيل مواصلة مصر فطرده كبريكة من داره فذهب به امين في الوابور « الخديوي » الى البحيرة للتفتيش عن ستني فلقيه في نسابي في ٢٩ ابريل سنة ١٨٨٨ . فسلمه ستني الفرمان العالي المار ذكره للعمل به وتركه عنده المستر جفنسن احد اعوانه لمساعدته في شؤونه . ثم رجع ثانية الى يंबوعه لجلب بقية

عسكره . فعاد امين باشا ومعه المستر جفسن الى العساكر وقرأ لهم الامر العالي مبتدئاً من نقطة ودلاي فكان جوابهم انهم يتبعونه حيثما ذهب حتى وصل نقطة كيري فأتاه كتاب من حامد أغا محمد قومندان الاورطة الاولى في الرجاف يحذره من التقدم شمالاً ويقول ان العساكر لا يريدون السفر الى مصر فاذا أتاكم قبضوا عليه وحبسوه فرجع على عقبه . هذا وكان في النقط الجنوبية ضباط من رجال الثورة البرابية فنفضوا روح الثورة في عساكر الاورطة الثانية بقولهم ان الفرمان الذي سمعتموه من امين مزور وان ستلي ورفاقه ليسوا الا سياحاً وقد أتوا بهذه الحيلة ليأخذوكم من بلادكم ويسلموكم عبيداً للانكليز . فصدق العساكر قولهم وقاموا على امين وجفسن في اللابوره وكادوا يفتكون بها وعند وصولهما الى الدفلاي في ١٨ اوجسطس سنة ١٨٨٨ كان فضل المولى احد ضباط السود العظام قد حضر من نقطة قبو الشرقية فألقى القبض عليها وحبسها ثم عقد مجلساً من الضباط فعزل امين عن منصبه وسمى حامداً أغا مديراً على خط الاستواء مكانه وسلم بك مطر قومنداناً للاورطة الثانية .

سرية عمر صالح الى خط الاستواء سنة ١٨٨٨ :

وانهم وكذلك اذ ورد خبر من الشمال في ١٥ اكتوبر سنة ١٨٨٨ انه قد وصل اللادو سرية من الدراويش في ثلاثة وابورات وتسعة مراكب . وبعد يومين جاء الدفلاي ثلاثة من الدراويش ومعهم كتاب من عمر صالح امير السرية الى امين باشا يخبره بما جرى في السودان ويدعوه الى التسليم .
وتحرير الخبر ان الخليفة لم يبرح من باله ان بلاد خط الاستواء كانت لا تزال بيد امين وقد زين له أصحابه فتحها لكثرة ما فيها من سن الفيل والعبيد الصالحين للانتظام في الجيش . وكان قد نوى فتحها بعد فتح سنار ولكن شغلته حوادث ام درمان والحدود المصرية وكردوفان ودارفور والقلبات المار ذكرها فلما انتهى منها او كاد جهز سرية مؤلفة من ١٥٠٠ من اخلاط الجعليين

وعربان النيل ومعهم ٧٠٠ بندقية من رمنتون وغيره وعقد لواءها لعمر صالح وهو جملي مترب في شكا ومتزوج من الرزيقات واصحبه ثلاثة وابورات وتسعة مراكب والكاتب عثمان ارباب المسار ذكره . وأوعز الى سلاطين باشا وجورج استمبولي وبولس صليب فكتب كل منهم الى امين باشا كتابا اجل فيه نصرات المهدي ونصحه بالتسليم وهذه هي صورة كتاب سلاطين :

« وبعد فمن عبد ربه عبد القادر سلاطين الى حضرة المكرم محمد امين مدير خط الاستواء وفقه الله الى الصواب. بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته نعلمك ان العارف لا يعرف وانك ذو عقل ودراية وتعلم ان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . وقد أراد الله تعالى ظهور المهدي المنتظر «عم» وانتشار امره في جميع الأقطار . وبلغك ما حصل له من النصر على جيوش الحكومة في جزيرة أبا وجبل قدیر . ثم زحف على كردوفان فافتتحها وأهلك من فيها من العساكر . وأرسلت عليه الحكومة جردة برئاسة علي بك فقتلها . ثم أرسلت عليه الجيش المصري بقيادة هكس باشا الى كردوفان فأهلكه «عم» في ربيع ساعة بجميع من معه من ضباط مصريين واورباويين وفيهم علاء الدين . ثم بعد قتل المذكورين حرر النسا مكاتبات ونحن اذ ذلك بحجة الغرب بدارة فحررنا اليه ردها بالاذعان والتسليم ثم حضر الجيش المعين لجهتنا فلما تراءى لنا وجه الحق خرجنا اليهم من الاستحكام الذي عملناه في دارة وسلمنا الأمر للمهدية وجميع ما معنا من أشياء الميري سلمناه لهم وأعطينا لنا جميع أملاكنا من خيل ورقيق ومصوغات وغيرها . ثم توجهنا معهم الى مديرية القاهر وكان فيها السيد جمعة فلسنام جميع ما فيها من أشياء الحكومة . وكذلك سلمنا مديريات كلكل وكبكبية وام شنقة . ثم توجهنا لمقابلة المهدي «عم» وخليفته عليه الرضوان فقابلناهما وأخذنا البيعة وحصل لنا من الاكرام والاحترام ما مرنا وشرح صدرنا . وتوجهنا مع جيش المهدية الى الخرطوم وحين وصولنا حررنا كتابا الى الفوردون وعرفناه بما شاهدناه في جيش المهدية وأعلمناه بما حصل لنا من الاكرام وطلبنا منه ان يفعل مثل ما فعلنا فأبى ومكر .

وحرر اليه المهدي « عم » انذاراً وأمنه على نفسه فأعرض عنه فأمر المهدي « عم » وخليفته عليه الرضوان الجيش باقتحام خندق الخرطوم وكان فيه من العساكر ما ينيف على الف مقاتل من جهادية وملكية وغيرهم وفي ساعة واحدة قتل الغوردون وجميع الضباط والعساكر والتجار وما نجا منهم إلا طويل الاجل وصارت الحكمدارية في حوزة المهدي بجميع ما فيها من الاسلحة المتنوعة والجباخين والمدافع والصواريخ والخزائن . ثم ارسل جيش لفتح سنار وآخر لفتح كلا ففتحتا . وفي أثناء اقامة المهدي « عم » وخليفته بجهة كردوفان والبحر ارسلت الحكومة ما ينيف على خمس وعشرين جردة بطريق سواكن فدخلت جميعها على يد جيش المهدي المقيم بتلك النواحي وقتل جميع ضباطها من باشوات وغيرهم كبار باشا واستورت واستورت الثاني وغيرهم وخربت جميع مراكز الحكومة مثل بربر وفاشودة وفازوغلي ودنقلة والقلابات . ثم بعد هلاك الجردات المصرية ارسلت الحكومة الانكليزية عدة جردات بطريق دنقلة وسواكن فقتلت ايضاً وما رجع منها الى القطر المصري إلا النذر اليسير . وفي شهر جهادي الاول من هذه السنة وجه جيش وافٍ يضاهي ١٢٠ ألفاً من طرف سيدنا خليفة المهدي « عم » لغزو الحبشة فدخلها وأهلك من جيوشها عدداً وافراً وغنم جميع ما معهم من الاسلحة والمدافع والخيول والبغال وكان جيش الحبشة تحت رئاسة النقص راس عدار واحضرت نساؤهم واولادهم حتى اولاد راس عدار ذاته وقد أحرق مدينة غندر وهمدم ما فيها من الكنائس والقصور . والآن حضر ابن النقص تادرس طالباً الأمان فأعطيه وهو الآن في البقعة بمعية سيدنا خليفة المهدي « عم » وصار الحبشة يأتون افواجاً للمهدي مسلمين ومسلمين . ولما صار جميع جهات السودان من دار برقو والى وادي حلفا في قبضة المهدي أرسلت الجيوش الكافية لفتح الجهات البحرية وقد وصل اوائل الجيش بقرب كورسكو ومجم على النقط التي في جوار المركز المذكور وقتل من فيه من العساكر وضبط رؤساء النقط المذكورة واحضروا الآن الى خليفة المهدي « عم » وهذا الجيش الذي وصل بقرب

كورسكو هو المعين بطريق المرات وأما الجيش المعين بطريق دنقلة فهو الآن في حلقا . وبما ان المهدي لا قصد لها إلا هداية العباد قد حرر سيدنا خليفة المهدي « عم » انذارات الى السلطان عبد الحميد وتوفيق والي مصر وفكتوريا ملكة الانكليز فان أذعنوا وبلوا فقد حازوا السلامة وان أعرضوا فلا بد من هلاكهم اسوة من تقدمهم من رؤساء الحكومة . ولما توجهت انظار سيدنا خليفة المهدي « عم » لخلاصكم مما أنتم فيه وانضمامكم الى جيش المهدي استأذناه في مخاطبتكم لسابق مودتنا معكم فأذن لنا « رضه » وجررنا اليكم هذا لتعلموا حال الحكومة وانشغالها بنفسها عنكم فعليكم قبول اوامر خليفة المهدي « عم » وإياكم والاعراض عنها فانه ما اعرض عن أوامره أحد إلا ذاق شديد النكال لأن أمر المهدي هذا من الله ورسوله فلا يستطيع أحد من المخلوقين ان يقاومه كما شاهدنا ذلك بأعيننا ونحمد الله تعالى ونشكره على ما أولانا من الاسلام والتسليم والاندراج في سلك المهدي وأخرجنا من الظلمات الى النور . فان أردتم السلامة فافعلوا كما فعلنا ولا تظنوا انكم تقاومون المهدي التي أمرها دولة مصر والانكليز فضلا عن كان مثلكم منقطعاً في بلاد العبيد وما كتبنا هذا اليكم إلا حباً بسلامتكم فان سمعتم نصحننا وسلمتم للمهدي فقد حصل المقصود وسنجتمع ان شاء الله تعالى ونصير يداً واحدة في خدمة المهدي فتشكرون صليعنا وتعلمون محبتنا لكم وان أعرضتم فأنتم الجائون على أنفسكم . وبلغوا سلامنا الى جميع من معكم من الضباط والعساكر . وما نحن منتظرون رد الجواب لنعلم ما أنتم عليه ليطمئن قلبنا من جهتكم . ثم نعلمكم ان عبد الله لبن قد توفي الى رحمة مولاة (هذه السنة) بالحق . وطيه صورة ما تحرر من خليفة المهدي « عم » الى السلطان وتوفيق والانكليز للاطلاع عليها سنة ١٣٠٥ هـ .

- فحمل عمر صالح هذه الكتب وخرج بالجيش والوابورات من ام درمان في ١١ يونيو سنة ١٨٨٨ فوصل اللادو في ١١ اكتوبر فرجدها خالية من العساكر ولكنه وجد فيها كثيراً من سن الفيل فأرسله الى ام درمان . وسأل عن امين

باشا فعلم انه في الدفلاي وان اول جيشه في الرجاف فأرسل اليه ثلاثة رسل بكتاب يدعوهم الى التسليم كما مر* ويخبره بكتاب سلاطين له فقتل المعصاة الرسل وصمموا على الحرب .

واقعة الرجاف الاولى: وكان عمر صالح بعد ان أرسل الرسل ترك حامية صغيرة في السلاو مع الاربورات وتقدم بمعظم جيشه الى الرجاف فخرج اليه حامد آغا في قلعين فهزمه ودخل الرجاف فاستحوذ على النساء والاولاد وغنم مدفعين و ١٨ صندوق من الجبخانه وكثيراً من الاسلحة والأمتعة والحبوب والرقيق والمواشي .

واقعة الرجاف الثانية في ١٢ نوفمبر سنة ١٨٨٨ : ثم جمع حامد آغا شتات جيشه وعاد به لاسترجاع الرجاف فخرج اليه عمر صالح الاثنين في ١٢ نوفمبر سنة ١٨٨٨ فقتله وقتل نفراً من عسكره وضباطه وفيهم علي جبور وبخت من الضباط السودانيين وسالم خلاف وعبد الوهاب طلعت من الضباط المصريين وحسن لطفي الكاتب . وكانت خسارة عمر في الواقعة الاولى ١٠٦ قتلى وفي الثانية ٧ قتلى و ٣ جرحى .

خروج امين وجفسن من السجن : هذا ولما بلغ النقط الجنوبية خبر هاتين الواقعتين اضطربوا وارتاعوا وأخذوا يستعدون للدفاع فاغتم انصار امين من الموظفين الملكيين وغيرهم فتوسطوا له عند المعصاة فخرج هو وجفسن من السجن واخذ النساء والاولاد والموظفين الملكية وفيهم عثمان بك لطيف وكيل المديرية وسار جنوباً الى ودلاي .

حصار الدفلاي : وتقدم عمر صالح لفتح الدفلاي وكان قد اجتمع في طايبته بقية الاربطة ومعظم الاربطة الثانية بقيادة سليم بك مطر فأقام على حصرها مدة ثم رجع مخذولاً الى الرجاف بعد ان قتل نحو ١٤ ضابطاً من ضباطها وهالك ما كتبه الى الخليفة في ١٣ ربيع آخر سنة ١٣٠٦ ١٧٥ ديسمبر سنة ١٨٨٨ م بهذا الشأن :

« وبعد فمن عبد ربه عمر صالح الى القائم بأمر الله خليفة المهدي « عم ،
 الخليفة عبد الله بن محمد ... بعد الفراغ من محاربة حامد محمد مأمور ادارة
 خط الاستواء فجميع الكفرة في محطات الشلال وكيري ومقي واللابورة توجهوا
 الى الدفلاي مركز المديرية وتركوا المحطات قاعاً صافاً . ولعلمنا ان أميناً
 معهم بالمركز المذكور وهو الغرض المطلوب خرجنا بنفسنا ومعنا بغالب الجيش
 تاركين باقيه لمحافظة ديم الزجاج والوابورات والعائلات والمريض من الاخوان
 وجددنا السير ثمانية ايام حتى وصلنا الدفلاي فوجدنا أميناً قد توجه الى محطة
 ودلاي ومعه البعض من النصاري واولاد الريف المائلين اليه وأما الماسكر
 والضباط من السودان واولاد الريف فقد اقاموا في قيقرة الدفلاي فكتبناهم
 ثلاث مرات وأخبرناهم بما معنا من المكاتبات الشريفة الصادرة اليهم من السيادة
 وعرضنا عليهم ان نرسلها اليهم فلم يفيدونا بسوى قولهم « انتم خطيرة ،
 فحاصرناهم ليلاً ونهاراً قريباً منهم جداً حتى كنا منهم برأى ومسمع . وبعد
 ثلاثة ايام خرجوا قلعة فحمل عليهم الانصار حلة رجل واحد فولوا هاربين
 ودخلوا قيقرم . فلما كانت اليوم الرابع من الحصار أي يوم الاربعاء في ٢٤
 ربيع الاول سنة ١٣٠٦ أجمع الاخوان على مهاجمتهم في القيقرة فحمل عليهم
 تسع رايات ... وبنض الجهادية ليلاً قبل طلوع الفجر وحصروا القيقرة من
 الجنوب وحصرها باقي الرايات من الجهة الغربية وعندما وصلوا الصبح حلوا على
 القيقرة حلة رجل واحد فوجد بعض الاخوان الذين هاجموا من الجنوب سبيلاً
 الى الدخول بعد غخاطرة جسيمة وتغذر ذلك على باقي الجيش لأن القيقرة كانت
 محصنة بخندق عظيم ولها ابواب محكمة فاجتمع الاصحاب على الباب الجنوبي
 يضربونه بالفتوس والسيوف فما أراد الله فتحه لشدة متانته ولا أراد الانصار
 الرجوع فتمكن أعداء الله منهم وصاروا يرمونهم بالرصاص حتى استشهدوا
 جميعاً ثم ورؤوس الرايات الثمانية وكان الواحد منهم يقول لصاحبه تقدم على
 الكفرة فأنا شهيد فيجيبه صاحبه وانا ايضاً شهيد ولما لم يجدوا للدخول سبيلاً
 وخشية من ان يراهم الله مدبرين من أعداء الله كان يقبض الواحد منهم على

يديه كاقباض المصلي ويطرق استحياء من ان يراه الله مدبراً عنه حتى استشهدوا جميعاً بهذه الحالة. وأما راية آدم جاد الرب التاسعة فقد نجحها الله بصاحبها. وأما الذين دخلوا القيقرة من الاصحاب فانهم مع قلة عددهم اختلطوا بالساكر داحل القيقر وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ودخل بعضهم الواوير فقتلوا قبطانه وجميع من فيه حتى ضرب الأعداء بوريهم وتجمعوا على الاصحاب من كل جانب فاستشهد منهم من استشهد وسلم من أراد الله سلامته . ويوم الجمعة أي بعد الواقعة بيومين خرجوا قلعة فما حل الانصار عليهم حتى رجعوا الى قيقرم . وفرغت الجيخانة منا في زمن الحصار والوقعات الثلاث فلم يبق منها إلا جانب يسير ومع ذلك ما زلنا مصممين على محاصرتهم حتى أتانا خبر بأن الترك الذين بمكركة متحركون على ديم الرجاف وقد أرسلوا لهم طلائع من المبيد فاستصوبنا الرجوع لوقاية الديم فوجدناه بحمد الله سليماً والطلائع موضوعة في الحديد ونحن الآن مقيمون بديم الرجاف على أحسن حال ... والسلام . اه .

هذا وكان عمر صالح قد علم بمجيء ستعلي لانقاذ امين وحبس المناكرو لامين وجفسن في الدفلاي ورفضهم الذهاب الى مصر فكتب في ذلك الى الخليفة وكان قد ارسل اليه تفاصيل واقعي الرجاف وبعض النوائم فلخص الخليفة هذه الكتب وأرسلها الى محافظ سواكن اشهاراً للنصر فقلقت الافكار في مصر بشأن ستعلي وأمين مدة .

وفي ٤ ديسمبر شاع في ودلاي ان الدفلاي سقطت في ايدي الدراويش فخرج امين باشا بمن معه من الملكية والاتباع وفيهم كازاتي وجفسن وسار جنوباً الى تنقرو فأقام فيها ينتظر ستعلي . وفي ١٨ يناير سنة ١٨٨٩ عاد ستعلي بجملته فمسكر في كفال غربي البحيرة وبعث في طلب امين وقومه فشق على امين رجوعه الى مصر بدون عسكره فكتب الى سليم بك مطر وهو أرشد ضباطه وأعقلهم ملحقاً عليه بالهجيء مع سائر الضباط لمقابلة ستعلي وكان الضباط قد سمعوا ان ستعلي عاد في المرة الثالثة بقوة عظيمة فحاقوا اذا

لم يصدعوا بالأمر ان يزحف ستلي عليهم من الجنوب والدرأويش من الشمال فيصبحوا بين تارين فجاء سليم بك ومعه ١٤ ضابطاً في واوري الخديوي ونيانزة الى امين باشا في تنقرو فاعتذروا له عما فرط منهم فسامحهم وذهب بهم الى ستلي فمقد معهم مجلساً أقرأوا فيه على السفر من كفالي بطريق زنجبار في ١٠ ابريل سنة ١٨٨٩ ومن تأخر عن الميعاد تركوه . ورجع الضباط على أن يعودوا بالعساكر في الميعاد او قبله ولكنهم لما رأوا ستلي آتياً بنفر قليل ورأوا الدرأويش قد استكنوا في الرجاف اعتصب اكثرهم برئاسة فضل المولى وعادوا الى رأي البقاء حيث هم . على ان سليم بك مطر كتب الى امين باشا بأنهم لا يزالون مصممين على السفر وسأله انتظارهم فطلب امين تأجيل السفر ٣ اشهر فرفض ستلي ذلك بتاتا وبلغه ان بعض المهاجرين في المعسكر قد رغب عن السفر فصفهم صفاً واحداً وقال من اراد البقاء هنا فليخرج من الصف فبرز له واحد فأمر بسجنه في الحال وأقر الباقيون على السفر وكان عددهم ٦٠٠ نفس وعدد نفوس الحملة كلها ١٥٠٠ . فلما جاء الميعاد المضروب للسفر خرج ستلي بأمين والحملة من كفالي وسار في طريق زنجبار فأصابته حمى في مازمبوني فتأخر فيها الى ٨ مايو وما خرج منها حتى وصله رسول من سليم بك مطر يخبره بأنه آت على أثره ومعه ٨٠٠ رجل ما عدا النساء والأولاد وبسأله انتظاره قليلا فبعث اليه في الجواب : « ان اسرع في السير فتدركني لأنني اسير على مهل واما ان انتظرك ولو دقيقة فلا » . وبقي دائباً في السير حتى وصل زنجبار في ٦ ديسمبر سنة ١٨٨٩ وذهب منها الى مصر فبلاد الانكليز فكتب تاريخ رحلته هذه في مجلدين .

وفاة سليم بك مطر : وأما سليم بك فانه وصل يجماعته الى كفالي فحل فيها الى ان أتاه الكبتن لوجارد من رجال الشركة الانكليزية في شرقي افريقيا فأخذه الى أوغنده فجنّد من رجاله من اراد التجنيد في خدمته وأرسل الباقي الى مصر ثلة بعد ثلة فوصل اولهم في ٩ يونيو سنة ١٨٩٢ وآخرهم في مارس

سنة ١٩٠٣ . وأما سليم بك فقد وافته المنية في اوغنده وهو على أهبة السفر الى مصر .

وفاة امين باشا : أما امين باشا فانه لم يذهب مع ستلي الى مصر بل بقي في زنجبار فدخل في خدمة الالمان وعاد الى خط الاستواء مرة بكفالي في ابريل سنة ١٨٩١ قبل سفر سليم بك منها فأحب ان يجند عسكره في خدمته فأبوا له لمهم انه ترك الحكومة المصرية فسار في مهمته الى الكونغو فاعترضه بعض العبيد في الطريق وقتلوه :

ومن كانت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها

وبقي في خط الاستواء خصمان عنيدان عمر صالح في الرجاف وفضل المولى في الدفلاي ثم انتقل هذا الى ودلاي ودخل خدمة البلجيكي فبقي حتى قتله الدراويش كما سيجيء .

هذا وقد أصبح التعايشي بعد فتح خط الاستواء سيد السودان المصري كله من حلفا الى الرجاف شمالاً وجنوباً ومن سواكن الى وداي شرقاً وغرباً وكان قد أقبح جميع مقاوميه في السودان فبلغ الآن اعالي مجده ثم اخذ نجم سعده في الأقول الى ان دالت دولته وانقضى امره . وكان بدء سقوطه اتخذاله في غزوة مصر كما سيجيء .

الفصل التاسع

في

وقائع الحدود ودنقلة وفيها غزوة النجومي لمصر

سنة ٦ - ١٨٨٩ م

وقائع الحدود سنة ٦ - ١٨٨٩ :

تخريب سكة الحديد بين حلفا وعكاشة سنة ٥ - ١٨٨٦ : تقدم لنا ذكر اخبار الحدود الى ان خرج الانكليز منها سنة ٦ - ١٨٨٧ وتركوها لحماية الجيش المصري بقيادة سرداره الهام غرنفيل باشا . وكان على دنقلة اذ ذاك عبد الرحمن النجومي يستعد لغزوة مصر . وقد أرسل مقدمة جيشه بقيادة النور الكنزي الى الحدود فوصل سرس في ٩ نوفمبر سنة ١٨٨٦ . وكان محمداخير قد خرب سكة الحديد بين عكاشة وسرس سنة ١٨٨٥ فخربها النور الكنزي بين سرس وعبكه في أواسط نوفمبر سنة ١٨٨٦ واحتل عبكة . وكان آخر نقطة للجيش في خور موسى باشا فأخذ النور الكنزي بعض رجاله واقتلع بعض قضبان سكة الحديد بين خور موسى وحلفا . وكان قومندان الحدود اذ ذاك الجنرال مونتورنسي فساق الجنود وقصده الى عبكه ففر امامه الى جنوبي سرس ثم عاد الى سرس وديم فيها .

واقعة سرس في ٢٨ ابريل سنة ١٨٨٧ : فبلغ خبر عودته تشرمسيد باشا قومندان حلفا في ظهر ٢٧ ابريل سنة ١٨٨٧ فجهز سرية من المساكر الطويحية والسواري والمشاة والباشبوزق الشايقية وسار بهم ليلا الى سرس قصد مباغتته المهجوم . وما طلع فجر ٢٨ ابريل حتى كانت المساكر قد أحدقت بالبلدة من الجهات الثلاث ومن الجهة الغربية النيل . وكان النور الكنزى قد عسكر في سفح تلة هناك وجعل رجاله المسلحين بالأسلحة النارية في برج على التلة بناء الجيش قديماً فأمر تشرمسيد الطويحية فصبوا القنابل نحو البرج فهدموه ثم أمر الباشبوزق الشايقية وكانوا نحو ٧٠ رجلاً فتسلقوا التلة وقتلوا من كان في البرج . وفي أثناء ذلك هاجم النور الكنزى فأوقع الفشل في ديمه وقتله هو ورجاله وكانوا يزيدون عن ٢٠٠ رجل فلم يفلت منهم احد . وأما خسارة تشرمسيد باشا فكانت ٢١ قتيلاً و ٣٠ جريحاً .

مجيء عبد الحليم مساعد الى الحدود سنة ١٨٨٧ : ولما بلغ النجومي خبر هذه الكسرة أرسل الى الحدود جيشاً قوياً بقيادة عبد الحليم مساعد فبنى ديماً في فرقة وأرسل مقدمة جيشه فاحتلت سرس في ١٨ يونيو ثم لحقها بجميع الجيش في ١٨ ديسمبر سنة ١٨٨٧ فاجتمع عنده هناك ٢٨٠٠ مقاتل فيهم ٢٠٠ فارس و ١٠٠ هجان .

غزوة دراويش ابي حمد للكلابشة في ٢٥ فبراير سنة ١٨٨٨ : هذا وكان الخليفة قد جعل حامية في بوغاز أبي حمد لرصد حركات الجيش في كورسكو وعهد بها الى الحسن محمد خليفة فبلغه ان في شرقي الكلابشة نقطة للبوليس المصري عليها الملازم محمد فتني فركب يجماعة من انصاره وهجم على النقطة في ٢٥ فبراير سنة ١٨٨٨ فقتل بعض البوليس واختطف الملازم وعاد به الى أبي احمد ثم ارسله الى أم درمان فسر به التعايشي سروراً عظيماً وخرج به الى ساحة « العرضة » فاستعرض جيوشه امامه ثم أرسله الى القلابات ليرى جيوش أبي عنجة وأعادته الى أم درمان . وجعل السردار سنة ١٨٨٩ نقطة من العبادة المليكاب في آبار المرات برئاسة صالح بك خليفة لتكون في صدد

تأريخ السودان

بوغاز أبي حمد كما سيجيء فسمى قلم الخبارات مع صالح بك فأخذ الملازم محمد فنتي من قلب أم درمان وأتى به مصر بطريق المرات في ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٩٢ .

غزوة دراويش سرس لارمننة في ٥ ابريل سنة ١٨٨٨ : ولترجع الى الدراويش في سرس فان الزاد الذي أتوا به من دنقلة نفد ولم يكن في بلاد سرس إلا الحجارة وبعض اشجار النخيل فقطعوا تلك الاشجار وأكلوا جوفها وبعثوا في طلب الزاد من دنقلة فأبطأ عليهم . وفي ٢٢ مارس أتهم مدد مؤلف من ٥٠٠ مقاتل بلا زاد . وكان امر الخليفة لهم ان يبقوا محافظين على الرباط فلا يباثرون حركة عدائية حتى يصلهم النجومي يجيشه فلما جاعوا عصوا الأمر وأصبحوا كالذئاب الخاطفة يشنون الفارة على بلاد الحدود فيقتلون وينهبون ويعودون الى ديمهم في سرس . ففي ٥ ابريل سنة ١٨٨٨ غزا جماعة منهم ارمنة على ٥٠ ميلا شمالي حلغا فانتهبوا ماشيتها وقتلوا ٣ من أهلها وعادوا الى سرس .

غزوة التوفيقية في ١٩ يوليو سنة ١٨٨٨ : وفي ١٩ يوليو سنة ١٨٨٨ م مجتعت سرية منهم على التوفيقية وهي مدينة استحكام حلغا فانتهبها وقتلت من أهلها وعادت الى سرس غافة . وقد ذعر اهل التوفيقية ذعراً شديداً عند رؤية الدراويش فرموا بأنفسهم الى النيل وكان عند شاطئه ٢٠ مركباً فنزلوا فيها وعبروا الى جزيرة تجاه البلدة ففرق ثلاثة مراكب فيها ١٣٧ نفساً . وما وصل خبر الدراويش الى حامية حلغا حتى كانوا قد أبعدوا جنوباً فركب بعض السواري والمجانة في اثرهم فلم يدركوهم .

مهاجمة طابية خور موسى في ٢٩ اوغسطس سنة ١٨٨٩ : وهذا النصر الذي ناله الدراويش عند انف الاستحكام جرأهم على مهاجمة الاستحكام نفسه ففي ٢٩ اوغسطس سنة ١٨٨٨ خرج ٥٠٠ رجل منهم بقيادة عبد الحفيظ وهجموا على طابية خور موسى قصد اخذها فقتلوا الخبير على الباب فاستيقظ وكيل الخفراء وفتح الباب مذعوراً ليعلم ما الخبر فقتلوه هو ومن معه من

الخبراء ودخلوا الطابية نصف الليل . وكان فيها بلوكان من الاورطة السابعة المصرية وبلوك من المهجانة عليهم البكباشي عبد الغني فواد قومنداناً فبعث عبد الغني رسالة تليفونية الى ود هوس باشا قومندان العساكر في حلفا فأرسل في الحال وابوراً حربياً في النيل ونقرأ من العساكر في سكة الحديد بقيادة ماتشل بك . وكان الدراويش قد احتلوا الجهة الجنوبية من الطابية وتجمع لهم العساكر مع القومندان في الجهة الشمالية فأخذ الواور يرمي قنابله على الجهة التي فيها الدراويش الى ان وصل ماتشل بك فأحاط جهتهم بمعظم التماسكر وأتى بالباقيين الى باب الطابية ففتح عليهم ناراً دائمة فذعروا وتسلقوا الجدران قصد الفرار فتلقاهم العساكر الذين كانوا متربصين لهم خارج الطابية ودخل ماتشل الطابية فنقاهما منهم . وكانت خسارتهم في تلك الليلة ٨٥ قتيلاً وكثير من الجرحى . وأما خسارة الجيش فكانت ١٩ قتيلاً و ٢٤ جريحاً .

غزوة صحابة وارجين في ١٥ ابريل سنة ١٨٨٩ : وبقي الدراويش في سرس مدة بعد هذه الكسرة لا يحركون ساكناً حتى عاد النجومى من ام درمان على نية غزو مصر فجددوا المهمة وكان لهم نقطة امامية في عبكة ونقطة تجاهها في معتوقة فلما كان يوم ١٥ ابريل خرج جماعة عبكة على صحابة على ٦ اميال من حلفا وجماعة معتوقة على ارجين تجاه صحابة فانتهبوا ماشية البلدين وعادوا قبل ان تدركهم العساكر :

غزوة دبيرة في ٢٩ ابريل سنة ١٨٨٩ : وفي ٢٩ من الشهر المذكور خرج جماعة منهم ليلاً قاصدين دبيرة على نحو ١١ ميلاً شمالي حلفا وكان الجيش قد أخرج الواورات في النيل لحماية البلاد شرقاً وغرباً بين حلفا وكورسكو فعلم بهم البكباشي دن قومندان احد الواورات فأسرع لنجدة البلدة ولكن الدراويش كانوا قد دخلوها قبل وصوله فاخطفوا ما استطاعوا من الماشية والامتعة وساقوا بعض الامالي أسبرى وانقلبوا راجعين فأسرع البكباشي دن الى حلفا وأخير ود هوس باشا بما كان فأصدر امره في الحال الى هكن بك فخرج بمئة فارس وكن لهم في طريقهم الى سرس على ٣ اميال من حلفا . وفي فجر ٣٠

تأريخ الشيعة

أبريل أطل الغزاة وكانوا نحو ٥٠ رجلاً وقد ركب بعضهم الأبل وبعضهم الخيل والباقيون مشاة وهم يسوقون أمامهم الماشية والأسرى فأغار عليهم هكن ورجاله حتى صاروا على ٣٠٠٠ يرد منهم فزّلوا عن خيولهم وأصلوهم ثاراً حامية ثم ركبوا خيولهم واقتحموم ودخلوا بينهم وأعملوا فيهم السيف وقد صالوا عليهم حتى كانوا يلتقطون حراهم من الأرض ويطعنونهم بها . وهجم اميرهم ود رحمة على باشجاويش من السواري يدعى حسن محمد الفقي (الآن يوزباشي) فطمعه بحربة في جنبه فأخرج حسن الحربة من جنبه وأنشبا في صدر ضاربه فصرعه وبلغ ود هوس خبره فأوصى به فرقي الى رتبة ضابط . وقد أظهر الفرسان المصريون في هذه الوقعة خبرة تامة في استعمال الحرا ب فأدخل السردار المزارق في سلاح السواري من ذلك العهد فجعل نصفهم بالسيف والنصف الآخر بالمزاريق . ولم يفلت من الدراويش في هذه الوقعة إلا طويل الاجل وقد أسر العساكر منهم ثمانية رجال وأنقذوا أسرى ديرة وعادوا الى حلفا مكلاين بالظفر .

غزوة سرّا الغرب في ٩ مايو سنة ١٨٨٩ : ومع ذلك لم يكف الدراويش عن التمدي والغزو ففي ٩ مايو سنة ١٨٨٩ خرج عبد الحفيظ شمت بنحو ٦٠٠ رجل وهجم سرّا الغرب فقتل وأسر وغنم ولكن علم به ود هوس فأنجسد البلدة وأنقذ الأسرى .

وقائع دنقلة سنة ٧ - ١٨٨٩ :

وقوع النزاع بين النجومي وقيدوم : تتدم ان التماشي ارسل مساعد قيدوم من اهله ليكون وكيلاً للنجومي في الظاهر ورقيباً عليه في الباطن فنازعه السلطة ولم يسمح له ان يقطع أمراً إلا بمشورته فعظم ذلك على أعز أبكار المهدي وفاتح الدائر والخرطوم وقائد السرية المصرية فاستأذن الخليفة وخرج من دنقلة الخميس في ٢٢ مارس سنة ١٨٨٨ غاتى أم درمان وبسط شكواه من قيدوم فتصام الخليفة عن سماعها وحبس النجومي عنده مدة قصد تذليله وتعويده على الرضى بالحال التي يرضاها له .

حكى لي من أثق بصدقه : ان الخليفة التفت الى النجمي في بعض جلساته في الجامع وقال انت يا ولد النجمي « مالك هين لكن هويتن » أي اسمك كبير ولكن فعلك صغير وكرر ذلك مراراً ثم التفت الى الهادي دفع الله من كبار الحلاويين وقضاة الفتح الاول وقال : « يا الهادي اذا كان الرئيس هوين ولكن مو هين اما يضر الجيش » فقال الهادي : في المثل السائر يا مولاي « ان الف ثعلب يقودم اسد خسر من الف اسد يقودم ثعلب » . فضحك الخليفة حتى استلقى على قفاه وقرب الهادي فجعله قاضياً من قضاته فاعتاظ النجمي من ابتذاله امام الجمهور وقال لأصحابه : لا خير في العيش بعد هذا فاذا لقيت العدو رميت بنفسي في نحره وموت موت الشهداء . ثم اذن له الخليفة فرجع الى دنقلة فوصلها الاثنان في ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨٨ ورجع الى النزاع مع قيدوم فكتب قيدوم يشكوه الى الخليفة بما نصه :

« ... وبالتفحص في حاله وجدنا ان المذاكرات التي سمعنا من جنابكم شفاهياً ما أثرت فيه ولا هو راض بما في الأوامر الرسمية المحررة اليه بل ازداد من جهتنا بغضاً ولا زال منطوياً على غير المطلوب وعلى قدر ما سعينا في الطريقة التي تحبب اليه الجيش فهو لا يزال صاعداً عنها ونيته بخلاف نيتنا فان كانت بالسيادة مؤملة فيه نصره الدين والقيام بأحوال الجيش فلا نرى لذلك سبيلاً لعدم عمله بشروط النصره وواجباتها وعدم صفاء نيته . وقد تداولنا معه قريباً في مصالح الدين فقلنا له في عرض الكلام أنت رئيس الجيش فاعرض عن هذه الكلمة وقال ان رئاستي ليست برئاسة بل هي عملية وهو لا يزال متضجراً ويتلفظ برغبته في الرجوع ... وهذه الحالة لا تحصل بها راحة ولا يمكننا السكوت عليها فانم رفعها لجنابكم للعلمومية سنة ١٣٠٦ » .

تسمية يونس الديكم عاملاً على دنقلة : فأرسل الخليفة ثلاثة أمناء هم ابراهيم الحاج ومكي ابو حراز والهادي دفع الله فنظروا في الخلاف بين النجمي وقيدوم ورفعوا تقريرهم اليه فاستدعى قيدوم الى أم درمان وأرسل يونس الديكم المار ذكره عاملاً على دنقلة وأمر النجمي بطاعته .

غزوة النجومي لمصر سنة ١٨٨٩ :

وكان التعايشي قد استراح من المشاغل الداخلية واستتب له الأمر على حدود الحبشة ودارفور وخط الاستواء فباشر الآن ما طالما جاهر به من غزو مصر بدهاء عجيب فانه أمر النجومي فلم جميع الجهادية والأسلحة والنخائر الى يونس الدكيم ولم يبق مع النجومي إلا الجيوش والأمراء الذين لا يأمن جانبهم او لا يمه عاشوا او ماتوا وبقي يونس في دنقلة يحيش قوي بحجة المحافظة على دنقلة ونجدة النجومي عند الاقتضاء متوقفاً للنتيجة حتى اذا فاز النجومي لحقه وانتفع بنصره وإلا بقي بالجيش المصفى في دنقلة .

وكان الخليفة قد كتب الى مشايخ العباددة وبعض اصالي الصعيد للخروج عن طاعة الترك والقيام معه للجهاد تمهيداً لجيوشه الزاحفة لغزو مصر . ومما كتبه بتاريخ ٢٥ محرم سنة ١٣٠٦ هـ ١ اكتوبر سنة ١٨٨٨ م الى بشير مصطفى ابي جبران :

« ... وبعلمك ان المهدي قد اتسعت دائرتها وشاع في بلاد الله امرها وقد التفتت الآن لفتح الجهات البحرية والشرع في توجيه الجيوش اليها بعون رب البرية ولا بد من وصولها لجهاتكم عن قريب فيلزم ايها المكرم ان تكون في غاية الاهبة والاستعداد والتحزب لجهاد اعداء رب العباد فانا بالنظر لما بلغنا عنك من علو الهمة وتصديق المهدي عليه السلام اخترتك ان تكون عاملاً من طرفنا على اهلاليك العشاباب وجميع من تبهم وحررتنا لك هذا بالعبالة عليهم وأمرنا المكرم محمد بحر كرار بؤازرتك على ذلك ومساعدتك على تنفيذ اشارتنا والقيام بأمرنا في تأييد الدين وجهاد الكافرين فيلزم أول أصول كتابنا هذا اليك ان ثلبي على اهلاليك كافة بالتحزب والاستعداد لجهاد اعداء رب العباد بحيث اول ما يبلغكم قدوم الجيوش من دنقلة الى جهات حلفا تنفصلون عن اعداء الله وتأخذون في شن الفارة عليهم وقطع طرق المواصلات عنهم ومناجزتهم الحرب والانحياز الى جيش المهدي ... »

وكتب الى أهل دنقلة يستنفرهم الى الجهاد فضرب على كل ساقية رجلاً نشيطاً يقوم مع النجمي لغزو مصر . وكتب الى محمد الخير في بربر وعلي ود سعد في التمة ان يجمعا الجيوش بمثل هذه الضربة ويلحقا . يود النجمي . فخرج النجمي من دنقلة في ٣ رمضان سنة ١٣٠٦ هـ ٣ مايو سنة ١٨٨٩ م بجيش مؤلف من ٤٠٠٠ مقاتل و ٧٠٠٠ من النساء والاولاد من اخلاط الجعليين والدناقلة والبطاحين والفلاته والمولدين والبقارة ومعهم نحو ٣٠٠ بندقية و ١٠ مدافع و ٣٠٠ جواد و ٥٥٠ جمل و ٣٠٠٠ حمار . وكان قد جمع لهم الفلال والتمر في الكرمه فوزعها عليهم للرجل الواحد ٣ قراريط ذرة و ٣ قراريط شعيراً و ٣ قراريط تمرأ وللأمير اردب واحد من كل صنف . وسار بالبر الغربي مع علمه بأفضلية البر الشرقي ليتجنب حصون الجيش . وقد اكسح بلاد المحس وسكوت وساق أهلها كرهاً أمامه لحمل أثقاله وسار ببطيه حتى وصل سرس بمقدمة جيشه في ٢٢ يوليو سنة ١٨٨٩ . وكان قد كتب الى عبد الحليم مساعد فاستقبله غربي سرس ومعه من الانصار ١٢٠٠ مقاتل و ١٠٠٠ من النساء والاولاد معهم ٣٠٠ بندقية و ٤ مدافع و ٥٠ حصان و ٥٠ جمل .

وزحف النجمي بالجيش كله على معتوقة فرصلها في ٢٨ يونيو فأخذ بعض الأمراء وصعد على حجر ابي صير فكشف منه حلفا وحصونها ثم عاد الى المعسكر وهناك قسم جيشه الى ثلاثة اركان : الركن الاول الجعليين والبطاحين وعليهم ابن اخيه احمد بشير . والركن الثاني الدناقلة والمولدوت وعليهم عثمان ازرق . والركن الثالث البقارة من حمر وهبانية وأولاد حميد ومسيرية وعليهم اسماعيل عبد الجايد من اولاد حمد . وجعل عبد الحليم مساعد وكيلا له في الجيش .

واقعة ارجين في ٢ يوليو ١٨٨٩ : وفي ظهر الاثنين في ١ يوليو تقدم بالجيش طالباً ارجين شمالي حلفا بقصد الاستقاء منها فاحتل التلال المطلة عليها ضحوة ٢ يوليو .

وكان ود هوس باشا عالماً بجميع تحركاته ومستعداً لملاقاته وقد أمر أهل
العدوة الغربية من حلفا الى توماس على نحو ٧٠ ميلاً شمالي حلفا فقطعوا ثمر
نخيلهم وأخلوا منازلهم وعبروا الى العدوة الشرقية وبقي في حلفا يرقب
حركاته فلما علم بخروجه من معتوقة أسرع الى ارجين فحضرها . أما ارجين
فهي بلدة مستطيلة تمتد على النيل نحو اربعة اميال في وسط غابة من النخيل
في طرفها الجنوبي طابية صغيرة على نحو ٣ اميال من حلفا وفي طرفها الشمالي
بيت العمدة فحضر ود هوس البيت والطابية وجعل اورطة من العساكر في
مجموع من المنازل وسط البلدة وحصن طابية اشكات تجاه بيت العمدة وبقي
هو مع بقية عساكر حلفا في اربع وابورات حربية وهي التمة وابو طليح
والتيب وبقاي لنجدة النقطة التي يقع فيها القتال فاجتمع عنده من العساكر في
ارجين عدا اركان حربه ١٩٤٢ عسكرياً منهم ١٦٠ من السوارى و ٥٠ من
الطوبجية معهم ٨ مدافع كروب و ١٣٠ من المجانة والاورطة السودانية
التاسعة والعاشرة والحادية عشرة و ٢٣٢ رجلاً من القسم الطبي . وكلت قلال
ارجين التي نزل بها النجومي على ٥٠٠٠ يرد من النيل اي ضمن دائرة مرمى
القنابل فلما أطل النجومي أمر ود هوس طوبجيته فرموه بالقنابل من الشرق
والغرب والوابورات وكان جيش النجومي في أشد العطش فرأى انه لا يتسنى
له الوصول الى الماء إلا بالقوة فأمر وكيله عبد الحليم مساعد فأخذ ركن اخد
البشير وفيه نحو ٣٠٠٠ مقاتل ومدفعاً واحداً وسار في خور متصل بالنيل
تحت القنابل والرصاص حتى ورد الماء بين الطابية الجنوبية والاورطة التي في
وسط البلدة ونضب المدفع في محل مرتفع فأسرع ود هوس وأنجد الطابية
والاورطة التي في وسط البلدة وحتم على العساكر طرد الدراويش من النيل
فصبوا عليهم الرصاص والقنابل من كل الجهات ثم هاجروهم في مراكزهم فدافعوا
عن انفسهم دفاع الابطال ودام القتال من الضحى الى قرب الغروب فكان
النصر للعساكر والهزيمة للدراويش وقد قتل من الدراويش نحو ٩٠٠ رجل
وأمر ٥٠٠ وجرح من أمراهم عبد الحليم مساعد وعثمان ازرق وأصاب

النجمي شظايا قنبلة وهو على التلال البعيدة فجرحته في فخذه وغنم الجيش مدفعهم وأسر نحو ٥٠٠ نفس من النساء والاولاد . وأما خسارة الجيش فكانت ١١ قتيلًا و ٥٩ جريحًا . وقد كان بين قتلى الدراويش من الأمراء ٢٥ وفيهم شيخ ادريس ود الهاشمي الجملي . قيل انه قال لأصحابه قبل الهجوم : « هيا بنا نموت قبل أن نجفت » أي نضعف ونهزل جوعًا .

وبات النجمي ليلته على تلال ارجين فعقد في تلك الليلة مجلساً من الأمراء فقال عبد الحليم الرأي ان نرجع الى بلاد المحس الى ان يأتينا الزاد والنجدة من الجنوب لأننا عدنا القوت والماء والطريق أمامنا مفازة قاحلة معطشة والجيش يطاردنا فيمنعنا ورود الماء وجلب القوت . فقال النجمي لا والله لا أرجعنا الى الوراء إلا محمولاً على الاكتاف فاذا عطشنا او جعنا فأنما نحن في جهاد فلنتدبر بالصبر والثبات حتى نفوز بالنصر او بالشهادة قال ذلك وهزأ سيفه فوق رأسه فتحمس الأمراء في المجلس وهزوا سيوفهم فوق رؤوسهم وانحازوا الى رأيه . وفي صباح في ٤ يوليو سنة ١٨٨٩ نهض من التلال وأوغل في طريق الصحراء حتى تجاوز مرمى القنابل واستطرد السير شمالاً ولم يكن مع ود هوس ما يكفي من العساكر لمهاجمته في الصحراء فسار بجذائه في الواورات بقصد منعه ورود الماء . ومع ذلك فقد فرض النجمي على أصحابه النزول الى الماء متناوبين فكل ليلة ينزل جماعة منهم الى النيل تحلّة في الظلام فيحملون منه كفاية للجيش كله يوماً واحداً . وما زال كذلك حتى أتى البليّة جنوبي هيكال أبي سحبل فاتخذ تلالاً على نحو ميلين منها و ٣٠٠٠ يرد من النيل وأقام فيها ينتظر على ود سعد الجملي ومكين النور المركزي اللذين كانا يتبعانه . فمسكر ود هوس قبائله في البليّة .

وأرسل الخليفة الى النجمي رسلاً هجانة مخصوصين ليطلعوا على حاله ويعودوا اليه بالخبر اليقين وأرسل معهم كتاباً يوصيه هو وأمرأه بالتيقظ وعدم الغفلة من الأعداء والاختذ بالحزم والعزم والاتحاد الى ان يأتهم عاملهم يونس الدكيم . فكتب اليه النجمي عما جرى له منذ خرج من معتوقة وما لاقاه

تأجيل الشوكات

هو وقومه من المشاق والمحن في الطريق . ومما قاله له بعد ذكر واقعة ارجين وأسماء الامراء الذين قتلوا فيها :

« سيدي وملاذي بعد اهداء مزيد السلام نرفع الى مكارمكم عن احوالنا وأحوال الانصار الذين معنا انه قد مسهم الضرر الشديد الذي ما عليه من مزيد واشتد بهم الحال وضاق الامر جداً فان الجوع الحال بهم أضنام وأذهب قوام فورم أجسامهم وغير أحوالهم لأنهم قبل دخول بلد العدو كان قوتهم التمر الأخضر المرّ وثواه وانقطع عنهم من مدة ولطول الطريق وكثرة المشقة ضعفوا فدخلوا البلد على حالة ضعيفة . ولشدة الضرر جلسوا جميعهم على الارض وكثيرون منهم ماتوا جوعاً . وأما ضعفاء اليقين منهم فلعدم صبرهم على البأساء والضراء رغبوا في الأعداء . والجهادية والعييد والخدم لحقوا ايضاً بالأعداء وارقدوا عن الدين ولم يبق منهم إلا النادر . ثم ان الجهادية الذين أرسلوا معنا طويحية للدفاع من طرف سيدي يونس كانوا خمسة وثلاثين الجميع رغبوا في الكفرة وهربوا اليهم ولم يبق منهم إلا ثلاثة . وكذلك من سرس انضم اليانا نحو سبعين من الجهادية والجميع دخلوا القياقر ما عدا ستة وما دعاهم لذلك إلا تراكم الضرر والاضطرار الذي ألجأ الناس كافة الى أكل ما لا يذكر من الحيوانات وغيرها ولم يبق معنا من الانصار إلا من تداركه الله بلطفه وصبر على البلاء والاختيار وله جلد على ذلك ولولا لطف الله بنا وجميل نظركم لما قدرنا على الوصول الى بلاجه (البلينة) . والحاصل ان الانصار تبعوا وضاق بهم الحال وعظم الخطب وطالما صبروا على ذلك لأنهم من عهد ما « صرفوا » بدنفلة لم يحدوا « صرفاً » اصلاً ولم يكن معنا ما نعطيهم لسد رمقهم وحفظ انفسهم وأرجو الله يحاكم سيدي ان يتولاهم ويصلح شأنهم ويأتيهم بالفتح من عنده . وكذلك الجمال التي كانت عندهم وجمال الجبخانه والخيول والحمير ماتت من شدة الحبل وطول السفر ولم يبق منها إلا النادر . وان الخيل الموجودة بالجيش فهي مائتان بالكشف المعروض لسيدي يونس الدكيم في تعداد الجيش مع انها كلها هزيلة ولا تقدر على كرك أو فزاع .

والخيل القوية منها لا تزيد على الخمسة عشر حصاناً ولذلك فإن خيل الكفرة دائماً تبدو بنواحي الديم وليس عندنا خيل قوية لمطاربتها غير الخمسة عشر المذكورة . وان جبخانة الرمتون التي معنا جميعها وزعت على اهل السلاح لعدم القدرة على مشالها دفعة واحدة وكذلك جبخانة المدافع وزعت على الانصار جلّة جلّة خرطوش خرطوش لموت جمالها كافة وان من المدافع مدفعا جرّه الانصار اولاد العرب على أعناقهم الى مكان بعيد لعدم وجود حمل يحمله . وكذلك بعض الجبخانة والمدافع التي كانت بسرر تركت يجهاتها لعدم وجود الجبال . وجميع الانصار كبيرهم وصغيرهم ذكرهم وأنثاهم ماشون على أرجلهم حاملون على رؤوسهم كما شاهد ذلك الاخوان الهجانة الذين أتوا من سيادتهم .

حاشية : انه لشدة الضرر الحاصل على الانصار فلو صار قيامنا من المرحلة الاولى فلا يمكن جرد السير وقطع مسافة الى مرحلة اخرى بل نزل بالقرب منها برأي العين ولا يتلاحق الناس إلا الى الغروب لعدم القدرة على المشي . ولو صار قيامنا من هذه المرحلة للمدافع لا يمكن حملها معنا بحال مطلقاً . وقد نرينا انه لو قتنا ندفنها بالخلاء ونأخذ واحدة منها فقط حتى ينصر الله دينه . وجميع الملازمين الذين معنا ليلة تاريخه لحقوا بالأعداء حتى حامل ركوتنا وما بقي منهم إلا نحو ثلاثة أو اربعة ...

أما اهل الريف من معتوقة الى بلاجة التي وصلنا اليها فكلهم قاموا في عون الكفرة وحزبهم كل التحزب ومن عهد دخولنا ديارهم الى الآن لم يأتنا منهم وارد ولا معرج ولا راغب في الدين ولا من يريد تجارة بل الجميع حلوا بالاسلحة النارية وحاربونا أشد المحاربة وما من قرية من قراهم التي بشاطيء البحر الغربي إلا رأينا اهلها قد قطعوا ألقاهم بالشرق او ادخلوها الجزائر وتركوا القرية خالية لتكون حصناً لهم وللکفرة لحرب الانصار . وتبين ان جميع الجهات التي مرّ الجيش بها من ارض الريف اهلها أعداء وعصاة بل الذين لم نصل جهتهم الى الآن فالتراعي من حالهم انهم كذلك لأننا ناهزنا الوصول الى بلدكم ولو كانوا راغبين لأتونا فإن المكان ليس ببعيد . أما بوابير الكفرة فما

زالت سائرة معنا بالبحر تببت معنا حيث بتنا وتقبل حيث قلنا وعساكرهم ماشية بالشرق في خيل وجمال لمنع الانصار ماء البحر ولم يمكن شرب الماء إلا بقتال ومضاربة واستشهاد وجراحات وجزى الله الانصار خيراً وبارك فيهم فانهم ما زالوا مطمئنين على حالهم وثابتين على عارضة عدوم لا ينتظرون إلا النصر والظفر بالأعداء أو الفوز بالشهادة . ولقد وصلهم المنشور الكريم الصادر من لدنكم لهم بالمذاكرة والمدولة والتذكير بالله وبأيام الله فتلقوه بقلوب صادقة ونيات صافية وألزموا انفسهم القيام بذلك حق القيام وزادوا به نشاطاً في الدين وعلو ممة لكفاح القوم الكافرين . ولقد رفعنا لسيدى يونس الدكيم ما جرى من هذه الوقائع بالتفصيل ولم نزل نرفع اليه ما يتجدد من الاخبار شيئاً فشيئاً حسب الاشارة ... في ١٢ القعدة سنة ١٨٠٦ هـ « اه ١٠ يوليو سنة ١٨٨٩ .

محبي السردار الى البلينة وكتابه الى النجومي : هذا وكان السردار غرنفيل باشا يدير حركات جيش الحدود تفرافياً من مصر ويحشد الجيوش الى ااصوان . فلما كان ٥ يوليو سنة ١٨٨٩ خرج بأركان حربه وأتى ممسكاً ود هوس في البلينة في ١٥ من الشهر المذكور . فعلم من الفارين سوء الحالة التي صار اليها النجومي وجيشه فأرسل اليه ثاني يوم . واصله كتاباً مع رسولين يدعوه فيه الى التسليم بما نصه :

« ما على الرسول إلا البلاغ . وبعد فاني اكتب اليك هذا يا ولد النجومي لأعطيك ان قائدني الباسل ود هوس باشا اخبرني بتهجمك على الحدود فجئت لأرى بعيني الحالة الراهنة وعلى أثري ألوف من العساكر الانكليزية والمصرية . وقد بلغني انتهابك لممتلكات الناس المساكين الذين لا طاقة لهم بالدفاع عن انفسهم وأخذك نساءهم وأولادهم وتخريبك بلاداً كانت بالأمس عامرة مطمئنة . وكنت قد صممت على سحقك ومحو أترك وأثر انصارك عن وجه البسيطة بلا انذار ولكن عند مجيئي الى هنا وجدت انكم قوم مستضعفون مساكين تموتون جوعاً وعطشاً . وأنا عالم سوء حالك انت وعالم انك فريسة لغيرة

ذلك الخليفة الكذاب الذي جعل ابن عمه يونس عاملاً في مكانك وجعلك تحت طاعته وأرسلك أنت والأعراب الذين يخشى شرهم بحجة فتح مصر وهو انما يريد هلاككم فانه يعلم ان الذي أرسلكم اليه لمستحيل عليكم بل انتم ايضاً تعلمون ذلك ولكنكم لهماوة قلوبكم تظنون ان طاعة ذلك الكذاب واجبة . ولقد رأيتم الآن خيبة مسعاكم وسوء مصيركم . وأنتم فيما نعلم طالبون ببيان وتظنون ان املاها ينصرونكم فاعلموا ان بيان تبعد عنكم مئات من الاميال وتصلكم عنها مفازة طويلة لا ماء فيها . بل هب انكم وصلت اليها فانكم تلاقون فيها جيوشاً انكليزية ومصرية متعطشة لشرب دماء الأعداء . وعليه فإذا تقدمت الى الامام فأنت هالك لا عالة واذا رجعت الى الورا فارت جيوش حلفاء واقفة لك بالمرصاد . واذا بقيت حيث أنت مت جوعاً وعطشاً فأصبحت كالطائر في القفص لا منفذ لك ولا معين . لذلك ولما كانت حكومتنا السلية مجبولة على حب الشفقة والانسانية . ولا تريد قتل النفوس ولا سباً للنساء والأولاد فقد جئتكم بهذا ادعوك الى التسليم فإذا سلمت سلمت أنت ومن معك من الأمراء والأعوان . واعلم انك تأخذ هذا الوعد من جنرال انكليزي . وأما اذا أبييت التسليم فليس امامك إلا الهلاك كما بيتنا لك . فاختر أرشدك الله الى الصواب احدى الطريقين واني في انتظار الجواب على كتابي هذا مع رافعيه والسلام .

فأجابه النجومي في اليوم التالي بكتاب هذا نصه بعد البسملة :

« وبعد فمن عبد ربه المخلص بمولاه عبد الرحمن النجومي الى السردار غرنفيل باشا هداه الله الى الصراط المستقيم . سلام على من اتبع الهدى وخاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . ثم نعلمك ان جوابك المرسل منك بإعلامنا بحضورك وما جئت لأجله وصلنا ولاخر ما ذكرته فيه وزعمته من الاقاويل التي لا طائل تحتها قد علم لدينا ونقول لك إذا ما بعثنا من طرف السيادة إلا لدعاية الناس والمسلمين وإدخالهم في سور الرحمة والهداية اجمعين . وليس حضورنا الى بيان فقط كما تقول ولنا نقصدها بالذات بل المقصود بالذات

الوصول الى جميع البلاد وإدخال أهلها في الدين بمعونة الله رب العباد فمن صدق وآمن واتبع وسلم الأمر لله تعالى ورسوله ﷺ ومهديه «عم» وخليفته عليه الرضوان وسلم جميع ما كان معه من الأسلحة والجبّاحين أمناه على نفسه وماله وولده له ما لنا وعليه ما علينا ومن خالف واتبع نفسه وهواه وأبى إلا جاحاً فالسيف حتى يحكم الله بيلنا وبينه وهو احكم الحاكمين . هذا واعلم ان جوابك المذكور وغيره . من الاجوبة الواردة منك الى الاخوان الثلاثة ارسلت الى سيدي يونس مع احد الرسولين عبد الهادي ومنه الى سيدنا ووسيلتنا الى الله خليفة المهدي «عم» للاطلاع عليها وحضور الرد لكم من لدنه بما فيه الكفاية ولو كنا مأمورين برّد اسئالها لكتبنا اليكم من ذلك ما فيه المنع . أما ما ذكرته من كثرة عساكرك وقرب وصولها الخ فذلك لا يهولنا ولا يخيفنا بل لا نخشى احداً إلا الله تعالى ولو الثقيلين الانس والجن فلقد كنا قبل هذا متربصين بكم وقائمين على جهادكم وشن الفارة عليكم وبما ان الله تعالى اخرجنا من ظلمات موالاتكم وقربكم فاعلم اننا باقون على قتالكم وجهادكم واستئصالكم حتى لا ندع على وجه الارض منكم داعياً ولا مجيباً او يفوز بالشهادة من يفوز ويلقي الله تعالى . فتحقق ذلك ولا تنتر بعساكرك ومدافعك وصواريخك وكثرة بارودك العارية عن معونة الله تعالى وفيما سبق من إهلاك رجالكم ورؤساء دولتكم كهكس وغوردن وأشباههم مع كثرة جنودهم وعدتهم وكفالية فان أسلمت وسلمت بجميع المدافع والجبّاحات والأسلحة سلمت وعليك أمان الله ورسوله ﷺ ومهديه «عم» وخليفته عليه الرضوان وإلا فهذا حجة عليك وذنبك وذنب من معك مطوق في ذمتك . أما رسولكم الآخر فضل المولى فهو عائد لكم بهذا والسلام على من اتبع الهدى القعدة ١٣٠٦ هـ يوليو ١٨٨٩ .

وأرسل النجمي الرسول الآخر الى يونس والخليفة كما قال ومعه الكتب التي ارسلها اليه السردار وصورة جوابه هذا . فكتب الخليفة اليه بهذا الشأن ما نصه :

و بعد فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله ابن محمد خليفة الصديق الى المكرم عبد الرحمن النجومي كان الله له وتولاه وحفظه ورعاه آمين . بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته نعلمك أيها المكرم ان المحررات التي وردت من عدو الله جرنفل برسلكم قد وصلت لطرفنا من المكرم يونس الدكيم ومعها المحررات منكم له بأحوالكم وأحوال من معكم وما بالجميع فهم . والحال أيها المكرم ان ما حررت له عدو الله المذكور رداً لما ورد منه قد وافق فجزاك الله تعالى خيراً وكفاك هما وضيراً وبارك فيك وحمد مساعيك وهكذا شأن من يكون بثابتك من رجال الدين الذين يأمعوا الله ورسوله ومهديه ويأمعونا . وقد اطلعنا على محررات جرنفل الخبيثة وما ذكره فيها من الأمور التي سولها له الشيطان وحمله عليها ظنه الفاسد مؤملاً ما ليس له اليه سبيل ولم يعلم قائله الله ان اصحاب المهدي « عم » لا يلتفتون الى مثل هذه الاباطيل ولا يتخذعوا بأقوال الكافرين . وقد علمنا من محرراته ان الذي حمله على ما قاله هو محض الخوف الشديد فانه لما كان يجهة سواكن وحصلت المضايقة الشديدة من الانصار على اهل القيقر حرر مكاتبات مثل هذه الى المكرم عثمان دقنة ولما رفعها المذكور اليها أمرناه بعدم الرد عليها وصرف النظر عنها ولما علم ان الانصار لا يلتفتون الى قوله ولا يردون له جواباً كف عن مخاطبات وخيب الله سعيه . فالآن بما انه حضر الى جهتكم وابتدأكم بالمحررات فاعلم ان قصده ادخال الغفلة عليكم . والرسل الذين يأتون منه بالمكاتبات انما هم طلائع يكشفون اخباركم ويعرفونه بما أنتم عليه فلا يجد عدو الله فيكم مدخلا ولا غفلة بمحرراته الفاسدة فانه قد علم بهزيمكم لعساكره مراراً عديدة ودخولكم ارض الريف على رغم انفه ولحقه من ذلك الفرع الشديد فأراد ان يوقع في قلوبكم أقاويله الكاذبة ومعتقداته الفاسدة فلا تقبلوا له قولاً ولا يبلغه من جهتكم أدنى وهن او ضعف . ومن الآن فصاعداً اذا أرسل اليكم جواباً ورأيتم استصواب رده فحرروا به على ظهر ظرفه بأن جوابك وصل وما هو عائد اليك ولا رغبة لنا في نظره وسماعه ما لم توف بالله

ورسوله وتصدق المهدي « عم » وتسمع اشارة خليفته وانا لسنا بأذونين في مجاوبتك وإلا فان رأيتم عدم رجوع رسوله فأحرقوا جوابه بالنار وله تحييه بشيء وجزاكم الله تعالى خيراً حيث تفتنتم لأقواله وحررتهم له ما يفيظه فلا تشتغلوا معه بمكاتبات ولا يطلع احد من الاصحاب على محرراته فان الأقوال الفاحشة فيها كثيرة وسماها لا خير فيه لأنه مضر وعليه ظلمة الكفر وما زلتم فعاملوه بما يفيظه من عدم رد محرراته فان ذلك أليق بحاله لأنه كافر بالله ورسوله وآيس من رحمة الله والسلام في ٢ الحجة ١٣٠٦ هـ ٤ اه ٣٠ يوليو سنة ١٨٨٩ م .

هذا وكان السردار لما رأى عناد النجومي واصراره على الحرب اخذ يهتم لصدته عن التقدم شمالاً والتكامل به فرجع الى اصوان وشرع في حشد الجيوش الى طوشي . وفي ٢٢ يوليو فرّ الى معسكر ود هوس باشا كاتب عبد الحليم المدعو حسن حبشي من كتاب الفتح الاول فأخبر ود هوس بمعدّد جيش النجومي وما عليه من سوء الحال وانه أحصاه بنفسه قبل فراره فكان ٢٨٢١ مقاتل معهم ٣٠٩ بنادق و ١٣٢ جواداً و ٢٠٠ جمل و ٤٠٠٠ من النساء والاولاد . وفي ٢٥ من الشهر المذكور وصل علي وذ سعد ومكين النور اللذان كان النجومي في انتظارهما ومعهما نحو ٥٠٠ مقاتل و ٣٠٠ بندقية . وبعد وصولها بثلاثة ايام خرج النجومي يبيشه مستطرداً السير شمالاً . وعند خروجه ذهب بعض الجنود المصرية الى معسكره لتفقد حاله فوجدوا بعض المرضى قد تركوا وحدهم بحالة تفتت الأكباد من الجوع والعطش والعري والألم فنقلوهم الى اسبتيالية الجيش في البليّة . ووجدوا في الديم ٢٥٠ ضريحاً عدا الجثث التي تركت في العراء بلا دفن . ووجدوا عظام البهائم التي أكلوها قد كسرت واستخرج ما فيها من الدهن مما دلّ على شدة احتياجهم الى القوت . واقتفوا اثر النجومي شمالاً فما أبعدوا حتى وجدوا مدفعين مطمورين بالرمال والطريق مغطاة بالدروع التي عبّزوا عن حملها .

هذا وحال خروج النجومي من البليّة خرج ود هوس بمساكره وأتى

طوشي وكان السردار قد حشد اليها من اصوان الجيوش المصرية وفرسان
الجيوش الانكليزية . وهو في انتظار الجنود الانكليزية المرسله من مصر لنجدة
الجيش المصري . فلما علم بتحرك النجومي شمالاً أسرع بأركان حربه الى طوشي
فوصلها في ٣٧ يوليو وقد اجتمع له فيها القوات الآتية : الأسلحة الراكبة
وفيها ٤٠٩ فرسان من السواري الانكليز الهوسار والسواري المصرية والشايقية
بقيادة اللواء ككشر باشا . والطويحية المصرية وهم ٢٤١ مقاتلاً ومعهم ٨
مدافع بقيادة القائقام رندل بك . والمشاة المصرية وهم لواءان اللواء الاول
مؤلف من الاورط السودانية التاسعة والعاشره والثالثة عشرة وفيه ١٤٨١
جندياً ، واللواء الثاني مؤلف من الاورطتين المصريتين الاولى والثانية والاورطة
السودانية الحادية عشرة وفيه ١٤٨١ جندياً وكلاهما بقيادة اللواء ود هوس
باشا ذلك ما عدا ٧ ضباط اركان حرب و ٧١ رجلاً من القسم الطبي والقسم
البيطري . وبمجموع الكل ٣٦٨٠ رجلاً و ٨ مدافع . وكان رئيس اركان حرب
السردار اللواء ستل باشا المشهور بثبات الجأش وسداد الرأي . وكان أهم
اركان حربه في هذه الواقعة كما في واقعة الجيزة المار ذكرها القائقام ونجت
بك (السردار الحالي) الذي عهدت اليه وظيفة مساعد ادجوتانت جنرال
المخابرات فوق وظيفة اركان حرب فقام في الوظيفتين خير قيام وأثنى عليه
السردار في تقاريره الرسمية أجمل الثناء . وقد كان ما أبداه في ذلك العهد
من الكفاءة والبسالة وعلو الهمة بشيراً صادقاً بما بلغ اليه الآن من سمو المنزلة
ورفعة المقام .

واقعة طوشي السبت في ٣ اوجسطس سنة ١٨٨٩ :

اما طوشي فهي بلدة مستطيلة على غربي النيل على نحو ٦٠ ميلاً من حلفا
وفيها نخيل كثير وتمتد أراضيها الزراعية نحو ١٢٠٠ يرد الى جهة الصحراء
ومن ورائها سهل رملي متسع تتخلله الآكام والصخور العظيمة وتكتنفه الجبال
من الشمال والجنوب والغرب . أما الجبال التي الى جنوبيه فتبعد اربعة أميال

من طوشي وتمتد من النيل ٣ أميال غرباً. فلما كان مساء الخميس ١ أغسطس سنة ١٨٨٩ وصل النجمي تلك الجبال وعسكر عند سفحها الغربي ليكون في مأمن من قنابل الواورات التي كانت لا تزال تطارده . وكان قد هجره بعض أتباعه في الطريق فبقي معه ٣٢٠٠ مقاتل و ٣٦٠٠ من النساء والاولاد والأتباع وهي القوة التي حارب بها في واقعة طوشي .

وفي فجر الجمعة في ٢ أغسطس خرج السردار ببعض الفرسان من طوشي وكشف معسكر النجمي من تلة في السهل فرآه يصلي هو وجيشه . وأفاد الفارثون منه انه مستطرد السير شمالاً في فجر اليوم التالي فكشف السردار طريقه فوجد انه لا بد له من المرور في سهل طوشي فعاد الى البلدة على نية الخروج الى هذا السهل وصدّه عن التقدم شمالاً الى ان تصل النجدة الانكليزية فيوقع به .

ولما كان فجر السبت في ٣ أغسطس نهض النجمي بجيشه ودخل سهل طوشي فخرج له السردار بأركان حربه والاسلحة الراكبة حتى صار على ١٥٠٠ يرد منه الساعة ٦ والدقيقة ٥؛ فتقدم اهل البنادق من جيش النجمي ورموه بالرصاص وتبعهم الباقون مهاجمين فأمر السردار السواري فتواروا خلف تل صغير وأمر الهجانة فترجلوا ووقفوا صفّاً واحداً وصبوا الرصاص على الدراويش حتى كثر عدد المهاجمين فتقهقر السردار بالمساکر امامهم لجذبهم الى وسط السهل فظنوا انه يفر خوفاً منهم فأسرعوا وراءه مهاجمين فاتخذوا مركزاً حصيناً وسط السهل وأرسل في طلب مدفعين من البطارية السواري واللواء الاول وما زال رجال الاملحة الراكبة يطلقون نارهم حتى كانت الساعة ٨ والدقيقة ٣٠ فحمل النجمي عليهم بجيشه حملة واحدة في مقدمته اهل الاسلحة النارية وفي ساقتهم النساء والاولاد . ولم يكن السردار قادراً على صده بما لديه من المساکر فتقهقر امامه الى جهة طوشي واتخذ مركزاً حصيناً عند سفح تلة مغروطة الشكل على نحو ميلين من جنوب طوشي الغربي ولم تمض عشر دقائق حتى كان العدو قد وصل المركز الذي هجره السردار وظلّ مهاجماً . وفي الساعة



الجنرال غورنفيل

شأن السردار

٩. وصل المدفعان اللذان طلبهما السردار فاتحهم رجالهما مع رجال الأسلحة الراكبة وسددوا رمي القنابل والرصاص على النجومي فلم يكن إلا القليل حتى غيّر وجهته سيّره. وشر نحو الشمال الغربي ليتخلص من السهل وكان السردار انما يريد حصره فيه لموافقته لتحركات المعسكر فأصدر أمره الى الأسلحة الراكبة بقيادة كتشنر باشا. ففجّعت الى التلال التي الى الشمال الغربي من السهل وسدّت طريقه شمالاً .

وفي الساعة ١٠ وصل اللواء الاول بقيادة هنتر بك فاحتل مركز الأسلحة الراكبة وهو سلسلة من الآكام الصخرية تمتد نحو ٢٠٠ يرد شمالاً وجنوباً وتبعد نحو اربعة أميال من النيل فلما رأى النجومي ان طريقه الى الشمال قد سدّت عوّل على الحرب ورأى أمامه اربع آكام متجاورة في وسط السهل تجاه مركز اللواء الاول. وعلى ٨٠٠ يرد منه قصفت أنصاره عليها. فجعل اهل البنادق في الامام ومن وراءهم الحراية ونصب هو رايته في تلة وراءها وجعل النساء والاولاد والحلة في مكان منخفض وراءه بعيداً عن رمي الرصاص والقنابل . وفي هذه الأثناء حضر اللواء الثاني مع الستة مدافع الباقية فأمره السردار فوقف وراء اللواء الاول لتجديده عند الحاجة . ولما كانت الساعة ١٠ أمر السردار اللواء الاول والطويحية ففتحوا نيرانهم على حامية العدو فأجاب العدو نيرانهم مدّة نصف ساعة ثم امر اللواء الاول فاتحهم رجاله رصاص الدراويش من القلب والجناحين. يحرّاة الاسود حتى وصلوا تلاهم والتجّموا بهم وساعدم اللواء الثاني والطويحية والأسلحة الراكبة فلجّأوا الدراويش من مراكزهم عنوة بعد ان جندلوا أبطالهم وكانت الساعة اذ ذاك ١١ ونصفاً وفرّ من سلم من الدراويش نحو معسكر النساء والحلة ولحق بهم النجومي على جواده ليجمع شتاتهم فأمر السردار الأسلحة الراكبة والطويحية بمطارتهم وعند الظهر تقدم بسائر المعسكر فصار اللواء الثاني اولاً ليأخذ « نوبته » في القتال وتبعه اللواء الاول . وفي أثناء ذلك جمع النجومي شتات جيشه وكرّ على المعسكر فلم يلبث ان اصلبه الرصاص فسقط. مجنّداً الى الارض ومات فحصله بعض اصحابه

على جل وفروا منهزمين وانهمز بقية جيشه فتقدم العساكر واستولوا على الدميم وما فيه من الخيام والطبول والسروج والسيوف والدروع ولحقوا بالمنهزمين فأمرؤا عدداً كبيراً من الرجال والنساء والاولاد. ولحقت كتيبة من السواري الجمل الذي حمل الجثة فقتلوا حراسها وأتوا بها الى طوشي فوجدوا انها جثة النجمي . وأمر السردار فأوقفت النار الساعة الثانية بمعد الظهر وعادت العساكر بالفنائم والامري الى طوشي فوصل آخرهم الساعة الخامسة بعد الظهر وقد قضاو النهار كله يقاتلون بلا زاد ولا ماء او بماء قليل لأن أكثرهم خرجوا للحرب قبل ان يفطروا .

القتلى والجرحى : وقد كانت خسارة الجيش في هذه الواقعة ٢٥ قتيل و ١٥٠ جريحاً فضموا القتلى جميعاً الى مكان واحد في ساحة القتال وبثوا فوقه قبراً نقشوا على واجهته باللغة العربية كتابة هذا نصها : « شيد هذا الاثر تذكراً لواقعة طوشي التي حصلت في ٦ الحجة سنة ١٣٠٦ هـ وانهمز فيها جيش العصاة السوداني المرسل تحت امرة عبد الرحمن ولد النجمي فقتلتوا بعد قتل اميرهم وكان الجيش المصري تحت قيادة سعادة السردار غرانفل باشا وفي هذا القبر دفنت جثث العساكر المصرية الذين استشهدوا وهم بالميدان ... وأما العدو فقد قدرت خسارته بنحو ١٢٠٠ قتيل فيهم ٦٢ اميراً وأهمهم النجمي وابنه وعبد الحليم مساعد . ونجى من امرائه عثمان ازرق وعلي ود سعد وحسن النجمي ومرغني سوار الذهب والطاهر والشيخ المبيد ، ومن عامتهم ١٤٠٠ نفس نصفهم او أكثر من النساء والاولاد فعادوا الى دنقلة . وأما محمد الخير فانه لم يكدي يصل من بربر الى دنقلة حتى مرض بالمحى فمات نهراً قبل واقعة النجمي بأيام معدودة . قيل وقد استغفر ربه كثيراً قبل وفاته لنصرته المهدية .

الفنائم والامري : وجمعت الفنائم بعد الواقعة قبلت ١٤٧ راية و ٤٠٠٠ حرية وعدداً كبيراً من السيوف والبنادق والدروع والطبول . وأما

أسرى الواقعة فكانوا ١٢٠٠ فأصبح عدد الأسرى والفارين من جيش النجومي منذ دخوله الحدود نحو ٤٠٠٠ من رجال ونساء وأولاد فوزع نحو ألف منهم في مديرية الحدود وأرسل الباقون إلى أسبوط فوزعوا على مديريات القطر إلا نحو مئة من الأمراء والمقاديم فانهم وضعوا في سجن طره مدة ثم نقلوا إلى رشيد حيث بقوا إلى ما بعد فتح دنقلة سنة ١٨٩٦ فأطلق سراحهم . وكان السردار قد أذن لـ ٣٤١ نفساً منهم فرجعوا إلى بلادهم بطريق سرس في ١٣ أبريل سنة ١٨٩١ . هذا وكان بين الأسرى ابن النجومي عمره سنة فادخل في المدارس الأميرية بمصر ولا يزال يتلقى العلوم فيها إلى اليوم . وكان بينهم تاجر يدعى أبا زيد فر من التوفيقية سنة ١٨٨٨ وهو الذي دلّ الدراويش على مهاجمتها فحوكم بمجلس عسكري وقتل رمياً بالرصاص .

« وانحلت قوة الحملة » على النجومي في ٦ أغسطس وعاد السردار إلى مصر في ١٧ منه . وقد امتاز فيها من الضباط المصريين برتبة بكباشي : علي بك حيدر ياور السردار وحسن افندي رضوان من الطوبجية ومصطفى افندي رمزي ارکان حرب . وامتاز فيها من الموظفين الملكيين السوريين : ملحم بك شكور سكرتير عربي السردار وسليمان بك ناصيف من موظفي السردارية وطنوس افندي شحادة مترجم السواري وأمين افندي حداد مترجم في « المهات » . ومن الملكيين المصريين : عبد الله افندي فكري المار ذكره وابراهيم افندي زيدان مترجم الحدود ونحله افندي تادرس مترجم الاورطة الحادية عشرة السودانية وحضر منهم ميدان القتال ملحم بك شكور وطنوس افندي شحادة وابراهيم افندي زيدان .

وبعد واقعة طوشي مدت الحدود المصرية جنوباً إلى سرس فاحتلتها الاورطة الثالثة عشرة في ١١ أغسطس سنة ١٨٨٩ ورُمم خط سكة الحديد بينها وبين حلفا . وكان الدراويش قد جعلوا حدودهم الشمالية حلة فركة فلما رأوا الحكومة قد احتلت سرس رجعوا إلى سواردة على نحو ١٠٠ ميل من سرس وبقوا فيها إلى أن طردتهم الحكومة منها سنة ١٨٩٦ كما سيجيء .. ثم

لما استقر الدراويش بسواردة هاجر جماعة من اهل المحس وسكوت الى الحدود فأعطاهم السردار ارضاً في ديرة شمالي حلفا فكنوها الى ان فتحت بلادهم سنة ١٨٩٦ فعادوا اليها .

احتلال المرات : هذا وكان التعايشي لما صمم على ارسال النجمي لغزو مصر أمر حسن خليفة فخرج من ابي حمد واحتل آبار المرات في ١٩ يونيو سنة ١٨٨٩ م فلما توجه السردار للملاقاة النجمي أمر صالح بك خليفة كبير المليكات فجهز سرية من عربانه وهاجم المرات فطرد الحسن منها واحتلها في مكانه وذلك في ٣ اوغسطس سنة ١٨٨٩ أي يوم واقعة طوشي . فاتهم التعايشي حسن خليفة بعدم الدفاع عن المرات فمزله وجعل جريير من أقاربه في مكانه .. وهكذا انتهى حلم التعايشي الذي رآه سيده المهدي من قبله في فتح مصر والعالم فانه بعد اتخذاله في هذه الواقعة لم يعد يخطر ببالة فتح ولا حملات عدائية كبيرة بل خصر كل اهتمامه في حفظه مملكته من القوات المحيطة بها من الخارج والفتن التي تهددتها من الداخل . وأما حكومة مصر فانها منذ واقعة طوشي اخذت تهتم في استرجاع السودان وكان لها بعد الواقعة أحسن فرصة لما اصاب السودان من الجوع والضيق في ذلك العهد ولكن أعوزها المال فما زالت متربصة حتى أتاحت لها الفرص فأعادت السودان حامية حامية بكاسيحي .

وكان السردار قد أصدر الى اهل الحدود منشوراً بتاريخ ١٠ يوليو سنة ١٨٨٩ حذرهم فيه من ممالأة النجمي بقوله : « ان من كاتب الدراويش او ساعدهم بشيء ما فعقابه القتل ومن بقي على الولاء وفقد شيئاً من زرعته فالحكومة تعوضه عليه » . وفي اكتوبر سنة ١٨٨٩ أصدرت الحكومة الى اهل السودان منشوراً تستحثهم فيه على الرجوع الى الولاء وأرسلته مع بعض أسراء طوشيكي ليوزعوه عليهم وهذه صورته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيد المرسلين . وبعد فلا يخفى عليكم ما كانت عليه بلادكم السودانية أيام الحكومة الخديوية من رغد العيش

وراحة البال وما آلت اليه حالتها من الضنك والاضمحلال بأسباب الفتنة المهدوية التي هي نتيجة اغراض الرؤساء وحسب التظاهر من الأغنياء دون مبالاة منهم بما يترتب على ذلك من سفك الدماء والضرر بالأفراد وخراب البلاد . على ان ملتنا الغراء الاسلامية تأمر بالائتلاف والاتحاد وتنهى عن التنازع والسعي في الفساد وأي فساد اعظم من ايقاد نار الفتنة بين المسلمين . وقد غشكم اولئك الرؤساء غمويها بامم الدين وهم أبعد الناس عن معرفة شيء منه حتى اوردكم المهالك واكتسبوا بدمائكم ودماء اخوانكم من المسلمين حسن التمتع بنفوذ الكلمة وظنوا انهم صاروا من ارباب المهالك . أمن قواعد الدين منع الناس عن الحج وهو من الأركان الخمسة التي بني عليها الاسلام وما أنتم ترون اولئك الرؤساء ينعون قوافل السودانيين عن اداء تلك الفريضة المبرورة . أمن قواعد الدين التحريض على قتال المتمسكين بالكتاب والسنة من المسلمين وما أنتم ترونهم يجرسونكم على قتال امة مسلمة عاشت معكم مع حسن التمسك بكتاب الله العزيز وسنة نبيه الكريم وقد ورد عن النبي ﷺ « اذ أشهر المسلم على اخيه في الدين سلاحاً فلا تزال الملائكة تلعنه حتى يغمده » . أمن قواعد الدين تحريضكم على ان تلقوا بأيديكم الى التهلكة وقد قال الله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة . فلا حاجة الى اطالة الكلام على ما هم عليه اولئك الرؤساء من الاعوجاج عن الدين القويم وغالفة جماعة المسلمين . واعلموا أيها الاخوان ان ما حل بولد النجومى وقومه وقد اشتهر بينكم بالبسالة والاقدام بما يذكركم بعاقبة الامر الذي أنتم فيه والعامل من اعتبر بغيره فالنصيحة ان تعودوا الى قول القائل :

يقضى على المرء في ايام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

فترجعوا عما انتم عليه بما أضرب بلادكم ويستم اطفالكم ورمث نساءكم كل ذلك خدمة لأغراض الرؤساء وابتناء غاياتهم . والحق الذي يعلمه الله ان الجناب الخديوي العالي نصر الله أعلامه أشفق على الرعية من الآباء على الأبناء

حريص على راحة العباد واطمئنان البلاد وقد أبى افتتاح بلادكم بالقسوة
والعنف حقناً للدماء وشفقة على الفقراء وكثيراً ما غيّر خاطره الشريف ما
ألمّ بكم من الويال وسوء الحال وتمنى ان ينعم الله عليكم بالهداية ويمنحكم
من مراحمه ما يرجع بكم الى ما كنتم عليه من الرغد وصفاء البال فاعتنموا
هذه الفرصة الجليلة وقدموا لاعتاب حكومته الخضوع تفوزوا بالمساعدات الجمّة
والنعم الجزيلة ولا تنسوا الشرف الرفيع والمزايا التي خصتكم بها الحكومة
السليّة أنتم وآباءكم من الشايقية والجمعيين وغيرهم وما أصبحتم فيه من الذل
والاهانة تحت أحكام أناس كانوا يلجأون الى سطوتكم ويهابون سلطتكم ففي
ذلك الكفاية لمن رام الهداية والسلام سنة ١٣٠٧ هـ ١٨٩٠ م .

وكتب الخليفة من الجهة الثانية الى اهل دنقلة والمقاتلين الذين نجوا من
واقعة طوشي يصبرهم على ما اصابهم من الخذلان قال: «... وبما انه لا يخفى
عليكم أيها الاصحاب ان أمرنا هذا ديني والقصد منه إحياء السنة النبوية واتباع
الامر فالابتلاء الحسن لا بد ان يحصل للمؤمنين لكي يتميز بذلك الخبيث من
الطيب طبق ما وقع للصحابه رضوان الله عليهم قاتهم قد كابدوا في الله كل
شدة وحصل عليهم من البلاء الحسن ما لا يطاق فصبروا صبر الكرام وأوفوا
بعهد الملك العلام وجميع ما وعدهم الله به في قوله تعالى «ولنبولنكم بشيء من
الخوف والجزع ونقص من الاموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين» حصل
عليهم في الغزوات والجهادات فما تنام عن قصد ولا برّد مهمهم عن اقامة
الدين وجهاد الكافرين بل لم يزدكم ذلك إلا قوة وثباتاً وشجاعة وإقداماً
وإيماناً وتسليماً . وأنتم يا اصحاب المهدي «عم» لا شك انكم على أفرم
فجميع ما يحصل عليكم من نزول الشدائد وحلول التصائب فهو لرفع درجاتكم
واختباركم فيلزم ان تلبسوا لذلك جلباب الصبر والثبات وتندرعوا بدرع التوكل
فان الخبر كله امامكم في الآخرة وما الدنيا إلا مزرعة لها فازرعوها فيها صالح
الاعمال وأوفوا بعهديكم مع الله ورسوله ومهديه ومعنا . ولا تهنوا او تضيعوا
في دينكم والوفاء بعهديكم مع ربكم بسبب ما حصل لأعداء الله من الاستدراج

والامهال وفوز اخوانكم الصادقين ناس الشهيد عبد الرحمن النجومى فان ذلك قدر إلهي وسعادة كتبها الله لهم في ازله ودين الله لا شك منصور وعدوه مقهور كما وعد الله تعالى بذلك في غير ما آية من كتابه والعاقبة لا شك للمؤمنين والدائرة على الكافرين ... ٤

ثم كتب الى اهل دنقلة ما نصه: ... وبما انكم من الاعوان والأصحاب التابعين المهدي بصدق وصفاء نية فعليكم منا أمان الله ورسوله ومهديه وأماننا في أنفسكم وأموالكم ولا يحصل عليكم من احد من الانصار أدنى شيء ما دتم صادقين في معاملتكم ومنقادين لعاملكم المكرم يونس الدكيم وكل من له ساقية فليصلحها ومن له نخيل فليلقحه ومن له انسان يجحات الريف فليسمى في حضوره لوطنه ان أمكنه ذلك فان من يحضر لوطنه ويقم فيه تحت طاعة المهدي فعليها منا الأمان ومن له نخيل او سواقي يحجة دنقلة ويحضر اليها على مقتضى أماننا هذا وعلى وجه الفور فهي له ولا يحصل عليه تعدى من احد لأننا لسنا نريد منكم إلا القيام بأمر الدين واداء ما هو مطلوب منكم من حقوق الله تعالى . وبما ان المكرم يونس الدكيم هو العامل عليكم بأمرنا فاسمعوا امره ونهيه وقد اوصيناه بكم خيراً وان شاء الله لا ترون إلا ما يسركم هذا والسلام ه جمادى الاولى سنة ١٣٠٧ هـ ٤ ا هـ ٢٨ ديسمبر سنة

١٨٨٩ م

الفصل السادس

في

وقائع ام درمان وسائر السودان

سنة ٨٦ : ١٨٩٠ م

خراب الخرطوم وعمار ام درمان سنة ١٨٨٦ :

جرت عادة الدراويش انهم كلما فتحوا مدينة أخربوها وأقاموا لهم ديمًا يحاربونها ففعلوا في الأبيض وبربر ودنقلة وكسلا وغيرها ولم يستثنوا من ذلك الخرطوم فانهم هجروها تدريجاً وعمروا ام درمان تجاهها على النيل الأبيض مع ان الخرطوم افضل موقعا وأخصب تربة وأعذب ماء . وقد كانوا يأخذون اخشاب منازلها ويبنون بها مدينة ام درمان فلم تلبث سنة ١٨٨٦ م حتى خربت الخرطوم خراباً تاماً ولم يبق فيها عامراً إلا جثائنها وترساتها .

بناء جامع ام درمان : وما زالت ام درمان تزداد عمراناً واتساعاً حتى ضاق على اهلها جامع الصفيح الذي بناه المهدي فأقام الخليفة بجانبه جامعاً متسعاً فوضع حجر اساسه بيده يوم الاحد في ٤ ربيع الاول سنة ١٣٠٥ هـ ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٨٧ م وسخر اهل المدينة فبنوه في مدة ٧٣ يوماً . وهو

عبارة عن حوش عظيم مربع يحيط به سور مرتفع من الطوب المحرق طوله نحو ٤٧٠ ذراعاً وعرضه نحو ٢٩٥ ذراعاً وله ثمانية أبواب لكل جهة بابان . وقد تركه مكشوفاً بلا سقف لكنه أقام قوس الممراب صفاً من الرواكيب لجلس امرائه وخاصة رجاله وفرض على أهل أم درمان كافة حضور الصلوات الخمس فيه يومياً .

بناء قبة المهدي : وبعد ان أتم بناء الجامع بدأ له ان يقيم فوق قبر المهدي قبة ليصرف للناس الى حجتها بدل الكعبة فدعا اليه الأمراء من الجهات وأبا عنجة من القلايات للاحتفال بذلك . وفي يوم الاربعاء في ٣ ربيع الاول سنة ١٣٠٦ هـ ٧ نوفمبر سنة ١٨٨٨ م شرع في حفر الاساس بيئته ثم تبعه الخليفان فالأمراء وتتابع الناس في العمل به فأتموه بأسبوع ثم وضع لهم حجر الاساس وشرعوا في البناء حتى اكملوه فكانت بنية عظيمة مربعة طول كل جدار من جدرانها الاربعة ١٧ ذراعاً وسمكه ٣ ١/٢ ذراع وعلاه ١٤ ذراعاً وفوقه بناء مثنى يعلو ١٥ ذراعاً وفوقه القبة وتغلو ٣١ ذراعاً . فكان علو البنية من الارض الى القمة ٥٠ ذراعاً . وقد بنيت بالحجارة على علو ذراعين ثم بالطوب الاحمر الى آخرها ولها بابان كبيران باب الى الجنوب وباب الى الشمال وثمانية شبابيك في كل جدار من جدرانها الاربعة شباكات وغني كوى او «مناور» بيضوية الشكل في القسم المثنى في كل ثمينة «منور» فجاءت أعظم قبة بنيت في السودان الى هذا العهد وكان المهندس لها رجلاً مصري المجلس يدعى اسماعيل . وفي فتح أم درمان سنة ١٨٩٨ دكها الجيش الى الارض هي والجامع كما سيجيء . وقد وصفها اسماعيل عبد القادر الكردوفاني بقصيدة غراء هذه هي مجروفها :

سمت قبة المهدي مجدداً وسوددا ونيطت بها الجوزاء عقداً منقدا
وصيغ من الاكليل تاج لها ميا وسال بها نهر الهجرة مزبدا
وقد نظمت زهر النجوم قلائداً لجند علاها حائز سبق مفردا
ولاحت بأنوار الهداية شمسها فأشرق منها الكون وانفتح الرمي

بليّة مجد شادها الحلم والتقى
 فله مفتحها ومحكم صنعها
 ولم لا وقد ضمت لأفضل وارث
 خلاصة صفو المجد عن آل هاشم
 امام له في كل مجد وسؤدد
 محمد المهدي بشري محمد
 ببشراه غنى بلبل السعد مطرباً
 به الله أحياناً وأظهر دينه
 وقد أحرز الدين الحنيفي بالطبي
 وجهاد من قد حاد عن شرع احمد
 ولما دعاه الحق جل جلاله
 أجاب النداء فالقلب بعد فراقه
 وقد جبر الله الوجود بأسره
 يهدي الذي قد قام فينا مقامه
 فقام بأمر الدين حق قيامه
 قلوب الوري تعنو جميعاً لهديه
 إمام أجل الله في الكون قدره
 مآفيه في الدين يعمر حصراً
 وقد اصدر الأمر الكريم مخاطباً
 وقال لهم قوموا بكامل جهدكم
 وبادر أبقاه الاله مسارعاً
 ومن بعده الانصار تحت اشارة
 فجاءت بمحمد الله أعظم قبة
 فيا زائراً تلك البنية لائذا
 ترسل ببشري المصطفى متأدياً

يطوف بها الزوار مثق وموحد
 وروضتها الزهراء بالفضل والندی
 لخير الوري طه المشفع احدا
 وأفضل من في الخير راح او اغتدى
 مآثر فضل ما أجل وأجدا
 شفيح الوري في الحشر من طاب محتدا
 وقام على غصن المسرات منشدا
 وأولاه افضالاً ونصرأ مؤيدا
 ودمر جباراً طنى وغمردا
 وقد فل جيش المعتدين وشردا
 لدار بها الفوز العظيم غلدا
 يذوب اساً والصبر عز وابعدا
 وأعلى منار الدين حقاً وشيدا
 خليفته هادي الوري قانع العدى
 وأعمل في أهل الضلال المهندا
 فلا تنثني إلا عنها وانجلي الصدى
 وتوجه تاج القبول وأيدا
 فغاية ما عندي القصور وقد بدا
 لأنصار دين الله حالاً ومبتدا
 لنحز أجزأ في البليّة سمردا
 يباشر اعمال البليّة مرشدا
 له وهو بدر في سماء العلا بدا
 حوت كل مجد لا يمد وسوددا
 بقبر حموى الفضل الجسم المؤيدا
 لتظفر بالحسن وتبلغ مقصدا

وقف خاضعاً وارحُ القبول مؤرخاً بقبة مهدي الأمام ترى هدى
وقد نقش تاريخ القبة على حجر رخام فوق عتبة بابها الجنوبي سنة
١٣٠٦ هـ .

قتل محمد نور في جمادي الاولى سنة ١٣٠٥ هـ فبراير سنة ١٨٨٧ م :

هذا وعلى أثر بناء الجامع ظهر في أم درمان رجل من الفادنية يدعى
محمد نور جاهر بإنكاره المهدي ورفض الصلاة في الجامع فاتصل خبره بالخليفة
فحاكمه بمجلس من القضاة حضره الامير محمد الخير لأنه كان اذ ذاك في أم درمان
فحكم المجلس بقتله فقتل شنقاً وكتب الخليفة بشأنه الى جميع امرائه في
الجهات ومما كتبه الى ابي عنجة في ٢٨ جمادي الاولى سنة ١٣٠٥ هـ ١١ فبراير
سنة ١٨٨٨ م :

« وبعد فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن محمد
خليفة الصديق الى المكرم حمدان ابي عنجة كان الله له أمين . بعد السلام
نعلمك انه ظهر رجل بهذا الطرف يدعى محمد نور فأعرض عن الدين ونفر من
جهتنا غاية النفرة حتى انه لم يصل بالمسجد معنا وقد توجه اليه بعض الاصحاب
الثقات مراراً في محله فوجدوه في غاية الاعراض والانكار . ثم أحضر عند
القضاة في المحكمة فقالوا له ان الله سبحانه وتعالى يقول أطيعوا الله وأطيعوا
الرسول وأولي الامر منكم وان خليفة المهدي « عم » قد ولاه الله علينا
وطاعته واجبة فقال لهم المراد من أولي الامر هو الله . فقالوا له ان الله تعالى
قال أولي الامر منكم فكيف مع هذا تقول ما ذكرته فلم يعترف بخطأه وما
زاد إلا نفوراً . ومع ذلك فانه منكر قتل من قتل على يد المهدي « عم »
كأهل الخراطوم وغيرهم من الأعداء الذين خرجوا من الدين بكفرهم بالامام
المهدي « عم » ومحاربتهم له وليس مصداقاً بكفرهم . ولما لم يرجع عن
اعراضه حكم الشرع بقتله فصلب وقد أكلت النار لسانه ولحيته ويديه

ورجليه وسرحت فيه وتغير لونه والعياذ بالله من ذلك وبعد ذلك أمرنا فأخرج من الديم خارج قبور المسلمين وقد حررنا هذا لاعلامكم بما كان ... اه .

التعايشي وقبائل السودان سنة ٨٦ : ١٨٩٠ :

تقدم ان التعايشي بعد موت المهدي كتب الى مشايخ السودان كافة من حضر وبادية الحضور الى ام درمان لتجديد البيعة على يده والتبرك بزيارة قبر المهدي فمن أطاع ونصره رضي الله عنه ومن عصى جرّد عليه حتى أقمه ونكل به وبأهله كما فعل بصالح الكباشي وأهله الكبابيش ومادبو شيخ الرزيقات وكثيرين غيرهم من القبائل والأفراد نخص بالذكر :

عوض الكريم باشا أبا من شيخ الشكرية : المار ذكره فانه تمنع عن اجابة داعي المهدي الى ان سقطت الخرطوم فحضر الى ام درمان وسلم للمهدي فعفا عنه . وبعد موت المهدي أمره الخليفة فكتب الى رؤساء قبيلته يدعوهم الى الحضور الى ام درمان بخيلهم وإبلهم ولما لم يحضروا قبض الخليفة عليه وزجه في السجن فمات قهراً سنة ١٣٠٤ هـ وجرّد على الشكرية فقتل وسبى وغنم حتى استجاروا بالحبيشة والانكليز ومن ذلك قول شاعرهم الحارثي اخي عوض الكريم باشا :

ناس قباج من العرب يوم جونا جابوا التصفية ومن البيوت مرقونا
اولاد ناس عزاز مثل الكلاب سوتونا يا يا بالنفس يا لانكليز الفونا

ومحمد البشير علي طه بن جن شيخ الحمدة : فانه أبى الحضور الى ام درمان فظل يتبعه حتى ظفر به وقتله ونكل بأهله تنكيلا وذلك سنة ١٣٠٤ هـ .

ومحمود ود زايد شيخ الضباينة : فانه رفض اجابة داعيه فأمر عثمان دقنة فجرّد عليه عوض الكريم كافوت بمدفع جبلي و ٤٠٠ رجل مسلحين بالبنادق فوجده مستعداً للجرب بقوة كبيرة فخادعه حتى جرّه الى معسكره

فقبض عليه وكبله بالحديد وجردته من جميع ماله وأرسله الى أم درمان والى ذلك أشار الحارثون بقوله :

يا شایل الجواب وديه للحمراي وقل له الزمان مثل الكلب سواتي
اكتب لي جواب يا صاحبي لا تنساني ولد زايد يقول ظاهر الامان غشائي

وبقي ود زايد في سجن الخليفة الى سنة ١٣٠٧ هـ فعفى عنه وعاد الى بلاده فمات ذليلاً .

والمرضي أبا روف شيخ بني حسان : السالف الذكر فانه حضر الى أم درمان بعد فتح سنار وباع الخليفة فأمره بالعودة الى بلاده وجمع رجال قبيلته للجهاد فذهب الى قومه ولم يرجع فبعت الخليفة يستعجله فأخذ الأسلحة من الرسل ونصره قومه قتل وذبحوا الثيران التي عنده وقالوا للرسل اذهبوا الى التعايشي وأخبروه أننا ذبحنا هذه الثيران لأنها تشبه لباس الدراويش وتجمعوا في قوز الاهليج تجاه فاشودة واستعدوا للحرب . وكان ذلك على اثر عودة أبي عنجة الى جبال النوبة فأخرج التعايشي سرية قوية من هذا الجيش وعقد لواها لعبد الله ود ابراهيم والزافي طمل وأرسلها عليهم بطريق النيل الابيض وأرسل اسماعيل ود الامين من مشايخ حمر برجالها بطريق النيل الازرق فنزلوا في أبي شوكة وقطعوا خط الرجعة عليهم . فسار عبد الله ابراهيم بالوابورات حتى أتى الجبلين فأنزل جيوشه الى البر وتقدم الى قوز الاهليج فأوقع في المرضي وقومه واقعة مشهورة فقتله هو وجميع كبار جيشه وفيهم الشيخ محمد ابن الشيخ مالك ومردس شيخ العلادين و ابراهيم رد صابون شيخ العقليين والفقير ابراهيم ود خالد وغيرهم . ومن فر من الواقعة وقع في يد جيش النيل الازرق فاجتمع عند أنصار الخليفة عدد لا يحصى من الأسرى والغنائم من الابل والغنم فأتوا بها الى الخليفة فوزع الأسرى في الجهات وضم الغنائم الى بيت المال . واخترق عبد الله ود ابراهيم الجزيرة وأتى أبا حراز في ٣ صفر سنة ١٣٠٥ هـ

٢١ اكتوبر سنة ١٨٨٧ م حيث كان أبو عنجة ينتظره فسار معه الى القلابات كما مر .

قتلة البطاحين نوفمبر سنة ١٨٨٨ : هذا وفي مجاعة سنة ١٣٠٦ هـ قرّ بعض البطاحين من جيش النجومي لشدة ما أصابهم من الجوع في دنقلة وأتوا الى ياديتهم شرقي النيل الأزرق بين رقاعة والحلفاية ورجعوا الى عاداتهم من قطع السابلة ونهب المارة فأرسل اليهم التعايشي الامير ود جار النبي من جيش الخليفة ود حلو بنفر قليل من الانصار يدعوم الى ام درمان فحاربوه وقتلوا بعض رجاله فجرّد عليهم التعايشي جيشاً يزيد على ٢٥٠٠ مقاتل من حراصة وجهادية وخيالة فأوقع فيهم واقعة شديدة وقتل معظم أكابرهم وساق الباقين الى ام درمان وفيهم ٦٧ رجلاً فجعلهم الخليفة اربع فرق فرقة قتلت شتقاً وفرقة ضربت أعناقها واخرى قطعت أيديها اليمنى واخرى قطعت أيديها وأرجلها من خلاف . وقد أثبت سلاطين باشا هذا المشهد في كتابه « السيف والنار في السودان » فاذا هو مما تقشعر له الأبدان ويقضي بأن البشر قد يبلغون في الشراسة مبلغاً تقصّر عنه الوحوش الضارية .

الخليفة والبقارة : ورأى الخليفة ان سكان النيل لا يقيمون على ولائه اذا ضعف أمره او خانته دهره فبعث الى مشايخ البقارة في جنوبي كردوفان ودارفور يستحثهم على الهجرة الى ام درمان بخيلهم وابلهم ومواشيهم ليعزّز بهم ملكه ويأمن بهم غدرات الزمان وقد كرّر أجوبته لهم وأكثر من الوعود براحتهم وبدأ بهذا المسمى يجد واهتمام منذ سنة ١٣٠٤ هـ . على ان البقارة فدلّوا جذب صحرائهم وحرية البادية على خصب النيل وعزّ الملك ولسان حالهم ينشد قول تلك البدوية التي زوجت للحضر :

لبيت تحفّق الارياح فيه أحبّ الى من قصر منيف
ولبس عباءة وتقرّ عيني أحبّ اليّ من لبس الشفوف
وأكل كسيرة في كسر بيتي أحبّ اليّ من أكل الرغيف

تاريخ التشوكات

خشونة عيشي في البدو أشهى الى نفسي من العيش الطريف
فما أبني سوى وطني بديلاً فحسي ذلك من وطن شريف

لكن الخليفة صمم على انفاذ رأيه فيهم فأمر عماله بتخريب ديارهم وجلبهم الى ام درمان بالرغم او بالرضى فهاجر الوف من التعايشة والرزقات والهباتية والحر وغيرهم قسراً الخليفة بهم سروراً عظيماً وكتب الى أبي عنجة بتاريخ ٨ محرم ١٣٠٦ هـ ما نصه :

« بعد السلام نعلمك انه بمحمد الله قد انتهى أمر التعايشة فحضروا من بلادهم بأكلهم والآن قاموا من الفاشر وأولهم قد وصل جبل الحلة وهم كثار حتى لقد يبلغون من عائلة المجاهد نحو ستين ألفاً وكون ذلك مما يزيد المسرة في الدين حرراً لك هذا . ثم ان الهباتية حاضرون جميعهم بعد التعايشة بواسطة المكرم عثمان آدم ومن بعدهم يحضر قبائل متفرقة من اهالي الناقصة وخلافهم رزيقات وغيرهم نساء ورجال والله ينصر الدين ويخذل الكافرين ... اه . وما زال البقارة يفدون الى ام درمان الى آخر سنة ١٣٠٧ هـ فاستقبلهم الخليفة احسن استقبال وأسكنهم على الرحب والسعة ومع ذلك حاول الكثير منهم الفرار فأرسل الخليفة الى عثمان آدم « بالبحث عن الفارين وارجاعهم الى ام درمان بالشعبة والجزير مع المحافظة القوية » . ووفر الغزالي كبير التعايشة فألقى به بعض الجند فأدركوه على يومين من ام درمان فقتلوه وأتوه برأسه . وهذا بعض ما فعله التعايشي بقبائل السودان وسيأتي ذكر ما فعله بالشك وبالأشراف وأقارب المهدي .

الجوع في السودان سنة ٦ : ١٣٠٧ هـ سنة ٨٨ : ١٨٩٠ م :

مضى خريف سنة ١٣٠٦ هـ سنة ١٨٨٨ م فلم يقع مطر كاف في السودان ولا زاد النيل الزيادة المعتادة . ثم جاءت سنة ١٣٠٧ هـ ٨٩ : ١٨٩٠ م فأتى الجراد وأكل معظم الزرع وأحضر التعايشي أهله البقارة من الغرب كما مر فأكلوا ما في البلاد من الحبوب المذخورة فأصاب الناس في السنتين المذكورتين

جوع عظيم لم يروا مثله في سالف الأعصار فأهلك منهم اضعاف ما اهلكته الحروب والأوبئة. وقد اقبل الكثير عليهم الابواب وماتوا جوعاً هم وأولادهم لكي لا يضطروا الى التسول فيعمروا بذل السؤال. وعمت هذه المجاعة جميع بلاد النيل والسودان الشرقي والغربي ما عدا فاشودة فذهب التجار اليها وأتوا منها بالحبوب الى أم درمان فحففوا بعض المصاب على اهلها. ولقد رأيت في كتب عمال الجهات الى الخليفة ما يشير الى هذه المجاعة. من ذلك ما كتبه اليه النجومي من دنقلة في ٩ صفر سنة ١٣٠٦ هـ ١٥ أكتوبر سنة ١٨٨٨ م : « وما يلبني الاخبار عنه من احوال دنقلة هو الضيق الحاصل فيها هذه السنة بخلاف عاداتها وذلك لأن انتاج الحبوب قليل لعدم فيضان البحر فيها فكثير من الاماكن التي كانت تنتج الحبوب عندهم كالجزائر الكبار ما عتها النيل ولا زرعت. والزراعة فيها قليلة وأهلها يشكون الضيق والتعب من عدم المعيش... » وكتب اليه عثمان الدكيم من بربر في ١٤ القعدة سنة ١٣٠٦ هـ ١٢ يوليو ١٨٨٨ م يقول : « ... ان الاردب الواحد من الذرة بلغ في الثمن ستين ريالاً... »

وخرج الزاكي طمل من القلابات الى القضارف طلباً للقوت وكتب الى الخليفة في ١٨ شعبان سنة ١٣٠٦ هـ : « ... والحال سيدي ان الجيش بعدما حررتنا في طلوعه لأرض العدو قد تزايد به الضرر من جهة المعيش وعم ذلك الكافة صنيراً وكبيراً مجاهداً وعائلة حتى صاروا يأكلون الجيف ويلتقطون الحبوب من الارض في الطرق والمزابل ومخلات الرماد وهم الآن بجالة لو رأها سيدي لرثى لهم .. وتفرق الغالب منهم في الجهات في التماس المعيش وبعضهم يلتقطون القشوش والأشجار من الادوية مسافة ٣ ايام او اربعة ... لذلك قد أختارنا السرية عن التوجه الى الحبشة ونحن كذلك غير متيسر توجعنا اليها الآن لأن الجيش قد اشتغل بنفسه ... وفي هذين اليومين قصدنا ارسال سرية الى جهات الجبال الصعيدية كمثل أبي رملة وما يليه فيها ٨٠٠٠ رجل ٤٠٠٠ سلاح ناري و ٤٠٠٠ حراة وفي رأسها عبد الرسول عمر فبذلك تحصل مداركة الجيش بما يحضرونه من المواشي وهم ايضاً يتمنعشون ... »

وقد اجتمعت بكثيرين ممن حضروا هذه المجاعة في السودان فقصوا علي كثير مما قاسوه بأنفسهم وما شاهدوه بغيرهم . من ذلك ما حكاه لي عمر بك ابو سن قال : « خرجت من الخرطوم في شهر محرم سنة ١٣٠٧ هـ قاصدا رفاعة فمنا أقبل الليل حتى تراكمت السحب وخفنا ان يدامنا المطر في الطريق فمرجنا الى حلة في الجزيرة تسمى « ولد عثيب » للبيت فيها فوجدنا ابواب منازلها مقفلة ولا يسمع فيها صوت انسان فعمدنا الى باب دار فدخلناه فانتشرت منه رائحة منتنة فأوقدنا نارا لنرى ما الخبر فاذا بأهل المنزل رجالا ونساء وأطفالا قد رقدوا على أسرهم موتى ثم طرقتنا بيتا آخر فسمعنا صوت أنين ضعيف فدخلناه فاذا بسكانه قد أشرقوا على الهلاك فسالناهم عن الخبر فأومأ الينا صاحب الدار ان اطعمونا فنعلمكم بحالنا فأحضرتا لهم ما تيسر من الزاد فأكلوا وشربوا وأكل بعضهم بنهم زائد فماتوا في الحال وقال صاحب الدار ان القحط قد بلغ حده عند اهل البلدة بسبب انحباس الأمطار فأقفلوا عليهم الابواب فماتوا جوعا كما ترون » اه .

وأخبرني من أثق به انه دخل منزلا في اثنتا من اهل البيوتات فرأى صاحب المنزل ميتا على سريره وأولاده موتى بجانبه وقد ربطهم الى قائمة السرير لئلا يفلتوا ويضطرم الجوع الى التسول فيميتهم .

وحدثني احد الثقات قال : كنت في مجاعة سنة ١٣٠٦ هـ في كسبة في امارة حامد علي البقاري وكبلا على السوق فدخلت ذات يوم منزلا فوجدت امرأة تطبخ في قدر فكشفت القدر فاذا فيها يدا عروس لا يزال عليها أثر الحناء فسألته عن ذلك فقالت اني دخلت ليلا على عروس فلان مع فلانة وفلانة فوجدناها قد أشرقت على الهلاك جوعا فذبحناهما واقتسمنا لحمها للتقوت به . قال محدثي : وكثيرا ما رأيت الموتى قد بقرت جثثهم وأخذت اكبادهم طعاما للجياح . الى غير ذلك من الاخبار الرائعة والانباء المحزنة .

قتل ابراهيم ود عدلان سنة ١٣٠٧ هـ :

تقدم ان الخليفة عزل احمد سليمان وسمى ابراهيم ود عدلان المار ذكره في

حصار الأبيض أمينا لبيت المال فأحسن ادارته ونقله من مكانه الاصلي الى شاطئ النيل لتقليل نفقات النقل ومشقاته ونظم أساليب الدخل والخرج وضرب الريالات مازجا فضتها بالنحاس . وقد علم كيف يكتسب رضى الخليفة فخصه وأقاربه بالنصيب الاكبر من بيت المال فبقي مكرما مسموع الكلمة الى ان كانت سنة ١٣٠٧ هـ وتم ورود البقاره من الغرب فأمره الخليفة ان يعضي الى الجزيرة ويقنع أهلها بإرسال ما استفلوه من الذرة إعانة للبقارة بلا ثمن فذهب مكرها لأنه لم يكن يرضى بالجور الى هذا الحد وكان قد أثرى من بيت المال وكثر حساده فوشوا به الى الخليفة انه غير راض بأمره وانه نسب المجاعة التي حصلت سنة ١٣٠٦ هـ اليه . والى سلبه الناس لأجل قبيلته وكان اكبر خصومه يعقوب أخا الخليفة فاستدعاه الخليفة الى أم درمان ووبخه توبيخا صارما وكان ود عدلان جسورا أبي النفس فقال له نعم انك بتفضيلك لقومك نفرت منك قلوب الذين كانوا يخلصون لك وأنا لا اقدر ان اخدمك بعد . فاضطرب الخليفة من هذا الكلام وقال في نفسه ان الرجل لم يتكلم بهذه الجرأة إلا وله انصار في البلاد ولم يستعف من منصبه إلا وهو على ثروة طائلة وقد صمم على الفتك به لكنه اضمر الكد وأظهر الجلد وقال له : اذهب الآن وغدا أرد لك الجواب . فطلب الخليفين والقضاة وأخاء يعقوب ثم استدعى ود عدلان وعنفه امامهم على جرأته ثم أمر الملازمين فقبضوا عليه وخفوا به الى السجن وأمر باستصفاء امواله ولكن ود عدلان رضى السجن وأسرع الى بيته ليلا وأخفى أمواله في مكان قيل انه لا يزال مجهولا الى اليوم وعاد الى السجن فلما جاء رسل الخليفة لاستصفاء ماله لم يجدوا منه إلا النزر اليسير . هذا وكان الملازمون عند القبض عليه وجدوا ورقة في جيبه عليها اسم الخليفة وكتابة مبهمه فقال الخليفة انها طلسم اراد ان يسحرني به فحكم عليه بالقتل فقيده الى المشنقة فصعد الى السلم بقدم ثابتة وأسلم الروح . وسمي في مكانه النور الجريفاوي من تجار الخرطوم سابقا وسيأتي ذكره .

الباب الرابع

في

استرجاع السودان

الفصل الاول

في

استرجاع طوكر

في ١٩ فبراير سنة ١٨٩١

تقدم ان الحكومة المصرية ما خزجت من السودان إلا مكرهة مضطرة فوقفت عند حدودها في حلفا على النيل وفي سواكن على البحر الاحمر وهي غير آيسة من الرجوع الى السودان بل ما زالت تؤمله وتترقب الفرص . وقد تسلت لها فرصة بعد واقعة طوشي سنة ١٨٨٩ فأعوزها المال كما قدمنا ، ثم أتاحت لها فرصة في سواكن في اوائل سنة ١٨٩١ فاسترجعت طوكر بنفقة لا تذكر واليك البيان :

غزوة عثمان دقنة للحجاب : قد ذكرنا ان عثمان دقنة هجر هندوب بعد واقعة الجيزة واحتل بلاد طوكر الحصية فاشتغل في تهريب الرصاص من أرض الحجاز الى السودان وقد ترك عصابة من الرجال في هندوب وأخرى في تمای فتقطعوا السابلة وضيقوا على سواكن وكثر تهريب الرقيق الى الحجاز من داخلية السودان وكان المحافظ على سواكن الى هذا العهد هولاء سمث باشا

فرأى ان لا يمكن اصلاح الحال إلا بطرد عثمان دقنة من طوكر فأخذ يتربص الفرصة لذلك .

ولما دخلت سنة ١٨٩١ خرج عثمان دقنة بمعظم جيشه لغزو الحباب الذين خرجوا عن طاعته ولم يبق في طوكر إلا حامية صغيرة فأبلغ هولده سميت الخبر تفرافياً الى السردار في ١٥ يناير سنة ١٨٩١ واستأذنه في مهاجمة طوكر بما لديه من المساكر قبل عودة عثمان اليها وكان السردار اذ ذاك في الحدود النيلية بمعية المغفور له توفيق باشا الخديوي السابق فرجع الى مصر للنظر مع رجال الحكومة في اغتنام هذه الفرصة .

أخذ هندوب وتماي وتهدأ للزحف على طوكر اخذ هولده سميت الاورطة الحادية عشرة وبعض الفرسان ونزل على هندوب في ٢٧ يناير وكان فيها نحو ١٠٠ رجل فقتل نحو ٤٠ رجلاً وفيهم مقدمهم رقعة وهزم الباقي الى الجبال . وفي ٢ فبراير ارسل العربان المتحابة الى تماي وكان فيها ٥٠ رجلاً عليهم الشريف قبسة فأسروا الشريف المذكور وبعض أصحابه وعادوا الى سواكن .

الزحف على طوكر : وفي ٨ فبراير أقرت الحكومة على استرجاع طوكر فأبلغ السردار قرارها الى هولده سميت تفرافياً وأرسل اليه بعض أركان حربه من مصر لمساعدته على الفتح وهم اللواء متل باشا رئيس اركان حربه والقائمقام ونجت بك مدير قلم الخبارات (السردار الحالي) والميرالاي رندل بك . وكنت في هذا العهد في قلم الخبارات تحت ادارة القائمقام ونجت بك فصحبته انا وملحم بك شكور سكرتير عربي السردار . فدخلنا سواكن في ١٤ فبراير فوجدنا هولده سميت قد سبقنا بالمساكر الى ترنكتات ومعه من اركان حربه البكباشي ابراهيم افندي فتحني فلحقناه اليها في اليوم التالي

وفي صباح ١٦ فبراير أبقي هولده سميت في مرسى ترنكتات بلوكاً من المساكر وسار نحو ساعة حتى بلغ اليبس فأقام مخزناً للماء حصنه بمدفعين وبعض المساكر واستطرد السير قاصداً التيب بالقوة الآتية : اورطة من السواري



الماجور ونجت

مدير قلم المخابرات الحربية سابقاً

سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام الحالي

ومدفعين كروب. والاورطة الرابعة المصرية. والاورطتين السودانيتين الحادية عشرة والثانية عشرة وبعض رجال القسم الطبي وبمجموع الكل ٨٥ ضابطاً و ١١٩٦ عسكرياً و ١٥١ جواداً و ١٩٥ جملاً و ٣٠ بغلاً و ٤٦ حميراً . وقبل وصولنا الى التيب بقليل رأينا عظام القتلى قد انتشرت أكداً في سهل فسيح تعلوه الانجم فعلما أننا في ميدان واقعة باكر. وعند العصر بلغنا التيب فوجدنا الآبار مسدودة وكان الجيش قد أحضر معه بعض الفؤوس والقلة فحفرها وأخذنا منها كفايتنا من الماء وبتنا على نية استطراد السير نحو طوكر في فجر الغد . ولكن ما طلع الفجر حتى ثارت زوبعة شديدة غشيت الجو والطرق بسحاب غبار كثيف دام عدة ساعات فانتظرنا الى صباح اليوم التالي. هذا وكان عثمان دقنة قد عاد من غزوة الحباب وعلم باحتلال هولدمت هندوب فترك ابن الطاهر المذنوب وكيلاً عنه في طوكر وقام لساعته بمعظم أنصاره قاصداً استرجاع هندوب فما وصل قماي حتى جاءه رسول من ابن الطاهر المذنوب يعلمه بخروج المساكر من ترنكتات قاصدين طوكر فرجع على الاثر ودخل الديم. الاثنين في ١٦ فبراير وكان الديم في بقعة خصيبة تسمى عفافيت. على نحو ٣ أميال الى الجنوب من طوكر القديمة وهو ديم متسع يحيطه ٤ أميال وفيه نحو ٦٠٠٠ طقل . فحال وصوله ضرب نقارة الحرب وجمع أهل بادية طوكر الى جيشه فاجتمع عنده في ذلك اليوم : ٦١٣٠ مقاتل منهم ٥٠٠ رجل من الارتيقة والجيلاب والنوارب والاشراف والدقناي والحاسة وغيرهم من أهل بادية طوكر وكلهم مسلحون بالسيوف والخراشيف والدرق و ٧٠٠ من الاغراب الجعليين والناقلة والبقارة معهم ٣٠٠ بندقية و ٣٠٠ جهادي مسلحين بالبنادق و ١٣٠ فارساً .

وفي ظهر الثلاثاء في ١٧ منه خرج بجميع مقاتليه الى ظاهر الديم فلم يبق فيه سوى النساء والاولاد وجعلهم اربعة ارباع في كل ربع خليط من الوطنيين والاغراب والجهادية وجعل على ربع اميراً وكان امراء الارباع : شايب احمد والشريف حمد النيل ومحمد احمد واحمد بدوي أبو صفيّة وجعل على الفرسان

عثمان نائب وكلهم من مولدي الدناقلة وقد جعله وراء الجيش ليمنع الناس من الفرار وأرسل طلائمه لتنبه بحركات الجيش .

هذا وكنا عند وصولنا ترنكات قد علمنا برجوع عثمان دقنة الى طوكر ولكننا لم نتحقق ذلك حتى مساء ١٦ فبراير اذ فرنا اليها نحو اغا حسين الشافعي من ضباط كردوفان الباشبوزق فأخبرنا برجوع عثمان من غزوة الحباب وشخصه الى هندوب . وفي فجر ١٨ فبراير قبض كشافة الجيش على طليعة لعثمان فأكد لنا رجوعه الى عفاقيت واستعداده للملاقاة الجيش . وانه يوم رجوعه شق ثلاثة من مشايخ البلاد لأنهم حاولوا الفرار الى الجيش وقطع يد ورجل ٢٠ رجلا منهم لانهم اياهم بالجاوسية .

واقعة طوكر في ١٩ فبراير سنة ١٨٩١ :

وفي فجر ١٩ فبراير ترك هولده سمث في التيب المدفعين و ٥٠ رجلا من الطوبجية ونصف بلوك من الاورطة الثانية عشرة . وسار بالجيش الى طوكر تتقدمه السواري وكان في مقدمة السواري القائقام ونجت بك فالتقى بطلائع العدو عند خرائب طوكر القديمة فردم على اعقابهم وبعت يستحث الجيش على الاسراع لاحتلال تلك الخرائب والامتناع بها قبل وصول العدو فسار الجيش حثيثاً حتى وصلها الساعة ١٠ صباحاً فاتخذ من جدرانها متاريس واصطف فيها على شكل نصف دائرة جاعلا حملة الماء والذخيرة ورائه ومكث هولده سمث وأركان حرب في الوسط . وفي اثناء ذلك كنا نرى العدو من خلال الأنجم التي ملأت السهل من حولنا وهو مقبل نحونا ركضاً قصد احتلال الخرائب قبلنا فسبقناه اليها ببضع دقائق ولو سبقنا اليها لاستحال علينا اخراجه منها وترجع رجوعنا عنه بالخيبة والحسرة وكان الفضل كل الفضل في هذا للسبق للحازم الباسل القائقام ونجت بك كما ذكرنا . وأتم الجيش انتظامه في الخرائب حتى كان العدو قد اصبغ على قيد ٥٠ يرداً منها ففتح الجيش افواه البنادق وصب الرصاص عليه كالطرر الوابل وأجاب العدو نيراننا

واشتد القتال بإطلاق الرصاص من الجانبين . وقد كنت قبل بدء القتال على قفة تلة بين الخرائب أشاهد العدو وهو مقبل علينا فبقيت على تلك التلة أشاهد القتال فكان رصاص العدو على كثرتة قليل الاصابة عالى المرمى حتى انه كان يمر فوق رأسي مع شدة ارتفاع موقعي وأما رصاص الجيش فقد كان صائبا فتاكاً فكنت أرى ابطال العدو مهاجرين والرصاص يحندلهم الواحد بعد الآخر حتى كان بعضهم يقتل على قيد متر او مترين من صفوف الجيش . ولما كثر القتل فيهم رأيت فرسانهم يدورون حول الجناح الايمن قصد مهاجتنا من الوراء فمد الجيش جناحه وصلاحه ناراً حامية فجندل ابطالهم وصدم عنه ولكن فاز اميرهم عثمان نائب باخترق الصف وإذا قتل فرسه من تحته هجم راجلاً وبيده الحربة وهو ينادي : « اين الملعون كبيركم » فتصدى له الكبش ماتشل قومندان الحملة (مستشار الداخلية الآن) ورماه برصاصة من مسدسه فاحتمل الضربة وظل مهاجماً ثم رأيت محمد بك احمد مأمور سواكن قد كره عليه راكباً جواده وشاهراً سيفه ولكنه قبل ان يدركه وقع يخبط بدمائه عند أسفل التلة التي كنت جالساً عليها فضربه بالسيف ضربة فأجهز عليه . واخترق صف العساكر ايضاً فارس آخر يدعى الأخيضر فقطع ارباً . ثم ان رماحة الدراويش حاولوا ان يدوروا حول الجناحين فلم يفلحوا ودامت الواقعة في احتدامها ساعة ونصف ساعة فكانت أشد الوقائع التي جرت للجيش مع الدراويش وحق لجميع الضباط والعساكر الذين اشتركوا فيها كل مدح وثناء . وقد انجلت عن انهزام عثمان دقنة وانصاره فمروا بديهم وأخذوا نساءهم وما خفف من الامتعة وفرّوا جنوباً وما ابعدوا حتى انقسموا فريقين فريقاً انضم الى الامير شايب فذهب الى حامد علي البقاري في كسلة وفريقاً بقي مع عثمان دقنة فنزل في ادارأمه على الاتبرة . وزحف الجيش على الديم وكان قد تخلف فيه كثير من اهل البلاد وجماعة من رجال الفتح الاول الذين كانوا في أسر الدراويش من ضباط وعساكر وملكية وتجار فرفعوا راية بيضاء وخرجوا لاستقبال الجيش فلتلقاهم بالترحيب واحتل الديم مساء يوم الواقعة

وبذلك عادت بلاد طوكر الى الحكومة المصرية بعد ان رتب فيها الدراويش سبع سنين . وقد قتل من الجيش في هذه الواقعة ضابط و ٩ عساكر وجرح ٤٨ رجلاً وأما الدراويش فقد بلغ عدد قتلاهم ٧٠٠ رجل فيهم ١٧ اميراً وزاد عدد جرحاهم على ذلك .

الفنائم : ثم جمعت الفنائم من الديم فكانت أكداً عظيمة من الأسلحة القديمة والجبنخانة والرصاص والتقاير والذرة والأثاث وفيها ٤ مدافع وخيام من ايام باكر . وقد وجدت بين دفاتر بيت المال وأوراقه تاريخ وقائع عثمان دقنة كما قدمه للخليفة فاطلمت منه على حقائق شتى . وبيعت الفنائم التي لم يحتاج الجيش اليها بالمزاد فاشترى القائمات ونجت بك نقارة كبيرة عليها كتابة قديمة تقرأ هكذا : هذه نقارة الفضة ... نقارة سلطان الحبشة السلطان ماسو ابن السلطان الكبير .. بيوم الاثنين ... سنة ١١٠٧ ... يوم جاء بنفسه فقتله السلطان بادي في شهر صفر ، وعليها كتابة اخرى حديثة بأحرف رفيعة : ملك السيد محمد احمد الشيخ ادريس سنة ١٣٠٤ .

ولم نر في عفايت شيئاً يستميل النظر سوى مشنقتها وجامعها وهر عبارة عن عدة رواكيب من قش بعضها يجانب بعض . ويجانبه قبر الطاهر المهدوب الذي مات سنة ١٨٩٠ . وثاني يوم الواقعة جاء مشايخ البلاد المجاورة وقدموا الطاعة للجيش قعفي عنهم . وفي ٣٢ فبراير حضر السردار غرنفل الى عفايت وأرسل منشورات الى اهل بادية السودان الشرقي كافة يخبرهم باحتلال الحكومة لطوكر ويدعوهم الى مجلس في سواكن . وفي ٣ مارس أخذ اركان حربه والمحافظ وعاد بطريق تمساي وسنكات فوصل سواكن في ٧ مارس . وفي ٨ مارس عقد مجلساً مع مشايخ البلاد فصرح لهم بالعفو باسم افندينا . وفي ٩ منه عاد الى مصر هو وأركان حربه فعدت معهم .

ولاية سبهو الخديوي عباس باشا حلي الثاني في ٨ يناير سنة ١٨٩٢ :

وكانت طوكر البلاد الوحيدة التي استرجعها الجيش في عهد المنفور له



عباس باشا حامي

خديوي مصر المعظم

توفيق باشا الذي انتقل الى رحمة ربه في ٧ يناير سنة ١٨٩٢ . وكان لمجده
 الاكبر عباس باشا حلمي (الخديوي الحالي) اذ ذاك يتلقى العلوم في كلية
 برلين فوصل مصر في ١٦ يناير وقرىء الفرمان السلطاني بتوليته في قصر
 عابدين في ١٤ ابريل من السنة المذكورة فكان استرجاع السودان في ايامه
 السميدة ادام الله نصره وأيده .

الفصل الثاني

في

استرجاع كسلا عن يد التليان

في ١٧ يوليو سنة ١٨٩٤

مع ذكر وقائع فاشوده والسودان الشرقي سنة ١-١٨٩٦ :

غزوة الزاكي طمل للشك : تقدم لنا ذكر قتل ملك الشك في واقعة راشد بك في قدبر فتولى الشك بعده الملك عمر قيل انه ذهب الى المهدي فأعطاه البيعة وثبته ملكاً على بلاده فبقي لا يعارضه فيها معارض الى ان كانت جماعة سنة ٦ - ١٣٠٧ هـ فأرسل اليه الخليفة جيشاً في باخرتين لجلب العشور منه فأبى تأدية العشور ولكنه ارسل اليه ٢٠٠٠ اردب ذرة على سبيل الهدية. فلما كانت سنة ١٣٠٨ هـ أنفذ الخليفة أمره الى الزاكي امير القلايات فخرج بنحو ٢٠ الف مقاتل واخترق الجزيرة الى بلاد الشك فوجد الملك عمر قد حشد الجيوش واستعد لمحاربته فأوقع فيه وقائع دموية حتى قتله فأرسل رأسه الى الخليفة وبقي يميث في بلاد فاشودة فيسرق اهلها وينهب ماشيتهم وغلاهم الى اواسط سنة ١٨٩٢ .

سفر الزاكي طمل الى القضايف : فاستقبله الخليفة احسن استقبال وأرجعه يميته الى القضايف في اوائل سنة ١٨٩٣ بطريق ابي حراز ليكون مع جيش كسلا في صدد التليان الذين كانوا يمدون حدودهم في الارضيا جنوباً وغرباً فبنى الزاكي في القضايف قصراً جميلاً وعاش بأبهة عظيمة . فسمى به بعض حساده الى الخليفة وفيهم حسامد البقاري وعبد الله ابراهيم من أمراء جيشه بأنه طامع الى الاستقلال . قيل وقد أساء معاملة الامراء الذين رأى منهم الانحراف عنه .

موت الزاكي في سجن ام درمان : فاستدعاه الخليفة الى أم درمان فحضر الجمعة في ٢٥ اوجسطس سنة ١٨٩٣ . فألقى القبض عليه وزججه في السجن وكبله بالحديد ومنع عنه الغذاء فمات جوعاً في ١٦ سبتمبر سنة ١٨٩٣ . وكان رجلاً جباراً عبوساً طويل القامة قليل اللحم متمسك البدن اسمر اللون جداً خفيف اللحية طويل الشاربين ونقش خاتمه : « وفقى لأحسن العمل عبدك الزاكي طمل » . وقد غنم الخليفة ماله فوجد عنده ٥٠ ألف ريال مجيدي وأبو طيره وحلى ثمينة من غنائم الحبشة وكثيراً من الخيل والماشية والرقيق . قيل وكان عنده من النساء فوق المئة ومن الاولاد ٢٧ فوزع الخليفة النساء اللواتي لهن اولاد على عبيده واللواتي ليس لهن اولاد على خاصة رجاله .

وكتب الى امرائه في الجهات يخبرهم بسجن الزاكي ثم بموته فما كتبه الى محمود احمد امير الفاشر في سجنه : « ... هذا ونعلمك أيها المكرم ان الزاكي طمل قد كثرت فيه التشكيات من الانصار الذين معه وتضرر كثيراً من سيره فيهم بالعنف وضيق اخلاقه وتغير احواله فطلبناه لطرفنا ومعه العمال وبالممارسة لأحواله وجدنا ان به عارضاً شديداً وقيل انه كان معه من سابق إلا أنه اشتد عليه في هذا الوقت وبأسباب ذلك أجرينا زجره وحبس به بالمشورة فان طاب وشفي من ذلك العارض فيها وإلا فتصير معالجته منه الى ان يقدر الله له الشفاء او يقضي الله أمراً كان مفعولاً... والسلام في ١٤ صفر سنة ١٣١١ هـ ٢٧ اوجسطس سنة ١٨٩٣ م .

ثم كتب اليه في ١٠ ربيع الاول ٢١ سبتمبر من السنة المذكورة يقول
« انه هلك في السجن على صفة فظيعة وحالة شنيعة وانه بمجرد خروج روحه
اشتعلت النار في جسمه واسود وجهه والعياذ بالله » .

واقعة اغوردت في ٢١ ديسمبر سنة ١٨٩٣ : وسمى الخليفة احمد علي
قائداً على الجيش مكانه وكان التليان لم يزالوا يمدون حدودهم الى جهة كسلا
فأمره بصدم فساد الجيش وفيه ١٢ الف مقاتل وأوغل في بلاد الارثريا حتى
بلغ اغوردت في منتصف المسافة بين كسلا ومصرع فالتقاء الكولونيل اريمونيدي
بنحو ألفي مقاتل من العساكر الوطنية و٤٢ ضابطاً وأوقع فيه واقعة عظيمة
فقتله هو ومعظم رجاله وفيهم الامير عبد الله ود ابراهيم وهزم الباقين الى
كسلا وكان ذلك في ٢١ ديسمبر سنة ١٨٩٣ .

فتح التليان كسلا في ١٧ يوليو سنة ١٨٩٤ :

فاشتد قلق الخليفة اذ ذاك على كسلا فعزل اميرها حامد علي (اخا احمد
علي) وولى مكانه ابا قرجة ثم مساعد قيدوم وأرسل جيشاً بقيادة احمد
فضيل من أقاربه الى القضارف تعزيزاً له وشرع يستعد لأخذ النار فرأى
التليان ان اخذ كسلا يقوي مركزهم في السودان والحبشة فاستأذنوا الحكومة
المصرية وأمروا قائدهم الكولونيل بارتياري فتقدم بـ ٢٥١٠ رجال الى كسلا
وباغت أهلها المجهوم في فجر ١٧ يوليو سنة ١٨٩٤ فاحتلها عنوة وفر مساعد
قيدوم ومن سلم من القتل الى القضارف وام درمان فحصن التليان كسلا
وأقاموا فيها الى ان سلموها للحكومة المصرية في ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٩٧ م .

ولما وصل خبر كسلا الى الخليفة طار صوابه فركب جواده وأتى بأنصاره
الى ضفة النيل الابيض ثم دفع الجواد في الماء حتى غمره الى صدره فاستل سيفه
وهزه مشيراً الى كسلا ثم كبر على التليان ثلاثاً وأقسم ان لا يرجع عنهم حتى
يسترجع كسلا ويردهم الى مصر . ولكنه لم يأت شيئاً يستحق الذكر حتى

كانت واقعة عدوة في ١ مارس سنة ١٨٩٦ التي انتصر فيها الأحباش على التليان انتصاراً باهراً كما سيجيء في تاريخ الحبشة فشرع في تعبئة الجيوش في القضايف لاسترجاع كسلا. وكان استعداده هذا السبب الأعظم الذي حمل الحكومة المصرية على مباشرة الفتح الأخير كما سيجيء. هذا ما كان في السودان الشرقي فلتنظر الآن إلى ما كان في السودان الغربي بعد أن تولاه محمود أحمد ابن عم التعايشي.

الفصل الثالث

في

وقائع السودان الغربي في ولاية محمود احمد

سنة ١ : ١٨٩٦

مرّ بنا ان محمود احمد وصل الفاشر الاثنين في ٢٦ يناير سنة ١٨٩١ وتولى قيادة جيوش الغرب بدلاً من عثمان آدم . وكان عنده من الجيوش عدا حامية صغيرة في الابيض ٥٤٣١ جهادياً و ٥٥٥٠ حراباً و ٨٢٨ فارساً فجعل منها حاميات في دارة وشكا وكبكية والاضية وبقي هو بمعظم الجيش في الفاشر.

غزوة الميذوب في ٢٠ فبراير سنة ١٨٩١ : وكانت باكورة أعماله فيها انه أرسل سرية بقيادة البشاري ريده على الميذوب فالتقام في عدّة المألحة يوم الجمعة في ٢٠ فبراير سنة ١٨٩١ م وقتل منهم خلقاً كثيراً وعاد بالأسلاب والغنائم الى الفاشر .

غزوة الرزيقات مارس سنة ١٨٩١ : وأرسل فضل النبي اصيل على الرزيقات فغنم منهم : ٣٩ جواداً و ١١٣ جلاً و ٥٥٩ بقرة و ٦٢ حاراً و ٤٤٦٨ رأس غنم و ٦٤ رقيقاً .

حسن توره هذا وكان الفور المطالبون بملك إجدادم بعد قتل أبي الخيرات قد تجمعوا على حسن توره وهجموا على سنين حسين عامل كبيكية فردهم بالخنية والحسران ثم أعادوا الكرة عليه يوم الجمعة في ٦ مارس سنة ١٨٩١ م فردهم ثانية .

الامير علي دينار والتعايشي : فولى الفور الامير علي دينار ابن الامير زكريا ابن السلطان محمد الفضل سلطاناً عليهم بدلاً من أبي الخيرات فامتنع بهم في جبل مرة فكتب اليه محمود يدعوه الى التسليم فحاوله مدة ثم جاءه مسلماً . فكتب محمود بذلك الى الخليفة في ٢٨ مايو سنة ١٨٩١ . فكتب الخليفة الى الامير علي دينار مراراً يستدعيه الى ام درمان وقد بالغ في التلطف له وأكثر من الوعود فلبى الدعوة بعد تردد كثير فقابلته بالاحتفاء والاكرام وأبقاه عنده الى ان كانت واقعة كرري سنة ١٨٩٨ ففر منها بأنصاره الى دارفور فتولاها الى اليوم وسيأتي ذكره .

تمرد الجهادية في النهود في ٢٠ يوليو سنة ١٨٩١ : وفي هذه الأثناء حصل جوع في الفاشر فانتقل محمود يحيوشه الى النهود وقد أساء معاملة الجهادية فائتمروا على قتله وقتل جميع التعايشة الذين معه وخرجوا عليه الاثنين في ٢٠ يوليو سنة ١٨٩١ فأخذ بعضهم بالحيلة وبعضهم بالقوة ففاز بالنجاة وكنل برؤوس العصاة . وأُقلق الخليفة عليه فكتب يستدعيه مع الجيش الى ام درمان لأجل تدريب الجهادية على طاعته فوصلها في ٧ يونيو سنة ١٨٩٢ فأقام فيها نحو خمسة أشهر وعاد الى الفاشر .

خبر مزيل الحن سنة ١٨٩٣ : ولم يكذ يصل الفاشر حتى أتاه كتاب من الخليفة يخبره بأن الناس أرجفوا كثيراً في ام درمان بقيام رجل في جبال النوبة ادعى الاصلاح فدعا الناس لحرب الأنصار فالتفت عليه جموع كثيرة وقد سمى نفسه مزيل الحن وسماء بعضهم ابا نعال لأنه يلبس نعالاً . فكتب اليه محمود بتاريخ ٢٩ يناير سنة ١٨٩٣ يقول : و ان هذه الأخبار شائعة في

الفائز أيضاً وإن الناس على خلاف في شأنه فبعضهم يقول انه كجور جبال الكدرو وبعضهم انه رجل غيره. ظهر لرفع الظلم وغالب الناس يقولون انه في السبا . قلت وقد وصلت هذه الاشاعات مجسمة الى مصر حتى ظننا ان نهاية التعايشي قد اقتربت ولكن لم تلبث الاشاعات ان انطفأت وبقي التعايشي على حاله. وقد رأيت كتاباً من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ١٨٩٣ يقول : « اني جلت في جبال النوبة كلها افتش على الرجل فوجدت خبره كذباً واختلاقاً » .

غزوة الشانقية وخبر النصارى في بحر الغزال سنة ١٨٩٣ وفي أوائل سنة ١٨٩٣ غزا فضل النبي اصيل عامل شكا بلاد الجانقية فتجمعوا عليه وقتلوه هو ومعظم جيشه . وخلفه الزبير الفحل على شكا فكتب الى محمود في ٧ مارس سنة ١٨٩٣ يقول : ان ٣٠ سائحاً من النصارى حضروا الى بلاد الفراتيت ثم عادوا الى النائم .

خبر النجل المكرم سنة ٤ : ١٨٩٥ : هذا وما يذكر في هذا الموضوع « خبر النجل المكرم » الذي بلغ دويّه أقاصي السودان ومصر وذلك ان الخليفة عبد الله لما كان في الأبيض استحظى جازية من النوبة فحملت منه وما لا يعلمان فلما خرج مع المهدي لغزو الخرطوم سنة ١٨٨٤ لم ترض الذهاب معه فرجعت الى جبالها فولدت ولدًا ذكراً ومرت الأيام والسنون حتى بلغ عمر الولد ١٠ سنين فنقل بعض التجار خبره الى الخليفة فاهتم له جداً وأرسل رسلاً مخصوصين الى جبال النوبة فأحضروا الولد وأمه الى ام درمان بطريق الفاشر سنة ١٨٩٥ فاستقبلها الخليفة باحتفال عظيم باهر وهذا « النجل المكرم » وقع أسيراً في يد السر رجينولد ونجت باشا في واقعة « جديد » سنة ١٨٩٩ وهو الآن في قلعة مصر يتعلم الأشغال اليدوية في ورشتها واسمه عبد الصمد .

غزوة محمود لدار قمر ودار تامة سنة ١٨٩٥ : وفي أوائل سنة ١٨٩٥ م خرج ادريس القمر اوي عن طاعة المهدي فزحف عليه محمود من الفاشر ففر

أمامه الى دار ثمة فطارده اليها. فجرد عليه سليمان بن ابراهيم سلطانت ثامة جيشاً جزاراً بقيادة ابن اخيه وولى عهده يونس فالتقاء محمود وأوقع به في مكان يدعى كيمه ضحوة الثلاثاء في ٢٧ شعبان سنة ١٣١٢ هـ ٢٣ فبراير سنة ١٨٩٥ فقتله وهزم جيشه .

مهدي ثامة الاول : فجهز السلطان سليمان جيشاً آخر اعظم من الاول وعقد لواءه لأخيه فضل وأرسله لقتال محمود وقبل الوصول اليه ظهر فقيه من قرية الجيزة التي خرج منها ابو جيمزة المار ذكره وادعى انه المهدي المنتظر وتكفل لجيش السلطان سليمان بإبادة الدراويش فصدقه وكتب الى برقو والماليت فوفد اليه جموع كثيرة ثم كتب الى محمود يخبره بظهوره ويدعوه الى الطاعة وكان محمود قريباً منه فاستعد له والتقاء ضحى الاثنين في ٢٤ مارس سنة ١٨٩٥ م قرب وادي « بالي » فكان بين الفريقين قتال شديد اقتتلا فيه بالحرا ب والسيوف فقتل مهدي ثامة وانهزم جيشه . وقد علق كل من أنصاره لرحاً في عنقه عليه كتابة مقطعة زعم انها تقيه من الرصاص فأرسل محمود رأس المدعي وبعض هذه الألواح مع تفصيل الواقعة الى الخليفة وتقدم لقتال السلطان ابراهيم في عاصمته ففر من وجهه الى برقو .

مهدي ثامة الثاني : ولكن لم يكن إلا القليل حق ظهر من قرية الجيزة مهدي آخر يدعى احمد بن عبد الله فالتفت حوله الانصار من ثامة وبرقو والماليت وقد ادعى انه نزل من السماء وان أبا جيمزة تلميذه ولكنه قام بالدعوة بلا اذنه فلم يفلح فطارده محمود الى مكان يدعى « ليلة » ففر منها فأرسل خلفه الفرسان فأدركوه جنوبي ليلة فقتلوه وشتتوا جموعه وتقدم محمود الى قرية الجيزة فأخربها وحرق الجيزة ثم ولى ادريس ابراهيم وكيله عنه في دار ثامة فأقام في عاصمتها نيرة وولى حسب الله ابوبكر اخا ادريس القمراوي وكيله عنه في دار قمر فأقام في عاصمتها قناطير .

وفي ١ اوغستوس سنة ١٨٩٥ م غزا زغاوة فغنم وسبى وعاد الى الفاشر .

النبي عيسى في دار ثامة : ورأيت منه كتاباً الى الخليفة بتاريخ ٤
 اكتوبر سنة ١٨٩٥ م يقول فيه : « انه ظهر في دار ثامة رجل ادعى انه
 نبي الله عيسى » .

وبقي محمود في الفاشر الى أن زحف الجيش المصري لاسترجاع دنقلة
 فاستدعاه الخليفة الى أم درمان فحضر وعاد في ٦ سبتمبر سنة ١٨٩٦ وأخذ
 في جمع أطرافه . ثم ولّى امبدى الرضى على الفاشر والحتيم موسى على
 الابيض وأتى يحيى الى أم درمان فوصلها في ٨ الحجة سنة ١٣١٤ ١٠٥٠ مايو
 سنة ١٨٩٧ م فأرسله الخليفة الى المتمة لتأديب الجمليين الذين خرجوا عن
 طاعته والوقوف في صدد الجيش المصري كما سيجيء تفصيلاً .

الفصل الرابع

في

وقائع ام درمان

سنة ١٨٩٦ م

الخليفة والاشراف سنة ١ - ١٨٩٥ :

أشرنا غير مرة الى الشدة والدعاء اللذين عامل بهما التعايشي رفيقه الخليفة شريف لمناظرته اياه في الخلافة وما زال التعايشي يضيق عليه حتى ضاق صدره ونفذ صبره . وقد نال اولاد المهدي والاشراف عموماً نصيبهم من هذا التضيق لمهازبتهم للخليفة شريف فاجتمعوا كلهم وألقوا جميسة سرية في أم درمان على قتل التعايشي والقبض على ازمة الملك وقد كاتبوا اخوانهم الدناقلة في الجزيرة يدعونهم الى أم درمان للتضافر على هذا العمل . وأودعوا سرهم بعض الجعليين وفيهم البدوي ود العريق فوشى بهم الى التعايشي فشرع هذا في اتخاذ التحوطات اللازمة لصيانة نفسه والتككيل بالاشراف . وعلم هؤلاء بافتضاح سرهم فأسرعوا الى تنفيذ مشروعهم قبل ان يتمكن التعايشي من عرقلة مساعيهم . فاجتمعوا في قبة المهدي والمنازل المجاورة لها وكانوا قد

خبأوا بعض الاسلحة والذخيرة فأخرجوها ولم يبقَ واحداً منهم إلا تقلد حساماً أو بندقية حتى ارامل المهدي فانهن كن الى ذلك العهد محجورات في منازلهن لا يخرجن ولا يرين احداً فخرجن في تلك الليلة وتقلدن السيوف طالبات الحرب .

كل ذلك والخليفة عبد الله في منزله يستعد لرد كيد الاشراف في محرم ففرق على ملازميه البنادق والذخيرة وأمر بعضهم بملازمة بابيه وبمعت البعض الآخر الى الاسواق لمنع المدد عن الاشراف. ثم جمع اهله التعايشة فوزع عليهم نحو الف بندقية وجعلهم في الساحة التي بين منزله ومنازل الاشراف وأقام أخاه يعقوب بحيث في الجامع بجانب منزله وقد جرى ذلك كله مساء الاثنين في ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٣٠٩ هـ ٢٣ نوفمبر سنة ١٨٩١ م . وفي صباح الثلاثاء أحاط بالاشراف إحاطة السوار بالمعصم واستعد أتم الاستعداد للبطش بهم . ولكنه لم يكن يرد الالتجاء الى القوة ما استطاع الى الدماء سيلاً وقد خشي انه اذا انتشبت الحرب ينتهز عرب الغرب الفرصة فينهبون المدينة ويفرون الى بلادهم فأمر رجاله بأن يلزموا خطة الدفاع مها بدا من الاشراف حتى يأمرهم بالهجوم . ثم ارسل الخليفة ود حلو وجماعة من اكابر القوم الى الاشراف يدعوم الى الصلح ويمسأهم على اجابة سؤا لهم وإزالة شكواهم فلم يرض الاشراف بالصلح وبدأوا باطلاق النار على منزل التعايشي فأجابهم انصار التعايشي باطلاق النار وداموا على ذلك نحو ساعة . فعاد الخليفة وعرض عليهم الصلح ثانية فلما رأوا استعداد التعايشي نالوا الى المسألة وقالوا نريد ان نعرف ما هي شروط الصلح . فأجابهم التعايشي : ضموا اتم الشروط . وما زالت المناقضة جارية بقية ذلك اليوم (الثلاثاء) وطول ليلة الى الصباح التالي (الاربعاء في ٢٥ نوفمبر) فانفجرت الازمة وتم الصلح على شروط أهمها :

- ١ - ان يمفو التعايشي عفواً عاماً عن جميع المشتركين في الثورة . ٢ - ان يحمل محمد شريف مقاماً يليق به ويخلى له كرسيه في مجلسه . ٣ - ان يرد اليه راياته ليجمع تحتها المتطوعة . ٤ - ان يخصص له راتباً شهرياً قدره

٢٠٠٠ ريال ولأولاد المهدي ونسائه رواتب تكفيهم من بيت المال . ٥ - ان
يسلم الاشراف سلاحهم ويطيعوا التعايشي طاعة عياء .
وعاهد الخليفة علي ود حلو الخليفة شريفاً على انفاذ هذه الشروط وحلف
على المصحف انه يكون ظهيراً له اذا لم تنفذ . ثم أتى به الى التعايشي فاستقبله
احسن استقبال ووقع على عنقه يقبله ويتأسف على ما جرى وأمل ان تعود
المياه الى مجاريها ثم امضى له الشروط وأمضاهما الخليفة شريف وعاد الى منزله
وهو بغاية الطمأنينة وراحة البال . ثم أخذ التعايشي يبحث سرّاً عن مثيري
هذه الفتنة ولم يمض ٢٠ يوماً على الصلح حتى قبض على جماعة من الاشراف
أهمهم : احمد ود سليمان امين بيت المال الاسبق وفوزي محمود وأخوه احدي
كاتب الخليفة وصالح ود سوار الذهب وسعيد محمد فرح وكلامها من كبار
الدناقلة وأحمد محمد خير من الاشراف وأحمد النور كاتب الخليفة شريف
فحبسهم في أم درمان اياماً مكبلين بالحديد . ارسلهم في قارب الى الزاكي
طمل في فاشوده فقتلهم ضرباً بالنباييت . وكان قد اصدر منشوراً بحبسهم
هذا نصه :

« وبعد فيقول عبد ربه خليفة المهدي « عم » الخليفة عبد الله بن محمد
خليفة الصديق انه ببلية الاثنين الماضي الموافق ١٢ الجاري سنة تاريخه قد سمعت
وأنا بين القلطة والنوم هاتفاً يتلو علي* هذه الآية وهي قوله تعالى « فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكوك فيا شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما
قضيت ويسلوا تسلياً » . ثم في ضحوة هذا اليوم الذي هو يوم الاربعاء
الموافق ١٤ الجاري ايضاً حصلت لي حضرة اجتمعت فيها بالنبي عليه الصلاة
والسلام والمهدي « عم » فقال لي المهدي « عم » بلغ الخليفة علياً والاصحاب
الواقفين مع اشارتك السلام وقل لهم المهدي يقول لكم جزاكم الله خيراً عن
ذلك ثم أخبرني « عم » بأن الاصحاب الذين وقفوا مع اشارتي في المسألة التي
حصلت قد نظر الله اليهم بعين الرحمة ثم قال لي « عم » ان احمد سليمان واحمد
النور واحمد محمد خير وسعيد محمد فرح وفوزي واحدي وصالح سوار الذهب

فليكن حبسهم فقلت للمهدي « غم » ان اهل الظاهر ينكرون عليّ ذلك ويقولون عفا عنهم ثم حبسهم فقال لي المهدي « غم » ان الحق معك وأهل الباطن معك فاحبسهم واتل على الاصحاب المنشور المهرر منا في حقك فمن ينكر بعد ذلك فذنبه عليه ثم قال المهدي « غم » ان من يخالف اشارتك في هذا الزمان ولو كان يمشي على البحر حق يقطعه فأمن باطل وهذا ما لزم الاعلام به والعلم لله والسلام في ١٤ جادى الاولى سنة ١٣٠٩ هـ ١٦ ديسمبر سنة ١٨٩١ .

سجن الخليفة شريف : ولما بلغ الخليفة شريفاً قتل المذكورين غضب وشكا أمره الى الله جهاراً من ظلم التعايشي وجوره وامتنع عن صلاة الجمعة والجماعة ففتح للتعايشي باباً طالما ترقب فتحه فأمر الخليفة عليّ ولد حلو والقضاة ان يقضوا عليه بما فيه تأديب له وعبرة لغيره ويعلموه ان تجاوزه حدوده أوجب قتل أقاربه . فاجتمع القضاة والامراء وحكوا بسجنه فسبق مضروباً مهاناً الى السجن حيث وضعوه وحده في كوخ من قش وكبلوه بالحديد وذلك في ٢ مارس سنة ١٨٩٢ . وهذه هي صورة الحكم حرفياً بعد البسملة :

حمداً لمن جعل الاستقامة طريقاً للسلامة وشكراً لمن وفق ذوي البصائر الى الوقوف على قدم الصديق فصاروا من اهل الكرامة وخصّ أهل عنايته بأنوار هدايته فاستسلموا لقضائه واستراحوا من الوقوع في هاوية الندامة وحضّ على طاعة أولي الأمر بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم لانتظام الحال والسلامة في يوم القيامة وصلاة وسلاماً على قطب دائرة الاصل النوراني ومنبع الفيض الرحاني وأشرف النوع الانساني ومعدن السر الرباني سيد محمد الذي قصم بسيف الحق ظهر الخلاف ومكن حسام الشرع من رقاب اهل الانحراف وعلى آله وأصحابه الذي قوي في الله يقينهم فأمنوا بالغيب فانكشفت غياهب الشك عن بصائرهم فازدادوا ايماناً وتمكن دينهم . وبعد فان الخليفة محمد شريف حامد قد بارز خليفة المهدي « غم » بالمداوة والمصيان والخلاف حتى تظاهر بالخرابة له وشهر

السلح عليه ولم يبال بادخال الخلل في الدين وشق عصا المسلمين . فبعد هذا كله اجتمع جماعة المسلمين وأحضروه بين أيديهم وحلقوه على كتاب الله تعالى فحلف وعاهد على ان لا يعود الى مثل ما صدر منه ثم جاء خليفة المهدي «عم» نادماً على شنيع فعله فقبله مع ما ارتكبه من عظيم الذنب والخطيئة ... وعفا عنه وقابله بالصفح والاكرام . ثم نقض العهد وعاد الى الخلاف واضمار السوء والاصرار على عدم الامتثال فضلاً عن كونه تاركاً الجمعة والجماعة فعند ذلك اجتمع اصحاب المهدي «عم» من قضاة الشرع الشريف وأمراء وعسك وأعيان وسألوه عن ذلك فقابلهم بأقبح المقال وتفوه بما يؤدي الى سوء الحال حتى قال ان الفتوى معه وفي حزبه وان نصرة المهدي تحت قدمه وان الصحابة اعترضوا على النبي ﷺ وغير ذلك من سوء المقال وما زالوا يراجعونه بالقول اللين الحسن وتلوا عليه منشور المهدي «عم» في خليفته والمنشور الذي وجهه اليه خاصة وأمره فيه باتباع خليفته وعدم خروجه عن أوامره فعند ذلك أظهر التوبة والتندم . فنظروا لما حصل منه من نقض العهد وعدم استمراره على التوبة السابقة اقتضى نظر اصحاب المهدي «عم» طبق الوجه الشرعي وضعه بالسجن تأديباً له . ولولا اظهاره التوبة عما حصل منه لكان جزاؤه أعظم من السجن . وقد ثبت جميع ذلك لدى اصحاب المهدي «عم» الآتي ذكر أسمائهم وأختامهم فيه أدناه وجميعهم شهدوا عليه شهادة حتى يؤدونها بين يدي أحكم الحاكمين والسلام سنة ١٣٠٩ . وأمضى المنشور ٤٦ رجلاً من أكابر دولة التعايشي وأهل شوره وهم :

احمد علي قاضي الاسلام	السيد المكي اسماعيل	عبد القادر ام مريم	اسماعيل عبد القادر
الحادي دفع الله الحلاري	عثمان احمد البطحاني	محمد البديري	مكي ابو حراز
احمد حمدان	حسين جزو	شرف الدين دفع الله	عبد الله الحسن
احمد الاخيشير	الزاكي محمد	محمد عمر البنا	البديري المريق
محمد حامد جفون	علي الامين	عبد الباقي الماسحي	عمر الياس ام برير
طله الجملي	خالد عطا المتان	طله الازيرقاني	العطا الدرد
المبارك جباريه	محمد البصير	عبد الله احمد	عجب الفيه

بابكر عمر	القرشي احمد	ابراهيم الفكي	محمد علي بلال
عبد الله برجوب	عبد الرحمن ابو سيل	عثمان ابو خويدم	كباشي محمد
جاد الله بليار	الثور السبيعي	النعم احمد	الشريف النابر
جفون احمد	ابراهيم علي عبيد موسى	محمد عثمان الضيف	علي المدني سميد بطة

وأما منشور المهدي المشار اليه في حق الخليفة عبد الله فهذا هو بنصه
بعد البسملة :

« وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله اعلماً منه الى
عباد الله المؤمنين بالله وكتاب الله . أما بعد فاعلموا أيها الاحباب ان الخليفة
عبد الله خليفة الصديق المقلد بقلائد الصدق والتصديق هو خليفة الخلفاء وأمير
جيش المهدي المشار اليه في الحضرة النبوية فذلك السيد عبد الله ابن السيد محمد
حمد الله عاقبته في الدارين . فعيت علمتم ذلك يا احبابي ان الخليفة عبد الله
هو مني وانا منه وقد أشار اليه سيد الوجود ﷺ فتأدبوا معه كتأديبكم معي
وسلموا اليه ظاهراً وباطناً كتسليمكم لي وصدقوه في قوله ولا تهموه في فعله
فجميع ما يفعله بأمر النبي ﷺ او بأذن منا لا بمجرد اجتهاد منه ولا هو عن
هوى بل هو نائب عنه في تنفيذ أمره ﷺ والقضاء بأشارته فان فعله بكم
وحكمه فيكم بحسب ذلك . واعلموا يقيناً ان قضاءه فيكم هو قضاء رسول الله
ﷺ كما قال تعالى « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً ان
تكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً »
فمن كان في صدره حرج لأجل حكمه فذلك لعدم ايمانه وخروجه من الدين
بسبب غفلة وذلك بشاهد قوله تعالى : فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك فيما
شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً . ولا
شك في شرك من استنكف عن حكم الله ورسوله سيما بقوله ﷺ ان أخوف
ما اخاف عليكم الشرك الحقيقي الحديث . مع انه خليفة الصديق واول المصدقين
في المهدي فانظروا لمكان الصديق عند الله ورسوله بنص القرآن العظيم وانظروا
لمكانة من أورثه الله مكان الصديقين ووازره بالباطن بالخبر « عم » فهو مسدد

مؤيد من الله ورسوله ويد من الله لنصر دينه بإشارة سيد الوجود ﷺ وقد ورد في فضله كثير. فحيث فهمتم ذلك فالتكلم في حقه يورث الوبال والخذلان وطلب الايمان ، واعلموا ان جميع افعاله وأحكامه محمولة على الصواب لأنه أوتي الحكمة وفصل الخطاب ولو كان حكمه على قتل نفس منكم او سلب أموالكم فلا تعترضوا عليه فقد حكمه الله فيكم بذلك ليظهركم ويزكيكم من خبائث الدنيا لتبصق قلوبكم وتقبلوا الى ربكم ومن تكلم في حقه ولو بالكلام النفسي جزماً فقد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ويخشى عليه من الموت على سوء الخاتمة والميأذ بالله لأنه خليفة الصديق الذي قال في حقه اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا . وقال ﷺ ان آمن الناس علي في الصحبة ابر بكر . وقال «عم» ما طلعت شمس على احد بعد النبيين افضل من ابي بكر . وحيث علمتم ذلك فهو بمنزلة الآن لأن اصحابنا كأصحاب رسول الله ﷺ وهو خليفة في الدين وخلافته بأمر من النبي ﷺ فمن كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ومصدقاً بمهدي فليسلم للخليفة عبد الله ظاهراً وباطناً واذا رأيتم منه امراً مخالفاً في الظاهر فاحلوه على التفويض بمعلم الله والتأويل الحسن واعتبروا يا أولي الأبصار بقضية موسى والخضر عليها السلام حكاهما الله في كتابه العزيز كحكم داود وسليمان عليها السلام ولتسلوا من الشكوك والأوهام وانما أنذرتكم بهذا رحمة لكم وشفقة عليكم وليبلغ الشاهد منكم الغائب لئلا تسبوه وتنسبوا اليه الظلم والجور فتهلكوا . فاحذروا عن اذية أولياء الله فانها اذية الله ورسوله وقد لعن الله ذلك في كتابه فقال : ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة كما ان من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب فان الله غيور على أوليائه فقد علمتم انه ورد «من نقض الكعبة حجراً حجراً ثم حرقها بالنار أهون عند الله من ان يؤذي ولياً من أوليائه وان الخليفة هو قادة المسلمين وخليفتنا للنائب عنا في جميع امور الدين واياكم والوسوسة في حقه وظن السوء وعدم الامتثال اليه في قوله والمشاجرة له ولأحكامه ... فتوبوا الى الله وارجعوا قبل ان تذهب حسناتكم وتسلبوا ثوب الايمان .

وإنما حملني على هذا البيان النصيحة في الله ... لمن تاب تاب الله عليه ومن عاد فينتقم الله منه ويسلطه عليه وهذا أمر الله ورسوله فليحذر الذين يخالفون أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والسلام سنة ١٣٠٠ هـ .

حبس أولاد المهدي : وبعد حبس الخليفة شريف أمسك التعايشي أولاد المهدي البالغين وهم الفاضل ومحمد والبشري وحبسهم في منزل جدم لأهمهم أحد شرقي ومنعهم الخروج منه ولم يسمح لأحد أن يراهم ويقوا على ذلك مدة.

حبس الدناقلة : ثم أرسل بعض رجاله إلى الجزيرة فأمسكوا نحو ألف رجل من الدناقلة الذين اتهموا بمشاركة الأشراف في الفتنة. وأتوا بهم إلى أم درمان فزجهم في السجن ثم استصفى أموالهم وأطلق سراحهم وأردعهم منة عفوهم عنهم .

نفى بعض التعايشة وقتل محمد عبد الكريم وعبد القادر ساتي علي : وفي شهر يوليو سنة ١٨٩٢ اتتمر نحو ٧٠ رجلاً من التعايشة على قتل الخليفة عبد الله أخذاً بثأر الغزالي فخانهم واحد منهم وأعلم الخليفة بمكيدتهم فقبض عليهم ونفاهم إلى الرجاف .

ثم لم يبق في أم درمان من كبراء الأشراف إلا محمد عبد الكريم المشهور وعبد القادر ود ساتي علي طبيب المهدي وكانا قد اشتركا في فتنة الأشراف فأبقى عليها الخليفة ريثما يطلع منها على أسماء بقية المشتركين في الفتنة فلما كانت فتنة التعايشة قبض عليها بحجة أنها يغريان الناس بشق عصا طاعته ثم أوثقها بالحديد وأرسلها إلى الزاكي في فاشودة فقتلها ضرباً بالفؤوس وذلك في أوغسطس سنة ١٨٩٢ .

وفي هذه الأثناء انتدب الجمعيين الذين عاهدوا الأشراف على الثورة ثم خانهم كما مرّ وأمرهم بالذهاب إلى كسلا فتأخروا في رفاعة فاستدعاهم إلى أم درمان ونفى رؤوسهم إلى الرجاف في نوفمبر سنة ١٨٩٢ وهم : البدوي العريق

وعمر الياس باشا ومحمد حامد جفون ومحمد صالح وحاج مرزوق الشايقي وعبد الباقي الماحي المكابراي وعبد المجيد نور الدائم وقد سجنهم سنة في الرجاف ثم أطلق سراحهم فمات بعضهم في المنفى ونجا البعض .
وكان قد نفى قبلهم الى الرجاف اسماعيل شجر الخيري لاتهامه بأنه محارب للأشراف .

نفى أبي قرجة وزقل: وبقي من الأشراف المعروفين في السودان أبو قرجة وزقل . أما أبو قرجة فإنه عند قيام الأشراف كان عاملاً على كسلا فخشي الخليفة ان يتحد مع التليان فاستدعاه الى ام درمان بعد ان تولى كسلا ثمانية اشهر وولى مكانه مساعد قيدوم كما مر ثم ارسله الى خط الاستواء بنفر من الانصار معللاً إياه بأنه سيكون عاملاً عليها وأصحبه بقرائناً بكتاب الى امير الرجاف فقبض عليه حال وصوله وزجه في السجن . ثم ألحق به محمد خالد زقل سنة ١٨٩٣ على ما سيحيى .

المصاحبة : وطال الزمان على الخليفة شريف في السجن فتوسط له اولاد المهدي وأمهات المؤمنين مع التماشي فأرسلهم التماشي الى اخيه يعقوب فضرب لهم المثل الآتي :

« حكي ان رجلاً كان يلتاب حية في جذع شجرة فيحمل اليها كل يوم شيئاً من اللبن فتشربه وتلفظ من فيها قطعة من الذهب في الوعاء فيحملها وينصرف ثم يأتي في اليوم التالي باللبن فيعود بقطعة من الذهب وبقي على ذلك اياماً حتى عرض له سفر فأتاب ابنه عنه في ارسال اللبن الى الحية فلما رأى الابن ان الخير كله في جوف الحية قال في نفسه اقتل الحية وآخذ الذهب من جوفها مرة واحدة واستريح من العناء فأخذ سيفاً في يده وحمل اللبن على عادته وقدمه الى الحية فلما همت بشربه بادرها بضربة من سيفه فقطع ذنبها فثارت الحية عليه وقتلته . فلما عاد الرجل من سفرته تفقد ابنه فلم يره فذهب الى مكان الحية فوجده مقتولاً تحت الشجرة ثم اقبلت الحية فقدم اليها اللبن فقالت له دع عنك

هذه الصعبة بعد الآن فان ابنك غدر بي فقتلته فانت لن تنسى قتل ابنك وأنت لا انسى قطع ذنبي ، اه .

ففهم المتوسطون من ذلك ان التعايشي لا يعفو عن الخليفة شريف لأنه لا يأمن غدره بعد الآن .

وكان في جلة المتوسطين للخليفة شريف محمد ابن المهدي المتزوج باحدى بنات التعايشي فلما رأى اصراره على سجن الخليفة شريف ثار به الغضب فطلق امرأته هذه فزوجها التعايشي سلفها البشري فازداد محمد غيظاً واستياء . وبقي الجفاء مستحكماً بين التعايشي والاشراف حتى بدأ الجيش المصري بالزحف على السودان فرأى التعايشي ان يسـل الضغائن والأحقاد التي بينه وبينهم فأطلق الخليفة شريفاً من السجن وزوج محمد المهدي بابنة اخيه يعقوب وعاد الى مصافاتهم .

زيادة ملازمي الخليفة وتولية ابنه اميراً عليهم

وبناء سور حول منزله سنة ٣ - ١٨٩٤

أما ملازمو الخليفة فهم حرسه الخاص وكانوا قبل فتنة الاشراف لا يزيدون على ٥٠٠ من الجهادية السود فلما كانت الفتنة اخذ في زيادة عددهم من شبان السود وجميع القبائل من عرب وعجم حتى بلغوا الوفاً . فأسكنهم حول منزله وجعل ابنه البكر الذي سماه شيخ الدين اميراً عاماً عليهم ورشعه للملك بعده . وسخر اهل ام درمان قبنوا حول منزله ومنازل ملازميه سوراً منيعاً سمكه اكثر من متر وعلوه نحو ١٠ امتار وظل يزيد عدد ملازميه حتى ضاق بهم السور فأقام لهم سوراً آخر لاصقاً بالسور الاول وطرد اهل البلد منه وقد شرع في بناء السور في اوائل سنة ١٨٩٣ فأتمه سنة ١٨٩٤ .

قتل ود جار النبي الثلاثاء في ١٠ صفر ١٣٠٩ ١٥٥ سبتمبر سنة ١٨٩١ م :

مر بنا ان التعايشي أنفذ ود جار النبي الى البطاحين ليجلبهم الى ام درمان

وانه هو الذي هيج التماشي عليهم فنكل بهم تنكيله المعلوم . وكان ود جبار النبي فارساً مشهوراً في راية الخليفة ود حلو ومعه في الاية نفسها رجل من دهاة البطاحين يدعى عثمان احمد فحنق عليه لعدم الرقى بقومه وأخذ يسمى في تنكيسه والخط من كرامته عند الخليفة ود حلو فأفلح مسماه وأقصاه الخليفة ود حلو بعد أن كان مقرباً جداً عنده فاستاء ود جبار النبي من ذلك وخرج من راية الخليفة ود حلو الى راية يعقوب اخي التماشي وأطلق لسانه في ذم الخليفة علي ود حلو والاستخفاف به فعظم ذلك على ود حلو ورفع الامر الى التماشي وكان التماشي يود مراعاة رفيقه لمضافته له على الخليفة شريف فأحال الامر على القضاة فحكوا بقتل ود جبار النبي وصدق الخليفة الحكم . وكانوا قد قيدوا المحكوم عليه وأرسلوه الى السجن فلما صدر حكم القتل عليه جاؤا ليأخذوه من السجن . فقال لهم : حلوا القيد من رجلي لأن فارس السودان لا يمشي بين الناس راسفاً بالقيود . وأصر على ذلك فرفعوا الامر الى الخليفة فأمر ان يقطعوا كمي قدميه ويخرجوا القيد منها بلا فتح ففعلوا كما أمر وساقوه الى المشنقة بالضرب والاهانة فأطلق لسانه إذ ذاك على الخليفة والبقارة وأخذ ينادي بأعلى صوته بما معناه : يا قبائل السودان وأبطال هذا الزمان استيقظوا من غفلتكم وارفعوا براقع الجهل عن عيونكم فليس بينكم مهدي ولا خلافة ولا دين بل هو ملك مدني جائر في يد بقاري ظالم غشوم يسمى الى اعدام كل بطل في السودان وجعل اهله كالأنعام يسوقهم رعاة من البقارة الاجلاف الذين كانوا بالامس يلبسون « الكنفوس » ويركبون الثيران وستبقون في حكم هؤلاء الانذال الى ان تستفزكم نخوة الرجال وتتحدوا قلباً واحداً على قتلهم او طردهم الى اقصى الجبال . انهضوا ما دامت لكم بقية حيوة وجاهدوا في سبيل الحرية والاستقلال فحيوة الحيوان ارقى من حياة تقضى بالذل والهوان . وقولوا لذلك المغفل الجبان علي ود حلو انه لن يرى الخلافة في عينيه لأن التماشي يرشح ابنه للملك بعده وأخبروه اني لم اقتل مراعاة لمقامه او اكراماً لشأنه بل قتلته لأنني بطل كرار وفارس مغوار ولأن

التعاشي يهرب فعالي ويخاف على نفسه مني ومن أمثالي .
ثم لما أدنوه من المشنقة عظم عليه القتل شتقاً فالتفت الى البقارة وقال :
أمن المروءة ايها اللثام ان تقتلوا فارس السودان قتل لص جبان ؟ أليس بينكم
فارس ينزلني في هذا الميدان فأشفي غليلي بقتله او أموت ميتة الفرسان .
ثم أصعد على كرسي المشنقة فأثوه بالماء ليشرّب فرفض الماء باحتقار وقال :
انما يشرب في هذا الموقف الجبان . ثم التفت الى الناس وقال : من لم ير شجاعاً
يقتل فلينظر إليّ وباليثني أقتل وأنا على ظهر جوادي أجاهد البقارة الانذال
في الدفاع عن الحرية والاستقلال . ثم تنفس الصعداء وقال : أفارق الحياة
بهذه النفصة فاعتبروا بمصري وخذوا ان كنتم رجالاً بثأري . ثم رفض
الكرسي برجله فتملق جسمه في الهواء وأسلم الروح . وكان ذلك ضحوة الثلاثاء
في ١٠ صفر سنة ١٣٠٩ هـ .

نفي اسماعيل عبد القادر الى الرجاف سنة ١٨٩٣ م :

تقدم لنا ذكر اسماعيل عبد القادر مراراً بلا تعريف فهو ابن اخت السيد
احمد الولي الكردوفاني المشهور وقد قضى في الازهر مع خاله ٨ سنين فاشتهر
بالنجابة والذكاء ثم عاد الى الابيض فخدم فيها مقتياً للمديرية الى أن كانت
المهدي وأتى المهدي الى كبا مهاجماً الابيض فخرج اليه مسلماً من خرج من
اهلها كما مر فصحب المهدي الى ان توفي فصحب خليفته التعايشي الذي عهد
اليه تأليف سيرة المهدي وما كان في المهدي من الوقائع والفتوحات لتكون
شاهدة بفضل المهدي ومؤيدة للملك خليفته في السودان . فشر عن ساعد
الجد وكتب الى جميع العمال في الجهات فأرسلوا اليه التقارير الوافية عما جرى
على يدهم من الوقائع والفتوحات وجمع اليه من كان في ام درمان من القواد
والحازبين فألف سيرة نفيسة ضمّنها وقائع المهدي منذ قيام المهدي الى ما قبل
واقعة طوشكي اي منذ رمضان سنة ١٢٩٨ الى ٣ ربيع الاول سنة ١٣٠٦ هـ
وقد قضى في تأليفها بضعة عشر شهراً وتحرّى فيها الحقيقة ما امكن ولكنه

طلأها بطلاء كثيف من الاطراء والتعلق للمهدي وخليفته واضطر الى ذكر كثير من الكرامات والخواارق المنسوبة اليها مما لم يكن في اعتقاده فسر بها الخليفة سروراً عظيماً وأمر النسخ فسخوا منها عدة نسخ وزعها على الامراء. وعلت منزلة اسماعيل عبد القادر ونفذت كلمته فحسده القاضي احمد وسلط عليه بعض اخصائه فسعوا به عند الخليفة فشهد بعضهم انه سمعه يقول : « كيف تطاق ان تسلم امور الرعية كلها الى رجل جاهل غشوم مثل عبد الله التعايشي » وشهد آخر عليه انه قال : اني والخليفة كاسماعيل باشا المفتش مع اسماعيل باشا الحديوي . وقال آخر : انه ملأ السيرة مناسم تحط من شأن المهدي وقدل على انكاره اياها . ففعلت هذه الرشايات في رأس الخليفة فعل النار بالهشم فنفى اسماعيل عبد القادر الى الرجاف وأرسله مع زقل في وابور واحد سنة ١٨٩٣ وأمر ان تحرق سيرته اينما وجدت فأحرقت كلها إلا نسخة منها خباها احد كتاب الخليفة حرصاً على حقائقها . وقد بلغني خبرها وأنا في قلم الخبايا في مصر أتحرى وقائع الثورة من الضباط والعساكر الذين نجوا من الأسر فبحثت عنها مستعيناً بالتجار الذين يترددون الى السودان حتى ظفرت بها فاذا هي مع كثرة ما فيها من الاطراء والتعلق للمهدي وخليفته قد ضمننت الحقيقة احسن تضمين وانطبقت حقائقها على ما تحررت جمعه في مصر فزدت به ثقة واستشهدت بالسيرة في مواضع كثيرة من التاريخ . أما المؤلف فانه بقي في الرجاف في اشد العناء والضيق حتى مات اوائل سنة ١٨٩٧ م . وقيل ان مرعياً اختطفه وهو ملقى على سريره لا يستطيع حراكاً من شدة الجوع رحمة الله عليه .

مسجن احمد علي قاضي الاسلام وموته في السجن في يونيو سنة ١٨٩٤ :

اول من سمي « قاضي الاسلام » في المهدي احمد ود جبارة فقتل في واقعة الابيض كما مر وتولى القضاة بعده ود حلاب احد فقهاء النيل الابيض فمات في حصار الابيض فخلفه القاضي احمد علي من فقهاء بني هلبة فلم يكن له في زمن

المهدي شأن يذكر لأن المهدي أقام النواب للفصل في القضايا الشرعية ثم أقام الأمناء للنظر في القضايا السياسية كما رأيت فلما مات المهدي واستبد التعاشي عزل الأمناء ثم النواب وجعل المحكمة واحدة برئاسة القاضي احمد فقضى له بما اقتضاه رأيه سواء وافق الشرع او خالفه فأصبح من أعظم المقربين عنده . وكان مع وظيفة القضاء امير راية في جيش يعقوب فانضم الى رايته كثير من سراة البلاد وأغنيائها ومدّ يده الى الرشوة فجمع مالا طائلا وعظم شأنه جداً فعسده يعقوب على ذلك وسلط عليه بعض القضاة فعادوه وتبغوا هفواته فوجدوا انه يأمر الجبابة بإعفاء المنتمين الى رايته من الضرائب فشكوه الى الخليفة فجرّده من رايته وأمره بالانقطاع الى القضاء . ثم شكوه لقبوله الرشوة ومداخلته في الضربحانة متحزباً لفريق دون آخر فجرّده من جميع أمواله ونسائه وزجه في السجن ومنع عنه الغذاء حتى مات وذلك في يونيو سنة ١٨٩٤ . وكان طويل القامة غليظ الجثة اسود اللون حتى تظنه زنجياً خفيف اللحية عبوساً مهيباً شجاعاً نهاباً وهاباً وكان من الدماء على جانب عظيم . وفي اعتبار اهل السودان انه قام في هذا القرن اربعة دهاة لم يقم في السودان أدهى منهم . اثنان قبل المهدي وهما الملك بشير عقيد من المملات والحسن الملك سعد من السعداب . واثنان في زمن المهدي وهما القاضي احمد المذكور والحاج علي ود سعد امير الجميلين المار ذكره في واقعتي ابي طليح وطوشكي وقد عاد هذا بعد واقعة طوشكي الى ام درمان فمات فيها سنة ١٣٠٧ هـ وقيل ان الخليفة أماته مسموماً . وخلفه على الجميلين اخوه عبد الله ود سعد فكان له من الشأن مع التعاشي ما نذكره في محله :

سجن الحسين الزهرة وصوته في السجن سنة ١٨٩٥ : وبعد القاضي احمد أسند منصب القضاء الى سليمان الحجاز من تجار بربر المتفقيين فكثت فيه مدة قصيرة ثم خلفه الحسين الزهرة المتقدم ذكره في حصار كلا وهر من قرية ام عظام في ضواحي المسلية ومن متخرجي الازهر النابغين وقد هاجر الى المهدي بعد واقعة هكس وظن انه ينال في دولته مقاماً عالياً فلم يلبث ان

رأى ان هذه الدولة تبغض العلم والعلماء ولا تولي الوظائف إلا الجهة الطغام فلما كانت واقعة الخرطوم نظم المهدي قصيدة طويلة في ١١٢ بيتاً أشار فيها الى فتح الخرطوم وقتل غوردون ونصح المهدي بوجود اسناد الوظائف الى العلماء وقد استدل بعضهم من بعض أبياتها انه منكر للمهدية ومندد في رجالها مع انها تدل على اضطراب قصد المؤلف وليس فيها تصريح بسوى كدره من اسناد الوظائف الى غير اهلها . وهذه هي بعض مقتطفات منها :

برح الخفا ما الحق فيه خفاء	وتوالت الآيات والأنباء
بالآية الكبرى التي بظهورها	كمل الرضى وانجابت الاسماء
بشرى لنا بظهور مهدي الوري	ايه ونعمى بعدها نماء
علماء امة احمد فاشدتك	ردوا جوابي انكم علماء
أرضى وترضون الضلال بميد ما	ظهر المهدي وانجابت عنه قذاه
ويخيب ظني فيكم وعشيرتي	أنتم ويقمع جمعنا الغرباء
مهدي امة احمد بي لم تدر	خلا يدوم له لدي اخاء
مالي سواك وليس بعدي من جفا	لكن بذاك جرى علي قضاء
لم تعرف الايام قبلك منزلي	ولذا لم يرفع علي لواء
جهل الولاة أمات دين محمد	وأهله ماتوا وهم أحياء
يا ابن النبي محمد ووليه	وأمينه ماذا اليك مرأه
اذا عبد عبد أستعبد بدمتي	أبدأ اليك ولي هنا أعداء
ما بي استهانوا بل بشرع محمد	فعليه من اثر الدماء حياء
واماته الجم الفقير مهاجراً	وله بماء سمائك الاحياء
فتناولته من اللثام واعطه	صنف الكرام فأهله العلماء
واشروط عليهم ما أردت من الهدى	يعطوا العمود لأننا امناء
وديوار من ناوى المهدي منقوضة	وسقوفها بين السقوف هواء
في تاسع من رابع في الثمان من	بعد الثين وللأمور مضاء
والله دمر من طغى وأباده	حق تولى قتله الضعفاء

ولقد تبدد جسمه برماحهم فكأنه من خلقه أشلاء
 صالوا به وذويه بين حصونهم في خندق غرت به الاذواء
 والتار ترعى في الجسوم كأنها عشب لعمرى ان ذا لبلاء
 أظن تلك كرامة مأنوسة لا والذي ضلت به الآراء
 فسوى خلائف احمد مهدي الورى كل الأنام من الخيور فضاء
 إلا الذين غدوا على آثارهم اهل الولاية والصفاء الامراء
 ذاك الرفيق الزمه واترك غيره ربط الجياد لغير ذاك نواء
 واعصم سقاءك بالوكاه من الظماء ما في الفضاء امام قصدك ماء
 واحلل أسيرك هنا ان تستطع ما في القيامة للأسير فداء
 خفض عليك فللخطوب ترسل طورا وطورا شدة ورخاء

ويظهر ان المهدي التفت اليه على أثر هذه القصيدة فأنقذه الى كسلا لاستلام
 حاميته كما مر . وبعد رجوعه كان المهدي قد مات فعاد الى بلاده . ثم جمع
 الخليفة جميع العلماء في ام درمان وهو في الجملة فعهد اليه تدريس علم الميراث
 في المسجد الى ان ولاه منصب القضاء كما مر . فوقف عند حد الشرع وقضى
 بعدة مسائل على خلاف ما اراد التعايشي فاغتاز منه وحبسه وكبله بالحديد
 ومنع عنه الطعام والماء الى ان مات قهراً سنة ١٨٩٥ . ومما قاله التعايشي في
 ود الزهرة ان مثل العالم بين اصحاب المهدي مثل الشجرة وسط الزرع فانها
 تأوي الطير الذي يفسد الزرع فما يستريح الزارع حتى يقطعها من اصلها .
 وتولى القضاء بعد ود الزهرة امبدى البقاري ثم النذير من علماء الخرطوم فبقى
 الى فتح ام درمان سنة ١٨٩٨ .

الخليفة والاسرى المصريون في السودان :

مر بنا ان الدراويش أسروا كثيرين من موظفي الحكومة المصرية وضباطها
 وعساكرها عند فتح حامياتها في السودان فعرفوا بأولاد الريف لأن اكثرهم
 من المصريين وعرف النصارى منهم الذين اكرموا على الاسلام بالمسلمانيين .

وقد قبضت سياسة التعايشي وسيد المهي من قبله بالحجز عليهم جميعاً في السودان للانتفاع بصنائعهم ومعارفهم الكتابية من جهة . وكنتم اخبار السودان عن مصر من جهة اخرى . وقد اطلعت على كتب كثيرة من الخليفة الى عماله يحذروهم فيها من ائمتانهم على الاشغال الهامة ويأمرهم بشدة المراقبة عليهم لئلا يفلتوا . فمن ذلك ما كتبه الى احمد محمد خوجيلي في دفقة بتاريخ ٨ محرم سنة ١٣٠٣ هـ : « حيينا ينبغي ان تلبهوا على جماعتكم بأن من يوجد من اولاد الريف متوجهاً من هنا ان يحضروه اليكم وأنتم ترسلونه اليها ولا تتركوا احداً منهم يتوجه الى بحري او خلفها إلا أن كان معه خطاب منا . وأولاد الريف الذين معكم احرصوا عليهم كل الحرص » .

وكتب الى كرم الله شيخ محمد بتاريخ ٢٦ ربيع الآخر سنة ١٣٠٤ هـ : « اما اولاد الريف فأرسلوهم جميعاً لهذا الطرف ليعيشوا في البقعة ولا تتركوا منهم احداً كلية لأنهم اينما كانوا لا يؤمنون » .

ورأيت كتاباً من مساعد قيودم الى الخليفة بتاريخ ٢٤ رمضان سنة ١٣٠٦ هـ يقول فيه : « انه بناء على الاشارة الكريمة بدقة البحث عن أبناء الريف في دفقة . ولرسلهم اليكم فقد بحثنا عنهم في جميع جهات دفقة من ارقو الى صنم وألقينا القبض على من وجدناه وها هم واصلون مع الحبيب محمد عبدالله الفادي وجماعته للمحافظة عليهم ومع المذكور كشف بأسمائهم ووظائفهم السابقة » .

وكتب الخليفة الى عثمان آدم بتاريخ ٢٩ جمادي الآخرة سنة ١٣٠٧ هـ : « وكذلك جميع اولاد الريف لا تمكنوهم من امورك المهمة لأننا نحن مناهم نمكنهم من امورتنا بل نشغلهم بالكتابة على قدر اللزوم بدون دخل لهم في شيء آخر . ومن الجلة موسى حسين وجماعته فانهم وإن كانوا من الانصار فما دام انهم ابناء ريف فخذ حذرهم » .

وكتب الى محمود احمد في ٥ جمادي الآخرة سنة ١٣١٠ هـ : « ينبغي الانتباه الى مثل موسى حسين ومن معه من المواليد وأمثالهم الذين كانوا

بغالطين الترك سابقاً فاجعلوهم في وسط بلاد الاسلام ولا تجعلوهم في الجهات الموالية لجهة الاعداء ولا تندبهم اليها .

وقد جمع الخليفة اكثرهم في ام درمان واستخدم الصنائع والكتبة والطوبجية في مصالحه العامة وترك الباقيين يحتالون على معاشهم بتعاطي الاشغال الوضيعة جداً حتى كان الضابط الذي قاد الجنود الى ساحة القتال يضطر ان يعيش بالاستقاء او الاحتطاب من الصحراء او بفتح دكان للقهوة او لبيع الخضرا . وقد حاول كثيرون منهم الفرار فمنهم من قبض عليه وعذب او سجن حتى ذاق الموت الاحمر ومنهم من نجح بطرق اسوان وكورسكو وسواكن وقليل ما هم وأكثر هؤلاء من العساكر والكتبة الصغار . وأما الضباط والموظفون الكبار مثل سلاطين باشا وفوزي باشا والافراد الاوربيون من قسس وتجار فقد كانت المراقبة عليهم شديدة جداً حتى عدت أمر فرارهم مستحيلاً أو شبيهاً به .

مأثر الميرالاي ونجحت بك مدير قلم الخبارات سنة ١ - ١٨٩٦ :

انقاذ اوهر ولدر من الاسر سنة ١٨٩١ : وكان الميرالاي ونجحت بك مدير الخبارات في مصر (السردار الحالي) عالماً بحال الاسرى في ام درمان وبأذلا جهده في انقاذهم وإمدادهم بالمال . فسمى مع مطران المرسلين النمساويين في القاهرة فأرسلوا الى ام درمان خبيراً من عبادة السيالة يدعى احمد حسن فأنقذ الاب اوهر ولدر الذي أسر في جبل الدلن وراهبين من راهبات الابيض فخرج بهم من ام درمان في ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٩١ على أثر فتنة الاشراف واتخذ طريق المرات وكورسكو فوصل بهم مصر في ٢١ ديسمبر من السنة المذكورة .

تأليف كتاب المهديّة والسودان سنة ١٨٩١ : وكان ونجحت بك قد فرغ من تأليف كتابه المشهور المسمى « المهديّة والسودان المصري » الذي فصل

فيه وقائع الثورة المهدية ولا سيما وقائع الجيش مع الدراويش الى ما بعد واقعة طوكر احسن تفصيل .

تأليف كتاب امر عشر سنين في معسكر المهدي سنة ١٨٩٢ : فرأى ان الأب اوهر ولدر ذو اطلاع كبير وخبرة تامة في احوال السودان والثورة المهدية مع ذكاه وفطنة وصدق لهجة فطلب اليه ان يخط اختباره هذا على ورق فكتب اصوله بالالمانية فألف منها ونجحت بك كتاباً بالانكليزية من أنفس الكتب سماه « أسر عشر سنين في معسكر المهدي » ونشره سنة ١٨٩٢ فنال رواجاً عظيماً في اوربا كلها .

انقاذ روسينيولي من الاسر سنة ١٨٩٤ : ثم ارسل الى ام درمان عبادياً آخر يدعى عبد الله محمد عمر من سكان دراو فانقذ الأب روسينيولي الذي أسر في الابيض ١٨٨٣ وأتى به الى مصر في ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٩٤ .

انقاذ سلاطين من الاسر سنة ١٨٩٥ : وكان اخوة سلاطين باشا باذلين الجهد في انقاذ اخيهم من الاسر وقد استودعوا قنصلية النمسا في مصر الف جنيه لهذه الغاية فسمى ونجحت بك والقنصلية المذكورة سعيًا متواصلًا حتى وفقوا اخيراً الى تاجر جملي يدعى العجيل فمقدروا معه اتفاقاً ودفعوا له ٢٠٠ جنيه مقدماً وكتبوا له صكاً بـ ٨٠٠ جنيه تدفع له بعد رجوعه بسلاطين سالماً الى مصر . وكان سلاطين بعد وصوله الى ام درمان مع المهدي سنة ١٨٨٤ م قد كتب الى غوردن كتاباً بأمل التخلص من أسر المهدي والفرار اليه فوقع الكتاب في يد المهدي فسجنه وكبله بالحديد ثمانية اشهر . ولما مات المهدي جعله الخليفة من ملازمي بابيه لا يهرج منه من الفجر الى ما بعد العشاء إلا اذا ركب فيركب معه . وقد شدد المراقبة عليه وأعطاه منزلاً ينام فيه قرب منزله وكان يفخر بأن مدير دارفور اسير عند بابيه . فدبر العجيل الامر سرًا مع سلاطين وخرج به من ام درمان في ٢٠ فبراير سنة ١٨٩٥ وأرسله مع رسل مخصوصين على هجن قوية فعبّر النيل بين أبي حمد وبربر وأتى بطريق

اسوان فوصل مصر في ١٩ مارس من السنة المذكورة . وقد اغتاط الخليفة جداً من قراره وبحث عن الساعين في ذلك حتى درى بالمعجل فنفاه هو وصديقاً له يدعى الصادق عثمان الى الرجاف وقتلها هناك .

تأليف كتاب النار والسيف في السودان سنة ١٨٩٦ : وكان سلاطين باشا أعلم الناس بأحوال السودان ومطلعاً على اسرار حكومة التعايشي فأوعز اليه ونجحت بك فشرح حال وصوله في كتابة معلوماته بلغته الالمانية فأنشأ منها ونجحت بك كتاباً ثميناً في الانكليزية سمي « النار والسيف في السودان » فشر في اوائل سنة ١٨٩٦ ثم ترجم الى امم اللغات الاوروبية وكان له اعظم شأن في اوربا كلها . وقد جناه بعد كتاب اوهر ولدر عرضاً قوياً للحكومة المصرية على استرجاع السودان . وسمي سلاطين باشا مساعداً لمدير قلم الخبايا فرافق الجيش في الفتح الاخير الى ان تم استرجاع السودان فسمي مفتشاً عاماً على السودان كله ولا يزال في هذا المنصب الرفيع الى اليوم .

وبعد نجاة سلاطين باشا بأيام أهدى جلالة امبراطور النمسا الى ونجحت بك وساماً من أعلى وسامات الدولة النمسية . ثم رفع سلاطين باشا الى جلالة اسمي واسم ملحم بك شكور فانعم على كل مناسام عالي فرفعت الى جلالة في ٣ نوفمبر سنة ١٨٩٦ قصيدة عربية عنوانها « شكر الجليل » هذه هي بحروفها :

أحتل أنفاسَ النسيم اذا مرى	وفي طيئه ما فاق في النشر عنبرا
لما صمى النمسا « فيينا » التي همت	على روضها مزن المعالي فازمرا
عقودَ ثناء رائعات أصوغها	وأنظمها في السلك درأ وجوهرا
واجبل تعبير « امتنان » عبيده	أتى يستعير المسك منه التعطرا
تقبّل اعتاب المليك « فرنسوي »	وتبدي بناديه الرفيع التشكرا
هو الامبراطور الذي فاق مجده	وقاخر كسرى في المعالي وقيصرا
تسمى على هام الثريا بهمة	علت ايضاً للهند يُعزى وأسمرها

تقول لمن رام التشبه واثبرى
هو البحر قد عمت موارد فضله
لقد جاد لي فضلاً بأكرم منة
سأجعله عنوان فخر وعزة
وتذكاري شريف بمنحة سيد
واني وإن أطنبت في وصف فضله
ولكنني أرجو إلى الله داعياً
فلا زال في عرش الجلالة زاهياً

يقلده أين الثريا من الثرى
ولكن معاذ الله أن يتكدراً
«وسام صليب فوقه التاج أسفراء»
يحق به لي أن أعز وأفخراً
غدا حمده فرضاً علي مقررأ
يظل لساني في الثناء مقصراً
مدى الدهر أن يبقيه للفضل مصدراً
بعز واسعاد ودام مظفراً

الفصل الخامس

في

استرجاع دنقلة في سنة ١٨٩٦

وفيه وقائع دنقلة والحدود سنة ١ : ١٨٩٦

امراء دنقلة سنة ٩٨ : ١٨٩٦ : تركنا دنقلة بعد خروج النجمي منها سنة ١٨٨٩ وعليها يونس الدكيم عاملا ومساعد قيدوم وكيلا له فوق بينها خلاف اشتد حتى لم يعد من الممكن ازالته فاستدعي يونس الى ام درمان وسمي زقل عاملا على دنقلة في ٢٥ شعبان سنة ١٣٠٧ هـ فاغتاز مساعد قيدوم لعدم انتخابه عاملا وكان معه من امراء البقارة عربي دفع الله فنصبا العداة لزقل . وفي ١١ شعبان سنة ١٣٠٨ كتبنا الى الخليفة « انه مواد للكفرة وانه متحيز لأولاد البلد الجميلين والذئابة على البقارة والجهادية السود » فبعث الخليفة في طلبه وحاكمه في مجلس من القضاة فاثبت خصماء شكروا ما عليه فأمر الخليفة بسجنه . ولما ثار الأشراف ثورتهم المار ذكرها كان في جملة شروط الصلح اخراج زقل من السجن فأخرجه ثم نفاه الى خط الاستواء سنة ١٨٩٣ م كما قدمنا . واعاد يونس الدكيم ثانية الى دنقلة فعامل الأهلين بالشدة والغلظة فرفعوا شكواهم الى الخليفة فلم يسمع لهم ولما كرروا شكواهم خاف ان



اللورد كيتشنر أوف خرطوم

يلجأوا الى الحكومة المصرية لقرهم منها فاستدعى بونس الى ام درمان سنة ١٨٩٥ وأرسل مكانه محمد بشارة المار ذكره في الكلام على دارفور وكان عمره اذ ذاك لا يزيد على ٣٣ سنة ولكنه كان على حداثة سنه من اعظم رجال التعايشي دهاء وأعلام همة واشدهم رأياً وفضلهم سياسة .

تسمية كتشنر سرداراً على الجيش : وفي أثناء ذلك استعفى السر جرنفل باشا من منصبه فخلفه اللواء كتشنر باشا سرداراً على الجيش المصري وذلك في ١٢ ابريل سنة ١٨٩٢ . وفي أيامه استرجعت الحكومة دنقلة وسائر السودان وقبل الكلام على ذلك نذكر ما كان من وقائع الحدود بعد حملة النجومي في أيام بونس وزقل .

وقائع الحدود سنة ٨٩ : ١٨٩٦ :

غزوة مرس : تقدم ان الدراويش بعد حملة النجومي رجعوا الى سواردة فجعلوها أقصى نقطة لهم في الشمال وكان عليها حوده ادريس البقاري اميراً فبقوا نحو ثلاث سنين لا يبدون حراكاً . ثم عادوا الى نهجياتهم السابقة على الحدود فأغار جماعة منهم في ٤ ابريل سنة ١٨٩٢ على سرب القديمة واختطفوا ماشيتها وغادوا الى سواردة .

غزوة سراً الغرب : وفي ٢١ مايو سنة ١٨٩٢ أغار عثمان ازرق على سراً الغرب شمالي حلفا بنفر من الهجانة فقتل ٣٤ نفساً من اهلها وغنم ٥٠ رأساً من الماشية .

غزوة قستل : وفي ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٩٢ غزا جماعة منهم بلدة قستل قرب ادندان فقطعوا خط التلغراف بين كورسكو وحلفا وغنموا ماشية البلدة وقفلوا راجعين .

غزوة جهاي : ولما رأى اهل سواردة ان الجيش لم يبدِ حراكاً اشتد طمعهم وزاد طموحهم فخرجوا كلهم يتقدمهم اميرم حوده بقصد غزو جهاي

ومرس وتخريب مكة الحديد بين سرس وحلفا فاتصل الخبر بقلم المخابرات قبل وصولهم فاستعدت حامية سرس لصدم وذهبت الاورطة العاشرة فاحتلت بجاي وجاء الدراويش بطريق امبقول فلما قربوا من النيل انقسموا فريقين فريق الهجانة وعليهم عثمان ازرق وفريق الفرسان والمشاة وعليهم حموده فأغار الاول على جاي والثاني على سرس فرد الجيش الفريقين خاسرين الى امبقول وذلك مساء ٣١ ديسمبر سنة ١٨٩٢ .

واقعة امبقول في ٢ يناير سنة ١٩٠٣ : وفي أثناء ذلك جهز البكباشي باين ضابط المخابرات اربعة بلوكات من السواري وبلوكا من الهجانة و ٢٥ رجلا من عساكر الشايقية وسار بهم الى سرس فوصلها في فجر ١ يناير سنة ١٨٩٣ فلم ان الدراويش قد فروا راجعين بطريق المرات وامبقول فتقدم الى المرات ولما لم يجدهم أبقي السواري في المرات وتقدم بالهجانة الى امبقول في فجر ٢ يناير فوجد بعضهم قد تأخروا في الآبار يسقون رواحلهم فأمر هجائته فترجلوا واتخذوا ثلاث تلال متقاربة في صف واحد وابتدروهم بالرصاص فتمنعوا في تلال منيعة شرقي الآبار وأجابوا اطلاق الرصاص بمثله وسمع اخوانهم صوت البنادق فأسرعوا الكرة لنجدتهم فهاجم فرسانهم ميمنة الهجانة ودار الباقون عليهم من شمالهم فالتحموا بهم وقتلوا البكباشي باين والصاغ فؤاد افندي قومندان الهجانة وبعض العساكر وخف الباقون الى هجنهم فركبوها وانقلبوا راجعين فرقتين : الهجانة المصرية وعليهم الملازم محمد افندي بركات والهجانة الشايقية وعليهم الصاغ سليمان افندي عبد الله فتأثرهم الدراويش فنجا محمد افندي بركات بفرقة وأما سليمان افندي عبد الله فانه لما رأى الدراويش قد قربوا منه أمر رجاله فترجلوا وتسلقوا أكمة وشرعوا في اطلاق النار على الدراويش الذين أحاطوا بهم من كل جهة وما زالوا يطلقون الرصاص حتى فرغت جيبخانتهم او كادت . وكان معهم موظف في المخابرات يدعى الشيخ صالح جبريل من مواليد دنقلة النجباء فلما رأى حرج المركز صعد الى أعلى التلة وطلق ينادي « ابشروا بالخير ابشروا بالخير جاءت السواري » فلما سمع

الدرأويش هذا النداء صدقوه وانقلبوا راجعين فنزل الهبة عن التلة وأتوا سرس في اليوم التالي . وكان الملازم محمد افندي بركات قد سبقهم اليها وأنفذ خبراً الى السواري في المرات فرجعوا الى سرس . وقد عرفت هذه الواقعة بواقعة امبقول . وكانت خسارة العساكر فيها ٣٦ قتيلاً و ١٥ جريحاً . وأما خسارة الدراويش فكانت ٥٠ قتيلاً و ٦٠ جريحاً . وقطع الدراويش رأس البكباشي باين وأرسلوه الى الخليفة في ام درمان مع مسدبه ونظارته ومرآته . وقد مرت بامبقول سنة ١٨٩٦ وشاهدت محل الواقعة فاذا فيه آثار ملابس العساكر وبعض رفاتهم .

غزوة بريس في ٢٥ يوليو سنة ١٨٩٣ : وبلغ يونس الدكيم امير دنقلة ان في واحة بريس على ٦٠ ميلاً من الخارجة خيراً كثيراً وهي خالية من العساكر والحصون فجهز عثمان ازرق بنحو ٣٠٠ مقاتل وأرسله لغزوها في يونيو سنة ١٨٩٣ فلما أتى واحة سليمة رأى آثار قافلة آتية من سوهاج الى آبار النطرون فأرسل خلفها مئة رجل فأدركوها عند الآبار فاعتقلوا رجالها وغنموا ما كان معهم من الجمال والمال وساقوم الى دنقلة . وسار عثمان ازرق بباقي القوة الى بريس فدخلها في ٢٥ يوليو سنة ١٨٩٣ ولم يجد من يقاومه فأخذ يجمع ما فيها من الفنائم فكانت ٥٤ بقرة و ١٨٧ رأس غنم و ١٠ جياد و ٢٥٦ بندقية و ١٠٠ اردب حنطة و ٤٥ حمراً و ٥ قناطير من آتية النحاس ومن الذهب والفضة ما قيمته ٣٤٠ ريالاً و ١٥٠ جنياً وقضى في جمعها ٣ ايام ثم حملها وعاد بها الى دنقلة ومعه ١١ رجلاً من أهلها فأخذ يونس جانباً من الفنائم الى بيت المال ووزع الباقي على الغزاة وارسل اسرى الواحات والآبار الى ام درمان .

وكان اهل بريس قبل خروج الدراويش من واحتهم قد أنفذوا خبراً الى معاون الخارجة فأنفذه الى مدير اسبوط ووصل السردارية بمصر في ٣٠ يونيو فأرسلت الجند الى سوهاج بقصد انجاد الواحة وقبل ذهاب الجند اليها ورد الخبر بأن الدراويش قد خرجوا منها فذهبت اورطة من العساكر لتسكين

روح الأهالي. وخصصت الحكومة ٥٠٠٠ جنيه لتنفق على حماية الواحات فبنى
العساكر طابية في بريس وطابية في الخارجة و'مد' خط التلغراف من الخارجة
الى جرجا. و'جعلت نقطة من الكبابيش في بير الشب غربي حلفا على طريق
الاربين .

غزوة المرات وقتل صالح بك اخذا بشار سليمان ود قمر في ١٢ نوفمبر سنة ١٨٩٣ م

ذكرنا احتلال صالح بك للمرات يوم واقعة النجومى سنة ١٨٨٩ . وفي
سنة ١٨٩١ بلغه ان الدراويش في ابي حمد يستعدون للهجوم عليه فرأى ان
يتقدم قبل ان يتعمشوه ، فجهز رجاله ونزل بهم على ابي حمد فباغت اهلها
المهجوم في الفجر وهم يصلون صلاة الصبح في الجامع فذعروا وأسرعوا الى
اسلحتهم وبدأ اطلاق النيران من الفريقين ثم برز سليمان نعمان ود قمر الغادر
بسيكورت باشا راكباً على جواده وهجم على رجال صالح بك فرموه بالرصاص
فسقط الى الارض يتخبط بدمائه فقتلوا جواده ورجعوا الى المرات . فجار
الخليفة بعد هذه الواقعة على المليكاب الذين في السودان ونفى كبيرهم حسن
محمد خليفة الى بحر الجبل وصمم على اخذ الثار من صالح بك فأمر يونس الدكيم
امير دنقلة فعمد لعثمان ازرق على ٦٠٠ مقاتل بالاسلحة النارية وارسله لغزو
آبار المرات فوصلها في فجر ١٢ نوفمبر سنة ١٨٩٣ وكان مع صالح بك ١٠
رجال مسلحين بالبنادق وقد تحصنوا وراء متراس من الحجارة على رأس أكمة
فانتشب القتال بين الفريقين ودام من لدن الفجر الى ما بعد العشاء وقد وقف
صالح بك بين رجاله يحثهم على القتال والثبات الى ان اصيب برصاصة في
فخذة حالت دون تمكنه من الوقوف ومع ذلك ظل يشجع رجاله على القتال
الى ان توفي بعد ان جرح بخمس ساعات. وتولى اخوه عبد العظيم قيادة العربان
مكانه واستمر القتال حتى ارخى الليل سدوله فرجع الدراويش الى دنقلة وقد
قتل منهم ٢٩ رجلا واما العباددة فقد قتل منهم عدا صالح بك ١١ رجلا .

وجعل السردار عبد العظيم مكان اخيه ووصى الحكومة بعائلة صالح بك فأجرت لها مرتبة بتمامه حتى بلغ اولاده سن الرشد . وارسل الكبتن ماتشل فبى في المرات طابية حصينة في ديسمبر سنة ١٨٩٣ .

زيارة الجناب العالي للحدود في يناير : وفي يناير سنة ١٨٩٤ زار الجناب العالي الحدودي ببلاد الحدود وكان قومندان الحدود اذ ذاك لويد باشا فوزع منشوراً على الأهالي أخبرهم بتشريف سموه ببلادهم وأوعز اليهم بغرس شجرة من الجيز في كل بلدة تذكراً لزيارته . وبلغ الدراويش خبر هذه الزيارة فظنوا ان الحكومة تستعد للزحف على السودان فتيقظوا .

غزوة الشب سنة ١٨٩٤ : وفي آخر سنة ١٨٩٤ نزل جماعة منهم على حامية الشب فوجدوا حاميتها الكبابيش متيقظين فرجعوا عنها .

غزوة ادندان : وفي ١٠ ديسمبر سنة ١٨٩٥ غزا ود حمزة الانقرياني بجماعة من الهجانة بلدة ادندان على ٣٠ ميلاً من حلغا فقتل ١٦ رجلاً من أهلها .

غزوة مرس القديمة ٣٠ يناير سنة ١٨٩٦ : وفي ٣٠ يناير سنة ١٨٩٦ م اغار جماعة من سواردة على مرس القديمة فقتلوا ٣ من أهلها .

حملة دنقلة سنة ١٨٩٦ م

وهكذا كان الدراويش كلما سنحت لهم فرصة ركبوا الهجن وضربوا في عرض الصحراء واغاروا على بلدة من بلاد الحدود فقتلوا ونهبوا ثم رجعوا قبل ان تدركهم العساكر حتى اقلقوا راحة الجيش وسكان الحدود ولم يمكن توقي شرهم ومنع تمديهم إلا بنشر العساكر على طول البلاد من اصوان الى حلغا شرقاً وغرباً وهذا لم يكن ميسوراً لقلة عدد الجيش . وكان السردار قد طلب من الحكومة في اواخر سنة ١٨٩٢ مبلغ ٦٠ الف جنيه ليزيد بها عدد الاسلحة الراكبة . ويقف للدراويش في المرصاد فلم تعط له . ولم ينفك يحث الحكومة

على وجوب الحملة على دنقلة وطرد الدراويش منها رفقا بالحدود والجيش وهي لا تجيبه الى طلبه لعجز ماليتها عن تحمل النفقات حتى كانت واقعة عدوة بين التليان والحبشة في ١ مارس سنة ١٨٩١ وهب الدراويش لاسترجاع كسلا من التليان كما مر فأقرت بأدىء بدء على ارسال الجنود الى سواكن والتظاهر في الحملة على بربر لارهاب الدراويش وحملهم على العدول عن كسلا ثم رأت ان مجرد التظاهر لا يفي بالمقصود فأقرت ايضا في ١٢ مارس سنة ١٨٩٦ على الحملة دنقلة والتظاهر في الحملة على بربر . وفي ١٨ مارس سنة ١٨٩٦ أصدر السردار امره تلغرافيا الى هنتر باشا قومندان الحدود فأرسل معظم العساكر الى عكاشة وأسس نقطا حربية بينها وبين حلغا لحفظ خط الاتصال وشرع في مد خط سكة الحديد اليها بطريق الصحراء . وفي ٢٩ مارس وصل السردار حلغا بأركان حربه وشرع في اعداد معدات الحملة والتهيؤ لها .

غزوة عثمان دقنة لطوكر مارس - ابريل سنة ١٨٩٦ :

ولكن لم يلبث ان جاءته الانباء من سواكن ان عثمان دقنة حضر الى اركويت بنحو ٢٠٠ فارس و ١٠٠٠ راجل بنية استرجاع طوكر فظهر ان الخليفة انما اراد استرجاع طوكر وكسلا معا وقد عهد الى عثمان دقنة استرجاع طوكر كما عهد الى احمد فضيل استرجاع كسلا فأصدر السردار امره الى لويد باشا محافظ سواكن وكان اذ ذاك في مصر فخفف الى سواكن وأرسل الى سدني بك قومندان طوكر ليوافيه بما لديه من الجند الى خور ونثري على ٢٢ ميلا من سواكن في يوم عينه له بقصد جمع القوتين وطرد عثمان دقنة من البلاد . وكان في سواكن من الجند نحو ٩٠٠ رجل من سوارى وهجانة وبيادة وفي طوكر نحو ٢٥٠ رجلا من الاورطة العاشرة السودانية .

واقعة سدني في ١٥ ابريل سنة ١٨٩٦ : فخرج سدني بمساكره من طوكر في ١٤ ابريل ولويد باشا من سواكن في ١٥ منه قاصدين نقطة الملتقى فها وصل لويد الى طروة حتى أتاه مخبر بأن عثمان دقنة قد خرج من اركويت قاصدا خور ونثري فأقام في مكانه وأنفذ خبرا في الحال الى سدني ليعدل عن خور

ونتري ويأتي رأساً الى طروة وأرسل البكباشي فنك بـ ٨٠ فارساً تقوية له . فأبطأ رسول لويد ولم يعلم سدي بك شيء حتى صار على نحو ميل من خور ونتري في عصر ١٥ ابريل فعاد الكشافة وأخبروه بأن عثمان دقنة قد احتل الخور فأمر المساكر في الحال فترجلوا ونظموا قلعة حول هجهم وما أتموا انتظامهم حتى هجم عليهم عثمان يبيشه وأحاط بهم من كل جانب فصبوا عليه الرصاص كالعارض الهطل وهزموه في اقل من ساعة بعد ان قتلوا من جيشه نحو ٢٥٠ رجلاً .

واقعة فنك : وكان فرسان عثمان دقنة لما رأوا ثقل الرصاص من مربع سدي تحولوا عنه الى جهة طروة فصادفوا «السواري» الآتين من لويد لنجدة سدي فهجموا عليهم وقتلوا منهم وأوقعوا فيهم الفشل فانهمزوا فرقتين فرقة فازت بالنجاة الى طروة وأخرى وفيها البكباشي فنك و ٣٨ فارساً صعدت الى الاكمة ثم ترجلت وصلّت فرسان عثمان بنار بنادقها فردتهم على اعقابهم . ثم انضم اليهم بقية جيشهم المنهزم من واقعة سدي فحاصروا الاكمة الليل كله الى الصباح (١٦ ابريل) فلم يظفروا منها بطائل فارتدوا عنها فزل فنك بفرسانه عن الاكمة الساعة ٩ صباحاً وعاد الى طروة . وأما سدي فانه بات ليلته في محل الواقعة وفي صباح اليوم التالي (١٦ ابريل) تقدم الى خور ونتري وأنفذ خبراً الى لويد باشا فوافاه اليه وطلب عثمان دقنة فوجداه قد انقلب راجعاً الى ادارمة فدخلا سواكن فبقي لويد فيها محافظاً وجاء سدي وفنك والمساكر الى النيل للمشاركة في حملة دنقلة .

غزوة احمد فضيل لكسلا مارس - ابريل سنة ١٨٩٦ :

واقعة كسلا ٢ ابريل سنة ١٨٩٦ : هذا ما كان من غزوة عثمان دقنة لطوكر . اما احمد فضيل فانه زحف على كسلا في اواخر مارس سنة ١٨٩٦ بنحو ٦٠٠٠ مقاتل فحصرها . وكان التليان قد ارسلوا اليها من مصوع حملة كبيرة من المون والذخائر يحرسها ٣٥٠٠ رجل بقيادة الكولونيل ستفاني فالتقاء احمد فضيل في ظاهر المدينة في ٢ ابريل سنة ١٨٩٦ فجمع الكولونيل

ستفاني قواه وأوقع فيه واقعة مشهورة وهزمه الى طوكرف بخسارة ٤٠٠ قتيل وأما خسارته فكانت ١٠٠ قتيل وجريح .

واقعة طوكرف في ٣ ابريل سنة ١٨٩٣ : وفي صباح اليوم التالي ٣ ابريل خرج عليه يجميع عساكره الى طوكرف وأوقع فيه واقعة أشد من الواقعة الاولى فقتل من جيشه ٨٠٠ رجل وهزمه الى القضارف وكانت خسارته في هذه الواقعة ١٤٣ قتيلاً منهم ٤ ضباط و ٢١٧ جريحاً .

عود الى حملة دنقلة سنة ١٨٩٦ :

واقعة ١ مايو سنة ١٨٩٦ : ولنرجع الآن الى حملة دنقلة فان الدراويش لما علموا بتحرك الجيش الى عكاشة هبوا الى سلاحهم وتقدم حمودة بحامية سواردة الى كوشة فاحتلها في ٢ ابريل سنة ١٨٩٦ ثم تقدم الى فرقة فاحتلها في ٢٨ منه . وخرج محمد بشاره امير دنقلة يجميع مقاتليه خارج الديم وشرع في ارسال المدد الى حموده حتى اجتمع عنده في فرقة نحو ١٦٥٠ رجلاً فخرج بهم في ١ مايو بطريق الصحراء بنية جرد عساكر عكاشة الى الصحراء والايقاع بهم . وكان قلم المخابرات متنبهاً للدراويش وقد بث الميون والارصاد لمراقبة حركاتهم ومعرفة احوالهم فلما علم بخروجهم من فرقة ابلغ السردار قصدر أمره الى القائضام برن مردخ بك قومندان السواري فخرج به ٢٥٠ فارس والتقام في منتصف الطريق بين عكاشة وفرقة فقتل منهم ١٢ رجلاً وردم على اعقابهم مدحورين وقد قتل من عسكره رجل واحد . وجرح سبعة . وكانت الاورطة التاسعة السودانية قد خرجت لنجدته فما وصلت حتى كانت الواقعة قد انتهت فعاد الكل الى عكاشة .

قوة جيش فرقة : قيل وقد أظهر حموده الجبن في هذه الواقعة فشكاه الامراء الى محمد بشاره امير دنقلة فعزله وسمى عثمان ازرق اميراً على الجيش مكانه وكان الجيش مؤلفاً من ١٦٣٢ رجلاً فجعله اربعة ارباع وجعل على كل ربع اميراً من جنسه وهم : الهبانية وعددهم ٣٣٦ رجلاً وعليهم حموده ادريس . والدناقلة والحر وعددهم ٤٤١ رجلاً وعليهم كرم الله كرقساوي

صعود الراكب فوق الشلال الثاني



الدنقلوي . والجمعيلين وعددهم ٢٤٥ رجلاً وعليهم محمد الامين ابن عبدالحليم .
والجهادية السود وأولاد العرب وعددهم ٦١٠ رجال وعليهم يوسف عنقر
ودودوبدر البقاريين . اما الجهادية فصلاحهم البنادق الرمنتون وأما الباقون
فالسيف والحراب وبعض البنادق . ومهمهم كلهم ٧٢١ بندقية رمنتون و ٥٠
صندوق جبهة و ٢٠٥ افراس و ١١٠ جمال و ٥٠٠ حمار .

استعداد العدو في فرقة : واستعد عثمان ازرق للدفاع في فرقة فمين
لكل امير مكاناً يدافع فيه . اما فرقة فهي بلدة حسنة على ضفة النيل
هجرتها اهلها منذ الحملة النيلية فراراً من الدراويش فأصبحت خراباً وفي شمالها
جبل شاهق علوه ٩٠٠ متر ينسب اليها والى جانبه الجنوبي اكام تختلف في
الارتفاع من ٣٠ الى ١٥٠ قدماً وبينها وبين خرائب البلدة ديم الدراويش
فجعل عثمان ازرق الهبانية والجهادية على الاكام والجمعيلين شمالي خرائب فرقة
والدافلة والحر جنوبها . وقد علم قلم المخابرات قوة العدو تماماً بل رسم له
فرقة وعين مكان كل امير فيها وقت الدفاع حسب رتبة عثمان ازرق فشرع
السردار في الاستعداد للحملة وهالك ما دبّره .

جيش الحملة على دنقلة : لما صدر الامر بالحملة على دنقلة كانت قوة
الجيش المصري مؤلفة من : آلاي من السواري فيه ١٢٥٣ فارساً . وآلاي من
الطوبجية فيه ٩٥٣ رجلاً و ١٨ مدفعاً . وآلاي من الهجانة المصرية والسودانية
فيه ٦١٨ رجلاً . و ١٣ اورطة بقيادة أي ثنائي اورط مسرية وهي التي انشئت
بعد الغاء الجيش القديم سنة ١٨٨٣ وخمس اورط سودانية وقد انشئت في اثناء
الثورة المهدية وفي الكحل ١٠٧١٥ رجلاً . واركان حرب مصالح الجيش وعددهم
١٦٠١ رجل . ذلك ما عدا ٩٤٢ من المساكر غير المنظمة ونحو ٦٠٠ من
رجال حملة النقل ومجموعهم كلهم ١٦٦٨٠ فيهم نحو ٧٠٠ ضابط . وسلاح
الجميع بنادق مارتين هنري إلا المساكر غير المنظمة فانها كانت مسلحة
بنادق رمنتون .

فجعل السردار الاورط المصرية الاولى والخامسة والسادسة في نقط خط

الاتصال بين اسوان وعكاشة وأعد باقي الجيش للحملة على دنقلة. وتبرع الجناب العالي ببلوك من الهجانة كان في خدمة سموه فأضيف الى قوة الحملة . وكان السردار قبل صدور الامر بالحملة على دنقلة أمر بإنشاء الاورطة السودانية الرابعة عشرة فأتم إنشاءها وأبقاها في اساس الجيش في مصر . ثم لما صدر الأمر بالحملة أنشأ اورطتين من العساكر الاحتياطيين : الخامسة عشرة فجعلها في اصوان وكورسكو والسادسة عشرة فأرسلها الى سواكن . وكان في خدمة الجيش نفر من عربان العبابدة والكبابيش والعليقات فزاد عددهم اكثر من الف رجل وحصن بهم نقط الصحراء الشرقية والغربية . واستنصر دولته فأرسلت اليه اورطة من الآي نورث ستفوردشير فيها ٨٧٠ رجلاً وبعض المهندسين المكيين والطويحية والبحارة فاستخدمهم في حملة دنقلة . وأرسلت الى سواكن آلايا من الهند بقيادة الجنرال اجرتن فكان لوجوده في سواكن في أثناء الحملة على دنقلة تأثير أدبي عظيم في الدرايش .. وقد تطوع لها جماعة من كبار ضباط الانكليز فكانوا من اركان حرب فيها أهمهم : اللورد ادورد سسل ابن اللورد سلسبري وزير انكلترا الشهير فالتحق بأركان حرب السردار . واللورد اثلني ألحق بأركان حرب اللواء هنتر باشا . والكونت كليخن من افراد العائلة المالكية ومن اركان حرب غابرات الجيش الانكليزي جعل في قلم المخابرات في حلفا اياماً ثم نقل الى سواكن فتولى اشغال المخابرات فيها . والماجور ستيورت ورتلي من رجال الحملة النيلية . والماجور كتشتر شقيق السردار .

وسائط النقل : وكان أهم ما لزم السردار بعد حشد الجيش الاهتمام بوسائط النقل في صحار مقفرة ونيل تعترضه الشلالات . وكان في الجيش عند صدور الامر بالحملة ٣٠٤٨ رأساً من خيل وجمال وبغال وحير فأرسل السردار بعض ضباطه وأركان حربه فاشترؤا الفي جبل من اسيرط وقنا واصوان فوق جبال الحملة . وأنشأ عشرة بلوكات من عساكر القرعة غير المستوفين الشروط من جهة القد والطول فضمهم الى البلوكات الثلاثة المخصصة للحمة في الجيش

وجعل لكل بلوك قومنداناً وجعل الكل بادارة شقيقه الماجور ككشتر .
وكانت الحكومة قد أقرت قبل الحملة على مد سكة الحديد من كورسكو
الى المرات وبوشر العمل فلما كانت الحملة اوقف السردار العمل وأتى بمواد
السكة الى سرس وشرع في مدها جنوباً الى عكاشة فكوشة وقد أنشأ اورطة
من عساكر القرعة غير المستوفين الشروط وولجها العمل ثم استخدم اورط
الجيش عند الحاجة .

هذا من جهة تدبير النقل في البر اما في النيل فقد كان بين اسوان وحلفا
١٢ وابوراً من الواورات التي تخلفت عن الحملة النيلية فاستخدمها السردار في
نقل المؤن والذخائر من اسوان الى حلفا وأعد سبعة منها للصعود فوق الشلال
الثاني. وسماها الظافر والقاتح والناصر .

ونظم بوسطة يومية على المهجن عهد بها الى الشيخ صالح جبريل المار ذكره
في واقعة امبقول فقام بها خير قيام . وأما التلغراف فكان يمدّه الى حيث
يكون الجيش .

تأليف ادارة الجيش: وفي ٢ يوليو نقل مركز السردارية الى عكاشة وألفت
ادارة الجيش من سرس وجنوبيها كما يأتي :

السردار ككشتر باشا السردار . وإدارته :	قومندان عموم القرعة
اللورد ادورد سل . والقائمقام وتسن بك .	رئيس اركان حرب
والصاغ محمد افندي بذر	مدير قلم التقارير
اللواء ريندل باشا	مساعد قلم التقارير
الميرالاي ونجت بك	حكيمباشي التجربة
الميرالاي سلاطين باشا	حكيمباشي بيطري .
القائمقام منتر بك	مدير المهات
جريفث بك	مدير حملة النقل
القائمقام دراج بك	مدير سكة الحديد
الماجور ككشتر	اركان حرب التلغراف
البكباشي جبروارد	
البكباشي مانيفولد	

قومندان عموم السواري	القائمقام برن مردخ بك
قومندان طويحية السواري	البكباشي يونج
قومندان بطاريات الطويحية	بيك بك والبكباشي لوري والصالح محمد افندي حافظ
قومندان الهجانة	القائمقام تدوي بك

قومندان فرقة البيادة	اللواء خنتر باشا
قومندان اللواء الاول	الميرالاي لويش بك
(وفيه الاورط ال ٣ و ٤ و ٩ و ١٠)	
قومندان اللواء الثاني	الميرالاي مكدرئد بك
(وفيه الاورط ال ١١ و ١٢ و ١٣)	
قومندان اللواء الثالث	الميرالاي مكسول بك
(وفيه الاورط ال ٢ و ٧ و ٨)	
قومندان خط المواصلات	الميرالاي كوكرين بك
(بين احسان وعكاشة)	

واقعة فرقة في ٧ يونيو سنة ١٨٩٦ :

وفي اوائل يونيو 'مدت سكة الحديد الى آبار امبقول وكانت دوريات الدراويش تصل الى تلك الآبار فتعرض حملات النقل وتحاول منع العمل في سكة الحديد فوجد السردار ان استمرار العمل في السكة يقضي بطرد الدراويش من فرقة وقد أقر على مهاجمتهم بطريق الصحراء وطريق النيل معاً . فلما كان يوم ٦ يونيو جم الجيش كله في عكاشة وجعله قسمين : الاسلحة الراكبة وم آلاي السواري والبطارية السواري والهجانة ومعها الاورطة الثانية عشرة السودانية راكبة على الهجن ومدفعا مكسيم وجماعة من القسم الطبي بقيادة الميرالاي برن مردخ بك تسير بطريق الصحراء فتأتي فرقة من الشرق والجنوب . وفرقة البيادة ومعها بطاريتا ميدان ومدفعا مكسيم واسبيتاليبة ميدان بقيادة اللواء خنتر باشا تسير معه بطريق النيل فتأتي فرقة من الشمال ويكون الجيشان محيطين بفرقة في فجر اليوم التالي فيها جاناها معاً من الجنوب والشرق والشمال . ولما كانت الساعة الرابعة بعد الظهر خرج السردار يحيشه



رندل باشا



هتتر باشا

من عكاشة وسار بطريق النيل وخرج برن مردخ بك بالأسلحة الراكبة بعده بساعتين وسار بطريق الصحراء واتيأ فرقة في فجر ٧ يونيو والدرأويش اذ ذاك يؤدون صلاة الصبح فما شعروا إلا والقنابل تنصب عليهم من كل جهة فهرع كل فريق منهم الى مكانه مذعوراً واستعدوا للدفاع وانتشب قتال حاد دام نحو ساعتين أبلى العساكر فيها بالدرأويش بلاء حسناً . ثم هجمت فرقة البيادة عليهم في اماكنهم فقتلتهم شر قتلة وامتلكت الديم . وتمكن بعضهم من الفرار متوارين يحرف النيل وفيهم عثمان ازرق وكرم الله كرقساوي فلحقهم السواري الى مغرقة فقتلوا منهم وأسروا . ولجأ بعضهم الى جزيرة في النيل تجاه فرقة فرفعوا راية بيضاء وأتوا مسلمين وفيهم بان النقا عبد الحفيظ من موظفي حكومة الفتح الاول . وقد سر السردار من بسالة برن مردخ بك وحسن تدبيره فرقاه الى رتبة ميرالاي في الحال وأمره فتقدم بالأسلحة الراكبة الى سواردة واحتلها في صباح اليوم التالي اي في ٨ يونيو . وكان عثمان ازرق قد سبقه اليها فعدى العائلات الى البر الغربي حيث كانت النجومى معسكراً بثلاثمائة مقاتل وبقي في سواردة الى ان رأى غبار الجيش ففر بن معه من الانصار الى كدين ثم الى الكرمة . وفر حسن النجومى بالعائلات الى دنقلة .

القتلى : وقد قتل من الجيش في واقعة فرقة ٢٠ رجلاً وجرح ٨٦ . وأما قتلى الدراويش فنحو ٥٠٠ وفيهم الأمراء حموده ومحمد الامين ويوسف عنقر . وقد رأيت بين القتلى امرأة من الهبانية قالوا انها جاءت الى الحرب لتقتل مع رجلها او تحيا معه فأصيبت برصاصة في صدرها وكانت علامات الهدوء والاطمئنان بادية على وجهها كأنها نائمة .

الاسرى والغنائم : وقد جمع الاسرى بعد الواقعة فكانوا ٥٩٣ نفساً من السود والجمليين والدناقلة والبقارة فأدخل السود في خدمة الجيش في الحال وأما العرب فمن عرف انه كان مكرهاً على الحرب اطلق سراحه وأما البقارة وأنصارهم فقد ارسلوا بعيالهم الى سجن حلفا . وكان بين الاسرى ٧١ جريحاً

فنقلوا الى الاسييتالية وعولجوا فيها الى ان شفوا فوزعوا على الاسلوب الماسر ذكره. وكان بين الجرحى الشيخ الطاهر ود العبيد المذكور في حصار الخرطوم فانه كان في ربيع الجمعين وقد كثر على الجيش في وسط المعركة فقتل فرسه فترجل وقعد على قناة ماء ووضع سيفه بجانبه اشارة الى تركه الحرب فراه احد ضباط الاورطة الرابعة فأفرغ فيه مدسه فجرحه في فخذه وجنبه وصدره ويده اليمنى ومع هذا كله لم يتحرك من مكانه إلا انه أشار الى ضاربه بيده فأتى اليه بعد توقف فقال له : ما الذي دعاك الى ضربي وأنا مطوي اليدين . فقال : القدر الذي لقيناه من اخوانك في المواقع السالفة . فقال له : ان الذي يقعد قعودي لا ينوي الغدر . ثم حملوه الى المستشفى . وكان قد سأل عن سلاطين باشا فأتى وأوصى بالاعتناء به .

وقد غنم الجيش في فرقة ٢٥ صندوقاً من الجبخانه وشيئاً كثيراً من الاسلحة والتقاير والدروع والخيل والجمال والحمر والحبوب والخبز . وكان بينها خوذة نقش عليها هذا البيت من قصيدة البردي المشهورة :

ومن تكن برسول الله نصرته ان تلقه الأسد في آجامها نجم

ولعلها من خوذ ملوك سنار لأن هذا البيت كان شعارهم الذي يكتب على اختتامهم .

وقد فتشت عن اوراق الدراويش فوجدت بينها كتباً كثيرة من محمد بشارة الى حموده وعثمان ازرق حشها فيها على التيقظ والثبات ودرهمها أحسن تدريب .

معسكر كوشة : وبعد انتهاء الواقعة عسكر السردار في جنوبي فرقة اياماً ثم انتقل الى كوشة في قم عقبة ابي صاري وجعلها مركز الجيش واهتم بإتمام سكة الحديد اليها ونقل الواورات . وأرسل من فرقة منشوراً الى اهل السودان فوصل نسخ منه الى ود بشارة في دنقلة والخليفة في ام درمان هذا ملخصه :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين . اما بعد فغير خاف على الحكومة ان الذي حكمكم على شق عصا طاعتها انما هو تصديقكم دعوى محمد احمد المتهمدي وقد اتضح لكم الان ان تلك الدعوى لم تكن من المهدي بشيء بل هي ثورة دموية افضت الى ملك جائر يتولاه الآن عبد الله التعايشي الذي عزل كل امير من غير اهله وولى اهله فاستبدوا بكم . ولما رأت الحكومة سوء مصيركم أرسلت الآن جنودها الجرارة لانتشالكم من وهدة الضلال التي اوقعكم فيها ذلك المتهمدي واتخاذكم من الظلم الذي تقاسونه في عهد خليفته التعايشي . وقد كان من مبتدعات المتهمدي وخليفته هذا منع الحج الشريف مع انه فرض وجب على كل من استطاع اليه سبيلا . ثم ان كلا منها فسر القرآن على رأيه وهواه واستنبط أحكاماً شرعية كما أراد ومنعكم قراءة كتب الحديث والتفسير فضلاً عما يأتيه التعايشي الآن من جمع المال وتفريق كلمة الاسلام وملك الاعراض وظلم الفقراء وهدم بيوت الكبراء وبعد ان كان رجلاً مسكيناً لا يملك شروى تقير استأثر بأموال الرعية كلها وسكن القصور المشيدة واتخذ نساء المؤمنين سراري له واستحل وطأهن بلا عقد ولا ملك يمين وهو مع ذلك يدعي بالزهد والمسكنة ويتنعم سراً بكل ما تطيب به نفسه وتقر عينه وهو ظالم غشوم ما تكلم احد بالحق إلا قتله او سجنه او نفاه . وقد سجن الخليفة شريفاً وأهان الخليفة ودخلو واولاد المهدي وقتل ابراهيم عدلان واقارب المهدي مثل عبد القادر ود سائي وعبد عبد الكريم واخوانهم سجن والزاعي طمل والقاضي احمد والحسين ود الزهرة أماتهم جوعاً . وخرب مساجد المسلمين كمسجد الحسن المرغني واولاد نور الدائم والشيخ العبيد والشيخ حمد النيل العربي . ونفى امراء الجعليين مثل بدوي ودالعريق وغيره وبذلك أسخط جميع العالم الاسلامي وأصبحت مكة المشرفة وكرسي الخلافة العظمى تنظر الى عمله بعين المقت والكرامة . ولما رأى ولي النعم خديونا المعظم عباس حلمي الثاني ان جرائم هذا الطاغية تزداد يوماً فيوماً اخذته الشفقة على المسلمين المظلومين وصمم على انقاذهم من الظلم

فأرسل جيوشه المظفرة لكي تهدم أركان دولة التماشي وتقيم حكومة شرعية مؤسسة على العدل والاستقامة وتبني المساجد وتعين على نشر الدين القويم . وقد أصدر سموه عفوه التام عن جميع ذنوبكم وأمر برده أملككم . وهو يدعوكم الى استقبال جيوشه بالترحيب فإذا قبلتم الدعوة وعرفتم قيمة الانعام كنتم انتم الراجين الناجين وإلا فالويل لمن رفض نعمة ربه وكرم خديوته العظيم وباسمه لي الرجاء الوطيد ان أراكم قريباً طائعين ومعضدين للحكومة الخديوية والسلام يونيو سنة ١٨٩٦ هـ . الامضاء : كشتنر قائد جيش حملة السودان وسردار الجيش المصري .

هذا ولم يعد في الامكان الانتقال من كوشة جنوباً قبل مدّة سكة الحديد والوابورات اليها . اما الوابورات فلم يمكن عبورها فوق الشلالات إلا بعد استيفاء الفيض حدّه . وذلك في اوائل اوغسطس فاهتم السردار بأتمام سكة الحديد الى كوشة بأسرع ما يمكن من الزمن لينقل اليها الزاد والذخائر واجزاء الوابورات التي أوصى بها في بلاد الانكليز على ان يبينها في كوشة حتى اذا ما ارتفع النيل الى الحد المطلوب وجاءت الوابورات من حلقات تكون الوابورات الجديدة قد تمت فأضاف اربع اورط من الجيش الى اورطة سكة الحديد وحشم على الجد في العمل .

انتشار الكوليرا في الجيش : وكانت الكوليرا قد تفشت في مصر بعد خروجنا منها بقليل فوصلت اسوان في أواسط يونيو وما زالت تذهب صعوداً في النيل حتى تفشت في جميع نقط خط الاتصال من اسوان الى سواردة فاجتهد السردار وأركان حربه والأطباء في محاربتها حتى زالت في ١٠ اوغسطس وبلغت الوفيات في جميع نقط الجيش ٩١٩ منهم ١٤ عسكرياً و ٥ ضباط من الانكليز وفيهم البكباشي فنك بطل الاكمة المار ذكره في سواكن و ١٥٦ عسكرياً و ٤ ضباط من المصريين و ١٨٣ من « حريمات » المساكر السودانية و ٤٥٦ من أهل البلاد . ومنهم المرحوم يوسف شكور من مهندسي سكة

الحديد النجباء وابن اخي ملحم بك شكور ونسيب سليمان بك ناصيف .
توفي في فرقة في ٢٩ يوليو رحمه الله على الجميع .

تفشي الحمى التيفودية في الجيش : ولكن المصائب لا تأتي فرادى فإنه
قبل زوال الكوليرا تفشت في الجيش الحمى التيفودية وما زالت حتى اخذت
نصيبها منه .

الحر والزوابع والامطار : ومعلوم ان الفصل الذي قامت فيه الحملة
هو فصل الحر وقد اشتد علينا حتى بلغت درجة الحرارة ١٢٥° بمقياس فارنهایت
في الظل . ثم لم يبدأ شهر اوغسطس حتى بدأت الاعاصير والرياح والواقيح
فكانت كلما ثارت تقتلع الخيام وتثير الغبار وتغادر الجو مظلماً . وفي ٢٥
اوغسطس ثار اعصار شديد عند الغروب فاقتلع نصف خيام المعسكر ونسف
خيمة هندية كبيرة كنت اكتب فيها فسقطت عليّ ولكنني نجوت منها بمعونة
الله وخرجت فوجدت العاصفة قد أثار الغبار وهي لا تزال تهب بشدة
وعنف حتى كنت اذا وقفت ترميني الى الارض واذا جلست تلسف التراب
والحمى في وجهي وبقيت على هذه الحالة الشديدة نحو ساعة أذكرتني جيش
كبير الذي هلك في صحراء سيوه . ثم هطلت الامطار فكنت الرياح
وانقشع الغبار فذهبت الى خيمتي لأتقي المطر فوجدت الريح قد اقتلعتها
والمطر مبللاً فراثي وثيابي ولكنني وجدت كثيرين قد اصابوا بما اصاب
فقضينا ليلة شر الليالي .

وفي ٤ اوغسطس مدت سكة الحديد الى كوشة وأخذ الجيش ينقل عليها
المؤن والذخائر بكل اهتمام . وفي ١٥ منه وصلت اجزاء الوابور الجديد المسمى
الظافر الى كوشة فبناء القومندان كولفل من البحارة الملوكية في ايام معدودة
وأنزله الى الماء قصد تجريته فانفجر قزانه فتأخر في كوشة مدة .

وتأخر ارتفاع النيل هذه السنة عن ميعاده فلم يمكن الشروع في مرور
الوابورات فوق شلال حلغا قبل ٢ اوغسطس وقد تولى هذا العمل الشاق

اللواء هنتر باشا والقومندان روبرتصن من البحارة الملوكية وكان عدد الوابورات التي عبرت الشلالات سبعة : اربعة مدرجة وهي تمائي والمتمة وأبو طليح والتيب وثلاثة غير مدرجة وهي عكاشة ودال وخيبر وقد وصلت كوشة في ٢٣ اوغسطوس .

وفي هذا اليوم عاد النصارى رسول كنا ارسلناه في بدء الحملة الى دنقلة لاستطلاع اخبارها فقبض عليه اميرها وأرسله الى الخليفة في ام درمان فزجه في السجن الى ان كانت واقعة فركة فاستدعاه اليه وسأله هل سلاطين باشا في الحملة قال نعم فقال له « ان سلاطين كتب الينا كتاباً وهذا جوابه فسلمه لياه سراً » فحمله وأتى به الى سلاطين وهو غير مصدق انه نجى . وكان سلاطين عند وصوله الى مصر قد ارسل الى الخليفة كتاباً يخادعه به ليرفق بخدمة الذين تركهم وراءه وهذه صورته :

« اما بعد فمن عبد ربه عبد القادر سلاطين الى سيدي وسندي خليفة المهدي (عم) السيد عبد الله بن السيد محمد حفظه الله آمين تخبر سيادتكم اننا وصلنا الى مصر بعون الله سالمين وبعد وصولنا حصل لنا لطف من الله وان شاء الله عن قريب يحصل الشفاء وتتوجه الى بلادنا لمقابلة اهلنا واخواننا وأنا لا زلت اذكر فضلكم ومعروفكم أيام كنت في بابكم واذا بلكم عنا ما يكدر خاطرکم فأرجو ان لا تصدقوه وأنتم قد وهبكم الله سبحانه معرفة الباطن ومن ذلك تعلمون ان محبتنا لكم خالصة . نعم اني تركت بابكم بدون اجازة منكم ولكن هيبه سيدي خليفة المهدي منعتني عن طلب الاجازة والان ألوم نفسي على ذلك وأطلب منكم العفو وان شاء الله بعد رؤية الاهل والوطن نعود الى خدمة بابكم العالي وذلك عند وصول كتاب الأمان من سيدي خليفة المهدي . مصر في ٧ ابريل ١٨٩٥ هـ . وهذا جواب الخليفة عليه :

« وبعد فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق الى عبد القادر سلاطين . بعد السلام نعلمك ان الجواب المحرر

لنا منك بخطك بأنك ثابت على دين الاسلام وانك لا تخون العيش والملح قد وصلنا وهو الآن محفوظ بطرفنا وحيث انك على ذلك وقد حضرت الآن مع الكفار الذين انت معهم فاعمل المكيدة التي تمكن من انتهاز الفرصة فيهم وها هي الجيوش الاسلامية متوجهة اليهم وهذا ما لزم اعلامك به لتجري العمل بموجبه سراً والسلام في ٢٠ صفر سنة ١٣١٤ هـ ٤٥ ا هـ ٣١ يوليو سنة ١٨٩٦ .

وعند وصول الواورات الى كوشة أي في ٢٣ اوغسطس أمر السردار حامية سواردة فتقدمت الى ابي صاري وشرع في ترحيل الجيش اليها بطريق العقبة فخرج اللواء الاول من كوشة في ٢٧ اوغسطس وتبعه اللواء الثاني على الاثر . وفي مساء هذا اليوم جاءت الأنباء بهطول امطار غزيرة شمالي عكاشة أفاضت الخيران وأخرت ٢٠ ميلاً من سكة الحديد بين المرات وسرس فأمر السردار جميع من توفر لديه من العساكر وقد زادوا على ٥٠٠٠ فأصلحوا الخط بمزيد الهمة وما كادوا يتمونه حتى هطلت الأمطار ثانية وخرت محطة عكاشة وثمانية اميال من الخط بقرها فخفف العساكر اليها فانصبوا على العمل فيها ليلاً ونهاراً حتى أتموها في ٣ سبتمبر . فاستأنف السردار ترحيل العساكر جنوباً وأرسل اللوامين الثالث والرابع في عقبة أبي صاري في ٥ سبتمبر وأتى بالاورطة الانكليزية من حلفا بسكة الحديد وأرسلها في الواورات في ١٢ منه وسار ورامها في النيل فاجتمع الجيش كله والواورات في دلقو في صباح ١٣ سبتمبر . وعند العصر سار السردار بالجيش المصري برأ وسارت العساكر الانكليزية بالواورات لمقابله حتى وصل الى ابي فاطمة جنوبي شلال حنك مساء ١٨ سبتمبر . وقد عبرت الواورات شلال حنك سالمة إلا واپور خيبر فانه ترك شمالي الشلال واپور التيب فانه ارتطم بصخرة جنوبي الشلال ففر عليها وتغذر اخراجه منها فترك مؤقتاً .

هذا وكان ود بشارة لما علم بخروجنا من كوشة خرج بجميع جيشه الى الحفير تجاه الكرمة فأقام فيها ٣ طوابي على النيل جعل في كل منها مدفعين ووصلها بخندق حصين بنى من ترابه مئزراً فتح فيه المزاغل وجعل فيه رجاله

المسلحين بالبندق وكافوا نحو ١٨٠٠ ونزل هو وباقي جيشه بعيداً عن مرمى الرصاص وراهم . وكان قد بنى استحكاماً في الكرمة وعزم على مقاومة الجيش فيها وفي الحفير معاً ولكن امرأه ألحوا عليه فأخلى الكرمة وأتى بالعاكر التي كانت فيها الى الحفير وذلك في مساء ١٨ سبتمبر أي عند وصولنا ابا فاطمة فاجتمع عنده في الحفير من الجيش ما يأتي :

القبايل	الامراء	القرابة	الجهادية	المهجانة	الفرسان
الملازمون (او الحرس الخاص)	محمد بشارة		١٦٠	١٣٠	١١٠
الجهادية السود	عبد الباقي عبد الوكيل (وثلاثة غيره من التعايشة)		١٥٣٢	٨٦	١٠٥
التعايشة	احمد محمد منجي	٦٠٠	٦٠	١٥	١٧٠
الحر	حامد رقيعات	٥٦٥		٢	١٥٠
الهبانية	مسعود قيديم	٤١٠	٣٠	٥	٥٠
دغيم	سليمان جمعه	٤٥٩		٦	٦٠
الجميلين	الحسن النجومى	١١٠٨	٢٠	١٥	٣٠
الدناقلة	عثمان ازرق	٣٣٢	٢٥	٤	١٢
	بمجموعهم	٣٤٧٤	١٨٢٧	٢٦٣	٦٨٧

واقعة الحفير في ١٩ سبتمبر سنة ١٨٩٦ :

الوابورات الحربية : وفي فجر ١٩ سبتمبر سار الجيش كله براً وسارت الوابورات مقابله في النيل وفي كل منها نفر من العساكر الى ان وصل الكرمة الساعة ٦ صباحاً فوقف تجاه الحفير . وأما الوابورات فقد صدر لها الأمر

باستطراد السير الى دنقلة وضرب الحفير عند مرورها بها . وندبت من قلم
 المخبرات لمرافقة الشريف الكبين كولفل قومندان العمارة فصحبته في وابور
 « طماي » الذي سار في مقدمة الواپورات . وما زلنا سائرين حتى صرنا على
 بعد مرمى القنابل من الحفير فلاحنا لنا خيمة ود بشارة في وسط معسكره
 وراء غابة من النخيل فصدر أمر القومندان فصبوت القنابل عليها وقد علمنا
 بعد ذلك ان اول قنبلة اصابنا ود بشارة وهو يقرأ كتاباً من الخليفة جاءه
 في تلك الساعة فجرحته وقتلت عبداً له وكانت الساعة السابعة فاضطرر أن
 يتقهقر الى التلال البعيدة فراراً من القنابل . وأمر السردار طويحيمة الجيش
 فالتحذوا مكاناً عاليّاً في الكرمة وشاركوا الواپورات في رمي الحفير بالقنابل
 ولم يلبث العدو ان اطلق علينا مدافعه فتقدمنا نحوه ونحن نرميه بالقنابل حتى
 ظهرت طوابيعهم للعين المجردة فسدنا مرامينا فهدمنا الطابية الاولى وصوبنا
 القنابل نحو الثانية والثالثة ومازلنا نتقدم حتى صرنا على ٥٠٠ يرد من الشاطئ
 ففتح اهل الخندق بنادقهم وصلونا ناراً حامية فأصيب سليم افندي شقيره
 مترجم الواپور برصاصتين احدهما في كتفه اليمنى والاخرى في جنبه فجرح
 جراحاً خفيفة . وأصابنا رصاصة رسغ الكبين كولفل فجرحتها جرحاً شديداً
 دامياً فالح عليه الطبيب في الدخول الى غرفته لضمد الجرح في الحال فأمر
 الواپورات اذ ذاك بالتقهقر عن مرمى الرصاص وعاد بالواپور الى البر الشرقي
 ليضمدا جرحه ولكنه أبقى الواپورات الاخرى تجاه الحفير ترميها بالقنابل .
 وعند وصوله الى البر ذهب الكبين ده روجان قومندان الطويحيية في الواپور
 فأخبر السردار بما كان فتكدر لجرح الكبين كولفل وأمر بإخراجه الى البر
 لمعالجته وعهد بقومندانة الواپورات الى الكبين ده روجان وأمره بالعبور بها
 الى دنقلة تحت كل خطر فرجع ومعه اللورد اثلني الذي ابلغ الكبين كولفل
 أوامر السردار فطار صوابه وكان حكيماً شاملي الجيش قد جاء لينزله الى البر
 فأخذ يتوسل اليه بالحاح ان يسمح له بالبقاء في الواپور ويخبر السردار ان
 جرحه لا يمنعه عن اتمام وظيفته فسمح له بالبقاء في الواپور بعد تردد كثير وما

نزل الحكيمباشي حتى غاب الكبتن كولف، عن صوابه من شدة ألم الجرح فأقطع الواور الساعة ٩ ١/٢ يقوده الكبتن دهروجان وأهاب بالواورين أبي طليح والتمتة ان يتبعاه الى دنقلة فتبعاه ولما رأنا الاعداء مقبلين قاصدين المرور امطرونا وابلا هطالا من الرصاص والقنابل فرددنا نارهم بأحر منها حتى اغرقنا وابورهم الطاهرة . وكان معنا الملازم الباسل حسن افندي توفيق نجل بدر بك الحكيم ومعه ٣٠ رجلا من الابدلة السابعة فاستل سيفه ووقف في رجاله يحشمهم على مواصلة اطلاق الرصاص ويدلهم على مواقف العدو يحنان ثابت وعزم راسخ . وما زلنا نصادم تيار النيل ونواصل العدو برصاص البنادق وقنابل المدافع وطويحية الجيش تساعدنا من البر الشرقي حتى اجتئنا الحفير آمنين وذلك الساعة عشرة وربع وقد أصابت قنابلهم وابوراتنا الثلاثة لكنها لم تضر بها ضرراً يذكر وجرح بعض العساكر والبحارة . وكان مرورنا بالحفير تحت قنابل العدو ورصاصة مخاطرة شديدة لكن السردار رأى انه لا بد من هذه المخاطرة لأنه اراد ان يزحزح الدراويش من الحفير ويمبر اليها بالجيش فيهاجمهم في ديمهم وقد فاز بتدبيره هذا كل الفوز فان الدراويش لما رأوا ان الواورات تجاوزت الحفير قلقوا أشد القلق على ديمهم وعيالهم التي تركوها فيه وكان مدير الخابرات قد ارسل اليهم رسلا من اهل البلاد فأشاعوا ان الجيش لاحق بالواورات في البر الشرقي ليمبر بها الى دنقلة ويستولي على الديم وانه لم يبق الا الطويحية لمشاغلتهن فازداد قلقهم وما ارخى الليل سدوله حتى اخلوا الحفير وأسرعوا الى ديمهم في دنقلة فوصلوه في صباح ٢٠ سبتمبر .

عبور الجيش الى الحفير : وفي فجر هذا اليوم شرع السردار في العبور الى الحفير يحميهم الجيش وكان مؤلفاً من ١٢٦٩٣ رجلاً و ١٣١٢ جواداً و ٣٧١ بنلاً و ١٤٤٣ جملاً و ٦٤ حماراً و ٢٢ مدفعاً ولم يكن عنده سوى واورين وبعض المراكب التي غنموها في الحفير فعبزوا جميعاً في ٣٠ ساعة .

عود الى الواورات الحربية : هذا ما كان من الجيش والدراويش أما

نحن في الواورات فانتا بعد ان تجاوزنا الحفير واصلنا السير حتى صرنا نجاه
ديم الدراويش وكانت الشمس قد غابت فبقنا في البر الشرقي قبالة . والديم
المذكور من بناء النجومي طوله نحو ٣ أميال وعرضه نصف ميل وهو على ٣
اميال شمالي مركز الاوردي وعلى نحو ميل من النيل ولكنه قائم على ترعة
قديمة تجري من جنوبي مركز الاوردي وتصب عند مسجد الحجر شمالي الديم .
أما مركز دنقلة الاوردي فقد هدمه الدراويش عند دخولهم البلاد وبنوا
بأخشابه ديمهم إلا مركز المديرية فقد جعلوه شونة للغلل والتمر .

وفي فجر ٢٠ سبتمبر خرجنا من ميقتنا وقصدنا الشونة فوجدناها خالية
وإذ لم يكن لنا اذن في النزول الى البر انقلبنا راجعين الى حيث كان السردار
فوجدناه لم يزل مهتماً لتعدية الجيش الى الحفير وكان وصولنا اليه الساعة ٤ بعد
الظهر فأخبرناه بما كان فامر الكبتن كولفل بالبقاء في الحفير للراحة وأمر
المستر بيتي قومندان ابي طليح بالرجوع الى الديم في فجر الغد لمراقبة العدو
بعد تقهقره اليه وندبني للذهاب معه . . وفي فجر ٢١ سبتمبر سرنا حتى قربنا
من ديم الدراويش وكانت الأهلون يستقبلوننا في الذهاب والاياب وعن اليمين
والشمال بالتأهيل والترحيب والزراغيت فسألناهم عن الدراويش فقالوا ان ود
بشارة حال وصوله امس الاحد من الحفير ارسل ٣٠٠ رجل بثلاثة مدافع إلى
الشونة لمصادمة الواورات فجعلوا مدفعين في طابية قديمة شمالي الشونة والمدفع
الثالث في غرفة جنوبيها وكان بين الطابية القديمة والشونة حائط حصين قديم
فتحت فيه المزاغل فاحتله بعض الجهادية ثم حفروا بين الشونة والمدفع الثالث
خندقاً وبنوا من ترابه متراًساً كما فعلوا في الحفير فاحتله باقي الجهادية وترىصوا
للواورات . فتقدمنا الى الشونة لتحقيق الخبر وابتدناهم بقنبلة من أقوى
مدافعنا فأجابنا العدو على الفور من الطابيتين وانتشب القتال بإطلاق القنابل
من الجانبين لكن قنابلهم كلها أخطأت المرمى إلا انهم رموا قنبلة من قنابل
شرنبل فتفرقت في الجو فوق وابور ابي طليح ولكنها لم تلحق به ضرراً
يذكر . وأصابني اذ ذاك شظية من كبسول مدفعنا عند اطلاقه فجرحتني في

وجهي جرحاً خفيفاً فظن انها من قبلة العدو . وبعد ان رمينا الشونة بسبعين قبلة رجعنا عنها الى الديم فرميناه بالقنابل الى قرب غروب الشمس فجتنا الى جزيرة ارقو . وأرسلنا منها اخبار يومنا الى مدير المخابرات . وبتنا فيها الى الصباح . . وفي فجر اليوم التالي (٢٢ سبتمبر) رجعنا الى الشونة فناجزناها نحو نصف ساعة وعدنا الى الديم نستطلع اخباره فما كدنا نصل اليه حتى جاءنا الوابوران الحربيان يقودهما الكبتن كولفل وقد أتى ليتحقق بنفسه خبر الشونة التي بعثنا به امس فندبني اليه . وسار حتى أتى الشونة الظهر فرماها بالقنابل فأجابته واشتد القتال ساعتين ثم انقلبنا راجعين الى الجيش وكان قد خرج من الحفير في ظهر ٢١ سبتمبر وأتى الزورة على ٦ أميال من ديم الدراويش صباح ٢٢ منه . وكنا نحن عنده بعد ظهر هذا اليوم فرأيناه يستعد للهجوم على ديم دنقلة فأخذ الكبتن كولفل يعد عمارته ايضاً للهجوم وكان الظاهر قد أصلح قزانه (مرجله) فوصل الزورة بعد الغروب وانضم الى الوابورات الثلاثة المدرعة .

احتلال دنقلة في ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٩٦ :

ولما كان فجر ٢٣ سبتمبر سار الجيش كله برأ لمهاجمة دنقلة وسارت الوابورات في النيل فسار طهاي في مقدمتها وتبعه الظافر ثم الوابورات الاربعة الاخرى وكنا نتقدم الجيش قليلاً حتى كان الوابور الاخير مقابلاً لمقدمته . ولما كانت الساعة السابعة صباحاً أشرقنا على ديم الدراويش فرأيناهم قد اجتمعوا كلهم في شماله وراء خط النار الذي سبق ذكره فأمر الكبتن كولفل فأطلقت الوابورات الحربية مدافعها عليهم فسقطت القنابل في وسطهم ففرقتهم وقتلت منهم وقد رأيناهم مهرولين غرباً وجنوباً حتى أبعدوا عن مرمى القنابل . ثم أرسلت الوابورات قنابلها الى الديم فصرنا نرى الناس يخرجون منه أفواجاً مسرعين الى جهة الجنوب وكنا نشاهد الجيش كله سائراً نحو الديم ومستعداً للهجوم في نظام بديع جداً :

ولما كانت الساعة ٨ والدقيقة ١٥ رأينا فارساً مقبلاً نحونا من بعيد ومعه بعض الأتباع فوقفنا ننتظره حتى اقترب منا وصاح الامان الامان فقلنا له عليك الامان فترجل ودخل الوابور فسألته عن اسمه فقال الامير حسن النجمي وكان متقلداً سيفه وحاملاً بيده حربة فرحبت به وأخذت منه الحربة وأتيت به الى الكبين كوفل قومندان العمارة وعرفته به فأخذ السيف بين يديه وقدمه له وقال ارجو الامان فقال له القومندان عليك الامان فصاراءك من الاخبار قال : رجعنا من الحفير مساء ١٩ الجاري على نية الحرب فأرسلنا بعض الجهادية والمدافع الى الشونة لمقاومة الوابورات وأمرنا باقي الجهادية فحفروا خندقاً طويلاً شمالي الديم وترسوا به وبنوا طوابي أيضاً للمدافع الاربعة وبقينا في الديم الى ان عاد الكشافة امس الصبح فأخبرونا بقدوم الجيش الى الزورة وانه في عدد عظيم فخرجنا كلنا ووقفنا كل امير مع رجاله صفاً واحداً وراء خط النار وفي نصف الليل عقدنا نحن الامراء مجلساً دعونا اليه ود بشارة وقلنا له يا سيدنا اذا بأمر احد الناس تجارة ثم تحقق انه خاسر لا محالة أفلا يحجم عنها قال بلى فقلنا له اذا كان هذا شأن الانسان والاتجار في المال فما قولك به والاتجار في الارواح فأنت تعلم ان جيشنا كله من فرسان ومشاة نحو ٦٢٠٠ رجل وجيش المصريين ينيف على ١٥٠٠٠ رجل ثم ان عدد بنادقنا ١٨٠٠ وأمامهم فكل رجل منهم مسلح ببندقية فضلاً عن ان بنادقنا من نوع رمتون وبنادقهم مارتين هنري وعندنا من المدافع ٧ وأما مدافعهم فتعد بالعشرات ولهم جيش في البر وعمارة في البحر أفلا تظن ان قتالنا ايام تجارة خاسرة يجب الافلاع عنها . نعم اننا اذا ثبتنا أمامهم نحملهم خسائر جمة ولكن هل يمكننا الثبات الى النهاية حتى نظفر بهم ونردمهم الى مصر اذا فالرأي عندنا ان نأخذ عيالنا وننتهقهم بهم الى الدبة ومن هناك نطلب النجدة من ام درمان . قال ود بشارة عندي الموت خير من عار القهقري ورأيت ان تثبت ونقاتلهم هنا حتى نظفر او نموت مشرفين . قلنا ليس من الحكمة ان يلقي الانسان بنفسه الى التهلكة ومازلنا به حتى أقتنأه بترك

الحرب وانصرفت الجلسة الساعة الاولى بعد نصف الليل وقبيل الفجر جئنا نحن الامراء وود بشاره فأخبرنا العائلات في الديم بالاستعداد للرحيل . وما طلع الفجر حتى جاء فارس من الكشافة وقال ان الجيش مقبل نحونا في البر والبحر بعدد الرمل والانصار على خط النار ينتظرون الامر فركب ود بشاره جواده وهم بالمسير لمقاتلة الجيش فأخذنا بعنان الجواد وأزلناه عنه وأركبناه حاراً وقتلنا له قد أجمعنا ان لا نلقي بأنفسنا في المهالك قال ابن تذهب ثم أوعزنا الى الجيش بترك الحزب والتقهقر جنوباً وصعدنا الى التلة فننظر قدومهم واذا بالابورات مقبلة وقنابلها تعبت بهم فانهمزوا جنوباً ورد بشاره في مقدمتهم وأما انا فانتهزت هذه الفرصة التي طالما تمنيتها فخضت بجوادي الترة وجئت اليكم لأن أنفسنا سئمت حكم البقارة وقد ارسلكم الله رحمة لنا . ثم سألتناه عن الشونة فقال ان ود بشاره لما أوعز الى الجيش بترك الحرب أمر ايضاً بترك الشونة فاذا ذهبتم اليها لم تجدوا مقاوماً . فلخص الكبش كولفل هذه الاقوال وأرسلها مع رسول خاص الى السردار الذي كان لم يزل زاحفاً يبيش على الديم وأسرعنا الى الشونة فوجدنا جماعة من الناس قد رفعوا راية بيضاء وأتوا لاستقبالنا فنزلنا الى البر فأمناهم وعلنا انهم وكلاء الشونة وعملها وكبيرهم عبد الدائم بدر من أهالي اسنا . ثم دخلنا الشونة فاذا هي مملأة بالذرة والقمح والشعير والتمر ووجدنا الدراويش قد تركوا المدافع وقروا هاربين . وفي الساعة العاشرة صباحاً رفعنا الراية الخديوية على مركز المديرية وأرسلنا الخبر الى السردار .

أما السردار فظل زاحفاً بالجيش حتى صار على مرمى القنابل من خط نار الدراويش فجرى بينهم وبين مقدمة الجيش اطلاق القنابل والرصاص على التبادل وذلك قبل ان بلغهم أمر ود بشاره بالتقهقر فلما جاءهم الامر المذكور تركوا المدافع الاربعة وقروا هاربين واستولى السردار على الديم .

الاسرى والغنائم : وكان قد تخلف فيه بعض موظفي الفتح الاول

وفيهام حامد البدوي كاتب ود بشاره وحده بساطي ابن بساطي بك الشهير فلما له وجمعت الامرى في ماء هذا اليوم قبلت ٢٠٠٠ نفس وصاروا يزيدون كل يوم حتى بلغوا ٣٠٠٠ نفس . وجمعت الغنائم فكان منها شيء كثير من الاسلحة والخبز والخيل والجمال والحيث والمواشي . وكان في جملة الغنائم طبلة غريبة الشكل ليونس الدكيم صنعت من جذع شجرة ضخمة على هيئة ثور ذي قرنين وذنب وأربع أرجل ثم شقت من الوسط وجوفت وجلدت الشق على مثال طبلات الفراتيت المسماة قدو قدو . ومن الغنائم ايضاً سيف مكتوب عليه باللاتينية ما محصله : لا تسليني إلا مضطراً ولا تقمديني إلا مشرفاً ، وهو في الأرجح من سيوف الصليبيين . وجمعت دفاتر بيت المال وأوراقه فمالت ٣ صناديق كبيرة فاستخرجت منها فوائد شتى عن محصولات البلاد الزراعية وضرائبها مدة حكم الدراويش لها .

مطاردة السوارى للدراويش : هذا وكان التردار بعد ان دخل الديم قد ارسل السوارى والهجانة في أثر الدراويش المنهزمين فطاردهم الى حلة الشيخ شريف فقتلوا منهم وسبوا وغنموا . ثم جاء الثونة ومعه الميرالاي ونجبت بك مدير الخبايا فشكر للقومندان كوفل رسائله وحسن تدبيره وأوعز اليه ان يكف عن الحركة رفقا بمرحله .

احتلال الدبة في ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٩٦ : ثم أمر القومندان روبرتصن ان يطارد الدراويش في النيل فيرسل من جاءه مسلحاً ويحمي الاهالي من تعدياتهم ويسرع الى الدبة فيحتلها قبل وصولهم اليها فأخذ وابوري المنتمة وأبا طليح وسار جنوباً الساعة ١١ ونصف صباحاً . وكان قد صدر لي الامر فسرت معه . وكان الدراويش المنهزمون قد تسابقوا في الفرار فانقسموا جماعات يتلو بعضها بعضاً في سلسلة متقطعة طويلة لا يدري اولها ابن آخرها والسابق السابق منها الجواد وقد ابعدها عن النيل فراراً من الواورات ولكن

كانوا كلما عطشت جماعة منهم نزلت الى النيل فشربت وسقت رواحلها ثم عادت الى طريق الصحراء . وقد لقينا بعض الجماعات في طريقنا فأمنام وأمرناهم بالرجوع الى دنقلة . وفي صباح ٢٤ سبتمبر وصلنا دنقلة المعجوز فبلغنا ان في جزيرة حثور اميراً من اقارب ود بشاره يدعى عبد الرحمن معه ٦ رجال مسلحين بالبنادق يجمعون الضرائب فأتينا الجزيرة وأرسلنا في طلبهم ولما لم يأتوا تهددنا اهل الجزيرة فلم يلبثوا ان أتوا بهم واستطردنا السير الى الدبة فوصلناها ظهر ذلك اليوم ورفعنا العلم المصري عليها . وكان ود بشاره قد ارسل مشايخ المحس وسكوت الى الدبة على نية ارسالهم الى ام درمان خوفاً من انضمامهم الى الجيش فلما رأونا اقبلوا علينا يرحبون بنا فسلناهم عن الدراويش المنهزمين فقالوا انه لم يبق منهم احد بعد ولكن كان في الدبة امير من التعايشة يدعى فضالي فلما رأى الواورات من بعيد فرّ بمن معه من الانصار فأرسلنا وابور أبي طليح بالخبز الى السردار ومكثنا في الدبة .

احتلال مروي في ٢٦ سبتمبر سنة ١٨٩٦ : وفي فجر ٢٥ سبتمبر حضر الكبتن دهوروجمان على وابور الظافر مأموراً من قبل السردار بأن يذهب الى مروي ويأخذني معه فانتقلت الى الظافر وسرنا حتى اتينا جزيرة قانتسي فأخبرونا ان فيها اميراً من التعايشة يدعى حامداً ومعه قاض يدعى محمد هاشمي لجمع الضرائب فأنزلنا بعض العساكر الى الجزيرة وأتينا بها الى الواور واستطردنا السير فوصلنا صنم (تجاه مروي) في فجر ٢٦ سبتمبر ورفعنا العلم المصري عليها . وكان فيها امير من التعايشة مع بعض الانصار فلما رأونا مقبلين من بعيد فروا هاربين .

وكان السردار قد ارسل تلغرافاً الى عبد العظيم بك في المرات ليوافي الواورات الى بلاد الشايقية ويحول دون المنهزمين من دنقلة فلما لم نره صعدنا في النيل الى كاسنجر عند اول الشلال الرابع فرأينا آثار نبتة في البرقل ونوري من بعيد ولم نر عبد العظيم بك فبعثنا اليه برسول يستعجله الى مروي وانقلبنا راجعين الى دنقلة .

وفي الطريق أخبرونا ان اول المنهزمين من جيش ود بشاره وصلوا كورتى وهم في أسوأ حالك من الجوع والعطش والعري وان بعضهم يترقبون ابتعاد الواپورات فيقشون صفاف النيل وينهبون البلاد المجاورة ثم يرجعون من حيث أتوا فأخذنا كلما لاح لنا جماعة منهم نرميهم بالقنابل لنرميهم ونكفي اهل القرى شرم .

جاء السردار الى مروى في ٣٠ سبتمبر : وما زلنا سائرين حتى قرينا من دنقلة فاذا بالسردار مقبل على الواپورين دال وطماي ومعه الميرالاي ونجت بك وسلاطين باشا وكانت الساعة الاولى بعد نصف الليل من صباح ٢٨ سبتمبر فأمر بانتقالي الى دال ورجوع الظافر الى دنقلة ثم استطرد السير الى الدبة فوصلها الساعة ٣ بعد الظهر ورأى ان ساقه الدراویش قد تجاوزتها فأرسل اليهم الأمان فلقى الرسل فتى من الهبانية ضالاً في الطريق وقد أنهكه التعب والجوع فأتوا به الى السردار فناولوه بيده فنجانا من الشاي . وبقي في الدبة الى الساعة ٢ من صباح ٢٩ سبتمبر ثم استطرد السير الى مروى فدخلها في صباح ٣٠ سبتمبر ورأى ان الدراویش ساروا بطريق بشر الغزالي الى بربر فأرسل الى عبد العظيم رسولا آخر يستحثه على المجيء الى مروى وفي الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر انقلب راجعاً الى دنقلة فر بالدبة ولم يمكث إلا ريثما أصدر أوامره الى الواپور المقيم فيها وما سار إلا قليلا حتى اتاه ضابط برأ يحمل اليه تلغرافاً من حكومته بترقيته الى رتبة ماجور جنرال فأخذه ورجع الى حيث كان الجيش معسكراً في حلة الشيخ الشريف فوصلها الساعة ١١ في ١ أكتوبر .

تنظيم مديرية دنقلة : وفي ٢ منه خرج بأركان حربيه لانتقاء مركز جديد للمديرية فاختر النيل الى جزيرة ارقو فلم يجد محلاً افضل هواء وأحسن ميناء للوابورات في الصيف والشتاء من مركز الاوردي القديم فنقل الجيش اليه . وفي هذا اليوم أتاه تلغراف من الجناب العالي يهنئه بالفتح وينعم عليه

بالنيشان العثماني العالي من الطبقة الاولى فأجاب سموه شاكرًا وقال ان الفضل في هذا الفتح عائد الى همة جيش سموكم وثباته وحسن صفاته العسكرية . ثم وزع معظم الجيش المصري بين دنقلة والحدق والدبة وكورتى وصنم وشرع مع مدير قلم الخابرات في تنظيم حكومة البلاد ووضع القوانين والأوامر للحكام والمأمورين الى صباح ٨ أكتوبر فجعل اللواء هنتر باشا قومندانًا على الجيش وحاكمًا عسكريًا على دنقلة ورجع مع أركان حربه الى مصر وقد رجعت معهم فوصلناها في ١٣ أكتوبر سنة ١٨٩٦ .

وانحلت تجريدة دنقلة في ١٥ منه ورجعت الاورطة الانكليزية الى مصر . وقد امتاز في هذه التجريدة جماعة كثيرة من الضباط المصريين فمن رتبة قائمقام : محمد بك بكير من الطويحية وعبدالجواد بك برهان قومندان الاورطة الخامسة ومحمد بك بليغ قومندان الاورطة السادسة . وابراهيم بك فتحي قومندان الاورطة السابعة . ومحمد بك خلوصي قومندان الاورطة الثامنة . وسليم بك موصلى من القسم الطبي . ومن رتبة بكباشي احمد افندي زكي واسماعيل افندي همت وعبد السلام افندي زكي من أركان حرب . وحسين افندي شريف من السواري . ومحمد افندي مختار من الطويحية . وابراهيم افندي صبري من الاورطة الاولى . ومحمد افندي رفعت من الاورطة الخامسة . وعثمان افندي عفت من الاورطة السابعة . ومصطفى افندي فكري من الاورطة الثامنة . وابراهيم افندي زهني من الاورطة الخامسة عشر . واحد افندي فضلي من القسم الطبي . وامتاز ايضاً من القسم الطبي ولا سيما عند ظهور الكوليرا الصاغ حسين افندي طلعت ومحمد افندي عهدي . ورافق هذه التجريدة جماعة من الموظفين الملكيين فامتازوا في خدمتها وقاسوا فيها ما قاسى الجيش أهمهم : سليمان بك ناصيف من كبار موظفي السردارية وشاهين افندي جرجس . وطنوس افندي شحاده وسليم افندي شقره وكلهم من موظفي الخابرات ويوسف افندي حسب الله وعلي افندي وهبه وحسن افندي

حسين واسعد افندي حنا من موظفي مصالح الجيش. ورافقها الى حلفا ملحم بك شكور سكرتير عربي السردار ونجيب افندي شقره من موظفي المخابرات. وقد بالغ السردار في اقتصاد نفقات الحملة حتى كان الموظف حينئذ وهو في ساحة الحرب يتناول علاوة على مرتبه اقل جداً من الملاوة التي يتناولها الآن والسودان في مجبوحة السلم والامان .

الفصل السادس

في

استرجاع بربر

سنة ٧ : ١٨٩٨

لما رأت الحكومة انها لم تنقق على فتح دنقلة الا قليلا جداً من المال والرجال وان اهل السودان مستعدون لقبولها وليس فيه من يناوئها الا التعايشي واتباعه اقرت على استطراد الفتح واسترجاع سائر السودان . وكان السردار قد ابقى معظم الجيش في دنقلة كما مر فاستخدمه في اتمام مد سكة الحديد الى الكرمة ليتخلص من شلالات المحس وسكوت فأتمها في ٤ مايو سنة ١٨٩٧ . ثم شرع في مدها من حلفا الى ابي حمد للتخلص من شلالات المناصير واخذ ينتظر ارتفاع النيل لاستطراد الفتح .

استعداد الخليفة للدفاع : أما التعايشي فانه منذ سمع بواقعة فرقة خرج بأنصاره من ام درمان الى ظاهر المدينة وشرع في حشد الجيوش من جميع جهات السودان ظاناً ان الجيش المصري يسرع في استطراد السير فلما رآه مبطلاً قدومه رجع الى المدينة وأخذ يتقرب أبناء دنقلة الى ان أتاه الخبر بانهمزام

ود بشارة فظن ان السردار يتخذ خطة اللورد ولسلي فيقسم جيشه في كورتى الى قسمين فيرسل احدهما بطريق النيل الى ابى حمد وبربر والآخر بطريق الصحراء الى المتمة . وكان قد ارسل في طلب محمود وجيشه من دارفور فحضر في سنة ١٨٩٧ كما مر فأرسله الى المتمة ليصد جيش الصحراء . وعقد لآدم يحيى الحمري على ٤٠٠ جهادي و ٥٠٠ فارس وأرسله الى بلاد المناشير ليصد جيش النيل . وأوصى محمد الزين بالتيقظ في حراسة طريق كورسكو . وكان قد بعث في طلب احمد فضيل من القضارف وعثمان دقنة من ادارامة فجعلها في السبلوقة فبقيا فيها مدة ثم شاع ان التليان زاحفون على ام درمان من كسلا فأرجع احمد فضيل الى القضارف ليصدم وأمر عثمان دقنة فانضم الى محمود في المتمة .

واقعة المتمة في ١ يوليو سنة ١٨٩٧ : هذا وكان الخليفة لما علم بانهمزام ود بشارة من دنقلة استدعى اليه عبدالله ود سعد امير الجعليين وفرض عليه عدداً معلوماً من اهل يستنفرهم للجهاد وقدرأ معيناً من المؤنة يقدمها للجيش المنوي ارساله الى المتمة فنقل الطلب على عبد الله ود سعد وقد طالما أرمقه الخليفة من قبل فعقد النية على عصيانه ولكنه أظهر الطاعة وعاد الى المتمة فجمع كبار قومه وأمرهم اليهم ما نوى فمن وافقه ضمه الى جيشه ومن لم يوافقه استحلفه على كتم السر فاجتمع اليه نحو ٣٠٠ رجل من اهله الاذنين وأرسل في طلب المدد من جيش الحكومة في دنقلة . وكان له عدو من اهل يدعى احمد ود حمزة فوشى به الى الخليفة وكان محمود اذ ذاك في كرري وجيشه في طريق المتمة فأمره الخليفة ان يلحق بجيشه في الحال ويسحق عبد الله ود سعد قبل وصول المدد اليه من دنقلة فجد محمود السير حتى وصل المتمة بجميع جيشه في فجر ١ يوليو سنة ١٨٩٧ فأحاط بها من كل الجهات وابتدعها القتال بدون ان يدعوها الى التسليم . وكان عبد الله ود سعد قد تحصن في منازل المتمة الجنوبية وفتح فيها المزاغل فرأى انصاره انهم هالكون لا محالة فأشاروا عليه بالفرار الى دنقلة حتى اذا ما تقدم الجيش لمحاربة الخليفة عادوا معه فقال دعوني من الفرار وعاره

فاني كلما ذكرت حادثة الملك نمر وفراره من وجه الدفتردار ضاقت علي الارض بما رحبت وتغيت الموت فلنمت هنا او تحيا هنا وشرع في اطلاق النار فتبعه انصاره على الامر وصدوا غارة المهاجرين وقتلوا منهم. فلما رأى محمود ما أصاب رجاله امرهم بالهجوم على المنازل فدخلوها عنوة وقتلوا ود سعد وأنصاره عن بكرة أبيهم ثم انتشروا في البلدة يقتلون ويسبون ويعيثون حتى قتلوا من اهلها نحو ٢٠٠٠ نسمة وبلغ خمس السبي الذي أرسل الى الخليفة خاصة ٢٣٤ جارية و ٣٢ حرة . وأما خسارة محمود فكانت ٨٨ قتيل و ٣٣٠ جريحاً . وقد ارتكب رجاله في المتمة من المنكرات ما تقشعر لذكره الأبدان وأظهر نساء المتمة من الحصانة والعفاف ما يخلد لهن الذكر الجليل ما ذكر السودان حتى ان بعض ألقين بأنفسهن في النيل وفضلن الموت على حياة الفضيحة والعار. وبعد نهاية الواقعة امر الخليفة فجمع الجمعيون والشايقية من بلادي المتمة والزيداب فبلغ عدد الجمعيين ٢٣٠٥٦ نفساً والشايقية ١٢٢٦٦ نفساً وأرسلوا الى ام درمان فبقوا فيها حتى دخلها الجيش سنة ١٨٩٨ فأرجعهم الى بلادهم .

يحيى السردار الى مروي في ٨ يوليو سنة ١٨٩٧ : وكان السردار اذ ذاك في مصر يتهيأ للفتح وهو في انتظار ارتفاع النيل فخرج منها في ٨ يوليو سنة ١٨٩٧ يصحبه اركان حربه وأتى رأساً الى مروي فجعلها مركزاً له وأخذ يحشد الجيوش اليها .

وكانت الحكومة الانكليزية قد بعثت وفداً سياسياً بعد حملة دنقلة الى منليك ملك الحبشة برئاسة السير رنل رود من الوكالة البريطانية ومعه الميرالاي ونجحت بك والكونت كليخن واللورد ادورد سل المار ذكرهم وبلشنج بك من أطباء الجيش المصري وشاهين افندي جرجس من موظفي المخابرات فعادوا الى مصر قبل ذهاب السردار الى مروي فذهب الميرالاي ونجحت بك وشاهين افندي معه .

رجوع اني الخليل من السلامة : وكان أبو الخليل قد ضاق به العيش

في بلاد المناصير فرجع الى بلاد الرباطاب وتزل في كعب المزة وأرسل في طلب المؤونة من الزاكي امير بربر فبعث اليه بستة مراكب من الحبوب .

واقعة ابي حمد في ٧ اوغسطس سنة ١٨٩٧ :

فبقي محمد الزين وحده في صدد الجيش في ابي حمد ومعه من الانصار نحو ١٥٠ فازسا و ٢٥٠ جهاديا و ١٥٠ من عربان البقارة والكبابيش والفادنية و ٣٠٠ من الرباطاب والمناصير . وقد كتب الخليفة يحرضه على الثبات في رباطه ومحاربة الجيش إلا اذا أتاه بالوابورات فليتهقر الى بربر . قيل وجاءه كتاب من امرأته في ام درمان تستحثه على الثبات وتقول له ان نساء البقعة يقرعن ود بشارة في غنائن لانهما من دنقلة وينظمن في ذمه الأشعار فإياك والانهازم لأنني لا أطيق العيش معك بالذل والامانة فصمم محمد زين على القتال حتى يموت او ينتصر . ورأى السردار انه لا بد من طرده من ابي حمد ليتمكن من استئناف العمل في سكة حديد ابي حمد فجهز جيشاً مؤلفاً من بلوك من السواري وبطارية طوبجية واربع اورط بقيادة وهي الثالثة والتاسعة والعاشر والحادية عشرة وعقد لواءه هنتر باشا وأمره بمهاجمة محمد زين فسار من مروي في ٢٩ يوليو حتى بلغ تخوم ابي حمد في ٦ اوغسطس بعد سفر شاق . وكان السردار قد ارسل تلفرافا الى عبد العظيم بك في المرات ليوافي هنتر باشا الى ابي حمد فوافاه اليها ب ١٤٠ رجلا . وكان محمد زين قد ارسل ثلاثه لمراقبة حركات الجيش منذ قيامه من كاسنجر فعلم من انبائه انه لا يقوى على مهاجمة فحضر خندقاً شرقي البلدة وفتح المزاغل في المناسزل الشمالية والشرقية واستعد للدفاع .

وفي فجر اليوم التالي (٧ اوغسطس) أعد هنتر عساكره للهجوم وزحف بهم فلما صارت العساكر على ١٠٠ ياردة من الخندق أمر محمد زين رجاله في الخندق والمزاغل فأمطروهم عارضا هطالاً من الرصاص فرد العساكر نيرانهم بأشد منها وما زالوا مهاجمين غير مبالين بالموت حتى دخلوا البلدة وقتلوا كل

من وجدوه فيها بحراب البنادق. حكى لي ضابط شهد الواقعة قال ان بقارياً يدعى كراراً لما رأى العساكر منتشرين في البلدة نثر على عتبة بابه بعض الريالات ليشغل العساكر بها وتواري بالحائط وصار كلما جاء عسكري وهم بالتقاط الدرام يصرعه ويجره الى داخل المنزل حتى قتل سبعة منهم فدرى به احد ضباط الانكليز فأحاط منزله ببلك من العساكر فرمام بالرصاص فأتى بالمدافع ودك منزله عليه ثم بحث عنه بين الانقاض فوجده مقتولاً وامراته وأولاده مذبحون بجانبه . وقد رمى البعض بأنفسهم في النيل تخلصاً من نار الجيش فلاقوه فيه وحمل التيار بعض جثثهم الى حلقاً . وبلغ مجموع قتلى الدراويش في هذه الواقعة نحو ٥٠٠ رجل . وأما خسائر الجيش فكانت ٢٣ قتيلاً وفيهم القاتق سدي بك قومندان الاورطة العاشرة المار ذكره في الكلام على سواكن والبكباشي فتزكلارنس من ضباط الاورطة المذكورة وجرح ٦٣ رجلاً فيهم ٣ ضباط مصريون . وأسر الجيش محمد زين في منزله ومعه ٥٠ رجلاً وغنم مدفعاً وكثيراً من الاسلحة والذخائر .

مرور الواپورات فوق الشلال الرابع : وكان السردار قد بنى وابوري الناصر والقاتح المشار اليها قبل فضعها الى الظافر وطماي والمتمة ودال والتيب وأرسلها كلها الى فوق الشلال الرابع منذ ١٣ اوغسطس فوصلت ابا حمد في ٢٩ منه إلا التيب فانه غرق في شلال كعب العبد .

احتلال بربر في ٦ سبتمبر سنة ١٨٩٧ :

ومن ثم توجهت عناية السردار الى فتح بربر وكان فيها الزاكي عثمان البقاري اميراً وكان ابو الخليل لا يزال مقيماً في كعب المرة فلما علم بسقوط ابي حمد رجع الى بربر فدخلها في ١٦ اوغسطس وكتب الزاكي الى محمود يطلب منه النجدة فلما لم تأت خرج من بربر في ٢٤ اوغسطس وانضم اليه في شندي . وفي ٢٧ اغسطس بلغ هنتر باشا ان الزاكي ترك بربر فأرسل احمد بك خليفة (اخا عبد العظيم بك) بأربعين رجلاً من عربانه لتحقيق الخبر فوصل بربر في

٣١ منه فوجد الخبر صحيحاً فبعث برسول الى هنتر باشا فحضر بأربع وابورات ودخل بربر في ٦ سبتمبر فرفع العلم المصري عليها. ثم جاءها السردار في ١٠ اكتوبر ولم يكن يدري بذهاب عثمان دقنة من ادارامة فأرسل اليها هنتر باشا بالأورطة الحادية عشرة وبعض الملحقات العسكرية فوصلها في ٢٩ منه فوجدها خالية فعاد الى بربر في ٩ نوفمبر .

وجاء مشايخ الهدندوة الى السردار في بربر فقدموا له الطاعة ففتح الطريق الى سواكن . وجدّ المهمة في سكة حديد ابي حمد فأتتها في ٣١ اكتوبر سنة ١٨٩٧ . وبني طابية في الداخلة عند ملتقى الانبئة وجعلها مركزاً للوابورات وأخذ يستعد للحملة على محمود في التمة . وقد رأى ان الجيش المصري وحده لا يكفي لقمه فاستنصر دولته فأنجده بآلاي من العساكر فيه اربع اورط بقيادة الجنرال كاتيجر .

خروج محمود الى الانبئة : اما محمود فانه بعد قتل الجعليين أخرب التمة ونزل يبيشه في شماليها على نحو ٣ اميال منها وتحصن هناك متأهباً للدفاع فحفر خندقاً طويلاً على زاوية قائمة مع النيل جعل فيه البنداقه وبني طوابي على شاطئ النيل شرقاً وغرباً وجعل فيها عشرة مدافع لمقاومة الوابورات وبث العيون والارصاد بطريق الصحراء وطريق النيل لاستطلاع طلع الجيش . وكان من رأي الخليفة قبل واقعة ابي حمد ان يتقدم محمود يبيشه وينزل في بعض المضايق او الشلالات شمالي بربر ويتربص للجيش هناك وفيما هو يستعد لذلك جاءه الخبر بسقوط ابي حمد وفرار الزاكي من بربر واحتلال الجيش لها فكتب الى الخليفة في ذلك فأقر الرأي لخيراً على العبور الى الشرق والزحف على بربر . وفي ٢٠ فبراير سنة ١٨٩٨ تم عبور محمود بالجيش الى الشرق فبقي في أخذ الأهبة الى ١٠ مارس ثم زحف شمالاً فوصل العالياب في ١٥ منه وهناك حصل خلاف بينه وبين عثمان دقنة بالذهاب فأراد هو الزحف بطريق النيل ومهاجمة طابية الداخلة وأشار عثمان دقنة بالذهاب بطريق الصحراء الى الانبئة ومنها الى الداخلة لأن طريق النيل مكشوفة للوابورات ورفعها

الأمر الى الخليفة فصدق رأي عثمان فخرج محمود من العالياب في ١٨ مارس
فوصل الآتبرة في ٢٠ منه ونزل في مكان يدعى النخيلة على ٣٢ ميلا من الداخلة
ومعه من الجيوش عدا جيش عثمان ما يأتي :

الامراء	اولاد عرب	جهادية	رمنتون	بنادق	خيل	دروع
علي السنوسي	١٩٤٥	١٥١٣	٨٢٠	٥٤٤	٣٤١	٣٤
صلاح ابوه	١٤٢٢	١١٢١	٤٨١	٣٦٨	٣٢٦	٤٣
محمد علي	١٨٠٤	٢٢٠٦	٨٩٥	٥٩٣	٤٨٦	٤٧
عيسى زكريا	٤٩٠	٦٢٣	٢١٤	٢١٣	٨٢	١٦
البشاري ريده	١٥٨٦	٥٣٨	٣٤٢	٢٠٦	١٤٣	١٩
محمد فضل الله	٤٦١	٤٦٥	١٥٢	٢٥٨	١٤١	١٦
عبد القادر دليل	١٣١٤	٤٢٥	٢٠٨	٣٦١	١٧٩	١٦
الفضلي آدم	٤٤٣	١٤٧	١٠٢	١٥٨	٨١	٧
المطا اصول	١٢٨	٢٤١	٥٨	١٤٢	٤٧	٢
المجموع	٩٥٩٣	٧٢٧٩	٣٢٧٢	٢٨٤٣	١٨٢٦	٢٠٠
فضل الحنة	٣٨٣	٦٥٧	٦٧٢	٢٢	٩٦	٢
عبد الله حامد	٤٢٦	٣٣٤	٥٤٥	٦	٥٤	٢
محمد الزاكي عثمان	٦٦٢	٩٩٥	٧٦٧	١٢٩	٣٧١	٧
محمد ود بشاره	٢٧	٦٠	٥٨	٢	١٨	
المجموع	١١٠٩١	٩٣٢٥	٥٣١٤	٣٠٠٢	٢٣٦٥	٢١١

وكان عندهم من البنادق غير الرمنتون : ابو صرة وبيادة وابو روحين
واورشليك وخشخان . وكان مع الجهادية من الجبخانه لكل بندقية رمنتون
خمس دسات ولكل بندقية بيادة ست دسات ولكل بندقية ابي روحين
خمس دسات .

خروج السردار على محمود في الاتبرة : هذا وكان السردار يراقب حركات محمود ويرسل الوابورات في النيل الى المتمة فتناوش طواييه وتعود اليه باخباره وقد جاءت بخبر تحركه من المتمة فاستعد له حتى اذا تقدم شمالاً - شد جيوشه كلها في كنشور على ٦ اميال شمالي الداخلة . ثم لما علم بتجوله الى الاتبرة زحف الى رأس الهودي على ١٢ ميلاً من الداخلة فكان فيها في ٢٠ مارس اي يوم وصول محمود الى النخيلة ومكث يلتظر قدوم محمود ومعه جيش مؤلف من نحو ١٣٠٠٠ رجلاً .

اخذ شندي في ٢٦ مارس سنة ١٨٩٨ : هذا وكان محمود قد ترك في شندي عائلات الأمراء وعائلات الجعليين التي اسرها من المتمة وبلغ السردار ذلك فأرسل هكن بك بالاورطة الثالثة و ١٥٠ من الجعليين في ٣ وابورات حربية فأتى حوش بان النقا قرب شندي حيث كانت العائلات في ٢٦ مارس سنة ١٨٩٨ فقتل الحفراء وأنقذ ٦٥٠ نفساً من النساء والأولاد وأعادهم الى المتمة وغنم كيات وافرة من الجبوب والمواشي وهدم طوايي شندي وعاد الى الداخلة .

واقعة الاتبرة الجمعة في ٨ ابريل سنة ١٨٩٨ :

وظن السردار ان محموداً يهاجه فانتظره في رأس الهودي اياماً وظن محمود ايضاً ان السردار لم يخرج من النيل إلا بقصد مهاجمته فاتخذ خطة الدفاع وتحصن تحصناً قوياً في النخيلة فحفر خندقاً مستديراً في وسط أجبة وبني من ترابه متراساً فتح فيه المزاغل وأحاطه بزرية متينة من شوك فرسم مدبر المخابرات صورة الزرية للسردار كأنه يراها . فزحف السردار بالجيش من رأس الهودي في ٤ ابريل قاصداً النخيلة فنزل في رأس عدار على ٩ اميال من الهودي و ١١ ميلاً من النخيلة . وفي صباح ٥ ابريل أرسل هنتر ياتياً بالسواري والطويحية وبعض البيادة لاستكشاف زرية محمود والاحتياط على اخراجه منها فسار هنتر حتى اقترب جداً من الزرية ونصب

المدافع وأطلقها عليها فنفر فرسان الدراويش من جانبيها وحاولوا ان يكتنفوا هنتر فتقهقر برجاله رويداً وهو يطلق المدافع حتى خرج منهم ظافراً وعاد الى معسكره . ولما رأى السردار ان محموداً لا يخرج من زريبته أقرّ على مهاجمته فسار بالجيش في ٦ ابريل الى ام ضبيّع على نحو اربعة اميال من خور ابي عدار. فترك فيها الاسيائية والاتقال تخفيها نصف الاورطة الخامسة عشرة في زريبة قوية وسار في مساء ٧ ابريل بالجيش كله قاصداً محموداً في زريبته فوقف على ميل ونصف ميل منه فاستراح الى الساعة ١ بعد نصف الليل وكان الجيش من قبل يسير قلاعاً فصفه الآن صفوفاً للهجوم فجعل اللواء الانكليزي عن اليسار ولواء مكسول عن اليمين ولواء مكيدونلد في الوسط ولواء لويس مع الماء والحملة في الوراى يحمي ظهور الألوية الثلاثة . وتقدمت المدافع الجيش فكان منها ٢٤ مدفعاً وصاروخ بقيادة الكولونيل لونج في المينة و ١٢ مدفعاً من مدافع مكسيم موزعة على المينة والميسرة والقلب . وسارت الجيوش بهذا الترتيب والسردار واركان جريه بين اللوائين المهاجمين حتى صارت على ٦٠٠ يرد من الزريبة وبرزغت شمس يوم الجمعة الواقع في ٨ ابريل سنة ١٨٩٨ وعلت درجتين فوق أفاق فصدر الامر للجيش بالوقوف لاجراء التدبير الاخير قبل الهجوم . فخطب قومندانات الاورط الحطبة الحماسية على جنودهم فقال الكولونيل مري قومندان اورطة السيفورث هيلندرس لجنوده . « لا بد ان تبتغ اخبار نصرنا مدينة لندن هذه الليلة » وخطب الجنرال جاتيكر بخطبة غراء قال فيها للجنود « اني على يقين انكم لا ترجعون حتى تخترقوا زريبة العدو وتطردوه الى الانهدة » . وفي الساعة السادسة وربع ابتدأ الطويحية عن اليمين بإطلاق القنابل فخرج فرسان الدراويش حينئذ من طرف الاجرة الاقصى عن اليسار فتلقتهم مدافع مكسيم وردتهم على أعقابهم خاسرين . وأطلق الدراويش مدافعهم ولكن أكثرها لم يطلق غير طلقة واحدة وأما البنادق فانهم صبروا على ناز المدافع نصف ساعة حتى اقترب الجيش منهم جداً فصلوه ناراً حامية . وما زالت المدافع ترمي بمقذوفاتها على الزريبة والجيش يتقدم

رويداً نحوها حتى كانت الساعة السابعة وربع فصدر الامر للمساكر بالهجوم فصدحت الموسيقى العسكرية بالنغمات الحماسية امام الجنود وهجموا كلهم من انكليز ومصريين هجمة الاسود وهم يطلقون البنادق غير مبالين بنيران العدو التي كانت تشويهم حتى وصلوا الزريبة فاخترقوها عنوة بجواب البنادق وقتلوا كل من وجدوه فيها وأجلوا الباقيين ووقع محمود اسيراً في يد الاورطة العاشرة بقيادة الباسل الميرالاي ناسون بك (اللواء ناسون باشا الآن وسكرتير ملكي السودان) قيسل وجدوه مخبئاً في حفرة وسط الزريبة. وأظهرت الجنود الانكليزية في هذه الواقعة البسالة المشهورة عنهم في مواقع القتال. وكان الكبتن فندلي من ضباط الكرون هيلندرس اول من اخترق الزريبة فأصابته رصاصة اخترقت صدره فخر صريعاً فقال لرجاله « تقدموا يا رجالي وخذوا بثأري ». وهو من الضباط البواسل الظرفاء الذين امتازوا في الحملة النيلية وكان قد تزوج قبل الواقعة ببضعة أشهر رحمة الله عليه. ولما خر الماجور ار كهرت صريعاً قال للذين حوله « سيروا ولا تبالوا » وكان هذا آخر ما فاه به. ولما وصل الجنرال جاتيكر قائد اللواء الانكليزي الزريبة كان معه الجندي كروس من الكرون هيلندرس فصوب درويش كبير الهامة حربته الى الجنرال وهم ان يرميه بها فابتدرة كروس المذكور بطعنة من حربة بندقيته أردته حتفه. وقال السردار لقومندان الكرون هيلندرس « يحق لك الافتخار بهذه الاورطة » فأجابه الكولونيل « نعم اني لمفتخر بها ». هذا ولم تكن بسالة الجنود المصرية والسودانية في الهجوم بأقل من بسالة الجنود الانكليزية فقد سار امامها قائدها العام هنتر باشا وسيفه بيده يلوحه في الهواء ويحرضهم على الهجوم فهجموا هجمة الاسود غير مبالين بنيران العدو وقد خسروا خسارة عظيمة في تلك الهجمة. وكان ختام الواقعة الساعة الثامنة ونصفاً. وبعدها جد لواء لويس بك والسواربي والمدافع الراكبة في أثر المنهزمين فقتلوا وأسروا. وانقسم المنهزمون قسمين فذهب بعضهم الى القضايف وبعضهم الى ام درمان وفيهم عثمان دقنة.

القتلى : وكانت خسارة الجيش في هذه الواقعة : من الجيش الانكليزي ٣ قتلى و ١٠ جرحى من الضباط و ٢٢ قتيلا و ٨٢ جريحاً من العساكر . ومن الجيش المصري ١١ قتيلا من الضباط منهم ٥ من الانكليز و ٥٧ قتيلا و ٣٦٥ جريحاً من العساكر . وقد كان رصاص الدراويش كعاده عالي المرمى حتى انه اخترق كثيراً من خوذ العساكر ولولا ذلك لكان فتكه بالجيش أشد وأعظم . وأما الدراويش فقد قتل منهم نحو ٣٠٠٠ رجل وفيهم من الأمراء : علي السنوسي والبشاري ريدو والعطا اصول وعبد القادر دليل وصلاح ابؤ وعبد الله حامد والشريف النقيب وكيل دقنة .

الفنائم والامرى : وأسر منهم عبداً محموداً نحو ٢٠٠٠ نفس وغنمت مدافعهم العشرة وشيء كثير من الاسلحة والذخائر والرايات والتفاير . وعاد السردار الى بربر قدخلها في ١٤ ابريل باحتفال شائق . وقد كان هذا الظفر أحسن تمهيد لفتح السودان .



الأمير محمود أسيراً

الفصل السابع

في

صفات الخليفة عبدالله و اخلاقه و حكومته و جيشه و اجمال حاله

صفات الخليفة و اخلاقه :

صفاته : كان التعايشي ربع القامة اسمر اللون أشيب الشعر عربي الملامح خفيف الشاربين خفيف اللحية مستديرها يهذب لحيته وشاربيه . على وجه آثار الجدري أفنى الأنف حسن الفم قصير الشفتين حتى تكاد اسنانه تظهر من خلالها فاذا تكلم برزت لامعة بيضاء كأنه يبتسم وبالاجمال فانه كان كثير الشبه بالمهدي بالقدر واللامع إلا أنه كان اقصر قليلا من المهدي وأقل سمرة وأضيق جبهة وأصفر لحية . وكانت ملاعته في اول ايامه تتخللها طلاقة وبهجة فأمست بعد تولية الخلافة وقد كساها انقباض تقبض منه النفس ويدل على ما انطوى عليه الرجل من الاستبداد والمكر والدهاء . وكان في اول امره نحيف الجسم شديد العضل فلما تولى الخلافة سمن كثيراً إلا أن سمنه لم يضعف نشاطه ولا همته .

لباسه : وكان لباسه كلباس المهدي أي الجبة المرقعة فوق سراويل من الدمور المعروف بالقنجة والعمة المفلجة فوق المكاوية مدلاة منها عذبة على كتفه

اليسرى ويلقي على كتفيه رداء بطرف حرير ازرق ويتمنطق بمرقعة حول خصره وكتفه اليسرى ويتلثم برداء من الشاش الرفيع فوق العمة بحيث لا يظهر من تحته إلا دائرة وجهه ويلبس في عنقه سبعة كبيرة وفي قدميه الخف الاصفر في الحذاء الاصفر فاذا جلس خلع الحذاء وأبقى الخف وتربع على عنقرب فوقه فروة من جلد الضأن وهي التي يصلي عليها . وكان مولعاً بالتطيب والنظافة فكانت رائحة الطيب تفوح من ثيابه على بعد خطوات . واذا مشى حمل بيساره سيفاً ويمينه حرباً قصيرة هذندوية ومشى وراءه بعض غلمانه الاحباش وغيرهم . وهو يعرج في مشيته عرجاً خفيفاً . وسبب عرجه انه وقع عن حصانه بعد فتوح الابيض فكسرت ساقه . وكان يركب جلاً او جواداً او حمراً او احدى العربات التي غنمها من الخرطوم . واذا ركب الجمل تقلد السيف على جنبه الايمن او وضع امامه على السرج واذا ركب الجواد لبس احياناً الدرع والخوذة وألبس جواده اللبوس .

نساؤه : وكان يحب النساء كسيده المهدي وقد بالغ مثله في الاكثار منهن فكان اربع منهن شرعيات والباقيات جوارى وأكثرهن من اللواتي اسرن في الحرب فهن في اعتباره منا ملكة يمينه وهن من كل أمة من أمم السودان والحبشة . وكان اذا اراد ان يتزوج بنتاً زواجاً شرعياً تتحنى عن احدى زوجاته الشرعيات وتزوج بها .

أما نساؤه الشرعيات اللواتي كن في عصمته عند وفاته فهن : زهرة التعايشية التي تزوجها في بلاده قبل التصاقه بالمهدي . ونفيسة بنت بابكر القاسمية . وأم كلثوم بنت المهدي . والسرة بنت وقيع الله الجعلية .

وأما سراريه فأشهرهن : مريم بنت ابراهيم . ومرحومة بنت زايد . والسرة بنت عبد الله . وخادم الله بنت عبد الهادي . وسعيدة بنت بيت الامان . وحفصة بنت عبد السلام وكلهن من المولدات . ومدينة بنت علي . وزمزم بنت حسن وهما حبشيتان . ونصرة بنت مدني . ورقيقة وكلاهما نوبيتان . ونخل الجنة بنت المبارك . وآمنة بنت كرم الله وهما جعليتان .



أولاد المهدي : الطاهر ونصر الدين وعلي وهم الجالوس
وأولاد الخليفة : عبدالصمد ويحيى وعمر وإبراهيم واسماعيل
وهم الواقفون والقاعدون القرفصاء

وفاطمة بنت الكرة تقلاوية . وآمنة بنت السيد حامد الحنافية . والتومة بنت راض الله المحسية . وزينب بنت نقيب المصرية . ومن مطلقاته فاطمة بنت احمد اغايسين دولابية دنقلاوية .

اولاده : وله من امرأته الاولى زهرة التعايشية ثلاثة اولاد وهم شيخ الدين ويحيى وخديجة أما شيخ الدين فهو بكر اولاده وقد رشحه للملك بعده وجعله رئيساً لملازميه كما مرّ وزوجه بابنة اخيه يعقوب وله من العمر ١٧ سنة واحتفل بزواجه احتفالاً عظيماً وبني له منزلاً واسعاً قرب منزله وعني بتربيته وأحضر له الفقهاء فعلموه القراءة والكتابة وقد رأيت في منزله كتابي « أمثال العوام » وقيل لي انه كان يحب مطالعته . ومن نفيسة بنت بابكر ثلاثة اولاد عمر وهو الذي أشار اليه بأنه عند بلوغه سن الرشد يكون اميراً على أخواله العباسيين وسليمان والفاضل . ومن أم كلثوم بنت المهدي اربعة اولاد محمد الطاهر ومحمد السيد والطاهرة . ومن السرة بنت وقيع الله بنت تسمى زهرة . ومن مريم بنت ابراهيم ثلاثة اولاد داود وحليمة وحوا . ومن خادم الله بنت عبدالهادي ولدان حسن ونور الشام . ومن سعيده بنت بيت الامان بنت تدعى نفيسة . ومن حفصة بنت عبد السلام ولد يدعى عبد السلام . ومن مدينة بنت علي ولد يدعى اسماعيل . ومن زمزم بنت حسن بنت تدعى رابحة . ومن نصرة بنت مدني ولد يدعى حمزه . ومن رقيقة النوباوية ولد يدعى عبد الصمد وهو « النجل المكرم » الذي تقدم لنا خبره . ومن نخسل الجنة بنت المبارك ولد يدعى عبد الحميد . ومن آمنة بنت كرم الله بنت تدعى مريم . ومن فاطمة بنت الكرة ولد يدعى عبد الرحيم . ومن آمنة بنت السيد حامد ولد يدعى عبد الله . ومن التومة بنت راض الله ولدان محمد الامين وأم نعيم . ومن زينب بنت نقيب بنت تدعى صافية . ومن مطلقته فاطمة بنت احمد اغا ولد يدعى عبد الرحمن القرشي الذي أشار اليه بأنه عند بلوغه سن الرشد يكون اميراً على أخواله الدناقلة .

وجملة من ذكرنا ٣٢ ولداً أي ٢١ ذكراً و ١١ انثى مات منهم شيخ الدين

في سجن رشيد سنة ١٩٠٠ من اثر جراح اصيب بها في واقعة جديد وله من العمر ٢٤ سنة والباقون احياء بين مصر وحلفا وام درمان ويختلفون في السن بين ٥ و ١٩. وقد مات له عدة اولاد وهم صغار فدفنهم في تربة خاصة داخل حوش منزله .

وكان عنده كثير من الحصيان لادارة حرمة وعليهم رئيس يدعى عبد القيوم .

اخوته : وأما اخوته فهم ثلاثة تقدم لنا ذكرهم وهم : يعقوب اخوه من أبيه الذي جعله وزيره ووكيل رايته ورئيس مجلس شوره وقد كان أطوع له من بنائه . وصفته مربوع القامة فاتح اللون خفيف اللحية بوجهه اثر الجدري يتمهل في الكلام واسع الصدر صبور بعيد الغور اذا صادفته صدقك واذا خاصمته خادعك وألان جانبه لك حتى تسنح له الفرصة فيفدر بك. والسنوسي احمد اخوه من أمه وقد جعله اميراً على الجبارات التعايشة . وهارون محمد اخوه من أبيه واهمه جارية .

أقرباؤه : وأما أقرباؤه الأخصاء فهم الأمراء محمود احمد وأخوه ابراهيم الخليل . وعبد الباقي عبد الوكيل . وأحمد فضيل . ويونس الدكيم وأخوه عثمان . والزايكي عثمان . وحامد علي واخوه احمد علي . ومساعد قيدوم . ومحمد بشارة وقد تقدم لنا ذكرهم . ويعقوب ابو زينب من أخصاء مجلس شوره وصالح حماد وامير الجزيرة . واب بام من امراء الملازمة . وقد كان من امنائه الاخصاء الحاج الزبير الجملي وهو المولج في تبليغ رسائله الى امرائه في ام درمان وفي كشف أسرار الاهلين والجمعات السرية .

معيشته اليومية : وقد استقصيت من أمنائه عن كيفية معيشته البيتية فقالوا : انه كان يقوم عند طلوع الفجر ويدخل الجامع فيصلي في الناس صلاة الصبح ثم يمكث في مصلاه قليلاً لسمع شيئاً من الراتب . ويرجع الى منزله فيخلع الجبة والسراويل ويلبس الشقة كما هي عادة اهل السودان في منازلهم . ويطلب الطعام فيأتونه بشيء من الزبدة البقرية واللبن البقري الحليب . ثم ينام

الى الضحى . وعند استيقاظه يطلب الطعام فيأتونه بعصيدة من الدخن وعليها ملاح الثقيلة او ام دقوقة وهو ملاح مركب من السمن والشرموط البقري والويكة مع الشطة والملح والبصل ثم يأتونه باللحم المنصص وهو عضو من خروف الضأن مشوي على النار . ثم يخرج الى مجلسه فيطلب الكتاب وينظر معهم في تحريراته ومراسلاته الى الضحى الاعلى . فيصرف الكتاب ويدخل الحريم فيستريح الى الظهر . ثم يدخل الجامع وبعد ان يصلي الظهر في محرابه يجلس تحت الرواكيب فيجتمع الامراء والأعيان والقضاة حوله حلقة واسعة ومن ورائهم الملازمية وكلهم جاؤون على ركبتهم منكسو الرؤوس وأيديهم مقبوضة على صدورهم او مبسطة على ركبتهم فيتفقد الغائب منهم ثم يشرع في اصدار الأحكام التي دبرها ليلاً . قال لي بعض الادباء الذي أوجده سوء الحظ في زمن التعايشي ان تلك الساعة كانت أشد الساعات علينا فانه فيها كان يسكب جام غضبه على من خرجوا عن حد اشارته او خالفوا رأيه او وشي بهم اليه فتراه 'يوبخ هذا ويأمر بسجن ذاك ونفي ذلك وقتل الآخر. ثم يدخل الى منزله فيطلب الطعام فيحضرون له الكسرة والطبخ فيدعو اليه بعض التعايشة والقضاة فيأكلون معه وينصرفون الى العصر . فيرجع الى الجامع لصلاة العصر ثم يعود الى منزله . وكان في غالب الأيام يولم وليمة عامة بعد العصر لجيشه كله فيقدم لهم طعام الكسرة وعليها اللحم المشوي من الضأن او البقر يضعه في قدح كبير يسع اردب غلة وهو قدح ود زايد المشهور الذي غنمه منه سنة ١٨٨٦ كما مر وكان الجيش يأتي الى الطعام أفواجا حتى لقد تدمر الوليمة من صلاة العصر الى ما بعد صلاة الغروب . وبعد صلاة العصر يجلس قليلا لسماع شيء من الراتب ثم يخرج من الجامع فيذهب في الغالب الى مكان معد له في شرق القبة ليرى الملازمية وهم يقرأون الراتب وقد ينتظر الى تمام الراتب فيأمرهم بضرب البوري واجراء التمرينات العسكرية الى قبيل المغرب فيدخل منزله ويمجد وضوءه ثم يدخل الجامع فيصلي المغرب ويجلس في مصلاه للذاكرة والامر والنهي كالجلسة التي بعد الظهر ويرجع الى منزله فيطلب

العشاء فيؤتى بالكسرة والطبيخ كالظھر فيتعشى ويستريح الى وقت العشاء فيصلي العشاء في الجامع ويدخل منزله للنظر في الأمور الهامة مع اهل مشورته وكبار دولته كابنه عثمان شيخ الدين وأخيه يعقوب وقاضي الاسلام وشيخ السوق وأمين بيت المال وأمين بيت مال الخمس فينظر مع كل منهم في شؤون مصلحته ويدبر أمور المملكة على ما يقتضيه رأيه . كل ذلك وملازمو الباب جالسون بباب داره او في الجامع منتظرين اشارته ويمكثون كذلك حتى يغلق باب منزله ويتحققوا انصراف مجلسه فينصرفون . ثم يدعو رئيس خصيانه عبد القيوم وحده او يدعو محمد بشير وكيل الفي معه فينظر معها في نفقات منزله . ثم يدخل مخدعه ويدعو اليه من شاء من نسائه فينام الى قبيل الفجر اذ يقوم للصلاة وهكذا شأنه في كل يوم إلا اذا طرأت حوادث مزعجة فانه يطيل جلسته بعد صلاة العشاء مع اهل مشورته ويمتنع عن النساء .

آداب الدخول عليه: وكان اذا أراد احد الدخول عليه في مجلسه استأذنه أولاً ثم تجرد من سلاحه ودخل عليه وهو منكس الرأس قابض يديه على صدره حتى يكون على بضع خطوات منه فيقف ويقول السلام عليك يا خليفة المهدي « عم » فيجيبه وعليك السلام يا فلان ثم يشير اليه بالجلوس فيجلس جاثياً او يمد له يده فيهرول نحوه مطرقاً فيأخذ يده ويقبلها ظاهراً وباطناً وهو جاثٍ على ركبتيه والخليفة يرحب به ثم ينهض ويرجع القهقري الى حيث وقف أولاً فاذا أمره بالجلوس جلس في الارض جاثياً على ركبتيه واضعاً يديه عليها وانتظر حتى يأذن له الخليفة فيحدثه بما جاء لأجله وهو لا يرفع طرفه اليه حتى يتم كلامه فيأمره بالانصراف فينصرف راجعاً القهقري الى ان يتوارى عنه فيعود الى سلاحه . هذه هي آداب الدخول على الخليفة وهي سواء على الجميع من عامة وخاصة جهلاء وعلماء . وأما آداب مخاطبته في الكتب فكما رأيت في كتب امرائه اليه .

اخلاقه : كان التعايشي قبل اتصاله بمحمد احمد في مصاف الدجالين فتخلق بأخلاقهم مع الدهاء والمكر والتشيع للدين . فلما التصق بالمهدي تجلبت

فيه هذه الصفات وامتاز بالقسوة وسفك الدماء كما امتاز بالادارة والتدبير . ثم لما مات المهدي واستأثر بالملك كان أظهر صفاته الفيرة على ملكه . فكان اذا رأى او توم عدم الولاء من احد بطش به وقتله او نفاه او اذله وغنم ماله حتى انه ارنب اهل السودان كافة على ما بهم من الجرأة واحتقار الموت . ولم يكن احد منهم يحسر ان يخالف أمره او يتعدى اشارته . وكان يصنى الى التنمية ويرتاح الى الاطراء فما كان احد يحسر ان يكلمه إلا نعته بالحكمة والقوة والعدل . والويل لمن ينطق بكلمة تحط من قدره . وكان على قسوته سريع الغضب شديد النعمة فاذا سخط على احد صب عليه جام غضبه بقسوة بربرية ولم يرض عنه إلا اذا تذلل له وهيبات ان يرضى . ثم ان ما اوتيته من النصر المتوالي أورثه العجب والخيلاء والاعتداد بالنفس حتى كان يثق بنفسه وثوقاً عظيماً ويظن انه قادر على كل شيء لذلك كان أكره الناس اليه من أئاه بنصيحة . حكى لي محمد خدام كبير الحجر الذي وقع اسيراً في واقعة طوشي قال : ولما أراد الخليفة ان يرسل جيشاً لغزو مصر اخذ في جمع اهل الجزيرة الى ام درمان بأموالهم وعبائهم وأبعدهم عن مزارعهم فذهبت الى محله واستأذنته في الدخول عليه . فأذن لي فقلت له : يا سيدي ان الزراعة لمن أضر الأمور للأمة وفي اهلها خطر كبير على سلامة الرعية والجيش فأنت الآن قد جمعت اليك أهل الجزيرة وأبعدتهم عن زراعتهم ونحن نحتاج الى الطعام ولنا بلائكة فقدأ نطلب القوت فلا نجد فتموت جوعاً . قال محمد فانقبض وجه الخليفة وقال يا محمد خدام ألم يكن المهدي يطلب الناس للهجرة اليه بأموالهم وعبائهم ليكونوا من اهل الجنة وأنا جار على أثره ومقتف خطواته وأخاف اني اذا تركتهم ينسون الخالق فيسألني عنهم ولم يرض إلا القليل حتى اصدر لي أمراً بمرافقة النجومى لغزو مصر ليستريح مني ، اه . .

صلاته : وكان الخليفة يلزم الصلوات الخمس كل يوم في الجوامع ويفرض على أهل ام درمان ولا سيما الامراء حضور الصلوات معه وكان اذا تحلف عنها احد الامراء ولو مرة في اليوم لامه وعنفه . واذا منعه مانع كمرض او غيره

عن الخروج للصلاة أتاب عنه الخليفة علي ودخلوا أو احد قضائه ولكن لم يكن يجلس في المحراب احد غيره. ويجلس وراءه في الصف الاول القضاة وعن يمينهم بعض الملازمة ثم يعقوب اخوه وأخصاؤه وأمرأؤه وعن شمال القضاة بعض الملازمة ثم الخليفة علي ودخلوا ثم جماعة الخليفة شريف هذا في الصف الاول ومن ورائه باقي الملازمة صفوفاً وعن يمينهم رجال راية يعقوب صفوفاً. وعن يسارهم رجال راية الخليفة ودخلوا صفوفاً ومن وراء الجميع الجمعيون والدفاقلة وأهل البلد وفي آخر الجامع النساء وبينهم وبين الرجال فسحة رحبة. وكان يقف وراء الخليفة تماماً في صف القضاة سعد الدين الكتاني وهو المؤذن والمقيم والمبلغ. ويجلس علي مرحوم قاري الفواتح بين الملازمة وراء القضاة وعند انتهاء الصلاة يقرأ الفاتحة ثم يقول: اللهم انصر خليفة مهديك كما نصرت نبيك وأيده بالظفر على اعدائك اعداء الدين يا رب العالمين. ثم يكبرون وينصرفون. وكان الخليفة على جهله يتولى الخطابة في الجامع أي خطبة الجمعة والخطب المعتادة التي يراد بها الوعظ والقاء الأوامر فإذا اراد هذه الخطب افتتح خطبته بقوله: السلام عليكم يا اصحاب المهدي فيجيبونه عليك السلام يا خليفة المهدي ويشرع في الخطبة ثم يدعو لهم بالبركة والخير فيؤمنون على دعائه. وكان جهر الصوت قويته غزير المادة في الكلام غامياً النطق بقاري اللهجة إلا انه كان يحسن لهجته بتقليد اهل النيل. وقد كان في بادىء امره أمياً لا يحسن القراءة ثم تعلم مبادئ القراءة والكتابة على اخيه يعقوب بعد تولية الخلافة. ولكنه استخدم أمهر كتاب السودان علماً وأوفرهم عقلاً وأذكاهم فطنة وآخرهم الشيخ مدثر ابراهيم أمين ختمه والشيخ ابو القاسم احمد هاشم المار ذكرهما.

حضراته : وكان يدعي ان الحق سبحانه وتعالى يتجلى له ومعه النبي والخضر والمهدي فيوحون اليه ما أرادوه من الأمور العظيمة وأول حضراته الحضرة التي رواها لأنصاره في الجامع بعد فتح سنار وهذه صورتها بعد البسملة : « وبعد فمن ربه خليفة المهدي » عم الخليفة عبد الله بن محمد خليفة

الصديق إلى أحبائه وأعوانه على إقامة الدين . أحبائي ان في هذه الصفوف التي هي صفوف الصلاة أولياء وأتقياء وعلماء عاملين وفيها ايضاً من التائبين والمرضين . واني منذ انتقال المهدي «عم» الى الآن وأنا أفكر في تقديمي على هؤلاء الأخبار من المهاجرين والأنصار وفي كيفية ايصال التائبين الى الله وإرجلهم المرضين عنه اليه . ففي ضحوة الثلاثاء في ٢٨ القعدة سنة ١٣٠٢ (١٨ سبتمبر سنة ١٨٨٥) بينا أنا أفكر في ذلك اذ حصلت لي حضرة عظيمة بين البقطة والنام . وهي : انه حضر لي واحد من الجن وطلب البيعة فسألته عن اسمه فقال كان اسمي السابق ماثي لأنني كنت لا عقل لي وأما الآن وقد حضرت الاسلام فاسمي خاشي . ثم سألته عن قبيلته فقال المرضيون ويقال للواحد منا العارض دعينا بذلك لإعراضنا عن الحق . فقلت له قل آمنا بالله والرسول وآمنا بالامام المهدي وبك فقال ثم أعطيت البيعة . وسألته عن امم ابيه فأخبرني فلسيته لصعوبته ومخالفته لأسماء الانس . ثم سألته عن أمه فسكت فظننت ان لا أم له . ثم سألته عن بلده فقال بلدي من المحيط ثلاثون سنة وطلب الاذن في الذهاب الى اهل ليدهم الى حضور الصلاة هنا وملازمة الصف فأذنت له وذهب ... وبعد انصرافه حضر جن بكثرة طالبين البيعة ورافعين أصواتهم بلا إله إلا الله محمد رسول على صفة اهل البيعة وقائلين في شأن الله على هيئة الاصحاب وكان بعضهم لابسين الفراوي وبعضهم قصان بلا رقع فسألتهم عن عديم فقالوا الذين حضروا هنا ٧٠ ألفاً فسألتهم عن قبيلتهم فقالوا الشميون فظننت انهم من عباد الشمس فلقتهم البيعة ثم حضر نسأوم فبايعني ايضاً . ثم طلبوا الانضمام الى الاصحاب في الرايات فقلت الى أي راية تنضمون قالوا الى الراية الزرقاء مع يعقوب فأذنت لهم في ذلك . ثم طلبوا تعيين محل لهم بين الصفوف لملازمة الصلاة فقلت أي محل تختارون فاختاروا محل الاخوان الذين يتأخرون عن الصلاة فأذنت لهم في ذلك . ثم طلبوا محل يسكنونه في المدينة فخيرتهم فاختاروا الجبال التي بقرب المدينة ثم قدم لي واحد منهم بئته هدية فلم أقبلها ... ثم اضطجعت على المنقرب وأدخلت

أرسي يهدومي فحضر لي الحضر وصلى على فروقي ركعتين ... وبعد ان سلم قال لي ربك يقرئك السلام والملائكة يقرؤونك السلام والنبي ﷺ يقرئك السلام والمهدي «عم» يقرئك السلام ويقول لك بارك الله فيك فيما صنعت في الدين . ثم قال ان المهدي «عم» أخبرني بأن أخبرك لتبشر الاصحاب الذين لازموا الصفوف الثانية من اول نشأتها الى الآن هم مضمونون وكلما أمرت بحفر صف ولازم فيه الاخوان يلحق بهذه الصفوف ...

ثم سألت الحضر «عم» عن سبب انقطاعه عني منذ انتقل المهدي فقال اني كنت خافراً شعرة من شعر المهدي أمّن احمد سليمان عليها فحفظها ولكنه كان يكشفها احيانا وببكي عند رؤيتها وقد كشفها مرة في الخرطوم فخشيت ان يخطفها ربح او تقع في محل وسخ تضيع فيه فبعد ان بلغت ان انت امس استرحت وُسْرَتِي عني . وكانت هذه الشعرة أمانة لك عند أحمد سليمان فالآن ان رضي ببلعك إياها فله ثواب حفظ الامانة وان لم يرض فلا ثواب له . ثم قال الحضر «عم» ان القلب الذي تدخله هذه الشعرة يأمن النفاق . وقد كانت هذه الشعرة أيها الاخوان عند الحبيب احمد سليمان في ورقة حرصاً عليها وفي يوم الاثنين في ٢٧ القعدة وهو اليوم الذي بنى فيه هذا الحبيب التابوت أراد ان يكشف لنا الشعرة للتبرك بها فقبل ان يكشفها شمت رائحة عجيبة واول ما بدا لي رأس الشعرة حصل لي انشراح لا يعلم مقداره إلا الله فتناولتها بقصد شمها فأراد الله ادخالها في فمي وابتلمتها . فطلبها الحبيب احمد سليمان مني ففتحت له فمي فلم يجدها والحمد لله على ذلك ... ثم قال لي الحضر «عم» أخبرني المهدي ان أخبرك ان في ساعة الحرب النبي معك والمهدي معك والحضر معك والملائكة معك فقلت من هم الملائكة الذين معي قال جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ومنكر ونكير ورقيب وعتيد ومالك ورضوان وأرواح جميع المؤمنين من ابينا آدم الى الآن . وكذلك جميع المؤمنين من الجن وقد جعل الله روح من يعاديك في رؤوس حراب الانصار وسيوفهم .. ثم قال يقول لك المهدي سنار اصحابي لا يسكنوها كرهاً ثلاثاً ويقول انت الذي

يسمع الانذار ويموت فيها ليس من اصحابنا . وكذلك جبل الضباب وكاجة . وجبل مرة ودار التعاشة لا يسكنها اصحابي إلا اذا توجهوا لغزو وأما سنار فلا يسكنوها ولو كانوا في الغزو . ذلك كله عن لسان الخضر من غير زيادة ولا نقصان اخبرتكم به تحدثاً بنعمة الله وتبشيراً لكم قصد صلاحكم فتلقوا ذلك بانسراح أرشدكم الله والسلام « اه .

ومن تدجيله المضحك ما كتبه الى عامله حمدان ابي عنجة في غرة محرم سنة ١٣٠٤ هـ قال : أيها الحبيب بعد السلام عليك نعلمك ان أمر الدين يعون الله وقوته لا زال في تأييد ومدد من الله المجيد وقد تكاثر ظهور البشائر والخوارق والكرامات بين الاصحاب في مدينة المهدي «عم» حتى تواتر ظهور الأنوار على اسلحة الانصار ففي يوم الثلاثاء الموافق ٢٩ الحجة سنة ١٣٠٣ حضر لدينا بالمحارب اثنان من الاصحاب من راية الحبيب جلال الدين وهما الحبيب طاهما علي والحبيب محي الدين وأخبرانا بأنه في يوم الاحد الذي نزل فيه المطر وظهرت الانوار على الاسلحة سمعا حراب احدهما طاهما تنطق بالشهادة أي كل حربة تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله سمعه الحبيب طاه ونادى ابنه فسمعه ايضاً وكذلك جماعة من الاخوان الصادقين حضروا معهم وسمعوه وفي ليلهم المذكور حضروا لدينا في المحارب وأخبرونا بهذا الخبر . هذا فضلاً عن بقية الخوارق والعجائب التي أظهرها الله في الخارج بين الاصحاب وكل ذلك من عناية الله بأنصار الدين وبروز الأدلة الظاهرة على اعلاء الحق واخلاد الباطل جعلنا الله وإياكم من اهل عنايته والسلام « .

ومن هذا القبيل ما كتبه اليه عامله على القلابات احمد علي في ١٠ الحجة سنة ١٣٠٦ :

« سيدي مما لزم الحال عرضه لجنايبكم هو انه لما قابلنا سيادتكم بالعام الماضي سألتمونا عن زوجتنا زينب بنت الريف هل هي حامل فقلنا لا فلما عدنا الى القلابات وجدناها حاملاً قبل توجهننا لمقابلة سيادتكم بشهر ثم وضعت بنتاً في

اوائل ذي القعدة الماضي وليلة امس التي هي ليلة الثلاثاء في ٨ الحجة كانت مضطجعة في حجر والدتها عرض فجدبت والدتها منها الثدي ظناً بأنها نامت وولت مدبرة ففي الحال تكلمت البنت المذكورة بلسان فصيح قائلة لا إله إلا الله محمد رسول الله فلما سمعت والدتها بذلك فزعت منها وطاش لبها وأشهدت عليها من كان حاضراً معها من النسوة فتعجبنا من تكلم هذه الصبية في المهد مع ان عمرها لا يتجاوز الشهرين فلذا لزم ترقيمه لسيادتكم راجين الارشاد في أمر هذه الصبية والسلام « اه .

إذا كان رب البيت بالطبل ضارباً فلا تلم الصبيان فيه على الرقص

حكومة الخليفة وجيشه واجمال حاله :

عمالته : قسم الخليفة السودان الى عمالات كما قسمته الحكومة الى مديريات إلا أنه ألقى مديرتي سنار والخرطوم وجعل منها ٨ عمالات وهي عمالة الجزيرة من المقرن الى جبال ادريس وتشمل حلال شرق البحر الازرق وغريبه من العليفون الى سيرو وحلال شرق البحر الابيض . وعمالة جبال ادريس . وعمالة غرب البحر الابيض من امدرمان الى بلدة شيشه تجاه شات . وعمالة البادية الغربية من امدرمان الى شات . وعمالة البادية الشرقية في البطانة . وعمالة شرق النيل الكبير من العليفون الى حجر العسل . وعمالة غرب النيل الكبير من خور شمبات الى حجر العسل . وسمى مديرية فاشودة عمالة الشلك والدنكا ولكنه لم يحتلها بل كان يرسل اليها العمال من وقت الى آخر فيأتون منها بالحبوب والمبيد على سبيل الجزية . وهكذا فعل ببلاد فازوغي . وهجر بحر الغزال واحتل مديرية خط الاستواء سماها بعمالة بحر الجبل . وجعل مديرتي دارفور وكردوفان عمالة واحدة سماها عمالة الغرب وذلك بعد تجريد زقل سنة ١٨٨٦ . وجعل ايضاً القلابات والقضارف عمالة واحدة . وكان قد ضم كسلا وطوكر الى عمالة واحدة تحت ادارة عثمان دقنة ثم فصلها فجعل

كلا منها عمالة . وكان كل من دنقلة وبربر عمالة . وكانت كل عمالة مستقلة عن الاخرى ترجع بأحكامها اليه . وجعل ام درمان عاصمة حكومته بدل الخرطوم وقد تقدم لنا وصفها في باب الجغرافية . وحكم البلاد حكماً عسكرياً فجعل في كل عمالة جيشاً وكان العامل قائداً للجيش ومديراً للجهة التي هو فيها يجمع زكاتها وعشورها ومعه وكيل عامل وأمين بيت مال وقاض وكاتب .

وقد أوجب على عماله الطاعة العمياء له كما أوجبها على من دونهم لهم . من ذلك ما كتبه الى عثمان آدم عامل كردوفان يوصيه بالطاعة لمحمدان ابي عنجة ايام كان ابر عنجة في جبال النوبة قال: « ... وما زلت فكن للحبيب حمدان ابي عنجة عضداً وساعداً وساعده في جميع أمور الدين وكن معه كاليد للقم او كاليت في يد الفاسل يقلبك كيف شاء واخدمه بنفسك ومن معك من الانصار وكل ما يأمركم به تلقوه بالقبول وافعلوه بالسرعة... في ٤ رجب سنة ١٣٠٤ هـ .

ثم لما أرسل ابا عنجة عاملاً على القلابات ورئيساً على يونس الدكيم خشي ان يشغل الأمر على يونس لأن ابا عنجة لم يكن في الاصل إلا عبداً في بلاده فكتب الى يونس يأمره بالانقياد الى ابي عنجة وكتب الى ابي عنجة يسأله الرفق بيونس بقوله: « ... لا يخفى عليك ايها الحبيب ان أمر الدين يحتاج الى المعاضدة والمرء كثير بأخيه والمؤمنون كالبنيان يشد بعضهم بعضاً وكاليدين تفصل احدهما الاخرى وان الحبيب يونس الدكيم هو نفسك وأخوك وهو لك وأنت له قديماً وحديثاً فينبغي ان تزداد المحبة بينكما وتخطبه قبل وصولك اليه بما يشرح صدره وعند مقابله تلقه بالمودة والبشاشة حتى يرى ذلك الخاص العام ويحصل النيطظ للمناقضين الشامتين الذين يترصون بالمؤمنين الدوائر ويريدون التفرقة وتكدير السرائر. وكن كأنك حضرت تأييداً له وعضداً... ولو إنا أمرناه بالامتنال لك فان الكفرة اعداء الله اذا كان احدهم في جهة وأرسلوا اليه رجلاً أكبر منه لأمر حدث في تلك الجهة فيكون هذا الرجل

واقفاً في حده كأنه تحت الاول الذي هو صاحب المحل فذلك شأنهم وهم على الباطل فأهل الحق والدين أولى بذلك وأحرى لاسيما أمثالك الذين أثار الله بصائرهم بمعرفة مكاييد الاعداء وكيد الحساد والله المسؤول ان يتولاك وبمين عنايته يرعاك والسلام سنة ١٣٠٥ هـ ١٩٨٥ م .

وقد أوصى عماله بكم الاسرار وعدم اطلاق افراد الجيش على مفصلات احوالهم ولا سيما احوال الجبخانه . وكان يذكركم على الدوام بأمور أهمها : ملازمة الصلوات الخمس وقراءة الراتب والتشجيع للجهاد والوقوف عند الاشارة . ومن وصاياه الرفق بالجيش ونهيه عن الفساد والمدل في الرعية وعدم الغلول في الفنائم . وكان من شأنه انه كلما أثاره خبر النصر من جهة قرأه لأنصاره في الجامع وأذاعه الى جميع الجهات . وكذلك كان كلما نكل بأحد لذنوب أثاره نشر خبره في الجهات وبالغ في الاسباب التي حملته على التنكيل به . وكانت العمال يسابونه لأجل بطشه حتى لم يكن احد منهم يحسر ان يباشر عملاً او يتزوج امرأة او يسمي ولداً رزق به إلا بإذنه . وإذا حصل نزاع بين عامل ووكيله ارسل امنا من عنده فرفعوا اليه تقريراً في اسباب الخلاف ففصله . وكان من عادته ان يعقد مجلساً من عماله وأعيان البلاد في كل عيد من الاعياد العمومية أخصها عيد الرجبية (٢٧ رجب) وعيد الضحية (١٠ الحجة) وذلك لاختبار حالهم ومذاكرتهم في مصلحة البلاد .

جيشه : أما جيشه في أم درمان فجيش ضخم يزيد على ٥٠ الف مقاتل من جميع اجناس السودان من السود وشبه السود والنوبة والبجة والعرب . والمواليد على اختلاف قبائلهم وقد انقسم الى ستة جيوش كبار وهي : (١) جيش الملازمة القديم وهم حرس الخليفة الخاص وقد أسكنهم حول منزله داخل السور وأكثرهم من السود المسلحين بالبنادق الرمنتون وعليهم قائد نوبي يدعى بخيت جاموس (٢) جيش الملازمة الجديد وهو الذي أنشأه بعد حادثة الأشرف وسلّحه بالأسلحة النارية وأسكنه السور وجعل عليه ابنه

شيخ الدين قائدًا عامًا وهو أقوى جيوشه ومؤلف من نخبة شبان السود والعرب ومنقسم إلى ١٦ «ربعا» على كل ربع أمير من التعايشة (٣) جيش الكارة وهم العساكر الذين وقعوا في الأسر من جيش الحكومة فأسكنهم طابية أم درمان القديمة التي عرفت بالكارة وجعل عليهم إبراهيم الخليل أميراً .

(٤) جيش الراية الزرقاء وهو الجيش الذي كان يقوده قبل وفاة المهدي فسلمه لأخيه يعقوب وكان جيشاً قوياً مؤلفاً من ٤٣ قبيلة من عرب وعجم وهي : التعايشة والهبانية والحمر والرزيقات وبني هلبة والزيايدة والمعالية والماهرة والمحاميد والمسيرية والمريقات ودار حامد وبني جرار وحرر والتام والغديات والحوارة وبني عمران والفور والكنجارية والمسبغات والتامة والبرقي والميمة وجاعة الخبير علي ونوبة الحرازة والميدوب والبزعة والداجو والترجم والبرقو والبرنو والباجرمة والفلاتنة وكلهم من أهل الغرب ومعهم نقر من الجعليين والسعداب والدناقلة والشنابلة والركابية وأولاد البلد وأولاد الريف والأقباط والمسلمانية من أهل الجزيرة والنيل . (٥) جيش الراية الخضراء أو جيش الخليفة علي ودخلو وجلسه من أهل الجزيرة وهو ثلاث رايات : راية دغيم بأمانة عبدالله أحمد أبي سوار وتحتها الشانخاب والحسناب والعبيساب والحجاجة ودار محارب والمسلمية والعقليين والمحمدية والمرواب والبجة . وراية اللحويين بأمانة عبدالله برجوب وتحتها الشيلاب وبني حسين والعركيين والمعاشرة والبطاحين والأحامدة والعمارنة والكواهلة . وراية كنانة بأمانة البشير عجب الفية . (٦) جيش الراية الصفراء وهو شردمة قليلة عليها الخليفة شريف ومعه عثمان أزرق الذي فر من دنقلة . وانضم إلى هذه الجيوش جيش عثمان دقنة ومعظمه من سكان الصحراء الشرقية الأشراف والهندودة والمجاهدين والبشارين ومعهم نقر من الدناقلة وغيرهم . وهاك بيان عدد كل جيش من هذه الجيوش وما معهم من الأسلحة النارية والخيول نقلا عن الأوراق التي وجدت في بيت يعقوب بعد فتح أم درمان :

الجيش	الامراء	المجاهدون	الاسلحة النارية	الحبل
جيش الملازمة القديم	بخت جاموس النوبي	١٤٨٦	٩٠٠	١١٢
جيش الملازمة الجديد	عثمان شيخ الدين بن الخليفة	٢٥٢٩٢	١١٢٥٢	٢٦٧٨
جيش الكارة	ابراهيم الخليل اخو محمود	١٦٠٠	٧٣٠	١٣٥
جيش الراية الزرقاء	يعقوب اخو الخليفة	١٤٤٤٨	١٠٥٣	١٥٨٨
جيش الراية الخضراء	الخليفة علي ود حار	٥٥١١		٧٩٤
جيش الراية الصفراء	الخليفة شريف	٨١		١
جيش الصحراء الشرقية	عثمان دقنة	٣٣٧١	٣٦٥	١٨٧
	المجموع	٥١٧٨٩	١٤٣٠٠	٥٤٩٥

الاسلحة والدخائر : أما الاسلحة النارية التي كانت عند الخليفة فغالبا من نوع الرمنتون والباقي من بنادق « الخشخان » الكبيرة التي استخدمها البحارة قديماً لصيد الأفيال وتعرف عندهم بربع مدفع . وبنادق « بيادة » وهي بندق ثقيلة من عهد ابراهيم باشا تطلق بالكبسول وتعرف ايضاً باب لفته . و « ارشليك » وهي البنادق القديمة بزناد وشطفة . وبنادق « ابو روحين » المعروفة . وكان عنده من المدافع في ام درمان ٦٣ مدفعاً منها ٣٥ جبلياً و ٨ كروب و ٦ متريلوز و ٥ شرخة و ٢ اوردي و ٢ حبشي و ٣ قبس و ١ رمنتون و ١ فرنساوي . وأما الصواريخ التي غنمها من الخرطوم فقد تطرقت اليها الرطوبة فأخربوها وأخرجوا الرصاص منها .

وأما « الجبخانة » فقد كان عند الخليفة منها مقادير وافرة إلا انه كان محاطاً بالأعداء من كل الجهات وكان في حرب دائمة معهم وقد منعوا عنه الاسلحة والدخائر منعاً صارماً بل منعوا عنه كل ما يساعد على عملها كالرصاص والنحاس والمبارد والكبريت وملح البارود . لذلك كان أعظم ما وجه اليه اهتمامه عمل الجبخانة . وكان أهم ما لزمه الكبريت وملح البارود والرصاص والنحاس والمبارد وعجينة الكبسول (وهي المادة المفرقة فيها) . أما الرصاص فقد استخرجه من جبل الكتسم في دارفور وأغرى التجار فهربوه له ايضاً مع

الكبريت. والمبارد من الحجاز ومصر بطرق سواكن ومصوع واسوان . وأما عجينة الكبسول فقد استعان على عملها بلبتن بك مدير بحر الغزال الى ان توفي سنة ١٨٨٨ فاستعان بالدكتور حسن افندي زكي من أطباء الخرطوم . وأمر نوفل النمساوي وغيره فصنعوا له ملح البارود . وجمع كل ما أمكن جمعه من آنية النحاس في البلاد فصنع منها الظروف وأرسل الى عماله في الجهات فجمعوا له الظروف الفارغة من محال الوقائع . وأقام معمل للبارود في جزيرة توتي وورشة لعمل الخرطوش في ام درمان فقلد جبخانة الحكومة أحسن تقليد فكان يصنع كل شهر من البارود ١٠ قناطير ومن الرصاص ١٠٠ صندوق في كل صندوق ١٤٤ خرطوشة. وشيد داراً واسعة لحفظ الاسلحة والجبخانة والمهمات الحربية والتحف احاطها بسور منيع وسماها « بيت الامانة » . وقد شدد في المحافظة على الجبخانة فجرد الأهليين من الاسلحة النارية وأصدر أمراً بمنع الصيد بالبنادق وعدم اطلاق الرصاص إلا في ساحة الحرب .

أقسام الجيش حسب أسلحته : وقد انقسم جيش الخليفة بحسب الأسلحة الى ١١ قسماً وهي :

«الجهادية» وهم المسلحون بالأسلحة النارية ويعرفون ايضاً بالبنداقه وهم من السود والعرب إلا ان أكثرهم من السود . وقد أدرك الخليفة قدر السود في الحرب فأكرمهم وأحسن معاملتهم وأوصى عماله في الجهات بمداراتهم . وهاك ما كتبه الى عثمان دقنة في ٣ الحجة سنة ١٣٠٣ هـ بشأن جهادية كسلا قال :

« ... نعلمكم حبيبي ان الجهادية لا بد لهم من التربية التامة وبعد المشقة في مذاكرتهم والتأليف الكلي لهم أولاً حتى يوافقوا على الدين وتشرح قلوبهم وقد علمنا يقيناً شأنهم مما شاهدهناه فيهم من ابتداء الهدية الى الآن فمن ذلك اننا في محاربة أعداء الله يجزيرة أبا أسرنا بعضاً من الجهادية وظهر لنا منهم الالفه والانتسراح فتوجهنا بهم الى قدير فلما غزونا الفتنر هربوا منا وتوجهوا لأعداء الدين بفناشودة . ثم حضر أعداء الله جيش راشد فأسرنا منهم جهادية فهربوا

ثانية الى جهة فاشودة . ثم حضرت جردة ولد الشلاي . فأمرنا منهم جهادية بكثرة فاتحدو مع الانصار وظننا انه لا يحصل منهم مثل ما حصل من السابقين فعند حضورنا للأبيض هربوا وانضموا الى اهل ققرته حتى فتحها الله . ثم بعد فتوح الأبيض وجدوا فيها جهادية بكثرة فاهتمنا بأمرهم وأكرمناهم وما تركنا لهم من الاكرام شيئاً وبعد ذلك كله هرب بعضهم الى جهة الخرطوم . وعند مجيء جماعة ابي قرجة لحصار الخرطوم هرب بعض من معه وانضموا الى القيقر وكذلك بعض من جهادية ولد النجومي انضموا الى اهل الخرطوم فبقوا حتى وقعوا في الأسر فقرّب بعضهم الى سنار وانضموا الى أهلها حتى فتحت . فمن ذلك اتضح ما ذكرناه . فينبغي ان تعتنوا بالذكورين غاية الاعتناء وتربوهم التربية السامة حتى يرسخ الايمان في قلوبهم فانهم اذا تربوا صلحوا للمساعدة في الدين . ومما يساعد على تأليف المذكورين اعطاؤهم زوجاتهم واذا كان لهم أقارب يضمنون اليهم حيث ان مصلحتهم عمومية ولو انضم اليهم غير المستقيم من اخوانهم يجره حالهم الى الايمان والاذعان اذ الطبايع تسرق الطبايع والأوادم الذكور الذين يطبقون حمل السلاح جميعهم يلحقون بالجهادية في جميع ما ذكر . والدمور الموجود بمخازن كسلا أكسوا منه الجهادية ونساءهم لأجل تأليفهم . . . اه .

وقد رسم الجهادية بحرف ج في أيديهم اليسرى بين الابهام والسبابة وجعل لكل منهم مرتباً شهرياً قدره نصف ريال وربيع اردب ذرة ولم يفعل ذلك لباقي الجيش .

« والحياطة » او الفرسان ويقابلهم القرابة او المشاة من جهادية وغيرهم وأكثر الحياطة من البقارة . وسلاح الفارس سيف يتقلده على جنبه الأيسر والبندقية يعلقها في مقدم السرج والتركاكش وفيه ٧ طبائق يطلقه في مؤخر السرج ويحمل بيده الكيس . ويمتاز في لبسه بعمامة حمراء وشال احمر يتحزم به حول خصره وكتفه اليسرى وهو لا يلبس حذاء في رجله لضيق الركاب وقد يلبس الدرع تحت الجبة ويلبس فرسه اللبس .

« والهجانة » وهم اصحاب الجمال ولكن لم يكن عنده من الهجانة سوى ٧٠ رجلاً استخدمهم في بريده الخاص الى جهات السودان المختلفة . وسلاح هؤلاء السيوف والدرق والبنادق الرمنتون .

« والطويحية » وكلهم من طويحية الجيش المصري الذين وقعوا في الأسر وقد اجتمع عنده منهم في ام درمان ١٥٢ رجلاً .

« والحرابة » وهم حاملوا الحراب والسيوف وجلهم من عرب البادية . ويقال لحاملي الدرق والسيف الدراقة .

« والخشخنجية » وهم المسلحون بالبنادق الخشخان المار ذكرها وعددهم نحو ألفي رجل وجلهم من السود . وهم يمتازون بلبس صدره حمراء فوق جبينهم على نحو لبس بازنجير الزبير ولها جبينان للكبسول واحدة عن اليمين واخرى عن الشمال .

« والبلطجية » او « الفرارة » وهم جند من العرب والسود يحملون بلطاط كبيرة مما كان مستعملاً في الجيش القديم وهم يمتازون بلبس قبعة مزينة بريش النعام .

« والمتشربون » ويبلغ عددهم نحو ٢٠٠ رجل وكلهم من التكارنة وهم طوال القامة غلاظ الأجسام يحملون حراباً طويلة بيضوية الشكل يبلغ طول الواحدة منها نحو ذراع وطول قناتها نحو ٤ أمتار ويمتازون بلبس جبة قصيرة مشمرة الى ما فوق الركبة ومن ذلك اسمهم . ويحمل الواحد منهم في وسطه خنجرين وعلى رأسه طاقية ذات قرنين تعرف بام قرينات . وهذا الجند من مبتكرات التعايشي .

« وجوق الفروع الحربية » ويحملون آلات موسيقية كالآلات المستعملة في الجيش .

« وجوق البيدو والصفار » مؤلف من نحو ٥٠ عبداً يحملون أبواقاً من قرون الوعل وطبولاً مصنوعة من جذوع الشجر وقرعاً يابساً محشواً حصي وهي على نحو موسيقى سلطنة الفور القديمة ولها اصوات تحشد الأذان .

« وجوق الامباية » وهم اربعة رجال مع كل منهم امباية يصوت بها عند ركوب الخليفة . اما الامباية والبيدو والصفار والفروع الحربية وكذلك المتشمرون والبلطجية والخشخنجية فكلهم تابعون لحرس الخليفة ومنهم جميعاً تتألف قلعة يركب في وسطها اذا خرج لعرصة او لحرب .

موكب في العرصة او الطر : وكان التماشي في اول أمره يستعرض جيشه في يوم الجمعة من كل اسبوع ثم عهد بذلك الى اخيه يعقوب واقتصر على استعراض الجيش في ايام المواسم والأعياد وذلك في موكب حافل جداً . قالوا انه كان اذا أراد الاستعراض المعروف عندهم بالعرصة او الطر أمر من الفجر بضرب نحاسه «النصورة» المشهور الذي وضعه في محل مرتفع في بيت الأمانة . فاذا سمع الناس صوت النحاس هروا الى الجامع فصلا صلاة الصبح وقرأوا الراتب . ثم ذهب البيروقراطية الى بيت الامانة فأثوا بالرايات وانضم كل رجل الى رايته وساروا فرساناً ومشاة وهم يهللون ويكبرون الى محل العرصة في ساحة فسيحة غربي المدينة تتقدمهم الراية الزرقاء فالراية الخضراء فالراية الصفراء فيقف الكل صفوفاً مستقيمة من الجنوب الى الشمال متجهين نحو الشرق . أما جهادية الكارة فانهم يأتون رأساً من كارتهم ويقفون في الجنوب والى يسارهم الراية الزرقاء فالراية الخضراء فالراية الصفراء في أقصى الشمال ويقف الأمراء على خيلهم كل عند رايته في الصف الاول ويقف يعقوب والخليفة علي ودحاو والخليفة شريف كل على جواده عند رايته العامة بارزين عن الصف الاول . ثم يأمر الخليفة فتضرب الامباية فيخرج جيش الملازمة ببنادقهم يتقدمهم شيخ الدين على جواده ويتبعه الارباع الستة عشر ربعا ربعا صفوفاً متوالية في كل صف من ٦ : ١٢ رجلاً وأمام كل ربع رايته وأميره وفرسانه والبوري والطرنبية . ثم يأتي وراءهم الخليفة بقلعته فيحيط به ملازموه الاخضاء بالبنادق صفوفاً اربعة من الجهات الاربع أمامهم البلطجية ومن وراءهم المتشمرون ثم جوق البيدو والصفار والفروع الحربية . وفي ساقية القلعة وعن جانبيها الخشخنجية وفي وسطها الخليفة على جمل او جواد فاذا

ركب الجمل قاده محمد بشير كرار العبادي وهو رجل طويل القامة كبير الهامة ومشى عن جانبيه جوادان مسرجان وحمار مسرج ومن امامه جوق الامبية ومن خلفه اصحاب النفير العسكري لتبويق الوقوف او المسير وخلف هؤلاء خدمه الخصوصيون من الاحباش وغيرهم يحملون له ركوة الوضوء وسمن الماء وأدوات التزين وفروة الصلاة والنعال والكبس والطبائى والرمح الذي يتوكأ عليه . ويسير الموكب الى ان يصل اول جيش الملازمة عند منزل الخليفة في محل العرضة فيقف صفوفاً متوالية متجهاً نحو الشمال على زاوية قائمة مع صف الرايات ؟ فيمر الخليفة بقلعته من امامه الى ان يأتى المنزل فيحيط به ملازموه ثم يخرج من بينهم مع نفر قليل فيمر بالرايات مبتدئاً من جيش الكارة الى ان يأتى على آخر الجيش . وقد يقف في مروره عند امير فيخطبه قائلاً السلام عليك يا فلان طينين يا الاخوان الله يوديكم البركة يا انصار الدين الله يوديكم العافية يا الاخوان . هذا والأمير ورجاله يؤمنون على دعائه . ثم يرجع الى منزله فيستريح قليلاً ويأمر الأمراء فيشيعون الرايات الى بيت الأمانة ثم ينصرفون الى اماكنهم ويرجع اصحاب الخيل منهم الى ساحة العرضة لتشجيع الخليفة الى منزله . ثم يأمر جيش الملازمة فيرجع الى السور براياته ويعود بقلعته على نحو ما جاء ووراءه الفرسان الى ان يصل منزله فيدعو لهم فيؤمنون وينصرفون .

حالته : سار الخليفة على خطى سيده المهدي فجمع الزكاة والعشور والغنائم في بيت المال وأنفق منها على الجيش . لكنه لم يبق بيت المال واحداً كما كان في زمن المهدي بل فرّع منه بيت مال الملازمة وخصص له ربع الجزيرة وبيت مال ورشة الحربية والزرانة وخصص له ربع جنائن الخرطوم والسواقي التي حوالها والسن الوارد من خط الاستواء . وفرز مال الخمس عن بيت المال وأضاف اليه مال الفياء كإيراد المشاريع والمراكب وأراضي الفتيمة والغابات والسن والريش وثلاث الصنع وعشور البضائع وجعل لها بيت مال خاص سماه بيت مال الخمس والفياء وعهد به الى محمد بشير كرار العبادي

وأنفق منه على بيته وأخصائه . وجعل لكل عمالة بيت مال ينفق منه على أنصار العمالة وما فضل يرسل الى بيت المال العام في ام درمان مع حساب الدخل والخرج بالدقة كل شهر . ولم ينفق من بيت المال العام إلا على عمال مصالحه المتنوعة والكتاب والخليفة ود حلو ونساء المهدي وأما المجاهدون أولاد العرب فقد كانوا يعملون انفسهم إلا اذا أرسلوا لغزو او لحرب فانه كان ينفق على ترحيلهم . ثم ان الجبابة الذين ارسلهم لجمع الزكاة والعشور لم يكتفوا بما فرضه الشرع بل فاقوا الباشبوزق في الظلم فعلت الشكوى وعمت البلوى . وكثيراً ما شكى الخليفة من فراغ خزانة بيت المال وأخذ المال من التجار على سبيل السلفة بحجة إعالة الجيش ولكن المشهور انه لم يفعل ذلك إلا قصد ابتزاز أموال الأغنياء ليضعفهم ويتقوى بهم . وقد قيل انه كان يخزن المال في أجربة من جلد وصناديق الجبخانة ويطمرها داخل منزله فلما فتحنا ام درمان فقتلنا عن المال فلم نجد إلا النذر اليسير جداً كما سيجيء . أما أمناء بيت المال العام فهم :

احمد سليمان سنة ١٣٠٠ : ١٣٠٢ هـ . و ابراهيم عدلان سنة ٢ : ١٣٠٧ هـ .
والنور الجريفاوي سنة ٧ : ١٣١٠ هـ . والعوض المرضي المرة الاولى سنة ١٠ :
١٣١٤ هـ . و ابراهيم رمضان الاسواني سنة ١٤ : ١٣١٥ هـ . والعوض المرضي
المرة الثانية ثلاثة أشهر والحج احمد ياسين النيلة سنة ١٣١٥ هـ فبقي الى فتح
ام درمان .

الزراعة : أما الزراعة فقد كان الخليفة يجهل أهميتها حتى كانت مجاعة
سنة ١٣٠٦ هـ فتنبه لها وحث العمال على تشييطها .

الصناعة : وأما الصناعة فقد أحيا منها صنع الأسلحة والذخيرة وأبقى
على الترسانة لاصلاح الوابورات وعلى خط التلغراف بين الترسانة وام درمان
وروج صناعة المراكب وعمل الحراب وشاد معمل للصابون في بيت المال
للانتفاع بريعه وأهل ما سوى ذلك .

التجارة : وأما التجارة فإنه لم يكن يودّ تنشيطها لكرهه مواصلة البلاد الأجنبية لكنه رأى ان أم حاصلات بلاده كالصنع والريش والسن اذا بقيت عنده ولم ترسل الى الخارج ذهبت سدى . وطمع بأخذ العشور من البضائع الواردة الى السودان ففتح ابواب التجارة الى اسوان وسواكن ومصوع والحبشة ووداي ولكنه سد طريق الاربعين وطريق كورسكو . وضرب العشور على البضائع في كوكريه وبربر وكلا والقلابات والفاشر^١ ونام درمان . واحتكر السن والريش كله لنفسه وأما الصنع فقد أخذ من التجار ثلثه وأعطاهم الثلثين .

وماك ما كتبه الى ابي عنجة في ٢٥ يوليوسنة ١٨٨٦ بشأن احتكار السن :
 « حبيبي نقرئك السلام ونعرفك ان سن الفيل كانت سابقاً للكفرة وآلت بعد ذلك للمهدية . وصارت حقاً لعموم المسلمين وحقها ان تحفظ من الضياع لذلك نحن قبلنا لم نأذنت في بيعها لأحد او التصرف فيها بدون اجازة منا . والآن أردنا حصرها في بيت المال لينظر فيها فألقوا نظركم عليها . وأينا وجدتموها اضبطوها وأرسلوا جميع ما عندكم منها ولا تبيعوها منه شيئاً وتحروا ما يحضر منها من جهات شكاً وتولوا واضبطوه وأرسلوه اليها والسلام ، اه .
 وقد منع تصدير العبيد المذكور الى الخارج وبيعهم في داخل البلاد إلا الى بيت المال وذلك لمنع المدد عن جيش مصر وتنظيمهم في جيشه .

وبلغت قيمة البضائع الصادرة الى السودان بطريقي اسوان وسواكن في سني ١٨٩٨:٢ نحو ٤٧٧٨٩٦ جنيناً وقيمة البضائع الواردة منها نحو ٣٩٧٤٥١ جنيناً .

ضرب النقود : واستمر الخليفة على ضرب النقود كسيده المهدي ولكنه لم يضرب شيئاً من الذهب بل ضرب الريال وأجزائه من الفضة والنحاس وأول ريال أصدره في ايام ود عدلان كتب على وجهه الواحد « ضرب في ام درمان سنة ١٣٠٤ هـ » وعلى الوجه الآخر « مقبول » فكان كالريال المجيدي بقطعه ووزنه وقيمه أي سبع دراهم فضة ودرهم نحاس وهو الريال الوحيد الحالي من

الغش . ففي أيام النور الجريفاوي اصدر رايالاً سمي « ابو صدر » فجعله ٤ دراهم فضة و ٤ دراهم نحاس وهكذا اخذ ينقص من قيمته تدريجياً حتى صيره سنة ١٣١٢ هـ سبعة دراهم كلها نحاس وليس فيه من الفضة إلا الطلاء فأطلق عليه التجار اسم « بزاجوري » قيل أرادوا به « بداجور » وقد رفعوا أسعار الأشياء بالنسبة الى نقص الريال ليحفظوا قيمتها الحقيقية . وقد البعض عملة الخليفة فعاقيهم بقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف . وراح في أيامه الريال المجيدي والريال ابو طيره والليرة الانكليزية .

العلم : وأما العلم فقد حاربته الخليفة جهده شأن الجاهل الغشوم وجمع العلماء كلهم في ام درمان وأذهبهم ولم يسمح لهم بتعليم كتاب إلا القرآن ومنهم تعلم تفسيره فساد الجهل في أيامه وفست الآداب العمومية وساءت الأحوال .

القضاء : اما القضاء فقد كان في أيامه اسماً بلا معنى فانه ابطل الأمناء والنواب الذين اقامهم المهدي وحصر القضاء كله في قاضي الاسلام وأعوانه الذين جعلهم طوع بئانه كما مر . وفي غرة رمضان سنة ١٣٠٣ هـ أصدر منشوراً الى انصاره كافة مفاده : « ان القضايا التي قبل وفاة المهدي سواء كانت جنائية او دمائية او مالية او غير ذلك يصير رفعها وعدم سماع شيء منها بالكلية ما عدا المستثنيات الاربعة المعلومة من منشورات المهدي وهي الدين والأمانة ومال اليتيم والحرية » . وأمر قضائه بالحكم في الدعاوي التي جدت بعد وفاة المهدي بحسب كتاب الله وسنة رسوله ومنشورات المهدي هذا اذا وافقت غرضه فاذا علم ان الشريعة لا تساعد عليه اوعز الى قاضي الاسلام فانتحل مسوغاً وقضى له بما اراد فأصبحت ارادته هي الشريعة .

وقد أبقى على قصاص السارق والزاني ومنع الحج وشرب الدخان وقراءة الكتب إلا القرآن والمنشورات كما أمر المهدي .

ولم يكن يقبل شكوى على ورق لأنه لم يكن يحسن القراءة كما مر . فاذا أراد احد ان يرفع شكواه اليه ناداه وهو داخل الى الجامع : « يا خليفة

المهدي انا مظلوم ، . فيقف ويسمع له ويحكم في الامر ولا يجسر احد ان يعارضه .

أما سجنه فهو عبارة عن حوش متسع محاط بسور حصين وفي وسطه بعض اكواخ من الحجر والطين كان يحشر الناس فيها بعضهم فوق بعض راسخين بالقيود . أما القيود التي استعملها فالمكتبة بالرجل والجزير بالعنق واستخدم للقصاص المشانق والبربندي (الفلتق) باليدن للنساء وبالرجلين للرجال .

سياسته الداخلية : قضى التعايشي السبع السنين الاولى من حكمه في مناوأة المعارضين له في الملك من الاشراف وغيرهم حتى خذلهم وأذلهم وأيد ملكه تأييداً قوياً . ثم لم يكتف بتأييد ملكه بل سمى سعيه حثيثاً لجعل هذا الملك وراثياً في نسله كما مر ولكن لما كانت المهدي التي هي حجة الوحيدة في الملك تنافي هذه الغاية وتقضي بحمل الملك من بعده للخليفة علي رد حلو ثم للخليفة شريف جعل منه تقوية نفسه وإضعاف كل ذي قوة في السودان من الخليفة علي ود حلو فثأراً حتى لا يبقى في البلاد من يقوى على معارضته . فسلح ابنه البكر بيش قوي من السود وغيرهم وجرد الخليفة علي ود حلو من الاسلحة النارية كما مر وفرق عنه ما استطاع من جيشه وساس الاهلين بأحسن مبادئ السياسة الداخلية فرفع أسفلهم على أعلام وفرق بينهم على حد قوله « فرق تسد » . وقد أطلعت على كتاب منه الى عامله على دارفور عثمان آدم بتاريخ ٢ رجب سنة ١٣٠٢ للتفريق بين الحر والرزيقات هذا هو بنصه :

« واعلم أيها المكرم إننا قد ألزمتنا أحكام احمد فضيل ان يريحكم من جهة عربان الحر ويشغل بضربهم وتشتيتهم والحصول عليهم بأي وجه كان فليكن معلومكم ذلك . وانظروا على أي حالة الكيفية التي توقع العداوة والخلاف بين الرزيقات والحر وافعلوها لأن في عداوتهم مساعدة في الحصول عليهم ومق وصل الجيوش اليهم وضربتهم فالحارب منهم لا يدخل دار الرزيقات لوقوع العداوة فاسعوا فيما ينفرهم بعضهم من بعض والله نرجو ان يأخذ بيدكم والسلام » اه .

وحكى لي من أثنى به قال : كان بين محمد عمر البنا من اهل رفاعة والعباس ابن الشيخ العبيد صداقة قديمة مشهورة ففي ذات يوم تشاحنا في مجلس الخليفة مشاحنة حادة وصدت كل منهما عن الآخر حتى اشتهر الخصام بينهما كما اشتهر الود . قال الثقة : فلما كانت واقعة ام درمان وخرج الخليفة منها منهزماً قابلت محمد البنا فسألته عن سبب المشاحنة بينه وبين العباس معها هو مشهور بينهما من الصداقة والود قال : « اجسد الله الذي أراحنا من هذا الطاغية فقد ساءه الود الذي بيننا فدعاني يوماً الى مجلسه الخاص وقال لي يا ود البنا أي شر فعلت للعباس حتى انه كلما جاءني رماك بوشايات لو أصفيت اليها لنفيتك او قتلتك فحقا بي مكر التعايشي وعجبت كيف ان العباس مع ما له عندي من الود يشي بي الى الخليفة فأخذتني الحدة وقلت والله يا سيدي خليفة المهدي ان العباس لكاذب في ما يقوله عني فاني خادم جنابك بتمام الولاء والاخلاص فقال لي التعايشي بارك الله فيك وجزاك خيراً . فانصرفت الى منزلي وأرسلت صديقاً لي الى العباس أعاتبه فلما جن الليل وأقفلت باب منزلي سمعت الباب يدق ففتحته فاذا بالعباس متنكر وبيده المصحف الشريف فسألني عما كان بيني وبين الخليفة فأخبرته فقال اعلم ايها الاخ ان هذا الماكر ساءه الود الذي بيننا فنوى تفريق كلمتنا ولقد طلبني اليوم قبل ان يطلبك وكلفني عنك بمثل ما كلمك عني ثم حلف لي العباس بذلك على المصحف فصدقته ومن ذلك الحين تعاهدنا فأبقينا الود في سرنا وتظاهرنّا بالعداء فمكر بنا ومكرنا به والله خير الماكرين » .

وكان الخليفة كلما وفرت نعمة شخص او عظمت سطوته ولو انه من اعز انصاره الذين خدموه السنين الطوال بدمائهم واموالهم خشى على نفسه منه وتوقب الفرص للايقاع به كما فعل ابراهيم عدلان والزاكى طعل والقاضي احمد وغيرهم .

هذا ولما احس بعدم ميل اهل النيل الى نصرته جردهم من سلاحهم واتى باهله البقارة من الغرب واسكنهم بينهم وسلطهم عليهم فأذلهم حتى كانوا

لا يرون ثياباً نظيفة على أحد إلا حاولوا نزعها عنه ولا يمرون ببلد إلا دخلوا منازلها ونهبوها حتى قيل إن ظلمهم تناول محمد الخير المشهور فرفع الأمر الى عثمان الدكيم أمير بربر فقال له : « أتكلني في الدنيا الفانية يا محمد الخير ألم يقل المهدي « عم » الدنيا جيفة وطلاتها كلاب » فانصرف وهو يحرق الارم على المهدي التي اوصلته الى هذه الحال . ومن اقوال البقارة المشهورة :

« التعايشة اولاد نبي الله عيسى . والجعلي ما أكثر حديثه والشايقية شرابين المريسة . والدناقلة أكالين الفطيسه واولاد الريف عين الكديسه » . وقالوا ود الريف شن جابه حربة وكوكاب (رمح مسنن) في جمابه .

ولما كثرت الشكاوى الى الخليفة من ظلم اهله أراد ذر الرماد في أعين الاهلين فأصدر منشور « منع الظلم » المشهور ومما جاء فيه :

« ... فيلزم ان تكونوا واقفين على قدم الاستقامة بامثال أوامر الله واجتناب مناكه لا سيما ظلم العباد فان الله تعالى قد نهى عنه في حكم الكتاب وبين شؤم عاقبته في دار المكاب . قال تعالى الا إن الظالمين في عذاب مقيم . وقال تعالى ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً . وقال انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب أليم . وقال ألا لعنة الله على الظالمين . وقال وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا . وقال ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء . وقال رسوله ﷺ اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة . وقال لا يحل لمسلم ان يأخذ عسا اخيه بغير طيب نفس منه . وقال ينادي منادي يوم القيامة أين الظلمة وأشياع الظلمة حتى من لاق لهم دواة او برى لهم قلماً فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى بهم في جهنم ... الى غير ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في تم الظلم والتحذير منه فكيف بعد ذلك يليق بالمؤمن وخصوصاً من كان بمثابةكم من رحمة الله وأكرمه بصحبة المهدي ان تحدثه نفسه بالاقدام على ظلم احد من المسلمين وأخذ حقه بغير وجه جازع عند رب العالمين . فيلزم ان

تكونوا واثقين مع حدود الله وتلزموا طريق الاستقامة والاستعداد ليوم القيامة وتباعدوا عن كل ما يحز سخط رب العالمين ويعطل نصره الدين كالظلم والغفل والحسد والكبر والمجب والرياء والتعدي على حقوق المباد والجور في الأحكام والركون الى حب الدنيا . وغير ذلك من الصفات الذميمة التي نهى الله عنها ... في ٦ ربيع الآخر سنة ١٣٠٦ هـ .

فصدق فيه قول الآية : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » .

سياسته الخارجية : هذا كان شأن الخليفة مع رعيته أما شأنه مع الدول المحيطة به فالعماء والحرب او يصدقها المهدية ويخضموها لسلطانها او قد سد بلاده في وجه جميع الاجانب لا سيما الاوربيين بل سد باب المفاوضات في أي بحث كان . وقد ذكرنا ما كان له من الشأن مع مصر ووداي والتليان في الارثريا ومنع الحبشة في أيام الملك يوحنا .

الصلح مع الحبشة : ولما ارتقى الملك منليك الى عرش الحبشة كتب اليه يدعو الى التسليم ويحذره من تعدي الحدود ولما لم يجبه كتب اليه ثانية سنة ١٣٠٨ هـ بما نصه :

« وبعد فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق الى منليك . نعلمك اننا قد كنا قبل هذا كاتبتناك للدخول في الملة الاسلامية والانضمام في سلك اتباع المهدية رحمة بك وشفقة عليك وحبا لهدايتك وخوفاً عليك من الموت على ملة الكفار الذين مصيرهم الى النار وغضب الجبار وحذرناك عاقبة الخلاف والاعراض وقد مضت من عهد ذلك مدة وما أطلقنا منك رد عن المكاتب التي جررتها اليك وما علنا السبب في ذلك أفما وصلت اليك مكاتبتنا ام وصلت واخترت عدم مجاوبتنا كما حصل من الهالك النقس يوحنا عظيم الجيش فثنا قد كاتبتناه مراراً ودعواته الى الاسلام جهاراً فاستكبر واستنكف حتى أهلكه الله تعالى على يد انصار الدين هو ومن معه

من الوزراء والمشرّكين وقطعت رؤوسهم وحملت الينا فكانت عبرة للمعتبرين وعظة للمتعبين . وغاية الأمر اننا قد ضربنا صفحاً عن جميع ما مضى منك ومن باب الشفقة عليك حررنا هذا ثانياً اليك بدعوتك الى الدخول في ملة الاسلام والانتظام في سلك أتباع المهدي والاذعان لحكمنا والعمل باشارتنا فان أجبت داعينا وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وحسن اسلامك والقرمت العمل باشارتنا وصرت من ضمن أتباع المهدي القائمين بأوامرها المرضية فاعلم اننا سنقبلك ونجعلك اميراً من طرفنا على بلادك . وتكون مكرماً لدينا وإلا فان أعرضت عن ذلك فذنبك عليك لكن يلزمك ان تكون واقفاً على حدودك ولا تتعدى حدود الاسلام وإلا فان تعديت الحدود فلا بد من مناجزتك الحرب ويكون عليك من الهلاك والدمار مثل ما كان على الهالك يوحنا لما طغى وبغى وتعدى الحدود وها قد أنذرناكم بهذا وفيه الكفاية لك والسلام على من اتبع الهدى في سنة ١٣٠٨ هـ .

فلم يحبه منك على هذا ايضاً ولكنه بعد انتصاره على التليان في عدوة كتب اليه بتاريخ ١١ يونيو سنة ١٨٩٦ بما نصه :

« غلب الامد من طائفة يهودا منك الثاني المجمعول بارادة المولى ملك ملوك الاثيوبية - الى جناب الخليفة عبد الله بن محمد . بعد مزيد السيف كيف حالكم اما اننا فاشكر الله بخير وعافية واخبركم اني بعد حصول المحاربة بيننا وبين التليان بناحية مدينة عدوة غلبتهم باحسان الباري وعدت الى مدينتي المحروسة بخير وسلام : واما باقي الكلام الذي اريد ان ابلغكم اياه فالرسول الواصل صحبة هذا وهو الحاج احمد يخبركم به شفاهاً ودمتم . كتب بمدينة اديس أبابا في سنة ١٨٨٨ حبشية ٢٩ ذي الحجة سنة ١٣١٣ هـ ١١ يونيو سنة ١٨٩٦ م . وكان جيش الحكومة اذ ذاك قد زحف على دنقلة فكتب اليه الخليفة بعد البسملة :

« وبعد فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن محمد

خليفة الصديق الى عظيم الحبش منيلك . فعملك ان جوابك المحرر لنا في ٢٩
الحجة سنة ١٣١٣ صحبة رسولك الحاج احمد وصل بطرفنا وجميع ما تضمنه
ذلك الجواب وحله منك رسولك المذكور من الرصية فهمناه ونقول لك أما
ما اردته من انعقاد الصلح بيننا وبينك فليكن بعملك اننا لا نريد دخول احد
من الاوربيين في أية جهة من جهاتنا الاسلامية لا بحرفة البيع والشراء ولا
بصفة السياحة وليس بيننا وبينهم إلا الحرب فان كنت انت كذلك ومنعت
جميع الاوربيين من الدخول في بلدك إلا بالحرب بحيث لا يكون بينك وبينهم
علاقة او اتصال وعلى هذا الشرط ينعقد الصلح بيننا وبينك . فها نحن قد
أرسلنا لك سفيراً معتمداً من طرفنا اسمه محمد عثمان خالد مع رسولك حسب
التماسك فان قبلت الشرط المذكور فاكتب لنا بذلك وابعث لنا مع سفيرنا
المذكور مخصوصاً معتمداً من طرفك لانعقاد الصلح فيما بيننا وبينك على الوجه
المرضي وعلى من اتبع الهدى السلام ٦ ربيع آخر سنة ١٣١٤ هـ ١٤ سبتمبر
سنة ١٨٩٦ م .

فحمل محمد عثمان هذا الكتاب وأتى الى الملك منيلك في أديس أبابا فقال له
منيلك أما الافرنج فلا مداخل لي معهم إلا بالتجارة التي منها النفع لبلادي
وأعاده الى ام درمان مع رسول منه الى الخليفة لعقد الصلح فقال الخليفة
لرسول بلغ منيلك ان ود تور الجوري في جبال فازوغلي عاص علي فليؤدبه
فارسل منيلك جيشاً بقيادة راس مكوئن الى فازوغلي سنة ١٨٩٧ فأوقع بود
تور الجوري في واقعتين وأمتلك بلاده وما زالت هذه البلاد في يد الحبشة
الى اليوم .

وبالاجال فقد كان التعايشي من الدهاء الحنكين السامرين على حفظ
ملكهم وتقويته وجعله وراثياً في نسله ولكن جهله بمبادئ اتقاء الامم وطبع
الاستبداد الذي فطر عليه شوها ادارته وأفسد تدبيره ونفرا اهل البلاد منه
ومهدا السبيل للسردار احسن تمهيد .

الفصل الثامن

في

استرجاع الخرطوم وسائر السودان

استرجاع الخرطوم سنة ١٨٩٨ :

استعداد السردار للزحف على الخرطوم ، وشرع السردار بعد واقعة
الابتدة في الاستعداد للزحف على الخرطوم وأم درمان فزاد عمال سكة الحديد
ومدّها من ابي حد الى الابتدة ومد الى الابتدة ايضاً خط التلغراف وشرع في
مده من بربر الى سواكن وكان قد استلم كسلا من التليان كما مرّ فمد خطاً
تلغرافياً منها الى سواكن .

قوة جيش السردار : ورأى ان الجيش الذي حضر واقعة الابتدة لا
يكفي لفتح ام درمان فاستنصر دولته فأعجده بآلاي آخر مؤلف من ٤ اورط
فأصبح جيشه مؤلفاً من القوات الآتية : ٤ اورط سوري انكليز و ٩ اورط
سوري مصريين و ٨ بلوكات هجانة و بطاريتين مدافع انكليزية وخمس
بطاريات مدافع مصرية والفرقة البيادة الانكليزية وفيها آلايان بثنائي اورط
والفرقة البيادة المصرية وفيها اربع آلايات بست عشرة اورطة . ورجلة الجيش

نحوه ٢٥ ألفاً. ضم اليه نحو ألفي رجل من العربان المتحابية من العباددة والجعليين والجميعاب والمسلمية والشكرية والشائقية والبطاحين وغيرهم . وأحضر من بلاد الانكليز ثلاث مدرعات مثل التي احضرها حملة دنقلة فبناها في المبيدية شمالي بربر وسماها بأسماء « السلطان والملك والشيخ » فأصبح عنده حملة الخرطوم عشر مدرعات وهي: السلطان والملك والشيخ والفتاح والناصر والظافر وتماي والتيب وأبوطليح والمتمة . ففرق وابور الظافر عند شندي في ٢٨ اغسطس فبقي ٩ مدرعات . فحشد هذا الجيش كله في الاتبرة ثم في ودحامد شمالي شلال السبلوقة . وفي ١٤ اغسطس سنة ١٨٩٨ ألقت ادارة الجيش كما يأتي:

قومندان عموم القوة	الفريق السر هربرت ككتشر باشا (سردار)
رئيس اركان حرب	ويادوانه الكبتن اللورد سمل والبكباشي رتسن
مدير قلم المخابرات	اللوا رندل باشا
مدير مساعد قلم المخابرات	الميرالاي ونجت بك
مدير مساعد قلم المخابرات	اللوا سلاطين باشا
مساعد ادجواتنت جنرال	والماجور الشريف م. ج. ثلبوت
(للجيش الانكليزي)	الكبتن السر ه. س. رولنسن
حكيمباشي الجيش الانكليزي	والكبتن ي. ي. برنارد
حكيمباشي الجيش المصري	الجراح الجنرال و. تيلر
حكيمباشي بيطري الجيش الانكليزي	الميرالاي جلوي بك
حكيمباشي بيطري الجيش المصري	الكبتن ج. ل. بلنكنسوب
ادارة التعمينات	القائمقام جريفث بك
(للجيش الانكليزي)	الكولونل ل. ا. هوب
ادارة التعمينات	والماجور ه. ج. مورغن
(للجيش المصري)	الميرالاي روجرس بك
مدير حملة النقل	والقائمقام دراج بك والبكباشي بلنت
	الكولونل ككتشر

الكولونل ر. هـ. مارتن	قومندان السواري الانكليزي
القائمقام برودود بك	قومندان السواري المصري
القائمقام تدوي بك	قومندان المهجانة
الكولونل س. ج. لونج	قومندان الطويخية

الماجور جنرال جاتيكر	قومندان فرقة البيادة الانكليزية
الجنرال ووشب	قومندان الالاي الاول
الجنرال لتلتون	قومندان الالاي الثاني

اللواء هنتر باشا	قومندان فرقة البيادة المصرية
الميرالاي مكدونلد بك	قومندان الالاي الاول
	(وفيه الاورط الـ ٢ و ٩ و ١٠ و ١١)

الميراي مكسول بك	قومندان الالاي الثاني
	(وفيه الاورط الـ ٨ و ١٢ و ١٣ و ١٤)

الميرالاي لريس بك	قومندان الالاي الثالث
	(وفيه الاورط الـ ٣ و ٤ و ٧ و ١٥)

الميرالاي كولنسن بك	قومندان الالاي الرابع
	(وفيه الاورط الـ ٥ و ١٧ و ١٨)

القومندان كولن كبل	قومندان العمارة البحرية
الماجور ستيورت ورتلي	قومندان العربان المتحابة

وفي ٢٤ اوغسطس زحف السردار بالجيش من ودحامد الى جبل الرويان جنوبي شلال السيلوكة. وأمر الماجور ستيورت ورتلي قومندان العربان المتحابة فصار تجاهه في شرق النيل. وفي ٢٨ منه أبقي مستحفظاً من المؤن والذخائر واستبالية حربية في جبل الرويان وسار بسائر الجيش طالباً ام درمان وكانت الواورات تتقدمه في النيل وجمال الحملة تتعقبه في البر والعربان المتحابة تسير

في حذائه في الشرق فبات ليلته عند جبل الشيخ الطيب على نية الزحف بالبحر والبحر على الخرطوم وأم درمان في الغد . وفي تلك الليلة أرسل الى التمايشي يتهدده بكتاب هذا نصه :

« من سردار الجيوش المصرية والانكليزية الى عبد الله التمايشي زعيم السودان »

« اعلم ان شرورك في السودان ولا سيما قتلك الجمل الغفير من نفوس المسلمين الابرياء أوجبت تقدمي بجيوشي الى هذه البلاد لذلك سلطتك وإراحة البلاد من شرك ويغيك . ولكن بين جيوشك كثير من الاهلين الكارهين لك ولحكومتك ومن العواجز والنساء والاولاد الذين لا يريد ان يلحقهم سوء فاعزل هؤلاء من ديمك الى مكان لا تصله القنابل والرصاص لئلا يقتلوا وتكون أنت المسئول عن دمائهم امام الله واثبت أنت وأشياعك فقط في ساحة القتال لتلاقوا النعمة التي أعدها الله لكم . وأما ان كنتم تودون التسليم حقناً للدماء فاعلموا اننا نستقبل رسلكم استقبالا حسنا ونعاملكم بالعدل والسلام في ١١ ربيع الآخر سنة ١٣١٦ هـ ، اه ٣٠ اوغسطس سنة ١٨٩٨ م . فجعلنا من هذا الكتاب صورتين وعلقنا كل صورة في رأس عود وأرسلناهما مع عبد فغرز عوداً منهما قرب كرري والآخر في الطريق بين كرري وأم درمان . أما الكتاب الذي وضع قرب كرري فقد بقي الى ان تقدم الجيش ولقيه ضابط انكليزي فترجمه ونشره في جرائد بلاده وأما الكتاب الثاني فيظن انه وصل للخليفة ولكننا لم نر له جواباً .

استعداد الخليفة للدفاع : أما الخليفة فانه بعد واقعة الاقبرة تيقن ان الجيش زاحف عليه قريباً فجمع مجلس شوراه من التمايشة وغيرهم للنظر في الاستعداد للدفاع . قيل وكان من رأي يعقوب اخي الخليفة وسائر التمايشة الهجرة الى دار الغرب ولكنهم لم يجسروا ان يبدوا هذا الرأي للخليفة فحملوا الزاكي عثمان الذي حضر واقعة الاقبرة على القول به فلما انتظم المجلس سأل الخليفة كلا من الحضور عن رأيه حتى انتهى الى الزاكي عثمان فقال : « اعلم

يا مولاي اتنا لم نفلس ما كنا عليه قبل ان خصك الله سبحانه بالخلافة فقد كان أعظم رجل منا يملك بقرة او بقرتين يرعاهما في البادية في النهار ويأتي بهما في المساء فيحلبهما فيشتري بنصف لبنها عيشاً يصنعه عصيدة ويحلب عليه باقي اللبن ملاحاً فيأكله هو وزوجته وأولاده ولكن من حين اجتماعنا بك أطعمتنا مما تأكله أنت وأكل اولادنا مما يأكله اولادك ولبس نساؤنا مما يلبسه نساؤك وصار كل من حضر في هذا المجلس بكلك في بيته وفي الناس فليس بكثير علينا اذا نصرناك وغديناك بدمائنا ولكن يا مولاي اذا هوى قصرك هذا علينا في هذه الساعة فما الذي نفعله بحكم السليقة والطبع أنقف حتى يسقط علينا ويهلكنا أم نفر من وجه الخطر . وأنا أؤكد لمولاي ان الجيش الذي حاربنا في الاتبرة لا طاقة لنا على حربه هنا فاذا وقفنا له تغلب علينا وأهلكنا لا محالة . وأم درمان ليست بلادنا حتى نقف فيها وندافع عنها فالأولى بنا أن نأخذ رجالنا وأسلحتنا ونرحل الى كردوفان فاذا لحقنا جيش الحكومة اليها وهو لا يفعل ذلك إلا بعد استعداد كثير وزمن طويل هجرناها الى شكا وهي دارنا فاذا جاءت اليها قاتلناه ودافعنا عن وطننا حتى انتصرنا او متناه . فاحتدم الخليفة غيظاً من هذا الرأي لأنه لم يكن يطيق الخروج من مركز ملكه وعزه وقال لمن عن يمين الزاكي « شيله ام آذان ، أي الطمه كفاً على وجهه ففعل ثم قال لمن عن شماله وأنت ايضاً شيله ام آذان ففعل ثم امر فجروه الى السجن وكبلوه بالحديد . وقال الخليفة : يا سبجان الله يستقبح عبدالله ودسعد الفرار ويقاوم جيشاً ضخماً كجيش محمود بثلاثمائة رجل لأجل حلة واحدة ونحن رجال المهدي وأنصارها المديدين نجبن عن حرب جيش الكفرة المخدول لأجل السودان كله فأننا أحارب حتى انتصر او يقتل جيشي كله فأجلس اذ ذاك على فروتي عند قبة المهدي وأسلم أمري الى الله . فنكس جميع اهل المجلس رؤوسهم ولم يحسر احد ان يحببه بكلمة . ثم تشفع شيخ الدين بالزاكي فأخرجه من السجن وألحقه بيعقوب فبقي الى ان مات معه في واقعة أم درمان كما سيجيء .

طوايي الخليفة ومدافعه وطوبجيته : وشرع الخليفة في حشد الجيوش في ام درمان والاستعداد للدفاع وكان من أهم ما شغله وابورات الجيش وقد أعد لمقاومتها ١٧ طابية طابيتين في الخرطوم واحدة عند المقرن وأخرى عند السراي وطابيتين في البر الشرقي جنوبي الحلفاية واحدة في الصبائي واحدة في شمبات واثلتين في جزيرة توتي و ١١ طابية في ام درمان . وكان قد بنى سبع طواب في مضيق السبلوكة ولكن اضطر الى اخلائها لجمع رجاله حوله من جهة ولعدم مقدرة على امدادها بالمؤن والذخائر من جهة اخرى . وكان عنده من المدافع ٦٣ مَرَّ تفصيلها فكان منها اثنان في الترسانة بقصد تصليحها وثمانية في بيت الأمانة غير قابلة التصليح و ١٩ مدفعاً مددة لساحة القتال والباقي وهو ٣٤ مدفعاً موزعة على الطوايي السبع عشرة وكلها بمعدة ١٥٢ رجلاً من الطويحية المصريين الذين كانوا في الأسر وعليهم رؤساء من التعايشة . وقد كان لكل طابية جناحان مفتوح بهما المزاغل وعليهما نفر من الأنصار المسلحين بالبنادق .

ألغام الخليفة : ومما استنبطه الخليفة لمقاومة وابورات الجيش الألغام فانه أمر رجلاً مغربياً من عمال الترسانة يدعى منوراً فصنع له لغماً من البارود في اسطوانة كبيرة من حديد أتى بها من معمل النيلة القديم في الكاملين وجعل للغم ديكاً يرمي على كبسولة متصلة بالبارود وحمل اللغم في مركب جرّه وابور الاسماعيليه وأتى به الى وسط النيل تجاه خور شمبات لينصبه للوابورات فأفلت الديك من يده سهواً على الكبسول فانفجر اللغم وحطم المركب والوابور تحطيماً وقتل جماعة من البحارة والعمال وفيهم منور نفسه . ثم أمر الخليفة عمال الترسانة ان يصنعوا ألغاماً اخرى فلم يفلحوا .

وابورات الخليفة : هذا وكان وابور محمد علي الملقب كاو كار والفاشر المعروف عندهم بالمنصورة قد غرقا في السد . وشبين والمسلمية قد عتقا وتعطلا . وأرسل الصافية الى فاشودة لمحاربة البيض كما سيجيء فلم يكن في ام درمان

سوى بوردين والتوفيقية ومعها ٥١٩ مركباً فخبأها الخليفة في خور لأنها لم تكن تصلح للدفاع وبقي كل اعتماده في مقاومة الواورات على طواحي شرقي النيل وتوفي والخرطوم وأم درمان .

العربان المتحابة وفتح شرق الخرطوم : وفي فجر اول سبتمبر زحف السردار بالجيش والواورات والعربان المتحابة قاصداً أم درمان حتى تجاوز جبل كرري عند الظهر فوقف بالجيش في مكان يدعى العجيبة على نحو ٨ اميال من أم درمان . وكان قد اصدر امره الى الواورات والعربان المتحابة في الشرق لمقاومة طواحي العدو في الشرق والغرب والخرطوم . وقد تقدم ان في الشرق بين الحلفاية والخرطوم طابيتين شمبات والصباي فصار الماجور ستيورت حتى أتى بلدة شمبات فوجدها خالية وعلم ان في طابيتها التي على شاطئ النيل على نحو ميل منها أميراً من الجعليين يدعى محمد ود فايت ومعه عشرون رجلاً من اهله وبعض الطويحية المصريين ومدفع واحد وان في طابية الصباي على ربع ساعة منها أميراً من التعايشة يدعى غالي جودة ومعه ٢٠ رجلاً من البقارة والجهادية وبعض الطويحية المصريين وان في بلدة الصباي نفسها أميراً من التعايشة يدعى عيسى زكريا معه نحو ٣٠٠ رجل من اخلاط العربان ومعهم كتبية من الفرسان التعايشة . فأمر الماجور ستيورت الشيخ ابراهيم ود فرح كبير الجعليين بأخذ طابيتي الصباي وشمبات وأمر ميسرة بن الزبير باشا كبير الجميعاب والطاهر العبيد (الذي وقع اسيراً في فرجة) كبير المسلمية بهاجمة بلدة الصباي من الجنوب وهاجمها هو بالعبادة وعليهم عبد العظيم بك من الشمال تاركاً العربان المسلحين بالحرايب والسيوف في شمبات . فزحف الشيخ ابراهيم على طابية شمبات وارسل الأمان الى اميرها فسلم له ثم تقدم الى طابية الصباي فأخذها عنوة وانقلب على بلدة الصباي لنجدة الماجور ستيورت . وقبل وصوله اليها اغار فرسان الدراويش على الماجور ستيورت فانهزم بالعبادة امامهم وكان مع الماجور ستيورت ابن للجنرال ود فثبت للفرسان ورماهم بمسدسه فجندل فارساً منهم وصاح الماجور ستيورت بالعبادة فثبتوا وصوبوا

نيرانهم على الفرسان . ووصل في هذه الأثناء الشيخ ابراهيم لنجدتهم فرأى فرسان العدو انهم اصبحوا بين قوتين فانقلبوا راجعين الى الصبائي . وكانت عيسى زكريا قد تحصن برجاله في بيت من بيوت البلدة فأطبق عليه ميسرة الزبير والطاهر العبيد من الجنوب والشيخ ابراهيم من الغرب . وعبد العظيم والعبادة من الشمال فقتلوه هو ومعظم رجاله . وكانت خسارة العربان المتحابة في هذا الهجوم ١٢ قتيلًا و ١٨ جريحًا وأما خسارة الدراويش فقد قدرت بنحو ٢٠٠ رجل . وحضر هذه الواقعة طنوس افندي شحادة من موظفي مخابرات الحدود فأظهر فيها من البسالة والدربة ما أطلق لسان الماجور ستورت بالثناء عليه . ولما تم للماجور المذكور فتح الشرق انضم الى الواورات وكان الوقت الظهر .

الواورات وفتح توتي والخرطوم : وأما الواورات فكانت في أثناء القتال في الشرق تساعد العربان المتحابة برمي القنابل على طابيتي شمبات والصبائي . ثم انقلبت على طابيتي توتي حتى اسكنتها وتقدمت الى الخرطوم فأخذتها عند العصر .

رمي ام درمان بالقنابل : هذا وكان مع الواورات بطارية من البطاريات الانكليزية المعروفة بالهويتزرز فلما اخذت طابيتا شمبات والصبائي زلت البطارية الى البر الشرقي وصوبت قنابلها على ام درمان . وبعد اخذ الخرطوم وتوتي انضم اليها الواورات فخربت في ام درمان واسوارها وكانت طوايي ام درمان تجيب نيرانها إلا انها لم تحسن الضرب فلم تصبها بأقل ضرر . وكان الهويتزرز قد صوبت بعض القنابل على قبة المهدي فتفتحت في قممها ثغرة كبيرة فذعر الناب من ذلك . قيل وصاح الخليفة ويلاه من نار الكفرة فقدد هشموا قبة المهدي ولم يخافوا الله . وفي المساء جاء ضابط من ضباط البحرية وأخبر السردار بما كان من فتح الشرق وتوتي والخرطوم فاطمان قلبه وتفرغ للخليفة وأم درمان .

واقعة ام درمان الجمعة في ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ :

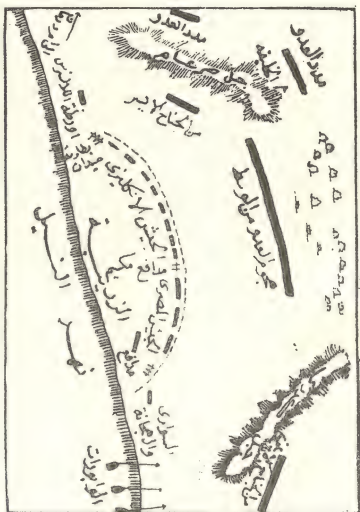
خروج الخليفة لمقاومة السردار : وكان الخليفة قد أنفذ الامير عبدالباقي من اهله ليراقب حركات الجيش فأقام في وادي بشارة حتى زحف الجيش من الاتبرة فرجع الى شلال السبلوقة وصار كلما تقدم الجيش جنوباً يتقهقر امامه ويرسل بخبره الى الخليفة حتى دخل ام درمان الاربعاء مساء . وكان الخليفة لما علم بخروج الجيش من جبل الرويان الاربعاء صباحاً في ٣١ اوغسطس سنة ١٨٩٨ خرج يجميع جيوشه من المدينة الى ساحة العرضة غربها . وكان عدد جيوشه ٥١٧٨٩ مقاتلاً فيهم ٨٦ اميراً و ٥٤٩٥ فارساً و ١٤٣٠٠ راجلاً مسلحين بالبنادق الرمنتون وغيرها والباقون مسلحون بالسيوف والحراب كما بيناه قبل . ويوم الخميس في ١ سبتمبر عند الضحى زحف الخليفة من ساحة العرضة لمقابلة جيش السردار على الترتيب الآتي : جيش الملازمة الجديد وجيش الكاره وجيش الخليفة علي ودخلو في صف واحد في المقدمة وجيش يعقوب ومعه جيوش الخليفة شريف وعثمان ازرق وعثمان دقنة في الساقة والخليفة في وسط حرسه الخصوصي بينها . وكان السردار عند وصوله الظهر الى العجيبة قد صعد هو وأركان حربه الى اكمة على نحو ٨٠٠ يرد من البلدة في طريق ام درمان تعرف بجبل صرغام فرأى جيوش الخليفة على ثلاثة اميال من الاكمة فتوج في عرض ذلك البر كأنها بحر عجاج فظن ان الخليفة يهاجمه في ذلك اليوم فرجع للحال عن الاكمة وأخذ يستعد للملاقاته فصف العساكر حول البلدة على هيئة نصف دائرة طرفاها بسان النيل - الجيش المصري الى اليمين والجيش الانكليزي الى اليسار - وجعل الحملة في الوسط والوابورات تحمي ظهرنا في النيل . فأقسام الجيش الانكليزي زربية من شوك للتترس بها وأما الجيش المصري فلما لم يجد الشوك في جهته جفر خندقاً وتترس به . وكانت بيننا وبين الخليفة سهل فسيح جداً في وسطه الى اليسار جبل صرغام الذي كان يحجب جيش الخليفة عنا وبين الجبل والنيل الطريق الى ام درمان والى بيننا جبل كرري الذي يمتد من النيل الى مسافة بعيدة في الصحراء . وفي

الساعة الثانية بعد الظهر عاد كشافة الجيش وأخبروا ان الخليفة وقف بحيث عند خور شببات . ثم جاءت الانباء انه ينوي الهجوم ليلا . ولما لم يكن الهجوم ليلا من مصلحة الجيش ارسل قلم الاخبارات الجواسيس من اهل المعجبة فلتشروا الخبر في معسكر الخليفة ان الجيش يستعد لمهاجتهم قبل دخول الليل وذلك ليشغلهم بالاستعداد للدفاع عن الهجوم . على ان الخليفة لم يقرّ على مهاجمة الجيش ليلا لأنه كان على يقين ان الجيش مستعد للقاءه أي وقت جاءه وأن عنده الانوار الكشافه فيلقي بها على جيشه فيحاربه وهو يرى ولا يرى . ثم انه لم يكن واثقا من ولاء جميع رجاله وثباتهم معه الى النهاية فخاف انه اذا أمرهم بالهجوم ليلا ان يتستروا بالظلام ويفشوا ففقد مجلسا من أخصاء اهل مشورته وأقروا على تأجيل الهجوم الى الصباح .

ولما كان فجر الجمعة في ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ صلى الخليفة الصبح وتقدم بجيوشه مهاجما الزريبة حتى بلغ جبل صرغام فتواري به وجعل الجميلين والشايكية والدناقلة شرقي الجبل الى النبل وقال لهم أنتم العباسية نصره الدين فسدوا هذا الثغر . وجعل عثمان دقنة وعبد الباقي عبد الوكيل ومساعد قيودوم في صف آخر وراءهم لتجديتهم ومنعهم من الفرار . وجعل جيش الكارة بقيادة ابراهيم الخليل غربي الجبل والى يساره جيش الملازمة بقيادة ابنه عثمان شيخ الدين وكان شيخ الدين نفسه في وسط قلعة من ملازمة تقيف على ٤٠٠٠ مقاتل وراء الصفوف بعيدا عن مرمى القنابل والى يسار جيش الملازمة جيش الخليفة علي ود حلو وبقي يعقوب اخو الخليفة بالراية الزرقاء وراء الجميع .

الهجوم الاول : ولما كانت الساعة ٦ والدقيقة ٤٠ سمعنا اصوات التهليل والتكبير الى الزريبة فعلنا ان جيوش الخليفة تهاجمنا ولم يمس إلا بضع دقائق حتى رأيناهم مهاجمين في هيئة هلال متسع على نحو ٢٥٠٠ يرد منا . وكان السردار قد أعد جيشه منذ الساعة ٤ قبل الفجر وبدأت الوابرات ترمي قنابلها على ام درملان منذ الساعة ٥ والدقيقة ٢٠ فما اطل الدراويش حتى تلقاهم طويحية الزريبة بالقنابل فلم يبالوا بها وما زالوا مهاجمين حتى صاروا

تَبَاجِ السُّوْكَانِ



واقعه ام درمان

مجموع الدرر ایش علی الزریبہ

على نحو ١٢٠٠ يرد من الزريبة قبدأ الجيش باطلاق البنادق ومدافع مكسيم . وقد هاجم الدراويش اولاً . ميسرة الزريبة ثم قلبها ثم ميمينها فاشتعلت النيران من كل أنحائها وأتجدتها الواورات في النيل بمدافعها من اليمين والشمال فكان لأصوات البنادق والمدافع في البر والبحر من الجيش والمدور دوي لا يعبر عنه بالقلم . وكنت اذ ذاك على هضبة عالية وسط الزريبة تشرف ساحة القتال من كل الجهات فكنت أرى الدراويش فرساناً ومثاة يسقطون صفاً وراء صف امام نيران الجيش الحاصدة وهم يتلقونها بقلوب لا تنهاب الموت حتى رأوا انه يستحيل عليهم اختراق هذه النيران الى الزريبة فنكصوا عنها بعد ان فقدوا اعظم ابطالهم وأعز رجائهم .. أما الجعليون والشايقية والناقلة الذين هاجوا ميسرة الزريبة فما لبثوا بعد ان حمي الوطيس ان انقلبوا راجعين الى ام درمان لأنهم سيقوا الى ساحة الرغى بالرغم . وأما جيش الكارة الذين هاجوا قلب الزريبة فانهم كرهوا مستبسلين حتى صار بعضهم على نحو ٥٠٠ يرد منا فكنوا في منخفض من الارض تجاه الجيش الانكليزي وصوبوا رصاصهم عليه فقتلوا وجرحوا وكان في جملة القتلى ضابط انكليزي وعدة عساكر ومن الجرحى المستر وليمس مكاتب الدالي كرونكل والكولونيل رودس (اخو استر سسل رودس الشهير) مكاتب التيمس فصوب الطويحية الانكليز قنابل مدافع الميدان عليهم فنكلوا بهم واضطروهم الى الفرار وبقي جيش الكارة يحسد محاولاً اختراق الزريبة حتى قتل قائدهم ابراهيم الخليل فحملوه الى الخليفة فأمرهم ان يذهبوا به الى ام درمان ويدفنوه هناك ففعلوا . وأما شيخ الدين فانه بقي في وسط حرسه الخاص بعيداً عن مرمى القنابل وقسم جيشه قسمين قسماً هاجم قلب الزريبة مع جيش الكارة فخذل معه وقسماً انضم الى الراية الخضراء فهاجوا السواري والطويحية في ميمنة الزريبة على جبل كرري وقتلوا منهم ودحروهم الى النيل وغنموا مدفعاً من مدافعهم ولكن لم يكن إلا القليل حتى أسرعت الواورات الى نجدتهم وأنجدهم ايضاً عساكر الميمنة فاكثروا من القتل في الأعداء وهزمهم شر هزيمة واسترجع السواري مدفعهم . وما كانت الساعة

٨ والدقيقة ٣٠ حتى انجلى الدراويش عن ساحة القتال .

هجوم السواري الانكليزي : وكان الخليفة اذ ذاك لم يزل في مركزه وراء جبل صرغام واخوه يعقوب ورايه وعثمان دقنة عن يمينه الى جهة النيل وعثمان شيخ الدين بقلعته في أقصى جبل كرري وبقرية جيش الخليفة علي ود حلو وجميعهم متوارون عن نظر الجيش فظن السردار انهم تركوا القتال وانهزموا الى ام درمان فأرسل السواري الانكليزي (اورطة اللانسرس الحادية والعشرين) في الطريق التي بين جبل صرغام والنيل لقطع طريق العدو ثم شكل الجيش مربعات بجاعلا كل لواء مربعا وسار في أثر السواري « بهيئة تدريجيه » .

هجوم السواري الانكليزي : ولكن ما انتهى السواري الى منحدر الجبل الجنوبي حتى هب عثمان دقنة من كمينه وأشعل فيهم النار وذلك في الساعة ٩ والدقيقة ٣٠ وكانوا اذ ذاك على مقربة منه فلم يكن لهم بد من اختراق صفوفه فبدلوا في شواكل خيلهم المهاميز وأطلقوا لها الأعنة واندفعوا على الصفوف فتلفتهم بالسيوف والحرايب فجاهدوا جهاد الأبطال المدربين حتى اخترقوا الصفوف واتخذوا لهم مكانا على ٤٠٠ يرد منهم حيث ترجلوا وأصلوهم نارا لم يطيقوها فانهزموا غربا الى الراية الزرقاء وعاد السواري الى الجيش وقد فقدوا ٢١ قتيلاً فيهم اللفتنت غرنفيل و ٤٩ جريحاً وقتل وجرح من خيلهم ١١٩ .

الهجوم الثاني : وفي أثناء ذلك كان السردار يتقدم نحو ام درمان بالألوية الخمسة فما وصل منحدر جبل صرغام الشرقي حتى جاءه الخبر بأن الخليفة لا يزال مقيماً بأنصاره غربي الجبل فأصدر امره في الحال بتغيير السير واتجه الجيش الى اليمين وكان الخليفة قد أصدر امره لأخيه يعقوب صاحب الراية الزرقاء (السوداء) فحمل الجيش حملة صادقة وكان هجومه على لواء مكدونلد فتصدى له هذا القائد الباسل وأسعفه قواده المدربين الميرالايات وولتر وناسون وجكسن قومندات الاورط التاسعة والعاشرة والحادية عشرة السودانية فدربوا جنودهم أحسن تدريب وصدوا هجمات العدو المرة بعد المرة وما زال

رجال يعقوب يكرون على اللوامين طالبين اختراق صفوفه او الموت وثيران اللواء تتكل بهم تنكيلا حتى تراكمت جثث القتلى كالرعى وقتل يعقوب نفسه وخذل جيشه . وكان الخليفة قد أرسل حرسه الخاص بقيادة بنحيت جاموس لنجدة اخيه يعقوب فأصابه ما اصاب يعقوب .

الهجوم الثالث : ولكن لم ينته اللواء من هذين الجيشين حتى كان جيش الراية الخضراء قد أقبل عليه من الغرب وهاجم من عن اليمين فاتجه اللواء نحوه وصب عليه نيرانه وصد هجماته المتتابة وجندل ابطاله وهزمه أقبح هزيمة . وكان السردار قد أرسل لواء ووشب الانكليزي لنجدة مكدونلك فلم يكذ يصل اليه حتى كان قد أتم عمله . وأمر لواء مكسول ولواء لتلتون فأخذوا جبل صرغام ثم داروا الى الغرب ووجها نيرانها على الفارين من رجال الراية الزرقاء ثم من رجال الراية الخضراء فأوغل هؤلاء في الفرار غربا فتبعهم السواري والمهجانة وقتلوا منهم وأسروا .

فرار الخليفة من ساحة القتال : أما الخليفة فإنه ثبت في مكانه حتى انهزم جيش الراية الخضراء . وعلم ان أخاه يعقوب قد مات فأيقن بالخذلان التام ولم ير بابا للنجاة سوى الفرار ففر مع بعض اصحابه وأخصائه وأرسل خبيرا الى ابنه عثمان شيخ الدين بترك الحرب وموافاته الى ساحة العرضة غربي ام درمان ففعل .

احتلال الجيش لأم درمان : وفي الساعة ١١ والدقيقة ٣٠ أمر السردار بإيقاف النيران وتقدم الى خور شمبات ومعه لواء مكسول ولواء لتلتون فاحتله الساعة ١٢ والدقيقة ٤٥ واستراح نحو ساعتين حتى تكامل الجيش في الخور ثم تقدم الى ام درمان ومعه اركان حربه وفيهم الميرالاي ونجحت بك مدير المخابرات وسلاطين باشا مساعده ولواء مكسول وستة مدافع من الطويحية الانكليز تحقق فوقه راية الجيش والراية الزرقاء التي غنمها من الواقعة ولما وصل ضواحي المدينة خرج اهلها الى جانبي الطريق فاستقبلوه بالترحيب والتأهيل

وعلت اصوات النساء بالزراغيت وما زال سائراً حتى وصل الزاوية الشمالية الغربية من السور فسأل عن الخليفة فقالوا انه داخل منزله فأرسل مدفعين وثلاث اورط من لواء مكسول فوقفوا غربي الجامع لقطع طريق الخليفة وتقدم هو بالاورطة الثالثة عشرة السودانية والاربعة مدافع الباقية للقبض عليه فدار حتى دخل من باب السور الشرقي الذي يفتح على النيل وأتى منزل الخليفة وقتل عنه فلم يجهده .

فرار الخليفة من ام درمان : وكان الخليفة قد أتى من ساحة العرضة الى منزله ومعه ابنه وأخصاؤه وضرب النحاس والأمباية بقصد جمع الناس لمقاومة الجيش داخل السور فلم يجتمع عليه إلا القليل فرأى انه اذا بقي وقع في قبضة الجيش فأخذ نساءه ونساء المهدي وأركن الى الفرار جنوباً ومعه بضعة آلاف من الجهادية والعرب البقارة وفيهم: عثمان شيخ الدين ابنه وهارون محمد اخوه من أبيه والسنوسي احمد اخوه من امه والخليفة علي ود حلو والبشير عجب الفيه امير كنانة والخليفة شريف الذي تخلف عنه في الطريق وأتى مسلماً كما سيجيء والبشرى ابن المهدي صهره والفاضل ابن المهدي صهر الخليفة شريف والصديق ابن المهدي وعثمان دقنة وعبد القادر ام مريوم الذي تخلف عنه وأتى مسلماً بعد ايام ويونس الدكيم وعبد الباقي عبد الوكيل وحامد علي الذي كان في كسلا ويعقوب ابو زينبة من أخص أقربائه وغيرهم . وبفراره اصبحت ام درمان بل السودان كله بيد السردار والى ذلك أشار نساء ام درمان بقولهن :

الليلة هاي قلبوها تركية ود تورشين شرد رقدوا الملازمة

وكان فرار الخليفة قبل دخول السردار بساعة على انه بقي داخل السور بعض البقارة فربموا السردار وأركان حربه بالرصاص ولكن كانت رصاصهم عالياً فلم يمسنوا بضرر . ثم ان الطويحية الذين جعلهم السردار عند باب الجامع الغربي لما سمعوا اطلاق النار من داخل السور ظنوا ان الخليفة لم يزل محاصراً



قبة المهدي بعد واقعة أم درمان

فيه فرموا بالقنابل الى داخل السور فوقعت قنبلة عند باب القبة حيث كان السردار وأركان حربه فأصاب الشريف هيوبورت مؤرد مكاتب النيوبورك هارولد فقتلته فأسف عليه كل من عرفه . فأرسل السردار أمراً الى الطويحية بإيقاف النار وخرج من السور فأتى الى السجن وكان فيه ٨٨ سجيناً بينهم ابراهيم باشا فوزي والمستر نوفل يرسفان بالقيود فأطلق سراحها ووضع الحفراء على السجن وببيت الخليفة وبيت يعقوب وبيت شيخ الدين وبيت الامانة وبيت المال وغيرها من المحلات الشهيرة وبات ليلته يحمى الجيش غربي المدينة .

مطاردة الخليفة : وكان السردار حالماً تحقق فرار الخليفة قد أرسل في أثره السواري والهجانة ومعهم سلاطين باشا في البر وأرسل مدرعتين في النيل فطارده السواري والهجانة مسافة ٣٠ ميلاً حتى أعيت ركائبهم ونقد زادهم وطارده الوابورات تسعين ميلاً جنوباً فلم يدر كره فعادوا كلهم الى ام درمان .

رفع الرايتين : و يوم الاحد في ٤ سبتمبر أي بعد الواقعة بيومين عبر السردار النيل الى الخرطوم فرفع الرايتين الانكليزية والمصرية معاً على خرائب السراي وأقام الصلاة عن نفس المرحوم غوردن . ومن هذا اليوم دخل السودان في عصر جديد فعرف باسم السودان الانكليزي المصري . وعرفت الواقعة بواقعة الخرطوم وواقعة ام درمان وواقعة كرري وهي اكبر واقعة رآها السودان منذ قام العالم ولقد أظهر السودانيون فيها من البسالة واحتقار الموت والاستهلاك في سبيل الغرض ما لا مزيد عليه .

جهاد الجيش : أما الجيش المصري الانكليزي فكل رجل فيه جاهد حق الجهاد واستحق أطيب الثناء وان "خص" بعضهم بالمدح كلواء مكدونلد والسواري الانكليزي . وأما الموظفون الملكية الذين صحبوا هذا الجيش وشاركوه في الاتصاف والاططار فاستحقوا الثناء فأمهم : شاهين افندي جرجس الذي حضر واقعة الاتبرة وواقعة الجيزة من قبلها وابراهيم افندي ديمتري وجورج افندي مظلوم وكلهم من موظفي المخابرات . وخطار افندي

كثمنان ومحمود افندي عباسي وحسن افندي حسني من موظفي السردارية .

القتلى والجرحى : وقد قتل في هذه الواقعة من الدراويش نحو عشرة آلاف رجل وجرح مثل ذلك وأكثر . وكان في جملة القتلى من الراية الزرقاء : الأمير يعقوب ومحمد ابن المهدي صهر يعقوب وأب بسام تمايشي من اخصاء شورى يعقوب وعثمان الدكيم اخو يونس الدكيم ومحمد الزاكي وعثمان امير بربر وعثمان ازرق وحسين ودجزو المجري واحمد حمدان العربي . ومحمد بشارة امير دنقلة سابقاً وسليمان كشه تاجر المنوعات . ومن جيش الكاره : ابراهيم الخليل امير الجيش ومحمد اسحق التمايشي وحامد صابون الرزيقي . ومن الراية الخضراء : عبدالله وداحمد ودابوسوار وكيل راية دغيم واحمد ودعبد الجليل ابن عم الخليفة علي ودخلو واحمد عبدالله برجوب امير ربع اللحوين واحمد ود المكي الدنقلوي كاتب الراية .

أما خسارة الجيش فكانت ٤٩٠ قتيلاً وجريحاً من انكليز ومصريين . فالقتلى من الجيش الانكليزي ٣ ضباط و ٢٤ عسكرياً ومن الجيش المصري ضابطان و ٢٧ عسكرياً وأما الجرحى فمن الجيش الانكليزي ٨ ضباط و ١٢٥ عسكرياً ومن الجيش المصري ١٥ ضابطاً و ٢٨٦ عسكرياً .

وقد دفن قتلتنا بالاكرام اللائق بهم . وسمح السردار لأهل المدينة فذهبوا الى محل الواقعة ودفنوا اقاربهم . وبعد الواقعة بأيام معدودة صعدت على جبل صرغام لمشاهدة محل الواقعة فاذا بالقتلى قد غطت السهل من حوله على مدى النظر والنور قد حامت فوقها أسراباً فملأت الجو وكان المشهد مما تنقبض له النفس اشد الانقباض ويوجب منتهى السخط على الحروب وأسبابها .

اوراق الخليفة : وفي ثاني يوم الواقعة عند الفجر أتى رسول بكتاب من الشيخ مدثر ابراهيم الى الميرالاي ونجحت بك مدير الخبابرات يسأله الامان فذهب المدير الى بيت الشيخ مدثر وأعطاه الامان وسأله عن كتب الخليفة وأوراقه فقله عليها وكان بعضها في منزله وبعضها في منزل الخليفة وكنت قد صحبت

المدير فشرعت في فرزها وجمعها في عشرين عدلاً وأتيت بها الى مكتب الخابرات في مصر فاذا هي جامعة لأهم ما دار من الكتب بين الخليفة والمهدي من قبله وبين امرائها وغيرهم في الجهات وقد تحققت منها بعض الوقائع التاريخية واستشهدت بها كثيراً في هذا الكتاب . وأعطانا الشيخ مدرّس ختم الخليفة وأما ختم المهدي فقد عثر عليه بعض رجال الحملة ليلة الواقعة وباعه الى المستر كوك الشهير في مصر .

بيت الخليفة : ثم جلنا في بيت الخليفة فوجدناه فارغاً بعد ان كان مفروشاً بأفخر الاثاث والتحف السودانية إذ أن اهل المدينة وغيرهم قد نهبوه ليلة الواقعة ولم يبقوا فيه سوى كرسي كبير من خشب في القاعة المعدة لجلوسه .

قبة المهدي وقبره وجثته : وخرجنا من بيت الخليفة الى قبة المهدي والجامع فاذا هما كما وصفناهما قبل إلا أن قنابل الجيش قد هشمت قمة القبة وجانباً من جوانبها العليا وفتحت فيها عدة ثغور . وأما قبر المهدي فقد كان محاطاً بدرابزون من النحاس إلا أن الرداء الذي كان يغطيه مأخوذ عنه . وفي ١٨ سبتمبر لغمت القبة فسقطت الى الارض ولم يبق قائماً منها إلا اركانها الاربعة . ونُش قبر المهدي وأخرجت جثته فحمل رأسه الى معرض التحف بلندن وبعثت عظامه .

بيت يعقوب ومال الخليفة : ثم ذهبنا الى بيت يعقوب قرب بيت الخليفة حيث كان يظن ان مال الخليفة محفوظ فيه فوجدنا عدة مخازن مملوءة بالمؤن والذخائر كالدرّة والبن والقرب وسروج الجمال والجلبب والسيوف والحراب والخذود ونحوها . وأتينا المخزن الذي كان يحفظ فيه المال فوجدنا بابه مغلوعاً والصناديق التي فيه فارغة وبينها صندوق صغير قيل كان فيه المجوهرات الكريمة التي غنمها الدراويش من الخرطوم والحبة ولم نجد من المال سوى كيس من « خيش » فيه ٤٠٠ ريال مجيدي فقلنا الخقراء عن ذلك فقالوا

انهم منذ اتوا مساء الراقعة وجدوا الباب مغلوعاً وصدق قولهم بعض الاهالي فقالوا ان بعض رجال يعقوب لما علموا بقتله اسرعوا الى منزله فخلعوا الباب وحلوا ما استطاعوا حمله من المال وفروا هاربين .

بيت الامانة : ثم ذهبنا الى بيت الامانة قرب بيت يعقوب فوجدنا مخازن كبيرة من البارود تحت الارض وأشياء شتى من التحف والمهمات الحربية بينها مدفع وعدة صناديق جبخانة وخمس عربات كانت للحكمدارية والمرسلين الكاثوليك في الخرطوم ونحو ١٠٠ نقارة من نقاير اهل البلاد جمعها الخليفة بعد استيلائه على الملك لكي يحصر السلطة كلها في يده ولا يكون في البلاد رأس يجمع للحرب غيره . وكان بينها نقارة كبيرة مكتوب عليها : « ملك السلطان بادي بن نول سنة ١١٦٧ هـ » وهو الملك السادس عشر من ملوك سنار الملقب بأبي شلوخ الذي اشتهر في حرب الحبشة وقد مر في تاريخ سنار . ونقارة الخليفة (المنصورة) موضوعة على دكة مرتفعة على شكل نصف دائرة عند مدخل باب البيت يصعد اليها بسلم كانت تضرب عند اجتماع رجاله للعرضة . وفي احدى الغرف الكبيرة معرض للتحف والفنائم الحربية وقد جعلوا ما غنموه من كل دولة على حدة فترى هناك غنائم من المصريين والأحباش والتليان والبلجيك والشلك وبين هذه الفنائم صندوق صغير عليه ورقة صغيرة مكتوب عليها هكذا : « هذا الصندوق داخله الاصناف الآتية ادناه المحضرة من بحر الجبل برفقة سعيد صغير في شهر ربيع آخر سنة ١٣١٤ هـ - نيسان . ميزان هوا . ختات . بوسطة ووقائع » فتفتحت الصندوق فلم اجد فيه غير «البوسطة والوقائع» وهي جرائد افرنسية وتحارير خصوصية لبعض الضباط البلجيك من اقاربهم في اوربا .

والى شرق بيت الامانة بيت مال الحربية وفيه معمل الخرطوش والاسلحة الصغيرة وأما معمل البارود فقد كان في جزيرة توتي . وكان هناك اسدان كبيران نقلتا الى حديقة الحيوانات بمصر .

بيت المال : ثم ذهبنا الى بيت المال فوجدنا فيه نحو ٢٠٠ قنطار من العاج
أتي بها من خط الاستواء . ومحل الضربخانة وفيه ٨ قوالب « تنفة » العملة
و ٣ صناديل و ٣ مرزبات و ١٥ سندالاً من سناديل الصياغ و ١٥ مطرقة
حديد و ١٥ ماشة حديد و ١٥ نفاخ جلد و ٥ مبارد مثلية لبرد العملة .
ومطبعة الحجر التي غنموها من الخرطوم واستعملوها لطبع منشائر المهدي
وزواته ثم لطبع منشائر الخليفة وكتب اخرى وأهم ما طبع فيها غير
منشورات المهدي ورواتبه : رسالة حسن سعد العبادي ورسالة العوام ورسالة
الشيخ الحسين ابراهيم ولد الزهراء ومنشور منع الظلم للخليفة وكتاب الزوجية
في الميراث وكتاب النصائح المرسلة الى الجهات البحرية ومنشور ترك الاسلحة
النارية ودعوة رمضان والجزء الثاني من تاريخ فتوح الشام . أما منشورات
المهدي فقد طبعت في جزئين ووزعت على الجهات .

سجن الخليفة : وبعد الواقعة بأيام ذهبت الى السجن مع قدمندان ام
درمان لانقاذ باقي المسجونين فاذا هو عبارة عن حوش متسع محاط بسور من
الحجر وفي وسطه بعض الأكواخ من الطوب والطين وكان الباقي فيه من ال ٨٨
سجيناً نحو ٤٠ رجلاً وكان بعضهم مقيداً بالمكاكي وبعضهم بالمكاكي والجنائزير
وبعضهم بلا قيد فأمر القومندان باطلاق سراحهم ففكروا قيودهم بالحجارة
والعصي وهم يدعون للحكومة بالنصر والتأييد . وكان أهم من في السجن
عدا ابراهيم باشا فوزي والمستر نوفل المار ذكرهما : الشيخ محمد شريف نور
الدائم استاذ المهدي وقد سجن لعدم ولائه للخليفة والعرض المراضي و ابراهيم
رمضان لاتهامها بمحاولة الفرار و ابراهيم محمد حزة لاتهامه بالمساعدة على انقاذ
سلاطين باشا وحسن سرف ام كدوك كبير البرته لأنه علم بفرار سلاطين ولم
يخبر به وبولص صليب من كتاب الحكومة في الخرطوم لأنه زوج ابنته لرجل
من الأقباط بعد ان أمر بحفظها للخليفة وحمد محمد الملك من دنقلة لعدم ولائه
لحكومة التعايشي .

أسرى الحكومة : وكانت في ام درمان نحو ١٤٠٠ رجل من الموظفين الملكيين والضباط والعساكر النظامية والباشبوزق الذين وقعوا في أسر الدراويش وأهمهم عدا ابراهيم باشا فوزي : القانم محمد بك اسكندر والملازم يوسف افندي منصور والميرالاي النور بك محمد والقانم عثمان بك الدالي والقانم السيد بك جمعة والدكتور احمد افندي زكي من اطباء الخرطوم . ذلك ما عدا ٨٠٠ عائلة من عيال الضباط والملكيين الذين توفوا في أثناء الحصار او بعد الأسر .. وكان فيها ٥٣ رجلاً من التجار الأروام والتليان والشوام والارمن واليهود واكثرهم من الاروام وقد عرفوا بالمسلمانية كما مرّ وسكنوا حيناً خاصاً بهم فكان انظف احياء المدينة واجملها وقد غرس البعض في دورهم الليمون البرتقال والحامض والحناء وأهمهم : الخواجه يوسف الشبخاني اللبناي المشهور بالمروءة والوفاء ولين المريكة وجورجي اسطمبولية المار ذكره ونعمو عجي الحلبي ومعهم الراهبة تريزة من راهبات المرسلين النمساويين في الابيض وقد أمرها الخليفة بالزواج فخافت اذا امتنعت عنه ان يزوجها رجلاً من اهلها فتزوجت بتاجر رومي مسيحي وبنت جورجي بك الحكيم الذي قتل في واقعة هكس وقد تزوجت برجل رومي آخر فأرسل السردار جميع هؤلاء الأسرى الى مصر ... وكان في ام درمان من الاحباش الذين وقعوا في أسر التعايشي ٢٣٣ نفساً فأرسلهم السردار الى الحبشة عن طريق مصر ومصوع .

موظفو السودان «والمأهيات» والتعويضات والرُّجع : وانهالت طلبات الاسرى وغيرهم من سكان السودان على المالية المصرية فن طالب ما هيته في أثناء الثورة ومدة الأسر ومن طالب ديناً أسلفه للجيش مدة الحصار وذلك بموجب رُجع محفوفة في يده او مفقودة منه ومن طالب تعويضاً على ما فقده من الاموال بسبب الثورة فانقسمت طلباتهم الى ثلاثة أنواع : مأهيات ورُجع وتعويضات أما المأهيات فقد سعى السردار مع المالية فوزعت على الموظفين الملكية والعسكرية من باشبوزق ونظامية وعلى عيال المتوفين منهم ٢٩ ألف

جنيه وذلك بنسبة ما هيأتهم وسني خدمتهم وكفاءتهم . وأما الرجوع فقد نُوزِع على أصحابها ٤٠ ألف جنيه . وأما التعويضات فقد نظر في كل طلب على حدة وكوفىء المستحق منها .

حادثة مارشان واحتلال فاشودة في ١٩ سبتمبر سنة ١٨٩٨ :

مارشان في فاشودة : اتصل بنا قبل وصول الحملة الى ام درمان ان جيشاً من البيض جاء من الجنوب، فاحتل فاشودة وان الخليفة أرسل مربة من أنصاره في وابورين واحد عشر مركباً ومدفعاً بقيادة سعيد صنيتر الجملي لطرده منها . فلما دخلنا ام درمان تأكدنا الخبر . وبعد الواقعة بأسبوع أي في ٩ سبتمبر اقبل احد الوابورين « التوفيقية » وهو يظن انه يجد الخليفة فوجد السردار وقص عليه الخبر فقال : « وصلنا تجاه فاشودة صباح ٢٥ اوغسطس فوجدنا البيض قد تحصنوا في طابيتين فرميناهم بالقتال والرصاص فأجابونا بالرصاص ودام القتال الى قرب الغروب فقتل منا ٣١ رجلاً وجرح ٦٠ ووجدنا ان لا قدرة لنا على حربهم فانثنينا عنهم الى الرنك وجئت بهذا الوابور لأخذ المدد . فشرع السردار في الاستعداد للزحف على فاشودة . وفي فجر اليوم التالي ١٠ سبتمبر خرج بجبهة وابورات حاملة بلوكاً من الكامرون هيلندرس وأورطتين سودانيتين وبطارية من الطويحية المصرية ومعه اركان حرب الباسل الكولونيل ونجت مدير المخابرات العام وسار حتى اقبل على الرنك في ١٥ سبتمبر فتلقاه الدراويش بقنبلة من مدفعهم ففتح مدافعه عليهم فقتل منهم وأسر وكان في جملة الأسرى سعيد صنيتر امير السرية وغنم وابور « الصافية » واحدى عشر مركباً .

السردار في فاشودة : ثم استطرد السير جنوباً نحو فاشودة حتى صار على ١٢ ميلاً منها فأرسل الى رئيس السرية الاوربية في فاشودة كتاباً بتاريخ ١٨ سبتمبر يخبره بما كان في ام درمان والرنك وانه واصل قريباً لاحتلال فاشودة . وفي صباح ١٩ سبتمبر استطرد السير الى فاشودة فالتقاه في الطريق زورق

عليه الراية الفرنسية فلم ان هؤلاء البيض هم فرنساويون ثم وصل الزورق وفيه بعض العساكر السود ومعهم كتاب من الموسيو مرشان الى السردار حينئذ بالنصر على الخليفة ويخبره ان حكومته اوعزت اليه فاحتل بحر الغزال الى مشرع الريك ثم جاء الى فاشودة فاحتلها في ١٠ يوليو وعقد معاهدة مع ملكها عبدالفضيل على ان يكون تحت حماية فرنسا ثم ذكر له انتصاره على الدراويش وانه يمث يطلب المدد من فرنسا بطريق الحبشة وطريق بحر الغزال وكان مع مرشان تسعة ضباط فرنساويون فيهم الكبتن جرمان و ١٢٠ عسكرياً من عبيد النيجر . فلما وصل السردار تجبأ فاشودة بجاءه مرشان الى الواوير ومعه الكبتن جرمان فحياما وهنأهما بالسلامة . ثم التفت الى الماجور مرشان وقال اني ماذون ان اصرح لك بأن وجود الفرنسيين في فاشودة وفي وادي النيل يعد تعدياً صريحاً على حقوق مصر وبريطانيا العظمى واني بحسب الأوامر المعطاة لي أقيم الحجة على احتلالك فاشودة ورفعك الراية الفرنسية في أملاك الحضرة الفخيمة الخديوية . فأجابه الماجور مرشان انما انا عسكري وليس لي إلا الطاعة . والامر الذي تلقيته من حكومتي باحتلال بحر الغزال وفاشودة صريح لا يقبل التأويل والآن قد أتممت الامر فليست أستطيع ان افعل شيئاً حتى تصدر لي أوامر جديدة . فقال السردار وانا مأمور من حكومتي ان أرفع الراية المصرية في فاشودة فهل انت مستعد بالنيابة عن الحكومة الفرنسية ان تقاومني ثم قال والرجاء ان لا تبدي الحكم النهائي قبل النظر ملياً في الامر واذا قررت اخلاء فاشودة والنزول الى مصر عن طريق الخرطوم فاني اعطيك واوبراً من هذه الواويرات تنزل فيه . فرفض مرشان بتاتا اخلاء فاشودة قبل الوقوف على أوامر حكومته بهذا الشأن وقال للسردار اني لا اصادك في رفع الراية المصرية على فاشودة بشرط ان تبقى الراية الفرنسية في مكانها ثم قال وانا عالم بضعف قوتي بالنسبة الى قوتك ومع ذلك فاذا أخرجتني وقررت ازال الراية الفرنسية بالقوة فاني ادافع عنها الى ان أموت انا ورفاتي تحتها . فرضي السردار بترك الراية الفرنسية في مكانها ورفع الراية

المصرية على ٥٠٠ ياردة منها في الطرف الجنوبي من الطابية القديمة المصرية ثم أطلق ٢٠ مدفعاً تحية لها ووضع عندها اورطة من العساكر السودانية و ٤ مدافع ووابور حربي بقيادة الماجور جكسن وكان ذلك الساعة الاولى بعد ظهر ذلك اليوم . ثم تقدم الى مبيت قبلها بعد ظهر ٢٠ سبتمبر فأسس فيها طابية على شاطئ النهر الغربي عند التقائه بالنيل الابيض ورفع فوقها العلم المصري ووضع فيها نصف اورطة سودانية وأرسل بلوكا من العساكر فاحتل الناصر وانقلب راجعاً الى ام درمان فوصلها في ٢٤ سبتمبر وعسكر بالجيش في خور شمبات .

زيارة الجنرال غرنفل لأم درمان : وقدم في هذا اليوم من مصر الجنرال غرنفل السردار السابق وقومندان جيش الاحتلال العام فكث أياماً فشاهد محل الواقعة وتفقّد الاخوال وعاد الى مصر .

اخلاء مرشان لفاشودة : وعرض السردار أمر مرشان تلعرافيا الى مصر فاعترضت الحكومة المصرية رسمياً بلسان بطرس باشا غالي ناظر خارجيتها على احتلال فرنسا لفاشودة وسألت الحكومة الانكليزية ان تساعد على ذلك . فطلبت الحكومة الانكليزية من الحكومة الفرنسية اخلاء فاشودة وجاشرت بأنه ليس لدولة اوروبية حق في أي جهة من جهات النيل . وكان مرشان قد ارسل الكبتن جرمان بتقريره الى فرنسا ثم جاء بنفسه الى مصر لتلقي اوامر دولته فرأت دولته بعد النظر ملياً في الأمر ان الحكمة والسداد بقضيان بإخلاء فاشودة فأصدرت امرها الى مرشان فرجع الى فاشودة وأخلاها في ١١ ديسمبر سنة ١٨٩٨ وعاد الى فرنسا عن طريق سبت والحبشة .

رجوع السردار الى مصر : وقام السردار وأركان حربه من أم درمان في ٣ اكتوبر سنة ١٨٩٨ فسافر بجرأ الى الاتبرة ثم بسكة الحديد الى حلفا فبحراً الى اصوان فبسكة الحديد الى مصر فوصلنا مصر صباح ٦ اكتوبر بعد سفر ٣ ايام بلباليها وهذه اول مرة وصل فيها المسافر من ام درمان الى مصر

بهذا الوقت القصير منذ قام العالم . ثم بنى جسراً (كوبري) على الاتبرة أقامه على ٨ ركائز وفتحه في ٢٦ اوغسطس سنة ١٨٩٩ . وشرع في مد سكة الحديد الى الخرطوم فتحت في آخر يوم من سنة ١٨٩٩ فزادت المسافة قصراً وستقصر ايضاً بعد وصل سكة حديد اصوان بسكة حديد حلغا في المستقبل القريب ان شاء الله .

مكافأة السردار ومدير المخابرات : وقد دلت اعمال السردار في فتح الخرطوم وجميع الفتوحات التي تقدمته على مقدرة فائقة في الاقتصاد المالي والادارة العسكرية كما دلت على براعة تامة في الفنون الحربية فكافأته حكومته بلقب لورد وخبرته باللقب الاضافي فاختر الخرطوم فسمي اللورد ككتشر أوف خرطوم .

وكان الكولونل ونجحت مدير المخابرات العام يده اليمنى في هذه الفتوحات كلها فرقته حكومته في جيشها ومنحته نيشان القديسين ميخائيل وجورج مع لقب « سر » ورتب في الجيش المصري الى رتبة لواء مع لقب باشا وسمي ادجوانت جنرال للجيش المصري وذلك في ١٨ ديسمبر سنة ١٨٩٨ .

احتلال القضايف في ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ :

خروج احمد فضيل قاصداً ام درمان : تقدم ان الخليفة بعد احتلال الجيش لدنقلة أتى بأحمد فضيل من القضايف للاستعانة به على الجيش فلما اخذت الحكومة المصرية كلا من التليان سنة ١٨٩٧ ظن انها ترسل جيشاً منها على القضايف فأخرج من جيش احمد فضيل رايتي فضل الحنة وعبد الله حامد فضعها الى جيش محمود كما مر وأرجعه الى القضايف ليوقف في وجه جيش كلا . ثم كانت واقعة الاتبرة وزحف السردار على ام درمان ولم يتحرك جيش كلا من مكانه فأمر احمد فضيل فأبقى في القضايف حامية مؤلفة من نحو ٣٠٠٠ مقاتل بقيادة سعد الله التعايشي ومعه النور عنقرة المشهور بالوقوف في صدد جيش كلا وسار هو بمعظم القوة أي بنحو ٤٠٠٠ مقاتل من السود

والعرب المسلحين بالبنادق الرمنتون طالباً ام درمان لانجاد الخليفة ولكنه ما وصل رفاعة على النيل الازرق حتى كانت واقعة ام درمان وأصبحت البلاد كلها بيد السردار .

واقعة القصارف : وكان السردار قبل سفره الى فاشودة قد علم بخروج احمد فضيل من القصارف فأرسل امراً الى بارسونز باشا بالزحف على القصارف وأوعز الى هنتر باشا بالذهاب بالوابورات في النيل الازرق لمراقبة حركات احمد فضيل ورفع الرايتين المصرية والانكليزية على سنار والرصيرص. فخرج بارسونز باشا من كسلا في ٧ سبتمبر ومعه ١٤٠١ من العساكر النظامية و ٢٨ ضابطاً مصرياً و ٨ ضباط انكليز ونحو ٨٥٠ من العربان المتحابة من الشكرية وبني عامر والمهندوة فاعتدوه نهر الاتبرة في الطريق فصنع اطواقاً من الخشب وعبر بها النهر عند الفاشر وأما الجبال والخيول فقد عبرت النهر سباحة وسار عن يسار الاتبرة الى ان انتهى الى جزيرة المقطع في ١٨ سبتمبر . وكانت « دورية » الدراويش قد جاءت من القصارف لمراقبة حركاته فقتل منها ٣ وأسر ٧ . وسار قاصداً القصارف حتى أتى تلة مشرفة عليها في صباح ٢٢ سبتمبر فرأى الدراويش قد خرجوا اليه مصطفىين للقتال فأشعل فيهم ناره ودارت رحى الحرب بين الفريقين فدامت الى الساعة العاشرة ونصف اذ انهزم الدراويش وتشتت شملهم . وتقدم بارسونز الى القصارف فخرج النور عنقرة بمدفعين و ١٥٠ رجلاً وسلم له وكان بيده كتاب الأمان من ادارة مخابرات الجيش اذا خرج مسلماً عند مجيء الساعة فأراه الكتاب فأمنه ودخل القصارف عند الظهر .

رجوع احمد فضيل الى القصارف : أما هنتر باشا فانه عند صدور أمر السردار اليه بمراقبة احمد فضيل لم يكن عنده من الواورات إلا واور واحد فأرسله بقيادة الشريف الماجور تليوت فالتقى باحمد فضيل قرب ابي حرار فرماه بالقنابل وأبعده عن النيل ولم يمكنه من العبور الى الجزيرة فعسكر في

الصحراء على ٨ أميال من ابي حراز وهناك علم باحتلال جيش كسلا للقضارف فانقلب راجعاً الى القضارف وهاجها في ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٩٨ هجمة صادقة من كل الجهات وكان جيش الحكومة قد تحصن في ثلاث طواب من بناء الدراويش فتلقيه بنار حامية وصدد هجماته المتتابعة العنيفة المرة بعد المرة وردّه خائباً بخسارة ٥٠٠ رجل فقعد لحصار القضارف في جبل عصّار على ٨ اميال جنوبيها وأرسل « الدوريات » لقطع طريق الجيش الى كسلا . وفي اواسط اكتوبر سنة ١ٸ٩٨ التقت « دوزية » من جيشه بنفر من المساكر يخفرون خزينة فيها ١٦٠٠ جنيه مرسلّة من كسلا فانقضت على الخفراء وقتلت منهم وحملت الخزينة الى عصّار . وكان مع الخفراء امين افندي حداد مترجم اللواء بارسونز باشا قبذل الجهد في تخليص الخزينة فلم يفلح فنجأ بنفسه .

احتلال سنار والرصيرص : وفي ١١ سبتمبر خرج هنتر باشا في النيل الازرق فأسس نقطة في سنار ونقطة في الرصيرص وقفل راجعاً الى ام درمان في ٢ اكتوبر .

واقعة الرصيرص في ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٩٨ : وكان السردار قد عاد اليها من فاشودة في ٢٤ سبتمبر كما مر فلما علم برجوع احمد فضيل الى القضارف أرسل رندل باشا رئيس اركان حربه يجيش من المساكر في النيل الازرق لمطاردته والاتحاد مع جيش القضارف على سحقه . فلما وصل رندل الى ابي حراز ارسل سرية من جيشه الى القضارف بقيادة القائقام كولنسن بك فصار بطريق القلعة أرانج ووصل القضارف في ٢٢ اكتوبر سنة ١٨٩٨ :

فأخذ بارسونز إذ ذاك في الاستعداد للخروج على احمد فضيل في عصّار أما احمد فضيل فانه تيقن بعد وصول المدد الى القضارف انه لا يقوى على أخذها فأقرّ على تركها والالحوق بالخليفة فخرج من عصّار في ظهر ٢٣ اكتوبر قاصداً الرصيرص للعبور منها الى الجزيرة فهجره ابو بكر دود بنقة من امراء دارفور بنحو الف مقاتل وانضم الى بارسونز باشا فبقي معه نحو ٣٠٠ مقاتل

ما عدا النساء والأولاد فسار بهم الى شلال الرصيرص وشرع في اجتياز النيل الأزرق الى الجزيرة فأتاه الميرالاي لويس بك قومندان حامية الرصيرص بنحو خمسمائة رجل من الاورطة العاشرة السودانية ومدفعين مكسيم وكان قد عبر بنحو نصف جيشه الى الجزيرة فأشعل النار في من بقي في البر الشرقي فرمى البعض بأنفسهم في النيل وثبت البعض فدافعوا مستقتلين حتى قتلوا ووقع الباقون اسرى . وفي اثناء ذلك كان احمد فضيل ورجاله الذين اجتازوا النيل معه الى البر الغربي قد اصطفوا على الشاطئ وفتحوا نيرانهم على العساكر حامية لآخوانهم في الشرق فقتلوا من العساكر وجرحوا فحوّل العساكر مدافع المكسيم عليهم فأسكتوهم وهزمهم .

القتلى والاسرى : وكانت خسارة الجيش ٢٨ قتيلًا و ١١٨ جريحًا وأما خسارة العدو فكانت ٥٠٠ قتيل ما عدا الذين غرقوا في النيل . وأسر الجيش نحو ٣٠٠٠ نفس من الرجال والنساء والأولاد وغنم شيئًا كثيرًا من المواشي والحرايب والسيوف . وكانت هذه الواقعة التي عرفت بزقعة الرصيرص في ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٩٨ . وفي اليوم التالي عاد الجيش الى الرصيرص وأما احمد فضيل فانه سار بمن بقي من رجاله الى النيل الابيض فالتقوا بوابور المتمة آتيا من فاشودة وكانوا قد تعبوا وجاعوا وشموا عيشة القتال والفرار من مكان الى مكان فلم يأتوهم الى الوابور في ١٧ يناير سنة ١٨٩٩ واجتاز احمد فضيل النيل بمن بقي فانضم الى الخليفة عبد الله الذي كان لا يزال يتنقل في جبال النوبة كما سيجيء .

احتلال القلايات في ٧ ديسمبر سنة ١٨٩٨ :

وبقي بارسونز في القضارف الى ان جاءه الامر باحتلال القلايات فأرسل اليها الميرالاي كولنسن بك فاحتلها ورفع عليها العلم المصري والعلم البريطاني في ٧ ديسمبر سنة ١٨٩٨ . وكان الحيلة قد احتلها قبله ورفعوا عليها علمهم بحجة ان مصر تركتها لهم سنة ١٨٨٥ فأخبر كولنسن حكومته بذلك

فدارات المفاوضات السياسية بين مصر والحبشة بهذا الشأن وانتهت برجع الحبش عن القلايات وبقائها للسودان كما كانت في الاصل ثم فتحت فيها سوق وضربت العوائد على حاصلات السودان والحبشة فكان نصفها لحكومة السودان والتصف الآخر لحكومة النجاشي .

احتلال الجزيرة وسنار وفازو غلي سنة ١٨٩٨ :

وكان في الجزيرة احد السني عاملا في ود مدني ومعه نحو ٨٠٠ مقاتل فسلم للماجور تلبوت في ١٥ سبتمبر عند مجيئه لمطاردة احد فضيل كما مر . وكان فيها ايضا صالح حامدو التماشي محافظاً بثلاثمائة مقاتل ومعه الشيخ عبدالرحيم ابو دقل شيخ عربان الحمر فسلم الشيخ عبد الرحيم للشيخ الطاهر ود المبيد . وأما صالح حامدو فانه لم يسلم إلا بعد ان حال في الجزيرة ورأى عجزه عن الفرار فسلم في ١٥ ديسمبر سنة ١٨٩٨ .

تسليم الخليفة شريف في ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٨ : وتحلف الخليفة شريف واثنان من اولاد المهدي وهما الفاضل والبشرى عن الخليفة عبدالله عند جزيرة أبا فسلموا للبكبائي بليوت الذي ذهب من الدويم لاستقبالهم .

جبال الفونج : وكان على الفونج محمد سرور وهو من ملالة الهمج إلا انه لم يكن وارث الهمج وانما كان وارثهم ادريس رجب وقد حبه الخليفة في ام درمان فأعطاه مدير المخابرات الامان وأرسله الى الجبال فحكمها باسم الحكومة .

وكان هنتر باشا قد احتل سنار والرصيرص في شهر سبتمبر سنة ٩٨ كما مر . فتقدمت عساكر الحكومة الى فازو غلي فاحتلتها وأسست نقطة في فامكة في ٢٢ يناير سنة ١٨٩٩ . وأما بني شنقول فانها بقيت بيد الحبشة كما تقدم الكلام . .

احتلال بحر الغزال سنة ١٩٠٠ :

الفرنساويون في بحر الغزال : تقدم ان الدراويش أخذوا بحر الغزال في اكتوبر سنة ١٨٨٦ فصارت الى أهلها وان فضل النبي اصيل غزام في أوائل سنة ١٨٩٣ فقتلوه . وفي ١٤ يوليو سنة ١٨٩٤ عقد الفرنسيون اتفاقاً مع حكومة الكونغو على ان تكون بلاد بحر الغزال ضمن دائرة نفوذهم وأسسوا نقطاً حربية في ديم الزبير وبحر العرب واورمبيك واياك ومشع الريك وغيرها ثم تقدموا الى فاشودة فاحتلوها حتى تقرر خروجهم منها ومن بحر الغزال سنة ١٨٩٨ بـ ١٠٠٠ مر .

وكان السردار لما جاء الى سبت أمر الماجور بيك بالذهاب الى مشع الريك ورفع علم الحكومة عليها فخرج من سبت في ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٩٨ وسار حتى صار على بضعة أميال من مشع الريك فمنعه السد عن مواصلة السير فرفع الراية المصرية هناك وعاد ثم فتح السد ولكن لم يتيسر للحكومة احتلال بحر الغزال إلا في أواخر سنة ١٩٠٠ فأرسل السردار الحالي اللواء سباركس باشا بسرية من العساكر فوصل مشع الريك في ١٣ ديسمبر سنة ١٩٠٠ واحتل بلاد بحر الغزال فجعل عاصمتها واو .

وقائع خط الاستواء سنة ١٨٨٩ : ١٨٩٨ :

مر بنا ذكر وقائع خط الاستواء الى سنة ١٨٨٩ اذ كان عمر صالح اميراً على الرجاف من قبل الخليفة وقضل المولى مقيماً في ودلاي مع بقية جيش امين باشا . وفي سنة ١٨٩٢ ارسل الخليفة أبا قرجة عاملاً على الرجاف وجعل المختار من أقاربه رقيباً عليه وفي ايامه حضر البلجيك الى بحر الغزال وخط الاستواء وأسسوا نقطاً حربية فكتب المختار الى الخليفة يخبره بقدمهم الى خط الاستواء وانحرف ابى قرجة عن التعايشة . فأرسل الخليفة عربي دفع الله عاملاً على بحر الجبل فوصل الرجاف في ١٠ ربيع ثاني سنة ١٣١١ هـ ٢١

اوكتوبر سنة ١٨٩٣ بعد سفر شهرين و ١٢ يوماً وما أبطأ ان قبض على أبي قرجة وزجه في السجن .

وكان البلجيك قد أدخلوا فضل المولى وعساكره في خدمتهم على شروط معلومة بتاريخ ١٩ اكتوبر سنة ١٨٩٢ فصمم عربي دفع الله على طردهم جميعاً من البلاد فصار أولاً الى فضل المولى وكان مقيماً قرب ودلاي فقتله وشقت شمله وغنم ما كان معه من اسلحة وجبجخانة وكتب وغيرها وأرسلها الى الخليفة . وكان قد طلب مدداً من الخليفة فأرسل اليه عمر صالح العامل الاسبق ومحمد حمدنا الله وبعض الأنصار في ثلاثة وابورات فخرجوا من ام درمان في أوائل سنة ١٣١٢ هـ فاعترضهم السد في الطريق ففتحوه بعد كل جهد ومشقة الى شامي وبعثوا رسلاً منها الى عربي دفع الله وكان قد استبطأهم وأتى الى بور يتلسم أخبارهم فلقبه الرسل في بور فأخبروه بحبس السرية في شامي وانها في أشد الضنك مما تقاسيه من العري والجوع والمرض فأنام بزاد وحاول فتح السد من شامي فلم يفلح فأعاد الواورات الى الخليفة وأتى بمن بقي من جماعة عمر صالح ومحمد حمدنا الله الى الرجاف . ثم جمع جيشه وهاجم البلجيك في نقطهم الغربية فأوقع فيهم ٣ وقعات كان النصر له فيها جميعها .

واقعة الرجاف في ١٤ فبراير سنة ١٨٩٧ : فجهز البلجيك سرية من المساكر بقيادة الموسيو شلتن ونزلوا على الرجاف يوم الاثنين في ١٥ فبراير سنة ١٨٩٧ فأوقعوا في عربي دفع الله واقعة عنيفة وطرده من الرجاف واحتلوها مكانه وكانت خسارة البلجيك ١٠٠ قتيل و١٦٠ جريحاً وأما خسارة الدراويش فكانت ٩٣ قتيلاً وفيهم عمر صالح ومحمد حمدنا الله ومحمد الطريفي وعلي ود فايت والبدوي ود العريق .

وكان محمد عثمان ابو قرجة ومحمد خالد زقل واسماعيل شجر الخيري قد لجأوا الى البلجيك سنة ١٨٩٦ فلم يبق مع عربي سوى : ٤٠٠ رجل وكلهم من عامة الانصار وليس معهم سوى أسلحتهم وقليل من الجبجخانة فانهمزوا بهم الى بور وبعث بالخبر الى الخليفة ولكن كتبه لم تصل بلاد فاشودة حتى كان

السردار قد استل ام درمان وسار في النيل الابيض فالتقى الرسول في الطريق وأخذ منه الكتب .

عربي دفع الله : أما عربي دفع الله فإنه لما علم بقدوم الجيش وفرار الخليفة من ام درمان فرّ بجيشه الى شكا فأرسل السردار بعضاً من الباشبوزق لمطارقته ففر منهم الى بلاد فرتيت ثم انضم الى علي دينار في الفاشر .

زقل وابو قرجة واسماعيل شجر الحيري، أما زقل وابو قرجة واسماعيل شجر الحيري فانهم أتوا مع قافلة من التجار الى وادي واستجاروا بسلطانها فمات اسماعيل شجر الحيري هناك ولجأ زقل وابو قرجة الى علي دينار . ثم قيل ان زقل أغرى بعض الأمراء بقتل علي دينار فعلم به هذا فقتله وأما ابو قرجة فلا يزال عنده الى الآن .

حملة الكولونيل مارتو من اوغندة : وكانت الحكومة الانكليزية عند قيام السردار لفتح ام درمان أمرت الكولونيل مارتو والمajor مكدونلد من مقاطعة اوغندة فخرجوا بسرية من العساكر لمقابلة حملة السردار ومساعدته على طرد الدراويش من وادي النيل . فلما أتى السردار الى سبت في ٣٠ سبتمبر أرسل اليها كتاباً بما كان فكتب مارتو من الدفلاي بتاريخ ٢٩ سبتمبر سنة ٩٨ يقول انه اوصل قطع الوابور الى اللابوره وسيقدم شمالاً الى ان يلتقي السردار . أما السردار فإنه أمر المajor بيك بعد ان عاد من سفرة بحر الغزال ففتح السد في بحر الجبل بعد معاناة مشاق جمة وأسس نقطة في منجلا شمالي اللادو 'جعلت آخر حد السودان المصري الانكليزي . وأما القسم الجنوبي من خط الاستواء فالتحق بأوغندة وأعطيت اللادو وما حولها للملك البلجيكي على ان تعود للانكليز بعد وفاته .

الخليفة بعد واقعة ام درمان سنة ٩٨ : ١٨٩٩ :

لا تقطعن ذنب الاعمى وترسلها ان كنت شهماً فاتبع رأسها الذنبا

حالة الكولونيل كشتنر على الخليفة في ٢٢ يناير سنة ١٨٩٩ : تقدم ان الخليفة فرّ من واقعة ام درمان وسار جنوباً متخذاً طريق الصحراء واستمر على الفرار حتى وصل « ابا ركة » فأقام فيها بأتباعه وكتب الى الحبيّم موسى الذي أبقاه محمود حامية في الابيض فانضم اليه بأنصاره وبعض العائلات التي أبقاها محمود في بارة. وكتب الى مشايخ النوبة وكردوفان للانضمام اليه ولكن قلّ من أجابه . وكتب الى احمد فضيل كتاباً هذه نصه بعد البسملة :

« وبعد فمن عبد ربه خليفة المهدي «عم» الخليفة عبدالله بن محمد خليفة الصديق الى المكرم احمد فضيل كان الله له وتولاه آمين : بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فنعملك أيها الحبيب إنا غنك سائلون ولك بالخير والبركة داعون وما زلت ملحوظاً منا بعين الرضى ومزيد الاكرام لما انت عليه من القيام بأمر الدين وبذل الهمة فيه فجزاك الله عن ذلك خيراً وهداك سيراً وشكر مسعاك وحفظك وتولاك . ثم نعملك أيها الحبيب اننا بحمد الله تعالى فيمن معنا من الانصار بخير وقد انحزنا عن الاعداء بعد حصول الحزب بيلنا وبينهم الى جهة دار الجوامعة بنواحي المحل المسى بالنبشة فنحن الآن به في أمن وأمان ومزيد اطمئنان وليس القصد من حضورنا في هذه الجهة المذكورة إلا التحيز عن الاعداء أخذاً بالحزم وإلا فليس القصد ان شاء الله تعالى إلا إعادة الكرة على الاعداء المخذولين ومحاربتهم حتى يقتصر الذين ان شاء الله تعالى ويهلك الكافرون . ثم ليكون بعلك أيها الحبيب ان ما حصل للأعداء المخذولين فهو محض استدراج لهم واختبار وتمييز للمؤمنين من الله كما قال تعالى : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين معه متى نصر الله » ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم تكون الدولة عليهم في الاحيان والنبي ﷺ بين ظهرانيهم حتى انزل الله تعالى في ذلك « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ان يمسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين

وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ، فالعاقبة للمتقين بمقتضى وعد الله الذي لا يخلف فثقوا بوعد الله تعالى وأيقنوا بنصره ولا يهينكم أمر الاعداء فانهم ان شاء الله تعالى أحقر شأناً من ان تهتموا بهم وأضعف كيداً وبعد هذا ان شاء الله تعالى لا تقوم لهم قائمة بل يكون الدين في نصر وتأييد وقواعد الاسلام في أعز تمهيد. وجميع الاصحاب الذين معكم فليكونوا على يقين من هذا الأمر وثبات فؤاد في هذا الشأن وإعراض عن سماع اقوال المرجفين والاصفاء لما يلقيه الشيطان لأوليائه ليردهم وليلبس عليهم دينهم فان لنا فيما حصل أسوة بأصحاب رسول الله ﷺ. فذكروا جميع الاصحاب الذين معكم بذلك وبلغوهم منا جزيل السلام فرداً فرداً أولاد عرب وجهادية وخصوصاً رؤوس المئات فأقروهم منا السلام واعلموا الجميع اننا على رضاء تام من جهتكم واتسراح صدر باذلين لهم الدعاء بالخير والبركة . ولانبهاهم احوالكم علينا قد حررنا لكم هذا الكتاب لكي بوصوله لديكم تفيدونا عن احوالكم تفصيلاً وتعرفونا بما انتم عليه وتمجلوا لنا بذلك لرفع المشغولية . ثم ليكن بملك أيها الحبيب اننا قد حررنا لك هذا ونحن في غاية الاتسراح من جهتك والرضاء التام عليك كيف لا وأنت من أجل الأيادي وأعظم الأعوان المعدودين للقيام بنصرة الدين فاحمد الله على ذلك واشكره والله يحزبك خيراً ويثيبك اجراً ويهديك سيراً اه .

فأتى احمد فضيل بن بقي معه من الانصار وانضم اليه في دار الجوامعة كما مر .

حلة الكولونل كتشنر على الخليفة سنة ١٨٩٩ : اما السردار فانه اقلم جنساً في الكوة وجنداً في الدويم لحاية النيل . وفي ٢٢ يناير سنة ١٨٩٩ أرسل أخاه الكولونل كتشنر بحملة صغيرة للقبض على الخليفة فوصل ابا ركة في ٢٦ منه فوجد الخليفة قد فرّ جنوباً ولم يكن هناك إلا نفر قليل من اتباعه فأسزرم وعاد بهم الى النيل .

حملة السردار على الخليفة سنة ١٨٩٩ : ثم جاءت الانباء ان الخليفة قد استقر في جبل قدير وقد اتعب اهل التوبة من عرب وعجم بالغزو والسلب والتعدي فجرد عليه السردار جيشاً مؤلفاً من ٨٠٠٠ مقاتل وقصده من طريق كاكا فما وصل الجيش جبل فنقر على نحو ٥٠ ميلاً من كاكا و ٣٠ ميلاً من جبل قدير حتى فر الخليفة شمالاً فعاد السردار يبيشه الى ام درمان وترك بعض الجند بقيادة الميرالاي لويس بك يحولون في النيل في جهة الدويم ليرقبوا حركاته .

حملة السر رجينلد ونجت باشا على الخليفة سنة ١٨٩٩ :

وبعد قليل شاع ان الخليفة قادم لغزو ام درمان فجهز له السردار حملة صغيرة وولى عليها وكيله السر رجينلد ونجت باشا فقادها بما اشتهر به من البسالة والدربة والاعتدال وفاز بالغرض المطلوب فقتل الخليفة في جديد في ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٩٩ وأراح البلاد من شره ورفع بذلك تقريراً وافياً الى السردار بتاريخ ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٩٩ هذه ترجمته :

واقعة ابي عادل واحمد فضيل في ٢٣ نوفمبر سنة ١٨٩٩ :

« بناء على أمركم لي بالخروج بسرية من الجيش على احمد فضيل والخليفة عبد الله في جهة « جديد » أتشرف بأن اعرض لسعادتكم اني خرجت من الفشاشوية (غربي أبا) في ٢١ نوفمبر الجاري الساعة ٤ بعد الظهر ومعني ٣٧٠٠ رجل من السوارى والهجانة والبيادة والطويحية فسرنا ٥ اميال الى الجنوب الغربي حتى كانت الساعة ٦ فاسترحنا الى الساعة ١٠ وكانت الليلة مقمرة فاستطردنا السير على ضوء القمر حتى صرنا على ١٥ ميلاً من أبا وكنا نسير والسوارى في مقدمتنا على بعد ميلين منا والهجانة في الساقة والجناحين وقد رأى سوارينا عشرة فرسان من الدراويش فطردوهم ودلت الأنباء في الطريق ان احمد فضيل غزا المثلث ففهم منها مقداراً كبيراً من الحبوب وانقلب راجعاً الى الخليفة وكان اذ ذاك في نفيسة على مقربة منا . فلما طلع فجر ٢٢

نوفمبر تركت حملة الجبال في محل حصين وسرت بالمساكر سيراً حربياً قاصداً احد فضيل في نفيسة ولكن لم نسر إلا القليل حتى عاد السواري وأخبرونا ان نفيسة خالية من الدراويش فتقدمنا واحتلناها الساعة ٨ صباحاً فوجدنا فيها كمية كبيرة من الدرة ووجدنا رجلاً مريضاً قد تخلف من جيش احمد فضيل فأخبرنا انه خرج من نفيسة الفجر قاصداً أبا عادل على ٥ اميال منا. فأرسلت اليوزباشي محمود افندي حسين مع بعض الفرسان لتحقيق الخبر فعاد بعد قليل مصداقاً له فخفت اني اذا تمهلت يستطرد احد فضيل السير جنوباً ويفلت من يدنا فجرت على عليه حملة بقيادة الكولونيل ماهون مؤلفة من السواري والهجانة والمساكر السودانية غير النظامية ومعهم اربعة مدافع مكسيك ومدفعا ميدان وأمرتهم ان يسرعوا في المسير اليه ويناشوه الى ان أدركهم بباقي السرية فاتم الكولونيل ماهون الأمر بمهارة تامة ولما صار على ٣٠٠ يرد من ابي عادل أتى تلة تشرف على معسكر الدراويش فأشعل فيهم ناره . وكنت بعد خروج الكولونيل ماهون قد أرسلت باقي الطويحية والمكسيك في أثره وسرت وراءهم بالبيادة سيراً حيثما فوصلت في الساعة المطلوبة وقد هاجم الدراويش مستقنلين وكانت حزون الارض التي بيننا وبينهم تحجبهم عنا حتى صاروا على ٦٠ يرداً منا ولكن نيران الطويحية والمكسيك والهجانة الدائمة حصدتهم حصداً وردتهم على أعقابهم خاسرين . فتقدمت اذ ذاك بالسرية كلها الى معسكرهم في غابة كثيفة حول بركة ماء فخرجوا منه الى سهل يغطيه العشب فتعقبهم البيادة ميلاً ونصف ميل والسواري والهجانة ومدافع مكسيك خمسة اميال فقتلوا وأسروا وغنموا . وقد قدرت خسارة الدراويش بنحو ٤٠٠ قتيل وأما خسارتنا فكانت قتيلاً من المساكر وأربعة جرحى فيهم اليوزباشي مصطفى افندي شاهين .

واقعة جديد وقتل الخليفة عبد الله يوم الجمعة في ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٩٩ :

وبعد الواقعة أصبح منا محصوراً في معرنة مكان الخليفة فكانت أقوال

الخبرين فيها مضطربة وأقربها الى التصديق انه خرج من منهل الحمار منذ ٣ ايام قاصداً منهل جديد وانه ارسل احمد فضيل ليوافيه بالحبوب الى هناك كلهم شمالاً لفزو ام درمان وعليه خرجنا من ابي عادل نصف الليل فوصلنا منهل جديد الساعة ١٠ من صباح ٢٣ نوفمبر فوجدناه خالياً ولكن لحسن الحظ وجدنا فيه بركة ماء صالحة للشرب ولولا هذه البركة لاضطررنا ان نرجع القهقري . وكنت قد رجحت من أقوال الخبراء في ابي عادل ان مياه هذا المنهل غير صالحة للشرب فأرسلت بعض الجبال للاستقاء من النيل ووجدنا في جديد رجلاً فاراً من الخليفة فأخبرنا انه معسكر يحميه على نحو سبعة اميال الى الجنوب الشرقي من جديد فأرسلت اليوزباشي محمود افندي حسين بكتيبة من فرسان العرب المتحابة ليكشف لنا خبره ويعين مكانه فاتم الامر بالاقدام والبسالة كما في المرة الاولى وعاد فأخبر ان الخليفة معسكر في منهل ام دبريكات على بضعة اميال منا . وقد تبين لنا ان احتلالنا لمنهل جديد أوقع الخليفة في مركز حرج جداً لأنه لم يعد بسبينا قادراً على السير شمالاً ولا يستطيع ان يتركنا وراه ويرجع جنوباً يجمع من النساء والأولاد في قفر وعمر لا ماء فيه وزد عليه انه كان في حاجة شديدة الى الحبوب التي أتى بها احمد فضيل واستولينا نحن عليها فل هذه الأسباب ترجح لنا انه يثبت حيث هو وكانت طريقنا في ارض شائكة وعرة مشتبكة الشجر حتى كنا في بعض المحال نفتحها بالفؤوس . ولما كانت الساعة ٣ من الصباح أخبرنا الكشاف ان الدراويش على ثلاثة اميال منا . وكان الكولونيل ماهون قد استكشف معسكرهم بنفسه وعين موقعه ووقف بالسواري والمكسيم الراكبة عند هضبة عالية على نحو ميلين منا . فانتظم العساكر انتظام الحرب وسرنا بحذر وهدهو حتى لم يكن يسمع لنا صوت وفيما نحن كذلك سمعنا اصوات النقاير وبوقت الامباية تبويق الحرب ثم سكنت بغتة . وفي الساعة ٣ والدقيقة ٤٠ وصلنا الى الهضبة التي وقف السواري والمكسيم عندها فأبدلنا بكشافة السواري كشافة بيادة ومكثنا ننتظر بزوغ الفجر . فلما كانت الساعة ٥ والدقيقة ١٠

من الصباح وذلك عند اول طلوع الفجر رجع الكشافة البيادة الينا ورأينا صفوف الدراويش مقبلة نحونا من بعيد فاستعد العساكر على خط النار للقتال. وفي الساعة ٥ والدقيقة ١٥ بدأت المدافع والمكسيم باطلاق النار وتبعها البيادة فشرعوا كلهم في اطلاق النار دفعة واحدة وكان نور الفجر لا يزال ضعيفاً فلم تتمكن من مراقبة حركات الدراويش بالدقة ولكن رأينا من نيرانهم التي كانت تزداد من جهة الشمال انهم كانوا يتحركون نحو تلك الجهة بقصد مهاجمة من الوراء فأخذ عساكر الميمنة يتحركون رويداً الى الامام وعساكر الميسرة يمدون خط النار الى جهة الشمال حتى بقي الدراويش تجاهنا ولم يمكنهم ان يدوروا من خلفنا كما أرادوا. وكان كلما انقشع الظلام وأضاء نور النهار زادت حركات الدراويش وضوحاً حتى رأيناهم يهاجموننا زمراً وهم يضجون بالتهليل والتكبير غير مباليين بالموت ولكن نيراننا التي كانت تنصب عليهم بلا انقطاع ردت هجماتهم وأخذت نيرانهم وهزمتهم الى معسكرهم فأخذنا نتقدم رويداً ونحن نتصيد من نراه منهزماً امامنا حتى كانت الساعة ٦ والدقيقة ٢٥ فأمرت بإيقاف النار فأثنا كثيرون منهم مستأمنين فأمناهم. وما زلنا سائرين حتى أثنا معسكرهم فإذا هو في وسط غابة كثيفة على نحو ميل ونصف ميل من محل الواقعة وفيه الوف من النساء والاولاد وبعض الرجال فأثنا الينا مسلمين. وإقتفى السواري والهجانة اثر الدراويش ولكنهم ما أبعدوا حتى علموا ان جميع الذين سلوا سلوا إلا بعض جهادية الحتم موسى فانهم حاربوا اولاً ثم سلوا.

القتلى والأسرى والفنائم : وبعد انجلاء الواقعة وجدنا في ساحة القتال في طريق الاورطة التاسعة السودانية ثلة من القتلى في بقعة واحدة فسالنا الأسرى عنهم فقالوا انهم الخليفة عبدالله التعايشي والخليفة علي ودخلوا واحمد فضيل والسنوسي احمد اخو الخليفة من امه وهارون محمد اخوه من جارية والصدى بن المهدي ويعقوب ابو زينة وحامد ود علي شقيق احمد ود علي وعبدالباقي عبدالوكيل وكلهم من التعايشة وبشر عجب الفيه أمير كنانة.

ورأينا وراءهم على مسافة قريبة منهم جثث خيولهم . وأخبرنا يونس الدكي الذي وجد مختبئاً بين القتلى ان الخليفة عبد الله لما عجز عن الوصول الى الجيش أراد ان يدور حوله ولما لم يفلح نزل عن جواده وأمر امرأه فنزلوا عن جيادهم ايضاً ثم افترش فروقه وجلس عليها على عادة فرسان العرب في السودان فجلس الخليفة علي ودخلوا عن يمينه وأحد فضيل عن يساره وجلس باقي الامراء حوله حلقة وجعلوا حرسهم الخاص صفاً واحداً أمامهم على ٢٠ يرداً منهم ومكثوا ينتظرون الموت يحنان ثابت فلما رأيتهم على تلك الحالة أمرت اهلم الذين وقعوا في الاسر فحفروا لهم حفرة في المكان الذي قتلوا فيه ودفنوم فيها امامي .

(قلت وكان وتسبب لك اول من رأى الخليفة مقتولاً في ساحة القتال فنزع عنه جبته وسيفه قبل دفنه وأتى بها الى مصر ورأيت الجبة فاذا هي ملطخة بالدم ومخرقة بالرصاص وقد وجد في جيبها كيس صغير فيه صور التحارير التي ارسلها الى مشايخ البلاد بعد فراره من ام درمان يحثهم على الانضمام اليه . ورأيت السيف فاذا به سيف قديم مكتوب على جانب منه اسم صاحب السيف وهو الشيخ ناصر ابن الوزير المرحوم الشيخ محمد السلطان وعلى الوجه الآخر : يا رب بهم وبآلهم عجل بالنصر وهب لي يا وهاب علماً وحكمة وللرزق يا رزاق كن لي مسهلاً .

ومها يكن من ظلم الخليفة واستبداده لا يسع الانسان إلا الاعجاب بالشهامة وثبات الجأش اللذين لاقى بها منيته . وقد حدثني من شهد واقعة احد فضيل انه رأى رجلين ربطا يديهما معاً عند رستيها بوثاق وتعاهدا على أن يهجا معاً فيلتصرا او يسيرا الى الجنة يدأ بيد وهذا ما يعرف عندهم بعقد الطرف والى ذلك يشير شاعرهم بقوله :

يا اخوات البنات تعالوا أوصيكم وأودعكم نبياً لا يخون فيكم
اعقدوا الطرؤف ما تجونا بقميكم الموت في الخلا وفي الحلة راجيكم

قال السير رجينلد ونجت : د ولما شاع خبر موت الخليفة سلم من لم يكن قد سلم بعد فاجتمع عندنا من الاسرى نحو ٣٠٠٠ رجل و ٦٠٠٠ من النساء والاولاد بينهم ٢٩ اميراً من اكبر امراء المهدي وأهمهم عثمان شيخ الدين ابن الخليفة ويونس الدكيم والحتم موسى وفضل الحسنة واسماعيل أخو الامير محمود (فأرسل هؤلاء مع الامير محمود ومحمد الزين وغيرهما الى سجن رشيد ثم نقلوا الى سجن دمياط ولا يزالون فيه) .

د وكانت خسارتنا في هذه الواقعة (التي عرفت بواقعة جديد) ٣ قتلى و ٢٣ جريحاً فيكون مجموع خسارتنا في الواقعتين ٦ قتلى فيهم ضابطان و ٢٧ جريحاً من العساكر . وأما خسارة الدراويش فقد قدرت بنحو ١٠٠٠ قتيل وجريح و ٩٤٠٠ اسير من الرجال والنساء والاولاد . د وغنم الجيش ٣٥ جلا و ٥٠ حمراً و ١٨٠ بقرة و ٣٠٠ رأس ماعز ونحو ٢٠٠٠ بندقية و ٢٠٠٠ سيف وحريرة و ٢٠٠ اردب غلة .

د وفي الختام أسرّ بأن أشهد بالبسالة والاقدام وثبات الجأش التي أظهرها العساكر في الواقعتين فان اهمية الاسراع في ضرب احمد فضيل والاستطراد الى ضرب الخليفة اوجبا متابعة السير آتاء الليل واطراف النهار في ارض وعرة بلا راحة او براحة لا تذكر . وقد قام العساكر بهذا الواجب ولم يباليوا بمألقوه من المشاق والاضطراب فانهم من الساعة ٤ بعد ظهر ٢١ نوفمبر الى الساعة ٧ من صباح ٢٤ من الشهر المذكور أي في مدة ٦٣ ساعة قطعوا مسافة ٥٧ ميلاً وواقعوا العدو في واقعتين وخرجوا ظافرين . وما اظن قائداً يلقى من ضباطه وعساكره مساعدة حقيقية مخلصة كما لقيت من الضباط والعساكر الذين أسعدني الحظ بقيادتهم وأنا أصدق التريقات التي جاءني من القومندانات للضباط والصف ضباط والعساكر الذين امتازوا في الخدمة وأشرف بأن أعرض اسماء الذين امتازوا في هاتين الواقعتين ... ، اه .

ثم ذكر اسماء الضباط الانكليز والمصريين الذين امتازوا في الخدمة وكان في جملة الضباط المصريين : البكباشي احمد افندي حافظ من الطويحية .

والبصاغ محمود افندي صادق من الهجانة . واليوزباشيون محمود افندي نهجث اركان حرب ومصطفى افندي شاهين من الهجانة وأحمد افندي عوني من الاورطة الثانية . وعبد الله افندي رومية من الاورطة التاسعة . وعبد الرحمن افندي رضى من الاورطة الثالثة عشرة . ومحمد افندي طلعت واسماعيل افندي كامل وحسن افندي عطية من الحملة فكوفثوا جميعاً .

وحضر هذه الواقعة من الملكية شاهين افندي جرجس وابراهيم افندي ديمتري وكلاهما من موظفي المخابرات فأظهرا فيها من الهمة والنجدة والاقدام ما أظهره في الوقائع السالفة التي حضراهما فسر السر رجيندك من سلوكها وأوصى بترقيها فأنعم على شاهين افندي بالرتبة الثانية مع لقب بك ثم سمي سكرتير السردار العربي ولا يزال في هذه الوظيفة الى الآن . ومنح ابراهيم افندي النيشان المجيدي الرابع ثم سمي سكرتيراً لمفتش السودان العام ولا يزال .

وكان السردار قد وعد بجائزة ١٠ آلاف جنيه لمن يلقي القبض على الخليفة فوزعها على عساكر هذه التجريدة . وقد دلت اعمال السر رجيندك ونجته في هذه التجريدة على صفات عسكرية عالية كما دلت على ممة بالغة الحد وحزم ودربة وإقدام فجاءت اجمل ختام لما ذكره الحسان في استرجاع السودان وحملت دولته على ترقيته الى المركز الذي أعد نفسه اليه فما اشتهر حرب الترنسفال حتى ندب اللورد ككتشر اليها وسمي السر رجيندك ونجته باشا سرداراً على الجيش المصري وحاكماً عاماً على السودان وذلك في ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٩٩ وقد رقي في الجيش المصري الى رتبة فريق وفي الجيش الانكليزي الى رتبة ماجور جنرال محلي ثم رقي حديثاً الى رتبة ماجور جنرال وهو لم يتجاوز الثالثة والاربعين من العمر .

ولقد كانت واقعة جديد الضربة الاخيرة للقاضية على الخليفة والمهدية وختم الوقائع التي انقذت السودان من بلاء شديد حاق به مدة ١٧ سنة متوالية فأهلك نحو ٣/٤ اهله وأراحته مصر من نفقات الحروب الباهظة

وأعادت إليها بلاداً واسعة الاطراف كثيرة الخيرات جزيلة النفع . وقد قدرت نفقات استرجاع السودان بنحو ٢٣٥٤٣٥٤ جنيهاً مصرياً منها ١١٨١٣٧٢ جنيهاً على سكة الحديد من حلفا الى الكرمة والى الخرطوم و ٢١٨٢٥ على التلفراف و ١٥٤٩٣٤ جنيهاً على الواورات الحربية و ٩٩٦٢٢٣ جنيهاً نفقات عسكرية . مع ان نفقة الحملة الانكليزية وحدها كانت ١٥ مليون جنيه وأكثر .

قتل الخليفة شريف وابني المهدي في شكابة في ٢٧ اوغسطس سنة ١٨٩٩ :

تقدم ان الخليفة شريفاً سلم للحكومة قرب جزيرة ابا في اواسط نوفمبر سنة ١٨٩٨ ومعه الفاضل والبشرى ابنا المهدي فأمنهم السردار وأرسلهم الى حلفا فبقوا فيها مدة ثم استأذنوا السردار فسكنوا في شكابة على ٤٠ ميلاً من سنار وهناك عاد الخليفة شريف الى قراءة راتب المهدي وشرع في جمع الناس بنية اللحق بالخليفة عبد الله وذاع خبره في الجزيرة حتى وصل فرج افندي شحاده باشكاتب مديرية سنار فأبلغه سمث بك مفتشها فسار في ٢٦ اوغسطس مع بلوك من الاورطة الى ١٥ السودانية بقيادة البكباشي و. ب. واليوزباشي محمد افندي شفيق وجماعة من البوليس وأحاطوا بشكابة صباح اليوم التالي فقبضوا على الخليفة شريف والفاضل والبشرى ابني المهدي وكانت شكابة مملوءة بالمقاتلة فحاولوا تخليصهم من الجنود عنوة وجرحوا ٣ منهم فأشمل العساكر فيهم النار فقتلوا منهم ١٧ رجلاً وأسروا ٥٥ وحوكم الخليفة شريف والفاضل والبشرى ابنا المهدي في مجلس عسكري وقفي فأعدموا رمياً بالرصاص .

اسر عثمان دقنة في ١٨ يناير سنة ١٩٠٠ :

أما عثمان دقنة فانه لما رأى الجيش في جديد متغلباً على الخليفة أسلم نفسه للفرار شأنه في كل واقعة لم يظفر بها وكان اذا سئل في ذلك يقول : « اني ابذل كل ما في طاقتي قبل الحرب لجمع الانصار وحشهم على الجهاد وأقاتل

العدو يحنان ثابت وعزم وطيد حتى إذا ما ظفر يحيشي لجأت الى الفرار لا حباً بالفرار او خوفاً من الموت ولكن هرباً من الوقوع في أسر الكفرة فاني أريد أن أعيش لأقهرهم وأجمع رجالي مرة أخرى وأعود الى حريمهم حتى أجد فيهم الفرصة . أما الآن وقد قلّ جيش المهدي ولم يبق في السودان من ينصره فقد عول على الفرار الى الحجاز والاحتماء بمكة . فعبر النيل الابيض عند جزيرة ابا ثم النيل الازرق ثم الابرة عند أدارامه وأتى الى جبال ورييه فنزل عند الشيخ محمد علي عمر اور شيخ الجيلاّب وأخبره بعزمه على الفرار الى الحجاز وسأله ان يساعده على اكتراء قارب له من احدى مين البحر الاحمر البعيدة عن المدن فرحب شيخ الجيلاّب به ووعدّه بإجابة سؤاله وأضمر له السوء فأرسل سراً الى الحكومة بسواكن يخبرها بوجوده عنده فاستأذن حاكم سواكن السردار وأرسل البكباشي برجس مفتش المديرية بنفر من الجيش والبكباشي محمد بك احمد قومندان بوليس سواكن الى الشيخ محمد علي اور فدخلهم على مخبأ عثمان فوجدوه تحت حجر من حجارة الجبل فقبضوا عليه ووجدوا معه جراباً فيه قليل من الدوم وكان لابساً جبة وعلى رأسه عمامة فوضموه بالحديد وقفلوا راجعين الى سواكن وذلك في ١٨ يناير سنة ١٩٠٠ فوصلوا سواكن في ٢١ من الشهر المذكور بعد الظهر . ثم أتى به الى مصر القاهرة فرأيناه فيها بعد ظهر ٢٧ من الشهر المذكور وفي اليوم نفسه أرسل الى سجن رشيد فجعل مع أسرى الدراويش ثم نقل الاسرى الى دميّاط فنقل معهم وهو لا يزال هناك الى اليوم . وقد حصل له في هذه الاثناء جذب ديني فأغض عينيه ومنع نفسه عن الكلام والأكل فلا يأكل إلا اذا أمره قومندان السجن فيشرب فنجاناً من اللبن بلقمة من العيش ولكنه لا يتكلم مطلقاً ويقضي وقته كله قائماً .

بدعة علي عبدالكريم الدنقلادي اوائل سنة ١٩٠٠ :

وفي اوائل سنة ١٩٠٠ ظهر رجل من اقارب محمد احمد المهدي يسمى

علي عبد الكريم (شقيق محمد عبد الكريم المشهور) فابتدع بدعة غريبة في الاسلام ادعى فيها انه من يوم واقعة ام درمان انتهت اعمال « التكليف » ولم يعد احد مطالباً بما يفعل فمن كتبت له السعادة فقد سعد ومن كتب له الشقاء فقد شقي سواء فعل خيراً ام شراً وقد نهى انصاره عن الصلاة والصوم فغنى له بعض شعرائهم بقوله : جيت لنا بالخير بطلت لنا الصلاة « ام ذنقير » وعلمهم ان يسلموا هكذا : الحمد لله فيجيبه الثاني : في رضاء الله . ولما بلغ أمره الحاكم العام عقد مجلساً من علماء الخرطوم وفقهائها للنظر في امره وم السيد ندا قاضي ام درمان والطبيب احمد هاشمي قاضي الخرطوم والاستاذ محمد شريف باشا نور الدائم والسيد محجوب المرغني والسيد المبكي والشيخ محمد البدوي والشيخ مدثر ابراهيم والسيد اسماعيل الازهري فأصرّ على اعتقاده امامهم فظهر لهم ان في عقله خللاً ونصحوا بنفيه هو واتباعه من الخرطوم فصدق الحاكم العام الحكم ونفاهم الى حلفا في ٤ مارس سنة ١٩٠٠ ولا يزالون فيها الى الآن .

احتلال كردوفان سنة ١٨٩٩ : ١٩٠٣ :

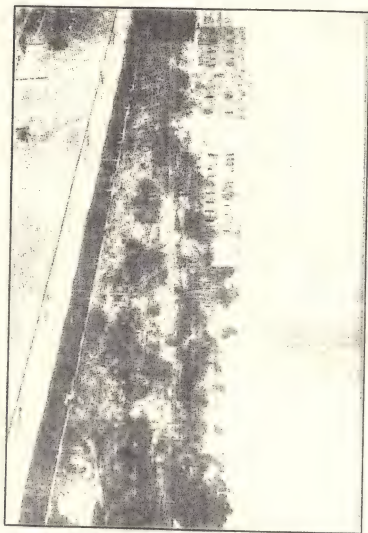
تعمير البلاد : وبعد قتل الخليفة عبد الله في جديد تحولت انظار الحاكم العام الى احتلال كردوفان فأرسل اليها الكولونيل ماهون بفرقة من المهجاة فاحتلها في ١٧ ديسمبر سنة ١٨٩٩ ونشر الحاكم العام الحالي منشوراً عاماً الى أهالي مديرية كردوفان المنتشرين في الجزيرة . وغيرها من بلاد السودان يدعوهم الى الرجوع الى بلادهم وقد ساعدهم على الانتقال اليها وأمدتهم التقاوي اللازمة لزراعتها فعادوا اليها وشرعوا في تعميرها .

مهدي جبال تغلي وشنقة في ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٠٣ : وفي هذه الأثناء ظهر في جبال تغلي رجل ادعى المهدي والكرامات والشرف اسمه محمد الأمين فصدق به ملك تغلي وجعاعة من اخلاط الناس واشتهر امره حتى بلغ الابيض في اول سبتمبر سنة ١٩٠٣ وكان مدير الابيض ماهون باشا في طريقه الى

الخرطوم ذاهباً بالاجازة وقد ناب عنه اوكل بك وكان السردار والحاكم العام بالاجازة في بلاد الإنكليز. ونائبه في الخرطوم اللواء ناسون باشا فعند وصول ماهون باشا في ٦ سبتمبر الى الخرطوم حتم ناسون باشا بوجود القبض على المدعي في الحال وتلافي الخطر في حينه فاستأذن السردار تلغرافياً فخرج الكولونيل ماهون من الخرطوم بكوكبة من الفرسان يرأسها البكباشي الباسل شجاعة افندي كامل في ٨ سبتمبر وسار بها سيراً حثيثاً بطريق فشوية وشركيلة وأبي ركة فباغت المدعي وأشياعه سحراً وهم يصلون الصبح في ١٢ سبتمبر في حلة على ٣٥ ميلاً من أبي ركة فأسرعوا الى حرايمهم ولكنهم لما رأوا انهم محاطون من الجهات الأربع سلموا. فشد ماهون باشا وثاقهم وساقهم الى الأبيض وهناك حوكم المدعي بمجلس عسكري وشنق عصارى الاحد في ٢٧ سبتمبر. والرجل مربوع القامة اسود اللون غليظ الشفتين ذو عينين نجلاوين ولحية صغيرة وشعر اسود جمعد وعمره ٤٥ سنة ولما جيء به الى المشنقة كان مرتدياً فوق اللباس العادي برنساً من الجوخ الأخضر النفيس بقبعة على الزي التونسي ولكنه برئوي الاصل في الارجح وكان رحالة يضرب في الآفاق فزار دمشق الشام وازمير ومراكش وغيرها من البلاد الشرقية وزار الأبيض غير مرة فلقي من أعيانها اكراماً وحفاوة وذهب الى الحجاز لاداء فريضة الحج وعاد منها قريباً بطريق مصوع وكسلا وبقي الى ان ظهر في جبال تقلي.

دارفور والامير علي دينار سنة ١٨٩٨ الى الآن :

أما علي دينار فقد مرّ انه فرّ من واقعة ام درمان بنفر من اهله وأخصائه وفيهم الامير قر الدين البرتالوي من امراء الارباع والفقير امين الفلاتي وهو من رجال السلطان ابراهيم الذين اشتهروا بالصلاح والتقوى وسداد الرأي وقد كان عند الخليفة اميناً للجبجبانة فسار بهم الى التربة الخضراء وكان فيها قطع من ابل الخليفة فأخذه وتقدم الى كجمر فأقام فيها ٨ ايام الى ان تكامل الفارون من اهل دارفور من عرب وسود وسار بهم الى الفاشر. وكان محمود قد ترك



سراي الخرطوم سنة ١٩٠٢

فيها حامية مؤلفة من ٣٠٠ رجل بقيادة امبدي الرضي التمايشي وحامية في
كبكية مؤلفة من ٥٠ بندقية بقيادة سنين التاماري فطرد علي دينار امبدي
الرضي من الفاشر واحتلها مكانه وطرد سنين بعد وقائع جمة الى دار ثامة .
وكان قد لجأ الى السردار من جيش عمود سنة ١٨٩٧ رجل من سلالة سلاطين
الفور يدعى ابراهيم علي فأذن له السردار قبل الحملة على ام درمان ان يذهب
الى دارفور ويجمع كلمة أهلها على طاعة الحكومة ولكنه لم يصل أم شنقة حتى
كانت واقعة ام درمان وأتى علي دينار الى الفاشر . وطرد امبدي الرضي كما
مر فانضم الى ابراهيم علي في أم شنقة . وعدّ علي دينار دخول ابراهيم علي
تعدياً على حقوقه بحجة انه احق منه بحكم دارفور فجرّد عليه جيشاً وغلبه
فبعث ابراهيم علي يطلب المدد من السردار فكتب السردار كتاباً الى كل منها
يرفق بينها الى ان يتسنى للجيش الذهاب الى دارفور لاحتلال البلاد . ورأى
ابراهيم علي ان لا طاقة له على مناوأة علي دينار فرجع الى ام درمان وكتب
علي دينار الى السردار بالطاعة وانه يحكم البلاد على جزية يدفعها للحكومة
السودان ولا يزال يرسل الجزية كل سنة الى الآن . وقد أسس حكومته على
مثال سلطنة اجداده وصنع ختماً للسلطنة كاختتام اجداده هذه نقشه :
السلطان علي دينار ابن السلطان زكريا ابن السلطان محمد الفضل ابن السلطان
عبد الرحمن الرشيد ابن السلطان بكر سنة ١٣٠٠ هـ .

الباب الخامس

خاتمة

في

السودان المصري والانكليزي

ولاية اللورد كتشنر اوف خرطوم على السودان سنة ١٨٩٩:٨ :

عرف السودان الذي فيه كلامنا « بالسودان المصري » الى ان كانت واقعة ام درمان ورفعت الرايتان الانكليزية والمصرية على سراي الخرطوم في ٨ سبتمبر سنة ١٨٩٨ فعرف « بالسودان الانكليزي المصري » وعقد وفاق بين الحكومة الانكليزية والحكومة المصرية بتاريخ ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ نشرناه في باب الجغرافية مؤداه جعل البلاد في يد حاكم عام يختاره الانكليز ويؤيده الجناب العالي الحديوي فيحكم البلاد بقوانين وشرائع يسنها من وقت الى آخر حسب حاجة البلاد وحالتها ويصدقها معتمد الدولة البريطانية ومجلس النظار في مصر . وفيه انه ليس للحاكم المختلطة سلطة في السودان إلا في سواكن فانه بقي لتلك المحاكم سلطة الى ١٠ يوليو سنة ١٨٩٩ اذ عقد وفاق آخر بين الحكومتين ألفت بموجبه تلك السلطة وأصبحت سواكن كاسر بلاد السودان في جميع الاحكام .

وفي تاريخ الوفاق الاول سمي اللورد كتشتر اوف خرطوم سردار الجيش المصري حاكماً عاماً على السودان فشرع في تجديد بناء سراي غوردن وتأسيس مدرسة غوردن التي جمع لها المال من المحسنين الانكليز كما مرّ. وبعد قتل الخليفة عبد الله ارسل ماهون باشا فاحتل كردوفان وأعلن افتتاح السودان رسمياً للناس كافة .

ولاية الماجور جنرال الفريق السر رجينولد ونجت باشا سرداراً على الجيش المصري وحاكماً عاماً على السودان

وفي ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٩٩ ندب اللورد كتشتر لحرب الترنسفال وسمي اللواء السر رجينلد ونجت باشا الادجوتانت جنرال سرداراً على الجيش المصري وحاكماً عاماً على السودان ولا يزال الى الآن فكان أهم ما جرى في ايامه الى هذا العهد : القبض على عثمان دقنة وقمع بدعة علي عبد الكريم وقتل محمد الامين مهدي جبال ثقلي واحتلال بحر الغزال كما فصلنا في محله . وهو باذل اقصى الجهد في تنظيم ادارة البلاد وإصلاح شؤونها الزراعية والصناعية والتجارية والأدبية وسن القوانين الملازمة لأحوالها . وقد عقد الاتفاقات بين السودان والقوات المحيطة به لتبادل المنافع التجارية وأنهى لأول مرة تحديد التخوم بين السودان والحبشة في ١٥ مايو سنة ١٩٠٢ واستعان على أعماله الهامة بالأكفاء من موظفي الانكليز والمصريين كما مر .

تسمية اللورد ادوارد سسل وكيلاً عاماً لحكومة السودان في مصر :

ولما دعي الكونت كليخن وكيله في مصر ليكون مندوباً عسكرياً للدولة البريطانية في برلين في ١٥ اكتوبر سنة ١٩٠٣ ألقى مقاليد هذا المنصب الهام إلى فرع سلالة سسل الشريفة النبيل اللورد ادوارد سسل المشار اليه آنفاً وقد رقاءه في الجيش المصري الى رتبة لواء وجعله وكيلاً عاماً للسودان على جميع المهام العسكرية والملكية في مصر .



عباس باشا حلي الثاني الخديوي
والنريق السر رجينك ونجت باشا سردار الجيش المصري وحاكم السودان. العام
يخطبان ام سراي الخرطوم

جريدة « السودان » في الخرطوم :

وفي اوائل سنة ١٩٠٣ منح الدكتور فارس نمر وشركائه الاجلاء امتيازاً
 بلشر جريدة في الخرطوم باسم « السودان » فوجدوا ادارتها وتحريرها الى
 الكاتب الاديب المتفنن خليل افندي ثابت من متخرجي المدرسة الكلية
 السورية النابطين فأصدر مثلاً منها في ٢٤ سبتمبر ١٩٠٣ ثم شرع في اصدارها
 تباعاً مرتين في الاسبوع فصدر منها الى الآن بضعة اعداد دلت على انها
 ستكون من أسمى الجرائد العربية شأنها وأجلها عبارة وأجزؤها نفعاً ومن
 أجل الوسائل التي بُذلت لتقديم السودان وتمدينه ان شاء الله .

زيارة الجناب الحديوي السودان سنة ١٩٠١ :

وفي أواخر سنة ١٩٠١ شرف الجناب البالي الحديوي السودان بزيارته
 فوصل الخرطوم في ٣ ديسمبر سنة ١٩٠١ حيث استقبل استقبالاً باهراً . وفي
 اليوم التالي أي في ٤ ديسمبر الساعة ٣ بعد الظهر قدّم سعادة السردار وحاكم
 السودان العام خطبة الترحيب بسموه وذلك في وسط حفلة حافلة امام سراي
 الخرطوم حضرها جميع الضباط المعظم وكبار الموظفين الملكية ونخبة علماء
 البلاد وأعيانها وهذه هي ترجمة الخطبة :

« مولاي سمو الحديوي المعظم

« نحن سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام وضباط وصف ضباط
 وعساكر جيش سموكم المعظم مع الموظفين العسكريين والملكيين والعلماء والعمد
 والمشايخ والأعيان في السودان وعموم سكان السودان نسرّ بأن نقدّم مع
 شعائر الولاء والاخلاص هذا الخطاب ترحيباً بتشريف سموكم المرة الاولى
 للسودان :

« لقد نلنا أعظم الشرف بأن سموكم تجشتم السفر الطويل الشاق من مصر
 لقضاء بضعة ايام في الخرطوم عاصمة السودان التي خربها الأشقياء الذين شقوا
 عصا الطاعة لحكومة سموكم بعد ان كانت عامرة زاهرة وهي الآن تتدرج في

الحضارة وال عمران على مبادئ يؤمن ان ترقى بها رويداً حتى تصير عاصمة فاخرة ومركزاً مهماً لتجارة السودان . وقد مضى الآن ثلاث سنين على انتشارها من يد ذلك الطاغية عبد الله التعايشي ببسالة جيش سموكم وجنود المملكة البريطانية العظمى .

« أما وجود سموكم بيننا فقد ملأ قلوبنا مسرةً وابتهاجاً فبالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن جميع الحاضرين هنا اليوم والغائبين عنا في جهات السودان البعيدة الذين تمنهم واجباتهم الهامة عن الحضور لتقديم واجب الترحيب والتعظيم نتمنى لسموكم حياة مديدة مقرونة بالسعادة والفخار ونسأل الله تعالى ان يبث في أنحاء بلاد سموكم طولا وعرضا روح الفلاح والسلام . »

(فليعيش افندينا)

فتكرم الجنب العالي وفاه بالخطاب الآتي الذي ضمنه خطة حكومة سموه في السودان قال :

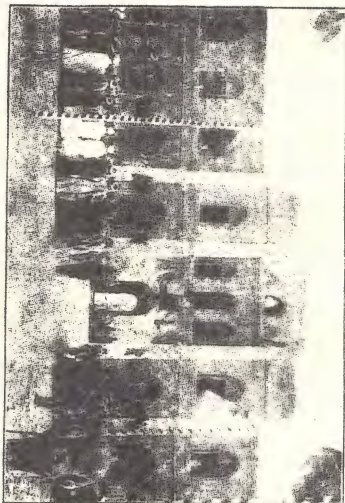
« يا سعادة السردار وحاكم السودان العام ويا حضرات الضباط والمساكر الموظفين وعلماء ومشايخ وأعيان وأهالي السودان كافة .

« اني أشكر لكم الخطاب الذي حييتموني به وأؤكد لكم بأني أعدت من اعظم مسراتي رؤيتي اياكم في هذه البلاد الشاسعة التي قربتها منا سكة الحديد المعجبة التي ملأتني ارتياحاً وابتهاجاً .

« الآن وقد رأيت هذه البلاد عرفت الصعوبات والمشقات التي لاقاها من كانت لهم يد في الحملات التي كانت تديجتها بحو سلطة عبدالله التعايشي واعادة العدل والراحة والسكون في جميع أنحاء السودان .

« العلمان الانكليزي والمصري اللذان يخفقان الواحد بجانب الآخر هما اشارة الى الحكومة المشتركة التي أخذت على عاتقها حماية الأهالي من الوقوع في شرك اهل الظلم والفساد وابتداء عصر هدوء وسعادة في هذه الديار .

« ولقد سررتني ايضاً ما أشاهده من تقدم مدينة الخرطوم في العمران واعتقدوا اني سأحفظ لكم احسن ذكرى لاحتفائكم بي في هذه الزيارة الاولى .



المورد كمشتر آف خرطوم يفتح كلية ضرردون



الفيلكونت كرومر
معتمد الدولة البريطانية السياسي
وقنصلها الجنزال في مصر

واني ليشملني السرور كلما سمعت بتحسين أحوالكم وتقدمكم في الرفاهية التي أرى شواهدا بدت في كل الأرجاء .

هذا واني أنعم الآن بكل ارتياح ببعض النياشين على بعض كبار علماء الدين وسأنعم بها فيما بعد على الضباط والموظفين والاهالي الذين يعرض لي عنهم سعادة السردار والحاكم العام بناء على التقارير السنوية التي ترد له من المديريات . ثم اكرر شكري لاحتفائكم بي اجتفاء صادراً عن حسن نية وخلص طوية ، اه .

وصعد سموه في النيل الأبيض مسافة ثم في النيل الأزرق فشاهد خرائب سوية وعاد الى الخرطوم فبرحها الى مصر باليمن والاقبال في ٧ ديسمبر سنة ١٩٠١ .

زيارة اللورد كتشتر الخرطوم وافتتاح كلية غوردون

في ٨ نوفمبر سنة ١٩٠٢ :

وخرج اللورد كتشتر اوف خرطوم ظافراً من حرب الترنسفال فسمي قومنداناً عاماً على الجنود في الهند فمرّج في طريقه الى الخرطوم وافتتح كلية غوردون في ٨ نوفمبر سنة ١٩٠٢ وذلك باحتفال باهر حضره نحو ٥٠٠ تلميذ من أبناء البلاد وجمهور كبير من الموظفين والأعيان وقد رحب به السردار وحاكم السودان العام بخطاب جميل فأجاب عليه احسن جواب وأمل للمدرسة في عهد حاكمها النبيل وعناية مديرها الهام المستر كيري كل ترق ولجاح .

زيارة اللورد كرومر للسودان سنة ١٨٩٩ : ١٩٠٣ :

هذا ولما كان لجناب اللورد كرومر الشأن الاعظم في استرجاع السودان وكان هو النائب عن حكومته فيه كما في مصر راليه المرجع في جميع شؤون السودان الهامة فقد عول على زيارته في كل سنة او سنتين فزاره لأول مرة سنة ١٨٩٩ ثم زاره سنة ١٩٠٢ وزاره آخر مرة لهذا العهد في فبراير سنة

١٩٠٣ . وفي المرة الثانية صحبه المستر غورست مستشار مالية مصر الشهر فرحب السردار وحاكم السودان العام بها بخطاب جميل فأجابه اللورد كرومر بخطاب مشهور وهذان هما الخطابان :

خطاب السردار في ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٠٠ : نحن سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام وضباط وصف ضباط وعساكر الجيش المصري وموظفي ادارتي الحربية والملكية وعلماء وغمد ومشايخ وأعيان وأهالي السودان كافة . بلاء السرور نغتم فرصة تشریفكم السعيد لهذه البلاد لكي نظهر لفخامتكم احترامنا الزائد لهذه الزيارة التي جدتم علينا بها وللشرف الذي حصلنا عليه بوجودكم بيننا ممثلين لصاحبة الجلالة ملكة انكلترا وامبراطورة الهند وان الملين البريطاني والمصري اللذين يخفقان الواحد بجانب الآخر في جميع انحاء السودان هما العلامة الخارجية الظاهرة الدالة على الاشتراك في حكم سعيد وثيق المعرى في شخص جلالة الملكة وسمو الخديوي المعظم المسؤولين عن حماية اهالي السودان من الظلم والفساد . ونؤمل ان التغيرات التي حصلت بمعد زيارة فخامتكم لهذه البلاد منذ سنتين تدل دلالة كافية على ان بعض التقدم قد حصل في ترقية هذه البلاد وانه قد جعل لها نوع من النظام الاداري كافٍ لأن يُرى الاهالي انه منذ قطع دابر المنهية دخلوا في عصر جديد أسعد كثيراً من العصر الذي كانوا فيه . ونثق ان ما حصلتم عليه فخامتكم وحضرة المستر غورست من زيادة المعرفة والاختبار في سياحتكم هذه يمكنكم من ان تقرضوا على الحكومة ذات الشأن - سواء كانت الحكومة الانكليزية او المصرية - الوسائط التي تتوصل بها الى ترقية حالة البلاد . وبالنسبة عن جميع الحاضرين هنا اليوم الذين بينهم نواب مختارون من كل انحاء السودان تتمنى لفخامتكم عمراً مديداً مقروناً بالصحة والشرف والسعادة والعزم لتستمرروا في خدمة مليكتكم ولتساعدونا على ترقية شأن حكومة السودان التي تشترك فيها مصالح بريطانيا العظمى ومصر على السواء .

خطاب اللورد كرومر ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٠٠ : فنطق اللورد كرومر بالخطبة الآتية شاكراً فقال : الى حضرات علماء السودان وعلمه ومشائخه وأعيانه وسكانه كافة .

« اني اشكر لكم من صميم قوادي خطابكم والترحيب الذي لقيته منكم . عند زيارتي لهذه البلاد منذ ستين اوضحت لحضراتكم انكم ستكونون في المستقبل تحت حكومة كل من جلالة ملكة انكلترا وسمو الخديوي المعظم . ولقد صدرت لي الآن اوامر خصوصية من صاحبة الجلالة مليكتي العظيمة التي تحم في غير هذه البلاد على ملايين من المتدينين بدينكم الشريف لأعرب لكم عن مزيد اهتمام جلالتها بكل ما يؤول الى سعادتكم واني الآن باسم جلالتها سأقلد فرداً من اشرف اهالي السودان المسلمين وساماً انكليزياً نظراً الى ما عرضه عنه سعادة الحاكم العام لجلالته (وهو السيد علي المرغني ابن السيد محمد عثمان المرغني الشهير) .

« ولقد تقدمت هذه البلاد كثيراً منذ زيارتي الاخيرة لها وترون أن العهد الذي عاهدتكم عليه وقتئذ من جهة احترام ديانتكم وعوائدكم الدينية قد روعي كل المراعاة ولقد انشئت لكم المحاكم والمدارس وضربت على اطيانكم ضرائب خفيفة جمعت منكم على ما أظن بلا ظلم ولا اكراه وتم وصول سكة الحديد الى الخرطوم واني امل ان تكونوا قد اصبحت مقتنعين بأن حكايكم - سواء كانوا انكليزاً او مصريين ولا أميز بينهم لأنهم مشتركون في العمل وعلى وفاق تام - ليسوا فقط ذوي مقدرة تفوق جداً مقدرة الحكام السالفين بل ان قلوبهم قد اشربت روح العدالة والرغبة الزائدة في كل ما من شأنه النفع العام لجميع الاهالي وهذا كله لم يكن له أثر حين كان ظلم الدراويش محيقاً بكم .

« واني عالم حق العلم ان العمل لا يزال لازماً في امور كثيرة ولكن لا ينتظر ان يكون الاصلاح سريعاً لداعي احوال السودان الخصوصية الحائلة دون سرعة النجاح وان أهم حاجات البلاد تمهيد طرق المواصلات وأخشى ان يكون الامل ضعيفاً جداً في اقناع احدى الشركات ان تتكفل بمد خطوط

حديدية إلا بشروط ثقيلة يتعمد قبولها بغير اجحاف بمصالح الذين يدفعون الضرائب من مصريين وسودانيين ولا يجب ان يذهب عن البال ان كل مشروع للاصلاح بها كان مفيداً ومرغوباً في حد ذاته فمن أهم شروط اخراجه الى حيز القوة ان لا يزيد في ثقل الحمل المالي الذي تتحمله مصر عن السودان وان يبقى به حل السودانين خفيفاً . ثم ان الأمر الذي يجب تقديمه على كل أمر آخر هو ان تكون الضرائب خفيفة فإذا كانت الحكومة نفسها تعنى بمد السكة الحديدية وجب ان يراعى فيه دخل الحكومة بالنسبة الى نفقاتها ودخل الحكومة لا يزال قليلاً محدوداً وأهم شيء يقتضي مباشرته قبل النظر في أي مشروع كان لمد سكة الحديد هو ان يصلح حالة السكة الحاضرة وذلك على ما بلغني من أعظم الثقات في هذا الفن يقتضي مبلغاً باهظاً من المال .

و لننتقل الآن الى موضوع آخر : بلغني ان اهل البلاد شكوا من قلة المراقبة الأوروبية في السودان . ولكن ليس الغرض استخدام عدد كبير من الاوربيين في هذه البلاد انما الأمر الرئيسي ان يكون المنتدبون للخدمة أكفاء وقد عني بانتخابهم عناية تامة وفي الوقت نفسه أعلم ان الشكوى من قلة عدد الاوربيين هي على نوع ما في موضعها. نعم ان الضباط الذين في الخدمة الملكية قد قاموا بواجباتهم الشاقة قياماً يستحق جزيل الشكر وذلك في اصعب الأحوال وأخرجها مع قلة الوسائط التي لديهم واني أسرّ اذ قد سنحت لي الفرصة لأهنئهم على أعمالهم التي كانت مكلفة بالنجاح ولكن يعوزهم مساعدون ولذلك انتخب بعض الانكليز الملكية وانتدبوا للخدمة تحت أوامر المديرين الحاليين ليكونوا النقطة الأساسية لحكومة السودان الملكية المستقلة . ولقد انتخب أيضاً للخدمة مهندس مائي وأؤمل ان مباحثه ستعود بالنفع العظيم ليس فقط على السودان بل على مصر أيضاً وانه يستطيع في حينه ان يقترح اقتراحات جديرة بالاعتبار فيما يختص بتحسين نظام الري في بعض أنحاء البلاد ولا سيما على النيل الأزرق .

ولا حاجة الآن ان اطيل الكلام في المواضيع تفصيلاً ولكن أعيد القول

ان سرروي كان عظيماً جداً برويتكم اليوم هنا وأؤمل انكم تبذلون كل قواكم في عضد المساعي التي يسعها سعادة السر رجنيك ونجت النائب المحلي عن جلالة الملكة وسمو الخديوي المعظم هو وجيع الضباط المقتدرين الذين يحرون أوامره في ترقية حال البلاد المادية والادبية .

خطاب اللورد كرومر ٢٧ يناير سنة ١٩٠٣ : وهذا خطاب اللورد كرومر في زيارته الثالثة للسودان ألقاه في احتفال باهر عدو لوداع الكبتن بيلى عند استقالته من الجيش المصري . قال جناب اللورد بعد ان صدق ثناء السر رجنيك ونجت على الكبتن بيلى :

« ولكني أردت ايها السادة ان يتسع لي مجال الكلام فأقول قبل رجوعي الى مصر لكم وللغائبين عنا بواسطتكم ان المساعي التي يبذلها جميع موظفي السودان من ملكيين وعسكريين في سبيل ادخال النظام والتمدن الى هذه البلاد لها عند حكومة جلالة الملكة وسواد مواطنيكم وعندى انا بالأكثر قيمة عظيمة وشأن رفيع .

« كثيراً ما يقال لنا نحن معشر الانكليز في هذه الأيام اننا متأخرون عن غيرنا من الأمم في أمر التعليم وربما كان لهذه التهمة بعض الصحة ولكن للسألة وجه آخر عسى ان لا يفوت نظر المنتقدين فان نتائج نسقنا الخصوصي في التعليم تظهر بأجلى مظاهرها في بلاد كالسودان . فالشاب الذي يتربى في احدى مدارسنا العمومية او كلياتنا الحربية وينشأ على الاستقلال الذاتي والمسؤولية الشخصية هو الرجل القوي الحازم الذي لا يعمل في الدنيا على احد لأنه يتلقى في حداته تحت سماء الحرية مبادئ تضمن له مستقبلاً نيراً كما هو خليف بفرد من افراد أمة مستعمرة مجيدة فلا يكون آلة متحركة بل يكتب من حيث لا يدري عوائد وطباعاً تؤهله لأن يتدبر ويعمل الفكرة ويأخذ على عاتقه مسؤولية الأمور وبكلمة أن يحكم بالعدل والحزم . وأمثال هؤلاء منتشرون الآن في جميع أنحاء هذه البلاد من سواكن الى ما وراء الابيض ومن وادي حلفا الى اقاصي كوندكرو . ويمكنني ان اشهد بما شاهدته

بنفسه انه حينما وجدوا نظر اليهم الاهالي على اختلاف طبقاتهم من همجهم الى ارقام علما كمثلي نظام يحول دون الظلم وسوء الادارة اللذين سادا في الماضي .

« وهذه أها السادة زيارتي الثالثة للسودان بعد ولعنة إمدريمان التي حدثت كما تذكرون منذ أقل من خمس سنوات . ففي زيارتي الاولى لم يكن أمل النجاح قويا لأن البلاد كانت في خراب محقق سواء كان لسبب الامراض او المجاعات او الحروب الداخلية او الخارجية حتى ان عدد السكان نقص أكثر من العشر كثيرا ولم يكن لجرثومة التمدن أثر فيها فكان من الضروري اذا انشاء نظام مالي وإداري مستكمل الشروط . وفي زيارتي الثانية لاحت لي تباشير المساعي الأولية التي بذلتها الحكومة الجديدة لمقاومة الصعوبات الهائلة التي كانت تلاقيها ولكن كان التقدم بحكم الضرورة بطيئا جداً . والآن عند زيارتي الثالثة أرى تقدماً عظيماً جداً في جميع الجهات والبرهان على صدق هذا القول يلوح للابصار ويستوقف المسامع في كل جهة فان الدلائل على زيادة الإيرادات جلية والنفقات الآن تحت المراقبة الشديدة . وقد نمت التجارة بعود الأمن . فاليونان الذين هم في مقدمة الأمم التجارية - والذين يقال عنهم أحيانا أقوال قاسية مع انهم اجمالاً عظيمو النفع - قد أنشأوا متاجرهم في كل بلدة كبيرة . وبمساعي الكولونل فرنل والكولونل ستانن قد أصبحت الخرطوم مدينة جميلة منظمة بعد ان كانت تلالاً دائسة . وكذلك انتظمت الملاحة في النيل بهمة المستر بوند والمصلحة الطبية بمساعي الكولونل بنتون . وانتشرت المعارف بعناية المستر كيري . ويسمى المستر بونهام كارتر بالحكمة اللازمة في إدخال نظام بسيط للمواد المدنية والجنائية حسبما تقتضيه حالات البلاد .

« وقد صعدت هذه المرة في النيل الابيض حتى كوندكرو مع السردار وزرت عدة مراكز عسكرية من غير موعد سابق فوجدت كل شيء فيها بغاية الترتيب والانتظام كأنه قد أعلن لها من قبل اني آت لمشاهدة أحوالها . أما اهالي تلك الجهات فانكم تعلمون ان التكلم بلغة الشوك او الدنكا او الباري

أمر شاق ولكني كيف التفت كنت أرى دلائل الرضى والاطمئنان بادية على وجوههم وقد علم هؤلاء المساكين ان الأجانب الذين يزورون بلادهم ليسوا من النخاسين بل من أشد المقاومين للنخاسة .

و اسمحوا لي أن اعرب لكم عما شغلني من السرور عند زيارتي مركزتي المرسلين الاميركان على نهر سبت والمرسلين النسويين على النيل الابيض فالأول للانجليين والثاني للروم الكاثوليك ولا فرق عندي بين الفتيين فكلتاها قد أجادت في ادارة أمورهما كل الاجادة . على اني أوافق جناب السر رجينلد ونجت بك وكل اصحاب السلطة المسؤولين في هذه البلاد على ان وقت السماح للمرسلين بالتبشير بين مسلمي السودان لم يزل بعيداً . ولكن المساعي التي تبذل بين القبائل الوثنية في المقاطعات الجنوبية تستحق كل ما يمكن من التشجيع والمساعدة .

ولكنني اعلم أيها السادة اننا مع كل هذا التقدم لم نزل في بداءة العمل . فالسودان يحتاج الى زيادة عظيمة في السكان والسكك الحديدية والري والموظفين الانكليز للأمور القضائية والاجرائية والمعلمين والأبليّة بل السودان محتاج الى كل شيء سوى الرمل والتاسيح والميسنت فان ما فيه منها فوق الكفاية . وواضح جلياً ان كل هذه الاحتياجات الثمينة لا يمكن سدها في آن واحد . أما بشأن النفقات السنوية فلا يمكن ان ينتظر من الحكومة المصرية او بكلمة اخرى من المصريين الذي يدفعون الضرائب ان يعملوا زيادة عما يعملون الآن فانهم يدفعون الى السودان سنوياً أكثر من ثلاثمائة وخمسين الف جنيه . وقد ألوا على انفسهم تقديم هذه الاعانة بلا نقص الى مدة معينة لكي تخصص الزيادة في ايرادات السودان للمشروعات السودانية . وقد دفعوا أكثر من نصف مليون جنيه للكلونيل ماكولي لتحسين السكك الحديدية الحالية وسيطلب منهم مبالغ باهظة للاتفاق على مهام اخرى كما سيجيء . وعليهم أرى من المهم ان نعلم ما هي الإصلاحات التي يجب ان نبدأ بها أولاً .

وأظنكم توافقوني على ان أماننا أمرين يستوجبان الاصلاح هما في الدرجة

الاولى من الاهمية : الاول تحسين البلاد مادياً وثانيها ادبياً وعلمياً .
 و أما بشأن الاول فقد أيدت لي زيارتي هذه انه لا يمكن أن تتقدم البلاد
 تقدماً مادياً سريعاً ما لم تكن المواصلات بين السودان والبحر المالح سهلة
 وسريعة . فان المسافة الطويلة من هنا الى الاسكندرية عقبة شاقة في سبيل
 التجارة وهل يرجى نجاح سريع لتجارة السودان وثمان الطن من الفحم الحجري
 في الخرطوم من اربعة جنيهات الى ستة . وربما يحسن ان اقول هنا ولو اني
 لا أقول ببلد الامل انه يرجى وجود الفحم الحجري جنوبي الخرطوم فان
 اكتشافاً كهذا هو أثمن من اكتشاف الذهب لأنه يغير مسألة ترقية السودان
 تغييراً حسياً . وأعود الى ما كنت بصدده فأقول انني اعتبر مد خط حديدي
 الى سواكن ضرورياً جداً لتقدم هذه البلاد وهذا الخط يقتضي نحو مليونين
 ونصف مليون من الجنيهات . ومن الصعب إيجاد مبلغ عظيم كهذا . ولكنني
 اعدكم انني عند عودتي الى مصر سأبذل جهدي في تنفيذ هذا المشروع بأسرع
 ما يمكن والعمل جار الآن كما تعملون في تخطيط الطريق . وقد اتفق مبلغ من
 المال لتحسين ميناء سواكن . على انني اسمع احياناً بأن هذا الخط الحديدي
 على ما به من الفائدة للسودان مضر بمصلحة مصر لأنه يحول التجارة عن وادي
 النيل ولكنني لا أرى هذا الرأي لسببين : الاول لأن من المهم جداً لمصر ان
 يكون السودان قادراً على القيام بنفقاته وذلك لا يتم إلا بوجود طريق مناسب
 قليل النفقة لتصدير تجارته . والثاني لأن المسألة الرئيسية ليست تحويل التجارة
 من مجراها الاصلي بل هي مسألة انشاء تجارة جديدة للبلاد وهذه التجارة لا
 يرجى لها نجاح يذكر إلا بفتح طريق بين النيل والبحر الاحمر .

و أما بشأن الامر الثاني وهو أمر التعليم فأقول انه من الصعب جداً حكم
 بلاد ما حق الحكم بدون مساعدة ادارية من اهلها . والهيئة الحاكمة في السودان
 الآن هي اجنبية محضة لأن المصريين كما لا يخفى هم اجانب كالانكليز وكلا
 الفريقين قائم بهما عظيمة . ويحسن بنا ان نذكر هنا ان قد مست الحاجة
 الى مثل هذه الهيئة في بلاد اوغندا المجاورة للسودان . على ان في توظيف كل

من المصريين والانكليز في السودان حالات طبيعية مساعدة وحالات معاكسة: أما المصريون فهم من وجه مرتبطون مع معظم سكان هذه البلاد يجامعون اللغة والدين وهاتان الجامعتان هما اقوى الروابط بين الحاكم والمحكوم ومن وجه آخر فانهم مضطرون الى مقاومة الخرافات المتأصلة في عروق الاهلين منذ اجيال بعيدة . وهنا احذر كل موظف مصري في هذه البلاد أن اقل حياء عن طريق العدالة المثل هو مضر بسلطة سمر الخديوي المعظم المشارك لجلالة الملك ادوارد السابع في حكم هذه البلاد وان عليه احترام رغائبها احتراماً وطنياً خصوصياً . وتلك الرغائب هي رغائب كل حكومة عادلة مستقيمة . وأما الانكليز فعليهم تعلم لغة صعبة وهم وان كانوا يحترمون دين السكان إلا أنهم لا يشاركونهم فيه ولكن يساعدهم ما فطروا عليه من القدرة على الحكم والرغبة الخالصة في إسماع البلاد التي يحكمونها .

« وأرى انه من الضروري جداً بذل الجهد في إسماع الموظفين الانكليز والمصريين بضم موظفين سودانيين اليهم كلما سبحت الفرصة . فالسودانيون أمة مجيدة وكثيرون ممن يسمعون خطابي قد ساعدتهم الاحوال على تأييد هذه الحقيقة وهي ان في السودانيين صفات هي اس كل الصفات الوطنية فهم اصحاب بأس وشجاعة ولكنهم أيضاً لسوء الحظ أميون جداً ولذلك فالمعوقات التي تحيط بهم كثيرة شاقة . أقدم لكم على ذلك مثلاً : كل يعلم ان النظام المتبع في السجون باعطاء علامات حسن السلوك مفيد جداً وحدث اني طالعت في هذه الاثناء تقريراً للكبتن بورتن مفتش سجون السودان قال فيه انه لم يستطع ادخال هذا النظام في السجون السودانية لأن السجائين عموماً مع اتصافهم بصفات حميدة يجهلون القراءة والكتابة .

« ولست أشك ان حضرة السر رجيند ونجت الذي لا يفي اللسان بمدح ما يأتيه من ضروب الاصلاح والتحسين في السودان سيبدل كل ما في وسعه لإيجاد فئة من السودانيين يمكنها عما قليل ان تقلل الوظائف الصغرى في دوائر الحكومة . وأما تعليم العلوم العالية فلم يكن وقته بعد فاذا حصرتنا في

تعليم الكتابة والقراءة وعلم الحساب جنينا نتائج مرضية . واني اصدق رأي
المستر كيري في عدم استصوابه الاحاح في تعليم العلوم باللغة الانكليزية .

والآن أقول لكم شيئاً يشجعكم على الاستمرار في علمكم الجيد بغيره لا
تنقص : لا تقنطروا اذا لم تحصلوا على كل ما ترومونه دفعة واحدة ففي مدة
٤٥ سنة قضيتها في السياسة كنت دائماً أسمى لاتمام اغراض شتى مست الحاجة
اليها ولكني أؤكد لكم انني لم أظفر إلا بالقليل منها . ومن الأشياء التي
أرومها للسودان عدا سكة حديد سواكن مد خط حديدي الى كسلا واذا
أمكن الى حدود الحبشة ليس بقصد الوصول الى مدينة الراس البعيدة بل
لفتح سوق تجارية لترويج حاصلات البلاد . ثم أريد ان أستثمر الجزيرة وان
أمد خطاً حديدياً الى الابيض لجلب صمغ كردوفان الى الخرطوم . واريد
انشاء خزان او خزائين على النيل الازرق . وأما السد فاني اريد ان أقطعه
ارباً واخرجه من تلك المستنقعات المألئ بالبعوض والحشرات وان آتي بالآلات
تجرف الوحول الراسبة في قعره . وهنا أشكر مهم الكولونيل بيلك والمajor
ماتيس وغيرهما من الضباط الذين عانوا المشاق في فتح طريق للملاحة في
السد لأن ليس احد يستطيع ان يدرك المشاق التي تكبدوها في هذا السبيل
إلا بزيارة تلك الجهة . واريد عدا ما ذكر أشياء يطول شرحها ولكني أعلم
اني لا أستطيع الحصول عليها كلها دفعة واحدة وعليه فاني أكرر القول ألا
تقنطوا . وأذكر انه منذ مدة ليست بعيدة كان الامل بارتقاء مصر أعظم جداً
من الامل بارتقاء السودان الآن فكل ما تبغونه تتألمونه في وقته . فآتم أهل
النجاح وانا واثق ان امامكم في المستقبل نجاحاً اعظم من نجاحكم في الماضي .

و أخيراً اشكر لحضراتكم صبركم على سماع خطابي هذا وأثني من صميم
فؤادي على سعادة السر رجينلد ونجت واللاي ونجت وغيرهما لترحيبهم بي
واكرامهم إياي مدة زيارتي لهذه البلاد وسأعود الى مصر حافظاً لهذه الزيارة
اطيب ذكرى اه .

تقرير اللورد كرومر سنة ١٩٠٢ : وجناب اللورد كرومر يعنى بالسودان الآن عناية خاصة وهو يفسح قسماً مهماً من تقريره السنوي لوصف حال السودان وبيات الوسائل التي تذلل لترقية شؤونه وتمدينه ويدرج فيه تقرير الحاكم العام وجل ما يحيى في تقارير رؤوساء المصالح والمديرين السنوية ومما جاء في تقريره لسنة ١٩٠٢ نقلاً عن تقرير السر رودلف فون سلاطين باشا مفتش السودان العام :

« ان احوال البلاد عموماً على احسن ما يرام فكنت حينما ذهبت أجسد قرى ومزارع جديدة لم تكن في السنة الماضية وقد ازداد الأهالي عدداً وثروة وزاد عدد مواشيهم وساد الامن في البلاد كافة والجميع راضون عن الحكومة الحاضرة كل الرضى » .

مذكرة الحاكم العام عن سنة ١٩٠٢ : وختم اللورد كرومر تقريره بمذكرة رفعها الماجور جنرال السر رجينلد ونجت باشا سردار وحاكم السودان العام في ١٨ يناير سنة ١٩٠٣ عن سير التقدم في السودان في أثناء سنة ١٩٠٢ وجل ما فيه :

« ان المفاوضات التي كانت جارية في تعيين حدود السودان تمت على ما يرام سنة ١٩٠٢ وأهمها تعيين الحدود بين السودان والحبشة في ١٥ مايو ١٩٠٢ وقد نشرت بنصها وأهم ما جاء فيها : أولاً ان الحد الفاصل بين السودان والحبشة خط يرسم من خور ام حجر على نهر ستيت الى القلابات فالنيل الازرق فوق فامكة فنهر بارو فنهر بيبور فنهر اكوبو فميله الى تقاطع خط الدرجة ٦١ من العرض الشمالي بخط الدرجة ٣٥ من الطول شرقي كرينوج . ثانياً ان لا يبنى بناء على النيل الازرق وبحيرة تسانا ونهر سبت من شأنه ان يمنع جري الماء الى النيل إلا باتفاق الفريقين . ثالثاً ان تؤجر ارض بحوار ايتنج على نهر بارو للحكومة السودانية لتدبر امورها وتحتلها جاعلة اياها محطة تجارية . رابعاً ان تعطى الحكومة السودانية حقاً في انشاء سكة حديد تمر في أرض الأحباش وتصل بين السودان واوغندة .

د وأما الحد الفاصل بين السودان والاريتريا فقد جرى الاتفاق على استبدال الحد المعين في اتفاق ١٦ ابريل ١٩٠١ بمحد يبتدىء من سبدرات ويمتد بطريق ابي جل حتى يصل الى ملتقى خور ام حجر بنهر ستيت .
د وقد عقد اتفاق على البوطة وآخر على التلغراف بين حكومة اريثرية وحكومة السودان .

د وأرسلت الحكومة المصرية رسالة الى بحيرة تسانا وسافر السر ولیم جارستن من ممباسا الى البحيرتين وسيعود منها الى القاهرة بطريق النيل (وقد عاد اليها الآن) .

د وأقصى محطة جنوبية تابعة للحكومة السودانية هي منجالا على بعد ٢٠ ميلا من كوندوكرو التي هي أبعد نقطة شمالية من المديرية النيلية التابعة لأوغندة .

أما مقاطعة اللادو وأشهر نقطتها كيرز واللادو والرجاف فلا يزال البلجيون محتلين لها ولم يتم الاتفاق بعد على تعيين الحدود هناك . على ان سلطة الحكومة السودانية تم تدريجياً على مديرية بحر الغزال . وأبدى الاهالي رغبتهم في الانحياز الى الحكومة المصرية والخضوع لها ما عدا دنكة اجار فانه بينما كانت حملة سائرة بالزاد من شامي الى اورمبك في اوائل السنة بقيادة اللفتنت سكوت باربور هجمت عليه هذه القبيلة وقتلته وقتلت معظم رجاله مكرراً وغدراً . فخفف القائمقام اللفتنت كولونل هنتر قومندان بحر الغزال الى محل الواقعة وأرسلت حملة صغيرة من الخرطوم بقيادة الكبكن ستاك فعاونته على تأديبها وطلب شيوخ القبيلة العفو فعفي عنهم .

د ثم ان قطع السد في هذا النهر أفضى الى فتح مجرى يصلح للملاحة بين مشرع الريك وواو بعد ان قضى اللفتنت فل وضباط آخرون نحو سنة وهم يجهزون في قطعه .

د وذهبت رسالة برئاسة المستر براون مدير الاحراش والغابات للنظر في غابات بحر الغزال فاكتشفت مقادير عظيمة من شجر الصمغ الهندي (الستك)

ويؤمل ان يوسع نطاق التجارة به كثيراً. ومن سوء الحظ ان هواء بحر الغزال مضر بالاوربيين خصوصاً وقد فقدنا به ضابطاً عظيماً وهو اللفتنانت كولونل هنتر بالحمى السوداء .

و يقال في كردوفان بوجه عام انها تقدمت تقدماً ظاهراً في السنة الماضية وان تجارة الصمغ تحسنت كثيراً والسكان زادوا زيادة محسوسة والفضل في ذلك كله ناجم عما يبذله المدير الكولونل ماهون من الهمة والغيرة والاقدام بمساعدة جماعة صغيرة من الضباط والموظفين الانكليز لا تقل عنه همة وإقداماً .

و أما علي دينار سلطان دارفور التابع لنا فقد كان سلوكه مرضياً من كل وجه . فانه دفع الجزية السنوية الصغيرة المفروضة عليه بأكملها وزالت قلاقل الحدود التي أشرت اليها في تقرير السنة الماضية واتسع نطاق التجارة بين كردوفان ودارفور وجلب عبد وافر من البقر الجيدة الى كردوفان . وقد نجحت مساعي السربودلف سلاتين نجاحاً خصوصياً في هذه الأنحاء فان معرفته النامة لها ونفوذه الشخصي بين القبائل الغربية المختلفة كان لها اليد الطولى في العلائق الحسنة التي بين دارفور والحكومة السودانية .

و أما مديرية دنقلة فلا تزال تتقدم بادارة الكولونيل جكسون ولكن انفراد مركزها الجغرافي ووقوعها بعيدة عن حركة التجارة على خط سكة الحديد الممتدة الى الخرطوم أفضيا الى البحث في مسألة مهمة وهي كيف تعامل سكة حديد الكرامة في الاستقبال .

و قد زادت الحركة التجارية زيادة عظيمة في سواكن بسبب مشروع سكة الحديد التي ستوصلها بالنيل . والمرجح ان الخط يخترق سلسلة الجبال المجاورة سنكات وينتهي الى وادي الاتبرة فيلتقي بالخط العمومي قرب جسر (كبري) الاتبرة . والمتنظر ان هذه السكة تغير وجه التجارة السودانية تغييراً عظيماً .

و أما مديرية بربر فقد تحسنت تحسناً عظيماً وزاد ايرادها زيادة كبيرة .

وهي بلاد زراعية محضة وسيفيدها مد سكة الحديد بينها وبين سواكن فائدة جزيلة .

« ومن الدلائل المهمة على ان أهالي السودان يزيدون رضاء بحالتهم عدد العرائض التي ترفع اليّ بصفة كوني حاكماً عاماً . فقد كانت ترفع اليّ في الثلاث السنين الاولى عدة آلاف كل سنة ولكنها هبطت سنة ١٩٠٢ الى ست مئة عريضة فقط . »

ثم أشار الى تقدم الخرطوم وغيرها من مدن البلاد وامتدح همة الكولونيل فرند مدير الأشغال وختم بالنساء الجميل على الكولونيل ناسون والمستر بونهام كارمر والفتننت كولونيل برنارد وعلى سائر رؤساء المصالح والمديرين ومعاونيهم من الشبان الانكليز وغيرهم لما أبدوه من الفيرة والهمة والاقدام في خدمة البلاد تحت ادارته ... اه . »

هذه أشهر الخطب والتقارير التي جاء بها اللورد كبرومر والسر رجينلد ونجت بشأن السودان وفيها جل ما تم فيه وما يرجى له من الاصلاح في المستقبل القريب .

ختام : ويسرني ان اجعل ختام كتابي خطب هذين النابغتين وتقاريرهما وأتمنى لكل بلاد منيت بالظلم والفساد ان تنشل منها كما نشل السودان وتسعد بعناية رجل عظيم حكيم كاللورد كرومر وهمة حاكم عدل كزيم كالسر رجينلد ونجت باشا .

- انتهى -

وكان الفراغ من تأليف هذا الكتاب يوم ٢٧ اكتوبر سنة ١٩٠٣ بعد اختبار نحو ٢٠ سنة في السودان وأمله . وقضاء جل ساعات الفراغ الثمينة مدة سبع سنين متوالية في جمع موادته وتحييص حقائقه . وسنة ونصف سنة في تبييضه وطبعه . والحمد لله أولاً وآخراً .

ملحق

تاريخ السودان وجغرافيته

« كتب في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٣ »

يعلم القارئ الكريم ان كتاباً مثل هذا استغرق تبييضه وطبعه سنة ونصف سنة وقد وصف السودان فيه وصفاً تناول كل موضوع من مواضيع الجغرافية الوصفية والادارية والتاريخ القديم والحديث في نحو ١٤٠٠ صفحة لا بد له من ملحق يضم كل اضافة او تقيح اوجبه مرور الزمن ومتابعة الاستقراء في اثناء الطبع . ويصلح ما وقع في الطبع من الخطأ والسهو ولو قل . لذلك اردفته بهذا الملحق حرصاً على زيادة اتقانه واستيفاء حوادثه الى يوم صدوره (٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٣) .

وقد ضمنت هذا الملحق كل ما يحتاج اليه المسافر الى السودان من المعدات والمعلومات وأؤمل ان أجده كل سنة حتى تنفذ الطبعة الاولى وأوفق الى طبعة ثانية والله الموفق الى الصواب .

١ - التقسيم والاضافة

في

الجزء الاول : الجغرافية

مديريات السودان الانكليزي المصري

(صفحة ٨٤ - ٨٧) ذلك كان التقسيم الاداري للمديريات في أواخر سنة ١٩٠٢ وقد جرى بعض التغيير في المأموريات وُبدل لقب محافظة حلفا وفاشودة وسواكن بلقب مديرية وغُيّر اسم مديرية فاشودة بمديرية النيل الاعلى واسم المدينة نفسها الى كودوك فأصبح اسماء المديريات ومأمورياتها الآن كما يأتي :

المديريات	مأمورياتها
مديرية حلفا	حلفا . المحس وسكوت
مديرية دنقلة	ارقو . دنقلة الاوردي . الخندق . الدبة . كورتي . مروي
مديرية بربر	الرباطاب . بربر . مدينة بربر . الدامر . شندي
مديرية الخرطوم	مدينة الخرطوم
مديرية الجزيرة	الكاملين : المسلمية . رفاعة . ودرملي . عبود . الكوة . القطينة . قوز ابو جمعة
مديرية سنار	سنار . منجة . ودمدني . الرصيرص . الدندر . دار الفونج . ابو نعامه
مديرية النيل الاعلى	كودك
مديرية بحر الغزال	لا مأمورية فيها ومن مدنها الشهيرة الآن : واو . مشرع الريك . ديم الزبير . شك شك . تونج . اورمبيك . شامي
مديرية كسلا	كسلا . القضارف . القلابات
مديرية سواكن	سواكن . طوكر
مديرية كردوفان	الابيض . بارة . الدويم . خورسي . النهود . السنوط . الطيارة . الدلن . كندك (جنوبي كردوفان) . جديد
دارفور	الفاشر

خزان اصوان :

(صفحة ٩٠) وقد تم الاحتفال بفتح خزان اصوان بحضور الجناب العالي الحديوي وسمو الدوق اوف كنوت وقربنته في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٠٢ .

مدينة الخرطوم :

(صفحة ١٠٨) وضع الحجر الاساسي لجامعها في ١٧ سبتمبر سنة ١٩٠٠ وسيتم بناؤه في اواسط السنة الآتية .

الاستاذ محمد المهدي السنوسي :

(صفحة ١٥٢) وقد توفي في واحة قرو في ٢٢ صفر سنة ١٣٢٠ هـ ٣٠ مايو سنة ١٩٠٢ م قبل العصر ودفن هناك في اليوم التالي . وقيل نقلت جثته الى واحة الكفرة وسيدفن هناك . وخلفه ابن أخيه السيد احمد الشريف فنقل زاويته الى الكفرة وهو لا يزال فيها .

موظفو مصالح الادارة المركزية :

(صفحة ١٩٤) تلك المصالح والموظفون في سنة ١٩٠٢ وأهم تغيير حصل الى الآن في موظفي مصالح الادارة المركزية انهم جعلوا لقب السكرتير الملكي « السكرتير جنرال » .

وسمي القائقام هول بك مساعداً للسكرتير جنرال بدلاً من الشريف البكبائي جيمس الذي سمي مساعداً لسكرتير مالي الحربية . وسمي البكبائي اول نائب مساعد السكرتير جنرال . والبكبائي الدوتون نائب مساعد سكرتير مالي السودان . والمستر هير قاضياً مدنياً . والمستر كروفوت مساعداً لمدير المعارف . والمستر بفل مفتش الزراعة .

المديرون :

(صفحة ١٩٥) وسمي الميرالاي السر هل مارونت بك بدلاً من الميرالاي مكرول بك . والقائقام دكنسون بك على الجزيرة بدلاً من الميرالاي بلوت بك . والميرالاي ولكنسون بك على كسلا بدلاً من اللواء هنري باشا . واللواء سباركس باشا على سواكن بدلاً من القائقام بلايفر بك .

وسيمود سباركس باشا الى الجيش الانكليزي قريباً ويسمى هوارد بك مديراً على سواكن مكانه وسمي الميرالاي اوكونل بك على كردوفان بدلاً من اللواء ماهون باشا والقائقام بلنوا بك على بحر النزال بدلاً من سباركس باشا .

رؤساء الاقلام الملكيين في السودان :

(صفحة ١٩٦) وسمي ابراهيم افندي مرقص باشكاتب الخازن في الخرطوم بدلاً من روفائيل افندي خليل المتوفي . ونقل فرج افندي شحادة باشكاتب مديرية سنار . وامين افندي حداد باشكاتب مديرية الخرطوم احدها الى مكان الآخر . ونقل وليم افندي زلزل من دنقلة باشكاتباً لمديرية كردوفان بدلاً من ناصيف افندي جل الذي نقل باشكاتباً لمديرية بحر الغزال . وسمي حسيب افندي اسطفان من مكتب السكرتير جنرال باشكاتباً لمديرية دنقلة .

وكالة حكومة السودان بمصر :

(صفحة ١٩٩) لقد ذكرنا في خاتمة الكتاب تسمية النزيل للورد ادوار سل وكيلاً عاماً لحكومة السودان بدلاً من الكونت كليخن وذلك منذ ١٦ اكتوبر سنة ١٩٠٣ .

وفي ١٦ يونيو سنة ١٩٠٣ ندب الشاعر النائر اسعد افندي داغر من ادارة تحرير المقطم الأغر ليكون في عداد موظفي هذه الوكالة وعهد اليه برئاسة القسم الفني فأظهر فيه من الكفاءة والدربة والاستعداد ما قد عهدنا به من قبل .
الجيش المصري :

(صفحة ١٩٩) وأما الجيش المصري فقد جعل مركز الادجوتانت جنرال في الخرطوم ومساعد الادجوتانت جنرال في مصر . ورقي القائمقام السيد بك ماجد الى رتبة ميرالاي وسمي قومندناً للحرس الخديوي والموسيقى الخديوية وسمى القائمقام خلف بك خيرى ياور خديوي مكانه .

وسمي كلا من القائمقام س. ا. تشارلتون بك والبكباشي ا. ج. ف. فون ياوران للسردار والميرالاي فبس بك كاتم أسرار حربية وسكرتير سعادة السردار وحاكم السودان العام والقائمقام ستاك بك مساعد كاتم أسرار حربية . وسمي اللواء هنري باشا ادجوتانت جنرال بدلاً من اللواء فرغوسن باشا الذي عاد الى الجيش الانكليزي .

وسمي الميرالاي ابراهيم بك فتحه . والميرالاي ك. وطسن بك. والقائمقام بلر بك . والقائمقام هربرت بك مساعدي ادجوانت جنرال بدل من ذكرناهم آنفاً والبكباشي لميرير بدل البكباشي بيلي الذي رقي الى رتبة قائمقام وعاد الى الجيش الانكليزي والبكباشي كليتون بدل البكباشي جاكسون . وسمي القائمقام هوكر بك قومندنا للهجانه . والقائمقام جاكسون بك . والبكباشي تونسن . والقائمقام ستكول بك والميرالاي رفنسكروفت بك ، والقائمقاميون غوردن بك وماسي بك وويشو بك وسذرلند بك ومكلين بك قومندات الاورط الاولى والثانية والثالثة المصرية والتاسعة والعاشره والحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة والخامسة عشرة السودانية والسادسة عشرة المصرية بدل من ذكرنا هناك .

وسمي الميرالاي أسر بك السكرتير المالي للجيش المصري بدلاً من القائمقام الجود بك الذي نقل الى الداخلية . والميرالاي محمد بك توفيق ناظر مدرسة الحربية بدلاً من اللواء اسماعيل باشا سرهنك الذي نقل الى القرعة العسكرية . وربي عبدالغني باشا فؤاد الى رتبة لواء وأحيل على المعاش .

قوانين حكومة السودان :

(صفحة ٢٠٣) ذكرنا في هذه الصفحة ما قد تم من القوانين الى حين طبعا في اواخر سنة ١٩٠٢ وجدّ بعد ذلك الحين الى الآن القوانين الآتية :
 قانون نزع الملكية سنة ١٩٠٣ . قانون تقرير عوائد الحيوانات سنة ١٩٠٣ (ويعتبر مع قانون تقرير عوائد الحيوانات لسنة ١٩٠١ كقانون واحد) .
 قانون حجب ملكية الاراضي سنة ١٩٠٣ (ويعتبر مع قانون حجب ملكية الاراضي سنة ١٨٩٩ كقانون واحد) . قانون غواصيد الدخولية على الصنغ وغيره سنة ١٩٠٣ . قانون المشروبات الروحية سنة ١٩٠٣ . قانون اكتشاف غش الصنغ الهندي والقواتبرخا سنة ١٩٠٣ . قانون زيت البترول سنة ١٩٠٣ . قانون حل الاسلحة النارية سنة ١٩٠٣ ويلفي قانون الاسلحة سنة ١٨٩٩ . قانون وقاية الحيوانات والطيور البرية سنة ١٩٠٣ وهو يلفي قانون سنة

١٩٠١ . قانون السكة الحديدية سنة ١٩٠٣ . قانون اراضي مدن مديرتي
كسلا وكردوفان سنة ١٩٠٣ .

المدارس الاميرية الجديدة :

(صفحة ٢٠٥) نقلت مدرسة المعلمين التي كانت في ام درمان الى كلية
شوردن في الخرطوم في ٢ نوفمبر سنة ١٩٠٣ وفيها الآن ٣٥ تلميذاً .
المدارس الخصوصية في السودان :

(صفحة ٢٠٧) عدا ما ذكرنا : مدرسة المرسلين الاميركان الانجيليين
على نهر سبت .

ومدرسة المرسلين النمسواوين الكاثوليكين على نهر النيل الابيض جنوبي
كودوك . وقد باشر المرسلون الاميركان انشاء مدرستين أخريين احدهما في
الخرطوم والأخرى في حلفا .

وابورات السودان :

(صفحة ٢٠٧) وابورات البريد والركاب بين شلال اصوان وحلفا هي :
أيبس . تنجور . طوشي . امبقول . بيمنة . وبين الخرطوم وكوندوكرو :
عباس باشا . دال . عكه . خير . وكلها لحكومة السودان الملكية .
ولقومبانية استعمار السودان ثلاثة وابورات وهي : « غوردن » لنقل
إلبريد والركاب بين الخرطوم وقوز ابي جمعه . و « الاتبرة » و « كرري »
لنقل البضائع في النيلين الابيض والازرق .

تلفراف السودان :

(صفحة ٢١٠) السطر الذي قبل آخر الصفحة من قوله الى الدويم الخ
أصبح الآن : الى الدويم فالابيض . وفي سنة ١٩٠٢ مدد من الدويم الى الرنك
ففاشودة فالتوفيقية .

(صفحة ٢١١) نمره ٣ بربر . سواكن . طوكر . كسلا القصارف .

القلايات . ومديني . غرة ٦ الخرطوم قوز ابرجمعه . غرة ٧ الخرطوم .
الدويم . الرنك . فاشودة . التوفيقية . ويوجد الآن مكتب لتبادل الاشارات
التلغرافية بين حكومتي الارثريا والسودان في سبدرات .
وفي سنة ١٩٠٣ مدت خطوط التليفون في الخرطوم فأم درمان فالحلفايا
ولكنه لم يزل منحصرأ في مكاتب الحكومة والهامة مبدولة في توسيع نطاق
هذه المصلحة التي تعهد بإدارتها القائمقام لدل بك .

بريد السودان :

(صفحة ٢٢٥) : كاملين بدل رفاة . التوفيقية بدل سبت . القضارف .
القلايات بدل قوز رجب على الاتبرة . النهود بدل بارة .

صفحة ٢١٩ تعريفه وابورات البر والبحر الاعتيادية

الطريق	المسافة بالأميال	درجة اول ص . غ . ص	درجة ثانية ص . غ . ص	درجة ثالثة ص . غ . ص
من الشلال الى حلفا (بالنيل)	٢٢٦	٤٠٠ ذهاب ٣٠٠ اياب	٢٠٠ ذهاب ١٥٠ اياب	٤٠ ذهاب ٣٠ اياب
من حلفا الى الكرمة (بسكة الحديد)	٢٠٣		٢١٣ ١/٢	٧١
من حلفا الى الخرطوم (بسكة الحديد)	٥٧٥	٥٧٥	٤٠٢ ١/٢	٢٠١ ١/٢
من الخرطوم الى الرصيرص (بالنيل الازرق)	٣٨٠	١٠٢٦	٣٣٢	١١٤
من الخرطوم الى مشرع الريك (ببحر الغزال)	٧٤٠	٢١٢٣٨	١٠٣٦	٢٤٧
من الخرطوم الى كوندو كرو (ببحر الجبل)	١٠٨١	٢٩١٨ ١/٢	١٥١٣ ١/٢	٣٦٠ ١/٢

التعريف في المفتخر : هذه هي التعريف الآن بالوابورات العادية . وقد أعدت حكومة السودان وابورات مفتخرة للسياح في البن والبحره تقوم من الشلال الى الخرطوم وبالعكس مرتين في الاسبوع وجعلت التعريف في وابورات النيل من الشلال الى حلفا ٥٠٠ غرش ومن حلفا الى الشلال ٤٠٠ غرش. ثم من حلفا الى الخرطوم بسكة الحديد مع عربة النوم ١٠٠٠ غرش ذهاباً و ١٦٠٠ غرش ذهاباً واياباً وذلك كله بلا أكل . وأما تعريف الأكل ففي وابورات النيل ٦٠ غرشاً في اليوم درجة اولى و ٣٠ درجة ثانية وفي سكة الحديد ٧٥ غرشاً في اليوم درجة اولى .

هذا ويقوم من مصر الى الشلال ٣ قطارات مفتخرة في الاسبوع بعربات أكل ولوم الى الاقصر فيرتبط اثنان منها بقطاري الشلال الى الخرطوم . ويدفع المسافر من مصر الى الشلال في الدرجة الاولى ٢٦١ غرشاً عدا اجرة الأكل والنوم الى الاقصر التي تبلغ ١٢٠ غرشاً وفي الدرجة الثانية ١٣٠ ١/٢ غرشاً وفي الثالثة ٦٥ غرشاً .

اوقات السفر :

من مصر الى الخرطوم : فالمسافر من مصر الى الخرطوم في المفتخر يخرج من مصر الاحد او الاربعاء الساعة ٦ ١/٢ ب. ظ فان خرج الاحد وصل الشلال الاثنين ماء ووجد وابور النيل مستعداً فيسير به الى حلفا ولا يقف إلا في ابي سمبل للتفرج على هيكلها ويصل حلفا في يوم الاربعاء الساعة ٤ ب. ظ ثم يركب القطار المفتخر من حلفا الى الخرطوم فيصلها في يوم الجمعة الظهر . وهكذا اذا قادم من مصر الاربعاء مساء يصل الخرطوم يوم الاثنين الظهر . ووابور المفتخر يحمل البريد من مصر الى حلفا وجنوبيها وذلك في فصل الشتاء وأما في الصيف فلا يسير من الشلال إلا عند الاقتضاء .

وأما المسافر من مصر الى الخرطوم بالاعتیادي فيجد وابوراً من مصر كل ماء الساعة ٨ ب. ظ . ويحد من الشلال الى حلفا وابورين في الاسبوع يقوم

كل منها يوم قيسام المفتخر ولكنه يقف عند عدة قرى في الطريق أخصها كلابشة والعلاقي وكورسكو والدرد وابریم. ويجد من حلفا قطاراً الى الخرطوم كل يوم ولكنه لا يجد طعاماً في القطار .

من حلفا الى دنقلة : ويجد من حلفا الى الكرمة قطاراً كل اسبوع ويجد في الكرمة وابوراً يحمله في النيل الى دنقلة بيومين ثم الى مروي بثلاثة ايام . من بربر الى سواكن او كسلا : وأما المسافر من بربر الى سواكن فيقتضي عشرة ايام على الجمال على معدل ٢٥ ميلاً في اليوم وأما هجن البريد فتصل بثمانية ايام .

في النيل الابيض : ثم ان المسافر من الخرطوم في النيل الابيض يجد وابوراً كل اسبوع الى الدويم يصل اليها بيومين والمسافر الى جنوبها يجد في الخرطوم وابوراً كل اسبوعين . ويركب الجمال منها الى النيل الابيض فيصلها بستة ايام .

في النيل الازرق : وأما النيل الازرق فلا يصلح للسفر إلا مدة ارتفاع النيل كما مرّ وفي هذه المدة يجد المسافر وابوراً من الخرطوم الى الرصيرص كل اسبوعين .

المعدات اللازمة للمسافر الى السودان :

الكتب والخرائط والمجرائد : أما المعدات اللازمة للمسافر الى السودان فمن أهمها : الكتب التي تبحث عن السودان . وهذا الكتاب قد تكفل بتاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته واجمال حاله وفيه خارطة عمومية في أهم بلاده ومدنه والبلاد المجاورة له .

ومن أراد التوسع في تاريخ الثورة المهدية وجد في الانكليزية مؤلفات الماجور ونجت (السردار الحالي) الشهيرة وهي : « المهدية والسودان المصري » و « أسرار سنين في السودان » للأب اوهر ولدر . و « السيف والنار في

السودان ، للسردولف سلاطين باشا الشهير . وفي العربية : كتاب تاريخ الثورة المهدية للكاتب النبيل جبرائيل بك حداد . وكتاب السودان بين يدي غردن وكشنر لابراهيم باشا فوزي . وتاريخ مصر الحديث للمؤرخ المتفطن جورج افندي زيدان صاحب الهلال . وهي أهم ما كتب في السودان الى الآن .

ومما يفيد المسافر الاطلاع عليه الغازات السودانية وهي الجريدة الرسمية لحكومة السودان وجريدة « السودان » التي تصدر في الخرطوم وقد تقدم لنا وصفها .

الملبوسات : ويلزمه من اللبوسات ما يناسب البلاد الحارة الكثيرة الغبار ونذكر هنا على سبيل التذكرة : بدلات تيل اسمر . بدلات تيل ركوب . بدلات رسمية . بدلات جوخ للشتاء اذ يشتد البرد في الصباح والمساء . قمصان بيض تكوى او لا تكوى وهذه افضل . وجزم سوداء او صفراء وهذه افضل . وجزم ميدان لبلاد كردوفان وبحر الغزال وكلا وسنار وفاشودة حيث يكثر المطر والشوك . وطرايش مبطنه بقش او برانيط واسعة وهذه افضل .

المأكولات : ويحسد المسافر اللحم والفراخ والبيض والخضر في اكثر البلاد العامرة ولكنه اذا خرج لسفر الى الجهات النائية عن المدن فلا بد له من المأكولات المحفوظة في العلب كعلب المربى على انواعه وعلب اللحم والشوربة والخضر والخل والزيت والشاي والسكر والملح والقلقل والجبن ونحوها .

معدات النوم : ولا بد للمسافر من سرير سفر وسجادة وحرامات صوف وملايات ومخدات وابتوفلي عال لتوقي العقارب وناموسية لتوقي البعوض في بعض المحال .

معدات الفصل والتزيين : ويلزمه ادوات الفصل والتزيين من امواس

وفرش ومراة سفر وطشت وابريق وحمام صاج ومناشف وشمعدان وفانوس وشمع .

معدات الطبخ والمائدة : ويلزمه للطبخ والمائدة طاولة صاج سفريه وكراسي سفر وشوك وسكاكين وملاعق وصحون وفناجين وكبايات صفيح ابيض وآنية صاج للشاي والطبخ ومنصفاة . وسكين كبير يشفرتين متينتين ومفتاح للعلب وبريعة . وشلتة صغيرة يضع فيها أكله وزمزية يضع فيها ماءه في اثناء السفر وقربة ماء تحمل على الجمال .

معدات الركوب : ومن أحب ركوب الخيل فليأخذ معه سرج حصان يجميع معداته . اما الخلوقة لركوب الابل فليشترها من السودان .

الادوية : ومن أم لوازم المسافر مجموعة من الادوية المركبة اقراصاً او حبوباً كحبوب روس التي يتجر بها الدكتور نقولا نمر في القاهرة وأمها : الكينا لمعالجة الحمى . ومنحوق دوفر لمعالجة وجع المعدة والحمى . وزيت الخروع او عرق الذهب لمعالجة الديزنتاريا والكولروودن او سليسات الهازموت لمعالجة الاسهال وكلورات النيوثاس لمعالجة التهاب الحلق . ونقستين للتعريق ومداواة وجع الرأس . وسلياني لفصل الجروح ومقص ومشع ونسالة وأربطة لضمد الجروح . وثرموتر طبي . وروح النشادر لمداواة لسع العقرب . وعصير الليمون لمنع الاسكربوط وكونياك في زجاجة بفلاف من قش . ونفتالين لوقاية الثياب من العث . وحزام صوف لتدفئة المعدة والامعاء .

الخدم : ولا بد للمسافر من خادم له إلمام بالطبخ يعتني بأمتعته وطعامه وغسيله .

معدات شتى : وما يلزمه شمسية واسعة متينة . ونظارة كبيرة لتقريب الابصار . ونظارات ملونة لتوقي الغبار . وعك لمعرفة جهة السير . وساعة يد سفريه . وسنارة لصيد الاسماك . وبندقية لصيد الطيور . ودفتر مفكرات .

وأبر وخيطان وازرار ودبابيس تجمل في محفظة من قماش . ودواة واوراق
وأقلام ومغلفات توضع في محفظة من جلد .

معلومات شتى : تروج النقود المصرية في جميع بلاد السودان إلا في بحر
الغزال وفاشودة فان اهلها يتعاملون بأنواع مهنومة من الخرز رخيصة جداً
وفي حدود الحبشة حيث يتعاملون بريالات ماريا تاريسا وقيمة الواحد منها
نحو ١١ غرشاً . ولا تلزم الكلاب والبيسكت في السودان لأن الهواء
لا يناسبها .

وبما يجب الانتباه اليه : عدم الخروج في الشمس بلا برنيطة او طربوش ولو
كانت الشمس محجوبة بالغيوم . وعدم رمي اعقاب السجائر بقرب هيشة او
هشيم وعدم الاستحمام في النيل فان في ذلك خطراً من التيار والتاسيح فضلاً
عن ان الاستحمام في النيل يجلب الحميات . ومن رام الصيد خارج المدن فلا بد
له من زاد يوم وماء ومحك كبيرت وليحذر من فراغ قربته إلا اذا تأكد
وجود الماء حيث يصيد .

الجزء الثاني : تاريخ السودان القديم

(صفحة ٣٣٥) منها تمثال أسد نقله خورشيد باشا احد ولاة
السودان السابقين الى مصر وتمثال اوسيرس احد آلهة المصريين القدماء مصنوع
من الفرانيت الأسود نقله احد الالمانيين الى الكائنلين وشاهده لبيوس هناك
سنة ١٨٤٤ م .

الجزء الثالث : تاريخ السودان الحديث

(صفحة ٦٠٧) ان الجناب العالي استدعى اولاد السلطان ابراهيم
الذين أتى بهم الى مصر فوجدهم دون البلوغ فندب الأمير عبد الشكور ابن

الامير عبد الرحمن ابن السلطان حسين وأنعم عليه بلقب باشا والنيشان المجيدي الاول وجعل له راتباً قدره ١٢٠ جنيهاً في الشهر ووجهه الى الفاشر فما وصل دنقلة حتى قامت قيامة المهدي فرجع الى اسيوط وسكن فيها الى اليوم .

ولاية عبد القادر باشا حلمي :

بعد الفراغ من الكلام على ولاية عبد القادر باشا في الخرطوم توقفت الى الاجتماع بهذا القائد الباسل في حلوان فجرى لي معه حديث طويل بشأن ولايته في السودان آتي منه هنا على ما فاتني ذكره في محله :

(صفحة ٦٥٨) قلت المشهور انك لم تسلم بجملة الشلاي على المهدي في قدير وان الحكومة أذنت فيها قبل قيامك من مصر على الضد من رأيك ؟ قال لا بل انا سلمت بها ايضاً بناء على الحاح جيكلر باشا في وجوب الاسراع بارسالها واعتماداً على ان الحاضر يرى ما لا يراه الغائب .

(صفحة ٦٧٢) ثم قلت بلغني انك علمت بحركة الشريف احمد طاهما في ابي حراز وانت في بربر فدلت الصاغ سرور افندي بهجت على طريقة في الهجوم كفلت له النصر فهل هذا صحيح وما هي تلك الطريقة ؟ قال نعم دعوت الى غرفة التلغراف وأمرته ان يشكل اورطته طابوراً واحداً في صفين ويحمل بلوكاً من العساكر وراء كل جناح جناحي الطابور ثم يهاجم العدو بقصد الموت او النصر فاذا حال العدو ان يأتيه من الجانبين صدّه البلوكات اللذان في الجناحين واذا حاول العدو ان يدور من خلفه صدّه الصف الخلفي من الطابور فتحدثني الأمر وفاز بالنصر .

(صفحة ٦٧٣) ثم قال وعند وصولي الخرطوم وجدت عدداً قليلاً من العساكر مخيمين في ظاهرها بلا متاريس ولا حصون فشرعت في الحال بحفر خندق يصل بين النيلين الابيض والازرق وخفت اذا قلت للأهلين اني أحصن المدينة ان يستضعفوني وينصروا المهدي فقلت لهم اني احفر ترعة للوصول بين النيلين وتسهيل الملاحة . ولما تم الخندق شرعت في تجنيد العساكر المتطوعة

فجمعت ٩ آلاف رجل وسلحتهم بخمسة آلاف بندقية رمنتون احضرتها معي من مصر وبما وجدت في مخازن الخرطوم . وقد وجدت في الخزانة ١٢٠ ألف جنيه فاستعنت بها على تجنيد العساكر وتحصين المدينة ومقاومة الثورة سنة كاملة .

قلت : أصبح انك ارسلت سماً الى المهدي في قدير فنجاً منه ؟ قال : نعم ولكن سبق رسولي اليه رسول من الزبير ودضوه فحذره منه . وأوعزت الى محمد شريف باشا والياس باشا ام بربر فأرسلوا اليه سماً من الابيض ولكن عاد الياس باشا فأرسل اليه رسولا وحذره منه .

(صفحة ٦٧٤) قلت : المشهور عند اهل السودان انك قتلت الزبير ودضوه في الخرطوم مع جماعة من الكتاب لمواطأتهم الدراويش في سنار ؟ قال : نعم أردت تأديبه فطلب العفو وحلف لي بيمين الطاعة فعفوت عنه وجعلته معاوناً في الخرطوم فصنع لي المعجون الذي ارسلته الى المهدي . ولما دعوت الاهلين لتجنيد خدمهم السود تكفل بجمع اورطتين من سنار وما وصل سنار حتى هاج اهلهما من جوهر وعلمت انه هو الذي حذر المهدي من السم فاستدعيته الى الخرطوم وسجنته قصد محاكمته ففر من السجن الى حيث .

(صفحة ٦٨٩) قلت وما سبب انحياز الياس باشا ام بربر الى المهدي او لم يكن في الامكان انقاذ الابيض من السقوط ؟ قال : أما الياس باشا فقد انحاز الى المهدي نكابة بمحمد سعيد باشا مدير الابيض ومحمد بك دفع الله من كبار تجارها لأنه وقع بينه وبينها عداة شديدة وقد اضطرت الى عزل محمد سعيد باشا تلتزافياً وسميت محمد شريف بك مديراً على الابيض ارضاء لالياس باشا فأظهر الرضى وكن الحقد .

أما الابيض فاني بذلت جهد المستطاع في انقاذها فلم أوفق الى ذلك : أرسلت اليها اورطة سرور افندي بهجت التي جاءت لنجدة جيكلر في

ابي حراز (بناء على طلبي لها وأنا في اسبوط) . ثم ارسلت اليها اورطة باشا افندي حماد التي استدعيتها من القصارف عند سماعي بانكسار مرور بهجت في ابي حراز . ثم باورطتين من الخطرية والباشبوزق بقيادة علي بك لطفي فهوجوا قرب بارة كما علمت . ولما لم يمد في الامكان انجادهما من الخرطوم طلبت المدد من مصر بالحاح فابطأ المدد وكان ما قدره الله .

(صفحة ٦٨١) قلت : وهل كان في وسع مصر إذ ذاك ان ترسل الجندي وكم جندياً طلبت ؟ قال : طلبت ١٠٠٠٠ جندي ترسل في ستة اشهر في عهد وزارة رياض باشا فأجابني ان الجيش المصري قد الفى وليس في الامكان انجاده بالعساكر فدبر الأمر بمحكتك وكان اول المعارضين في ارسال النجدة اسماعيل باشا ايوب وهو إذ ذاك ناظر الداخلية . فلما مضت الستة أشهر ولم تأتني النجدة رفعت استعفائي فجاءني تلغراف من الجناب العالي كله عتاب ونصيحة وفي الختام يقول فيه : « اننا ألحنا على الحرية في ارسال النجدة » . ولما لم تأتني النجدة استعفيت ثانية فاهتمت الحكومة إذ ذاك بالأمر وشرعت في ارسال العساكر تباعاً بطريق سواكن وهم جيش عراقي الملقى .

فلما وصلت الاورطة الاولى بقيادة عبد الله الكردي الى الخرطوم كانت زعماء الثورة يحشدون الجموع في الجبلين فجردتها عليهم مع جيكلر باشا الذي لم يلبث ان عاد بها الى الكوة ودعاني الى غرفة التلغراف وقال : « لما وصلنا الجبلين أرسلت بلوكاً سودانياً كنت اخذته من الكوة لاستكشاف العدو فراه متوارياً عنا بغابة كثيفة فأمرت الاورطة بمهاجمته فأبت بحجة انه اقوى منها وقالت لم يؤت بنا الى هنا إلا لاعدامنا لأننا اعرابيون » فأمرته بحبس القومندان وسلم الاورطة للصاغ وعاد الى الخرطوم .

ثم جاءت الاورطة الثانية والثالثة فأرسلتها مع صالح بك الملك وبعض الباشبوزق لقتال الدراويش على النيل الازرق فلما وصلوا المسلية حتى اتاني تلغراف من صالح الملك يقول فيه : « ان العساكر تصرح بأني متفق معكم على

قتلهم لأنهم عرابيون . وكان في الخرطوم اذ ذاك الكولونل ستورت وقد جاءها من قبل دولته ليقدم لها تقريراً عن حالة البلاد المالية والعسكرية فعمدت اليه بأعمال الحكمدارية وجئت الى المسلية فوجدت الضباط من رتبة قائمقام فما دون يعتقدون ان محمد احمد هو المهدي الحقيقي ولا يأمنون بجانب الحكومة فيبينت لهم فساد اعتقادهم وأمنتهم ونشطتهم وقلت : ها انا سائر امامكم ودخلت بهم الجزيرة . فما وصلت عبود حتى كان هكس باشا قد سمي رئيساً لأركان حرب العساكر في السودان وصدر لي الأمر بإيقاف الحركات العسكرية . وكانت الجزيرة اذ ذاك مشتعلة بنار الثورة وود كريف قد جمع الجموع قرب معتوق واحد المكاشف يحاصر سنار فقلت في الجواب : عبشاً نحاول ايقاف الحركات العسكرية في مثل هذه الاحوال لأننا ان تركنا الدراويش فهم لا يتركونا ، ثم زحفت على ود كريف في معتوق فزقت شمله وأتيت الى الكوة حيث كانت الاورطة الاولى فضمامتها الى عاكري وجعلت سليم بك عوني قائداً عليها كلها وأرسلته بطريق الجزيرة الى ود مدني ليبقى في انتظاري فيها بقصد الزحف على احمد المكاشف ورفع الحصار عن سنار . وكنت قد أرسلت وابور بوردين الى بحر الغزال لجلب المرد منها للعسكر فعاد وأنا هناك فجئت به الى الخرطوم لتفقد احوالها .

(صفحة ٦٨٢) وهناك بلغني سراً ان علاء الدين باشا قد سمي حاكماً عاماً للسودان فتجسست الخبر من المية فلاح لي انه صدق فقلت لهم : « اني أرسلت الجيش الى النيل الازرق بقصد رفع الحصار عن سنار وهو الآن في انتظاري في ود مدني فأقف عند هذا الحد أم أتقدم لرفع الحصار ، فأجبت أولاً بالبقاء في الخرطوم ثم بالتقدم لرفع الحصار فذهبت الى سنار وأوقعت في احمد المكاشف « واقعة الداعي » ورفعت الحصار .

قلت : بلغني انك قبل مباشرة القتال في هذه الواقعة نزلت عن جوادك وقيدته في وسط المربع وقلت للعساكر هنا الموت او النصر فهل الأمر كذلك

قال : انما قيدت جوادي لأنه كان جوحاً يحفل من اطلاق الرصاص فاتخذ العساكر ذلك علامة نية النصر او الموت فحاربوا حرب الابطال وفازوا بالنصر . وقد حارب الدراويش ايضاً مستقلين وهاجونا قاصدين اختراق المربع فقتل اكثرهم قريباً جداً من الصفوف وفاز رجل منهم بالدخول الى المربع فقبض عليه وأتى به إليّ فلما مثل بين يديّ قال لي أسلم يا كافر فزجرته وسألته عن احد المكاشف ومكانه فلم يجب بكلمة .

ثم تقدمت الى سنار فأتاني الخبر اليها من الخرطوم بسقوط الابيض وبارة وعلمت من التجار ان علاء الدين باشا وصل الخرطوم فلم أبالٍ وتقدمت وأوقعت واقعة التبنة . وهناك بلغني ان علاء الدين أعلن رسمياً أمر تسميته والياً على السودان فرجعت الى سنار فوجدت حين باشا شكري قد حضر لاستلام العساكر فأخبرته بالذي كنت عازماً عليه وجئت الى الخرطوم ثم الى مصر .

(صفحة ٧٦١) قلت : أصحيح انك نذبت لانقاذ الخرطوم فأبيت ؟ قال : نعم نذبت اولاً في وزارة شريف باشا وكنت اذ ذاك بلا وظيفة فأبيت لأني اعتبرت ان الموظفين هم أولى مني باقتحام مثل هذه المخاطر . ثم دعيت ثانية في وزارة نوبار وكنت اذ ذاك ناظراً للحربية فقلت أذهب بشرط ترك القول بإخلاء السودان . وقد نويت لو قبلوا بشرطي ان اجمع العساكر بين الخرطوم ودنفلة وأسلم كل مديرية من مديريات شرقي السودان وغربيه الى شيخها الاكبر وأضع عنده راية وقليلاً من العساكر لاتقاء شر المذابح فلم يرضوا بهذا الشرط .

(صفحة ٨٩٠) قلت : أصحيح ايضاً انك دعيت لحماية دنقلة بعد خروج العساكر الانكليزية منها سنة ١٨٨٥ فأبيت ؟ قال : نعم لأني دعيت لحمايتها بالعساكر التي كانت فيها قبل الحملة وعشرة آلاف جنيه في السنة فوق ايرادها فبينت لهم فساد هذا الرأي وقلت اذا اريد حفظ دنقلة وقمع الثورة فلا بد

من ارسال ١٥ الف جندي الى دنقلة في الحال . و ١٥ الفاً في السنة التالية لفتح بربر و ١٥ الف جندي في السنة الثالثة فوقهم لفتح الخرطوم . وذلك يقتضي ٣ ملايين جنيه تجعل تحت أمر الفاتح قبل الشروع في العمل : ولكن لم يكن في وسع الحكومة اذ ذاك اجابة هذا الاقتراح فسلمت البلاد الى اهلها فكان من امرها ما كان . اه .

الفهرس

مرتبة فيه المواضيع على حروف الهجاء

صفحة		صفحة
١٢٨٨ و ١٢١٢	ابراهيم ديمتري	١
٧٨٨ و ١١٧٢٧	ابراهيم زيدان	١٢٥ و ١٠٠ و ٦٨
٩٣٦	ابراهيم شريف الدولابي	٤٦٠
١١٤٢ و ١٠٠٤	ابراهيم عدلان	٥٥٠
١٣١٩	ابراهيم علي . الامير	٧٢٧ و ٧٣٢ و ١٠٤٤
٥٠٧	ابراهيم ودوير وواقعة بارة	٥٣٤
٣٥٥ و ٨٧	ابريم	٨١٠ و ٨٠٤
٢٦٨	الابرية	١٣٠
٤٥	ابل السودان	٥٨٤ و ٤٧٧
٣٦	الابنوس	٥٢٤ و ٥٠١
٤٤	ابو اطلاق	٦٠٨
١٠٥٢	ابو جميزة . حركته في دارفور	٧٦٢ و ٧٣٦ و ٥٦٤
٦٨٤ و ٦٢٥ و ٦٠٨	ابو حراز	١٢٨٧ و ٥٦٤
١٥٢	ابو الحسن الاشعري الامام	١١٢٢ و ١١٤٦
١٥٧	ابو حسن الشاذلي . الشيخ	٣٩١
١٠٦ و ١١	ابو حمد . بلدة	١٥٦
١٥٣	ابو حنيفة . الامام	
١٠٧	ابو خروق	

صفحة	صفحة
١٥٦	ابو الخيرات . الامير ١٥٦ و ١٧٠
٦٩٢	ابو دوم قشايي ١٠١
٤٤٦	ابو السعود العقاد ٥٦١ و ٦٥٢
٩٨٤ و ٩٨٠ و ٩٠٥	ابو سمبل ٨ و ٣٩
١٥٠	ابو صاري ٩٨
١٥٣	ابو عنجه انظر حمدان ابو عنجه
٨٩	ابو القاسم . الى ٢١ من سلاطين الفور ٤٤٧
١٥٦	ابو قرجه . انظر محمد عثمان ابو قرجه
١٢٩٢	ابو قس ١٠١
١٢٢٢	الابيض ١٢٦
٨٨٠	» فتحها الاول سنة ١٨٢١ ٥٠٦
١٠٠٤	» حصارها سنة ١٨٨٢ ٦٩٤
١٣٠٠	» تسليمها ١٩ يناير ١٨٨٣ ٧٠١
٤٩٣	» احتلالها سنة ١٨٩٩ ١٣٣٣
٦٧٢	اثار السودان ٨٨
٥٣٨ و ١٨٥	اثلمني . اللورد وحمله دنقلة ١٢٠١
احمد علي . قاضي الاسلام في ام درمان ١١٧٧ و ٩٧٤	الاحاجي والالغاز ١٣٨
١٢٩١ و ٨٢٨	الاجانب في السودان ٧٤
١١٩٥	اجرتن . الجنرال ١١٩٩
» والقضارف وواقعة الرصيرص ١٢٩٨	الاحامدة ٧٢
١٣٠٦	احممس . الملك ٣٠٢
١٣١٠	احمد . ثامن سلاطين الفور ٤٤٥
٦٧٩	احمد ابو سن . شيخ الشكرية ٥٢١
٦٨٠	احمد الازمري . السيد (قتله) ٦٩٧
٧٩٣	» ورسالته في تكذيب المهدي ٩٦١
٥٥	احمد باشا ابو ودان . رابع ولاية الفتح الاول ٥٢٠
	احمد باشا المنيكلي . خامس ولاية الفتح الاول ٥٢٣

صفحة	صفحة
٤٩	اقلن ود - السر - سردار الجيش المصري
٤٢٨	ارقو - مملكتها
١٢٥	اركويت
٢٥٦	الارملة
٢٢٧	ازخر امن احد ملوك ايشوبيا
١١٣	اسير افندي شقير
٨٢	استرجاع السودان
٢١٧	استعمار السودان
٦٨٥	اسحف - خرابها
٤٤٧	اسحق ابن السلطان تيراب
١٢٩٢	اسرى الاحباش في ام درمان
١٣٠٩	الاسرى السودانيون في مصر
	الاسرى المصريون في السودان
١٢٩٢ و ١٢٩١ و ١١٨٠	
١٣٥١	اسعد افندي داغر
	اسعد افندي راشد وحملة دنقله
١٢٢٢	
١٧١	اسكندر نصره
١٠٢	اسماعيل الولي الكردي وفاني
	اسماعيل - تاسع عشر ملوك سنار
٣٩٨	
	اسماعيل الازهري - السيد
١٣١٤ و ٨٦٠	
	اسماعيل باشا ايوب - العشرون من
	ولاة الفتح الاول
٦٠١ و ٥٩٣ و ٥٦٧ و ٥٤٧	
	اسماعيل باشا (نجل محمد علي
٥٠٧ و ٤٩١	باشا الكبير)
٥٤٢	اسماعيل باشا الخديوي
	اسماعيل باشا ابو جبل - تاسع ولاه
٥٣١	الفتح الاول
	٤١٨ و ٣٩٤
	ادريس - تاسع سلاطين القور
٤٤٥	ادريس - ثاني عشر ملوك الجعليين
٤٢٥	
	ادريس - خامس وزراء الهمج
٤٠٤	ادريس - الشيخ
٣٩٠ و ١٦٣	ادريس عدلان الهمجي
٥١٤ و ٥٠٠	ادريس رجب الهمجي
١٣٠٠	ادريس عبدالرحيم وحصار كسله
٩٧٤	ادريس محبوب - الشيخ
٩٧	ادريس المحينة ملك الجموعية
٥٠٠	ادندان
٩٤	ادوار سسل - اللورد وحملة دنقله
١٢٠٠	
	ادوار فنديك - المستر
٨٨٦	ادولس انظر زولا
	الاراضي الزراعية في السودان
١٦٩	اراضي السودان
٢٢	اراكيل بك ال ١٣ من ولاه الفتح الاول
٥٣٤	
	اريجي ، خرائبها
٢٩٩ و ١١٣	الارثيقه
١٢٤	ارجمينس - احد ملوك اثيوبيا
٢٢٧	ارداب (دياب) ودعيب ثامن مشايق
	قري

صفحة		صفحة	
٢٩	امراض السودان	اسماعيل باشا • نجل محمد علي	
١٣٠	ام شتقه	٤٩١ و ٥٠٧	باشا
٢٨	امطار السودان		اسماعيل شجر الخيري
٣٠٣	امتحب الثالث • الملك	١١٧٢ و ١٣٠٣	
	اميديب اخلاؤها ١٠ ابريل ١٨٨٥		اسماعيل عبد القادر • الشيخ
٩٠٣	الامين احمد المجنوب والثورة ٧٨٨		» قصيدته في قبة المهدي ١١٣٢
٧٣٨ و ٥٦٥	امين باشا وخط الاستواء	١١٧٦	» وسيرة المهدي
١١٠٣ و ١٠٩٠	» والثورة المهدي	٥٨	اسمور
١٢٩٨ و ١١٢٧ و ٨٤٢ و ١٩٦	امين حداد	١٧٨	الاسواق التجارية
	الامين مسمار من مشايخ قري	٩٠ و ٨٨ و ٨٢ و ٥٨	اسوان ١١ و ١٥
٤١٨ و ٣٩٦		١٤٣	الاسلام
٧٩٦	انجصر • الشريف في سنار	١١٦٥	الاشراف • الدناقلة
٣٧	الاندراب • شجر	٤٨	الاصلة (ثعبان)
٣٨٩	انس الاول • سابغ ملوك سنار	١٥٨	اعباد المسلمين
٣٩٤	انس الثاني • ثالث عشر ملوك سنار	٣٢٧	اكسوم • مملكة
	انس الثالث • رابع عشر ملوك سنار	٦٨٩	الياس باشا ام برير
٣٩٥		١٠٩٢	امادي • خط الاستواء • حصارها
٦٤	الانقرياب	٦٠	الامرار
١٠٦	اهرام نبتة	٥١٨	امام • ثاني مشايخ القلابات
١١٧	اهرام مروي	٢٢٧	الامباية
١٤٤	اهل السنة	١١٦٤ و ١٣١٩	امبدى الرضي
٢٩٨	الاوير • قبيلة	١٠٢	امبقول
٤٤	الاوران اوتانج • المشمبانزي	١٣٦	امثال السودان
٣١٨	اوردا من احد ملوك ايثيوبيا	١٣ و ١٠٩	ام درمان
١٨١	الاوزان	٨٤٨	» حصارها
٣٠٠	او سرتسن الاول • الملك		» تسليمها • يناير سنة ١٨٨٥
٣٠٠	اوسرتسن الثالث • الملك	٨٥٤	
٤٠٢	اوكل • ال ٢١ من ملوك سنار	١١٣٢	» جامعها
		١١٦٥ و ١٢٧٦	» وقائمها

تاج الشوك

صفحة	موضوع	صفحة	موضوع
٨٨٢	بركنبري الجنرال وواقعة كربكان	٨٦ و ١٠	بحر الغزال
١٢٧١ و ٢١٤	برنارد بك • الميرالي	٧٣٥	« والثورة فيها
١١٩٦	برن مردخ بك وحملة دنقلة	٧٣٩ ١٨٨٤	« تسليمها ٢٢ ابريل
٩	برنو	١١٦٢	« والنصاري فيها
٢٣٠	بروبس النائب الروماني	١٣٠١	« احتلالها الاخير
٦٠١ و ٥٦٦	بروت الماجور		بحيرات السودان :
١٢٧١	برودود بك وحملة الخرطوم	١٩ و ١٠	بحيرة البرت ادوارد نيانزه
١٨	بروس السائح	١٠	بحيرة البرت نيانزه
٥٦	البرون	١٣ و ١٠	بحيرة تسانة
٧٤	البرياب	١٩ و ١٢ و ١٠	بحيرة فكتوريا نيانزه
٢١١	بريد (بوسطة) السودان	١١٨	بحيرة نو
٣٢٢	بسامتيك • الملك	٨٥١	نخيت بك بطراكي في الخرطوم
٥٩	البشارين	٥٨	البديات
١٢٣١	البشاري ريده	٧٢ و ٥٤	البديرية
١٣١٤ و ١١٧١	البشري ابن المهدي		البرابرة انظر نوبة
٣٧	البشم • شجر	٨٥ و ١١	بربر
	بشير بك جبران شيخ المليك	٤٩٦	« فتحها الاول سنة ١٨٣١
١١١٠	العبادة	٧٨٦	« والثورة المهدية
١٣١٠	بشير عجب الفيه		« سقوطها ١٩ مايو سنة ١٨٨٤
٥١٨ و ٥١٠	بشير ودعقيد الجعلي	٧٩٠	« احتلالها الاخير ٦ سبتمبر سنة
١١٢٦ و ٦٨	البطاحين	١٢٢٤ و ١٢٢٩	١٨٩٧
٢٥١	البطان • عادة	٩٠٣ و ١٢٥	بربره
٢٢	البطانة • صحراء	١١٥ و ٥٦	البرته • قبيلة
٨٩	بطرس بك سركيس	١٠٤	برتي • بلدة
٣٢٧ و ١٢٣	بطليموس الثاني	٥٨	البرتي • قبيلة
٤٤	البعام	١٣١٤	برجس بك واسر عثمان دقنه
٣٠٧	بمنخي احد ملوك ايثوبيا	٦٠٢	بردي الكولونل ودارفور
١١٣٩ و ٧٢	البقارة	٥٧	البرقد
٦٦	بقارة محارب	١٠٤	البرقل • جبل
٣٤٨	البقظ		

صفحة		صفحة	
١١٢	الجايلى	٣٠٨	تفنخت • الملك
٩٠٤	جباره اغا الشايقي	٧٥ و ١٢١ و ٤٩١	تكارنة القلابات
١٢٨ الى ١١٠ و ٦٧	جبال السودان	٥٧٣	تكمه • سلطان النمانم
١٠٤٠ و ٥٤٢		١٢٧١ و ١٩٣	تلبوت باشا
٧٥	الجبرته	٢١٠	تلغراف السودان
٨٨٦	جبر ضومط • الاستاذ	١٢٨ و ٧١	التمام • قبيلة
٢٦٣	الجبته	١١١	التمانيات
٥٧ و ٥٦	الجبلاويون	١٩	التمساح
٩٢٩ و ٥٢٣	الجدري	٥٧	التنجر
٤٩	الجراد	٩٨	تنره
٨٩١ و ٧٥٤	جراهم الجنرال وسواكن	١٠٣	تنقاسي
١٢٠١	جريفث بك		توفيق باشا • الخديوي السابق
٨٨٢	جرين • الجنرال	٩٤ و ٦٢٠ و ١٠٩٤	
١٢٣	جزائر البحر الاحمر	٩٤	التوفيقية • حلفا
٨٥ و ١١٢ الى ٩١ و ١٦	جزائر النيل	١١٧	التوفيقية • سبت
١١٢ و		١٣٠	تولو • بلدة
١١٢ و ٨٥ و ٢٢	الجزيرة مديرية	٤٤٥	توم رابع سلاطين الفور
٢٢	جزيرة مروى	٦٨	تومات
٦١٠ و ٥٦٥	جسي باشا	٤٤٧	تيراب ال ٢٢ من سلاطين الفور
٥٤٥	جعفر باشا صادق ١٧ الولاية		
	جعفر باشا مظهر ١٨ الولاية		
٥٦٨ و ٥٥٣			ث
٤٢٤ و ٦٣	الجميلين	٨١	الثورة المهدية • ملخص تاريخها
٩	جغرافية السودان الطبيعية	٦٣١	• اسبابها وتاريخها
٧٩	جغرافية السودان الادارية	٥٤٠	ثيودورس ملك الحبشة
١٠٩٩	جفسن وامين باشا		
١٣٤٦ و ١٢٨٣	جكسن باشا		ج
١٢٧١	جلوي بك	٥٤١	جاموس الخلا
٧٢	الجليدات	٧٣٥ و ٥٥	الجانقي
٧٠	الجمع		جاويش • ملك العادلاناب الشايقية
١٣٠	جمعان • بلدة	٤٩٥	

ح	صنعة
صنعة	جمعة ابو زقن • ثالث مشايخ
الحارثي	القلبات ٥٢٧
الحارثي ابن سن شاعر الشكرية	الجموعية ٦٥ و ٤٢٤
١١٣٧	الجميعاب ٦٤ و ٤١٠
حامد علي وعاملته علي كسله	جنس • بلدة ٩٧
١١٤١ و ١٠٨٦	الجنيد البغدادي • الامام ١٥٧
حامد ودالسنجق ابي حراز ٦٨٤	جهادية كسله وثورتهم ١٨٦٥ ٥٤٥
حامدود علي ١١٥٧ و ١٣١٠	» اليبض » ٨٥ ١٠٤١
الحباب ٧٠ و ٧٠	» النهود » ٩١ ١٠٤٩
الحبشة والقلبات ومصر	الجوامعة ٧٢
٥٣٦ و ٦٠٢	جوبا • حملة ٦٠٣
الحبيل ٣٧	الجور • قبيلة ٥٥
الحثاني ١٠٢	جورج افندي زيدان مؤلف في الاسلام ١٤٩
الحجاب الهيكلي ٢٥٦	» وواقعة ابي طليح ٨٤٣
حجازي • الفقيه ٤٠٣	جورج بك الحكيم وواقعة هكس
حجر ابي صير ٩٥	٧١٨
الحد بين مصر والسودان ٨٢	» بنته ١٢٩٢
الحدود والثورة	جورج مظلوم ١٢٨٨
٩٩٧ و ١١٠٥ و ١١٨٦	جورجي اسطمبولية ٦٩٢ و ١٢٩٢
الحراب ٢٥٩	جور غطاس • بلدة ١١٨
حرارة السودان ٢٩	الجورع في السودان ٥١٢ و ٥٥٤
حرب العقال ٥٤٥	١١٣٩ و
الحسانية ٧١	الجوغان • شجر ٣٥
حسب الله ابن السلطان محمد الفضل	جوق الحسن • بلدة ١١٨
٤٧٠	الجيرة وحصارها ٦٨ و ٩٠١
حسب الله • عم السلطان ابراهيم	الجيش المصري ١٩٩ و ٨٨٥
٥٩٣	جيكتر باشا ٦١٩ و ٦٥٨
حسب ربه • ال ٢٤ من ملوك سنار	الجيلاني • الامام عبد القادر ١٥٦
٤٠٢	
٣٨	
٦٥	

صفحة	الحقو	صفحة	حسن باشا حلمي الجويسر
٢٥٦	الحكومة المضرية ومنشورها لاهل	٦٠٦ و ٦٠٢	حسن برنوس وسقوط كسله
١١٢٨	السودان سنة ١٣٠٧ هـ	٩٨٢	حسن بك سلامة ١٤ الولاة
١٦٠	حكومة الاسلام	٥٣٥	حسن بك صادق وحصار سنار
١٨٦	حكومة السودان	٩٨٦	حسن بك الكريتلي وحصار سنار
٧٥	الحلبة • قبيلة	٩٨٩	حسن بك قواد وحصار الخرطوم
٩٤ و ٨٤ و ١٢	خلفا ومديريتها	٨١٠	حسن تور بدارفور
١١٠	الحلفاية	١١٦١	حسن خليفة وأبار المرات
١٠٠	حلة ساتي بشير	١١٢٨	حسن سرف ام كدوك
١٠٠	حلة الصحابة	١٢٩١	حسن سعد العبادي
١١٦	حلة المحمودية	١٢٩١	الحسن محمد خليفة ١١٠٦ و ١١٢٨
٤٥	الحلوف	١٢٠	حسن المرغني • السيد
٧٣	حماد بن جنيد	حسن النجومي في طوشكي ودنقلة	
٩٠٧	حمدان ابو عنجه وجبال النوبة	١٢١٧ و ١٢٢٦	الحسن ودحاشي وكسله
١٠٤٥	» في ام درمان	٩٨٢ و ٩٠٧	حسن ود حسونة • الشيخ
١٠٧٨ الى ١٠٦٤	» في القلايات	٣٩١	حسن ود رجب
٤٢٤ و ٦٦	الحمدة ومشيختهم	٥٠٦ و ٥٠٠	حسن وردي • حاكم ساي
٣٩٤	حمد ود الترابي • الشيخ	٤٩٤	حسين • الى ٢٥ من سلاطين الفور
٧٣	الحمير	٤٦٤	حسين باشا خليفه وسقوط بريـر
٧٢ و ٣٤	حمر	٧٨٩ و ٨٢٤ و ٩٢٠	والمهدي
٦٨	الحميران	٦٤٩ و ١١٧٨ و ٩٨١	الحسين الزهرة
٨٧١ و ٨٢٢	الحملة الانكليزية النيلية	٨٩٦	الحسين عبد الواحد والقضارف
١١٩٣	حملة دنقلة سنة ١٨٩٦	٤٩٤	حسين كاشف • حاكم الدر
٥٠٢	حنا المباشر • المعلم	١٢٨٨	حسين ود جزء الجبري
٩٩	حنك	١٣١	حضارة السودان
٦٢	الحنكباب	٧٤	الحضور
٩٠٥	حوا الحبشي	٩٩	الحفير
١٠٩٧ و ٧٢	الحوازمة وابو عنجه		
٤٧٢	حواكير في دارفور		
٧٤	الحرثية		

صفحة

٦٥	الرفاعيون
٢٧٥	رقص الدلوكة
٦١٩ و ٥٥٥ و ١٧٨	الرفيق
٨٣٢	رندل باشا في كورسكو
١٢٠١	» وحمة دنقله
١٢٩٩ و ٩٤٠	» وحمة الخرطوم
٥٨	رتق
١١٧	الرتق . بلدة
١١٦	رتقه
١٢٢٧	رئل رود السر والوفد للحبشة
١٢٤	رواية . ملاحه
	روبرتصن القومندان وحمة نقله
١٢١٩	
١٢٧١	روجرس بك
١٢٨١	رودس . الكولونل
١١٨٢	روسينبولي . الاب وانقاذه
	رولنصن . الكبتن وحمة الخرطوم
١٢٧٠	
٣٨	الروم . شجر
	رووف باشا الى ٢٢ من ولاية
٦٥٢ و ٦٢٠	السودان
٢٨	رياح السودان
١٧٦	ريش النعام

ر

١١٥٦ و ١١٢٨ و ١٠٧٧	الزاكي طمل
٦٦	الزيالة
١٢٩ و ١١٢ و ٦٤	الزبير باشا
٦٠١ الى ٥٦٨	» سيرته

ر

صفحة	
١١٧	رابع الزبير
٦١١ و ٤٦٤	الراتب وراتب المهدي
٦٣	الرازقية
١٣٠	راس . القيل بلدة
	راشد باشا كمال والثورة في كسله
٩٠٤	
٤٠٥	رانفي . ال ٢٧ من ملوك سنار
٢٤٠	الربابة
٣٩١	رباط . حادي عشر ملوك سنار
٦٣ و ٢٦٦	الرباطات ومملكتهم
٤٠٠	رجب . ثالث وزراء الهمج
١١٥	الرصيرص وشلالها
٦٣	الرحماب
٥٠٠	رحمه ود بحالة
٧٣ و ٥٨٠	الريقات
	رستم باشا . ثامن ولاية الفتح الاول
٥٣٢	
٢٧	الرشاش
٧٠	الرشايدة
٢٥٥	الرشة
١١	رشيد
٩٠٤	رضوان باشا واخلاء مرر
٣٠٠	الرعاة العمالقة
٣٠٥	رعميس الثاني . الملك
٣٠٦	رعميس الثاني عشر . الملك
٦٨ و ١١٢	رفاعه . بلدة
٥٢٤	رفاعه بك
٦٧	رفاعه الشرق او جهينه الغرب

صفحة	صفحة
٨٧٧ و ٨٤٠	زحافات السودان
٧٢١ و ٧٦٢	زراعة السودان والالات الزراعية
١٢٧١ و ٨٧٥	١٦٩
٣٤	١٢١ زرقة
١١٧ و ١٧	٥٨ الزغاوة
١٢٢٧	زقل انظر محمد خالد زقل
٩٦	١٦١ و ٩٣١ و ١٢٥٩
٤٩	٣٥٣ زكريا بن بخس ملك النوبة
٤١١ و ٦٣	٢٥ الزمرد
٩٠٠	٨٨٤ زهراب باشا والحملة النيلية
٥٣٣	١٥٩ الزواج في الاسلام
٢٠٤ و ١٩٦	١٢٥ زولا • مينا
٢١٩	٥١٦ زلازل السودان سنة ١٨٣٢
٤١	٧٢ الزيادة
٥٣	٩٠٣ و ١٢٥ زيلع واخلأوها
٢٢٤	
٢٩٩	« س »
٦١٩	٦١٨ ساتي بك في بحر الغزال
١١٠٤	٨٠٤ و ٧٣٧ « في الخرطوم
٤٣٤	١٠٥٥ ساغة اخوايي جميزة في دارفور
٣٦	٩٧ ساقية العبد
١٤١	٧٤ ساني كرو
٦٥	١٣٥٠ و ١٣٠١ و ١٩٥ سباركس باشا
٨٩	٣١٥ سباقون الملك
٤٤٤	١١٨ و ١٤ و ٩ سبت • بحر
٧١٢ و ٦٠٥	٩٢ السبوع
٤٤٤	٣١٦ سببخون • الملك
٧١٨ و ١٦٩	٩٩٨ و ٨٣٤ ستقفسن • الجنرال
١٢٢٢ و ٨٨٦ و ١١٢١	١١٤٦ و ١١٢١ ستل باشا
	١٠٩٣ و ١٩ ستتلي • المستر

صفحة		صفحة	
٦٢	السواراب	٦٠٩	سليمان الزبير وبحر الغزال
٩٧	سواردة	١٢٨٨	سليمان كشه
٥٥٥ و ٤٩٢ و ١٢١	سواكن	١١٩٢	سليمان نعمان ودقمر
٨٩١ و ٧٥٠ و ٧٤٤	« والثورة المهدية »	٦٢	السليمانية
١٢٤٠ و ٨٩٤	« وسكة الحديد »	٥٣٠	سليم باشا عاشر ولاية الفتح الاول
٣٢٧ و ٢٩٧ : ١١٢	سوبة واثارها	١١٠٣	سليم بك مطر في خط الاستواء
٣٦٢ و ٢٣٦		٢٠١	سليم بك موصللي
٥٣	السود	١٢٢٢ و ١٠٠٠ و ١٨٨٦	« في السودان »
	« اخلاقهم وعاداتهم وخرافاتهم »	١٢٢٢ و ١٢١٣	سليم افندي شقره
٢٢٣		١٢٣ و ٨١	سليم الفاتح - السلطان
٩	السودان تعريفه وحدوده	٦٨٥	السماني وواقعة بارة
٢٩١	« قصيدة - جونية فيه »	١٢١٣	سمت بك
٥١٢	« ولاته في الفتح الاول »	٩٠٤	السمرنداب الهدندوه وكسله
١١٩	« والحبشة »	٢٠٧	سنتوميامدن الملك
٦٢٦	« تقسيمه اداريا »	٩٦	سمنه
٧٢٥	« اخلاؤه »	٥٨	سميار
١١٤٥	« استرجاعه ٨٢ : ١ »	١٧٧ و ٢٨	السنا
١٢٢٣ و ٧٠٥	السودان الانكليزي المصري	١١٤ و ٨٥ و ٨٠ و ٩	سنار وتاريخها
١٢٠	سوق ابو سن - القضارف	٤٩٣	« وحملة اسماعيل باشا »
١٢٥ / ١٨٨٠	السومال وثورتهم سنة ١٨٨٠	٨١٩ و ٦٨٠ و ٦٧٠	« والثورة المهدية »
١٠٥	السلامات	١٠٧٥ و ٩٨٦	« حصارها وتسليمها »
١٩٦	سلاطين باشا - السر رودلف	١٣٠٠	« احتلالها الاخير »
٧٢٧ و ٦٠٨	« قبل الثورة »	٣٧	السنتط
٧٢٤ و ٧٢٨	« رالثورة المهدية »	١٧٦	سن الفيل - العاج
١٠٩٦ و		٧٤٩ و ١٢٥	سنكات وسقوطها
١١٨٣	« انقاذه وكتابه »	٦٠٢ / ١٨٧٤	سنهيت - احتلالها سنة
١٢٠٢	« واسترجاع السودان »	٩٠٣ / ١٨٨٥	« اخلاؤها ١٩ ابريل »
١٢٧٠ و ١٢١٠		١٣١٠	السنوسي احمد اخ الخليفة
٢٦	السيال		السنوسي انظر محمد المهدي السنوسي
١٤٨	المهيد احمد مدعي المهدية	١٢٨	السنوط
		١٢٩٥	سنين التاماري

صفحة		صفحة	
٤٢٤	شنبول . الشيخ	١٢٩١	السيد بك جمعة
١٠٦	شندي	٨٥١ و ٨١١	السيد امين في الخرطوم
١٢٤	« قبل الفتح الاول	١٢٣١	السيפורث هيلندرس والاتبيرة
١٢٣٢/١٨٩٨	« اخذها ٢٦ مارس		
	شوش . ال ١٢ من سلاطين الفور		
٤٤٥			« ش »
١٥	شلالات النيل	١١٦	شات
	شيخ ادريس ود الهاشمي الجعلي	١٥٣	الشافعي . الامام
١١١٣			شاكر بك الخوري والحملة النيلية
٤٧٠	الشيخ الطيب . بدارفور	٨٨٦	شاكر الغزي المفتي ورسالته
٥٤	الشير	٩٥٣	الشامباته
٥٤	الشيري	٦٥	شادي
١٤٤	الشيعة	١١٨	شاهين بك جرجس وحملات السودان
		١٩٦ : ٨٨٦ و ١٢٣٢ و ١٢٨٨ و ١٣١٢	شالا
	« ص »	٥٦	شايب احمد وواقعة طوكر
٤٤٥	صالح . عاشر سلاطين الفور	١١٤٩	الشايقية ومملكتهم
	صالح ادريس رابع مشايخ القلابات	٦٢ و ٤٢٧	شبه السود
٥٣٧		٥٦	« اخلاقهم وعاداتهم وجغرافاتهم
١١٩٢ و ١١٢٨ و ١١٠٦	صالح بك خليفة	٧٢٦	الشراك
١٢٠٠ و ١١٩١	صالح جبريل . الشيخ	٤٤	الشربوت
١٣٠٠	صالح حمادو	٣٤ و ١٤٦	شرف . سابع سلاطين الفور
١٠٤٧	صالح . شيخ الكبابيش	٤٤٥	شمعيرية
٦٧١	صالح الملك وحصار سنار	١٣٠	شق الواليه
٧٩٨	« وحصار قداسي	٦٨	شكا
٨٢٤	« والمهدي في الرهد	١٣٠	الشكرية
٦١٨/١٨٧٩	صباحي في كرودفان سنة	٦٨	شكسبير . الماجور في سواكن
٣٩٩	صباحي ود عدلان . خشم البحر	٨٥٧	الشلك
١١٨	صبي . بلدة	٥٤ و ٥١٧	الشلي
٤٩٥	صبير . ملك الحنيكاب الشايقية	٥٤	الشنابلة ومملكتهم ٦٦ : ١ و ٤٢٤
٤٩٤	صبير ملك دلقو		

صفحة	صفحة
عبد الرحمن النجومي وحرب الدابير ٨١٥	عبدالله جماع • العبدلابي ٣٨٦ و ٤١٧
« وحصار الخرطوم ٨١٧ و ٨٢٨ »	عبدالله ودحمزة في كسله ٩٨١
« ويعتته الى المتمة ٩٢٠ »	عبدالله الكحال • الحاج ٢٦١ و ٩٢٦
« ويعتته الى سنار ٩٩٤ »	عبدالله ابراهيم وجبال النوبة ١٠٤٥
« وعمالته على دنقله ١٠٠٤ »	« في الجزيرة ١١٢٨ »
« وواقعة طوشكي ١١١٧ »	عبدالله ابراهيم وواقعة اغوردت ١١٥٨
عبد الرحمن ابو دقل ١٣٠٠	عبدالله ود احمد ود ابو سوار ١٢٨٨
عبد العزيز بك ابن لينان باشا ٥٦٥	عبدالله ود سعد وواقعة جنس ٩٩٧
عبد العظيم بك خليفه والمرات ١١٩٢	« رواقعة المتمة ١٢٢٤ »
« وحملة دنقله ١٢٢٠ »	عبدالله ود عجيب • ال ١١ من مشايخ
« وواقعة ابي حمد ١٢٢٨ »	العابدلاب ٣٩٧ و ٤٠٥ و ٤١٨
عبد القادر • ثاني ملوك سنار ٢٨٩	عبدالله ود عجيب ال ١٥ من مشايخ
عبد القادر باشا حلمي الى ٢٣ من	العابدلاب ٤٠٣ و ٤١٨
ولاة الفتح الاول ومآثره في السودان	عبدالله ود النور والخرطوم ٨٥٣
٦٧٢ و ٦٨٠ و ٦٩٧ و ٧٦٢ و ١٣٦٠	عبد الباسط وواقعة الدويم الثانية
عبد القادر بك محمد ايلة كبير الحلائقة	٦٨٠
والثورة في كسله ٩٠٧	عبد الباقي عبد الوكيل ١٢٨١ و ١٣١٠
عبد القادر الثاني • ثامن ملوك سنار	عبد الجواد بك برهان ١٢٢٢
٢٨٩	عبد الحفيظ وواقعة خور موسى ١١٠٧
عبد القادر الزين ١٨ و ٥٣٤	عبد الحليم باشا ابن محمد علي باشا
عبد القادر ضيف الله ٥١٧	٥٣٣
عبد القادر ود ساتي علي ١١٧٢	عبد الحليم مساعد وغزوة مصر ١١٠٤
عبد الكريم مؤسس سلطنة وداي ٦٣٩	١١١١ و ١١٢٦
عبد اللطيف باشا • سابع الولاة ٥٢٤	عبد الدافع الشيخ وتاريخه ٣٨٦
عبد الماجد للكيلك وواقعة كريكان	عبد الرحمن • ثالث سلاطين الغور ٤٤٥
٨٧٩	عبد الرحمن ٢٣ سلاطين الغور ٤٥٢
« وواقعة جس ٩٩٩ »	
عبد الماجد محمد خوجلي	
« وواقعة ابي طليح ٨٣٧ و ٨٤٢ »	
« وواقعة جذس ٩٩٧ »	

صفحة	صفحة
عجيب ود عبدالله شيخ قري ٢٩٩ و ٤٠٢	عبد المحمود نور الدائم ٩٧٢
العجيل ود الجنقاوي . قتله ٩٧	عبري بلدة ٩٧
عدلان . سادس وزراء الهمج ٤٠٧	عبود . بلدة ١١٩
عدلان . تاسع ملوك سنار ٢٨٩	العبودير ٥٩
عدلان الثاني ال ٢٠ من ملوك سنار	العبيد . الشيخ ٦٥
٢٩٩	» حصار الخرطوم ٧٧٢ و ٨١٤
٦٥	عبيد الله بن مروان الحمار ٢٤٩
٧٢	عبيد الله المهدي ١٤٩
٢٩٠	العبيدية ١٠٦
١١٨٩	عثمان آدم في الابيض ١٠٤٢
١٣٠١	» في دارفور ١٠٥١
٣٦	عثمان ازرق وغزوة بريس ١١٩١
١٧٦ و ٣٤	» وواقعة المرات ١١٩٢
٧٤	» وواقعة ام درمان ١٢٨٨
٧١	عثمان بك . اول ولاية السودان ٥١٢
٧٣	عثمان بك الدالي وحصار سنار
٥٩	٨١٩ و ٩٩٠ و ١٢٩٠
٣٧	عثمان دقنه والمهدي ٧٠٧
٢٧	» والثورة في سواكن ٧٤٤ و ٨٩١
٥١٧	» والثورة في كسله ٩٠٤ و ٩٨٢
٧٣	» وواقعة طوكر ١٠٩٠ و ١١٥١
٥٩	» وواقعة الاتبرة ١٢٣٠
٣٧	» وواقعة ام درمان ١٢٨١
٢٧	» القبض عليه في سواكن ٦٦٩
عطرون . اول مشايخ القلابات ٥١٧	عثمان الدكم امير بربر ١٠٠٤ و ١٢٨٨
٧٣	عثمان شيخ الدين ١١٧٤
١١٤٩ و ١٠٦ :	» وواقعة ام درمان ١٢٧٨
١٠٣	» وواقعة جديد ١٢١١
٦٦	عثمان نايب وواقعة طوكر ١١٥١
١٦٢	عجيب . ثاني مشايخ العابدلاب
٣٤	٢٨٩ و ٤١٧
علي باشا سري ١١ ولاية الفتح الاول	
٥٣٣	
٤٠٦	
٩٦	

صفحة	صفحة
عمر صالح وعاملته خط الاستواء	علاه
١٠٩٥	علي أبو عموري ٥٦٨ و ٥٧٤
٥٤٥	علي بك البخيت شيخ بن عامر ٩٠٥
عمر فخري بك في الخرطوم	علي بك الخبير ١٣٠ و ٤٦٦
عمر المغربي • قصيدته لملك سنار ٣٩٢	علي دينار الامير ١٢٩ و ٤٧٠ و ٤٨٣
٦٣	« والتعايشي ١١٦٠ و ١٣١٩
عمر ود ضاوي والثورة في كسلة ٩٨٣	علي عبد الكريم وبدعته ١٣١٥
٤٠ و ١٧	علي المرغني • السيد ١٠٢ و ١٢٠
٤٣	« و ١٣٣٥
٢٦١	علي نورين • شيخ سبدرات ٩٠٧
٤٣	علي ود حلو • الخليفة والمهدي
٥٧	٦٦٨ و ٦٤٢ و ٦٢٨
عوض الكريم ابو سن شيخ الشكرية	« والتعايشي ٩٧٣ و ١١٧٥ و ١٢٨١
٣٠٧	١٣١٠ و
٧٩٨ و ٧٧١	علي ود سعد وواقعة ابي طليح ٨٤٢
١١٣٥	« وواقعة طوشكي ١١٢٦
عوض الكريم كافوت ٩٨٣ و ٢٣٧	العماراب ٦٢
١٢٩١	عماراه • بلدة ٩٧
٦٣	عماراه • رابع ملوك سنار ٣٨٩
٦٣	عماراه ابو سن والثورة في كسله ٨٩٤
علاء الدين باشا الى ٢٤ من ولاية الفتق	عمارة دنقس • اول ملوك سنار ٢٩٨
الاول ٦٢٦ و ٧١٥	عمدة • بلدة ٩٣
٦٦	عمر • ملك العماراب الشاقية ٤٩٥
٥٧٩	عمر • ثاني سلاطين الفور ٤٤٥
١٩	عمر ابن الملك نمر ٥٢٤ و ٥٣٨
١١١	عمر ابراهيم السنجق وسقوط الخرطوم
	٨٦١
	عمر الياس باشا في ياره ١٠٤٤
	عمر الثاني ال ٢٠ من سلاطين الفور
	٤٤٥
« غ »	
٧١	القديات

صفحة	صفحة
٥٦١	« فتحها الاول » ٩٠
١٢٩٢	« وحادثه مارشان » ٨٨٧
١٣١٢ و ١١٧١	الفاضل ابن المهدي ١٠٠٠
١٣٥	فافا ١٠٨٧
٦٥٧ و ٢٤١ و ٩٧	فامكة ١١١٦
٤٨٩ و ٨٠	الفتح المصري ١١٨٩
١٢٢٨	فتركلارنس البكباشي في ابي حمد ١٢٩٤
٦٥	الفتحياب ٥٦٢
٣٧٨ و ١١٣	فداسي ٥٩٨
٦٤	الفرانيب « ولايته الاولى على السودان » ٦٠٥
٥٥	فريتيت « ولايته الثانية على السودان » ٧٦١
١٩٦	فرج افندي شحاده ٧٧٢
٨٥٢ و ٨٤٨ و ٨٥٢	فرج الله باشا . ام درمان ١٨٨٥
٩٤	فرص . بلدة ٨٦٦
٩٧	فرقة ٤١
١١٨٤	فرنسوى امبراطور النمسا « الفوغاية »
٥٦	فروقى
٩٨ و ٩٤	فريج . بلدة
١٠٦	فريخة . بلدة
١٦٩	الفصول الزراعية ف
٢٧	فصول السودان
٦٨٠	فضل الله كريف ١١٤
١٣١١ و ١٢٣٠	فضل الحسنة ٤١٢ و ١١٥
١٣٠١	فضل المولى البكباشي « فتحها الاول ١ يناير ١٨٣٢ » ٥٠١
١٣٠١	فضل النبي اصيل
٥٩	الفقراء . قبيلة ٦٨
١٥٣	الفقه . ائمتة ١٢٩
٥٦	فنقرو ٥٩٥
١١٩٥	فكك البكباشي في سواكن « تسليم حاميتها ١٤ يناير ٨٤ » ٧٣٢
١٢٠٨	« رحلة دنقلة » ١١٧ و ٦٨٦
	فاشوده ومحافظتها

صفحة		صفحة	
١٢٣١	« واقعة الاتبره	٨٦٠	فوزي محمود كاتب المهدي
١٢٧٠	« وحملة الخرطوم	٢٨٥ و ٦٧	القونج وتاريخ ملوكهم
١٣٠٦	« وحملته على الخليفة	١٦٢	الفيء في الاسلام
١٣٢٧	« وحرب الترנסفال	٤٣	الفيل
٢٠٤ و ١٧١	« وكيلة غوردون		
١٣٣٣ و			« ك »
١٠٤	كدين ٩٨ * كركبان		
١٠١ و ٣٠	الكرد	٣٢٨	كابيل . ملك النوبة
٦٨٤ و ٥١٨	كردوفان ٨٧	٣١٥	كاشا . الملك
١٣٣٣ و		١٢٢٩	كاتيجر . الجنرال
١٠٥	كركوچ ١١٥ : ١ * الكرمل	٥٧	كاجه البدو
٧٤	الكرمة ٩٩ : ١ * الكرويات	٥٦	كارا
٩١	كرومر . اللورد والاصلاح في مصر	٢٥٥	كافور الاخشيدي والنوبة
٢٠٤	« وكلية غوردن	١١٧	كاكا
٥٩٧	« والوزير باشا	٣٧	للكاموت
٧٧٣	« وغوردن باشا	١١٢	للكاملين
	« زيارته الى السودان وخطبه	٥٠٢ و ٤١٣	كايو مورخ فتح سنار
١٣٣٤		٧١	الكبابيش
١٣٣٤ و ٢٠٥	كري المستر وكلية غوردن	٦٢	الكلبانة
١٣٣٤ و		٢٥٤	الكبس
١٣٠	كريدو	٧٣٢ و ١٠	كبكية وحاميتها
٣٤٤ و ٣٢٤	كسله ١١٩ : ١ * فتوحها	٣٦	الكثر
١١٥٦ و ١٠٧٢ و ٨٩٦	« والثورة الهندية	١٢٠	كتشنر . الكولون وحملة دنقله
٢٠	كسوف الشمس سنة ١٨٣٦ م	١٣٠٤	« وحملته على الخليفة
٢٢ و ٨٠	الكشاب وتاريخهم		كتشنر . اللورد
٨٨٣	ككوتش . الجنرال	٨٣٢	« ماموريته الى دنقله
١٣٠	كلكل *	١٠٨٥	« وواقعة هندوب
٢٨	الكلليت . شجر	١١٢١	« وواقعة ملوشنكي
١٣٣٣ و ٢٠٤	كلية غوردن	١١٨٩	« سردار الجيش المصري
٢٢٢	الكماتير ٦٦ * كمبيز . الملك	١١٩٣	« وحملة دنقله
١٢٣٣	الكمرون هيلندرس	١١٢٤	« وحملة بربر

« م »

صفحة	
١١٩٢ و ١١٣٦ و ١١٠٧	ماتشل بك
١٠٤٦ و ٧٢٨	مادبو شيخ الرزيقات
٤٦	المادي • قبيلة
١٢٩٢	مارشان وحادثة فاشوده
٧٩٦	مارتوبك واخله فامكة
٢٩٩	الماريسة ٣٦ : ١ • المازايو • قبيلة
١٥٣	مالك • الامام
٢١٣	مالية السودان
٧٤	الماهرة
١٣١٦ و ١٣٠٧	مامون باشا
٢١٤	ماي بك • القائمقام
١٢١ و ١٠٧	المقة
٢٩٩	متوسرفس • الملك
٧١	المجاذيب ٦٣ : ١ • المجانين
١٣١٥	محجوب المرغني • السيد
٣٣١ و ٩٢	المحرقة
٤٣٤ و ٦١	المحس واثارها
٦٩	مخلق • العاشق
١١٧١	محمد ابن المهدي • حبسه
٣٩٨ و ٣٩٧	محمد ابو للكيل • اول
١٤٩	محمد احمد المهدي
٦٢٥	» اصله واسباب ظهوره
٦٥٥	» مجرته الى قدير
٩٣٠ و ٦٦٧	» حكومته
٦٨٩	» غزوته للابيض
٧١٩	» وحملته مكس

صفحة

٦٠٤	الكميلاب الهندوة في كسله
٢٦٤	كفانة ٦٥ • الكتوش
١٢١ و ٥٧	الكنجارة
٣٢٩	كدداكة • الملكة
٦٥	الكنوز ٦١ • الكواملة
١٢٩	كوبان ٩٢ • كويي
٩٣	كورتى ١٠٢ : ١ • كورسكو
١٣٦	كرو ال ١٥ من سلاطين الفور
٩٨	كوشه ٩٧ : ١ • كوكي
١٣٦	كولفل • الكولونيل والحمدة النيلية
١٢٧١	كولنسن بك وواقعة الخرطوم
١٢٠٨ و ٢٣ و ٢٢٢	الكوليرا
١٢٢٧ و ٢٠١ و ١٩٢	الكونت كايفن ١٩٢ : ١
١١٦	كوندوكو ١١٨ : ١ • الكوة
٩٨	كويكة ٩٧ : ١ • كويه
١١٩	كلايشة ٩٢ : ١ • كيري

« ل »

٧٤٣ و ٧٣٦ و ٦١٨	لبتن بك
١٢٧١	لنتلون • الجنرال وحملة الخرطوم
٦٦	اللوحيين
١٣٣	لغات اهل السودان
٢٦٥	لقبي ١١٨ : ١ • اللقمة الجيرية
١٢٣٢ و ٥٦٥	لونج • الكولونيل
١٢٧١	
١٢٧١ و ١٢٠٢	لويس الكولونيل
١٢٩٩	
٣٥٥	ليرنى بن سدر • ملك النوبة

صفحة

- محمد بك موسى الهندوي ٩٠٥
١٠٨٣
محمد بن رجب سابغ وزراء الهمج ٤٠٩
محمد بن عبدالله مدعي المهدي ١٤٨
محمد الخلوتي . الشيخ ١٥٧
محمد خالد زقل ٧٢٧ و ١٠٤٣ و ١٠٨٨
١٢٠٣ و ١١٨٩
محمد الخير والمهدي ٧٨٦ و ١٠٠٤
١١٢٦
محمد دوره ال ١٩ من سلاطين الفوره ٤٤٦
محمد الزاكي عثمان ١٢٣٠ و ١٢٧٤
محمد الزاكي . الشيخ والمهدي ٩٥١
محمد سعيد باشا والمهدي ٦٥٥ و ٦٨٩
محمد شريف . الخليفة والخليفة
عبدالله ٩٧٣ و ١١٦٨ و ١٣٠٠ و ١٣١٤
محمد شريف باشا . استاذ المهدي ١١٦ و ٦٣٩ و ٨٢٥
د والتعايشي ١١٦٥ و ١١٦٨
١٢٩٠
محمد صول خامس سلاطين القور ٤٤٦
محمد عبد الكريم ٩٢٠ و ٩٨٨ و ١١٧٢
محمد عثمان ابو قرجه ٧٩٨ و ١٠٨٦
محمد عثمان خالد ١٣٦٨
محمد عثمان المرغني والثورة في كسك ٩٠٥
محمد عدلان ثامن الهمج ٤٩٢ و ٤٩٨
محمد علي باشا وحصار الخرطوم ٨١٣

صفحة

- محمد احمد المهدي وحصار الخرطوم ٧٧٧
« وفاته واورصافه ٩٣٤
« قبته وجثته ١١٣٣ و ١٢٨٩
« وقائمه ٦٥٣ و ٨٢٤
« مناشيره وكتبه ٦٤٥ و ٩٣٥
محمد احمد ولد الشيخ ادريس ٩٩٢
محمود احمد وعاملته على دارفور ١١٦٠
« وواقعة الاتبره ١٢٢٩
محمد امام الخير ١٣٠
محمد الامين . الشريف والمهدي ٩٥٠
محمد الامين ال ١٣ من العابدلاب ٢٩٩ و ٤١٧
محمد الامين مهدي ثقلي ١٣١٦
محمد باشا امام وحصار الابيض ٦٩٢
محمد بشاره وعاملته على دنقله ١١٨٩
« وواقعة ام درمان ١٢٣٠ و ١٢٨٤
محمد البشير . شيخ الحمد ١١٣٦
محمد بك احمد ١٠٨٥ و ١١٥٠ و ١٣١٥
محمد بك اسكندر . الابيض ٧٠٢
١٢٩١
محمد بك بكير وحمله دنقله ١٢٢٢
محمد بك بليغ وحمله دنقله ١٢٢٢
محمد بك توفيق بطل سنكات ٧٤٨
محمد بك خلوصي وحمله دنقله ١٢٢٢
محمد بك راسخ ال ١٥ من الولاة ٥٣٦
محمد بك رفعت وحرب الحبشة ٦٠٤
محمد بك السيد والقلايات ٦٣ و ٨٩٧

صفءة	صفءة
٦٥	مءءء علف باشا مؤسس الاسءرة
٧٩	الءءىوىة
١١٢٨	ء فاءء السؤءان ٤٩٢ و٥٢١
٩٩	مءءء عرض شىءء الءلاءفة ءقءه ٩٨٤
٧١	٤٥٥
٣٩	ء كءابه الى مءءء علف باشا ٤٦٣
١٢٩٣	مءءء كمءور ءاءء ءءم البءر ٤٠٦
١١٣٧ و٩٨٧	٤٢١ و
١٧٤ و١٠٧	مءءء المءءوب الطاهر ١٠٧٧
١٢٢٠ و١٠٣	مءءء المرءنى الاسءاذ وعءمان ءقءه
٣٢٤ و٣٢١	٧٥١
١٢١	مءءء المءهى السءوسى ١٥٠ و٧٠٧
٤٠	مءءء نور اءمء والمءهى ٩٥٠
١١٦٢	مءءء نور والءماىشى ١١٣٥
٧٢٧ و٦٠٦	مءءء نور صبر ء الفقىه ٤٠٣
١١٨٦ و١١٥٨ و١٠٠٥	مءءء وء ارىاب فى القلاءب ١٠٥٩
٤٩٨	مءءء وء البصىر والءورة ٧٩٧
المساءىء ٦١ : ١ ء المسالىء ٥٨	مءءء وء علف ء ءءم البءر ٣٩٨
المسبءاء ٥٧	مءءء ء رابع سلاءطىن الفور ٤٤٤
٤٤٨ و٣٩٨	مءموء اءمء وزاءعة ابى ءمء ١٢٢٧
١١٢	مءموء زاءىء شىءء ءضبائىة ٨٩٦
١٢٣	١١٣٧ و
المسلىمة ء ءبىلة ء بلاءة ٦٥ و١١٢	مءموء عبء القاءار ٦٩٠ و١٠٤١
٧٣	مءموء العركى ء الشىء ٣٩٣
مشرء ابى زىء ١١٤ و١١٦	مءموء المءلاوى ٥٣٧ و٦١٨
مشرء الرىك ١٧	مءموء الءاء فى ءنقله ٧٩٤
مصوء ء مءافظة ١٢٥	مءربك ء ءانى ولاء الفءء الاول ٥١٣
ء ءسلىمها لمصر سنة ١٨٦٦	مءارس السؤءان ١٦٣ و٢٠٤
٥٥٤	مءئر ابراهىم ١٢٨٩ و١٣١٤
ء ءسلىمها للءلىان ١٨٨٥ و١٠٢	مءن السؤءان واءارها ٨٨
مصطفى باشا ياور ٧٩٢ و٨٣٣	
مصطفى بك رمزى ١١٢٧	

صفحة	صفحة
٥٦	ناصر ان ١٣ من سلاطين القور ٤٤٥
٣٤٣ و ٣٢٠ و ٧٩ و ٦٠	ناصر . رابع وزراء الهمج ٤١٣
٣٦٣	ناصر . ثامن عشر ملوك سنار ٣٩٨
النور عنقر ٦٠٩ و ٦٨٦ و ٧٢٧ و ٨٤٤	ناصر الامين ال ١٦ العابد لاب ٤٠٤ و ٤١٩
النور بك محمد ٨١٩ و ٩٨٩ و ١٢٩٢	ناصر ملك نقلي ٥٤٢
النور الكنزي و واقعة سرس ١١٠٤	ناصر ملك قدير ٦٥٦
النور ود وفقراء ٨٩٨ و ١٠٥٩	الناقعاب ١:٦٣ * ناوي بلدة ١٠٠
نوري ١٠٤	نايل . ثالث ملوك سنار ٣٨٩
نوفل النمساوي . اسره ١٠٤٨	نباتات السودان ٣٣
نوفل انتقاده من الاسر ١٢٨٧	نبتة . مملكة ٣٠٢
نول . سادس عشر ملوك سنار ٣٩٥	النبي عيسى في السودان ١٠٦٤ و ١١٦٤
النوير ٥٤ * النيام نيام ٥٩	النجل المكرم ١١٦٣
النيل الابيض * النيل الازرق ١٧:١٠	نجم ذو ذنب ظهوره ١٨٨٢ و ٦٥٦
النيل الكبير ٥٠٢ الى ٤٩٢:٥١٧ الى ٥٢١	نجيب افندي ابكار يوس ٨٨٦
	نجيب افندي شقره ١٢٢٢
	النحاس ٢٥ * النحل ٥٠
	نخله افندي ١١٣٩ و ١١٤٥
	تادرس ١٢٨٨ و ٢٣
	النخيل ٢٣
هارون الامير . دار فور ٦٠٦ و ٦٦٢	نصحي باشا و حصار الخرطوم ٨١٠ و ٨٢٠
هارون محمد اخو التعايشي ١٣١٠	النصرانية في مصر و اثيوبيا ٣٢٢ و ٣٦٣
هاشم . سلطان كردوفان ٤٤٨	نصر الدين . ملك الميرقاب ٤٩٦
الهبانية ١:٧٢ * الهندوة ٦٠	النطرون ٢٦ * النعام ٤٧
هرين . المستر ٨٢١	نعم عجمي الحلبي ١٢٩٠
هر ١٠٦	النفيعاب ٥٤ * النقاره ٧٣١ و ٢٧٥
» احتلالها سنة ١٨٧٥ ٦٠٣	نمر . اخر ملوك الجعليين ٤٢٦
» اخلاؤها سنة ١٨٨٥ ٩٠٤	نمر و غدره باسما عيل باشا ٥٠٩
هكس باشا و واقعة شيكان ٧١٢	النهضة و رقيق السودان ٥٥٧
الهمج ٦٧	نرات ميامون . الملك ٣١٨
هنتر باشا و قائع السودان ٩٩٧ و ١١٢٥	نوار . ال ٢٥ من ملوك سنار ٤٠٣
١٢٠٢ و ١٢٢٨ و ١٢٧١ و ١٢٩٨	النواهي * نوبار باشا ٧٢ و ١٠٩٤
هنتر بك الحكيم و حملة دنتله ١٢٠٢	

« ه »

صفحة

- واقعة الشلالى ٢٩ مايو ١٨٨٢ ٦٦١
واقعة الداعي ٢٤ فبراير ١٨٨٣ ٦٨١
واقعة الابيض ٨ سبتمبر سنة ٨٢ ٦٩٣
واقعة شنيكان ٥ نوفمبر سنة ٨٢ ٧٢١
واقعة تماي الاولى ٢ ديسمبر ٨٣ ٧٥٠
واقعة تماي الاولى ٢ ديسمبر ٨٣ ٧٥٠
واقعة القتيب الاولى ٥ نوفمبر ٨٣ ٧٥٠
واقعة القتيب الثانية ٤ فبراير ٨٤ ٧٥١
واقعة القتيب الثالثة ٢٩ فبراير ٨٤ ٧٥٥
واقعة تماي الثانية ١٣ مارس ٨٤ ٧٥٦
واقعة كورتى ٤ سبتمبر سنة ٨٤ ٧٩٤
واقعة ابي طليح ١٧ يناير ١٨٨٥ ٨٤٢
واقعة المنة ١٩ يناير سنة ١٨٨٥ ٨٤٣
واقعة كريكبان ١٠ فبراير ١٨٨٥ ٨٤٣
واقعة الجمام ١٢ فبراير ٨٤ ٩٠٦
واقعة قلويس ٥ كسله ٥ يناير ٨٥ ٩١٢
واقعة كوفيت ٢٢ سبتمبر ١٨٨٥ ٩٨٣
واقعة جنس ٣ ديسمبر ١٨٨٥ ٩٩٧
واقعة هندوب ١٧ يناير ١٨٨٨ ١٠٨٥
واقعة الجميزة ٢٠ ديسمبر ٨٨ ١٠٨٦
واقعة القلابات ٩ مارس ٨٩ ٤٨٢
واقعة ارجين ٢ يوليو ١٨٨٩ ١٢١١
واقعة طوشكى ٢ اغسطس ٨٩ ١١٢١
(وقائع استرجاع السودان)
واقعة طوكرو فبراير سنة ١٨٩١ ١١٥٠
واقعة امقبول ٣٠ يناير ١٨٩٣ ١١٩٠
واقعة اغوردت ٢١ ديسمبر ٩٣ ١١٥٨
واقعة فركة ٧ يونيو سنة ١٨٩٦ ١٢٠٥

صفحة

- هندوب وعثمان دقنه ١:٢٢ و ١٠٨٥
مواء السودان ١:٢٥ * الهواوير ٧١
هولد سمث باشا ١١٤٦
هيوت ٠ الاميرال في سواكن ٧٥٧

« و »

- وابورات السودان ٢٠٦ و ٨٠٢
٨٢٠ و ٨٢٣ و ٨٣١ و ٩١٧ و ١٠٢٨
١٢١٣ و ١٢٢٨ و ١٢٦٧
واحة سليمة ٢٣ و ٩٧ و احة كركر ٩٢
واو ٠ بحر الغزال ١١٩ و ١٣٠
وادي العلاقي ٩٢
وادي الكعب ١٠٠
وتسن ٠ الكولونيل ١٣١
ود برجوب ٦٧٨ و ٦٧٩ و ٧١٥
ود جار النبي ٠ بلدة ١١٦
ود جار النبي ٠ قتله ١١٢٨ و ١١٧٥
ود مدني ١١٢
ود هوس باشا ١:١٣ و ١١٠٧
ودلاي ١١٩
وقائع السودان ٠ اشهرها
(قبل الفتح الاول : الجزء الثاني)
(في الفتح الاول : الجزء الثالث)
واقعة الشايقية ٤ نوفمبر سنة ١٨٢٠ ٤٩٥
واقعة بارة ١٦ ابريل سنة ١٨٢١ ٥٠٦
واقعة قرع ٨ مارس سنة ١٨٧٤ ٦٠٤
واقعة منواشي ٢٥ اكتوبر ١٨٧٤ ٥٩٢
(رتائع الثورة المهدية : الجزء الثالث)
واتمة ابا ١٢ اغسطس سنة ١٨٨١ ٦٥٣
واتمة ارشد بك ٩ ديسمبر ١٨٨١ ٦٥٧

صفحة	صفحة
واقعة الحفير ١٩ سبتمبر ١٨٩٦ ١٢١٢	واقعة أبي حمد ٧ أوغسطس ٩٧ ١٢٢٦
واقعة الجنرال وحملته الخرطوم ١٢٧١	واقعة الاتبرة ٨ ابريل ١٨٩٨ ١٢٣١
ولاة السودان في الفتح الاول ٥١٢	واقعة ام درمان ٢ سبتمبر ١٨٩٨ ١٢٧٧
١٢٢٢ في الفتح الاخير	واقعة القصارف ٢٢ سبتمبر ٩٨ ١٢٩٧
« لا »	واقعة الرصيرص ٢٦ سبتمبر ٩٨ ١٢٩٨
اللابره ١١٩ : ١ * اللاوقا ٥٤	واقعة جديد ٢٤ نوفمبر ١٨٩٩ ١٢٨٤
اللاذر ١١٨ : ١ * اللاسك ٢٢ و ١٧٧	ولسلي • اللورد والحملة النيلية ٨٢٢
ي	ولكوكس • المستر ٩١ و ١٢
	ونجت • الماجور جنرال السررجيناد
	ونجت باشا
	سردار الجيش المصري وحاكم السودان
	العام
	« مقدمة الكتاب له ٤
ياسر • ملك الحبشة ٣٩٦	« منشط زراعة القطن ٤١
يعقوب محمد اخو الخليفة ١٢٨٨	« منظم الخرطوم ١٠٨
اليعقوباب ٦٦	« ولايته على السودان والاصلاح ١٩١
ينكر السايح الالماني ١٠٩٢	« والحملة النيلية ٨٧٧
يوحنا ملك الحبشة ٦٠٢ و ١٠٥٩ و ١٠٧٣	« وواقعتا طوشكي والجميزة ١٠٨٦
يوسف ابن السلطان ابراهيم ١٠٥٠	١١٢١ و
يوسف بك شدياق ١٢٤	« وواقعة طوكرمدير المخابرات ١١٤٩
يوسف • سلطان ودائي ١٠٥٦	« مآثره وتأليفه ٧ و ١١٨٣
يوسف الشبخاني ١٢٩٢	« وحملة دنقلة ١٢٠٢ و ١٢١٩ و ١٢٢١
يوسف منصور والملازم ١٦٨ و ١٢٩١	« والوفد الى الحبشة ١٢٢٧
يونس الديكيم ١٠٦٠ و ١١١٠ و ١٣١١	« وحملة تبرير • واقعة الاتبرة ١٢٢٧
(تم)	« وواقعة ام درمان ١٢٧١
	« رحلثة فاشودة ١٢٩٢
	« تسميته ادجوتانت جنرال ١٢٩٦
	« حملته على الخليفة ١٣٠٦ و ١٣١٤
	« ولايته وخطبه ١١٤٦ : ١٢٢٨

إصدارات دار عزة للنشر (الخرطوم)

الرقم	الكتاب	المؤلف	نوع الكتاب
١	ليل المغنين	عمر الدوش	شعر
٢	المنبالية	محجوب شريف	شعر
٣	لوحة وطن في عيون طفلة	قاسم أبو زيد	شعر
٤	نار الزغاريد	أمير تاج السر	رواية
٥	ملامح من علم الجمال	محمد عثمان مكي	فلسفة
٦	The Domed Tombs of Eastern Sudan	صلاح عمر الصادق	دراسة
٧	دفاع أمام المحاكم العسكرية	عبد الخالق محجوب	دراسة
٨	الجرح والغرنوق	د. عبد الله علي إبراهيم	مسرحية
٩	الرحيل في الليل	عبد الرحيم أبو ذكرى	شعر
١٠	الماركسية ومسألة اللغة في السودان	د. عبد الله علي إبراهيم	دراسة
١١	أقاصي شاشة الإصغاء	الصادق الرضى	شعر
١٢	حوار حول النزعات المادية	محمد إبراهيم نقد	دراسة
١٣	تاريخ الفور الاجتماعي	تاج السر عثمان الحاج	تاريخ
١٤	الماركسية والثقافة	قراشى ت: الجنب على عمر	دراسة
١٥	تداعيات - الجزء الثاني	يحيى فضل الله	مقالات
١٦	علاقات الأرض في السودان	محمد إبراهيم نقد	دراسة
١٧	آراء وأفكار حول فلسفة الإخوان المسلمين	عبد الخالق محجوب	دراسة
١٨	الإرهاق الخلاق	د. عبد الله علي إبراهيم	مقالات
١٩	أوراق للذاكرة	عبد الله ميرغنى الميري	دراسة عن المسرح
٢٠	أوراق شوق الخرطوم	عالم عباس	شعر
٢١	عشائر الآفات الحشرية	د. تاج السر بشير	علم النبات
٢٢	إصلاح الخطأ في العمل بين الجماهير	عبد الخالق محجوب	دراسة
٢٣	مبادئ وموجهات حول البرنامج	محمد إبراهيم نقد	دراسة
٢٤	قصص سودانية	عبد الماجد عlish	مجموعة قصص
٢٥	عفواً سادتي لا تغلقوا الزجاج	عثمان عبد الله	مجموعة قصص
٢٦	منطقة مروي المظهر والجوهر	فاطمة أحمد علي	دراسة
٢٧	أزرق اليمامة	بشرى الفاضل	قصص قصيرة
٢٨	حكاية البنت التي طارت عصافيرها	بشرى الفاضل	رواية
٢٩	رسالة من جكا	محمد يعقوب	قصص قصيرة
٣٠	الأطفال والعساكر	محجوب شريف	شعر

إصدارات دار عزة للنشر (الخرطوم)

الرقم	الكتاب	المؤلف	نوع الكتاب
٣١	مقالات وخواطر	حسن كنفاح	مقالات
٣٢	مبادئ فيزياء الجوامد	د. أحمد خوجلي	علوم
٣٣	قضايا الديمقراطية في السودان	محمد إبراهيم نقد	دراسة
٣٤	روائع حقيقية أمدردان	محمد حسن على (الجفر)	دراسة
٣٥	مأزق السلطة الرابعة	د. فتح الرحمن محجوب	إعلام
٣٦	الخنوق	عبد الحميد محمد أحمد	إعلام
٣٧	أصل الفونج	ترجمة: عثمان أحمد عبد الرحيم	دراسة
٣٨	حوار حول الدولة المدنية	محمد إبراهيم نقد	سياسة
٣٩	تقنيات مكافحة الآفات بالمبيدات	محمد المصطفى حسن	زراعة
٤٠	قوارض السودان والشرق الأوسط	محمد المصطفى حسن	زراعة
٤١	حورية مريس	عبد الباسط آدم مريود	م. قصصية
٤٢	أساسيات علم المحاصيل	أ. ديس إبراهيم دقش	زراعة
٤٣	فيض الذاكرة - دراسة عن الشيخ عبد الله	الطيب محمد الطيب - عبد الله	دراسة
	الشيخ البشير	علي إبراهيم - صلاح عمر الصادق	أطباء في الطب واللقاة
٤٤	الأمثال السودانية	صلاح عمر الصادق	دراسة
٤٥	أنشطة الشيطان	خليل عبد الله الحاج	مجموعة قصصية
٤٦	مقدمة في الاتصال الجماهيري	د. محمود محمد قلندر	إعلام
٤٧	الدعابة والمرح في الشعر السوداني	عبد الحميد محمد أحمد	دراسة
٤٨	من رواد أدب الفكاهة في السودان	عبد الحميد محمد أحمد	دراسة
٤٩	معا لكشف مخاطر المخدرات والمؤثرات العقلية	فريق شرطة كمال عبد الباكر	دراسة
٥٠	داء السكر وآثاره الجلدية والجنسية	د. عادل حامد حسن	دراسة
٥١	الفكاهة في الشعر السوداني	عبد الحميد محمد أحمد	دراسة
٥٢	هوامش من سيرة جمال نوبى	محمد خلف الله سليمان	مجموعة قصصية
٥٣	مساهمة في حل أزمة العقل العربى المسلم	طه إبراهيم	دراسة
٥٤	الصفة الأخرى	أبكر آدم إسماعيل	رواية
٥٥	خمسوات السودان	عبد الحميد محمد أحمد	دراسة
٥٦	درب المحبة	محمد على أبو قطاطى	شعر
٥٧	بريابة والمجذوب	فاطمة محمد عمر عتيانى	مجموعة قصصية
٥٨	المسئولية التقصيرية عن فعل الغير في	أ. د سيد أمين	قانون
	الفقه الإسلامى المقارن		

إصدارات دار عزة للنشر (الخطوط)

الرقم	الكتاب	المؤلف	نوع الكتاب
٥٩	الأدب في عصر العلم	ح. ليفي	أدب
٦٠	الشبيوعيون السودانيون والديموقراطية	ترجمة عبد الخالق محجوب	دراسة
٦١	رجال مجنحون	د. أشرف مبارك محمد صالح	م. قصصية
٦٢	مار تجلو	أحمد محمد ضحية	رواية
٦٣	العلمانية والإسلام	د. كامل إبراهيم حسن	سياسة
٦٤	حول البرنامج	عبد الخالق محجوب	سياسة
٦٥	حسن روكسي	عبد الماجد عيش	قصص
٦٦	الاقتصاد القياسي	د. بسام يونس إبراهيم - د. أنمار أمين حاجي - أ. عادل موسى يونس	اقتصاد
٦٧	قانون التأمين المقارن	أ. د. سيد أمين	قانون
٦٨	قضايا ما بعد المؤتمر	عبد الخالق محجوب	سياسة
٦٩	حكاوى بريندي مأمور شندي	د. كامل إبراهيم حسن	مقالات
٧٠	مناقشات حول الديمقراطية والوحدة الوطنية في السودان	محمد علي جادين	سياسية
٧١	دعوة للتفلسف	محمد عثمان مكي	فلسفة
٧٢	خلاصة الميراث	أ. د. سيد أمين	قانون
٧٣	المبادئ الأساسية للقانون المقارن	أ. د. سيد أمين	قانون
٧٤	النيابة عن الغير في عقد الزواج	أ. د. سيد أمين	قانون
٧٥	نبض خاطر	صلاح يوسف	مقالات
٧٦	أيام في مملكة بلقيس	محمد محيي الدين عبده	مقالات
٧٧	أمثال الشايقية	محجوب كرار	دراسة
٧٨	صحو الكلمات المنسية	النور عثمان أبكر	شعر
٧٩	كادقلي ومسيرة السلام	عبد ركن (م) محمد الطيب فضل	دراسة
٨٠	المعاملات الشرعية	أ. د. سيد أمين	قانون
٨١	إسماعيل حسن القيثارة الخالدة	عبد الحميد محمد أحمد	دراسة
٨٢	تاريخ السودان من منظور فرنسي	بروضير محمد علي مختار	تاريخ
٨٣	حكواتي نبتة	عبد العظيم حمدنا الله	مسرح
٨٤	النبات الاقتصادي	أ. د. يس محمد إبراهيم	زراعة

إصدارات دار عزة للنشر (الخرطوم)

الرقم	الكتاب	المؤلف	نوع الكتاب
٨٥	امراة من حليب البلبال	مبارك الصادق	رواية
٨٦	الجامع المسبوك بين الساسة والديوك	د. كامل إبراهيم حسن	مقالات
٨٧	الفكر وتطوره عند المسلمين	بروفسير محمد على مختار	تاريخ
٨٨	علاقات الرق فى المجتمع السودانى	محمد إبراهيم نقد	دراسة
٨٩	احتبى لأبحث عنك	عيسى الحلو	مجموعة قصصية
٩٠	التى بعد البرجل	أمير شمعون	شعر
٩١	مجموعة نورا	محمد حسن سالم حميد	شعر
٩٢	تفاصيل ما حدث	محمد حسن سالم حميد	شعر
٩٣	اقتصاديات النقل فى السودان	د. عبد الرحيم أحمد إبراهيم	اقتصاد
٩٤	الإبداع فى الشعر الشعبى السودانى	د. فرح عيسى محمد	دراسة
٩٥	حكاية الإنسان والبلدة	مبارك عبد الرحيم صباحى	رواية
٩٦	أستاذ الأجيال - عبد الرحمن على طه	د. فدوى عبد الرحمن	سيرة
٩٧	التأويل الصوفى للحدثاء فى الإسلام	د. بكرى خليل	دراسة
٩٨	أصول الأدب السودانى الحديث	د. مختار عجوبة	دراسة
٩٩	رجل شفاف	أحمد فضل	مجموعة قصصية
١٠٠	جنوب السودان	إبيل اليـــــر	سياسة
١٠١	الإنذاية	الطيب محمد الطيب	دراسة
١٠٢	أيام صفانا	محمد بشير عتيق	شعر
١٠٣	ممارسة السياسة وغياب الوعي الأمنى	حسن بيومى	دراسة
١٠٤	وضاحة	أزهري محمد على	شعر
١٠٥	تاريخ النوبة الاقصادى الاجتماعى	ناج السر عثمان	دراسة
١٠٦	كلكم	عصام الدين بشير	دراسة
١٠٧	علم الاجتماع السياسى	د. عمر يوسف الطيب	اجتماع
١٠٨	الديمقراطية والهوية	عبد العزيز حسين الصاوى	سياسة
١٠٩	وطن تاجوج وعزة	عبد الله النجيب	شعر
١١٠	مملكة الجعلين الكبرى	جعفر حامد البشير	دراسة
١١١	انتظرى	هاشم صديق	شعر
١١٢	أوراق سودانية	شوقى ملاسى	سياسة
١١٣	أدب الزنوجة	محمود موسى تاور	أدب
١١٤	تطورات العقد الاجتماعى فى السودان	عبد الرحمن قسم السيد	دراسة

إصدارات دار عزة للنشر (الخرطوم)

الرقم	الكتاب	المؤلف	نوع الكتاب
١١٥	هذه هي الحقيقة	د. يوسف عبد الله	دراسة
١١٦	قانون الاجراءات المدنية	محمد الشيخ عمر	قانون
١١٧	شرح القانون الجنائي السوداني	يس عمر يوسف	قانون
١١٨	ذهب مروى	صلاح عمر الصادق	آثار
١١٩	المجموعة الشعرية الكاملة	جعفر حامد البشير	شعر
١٢٠	أزمنة الشاعر الثلاث	عبد الله شابو	شعر
١٢١	البحر القديم	مصطفى سند	شعر
١٢٢	أفريقيا لنا	محيى الدين فارس	شعر
١٢٣	كادان والجدول الرابع	المكاشفي محمد بخيت	دراسة
١٢٤	آفاق جديدة	عبد الخالق محبوب	دراسة
١٢٥	إضاءات على جسد الموت	جون أوراليواوكج	مجموعة قصصية
١٢٦	زهور ذابلة	استيلا قايتانو	مجموعة قصصية
١٢٧	أدب الصيد والقنص في السودان	محمد حسن الجقر	أدب
١٢٨	رجع الصدى	أبو بكر وزيري	إعلام
١٢٩	القضية الاجتماعية والمجتمع المدني في السودان	د. عبد الرحيم أحمد بلال	دراسة
١٣٠	الشايقية	إخلاص محمد عثمان	دراسة
١٣١	قبائل دارفور	سبيل آدم يعقوب	دراسة
١٣٢	الضريبة على القيمة المضافة	د. حسن بشير محمد نور	اقتصاد
١٣٣	أم درمان حقبة الفن لماذا؟	عبد الحميد محمد أحمد	أدب
١٣٤	التصوير البيئي للميعاد	د. بحر الدين عوض	دراسة
١٣٥	الإنسان واللسان السوداني	عبد الحميد محمد أحمد	أدب
١٣٦	فقه الإثبات	د. صديق عبد الباقي	قانون
١٣٧	تحليل الوعي	منوكل على محمد	علم نفس
١٣٨	تاريخ الفلسفة	محمد عثمان مكي	فلسفة
١٣٩	يوميات الحركة الإسلامية	عبد الماجد عليش	سياسة
١٤٠	المسيد	الطيب محمد الطيب	دراسة
١٤١	ملاحم من المجتمع السوداني	حسن نجيلة	تاريخ
١٤٢	ذكرياتي في البادية	حسن نجيلة	مذكرات
١٤٣	الإدارة الهندسية	د. الأمين عبد الجليل	هندسة
١٤٤	الأمير عثمان جانو	إخلاص محمد علي حمد	تاريخ

إصدارات دار عزة للنشر (الخرطوم)

الرقم	الكتاب	المؤلف	نوع الكتاب
١٤٥	سلطنة دارفور	النور عثمان ابكر	تاريخ
١٤٦	المخدوعة	أحمد محمد الحسن عثمان	شعر
١٤٧	أروى رنة الفرح المهاجر	بابكر عوض الكريم	شعر
١٤٨	مصاييح السماء الثامنة وطشيش	محمد حسن سالم حميد	شعر
١٤٩	المجموعة الشعرية الأولى	محمد حسن سالم حميد	شعر
١٥٠	لم يبق إلا الاعتراف	عمر عبد الماجد	شعر
١٥١	المجموعة الشعرية الكاملة ج ٢	العز عمر بخيت	شعر
١٥٢	رجعنا مع البادرات إلى خط الاستواء	مصطفى سند	شعر
١٥٣	الفيلسوف وقصص أخرى	محمد عبد الهادي	قصص
١٥٤	رحيل النوار خلسه	د. محمد عثمان الجعلي	مقالات
١٥٥	ديوان الشيخ حياتي	الطيب حياتي	مديح
١٥٦	امرأة من كمبو كديس	عبد العزيز بركة	قصص
١٥٧	اللغويات لتصحيح اللغة	جعفر حامد البشير	أدب
١٥٨	القهوة في السودان	عبد الحميد محمد أحمد	أدب
١٥٩	أدبيات الشاي في السودان	عبد الحميد محمد أحمد	أدب
١٦٠	ذكريات الصراحة	جعفر حامد البشير	مذكرات
١٦١	دوباي ودكا هل	الطيب عبد الله	أدب
١٦٢	السودان في القرية والمدينة	جعفر حامد البشير	أدب
١٦٣	الحج	علاء الدين محمد بابكر	دين
١٦٤	قضايا الفلسفة الاجتماعية	عبد المتعال زين العابدين	فلسفة
١٦٥	الاقتصاد الجزئي	عبد الله الشريف الغول	اقتصاد
١٦٦	أساليب التقييم الاقتصادي	حسن بشير محمد نور	اقتصاد
١٦٧	قضايا التنمية المستدامة	د. شريف الدشوني	اقتصاد
١٦٨	Transportation in Sudan	A.rhaim	اقتصاد
١٦٩	جنسية المرأة المتزوجة	الطيب عبد الجليل	قانون
١٧٠	الحضارات السودانية	صلاح عمر الصادق	آثار
١٧١	مملكة الجعليين	جعفر حامد البشير	تاريخ
١٧٢	الديمقراطية في التربية	محمد علي حمد	تربية
١٧٣	متغيرات العصر	محمد إبراهيم نقد	سياسة
١٧٤	الصراع السياسي الثقافي في القرن الأفريقي	د. موسى محمد عمر	سياسة

الرقم	الكتاب	المؤلف	نوع الكتاب
١٧٥	المراعي والعلف	محمد إبراهيم دقش	زراعة
١٧٦	إنتاج المحاصيل	محمد إبراهيم دقش	زراعة
١٧٧	حجر الدغش	محمد حسن سالم حميد	شعر
١٧٨	الرجعة للبيت القديم	محمد حسن سالم حميد	شعر
١٧٩	يوميات سودانية	نصر الدين شلقاني	مذكرات
١٨٠	المدارس الاشتراكية في أفريقيا	عبد الخالق محجوب	سياسة
١٨١	مؤتمر البجا	محمد لوهاج ادروب	سياسة
١٨٢	جغرافيا الميعاد	د. بحر الدين عوض	دراسة
١٨٣	الحرب الأهلية وفرص السلام	إبراهيم على إبراهيم	دراسة
١٨٤	نظريات اجتماعية معاصرة	عمر عبد الجبار محمد أحمد	اجتماع
١٨٥	المرأة الأفريقية	د. فاطمة بابكر	دراسة
١٨٦	السودان حرب الموارد والهوية	د. محمد سلمان	سياسة
١٨٧	برشت قصائد من الألمانية	د. محمد سليمان	شعر مترجم
١٨٨	سارى الليل «الجراد وأثره على الصمغ العربى»	محمد مصطفى حسن	زراعة
١٨٩	علاقات السودان الخارجية	عبد الحميد محمد أحمد	سياسة
١٩٠	المدارس الاشتراكية في أفريقيا	عبد الخالق محجوب	سياسة
١٩١	دراسات سودانية في الآثار والفلكلور	صلاح عمر الصادق	آثار
١٩٢	دراسات في الفلكلور السودانى	د. نصر الدين سليمان	فلكلور
١٩٣	اقتصاد الانقاذ	محمد عبده كبح	اقتصاد
١٩٤	الموية عطشانة	محجوب الحاج	شعر
١٩٥	أنا عطبرة	الحاج عبد الرحمن أحمد	شعر
١٩٦	الجناية فيما دون النفس	د. صالح أحمد النور	قانون
١٩٧	الجرائم المعاقب عليها بالقتل	د. صالح أحمد النور	قانون
١٩٨	قياب شرق السودان	صلاح عمر الصادق	قانون
١٩٩	أضواء على الملكية الفكرية	محمد عزت بابكر	آثار
٢٠٠	Excesses in human Right	أبيل اليسر	قانون
٢٠١	الأديب السودانى أحمد المبارك عيسى	د. عبد الحميد محمد أحمد	أدب
٢٠٢	تاريخ الحركة النقابية السودانية	على محمد بشير	تاريخ
٢٠٣	ترانيم الحصار	عمر عبد الله محمد على	م. قصصية
٢٠٤	تشريح العقل العرقى	منتصر الطيب	اجتماع

إصدارات دار عزة للنشر (الخرطوم)

الرقم	الكتاب	المؤلف	نوع الكتاب
٢٠٥	الميراث السياسى المتد	د. عبد الحميد محمد أحمد	سياسة
٢٠٦	تطور المرأة السودانية وخصائصها	تاج المر عثمان الحاج	سياسة
٢٠٧	الطمبور وأغاني الشايقية	إخلاص محمد عثمان	أدب
٢٠٨	ملاح من الوجه القديم	مصطفى سند	شعر
٢٠٩	متى يعود الخريف للجزيرة	د. كامل إبراهيم حسن	أدب
٢١٠	عطر نسائي	عماد بركة	رواية
٢١١	حول منهج عقلانى لفهم التراث	د. كامل إبراهيم حسن	دراسة
٢١٢	الخريف يأتى مع صفاء	أحمد الملك	رواية
٢١٣	نورا ذات الضفائر	أحمد الملك	م. قصصية
٢١٤	أوراق من الواحة «تجربة صحفى فى بيوت الأشباح»	محمد سيد أحمد عتيق	سياسة
٢١٥	أمة كلها إبداع	محجوب حسن سعد	أدب
٢١٦	إنها بردة الجمال	مصطفى سند	شعر
٢١٧	صراع السلطة والثروة فى السودان	تيم نبلوك	سياسة
٢١٨	مشارطات إيجار السفن	محمد حب الرسول الطيب محمد	قانون
٢١٩	إدارة الوقت فى السودان	شاكر شريف سيد مكاوى	سياسة
٢٢٠	كفاح... ونجاح مذكرات شرطى	أبو حميد أحمد إبراهيم	مذكرات
٢٢١	أولاد الترابى - الانكار والتنكر	عبد الماجد عيش	سياسة
٢٢٢	قاموس المصطلحات الاقتصادية	أ.د. على أحمد سليمان	اقتصاد
٢٢٣	الفكاهة ليست عبثاً	الصادق المهدي	أدب
٢٢٤	المرشد إلى قواعد وإجراءات التنظيمات الحديثة	د. أحمد الصافى	إدارة
٢٢٥	TRADITIONAL SUDANESE MEDICINE	د. أحمد الصافى	طب
٢٢٦	جغرافيا وتاريخ السودان	نعوم شقير	تاريخ
٢٢٧	تصبحين على وطن	طارق مطيع	رواية
٢٢٨	صولجان من خشب	سارة شرف الدين محمد	رواية
٢٢٩	القرين وقصص أخرى	أسامة عبد الحفيظ محمد	مجموعة قصصية
٢٣٠	استنباط آيات القرآن الكريم (يحيى الموتى)	أ. علاء الدين محمد بابكر	دراسة
٢٣١	فرنيب فى بلاد موديبا (انطباعات عن جنوب أفريقيا)	د. كامل إبراهيم مسن	مقالات

إصدارات دار عزة للنشر (الخرطوم)

الرقم	الكتاب	المؤلف	نوع الكتاب
٢٣٢	في سبيل تحسين العمل القيادي	عبد الخالق محبوب	سياسة
٢٣٣	الترجمة	ليلى أبو العلا	رواية
٢٣٤	الفكر الإسلامى وقضية المرأة	د. عمر القدادى	دراسة
٢٣٥	غلام الله بن عايد وأثاره فى السودان	د. سمير محمد عبيد نقد	دراسة
٢٣٦	أذان الأنعام	د. عماد محمد بابكر	دراسة
		وم. علاء الدين محمد بابكر	
٢٣٧	الحركة النقابية	من الله عبد الوهاب	دراسة
٢٣٨	الصادق المهدي الانكفائية	د. عمر القرائى	سياسة
٢٣٩	العمارة فى السودان	الجمعية الهندسية	هندسة
٢٤٠	الأم	مكسيم جوركى	رواية
٢٤١	السيف والنار	سلاطين باشا	تاريخ
٢٤٢	صباحات ذاهى ومساء الخيرات	محمد الفكى	رواية
٢٤٣	اقتصاديات الملاحة النهرية	د. محمد عثمان ال	اقتصاد
٢٤٤	تحفة العروس		